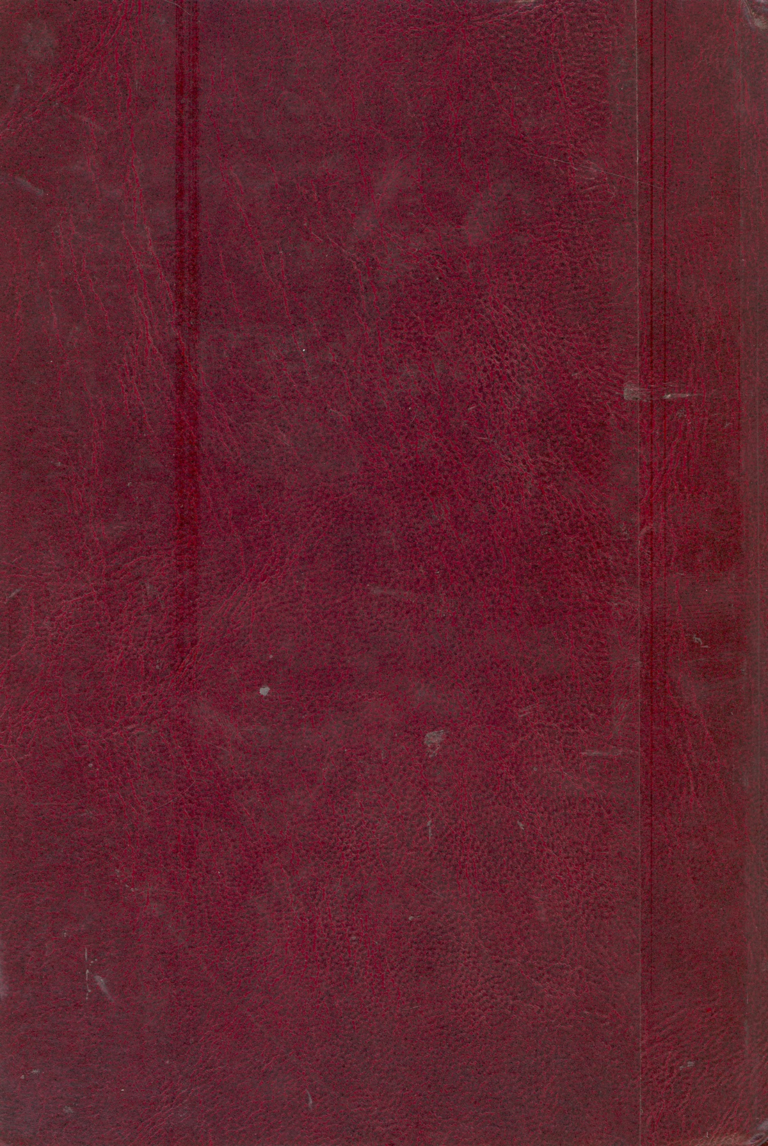
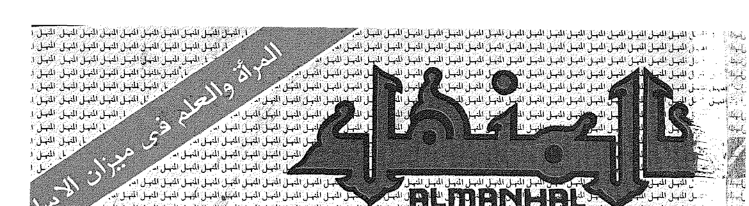
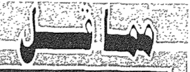




باكثير
صفحات من تاريخه

تطور الشعر العربي في عصر صدر الاسلام

الداء فى الدواء



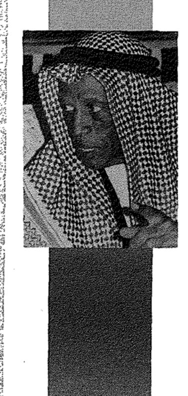
المعجزة الكبرى

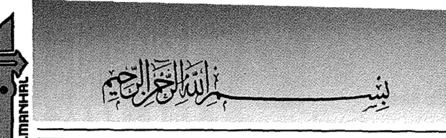
هى اية من ايات الله الكبرى، الناطقة بوحدانيته تعالى، وكمال قدرته ومبلغ اصطفائه لخليله ورسوله (محمد) ﴿ﷺ﴾، الذي بعثه الله الى الناس بشيرا ونذيرا ورحمة ونورا.

والحديث عن الاسراء ممتع وشائق، لما تجلى فيه من أسرار القدرة الربانية الباهرة وجزئياته وكلياته قد استوعبتهما اسفار التفسير والحديث، واشادت بهما قماطر السيرة والتاريخ، ولكن الاسراء بما حواه من سامي المعاني وجلائل الاثار ولطائف الاشارات، سيظل دوما مستوحى جميلا للكاتبين والمفكرين ومرتادا خصبا زاهرا للباحثين والمتأملين.. ففى احدى ليالى هذا الشهر الاغر (رجب) أسرى بجسد النبى ﴿ﷺ﴾ وروحه الطاهرين من المسجد الحرام (بتهامة) الى المسجد الاقصى فى (الشام) ومن ثم عرج به رأسا الى (العالم العلوى) فحياه أهلوه، واستقبلوه أبهج استقبال، واستبشروا ببعثته واغتبطوا بعروجه وقدومه ورحبوا به ترحيب الاخلاص، وشافه ابويه ابراهيم وادم عليهما السلام واخوانه من الانبياء المصطفين الاخيار، وتلقى الوحي من رب العالمين، ورأى من ايات ربه الكبرى، فما زاغ البصر وما طغى، وفى الليلة بعينها قفل النبى ﴿ﷺ﴾ الى مقره بمكة المكرمة، ففى هذه السرعة الخارقة، وفى صعود هذا الجسم البشري الشريف، وتغلغله فى طبقات السماوات، بمجرد قدرة الله تعالى وارادته وفي أوبته فى ليلته، بعد انجاز ريادته السامية ابدع انجاز، فى كل ذلك يتمثل جانب مهم من جوانب الاعجاز فى (معجزة الاسراء) وهكذا كرم الله عبده ورسوله فرقاه الدرجات العلى وجعل له لسان صدق فى الاخرين صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم.

عبدالقدوس الأنصاري

رجب ١٣٥٦هـ





لقطة الشهر

(لبنان) هذا الوطن الجميل الطيب أهله، أدخلته الحرب الاهلية في خندق مشتعلة أنحاؤه.. وتأتي اسرائيل لتقتطع جزءا من جنوبه..

ورغم كل ذلك فان نضارة الطفولة تحمل هذا الوطن الجميل معزوفة رائعة فى أعماقها.. وسيبقى لبنان لاهله.. وأهلا بك لبنان نضرا كبسمة الطفولة.

المنهل ALMANHAL

للآداب والعلوم والثقافة أولى أمهات الصحافة السعودية أسسها المغفور له عبد القدوس الانصاري عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م.

المركز الرئيسي: جدة الشرقية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي: ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء.. عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن احاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد اولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب ويشترط فى الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته.

● يرجى فى المقال أن يكون بخط واضح.. ويفضل ان يكون مطبوعا على الالة الكاتبة، والا يكون المقال او القصيدة قد تم نشرها قبل ذلك.

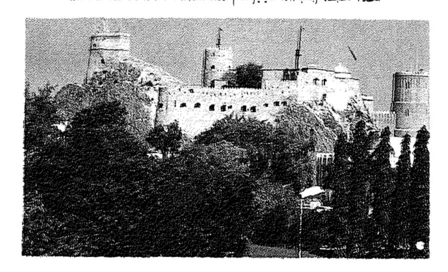
● للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التى تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

سعر النسخة | السعودية ٨ ريال ـ قطر ٨ ريال ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ مصر ١ جنيه ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ سلطنة عمان ٦٠٠ بيسه الامارات ٨ دراهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقيه ـ الاردن ٥٠٠ فلس.



تصـدر فى المملكـة العربيـة السعوديـة ـ جـدة عـن دارة المنهـل للصحافـة والنشـر المحـدودة.

العدد ٥٠١ المجلد ٥٤ رجب ١٤١٣هـ ـ يناير ١٩٩٢م Issue No.501 VOl. No. 54 RAGAB 1413H, JAN 1993C.



فـى هـذا العـدد

٠٠٤ متحف التاريخ الطبيعي ـ (استطلاع مصور)

٠١٠ الاسراء والمعراج . . عبر وعظات ـ محمد صلاح الدين خليفة.

٠١٦ من ايات الاحكام . . اية واعجاز ـ د. حسن محمد باجوده.

٠٢٦ أرواق الأوراق ـ حمـاد السـالمي.

٠٢٨ مـن التـراث .

٠٣٠ التنمية فى المجتمع الاسلامي ـ د. خلاف خلف الشافعى.

٠٣٥ تطور الشعر العربى فى عصر صدر الاسلام ـ د. بهيج القنطار

٠٤٣ فلسفة الشعراء حول التدخين ـ عبد الله بن ناصر بن على العويد.

٠٤٦ الشاعر السورى ممدوح عدوان ـ لقاء وحوار السيد المخزنجى.

٠٤٩ غياب . . وعتاب (شعر) ـ مقبل عبد العزيز العيسى.

٠٥٠ رحلة فى الذاكرة (١٠) ـ د. محمد رجب البيومى.

٠٥٤ المدينة الخضراء (شعر) ـ ماجد ابراهيم العامري.

٠٥٦ نقطـة توهـج ـ

٠٥٧ مجلة السائح العدد (٦٦).

٠٧٨ تحرج الاصمعى وابن دريد ـ د. صبيح التميمي.

٠٨١ الطائر . . والضفدعة (شعر) ـ احمد عبد السلام البقالي.

٠٨٢ ومضـــات .

٠٨٦ دراسات فى الحديث النبوى ـ أ.د. عبد الباسط احمد حموده.

٠٩٤ اسـتراحة قصـيرة .

٠٩٧ مجلة فلسطيننا العدد (٥٦).

١١٦ الرعاية الصحية فى الاسلام ـ د. محمد على البار.

١٢٦ الحجامة فى الطب الاسلامي ـ د. محي الدين لبنية.

١٣٠ الداء فى الدواء ـ مهندس محمد عبد القادر الفقى.

١٣٤ الليزر يقتحم الطب ـ د. خالد عقيل.

١٣٧ مجلة هـن العدد (٧٠).

١٥٣ الدور الحضارى للمتاحف والمعارض ـ د. يوسف خليفة غراب.

١٥٦ هندسة الوراثة ـ د. محمد نبهان سويلم

١٦٢ المرنـــاه.

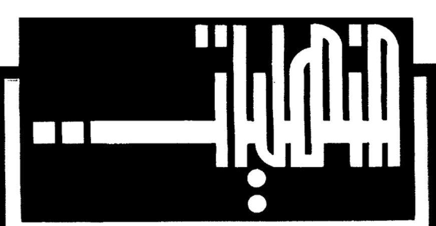
١٦٤ لغات لها تاريخ مع العربية ـ السيد محمد على بلاسي.

١٦٦ متابعـات ثقافيـة .

١٧٤ مسك الختـام ـ محمد سليم رشدان.

وكلاء التوزيع: تهامة للتوزيع جدة ت ٦٦٩٥٠٠٠ ـ وكالة الاهرام للتوزيع القاهرة ت ٥٧٤١٠٤٤ ـ الشركة التونسية للصحافة تونس ت ٢٤٢٤٩٩ ـ الشريفة للتوزيع الدار البيضاء ت ٤٠٠٢٢٣ ـ دار المسيرة للطباعة ابو ظبي ت ٣٣٨٢٨٥ ـ دار الثقافة للطباعة الدوحة ت ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية عمان ت ٦٣٠١٩١ ـ دار اقرأ للنشر الخرطوم ت ٤١١٠٩

الاعـــلانات: يراجع بشأنها الادارة ت ٦٤٣٢١٢٤



قضايا المسلمين
فى عيوننا .. وبين جوانحنا

قضايا المسلمين فى أنحاء العالم، تعددت وتنوعت فى أيامنا هذه . . ولا شك ان اكبر محنة إنسانية هى ما يحدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك من تقتيل وتشريد على يد الصرب مما عرف بمسمى (التطهير العرقي) وهذا ما يتنافى مع أقل مبادىء الانسانية، لقد ورث الصرب من جمهورية يوغسلافيا السابقة ترسانة ضخمة من الاسلحة والعتاد الحربي، سخروها جميعها لقتل وتشريد هؤلاء الابرياء من وطنهم وديارهم.

ان قضية البوسنة والهرسك أصبحت من القضايا العاجلة الملحة الآن مما يضاعف واجب المسلمين جميعهم فى انحاء العالم تجاهها.

واحساساً بهذا الواجب الاسلامي والانساني فقد احتضنت المملكة العربية السعودية أعمال الدورة الاستثنائية السادسة للمؤتمر الاسلامي لوزراء الخارجية الذى عقد في ٧ جمادى الاخرة ١٤١٣هـ - الموافق ١ ديسمبر ١٩٩٢م، وافتتح المؤتمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بكلمة ضافية قوية اكد فيها ضرورة التضامن الاسلامى لمواجهة ما يلاقيه المسلمون فى كثير من الدول من عنت واضطهاد، واكد - حفظه الله - ان المملكة العربية السعودية قد أولت اهتماماً خاصاً للوضع المؤسف فى جمهورية البوسنة والهرسك حيث يتعرض شعبها لاعتداءات مستمرة من جانب الصرب من اجل طمس هوية شعب تلك الجمهورية . . كما أكد - حفظه الله - على ان تحقيق العدالة يحتم تمكين حكومة جمهورية البوسنة والهرسك من الحصول على الاسلحة التى تحتاجها لأغراض الدفاع المشروع عن وجودها.

وتظل هذه المملكة تسعى دائماً وأبداً إلى إحقاق الحق والدفاع عنه.

رئيس التحرير



غلاف العدد

الشعر العربى عبر تاريخه الطويل مر بالعديد من المراحل، حتى وصل الى ما وصل اليه الان، مما أصبح يشكل ظاهرة تستدعي الدراسة المتأنية.

مجلاتنا الداخلية

مجلة السائح العدد «٦٦»

● محطات سياحية ٥٨
● سقوط مدينة القلاع
خالد عزب ٦٠
● الاقصر عاصمة آثار الدنيا
محمد حمدى السنباطى ٧٠

مجلة فلسطيننا العدد «٥٦»

● لنكن صرحاء ٩٨
● تأملات (شعر). ٩٩
فى زمن الضياع والتروى
● فرانز كافكا ومعركتنا ضد الصهيونية (الحلقة الاخيرة) ١٠٠
● من أدب الارض المحتلة ١٠٣
● الشعر وعروس نجمة الجنوب ١٠٦
● اسرائيل آفاق الاستراتيجية والوهم (الحلقة الثانية) ١٠٨

مجلة هى العدد «٧٠»

● بيننا كلمة
انتصار الكفراوى ١٣٨
● المرأة والعلم فى ميزان الاسلام
د. ضاحى عبد الباقى ١٣٩
● لحظة هدوء. ص ١٤٤
● مناجاة طيور الحب.
د. عاتكة الخزرجى ص ١٤٦
● أوراق زوجية
أبو عواد/ أم عمرو. ص ١٤٨
● إلى السيدة الجميلة
محمد عبد الواحد حجازى. ص ١٥٠

الاشتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

استطلاع مصور:

متحف التاريخ الطبيعي

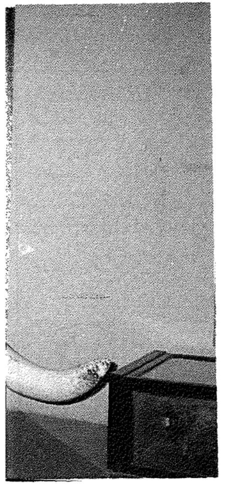
فى العشرينيات (١٩٢٠ - ١٩٢٩) بدأ متحف السودان للتاريخ الطبيعى عمله بشكل غير رسمى، وبجهود فردية قام بها نفر من فنيى وزارة الزراعة فى (ود مدنى) ثم انتقل بعد سنوات الى اشراف وزارة المعارف بالخرطوم حيث استمر كجزء من متحف السودان، وابان الحرب العالمية الثانية حفظت مجموعات المتحف فى مبانى كلية غردون التذكارية حتى انجلى الموقف فأعيد تنظيمها مرة أخرى وافتتحت فى مبنى مؤقت الى جوار متحف الاثار، وكان المتحف وقتئذ تحت رقابة لجنة المتاحف التى كان يرأسها السيد مدير وزارة المعارف.

وفى السنوات الاخيرة (١٩٥٩) اصبح من العسير ان يتوفر للمتحف المناخ العلمى الذى يمكنه من اداء رسالته نسبة لغياب التخصصات الاساسية التى تفتقر لها المؤسسات الاخرى التى كان المتحف تحت ادارتها، وعلى ذلك استقر الرأى على انضوائه تحت ادارة جامعة الخرطوم كوحدة تابعة لكلية العلوم، لها مجلس يرأسه رئيس شعبة علم الحيوان بنص امر التأسيس رقم (٢٩).

• يحتوى المتحف على عشرة الاف عينة ومفتوح للزوار ولدارسى الطب والفنون وعلوم الاحياء ومحبى البيئة.

• يضم المتحف قواقع متحجرة اكتشفت فى مناطق تبعد كثيرا عن النيل وتدل على ان النهر غير مجراه كثيرا.

• توجد بالمتحف عنز بستة أرجل ودجاجة بثلاثة اقدام وغرائب شتى.



اعداد وتصوير: أبو لبينة - السودان -

■ الحركة المتحفية فى السودان تمثل جزء من الحركة العالمية لدراسة البيئات النباتية والحيوانية والجيولوجية والارث الثقافى للانسان، وهى مرتبطة بهذه الحركة العالمية ارتباطاً وثيقاً، ولهذا أصبح للمتحف أهداف وأغراض محددة يعمل على تحقيقها يمكن تلخيصها فيما يلى:

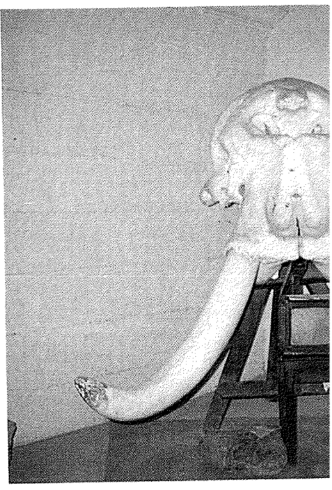
خطة الحيازة والجمع

يضم المتحف بين جدرانه نماذج من المكونات الطبيعية للبيئة - فالمقتنيات المتحفية مهما كان عددها لا تمثل إلا شريحة لما هو موجود فى الكيان الطبيعى الكلى، واليوم فان المتحف يضم ما يزيد على عشرة آلاف عينة وهى كمية ضئيلة جدا بالقياس الى ما يوجد خارج هذه الدار.

خطة الحفاظ على المجموعات المرجعية

هناك من العوامل الطبيعية والمناخية ما يعجل بتلف ما قد جمع خلال السنين الماضية واللاحقة مثل ارتفاع معدل الحرارة والرطوبة النسبية والضوء الطبيعى الذى يذهب بالالوان ويفقدها خصائصها الاساسية والغبار والحشرات التى يمكن

ـتودع المكوّنات الطبيعيّة للبيئة السّودانيّة



ان تقضى على كل هذه المجموعات فى وقت وجيز، ولذلك كان لابد من اتباع السبل العلمية التى تطيل عمر المقتنيات المتحفية وتحفظها للاجيال القادمة، وهذا من المهام الرئيسية لأى متحف أيا كان نوعه، كما وأصبح من الضرورى الوقوف على احدث السبل لصيانة المعروضات التى تحبس فى الادراج من التلف والضياع، ومباشرة علاجها اولا بأول حتى لا تتفشى فيها امراض حفظ التراث المتحفى.

بث الوعى المتحفى

كل المقتنيات المتحفية هى ملك للدراسة والتعليم والمتحف فى هذا المجال مؤسسة تعليمية فريدة فى نوعها، وخاصة اذا نشأت فى بيئة تعانى من شح فى امكانيات التعليم التقليدية كالمدارس والمعاهد، فمن مهام المتحف الاساسية ايصال المعرفة الى الناس، والمعرفة العلمية التى نقصدها لا يمكن ان تدعم بغير ان يكون هناك ما يدل عليها كالمجموعات الحيوانية بصورها واشكالها المختلفة حتى تسهل المقارنة بينها ـ وهى معرفة تخاطب قطاعاً عريضاً ابتداء بالطفل الذى يزور المتحف لاول مرة الى العالم الباحث الذى يقضى وقتاً طويلا وهو يقارن بين العينات المختلفة.

كما ان هناك تبعة اخرى تقع على عاتق المتحف وهى العمل على رفع فعالية النظم التعليمية المتبعة فى المدارس والمعاهد بتجهيز عينات مخصصة لتسليمها للمدارس فى جميع انحاء البلاد، وذلك بانشاء مركز للتسليف المدرسى يعاون ويقدم المقترحات والبدائل بالنسبة للمناهج التعليمية، ويتابع حركة المتاحف المدرسية ويشجعها بتنمية روح البحث والاستقصاء فى مختلف المراحل.

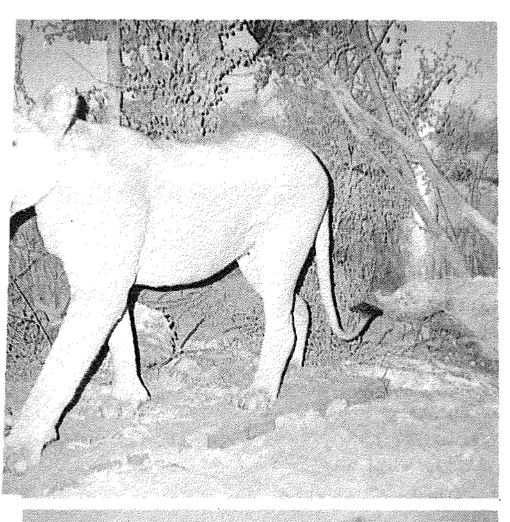
الاجابة على الاستفسارات

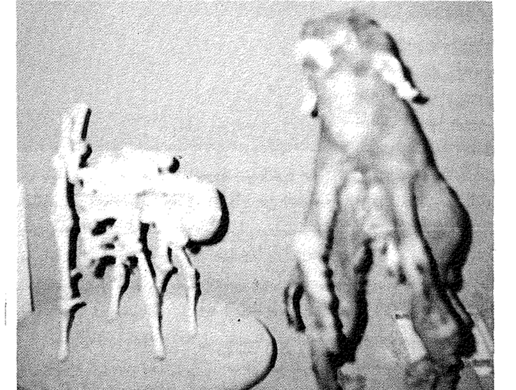
ويمتد الخيط التعليمى الى الجمهور فى جميع انحاء البلاد وبمختلف وسائل الاتصال لايصال المعلومات الصحيحة الى اكبر قطاع ممكن وازالة الافكار الخاطئة والخرافات فى كل ما يتعلق بالبيئات النباتية والحيوانية والجيولوجية.

البحوث

كل هذه البرامج تصبح ناقصة ان لم تكمل البحوث التى

يعكف الدارسون لاجرائها على مقتنيات المتحف ـ ومن واجبات المتحف الاساسية تشجيع العلماء والباحثين واتاحة كل الفرص لهم لاستعمال العينات الموجودة فى المتحف للدراسة والمقارنة. والمردود الاعلى لهذه الممارسة يظهر فى الابحاث العلمية التى ينشرها المتحف فى نشراته المختلفة وغزارة المادة المتاحة وتنوعها يجعل البحث فيها اكثر الاشكال العلمية والفكرية دقة وعمقاً.



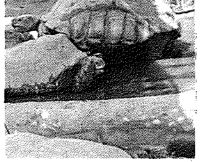


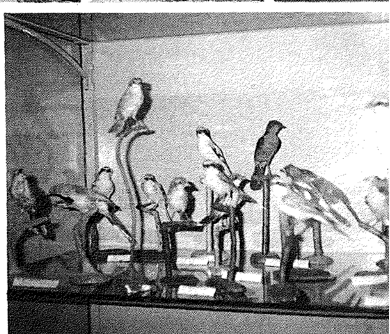
● في مجال الحيازه والجمع: هناك ثلاثة طرق يتبعها اى متحف لزيادة مقتنياته: شراء العينات ـ قبول هدايا المواطنين ـ والقيام برحلات لاقاليم السودان بغرض الجمع.

● في مجال الشراء: فى الفترة من ١٩٧١ الى ١٩٨١ قام المتحف بشراء بعض العينات التى لا تكلف كثيرا مثل العقارب والثعابين والوطاويط ـ وعندما انشأ المتحف حديقة للزواحف جربت ادارته الخروج فى رحلات خارج العاصمة للحصول على تلك العينات، ولكنها وجدت ان هذا يكلف كثيرا وفيه اهدار للوقت، لذا تم تدريب بعض المواطنين الذين يعملون فى الريف، للاعتماد

عليهم فى مد المتحف بما يجدونه مقابل مكافآت مادية متواضعة .

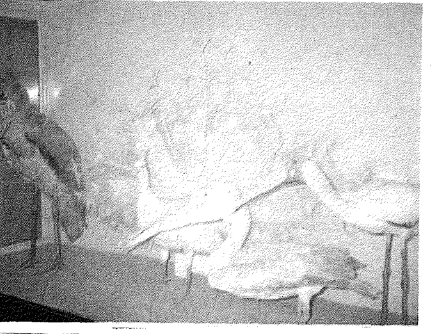
● **أمـا بالنسبة لهدايا المواطنين:** فقد اعتاد بعضهم اهداء المتحف ما يملكون من حيوانات يربونها فى منازلهم بعد موتها، او ما يعثرون عليه فى طريقهم - ومن اهم المجموعات العلمية التى اضيفت للمتحف مجموعة القواقع والحلزون البحرى التى قام باهدائها للمتحف سعادة سفير المملكة المتحدة فى ١٧ فبراير ١٩٧٥م وقد ضمت ٧٨ نوعاً جمعت فى ساحل البحر الاحمر، كما جمع السيد احمد محمد خير فى منطقة الاراك بالقرب من مروى مجموعة من القواقع المتحجرة من مكان يبعد عن نهر النيل - حسب تقديره - ولم يستطع الفنيون تقدير عمرها، وقد تم ارسال جزء منها للمتحف البريطانى لامداد المتحف بالمعلومات اللازمة عنها، وقد تُلقى مثل هذه المتحجرات ضوءاً على طبوغرافية الارض فى الازمان السابقة وعلى المكان الذى كان يمر به النيل قبل آلاف السنين، وغيرها من الهدايا الاخرى.





● **اما الطريقة الثالثة** والتى تمثل العمود الفقرى لسياسة المتحف فى جمع العينات وتدوين المعلومات عنها وعن ايكولوجيتها، وهى القيام برحلات الى اقاليم السودان المختلفة، فقد قام العاملون بالمتحف بالعديد منها، جمعوا فيها إذج كثيرة للبيئات لحيوانية، شملت لندر، وملكال وبانتيو بيث صدرت المعلومات نها فى تقرير المتحف سنوات ١٩٧٣/٧٠م التى سجل فيها (٨٤) نوعاً من الطيور، كما قامت رحلات إلى جنوب دارفور، وبحيرة ام بادر ومنطقة الكرمك، وجبال النوبه، وأبى زيد وبابنوسة، حيث تمكنت بعثة المتحف فى عامى ٧٤ - ١٩٧٥م من جمع عينات كبيرة، وفى عام ١٩٧٧ كان مدير المتحف يقضى جزءاً من دراسته بالسودان، وتمكن من جمع عينات كثيرة من الخفافيش فى تلك المنطقة شملها فى دراسته التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة تورنتو بكندا.

● **اما على صعيد المحافظة على المجموعات**: فان المتحف قد جهز باجهزة ومبان وأدوات لحفظ المجموعات المعروضة، وهناك خطة ومشروع كبير وطموح لتوسيع المتحف ورفده باجهزة ومعدات ومبان وصالات عرض هى قيد التنفيذ الان.



خطة العرض

ان الخطة المتبعة فى كل مجالات المعروضات المتحفية تقع تحت مؤشرين رئيسين:

١ ـ عرض مستديم.

٢ ـ وعرض مؤقت.

■ واذا كان مبنى المتحف يمثل مؤشر العرض المستديم بما يحتويه من صالات للعرض وغرف ثعابين واحواض للأسماك والتماسيح والسلاحف . . . الخ، فان المعارض المؤقتة والدورية ـ غالباً ـ تكون مرتبطة ببعض الاحداث الهامة كيوم الغذاء العالمى ويوم البيئة العالمى واسبوع صيانة الموارد الطبيعية وغيرها من المعارض التى تصحبها عادة ندوات ومحاضرات وافلام وقد اشترك المتحف فى العديد من المعارض المؤقتة فى السنوات الماضية، وساهم بالمشاركة مع الهيئات الاخرى مثل مصلحة السياحة وهيئة المعارض فى اقامة معارض مؤقتة.

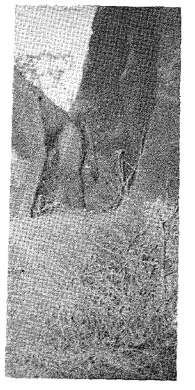
المحاضرات والندوات والافلام السينمائية

خلال عشرين او ثلاثين عاماً قدم المتحف العديد من المحاضرات والندوات والافلام السينمائية، وكلها طبعت بالتفصيل فى تقارير المتحف السنوية، وهذه المحاضرات والندوات تلاقى اقبالا كبيراً من الجمهور وتؤدى دوراً هاماً يربط المتحف والجامعة بالتالى بالمجتمع وحركة الوعى فيه.

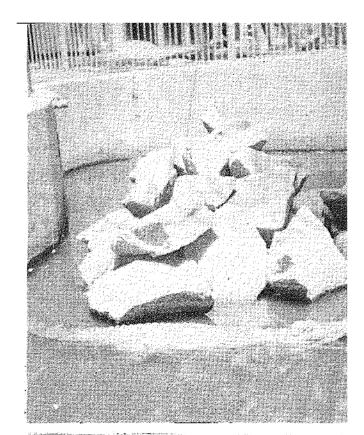
المساهمة الاكاديمية

نسبة لما يتميز به المتحف من مجموعات مرجعية يندر تواجدها فى مكان واحد غيره، فقد ظل المتحف مرجعا هاماً لطلاب قسم الحيوان وخاصة فى مجال التصنيف.

اما فى مجال التدريس فان مديرى المتحف السابقين والمدير الحالى يشارك فى تدريس مقرر الطيور والثدييات لطلاب قسم الحيوان، كما ظلت ابواب المتحف ومراجعه مفتوحة ومتيسرة للباحثين الذين يلجأون له من وقت لآخر، كما ان تقارير المتحف السنوية تحتوى على العديد من البحوث والاوراق والملاحظات.



■ الدكتور فتحى محمد الربعه ـ المحاضر بكلية العلوم ـ قسم الحيوان ومدير المتحف يقول عن





الجهات الاخرى التى يتعامل معها المتحف وهو يؤدى دوره: هناك العديد من الجهات والمؤسسات التى يرتبط عمل المتحف بها وهى قوات حرس الصيد، ومصلحة السياحة، ومصلحة الغابات، ووزارة التربية والتعليم، ومصلحة الجيولوجيا، وكلية الفنون الجميلة والمتاحف الاخرى، ومتحف كلية الطب.

الخطط المستقبلية

يقول الدكتور فتحى الربعه انهم بدأوا فى تنفيذ مشروع جديد يهدف الى توسيع المتحف وان صالات العرض الست ستضاف اليها الصالات التالية:

١ ـ واحدة لتراث البحر الاحمر.

٢ ـ وجناح للهياكل العظمية للحيوانات.

وبدأ فى انشاء مركز لامداد الجامعات والمعاهد والمدارس بالمواد العلمية الخاصة بعلوم النبات والحيوان والجيولوجيا والمساهمة والاشراف على انشاء المتاحف الاقليمية والمدارس.

● بدأ فى اعداد الكتيبات العلمية من مستوى «ارسم ولون» الى مستوى المعلومات العلمية المتخصصة عن طريق مجلة المتحف.

● تنشيط جمعية اصدقاء المتحف وجمعية التاريخ الطبيعى للمتخصصين والمهتمين بحفظ التراث الطبيعى للسودان.

● انشاء معمل حديث للتصنيف.

● تربية طيور ونباتات الزينة والحيوانات التى تصلح كزينة مثل السلاحف وبيعها، وهذه يمكن ان تساعد فى دعم ميزانية المتحف ولو نسبيا، لأن الميزانية المرصودة له لا تكاد تكفى.

● اهم مشروع نعمل على تنفيذه الان هو توثيق كل التراث الطبيعى السودانى وبكل الوسائل التوثيقية (الصورة والكتابه والصوت).

أشتات:

● بالمتحف مكتبة مواكبة تحوى معظم المعلومات الخاصة بالبيئات الطبيعية فى السودان، كما توجد صالة سينما مجهزة وحديثة ـ وقاعة محاضرات.

● فخر المتحف الحقيقى هو مجموعة الطيور . . وهى مجموعة كاملة وهذا شىء يندر توفره فى دول العالم الثالث.

■ مدير المتحف:
الدكتور فتحى محمد الربعه ـ من مواليد ام درمان سنة ١٩٤١ درس كل المراحل التعليمية بأم درمان وتخرج فى جامعة الخرطوم، ونال درجة العلوم منذ سنة ١٩٦٢، علم الحيوان ـ يشغل منصب مدير متحف التاريخ الطبيعى منذ ١٩٨٨/٨/٨.

ما كذب الفؤاد ما رأى

الإسراء والمعراج

بقلم:
محمد صلاح على خليفة
- القاهرة -

■ فى مستهل هلال شهر رجب من كل عام هجرى يستعيد المسلمون ذكريات معجزة الإسراء والمعراج.. وتمر الأيام من الشهر الحرام.. شهر رجب الفرد لكونه من الأشهر الحرم إلى أن تطالعنا ليلة السابع والعشرين فتكون الذكرى الطيبة المباركة التى ناجى فيها رسول الله ﴿ﷺ﴾ ربه.. حيث فرض رب العزة سبحانه وتعالى الصلاة على رسوله وعلى هذه الأمة التى شهد لها بأنها خير أمة أخرجت للناس.

إن الحق سبحانه وتعالى قد فضل بعض الناس على بعض.. كما فضل الانبياء والمرسلين.. كما فضل بعض الأرض على بعض.. كما فضل المساجد (بيوت الله) على بيوت الناس.. وفضل بعض المساجد على بعض.. كما فضل المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوى بالمدينة المنورة والمسجد الأقصى بمدينة القدس.

كما فضل الله سبحانه وتعالى بعض الأيام على بعض.. ففضل يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع، وفضل بعض الشهور على بعض.. كما فضل رجب وشعبان ورمضان والأشهر الحرم، وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم﴾.

كما ورد عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أنه قال «**كل الناس جياع يوم القيامة إلا الانبياء وأهليهم وصائمى رجب وشعبان ورمضان فانهم شباع لا جوع لهم**».

● ومن فضائل شهر رجب المعظم.. أنه يسمى (**رجب الأصم**) لأن أصوات أسلحة القتال كانت تختفى فيه.. لقد كان العرب يحرمون القتال فى الاشهر الحرم (وهى ذو القعدة - وذو الحجة - والمحرم - ورجب) تكريما لهذه الشهور.. حتى إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ غضب من السرية التى كان قد بعثها فى شهر رجب لاستطلاع أخبار قريش برياسة عبد الله بن جحش، إذ حملت على قافلة قريشية وقتلت بعض أفرادها واستاقت أول غنيمة من الابل، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما أمرتكم بقتال فى الاشهر الحرم».

كما يسمى (**رجب الأصب**) لأنهم قالوا: «إن الرحمة تصب فيه صبا».

كما يسمى (**رجب مضر**) لأن قبيلة مضر كانت أشد القبائل تعظيماً له فنسب إليها كما أنه سمى (رجب) لأنه كان يرجب فى الجاهلية أى يعظم.

إنه شهر عظيم.. حدثت فيه اكبر معجزة لنبى الاسلام وهى معجزة الاسراء والمعراج مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة الاسراء الآية/١ **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾**.

■ يقصد بالإسراء: الرحلة القدسية الأرضية التى بدأت من المسجد الحرام بمكة المكرمة الى المسجد الأقصى بالقدس - فى مسافة تبلغ ألفين وخمسمائة كيلومتر تقريبا.

وذلك بواسطة البراق.. فقد روى مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «أتيتُ بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته.. فسار بى حتى أتيتُ بيت المقدس، فربطت

.. عبر وعظات

الـدابـة بالحلقة التى يَربُطُ فيها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل بإناء من خمر، واناء من لبن، فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة». كما روى الامام أحمد عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما أنه قال: «لما أتى النبى ﴿ﷺ﴾ المسجـد الأقصى قام يصـلى، فاذا النبيون اجمعون يصلون معه».

■ إن الـرسـول ﴿ﷺ﴾ يلفت أنـظار المسلمين الى القيمة الغالية والمكانة السامية للمسجد الأقصى.. لأن يكـون فى ذلك دعوة للمسلمين لأن يذهبوا الى فلسطين ويتعرفوا عليها.. ويبذلوا جهد استطاعتهم لتحريرها من الاحتلال الرومانى وقتذاك.. مما حفز المسلمـين لفتـح فلسطين انقاذا لهذا البيت العظيم حيث وجهت جيوشهم اليها ومن الله عليهم بالنصر حيث هزم الروم فى موقعة اليرموك الفاصلة تحت قيادة البطل العبقرى المسلم.. خالد بن الوليد رضى الله عنه والتى استسلمت بعدها مدينة القدس فى العام الخامس عشر من الهجرة النبوية.

فلا شك أن المسجـد الأقصى يعتبر من أعظم المقدسات الدينية التى عنى الاسلام بتعظيمها وحث على تكـريمهـا.. فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأحد المساجد الثلاثة.. التى تشد إليها الـرحال فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: **«لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد، مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»**.

كما روى الـطبرانى بسند صحيح: «الصلاة فى المسجـد الحـرام بمائـة الف صلاة.. والصـلاة فى مسجـدى بألف صلاة.. والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة».

من ذلك يتبين أن رحلة الاسراء تبتدىء من مكة المشرفة وتنتهى الى القدس وأنها رحلة أرضية بعدها تتم رحلة أخـرى علوية بين السماء والأرض.. انها رحلة المعراج حيث ارتقى الرسول ﴿ﷺ﴾ الى سدرة المنتهى.

إنها (أى المعـراج) رحلة قدسية سماوية بدايتهـا المسجد الأقصى الى السموات السبع العلى الى سدرة المنتهى الى المستـوى الأعلى.. حيث سمع صريف الاقلام ومناجاة الملك العلام.. وقد فرض الله عز وجل على الرسول ﴿ﷺ﴾ وعلى أمته الصلوات وامده بالانوار والنفحات مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة النجم الآيات من ١ حتى ١٨: **﴿والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهـوى. إن هو إلا وحى يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقـد رآه نزلـة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾**.

كما ورد فى صحيح البخارى من حديث أبى ذر رضى الله عنه. قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: **«ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام»**.

■ لقـد تعـرض الـرسـول ﴿ﷺ﴾ لاضـطهاد قومه وإعـراضهم عن دعـوته، وتعذيبهم لمن يتبع رسالته فعمد الى ثقيف بالطائف وهى تبعد عن مكة حوالى ١١٥ كيلومتر وحدثهم عن دين الاسلام ودعاهم الى

اعتناقه ومساعدته صلى الله عليه وسلم فى نشر الدعوة. . ولكن القوم لم يقبلوا دعوته وردوه ردا سيئا وأغروا به غلمانهم فاعتدوا عليه. . فأوى صلى الله عليه وسلم الى ظل بستان يستريح فيه ورفع يديه الى السماء داعيا المولى عز وجل قائلا: «اللهم اليك اشكو ضعف قوتى. وقلة حيلتى وهوانى على الناس. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، الى من تكلنى؟ الى بعيد يتجهمنى، أم الى عدو ملكته أمرى؟ ان لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى».

فينزل عليه جبريل عليه السلام يواسيه ويقول له إن الله أمرنى أن أطيعك فى قومك لما صنعوه معك. فيقول صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون». قال جبريل «صدق من سماك الرءوف الرحيم».

وفى هذا الجو المفعم بالالم لعدم تصديق قومه له. وصدهم عن رسالته أراد الله سبحانه وتعالى أن يواسى رسوله ﴿ﷺ﴾ بأن يريه مقامه وقدره عند ربه. وأن يسرى عنه ما ألم به فكانت معجزة الاسراء والمعراج. . وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾**.

■ ان المعجزة عمل خارق للعادة يجريه الله سبحانه وتعالى على يد أنبيائه لتكون دليلا على صدق رسالته. . ومن أمثلة ذلك. . ثعبان موسى وناقة صالح واحياء المسيح للموتى وابراء الاكمه والأبرص بإذن الله. . وان الحق سبحانه وتعالى قد أيد رسوله ﴿ﷺ﴾ بنوعين من المعجزات هما:

●● معجزات مادية خارقة للعادة. . مثله مثل جميع الانبياء والسابقين. . مثل انشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة. وبركاته صلى الله عليه وسلم فى الطعام. وحنين الجزع إليه. وسلام الحجر عليه قبل البعثة فى بطحاء مكة. . . الخ. . وهذه المعجزات تكون دليلا على صدق نبوة النبى ﴿ﷺ﴾. . وهى موجهة الى القوم المرسل لهم النبى. . وقد أرسل الله المعجزة على يديه حتى يقتنع من يراها ويتأكد من أن ما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى هو حق.

●● ثم المعجزة الخالدة التى لم ينلها نبى من قبله. . وهى (القرآن الكريم). . حيث أيد الله سبحانه وتعالى سيدنا محمداً ﴿ﷺ﴾ بهذه المعجزة الخالدة. . وان تكون موجهة الى جميع الخلق ولم يؤت أى رسول مثلها من قبل. . انه الهداية والرحمة والدستور القويم لكافة البشر. . فالقرآن الكريم معجزة خالدة تخاطب العقول ولا تعتمد على خوارق العادات. . لأنها دعوة عامة الى الناس فى كل زمان ومكان لعبادة الله الواحد القهار.

ولقد تحدى القرآن الكريم من أنكر النبوة وادعى أن القرآن الكريم من تأليف سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾. . تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة أو آية منه. . ولكنهم عجزوا وهم أهل الفصاحة والبيان.

■ ان معجزة الاسراء والمعراج ليست قصة تروى ولكنها مثل عليا تبعث الهمم وتوقظ الوعى وتمنح الواقع الاسلامى أنبل زاد واكرم عطاء. . لأن الاسلام ليس نظرية بغير تطبيق ولا جسدا من غير روح وليس حياة جامدة. . وانما الاسلام تعليم روحى متدفق بكل أسباب الحياة وعقيدة حقة بها من الطاقات البدنية والفكرية والروحية ما يحيل المثالية الرفيعة والمبادىء المسطورة فى ضمير المؤمن الى واقع حى خلاق يثرى الحياة وينميها ويرقى بالوجود الانسانى فى مختلف جوانبه بل ويلبى حاجاته فى جميع أوجه حياته. . ولعل الحق سبحانه وتعالى قد أراد من تحقيق معجزة الاسراء والمعراج أن يوضح بها:

أولا: شد أزر النبى ﴿ﷺ﴾ وبيان مقامه عند ربه وأنه ليس ببعيد عنه، ولكنه معه وناصره، وليريه من آياته الكبرى وما أعده سبحانه لمن أطاعه من ثواب ولمن عصاه من عقاب.

ثانيا: أن تكون معجزة له صلى الله عليه وسلم أمام

قومه وفتنة للكافرين والمنافقين، وأى معجزة أكبر من العروج فى السماء. . ولم تكن هذه المعجزة للتحدى وانما لبيان مقام النبى ﴿ﷺ﴾ ومدى قربه من الله سبحانه وتعالى وحبه له.

■ هذا من جهة. . ومن جهة أخرى فإننا نلاحظ أن الذين يكتبون عن الاسراء والمعراج يذكرون المعجزة. . ويقفون أمام عظمتها. . ولكنهم فى الغالب يمرون على أبطالها الذين تلقوا خبرها فى صدق بلا تردد. . واستمعوا الى تفاصيلها فى ايمان من غير أن تهتز ثقتهم بسيدنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ مثقال ذرة. . وفى قمة هؤلاء العمالقة الصديق. . أبو بكر أول الخلفاء. . وصاحب رسول الله ﴿ﷺ﴾، وثانى اثنين فى الغار.

وإيمان أبى بكر رضى الله عنه واحد من الدروس الرائعة التى نتعلمها من مدرسة الرسول حيث يجب على الفرد فى الجماعة أن يكون مع قائده. . نعم الصاحب. . وخير عوان. . ويصدقه. . ويؤمن به من أول الطريق. . ثم يتعلم منه. . وله حق الحوار. . وحق السؤال. . وحق النصيحة.

وخلال خطى أبى بكر رضى الله عنه مع سيدنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ نلمح آيات الصدق ومظاهر الايمان العميق بالرسول. . القائد والزعيم.

ولنبدأ بموقفه المشرف. . يوم الاسراء والمعراج. . فالتاريخ. . يحدثنا بالرواية كاملة. . اذ يقول إن أبا جهل رغب يوما فى إيذاء سيدنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأتاه ضحى وهو فى المسجد الحرام. . وسأله ساخرا. . أو لم يأتك الليلة شىء جديد؟، فقال عليه الصلاة والسلام: نعم أسرى بى الليلة الى بيت المقدس بالشام.

فسأله الكافر: وأصبحت بين أظهرنا.

فقال سيد الخلق: نعم.

وهنا صاح أبو جهل. . يدعو بنى كعب وغيرهم. . فأقبلوا عليه فحدثهم بالأمر. . على أساس أنها واحدة تكفى للقضاء على سمعة الرسول. . وينفض الناس من حوله.

وعندئذ علم المسلمون بالخبر. . وبدأوا يتوافدون على النبى يستجلون الأمر. . فجاءتهم معالم المعجزة، اسرى بالنبى. . . وصلى بالأنبياء. . . ورأى من آيات ربه الكبرى.

واهتز ايمان بعضهم. . وذهبوا الى أبى بكر. . وكان فى اعقابهم بعض المشركين. . وطلبوا منه أن يأتى النبى ويعرف جلية الأمر.
وسألهم عن أمره. . فقالوا «انه يقول عند الكعبة أن الله تبارك وتعالى أسرى به مع الليل الى بيت المقدس».

واذا بالمؤمن الأول. . أبى بكر الصديق. . يثبت الله به الايمان للمسلمين ويزلزل الأرض تحت أقدام المشركين فيقول لهم مصدقا. . وأى بأس. . انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه فى خبر السماء يأتيه فى غدوه أو رواحه. وصمت ليصفعهم جميعا بعبارته الخالده «إن كان قال فقد صدق».

ولم تكن هذه العبارة. . فى هذا الموقف. . أول مقالة لأبى بكر رضى الله عنه. . فقد قالها من قبل. . وفى موقف رجولة. . فقد سمع ذات يوم بخبر الرسالة. . يوم أعلنها الرسول بين ظهرانى القوم. . ولم يكن موجودا وعندما عاد. . اتجه الى بيت الرسول. . وبعد التحية سأل صديق عمره. . «أصحيح ما أنبأنى به القوم، فأجابه الرسول ﴿ﷺ﴾ وماذا قالوا لك؟. . قال: قالوا ان الله ارسلك الينا لنعبده ولا نشرك به شيئا».

فسأله الرسول ﴿ﷺ﴾: وماذا كان جوابك يا عتيق؟ قال: قلت لهم ان كان قال فقد صدق. . وفرح النبى به. . وتلقى إسلامه وكان أول من أسلم من الرجال. . ومن يومها وابو بكر يعلن فى الدنيا صدق النبى. . وصدق الالتزام فى السير خلفه. . آية من الله ليعلم بها الناس كيف يعملون مع الرسول وكيف يتبعون الدعوة. . وسارت الايام بأبى بكر وهو الصديق الذى يقول لكل متشكك (إن كان قال فقد صدق).

ومن أجل ذلك. . كان ثواب أبى بكر عظيما. . فيذكره القرآن الكريم. . ويخلده. ويقربه سيد الخلق ويعلن للناس عن مكانته وفى مواقع عديدة وما

اكثرها. . ولكن نقف طويلا أمام أعظم شهادة بعد القرآن الكريم وسيدنا رسول الله . . يقول للمسلمين الاول. . ما لأحد عندنا يد الا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله تعالى بها يوم القيامة. . وما نفعنى مال أحد قط مثلما نفعنى مال أبى بكر وما عرضت الاسلام على أحد الا كانت له كبوة عدا أبى بكر فانه لم يتلعثم . . وصلى الله على صاحب الاسراء ورضى الله عن صحابته الاول الذين تبعوه وصدقوه ونصروه. . فكان أن لقب أبو بكر من ذلك اليوم (بالصديق) ونزل فى حقه قوله تعالى فى سورة الزمر الآية/٣٣: **﴿والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون﴾**.

■ إن بعض المستشرقين من خصوم الإسلام حاولوا فى كل العصور كما سبقهم فى ذلك الكفار. . التشكيك فى هذه المعجزة الكبرى والرحلة المباركة فأثاروا حولها أقاويل كثيرة كلها شك وافتراء. ولكن ما ظهر ووقع من اختراعات وما توصل اليه العلم حديثا من محاولات وتجارب أخرس ألسنتهم وأبطل اقاويلهم ورد كيدهم الى نحرهم. . فقد أثبت العلم والواقع امكان ما وقع للرسول الكريم، واثبت أن قدرة الله سبحانه وتعالى فوق كل شىء وان معجزة الاسراء والمعراج خالدة على الزمن والتاريخ وأنها الآية الكبرى على قدرة الله تعالى وعلى رسالة نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ وعلى صدق دعوته. . وفى عزلتى تتراءى لبصيرتى مشاهد عن هذه المواقف منها ما حدث للرسول ﴿ﷺ﴾ من جانب قريش وقت حدوث هذه المعجزة. . حيث إن قريشاً كانت تعلم أن محمدا ﴿ﷺ﴾ لم يدخل بيت المقدس قط قبل، أمر الأسراء فقال المطعم ابن عدى يا محمد صف لنا بيت المقدس ان كنت قد رأيته. . قال النبى (فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله) فجلى الله لى بيت المقدس - وفى رواية (فرفع الى المسجد حتى نظرت اليه). ثم أخذ النبى يصفه فكان يخبرهم بما يعرفونه عنه وابو بكر يقول له: (صدقت صدقت)، فلما فرغ النبى من الوصف - قالت قريش: صدق الوليد بن المغيرة فى قوله (انك لساحر).

■ بهذه الاتجاهات أخذ يفرض على العرب مفهوم التعصب لثقافاتهم ولغتهم ودينهم ومصالحهم الذاتية. . واستمرت هذه الافكار لتأخذ بها الدول المعادية للعرب والاسلام فيستغلونها مادة للدعاية بأن العرب متعصبون للاسلام ولثقافاتهم ولغتهم مع تمسكهم بالقديم وعدم مسايرة العصر وأنه برحيل العلماء الغربيين عن هذه البلاد فلن يكون بها سوى الجهل.

والقرآن الكريم يشير فى كثير من آياته الى ان الله عز وجل قد سخر للإنسان الشمس والقمر والنجوم والأفلاك والأجرام السماوية والليل والنهار والجبال والأنهار مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة الحج الآية/٤٦: **﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾**. . ويقول سبحانه: **﴿ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾**.

فاذا استطاع هذا الانسان أن يصل بسلطان العلم الى حقائق هذه المخلوقات وأن ينفذ اليها فإنه بذلك يلبى دعوة الاسلام الذى أمره بالنظر والفكر فى كل ما خلق الله وليتأمل القارىء قوله تعالى: **﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء﴾**، وقوله تعالى فى سورة الرحمن الآية/ ٣٣ **﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾**.

وها هى النفاثات وسفن الفضاء تنطلق سابحة فى الفضاء تكثر وتنتشر وتزداد وتتعدد وكل واحد منها يحير العقل ويبلبل الفكر ولولا أنها حقيقة واقعة وأمر ملموس لظنه الناس أنه من عمل الشياطين. . فعلى سبيل المثال لا الحصر هل كان العقل والعلم الى زمن وجيز يقران الكهرباء وما اشتق منها من عجائب

وغـرائب لازالت للآن تتـوالى وتكثـر وكلهـا خارق للطبيعة وخارق للعادات . . ولكن العلم أثبت امكان حصولها وصدقه العقل وصفق له المنطق، فإذا كان هذا فى مقدور البشر فان قدرة الله سبحانه وتعالى اكبر من هذا وأعظم .

وانـه ليحضرنى فى هذا المقام قول الـبروفسور (بيكون) فيما يقول فى مثل هذا المقام «إن القليل من العلم يؤدى الى الالحاد ولكن التبحر فيه يعيد الملحد الى التدين» .

فالأصل فى العلم هو العقل ورائده الحس .

والأصل فى الدين هو الوحى ورائده العقل فلا خلاف ولا مباينة قط فى نظر العالم المحقق والمتدين المخلص بين الوحى والعلم ما دام رائدهما معا العقل .

كما أن العلم الحديث يقرر مفهوم الجلاء البصرى المتمثـل فى قدرة الانسان على الرؤية بشكل يخالف العرف وبدون استعمال الحواس العادية فيخترق بصره الحجب المعتمة ويرى ما وراءها متعديا حدود الفضاء والـزمن . وفى ذلـك يقـول عالم الـطبيعة المشهور ـ البروفسور (السير وليم كروكس) : اننا نعيش فى عالم كله اهتزازات (فالصوت) اهتزاز فى الهواء ـ و(الحرارة والنور والكهرباء) اهتزاز فى (الاثير) وجواهر المادة لا تنفك عن الاهتزاز.

فلا عجب اذا كانت الادمغة تهتز اهتزازا خاصا بها ويشعر بعضها باهتزاز البعض الآخر ـ وقد يكون هذا الاهتزاز اسرع من اهتزاز الضوء .

والسنـة النبـوية المـطهرة تخبرنا بالكثير من هذه المواقف وفى مقدمتها يوم وفاة النجاشى ملك الحبشة ـ حيث تؤكد الاحاديث الصحيحة انه قد دخل فى الاسـلام ـ فقد قام الرسول ﴿ﷺ﴾ وهو فى المدينة يصلى على نعش النجاشى وهو فى بلاد الحبشة .

فعن طريق ظاهرة الجلاء البصرى تراءى للنبى جثمان النجاشى ـ فصلى عليه وأمر أصحابه بالصلاة خلفه ـ ومن هنا أجاز علماء الدين الصلاة على الغائب .

ويروى فى صحيح البخـارى عن جابر بن عبد الله وعن أبى هريرة «أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ نعى لهم النجاشى فى اليوم الذى مات فيه . وقال : مات اليوم رجـل صالـح فقـومـوا فصلوا على أخيكم . ويقول (جابر) إن النبى صلى على النجاشى فصففنا وراءه وكنت فى الصف الثانى أو الثالث فكبر عليه أربعة» .

أيضـا واقعة (ياسارية الجبل) ذلك أن الفاروق عمـر بن الخطاب كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة ـ فقال فى خطبته : ياسارية بن حصن . الجبل . الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم . فالتفت الناس بعضهم الى بعض ولم يفهموا مراد أمير المؤمنين ـ فلما قضى صلاتـه قال له على كرم الله وجهـه . ما هذا الذى قلته؟ قال عمر : أسمعته؟

قال : نعم انا وكل من فى هذا المسجد قال عمر : لقد وقـع فى خلدى أن المشركـين هزمـوا اخواننا وركبوا اكتـافهم وانهم يمـرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا وظفروا وإن جاوزوا الجبل هلكوا . . فخرج منى هذا الكلام . . فجاء البشير بالفتح بعد شهر الى المدينة فذكر أنهم سمعوا فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت (عمر) أمير المؤمنين يقول : يا سارية بن حصن الجبل الجبل فعدلوا اليه ففتح الله عليهم .

من ذلك يتبين أن المشككين فى مصداقية معجزة الاسراء والمعـراج ليس لديهم أى سنـد وانـما هم حاقدون ضعفاء فى العلم وعلى ابصارهم وقلوبهم غشاوة .

■ ان إكـرم حدث يضىء الاسراء والمعـراج ويخلد ذكراها هو فرضية الصلاة فى الملأ الاعلى . . وفى ذلك يقول الرسول ﴿ﷺ﴾ «جعلت قرة عينى فى الصلاة» .

ففى اللحظات العظيمة التى ناجى فيها رسول الـله ﴿ﷺ﴾ ربـه أن فرضـت الـصـلاة فى تلك اللحظات من الصفاء والاخلاص وذلك ارشادا لنا الى ما يجب أن يكون عليه حالنا فى صلاتنا اخلاصاً لله وانقياداً له وتفانياً فى عبادته .

لقد فرضت الصلاة على الرسول وهو فى مواجهة ربه يناجيه ويخاطبه . . والصلاة لابد ان تكون كذلك منـاجاة لله . . نصلى ونحن نعلم تمام العلم أننا فى

مواجهة رب العالمين نسجد له منقادين ونناجيه داعين ومؤملين فى أن يتقبل الله عنا أحسن ما عملنا ويتجاوز عما بدا منا من تقصير. . فالصلاة فرضت فى السماء تشريفا وتكريما وبيانا لما لها من الآثار فى ترقية النفس وتهـذيب الـوجـدان وتـرابط المجتمـع الاسـلامى وتمـاسكه. ففيها يجتمع المسلمون فى مؤتمرات يومية خمس مرات فى صلاة الجماعة وفى مؤتمرات أسبوعية اوسع فى يوم الجمعة، وفى مؤتمرات سنوية فى صلاة العيدين وفى هذه المؤتمرات يظهر المجتمع الاسلامى كما أراد الله له . . وحـدة قوية متـماسكـة «إن هذه أمتكم أمة واحدة» ويتعاون المسلمون على جلب الخير ودفع الشر فيظهرون كما أخبر عنهم رسولهم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

لقد فرضت الصلاة خمسين ثم خففها الله حتى جعلها خمسا. . انها الركن الأعظم من أركان الاسلام وفيها يتجه المؤمن الى ربه فى اليوم والليلة خمس مرات ومع تكرارها قد يسأمها البعض أو يتكاسل عنها. . ففـرضهـا الله سبحـانـه وتعالى فى السماء وأن الحق سبحـانـه وتعـالى رحمـة بالمؤمنـين أن خفضها عنهم بجعلهـا خمسا بعد أن كانت خمسين. بذلك يندفع المسلم إلى أدائها ويحرص على اقامتها حيث انه كلما تذكر رحمة ربه به وتخفيفه عنه اندفع لادائها اندفاع من لا يعرف كسلا أو مللا وكيف يتكاسل الانسان عن لقاء ربه؟ أسأل الله أن يقوينا على أداء ما فرض علينا وأن يحبب إلينا ما سنه لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم وأن يجعل صلاتنا كما أراد هو جل جلاله مناجاة له ولقاء معه وتكون كما أخبر الله عنها «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر».

فلنتخذ من ذكرى الاسراء والمعراج عهدا نقطعه على انفسنـا أن يكون احتفالنا بهذه الذكرى العطرة بداية حياة طيبة كريمة تستمد مقوماتها من الكتاب والسنة وأن نقيم ليلتها ذكرا وعبادة وأن نصوم نهارها فذلـك سبيل النصر وطريق الغلبة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

دراسات:

من آيـــ



بقلم:

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية - جامعة أم القرى

■ قال الله تعـالى: **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده، وعلى الوارث مثل ذلك، فإن أرادا فصالا عن تراض منهـما وتشـاور فلا جنـاح عليهـما، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعـــروف، واتقـوا الله واعلمـوا أن الله بما تعملون بصير﴾** (سورة البقرة/ ٢٣٣).

■ هذه الآية الكـريمـة سوف نتحـدث عنهـا من الجوانب التالية:

١ ـ مناسبة الآية الكريمة.

٢ ـ أبعاد معانٍ لبعض الألفاظ.

٣ ـ من مظاهر إعجاز الآية الكريمة.

مناسبة الآيـة الكريمـة:

من المعروف أن حديث سورة البقرة الكريمة فى شئون النساء حديث مستفيض، يكاد يضارع حديث سورة النساء فى هذه الشئون. ومما تحدثت فيه سورة البقرة أحوال الزواج والطلاق، ولما كانت الذرية ثمرة الزواج، سواء كان الزواج قائمـاً أو كان ثمة طلاق، وكان للأولاد حقوق، ابتداء بمرحلة الرضاع، فقد كان ثمة حديث فى الآية الكريمة، ميدان دراستنا،

ت الأحكام .. آيــة .. وإعجـــاز

عن رضاع هؤلاء الأولاد، وحقوقهم على الآباء والأمهات.

أبعاد معان لبعض الالفاظ:

لما كانت كل لفظة من ألفاظ الذكر الحكيم، وفق تعبير بعض الدارسين، بمثابة الحجر الكريم الذى يعـطيك من كل زاوية تنظر إليه خلالها لونا وظلا، وكانت بعض الألفاظ قريبة التناول، وبعض الألفاظ تحتاج إلى بعض تدبر وفضل تأمل، فلعل من الخير المرور على الألفاظ فى الآية الكريمة التى تحتاج إلى أن نقف عنـدهـا، فما كان منهـا قريب التناول اكتفينا بالايماء إلى المعنى المسعف على فهم دور اللفظة فى السياق، وما كان منها بحاجة إلى وقوف أطول فعلنا ذلـك، بقصد بذل المحاولة لإماطة اللثام عن أبعاد معانى تلك الألفاظ. وسيكون حديثنا عن الألفاظ التى نحتاج إلى الوقوف عندها وفق ترتيبها فى الآية الكريمة.

يرضعن أولادهن: الـرضع مص الثدي لشرب اللبن[١] حولين كاملين: أي سنتين أو عامين. علمـاً بأن أكثـر ما تستعمل لفظة سنة فى الحول الذى فيه الجدب، يقال: أسنت القوم: أصابتهم السنة[٢].

وان أكثر ما تستعمل لفظة عام فى الحول الذى فيه الرخاء والخصب[٣] جاء فى سورة يوسف[٤] قوله تعالى: **﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليـلا مما تأكلون. ثم يأتى من بعد ذلك سبـــع شداد يأكـلن ما قدمـتـم لهن إلا قليـــلا مما تحصنون. ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾**، فإذا تأملنا لفظة حول استطعنا أن نتبين فى إطلاقها الرغبة فى لفت الانتباه إلى التحول من الوقت الأول إلى الثانى، من قول القائل: حال الشىء إذا انقلب، فالحول منقلب من الوقت الأول إلى الثانى[٥] وحال الشىء إذا انتقل، ومنه قيل: تحول فلان من مكان كذا إذا انتقل عنه[٦] ولا يكون التحول إلى الوقت الثانى إلا بعد كمال الوقت الأول وتمامه.

وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن: الرزق: الطعام الكافى[٧] والكسوة: اللباس[٨].

لا تكلف نفس إلا وسعها: التكليف: الالزام، وأصله من الكلف وهو الأثر على الوجه من السواد. وتكلف الشىء، ما يفعله الانسان بإظهار كلف مع مشقة تناله فى تعاطيه، وصارت الكلفة فى التعارف اسمـاً للمشقـة، والتكلف اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع أو تشبع[٩].

والوسع من القدرة ما يفضل عن قدر المكلف[١٠] وما تتسع له قدرة الانسان دون المجهود فى المشقة[١١] وثمة فرق كبير بين الطاقة فى مثل قوله تعالى من سورة البقرة[١٢]: ﴿ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾ وبين الوسع، فإذا كانت الطاقة تعنى استنفاد كل الجهد، فإن الـوسـع يعنى ما يسعـه الناس ويسهل عليهم ويفضل قدرهم عنه. يقول ابن القيم[١٣] «. . . وأنه سبحـــانـه لم يكلف عبـاده إلا وسعهم، وهـو دون طاقتهم. فقد يطيقون الشىء ويضيق عليهم بخلاف وسعهم فإنه ما يسعونه ويسهل عليهم ويفضل قدرهم عنه، كما هو الواقع».

فإن أرادا فصـالا: فطامـاً للطفـل قبل الحولين ورأيا فى ذلـك مصلحـة له[١٤] والفصـال والفصـل: الفـطام وأصله التفـريق، فهـو تفـريق بين الصبي والثـدي، ومنـه سمي الفصيل، لأنـه مفصول عن أمـه[١٥] وفصلت العـير: فارقت مكانها[١٦] ومدار هذه اللفــظة على التفـرقـة والتبعيد[١٧] عن تراض منهـما وتشـــاور: التشـــاور استخـراج الـرأي، وكـذلـك المشـــاورة، والمشـــورة كالمعـونـة. وشرت العسـل: استخـرجتـه. والشـارة: هيئـة الـرجل. والاشارة:

اخراج ما فى نفسك وإظهاره[18] وكأن مدار الكلمة على الاظهار، فكأن كل واحد من المشاورين أظهر ما فى قلبه للآخر[19].

وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم: وإن أردتم أن تسترضعوا أجنبية لأولادكم[20].

إذا سلمتم ما آتيتم: ما موصولة بمعنى الذى، والعائد عليها محذوف[21] أى أردتم إيتاءه لهن من الأجرة[22] أو ما أعطيتم[23].

من مظاهر إعجاز الاية الكريمة:

فى حديثنا عما يفتح الله تعالى به من إعجاز الآية الكريمة، نود أن نتناول كل واحدة من الجزئيات على التوالى.

وهذه هي أولى الجزئيات الكريمات. قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ وإن كل لفظة وجملة بحاجة إلى أن نقف عندها. وأول ما يلفت الانتباه هو استعمال الآية الكريمة فى هذه الجزئية لفظة «الوالدات» وليس الأمهات مثلا، والقول «أولادهن» وليس أبناءهن. وفى غير الجزئية الكريمة «وعلى المولود له» وليس الوالد أو الأب. ويمتاز هذا الاصل اللغوي «ولد» بقدرته على التنبيه على العلاقة بين السبب والمسبب، ومنه قولهم: تولد الشىء من الشىء بمعنى حصوله عنه بسبب من الأسباب[24] وحينما يكون الوالدان هدف الآية الكريمة الأول فى عنايتها بالطفل الرضيع، يكون ثمة تنبيه للوالدين بأنهما بفضل الله تعالى وبإذنه كانا السبب فى وجود وليدهما، وحينما يكون حديث الجزئية الكريمة مستعملا لفظة الوالدات بالذات، يكون ثمة الرغبة فى تهييج عاطفة الوالدة تجاه وليدها، فلا ينبغى للملابسات الطارئة، وإن كانت طلاقها من زوجها، أن تقضى على هذه العاطفة الأصيلة العميقة فى الوالدة أو أن تطغى عليها. وتأكيدا للضرب على وتر الحنان والشفقة بقصد الابقاء عليهما واستثارتهما يلحق بلفظة الأولاد اسم الضمير العائد إلى الوالدات «والوالدات يرضعن أولادهن» فالأولاد موضع الاهتمام فى الجزئية الكريمة أولاد أولئك الوالدات وليس أولاد أخريات، وينبغى أن يكون لجملة يرضعن - وقد عرفنا بأن الرضع مص الثدي لشرب اللبن - دور فى تهييج عاطفة الامومة، فالوليد يعتمد فى غذائه على الرضاع، وليس شخص أولى من الوالدة، ولا أقدر على القيام بهذه المهمة. وينبغى أن يكون للقول: «والوالدات» وليس والمطلقات، قدرة على شمول الوالدات للمطلقات أيضا، وبذلك يتسم لفظ الوالدات بالعموم فيدخل فيه الزوجات والمطلقات[25] وينبغى وراء ذلك أن يكون ثمة فرق بين القول: «والوالدات يرضعن أولادهن» وبين القول: «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن» أعنى أنه لا يجىء من الجزئية الكريمة القول: وعلى الوالدات أن يرضعن أولادهن، فإن فى هذا التعبير إلزاما، وليس فى تعبير الآية الكريمة إلزام للوالدة بالارضاع، ومن هنا: «اختلف الناس فى الرضاع، هل هو حق للأم أم هو حق عليها. واللفظ محتمل»[26].

وإن هذا الأمر يحملنا على أن نتحول إلى جملة: «يرضعن» إن العدول من الجزئية الكريمة عن القول: وعلى الوالدات، قوة للرأي القائل بأن جملة الفعل المضارع هنا على بابها، بمعنى أن جملة يرضعن خبر عن المشروعية[27] فإذا عرفنا أن القول فى الآية الكريمة: «والوالدات يرضعن» على غرار القول فى الآية الكريمة الثامنة والعشرين بعد المائتين من السورة: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ قيل لفظه خبر، ومعناه الأمر: أى ليتربصن[28] استطعنا أن نفهم الرأي القائل بأن جملة يرضعن خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات، وعلى جهة الندب لبعضهن[29].

وحينما نتبين من الجزئية الكريمة العدول عن مثل هذا القول: وعلى الوالدات أن يرضعن، وحينما نتمثل والدات يرضعن أولادهن فعلا ونريد أن نعبر عن ذلك الفعل والتنفيذ لعملية الرضاع نقول: الوالدات يرضعن، إن هذا التعبير يوحى بامتثال الأوامر، وها هي ذى كل والدة تنثنى على وليدها، ترضعه وتحنو عليه. إن الامتثال للأوامر هو الذى يصح أن يفهم من القول فى الآية الكريمة:

«والـوالـدات يرضعن أولادهن» وكأننا الآن نعبر فى صيغة الزمن المضارع عما يجرى عمله بالفعل من قبل الوالدات بإرضاعهن أولادهن. وهذا مظهر آخر من مظاهـر إعجـاز التعبير بالزمن المضارع الذى يوحى بالامتثـال من ناحية وبـاستمـرار الامتثـال للأوامـر لاستمرار عملية الرضاع وتجددها.

فإذا تحولنـا إلى لفـظة حولـين من قولـه تعالى: ﴿والـــوالـــدات يرضعن أولادهن حولـين كاملين﴾ استـطعنا أن نتبين بمقارنة لفظة حول بلفظتى سنة وعام، باعتبار السنة تدل على الحول الذى فيه الجدب والشقاء، وباعتبار العام الذى فيه الخصب والرخاء، أن لفـظة حول تكـاد تكون لفظة محايدة بين السنة والعام، وتكاد دلالتها تقتصر على تلك الفترة الزمنية التى تعتبر وحدة قائمة بذاتها ذات بداية ونهاية، ومن أهم ما يلاحظ على هذه الوحدة الزمنية المتميزة، أنها قابلة للتحول والانتقال إلى وحدة زمنية جديدة بعد نفاد الفترة الزمنية القديمة.

ومن المعروف أن الفترة الزمنية الجديدة لا تجىء إلا بعـد ذهاب الفترة الزمنية القديمة ذهاباً كاملا. ومثـل هذا التنبيه إلى ضرورة ذهـاب الفـترة الزمنية القـديمة تمامـاً مسعف على فهم القول بعد ذلك: «كاملين» قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولـين كاملين﴾ لأن النص على الكـمال هنا يعنى بشأن الحول الآخر أنه هو الآخر كامل، وذلك على غرار الحول الأول الذى ينبغى أن يكون كاملا، وإلا لم يتسن التحول إلى الحول الآخر. وفى النص على الكمال صرف للنقص الذى كان من الجائز أن يطرأ لو لم ينص على الكمال وكان ثمة اكتفاء بلفظة حول الذى لا يشترط كماله، تمامـاً كما لم يشترط كمال اليوم الثانى فى قولـه تعـالى[30]: ﴿فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه﴾، وإنما يتعجل فى يوم وبعض الثاني[31].

والحقيقـة أن وقفتنا ينبغى أن تكون طويلة عند الكمال والتمام اللذين أشارت إليهما الجزئية الكريمة فى سبيل تبيين مظهـر من مظاهر إعجاز الآية الكريمة عجيب. قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾.

من البين أن كلا من الكمال والتمام يصح أن يقال عنهما إنهما بعكس النقصان، ولكن هل هما مترادفان؟ أم أن بينهـما فروقاً دقيقة، إذ المعروف أن قدرة هذه اللغــة الشريفـة على إعـطاء المعـانى الخفية وتبيين الفـروق الدقيقة، قدرة عجيبة. فإذا كنا على سبيل المثال يصح أن نعتبر القعود والجلوس لفظين يعبران عن حالـة واحـدة بين القيام وعلى جنب، فإن هذه اللغـة الدقيقة التعبير تتجاوز هذه المرحلة إلى تبيين اتجـاه كل من القاعد والجالس، فالقعود يكون عن قيام، وإلى هذه الحركة من أعلى إلى أسفل نبه مثل قولـه تعـالى[32]: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قيامـاً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ أما الجلوس فيكون عن اضطجاع.

إن «الجيم والـلام والسـين كلمة واحدة وأصل واحد، وهو الارتفاع فى الشىء. يقال: جلس الرجل جلوساً، وذلك يكون عن نوم واضطجاع، وإذا كان قائمـاً كانت الحال التى تخالفها القعود، يقال: قام وقعد، وأخذه المقيم والمقعد»[33].

فهـل فى الامكان أن نتبين فروقاً فى المعنى بين لفـظتى الكـمال والتمام وذلك فى ضوء إشارة الجزئية الكريمة إليهما معا وفى ضوء العدول عن الكمال إلى التـــمام، فلا يجىء الـقــول: لمن أراد أن يكمـــل الرضاعة، ولكن: «لمن أراد أن يتم الرضاعة» وذلك فى القـول: «والـوالـدات يرضعن أولادهن حولـين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة»؟.

فى سبيل الاجابة على هذا السؤال نحن بحاجة إلى الوقوف على بعض استعمالات القرآن الكريم لكل من اللفـظتـين على حدة، ولهما معاً فى نص واحد. ونكتفى بشأن كل من التمام والكمال بمثالين اثنين. ولنبدأ بالتمام. جاء فى سورة الأعراف[34] قوله تعالى: ﴿وواعـدنـا موسى ثلاثـين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقـات ربه أربعين ليلة﴾ والمعنى وواعد الله تعالى موسى عليه السلام ثلاثين ليلة نكلمه عند انتهائها بأن يصومها فصامها ﴿وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليله﴾، أى وقت وعده بكلامه إياه[35] فما الذى يلاحظ على استعـمال الآية الكـريمـة للتمام؟ الذى

يلاحظ أن استعمال التمام أو الاشارة إليه فى هيئة الأربعين ليلة كان وليد الاشارة إلى الثلاثين ليلة التى تنقص عن الأربعين عشر ليال، والتى زال نقصها واتجهت إلى التمام بزيادة الليالى العشر. وهذا معناه أن التمام وصول إلى الكمال المتجه إليه إثر نقص.

وإليك الدليل الآخر المختار دليلا على معنى التمام. جاء فى سورة القصص[36] قوله تعالى: ﴿قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرنى ثماني حجج، فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك. ستجدنى إن شاء الله من الصالحين﴾ والمعنى أن شعيباً عليه السلام - وقد اقترحت عليه إحدى ابنتيه أن يستأجر موسى عليه السلام القوي الأمين لرعي الغنم - يعرض على موسى عليه السلام رغبته أن يزوجه إحدى ابنتيه، على أن يكون مهرها أن يكون أجيراً لشعيب عليه السلام فى رعي الغنم ثماني سنين، فإن أتم موسى عليه السلام رعي عشر سنين فمن عنده عليه السلام التمام وليس لزاماً عليه[37]، إن الاشارة إلى التمام فى هيئة العشر حجج وليد الاشارة إلى الثماني التى تنقص عن العشر حجتين، والتى زال نقصها واتجهت إلى التمام بزيادة الحجتين الاثنتين. وهذا دليل آخر على أن التمام وصول إلى الكمال بعد نقص، وقد جاء فى لسان العرب[38]: «وتمام الشىء . . . وتتمته: ما تم به . . . وتتمة كل شىء ما يكون تمام غايته كقولك: هذه الدراهم تمام هذه المائة وتتمة هذه المائة».

فإذا تحولنا إلى لفظ الكمال وإلى إشارة الذكر الحكيم إليه واستعماله له، وإلى مثاليه المختارين كان هذا أولهما. جاء فى سورة البقرة[39] قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات. .﴾ ثم جاء بعد ذلك قوله تعالى[40]: ﴿. . . ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾، ونود أن نلفت الانتباه إلى القول: «أياماً معدودات» وإلى القول: «ولتكملوا العدة» فما الذى يلاحظ على استعمال الآية الكريمة للكمال؟ الذى يلاحظ أن استعمال الكمال والاشارة إليه كان باعتباره غرضاً ينص عليه وينتهى إليه عن طريق إبعاد النقص وطرده، إن ثمة عدة ينبغى أن تكمل فالنقص مرفوض أساساً.

وإليك الدليل الآخر المختار دليلا على معنى الكمال. جاء فى سورة البقرة[41] كذلك قوله تعالى: ﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم، تلك عشرة كاملة﴾ إن الكمال هدف، وإن طرد النقص ضمناً أمر أكيد «قال الزجاج: جمع بين العددين لجواز أن يظن أن عليه ثلاثة أو سبعة، لأن الواو قد تقوم مقام أو، ومنه: مثنى وثلاث ورباع، فأزال احتمال التخيير»[42] ونستطيع أن نتبين الدور الكبير للصفة كاملة حينما نتبين أن القول: «عشرة» هو مجموع الرقمين السابقين، ثلاثة وسبعة، والمراد بالثلاثة صيام ثلاثة أيام فى الحج والمراد بالسبعة، صيام سبعة أيام إذا رجع الحاج إلى بلده. إن الرقم عشرة يشير إلى مجموع الرقمين ويوحى بالتمام والكمال، وإن الصفة كاملة تأكيد لتلك المعانى وطرد لأي نقص. وقد جاء فى لسان العرب[43]: «االكمال: التمام، وقيل: التمام الذى تجزأ منه أجزاؤه».

■ مما سبق نستطيع أن نتبين أن الكمال تمام يقصد به نفي النقص وطرده بين يدي التمام ومن خلفه، وأن التمام انتهاء إلى الكمال بعد نقص وإليك هذا النص القرآني الذي يجمع بين الكمال والتمام فى قرن. قال تعالى[44]: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ إن الدين كامل لأنه واحد، وإن النعمة تامة لأنها متعددة. جاء فى لسان العرب[45]: «ومعناه، والله أعلم: الآن أكملت لكم الدين بأن كفيتكم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد بأن كفينا من كنا نخافه، وقيل: أكملت لكم دينكم أي أكملت لكم فوق ما تحتاجون إليه فى دينكم، وذلك جائز حسن، فأما أن يكون دين الله عز وجل فى وقت من الأوقات غير كامل فلا، قال

الازهري: هذا كله كلام أبي إسحاق وهو الزجاج، وهو حسن».

■ وبعد هذه الجولة الواسعة مع الكمال والتمام ومعناهما في استعمال القرآن الكريم لهما نعود إلى الجزئية الكريمة منطلقنا، قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ونستطيع أن نفهم أن الوصول إلى تمام الرضاعة يعني كمال الحولين. وكما يصح القول: إن التمام يأتي بعد نقص، وإن ذلك التمام هو الكمال، يصح القول كذلك: إن الكمال لا نقص يعتريه من بين يديه ولا من خلفه، وإن الزيادة في الكمال، فيما تجوز فيه الزيادة، كمال زائد. في ضوء فهم الكمال والتمام، على هذا النحو نستطيع أن نفهم الجزئية الكريمة على هذا النحو.

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد من الآباء والأمهات أن يتم الرضاعة ويكمل الحولين. وإنما نصصنا نحن على الآباء والأمهات بقصد التنبيه إلى أنه لا يجيء في الجزئية الكريمة مثل هذا القول: لمن أودن أن يتممن الرضاعة، لأن الوالدة إذا كانت تستقل بعملية الرضاعة فإن عملية الفطام شركة بين الأب والأم، وقد جاء في هذه الآية الكريمة القول: ﴿فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾ وقد جاء في الجزئية الكريمة القول: «لمن أراد أن يتم الرضاعة» المتمشي مع القول في الآية الكريمة عن الفصال أو الفطام بل المرشح له. وهذا مظهر آخر من مظاهر إعجاز الآية الكريمة.

أما وقد عرفنا أن الكمال في الجزئية الكريمة لا نقص يعتريه ولا زيادة يفتقر إليها، قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ وأن التمام يكون بعد نقص، قال تعالى: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ نستطيع أن نفهم جيداً بشأن الكمال مثل هذا القول للعلماء(٤٦): «هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتان، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك... وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يُحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين. فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم..

■ عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام». هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وغيرهم.. والقول بأن الرضاعة لا تحرم بعد الحولين يروى عن علي وابن عباس وابن مسعود وجابر وأبي هريرة وابن عمر وأم سلمة وسعيد بن المسيب وعطاء والجمهور وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق والثوري وأبي يوسف ومحمد ومالك في رواية».

كما أننا نستطيع بشأن التمام أن نفهم مثل هذا القول للعلماء(٤٧): «وجمهور الفقهاء على أنه يجوز الزيادة والنقصان إذا رأيا ذلك» ومثل هذا القول(٤٨): «لمن أراد أن يتم الرضاعة: دليل على أن إرضاع الحولين ليس حتماً، فإنه يجوز الفطام قبل الحولين، ولكنه تحديد لقطع التنازع بين الزوجين في مدة الرضاع، فلا يجب على الزوج إعطاء الأجرة لأكثر من حولين، وإذا أراد الأب الفطم قبل هذه المدة ولم ترض الأم لم يكن له ذلك، والزيادة على الحولين أو النقصان إنما يكون عند عدم الاضرار بالمولود وعند رضا الوالدين».

فإذا تحولنا إلى هذه الجزئية الكريمة: «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف» لفت انتباهنا للوهلة الأولى الصيغة الالزامية: «وعلى المولود له» وسبق أن تبينا الفرق بين هذه الصيغة وبين الصيغة غير الالزامية في صدر الآية الكريمة: ﴿والوالدات يرضعن﴾ ومعنى هذه الجزئية الكريمة: وعلى والد المولود أي الزوج رزق الوالدات وكسوتهن، تهيئة الطعام الكافي واللباس الكافي بالمعروف شرعاً وعقلا ومروءة، والذى يلفت الانتباه بشأن الجزئية الكريمة حقا هو التعبير عن الوالد بكونه المولود له: «وعلى المولود له».

وهذا التعبير يقابل التعبير في صدر الآية الكريمة عن الأمهات بالقول: «والوالدات» وقد تبينا أن

استعمال هذه المادة «ولد» بالذات يمتاز بقدرته على التنبيه إلى السبب والمسبب عنه، ولهذا كان ثمة عدول عن استعمال كل من لفظ الأم والأب فى الموضعين، ويظل هذا التعبير: «وعلى المولود له» قادراً على شد الانتباه إليه، لأن الذى يقابل لفظ الوالدة فى الاستعمال لفظ الوالد، وهذا اللفظ لا يجىء هنا فلا يقال: وعلى الوالد، ولكن يقال: «وعلى المولود له» فثمة عدول عن لفظ الوالد، الذى يساوى فى الدلالة لفظ الوالدة، إلى لفظ المولود له، وهذا بدوره يفيد المعنى الذى يفيده لفظ الوالد ويضيف جديداً.

فما هو الجديد الذى يضيفه القول: «وعلى المولود له» وما الحكمة من هذه الاضافة أو الزيادة فى المعنى؟.

اما الجديد الذى يضيفه القول: «المولود له» فهو ما يستفاد أولا من لفظ مولود، إذ ينصرف المعنى إلى الوليد، المولود فضلا من الله تعالى ومنة، هبة منه جل وعلا وعطاء، وهو ما يستفاد بعد ذلك من حرف الجر اللام من «له»: «إذ اللام فى له معناها شبه التمليك، كقوله تعالى: ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾»[49]

وأما الحكمة من هذه الاضافة المعنوية والزيادة فهى أن من أهداف العدول إلى مشتقات هذه المادة «ولد» فى الآية الكريمة تحريك أوتار القلوب وتهييج عواطف الوالدين على وليدهما فى زحمة ما قد يكون قد هب على حياتهما من عواصف أدت أحياناً إلى الطلاق. وحينما كان الحديث متجها إلى الوالدات كان مجرد ذكر لفظ الوالدات، الذى يشير الى دور الوالدة الأكبر فى الحمل ومشقتها الأعظم فى عملية الولادة، كافياً لتحقيق الهدف المنشود من تفجير عواطف الأمومة. وحينما كان الحديث متجها إلى الوالد الذى تتقدم عليه الوالدة وتتفوق عادة فى مجال تدفق العواطف، كان ثمة الحاجة إلى التعبير الأقوى القادر على الوصول إلى الهدف المنشود فكان ثمة تجاوز للفظ الوالد، المساوى فى الدلالة للفظ الوالدة، إلى المولود له ذى المعنى الذى تبينا، ويلاحظ أن القول: «وعلى المولود له» قادر على حمل الوالد على التفكر فى هذه النعمة العظيمة من الله تعالى عليه، وكأن ثمة استعانة بعقل الوالد على عاطفته كى ترقى العاطفة إلى المستوى المطلوب والذى تحقق لدى الوالدة بمجرد ذكر لفظ الوالدات، ولعل فى هذا القول تنبيها إلى الحكمة من عدول الآية الكريمة عن لفظ الوالد إلى المولود له، والله أعلم.

فإذا تحولنا إلى الجزئية الكريمة التالية: «لا تكلف نفس إلا وسعها» استطعنا أن ننظر إليها من زاوية معناها، ومن زاوية علاقتها بالجزئية الكريمة السابقة عليها، أما معنى الجزئية الكريمة فيقتضينا أولا الوقوف عند معنى النفي: «لا تكلف نفس» وعند الوسع من القول: «إلا وسعها» وفيما يتصل بالقول: «لا تكلف نفس» تبينا أن التكلف اسم لما يفعل بمشقة، وأنه ذو علاقة بالكلف، بفتحتين، وهو الأثر على الوجه من السواد، وعليه فتكلف الشىء هو ما يفعله الانسان بإظهار كلف، أى أثر أسود على الوجه مع مشقة. وتجىء لفظة نفس منكرة، كى تشمل كل نفس، ابتداء بنفس المولود له، الذى عليه رزق الوالدات وكسوتهن بالمعروف. إن الجزئية الكريمة التى تجرى مجرى المثل: «لا تكلف نفس إلا وسعها» تقرر أن أى نفس إنسانية لا ينبغى أن تكلف إلا وسعها، وهو ما تتسع له قدرتها، ويسهل عليها، ويبقى لديها وراء ذلك فضل قوة وقدرة، إن صدر الجزئية الكريمة يشير إلى التكاليف، لأن هذه الحياة الدنيا حياة عمل وكدح ونصب، وقد قال عز من قائل[50]: ﴿لقد خلقنا الانسان فى كبد﴾ وإن عجزها يبين رحمة الله تعالى التى وسعت كل شىء فلا يكلف الله تعالى نفسا إلا وسعها وإلا ما آتاها، وإن على العباد أن يترجموا التوجيه القرآني إلى عمل: «لا تكلف نفس إلا وسعها» فى حق المولود له وفى حق غيره من البشر.

فإذا تحولنا إلى محاولة تبيين علاقة الجزئية الكريمة بما سبقها استطعنا أن نتبين أن العلاقة جد وثيقة، وتضيف اللاحقة الجديد من المعانى. وتفسير ذلك أنّا بالنظر إلى الجزئية الكريمة السابقة: «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف» استطعنا أن نفهم أن

الجزئية الكريمة تشمل كل حالات المولود له من غنى وفقر، كثرة ذات اليد أو قلته وما إلى ذلك فإن الضابط للرزق وللكسوة هو المعروف شرعاً وعقلا ومروءة، وتبقى وراء كل هذه الحالات التى تشملها الجزئية الكريمة حال واحدة لا تشملها وهي حينما يكون المولود له معدماً ليس له من حطام الدنيا أدنى شيء. إن هذه الحال التى ليس تحتها حال، تشملها هي وما ارتفع عنها من أحوال تقترب منها، الجزئية الكريمة التالية: «لا تكلف نفس إلا وسعها» وبهذا تعمق الجزئية الكريمة معنى المعروف فى الجزئية الكريمة السابقة وتتسع لما لا تتسع له الجزئية الكريمة السابقة، وهذا هو المعنى الجديد الذى تضيفه.

وبسبب تنكير «نفس» فى الجزئية الكريمة، وبسبب الفصل المتمثل فى الجملة المستأنفة وليس الوصل بواو العطف مثلا: ولا تكلف نفس، اكتسبت الجزئية الكريمة معنى الشمول فدخل تحتها كل نفس بما فى ذلك نفس المولود له، وجرت مجرى المثل. وان الفصل هذا وليس الوصل، وان الحديث عن الزوج أساساً، مغر بالنظر إلى الجزئية التالية: «لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده» من زاوية الفصل لا الوصل، ومن زاوية الحديث عن الزوجة ابتداء مقابل الحديث السابق عن الزوج ابتداء. فمع هذه الجزئية الكريمة: «لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده».

إن النفى فى الجزئية الكريمة السابقة «لا تكلف نفس» وطأ للنهي فى هذه الجزئية الكريمة، «لا تضار والدة بولدها» والأصل لا تضارر، وهو فى موضع جزم[51] إن ثمة نهياً عن الاضرار، وهو حمل الانسان على ما يضره، أي على أمر يكرهه[52].

وفى الامكان المقارنة بين هذه الجزئية الكريمة: «لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده» وبين الجزئية الكريمة السابقة «لا تكلف نفس إلا وسعها» من جوانب عدة.

إن قوله تعالى: ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها﴾ ينفى عن الزوج ابتداء التكليف ويدفع المشقة، تمشيا مع ما يصح أن يصادفه الرجل عموماً، الزوج خصوصا فى تعامله مع الجانب الخشن من الحياة، جانب العمل والكدح وراء لقمة العيش، وإن قوله تعالى: ﴿لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾ ينهى عن أن تضار الزوجة ابتداء، باعتبار المرأة عموماً تتعامل مع الجانب الناعم من الحياة غالباً، وباعتبار المرأة لهذا السبب مظنة وصول الضرر إليها قبل الرجل، ولهذا نهت الجزئية الكريمة عن أن تضار الزوجة بالأصالة، الزوج بالتبعية.

إن كلا من الجزئيتين الكريمتين مستأنفة، جاء بشأن نفي التكليف مع مشقة القول: «لا تكلف نفس إلا وسعها» وجاء بشأن النهى عن الضرر القول «لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده» مع النص على الوالدة ابتداء وعلى المولود له بعد ذلك، ومع عدم النص على شخص بعينه بشأن الجزئية الكريمة السابقة، فالنهى عن التكليف الشاق مطلق، وينسحب على الزوج أساساً باعتباره محور الحديث فى الجزئية الكريمة.

وإن الاستئناف فى الجزئية الكريمة التالية على غرار الاستئناف فى الجزئية الكريمة السابقة مغر بالتأمل والتدبر، ونحن نستطيع أن نتبين المساواة فى تعامل الجزئيتين الكريمتين مع الذكر والأنثى على التوالى، بحيث إنًا بشأن نفي الضرر أو النهى عنه فى حق الوالدة ابتداء تتمثل جيداً مثل قوله تعالى فى سورة البقرة[53]: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾.

ونستطيع أن نفهم النهي فى القول: «لا تضار والدة بولدها» بأن له صورا متعددة، منها أن تمنع الوالدة من إرضاع ولدها مع رغبتها فى ذلك وقدرتها، أو أن ينزع منها الولد بعد أن يكون قد ألفها، أو أن تمنع مما وجب لها من رزق وكسوة وما إلى ذلك، كما نستطيع أن نفهم النهى فى القول: «ولا مولود له بولده» بأنه هو الآخر له صور متعددة كأن تأبى الزوجة إرضاع الولد إضراراً بأبيه، أو أن تطلب أكثر من أجر مثلها، أو أن تدفع الولد إلى أبيه بعد أن أرضعت الصبي وألفها، أو أن تطرحه عليه وهو لا يجد من يرضعه، أو لا يجد ما يسترضعه به، أو أن

تفرط فى الولد نكاية فى أبيه وما إلى ذلك.

ومعنى هذه الجزئية الكريمة: «وعلى الوارث مثل ذلك» وعلى وارث المولود له أو وعلى وارث الصبى مثل الذى على المولود له فى حياته من رزق وكسوة بالمعروف.

فإذا تحولنا إلى هذه الجزئية الكريمة: «فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما» ومعناها: فإن أراد الأبوان فطاماً للصبي عن الثدى عن تراض منهما وتشاور وذلك قبل الحولين فلا جناح عليهما. ويلاحظ أن بين الشرط وجوابه «فإن أرادا فصالا . . . فلا جناح عليهما» شرطين اثنين، الرضا منهما والتشاور «عن تراض منهما وتشاور».

ويلاحظ على هذين الشرطين، الرضا والتشاور، أن التشاور يمثل مرحلة سابقة للرضا الذى يكون بدافع منه تنفيذ قرار الفطام، ويلاحظ أن شرط الرضا يتعلق كثيراً بالقلب، وأن شرط التشاور يتعلق كثيراً بالعقل، وإن فى تقديم متعلق القلب دليلا على دور القلب الأكبر فى هذه العملية، خاصة وأن تنفيذ قرار الفطام يلى التراضى مباشرة.

فما الذى يلاحظ على صياغة هذين الشرطين؟ الذى يلاحظ بشأن الرضا مجيء الجار والمجرور منهما: «فإن أرادا فصالا عن تراض منهما» وفى ذلك دليل على أن الرضا عن الفطام أمر متعلق بالوالدين وحدهما، والذى يلاحظ بشأن التشاور أنه مطلق، فليس ثمة جار ومجرور، علماً بأن التشاور يتعلق بالظرف فيقال: عن تشاور بينهما، وليس ثمة هذا الظرف، مما يصح أن يفهم معه أن التشاور كما يصح أن يكون بين الزوجين يصح أن يكون بينهما معاً أو بين أحدهما وبين شخص آخر أو آخرين فى هذا الشأن.

وفى كل الاحوال يظل للتشاور قيمته المتميزة فى الاسلام بشأن هذه المسألة خصوصاً، والمسائل الأخر عموماً. إن دائرة التشاور أوسع من دائرة التراضى الذى لا يكون إلا من الوالدين اللذين من حقهما وحدهما أن يترجما قرار الفطام الى عمل، وهكذا يتبين أن القلب فى هذه المسألة الذى له الدور الأكبر لا يستغنى عن العقل.

- ارضاع الطفل حق شرعي له على والديه..
- ارضاع الام لطفلها غذاء ورعاية وتربية..

ومعنى هذه الجزئية الكريمة: «وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف» وإن أردتم أن تسترضعوا لأولادكم مراضع غير أمهاتهم فلا حرج عليكم فى ذلك ولا تضييق، إذا سلمتم إلى المراضع، وقبل ذلك إلى الأمهات، ما آتيتم وأعطيتم من نفقة وأجرة وما إليهما بالمعروف.

وعلى عادة القرآن الكريم فى الأمر بالتقوى إثر الأمر بالتكاليف يجيء فى الجزئية الكريمة الأخيرة قوله تعالى: ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. . والحمد لله رب العالمين.

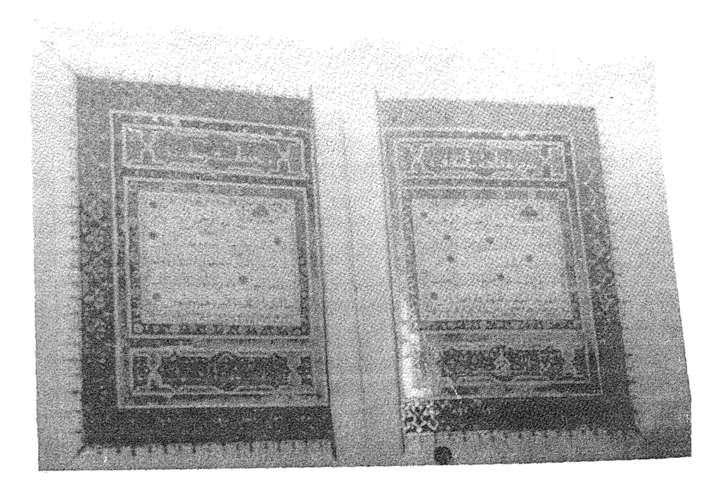
الهوامش والمراجع

(*) هذه الدراسة محاضرة القاها الدكتور حسن باجودة فى الموسم الثقافي الذي اقامته كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا ـ جامعة ام القرى.

(١) البحر المحيط ٢/٢٠٦.
(٢) مفردات الراغب الأصفهاني ص٢٤٥.
(٣) مفردات الراغب ص٣٥٤.
(٤) الآيات ٤٧ ـ ٤٩
(٥) تفسير القرطبى ٩٦٩.
(٦) تفسير الطبرى ٢/٣٠١.
(٧) انظر تفسير القرطبى ص٩٧١.
(٨) تفسير القرطبى ص٩٧١ والبحر المحيط ٢/٢٠٦.
(٩) مفردات الراغب ص٤٣٨.
(١٠) مفردات الراغب ص٥٢٣.
(١١) انظر البحر المحيط ٢/٣٦٦.
(١٢) الآية ٢٨٦.
(١٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص١٦١.
(١٤) تفسير ابن كثير ١/٢٨٤.
(١٥) تفسير القرطبى ٩٨٩ وانظر مفردات الراغب ص٣٨١.

الهوامش والمراجع

(١٦) البحر المحيط ٢/٢٠٦ .
(١٧) البحر المحيط ٢/٢٠٦ وانظر تفسير الطبري ٢/٣١٢
(١٨) تفسير القرطبي ص٩٨٠ .
(١٩) البحر المحيط ٢/٢٠٧ .
(٢٠) تفسير القرطبى ص٩٨٠ .
(٢١) البحر المحيط ٢/٢١٨ .
(٢٢) الجلالين والكشاف ١/٢٨٢ والبحر المحيط ٢/٢١٩ .
(٢٣) تفسير الطبري ٢/٣١٤ والبحر المحيط ٢/٢١٨ .
(٢٤) مفردات الراغب ص٥٣٢ .
(٢٥) البحر المحيط ٢/٢١١
(٢٦) تفسير القرطبي ص٩٦٩ .
(٢٧) تفسير القرطبى ص٩٦٩ .
(٢٨) انظر هنا مثلا إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبري ص٩٥ .
(٢٩) تفسير القرطبى ص٩٦٩ .
(٣٠) سورة البقرة ٢٠٣ .
(٣١) تفسير القرطبي ص٩٦٩ وانظر تفسير الطبري ٢/٣٠١ .
(٣٢) سورة النساء ١٠٣ .
(٣٣) معجم مقاييس اللغة «جلس» ١/٤٧٣ .
(٣٤) الآيـة ١٤٢ .
(٣٥) انظر مثلا الجلالين .
(٣٦) الآيـة ٢٧ .
(٣٧) انظر مثلا الجلالين .
(٣٨) «تمـم» .
(٣٩) الآيـة ١٨٣ ، ١٨٤ .
(٤٠) الآيـة ١٨٥ .
(٤١) الآيـة ١٩٦ .
(٤٢) البحر المحيط ٢/٨٠ وتفسير القرطبي ص٧٧٥ .
(٤٣) « كمـل » .
(٤٤) سورة المائدة/٣ .
(٤٥) كمـل .
(٤٦) تفسير ابن كثير ١/٢٨٣ .
(٤٧) البحر المحيط ٢/٢١٢ .
(٤٨) تفسير القرطبى ص٩٧٠ .
(٤٩) البحر المحيط ٢/٢١٤ .
(٥٠) سورة البلد/٤ .
(٥١) معانى القرآن للفراء ١/١٤٩ .
(٥٢) مفردات الراغب ص٢٩٤ .
(٥٣) الآيـة ٢٢٨ .



أوقـة منـصـوبـة علـى أعمـدة الكلمـة، قوامهـا: الـطرفـة ،المـزحـة، المعلومـة والمعـرفـة، المثـل والحكمـة.. أشتـات جتمعـة تهـش لهـا النفـس وتسـتوعبها.

عجائب وغرائب.. من تراثنا

حلب وحمص وحماة



(١) أحد المتاجر الشعبية فى حلب
(٢) عدد من المآذن على قلعة حلب
(٣) النواعير رمز حماة

(٢)

ـاد السالمي

●● كتب الرحلات، من أفضل ما وصل لمعرفة أخبار المدن والبلدان، وكشف أسرارهـا.. والشيخ محمد الموسوي الشهير بـ كبريت، وقف على ثلاث مدن شامية فى رحلتـه هى (حلب وحمص وحمـاة) ونقـل لنـا عجائب وغرائب مما سمعه وشاهده واستخلصه.

ومما جاء عن حلب عند اليافعي فى تاريـخـه، فى حوادث سنـة ٥٨٣هـ ما ملخصه، انـه لما فتح صلاح الـدين مدينـة حلب، أنشده القـاضى يحيى شرف الـدين، أبـو المعالى القرشى، قصيدة أجاد فيها كل الاجادة، وكان من جملتها هذا البيت:

وفتحك القطعة الشهباء فى صفر
مبشـر بفتوح القدس فى رجب

فكان ما قال! فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ٥٨٣ ، فقيل له من أين لك هذا؟ فقـال: أخذته من تفسير ابن مرجانة فى قوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين﴾.. والمنقـول عن ابن مرجانة، أنه ذكر

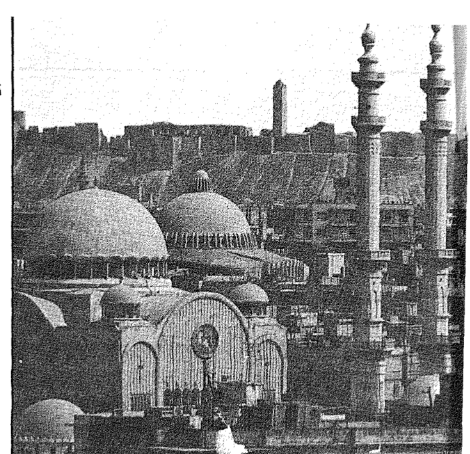
قد نبهتنى للتقى والهدى
لانها تبكى على العاصي

■ ومنه :

نواعير فى عاصي حماة إذا بكت
عليه دعت من عبرتى مدمعا قاصى
وإنى على نفسى لاجد بالبكا
اذا كانت الاخشاب تبكى على العاصى

■ وانظروا كيف وظف الشعر صوت النواعير وأخشابها واسم النهر العاصى.. وهذا من المحاسن الشعرية.

وذكر (كبريت) (حمص) فقال: بأنها مدينة كبيرة عظيمة قد أخنى



حساباً طويلا وطريفاً في استخراج ذلک من قوله (بضع سنين).

وقال الزجاجي: وكان الخليل عليه السلام، يحلب غنمه بها، ويتصدق بثلثه، فيقول الفقراء على سبيل الاستفهام، حلب؟ فسميت بذلک..
وقيل: كانت له ناقة شهباء، وكان يفعل بها كذلک.

قال كبريت: رأيت بها الابيض اليقق، والاسود الحالک، والاصفر الفاقع، ورأيت بها أنواعاً من الازهار العطرة وأما المأكول فهو على ضروب مختلفة، وأما قلعتها فهي من عجائب القلاع فى حسن الاوضاع.

●● وللشهابى الحلبى، شعر جيد فى حلب.. منه:

شوقى شديد الى لقياک يا حلب
من نازح شفه في بعده النصب
فلاعج الشوق قد أودى تضرمه
وهذه المهلكات الوجد والوصب
إن كان منک محب قد نأى فله
قلب لديک لما قد ناله نحب



●● أما حماة، فيذكر انها قديمة من عهد سليمان عليه السلام، وجامعها بالسوق الاعلى، جدد فى خلافة - المهدى - وكان فيه لوح من الرخام مكتوب فيه أنه جدد من خراج حمص.. وبينها وبين وحمص نهر العاصي، يسمى العاصى لان اكثر الانهار تتوجه إلى الجنوب، وهو نحو الشمال، وفيه ناعورة يضرب بها المثل، وأكثر الشعراء فيها:

ناعورة في النهر أبصرتها
تشوق الدانى والقاصى

عليها الزمان، وكر عليها بسيف حيفه الملوان.

قال فيها ابن حبيب:

جزيرة حمص كعبة الكون أصبحت
يطوف بها دان ويسعى لها قاصي
لها حلة من نبتها سندسية
تعلق فى اكناف أذيالها العاصي

■ ورد عليه ابن حجر بشعر مليح:

جزيرة حمص لم تكن قط كعبة
يطوف بها دان ويسعى لها قاصي
ولكنها للهو والقصف حانة
ألم تنظروها كيف جاورها العاصي



من التراث

التحرير

(من التراث) صفحات نتذاكر فيها قول الماضين فإ ن فى أقوالهم: الحكمة المرسلة، النكتـة الفكهة، القول المعجب، النصيحة البالغة.. وفى جملة أقوالهم امتاع ومؤانسة.. لغة وأدب.. فصاحة لسان وسرعة بديهة.

●● وبالصورة نسترجع تاريخ أمة سلفت .. وتراث حضارات سادت ثم بادت.

وجه الصّواب في تعليم العلوم وطريق إفادته

«اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا، ويلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هى أصول ذلك الباب، ويقرب له فى شرحها على سبيل الاجمال، ويراعى فى ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهى إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي الى آخر الفن فتجود ملكته. ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا مغلقا إلا وضحه وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته.

هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض فى أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه. وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذى أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته، ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم، ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حلها، ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه، ويكلفونه وعى ذلك وتحصيله، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل، وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالأمثال الحسية، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذى فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط بمسائل الفن. وإذا ألقيت

عليه الغـايات في البـدايات، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والـوعي وبعيد عن الاستعداد له، كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم.

ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذى أكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان أو منتهياً، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره، ويحصل أغراضه ويستولى منه على ملكة بها ينفذ فى غيره، لأن المتعلم إذا حصـــل له ملكـة ما فى علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقى، وحصل له نشاط فى طلب المزيد والنهوض الى ما فوق حتى يستولى على غايات العلم. وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكـلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدي من يشاء.

(*) (جزء من مقدمة ابن خلدون)



● صورة من الاحساء فى المملكة العربية السعودية يرجع تاريخها الى ستين عاما. وهى مقدمة مع مجموعة صور نادرة من الاستاذ عبد الله العويد «صديق المنهل»

● صورة من الصحـراء الجزائرية تمثل أحد الممارسات اليومية للحياة هناك يرجع تاريخها الى اوائل الخمسينيات.

التنمية في المجتمع الإسلامي .. ب

- نماذج التنمية فى المجتمعات الاوروبية وخط
- عملية التحديث على النمط الغربى تجعل
- التبعية للغرب تفقدنا الانتماء الحضاري، وال

بقلم: د. خلاف خلف الشاذلي
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
أبها

تعرف التنمية Development بأنها عملية تهدف الى رفع مستوى معيشة أفراد مجتمع معين على المدى الطويل، معتمدة بالدرجة الاولى على الامكانيات الذاتية لهذا المجتمع، مع تقدير واع للعوامل الخارجية، وذلك عن طريق دعم مقدرة المجتمع على القيام بوظائفه الانتاجية وتحقيق أفضل استثمار لامكانياتها المحلية[1].

ولقد انبهرت الدول النامية، ومنها الدول العربية والاسلامية بالتجربة الغربية فى التنمية وما حققته هذه التجربة من انجازات سريعة ومن ثم فانها رأت ضرورة أن تحذو حذو هذه الدول اذا ما أرادت تحقيق التنمية.. وظلت تعتقد فى صلاحية النماذج والنظريات الغربية لفترة طويلة، لتكتشف فى آخر الأمر أن النماذج التنموية الخارجية، شرقية كانت أو غربية، لم تكن تهدف الى خدمة هذه المجتمعات، ومنها المجتمع العربى الاسلامى، بقدر ما كانت تهدف الى استمرار استنزاف تلك المجتمعات وتؤكد تبعيتها للدول المتقدمة.

وأمام انهيار مصداقية عمومية وثبات النماذج التنموية والنظريات الغربية، وعدم تمتعها بالقدسية من ناحية والأزمات التى أخذت تتعرض لها عمليات التنمية فى بعض الدول ذاتها التى أخذت تطبق تلك النماذج لسنوات طويلة من ناحية أخرى، بات من المؤكد عدم وجود نموذج للتنمية معد سلفا فى جملته وتفاصيله يصلح لكل الأزمنة ولكل المجتمعات، وذلك أن التنمية عملية مجتمعية Societal process تخضع لظروف كل مجتمع وخصائصه المميزة.

وقد ركزت استراتيجيات ومداخل التنمية فى معظم الدول النامية، ومنها الدول العربية والاسلامية على أهمية التحول من المجتمع التقليدى الى المجتمع الحديث وكان الاتجاه السائد فى هذه الدول قائما على محاكاة النموذج الغربى فى التنمية دون فهم لأسس بناء هذه النماذج ومدى ملاءمتها للواقع والظروف الموضوعية التى تعيشها هذه المجتمعات.

وتبلورت على الساحة الفكرية فى مجتمعنا، تيارات ثلاثة هى:

١ - تيار الغربنة أو التغريب Westernization، والذى انبهر أنصاره بالغرب وتبنوا الدعوة الى ضرورة أن نصبح غربا فى كل شيء، وراحوا يدافعون عن قيمة الثقافة الغربية، بل والتغنى بصلاحيتها، وفى الوقت نفسه ينظرون الى الثقافة الأصيلة indigenaus culture على أنها موضة قديمة old fashion لم يعد لها قيمة جمالية، على الرغم من انه كثيرا ما تعود الموضة القديمة لتصبح موضة جديدة فى حقبة تالية.

٢ - تيار الرفض لكل جديد مهما كان، تحت تأثير العصبية

ـــين الأصالة والمعاصـــرة

امت على منهجية تختلف مع ثوابتنا الفكرية والعقدية.
جتمع الاسلامى مجتمعا هامشيا،
ـة على الابتكار والتجديد.

للموروث، وذلك من خلال العمل على إحياء التراث والتمسك به لضمان الوجود المتميز والمستقل.

٣ ـ أما التيار الثالث، فهو تيار الوسط، الذى يرفض أنصاره التقليد الأعمى والنقل الحرفى عن الحضارة الغربية، وفى الوقت نفسه يرفض الجمود والانغلاق.

ويقوم منهج هذا التيار على المزج بين القديم والحديث، أو بين الأصالة والمعاصرة.. أصالة عصر ازدهار الحضارة الاسلامية والمعاصرة التى يحكمها واقع الأمة.. والاستفادة من حضارات الآخرين، استفادة الراشد الذى يميز بين ما يتسق مع تميزه الحضارى، وبين ما يؤدى الى طمس الهوية الحضارية.. وانطلاقا من الايمان بقدرة هذا التراث على استيعاب معطيات الحديث من ناحية والتفاعل معه من ناحية أخرى.

وفى هذا الاطار طرحت قضية الأصالة والمعاصرة نفسها على بساط البحث والمناقشة.. وترددت أسئلة كثيرة فى هذا الشأن وتعددت حيث ان كلا من الاصالة والمعاصرة تظل مفاهيم ـ محايدة حتى تصبح إطاراً مرجعياً للتنمية فى مجتمع من المجتمعات، فبينما تشير الاصالة الى الارتباط بالتراث المحلى، نجد أن مفهوم المعاصرة يشير الى الارتباط بمناهج عصر الصناعة ومنجزاته[٢].

وعموماً فإن مفهوم التحديث Modernization يرتبط بفكرة الصياغة الغربية للثقافات المحلية دون اعتبار لمضامين تلك الثقافات.. وهو بذلك يعتبر مفهوما منحازاً ـ لثقافة المجتمع الغربى.

مخاطر التحديث:

تقوم فكرة التحديث على إحلال الثقافة، والنظم الاجتماعية والاقتصادية الغربية محل الثقافة والنظم الاصيلة.. وقد سيطر مدخل التحديث على معظم سياسات التنمية، فى الدول النامية، ومنها المجتمع العربى الاسلامى، باعتباره الحل الوحيد والامثل لمشكلات التخلف، وهو تفسير عنصرى وقاصر للتخلف، ويغفل جانبا كبيرا من الاسباب الحقيقية للتخلف، وقد أخذت عمليات التحديث تمتد الى جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية بل والتربوية والثقافية أيضا.. لتأخذ شكل الغربنة أو التغريب.

والتحديث على النمط الغربى علاوة عى مافيه من مخاطر على الدين، هو كارثة فى شؤون الدنيا، حيث يجعل من المجتمع العربى الاسلامى مجتمعاً هامشياً ويكرس من تبعيته للخارج، وتلك هى الغزوة الاستعمارية الحديثة، فلقد أصبحت عملية التنمية من خلال محاكاة النموذج ـ الغربى بمثابة أداة

لنقل ثقافة المجتمعات الصناعية المتقدمة الى المجتمعات الاقل تقدما، مؤدية بذلك نفس الدور الذى سبق وأن أدت اليه أيديولوجية التقدم فى القرن التاسع عشر فى كل من أمريكا اللاتينية وبعض دول الشرق الأوسط وأفريقيا. . عندما حاولت هذه الدول تبنى أساليب وسياسات اقتصادية تهدف الى تحقيق نمو اقتصادى economic Growth متجاهلة بذلك الموروثات الثقافية والتراث الحضارى القائم.

- إنه فى ظل التحديث، على النموذج الغربى، قد يصبح المجتمع متقدماً كمستهلك للسلع والخدمات، دون أن يتحول الى مجتمع متقدم من الناحية الانتاجية، كمنتج للسلع وليس مجرد مستهلك لها، وهذا يؤدى الى نوع من الازدواجية الخطيرة على مستقبل التنمية فى هذه المجتمعات، وهى ما نراه اليوم فى كثير من المجتمعات النامية، من حياة استهلاكية على الطراز المتقدم، وحياة انتاجية على نمط التخلف، حيث تقدمت هذه المجتمعات فى مجال الاستهلاك بينما تخلفت أو بقيت على حالها فى مجال الانتاج.

- ان التحديث على النموذج الغربى يشكل خطراً على الثقافة المحلية والتراث الأصيل والبنية الاجتماعية والاقتصادية القائمة. . حيث تصبح تلك المجتمعات أسيرة للقيم والانساق الثقافية، وكذا الحلول التكنولوجية والبنية الاجتماعية والاقتصادية، الدخيلة، كما أنها تصبح أيضا أسيرة لتطلعاتها الاستهلاكية وعجزها الانتاجى.

- إن الدعوة الى التطور والتحديث، القائم على محاكاة النموذج الغربى فى التنمية، لا تعدو سوى أن تكون دعوة للاحتواء، والتبعية وتجسيداً للتشوه الحضارى الذى يهدد مجتمعاتنا. . وفقداناً للثقة بالقدرة على الابتكار والتجديد.

- ان التحديث على النموذج الغربى ينطوى على مضامين أيديولوجية، مادية وعلمانية، ووجودية وبرجماتية. . تشكل خطراً على المجتمع العربى الاسلامى بخاصة حيث تبدو فى ظاهرها الرحمة، وفى باطنها العذاب.

- وأخيراً فان قضية الفكر الهدام ليست قضية محدودة بوقت معين، ولكنها كانت وستظل مطروحة طالما أن هناك صراعاً بين الحق والباطل، تختلف فى صورها وأشكالها، ولكنها ثابتة فى أهدافها وغاياتها، والتحديث على طريقة النموذج الغربي فى التنمية، انما هو شكل آخر من أشكال الفكر الهدام.

لا : للتغريب!

لم تكن المشكلة تكمن بالكامل فى المداخل أو النماذج التنموية، المستوردة ذاتها. . والتى ربما تكون قد نجحت فى الدول التى نشأت فيها، بل تمثل التصور الأساسى فى أن عمليات التحديث فى مجتمعاتنا لم تكن نابعة من الواقع الاجتماعى والثقافى الاصيل، فعلى عكس التنمية فى كثير من المجتمعات الغربية. . نجد أن العوامل الاساسية التى دفعت الى التغيير فى مجتمعاتنا بدأت مع اختلال التوازن التقليدى الأصيل، بفعل عوامل خارجية متضمنة فى عملية التحديث والتحضر والتصنيع على غرار النموذج الغربى فى التنمية. . وأصبحت عمليات التنمية بذلك أسيرة عوامل خارجية غير متأصلة - حيث أخذت عمليات التحديث شكل التغريب، وأصبحت هذه المجتمعات تسير بوعى أو بغير وعى نحو التبعية، التى طالما تسعى هذه المجتمعات الى التحرر من اسارها.

والحقيقة ان التبعية، أصبحت تمثل واقعاً بسبب ما نحن فيه من تأخر وشقاق. . فقد كنا متبوعين أيام كنا أقوياء. . ونحن نتهم الغرب بأنه يجرنا الى التبعية، والحقيقة «أننا نتبعه» لأننا نشعر بأننا بحاجة الى تقدمه وعلومه. . وأصبح أخشى ما نخشاه أن يؤدى ذلك الى تغلغل اشكال التبعية الى مجتمعاتنا نتيجة النقل الحرفى وعمليات المحاكاة العمياء لكل ما تهب به رياح الغرب دون إمعان النظر فيها اذا كان هذا مناسبا لنا أم لا؟

فهل نقول لا : للمعاصرة؟

لا تعنى الأصالة، فى ارتباطها بالتراث المحلى، الجمود والتقوقع، ذلك أن التراث يضم الموروث الحضارى بأجمعه، ويحتوى على جانبين:

الأول: ثابت (static) ويجب الحفاظ عليه ويتضمن اللغة والدين والقيم والتنشئة الاجتماعية.

والثاني: متغير Dynamic يمكن التعامل معه كجزء من الحياة الحاضرة.

فالأصالة بذلك، لا تعنى مطلقا، كما قد يتصور البعض، الانغلاق على الذات فى العلوم التكنولوجية التى أصبحت ضرورية، ولكنها تعنى اعادة النظر فى النماذج التى لقنها لنا الغرب تلقيناً والتعامل معها بوعى، بل ومحاولة تجاوزها بمعطيات جديدة.. ولا تعنى أن ندير ظهورنا تماما للتطور الحادث بالفعل من حولنا.. ولكن تعنى الدراسة المتأنية لاختيار ما يناسبنا ويدعم الهوية الحضارية والخصوصية الثقافية لمجتمعنا العربى والاسلامى، ويؤكد أهمية التواصل الحضارى والتاريخى بالنسبة لهذا المجتمع.

فهل نقول الحضارة قذارة؟! بحجة أنها حضارة الغرب، ونغمض أعيننا تماما عن ما يحدث من حولنا من تطور؟.. ان القول بنعم للمعاصرة يعنى التفاعل مع الحضارة ويعنى أيضا الحرص على امتلاك القوة Power بكل الصور. وهذا أمر هام لاقرار الحق والعدل فى الكون واعلاء لكلمة الله سبحانه وتعالى.. فالحق يحتاج الى قوة تحميه وتفرضه..

وحضارة اليوم هى حضارة مادية بكل المقاييس.. تقوم بالدرجة الاولى على العلم التجريبى.

- وعلينا كمجتمع عربى وإسلامى أن نأخذ بناصية العلم الذى هو السبيل الى امتلاك عوامل القوة، وخصوصا تلك العلوم التى تتجاوز الحدود الدولية والحضارية والتى ليست حكرا على مجتمع بعينه وهى تلك العلوم الطبيعية، التى تتعلق بدراسة المادة وخواصها، وقد أخذ الغرب نفسه الكثير من النظريات العلمية عن العرب والمسلمين الأوائل أمثال ابن الهيثم والرازى والجبرتى وابن سيناء.. وابن خلدون.. فلماذا لا نأخذ عنهم فى هذا المجال، ذلك أن التكنولوجيا فى حد ذاتها ليست موجبة أو سالبة، ولكن طبيعة المجتمع ومدى تماسك مؤسساته هما العاملان اللذان يجعلان التكنولوجيا سالبة أو موجبة فى تأثيرها، ومن ثم فان الحل لا يكون عن طريق الانغلاق على الذات، ولكن يكون عن طريق العمل على سد الثغرات ونقاط الضعف التى قد تظهر فى المؤسسات الاجتماعية والتى تفرزها التكنولوجيا الحديثة أو الانفتاح على العالم الخارجى.

المعاصرة.. والتواصل الحضارى:

ان مجتمعا بلا ماض ليس له حاضر ولن يكون له مستقبل، ومن ثم فان التواصل الحضارى والتاريخى يكون مطلوبا بالنسبة للمجتمعات وهى تخطو نحو تحقيق التقدم والتنمية، واذا كان هذا ينطبق ولا يزال قائما فى بعض المجتمعات ذات العمر الحضارى القصير، والموروث الثقافى المحدود لبعض المجتمعات الأخرى[٣]، فان الوضع يكون مختلفا بالنسبة لمجتمعنا العربى - والاسلامى - الذى يتميز بحضارة ضاربة بجذورها فى أعماق الماضى البعيد، والذى يجب أن يدرك أن أى تغيير فى واقع هذا المجتمع المعاصر، لا يمكن أن يتم بمعزل عن الماضى الذى يؤثر كثيرا فى الحاضر واتجاهات المستقبل.

وقد يكون من اللازم العمل على حل بعض المتناقضات الثقافية التى قد تكون موجودة، وتمثل معوقا أمام تحقيق التنمية. وتؤكد تجربة التنمية فى كثير من المجتمعات عدم التنافر بين القيم والعلاقات التقليدية من ناحية وقوى الصناعة الحديثة والتحضر والعلم والتكنولوجيا من ناحية أخرى[٤].

وتقدم اليابان نموذجا واضحا لتأكيد بعد الأصالة فى التنمية، حيث نجد اتصالا واضحا يربط الثقافة التقليدية الأصيلة بالثقافة العصرية الحديثة[٥]، وغيرها من الدول التى اهتمت بالتصنيع واستخدام نتائج العلم والتكنولوجيا الحديثة، ولكنها رفضت فكرة محاكاة النموذج الغربى، فى محاولاتها القضاء على التخلف وتحقيق التنمية.

وأكدت هذه المجتمعات بذلك

امكـانية التعـايش بين التقليدى والحديث، وأن المعاصرة لا تتطلب بالضرورة انهيار النظم الأصيلة أو التقليدية القـائمـة فى المجتمـع واحـلال النـظم الغـربية الحـديثة المستـوردة، كما أن استمرار النظم التقليدية الأصيلة لا يمثـل معـوقا أمام تحقيق التنمية.

لقد سمحت اليابان لنفسها أن تأخـذ ما هو ايجابى بالنسبة لدعم قدراتها الذاتية على تحقيق التنمية، وكـونت شكلا ملائماً لما يجب أن تكـون عليه العـلاقة بين الأصالة والمعـاصرة، بحيث لم تؤد عمليات التحـديث فيهـا الى طمس الهوية الثقـافية بشكـل صارخ، كما هو الحال بالنسبة لكثير من المجتمعات الآخـذة فى النمو، وظل اليابانيون يتمسكون بطريقة الحياة way of life الفـريدة بكـل تفـاصيلهـا . . ويبـاشرون ازدواجية سلوكية . . حيث يمارسـون الحياة الغـربية فى المصـانـع والمكـاتب وادارة الأعمال ويرتدون الى حياة يابانية قحة بعد العمـل، حيث يرتدى اليابانى فى بيتـه . . الكـومينو . . ويستمع الى أغانيه الفلكلورية، يحتسى الساكى أو يشرب الشاى الأخضر، ويتفنن فى تجهيز وجبـاتـه من الأعشـاب والأسماك النيئة.

ومن هنـا كان على مجتمعنـا العربى الاسلامى، وهو يخطو نحو تحقـيق التنمية أن يدرك أولا أهمية التواصل الحضارى، ويدرك أيضا أهمية الارتبـاط بالـتراث، بحيث تنطلق عمليات التنمية من عناصر الأصالة التى تميز هذا المجتمع وفى مقدمتها التمسك بالدين وما تمليه الشريعـة كعنصر أساسى . . وهى تعمل على بقاء الفرد والمجتمع العصرى.

والأصالة لا تعنى الانغلاق على النفس، فالحكمـة ضالـة المؤمن ينشـدهـا أينما وجـدهـا، كما أن الـتمسـك بالأصـول لا يمنـع الاستفـادة من المتغـيرات المحيطة لنأخذ ما يمكن أن يفيد فى حياتنا وبما لا يتعارض مع قيمنا الخاصة، وخصـوصـا بعـد أن شهـدت المجتمعات بعامة تحولا ضخماً فى شتى مناحى الحياة، ونقلة تخطت حدود الـزمـان والمكـان خلال فترة وجيزة بالـنسـبـة لتـاريخ تطور المجتمعـات . . فهل يمكن لنا أن نستـفيد من خبرات المجتمعـات الأخرى فى التنمية، مع الاحتفاظ بالمقـدرة على الاستمـرار فى النمـو الـذاتى من ناحية، والحفـاظ على هويتنا المجتمعية المميزة من ناحية أخرى؟.

الهوامـــش

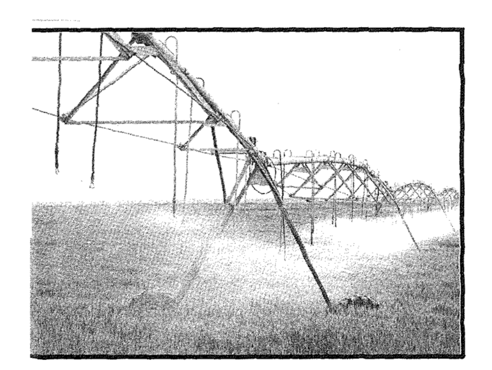
(١) أنـظر: سعـد الدين ابراهيم، وآخرون، صور المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، منتدى العالم الثالث، الشرق الأوسط، ط٢، ١٩٨٥، ص ص ١٨١ - ١٨٤.

(٢) عبـد المـنعم شوقى، فى تقـرير بحث «الخدمات الأصيلة فى الريف المصرى»، بحث ميدانى، بمحـافظة المنيا، جامعة المنيا، كلية الآداب، ١٩٨٨، ص ص ٥٥-٦.

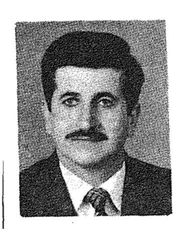
(٣) انظر: Sanchez, J., The cultural Dimension of Development, seeds of change, 1981, 314, pp. 3-6.

(٤) نورمـان لونج، «المدخل الى علم اجتماع الـتنمية الـريفية»، ترجـمـة: عبـد الهـادى الجـوهـرى، وآخرون، الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٧، ص ص ٣٦-٣٩.

(٥) أحـمد النكـلاوى، الانسان والتحديث، قضايا فكرية ودراسات واقعية، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٠، ص ص ٦-٧.



● لما كان العرب انئذ حديثي عهد بالاسلام فان شعرهم في المدح والهجاء لم يخلص تماما من شوائب عهدهم السابق.
● شعــراء صدر الاســلام لم يتنــاولــوا فى شعــرهم ملامح الدعوة الجديدة.



تطور الشعر العربي في عصر صدر الإسلام

بقلم: د. بهيج مجيد القنطار - بيروت -

الحلقة الاولى

نقصد بصدر الاسلام الفترة التى تبدأ من ظهور الاسـلام حتى نهاية الدولة الاموية، اي منذ اثنتى عشرة سنة قبل الهجرة الى سنة ١٣٢هـ[١].

ولمعرفة مدى التطور الذى طرأ على الشعر العربى فى هذه الفترة التى تقرب من قرن ونصف قرن، يجدر بنـا أن نلم إلمـامـة عجلى بحـالة الشعر فى العصر الجاهلي، فعلى ضوء ذلك نستطيع أن نتبين الى أي مدى تطور الشعر فى صدر الاسلام.

ولن نتطرق الى الحديث عن حقيقة هذا الشعر ونشأته، بمقدار الحديث عن مادة هذا الشعر ممثلة فى أغـراضـه وفنـونه ومعانيه وأخيلته، الفاظه وأساليبه وأوزانه وقوافيه.

فمن حيث أغراض الشعر وفنونه، نرى شعراء الجـاهلية، قد نظمـوا في النسيب والفخـر والحماسة والمدح والرثاء والهجاء والاعتذار، والوصف والحكمة والمثل.

وكـان للنسيب عندهم، المقام الأول، من بين أغراض الشعر، وكانوا اذا نسبوا لا يعدون النساء، يذكـرون محاسنهن، ويشرحون أحوالهن من ظعنهن واقامتهن، ووصف الأطلال بعد مغادرتهن، والتشوق اليهن بحنـين الابـل، وغنـاء الحمائم، ولمع البرق، وظهور النيران، وبذكر المنازل التى نزلنها، والرياض التى حللنها، ووصف ما فيها من نبات وأزهار.

وكان اذا انضم الى النسيب غرض آخر، قدموا النسيب عليه، وافتتحـوا به القصيدة، تعبيراً عن مشاعرهم الوجدانية، واستجابة لملكاتهم الشعرية، حتى تتـدفق بالشعر وتجيد فيه، ولما كان أهل البدو مفطورين على الارتحال والتنقل من مكان الى مكان، فان مرورهم بأطـلال منـازل، سبق لهم أن أقـاموا فيهـا، كان يهيج اشجـانهم، ويجـدد من ذكـرى أحبابهم، فاذا هم يترنمون بشعر النسيب.

وفى الفخر والحماسة، كان الشاعر الجاهلي يباهي بسجـايا نفسه وقومه مع الاشادة بمكارمهم، ووفرة قبيلتهم، ورفعة حسبهم ونسبهم وشجاعتهم.

وفى المـدح، كان الشاعر الجاهلى، ينزع ـ على الاجمال ـ الى تصوير أخلاق ممدوحه تصويراً صادقاً من رجـاحــة العقــل، والعــدل والعفـة والكـرم والشجـاعـة، وغير ذلك من الاخلاق النفسية، مع تعداد محاسنه الخلقية، كالجمال وقوة الجسم.

فقـد كان الشـاعـر، يصدر في ذلك عن شعور صادق[٢]، عندما يواجه بموقف يجد نفسه منساقاً فيه طبيعيا الى المدح، ولكن عندما شاع المدح، لم يسلم

من أن يتخذه بعض الشعراء مهنة للتكسب والارتزااق، ومن أوائل هؤلاء: زهير والنابغة والأعشى ـ وإن كان باعث التكسب عند زهير أقل منه لدى غيره من الشعراء الجاهليين المداحين.

وفى الرثاء ـ وهو الثناء على المرء بعد وفاته ـ كان من عادات الجاهليين، كما يقول ابن رشيق فى كتابه العمدة[٣]: «ضرب الامثال بفناء الملوك العظام، والممالك الكثيرة، والامم القوية، والوعول الممتنعة فى قمم الجبال، والأسود الخادرة فى الفيافي».

وفى الهجاء، كانوا يعددون مثالب المرء، ويجرِّدونه من المكارم، والمحاسن، وكان شعراء الجاهلية فى بدء الأمر، لا يفحشون فى الهجاء، وإنما يكتفون بالتهكم بالمهجو، وسلبه الصفات التى يتحلى بها العربى، والتشكيك فى حقيقة حاله كقول زهير:

وما أدرى، ولست إخال ادري
أقوم آل حصن أم نساء!!

ولكن المتكسبين بالشعر أقذعوا فيه وأفحشوا قليلا.

ويكاد يكون الوصف أكبر فنون الشعر الجاهلي نظراً لكثرة ما نظم فيه الجاهليون، بالقياس الى الفنون الاخرى.

■ أما السمات البارزة للشعر الجاهلى فأهمها:

١ ـ جلاء المعانى ووضوحها، ومطابقتها للحقيقة والواقع.

٢ ـ قلة احتفالهم بترتيب المعاني والأفكار.

٣ ـ غلبة استعمال الالفاظ الجزلة البعيدة عن الركاكة والضعف.

٤ ـ شيوع التشابيه والاستعارات الحسية وغلبتها على المعنوي منها.

٥ ـ حسن استعمال الالفاظ فى معانيها الموضوعية، وذلك لاحاطتهم بلغتهم وعلمهم بدلالتها.

٦ ـ استعمال الالفاظ الغريبة.

٧ ـ القصد فى استعمال الفاظ المجاز.

٨ ـ نفورهم من استعمال الالفاظ الاعجمية، إلا فى النادر على سبيل التظرف كما فى شعر الاعشى.

٩ ـ عدم تعمد استعمال المحسنات، لفظية كانت كالجناس والسجع، أم معنوية كالتورية والطباق والمقابلة وغيرها.

١٠ ـ متانة الاسلوب بحسن إيراد المعنى الى النفس من أقرب الطرق اليها، وأطرفها لديها، كتجاهل المعارف، ومخاطبة الأطلال والديار.

١١ ـ إيثار الايجاز إلا اذا دعت حال الى الاطناب.

■ ظهر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية، ببعثة النبى محمد ﴿ﷺ﴾، فى أوائل العقد الثاني من القرن السابع الميلادي (٦١١م)، فكان ظهوره انقلابا دينيا واجتماعيا وسياسياً وأدبيا، ولم يكن ذلك الانقلاب، قاصراً على العرب وحدهم، وإنما كان دعوة لهم وللناس كافة، الى كلمة الحق والتوحيد.

جاء الاسلام ليخرج العرب، بل الناس جميعاً، من الظلمات الى النور، من ظلمات الجاهلية الوثنية وعبادة الاوثان والاصنام، الى نور الايمان والاعتقاد بإله واحد.

واذا كانت الشعوب ـ على تباينها ـ تلتقى فى الاعتقاد بالله، فانها تختلف اختلافاً بينا، فى مفهوم الإله وأوصافه، فمن هذه الامم من كانوا، مع اعتقادهم بالله يعتقدون بتعدده، أوبأنه إله لهم وحدهم.

تلك كانت فكرة الألوهية قبل الاسلام، ونظرة الأمم الى الإله: فكرة وثنية قائمة على التعدد والمشاركة، ونظرة ضعيفة لمفهوم الاله، ثم جاء الاسلام، فارتقى بفكرة الألوهية وصفات الاله، ونقاها من شوائب الوثنية، ووضعها فى موضعها الصحيح الذى يتمشى مع الحق والعدل.

فالله فى الاسلام إله كل شىء، ورب العالمين، وهو إله واحد لا شريك له فى ألوهيته، قال الله تعالى: **﴿لا تتخذوا إلهين اثنين، إنما هو إله واحد، واعبدو الله ولا تشركوا به شيئا﴾**.

ولمعرفة مدى التطور الذى طرأ على الشعر العربى فى هذه الحقبة التى تقرب من قرن ونصف قرن، يجدر بنا أن نلم إلمامة هادئة بالمواقف المتعددة فى الشعر:

اولا: موقف الرسول ﴿ﷺ﴾ من الشعر:

نزه الله رسوله عن تعاطى الشعر فقال تعالى:

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾ وهو على كونه أفصح العرب إجماعاً، لم يكن ينشد بيتا تاماً على وزنه، وانما كان ينشد الصدر او العجز فحسب، ولم يكن - إذا القى بيتا كاملا - يصحح وزنه بحال من الأحوال، وانما كان يخرجه عن الشعر فلا يلتئم على لسانه.

هذا بيت من الشعر للعباس بن مرداس يقول فيه:

أتجعل نهبي ونهب العبيد[٤]
بين عيينه والأقرع؟

فعندما أنشده الرسول قال:

أتجعل نهبى ونهب العبيد
بين الأقرع وعيينه؟

فقال الناس: بين عيينه والأقرع، فأعادها النبى: بين الأقرع وعيينه، ولم يستقم الوزن[٥].

ويخيل لمن يستقرىء رأي الرسول ﴿ﷺ﴾ فى الشعر، أنه وقف منه موقفين مختلفين:

الموقف الاول: ينعي على الشعر ويذمه «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً، خير من ان يمتلىء شعراً» وقوله: «لما نشأت بغضت الي الأوثان، وبغض الي الشعر ولم اهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمنى الله منها، ثم لم اعد».

ثم يأتى القرآن الكريم مؤيداً هذا الموقف، ومزريا على الشعراء حيث يقول الله سبحانه: **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وانهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا﴾**[٦]، وكان يحث المسلمين على الاستعاضة عنه بحفظ القرآن.

الموقف الثاني: إنه كان فيما وراء عمل الشعر وتعاطيه وإقامة وزنه يحبب الشعر ويستنشده، ويثيب عليه ويمدحه، وهو القائل: «إن من الشعر لحكمة» وكان يأمر أن يقطع لسان الشاعر بالعطاء، ومن اقواله: «أصدق كلمة قالها لبيد: ألا كل شىء ما خلا الله باطل».

ووضعاً للحق فى نصابه نقول: إن ظاهر القول - وان كان يشعر بالاختلاف - فان الواقع ينفى هذا الاختلاف نفياً باتاً.

فالرسول جاء داعياً الى الوحدة، وجمع الكلمة والألفة، والأخوة والمساواة، فهو إذ يذم الشعر، لا يذمه على إطلاقه، وانما يذم نوعاً خاصا منه، وهو ذلك الشعر الذى يباعد بين الناس، ويمنع وحدتهم، ويفرق كلمتهم، ويذكي فيهم روح العصبية بكل شرورها ومفاسدها.

والقرآن الكريم، إذ يهاجم الشعراء، انما يهاجم الوثنيين منهم، وشعراء قريش حين تناولوا النبى بالهجاء، والشعراء الذين شغلهم الشعر عن الدين وفروضه.

اما الشعراء الذين اتبعوا هدى القرآن وآمنوا بالله ورسوله، وعملوا الصالحات، فانهم مستثنون من مضمون الآية الكريمة.

والرسول، إذ يمدح الشعر بقوله: «إن من الشعر لحكمة» إنما يشير الى الاشعار التى يغلب عليها التدين والدفاع عن الاسلام، والانتصار للحق، والاشادة بالفضائل، وهو إذ يشجع هذا اللون من الشعر، ويثيب عليه، إنما يشجع الشعراء على المضي فيه لاتفاقه وتعاليم الاسلام، ولولا مدح الرسول لذلك الضرب من الشعر لماتت الرواية بعد الاسلام، ولما وجد فى الرواة من يجعل وكده وقصده حمل الشعر وروايته وتفسيره واستخراج الشاهد والمثل منه ولفقدنا مصدراً من مصادر اللغة العربية.

وكأنه عليه الصلاة والسلام، حين سمع الشعر ومدحه، وأثاب عليه، ورخص فيه، لم يرد إلا هذا المعنى، والشاهد القاطع فى ذلك قوله في الجاهلية: «إن الله قد وضع عنا آثام الجاهلية في شعرها وروايتها»[٧] فمثل هذا القول استأنس العلماء به وتجردوا لروايته.

من ذلك كله، نرى ان لا تناقض مطلقاً فى موقف الرسول من الشعر، وانه إنما ذم منه ما يتعارض وروح الاسلام، ومدح منه ما يتفق وتعاليم الاسلام، ويعمل على نصرته.

ثانيا: موقف الشعراء من الشعر

عرفنا أن الاسلام جاء مجمعاً لكلمة المسلمين

وموحداً لهم تحت رايته وداعياً الى التوحيد ونبذ الوثنية الجـاهلية بكل أوضارها من عصبية قبلية، وعصبية عنصرية، وتفـاخـر بالآباء والأنساب، وتكاثر بالمال والاولاد، ومن ثم نرى بواعث الشعـر الجاهلي تفتر لدى من شرح الله صدورهم للاسـلام من شعـراء الجـاهلية، وزاد فى ذلـك الفتور اشتراك من اشترك منهم فى الحروب جهاداً فى سبيل نشر الدين الجديد، وإعلاء كلمة الحق.

لذلك، بهرتهم أساليب القرآن وبلاغته، وملكت عليهم ألبابهم، فآثروا القرآن على الشعر، وانصرفت قرائحهم الشعـرية الى الخـطابة، لحاجتهم اليها في استنهـاض الهمم لنصرة الاسلام، وتحريك النفوس والخواطر للجهاد، والخطابة شعر منثور.

ولكن ذلك، لا يعني أن جميع شعراء الجاهلية ممن دخلوا الاسلام، قد صمتوا، وانصرفوا عن الشعر، فالـواقع، أن جماعة منهم ظلوا يقولون الشعر نصرة للاسلام ودفاعاً عن الرسول الكريم.

وتفصيل ذلك، أنه عندما اشتدت الخصومة بين قريش وبين الرسول راح شعراء قريش، بإيعاز من زعمائهم وسادتهم، يهجون الرسول ويحاربونه باللسان كما تحاربه قريش بالسنان.

وقـد كان شعـراء قريش قلة قبـل الاسـلام، لانشغال قريش بأسباب الحضارة والتجارة، أو لأنه لم يكن بينهم ثائـرة ولم يحاربـوا على حد رأي محمد بن سلام الجمحي في كتابه طبقات الشعراء[٨].

ثم صار هؤلاء الشعـراء كثيرة بعـد الاسـلام، لدواعي النزاع والمعارضة، ومن هؤلاء الشعراء: عبد الله بن حذافـة، وضرار بن الخـطاب، وابـو غرة الجمحي، وهبـيرة بن ابى وهـب، ومسـافر بن ابى عمرو بن امية، وعبد الله بن الزبعري، وابو سفيان بن الحـارث، وعمـرو بن العـاص، وكـان الـثلاثة الأخيرون اشدهم حملة على الرسول وهجائه.

ولمـا أسرف هؤلاء الشعـراء وامثـالهم فى هجـاء الرسول قال للأنصار: «ما يمنع الذين نصروا النبى بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم»؟ وكأن هذه كانت إشـارة البـدء من الـرسـول فتلقفهـا شعـراء المدينة وانـطلقوا يدافعون عن الرسول بألسنتهم وينصرونه بشعرهم، وكان اشد شعراء المدينة إيجاعاً لقريش: حسان بن ثابت ـ كعب بن زهير وعبد الله بن رواحة.

■ وهكـذا نرى ان الشعـر يدخل المعركة فى عصر الـرسـول، فهنالك فى صفوف المشركين من قريش يقف شعـراء مكـة والـطائف، يثـيرهم قومهم، او يستثـيرون هم قومهم، ويحمسونهم ضد الرسول، وضـد رسالة الاسلام التى قام بتبليغها، وهناك فى صفـوف المسلمـين يقف شعـراء المـدينة، وبخاصة حسـان بن ثابت، وكعب بن زهـير، وعبد الله بن رواحة، يردون فى حماس وإيمان شديدين على هجمات المشركين من قريش، ويكيلون لهم الصاع صاعين، حتى أوجعـوهم من غير فحش ولا هجـر. وكـان الرسول ﴿ﷺ﴾ يرى لأشعار هؤلاء من انصاره تأثيرا قويا فى اعدائه، «هؤلاء النفر، يعني الشعراء، أشد على قريش من نضح النبل» أي رشاش السهام، ومن قولـه لكعب بن مالـك «والذي نفسي بيده، لكأنما تنضدحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر»[٩].

هذا وفد من بنى تميم المعادين للرسول، يقومون عليه، ومعهم من شعـرائهم: الأقـرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، ومن خطبائهم عطارد بن حاجب، ثم ينـادون الـرسول من وراء الحجرات: «يامحمد» اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك، فإن مدحنا زين وذمنا شين» فلا يملك الرسول إلا أن يرميهم بخطيبه ثابت بن قيس، وشاعره حسان بن ثابت، فيساجل ثابت عطارداً خطابـة ويسـاجـل حسـان الزبرقان شعرا، ويردان عليهما ردا بليغاً مفحما، دفع الأقرع بن حابس لأن يقول: «وأبى، إن هذا الرجل ـ يعنى النبى ـ لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من اصواتنا، ثم يسلم القوم جميعاً[١٠].

تلك صورة من صور المسـاجـلات التى كانت تدور بين أنصـار الـرسـول ﴿ﷺ﴾ من الشعـراء والخـطبـاء ونـظرائهم من أعـدائهم، ولا عجب أن ينتصر حسان فى هذه المساجلة، كما انتصر في غيرها

من المساجلات التى كان يلتحم فيها مع شعراء المشركين من قريش، فقد كان أعلى شعراء الرسول صوتا، وأهجاهم للمشركين.

يروى أن الرسول ﴿ﷺ﴾، حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء وقال لأصحابه: «ما يمنع الذين نصروا رسول الله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم» رد عليه حسان بن ثابت بقوله: «إنا لها» فقال النبى: «وكيف تهجوهم وأنا منهم» فقال: «أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين» فقال: اهجهم ومعك روح القدس»، فهجاهم فآلمهم وأسكتهم، ووقعت كلماته منهم موقع السهام فى غسق الظلام[11].

وكان الرسول ينصب له منبرا بالمسجد، ويسمع هجاءه فى اعدائه ويقول: «أجب عني، اللهم أيده بروح القدس»[12].

ثالثا: موضوعات الشعر ومعانيه

هل تأثر الشعر فى عصر الرسول بالاسلام؟ واذا كان قد تأثر، ففي أية ناحية؟، إجابة عن هذا السؤال نذكر مما مر أن شعراء هذا العصر كانوا فريقين:

الأول: فريق مشرك قد انحاز الى أعداء الاسلام، ووقف شعراؤه فى صفوفهم يتهجمون على الرسول ويهجونه، ويحمسون قومهم ضده، وينالون من دعوة الحق التى أرسل بها الى الناس بشيرا ونذيرا، واولئك هم شعراء مكة والطائف وغيرهم ممن اصروا على كفرهم، وشركهم وعنادهم.

والثاني: فريق مسلم دعاهم النبى لنصرته بألسنتهم حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء فاستجابوا لدعوته، ووقفوا في صفه يناضلون عنه بأشعارهم ويذودون عنه بألسنتهم، وأولئك هم شعراء المدينة.

واذا نظرنا فيما خلفه الفريق الأول من شعراء مكة والطائف فى عصر الرسول، رأينا أنه لا يخرج في موضوعه ومضمونه وروحه عما كان عليه الشعر الجاهلي، وليس ذلك بالأمر الشاذ، فقد كانوا لا يزالون جاهليين فى روحهم وعاداتهم وتقاليدهم وتفكيرهم، فلا عجب إذاً أن يكون شعرهم فى تلك الفترة امتداداً للشعر الجاهلي فى صورته وكل خصائصه.

■ هذا عبد الله بن الزبعري يقول فى يوم أحد وقبل إسلامه[13]:

ليت أشياخى ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حلت بقباء بركها
واستحر القتل فى عبد الأشل[14]
فقبلنا النصف من ساداتهم
وعدلنا ميل بدر. فاعتدل

● فالصورة هنا جاهلية يفتخر الشاعر فيها بما يفتخر به الشاعر الجاهلي عادة عند الانتصار في الوقائع التى كانت تنشب بين القبائل.

وهذا أبو سفيان بن الحارث يهجو حسان بن ثابت فيقول:

أبوك أبو سوء وخالك مثله
ولست بخير من أبيك وخالكا
وإن أحق الناس ألا تلومه
على اللؤم من ألفى أباه كذالكا

● فهنا نعت لحسان وأبيه وخاله بالسوء، ثم نعت له ولأبيه باللؤم، فهل هناك فارق بين هذه الصورة وأي صورة من صور الهجاء فى الشعر الجاهلي؟.

حقا، كان من بين هؤلاء الشعراء شاعر كثير العجائب ذكر فى شعره خلق السماوات والأرض فذكر الملائكة ويوم القيامة والحياة الأخرى ودين الحنيفية وبعض الأنبياء كإبراهيم واسماعيل، ووصف الجنة والنار وحرم الخمر وشكك في الأوثان، والتمس الدين وطمع فى النبوة.

ولهذا، عندما بُعثَ النبى حسده وقال «إنما كنت أرجو أن اكونه».

وقد دفعه حقده على النبى أن يحرض عليه قريشاً بعد وقعة بدر، ويرثى قتلاها، ولما مرض مرضه الاخير قال: «قد دنا أجلي، وهذه المرضة منيتى، وأنا أعلم أن الحنيفة حق، ولكن الشك يداخلني فى محمد، ثم قضى نحبه ولم يؤمن بالنبى.

هذا الشاعر هو أمية بن أبى الصلت شاعر ثقيف

واحد شعراء الطائف ومن شعره:

كل عيش وإن تطاول دهــرا
ينــتــهــى أمــره الى أن يزولا
ليــتــنــى كنــت قبــل ما قد بدالي
فى قنــان الجــبــال أرعى الــوعــولا
اجعــل الموت نصب عينيـك واحـذر
غولــة الــدهــر إن للدهــر غولا

■ فهـذا اللون من الشعر الذي يبدو فيه شيء من التأمل والنظر الفلسفى، ـ على قلته ـ يعزى الى شاعر واحـد من بين جملة الشعـراء الـذين ناصبـوا النبي العداء، ومن ثم، يظل الطابع الذى يغلب على شعر ذلك الفريق هو الطابع الجاهلى.

هذا اذا سلمنا بصحة ذلك الشعر المنسوب الى أمية بن ابى الصلت، ولما كان ذلك الشاعر قد ظل طوال حياته عدوا للنبى فلا يعقل بحال أنه تأثر فى تأملاته ونظرته السابقة بالاسلام.

لا يمكن أن يقـال، إن الشعـراء المشركين من خصــوم محمــد وأعـدائـه، قد تأثـروا فى شعـرهم بالاسـلام، ذلـك لأنهم لم يؤمنـوا بهذا الدين حتى يتأثروا بتعاليمه.

أمـا الفريق الثانى، وأعني بهم شعراء المدينة، كحسـان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، ممن قاموا يناضلون عن الرسول بألسنتهم، فإن هجاءهم لقريش وشعرائها من اعداء الاسلام، كان كذلك هجاء جاهليا في صورته ومحتواه من حيث انهم يجردونهم من المــكــارم ويفــخــرون عليهــم بالأنســاب، ويستـطيلون عليهم بالـوقـائـع والأيام والمآثر، ويسلبونهم خير ما يعتز به العربي من صفات، ويعـيرونهم بالمثـالب والهنـات، يدل على ذلك قول الـرسـول لحسـان بن ثابت حينما تهيأ لهجاء قريش «اذهب الى ابى بكر يعلمك تلك الهنات فهو أدرى بمثالب القوم».

وذلـك هو الهجـاء الـذي كانت تفهمـه قريش وتخشـاه، وتتألم منه، ولوأن شعراء الرسول عيرونهم مثـلا بعبـادة الاصنـام والأوثان، لما وجدوا في ذلك اللون من الهجاء شيئا يخزون به او يستحون منه، فقد كانوا فعلا يعبدون الاصنام والاوثان، ولا يرون في عبادتها عيبا أو حطا من قدرهم.

ما كان لشعراء الرسول اذاً أن يهجوهم بالكفر، لأنهم كانـوا يرون أن فى تمسكهم بدين آبائهم غاية الفخـر لهم، ومـا كان لهم أن يتـوعـدوهم بالنار فى الآخرة لأنهم لم يكونوا يؤمنون بالجنة والنار، ولا بحياة اخرى بعد الحياة الدنيا.

لكـل هذه الاعتبارات، كان طبيعيا ان يتحرك هجاء حسان بن ثابت وصحبه من شعراء المسلمين فى إطار الهجاء الجاهلي، وان يقوم على معانيه القديمة التى تنـال من نفـوس العـرب ما تنـاله السهام من الأجســام، والتى كانت ما تزال متمكنة من نفوس اولئك الشعراء رغم إسلامهم.

وتتمة لموضوع الهجاء يجدر بنا أن ننظر فى طبيعة هجاء القرآن للكفار والمنافقين من العرب لنرى على ضوء ذلك إن كان شعراء الاسلام قد تأثروا به.

فالقرآن فى هجائه لا يمس الأعراض، ولا يتعمد الجـرح والسبـاب، ولا يهدد بالاغارة والقتل وسفك الدماء، ولا يعير بالانساب والهزائم، إنما يسلك مع الكفـار والمنـافقين اسلوب الوعيد واسلوب المجابهة والمكاشفة بما هم عليه من صفات لا تليق بالانسان.

فالكفـار «لهم عذاب أليم، ولهم عذاب مهين، وهم اصحـاب الجحيم وسـوف نصليهم نارا وكلما نضجت جلودهم بدلنــاهم جلودا غيرهــا ليذوقـوا العــذاب، وعليهم لعنـة الله والملائكـة والنـاس أجمـعــين، «وبــاءوا بغـضــب من الـله»، «وهم الخاسرون»، وهم «صم بكم عمي لا يعقلون».

والمنــافقـون أشـد خطراً من الكـافـرين، فهم يظهـرون الايمان ويخفون الكفر. ﴿وإذا لقوا الذين آمنـوا قالوا آمنا، . واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم، إنـما نحن مستهـزئـون وهم لا يعلمون﴾، ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانـوا يكـذبـون﴾، وهم مراءون ومكابرون يفسدون فى الارض ويدعون الاصلاح، ﴿واذا قيل لهم: آمنوا كما آمن الناس قالوا: أنؤمن كما

آمن السفهاء؟؟ . . ألا إنهم هم السفهاء، ولكن لا يعلمون﴾ . . ﴿واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ .

ففي ذلك كله وعيد بما سيؤول اليه حال الكافرين والمنافقين، وهناك بعض صفاتهم واخلاقهم، ذلك اسلوب القرآن الكريم فى هجاء الكافرين والمنافقين من العرب، وليس فى هجاء شعراء الاسلام لأعداء الرسول ما يدل على أنهم تأثروا بهذا الاتجاه القرآني الجديد فى الهجاء او معانيه، وذلك دليل آخر على ان هجاءهم ظل مصطبغا بصبغة الجاهلية، وإن كنا نرى فى شعر عبد الله بن رواحة أنه كان يعير قريشاً بالكفر وينعتهم به .

ويقال ان شعر حسان وكعب كان أشد وقعاً على قريش قبل اسلامهم من شعر عبد الله بن رواحة، فلما أسلموا وفهموا الاسلام على حقيقته كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة .

ثم ننتقل الى المدح، ولمعرفة مدى تأثره بالاسلام فى عهد الرسول الكريم نستعرض هنا بعض نماذج منه توضح الامر، وتعين على الفصل فى هذه القضية .

هذا حسان بن ثابت يفاخر وفد بنى تميم بقوم رسول الله :

إن الذوائب[١٥] من فهر[١٦] واخوتهم
قد بينوا سننا للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا

لا يفخرون اذا نالوا عدوهم
وإن اصيبوا فلا خور ولا فزع

■ ومن قصيدة كعب بن زهير التى مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول

أنبئت أن رسول الله أوعدنى
والوعد عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذى اعطاك نافلة
القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم
أذنب وقد كثرت فى الاقاويل

ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

■ ويقول النابغة الجعدي فى مدح الرسول :

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

أقيم على التقوى وارضى بفعلها
وكنت من النار المخوفه احذرا[١٧]

■ ويقول عبد الله بن رواحة :

نجالد الناس عن عرض فتأسره
فينا النبى وفينا تنزل السور[١٨]

وقد علمتم بانا ليس يغلبنا
حى من الناس إن عزوا وإن كثروا

يا هاشم الخير ان الله فضلكم
على البرية فضلا ماله غير[١٩]

■ واذا تدبرنا معانى المدح فى النماذج السابقة وجدنا من هذه المعانى ما يتصل بمدح الرسول بطريق مباشر، ومنها ما يتصل به بطريق غير مباشر واعني بذلك مدح قومه. فالرسول الكريم خير من حملته ناقة على ظهرها، وهو أبيض يستبشر الناس بوجهه في استسقاء الغمام والغيث وهو ربيع اليتامى، ملجأ الأرامل .

والرسول سيف مسلول من سيوف الله، وخاتم النبوة، جاء بالهدى والقرآن، والقى الله عليه من نوره، واذا كان لابد من الدعاء له، فليكن ذلك الدعاء بأن ينصره الله ويثبته تثبيت موسى .

أما قومه فسادة من فهر شرعوا للناس ـ عن طريق الرسول طبعا ـ سننا يتبعها المؤمن، وهو أشجع الناس واسبقهم في كل شيء، وبهم يضرب المثل فى العفة والبعد عن الطمع .

فمعانى المدح التى ذكرنا بعضها هنا، توحي بأنها لم تتطور كثيراً فى عصر الرسول عما كانت عليه فى العصر الجاهلي، فهي المعانى نفسها التى كانوا يمدحون بها رؤساءهم وساداتهم، ومدحوا بها بعد الاسلام محمداً القرشي وقبيلته من قريش، لا محمد

الذى أتى بأكبر انقلاب دينى عرفه التاريخ .

واذا كان قد تأثـر بالاسلام فهو تأثر عرضى فى حال ضعيف قصاراه ان محمدا نبى الله وسيف من سيوفـه المسلولـة وخـاتم النبـوة، وانـه جاء بالهـدى والفرقان، اما الاشادة بتعاليم الاسلام ومثله العليا وقيمه الجديدة وفضائله التى سما بها على فضائل سائر الاديان فأمر لا أثر له فى هذا الشعر.

■ وخـلاصة القول ان الشعر ظل فى عهد الرسول جاهليا فى صورته وموضوعه ومضمونه، وانه لم يتطور عن نهجـه القـديم الا قليلا من حيث التـطرق الى بعض المعانى الدينية.

(يتبع . . العدد القادم)

الهوامــش والمراجع

(١) توفى الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ١١هـ.
(٢) كانت القاعدة فى النظم عند الجاهليين بيت شاعرهم وحكيمهم زهير وهو:

وإن الشعر بيت انت قائله . . . بيت يقال اذا انشدته صدقا

(٣) العمدة لابن رشيق ص١٦٥ .
(٤) عبيد كزبير: فرس العباس.
(٥) تاريخ الأدب العربى للرافعى ج٢ ص٣٢٤.
(٦) سورة الشعراء الآيات: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .
(٧) تاريخ ادب العرب للرافعى ج٢ ص٣٢٩.
(٨) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ص٥٣ .
(٩) الاغانى ـ ابو الفرج الاصفهانى ج١٥ ص٥٩ .
(١٠) تاريخ ادب العرب للرافعى ج١ ص٣٣٠ .
(١١) تاريخ الادب العربى للزيات ص١٤٩ .
(١٢) الوسيط للسكندري ص١٥٩ .
(١٣) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ص٦١ .
(١٤) قباء بضم القاف: عين قرب المدينة ـ والبرك بفتح الباء وسكون الراء: الصدر.
(١٥) الذوائب: السادة.
(١٦) فهر: قبيلة من قريش.
(١٧) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص٥٣ .
(١٨) نجالد الناس: نضربهم بالسيوف.
(١٩) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج٣ ص٢٥٨ .



بقلم:
عبد الله بن ناصر بن على العويد
ـ الاحساء ـ



فلسفة الشعراء حول التدخين

■ يعتبر «التدخين» ـ وما أدراكم ما التدخين! ـ عدوا لدوداً للانسان فى هذا العصر بالذات، على الرغم من أنه يظهر فى صورة صديق مسل منعش، لكنه خبيث خداع فى شتى الأحوال، مهما يكن.

و«الدخان» ـ أيها الاحباب ـ لم يزل عالة على شعوب الأرض، نعم إنه الداء الذى حير الأطباء والمفكرين، وألهى فريقاً من (الشعراء)، كما ألهت بنى تغلب قصيدة «عمرو بن كلثوم»، وفي هذا يقول أحد الشعراء القدامى:

ألهت بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

حيرهم وألهاهم لما رأوه يغزو العالم بسهولة، آه.. ما أكثر الكتب التى فضحت هذا المصيبة، أعنى (الدخان) لكن ما فائدة القراءة بلا قناعة، أو تأثر، أو تطبيق، لن أتكلم عن «التدخين» من ناحية تحريمه، ففي نصوص النقل ما فيه الكفاية، لكن أين من يفهم تلك النصوص البينة من أولئك الضالين، الذين يؤولونها على أهوائهم!.

أحبائى: ما رأيكم نتناول هذا الموضوع تناولا غير الذي تعودتموه، فننهج بذلك منهجاً آخر حتى لا تملوا؟ ما ضر لو عرجنا عليه من ناحية أدبية! لنرى فى ذلك «فلسفة الشعراء» القدامى منهم والمعاصرين، عبر قرائحهم وخلجاتهم فنحكم عليهم من خلالها، لنعرف بذلك أهم يا ترى محقون؟ فيحشرون مع ذلك الفريق النائف الناجي، المستثنى فى الآية الكريمة: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا﴾. أم هم ممن ذكروا فى الآية السابقة: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون..﴾[1].

■ ومن لطيف ما قيل عن «التدخين» قول شاعر قديم من الطويل:

شربت دخان التبغ لا عن مودة
لها، بل هو الممقوت عند أولى الحجا
ولكن عفريت الهموم بصدرنا
عصانا، فدخنا عليه ليخرجا

■ ففى البيت الأول شهادة نعتز بها.. بيد أنه شرع يتفلسف علينا في البيت الثاني، فادعى أن صدره يحتضن شيطاناً، فما كان منه إلا أن دخن عليه ليصرعه.. فيخرج، وهذا ـ لعمري ـ من كذب الشعراء وممن نوه عنه الأدباء والبلاغيون فى كتب البلاغة والنقد، وقالوا: «أعذب الشعر أكذبه»، ولو قرأ البيت عامي لما تردد فى القول: إن هذا الشاعر مسكون، بمعنى أن به (زيراناً).

وكلمة «عفريت» تذكرني بقصيدة لشاعر لنجة[2] ابن القنبري (من شعراء القرن الماضى) حين قال:

ماذا يضرك لو شربت دخانا؟!
وطردت أنت بشربه شيطانا
فكأن صوت القدو[٣] حين تمزه
صوت البلابل قد علت أغصانا.. الخ
■ هذا الشاعر خان نفسه، وخان موهبته، إنه لم يحترم الكلمة، ما أحسنه من تشبيه لو وضعه في محله! هذا الشاعر لم يسلم من المواجهة، عندما رد عليه أحد طلبة العلم بالأحساء.. ها هو الشيخ «عادل العبد القادر»[٤] يلجمه من نفس البحر والقافية شاديا:
عجباً لدنيا الجهل سمى شاعراً
ذاك الجهول يمجد الطغيانا
يدعو الى أم الخبائث معلناً
حرباً على من بالهدى أعلانا
ويقول وهو بقوله متفاخر
وكأنه أعطى الورى برهانا
ماذا يضرك لو شربت دخانا
وطردت أنت بشربه شيطانا
■ ومن اللطائف في هذا المضمار.. ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر الملا[٥] في ما يسمونها بـ «التعميرة» أو (الشيشة)، حيث حقرها وقلل من شأنها عندما شبهها بالتمثال الذى يتحلق حوله الجهلاء من العباد، وجعل من أنبوبتها الطويلة ثعباناً.. وكلاهما تشبيهان منفران لكنهما يليقان بمقام الدخان، إن كان له مقام، فلنستمع إليه وهو يقول:
وساحرة كتمثال نراها
تنافس عاشقوها في هواها
شوت أكبادهم بسعير نار
بها فتنوا وما ألفوا سواها
لها (لي) كثعبان تبدى
إذا ما التف منها والتواها... الخ
■ وهذا شاعر من أنصار التدخين، ومن كبار المحامين عنه يقول:
قالوا: تعاطي الدخان قبح
فقلت: لا مابه قباحه
ففيه صرف لشغل فكر
وفيه عون على الفصاحه
ولم يرد بالحرام نص
فالأصل في شأنه الإباحه
أرأيتم كيف جعل من نفسه في البيت الأخير «فقيها» فأفتى من حيث لا يعلم، الأمر الذى جعله لم يسلم من المعارضة، عندما رد عليه الشيخ «زكى بن سند المصرى» يرحمه الله بقوله:
قالوا: تعاطي الدخان حسن
فقلت: لا، كله قباحه
يسم جسماً يضر صدراً
كريه ريح، عديم راحه
أبعد ذا.. لم يكن حراماً؟!
أبعد ذا أصله الأباحه!..
■ وها هو أحدهم يصف «سيجارة» بين شفتيه، وبين أصبعيه أيضاً.. وكأنه يصف (غانية) والغريب في ذلك أنه يتودد لها وهى تحترق بين عينيه، راثياً حالتها قبل أن تودعه.. في قوله:
مهفهفة بيضاء كالثلج لونها
ولكن في أحشائها النار تلذع
أقبلها في اليوم مليون قبلة
فلا أستحي منها، ولا تتمنع
■ ووصف هذا المدخن لهذه الخبيثة (السيجارة) لا يمنعه من رميها على قارعة الطريق، أو في «الزبالة» أكرمكم الله. مما يدل على سذاجتها وحقارتها، وتناقض ناعتها.. ولكنه الجنون ذو الفنون.
ومن أغرب ما قيل في (التدخين) ما نقل عن «المناوي» وهو ممن أسرف في التغنى به إسرافاً جعله يحيد عن الحق والصواب، عندما رسم للأجيال من بعده لوحة إعلانية تسر الناظرين منهم، وتسحرهم، حتى إذا ما تعمقوا فيها لتذوقها وجدوها سراباً يحسبه الظمآن ماء، فلنستمع إليه حيث يقول في تائيته، التى ننتزع لكم منها ثمانية ابيات[٦]:
منافعها للناس أضحت كثيرة
فسبحان منشيها لنفع البرية!
يداوى بدخان لها كل علة
من المرة الصفرا، ومن داء علة

ومن بلغم في الحلق أيضاً وسعلة
ومن قرحة أعيت جميع الأطبة
ومن ضيق نفس يعترى المرء دائماً
ومن خفقات القلب أيضاً ورجفة
وتقطع باسوراً، وتروى من الظما
وتنفي بياض الوجه من لون صفرة
وتقتل دود البطن فى ذاك جربت
وتنفع من حمى الثلاث ونفحة
وتبري نزيف الدم والثقل فى الحشا
وتطرد للأرياح أيضاً ومغصة
وتحفظ أضراس الفتى من تسوس
وتصلح ريح الفم من نتن بخرة

■ ألا ترون معى أن الشاعر يملك موهبة عبر هذه الطبخة الحارة، المتمثلة فى هذه القصيدة المنظومة على بحر عميق من بحور الشعر العربى، لكنه أكثر فيها البهارات الهندية، والملح الفارسي، فأضحت معاني أبياته سمجة سخيفة.. أترفع عن ذكر بقيتها، لأنها لا تليق وهذا المقام، إذ الشاعر أسرف فى هذا المعشوق الوضيع إلى درجة الغلو والعياذ بالله.

بهذا تحولت هذه الخلجات إلى (عطسات) ما أحلى أن نبتعد عنها حتى لا تزكمنا! عجباً للمناوي.. كيف يتحدى الطب، بل يخدع الأجيال!.

وما قاله «المناوى» يناقض نونية لطيفة قرأتها قبل مدة للشاعر «غازى احمد بدوان»[٧] جاء فيها:

ارواحنا أغلى من التدخين
يا من جهلت مصائب النكتين
يا من تجاهلت النصائح معرضاً
عنها ستندم دون أى ظنون
يامن تناسيت المواعظ كلها
احذر من «السرطان» شر قرين
حافظ على رئتيك قبل فجيعة
فيها الشقاء ولوعة المحزون
واعرف لقلبك حقه من قبل أن
تحيا حياة البائس المسكين

عيناك غاليتان لا تؤذيها
بسحابة فتعيش مثل سجين
وجهازك الهضمى صن جدرانه
من قرحة تدنيك للسكين
وندى صوت صار بعد عذوبة
خشنا أجش كضجة الطاحون
وشهية فقدت فصار بفقدها
ورد الخدود كشاحب الليمون... الخ

■ قال ابن عويد: وكم أعجبنى أحد التائبين المقلعين عن (التدخين)، حيث لم يتردد قائلا (من مجزوء الكامل):

أبداً فلست براجع
عن هجرها طول المدى
من ذا الذى يهفو إلى
ثغر ثناياه الردى!
آليت لا أصغى لها
أبدا، وأتركها سدى
لو زحزحت جبل المقطم(م)
ما مددت لها يدا

■ وهذه نصيحة من لدن أحد الشعراء، فهي لعمرى نعم الهدية الباقية، التى يؤجر صاحبها بلا شك إذ يقول:

اتبع طريق الهدى وامشي على السنن
وخالف النفس، وازجرها عن المحن
إياك من بدع تأتيك فى عطب
لا سيما ما فشى فى الناس من تتن[٨]
مخدر الجسم، لانفع به أبداً
بل يورث الضر والأسقام فى البدن

■ وللأدب الشعبى موقف مع هذه القضية.. إذ لم يقف الشاعر النبطي (قديماً أو حديثاً) مكتوف اليد، بل شارك فى ذلك إلى جانب إخوانه «شعراء الفصيح» ولعلكم قرأتم الكثير من ذلك، وفي ديوان (من شعراء الغيون) بالأحساء.. وقفت على نونية رائعة للشاعر «عبد الرحمن بن عيسى الغريب»[٩] يخاطب فيها «قلمه» لترجمة ما تكنه خلجاته من بنات الأفكار تجاه (الدخان) الخبيث، منها قوله:

سر يا «قلم» واكتب من الـراى تعبير
منـظوم شعـر صاغـه الفكـر بالحـان
أسـبـاب ما هيض بنـات التفـاكـير
ذاك (الخبيث) الـلى ربـا بين الاحضان
ذاك الخبيث الـلى سرى فى المعـامـير
أعـنـى شراب الشر واسـميـه دخـان
يا شارب الـدخـان ما به معـاذيـر
فعـلك ترى اذا من تدابـير شيـطان
المـال ما يرضـى به الـديـن تبـذيـر
أيضا ولا يرضى على النفس تنهان. . الخ

الهوامـــش

(١) انظر أواخر سورة الشعراء.
(٢) (لنجـة) بكسر اللام، وسكون الفوقية، وفتح التحتية الموحدة: جزيرة قابعـة فى مياه الخليج العربى. قريبة من دبى، إلا أنها تابعة لايران فيما بعد، تحتضن الكثير من العلماء والأدباء والشعراء وبالذات فى القـديم، اشتهـرت بتجـارهـا المهـرة، حكمها القواسم، وبعض الابطال العرب من بنى خالد.
(٣) القـدو: بكسر المثنـاه، وبـالضم: آلة صغيرة شبيهة بما يسمونها (التعمـيرة)، أو (الحجـر) يستخدمها الرجال والنساء على السواء.. وبالذات عند العجم.
(٤) الشيخ عادل بن عبد الله العبد القادر، من قطنة حي الكوت - بضـم الكـاف وسكـون الـواو - بالهفـوف (حى علماء وأدبـاء وشعراء الاحسـاء قديمـاً) يعمل مدرساً فى الكلية المتوسطة بالاحساء.
(٥) شاعـر معاصر، وهو من أكبر الشعراء الأحسائيين سناً، هو مع الشيخ عبـد الرحمن بن على آل الشيخ مبارك، والشيخ العلامة «ابن عمير» رئيس محاكم القطيف سابقاً.
(٦) الأبيات وردت فى كتاب (حاشية العلامة محمد الطالب على شرح العلامة محمد الفاسى على منظومة الفقيه عبد الواحد بن عاشر) فى الفقه المالكي - الجزء الاول.
(٧) الشاعر «غازى بدوان» مدرس لغة عربية بمدرسة الدوحة الثانوية - بقطر والقصيدة بحوزتي، تسلمتها من أستاذ الجيل، المربى الفاضل احمد بن عبد الله آل بودي (المدرس بمدرسة ابن خلدون بقلعة الهفوف).
(٨) التتن: بضم التاء الاولى والثانية هو الدخان، أو التبغ، هكذا ينطقه بعض العوام.
(٩) الشـاعـر عبـد الـرحمن الغريب يقول الشعر الشعبى الى جانب الفصيح يعمل معلمـاً فى مدرسة من مدارس العيون بالاحساء.

التدخين ضعف ..

في حوار مـ
الشاعر السوري ممـ

- القصيدة الحديثة تحتضر !!
- الشاعر فى زماننا هذا عليه !!
- المثقف العربى اصبح محاصر

●● ما مقومات القصيدة الحديثة فى رأي الشاعر ممدوح؟

- القصيدة تعامل خاص مع اللغة. . هذا التعامل تحكمـه عقلية اما أن تكون تقليدية، واما أن تكون عقلية حديثـة. وهذا التعامل هو الذى يقرر حداثة القصيدة بمعـزل عن شكلهـا، لأن الحداثة طريقة التناول والمعالجة وليست الشكل فقط.

ولكن التعـامـل الحـديث يفرض - فى كثير من الأحيان صيغـة حديثـة من خلال تنـوع الايقـاع والامتـداد النفسى للتجـربـة والغزارة الثقافية التى يتمتع بها الشاعر. . وللقصيدة مكون واحد فقط هو الشعر.

●● ما هى مهمة الشاعر فى الحياة؟

- للشـاعـر مهمـة واحـدة وهى الدفاع عن انسانية الانسـان فى هذا العـالم، اذ أن الـظروف المحيطة بالانسان المعاصر تفرغه من همومه وأحلامه وتطلعاته وتحوله تدريجيا الى حيوان، بينما الانسان - فى الأصل - يحلم فى الارتقاء بنفسه.

ان قسوة هذا الواقع جعلت الانسان ينسى حلمه ويتخلى تدريجيا عن انسانيته، ومهمته ليست فقط فى أن يمنـع تحويل الانسـان الى حيوان، بل مساعدة الانسان فى الحفاظ على انسانيته وتذكيره بحلمه الأول وطموحه المبدئى.

ولكى يحقق الشاعر هذه المهمة فانه يتعامل مع

ـريـــح
ـدوح عدوان

ـع النفسى للتجربة.
عن انسانية الانسان.
، جهاته الاربع.

■ الشاعر السورى ممدوح عدوان.. يكتب القصيدة الحديثة.. فهى تتصدر اهتماماته الشعرية، صدر له اكثر من عشرة دواوين حتى الان.. ولكن المسرح الشعرى عنده يكاد يطبعه بخصوصية وتميز بارز فى هذا المجال بالذات.

وهو الى جانب ذلك يعمل بقسم الدراما بالتليفزيون السورى ولديه شغف بالكتابة السياسية التى تتناول وضع الانسان العربى خلال تلك الحقبة من التاريخ العربى المعاصر.. وهو متزوج وله ولدان.

التقيت به أثنــاء زيارته للقاهرة للمشاركة فى أعمال المؤتمر الدولى الاول حول مستقبل الثقافة العربية فى عالم متغير الذى نظمته وزارة الثقافة المصرية وهيئة الكتاب بمناسبة مرور عامين على الغزو العراقى للكويت وذلك فى الفترة من ٢ـ٥ أغسطس/ آب ١٩٩٢م.

وجدان الناس وعقولهم فى آن واحد . . يثير اعتزازهم بكبريائهم وبكرامتهم مما يجعله مضطرا لفضح أعداء الانسانية من حكام مستبدين وتجار جشعين واستعماريين ناهبين لخيرات البشر، باختصار أقول لك ان الشاعر يعمق وعى الناس بظروفهم ويقوى حساسيتهم تجاه ما يحيط بهم .

●● ما الفرق بين رؤيتك للمرأة ورؤية نزار قبانى لها؟

ـ تمثل المرأة لى فى شعرى ما تمثله لى فى حياتى . . هى حاجتى النفسية والوجدانية . . هى وسيلتى لتحقيق التوازن مع نفسى ومع العالم . . وأنا أحب المرأة بصفتها امرأة صديقة حبيبة . . أمّا، وليس بصفتها رمزا على الاطلاق! وهذا ما تمثله المرأة بالنسبة لى .

أما نزار قبانى فلم يفهم المرأة قبل ولا بعد!! وهو يكرر نفسه منذ عشرين عاما، ويكتب قصيدة واحدة فى مائتى نسخة سواء أكانت القصيدة سياسية أم غزلية . ان أخطر ما يتهدد «الشاعر» هو الا يستطيع مفاجأة قارئه بشىء جديد! .

. والقراء العرب منذ عشرين عاما يتلقون قصائد نزار قبانى التى يعرفون مسبقا ماذا تقول!! وهذا الكلام القاسى لا ينكر أن نزار قبانى واحد من أبرز الشعراء المؤثرين فى الحياة الثقافية والشعرية المعاصرة على الساحة العربية، وأنه قد ساهم فى تكوين ذوق شعرى لدى أجيال عديدة متتالية، كما أن له



حوار السيد المخزنجي ـ مصر ـ

خصوصيته المستقلة وملامحه الخاصة وتجربته الفريدة .
ولكن هذا كله ينتهى به فى أوائل السبعينيات .

●● هل استطاعت القصيدة المعاصرة التعبير عن الواقع العربى المأساوى المعاصر مثلما حدث ذلك فى عام ١٩٦٧م؟ .

■ القصيدة الشعرية الحديثة يكتبها شاعر عربى حديث، فمن الطبيعى أنها عبرت عن هموم العرب ـ أو قل جسدت الهم العربى تجسيدا حيا ومشهودا، بدليل أن تلك الحصيلة التى بين أيدينا من الشعر تبين أن الشعراء العرب كانوا مهتمين باخلاص بالقضايا العربية أكثر من اهتمام السياسيين

والعسكريين والاقتصاديين والمتاجرين بهذه القضايا.

في ٦٧ حدثت صدمة للوعى جعلت الناس ينفجرون بأحلامهم وقد تم التعبير عن هذه الفجيعة شعرا. . ولكن تتابع الأحداث منذ ذلك الحين لم يكن يحمل الا معنى واحدا هو المزيد من تعريض العجز العربى الذى تبدى جليا فى ٦٧.

وأعتقد أن الشعر الجيد الآن يعبر عن أزمة الانسان العربى وواقعه المأساوى بدقة اكبر وأكثر عمقا ولكنه لا يتناولها مباشرة من خلال الأحداث.

●● أتساء ل ـ بقلق ـ حول مستقبل الثقافة العربية والمثقف العربى ازاء ما يسمى بالعالم المتغير أو (النظام العالمى الجديد)؟.

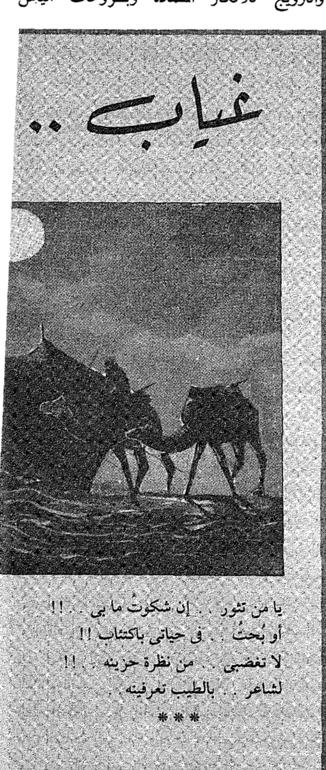
■ أقول لك بصراحة شديدة ان مستقبل الثقافة العربية ـ بل الأمة العربية ـ مهدد بالانقراض، ومستقبل الانسان العربى مهدد بفقدان «الهوية» أيضا، الا أن أول ما يجب أن نفعله ـ فى رأيى ـ هو أن نفصل عمل المثقف العربى عن عمل السياسى، حتى حين يكون هدفهما واحداً.

أعنى أن على المثقف أن يسبح ضد تيار السياسة فى الوقت الذى يكون فيه مثقلا بأعباء وأهداف وهموم سياسية، لقد روج العمل السياسى لمفاهيم عديدة أتقن الإعلام تسويقها حتى صارت تبدو من مستلزمات العصر، وصار ترديدها ايهاما بالتعامل مع العصر ـ لغته وطبيعته ـ كما صار الوقوف ضدها يبدو تحجرا وتخلفا وعجزا عن اللحاق.

واننى أرى أن أخطر هذه المفاهيم الرائجة هو القول بـ «سقوط الأيديولوجيا» هذا التعبير الرائج ـ حاليا ـ يبدو لى فارغا، لأن هناك أيديولوجية دينية وأيديولوجية رأسمالية وأيديولوجية استعمارية . . بل ان مروجى مفهوم سقوط الأيديولوجيا ينطلقون من فكرة واضحة تهدف الى تفريغ الانسان من هدفه وأيديولوجيته وتحويله ـ من ثم ـ الى «زبون» يتردد يحسب ما فى جيبه لكى يتمكن من التحرك فى هذه السوق الوحشية المسماة بـ «النظام العالمى الجديد»!!.

●● ما دور المثقف العربى اذن فى ضوء الوضع الحالي؟

■ أمام هذه الصورة الكالحة، ربما، تبدو امكانية فعل ـ أى تأثير ـ للمثقف ضئيلة فوسائل نشر الثقافة ذاتها تخضع للحصار والقمع والتشويش والاحتكار، وقابلية الناس للتلقى محاصرة بالثقافة الاستهلاكية والترويج للأفكار المضادة وبطروحات اليأس



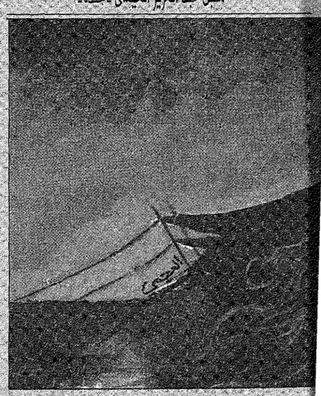
السياسي!.

ومع ذلك فالمثقف العربي باستطاعته أن يسبح ضد التيار حتى لو بدت محاولته «دون كيشوتيه» وعليه التشبث بكرامة الانسان وبضرورة الكفاح من أجل تحقيق الأهداف التي تهيء له حياة كريمة بالمعنى الكامل للكلمة حتى لو بدأ تشبثه عنادا غير مفهوم.

فالعالم الجديد لا يعني - ويجب الا يعني - أن نتغير نحن حتى نتلاءم معه، ولا يعني أن نتجمل حتى نتلاءم مع مقاييس الجمال المفروضة علينا من غيرنا، ان مشروعية «العالم الجديد» لا تأتي من سكوت الجائعين عن جوعهم والخائفين عن خوفهم والمسروقين عن سرقتهم، والمضطهدين عن اضطهادهم، ولكن مشروعية هذا النظام تستمد من قدرته على الاستماع فعليا لشكاوى هؤلاء. فالجائع يجب الا يسكت عن جوعه مهما كان اسم العالم الذي يعيش فيه.

وعتاب..

مقبل عبد العزيز العيسى - جدة -



لا تأسفي .. إن كنت تلهمينه ..
بأحرف للمدح .. توجت جبينه !!
لا تندمي إن بحتُ .. بالهوى اليه ..
فالحب .. غال كالنجوم في يديه .. !!
وأي شيء أغلى .. من عواطف جميله .. ؟؟

فالعيب منك .. أن تكوني ..
في الهوى دليله .. !!
أو أن تحيدي .. عن مشاعر نبيله !!

* * *

فليت .. كل أنثى تدمن الهوى ..
وتكتوي .. بناره .. !!
تمشين .. في تياره ..
تحترقين .. كالفراش .. في أنواره!!

* * *

فكيف تسخرين بي .. ؟؟ وأن تقولي ..
لقد ندمت من حماقتي .. ومن فضولي
اذ بحتُ بالهوى لفاقد الاحساس .. والميول؟؟

* * *

أو .. يا سمية الهلال .. !!
يا عذبة الاشواق .. والخصال .. !!
لقد أحببت منك .. في اللقاء ..
تورد الخدود .. من حياء .. !!
وعزة للنفس .. خلتها بريئة .. الرياء .. !!
تعتز .. بالجذور من ابائي !!

* * *

فيا سطورا .. توجت جبيني ..
باحرف الاطراء .. والحنين
أفديك .. !! كيف تكفرين بي .. ؟؟
وأجمل الحروف .. من يميني .. ؟؟



د. محمد رجب البيومى - عميد كلية اللغة العربية - الأزهر - المنصورة

كنت طالبا بالسنة الرابعة من القسم الابتدائى بمعهد دمياط الدينى، فوقعت فى يدى مجلة الثقافة التى تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر، وبها إعلان عن مسابقة أدبية فى القصة الطويلة تبرعت بمكافأتها السيدة قوت القلوب الدمرداشية، ولم أكن أقدر قيمة أدبى الهش، فصممت أن أشترك فى المسابقة، وكتبت ما يقرب من ستين ورقة تدور حول (فتح مصر) متأثرا بقصة طالعتها لجورجى زيدان فى هذا الموضوع هى قصة أرمانوسة المصرية، وبمقال كتبه الأديب الكبير الاستاذ مصطفى صادق الرافعى تحت عنوان «اليمامتان» وحين ظهرت نتيجة المسابقة كان الفائز بها على أحمد باكثير إذ تقدم بقصة رائعة تحت عنوان «سلامة القس» ثم أخذت مجلة الثقافة تنشر قصة سلامة على حلقات متوالية كشأنها فى قصص الاستاذ محمد فريد أبو حديد، فأكببت على قراءة الحلقات، لأعرف قيمة نفسى، فتأكدت أنى كنت غرا حين قذفت بقلمى فى سباق بعيد الشوط لا يجلى فيه غير الأفذاذ، إذ كانت قصة سلامة من روائع الأدب المعاصر، فكرة وتحليلا وتعبيرا وتصويرا، وما ظنك برواية تدور حول العفاف الطاهر يتصدى لحب مضطرم كاللهب، هائج كالبركان، فيمده بزاد من الصبر والثقة ورجاء المثوبة، ورغبة الوصل فى دار البقاء لا فى دار الفناء، وبطلها ناسك عابد اشتهر بالفقه والدين وبطلتها مغنية رائعة الجمال نقلها حب صاحبها إلى دنيا من التصوف والعفاف! أثرت هذه القصة فى نفس التلميذ الناشىء، فجعل يترقب كل ما يصدر عن يراع على أحمد باكثير بشوق زائد، وصبر نافد، ومن حسن الحظ أنه كان كاتبا إسلاميا ملتزما فساعد فى توجيه نشأتى الأدبية مساعدة ألمسها فى ما أفضل وأوثر من التيارات الفكرية المعاصرة، وقد اختمرت فى نفسى فكرة لقائه والاغتراف من منهله عن عيان مشافه، الا اكتفاء بالورق المطبوع فحسب، ولكن متى؟.

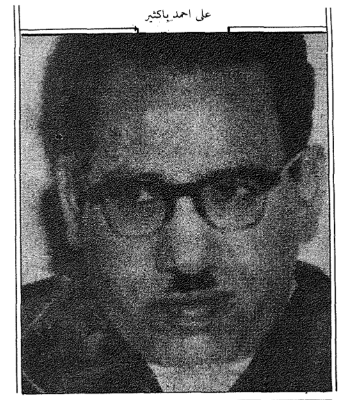
قصيدة نادرة

وبعد سنوات قاربت الخمس، لقينى أخى الاستاذ احمد الشرباصى، وكان يعرف إعجابى بعلى أحمد باكثير، فأخبرنى أن حفلة تأبينية كبرى أقيمت لشهيد عربى شنق ظلما واضطهادا ألقى فيها الاستاذ على احمد باكثير بقصيدة كانت حديث المجتمعين كلهم، لأن الشاعر قد انتحى منحى مفاجئا، إذ جاء بالقصيدة على لسان البطل الشهيد، وقد افتتحها بهذا البيت:

فيم احتشادكمو هذا لتأبينى
أنتم أحق بتأبين الورى دونى

ثم مضى يلوم الخاملين الخانعين، الذين يحنون رءوسهم للطغيان فى براعة فائقة، وحين انتهى من الحفل خاف المستمعون أن تعوق الرقابة نشر القصيدة فأقبلوا ينسخونها، وقد قام من يملى على الجمع، وكل يحاول أن يلتقط ما يند إلى سمعه، ثم جلس الناسخون لمقابلة الأبيات، فكان ذلك مشهدا من مشاهد الشعر فى عصور بنى العباس قبل أن تأتى المطبعة، إذ يلقى شاعر كأبى تمام قصيدته فيتسابق السامعون إلى تدوينها مشافهة، سألت فى لهفة، وهل لديك نسخة منها، قال، ليست عندى الآن، ولكن أخذها من يمر بها على المتأدبين من هواة الشعر

علي احمد باكثير





طـه حسـين



احمد امين

الحماسي، فقلت لقد أقلقتني، فكيف أصبر على ما انا فيه.. قال، أنت تمر بالمنصورة فى طريقك إلى قريتك، والاستاذ على أحمد باكثير مدرس للغة الانجليزية بمدرسة الرشاد الثانوية، فاذهب إليه، وهو إنسان نبيل متواضع، وإذا لم يكن معه نسخة فسيمليها عليك من محفوظه، فانتهزت أول فرصة للسفر، ونزلت المنصورة مبكرا، فتوجهت إلى مدرسة الرشاد، وسألت عن الشاعر المطبوع، ولم يكن بالمجهول إذ قال من سألته، إنها مدرسة باكثير وليست مدرسة الرشاد، كل يوم يأتى الأدباء ليسألوا عنه مشوقين، وقد أدرك الشاعر حيائى من انقطاع كلماتى، فشجعنى بترحيب كبير، أزال عقدة لسانى، فأخذت أتحدث إليه عن إعجابى به منذ خرجت قصة سلامة إلى الوجود كما عرف تتبعى لآثاره الفنية تتبعا متصلا، فأشرق وجهه بابتسامة ارتياح، ثم تحدثنا عن القصيدة التى سعيت فى طلبها، فقال إنها قيلت فى الشهيد العراقى البطل (صلاح الدين الصباغ) وقد وقف فى وجه الانجليز بطلا من أبطال ثورة رشيد عالى الكيلانى، ثم فر بعد إخفاق الثورة، ولجأ الى تركيا، ولسوء حظه وقع فى يد من قبض عليه لينفذ فيه حكم الاعدام علنا ببغداد، فهاج الرأى العربى العام فى كل مكان وتأججت مشاعرى فقلت هذه القصيدة مبتدئا بقولى على لسان الشهيد:

فيم احتشادكمو هذا لتأبينى
أنتم أحق بتأبين الورى دونى
انى نزلت بدار الخلد فى رغد
بين الخمائل فيها والرياحين
فى جنة ما بها خوف ولا حزن
لولا رثاء لحال العرب يشجينى
لا تندبونى فإنى لم أمت ضرعا
فإن علمتم علي الذل فابكونى
وان تريدوا لوجه الحق تكرمتى
فابغوا الشهادة للدنيا وللدين
فابن الوليد على اليرموك يرقبكم
وليث أيوب يرعاكم بحطين

■ وقد نزلت القصيدة من نفسى منزلا كبيرا حين سمعتها من الشاعر، وكان لديه عدة نسخ منها، فأعطانى نسخة عليها الاهداء الكريم، ولم ألبث أن قلت له، لقد فاجأت المستمعين بمذهب جديد فى التأبين حين جعلت الحديث على لسان البطل الشهيد إذ أعدته ناطقا شاخصا، وكأنه هو الذى نظم القصيدة لا أنت، فابتسم باكثير، وقال لى: لى تجربة سابقة فى هذا المنحى، فقد احتفلت كلية الآداب بالجامعة المصرية بذكرى المتنبى الألفية حين كنت طالبا فيها، وأقيم موسم للبحث الأدبى حاضر فيه كبار الاساتذة كطه حسين وأحمد أمين وعبد الحميد العبادى وعبد الوهاب عزام وأحمد الشامي، ورأينا نحن الطلاب أن نقيم احتفالا شعريا يحضره الأساتذة ليسمعوا صوت الطلاب شعراء بعد أن سمعهم الطلاب باحثين، وكنت مشتهرا بنظم الشعر أنشره على صفحات مجلتى الرسالة والفتح، فيلاقى

قبول القراء، فدعيت لاعداد قصيدة مناسبة، وقلت في نفسي لابد أن تأتي بلون جديد يكون محلا للانتباه، فهداني تفكيري إلى أن أنظم قصيدة على لسان المتنبي، يتحدث فيها عن نفسه ثم يشكر القائمين بالاحتفال بذكراه، فوفقني الله إلى أحسن ما يمكن أن أقول، وبدأت بقولي على لسان المتنبي:

من الملأ العلوي من عالم الخلد
أهل عليكم بالتحيات والحمد
تقحمت حجب الغيب حتى أتيتكم
لأجزيكم عن بعض إحسانكم عندي
كأن الفضاء اللا نهائي سائر
على كرة لا حد فيها سوى حدي
أجل، ألف عام حال بيني وبينكم
فلولا سبقتم أو تأخر بي عهدي
ألا فتزحزح يا زمان فإنني
أقول فلا تقوى الجبال على صدى
أنا الخالد الساري بأعصاب شعبه
وما شعبه بالنزر أو ضرع الخد

■ وما أنشدت القصيدة حتى تجلت نعمة الله علي فيما لاقيت من تشجيع وتعضيد، وقد نشرت القصيدة بالأهرام وبالرسالة وكان ارتياح السامعين لها دافعي إلى أن أنهج نهجها في قصيدة التأبين، والحق أني سعدت بلقاء الاستاذ، وقد تكرم فأهداني بعض قصصه، وكتب الاهداء منوها بزيارتي، وخرجت سعيدا مغتبطا.

(استعارة من المكتبة)

كنت أراسل الاستاذ في المناسبات العامة، فيرد علي، ثم جاءني خطاب منه بعد انتقاله من المنصورة، وكنت مدرسا بها، يقول إن مدرسة الرشاد تطالبه بأربعة كتب ضاعت منه، ويريد مني أن أذهب إلى السيد ناظر المدرسة مستفسرا عن ثمن الكتب ليقوم بدفعه ثم ينتهي الالحاح في المراسلة، وقد سارعت إلى لقاء السيد أمين المكتبة، إذ هو القائم المباشر فحدثته عن خطاب الاستاذ، فقام الى السجل، وذكر أن الكتب هي جزءان من حضارة الاسلام لآدم متز، والكشكول للعاملي، والموشى لأبي الطيب الوشاء، وقصة انجليزية، فقلت له إن كتاب الحضارة بجزءيه لدي، وسأحضره من مكتبتي، أما الكتب الثلاثة فماذا تصنع بها؟ وكان الأمين على معرفة تامة بالأستاذ، فقال إني اضطررت إلى مراسلته تنفيذا لطبيعة العمل، كيلا أسأل من فاحص يفتش علي، ويمكنني أن أسقط كتابين هذا العام من المستهلك، قلت: من يسقط اثنين يسقط ثلاثة، فسكت قليلا ثم استجاب، وذهبت فأحضرت كتاب الحضارة، وأعلمت الاستاذ بما كان، فكتب يشكرني، وأرسل الي نسخة من كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي في ثلاثة أجزاء، وقال إنها عوض عن كتاب الحضارة وقد بحث عنه في القاهرة ليشتريه فلم يجده، وعلمت أنه أتحف أمين المكتبة بعدة روايات أدبية، فتقبلها شاكرا. . وقد انتقلت من المنصورة دون أن يعلم الأستاذ فكان يرسل بعض رواياته الجديدة الي، ولا تحول على عنواني إذ يتهالك عليها الزملاء حين تنتهي إلى حجرة المدرسين، علمت ذلك بعد سنوات، فكتبت للأستاذ على أخبره بأن القصور الشائن الذي وقعت فيه، حين لم أبادر بشكره على هداياه المتواصلة لا ذنب لي فيه، فقد انتقلت الى الصعيد، ولم أسعد بتسلم ما تفضل به من قصص فكان رد الأستاذ: لقد توقعت ذلك إحساساً لا يكذب فاطمئن.

(زيارة مفاجئة)

رجعت إلى التدريس بالمنصورة ثانية، وأعلمت الأستاذ بعنواني الجديد، فتلقيت منه ذات يوم خطابا يخبرني فيه بأنه سيزور المنصورة، صباح الجمعة القادم، وقد اختار يوم الجمعة بالذات لانه يتيح لي أن أصحبه في رحلة سأعرفها حين أقابله صباحاً بمقهى الكافورة، وحين أزف الموعد قابلت الأستاذ فرحا، فقال لي إن المجلس الأعلى للفنون والآداب قد عقد مسابقة أدبية عن انتصار المنصورة في معركة لويس التاسع، وهي معركة ذات إيحاء قوي، فصمم على أن يشترك في المسابقة بقصة يجعل عنوانها: «دار ابن لقمان» وهي الدار التي أسر بها ملك فرنسا، وظلت الى الآن ناهضة تلقى حديث الانتصار على الاجيال،

وقد بدا له أن يصحبنى إلى أماكن بالدقهلية كانت مجال الصراع الحربى، ليرى من المشاهد ما يوحى له بانطباعات قوية تلهمه وتهديه، وذكر من هذه الاماكن جديلة، وقرية أشموم، والبحر الصغير الذى هيأ المخاضة للعبور، فقلت له إن جديلة قرية ونبدأ بها، فقال هيا، فقد كانت باب النصر حين وقف الظاهر بيبرس بجنوده ليسحق القادمين فى حركة مفاجئة، وركبنا السيارة إلى بلدة أشمون، وشاهدنا البحر الصغير الذى كان نقطة هامة فى مسار الموقعة فى بدء أمرها، وكان مع باكثير كتاب إفرنجى عن حملة لويس جعل يتصفحه ذاكرا ما دون به من الأماكن والأسماء، فقلت له وأين المراجع العربية؟.

قال: لقد قتلتها بحثا، وأردت أن أتسلى بهذا الكتاب فى الطريق، ثم أخذ يتحدث عن خلاصة وافية لما كان، فقلت له: لقد سبق أن تحدثت عن الحروب الصليبية حين كتبت (سيرة شجاع) فقال لى، وما رأيك فيها!! قلت: لا أدرى ربما أكون مخطئا إذا قلت إن جانب التاريخ قد طغى فى كثير من صفحاتها على جانب الفن، فرد فى ابتسام: هذا والله شعورى، وقد كنت أكتبها وفى أعماقى أن أسطر التاريخ الحقيقى لأحيي النخوة النائمة فى نفوس مريضة حين أذكرها بتضحية شجاع بن شاور حين وقف أمام أبيه، وفضل آصرة الاسلام والعروبة على آصرة الدم، وكان من حقه أن ينال الجزاء الحميد، ولكنه اغتيل ظلما لذنب لم يرتكبه، وقد تركت مأساته فى صدرى جراحا لا تندمل، ففرجت عن كربتى بتخليد ذكره، فكتبت قصة موجزة عنه ونشرتها فى مجموعة روائية ثم احسست أنى لم أفعل شيئا، فكتبت (سيرة شجاع) فى هذا النطاق المتسع، لأرعى حق مشاعرى الخاصة قبل أن أرعى حق الشهيد النبيل.

قلت إن القصة جديرة بالتمثيل! قال: دعنى فأنا أكابد من مخرجى الأفلام فوق الطاقة، فهم يريدون أن تكون المرأة فى الرواية سيدة المواقف جميعها، وأن تحشر لقطات الغرام فى كل مشهد، وإن كانت الرواية حربية تمثل الشجاعة فى مضمار الفداء والتضحية فليس من المهم لديهم أن تبرز هذه المعانى، لكن المهم أن تكون الممثلة فاتنة ذات إغراء، فماذا نصنع؟.

ثم سألنى: أشاهدت قصة سلامة التى مثلتها أم كلثوم؟، لقد ظلمها المخرج ظلما فادحا، حين جعلها تظهر فى مرأى شائن يعبث بالتاريخ، فيغير الزمان والمكان، وينطق الشاعرة الفصيحة بأزجال رخيصة، تثير الغرائز الهابطة، وما كانت هكذا سلامة، وأنا أعلم أن أم كلثوم تتذوق الأدب العربى، وتغنى قصائد رائعة لأبى فراس وأحمد شوقى وابن النبيه المصرى، فكيف تقبل أن تجارى هذا الانحدار، ثم إن مكان القصة هو الحجاز وله عبق خاص فى التاريخ أدبيا وفنيا، فكيف يكون المسرح فى العراق، وهو فى عهد سلامة مركز القلاقل الحربية والثورات السياسية وكيف يجرؤ مخرج يفهم حقيقة الفن أن يلقن سلامة (سلام الله على الأغنام) (الحب حلو ولا حراق) غنى لى شوى، غنى لى شوى... وهى عربية فصيحة نشأت فى عصر الأمويين؟.

قلت: لم تذكر أن القصة مسروقة منك يا سيدى فى أهلها وقد اغتصبت غصبا؟

فقال باكثير، ليست هذه أول مرة تغتصب أم كلثوم بإيحاء أحمد رامى عمل الآخرين، قصة دنانير كتبها الاستاذ ابراهيم جلال، وأعطاها لأم كلثوم لتنظر فى صلاحيتها للتمثيل، وفوجىء المؤلف بأن رامى قد مسح القصة وكتبها باسمه، فاحتج فى الصحف، ولا من سميع!.

كان حديث باكثير شائقا معجبا طول الرحلة، وليتنى دونته فى حينه، إذ لم يبق فيه فى خاطرى غير قطرات من وابل دفاق!

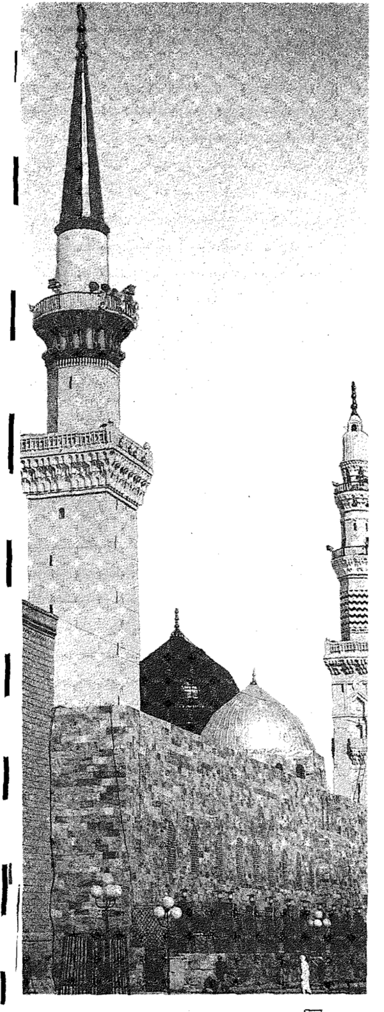
لم تطرد مقابلاتى كثيرا مع الأديب الكبير، وان كنت أتابعه قارئا مستفيدا، وقد علمت أن أعداء العروبة والاسلام من الماركسيين قد أرهقوه، وحاربوا اتجاهه الملتزم، وضيقوا عليه حتى حدثته نفسه بالرحلة ثانية الى حضرموت فرارا من هذا الاضطهاد الأثيم، ولكن الرحلة لم تكن الى حضرموت، بل كانت إلى جنة الخلد، وما عند الله أشهى وأطيب.

المدينة الخضراء

شعر: ماجد ابراهيم العامري

المدينة المنورة

هب النسيم ورفت الانداء
وتضوعت بأريجها الارجاء
وتأودت اعطاف.. عاطرة الربا
وتعانقت اغصانها الزهراء
وتنكرت للشمس.. أن تطأ الثرى
ستعود تفرض ظلها الأفياء
لا بأس أن يرد الخمائل بلبل
او أن توقع لحنها.. ورقاء
أو أن يطوف.. على المرابع شاعر
فبظلها يتنفس الشعراء
اليوم أمرع في المدينة زرعها
واخضوضرت بجنانها الاحياء
ثوب الحدائق قد تمدد واحتوى
جسد الصحارى وانمحت صحراء
اسماء طيبة .. زودوها طيباً
يا للنضارة انه الخضراء!!
اسم يليق بها كما لاقت به
ولكم تليق برسمها الاسماء



وفصول طيبة فى الربيع تمثلت
أدلى بذا صيف وقال شتاء
فترنحت نشوى ازاهير الربا
وتلألأت ببريقها الاضواء
يا حظ هذا الجيل كيف توفرت
سبل السعادة وازدهت نعماء
كم فى ربوعك .. ياربوع معالم
غصت بها أرض وضاق فضاء
كم فى رحابك يارحاب حدائق
سطعت على قمم الربا غناء
هى للصغار ملاعب ومسارح
يقوى بها جسد وينمو ذكاء
هى للكبار وقد تجدد عزمهم
متنفس تصفو به الاهواء
هذى «النخيل» على التخوم تربعت
للنخل فى جنباتها خيلاء
رفعت لواء ريادة وزها بها
باب الشمال.. ورفرف الاغراء
و«الجامعات» على الجميع عزيزة
ولها على شط النهى إرساء
يحلو المساء بها وينفح طيبها
فيطيب من بعد الاصيل لقاء
وحديقة «الوادي» على شرفاتها
يقف الجمال وتعبق الاشذاء
مدت الى الميقات «جسر» محبة
ظلت تصون وداده العلياء
وحدائق «الصديق» طابت جيرة
وعلى العقيق زها بها استلقاء
تتراقص الازهار شوقاً كلما
مر الأمير .. وفاضت الآلاء
يحدو بها «أمل» وتنفح «رحمة»
«للفتح» و«المدني» وهي وضاء
كم فى العيون من العيون حدائق
كمنت ولما يستجيب عطاء
يزهو النخيل بها وتشمخ غابة
حفلت بألوان الجنى غيداء

و«المجد» من إبداعها عجبت بها
أحد وشعت حولها الاضواء
تتنافس الاطيار فيها أيها
يحظى بوصل او يفوز غناء
«والنصر» اهدت «للنسيم» أريجها
و«المستراح» نضارة وسناء
كل الحدائق غضة وبهية
لكن «صافية» الأديم بهاء
قربت من الحرم الشريف فشدها
نحو القلوب تودد وصفاء
و«السد» سدت حاج كل مواطن
وبها سمت في المبدعات قباء
«والندوة» الغراء مادت فازدهى
ارج «الرحاب» و«للشباب» رداء
وحدائق «العاقول» شمس حدائق
متنزهات تجتلى وزهاء
ويفيض اشعاع «السرور» فينجلى
عند الشروق تألق وضياء
يالـلعوالي وهي تبسط ظلها
فوق الحرار.. فتزهر البيداء
جعلت من «المختار» اجمل لوحة
فاض السرور بها وطاب رضاء
وصفا بها روض «الربيع» وبشرت
«بالانشراح» وماست «الخنساء»
انا إن وقفت على الجمال وشاقنى
وشي الجمال.. وحلة خضراء
فلطالما لفح الهجير جوارحي
واليوم تنفح نسمة رياء
هذى الحدائق وهي بعض نماذج
راقت بها الاذواق والاجواء
ويزينها ذوقاً وحسن تناسق
أن العمائر حولها بيضاء
والأمن راس.. والعدالة تزدهي
وعلى الخلائق يستفيض رخاء
ثم الصلاة على النبى وآله
ما مال غصن او ترقرق ماء



العالم الموسوعى

«احمد عبد الغفور عطار»

١٣٣٤هـ/ ١٤١١هـ

مكان الميلاد: مكة المكرمة فى ذى الحجة ١٣٣٤هـ

حياته العلمية: أخذ العلم من أكابر علماء مكة المكرمة . . كما تلقاه فى المسجد الحرام . . ودرس علوم العربية على شيخه العلامة الشيخ بابصيل ـ فقرأ عليه ألفية ابن مالك وحاشية الصبان وشرح الشافية كما تلقى فقه الامام ابى حنيفة وبعض العلوم الانسانية .

■ تخرج عام ١٣٥٤هـ فى المعهد العلمى السعودى . وابتعث الى مصر للدراسة ١٣٥٦هـ . وساعد فى توهجه الموسوعى أيضاً اتصاله بكبار الشخصيات الادبية كالعقاد والمازنى ، ود . طه حسين ، ود . محمد حسين هيكل وأحمد حسن الزيات ، ود . احمد أمين والشيخ مصطفى المراغى .

■ عمل بالصحافة بمجلة السياسة الاسبوعية لهيكل والبلاغ لعبد القادر حمزة ـ وأنشأ مطبعة بمصر . . وهو أول من أسس مؤسسة عكاظ للنشر والصحافة .

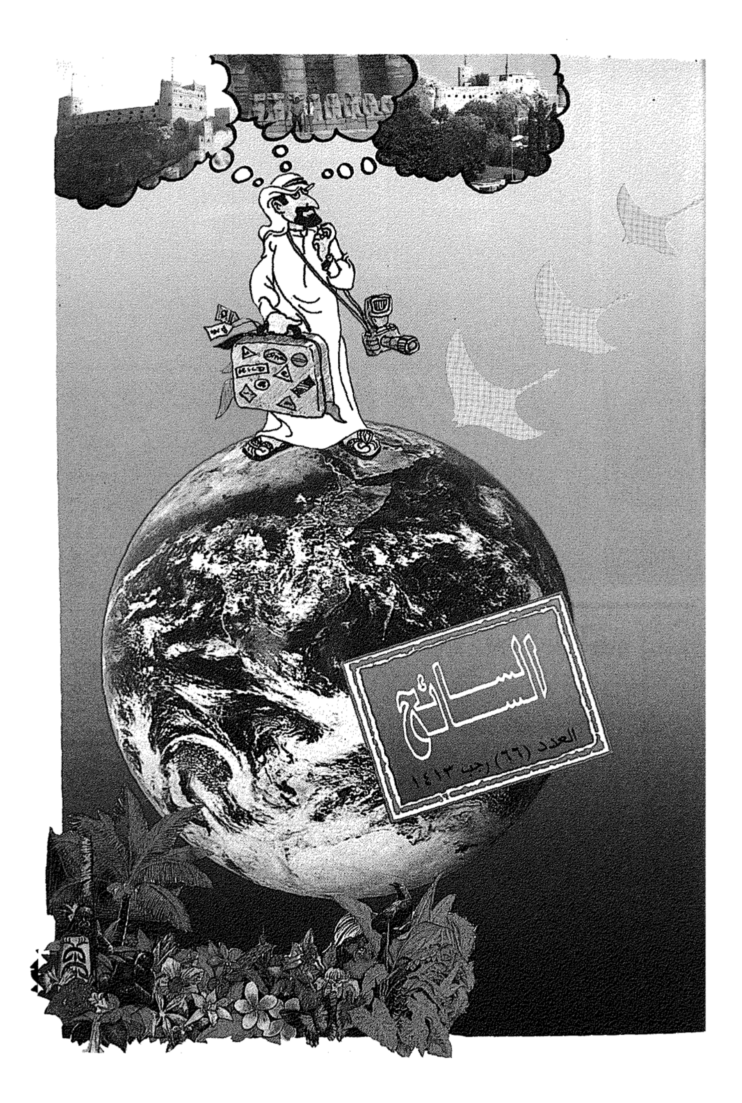
■ كذلك اطلع على الثقافات الاجنبية مما كان يقرأه من دراسات وأشعار وقصص مترجمة . ويمثل عطاؤه توهجاً دائماً وفعالا حيث ـ كتب فى شتى المجالات والميادين الاسلامية ـ والادبية والنقدية واللغوية والسياسية كما كان له توهج ملموس فيما حققه من مؤلفات .

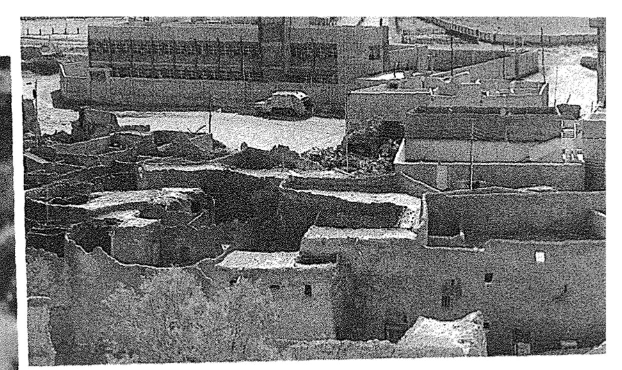
■ ومن مؤلفاته : تحقيق تهذيب الصحاح للزنجانى (٣ أجزاء) والصحاح للجوهرى ـ والأزمنة لقطرب كذا الديانات ٤ مجلدات ، والزنابق الحمر ، والشيوعية والاسلام ، واليهودية والصهيونية ، وغير ذلك من المؤلفات التى تشهد له بتوهجه الدائم .

وقد منح احمد عبد الغفور عطار جائزة الدولة التقديرية عام ١٤٠٤هـ .

وكانت وفاته فى شهر رجب عام ١٤١١هـ ـ رحم الله العالم الموسوعى ـ احمد عبد الغفور عطار .




السائح
العدد (٦٦) رجب ١٤١٣



ثرمداء .. مدينة التاريخ والآثار

تقع في منطقة الوشم، في الشمال الغربي لمدينة الرياض على بعد ١٨٥كم، قال فيها الأزهري: هي ماء لبني سعد في وادي الستارين.. وقيل ثرمداء قرية ونخيل لبني سحيم.. وقال السكوني ثرمداء من أرض اليمامة لبني امرىء القيس بن تميم.



وثرمداء تكثر فيها الآثار التاريخية التي تدل على عراقتها وقدمها، ومنها: سور الحويطة، قصر الحريص، قلاع السور الشمالي للمدينة القديمة، باب السفالة، سور قصر العيدان، وبوابة قصر الخريجية.

تشتهر ثرمداء بإنتاج النخيل، أرضها الخصبة، وتتوفر فيها المياه الجوفية.. ومن انواع نخيلها: المكتومي - الصفراء - الخضري والحلوة.

واخيرا يمكن القول بأن ثرمداء من مناطق المملكة التي تستحق أن تزار وتشاهد.

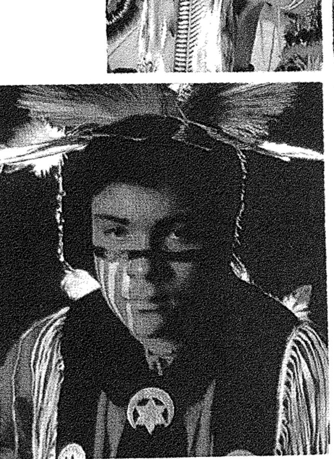
محطات سياحية

طنجة .. مدينة البوغاز



في شمال المغرب موقعها.. يحتضنها البحر وتحتضنه.. أزقتها العتيقة، حاراتها، زنقاتها الضيقة منها جميعها تتنسم عبق ماض تليد تجد رائحته بين يديك، وتراثه بين





عينيك.. وتلمس التاريخ في الجدران والعمارة، وتقرأ مواريث عادات الناس وتقاليدهم في أفراحهم ومباهجهم وأتراحهم.

شعب فيه من أصالة الماضي ما يجعلك تطيل الاقامة بين ظهرانيهم.. هذه المدينة استضافت قبل مدة في رحاب مدرسة الملك فهد العليا للترجمة الملتقى العلمي الثاني تحت عنوان «طنجة في الفنون والاداب».

وحضر هذا الملتقى جمع غفير من الادباء والمفكرين والفنانين، وتخلل الملتقى مجموعة من المعارض عن مدينة طنجة.. تبرز قيمتها التاريخية والتراثية والحضارية..

الهنود الحمر.. والمعسكرات الجماعية

أصحاب الأرض، وأسياد الديار، عاشت أجيالهم السالفة، في أمريكا حياة بدائية محضة يحكيها ما تبقى لديهم الآن من عادات وتقاليد وتراث.. عاشوا حياتهم ولم يطوروها، بل حتى الزعماء منهم الذين حاولوا كسر هذه النمطية والتقليدية في حياتهم، لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا.. وهذا الشعب ظل ينقرض شيئا فشيئا، ولم يبق منهم الآن غير مليون ونصف المليون، يعيشون في معسكرات معزولة عن المجتمع الامريكي يفتك بهم الفقر والمرض والبطالة.. ولا شيء عندهم غير تسلم المعونات الحكومية وانفاقها في الخمور والمخدرات مما قصر في أعمارهم، وضاعف عدد الوفيات بينهم.. ويبقى القول ان هذا الشعب لا يزال يحتفظ بتراثه وتقاليده القديمة، واكثر ما يظهر هذا في احتفالاتهم ومهرجاناتهم العالمية.



قلعة الميراني

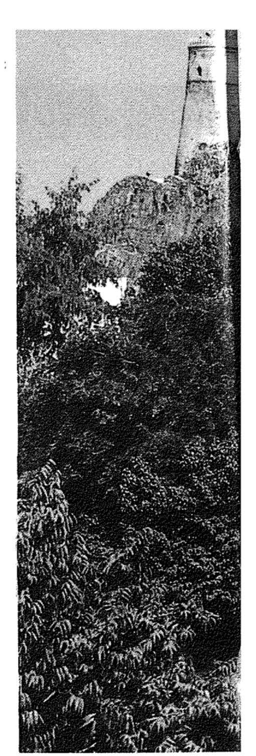
مسقط .. مدين

خالد عزب - مصر -

مدينة مسقط مدينة عريقة، تزهو بمبانيها التاريخية من قلاع وحصون وبوابات ومبان أثرية. وتمتزج فيها العراقة التى تدل على ماضيها العريق، بمشاريع التنمية الحديثة التى وضعتها فى مصاف المدن المتقدمة.

الموقع:

لقد كانت مسقط ولا تزال بحكم موقعها الاستراتيجى على خليج عمان مركزا بحرياً مؤثرا فى حركة الاتصال بين آسيا وأفريقيا وأوروبا. كما كانت نقطة اتصال بين الشرق الأوسط والشرق



ـة القلاع

الأقصى.. وكـان لمسقط دورهـا البـارز منـذ فجر التاريخ. بحكم موقعها في منطقة الحضارات القديمة.

وقـد أسـهـب الـرحـالـة والجغـرافيون المسلمـون في وصف موقـع مسقط وأهميتـه ـ كثغـر على الخليج تحيط به جبال شاهقة فتأمن السفن الـراسية فيه من أخـطار العـواصف واضـطرابـات البحر، وصف المقدسي مسقط بأنها «أول ما يستقبل المراكب اليمنية، ورأيته موضعا حسنا»[١] وذكر البكري أنها مجتمـع المـراكب التي تخرج من صحار[٢] ووصفها ابن المجاور بأنها مرسى مدينة صحار[٣]، وتقع قرب مسقط مقـاصـات اللؤلؤ ولـذلـك أصبحت مركـزا للغـواصين[٤]، ولم يسهب ياقوت الحموي في الحديث عن مسقط فقال عنها «مسقط مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحـل البحـر»[٥]، على عكس الحميري الذي قال عن مسقط الكثير فذكر أن مسقط في طريق عمان على البحر، يمر عليها من أراد بلاد الهند والصين فيسير مع الشمال تلقاء الجنوب حتى يصير الى مسقط هذه وهي بين جبلين، وترفأ هناك السفن وتستقي من آبار هناك عذبـة المياه وتحمـل منهـا الحجـارة لرمي العدو إذا خرج عليها ثم تسير مع الشـمال، وجبـال العرب ماثلة ظاهـرة، حتى تمر مقـدار تسعـين فرسخا الى حدود الشحر وحضرموت[٦].

مسقط في التاريخ:

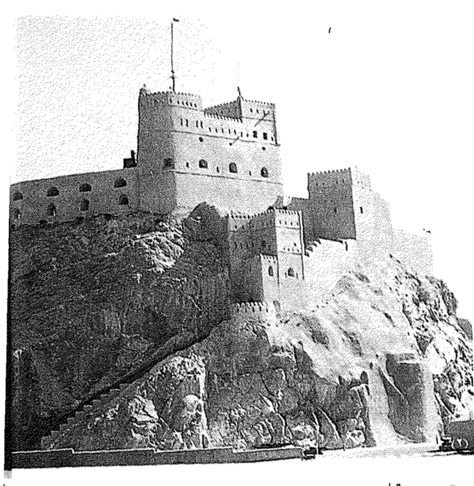
تشـير الكشوف الأثرية إلى أن منـطقـة مسقط قد سكنها الانسان منذ فجر التاريخ. فتدل الآثار التي أكتشفت بحي الـوطية بمسقط في عام ١٩٨١م، والتي يقدر عمرها بحـوالي ٩٦١٥ سنـة، على أن الإنسـان قد عاش في هذه المنطقة منـذ الـعصر الحـجـري الأول، وتتـدرج الآثـار المكتشفـة إلى عمار المنـطقـة في العصر الهيلبوستي ثم العصر الـبرونـزي، كذلـك تدل الآثـار المكتشفـة برأس الحمـراء بمـسقط على أن سكـانها كانـوا مجمـوعـة من الصيادين في الحقبـة الألفية الثـالثـة قبل الميلاد، وأنهم كانوا على درجة عالية من الرقي والتطور.

ومناطق مسقط المختلفة عامرة بالمـواقـع الأثـرية[٧]، يذكر المؤرخ العماني نور الدين السالمي في كتابه «تحفـة الأعيان بسـيرة أهـل عمان» نقـلا عن الشـاعر ابن رزيق، أن مسقط «عمرها بعض عرب عمان، وهم يمن الأنسـاب، فغرسوا فيها نخيلا وأشجـارهـا تسقيهـا الآبار» ويستفاد من هذا القول أن مسقط واحـدة من مدن التـاريخ القـديم وأنها بنيت مع تدفق الهجرات التي سبـقت انهيار سد مأرب، أو تلك التي أعقبت ذلك الحدث.

وإذا كان من الـصعب تتبـع تاريخ مسـقط القـديم في الحقب البعيدة، فإن كتب التاريخ حفظت لنـا تاريخ المـدينـة منـذ العصـور الإسـلامية الأولى، ويستـدل على ذلـك من وصف ابن ماجد الذي قال: (ميناء مسقط لا يوجد له مثيل في العالم، حيث إنه يختص بالبحار والسفن)[٨].

وفى عام (١٥٠٧م) احتـل البرتغاليون المدينة مثل غيرها من المدن العمانية الواقعة على الساحل الشرقى لعمان، وقد جاء هذا الاحتلال فى نطاق المد الاستعمارى البرتغالى الذى شهدته تلك الفترة[٩] ولعل احتلال البرتغاليين لمسقط بالذات فيه ما يدل على إدراكهم لأهميتها الاستراتيجية القصوى وموقعها الجغرافى المتميز.

وصف البوكيرك القائد البرتغالى الذى استولى على مسقط عندما شن حملته للاستيلاء عليها: بأنها مدينة كبيرة وآهلة بالسكان، تحيطها من الجانبين جبال شاهقة وواجهتها قريبة جدا من أطراف البحر، وخلفها نحو الداخل يوجد سهل كبير مثل ساحة لشبونة، وتوجد بها برك كثيرة من المياه الحلوة التى يستعملها سكانها، وتوجد هناك بساتين وحدائق وأشجار النخيل التى تروى من مياه الآبار، والميناء صغير على شكل حدوة حصان ومحمى من الرياح، وهو مركز تجارى حيث تضطر جميع السفن المبحرة فى تلك المناطق ان تدخله، وذلك لتجنب الساحل الضحل فى الطرف المقابل، وفى مسقط سوق قديمة لتصدير الخيل والتمور، وهى مدينة جميلة وبها مساكن جميلة وتزود من الداخل بكثير من المنتجات الزراعية مثل القمح والشعير والدخن والتمور، وتستقبل أى عدد من السفن التى تقدم اليها[١٠].

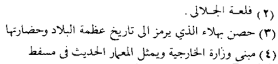


تحرير مسقط:

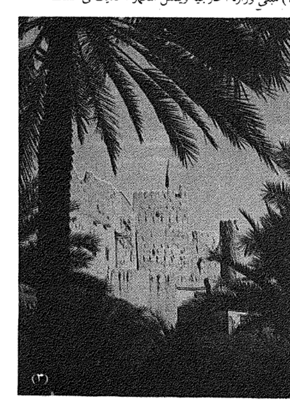
كانت أولى المهام التى التزم بها الأمام سلطان بن سيف الذى خلف الامام ناصر بن مرشد، تحرير بقية الأراضى العمانية من السيطرة البرتغالية ـ وكانت مسقط هى الهدف الرئيسى والنهائى لهذه المرحلة من الصراعات العمانية البرتغالية، ولم يكن تحرير مسقط عملية سهلة أبدا. لأنها كانت محاطة بسورين من الخلف تجمعها عدة حصون مزودة بالأسلحة، الى جانب وجود سفينتين برتغاليتين فى عرض البحر، كانتا تطلقان نيرانها على المهاجمين.

وقد استغل الامام كل الفرص الممكنة لتحقيق هدفه مستغلا نفاد المؤن والذخيرة، واختار فجر يوم الأحد توقيتا ملائما لشن هجمته الحاسمة، وذلك بناء على نصيحة أحد الهندوس المقيمين فى مسقط واسمه ناروتام، والذى أبلغ الامام بأن البرتغاليين يكونون عادة سكارى يوم الأحد، وكان هذا الهندوسى على خلاف مع أحد القواد البرتغاليين بسبب اصرار الأخير على التزوج من ابنته.

وقد تمكن العمانيون من شن تلك الحملة ونجحوا فى الاستيلاء على مسقط، وذلك فى سنة ١٦٥٠م[١١] وانتقل مركز إدارة البلاد من الرستاق الى مدينة مسقط عام ١٧٨٤م[١٢]. وهذه المدينة ـ منذ تلك اللحظات ـ أخذ نجمها فى البزوغ، لتصبح قلب الإمبراطورية العمانية المترامية الأطراف.


(٢) قلعة الجلالى.
(٣) حصن بهلاء الذي يرمز الى تاريخ عظمة البلاد وحضارتها
(٤) مبنى وزارة الخارجية ويمثل المعمار الحديث فى مسقط





(٣)



(٤)

وكانت معظم شوارع المدينة ـ فى ذلك الحين ـ ضيقة، لا يزيد عرضها على عشرة أقدام، وتحميها من حرارة الشمس سقوف من سعف النخيل. وقد قسمت الأعمال التجارية داخل السوق، بحيث يضم كل قسم منها نوعاً من السلع، وتتكون الحوانيت من فتحة مربعة سعتها نحو عشرة أقدام، حيث يعمل فيها الصناع أو يعرض التجار سلعهم على الأرصفة التى تفصلها من الجانبين الطرق[١٣].

وظل هذا حال مسقط حتى وقت قريب حيث تطورت تطورا سريعا وتحولت الى واحدة من أجمل مدن الشرق.

وبمسقط اليوم العديد من ملامحها القديمة، ونستطيع أن نوجزها فى الفقرات التالية وهى :ـ

أسوار المدينة وأبوابها

كان يحيط بمسقط منذ العصور الوسطى على أقل تقدير أسوار وكتل كبيرة من الصخور الطبيعية، التى كانت تقوم مقام السور، وكان سمكها يبلغ مثلى أو ثلاثة أمثال سمك السور المبنى، إلا أن تلك الأسوار القديمة تهدمت بمرور الزمن، فأعيد بناؤها على ما هى عليه فيما بين عامى (١٦٢٣م/ ١٠٣٣هـ) وعام (١٦٢٦م/ ١٠٣٦م).

وتعتبر أسوار مسقط الخط الدفاعى الأول بالنسبة لتحصين وحماية المدينة، ومن ثم فقد أطلقت عليها المصادر التاريخية الحصن، فقد كانت تحيط بمسقط التى يبلغ طولها من الشرق الى الغرب قرابة نصف ميل، وعرضها أى بعدها عن البحر قرابة ربع ميل، إحاطة السوار بالمعصم، اللهم الا الجانب الشرقى حيث تحمى المدينة جبال شديدة الإنحدار، يفصلها عن جبال (جلالى) فتحة تعرف باسم (مغب).

وهكذا نرى أن أسوار مسقط

تحيط بالجانب الغربى والجنوبى منها فقط، أما الجانب الشمالى والشرقى فيحميهما خليج مسقط والجبال الشرقية، ويبلغ طول ضلع الأسوار الغربية قرابة (٦٠٠) متر، يبدأ فى الشمال عند (باب المثاعيب) وينتهى عند (الباب الكبير) فى نهاية الضلع الغربى من الأسوار، حيث يبدأ ضلع صغير يقطع زاوية التقاء الضلعين الغربى والجنوبى ويبلغ طوله (٢٠٠) متر.


(٥)

ثم تأخذ الأسوار فى الامتداد نحو الشرق قرابة (١٣٠٠) متر. . ويتخلل الأسوار على مسافات تكاد تكون متساوية أبراج مستديرة الشكل، يبعد كل منها عن الآخر (٣٠٠) متر.

وتتكون الأبراج من طابقين الأول منها مسمط، أما الثانى فيحتوى على غرف ودهاليز لإقامة الجند، كما يوجد فى جدران الطابق الثانى للأبراج مزاغل (أى فتحات للسهام) ويعلو الأبراج فتحات كبيرة مستديرة تسمح المسافة بينها لوضع فوهات المدافع، ويبلغ عدد الأبراج ثمانية، ثلاثة منها فى الضلع الغربى، وخمسة فى الضلع الجنوبى.

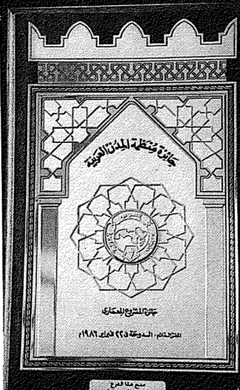
وتحتوى أسوار مسقط على ثلاثة مداخل، المدخل الأول: يقع فى الركن الغربى أسفل قلعة الميرانى ويعرف باسم (باب المثاعيب) المدخل الثانى: يقع عند نهاية الضلع الغربى للأسوار، ويؤدى الى معظم الطرق التى توصل إلى ضواحى مسقط وإلى مدينة مطرح، ويعرف باسم الباب الكبير، المدخل الثالث: يقع فى منتصف الضلع الجنوبى. . وهو مدخل رئيسي مماثل للمدخل السابق ويعرف باسم (الباب الصغير)[١٤].

وتحتوى أسوار مسقط على عدد من الدهاليز والممرات فى الطابق الأول التى تسمح بوجود الجنود لحمايتها ضد أى اعتداء، أما أعلى الأسوار فتحتوى على ممرات مكشوفة توصل بين الأبراج، التى تتسع للفرسان على صهوة خيولهم للتحرك بسرعة للدفاع عن المدينة[١٥].

أبراج مسقط

كما يحصن مسقط ويدافع ويراقب مداخلها من البر والبحر مجموعة من الأبراج التى تعلو الجبال التى تحيط بضواحيها، وقد بنيت هذه الأبراج من مجموعة من الصخور السوداء، مما جعلها تبدو كأنها منازل على قمم الجبال، ومهمة هذه الأبراج إعطاء إشارات ضوئية للقلاع والحصون حتى تستعد للدفاع عن المدينة أو الميناء وهى بذلك أشبه بفنارات الموانىء.

ولعل من أهم وأشهر أبراج مسقط التى ما تزال باقية حتى الآن برج (سعالى) الذى يوجد فى الركن الجنوبى الشرقى للمدينة وبرج (بوستو) الذى يوجد خلف منتصف المدينة، وكذا برج المربع الذى يوجد على مسافة قريبة من وادى الكبير، وبرج (دامودر) الموجود فى





(٥) مبنى مجلس التنمية
(٦) درع جائزة منظمة المدن العربية
(٧) متحف بن فيصل أحد متاحف عمان المشهورة

قــلاع مســقط

تعتمـد مسقط في حمايتها على قلعتى الميرانى والجلالى، الواقعتين على الصخــور التى تشغـل طرفى الطرف الغربي للمدينة، وبرج (مـديمن) فى الطريق الى ريام، وبرج مكلة عند نهاية الحافة التى تكون الجانب الغربى من الميناء، وهذه الأبراج جميعها لا عمل لها الآن(١٦).

المنطقة الرملية على الشاطىء، إذ ترتفع كل منهما على جرف صخرى يبلغ ارتفاعه (١٥٠) قدما عن سطح البحر، ويمكن الوصول الى كل منهما عن طريق مجموعة من الدرجات منحوتة في الصخر.

كما أقامت البرتغال كشافات أو مناظير كشفية فى صيرة الشرقية، لمعاونة القلعتين (ميرانى وجلالى) فى الدفاع البحرى، وعلى الشاطىء الشرقى للميناء وعلى بعد (٢٥٠) ياردة من رأس مسقط توجد صيرة الغربية على الطرف الآخر، يعلوها المأوى المقبى المعروف باسم مكله الذى سبقت الاشارة إليه.

وفى داخل مسقط توجد مخازن لتخزين مياه المدينة تقع على بعد نصف ميل من وادى الكبير وتحميها قلعة مربعة الشكل، تحتوى على ساقطات (تعرف عند أهل عمان باسم راوية) وتعرف فى العمارة الإسلامية باسم (Machicollis) بناها البرتغال(١٧).

قلعــة ميــرانى

تقع قلعة ميرانى إلى الغرب من مسقط أقامها البرتغال فى عهد الملك فيليب ملك إسبانيا بعد استيلائه على البرتغال ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م، وقد قيل إن الحصن الغربى الذى أنشأه البرتغال فى غربى مسقط عرف باسم مريانى نسبة الى الكلمة البرتغالية Almirante التى أخذت بدورها من الاصطلاح العربى أمير

البحار.

وقد تم بناء هذه القلعة سنة (٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م) على يدى القائد بلكوار على نفس البقعة التى كان القائد دون جوا اللشبونى، قد أقام فى تلك البقعة قلعة جديدة سنة ١٥٢٢م التى هدمها أمير البحر العثمانى الريس بيرى الذى استولى على مسقط لفترة وجيزة، ولما عاد الأتراك واستولوا على مسقط مرة أخرى (٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) لم يجد البرتغال مندوحة من أن يطلبوا من نائب الملك فى الهند الاذن لهم ببناء قلعتين فى مسقط للدفاع عنها وتزويدهما بكل ما تحتاجان من وسائل الدفاع والحراسة، فلما وافق أنشأوا والقلعتين.

وقد اهتمت البرتغال اهتماما خاصا بهاتين القلعتين، ونعنى بهما ميرانى وجلالى، ومنذ إنشائهما أخذت تتوالى بهما التجديدات والترميمات والاضافات، ففى ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م، أقامت برجا كبيرا[١٨] بمستوى البحر ملحقا بقلعة ميرانى، وذلك حتى تمنع القوارب الصغيرة من أن تمر بالقرب من القلعة وهى فى مأمن من أن تصيبها نيران القلعة لأنها تسير تحت مستوى مرمى سهامها ومدافعها.

وقد ذاعت شهرة قلعة ميرانى حتى أصبح يضرب بها المثل فى قوتها ومنعتها.

قلعة الجلالى

وتقع فى مقابلة قلعة ميرانى فى الجهة الشرقية من مسقط وقد تم بناؤها بعد قلعة ميرانى بعام أى سنة (٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م). ويقال إن قلعة جلالى قد أخذت إسمها من أسم القائد البرتغالى (SANJOA) وما تزال القلعة تحتفظ بتاريخ انشائها حتى الآن، والنص مكتوب باللغة البرتغالية[١٩].

وحينما سقطت القلعتان بيد العمانيين، كان من الضرورى إدخال تعديلات عليها لتوفير مكان كاف لعدد كبير من الجنود الذين يقيسون قوتهم على أساس قدرتهم على القيام بطلعات وغارات خارج محيط قلاعهم[٢٠].

وإذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار فإننا نستطيع أن نرى كيف تغيرت طبيعة القلاع من نظام دفاعى خالص إلى نظام هجومى، ونتيجة لهذا التعديل فى وظيفة القلاع والحاجة إلى إيواء عدد كبير من الحاميات، أضيفت منشآت ضخمة وبذلك تغير الشكل الأول إلى الأشكال التى نراها اليوم.

لقد أقيم النظام الدفاعى الحربى للبرتغاليين على أساس تفوقهم فى المدفعية التى كان استخدامها يتطلب عددا قليلا من الرجال بما فيهم بعض المرتزقة، أما العمانيون فهم على عكس ذلك فقد أقاموا قوتهم على أساس سرعة الحركة لعدد كبير من المهاجمين

وعنصر المفاجأة[٢١].

وقد نتج عن الاضافات التى أدخلها العثمانيون على القلعتين تغير كبير فى معالمها الأولى، ويرى بعض الباحثين أن تخطيط القلعتين قد تأثر كثيرا بتخطيط قلعة صحار التى وصفها البوكرك وأشاد بها[٢٢].

الوصف المعمارى

أما عن الوصف المعمارى لقلعة ميرانى الآن، فهى تتكون من شكل مستطيل متعدد الأضلاع تمتد من الشرق الى الغرب، يتقدمها من جهة الشرق برج مستطيل ضلعه المطل على البحر مقبى.

وهذا البرج يقع فى مستوى أعلى من باقى أجزاء القلعة ومن ثم ترتبط أبراج المراقبة بباقى القلعة عن طريق سور مدرج يتناسب وتدرج الصخور، ويشغل الركن الشرقى من القلعة برج كبير مستدير يطل على البحر ويتصل بباقى مبانى القلعة، التى تمتد إلى الغرب.

ويتكون هذا البرج الكبير من ثلاثة طوابق يشغل الأول منها غرف لإقامة العسكر والجند خالية من النوافذ اللهم إلا فتحات الأبواب، ويشغل الطابق الثانى غرف بها فتحات لرمى السهام ومن ثم يقيم بها فرق من الجند على أهبة الدفاع.

أما الطابق الثالث وهو أعلى القلعة به ممرات متسعة تعلوها شرفات كبيرة مستديرة تسمح بمرور فوهات المدافع منها ولذلك يتواجد فى هذا الطابق فرق من جنود المدفعية.

أما باقى أجزاء القلعة التى تصل بين الأبراج فتتكون من ثلاثة طوابق الأول منها مسمط خال من الغرف، أما الطابق الثانى فيتكون من دهاليز وغرف بها فتحات لرمى السهام، والطابق الثالث يحتوى على ممرات يعلوها شرافات كبيرة تنفذ من بينها فوهات المدافع، ويتوسط مبانى القلعة أكثر من فناء مكشوف، ويوجد داخل أسوار القلعة مسجد قديم يرجع الى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وهو من بناء أسرة بو سعيد.

أما قلعة جلالى فتتكون من شكل نصف دائرى متعدد الأضلاع يشغل طرفيه برجان كبيران يطلان على البحر ويمتد بينهما سور غير مستقيم تتخلله أبراج صغيرة وبعض المبانى. ويتصل البرجان ببعضهما من الداخل بمبان ضخمة على شكل نصف دائرة، ونظام عمارة القلعة ومبانيها يشبه إلى حد كبير عمارة قلعة ميرانى[٢٣].

بيوت مسقط الأثرية

تحتفظ أحياء مسقط القديمة ببعض البيوت التى يرجع بعضها الى القرن السادس عشر الميلادى، وهى تعطى فكرة واضحة عن تخطيط البيوت العمانية، فقد كان المنزل يتكون من فناء مكشوف تحيط به غالبا المبانى من جهاته الأربع ويمكن الوصول إليه عن طريق مدخل رئيسى (بوابة كبيرة) كثير العمق وهو من النوع المنكسر وسقفه غالبا مقبى ينتهى الى قلبه من الدرجات، وهكذا نرى أن المعمار استخدم فى مداخل البيوت والقصور نفس النظام الذى اتبعه فى مداخل الحصون والقلاع، وينتهى الدرج إلى شرفة رحبة تقود إلى غرف الاستقبال بالطابق الاول.

وهذه الغرف مرتفعة السقوف حتى تمكن الهواء الساخن من أخذ دورة كاملة يبرد خلالها ثم يعود إلى أرض الغرفة رطبا باردا فيكيف المكان طبيعيا. وقد زخرفت جدران قاعات الاستقبال المكسية بالخشب الجيد، وكذا سقوفها برسوم زيتية ملونة قوامها عناصر نباتية وهندسية، كما أحيطت أفاريزها بلوحات تحتوى على كتابات قرآنية وأحاديث نبوية وبعض أشعار محلية، كل ذلك بخطوط جميلة بديعة التكوين.

كذلك كانت أبواب تلك الغرف المصنوعة من الخشب والمحتوية على مفاتيح كبيرة من النحاس، تحفا فنية رائعة، نُقِشَ عليها بالحفر الغائر أو البارز نقوش قوامها الجامة أو الطبق النجمى.

وتعرف هذه المجموعة من غرف الاستقبال التى تشغل عادة ضلعا واحدا من أضلاع الدار أو القصر بالمقعد الرجالى، ويقابله فى الضلع



■ شجرة النخيل مكان الرعاية والعناية عند المزارعين

الآخر من الفناء بناء آخر يصعد إليه كذلك بقلبه مماثله من الدرج ويحتوى على مجموعة من الغرف غطيت فتحاتها بالخشب الخرط، وهذه الغرف مخصصة لإقامة زوجة صاحب البيت، وهى تستطيع من خلال الخشب الخرط رؤية كل ما يدور فى مقعد الرجال المقابل لها دون أن ترى.

أما الجانبان الآخران من الفناء، فيحتويان على أكثر من طابق يحتوى كل منها على مجموعة من الغرف المخصصة للمخازن والمطابخ والحمامات ودورات المياه، وكذا لاقامة أهل الدار أو موظفى القصر، وكل هذه الدور أو القصور تحتوى على طابقين وأكثر، وهى مبنية من الأحجار أو الطوب اللبن وكلها مكسوة بطبقة سميكة من الجص المزخرف برسوم قالبية قوامها الزخارف النباتية المحوره عن الطبيعة[٢٤].

■ **وأهم هذه البيوت هى (من غرب المدينة إلى شرقها):**

١ ـ بيت جريزه.
٢ ـ بيت السيد شهاب بن فيصل.
٣ ـ بيت السيد نادر بن فيصل.
٤ ـ بيت فرنسا (المتحف العمانى الفرنسى).
٥ ـ بيت السيد عباس بن فيصل.
٦ ـ بيت راتلسي.
٧ ـ بيت البير.
٨ ـ بيت السفارة الهندية.
٩ ـ بيت مغب.
١٠ ـ بيت السفارة الامريكية.
١١ ـ بيت السفارة الانجليزية.
١٢ ـ بيت الزواوى[٢٥].

العودة الى التراث

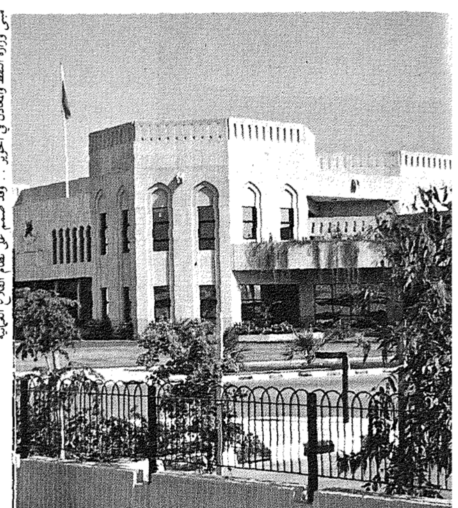
حرصت بلدية مسقط على أن تعود مبانى المدينة الى الطراز المعمارى الاسلامى مرة أخرى، خاصة بعد أن طغى الطابع المعمارى الحديث على مبانيها، فأنشئت العديد من المبانى التى تحمل الطابع الاسلامى، منها مبنى مجلس التنمية، ومبنى وزارة الخارجية الذى حصل على جائزة المشروع المعمارى من منظمة المدن العربية فى **٢٢ فبراير ١٩٨٦م**، كمشروع متميز صمم على نسق يجمع بين أحدث أساليب البناء والتكنولوجيا المعاصرة كما يعكس فى نفس الوقت جانبا من التراث وفنون العمارة العمانية التقليدية باعتبارها عمارة إسلامية.

ويتكون المبنى من طابقين،

(١) المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص٩٣.
(٢) البكرى، المسالك والممالك، ورقة ٢١٥ ب، د. شوقى عثمان، تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الاسلامية، ص١٧٨، عالم المعرفة، العدد ١٥١ ذو الحجة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
(٣) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جـ٢ ص٨٤، د. شوقى عثمان، المرجع السابق، ص١٧٨.
(٤) شيخ الربوة، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص٢١٨.
(٥) ياقوت الحموى، معجم البلدان جـ٥ ص١٢٧، طبعة دار صادر بيروت.
(٦) محمد بن عبد المنعم الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، ص٥٥٩، تحقيق د. احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة بيروت ١٩٨٠م.
(٧) مسقط الحضارة والحاضر، بلدية مسقط.

يحتوى مسقطه الأفقى على فنائين داخليين يحيط بهما فى المستوى الأرضى مجموعة عقود محمولة على أعمدة، ويطل الدور العلوى على الساحة من خلال مجموعة فتحات طولية مزخرفة، وقد عولجت تجهيزات المبنى التقنية من تكييف هواء وتهوية وإضاءة وغيرها بما يتفق مع الفكرة التصميمية للمبنى، هذا بالاضافة لفخامة وتنسيق المدخل الرئيسى الذى تتوسطه نافورة رخامية محاطة بأحواض الزهور والاهتمام بتزيين الموقع ككل بصورة منسقة(٢٦).

تلك كانت رحلة الى مسقط التى تعتبر بطرازها المعمارى واحدة من مدن العالم الاسلامى التراثية الهامة.



مبنى وزارة النفط والمعادن في الخوير . . وقد صمم على نظام القلاع العمانية

المراجع والهوامش

ص١٨ مسقط ١٩٩١م.

(٨) أحمد بن ماجد، تاريخ عمان البحرى، (مخطط كتاب الفوائد) ص١٠٢.

(٩) ما يلز، الخليج بلدانه وقبائله ص١٧٣.

(١٠) صادق حسن عبدوانى، الدولة العمانية، نشأتها وازدهارها، ص١٧، ١٨ بحث نشر فى المجلد الثانى لندوة حصاد نشر وزارة التراث القومى والثقافة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(١١) المرجع السابق ص٤٠، ٤١.

(١٢) فيليبس، تاريخ عمان ص٨٤.

(١٣) مسقط الحضارة والحاضرة ص١٩.

(١٤) د. سعاد ماهر محمد، الاستحكامات الحربية فى مسقط، ص١٤١، ١٤٢، ندوة حصاد المجلد الثانى، وزارة التراث القومى والثقافة ١٩٨٠م/ ١٤٠٠هـ.

د. سعاد ماهر، العمارة الاسلامية على مر العصور، جـ٢، ص٨٨٠، ٨٨١ دار البيان العربى جدة.

وانظر أيضا، جى. وايزجربر، مسقط فى عام ١٦٨٨ ص٢٧، ٢٨، سلسلة تراثنا، وزارة التراث القومى والثقافة، العدد رقم ٥٧ سنة ١٩٨٤م.

(١٥) د. سعاد ماهر، الاستحكامات الحربية فى مسقط، ص١٤٢.

(١٦) د. سعاد ماهر، المرجع السابق ص١٤٢. د. سعاد ماهر، العمارة الاسلامية جـ٢، ص٨٨٢.

(١٧) د. سعاد ماهر، الاستحكامات الحربية ص١٤١، ١٤٢.

(١٨) نقش على هذا البرج نص يحدد تاريخ إنشائه، وترجمته بالانجليزية كما يلى:

Experieuce, Zealand Truth built before Me defends me, On the Order Of The Very High and power ful King dom philip, Third of this name in the year.(16-10) A.d. Hawley: Oman and Its renaissance P. 115

د. سعاد هاهر العمارة الاسلامية، ص٨٨٤.

(١٩) Donald Hawley Oman and its Reuaussauce. P.115.

(٢٠) د. أى. دريكو، المبانى التاريخية الحربية فى عمان، ص٢٢٩ المجلد الخامس لندوة حصاد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، وزارة التراث القومى والثقافة، عمان.

(٢١) المرجع السابق ص٢٣٠.

(٢٢) د. سعاد ماهر، المرجع السابق، ص٨٩١.

(٢٣) د. سعاد ماهر، المرجع السابق، ص٨٨٦، ٨٨٧.

(٢٤) المرجع السابق، ص٧٩٣، ٧٩٤.
مسقط الحاضرة والحضارة ص٢١.

(٢٥) روث هولى، لمحة تاريخية عن المبانى الأثرية فى مسقط، ص١٠ وما بعدها، سلسلة تراثنا العدد ٤٢، الطبعة الثانية.

(٢٦) مجلة عالم البناء، العدد ١٠٤، ١٩٨٩، ص١٢ موضوع مبنى وزارة الخارجية العمانية بمسقط.



طريق الكباس وواجهة معبد الأقصر

الأقصر.. عاصمة آث

استطلاع كتبه وصوره: محمد حمدى السنباطى
- مصر -

لكل مدينة أو قرية فى أنحاء المعمورة قصص وأسرار وحكايات تختلف باختلاف النمط الاجتماعى والشكل الحضارى من عادات وتقاليد، ولكن حتما لابد أنه بين كل هذه المجتمعات ما تكثر فيه الحكايات والعجائب، وما بالك إذا كان هذا المجتمع هو مجتمع الحضارة والنضارة، وإذا كانت هذه المدينة فى يوم من الأيام هى عاصمة مصر العليا بل وكل مصر، وتتخطى المدينة فوق ذلك، مستوى الاقليمية نحو العالمية لتكون بحق عاصمة آثار الدنيا كلها.

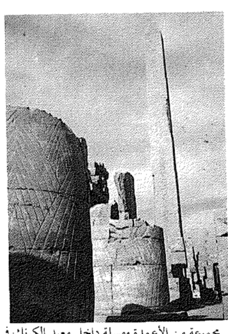
فى الأقصر وفى زيارة خاصة

ـار الدنيـا

جلست مع من حفر عليهم الزمن علامات سنينه الطويلة، وتجولت فى شوارع وأزقة الاقصر شرقه وغربه، الكل يحمل فى داخله حكايات وأسراراً كثيرة وكانت هذه هى الزيارات ومعها العديد من الحكايات .

الكرنك سر الأسرار

بدأت الزيارة مع مشرق شمس يوم جوه جميل وكانت فى البحر الشرقى الذى بنى فيه الفراعنة كل معابد الحكم تيمنا بأنه مع شروق الشمس تسير الحياة. . ومع الكرنك بدأت الزيارة. . المعبد مساحته ٦٢ فداناً وتعنى كلمة الكرنك «القرية الحصينة» وبدأ بناؤه مع وجود الأسرة الثالثة وحدثت إضافات مع أسر جديدة، والمعبد يبدأ مع طريق الكباش وصالة الاعمدة ومن بعدها قدس الاقداس والبحيرة المقدسة، وهنا قال لى مرافقى - أحد الذين ولدوا وتربوا هنا - تعال لأقص لك بعض حكاياتنا فقلت له هات ما عندك ورفعت ايريالات حسى وحركت أطباقى العقلية لالتقاط كل الحكايات وبدأ فقال : هناك العديد من أنواع الفصوص التى نعثر عليها داخل الكرنك منها «فص العقرب» وتوجد عليه طلاسم هيروغليفية وعندما يلدغ العقرب إنساناً يأتون به ويضعونه مكان اللدغة فيتجمع السم ويسهل اخراجه، وفص «النزيف» ويعمل على وقف النزيف بعد فترة قليلة .



مجموعة من الأعمدة ومسلة داخل معبد الكرنك فى الأقصر

وماذا بعد حكايات الفصوص؟ قال تعال لنشاهد البحيرة المقدسة وهى قد انشأت مع بناء المعبد من أجل تجميع المياه الزائدة فى أوقات الفيضان فى النيل الذى يطل عليه المعبد، وتقول بعض الاوراق القديمة ان وجود البحيرات داخل المعابد هو عمل هندسى لحفظ توازن المبانى والاعمدة والمسلات، ولها هنا حكاية، ويكمل : يمكننا الان مشاهدة مساحة المعبد على صفحة المياه وبالذات فى فترة قبل الغروب وبالتأكيد هناك نظرية هندسية تحكم هذا لم نتوصل إليها بعد وخاصة أنه لابد أن تشاهد هذا المنظر من الناحية الشرقية الجنوبية، وليس هذا فقط بالنسبة للبحيرة، ويكمل مرافقى : نعرف هنا أنه من يعانى من الشباب من ظهور حب الشباب والبثور ويغسل وجهه من مياه البحيرة تختفى عنده هذه البثور بعد فترة قليلة، ويبدو أن هذا ليس كل شيء عن بحيرة معبد الكرنك لأن صديقى قال : يا عزيزى هذه البحيرة غير عميقة من الأطراف

ولكن عند المنتصف يزداد العمق ولا نعرفه بالتحديد ويتردد فى الأقصر أن نقطة المنتصف هذه مرصودة! ومن يقترب منها لابد أن يناله عقاب ولقد حاول أحد الشباب النزول إليها ليصيد أحد الطيور فغرق ولم يظهر حتى اليوم! ولذلك لا يحاول أحد النزول إلى منتصف البحيرة.

ومازلت داخل الكرنك العظيم وبين بهو أعمدته ومسلاته وهنا عادت بى الذاكرة إلى يوم أن دخل نابليون وجنوده الكرنك وعندها رفعوا اسلحتهم تحية للحضارة المصرية وروعة الكرنك. وأكملنا المسيرة ووصلنا إلى حيث يقع حمام الملكة حتشبسوت وعرفت أنه بنى من قبل الملك تحتمس الثالث زوجها وهو متصل بمياه البحيرة المتصلة بمياه خالد الذكر «النيل» وبجواره بنيت مسلة طليت بمادة «الألكتروم» وهى خليط من الذهب والفضة، وبنيت هذه المسلة بزاوية محسوبة مع الشمس لتعكس أشعتها الذهبية على حمام حتشبسوت لتتنشف من حمامها وتكتسب اللون البرونزى.

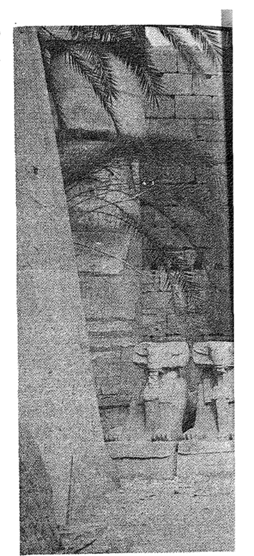
معبد الأقصر

وأكملت الزيارة على بعد خطوات حيث يقع معبد الأقصر والذى أقامه الملك أمنوفيس الثالث على مساحة ٤ أفدنة وأضاف من بعده توت عنخ أمون ورمسيس



معبد مدينة هابو في البر العربي

الثانى والاسكندر الأكبر، وداخل معبد الأقصر سألت مرافقى: ماذا يا عزيزى عن الأرض التى نتبختر عليها زهوا بحضارة آلاف السنين؟. وبوعى شديد وبأرقام لا تعرف ولا تقبل الجدل قال: الذى اكتشف من الاثار حتى الان لا يتعدى ثلاثين فى المائة والباقى مازالت الامكانيات المادية هى الفيصل فى اكتشافه ولكن لا تنس يا صديقى أن فناء الملك أمنوفيس الذى نقف فيه الان شهد فى العام قبل الماضى اكتشاف خبيئة الأقصر الشهيرة والتى وجد بها اثنان وعشرون تمثالا بعضها يخص حورمحب وأخرى للملك أمنوفيس الثالث واتون وانتقلت جميعها إلى جناحها الخاص بمتحف الأقصر والذى افتتح مع بداية العام ١٩٩٢، وهنا أخذنى رفيقى لنستريح قليلا ونتناول العيش الشمسى والجبن القديم والشاى الاسود فى كوب صغير، فهذه هى أصول الضيافة فى بلد الكرم وهنا ارتفع آذان المغرب فى مسجد أبى الحجاج المشهور فى هذه المنطقة، ووقف قلمى عن الكتابة استعدادا لجولة المساء ومازالت الحكايات تتوالى.



المتحف والصوت والضوء

بعد فترة راحة انتقلت و أبو الحجاج مرافقى لنزور متحف الأقصر وداخله تقابلنا مع السيدة مادلين الملاح مديرته المحبة للآثار وتجولنا حيث شاهدنا قاعاته الجميلة والمنسقة واستمعنا لحكايات عديدة عنها حتى وصلنا إلى أحدث متحف مصرى وهو «متحف خبيئة الأقصر» القاعة بيضاء والاضاءة غاية فى التناسق وأجهزة الانذار فى كل مكان وموسيقى هادئة تتناسب مع روعة تماثيل الخبيئة وأكدت السيدة مادلين أنه تم تصميم قاعة المتحف على شكل القبر الفرعونى وتم استخدام أحدث وسائل العرض المتحفى ووسائل الوقاية.

وبعدها أخذنا نزهة سيرا على الاقدام على النيل الطيب، ترى كل الجنسيات، وتشاهد رقة وعذوبة معاملة أهل الأقصر، وها هى مجموعة من الشباب وقفت تقدم عرضا فنيا شعبيا وها هو مطربهم يتغنى بكلمات تقول:

وتأخذنا الحكاية . . لو طلبنا الرواية

. . يا ليالى الليل يا ليالى

سنيورة أمورة . . ورموشها الكحيلة

. . خليتنى فى حيرة

ونكمل المسيرة لنحضر عرض الصوت والضوء وفيه تسمع أصل حكاية الأقصر من خلال معبد الكرنك مع موسيقى تعانق أحجار المكان وحكاياته فى أمسية شتوية دافئة وكان لابد بعد هذه الجرعة الثقافية والاثرية ترتيب أوراق اليوم والخلود للراحة بعد يوم أقصرى جميل.

البر الغربى والمعابد الجنائزية

تشرق شمس يوم جديد على الدنيا ومع أول خيط لها نركب المعدية عبر النيل ورغم انخفاض منسوب المياه فى هذا الوقت من السنة فالنيل له سحر خاص يخطف العقول والقلوب معا، ونحن فى منتصف النيل كان صوت عبد الوهاب يشدو فى اذاعة المعدية التى نركبها: «يانيل يا ساحر الوجود» ولا غرابة فى ذلك فالكل يقول من يشرب من مياهه ولو لمرة واحدة لابد وأن يعود والعود حتما حميد، وأخذتنى كلمات الأغنية وأفقت على صوت ارتطام العبارة بالبر.

ونحن فى بداية الطريق لفت انتباهى قرية وقد بنيت بطريقة القباب ـ أسلوب مهندسنا العالمى المرحوم حسن فتحى ـ ود. فتحى هو شيخ البنائين فى العصر الحديث وتجولنا داخل حوارى القرية وعرفت انها اهملت لمدة كبيرة وفى هذه الأيام يعاد ترميمها وتسكينها وفتح قصر الثقافة فيها كما قال لى اللواء يحيى البهنساوى رئيس المجلس الأعلى لمدينة الأقصر.

وكنت قد تساءلت لماذا لا يترك أهل الغرب البيوت التى بنوها فى حضن الجبل ليسكنوا منازل هذه القرية؟ وكان الرد لأنهم ينقبون عن الاثار وكثيرا ما وجدوها والذهب وغيرهما.

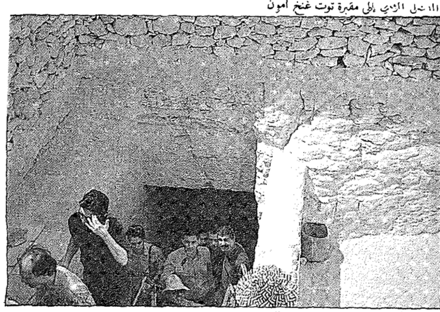
وأكملنا المسيرة إلى حيث يقبع «تمثالا ممنون» وسط الأرض الزراعية، وسألته ماذا عن أسطورة «نحيب الليالى»؟ وقال مرافقى: كان الناس فى القرى الصغيرة المحيطة بالتمثالين يسمعون صوت نحيب صادر منهما، واعتقد الجميع هنا أنهما يعترضان على إهمالهما وتركهما بدون عناية، إلى أن جاء سبتوس سيفريوس ذلك الامبراطور الرومانى الذى حكم مصر من عام ١٩٣ إلى عام ٢١١ بعد ميلاد

المسيح، وقام هذا الامبراطور بترميم الخروم والتشققات فى جسدى التمثالين فلم تعد الريح تمر من خلال التشققات التى اختفت وانتهى صوت الصفير والذى اعتقده الناس نحيبا وبهذا انتهت أسطورة نحيب الليالى.

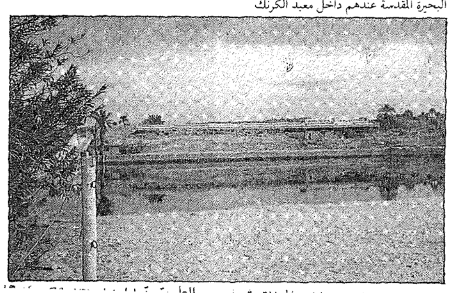
هابو المدينة والمقابر!

وبالسيارة إلى مكان ليس ببعيد وصلنا الى مدينة هابو ومعبده الجنائزى البديع النقوش والذى يحكى صرحه الأول تاريخ احدى المعارك الحربية الشهيرة وحكايات الاسرى وتجولنا لنشاهد مجموعة من المعابد التى تحيط المدينة ومنها معبد وقصر رمسيس الثالث ويصور الفناء الاول نقوشاً لاحتفالات القصر فى المعارك الحربية وننتقل إلى صالة الأعمدة التى تحكى نقوشها حياة الملك الحربية والخاصة وممارسة أنواع عديدة من الرياضات الشهيرة فى هذا الوقت.

ونخرج لنكمل الجولة والشمس الآن فى الافق ولكنها حانية ونزور الان مقابر الاشراف وهى مجموعة من المقابر تضم ما يزيد عن ٤٠٠ مقبرة مختلفة النقوش والطرازات وزرنا العديد منها وأشهرها مقبرة رعموس أكبر وأجمل المقابر وتقول النقوش أن رعموس هذا كان وزيراً للملك اخناتون ولهذا فالعديد من النقوش التى تصور اخناتون ونفرتيتى زوجته فى حياتها اليومية



المدخل الرئيسي إلى مقبرة توت غنخ آمون



البحيرة المقدسة عندهم داخل معبد الكرنك

[illegible] على جدران أعمدة المقبرة وفى غاية الجمال واظهارا لبراعة الفنان المصرى القديم تظهر نقوش الموكب الجنائزى ومن خلفه النائحات الباكيات، ومنها إلى حيث زرنا مقبرة نخت وهو كاهن وكاتب مخازن أمون وذلك فى عهد الملك تحتمس الرابع وتقول النقوش التى مازالت ألوانها زاهية حتى اليوم ان هذه الفترة اتسمت بحياة البذخ والترف.

الراميسوم ومن بعده الدير البحرى

وتتواصل المسيرة، ونحن فى الطريق توقفنا لنشاهد [illegible] الجيل وهو ينحت تماثيله ومسلاته الصغيرة وغيرها من المنحوتات بنفس الاسلوب القديم وبنفس أدواته النمطية - الأزميل والشاكوش والمطرقة والفرن البلدى القديم وتوارث المهنة - شاهدنا ابداعات فن «الألباستر» الذى يشتهر به أبناء البر الغربى لمدينة الأقصر وكان لابد من شراء بعض الهدايا التذكارية ويحار الانسان أى نوع يشترى فهذا حجر ديوريت اسود وذاك جرانيتى وردى وهذا حجر بازلت وهذه مسلة وهذا تمثال لتوت عنخ آمون، وتأكد

تواصل الاجيال فهذا هو الفنان المصرى مازال يبدع نفس الفنون القديمة.

وبعدها لابد من زيارة معبد الرامسيوم الذى أقامه الملك رمسيس الثانى من الأسرة (١٩) وأهم ما فى هذا المعبد تمثال رمسيس الجالس بارتفاع ٢٠ مترا والمتواجد فى فناء المعبد الأول ولكنه مدمر من قبل الملك قمبيز، وفى الداخل تشاهد ٤٨ عمودا بتيجان على هيئة زهور البردى المقفلة وذلك فى بهو اعمدة هذا المعبد الجنائزى وبالداخل تماثيل أخرى للملك رمسيس الثانى.

وننتقل بعد ذلك لنشاهد معبد الدير البحرى الشهير بـ «معبد حتشبسوت» لأنها شيدته لتؤدى فيه الطقوس على روحها عند الوفاة، وأسندت تصميمه وموقعه الى مهندسها «سن موت» الذى جعل تصميمه مدرجا ليتناسب مع الجبل الذى يحتضنه وقد زينت مدرجات المعبد بنقوش وصور لصيد الطيور ونقل المسلات ورحلة ولادة الملكة من أمها نفرتارى، وبجوار المعبد توجد عدة حجرات لإقامة الطقوس الجنائزية ولم يسلم هذا المعبد من التخريب كما لم يسلم غيره إلا أنه يوجد العديد من النقوش الواضحة بالوانها الزاهية وصعدنا الجبل حول المعبد لنشاهده من أعلى كبانوراما فرعونية جميلة.

وادى الملوك والملكات

وقبل أن ينتهى اليوم كان لابد من زيارة المقابر الشهيرة فى وادى الملوك والملكات، الطريق اليها بين الجبال متعرج وصعب ولكنه جميل وممهد وتركنا سيارتنا فى استراحة خصصت لذلك بعيدا عن مكان المقابر حتى لا تتأثر بالاهتزازات وبالمياه الجوفية.

سيرا على الأقدام وصلنا إلى مقابر وادى الملوك والتى تزيد عن ٦٠ مقبرة زرنا بعضها على عجالة ومنها مقابر تحتمس الثالث ورمسيس الأول ورمسيس الثالث ورمسيس السادس والتاسع وحور محب، وكان لابد من الصعود إلى مقبرة «سيتى الأول» وهى مقبرة بديعة النقوش والألوان ويبدو فيها إبداع الفنان المصرى فى نحت الجبل والحفر البارز فى تصوير «أمون رع» وقد بنيت هذه المقبرة فى عهد الملك سيتى الأول فى عصر الأسرة (١٩) ويبلغ طولها ١٠٥ متر بعمق يصل الى ٤٤ متراً فى بطن الجبل وتم اكتشافها فى العام ١٨١٧ ونقل تابوت سيتى الأول بعدها إلى لندن والمومياء الخاصة به موجودة فى المتحف المصرى حاليا، وبعد هذا الصعود الكبير هبطنا مرة أخرى لنزور مقبرة «أمنوفيس الثانى» ابن الملك تحتمس الثالث والتى اكتشفت فى العام ١٨٩٨ ووجد بها ٩ مومياوات بحالة جيدة لم تصل إليها يد العبث وبها نقوش مازالت واضحة تمثل أوزيريس وحتمور والقارب الشمسى.

أما زيارة مقبرة الفتى الجميل «توت عنخ أمون» فلها مذاق خاص جدا، نزلت إلى المقبرة فى هدوء كبير وكانت الألوان بحالتها وكأن الفنان الذى أبدعها انتهى من نقشها الآن، ومازال بداخل المقبرة بعض المقتنيات أما الباقى فهو جالس فى قاعته الخاصة بالمتحف المصرى فى ميدان التحرير فى مدينة القاهرة، وتذكرت وأنا داخل المقبرة قصة اكتشافها من قبل الاثرى البريطانى (هوارد كارتر) فى العام ١٩٢٢ والذى وجدها بحالتها ومات بعدها بفترة قليلة بعد إصابته بفيروس قيل انه من داخل المقبرة وقيل ان لعنة الفراعنة قد أصابته لأنه عبث بمحتويات المقبرة..

ولتعرف عزيزى القارىء أنه مازالت توجد حتى يومنا هذا فى مدخل المقبرة خرطوشة كتب عليها أنه من يعبث بمقتنيات قبر توت عنخ أمون لابد وأن تصيبه لعنة هذا القبر! ولعنة الفراعنة هذه كتب عنها الكثير وهى حتما نحكى من سبيل الرواية أو صدق ولا تصدق!.

وتركت مقبرة الفتى الجميل توت عنخ أمون والذى توفى وهو شاب، لنزور وادى جميلات ملكات هذا الزمان وزرنا مقبرة الملكة تيتى وآمن رحر وخشيف وأنهينا الزيارة بزيارة الملكة الجميلة «نفرتارى» ومازالت نقوش المقبرة

جميلة مثل صاحبتها، بعضها يمثل الملكة جالسة تلعب الشطرنج وبعضها يمثل طائراً يحمل رأس الملكة وهذا يعنى عند القدماء المصريين فراق الروح للجسد، فى الحقيقة رغم أنها مقابر وزيارة المقابر دائما تخيف! ولكن لزيارة مقابر الفراعنة إحساس خاص فهو مع الرهبة حتما يوجد الاحساس بروعة الابداع والفن ودوره فى حياة كل الشعوب قديما وحديثا ولابد أن تسأل كيف بقيت هذه النقوش والألوان عبر كل هذه السنوات؟ وهل توصل الفراعنة إلى أسرار كثير من الفنون والعلوم مازال يضمها التراب فى كل مدن وقرى مصر؟.

هل تكشف لنا الأيام القادمة كثيراً من هذه الأسرار؟ . كل هذه الأسئلة وأسئلة أخرى سألتها لنفسى فى طريق العودة إلى حيث نركب المعدية إلى البر الشرقى والاجابات حتما ستأتى مع الأيام... عبرنا إلى البر الشرقى مرة أخرى وكانت الشمس تودع النهار هناك خلف المعابد والمسلات وأشجار النخيل التى تحتضن كل شيء هنا، وها هو القمر يولد مرة أخرى فى مساء أقصرى جوه جميل والسمر والسهر فيه مطلوبان مع أولاد الأقصر ورجاله وناسه الطيبين أصحاب الوجوه السمراء والقلوب البيضاء وقبل أن أودع مرافقى قال لى: لتعلم ياعزيزى أنك فى مسيرتك داخل كل هذه الدروب والشوارع فى الشرق والغرب تسير على معابد ومقابر واثار وكنوز كثيرة تركها الاجداد لتحكى تاريخهم العريق.

«ولنعرف جميعا أن فى الأقصر أسراراً وأسراراً بعضها يعرفه العامة، وأكثر من ذلك قليلا يعرفه أصحاب البشرة السمراء فى قرى الأقصر وبجوار الكرنك وفى القرنة والبعيرات، وأكثر بذلك بكثير يعرفه الثرى.. ثراك يا مدينة الأسرار والكنوز والحكايات».

انها كانت زيارة لـ «الأقصر» عاصمة آثار الدنيا مدينة المائة باب..

دليل الاقصر

ماذا عن تسمية الاقصر:

سماها الفراعنة «واست» ومعناها الصولجان وأطلق عليها الأغريق «طيبة» أما العرب فقد كنوها «القصور» وتطور الاسم إلى «الأقصر» لكثرة القصور الملكية والمقصود بها معابد الحكم فى البر الشرقى، وتضم ثلث اثار العالم وتبعد عن القاهرة ٦٧١ كم.

أهم المزارات السياحية والاثرية:

١ ـ البر الشرقى: «معبد الاقصر ـ معبد الكرنك ـ مسجد أبى الحجاج ـ السوق السياحى ـ متحف الاقصر ـ معهد حسن رجب للبردى ـ قاعة المؤتمرات ـ متحف خبيئة الاقصر».

٢ ـ البر االغربى: «تمثالا ممنون ـ معبد مدينة هابو ـ معبد الرمسيسوم ـ معبد دير المدينة ـ معبد الدير البحرى «حتشبسوت» ـ مقابر وادى الملوك ـ مقابر وادى الملكات ـ مصانع الألباستر ـ مدينة د. حسن فتحى المعمارية».



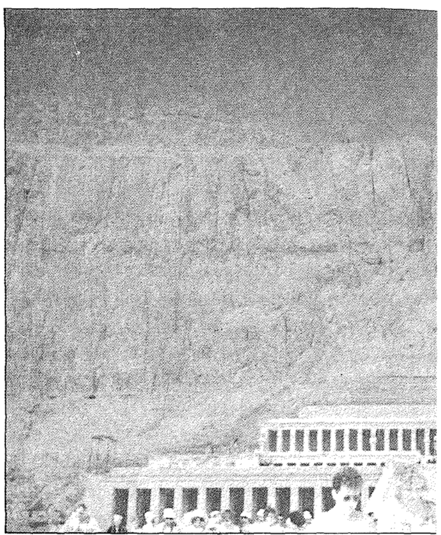
معبد الدير البحري (حتشبسوت) فى البر الغربي

درجات الحرارة:

١ ـ فصل الشتاء: «العظمى: ٢٥,٥ درجة مئوية ـ الصغرى: ٧,٥ درجة مئوية ● الرطوبة: العظمى: ٦٣ درجة مئوية، ـ الصغرى: ٤٠ درجة مئوية.

٢ ـ فصل الصيف: العظمى: ٤٢ درجة مئوية ـ الصغرى: ٢٣ درجة

هل توصل الفراعنة إلى أسرار كثير من العلوم والفنون مازال يضمها التراب ؟؟



مئوية، ● الرطوبة: العظمى: ٤٠ درجة - الصغرى: ٢٠ درجة.

فنــادق المدينــة:

١ - فندق ونتر.
٢ - فندق أتياب.
٣ - فندق الاقصر.
٤ - فندق ايزيس.

عروض الصوت والضـوء:

تقـام يوميا فى معبـد الكـرنك حسـب جدول معـد مسبقـا مع امكانية اقامة عروض خاصة بكل اللغـات لأى مجمـوعـات سياحية تطلب ذلك ولكن المواعيد الثابتة كالتالى:

- السبت والاثنـين والاربعـاء: عروض باللغة الانجليزية.
- الاحد والثلاثاء: عروض باللغة الفرنسية.
- الخميس والجمعة: عروض باللغة العربية وباللغة الالمانية.

المواصــلات:

١ - الطريق البرى من القاهرة مرورا بمحافظات الصعيد ٦٧١ كيلومتر بالسيارات الخاصة والسوبر جيت.
٢ - القــطارات: قطارات النـوم وقـطارات مكيفة يوميا من رصيف الصعيد - محطة قطار مصر.
٣ - الطائرات: من مبنى المطار رقم (١) - الصالة الداخلية - أو رحلات مباشرة إلى الأقصر.

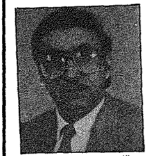
العمــلات:

يمكن استخدام كل العملات فى التعـامل، واستبدالها من فروع البنوك العاملة ٢٤ ساعة وشركات الصرافة المعتمدة والمتواجدة بالقرب من كل الاماكن السياحية.

الكهربــاء:

تضبط كل الالات والمعـدات المصاحبة على تيار قوته ٢٢٠ فولت.

تحرج الأصمعي وابن دريد



بقلم: د. صبيح التميمي
جامعة الامير عبد القادر قسنطينة - الجزائر

من منهج اللغويين العرب توثيق ألفاظ مؤلفاتهم بشواهد معروفة معتد بها، وفي طليعة هذه الشواهد نصوص القرآن الكريم، إذ وثقوا بدلالة ألفاظ القرآن الكريم، وبدلالة أساليبه، وبصيغه الصرفية، وهو أمر مألوف لديهم، معروف عندهم، سوى ما أثر عن اثنين منهم - بحدود اطلاعي - فقد تحرجا من الخوض في بيان دلالة الالفاظ القرآنية، وهما:

١ - أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٦هـ).

٢ - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ).

فالأصمعي هو المتحرج المشهور في تاريخ البحث اللغوي عند العرب، ومن هذه الشهرة: قول أبي الفضل الرياشي (ت٢٥٧هـ): «كان الأصمعي شديد التوقي لتفسير القرآن»[١]، وقول أبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ): «كان الأصمعي صدوقاً.. ويتقي تفسير شيء من القرآن والحديث»[٢].. ويدعم هذا مواقف عملية تحرج فيها الأصمعي من التفسير على الرغم مما يتصف به من علم، ورواية، وحفظ، وتتجسد هذه المواقف بروايات نقلها لنا عالمان مشهوران:

أولهما: أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت٢٥٥هـ) في كتابه فعلت وأفعلت، وهو تلميذ الأصمعي.

وثانيهما: محمد بن الحسن بن دريد، الذي قرأ على تلميذي الاصمعي: السجستاني، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي (ت٢٥٠هـ).

■ فمن روايات أبي حاتم:

١ - «قال أبو حاتم ... ولم يكن يجيب في القرآن إلا ساهياً أو ناسياً»[٣].

٢ - قال أبو حاتم: «فسألته: ما معنى نضر؟ فلم يقل شيئاً، لأن في القرآن (نضرة وسروراً)»[٤].

٣ - قال أبو حاتم: «قلت له في القرآن قول الله تبارك وتعالى ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾، قال: لا أفسر فيه شيئا»[٥].

■ **ومن روايات ابن دريد:**

١ - وعصفت الريح وأعصفت، لم يتكلم فيه الأصمعي، لأن في القرآن (ريح عاصف)[٦].

٢ - «ونكرته وأنكرته، لم يتكلم فيه الأصمعي، كلاهما في التنزيل..»[٧].

■ وإذا اضطر الأصمعي لبيان رأيه في لفظة قرآنية فإنه يعمد إلى الحديث عما يماثلها في كلام فصيح، قال أبو بكر[٨]: أخبرنا أبو حاتم، قال: قلت للأصمعي: نقول: ينع وأينع، فلم يتكلم فيه، لأنه في القرآن، فلما رآني أنظر إلى فيه[٩]، قال: قال الحجاج على المنبر: إني لأرى رؤوسا قد أينعت، وحان قطافها، ثم قال لي: هذا الكلام الفصيح، فعلمت أن «أينع» أفصح من «ينع»[١٠].

أما سبب هذا التحرج فهو توقيه من تفسير القرآن الكريم بالرأي، ويرجح هذا روايتان:

إحداهما: ما رواه أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ) عن الجرمي: قال: «صرت إلى الأصمعي ومعي كتاب المجاز لأبي عبيدة، فقال لي: هاته، فأعطيت وانصرفت، فنظر فيه حتى انتهى إلى آخره، ثم رجعت إليه، فقال لي: قال أبو عبيدة في أول كتابه (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه)، أي لا شك فيه، فما يدريه أن الريب الشك، قال: فقلت له: أنت فسرت لنا في شعر الهذليين:

د من تفسير ألفاظ القرآن الكريم

فقالوا: تركنا القوم قد حصروا به
فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

قال: فأمسك، ولم يقل شيئا، ورد الكتاب[١١].

وثانيهما: ما روي عن أبي عبيدة (ت٢٠٩هـ)، لما بلغه لوم الأصمعي له على تفسير ألفاظ القرآن الكريم بكتابه «مجاز القرآن» جاء إليه: قال له: يا أبا سعيد ما تقول في الخبز، قال: هو الذي نخبزه ونأكله.

فقال أبو عبيدة: فسرت كتاب الله برأيك، قال الله تعالى: ﴿إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً﴾.

فقال له الأصمعي: هذا شيء بان لي فقلته، لم أفسره برأيي، فقال له أبو عبيدة: وهذا الذي تعيبه علينا، كله شيء بان لنا فقلناه، ولم نفسره برأينا[١٢].

فالروايتان تؤكدان مسألة التحرج من التفسير بالرأي، وما فسره من شعر الهذليين هو من باب السهو والنسيان، وقد يفسر أموراً واضحة غير خافية، ولا موطن فيها لاستعمال الرأي.

تحرج ابن دريد:

محمد بن الحسن بن دريد متحرج آخر غير معروف، وقفت على تحرجه هذا عام ١٩٨٢ عند دراستي لمعجمه، وكأنه احتذى رأي الأصمعي، ونهج نهجه، وسلك سلوكه، وكلام ابن دريد صريح في جمهرته.

■ من ذلك:

١ ـ «فأما الخليل فالذي سمعت فيه أن معناه: أصفى المودة.. ولا أزيد فيه شيئاً، لأنه في القرآن»[١٣].

٢ ـ «ح ط هـ، أهملت إلا ما جاء في التنزيل من قوله جل وعز (حطة)، ولا أقدم على تفسيره»[١٤].

ويزداد تحرجه إذا اختلف العلماء في دلالة اللفظة القرآنية، نحو: «والأعراف في التنزيل، لا أقدم على تفسيره، للاختلاف فيه، والله أعلم بكتابه»[١٥].

ويقوى التحرج أكثر فأكثر إذا كانت الكلمة في معرض وصف أحوال الآخرة، من ذلك: «وقد جاء في التنزيل ذكر للوح، وهو قوله عز وجل (في لوح محفوظ) فهذا لا نوقف على كنه صفته ولا يستجيز الكلام فيه إلا التسليم للقرآن واللغة»[١٦].

ولما كان ابن دريد معجمياً، ولابد له من تفسير ألفاظ معجمه، وتوثيقها، وكثير منها قرآنية مماثلة لما ورد في أسلوب القرآن الكريم، لذا فقد اعتمد في التفسير على علماء آخرين، كأبي عبيدة الذي تشكل آراؤه الجزء الأكبر من تفسير ابن دريد للألفاظ القرآنية، وأبي حاتم السجستاني، وابن الكلبي (ت٢٠٦هـ)، وقد يطلق الاعتماد ولا ينسب.

■ **فمن إحالته على أبي عبيدة قوله:**

١ ـ «والحنث في القرآن: الإثم، هكذا قال أبو عبيدة»[١٧].

٢ ـ «في القرآن (والنازعات غرقا) ولا أقدم على تفسيره، إلا أن أبا عبيدة ذكر أنها النجوم»[١٨].

● وقد لا يرتضي قوله ـ أحياناً ـ ويقف حائراً، نحو: «وفي التنزيل (من رحيق مختوم) وخلط فيه أبو عبيدة، فلا أحب أن أتكلم فيه»[١٩].

● ومن اعتماده على تفسير لأبي حاتم السجستاني قوله: «فأما قوله جل ثناؤه (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر)، قال أبو حاتم: فأحسبه ـ والله أعلم ـ أنهم كانوا شركاء في سفينة»[٢٠].

● ومن اعتماده على تفسير لابن الكلبي قوله: «قال ابن الكلبي في قوله عز وجل ﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾[٢١].

● وقد يطلق الاعتماد، كقوله: «القنوت فى الصلوات: طول القيام، هكذا قال المفسرون»[22].

■ ومع وضوح منهج ابن دريد هذا فإني وجدت أن تعامله مع بيان دلالة الألفاظ القرآنية يختلف عن تعامل الأصمعي، فالأصمعي لا يفسر إلا ساهيا، أو مما هو بعيد عن التفسير بالرأي، أما ابن دريد فقد يفسر ـ أحيانا ـ بكل صراحة، دون أن يتكيء على أقوال الآخرين، من ذلك:

١ ـ وفى التنزيل «مرج البحرين يلتقيان» يعنى: الملح والعذب، والله أعلم»[23].

٢ ـ وقوله عز وجل ﴿فأدلى دلوه﴾ أى: أخرجها[24].

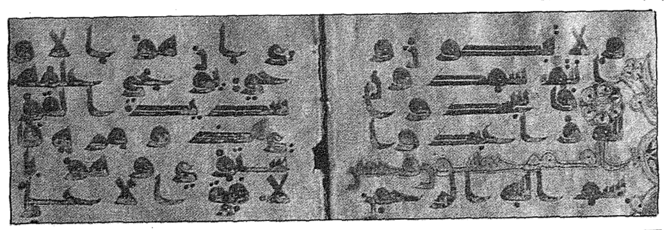
■ ثم إننا لا نعدم ـ كذلك ـ الترجيح بين التفاسير المتعددة للفظة القرآنية، من ذلك: «وقال بعض أهل اللغة: إن قوله تعالى ﴿قوارير من فضة﴾، أى: أواني يقر فيها الشراب، وقال آخرون: بل المعنى أواني فضة فى صفاء القوارير، وبياض الفضة، قال أبو بكر: هذا أعجب التفسيرين إلى، والله أعلم»[25].

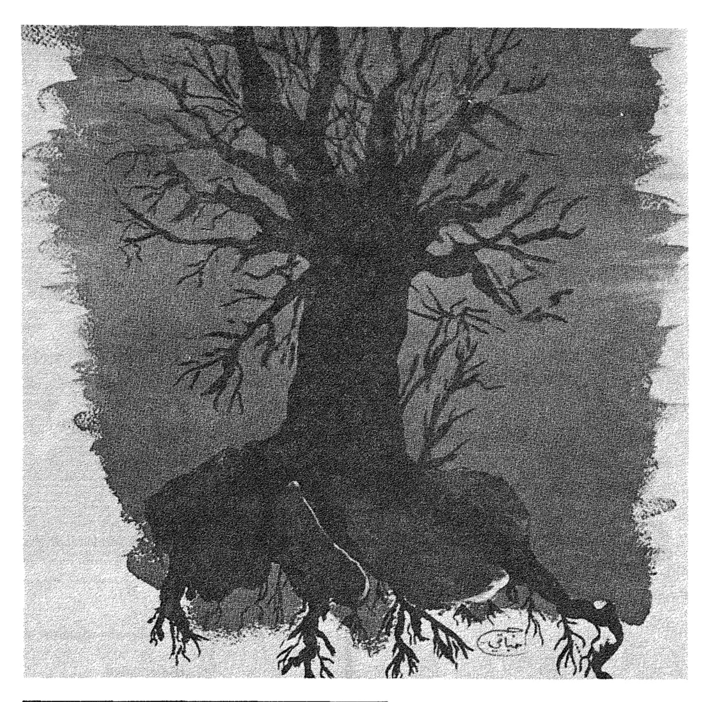
وأخيرا فموقف ابن دريد هذا ليس معبرا عن موقف جديد، ولا هو من باب السهو والنسيان، بل هو ـ فى أكبر الظن ـ نقل آراء مشهورة لمفسرين وعلماء أخر، إلا أنه لم يعزها لأصحابها، والله أعلم.

الهوامش

(١) تهذيب اللغة، للأزهرى ١/١٤، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦١).
(٢) أخبار النحويين البصريين، للسيرافي/٤٧، تحقيق الزينى وخفاجى (القاهرة ١٩٥٥).
(٣) فعلت وأفعلت، للسجستاني/١٤٠، تحقيق د. خليل العطية (البصرة ١٩٧٩).
(٤) الانسان: ١١، وفعلت وأفعلت/١١١.
(٥) الانفال: ٨، وفعلت وأفعلت/١٢٥.
(٦) يونس: ٢٢، وجمهرة اللغة ٣/٤٣٥ (نشر كرنكو حيدرآباد ـ الهند).
(٧) هود: ٧٠، والذاريات: ٢٥، وجمهرة اللغة ٣/٤٣٧.
(٨) أي: ابن دريد.
(٩) كناية عن التلهف لسماع شيء.
(١٠) الانعام: ٩٩، وجمهرة اللغة: ينع ٣/١٤٦ وقول الحجاج في الكامل للمبرد ١/٢٢٤.
(١١) أخبار النحويين البصريين، للسيراف/٤٨.
(١٢) يوسف: ٣٦، ونزهة الألباء، للأنبارى/١٠٨، تحقيق محمد أبو الفضل (دار النهضة، القاهرة)
(١٣) النساء: ١٢٥، وجمهرة اللغة ١/٧٠.
(١٤) البقرة: ٥٨، وجمهرة اللغة: ح ط هـ ٢/١٧٤.
(١٥) الأعراف: ٤٦، وجمهرة اللغة: عرف ٢/٣٨٢، ومجاز أبي عبيدة ١/٢١٥، ولسان العرب، لابن منظور: عرف ٤/٢٩٠١ (طبعة دار المعارف بالقاهرة).
(١٦) البروج: ٢٢، وجمهرة اللغة: لوح ٢/١٩٤، ولسان العرب: لوح ٥/٤٠٩٥.
(١٧) الواقعة: ٤٦، ومجاز القرنَ ٢/٢٥١، وجمهرة اللغة ٢/٣٥.
(١٨) النازعات: ١، وجمهرة اللغة: نزع ٣/٩، ومجاز القرآن ٢/٢٨٤.
(١٩) المطففون: ٥٢، وجمهرة اللغة ٢/١٤٠، ومجاز القرآن ٢/٢٨٩.
(٢٠) الكهف: ٧٩، وجمهرة اللغة: سكن ٣/٤٧.
(٢١) الأنبياء: ١٢، وجمهرة اللغة ٢/١٥٥.
(٢٢) البقرة: ٢٣٨، وجمهرة اللغة ٢/٢٦، ومعانى القرآن للنحاس ١/٢٤٠، تحقيق الشيخ الصابونى (مكة المكرمة ١٩٨٨).
(٢٣) الرحمن: ١٩، وجمهرة اللغة ١/٢١٧.
(٢٤) يوسف: ١٩، وجمهرة اللغة ٣/٢٤٤.
(٢٥) الانسان: ١٦، وجمهرة اللغة ٣/٣٨٩، ولسان العرب: قرر ٥/٣٥٨١.







شعر:

حكاية صغيرة

احمد عبد السلام البقالي - المغرب -

الطائر.. والضفدعة

(الى شعراء الحداثة..)

غرد طائر بوادي مزرعه
فاقترب الكل له ليسمعه
وحسدته عن غناه ضفدعه
وأطلقت نقيقها فأفزعه
فكف عن تغريده وطارا
وعن عيون صحبه توارى
فغضب الناس ولاموا الضفدعه
وصوتها المزعج! ياما أقطعه!
فاستغربت وسألت صديقاً
«ماذا الذي قد أزعج الفريقا؟»
فقال للضفدعة الصديقْ
هل يستوي التغريد والنقيقْ؟!

ومضات

الـفـكـــر النـــيـــر .. الكلمـــة المضيئـــة .. القلـــم النابـــض .. تجمعـــه ومضـــات فـــى أدب الواعديـــن.

جوائـــــز

■ فاز بجائـزة أحسن عمل أدبى فى ومضات العدد السابق (٥٠٠) لشهرى جمادى الاولى والثانية ١٤١٣هـ: (بشير رفعت سعيد) من مدر سن قصيدته (أبـى) .. وقد أرسلت له الجائزة على عنوا ه

ظمــأ فيـــ

عبد الله بن يحيي القحطانى ـأبهـاـ

الاهداء: لمن يحاول الكماة اغتياله

يذوب الليل . .

ويجتاح الحزن النفس البشرية ساعة ثم يعقبه الفرح . . والحزن المستمر يحدث فى حالة نادرة . . قضية لا يكفيها الحبر والورق. كان ياما كان:

فمنذ عشرات السنين تمت سرقة فى مكان ما . . حتى لو اتصلوا بالشرطة فاللصوص دخلوا وافسدوا واحاطوا بالمكان من كل حدب وصوب، يا خلق الله أواه! هاجر السكان وتفرقوا فى أرجاء المعمورة، فى الغرب آلاف، وفى الشرق آلاف وفي الجنوب كثيرون، وهناك صامدون كشجر الزيتون.

يتجمد النهار . .

وطفل يخرج من الحياة إلى الحياة، تقبله أمه ويداعبه والده . . ماذا نسميه؟ انور، . . واتجه الى غرفة المواليد وأخذ الورقة ودون انور . . . (الجنسية) . . . احتار أمام هذه الكلمة و ىكر وفي معركة الحيرة والتفكير تنساب دموعه، وطوى الورقة وعاد إلى زوجته وفى عينيه دموع وفي حلقه عبرات، انكسار الحروف وانقباض اللسان إلى الداخل . . نتيجة بقايا الماضي.

هل اكملت الكتابة؟ . . لا . هناك كلمة ثقيلة النطق قاطعته فلسطينى . . ليت ولادته هناك

ومرت السنون وأصبح الطفل شابا يدرس فى كلية الطب، دماء الفلسطينيين تنزف من الضرب والقتل . . يحترق احتراقا داخليا . . ياليت، ولكن كيف ومتى؟؟ انتفاضة بداية التحرير وطريق الجهاد، القردة تمشى على أرضنا وتأكل ثمارنا.

ـــ الطريــــق

يا زمن العجائب . .

وانا ضائع فى المنفى والقردة تسرح وتمرح، لابد أن تدخل إلى حديقة الحيوانات مرة اخرى.

وفى ساعة من يوم صيفى.

سمعت إذاعة فلسطين، صوت الحق والثورة. . ولكن أي ثورة هذه؟ سؤال صعب والجـواب عنـد الملثمين عند الحجارة التى لا تنكسر، صراع من أجل البقاء. . ويحتدم الصراع وتناثرت الفصول الأربعة.

وفى ساعة من يوم شتوى.

سمعت اذاعة اسرائيل: جاءنا هذا الخبر

وقعت جريمـة فى شرق القـدس عنـدمـا كان الجنديان يؤديان واجبهما وملخص الجريمة كما افاد احدهما:

خاطب الجنـدى رفيقـه متى تنفـد الحجـارة فى ارضهم؟ وصمت الاثنان وجد احدهما يتخبط فى دمه اصـابه فهر، والآخر حالته سيئة، ولا زال التحقيق مستمرا ويشتبه فى الملثمين؟!

تلك الثورة . . ذلك الحق؟!

الانتظار واليأس عندما يلتقيان معا يقتلان ببطء.

الأمانى في زمن السرقات مستحيل وتتجمع فى قالب واحد ان نصلي فى المسجد الاقصى دون خوف أو بندقية، البحث عن الحرية بين اغصان الزيتون جريمة.

تشرق الشمس ويتسلل القمر

الشمس حلم ينساب فى قلبى دافئا، لا شك فى عدالة السماء.

وتستمر الشهادة وتتدفق الدماء إلى أن . . .

آخر خطوة فى الغربة رسالة لطفل القدس.

أنت ضعيف، بل القوى بين هؤلاء الصبية الذين يلعبون.

أنت نجم فى الفضاء، حجر يكسر الجماجم وبحر يصفع القردة.

غدا اقول لك هيا نهاجر معا في كل مدن فلسطين «فى سهـولها» وفوق هضابها وروابيها نبشر بفرحة النصر ونضرب بسيف خالد بن الوليد اعناق القردة، نحن غربـاء. . . غدا نصـل، بل فى المساء. . ولكن فى الطريق ظمـأ.

■ ظمأ فى الطريق:

نلمس فيهـا ملامـح للنضج الفنى .. ونقف من خلالها على معالم لغة خاصة بكاتبها.

وقـد جاء ت القصة فى مقاطع استطاع الكاتب الربط الفنى بينها ربطا ذكيا.

ومضات تنشرها لك.. وفى انتظار مساهمات أخرى.

(المحــرر)

وقفة تأمل:

المسلم المعاصر

ابن بوذه نور الدين - الجزائر -

حينـما بعث الله عز وجـل رسوله عليه الصلاة والسلام للناس كافة بشيرا ونذيرا، كان عليه الصلاة والسلام مدركاً للمجتمع الذى يجاهد فيه، لذلك - وكما نقرأ فى السيرة العطرة نجد أن الرسول ﴿ﷺ﴾ كان يتحـرك بفعـالية ويجـاهـد على أكثر من صعيد واحـد، وفى كثـير من المواقع. . وهذا التحرك كان مضبـوطا ولم يكن خبط عشواء. . فقد كان الرسول ﴿ﷺ﴾ يجاهـد نفسـه وذلك بتحمل مشاق الدعوة والصبر عليها، ثم أهله والأقربين منه، ثم مجتمعه مع



أيـن أنـتـم ؟

أيـن أنـتـم يا أيهـا الأدبـاء
فقـد اسـود في عيـوني الـفـضـاء
واسـتـقـر الـظلام بين جفـوني
وتـراءى على حيـاتي الـفـنـاء
كنـتـمـو دائـما زهـورا لقـلبـي
حين حلت بمـهـجـتي الارزاء
منهـلا كنـتـمـو وكـنـتـم عبـيرا
قد سرى الـطيـب منـه والانـداء

المسلم المعاصر ـ بقية

الصبر والثبات ومخاطبة الناس على قدر عقولهم . . ولم يكن الرسول ﴿ﷺ﴾ يغرر بنفسه ولا بأصحابه بل كان يدرس مواقع الدعوة ومدى الايجابية التى تحققت فيها ومن ثم الانطلاق برزانة وعلم وخطط جديدة.

■ إن المسلم المعاصر ـ حيث ان قدوته الأولى هى شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ ـ لمطالب أكثر من أى وقت مضى أن يكون يقظا، محتكا بمجتمعه لا هاربا منه ونافراً بدعوى أفكار، أقرب ما تكون موروثة عن عهد الاستعمار البغيض الذى كان همه الوحيد ولازال هو: شل حركـة المسلم وتثبيط عزيمتـه، أو قل ان تلك الافكار هي من تلبيس إبليس الذى يزين ويحبب لنا العـزلـة عن المجتمـع؟؟. فالفاعلية المطلوبة إذن، تشتمل على التحرك على أكثر من صعيد والثبات مهما كانت الـظروف ـ إقتـداء بسـيرة المصطفى ﴿ﷺ﴾ وفوق هذا وذاك: البدء بمجاهدة النفس والهوى. . فكيف وأنت لم تصلح نفسك وتطلب وتدعو إلى أعمال تناقض سلوكك تماما؟؟. وهذا مما يدعونا إلى التذكير بخـطورة دور الأمـر بالمعـروف والنهى عن المنكر بالوسائل التى حددتها الشريعة الاسلامية.

ولا مكـان للانعـزال والهـامشية فى المجتمـع وخصوصا فى هذا العصر. . وذلك ـ وكما لا يخفى على الكثير ـ مدعاه لانتشار الأفكار المسمومة التى يروجها أعـداء هذا الـدين فى غياب دور المـسلم فى هذه القضية، والذى يفعله بعيداً عن ساحة المعركة الخفية التى يخوضهـا الاعـداء ضدنـا بوسـائل وإمكانيات ضخمة تمكنهم من النجاح ولو نسبيا فى كسب المعركة والتى على المسلم المعاصر أن يعي جيدا أبعادها الخطيرة؟.

■ المسلم المعاصر والفعالية المطلوبة.. موضوع حيوى وهام.. وكان من الممكن أن يعمق بشكل أقوى ـ حيث يمكن التمثل فيه أيضا بدور الصحابة وأعلام المسلمين الذين أثروا فى المجتمع بسلوكهم وفكرهم كما كان من الضـرورى أن يتمثـل أيضـًا بمضمون الايات القرانية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة.. وغير ذلك.

(المحـــرر)

غريب

ادرسي خرائطي وصوري
وبعض منشوراتي
لن تقدري ان تعدي
قـاراتي
لن تستطيعي ان تفسري
نظـــراتي

د. محمد صالح
جوجقار (جدة)

عباس مهدى الخزام - القطيف -

افـما كنـت وافـيـا وصـفـيـا
حيـث انـتـم مازلـتـمـو الاوفـيـاء
كنـت كالـطير صادحـاً أطلق اللحن
فتـصـغـي الـسـفـوح والبـيـداء
كنت مثـل النسيم اخـطر فى الادواح
تيـهـا فللـسـواقـي غـنـاء
قد سئـمـت الحـيـاة هل من مجير
مات صبري ومـات في الـرجـاء
ودمـائـى تثـور تغـلي كبركـان
فتـشـوى بحـرهـا الاحـشـاء
لن يحس الـلهـيـب والجـمـر إلا
من تلظى ومـن صلاه الـشـواء
أيـن أنـتـم ايـن المـروءة ولـت
أيـن اخـلاصـكـم وأيـن الاخـاء
هل تأثـرتـمـو بحـفـنـة مال
أم ترى الـبـذخ صدكـم والـشـراء
ايـن اقـلامـكـم تضـيء حروفـاً
نيرات يشـع منهـا الـضـيـاء
قد تقـاعـسـتـمـو وغـرتكم الايـام
والـدهـر ما الـيـه صفـاء
وانـاديـكـمـو فبـعـضـكـمـو لبى
وبـعض لم يجد فيـه الـنـداء
ها انـا صامـد صمـود الـرواسي
وبـصـدري الـعـزيـمـة الـشـماء

حسين سيد أحمد - مصر -

لا تشكريني
ن حكيتك عن تباريحى
أتراحى . . . وأيامى السعيده
و تلومينى
صمت النبض فى صدرى
ذا ما جاء يهديك وروده
و تقولى :
.نى جد سعيده
كنت أمنيتى الشريده
صرت للقلب . . . نشيده
وللتغريد عـوده
وأنت - اليـوم -
ما عشت أريده
لا تشكرينى
واذكرى كيف التقينا
دون أن يدرى الزمان
وكيف صيرنا الليالى
مملكات للأمـان
وكيف أنا حين شئنا
كل ما شئناه كان
أو تلومينى
ففيك . . . كل ما يهوى الجنان
وأنت أغنية الزمـان

لن تتمكني ان
تقرأي كتاباتـــي
قد تبدين جميلـة
لكن ليس في مراياتي
قد تجيدين السباحة
لكن بعيدا
عن بحيراتي
قد تحسنين العزف
لكن بغير ناياتى
فأنا اتيت من زمن
بعيد يسبق سنواتي
نسيت فيه عطري
واقلامي وسـاعاتى
لم أعبد بعد طرقاتي
لم ألون بعد رسوماتى
لم أنقط بعد كلماتي
فلا تنظري الى نجومي
وكويكباتي
ولا تقربى من موانـيء
ومحطاتـــى
ولا تستمعى الى ألحاني
ومقامـــاتي
فأنا لا أريد قطرة ماء
أن تلمس شجيراتي
ولا أريد نسمة هواء
أن تداعب زهراتي
ولا أريدك أن تقتلي
اجمل اوقاتي

■ ومضات تنشر (غريب) تشجيعا واطلاعك على عيـــون الشعـر العـربى وابـداعـات المعـاصـرين.. نصيحـة نوجهها لك لصقل موهبتك الشعرية.

(المحــرر)





أ.د. عبد الباسط احمد على حمودة ـ مصر ـ

■ لا شيء فى الحياة يعين الانسان على الوصول إلى خيرى الدنيا والاخرة غير الايمان بالله والرضا بربوبيته والتيقن من قدرته، وأن ما شاء ه كان وما لم يشأ لم يكن والتصديق بكل ما جاء فى هذا المجال على لسان الانبياء والمرسلين: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾. **وهذا الايمان هو تسليم الانسان لله بأنه لا حول ولا قوة إلا به، فواقع الحياة لا يقدر الانسان على دفع من هو أقل منه إذا كان من ذوى الحيل والمكر، ومن باب أولى من هو أقوى منه فى عالم الاشهاد، فكيف بالانسان إذا صار إلى عالم الغيب؟ وكيف إذا كانت لديه القدرة على الفوت من دنيا الانسان، فكيف يكون حاله يوم يكون فى عالم القبور ويوم يقوم الناس لرب العالمين.**

فالمدار على الايمان الذى يثبت الله به عباده المؤمنين، ولذا كان رسولنا ﴿ﷺ﴾ يكثر من قوله: (اللهم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبى على دينك) ويعلم أمته أن تتعود على أدعية ترسخ الايمان، وتوقظها إلى ما يعترضها فى دنياها وأخراها، فيقول: (إذا فرغ أحدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال) ويقول أيضا: (اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم).

فمن مقدمات إيمان المسلم أن الجنة حق، والنار حق، والقبر حق، وظهور المسيح الدجال حق.. إلى اخر ما تدور عليه عقيدته.

ونقف فى هذا المجال مع جملة من الأنباء والأخبار والقصص والأحاديث التى جاءت على لسان الصادق الصدوق محمد ﴿ﷺ﴾ ليرسخ فى عقيدة المسلم ظهور المسيح الدجال فى أخريات الدنيا، حتى يكون على حذر منه، وصدق الله العظيم حين يقول لنبيه: **﴿يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيراً، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** وحين يعرض علينا رسول الله ﴿ﷺ﴾ هذا الكم من القصص التى تخبرنا عما ينتظرنا من محن وفتن، فإنما ذلك لصدق قول الله تعالى: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾**.

والمسيح الدجال أو المسيخ الدجال، ـ وقد سبق ذكره ـ أفاضت السنة فى ذكره، وحفلت السنة الصحيحة بالكثير من أخباره.

وجاء فى لسان العرب فى مادة (مسح) رجل ممسوح الوجه ومسيح ليس على أحد شقى وجهه عين ولا حاجب، والمسيح الدجال منه على هذه الصفة وقيل سمى بذلك لأنه ممسوح العين، والمسيح الأعور وبه سمى الدجال، والمسيح الصديق وبه سمى عيسى ـ عليه السلام ـ والمسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه

وعلى نبينا وسلم - سمى بذلك لصدقه، وقيل سمى به لأنه كان سائحا فى الأرض لا يستقر، وقيل سمى بذلك لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله.

وقال الأزهرى أعرب اسم المسيح فى القرآن على مسح، وهو فى التوراة مشيحا فعرب وغير، كما قيل موسى وأصله موشى، وأنشد (إذا المسيح يقتل المسيحا) يعنى عيسى بن مريم يقتل الدجال بنيزكه (الرمح القصير).

والمسيح الكذاب الدجال وسمى الدجال مسيحا لأن عينه ممسوحة عن أن يبصر بها، وسمى عيسى مسيحا اسم خصه الله به ولمسح زكريا إياه.

وروى عن أبى الهيثم أنه قال: المسيح بن مريم الصديق، وضد الصديق المسيح الدجال، أى الضليل الكذاب، خلق الله المسيحين أحدهما ضد الآخر، فكان المسيح بن مريم يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله، وكذلك الدجال يحيى الميت ويميت الحى وينشىء السحاب وينبت النبات بإذن الله فهما مسيحان: مسيح الهدى ومسيح الضلال.

■ وقصص رسول الله ﴿ﷺ﴾ يدور حول التعريف بالمسيح الدجال والتحذير من فتنته ومن شره وذلك من أهم ما كان يحرص عليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو من صميم رسالته، ومما أفاضت فيه السنة التى هى شارحة ومبينة للقرآن العظيم.

■ ومن هذا القصص ما رواه البخارى[١] عن موسى عن نافع قال عبد الله: ذكر النبى ﴿ﷺ﴾ يوما بين ظهرى الناس المسيح الدجال، فقال: «إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام، فإذا رجل آدم، كأحسن ما يرى من أدم الرجال، تضرب لمتهُ بين منكبيه رجل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت من هذا؟ فقالوا هذا المسيح بن مريم، ثم رأيت رجلا وراءه جعداً قططا[٢] أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن[٣]، واضعا يديه على منكبى رجل يطوف بالبيت، فقلت من هذا؟ قالوا المسيح الدجال» وفى رواية بعد الحديث عن عيسى عليه السلام يقول: (. . فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، قلت من هذا؟ قالوا هذا الدجال، وأقرب الناس به شبها ابن قطن).

وروى البخارى[١] عن قيس قال: قال لى المغيرة بن شعيب: ما سأل أحد النبى ﴿ﷺ﴾ عن الدجال ما سألته، وإنه قال لى: (ما يضرك منه؟) قلت لأنهم يقولون: إن معه جبل من خبز ونهر ماء، قال: (هو أهون على الله من ذلك).

وعن أنس بن مالك قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾: «يجىء الدجال حتى ينزل فى ناحية المدينة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق».

وفى رواية - للبخارى أيضا - عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: قام رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إنى لأنذركموه، وما من نبى إلا وقد أنذر قومه، ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور».

وروى البخارى عن حذيفة عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال فى الدجال ان معه ماء ونارا، فناره ماء بارد، وماؤه نار تحرق.

وروى أيضا عن أنس - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾ (ما بُعِثَ نبى إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا أنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه بين عينيه مكتوب كافر).

وروى عن أبى سعيد قال حدثنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوما حديثا طويلا عن الدجال، فكان فيما يحدثنا به (أنه يأتى الدجال - وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة - فينزل بعض السباخ التى تلى المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل، وهو خير الناس أو من خيار الناس، فيقول أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر؟

فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه).

وتدل روايات أخرى أن الدجال لا يستطيع دخول المدينة، فلها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان، وفى رواية أبى هريرة عن النبى ﴿ﷺ﴾ (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال) وقال أيضا: (المدينة يأتيها الدجال، فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله).

وجاء فى تنبيه الغافلين[5] عن عبد الله بن حمير أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: (ليصحبن الدجال أقوام يقولون إنا لنعلم أنه كاذب، ولكنا نصحبه لنأكل من الطعام ونرعى من الشجر، فإذا نزل غضب الله نزل عليهم كلهم) وعن سمرة بن جندب أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «إن الدجال خارج وهو أعور العين اليمنى، وأنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى، فيقول للناس ماربكم؟ فمن قال أنت ربى فقد فتن، ومن قال ربى الله حتى يموت على ذلك فقد عصم من فتنته، فيلبث فى الأرض ما شاء الله أن يلبث، ثم يجيىء عيسى بن مريم - عليه السلام - من قبل المغرب مصدقا بمحمد ﴿ﷺ﴾ فيقتل الدجال، ثم قال إنما هى قيام الساعة».

■ وقصة أخرى تروى عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه قال[6]: (يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين - لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما - فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه - قال - فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا، فيمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون؟ فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم، حسن عيشتهم، ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا[7] - قال - وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله - قال - فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله، أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل - أو قال الظل - شعبة الشاك - فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسئولون، ثم يقال أخرجوا بعث النار، فيقال كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق).

■ وفى قصص آخر يبين رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن الدجال كذاب وأنه فتنة يضل به الناس، وان الله يجرى على يديه خوارق العادات أمام الناس، وليست فى واقع الأمر إلا وهما يحسبه الناظرون حقيقة.

فعن ربعى بن حراس قال: انطلقت مع أبى مسعود الأنصارى إلى حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - قال له أبو مسعود، حدثنى ما سمعت من رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى الدجال، قال: (إن الدجال يخرج، وإن معه ماء ونارا، فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس نارا فماء بارد وعذب، فمن أدركه منكم فليقع فى الذى يراه نارا، فإنه عذب طيب) فقال أبو مسعود: وأنا قد سمعته[8].

■ وفى قصة مطولة عن سابقتها عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه - عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: (يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فيتلقاه المسالح[9]: مسالح الدجال، فيقولون له: إلى أين تعمد، فيقول أعمد إلى هذا الذى خرج، فيقولون له أوما تؤمنن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه، فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس: إن هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﴿ﷺ﴾ فيأمر الدجال به فيشبح[10]، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربا، فيقول أوماتؤمن بى؟ فيقول أنت المسيح الكذاب، فيؤمر به فيؤشر[11] بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول له

قم فيستوى قائما، ثم يقول له: أتؤمن بى؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يقول يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس، فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا، فيأخذه بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنه قذفه إلى النار، وإنما ألقى فى الجنة) فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين).

ويخبر النبى ﴿ﷺ﴾ أن للدجال أتباعا فيقول: (يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة) وينفر منه الناس كما يقص ﴿ﷺ﴾ (لينفرن الناس من الدجال فى الجبال).

■ ومن قصص رسول الله ﴿ﷺ﴾ المطول عن أواخر الزمان، مما يتصل بعلامات الساعة الكبرى، ما جاء عن النواس بن سعفان ـ رضى الله عنه ـ قال: ذكر رسول الله ﴿ﷺ﴾ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: (ما شأنكم؟) قلنا يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال: (ما غير الدجال أخوفنى عليكم: أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وأن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافية[١٢] كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج حلة[١٣] بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه فى الأرض؟ قال: أربعون يوما يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، أقدروا له قدره، قلنا يارسول الله وما إسراعه فى الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين[١٤] ليس بأيديهم شىء من أموالهم، ويمر بالخربة[١٥] فيقول لها: أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب[١٦] النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضرب به بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح بن مريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين[١٧]، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد[١٨] فيقتله.

ثم يأتى عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله ـ تعالى ـ إلى عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج (وهم من كل حدب ينسلون) فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبى الله عيسى ﴿ﷺ﴾ وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبى الله عيسى ﴿ﷺ﴾ وأصحابه رضى الله عنهم إلى الله تعالى، فيرسل الله تعالى عليهم النغف[١٩] فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبى الله عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ـ رضى الله عنهم ـ إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبى الله عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ـ رضى الله عنهم ـ إلى الله تعالى، فيرسل الله تعالى طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله ـ عز وجل ـ مطرا لا يكون منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة[٢٠] ثم يقال للأرض أنبتى ثمرك، وردى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها[٢١]، ويبارك

الله فى الرسل[٢٢] حتى إن اللقحة[٢٣] من الابل لتكفى الفئام[٢٤] من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من النـاس واللقحـة من الغنم لتكفى الفخـذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذ بهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار النـاس يتهـارجـون فيها كتهارج الحمر فعليهم تقـوم السـاعة، ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبـل الخمر وهو جبل ببيت المقدس فيقولون: لقد قتلنـا[٢٥] من فى الأرض فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبه دما).

وهذه رواية قصة تتصل بالمسيح الدجال ودخوله المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ مما جاء فى مسند أحمد والطبرانى ورجال أحمد، عن صابر ابن عبد الله قال[٢٦]: أشرف رسول الله ﴿ﷺ﴾ على فلق[٢٧] من أفـلاق الحـرة ونحن معـه، فقـال: نعم الأرض المدينة، إذ اخرج الدجال، على كل نقب من أنقابها ملك لا يدخلها، فإذا كان ذلك رجفت المدينة بأهلهـا ثلاث رجفات لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، وأكثرهم يعنى من يخرج ـ النساء وذلك يوم التخليص، وذلك يوم تنفى المدينة الخبث كما ينفى الكـير خبث الحـديد، يكـون معه سبعون ألفا من اليهــود، على كل رجــل منهم ساج وسيف محلى، فيضرب قبته بهذا المضرب الذى بمجتمع السيول).

وفى رواية: (يا أهــل المــدينــة، اذكـروا يوم الخلاص، قالوا وما يوم الخلاص؟ قال يقبل الدجال حتى ينـزل بذباب، فلا يبقى فى المدينة مشرك ولا مشركة، ولا كافر ولا كافرة، ولا منافق ولا منافقة، ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، ويخلص المؤمنون فذلـك يوم الخـلاص) وقال فى رواية أخرى: (يوم الخلاص، وما يوم الخلاص؟ ثلاثا، فقيل له وما يوم الخلاص؟ قال: يجىء الدجال فيصعد أحدا، فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمـد، ثم يأتى المدينة فيجد بكل نقب منها ملكا مصلتـا فيأتى سبخـة الجـرف، فيضرب رواقه، ثم ترجف المـدينـة ثلاث رجفـات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فذلك يوم الخلاص).

وذكر القرطبى[٢٨] روايات كثيرة: منها أن الدجال أعــور العــين اليسرى ـ بدلا من اليمنى ـ جفـال الشعـر، وفى رواية: (إحـدى عينيه كأنها زجـاجـة خضراء) وأنــه يخرج من أرض بالمشرق يقــال لها خراسان، يتبعه أفواج كأن وجوههم المجان المطرقة، ويتبعـه من أمـة محمـد ﴿ﷺ﴾ سبعون ألفا عليهم السيحـان، وإن: (قبل خروجه ثلاث أعوام تمسك السماء: فى العام الأول ثلث قطرها، والأرض ثلث نبـاتهـا، والعـام الثـانى تمسـك السماء ثلثى قطرها والأرض ثلثى نبـاتهـا، والعام الثالث تمسك السماء قطرها والأرض نباتها حتى لا يبقى ذات ضرس ولا ذات ظلف إلا مات) وفى رواية قص النبى ﴿ﷺ﴾ قريبا من الرواية السابقة وزاد عليها قوله: (وفى السنة الثالثة يمسك الله المطر وجميع النبات، فما ينزل من السماء قطرة، ولا تنبت الأرض خضرة ولا نباتا، حتى تكـون الأرض كالنحـاس والسماء كالزجاج، فيبقى الناس يموتون جوعا وجهدا، وتكثر الفتن والهرج، ويقتــل النــاس بعضهم بعضــا، ويخـرج النـاس بأنفسهم، ويستولى البلاء على أهل الأرض، فعند ذلك يخرج الملعون الدجال، من ناحية أصبهان، من قرية يقـال لها اليهـودية وهـو راكب حمارا أبتر يشبه البغل، ما بين أذنى حماره أربعون ذراعا، ومن نعت الـدجال: أنه عظيم الخلقة، طويل القامة، جسيم أجعد قطط أعور العين اليمنى كأنها لم تخلق، وعينه الأخرى ممزوجة بالدم، وبين عينيه مكتوب: كافر، يقرؤه كل مؤمن بالله فإذا خرج يصيح ثلاث صيحات ليسمـع أهـل المشرق والمغرب) وفى رواية تزيد على سابقتها: (. . فيقول الدجال للناس ألست بربكم، أحيى وأميت، ومعــه ملكــان يشبهــان نبيين من الأنبياء، إنى لأعرف اسمهما واسم آبائهما، ولو شئت أن أسميهما سميتهما: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله فيقول: ألست بربكم أحيى وأميت؟ فيقول أحـدهمـا: كذب، فلا يسمعـه من الناس أحد إلا صاحبه، ويقول الآخر: صدقت[٢٩]، وذلك فتنة، ثم

يسير حتى يأتى المدينة، فيقول: هذه قرية الرجل، فلا يؤذن له أن يدخلها، ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عند عقبه أفيق).

وهذه قصة من قصصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعل فيها إضافات على الروايات السابقة، وفيها حديث عن الشياطين التى تكلم الناس، لتزيد من الفتنة حيث: (يخرج الدجال فى خفقة من الدين، وإدبار من العلم، أى قلة من أهله، وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا، فيقول للناس أنا ربكم، وهو أعور، وأن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة، حرمهما الله ـ تعالى ـ عليه، وقامت الملائكة بأبوابها ومعه جبال من خبز، والناس فى جهد إلا من اتبعه، ومعه نهران، أنا أعلم بهما منه، نهر يقول له: الجنة، ونهر يقول له: النار، فمن أدخل الذى يسميه الجنة فهى النار، ومن أدخل الذى يسميه النار فهى الجنة، قال: وتبعث معه شياطين تكلم الناس، ومعه فتنة عظيمة، يأمر السماء فتمطر ـ فيما يرى الناس ـ ويقتل نفسا ثم يحييها ـ فيما يرى الناس ـ فيقول للناس، أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب، فيفر الناس إلى جبل الدخان وهو بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا ثم ينزل عيسى ـ عليه السلام ـ فيأتى فى السحر فيقول: هذا رجل فينطلقون، فإذا هم بعيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ فيقام للصلاة فيقال له: تقدم ياروح الله فيقول: ليتفضل إمامكم فليصل بكم، فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادى: ياروح الله هذا يهودى، فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله).

ويروى بعض الصحابة أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يكثر من الحديث عن الفتن التى قبل الساعة، وعن المسيح الدجال، ولذلك تواترت الروايات وتشابهت ولكنها اتفقت فى كثير من ألفاظها ومعانيها، وأمام هذا التواتر نعرضها فى ألوانها المختلفة، ما دمنا واثقين من صدقها، وصحة تدوينها ولا يضر تكرارها وتشابهها مادامت تؤدى إلى فائدة النصح والارشاد.

■ ومن القصص النبوى الذى أورده الامام القرطبى[٣٠] قال: وحدثنا على بن محمد قال: حدثنا عبد الرحمن المحاربى عن إسماعيل بن رافع أبى رافع عن أبى عمر الشيبانى زرعة عن أبى أمامة الباهلى قال: خطبنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه، وكان من قوله أن قال: (إنه لم يكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله تعالى آدم، ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم من فتنة الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدى فكل حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيعبث يمينا ويعبث شمالا، يا عباد الله أيها الناس، فاثبتوا فإنى سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبى قبلى، إنه يبدو فيقول: أنا نبى الله ولا نبى بعدى ثم يثنى فيقول: أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا ـ وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه كل مؤمن من كاتب وغير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا، فمن ابتلى بناره، فليستعذ بالله، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما، كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته أن يقول لأعرابى: أرأيت إن أحييت لك أباك وأمك أتشهد أنى ربك، فيقول: نعم، فيمثل له شيطانا فى صورة أبيه وأمه، فيقولان: يابنى اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها فينشرها بالمنشار حتى يلقى نصفين، ثم يقول: انظروا إلى عبدى فإنى أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربا غيرى، فيبعثه الله فيقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربى الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك منى اليوم).

وتكمـل رواية أبى سعيد الخـدرى عن النبى ﴿ﷺ﴾ (ذلك الرجل أرفع أمتى درجة فى الجنة) ونرجع إلى رواية الحديث السابق عن أبى رافع قال: (وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنتـه أن يمـر بالحى فيصدقوه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من بيوتهم ذلك أسمن ما كانت وأعـظمـه، وأمـده خواصر وأدره ضروعـا، وأنـه لا يبقى شىء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتى من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف المصلتة حتى ينزل عنـد الظريب الأحمر، عند منقطع السبخة فترجف المـدينـة بأهلها ثلاث رجفات، فلا بقى منافق ولا منـافقـة إلا خرج إليه، فينفى الخبث منها كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص) فقـالت أم شريك بنت أبى العسكر: يارسول الله فأين العرب؟ قال: هم قليل وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح قد تقدم يصلى بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى بن مريم ـ عليه السلام، فيرجع ذلك الامام ينكص القهقرى، ليتقدم عيسى ليصلى بالناس فيضع عيسى ـ عليه السلام ـ يده على كتفه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت، فيصلى بهم إمـامهم، فإذا انصرف قال عيسى ـ عليه السلام ـ افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال، ومعه سبعون ألف يهودى، كلهم ذو سيف محلى وسلاح، فإذا نظر إليه الـدجـال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وانطلق هاربا ويقول عيسى ـ عليه السلام ـ إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها، فيدركـه عنـد باب اللد الشرقى، فيضربه فيقتله فيهزم الله اليهود، ولا يبقى شىء مما خلقـه الله يتـوارى به يهودى إلا أنـطق الله ذلـك الشىء، ولا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة[31]، فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودى فتعال فاقتله) قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة وآخر أيامه كالشررة، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى.

فقيل يارسول الله: كيف نصلى فى تلك الأيام القصار؟ قال: (تقدرون فيها الصلاة، كما تقدرونها فى هذه الأيام الطوال ثم صلوا) وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (فيكون عيسى ـ عليه السلام ـ فى أمتى حكما وعـدلا وإمـامـا مقسـطا، يدق الصليب، ويذبـح الخنزير، ويضع الجزية[32] ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض وترفع حمة كل ذات حمة[33] حتى يدخل الوليد يده فى الحية فلا تضره، وتغز الوليدة الأسد فلا يضرها، وتكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الاناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور[34] الفضة تنبت نباتها بعهـد آدم ـ عليه السـلام ـ حتى يجتمع النفر على القـطف من العنب فيشبعهم، ويجتمـع النفـر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات)، قيل: يارسول الله وما يرخص الفرس؟ قال: (لا يركب الحرب أبدا، فقيل له: يارسول الله وما يغلى الثور؟ قال: تحرث الأرض كلها، وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب بها النـاس جوع شديد يأمـر الله السماء فى السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر الله السماء فى السنة الثانية فتحبس ثلثى مطرهـا ويأمـر الأرض فتحبس ثلثى نباتها، ثم يأمر الله السماء فى السنة الثالثة فتحبس مطرهـا كله، فلا تمطر قطرة ويأمـر الأرض فتحبس نباتها فلا تنبت خضرا، ولا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس إلا هلكت إلا ما شاء الله، فقيل: فما يعيش النـاس فى ذلـك الـزمـان؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجزى ذلك عنهم مجزى الطعام.

وفى حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية. قالوا: يارسول الله ذكرت الدجال، فوالله إن أحدنا ليعجن عجينـة فما يخبـز حتى يخشى أن يفتن وأنت تقول: الأطعمـة تزوى إليه، فقـال رسـول الله ﴿ﷺ﴾:

(يكفى المؤمن يومئذ ما يكفى الملائكة) فقالوا: فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولكنها تقدس، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (طعام المؤمنين يومئذ التسبيح) وعن أسماء - رضى الله عنها - قالت قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بيتى فذكر الدجال فقال: (... وإن من أشد فتنته أن يأتى لأعرابى فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك ألست تعلم أنى ربك؟ فيقول: بلى، فيمثل الشيطان له نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعا وأعظم سمنة - قال - ويأتى الرجل مات أخوه ومات أبوه، فيقول أرأيت إن أحييت لك أخاك، وأحييت لك أباك تعلم أنى ربك؟ فيقول: بلى، فيمتثل الشيطان نحو أبيه وأخيه. قالت: ثم خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم به، فقالت: فأخذت بجنبتى الباب فقال: مهيم يا أسماء، قلت: يارسول الله: لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال، قال: إن يخرج وأنا حى فأنا حجيجه وإلا فإن ربى خليفة على كل مؤمن، قالت أسماء فقلت يارسول الله: وإنا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع، فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: يجزيهم مما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس.

ويحدثنا النبى - صلى الله عليه وسلم - حديثا يبعث الطمأنينة فى قلوب المتأخرين، عن حذيفة قال: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر الدجال فقال: (لفتنة من بعضكم أخوف عندى من فتنة الدجال، ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تضع لفتنة الدجال، فمن نجا من فتنة ما قبلها فقد نجا منها، والله لا يضر مسلما، مكتوب بين عينيه: كافر).

الهوامش

(١) جـ٤ ص٢٠٢ - ٢٠٣.
(٢) يقال شعر قطط: الشديد الجعودة.
(٣) قال الزهرى: رجل من خزاعة هلك فى الجاهلية.
(٤) جـ٩ ص٧٤-٧٦.
(٥) للسمرقندى ص٢٩٨.
(٦) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٣٧٧.
(٧) الليت هو صفحة العنق أى أمال عنقه وكذا رياض الصالحين ص٦٣٦.
(٨) رياض الصالحين: ص٦٣٢-٦٤٠.
(٩) المسالح: الخفراء والطلائع.
(١٠) فيشبح: بضم الياء وفتح الشين والباء، أى يمد على بطنه.
(١١) أشر الخشبة وغيرها نشرها.
(١٢) عينه طافية: ذهب نورها أو ناتئة بارزة فيها بصيص من نور.
(١٣) أى طريقا بينهما.
(١٤) أى ينقطع عنهم المطر وتيبس الأرض.
(١٥) الموضع الخراب.
(١٦) ذكور النحل.
(١٧) المهرودة: الثوب المصبوغ.
(١٨) بلدة قريبة من بيت المقدس.
(١٩) النغف: بفتح النون والغين - الدود الذى يكون فى أنوف الابل والغنم.
(٢٠) المرآة.
(٢١) القحف: بكسر القاف وسكون الحاء: من الرمانة قشرها.
(٢٢) الرسل - بكسر الراء - اللبن.
(٢٣) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.
(٢٤) الجماعـــة.
(٢٥) الزيادة من التذكرة ص٧٥٧.
(٢٦) وفاء الوفاء جـ١ ص٦٢.
(٢٧) الفلق - بالتحريك - المطمئن من الأرض بين ربوتين.
(٢٨) التذكرة صفحات ٧٤٤ - ٧٦١.
(٢٩) فى رواية أخرى: فيسمعه الناس فيظنون أنه صدق الدجال.
(٣٠) التذكرة ص٧٥٨.
(٣١) تقدم فى ص ١٣٤.
(٣٢) يضع الجزية: يرفعها كتوحيد الدين.
(٣٣) حمة - بضم الحاء وفتح الميم - السم والضر.
(٣٤) الفاثور: الخوان أو الطست أو الجام من الفضة أو الذهب.

استعاذة

اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات..



●● (استراحة فكر).. تطواف عابر فى مدائن المعارف..

●● (المعارف) تجوال فى ساحة الفكر، تلمع فى جوانبها معالم الشعوب فى معطياتهم، الثقافية والفكرية، الحضارية والمدنية.. وتسجل بعض تلك المعطيات فى العادات والتقاليد والموروثات.

■ قرآن كريم :
﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.

■ حديث شريف :
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال :
«والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.

حذار: انها الموت البطيء
الكلاب والقطط المدللة



هل تجرؤ يوماً على اضطهاد كلب أو قطة من هذا النوع؟! هل تجرؤ على ترويع كلب أو قطة من هذا النوع حتى وان كان قد روعك؟!

ان جرؤت على شيء من ذلك فانك ستوقف امام محكمة كبرى، قضاتها وممثلو الدفاع هم «جمعية الرفق بالحيوان» التى تتلقى دعماً بمئات الآلاف من الدولارات فى شكل تبرعات لهذه الحيوانات، بل ومواريث مستحقة أيضاً..!!

نعم، ميراث لا نزاع فيه.. انه عالم «الكلاب».. بيوت أوروبا تحتضن مالا يقل عن ٩٠ مليون كلب وقطة.. وأمريكا تحتضن بيوتها ٤٥ مليوناً منها.. كل هذا الكم الهائل ينعم بالدلال، والحياة الهانئة الرغده.. بل ويعالج فى أرقى المستشفيات» بقى ان نضيف معلومة بدأت تنتشر فى الآونة الاخيرة وقرأنا عنها كثيرا، تقول المعلومة وهى فى شكل تحذير: «احذر تربية الحيوانات الأليفة «الكلاب.. والقطط» فى منزلك، فانها تنقل أمراضا خطيرة منها: داء الكلب - داء السالمونيلا - الديدان - داء الباستوريلا - داء المقوسات والحمل - التصلب اللويحي - داء الببغاء... الخ».

ومن جانبنا ننصح: إذا أردت ان تعرف مدى صحة هذه المعلومة، فلا تسأل الطبيب البيطري، وخاصة من يهتم بالكلاب..؟!! وأظن ان نصيحتنا هذه في محلها..!!

البصمات

أطراف الأصابع عند الانسان اكثر أجزاء جسمه حساسية، عدا الشفتين واللسان وطرف الأنف. وتبلغ حساسية أطراف الأصابع ضعف حساسية أجزاء اليد الأخرى. ومعلوم ان اليد يحتوي كل سنتيمتر مربع منها على ما يقرب من مئتى نهاية عصبية وتستخدم البصمات الآن كعامل أساسي فى كشف هوية الافراد..

الاسبرانتو . . اللغة الموحدة

● مخترعها الدكتور البولندي لودفيك زامينهوف، أحد علماء تاريخ اللغات فى جامعة وارسو . .

● نشر أول كتاب عنها فى عام ١٨٨٧م متضمناً قواعدها اللغوية، ويرجع سبب اختراعه لهذه اللغة إلى محاولة « . . خلق لغة مشتركة تعين شعوب العالم على تجاوز خلافاتها . . لغة يفهمها الجميع ويتفاهمون بها، فتتجنب البشرية الخلافات . . » ـ على حسب زعمه ـ

● قواعد هذه اللغة لا تتجاوز (١٦ قاعدة) فقط . . وعدد ألفاظها ألف لفظ فقط .

● عقد اول مؤتمر لها في الأرجنتين فى عام ١٩٥٤م للبحث في كيفية انتشارها .

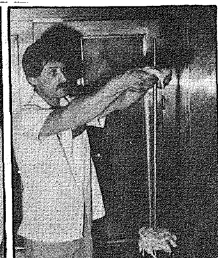
● يتحدث بها اكثر من عشرين مليونا . . والمقر الدولي لها فى لندن .

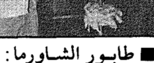
● مدة تعلمها تصل إلى مئتى ساعة .

● تبث هذه اللغة من محطات الاذاعة فى بولندا والصين ويوغسلافيا (سابقا) والفاتيكان وايطاليا . .

●● والآن :

هذه اللغة الجديدة التى لم يمض على انشائها اكثر من قرن من الزمان استطاع اصحابها ان يدخلوها لغة تخاطب فى (اليونسكو) وفى منظمات الأمم المتحدة . . اللغة العربية، لو كنا من ورائها قوة ضاغطة ترى، الم تكن قد سادت اليوم . ؟





■ طابور الشاورما :

ـ الشاورما ـ الوجبة الشهية السريعة، ذات الخلطة السحرية، (القرفة الناعمة ـ الزنجبيل ـ البهار الأبيض ـ وبعض العصيرات) كل هذه وغيرها تدخل فى عملية تتبيل هذا (السندوتش) كان بودنا أن ندعوك معنا أو ندعو أنفسنا معك، إلا أننا وانت لا نجد فسحة من الزمن تكفينا . . وعموماً «النية واصلة . . والدعوة مقبولة» .

ونسينا شيئاً مهماً نود أن نهمس به فى أذن اصحاب محلات الشاورما : وهو ان يدفعوا ثمن هذا الاعلان . . !! ايه رأيكم . . ؟!!

■ حلم السنين :



وتخطرين على الشواطىء الغريقة كالألق
وفى وداعة الحنان تمسحين دمعة الوداع من خد الشفق
فأنهب الخطا إليك فى جنون
ولهان ينهشني الحنين
فلا ألاقي غير شاطىء غريق
قد لاذ فى صدر الأفق
ولم يزل الطريق هو الطريق ولم تزل هواجس القلق
ولم تزل نفس الشجون
حتى بلغت الأربعين

(د. عبد العزيز خوجة)

وفيات الأعيان



الشيخ احمد على أسد الله الكاظمي

الشيخ احمد الكاظمى ـ رحمه الله رحمة الابرار ـ كان أحد الرموز الفكرية والعلمية والثقافية المتميزة فى العاصمة المقدسة مكة المكرمة، وهو من خيرة الرجال الأوفياء الذين يسعون فى قضاء حاجات الناس، ويمدون لهم يد العون والمساعدة ابتغاء مرضاة الله سبحانه، وكان يتمتع بخلق فاضل، وسلوك حميد، حبب إليه الناس، ولقد كرس وقته كله لخدمة دينه ووطنه وأمته، . عمل فى حقل التدريس وتخرج عليه من العلماء والمثقفين من هم الآن مكان الصدارة فى وظائفهم وخدمة دينهم ووطنهم.

ولقد عين الفقيد أول عميد لكلية الشريعة الاسلامية بمكة المكرمة، وكان عميداً لكلية المعلمين، كما كان ـ رحمه الله ـ عضوا عاملا فى رابطة العالم الاسلامي. . اشتغل بالعلم، وكرس وقته وجهده له، وابلى فيه بلاء حسناً. . وقد توفى رحمه الله تعالى فى ٢٨/٥/١٤١٣هـ، ألا رحم الله الفقيد، وأحسن متقلبه ومثواه، واسكنه فسيح جناته، وألهم آله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان. . وانا لله، وانا اليه راجعون.



الدكتور صالح بن سليمان الوشمي

. . الدكتور صالح بن سليمان الوشى ـ عليه رحمة الله ورضوانه ـ

أديب وشاعر وكاتب، له نشاط واسع فى مجموعة من المجلات الفكرية، والتاريخية والأدبية. . وأحد رجال العلم والأدب فى المملكة العربية السعودية. . شعله من النشاط والحيوية، وأحد الاعضاء المؤسسين والعاملين فى نادي القصيم الأدبى. . شارك فى عدد من الاعمال الفكرية والأدبية والتاريخية وله من المؤلفات:

- أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية.
- الجواء ماضياً وحاضرا.
- القيمة الاجتماعية والتاريخية لكتاب البخلاء للجاحظ.
- ولاية اليمامة.

هذا اضافة الى مشاركاته القيمة بالكتابة فى الصحف والمجلات. كان أنموذجاً رفيعاً فى حياته العملية. . انتقل الفقيد الى رحمة الله سبحانه وتعالى فى ١٥/٥/١٤١٣هـ. . ألا رحم الله (الوشمي) واسكنه فسيح جناته، وانزل عليه شآبيب رحمته ورضوانه. . وألهم آله وذويه الصبر والسلوان.

فلسطيننا

العدد (٥٦) رجب ١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وأعدُّوا لهم ما استطعتُم من قُوَّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ (الأنفال/٦٠)

محتويات العدد

- لنكن صرحاء
- تأملات (شعر)
- فرانز كافكا ومعركتنا ضد الصهيونية
- من أدب الارض المحتلة
- الشعر وعروس نجمة الجنوب
- اسرائيل آفاق الاستراتيجية والوهم

فلسطيننا



!!!??????

(تسألنى عن الشعب الفلسطينى..؟!

إ نه غير موجود، لذلك نحن نبحث عن أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض..)

بن غوريون!!!

هذا لسان القوم، وهذا نهجهم، وهم ماضون فيه غير عابئين بـ (نقيق الضفادع في المياه الضحلة القذرة) ـ كما يقولون ـ

وهكذا قامت لليهود دولة (فى قلب ديار الصناديد) ـ كما يقولون أيضا ـ

وامعانـًا، وتأكيدا فى تنفيذ هذا المخطط والسير على هذا النهج الذي انتهجوه بندا بندا، ونقطة نقطة، احتفلت اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية في ٢ نوفمبر الماضي بمرور ٧٥ عامـًا على وعد اللورد ارثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطانية انئذ، وهو المعروف بـ (وعد بلفور)..

ويقول هذا الوعد: (ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف والرعاية فى إ قامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل قصارى جهودها من اجل تحقيق هذا الهدف)..

ارثر جيمس بلفور.

وكـان فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م، وقد بذلنا نحن ـ العرب ـ جهداً خارقـًا لنضيف اليه (المشؤوم) فأصبح يقرأ عندنا هكذا (وعد بلفور المشؤوم).

إ ن احتفال الصهيونية بهذه المناسبة لم يأت عفوا أو مصادفة، بل هو تخطيط دقيق عميق.. ولا هو أيضـًا بالامر المظهري العابر، وليد لحظته..

●● هذا الاحتفال يمثل نقطة توقف لمراجعة ما تم انجازه، والكيفية التى أنجز بها، وما لم يتم انجـازه بعد، ولماذا، ... ثم تأتى الخطة المستقبلية التى تدعم هذا الكيان الصهيونى، وترسخ أقدامه أكثر فاكثر..

هكذا اليهود، أمة تعرف ماذا تريد، وكيف تنجز ما تريد.. ولا وقت عندهم للتراخي ما دامت الغاية واضحة في أذهانهم، وما دام السبيل اليها ممكنا فى عرفهم.. ومنذ اللحظة الاولى (سياسة الارض الفارغة).

وسرعان ما افرغوا الارض فعلا من كثير من أهلها، بكل الوسائل المتاحة عندهم: القتل، التشريد، الاستيلاء، الغش والتزوير.. الخ بكل ما هو متاح افرغوا الارض من أهلها، وجاءوا بأبناء جلدتهم ليسدوا هذا الفراغ.. وعلى مدى (٧٥) عاما (١٩١٧-١٩٩٢) استطاعوا ان يشكلوا الان ما عرف بـ (إ سرائيل الامر الواقع).

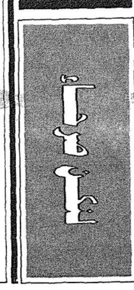
واصبحت إ سرائيل تتعامل مع الفلسطينيين والعرب من منطلق هذا الواقع.

ومن هذا المنطلق ايضا (اسرائيل الامر الواقع) استطاع اليهود ان ينسفوا كثيرا من الشعـارات العـربية التى كانت مرفوعة من ذى قبل،

والان ترفع اسرائيل شعارا يقول: (اسرائيل مع الشرعية الدولية.. والعرب ضدها).

وهكذا ينقلب الحال..

المحرر





تأملات في زمن الضّياع والتّردّي

شعر: مصطفى رشيد عثمان

أنا لا أصدق فى الحقيقة ما أرى
في عهدهم دال الزمان تغير
الثعلب المحتال أضحى سيدا
فى الغاب تخشاه الاسود غضنفرا
والسبع أصبح كالنعامة واجماً
من أرنب قد هاله فاستنفرا
والصقر لاذ من البغاث لأنه
يبغى السلامة فالبغاث استنسرا
زمن التردي والضياع نعيشه
زمن اليهود وليته ما عمرا
ما بال قومي صابرين على الاذى
والخصم جار بأهلهم وتجبرا؟
قمع وارهاب بكل مدينة
وبكل كَفْر ذاك بيت دمرا
لم يبق حر فى البلاد مناضل
الا وقد لاقي الاسية مجبرا
الحر قيد الى السجون مكبلا
والعبد اصبح سيدا متحررا
الفدم أضحى بعد عسر موسراً
والفذ أمسى بعد يسر معسرا
مهلا أشقائى فان نضالكم
هذا بعون الله لا لن يهدرا
فسواعد الاطفال قد كشفت لنا
اسطورة الجيش الذى لن يقهرا
حييت يا جيل الحجارة اننا
نعتز فيك وحقنا ان نفخرا
علمتنا ان الجهاد فريضة
وبدونها يبقى العدو مسيطرا
علمتنا ان الحياة ارادة
وبغيرها المظلوم لن يتحررا
علمت اعداء العروبة كلهم
ان القضية لا تباع وتشترى
مهلا برابرة الزمان اذا بقوا
سيكون مصرعهم هناك مقررا

الحلقة الأولى:

بقلم:

عادل البطوسي

فرانز كافكا.. ومعركتنا ضد

■ فى الحلقة السابقة من هذا الموضوع تناول الكاتب أعمال (كافكا) باعتبارها اعمالا منصفة الى حد كبير للقضية العربية.. ومخطئة لليهود فى كثير مما ذهبوا اليه، والدراسة هذه يحاول فيها الكاتب الافادة من اعمال كافكا كجانب اعلامي لصالح القضية العربية.

بدل محاولة صهينته.. ووضعه فى الجانب المعاكس، تماما.. وفى هذا الجزء المتبقى من الموضوع يؤكد ما ذهب اليه بمجموعة من نصوص كافكا نفسه.

● تصعيد الانتفاضة فى الأرض المحتلة.

■ وظل كافكا يقاوم الضغط الامبريالى اليهودى بدءً من مؤسسة أبيه ومروراً بمنشأة التأمينات التى كان يعمل بها وانتهاء بوصيته التى أوصى فيها صديقه بحرق أعماله بعد وفاته (ولو فعل أية مأساه)[1] وتظهر هذه الضغوط فى آثاره الأدبية ويتجلى هذا فى «مستعمرة العقاب» فالآلة تحفر جسد المتهم بلا تهمة وتكتب: أطع سادتك حتى الموت (فوسيلة الاعدام العجيبة تنقش الكلمات على جسد الضحية وثمن الموقف الايجابى الثورى الانسانى من الضابط هو موته[2] وفى «المحاكمة» لا يستطيع السيد ان يعرف شيئا عن قضيته، وفى «راكب الدلو» و«الاحراش المتأججة» و. . و. . لذا حارب كافكا هذا المجتمع الوضر (انهم حرصوا على ان يدفعونى إلى كره نفسى ومصيرى وان انظر الى نفسى كانسان شرير وملعون[3] وعكس عالمه الواقعى الذى عاش أزماته (كيف يحشو هؤلاء المستأجرون معدتهم حشوا على حين أموت أنا جوعا)[4].

تلك هى الحالة المتردية فى مجتمع لا يستطيع الفرد ان يغير مكانه لأن ذلك يعتبر إجراما فالركض وراء الأجوبة التى تبحث عن الحقيقة يجلب الدمار لصاحبه كما حدث لـ «الكلب الجرىء» الذى دفع ثمن جرأته غالبا أمام قوى متعسفة. كما تعبر قصة «راكب الدلو» عن الضياع أمام تلك القوي وتتمثل فى قوى كونية (برد الشتاء) وقوى بشرية طغيانية (زوجة تاجر الفحم)[5] فانسان كافكا محكوم حسب رؤية «كارل بارتيه» ـ وكل ما يقوم به هو قدره وسط هذا العالم المرعب بحيث لا يقدر إلا أن يقول (ان الحقيقة التى هى أقرب من أى شىء هى فقط انك تضرب رأسك بجدار الزنزانة ولا نافذة لها ولا باب)[6]، هذا هو شعور ذلك المتهم البرىء الذى يقاد الى المحكمة ويحكم عليه دون ان يعرف تهمته ولا قضاته فمختصر الحادث انه فوجىء برجل مجهول يدخل بيته قائلا: ليس بإمكانك الخروج من هنا لأنك موقف[7]

د الصّهـــيونية

كافكـــا



وينعكس شبح تلك المحاكمة الظالمة على نفس كافكا ويتضاعف بغضه للامبريالية ويضغط هذا الجور على ضميره فيسجل فى كراسته (انى لم اؤمن بذلك إطلاقا)[٨] وفى غموض كموني كان يطلق تعابير الغضب والسخط وربما هذا الكمون الترميزى الكافكاوى هو الذى اسقطنا فى هذه المتاهة الالتباسية[٩].

فالرموز - أحيانا - تعجز عجز الواقعية الأدبية البسيطة عن تفسير قسوة الوضع البشرى وخلوه من المعنى - حسب تعبير البيريس[١٠] - فكافكا لا يصور قلق الانسان فى الكون أو فى أصل الأشياء بل يصوره فى وضع اجتماعى خاص[١١] هذا المجتمع هو الذى يعيش فيه مرغما مكروها معزولا عنه تماما وعن طقوسه وشعائره وأبلغ دليل على ذلك روايته (القلق) الرواية العمالية التى يصور فيها الفلاحين فى غربتهم الكاملة[١٢] وبهذا يكون كافكا - حسب تعبير بويلوسيف - قد قام بأجمل مهمة محددة تقدم للروائى وهى تصوير أناس عصره[١٣].

■ وفى مطلع الحرب العالمية الأولى كتب كافكا رواية قصيرة هى «المسخ» جاءت كأصدق تعبير عن الواقع المحيط به، وبالاستشهاد بمقولة فرويد (العلم ضرب من تفريغ نفسى لرغبة فى حالة الكبت وذلك ما دام يمثل هذه الرغبة وكأنها قد تحققت وهو يلبى فى الوقت ذاته الميل الآخر بسماحه للنائم بالاستمرار فى رقاده)[١٤].

نستطيع ان نتبين ان كافكا يعيش فى حالة ذعر وخوف دائمين داخل المجتمع اليهودى وبطله «غريغور سامسا» الذى أفاق - ذات صباح - من احلامه المرعبة فوجد نفسه وقد تحول فى فراشه الى حشرة ضخمة - والاحلام ماضى الطائفة المشتتة - هذه الحشرة هى التى زرعت فى أرضنا المحتلة باسم «اسرائيل»[١٥]، والحشرة أدنى مرتبة فى سلم المسوخ وهى أحقر الكائنات وأبشعها ووضعها هو وضع «اسرائيل» فالحشرة حيوان قبل المسخ ولكن كافكا فى مسخه أضاف لها ضخامة غريبة لعكس مرامه الترميزية الابداعية الواقعية، وشعور «سامسا» هو شعور «كافكا» وشعور بطل «بارابوس» فى «الجحيم»

يرى أكثر وأعمق من اللازم فى مجتمع يخلو من حسنة واحدة كشعور «كيتس» (اننى أشعر وكأننى ميت منذ زمن واننى انما اعيش الآن حياة ما بعد الموت)[16] كشعور بطل «الطاعون» لكامى الذى يقاوم الشر بالصبر ويقاوم دوافع الاحباط ويصرخ (اليأس الحقيقى معناه الموت او القبر او الهوة السحيقة مالها من قرار)[17].

فكتابات كافكا تصور العبث بمعالجة موضوعية وقد احالنا «ماجا جوث» فى مقارنة بين كافكا ودوستويفسكى «عقدها» «البيركامى» لتجاسرهما على تصور مشكلة العبث فأثبت ان شخصيات «كافكا» كائنات حائرة . . قلقة . . تتضارب أبعاد وجودها[18] فهى كائنات طفيلية تعبث فى ثوابت الاستقرار العالمى.

■ ولأن الهدف من هذه الاطلالة العجلى هو كشف وجه الصهيونية القبيح من خلال كتابات روائى يهودى، وتوضيح إمكانية توظيف أدبه لصالحنا فى معركتنا ضد الصهيونية، نؤكد بعد ما عرضناه ان كافكا معتدل الفكر إذا تناولناه فكراً لا مولدا بالمقارنة بكتاب يهود بثوا فى كتاباتهم حقدهم ضد العرب (مسيكا ياسوشيه - يائيل ديان - نحماق بياليق - حاييم هزاز - يهودا عميحاى . .) وغيرهم ممن زوروا الحقائق وشوهوا صورة العربى لانه علينا التمييز بين الفكر الحضارى الانسانى والفكر الاستعمارى لأن عدم التمييز هذا عقبة أمام الفكر العربى المعاصر[19] فحتى الدراسة التى اعدتها الكاتبة الاسرائيلية (ديزا دومب) المحاضرة فى جامعة «كمبردج» The arab in hebrew prore المتعلقة بالجوانب الأدبية للصراع العربى الاسرائيلى لم تصهين كافكا.

إذاً استناداً لما سجلناه - على مسئوليتنا - لا ينبغى إحراق كافكا فبالامكان توظيف أدبه لصالحنا فى معركتنا الفكرية ضد الصهيونية البغيضة! ![20].

الهوامـــش

(١) غادة السمان - ع.ع. تتفرس - الكتاب الثامن من سلسلة الاعمال غير الكاملة ص٤٩.

(٢) Austin Werren the penal colony in kafka problem p.p.139-146 and kafka Colony p.p. 160-165.

(٣) كافكا - يوميات - ص٢٣٧ - نقلا عن واقعية بلا ضفاف ص٢٠٢.

(٤) رواية «المسخ» ت: منير بعلبكى - مكتبة النهضة ص٨٦.

(٥) Kafka the Bucket Rider Trans willa and Edwin Muir, in the complete stories, ed. Nuir N. Glatzer (New yowrk schocken Books. 1946) p.414

(٦) نزار عيون السود، دراسات فى الادب والمسرح - وزارة الثقافة السورية ص١٧.

(٧) صحيفة «تشرين» السورية ١٨/٧/١٩٨٣ - مترجم - عن لوماتان الفرنسية.

(٨) كافكا - تأملات - ص٤٠.

(٩) حل رموز كافكا - كاظم سعد الدين - الأقلام - سبتمبر ١٩٧٩.

(١٠) ابيريس - تاريخ الرواية - عويدات - بيروت ١٩٦٧ ص٢٢٤

(١١) فيشر - ضرورة الفن ص١٢٠.

(١٢) جماليات المقاومة - بيترفايس - ملحق الثورة الثقافى - سوريا - ع: ١٤/٣/١٩٧٧.

(١٣) تاريخ الرواية الحديثة ص٢٥٢.

(١٤) فرويد - الحلم وتأويله - ت: جورج طرابيشى - دار الطليعة ص٨٨.

(١٥) عادل البطوسى - مداخلة مع السيدة «بديعة امين - مؤلفة (هل يبقى احراق كافكا) فى جلسة نقدية بمنتدى الادباء الشباب - بغداد - اكتوبر ١٩٨٩، وشارك فيها نقاد وادباء كبار.

(١٦) كولن ويلسون - اللامنتمى - دار الآداب - ص١٠ وايضا ص٦٠.

(١٧) كروكشانل - كامو والتمرد - منشورات الوطن العربى ص١٩.

(١٨) Maja both Existentialism and franz Kafka: Jean Paul sartre Albert Camus and their Relation ship to kafka in precedings of the comparative literature symposium: Franz Kafka: His p lce inworld litereture ed wolodymyr T.zylo (Lubbock, Texas: texas tech press, 1971) p.65.

(١٩) Charabi H.B. The crisis of the intelligentsia in the Middle East, in Nolte Richard H. the Madern Middie East Atherton press, New york 1963.

(٢٠) مجلة «المعرفة» سوريا - ملف خاص عن كافكا - مارس ١٩٨٢.

من أدب الأرض المحتلة:



مجموعة قصصية

تأليف: فاضل محمود يونس

عرض: لوط شناعه

اليد التى تتحدى المخرز

أدب الأرض المحتلة صورة ناصعة توضح كفاح الشعب ضد الاحتلال، ذلك الشعب الأعزل من السلاح، الذى يقف بكل إباء وشمم أمام غطرسة العدو، وجبروته، يقض مضجعه من وقت لآخر، حتي جعل الرقابة الاسرائيلية تطارده أينما وجد.

ولكن أدب المقاومة، بما عرف عنه من جرأة وقدرة على التحدي أخذ - بمهارة وحيطة - يتحايل على تلك الرقابة اللعينة، فيسطر بين طياته كل هموم الشعب الذي أخذ يعانى من وطأة هذا الكابوس المزعج، حيث لا يألو العدو جهداً فى تعكير صفو الحياة لشعبنا فى الأرض المحتلة، ينتشر في الأزقة والحارات بجنوده المدججين بالسلاح، يحملون الحقد والكراهية لشعبنا حيثما وجد.

ورغم كل تلك المضايقات، بقي أدب الأرض المحتلة ينتصب شامخاً بين أنواع الاضطهاد والقسر كالمنارة التى تهدي الحيارى والتائهين، بقى قبساً يبدد الغشاوة عن أعين المخدوعين بزيف الحضارة والديمقراطية التى يتبجح بها عدونا فى وسائل اعلامه المختلفة ومن على منابر وسائل الاعلام الغربية وكل المتعاونين معه.

وكما نعرف، فالفن القصصي هو لون من ألوان الأدب، إضافة إلى الالوان الأدبية الأخرى من شعر ورواية ومسرح وفنون تشكيلية أو تجريدية.

ودور القصة فى نقل الواقع لا يقل أهمية عن أدوار الفنون الأخرى، والقاص «فاضل محمود يونس» من ابناء الوطن المحتل، هو قلم أدبي يضاف

الى الأقلام القاصة فى الأرض المحتلة، يقدم لنا مجموعته القصصية، تحت عنوان «اليد التى تتحدى المخرز» لتضاف إلى المجموعات القصصية فى الأرض المحتلة.

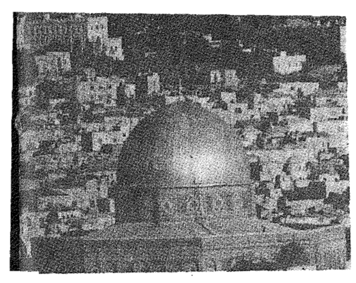
وعن مطابع «الأمان» فى عمان صدرت له هذه المجموعة القصصية، مشتملة على عدد من القصص هى: الحجر، الجرح الذى يتحدى السكين، العلم، فى سبيل الهوية، اليد التى تتحدى المخرز، التحدي.

ست قصص تراوحت ما بين الاطالة التى لا تدفع إلى الملل، وبين القصر الذى يكاد يبتعد عن تلك الصفة.

والقارىء لهذه القصص، بعيداً عن الأرض المحتلة، وغير منغمس فى واقع القهر والمطاردة من قبل الاحتلال يشعر بحالتين متناقضتين:

اولاهما: شعور بالفخر والاعتزاز بكفاح هذا الشعب بكل فئاته، مقاوماً مناوئاً ضد الاحتلال، تنبثق البطولة بين أنامله أينما حل وحينما ارتحل، تشتعل بين جوانحه نار المقاومة لتحرق يد الغاصب لهذه الأرض الطهور، يسطر على نسيج مخيلته مشاعر الفخر والاباء لأطفال شعبنا ورجاله ونسائه، اولئك المكافحين بشتى الوسائل حتى يبقى المواطن ملتصقاً بالأرض، يعطى للآخرين دروساً فى التضحية والنضال لأولئك الخانعين المتقاعسين، الذين رضوا بنعيم الحياة وخدعوا ببهرجها، وهم بعيدون عن أرضهم الغالية المقدسة.

ثانيتهما: إحساس بالنقص والتخاذل والضعف، إذا ما قورن ذلك العمل بالأعمال الأخرى بعيداً عن الأرض المحتلة، مقارنة بين نفس القارىء وبين أولئك المقاومين من أبناء شعبنا الأبي، ولا أغالي إذا قلت: إنه ـ أي القارىء ـ يشعر بقزميته أمام عملقة أولئك الأبطال حتى ولو كانوا صغاراً من حيث البنية الجسمية والعمر الزمني، لكنهم عمالقة أبطال بفدائهم للوطن، بجودهم بالنفس وهي أغلى ما يملكون، وهذا قمة العطاء وعلو السخاء مصداقاً لقول الشاعر:

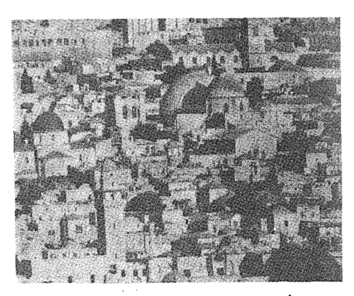


يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

هؤلاء هم الذين يستحقون تخليد أسمائهم على صفحات التاريخ بأحرف من نور، هذا شعبنا فى داخل الأرض المحتلة، وهؤلاء نحن خارجها، فأي نسبة تجدي للمقاومة؟ وماذا نحن فاعلون؟.

ونعود إلى المجموعة القصصية بقصصها فى محاولة لنسبر أغوارها ونستنبط كنهها، ونجتلي مضامينها التى تمثل شرائح اجتماعية مناضلة من مجتمعنا على أرض تحت نير الاحتلال، فقصة «الحجر» وهي القصة الأولى ـ تمثل حالة من الفوران والغليان فى نفوس الشبان والغلمان من أبناء الأرض، شباب يتسلح بالحجر الأصم الذي يعتبر أضعف الاسلحة ولكنه بيد صاحب الحق يصبح أقوى سلاح، والدليل على ذلك ما يتركه من رعب وفزع فى نفوس الاعداء، رغم ما يحملون من سلاح فإن فرائصهم ترتعد فرقاً من أي عربى فلسطينى يرونه يتناول حجراً بيده، حينئذ، يتضاءل مفعول سلاحهم ويتصاغر أمام الحجر الفلسطينى. وبأسلوب قصصي قريب من السردية، يصور لنا القاص خروج إبن صغير من أبناء شعبنا للاشتراك فى المظاهرة ضد الاحتلال، ليخلف أباه الذى ما زال يقبع معتقلا فى سجون الاحتلال، ولا ضير فى ذلك العمل «فهذا الشبل من ذاك الأسد» ـ كما يقال ـ فتيها وفخرا يا شعبنا بابنائك وشبابك المناضلين المتافخين، فهم خير غطاء لتلك الأرض المباركة.

أما قصة «الجرح الذى يتحدى السكين» فهي تمثل موقفاً شهماً، وتعطي دلالة على أن شعبنا مثله



مثل أى شعب، فيه المناضل والثائر، وفيه الخائن والجبان حتى ولو اجتمع النقيضان تحت سقف واحد، ولكن رفض وصمة العار التى كانت تلاحق الابن بسبب أعمال أبيه الخيانية المشينة، ولدت فى نفس ذلك الابن رغبة جموحة فى الانتقام من العدو بشتى السبل، وكذلك الانتقام من والده، ولكن تشاء الاقدار (القصصية) أن يكون الانتقام من العدو بادىء ذي بدء، فيضحى الولد بدمه الطهور، وهو يقارع العدو فى احدى المجابهات ليسقط شهيداً على ثرى الوطن، وليطعن والده ـ معنوياً ـ بما تقترفه نفسه من آثام.

وقصة «العلم» تتشابه مع قصة الحجر، فكما أصبح الحجر بيد الشعب الفلسطينى قنبلة تتفجر حقداً وكراهية للعدو، كذلك العلم الفلسطينى أصبح معولا يفتت كبد العدو غدراً ولؤماً على شعبنا، يخاف من العلم الفلسطينى أينما رفع على سارية، وكلما داعبته الرياح، ذلك الخوف يتساوى مع خوف العدو من الحجر الفلسطينى.

هذان إسلوبان من أساليب الكفاح ضد العدو، فكيف يكون الوضع لو ملك شعبنا المتعدد الفئات سلاحاً كما يحمل العدو؟ سؤال يحمل جوابه خوف العدو من وسائل كفاح شعبنا فى أرضه المحتلة.

أما قصة «فى سبيل الهوية» فهي تمثل لوناً من ألوان الكفاح ضد الاحتلال، ولكن هذه المرة على أرض «الجولان»، ولا فرق بين النضال فى الجولان او فى فلسطين، فالجولان هى امتداد لشعب فلسطين، جزء ملتحم بالأرض الطيبة، وهذا عمل جاد يضاف إلى مشاركة القاص فى طرح وسيلة من وسائل النضال على أرض غير أرض فلسطين، ليثبت مصداقية التلاحم بين الشعوب المضطهدة التى ترزح تحت نير الاحتلال أينما كان، فالمقاومة لا تختلف من أرض إلى أرض او من شعب إلى آخر.

والقصتان الأخيرتان مضمونهما واحد، يمثل لوناً من الوان المقاومة ألا وهو التحدي للعدو الغاصب، فإزاء الوطن يرخص كل ثمين وتتضاءل هموم الذات الخاصة أمام الهم العام الذى يخيم على الوطن وأبنائه، فالكل منوط بواجبه نحو الأرض شيباً، وشباناً، ذكوراً وإناثاً، ولقد أجاد القاص أيما إجادة فى هاتين القصتين، حيث ابرز لنا القاص مدى الحب والاخلاص للوطن والأرض فى شتى النفوس، فالشاب يقاتل ويناضل بجانب الفتاة، مضحياً بكل غال ونفيس، وهو يجلو لنا صور الكفاح الدؤوب، فيصور خروج الجدة الطاعنة فى السن، والتى عركتها الحياة حتى تشارك ابناءها وأحفادها النضال، تعبيراً عن الديمومة والاستمرارية فى المقاومة حتى يتم التحرير.

فالجدة لا تتخاذل ولا تضعف او تتراجع نتيجة خور القوى الجسمية، بل تتدفق فى جسمها قوى الشباب وعنفوانه، تسابق الشباب إلى دروب الكفاح، تشارك فى مواجهة العدو، تقف له بالمرصاد، شامخة كشموخ الراية الفلسطينية التى تحملها بيديها يقيناً منها بأن هذا العمل هو أحسن وسيلة للنضال تجيدها، لتقهر به العدو الغاصب للأرض ولتضرب أروع الأمثلة للائى يتدثرن بالنعمة والرفاهية، من نساء شعبنا خارج الأرض، بعيداً عن القمع والقسر الاسرائيلي.

■ هكذا: نقل لنا القاص صوراً وشرائح مناضلة لشعبنا على أرضه المحتلة والكل يضربون بنضالهم أروع الأمثلة، لا يهابون الموت المحدق بهم من كل حدب وصوب، حيث حياة الذل مرفوضة عند من يملك ذرة من الإباء والعزة، وفى نفس الوقت يفتحون أمام أعيننا مرائي النضال، يستحثوننا كي نحذو حذوهم، فمتى يحين ذلك الوقت؟ حتى يلتحم شعبنا مع بعضه: فروعه المشتتة مع أصوله الراسخة الثابتة على أرض الواقع: أرض النضال.

الشعر وعروس نجمة الجنوب

بقلم: أيمن محمد ميدان

طويلة تلك القائمة التى تحتضن بين حناياها أسماء من سقطوا فى ساحات الذود عن حمى الوطن، والحفاظ على أهله أعزة، ورووا بدمائهم الطاهرة تربة أنجبت الالاف ممن حملوا نفس اللواء واختطوا الدرب ذاته.. وبين هذه الأسماء تتبوأ عروس الجنوب اللبنانى «سناء يوسف محيدلى» مكانة راقية، سناء التى اجتمعت فيها صلابة كل الشعوب المقهورة، وتبلورت الارادة العربية فى مواجهة عدوها التاريخى، مؤكدة أن أبناء هذه الأمة لن يتحولوا إلى هنود حمر - فى أى زمان ومكان - ما دامت قادرة على إنجاب مناضلات ومناضلين أمثال: سناء محيدلي، ودلال المغربى وجواد حسنى وعمر المختار.. وغيرهم كثير.

فى التاسع من ابريل عام ١٩٨٥ كان موعد الفتاة العربية، وبنت العشرين ربيعا «سناء محيدلى»، مع زغردة العرس الدموى، حيث قادت سيارتها المفخخة بالمفرقعات، وراحت تنطلق بسرعة فائقة صوب معسكر للعدو الصهيونى، لترتطم بثكناته مفجرة إياها.. مدبجة بصنيعها هذا صفحة مشرقة من صحائف سجل هذه الأمة الحافل.

وأمام هذا الفعل النادر وقف شعراء العربية مبهورين، فها هى ملك عبد العزيز الشاعرة المصرية تناجى سناء فى خطاب شديد الوقع، دال على فيض أمومى عميق بصدق الدافع فتقول:[1]

يشرق وجهك من بين الظلمة..
.. من بين الأستار
موسيقى، نجوى، أشعار
يا ملهمة الثوار...
ان الموت حياة للأحرار

■ ويضيف الشاعر حسن توفيق فى قصيدته «بطاقة من متفرج عربى لسناء» أبعادا خرى لجوانب التفرد التى تتسم بها الفدائية العربية «سناء محيدلى» فيقول:

لا أعرفها.. لكنى أعرف ما فى عينيها من هم
فى عينيها هم صبية
تترقب لحظة زغردة العرس الدموى
تتفجر أشواقا عطشى للقاء الحق بصحبة كل شهيد عربى[2]

■ والشاعرة ملك عبد العزيز لم تقف عند حد الاعجاب بما أقدمت على فعله المناضلة العربية.. بل راحت تلهب بسياط من اللوم والتقريع كل من خذل من الرجال آمال سناء وجيلها، ووأد أحلامهم الطفولية البريئة، مما حدا بها أن تنتفض كألف سهم نارى مشرع، لتدرأ العار عن أولئك الرجال الذين ألفوا التثاؤب خلف الجدران، يرمقون من كوى الأبواب مصارع الأمهات والفتية فى سن الزهور تحت جنازير دبابات المحتل دون أن يطرف لهم جفن، أو يغصوا بمأكلهم، فتقول[3]:

ماذا صنع رجالك يا صافية القلب
يا بنت العشرين وبنت الحب؟
ماذا صنع رجالك..
برفاق البيت، رفاق الدرب؟
صبغوا التضحية بغدر الأشرار
رجموا مجدك بالأحجار
وتساقوا دم اخوتهم
فى دن الفجار

■ ويضيف الشاعر حسن توفيق قائلا[4]:

فى عينيها صمت يتحدر من لغة لا يعرفها غير الشهداء
لغة تصرخ فينا: إن الطرق المأمونة
لا يسلكها إلا الجبناء

سناء محيدلي

ممن شربوا كأس الذلة فى حضن الأوهام
لا أعرفها . . .
لكنى أقرأ فى عينيها أوجاع الأرض العربية
أشهد كفر قاسم . . أشهد صبرا . . أشهد بيروت الوطنية
أشهد مدنا غارقة فى قهر . . وقرى باتت مطوية
فى قبضة من نهبوا الأرض
وهتكوا العرض
وداسوا الحرية

■ وأمام تفرد ما أقدمت على صنعه المناضلة العربية تستشعر الشاعرة ملك عبد العزيز أن مفردات معجمها اللغوى عاجزة عن وصف أبعاد هذه البطولة بشمولية ودقة، فتقول:

ماذا أكتب واللفظ عصى ومهان
وظــلام الاحبــاط . .
يجثم فوق الصدر، وفى الوجدان؟
ماذا أكتب يا صافية القلب
يا بنت العشرين
وبنــت الحــسـب[٥]

■ ويعجب القــارىء عنــدمـا يستشف أن أغلب الأصوات الشعرية التى رثت سناء، وخلدت بطولتها تنبأت بأن رحيل سناء ما هو إلا إرهاص بخيوط فجر يؤذن بانمحاق ليل هذه الأمة الطويل . . ما هو إلا امارة انطلاق المارد من قمقمه الذى لم يعد خيالا أو أسطورة إغريقية ليحقق على أرض فلسطين مفاجأة مذهلة لم يكن العالم ليتوقعها، ولم يكن العدو ليحسب لها أى حساب، ممثلا فى أطفال الحجارة.

فها هى تلك الشاعرة المصرية ملك عبد العزيز تصوغ هذا المعنى شعرا فتقول[٦]:

أشلاؤك تنبت حتى فى الأحجار
أشجارا وظلالا وثمار
يزهو فيها الثوار
. . . .
أشلاؤك تصاعد فى الأفق
بخـورا . . ونضـار
تتحد بجسم الأنجـم
فى الفلك الدوار
نورا يهدى من رام طريق العزة
من رام الاصــرار

■ ويذهب الشاعر حسن فتح الباب الى أن همس سناء وصراخها . . ما هو إلا دعوة للأفق الجاف أن يتفتق ليهمى المطر ويولد الطوفان . . فيجتاح جسور اليأس، ويبدد أسداف الظلمة فيقول[٧]:

همس سناء طيفها الحبيب
مرتديا أهلة الشروق مسدلا
على ستائر المحاق رعشة الوتر
مسائلا . . دبيب خطوها على الشفق
متى يفتق الأفق؟
ليهمي المطــر
ويولد الطوفان من جديد
ينحسر اليباب والزبد
يستبشر المستضعفون
يستشرف «الجودى»[٨] جمع الزاحفين

■ كانت تلك قراءة سريعة فى دفتر الشعر العربى الذى اتخذ من شهيدة الجنوب اللبنانى «سناء محيدلى» مركزا له ونقطة انطلاق، مخلدا إياها، مسطرا سيرتها، ومفردات بطولتها بخيوط من ضوء.

الهوامــــش

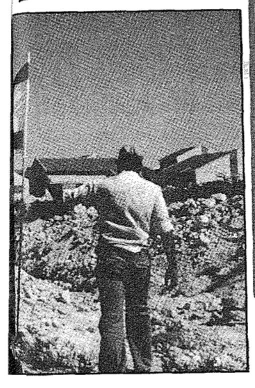
(١) الاعمال الكاملة للشاعرة ملك عبد العزيز ص٧٠١.
(٢) ديوان «السندباد والرحلة الجديدة» للشاعر حسن توفيق ص١٠٥.
(٣) الاعمال الكاملة للشاعرة ملك عبد العزيز ص٧٠٢
(٤) ديوان «السندباد والرحلة الجديدة» للشاعر حسن توفيق ص١٠٥-١٠٦.
(٥) الاعمال الكاملة للشاعرة ملك عبد العزيز ص٧٠٣.
(٦) الاعمال الكاملة للشاعرة ملك عبد العزيز ص٧٠٢.
(٧) ديوان: كل غيم شجر، كل جرح هلال للشاعر حسن فتح الباب ص١٣.
(٨) الجودى: اسم الجبل الذى رست عليه سفينة «نوح» فى قصة الطوفان.

إسرائيل آفاق الوجه الآخر

■ فى الحلقة السابقة من هذا الموضوع أوقفنا الكاتب على طبيعة السياسة الاسرائيلية فى صياغة استراتيجيتها الامنية بقصد فرض نفسها على الدول العربية من اجل البقاء..

والدراسة تحاول اثبات مدى التخبط الاسرائيلى في وضع تلك الاستراتيجية، وذلك بسبب الوهم والحلم الذى يعيشون عليه، ولقد كلفهم هذا الكثير.

وفى هذا الجزء المتبقى من الدراسة يكمل الكاتب ما بدأه.



الردع العسكري، والضربات الاستباقيه التى تقوم بها اسرائيل ضد الدول العربية، لا تمثل بعداً استراتيجياً.

تسعى اسرائيل الى الهيمنة على الدول العربية بمحاولة العمل على تقسيمها الى دويلات.

عماد فوزى شعيبى ـ دمشق

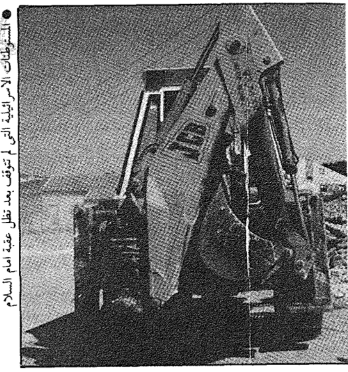
٣ ـ المأزق من خلال الحرب والسلام (الثنائية التى لا يتفق عليها):

اثر القفزة التى رأيناها فى حرب ١٩٦٧ كان النفاج (Snobbing) الذى عاشته اسرائيل على المستوى النفسى قد غطى على جملة اشكاليات حملتها معها هذه الحرب، فمن ناحية اضيف الى التشكيل السكاني الاسرائيلي قنبلة سكانية تشكل خطراً كبيراً على الادعاء الاسرائيلي بالديمقراطية، حيث يشكل العرب فى الضفة الغربية وغزة وفى فلسطين عموماً ٣٧٫٥٪ من اجمالى السكان فى اسرائيل وسيصل هذا الرقم الى ما نسبته ٤٥٪ فى نهاية العام ٢٠٠٠[1]، ففكرة الاغلبية الاسرائيلية معرضة للخطر حيث لن تزيد نسبة اليهود عام ٢٠١٠ عن ٤٩٪ وهو ما يضع المبدأ الصهيونى الخاص بوجود اغلبية يهودية فى دولة ديمقراطية موضع التشكيك[2] والهزال.

وقد تعددت المشاريع لحل مسألة الضفة الغربية، وهذا التعدد لم يشكل تعدداً بالمعنى السياسى البنيوي او بمعنى التخطيط السياسي الاستراتيجى اذ أن التعدد قد أتى من صلب الاحزاب وضمن الحزب الواحد ذاته وبشكل متناقض كليا، حيث طرح مشروع آلون للحل التعليمى باقتراح ضم المناطق التى تتميز بقلة السكان العرب فيها والتخلص من المدن الحضرية العربية. وطرح موشيه دايان مشروعه للتقسيم الوظيفى باقتسام السيادة على الضفة الغربية مع الاردن لحل مشكلة الكم العربى[3] فيما طرح اسرائيل غاليلي مشروعه للضم الزاحف عبر فرض الوقائع المادية دون الالتفات الى العقدة الديمغرافيه بالرغم من انه من احد ابرز اقطاب حزب العمل، وقدمت وثيقة حزب العمل لعام ١٩٧٣ والتى اعتمدت وثيقة غاليلي سابقة الذكر ثم عادت لتتبنى مشروع آلون بالرغم من التفاوت بينهما، ثم طرحت فكرة الادارة الذاتية عبر مشروع شمعون بيريز منذ خريف ١٩٧٥ ثم مشروع الحكم الذاتي لمناحم بيغن باستبدال الحكم العسكري بحكم اداري ذاتى للسكان، وحيث وقف الليكود عند مشروع الحكم الذاتى لفترة طويلة وحيث أضيفت انتخابات عام

ساق الاستراتيجية والوهم (الحلقة الثانية)

.. معادلة الصّراع العربي الإسرائيلي


● المستوطنات الاسرائيلية التي لم تتوقف بعد تظل عقبة امام السلام

هؤلاء العرب الذين يصل عددهم وفقاً لإحصاء عام **١٩٨٧** الى ما يقارب **٦٥٠** ألف مواطن اي ما نسبته **١٥٫٢٪** من عدد السكان(*) حيث شارك الاخيرون فى معارك الانتفاضة بأشكال مختلفة تراوحت بين الاضراب الى اشعال الحرائق فى الغابات.

ان اسرائيل تعبث الآن بالاوراق السياسية على امل اطالة الزمن، عل هذه الاطالة تصل بها الى حل عبر التحولات العالمية والمحلية والاقليمية، وان كانت اطالة الزمن هذه ليست مستندة الى معالم استراتيجية واضحة للتحولات سابقة الذكر والتي تود اسرائيل ان تعتمدها لكي تحقق شرعية (تاريخية) في الوجود.

هذه الرغبة الماورائيه لا تذهب الى حد ايجاد محددات واضحة للغد (المطلوب والمأمول) ولهذا فإن السياسة تعبث بالمتحولات السياسية الآنية لإطالة الوقت (الضائع) فالعودة الى (ديناميكية الاحداث) انها قد جعلت من السياسة اضحوكة عسكرية فى اسرائيل، وهي لا تقدم لها ما ترغب حيث من الواضح ان اسرائيل لم تستفد سياسياً (بالمعنى الشمولي للكلمة) من الاحداث الديناميكية. بل اننا نكاد نجزم بأن اسرائيل انها تقتات من (السكونية السياسية) لان الحالة الديناميكية للاحداث، وخاصة تلك التى تبتدىء فى ثنائية (العمل العسكري / السياسي)، وفى مفهومها الحديث فعلا، سرعان ما تفرز على السطح الواقعي المعاش والمباشر التناقضات البنيوية في التركيبة الاسرائيلية التركيبة (التوليفية) وهذه التناقضات تغطيها اسرائيل بسكونية سياسية يعقبها ما يمكن ان نسميه «حركيات نبضية»: أى، احداث مفاجئة غير مستمرة لفترة طويلة وهى تهدف الى تغير المسار الروتينى الرتيب للواقع (على أمل الاستفادة منه فى فعل سياسى ما «غير محدد»).

١٩٨٨ تحت برنامج انتخابى للتفاوض مع السكان فى المنطقة، وانتهاء بمشروع الحكومة الاسرائيلية فى ١٤/٩/١٩٨٩ الذى يكرس اللاءات المتشددة المعروفة لاسرائيل: لا للدولة، لا لمنظمة التحرير الفلسطينية(٤).

وهذا التردد والتراوح فى المشاريع انما يعكس الصدمة البنيوية التى اتت بها تجربة عسكرية غير مخططة النتائج على المستوى السياسي والامر لا يعدو مجرد تفاوت فى استخدام الناتج العسكري كهدف سياسي انما يتعدى ذلك الى اختلاف حقيقى حول (الخلاص) من مشكلة لم تكن بالبال قبل خوض الحرب. وبعد اكثر من عشرين سنة على الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وبعد اكثر من اربعين عاماً على احتلال فلسطين فإن اسرائيل تجد نفسها الان امام مشكلة السكان العرب عموماً وسكان ما تسميهم (عرب اسرائيل) الذين لم تطبعهم مسيرة ٤٠ عاماً من الاحتلال.

لهذا فإن اسرائيل لا تخوض حروباً طويلة، ليس فقط لاعتباراتها السكانية والاقتصادية والجغرافية والتكتيكية. . المعروفة ـ وهي اعتبارات ذات قيمة ولا شك ـ انما لسبب آخر ايضاً وهو ان الحروب الطويلة سرعان ما تكشف عجز هذا (المشروع ـ الدولة!) على تحمل الافق الاستراتيجي ومستبعات المتحولات السياسية والعسكرية على الارض، وأدائها كما يجب، بل اننا نجزم الى حد كبير بأن الاستراتيجيات العسكرية كنظرية الردع والضربات الاستباقية والخاطفة. . . الخ ليست نظريات لعقيدة عسكرية بالمعنى الاستراتيجي للامم انما هي نظريات (تمرير مرحلة) ليس إلا.

ومن الواضح ان اسرائيل لا تذهب بالسلام الى ابعد حد، ولذلك فهى لا تفاوض العرب مجتمعين، ولا تستتبع خطوة ما بخطوة اخرى، ذلك انها تحتاج ـ حقاً ـ الى وقت طويل لسبر واختبار وقياس نتائج، أو امتصاص نتائج، أى خطوة سلامية حركية، انها ليست كما الامم المستقرة التى تستطيع التكيف مع كل وضع دائم أو مرحلي، فالتكيف الاسرائيلى عموماً رهن بالسكونية.

والسكونية التى تعقبها حركيات نبضية ـ كما سميناها ـ تؤمن لاسرائيل تمرير المرحلة بالسكونيه وإقامة التعبئة السكانية فضلا عن التهويل الوجودي بالحركيات النبضية سواء عبر الحروب القصيرة أو المفاجئة او عبر المشاريع العسكرية المحضة التى تصور الاخيرة وكأنها دولة مجانين يمكن ان يتوقع منها أى عمل مفاجيء، انها تستند عموماً فى توجهاتها تلك الى الاحساس العارم بعدم توفر مخططات واقعية للاستمرار التاريخى وان كانت قد حققت الاستمرار العسكري وربما السياسي والى حد ما الحقوقي.

■ ان السكونية السياسية يمكن تمثيلها على المستوى الواقعى باللاحرب واللاسلم حيث ان هذه الحالة هى افضل الحالات بالنسبة لاسرائيل لانها تستطيع ان تغطي الانكشاف الذاتي لمأزق الوجود. حيث تصور هذه الحالة لاسرائيل انها المستفيد الاكبر من مرور الزمن ومن التقادم.

ويؤكد هذه الحقيقة دان هوروفيتز بقوله:

«ان مخططي نظرية أمن اسرائيل. . . عملوا على تعتيم الحدود بين الحرب والسلام»[٦] «وان الدروس المستفادة من الحروب لم تشجع على تبنى الاهداف السياسية المقررة مسبقاً للحرب. وقد قدمت حملة سيناء مكاسب معينة لاسرائيل بالرغم من فشلها فى تحقيق اهدافها الاكثر بعداً. . وقد تمثلت هذه الانجازات فى استقرار وضع اللاحرب واللاسلم»[٧].

ولكن هل يمكننا القول اننا امام رؤية استراتيجية تتمثل فى اللاحرب واللاسلم؟. (لا نعتقد). لان التراث السياسى العالمي لم يقدم لنا نموذجاً مقارباً لهذا النموذج فضلا عن كون هذا النموذج رهناً بالحرب الباردة وان تقدم الوضع العالمي الحالي باتجاه تعدد الاقطاب وتراجع الحرب الباردة ربما قد يجبر (فى حالة اتفاق دولي) اسرائيل على الخروج من هذا الوضع اي انه سيكشف الغطاء الواضح والغلاف القشري الذي يدعي بأن هذه حالة تخطيطية استراتيجية، وفى قناعتنا ان هذه الحالة ايضاً هي من قبيل تمرير المرحلة لانها الوضعية المثلى التى تكرس وجوداً بدون اعتباراته السياسية النهائية.

لقد استفادت اسرائيل الى ابعد حد من وضعية اللاحرب واللاسلم. ولكن مهما بدت لنا هذه الفائدة كبيرة بالنسبة لاسرائيل (مرحلياً) فإنها فى ظل حسابات موازين القوى قد افادت، فى وجهها الآخر، العرب ايضاً حيث خدمت الاخيرين فى تأخير الصراع باعتبار ان ميزان القوى لا يسمح أصلا بالحسم فضلا عن أن هذا التأخير انما يفيد على صعيد البحث عن خيار استراتيجي سواء عبر التوازن أو عبر آليات سياسية أو عسكرية أخرى.

ومن المؤكد ان حالة اللاحرب واللاسلم ممكنة اكثر على الصعيد العربى لانها تقدم للعرب هدنة غير معلنة وتوازناً مرهوناً بالعقلانية السياسية والتوازن الدولي.

■ ان الحروب الواسعة، كما السلم المطلق، يكشفان هزال تجربة المشروع الاسرائيلي في المنطقة العربية، ولكن الحروب ربما الاكثر خطراً بالنسبة لاسرائيل من

السلم، ولـذلـك فإن القـائمـين على التعـامـل مع السياسة الاسرائيلية كثيراً ما تجنبوا الحروب الواسعة خاصـة بالنسبة الى المتشددين، اما رواد (السياسة) فيرون ان الـذهـاب الى السلم قد يوفـر فرصة غير واضحة المعالم لتخريج مأزق الوجود التاريخي.

وعنـدمـا نحلل موقف قادة حزب العمـل فإننا نستـطيع القول ان الاخيرين يدركون ان ثمة مأزقاً وجـودياً يعـصف بالمشروع الاسرائيلي ولهـذا فهم يرغبـون فى الـذهـاب الى السلم كتخريج للموقف المـأزقي حول عدم وضـوح الصـورة عن الـوجـود المستقبلي، وهذه المحاولة تعلن ان السكونية السياسية قد نُسفت بعد استثمار دام اربعين عامـاً ونيف وانها لم تعـد تصلح، بوجههـا الحـالي، لبنـاء صورة واقعية وممكنة للاستمرار، ان التحريك صوب السلام يبدو بالنسبة للبعض على انه تحريك صوب المجهول طالما ان المعلوم لا يقـدم حقيقـة وجـودية مستقرة بالمعنى التاريخي، وهنا بالذات يؤكد يهوشفاط هركابى ما يلي:

«ان على اسرائيل ان تختار لا بين السيىء والحسن ولكن بين السيء والاسوء وان عليها ضرورة الفصل بين الخطة الكبرى والسياسة، ذلك ان سياسة الضم ستحـول اسرائيل الى دولة فلسطينية، وان اسرائيل المنتصرة على المستوى التكتيكى لا تمثل موقفاً رابحاً على المستوى الاستراتيجى»[8].

ومن المؤكـد ان هذه الـرؤية انـها تشكـل عمقاً يفاصل بين الربح التكتيكي والربح الاستراتيجى ولا يدمج بينهما بدون اتضاح عميق للتخوم الفاصله بينهما حيث هذا النموذج لا يحصل فيه ذلك الاندماج الذي يمكن ان نراه في النماذج الاستراتيجية العالمية.

ان ابا ايبان يبدو وقد ادرك اخيراً حجم الاشكالية التى تعيشها اسرائيل حيث يقول:

«ان اسرائيل الآن فى مفـترق الـطرق: فإما ان تتفـاوض وتبـادل الارض بالسلام وتحافظ على حلم اقامة الدولة اليهودية وإما ان تتخلى عن هذا الحلم وتصبـح دولـة قمعية مستبـدة يحكم مصيرها صراع داخلي رهيب»[9].

■ لقد اثبتت حروب اسرائيل انها فاشلة فى صناعة المستقبل بالمعنى الاستراتيجى للكلمة، ومع ذلك فإن قادة الليكود يذهبون الى التشدد حيث يرون ان على اسرائيل ان تعيش فى خطر الحـروب على ان تتقدم بتنازل يعرضها الى الفناء[10]، وهذه الرؤية المتوارثه من سياسة درجت عليها اسرائيل انها تشكل الوجه الثانى لعملة اسمهـا المـأزق الاسرائيلي، اى مأزق الوجود ذاته في بنيته وتاريخه وآفاقه.

■ ان الاتجـاه الـداعي الى التشدد وخاصة بصورته العسكرية انما يؤكد اعتباراته انطلاقاً من المأزق الآخر الذى يمكن ان تخلقه حالة السلام لاسرائيل حيث تواجـه الاخـيرة ومن هذه الرؤية «خطر الذوبان فى المحيط العربى او التحول الى دولة شرق اوسطية».

وتكمن ازمة هذا الاتجاه انه لا يفرق بين المعركة والحـرب، وان خيار اسرائيل الابـدي انها قد تربح معارك ولكنها، وحسب رأي شاؤول فريدلاند، لن تستـطيع ان تربـح الحـرب، فالمعـارك غير المـوظفة سياسياً او تلك التى تبحثها محاولات كسر استمرارية السكونية (الحركيات النبضية كما سميناها)، تختلف عن الحروب كغافلات للتاريخ وكفعاليات سياسية، ويبدو ان قدر من يربح المعارك أنه لا يربح الحروب، حيث ان الـتراكم الميكـانيكى التجميعي للأربـاح الآنية لا يؤدي الى ربح استراتيجى، خاصة بادراك ان المعركة ليست فى الحالة الاسرائيلية الا اداة لتجنب طويل الامد للحروب.

واننـا لنميز بين الحروب كفعاليات تغيير درامي على المستـوى العسكـري وبـالتـالي على المستـوى السياسي وبـين المعارك الخاطفة التى لا تغير سمات الـواقـع تغـييراً جذرياً لانها غير قادرة على الحسم العسكـري ولا تقف وراءهـا رؤية اسـتراتيجية ولا يمكن استثمارها على المستوى السياسي بسبب قزامة الخلفية الـلااسـتراتيجية المـوجهـه لها وتخبـطهـا بين اللاتخطيط السياسي المسبق وردود الفعل السيكولوجية التي تؤخذ - غالباً - بالانتصارات الآنية.

والواقع ان كل ما اشرنا اليه لا يعدو ان يكون اشارة الى الخط العام للفعل السياسى/ العسكري

الاسرائيلي وهذا لم يقل - اطلاقاً - بغياب التخطيطات شبه الاستراتيجية والآنية اثناء الفعل السياسي، بل اننا قد آثرنا ان نتناول ثلاث سمات للموقف الاستراتيجى وهي السمات التي لا يمكن لسلوك شبه استراتيجى او آني ان يقلل من مفاعيل وضرورة حضور السلوك الاستراتيجي، بل ان غيابه - ولا ريب - سيكون فاضحاً للغاية، فمسألة الوجود وبنية الحرب وآفاق السلام، انما هي عناصر استراتيجية لا يمكن ان تغطيها سلوكيات تمرير المرحلة.

■ ان مشروعية التمايز تتأتى عموماً من أن الخلط قد لا يؤثر على المستوى المباشر او الآني على اسرائيل، لكنه يؤثر الى ابعد حد على الوعي المضاد (أى الوعي العربى)، وان دراما الفعل السياسي واللاحق للفعل العسكري فى تأثيراته على العملية السياسية العربية، لا ريب ستتأثر بكل تصور عن حجم مغالى به بالنسبة لوزن اسرائيل الفاعل على مستوى التخطيط.

وانه لمن نافلة القول ان نتناول نصاً فى الادبيات الاسرائيلية وقد ترافق مع حرب ١٩٨٢ او قبيلها بقليل، وأي قاريء تناول هذا النص فى تلك الآونة، لا ريب قد اعتبره من المخططات الاستراتيجية، ومن المؤكد انه قد اعطى خدعة كبيرة للقاريء العربى[١١]، وفى قناعتنا انه ضرب من الوهم الحلمي الاستراتيجى - كما سنرى:

تحليل لنموذج من الحلم الاستراتيجي:

ثمة مجموعة كبيرة من النماذج التى تشكل حلماً استراتيجياً وفق المفهوم الذي حددناه سابقاً، ونحن لن نعرج الى العبارة الشهيرة «حدودك يا اسرائيل من النيل الى الفرات» لان الواقع والتحليل الذى قدمناه عن وضعية السكان اليهود انما قد اعلن ومنذ زمن بعيد ان هذا الشعار لا يشكل اكثر من حلم استراتيجي.

والنص الذي سنعتمده هنا نص يبدو انه يحاول ان يقدم رؤى بديلة وتخطيطات (استراتيجية) تعتمد النص التحليلي، تجاه الوطن العربي في الثمانينيات، وها نحن ننهي الثمانينيات من هذا القرن ويمكننا ان نكتفي بمقارنة سطحية بين النص المقترح ومسيرة الواقع:

عنوان النص «استراتيجية اسرائيل فى الثمانينيات» لصحافي وموظف سابق في وزارة الخارجية الاسرائيلية ويدعى عوديد ينيون[١٢]:

يبدأ الباحث مقدمة عمله موضحاً الهدف منه بالقول اننا نعيش عصراً جديداً في تاريخ البشرية لا يشبه مطلقاً العصر الذي سبقه كما وتختلف سماته تمام الاختلاف عما عرفناه حتى الآن.

لذلك فنحن بحاجة الى فهم المسارات الرئيسة التى تميز هذه الحقبة التاريخية من جهة وبحاجة الى نظرة استراتيجية وعملية وفقا للظروف الجديدة.

ويعتبر الباحث ان المفاهيم الاساسية للمجتمع البشري، خصوصاً الغربي تتغير اليوم نتيجة تغيرات سياسية وعسكرية واقتصادية جذرية حيث ستقلب قوة السلاح النووي وغير النووي بأحجامه ودقته ونوعيته، معظم عالمنا رأساً على عقب بكل المفاهيم وخلال سنوات معدودة.

ويرسم الباحث صورة الواقع العربى على انه مجزأ

● حتى الأطفال الصغار في أرضنا المحتلة أصبحوا كباراً!!!

داخلياً وذو اقتصاد منهار، ويلوم اسرائيل لانها لم تعط الفلسطينيين الاردن! وبالتالي فقد كانت تستطيع ان تجد حلولا تتمثل وفق النموذج السابق بتحييد المشكلة ويعتبر ان المصريين لن يكونوا مضطرين الى المحافظة على معاهدة السلام بعد استرداد سيناء، وسيعملون ما في وسعهم للعودة الى حظيرة الوطن العربى والاتحاد السوفياتي بسبب حيوية العالم العربى والمساعدة العسكرية من الاتحاد السوفياتي وبسبب عدم وجود النفط فإن على اسرائيل ان تعمل لاعادة الوضع الذي كان سائداً في سيناء حتى قدوم السادات الى القدس واتفاق السلام الذى وقع معه فى آذار/ مارس ١٩٧٩، وبما ان الخيار المباشر لذلك غير متوفر فسيبقى لاسرائيل الخيار غير المباشر لاستعادة سيناء الى حضن اسرائيل كاحتياط استراتيجى واقتصادى وطاقوى فى المدى البعيد ويعتبر ان تجزئة مصر اقليمياً الى وحدات فرعية جغرافية منفصلة هي هدف اسرائيل السياسى فى الثمانينيات فى جبهتها الغربية.

ويعتبر ان تفتيت سوريا والعراق لاحقا الى مناطق ذات خصوصية اثنية ودينية هو هدف من الدرجة الاولى بالنسبة الى اسرائيل فى الجبهة الشرقية ويعتبر ان هذا فى متناول يد اسرائيل منذ اليوم (!؟)، ويعتبر ان الاردن هدف استراتيجى آني فى المدى القصير وانه ليس هنالك اي إمكان بأن يبقى الاردن قائماً على صورته وبنيته الحاليتين فى المدى الطويل وينبغي لسياسة اسرائيل حرباً ام سلما السعى الى تصفية الاردن الامر الذى يصفي مشكلة المناطق الآهلة بالعرب غرب نهر الاردن، ويعتبر ان التعايش والسلام الحقيقى (!) لن يسودا في البلدان متى ادرك العرب انه من دون سلطة يهودية بين نهر الاردن والبحر لن يتوفر لهم ايضاً أي كيان أو أمن ولن يكون لهم قومية وأمن خاصان بهم.

وينتقل الباحث الى مشكلة السكان الاسرائيليين معتبراً انه فى داخل حدود اسرائيل لم يكن هناك قط أي مغزى للتمييز بين مناطق ١٩٦٧ ومناطق ١٩٤٨ فى نظر العرب الفلسطينيين. وهكذا الامر، بحيث يجب النظر الى المشكلة بشموليتها من دون تجزئة، وانه يجب ادراك انه لم يعد فى الامكان العيش مع وجود ثلاثة ارباع السكان اليهود فى الشريط الساحلي المزدحم والخطر جدا فى العصر النووي، ولهذا فإن توزيع السكان هو هدف استراتيجى داخلي اساسي والا فلن تقوم لاسرائيل قائمة فى المستقبل في أية حدود كانت ولهذا فان (السامرة ويهودا والجليل) هي الضمانه الوحيدة لوجود الدولة بحيث اذا لم يصبح الاسرائيليون اكثرية فى المناطق الجبلية فلن يسيطروا على البلاد وسيصبحوا مثل الصليبيين الذين فقدوا هذا البلد الذى لم يكن لهم في طبيعة الحال وكانوا فيه اغراباً منذ البداية (!). وان السيطرة على كامل المرتفعات الجبلية الممتدة من بئر السبع حتى الجليل الاعلى هي الهدف القومي الناجم عن الهدف الاستراتيجى الاساسي وهو توطين المناطق الجبلية الخالية من اليهود حالياً.

ويعتبر الباحث ان على اسرائيل ان تقف وحدها خلال الثمانينيات وبلا مساعدة خارجية عسكرية واقتصادية وهو ما يرى ان اسرائيل قادرة عليه دون اي تباطؤ!.

■ هذا النص الذى قدمناه سابقاً يبدو لقارىء في بداية الثمانينيات وخاصة لقارىء بعيد عن الواقع وعن موازين القوى... الخ وكأنه تخطيط استراتيجي متكامل يضع صورة لما يجب ان يحدث لتمرير السياسة الوجودية الاسرائيلية.

وفى قناعتنا ان النص يفضح نفسه فى نهاية الثمانينيات من ناحية ويفضح نفسه ايضاً من خلال (الاسقاط) Projection الذاتى الذي اعتمده الكاتب مستخدماً توليفة تجمع بين ما هو خيالي خصب وبين المواد الواقعية، وتقوم عملية التحليل بشد المادة الواقعية المعتمدة فى المراجع والوقائع المستند اليها بحيث تغطي المطلب التخيلي وبحيث ايضاً تبلور الثقة الزائدة بالذات وكأن هذا التحليل التخيلي مادة (حتمية) الحدوث.

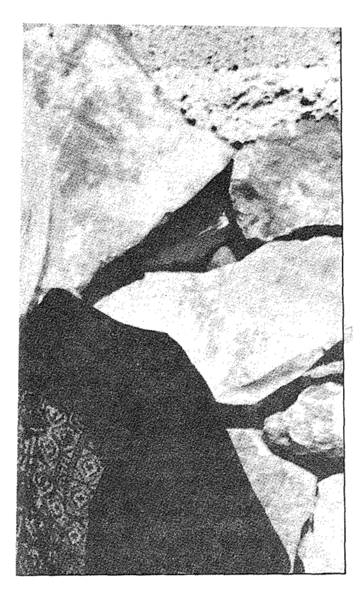
وعلى اعتبار ان ليس ثمة حتمية للحدوث فى زمن اثبت ان الاحداث (احتمالية) فإن السياق السابق للتحليل يؤكد لنا بمقدمته أن ليس ثمة تحليل

استراتيجي قد قدم فى النص سالف الذكر.

فمن الواضح انه يتصور الامور كما لو ان بمقدرة اسرائيل القيام بأعمال كإزالة الاردن وتفتيت سوريا والعراق ومصر ولبنان واستعادة سيناء وكما لو أنه ليس ثمة اطراف أخرى فى هذه المعادلات الكبرى وكما لو ان اسرائيل مطلقة التأثير والمقدرة ودون اى اعتبار لوجود الدول والشعوب والدول العظمى . . . الخ.

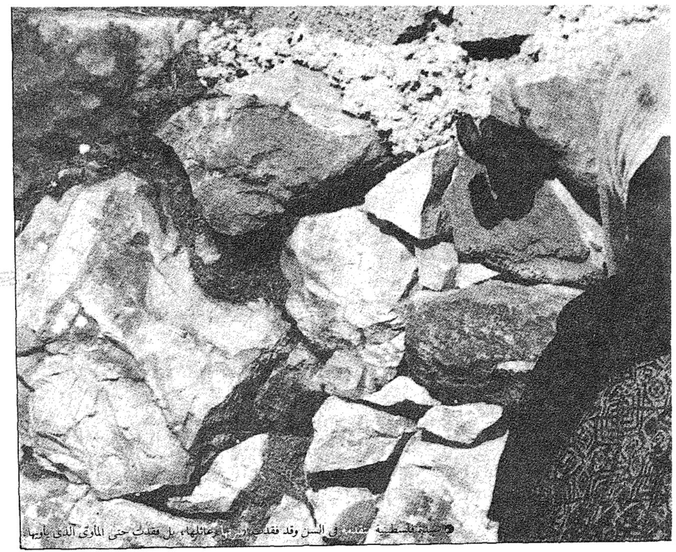
وتبدو الصورة اكثر مدعاة للتبسم عندما يؤكد **الكاتب ان هذه الامور فى متناول يد اسرائيل**، وعندما يعقد الكاتب المقارنة مع الصليبيين التى سبق ان تحدثنا عن الهاجس الذى تشكله هذه التجربة التاريخية بالنسبة لكل المطلعين على التاريخ، يبدو الباحث فى وضعية الاسقاط الذاتي حيث يزور عن حقيقة كون اسرائيل كما الصليبيين اغراب عن المنطقة منذ البادية، وهنا يخرج الباحث رغبته فى ايجاد صورة ذهنية تبدو فيها اسرائيل حقيقة ازلية ماضيا وحاضراً.

وعندما يذهب الى ضرورة توزيع السكان تبدو المسألة مدعاة لمزيد من التبسم خاصة لعارف بحقيقة الصراع النووي واحتمالاته فى المنطقة اذ اننا حتى ولو سلمنا بإمكانية استخدام السلاح النووي فى الصراع العربى - الاسرائيلي، وهذا امر مستبعد على الاقل على المستوى المنظور، فإن اقتراح توزيع السكان لن **يقدم أو يؤخر شيئاً من حقيقة أن هذا الصراع** سيذهب بالكم البشري على مساحة دائرة تغطي فلسطين المحتلة فيما لو توفر للعرب ١٢ قنبلة نووية فيما ستحتاج اسرائيل الى ١٠٠ قنبلة نووية لردع غالبية الوطن العربي[١٣]. أى ان الاقتراح سالف الذكر بالتوزيع ليس اكثر من اظهار شفوي لا معنى له على الارض، **بأن التخطيط الاستراتيجى قائم على قدم وساق فى اسرائيل** للدخول فى عصر الصراع النووي مع العرب، وان هذا الصراع حتمي وليس على اسرائيل الا توزيع السكان، وهي مرحلة درء النفس استراتيجياً. وعندما يصل الامر الى استقلالية **اسرائيل الاقتصادية فإن المساعدات الامريكية لعام ١٩٨٨** لاسرائيل «كمثال» والتى تصل الى ٥ مليارات دولار تكشف اللا استراتيجية فى هذا التحليل.



ببسيط العبارة يظهر لنا النص السابق ذاته على انه مجرد (حلم) استراتيجى ليس إلا فهو لا يناقش الاحتمالات، انما يضع الامور فى نصاب ما يجب على اسرائيل ان تفعله (وهو ما يدعي انه أمر متيسر وبسيط بالنسبة لها!؟). وعليه فإن هذا النص يبدو **أنه نص اعلامي من النوع الذى يهدف الى التصدير** الداخلي والخارجي وذلك بهدف اضفاء صورة غير دقيقة عن امكانيات اسرائيل ومدى تأثيرها، فى الوعي واللاوعي الاسرائيلي والعربى على حد سواء.

والحال اننا لا نجد نصاً يمكن ان نطلق عليه **نعت نص استراتيجى بالمعنى السياسي والشمولي** للكلمة فحتى بعض النصوص التى تتعامل مع الاحتمالات[١٤] فإنها تنطلق من مسلمة غير معتبرة على انها مسلمة لدى الاستراتيجيين الحقيقيين، وهى أن لاسرائيل القدرة الكبرى والحظ الاوفر فى تأمين **مستلزمات الاستمرارية، ولعل نص «يوري أفنيري»** الذى اوردناه سالفاً يكاد أن يكون اكثر النصوص الاستراتيجية اعترافاً بلا استراتيجية ما هو سائد.



● سيدة فلسطينية متقدمة في السن وقد فقدت [illegible] وعائلها، بل فقدت حتى المأوى الذي يأويها

ويؤكـد الحقيقة سالفة الذكر يهو شفاط هركابى بقوله «اذا لم يكن لدى الصهيونية أي خطة محددة لحل المشكلة العـربية فمن الاكيد ايضاً انه لم يكن لديها برنامج موجه بصورة واعية ضد العرب كما يتخيله الآخرون»(١٥).

(للموضوع صلة)

الهوامـــش

(١) يدعوت احروفوت الملحق . العدد بتاريخ ٢٣/١٠/١٩٨٧

(٢) Palestine and Israel. David Mc Dowall. I.B.Tauris and co. Ltd Publishers. London. 1989.

(٣) هارتس ٢٤/٧/١٩٧٣.

(٤) المستقبل السياسى للاراضي المحتلة فى المنظور الاسرائيلي، شؤون عربية العدد ٦٠ ـ سليم الجنيدي.

(٥) عمير ام كوهين: ما الذى سيأتى به عام ٢٠١٠ علهمشار ٣٠/١٠/١٩٨٧.

(٦) مرجع سابق Israel Society ... P.P. 275

(٧) المرجع السابق صفحة ٢٩٠.

(٨) يهو شفاط هركابى: اسرائيل والخيارات المصيرية، محاضرة فى مركز كيلك للدراسات الإستراتيجية الدولية، مركز التخطيط بمنظمة التحرير الفلسطينية ١٩٨٨.

(٩) امين هويدي، مرجع سابق صفحة ١٦٧.

(١٠) يهو شفاط هركابى: المواجهة العربية الاسرائيلية، وجهة نظر اسرائيلية، المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجيه ٣ـ٧ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٦٥.

(١١) هذا النص تناقلته الصحف والمجلات المختصة وغير المختصة منذ بداية عام ١٩٨٣ وقد اعطته من الاهمية ما ليست له فعلا فنشرته صحيفة السفير اللبنانية ومجلة الثقافة العالمية الكويتية وللأسف ساهمنا فى هذا فى مجلة صوت فلسطين! ونقلته عدة مجلات اخرى.

(١٢) عوديد ينيون: استراتيجية لاسرائيل فى الثمانينيات، كيفونيم العدد رقم ١٤ ـ شباط/ فبراير ١٩٨٢ ص ٤٩ـ٦١.

(١٣) د. خليل الشقاقى: المتطلبات التقنية للردع النووى فى الشرق الاوسط، الفكر الاستراتيجى العربى، العددان ٢٣/٢٤، كانون الثانى (يناير ـ نيسان (ابريل) ١٩٨٨.

(١٤) يمكن مراجعة ما يلى للمثال فقط لا للحصر: موشيه ماعوز، اسرائيل وجاراتها العربية بعد حرب لبنان. ـ غيشر ـ شتاء وربيع ١٩٨٣، ١٠٨/١، ص١ـ٨، عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

(١٥) يهوشفاط هركابى: الازمنة الحديثة العدد ٢٥٣ السنة ١٩٦٧، صفحة ٤٩٥ ـ باريس.

الرّعاية الصّحية في الإسلام

■ قال العز بن عبد السلام، سلطان العلماء، فى كتاب قواعد الأحكام (ج١/٤): «الطب كالشرع وضع لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام».

وغاية الطب: حفظ الصحة موجودة، واستعادتها مفقودة، وازالة العلة أو تقليلها بقدر الامكان، ولابد من أجل الوصول الى ذلك فى بعض الأحيان، من تحمل أدنى المفسدتين لإزالة أعظمهما، وتفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمهما. ويقول ابن سينا فى أرجوزته: «الطب حفظ صحة، برء مرض».

وما أعظم هذا الكلام وأدقه وأحسنه. وانظر الى تعريف منظمة الصحة العالمية بعد مرور قرابة الف عام على هذا الكلام لترى أيهما أدق.

تعريف الصحة لمنظمة الصحة العالمية:

الصحة هى حالة الكفاية البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية وليست مجرد الخلو من المرض والعاهة، وهو أمر إن تحقق لفرد لا يمكن أن يتحقق لجميع الأفراد، وإن تحقق لذلك الفرد فى فترة من الزمن فلابد أن تعتوره الأمراض يوما ما. وهو تعريف طوباوي لا يمكن أن يتحقق على أرض الواقع. إذ لا تخلو البشرية من المرض ومن الهم والغم وحالات الفرح والترح، ولكن المقصود هو الوصول بالصحة الى أعلى مستوياتها الممكنة.

■ **ولذا تقسم الى الاغراض التالية:**

(١) تحسين الصحة الموجودة والارتقاء بها Health Promotion.

(٢) حماية الصحة ووقايتها موجودة (الطب Preventive Medicine الوقائى).

(٣) اصلاح البدن ومداواته من الأمراض التى تعتوره. وهو ما يعرف بالطب العلاجى ويستخدم فى ذلك العقاقير وأنواع الأشعة والعلاج الطبيعى والجراحة.

(٤) التأهيل للحالات التى انتهى بها المرض الى الاعاقة ومحاولة اعادة الشخص ليكون عضواً نافعاً فى المجتمع والتقليل من أثر تلك الاعاقة.

وللأسف فإن نظام الرعاية الصحية الموجود اليوم، كما يقول ترينور هانوك ـ أحد خبراء الصحة العالمية، «يتركز اهتمامه على اصلاح ما تلف من أبداننا ثم إعادتنا الى ميدان المعركة لنقاتل القوى الاجتماعية البيئية المعادية والتى هى أول ما يسبب لنا المرض». . ولا شك أن اهمال الجانب الوقائى والتركيز على الجانب العلاجي الذى هو نمط الطب الحديث قد أدى الى مضاعفة المشاكل الصحية بل إيجاد مشاكل جديدة لا حلول لها.

ويقرر خبراء الصحة العالمية أن هناك عاملين هامين للصحة وهما: نمط الحياة والبيئة، وللأسف فإن المهتمين بأمور الصحة يركزون كل اهتمامهم على مستقبل العلاج، فالخبراء وعامة الناس بهرهم التقدم المثير فى تقنيات الطب البشرى والذى تدعمه شركات واحتكارات مالية ضخمة، وهذه التقنيات الحديثة قد أدت خدمات طبية رائعة لعدد محدود من الناس وبكلفة باهظة جدا.

■ إن الصحة المعتلة، كما يقرر خبراء الصحة العالمية، تعود فى معظم الحالات الى سلوكنا الفردي والجماعي الخاطيء، والى بيئاتنا المادية والاجتماعية. وإذا نظرنا الى التقدم فى مجال الصحة العامة في البلاد الغربية واليابان وبعض الاقطار الاخرى فاننا نجد مرد ذلك الى ارتفاع المستوى المعيشى وتحسن الوضع الاقتصادي والاجتماعي

لام

بقلم: د.
محمد على البار
مستشار قسم الطب الاسلامي
مركز الملك فهد للبحوث
الطبية جامعة الملك
عبد العزيز - جدة

- الخدمات الطبية المتقدمة باهظة التكلفة، مما جعل الافادة منها فى حدود ضيقة.
- اعتلال الصحة يعود في معظم الحالات الى اخطاء السلوك الفردي والجماعي.
- الحروب الاهلية الطاحنة فى الدول النامية جعلت الاسلحة مقدمة على العلاج والدواء.
- حرص الاسلام على ان يتمتع المسلم بقدر من القوة، فوق خلوه من المرض.
- تعاليم الاسلام المتعلقة بالصحة اكدت على الاهتمام بصحة البيئة وصحة الافراد.

للطبقات الفقيرة المسحوقة، كما ترجع الى ايجاد مصادر للمياه النظيفة وشبكة جيدة للصرف الصحى والارتفاع بنظافة المنزل والفرد والشارع.. والتخفيف بصورة ملفتة للنظر من تلوث البيئة حيث كانت المصانع تنفث دخانها الأسود فتؤدي الى انتشار أمراض الجهاز التنفسى بصورة خاصة، وقد اشتهرت بريطانيا وكثير من دول أوربا بما كان يعرف باسم «السموج» (smog) وهو مزج لكلمتين هما: الضبابFog والدخان Sm oke .

■ إن الارتفاع فى المستوى الصحي الذى حدث فى الغرب واليابان لا يرجع الى الاطباء والعاملين في الحقل الصحي، وانما يرجع أساسا الى تغير البنية الاقتصادية والاجتماعية.. وارتفاع المستوى المعيشى وتحسن المأكل والمشرب والمسكن ونظافة البيئة.

وإذا كان للعاملين فى الحقل الصحى من دور فى رفع المستوى الصحى فهو فى رعاية الطفولة والأمومة وفي حملات التطعيم والتحصين ضد الأمراض التى تصيب الأطفال بصورة خاصة، وهذه كلفتها محدودة.

أما ما عدا ذلك من تقدم تقني باهر وعمليات تأخذ بالألباب فإن مردودها فى تحسين المستوى الصحي محدود جدا مع كلفة باهظة تنوء بها الدول الغنية فضلا عن الدول الفقيرة التى تسعى جهدها لامتلاك هذه التقنية الفنية العالية.

وقد جاء فى تقرير منظمة الصحة العالمية وتقرير منظمة اليونيسف لعام ١٩٨٥ أن ٧٥ بالمئة من الانفاق على الصحة فى الدول النامية يوجه الى المستشفيات في المدن والتى لا يستفيد منها سوى قلة من السكان.. وفى كثير من دول العالم النامي لا تنفق الدوله سوى ١٥ بالمئة أو أقل على الرعاية الصحية الأولية فى الأرياف والتى سيستفيد منها ٩٠٪ من السكان.

وتقرر منظمة الصحة العالمية أن ٨٠٪ من سكان العالم لا يحظون بأي رعاية صحية.. وأن ربع سكان العالم (ألف ومائتى مليون) مصابون بالديدان مثل الاسكارس والانكلستوما والبلهارسيا.. وأن الأمراض المعدية مثل الملاريا والكوليرا والسل والجزام والديدان مثل الفلاريا والتربنسوما واللشيانيا والطفيليات مثل الأميبا والجيارديا... الخ، لا تزال منتشرة فى كثير من مناطق العالم بينما يسهل القضاء عليها إذا وجد نظام صحي عالمي جيد تسهم فيه الدول الغنية، وتقوم الدول الفقيرة بتوجيه أموالها للقضاء على هذه الأمراض وإيصال المياه النظيفة وايجاد نظام صرف صحى سليم فى كل قرية ومدينة.

ولا شك أن كثيرا من الدول النامية تعانى من ويلات الحروب الأهلية المدمرة ويكفى أن نعرف أن حرب الخليج قد أدت ألى أن تفقد

البلاد العربية ما بين ستمائة وثمانمائة ألـف مليون دولار، كما يقـول صنـدوق النقـد العـربي. . ونظرة واحـدة الى الـوضـع فى الصـومال توضح لنا المأساة المروعة التى يعانى منهـا شعب الصومال نتيجة اقتتال حفنة من المغامرين الذين يصرون على الوصول الى كرسى الحكم ولو على أشـلاء الأمـة بأكملها والبلاد بأسرهـا. . وقس على ذلـك رداءة انـظمـة الحكم واستغـلال النفـوذ وسرقة الثروات القليلة وعدم وجود إدارة فعـالـة وعـدم وجود تدريب منـاسب للكـوادر وفـرار الأدمغـة وهجـرتها الى حيث الأمن والأمان والمستقبل خاصة أن دراستهم كانت على النمط الغربى بحيث صاروا لا يتكيفـون مع أوضـاعهم المختلفـة جذريا عن النمط الذى درسوه وتعلموه.

■ إن الاحصـائيات التى تجمعها منـظمة الصحة العالمية توضح أن مصادر الخطر على الصحة ترجع فى البلاد النامية الى فقدان مياه الشرب الـنـقـية، والى عدم التخلص من النفـايات بالـطرق السليمة، والى عدم وجود نظام صرف صحى والى انخفـاض المستـوى المعيشى، مما يؤدى الى عدم توفير الحد الأدنى من الغـذاء الجيد، والحـد الأدنى من المسكن والمأوى والملبس النظيف، والى فقدان رعاية الطفولة والأمومة بالاضـافـة الى كثـير من موبقـات البلاد المتقدمة مثل انتشار التدخين والخـمـور والمـخـدرات وتـلـوث البيئة. . الخ.

وتعـانى مجتمعـات الـوفـرة فى الـغـرب من أمـراض الـقـلب والشرايين والسرطـان والحـوادث ومشـاكل الصحة العقلية، وترجع معـظم هذه الحالات الى التدخين وشرب الكحول وتعاطى المخدرات والضغط النفسي والتكالب على متع الدنيا والى انتشار الزنا واللواط والى انحـلال الاسرة وزيادة الجـريمـة ونظام التغذية (أكل الخنزير وزيادة الدهون والبروتين).

وتـزحف هذه الامـراض من البلاد الغنية الى البلاد الفقيرة فتزداد معـاناتها ضغثا على إباله. . حيث يتطلع أبناء المدن فى الدول النامية الى ما يفعله قرنـاؤهم في الـدول الغنية فى الغـرب. . فيحـاولـون محاكـاتهم ويأخـذون منهم أسوأ ما لديهم فتـزداد بذلـك مشـاكلهم الصحية والاجتماعية.

والإسلام بنظامه الشمولى هو الدين الوحيد والنظام الفريد الذي يستطيع أن يرتفع بالانسان الى حالة الصحة وهى حالة الكفاية البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية، وأن يتمتـع الشخص برصيد من القوة وليس مجرد أن يكون خاليا من المرض.

والاسلام يحافظ على الكليات الخمس وهي الدين والعقل والنفس والمال والعرض، ولا تتأتى المحافظة على العقـل والنفس الا بالمحافظة على الصحـة التى هي من أجـل النعم. قال صلى الله عليه وسلم: «نعمتـان مغبون فيهـا كثـير من النـاس: (الصحة والفراغ). وقال صلوات الله وسلامه عليه «اسألوا الله العـافية فانه ما أوتي أحد بعد يقين خيرا من العافية». والاحاديث فى هذا الباب كثيرة.

وكم فى تعـاليم الاسـلام من مردود صحي فالأمر بالسواك ـ وقد ورد فيه أكثر من مائة حديث، منها قولـه صلى الله عليه وسلم «مـالى أراكم تلحا لا تستاكون»و«لولا أن أشق على أمتى لأمـرتهم بالسـواك عند كل صلاة» وفي رواية «عند كل وضوء» ـ يؤدي الى اختفاء أمراض الاسنان واللثة ومضاعفاتها العديدة التى ليس أقلها روماتيزم القلب أو إصـابة الكلى. . ثم أهمية الوضوء والاغتسـال والاستنشـار فى ازالـة الميكـروبـات العـديدة والمـواد الكيماوية العـالقة فى الهواء من أثر تلوث البيئة والتى إذا تراكمت أدت الى مجموعة من الأمراض والأورام والسرطانات.

وكـم فى الاستنجـاء وآدابه من فوائـد صحية فإن التهـابات المثانة تزداد بعدم الاستنجاء وتكاد تختفى بكثرة استعمال الماء. وقد أمر النبى ﴿ﷺ﴾ بعـدم التبـول والتـبرز فى قارعـة الطريق وتحت ظل الشجرة وفى المـاء وفى الموارد وأمر المسلمين أن لا يأكـلوا الا باليمـين وأن لا يستنجـوا الا بالشـمال، كما أمرهم بغسـل أيديهم بعـد الخـلاء وقبـل الطعام وبعده.

ولو استجاب المسلمون لأوامر نبيهم الـرؤوف الـرحيم ونصائحه لأدى ذلـك الى اختفاء العديد من الأمراض التى تنتقل بواسطة البراز

إلى الفم وهى أمراض عديدة يبلغ المصابون بها آلاف الملايين من البشر ومثالها ما يلى:

ديدان الاسكارس والانكلستوما (عدد المصابين أكثر من ألف مليون) ديدان البلهارسيا (أكثر من مائتي مليون)، طفيليات الاميبا والجيارديا (تصل نسبة الاصابة الى ٧٠ـ٨٠ بالمئة من السكان فى بعض الدول النامية)، حمى التيفود والباراتيفود، مرض الكوليرا، مرض النزلات المعوية وخاصة لدى الاطفال، مرض التهاب الكبد الفيروسى من نوع (A) مرض قابل (ليبتوسبايروزيس) وغيرها من الأمراض الوبيلة.

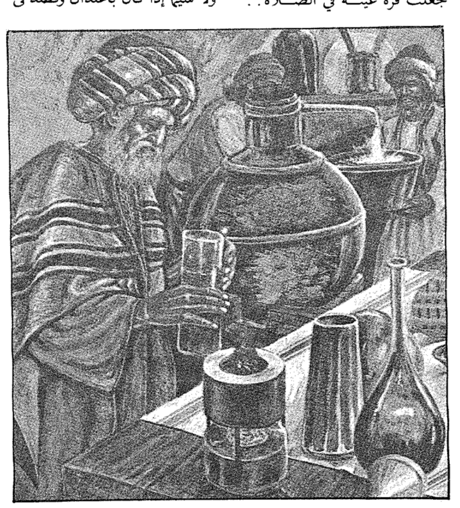
وتأتى أهمية الصلاة القصوى فى كونها صلة بين العبد وربه. ومع هذا فإن الصلاة تضفى على المؤمن سكينة وهدوءاً، وبالتالي تقضي على أمراض العصر: القلق والتوتر وما ينتج عنهما من أمراض نفسية عديدة وأمراض نفسى جسمانية psyc-hosomatic ومنها ارتفاع ضغط الدم (فرط التوتر الشريانى Hypertensi-on وما يستتبعه من اصابات في شرايين القلب والدماغ والكلى. ومنها مرض البول السكري الذى يزداد نتيجة فرط التوتر والقلق كما يزداد نتيجة النظام الغذائى الخاطيء الذى يتم فيه الاكثار من السكريات والحلويات وتقل فيه الخضروات والألياف بالاضافة الى حياة الدعة والخمول والكسل وعدم الحركة والرياضة.. ومنها قرحة الاثنى عشر والقولون العصبى، وكلها لها علاقة وطيدة بالتوتر والقلق.

ولا تقتصر أهمية الصلاة على ذلك فحسب ولكن من فوائدها العديدة فى الجانب الصحي أنها تحافظ على العمود الفقرى من الاعوجاج وقد قدمت أبحاث عديدة فى أهمية الصلاة في المحافظة على العمود الفقرى وكونها علاجا طبيعيا جيدا لحالات مختلفة يصاب بها.

وقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يجد فيها روحه وراحته. وكان إذا غلبه هم فزع الى الصلاة وكثيرا ما كان يقول لبلال رضى الله عنه: «أرحنا بها يا بلال». كيف لا وقد جعلت قرة عينه في الصلاة..

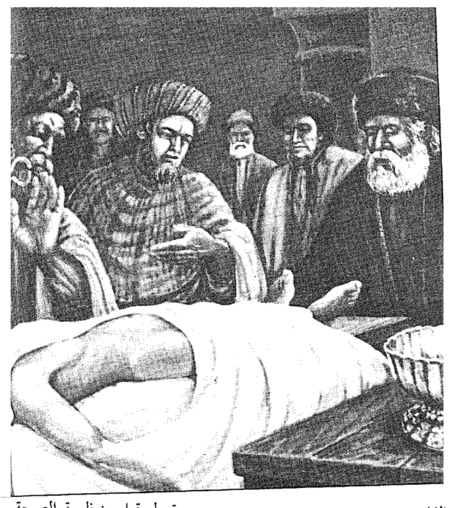
وعندما كان أبو هريرة رضى الله عنه يتألم من وجع فى بطنه فى أثناء الليل قال له المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «أشكم درد؟! أي أتشتكي وجع بطنك (وهي لفظة فارسية) قال أبو هريرة: نعم قال: قم فصل فقام وصلى وذهب ما به من وجع».

أما فوائد الصيام على الصحة فلا تكاد تعد، وقد قال ﴿ﷺ﴾: «صوموا تصحوا» وقال ابن القيم وهو يشرح حديث المصطفى ﴿ﷺ﴾ «الصوم جنة» أى وقاية. وهو من أدواء (ادوية) الروح والقلب والبدن وله تأثير عجيب فى حفظ الصحة وإذابة الفضلات وحبس النفس عن تناول مؤذياتها ولا سيما إذا كان باعتدال وقصد فى



أفضـل أوقاته شرعا وحاجة البدن اليه طبعا. ثم إن فيه من اراحة القـوى والأعضـاء ما يحفظ عليها قواهـا، وفيه خاصية تقتضي ايثاره وهو تفريحه للقلب عاجلا وآجلا.

«ولما كان وقاية وجنة بين العبد وبـين ما يؤذى قلبـه وبدنه عاجلا وآجـلا قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الـذيـن من قبـلكـم لعلكم تتقـون﴾** فأحـد مقصودي الصيام الجنـة والوقاية، وهي حمية عظيمة النفـع، والمقصـود الآخـر: توفير قوى النفس على محبة الله تعالى وطاعته.



والصوم يمنع السمنة وأخطارها على الـصـحـة حيث لها دور فى تسبيب أمـراض القلب والبـول السكـري وضغط الـدم وتكـون الحصى فى المرارة واصابة المفاصل وداء النقرس ومجموعة من أمراض السرطان.

وإذا عرفنا العلاقة الوطيدة بين التـدخـين والقلق وضغط الـدم والسمنـه وقلة الحـركة وأمـراض شرايين القلب أدركنا على الفور لماذا زادت أمـراض الـقـلب حتـى أصبحت القـاتـل الاول فى معظم بلدان الـعـالـم وحـتى كثـر موت الفجـأة. وقـد أخـبـرنـا بذلـك المصطفى ﴿ﷺ﴾ حيث قال: «من اقـتراب السـاعـة موت الفجـأة» و«مـوت الفجـأة أخذه أسف» أى غضب وهـو كذلـك على الكـافـر والمنافق وفى حديث آخر قال «موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر».

وتأتى تعاليم الاسلام الواضحة التى تمنـع الفـاحشـة بل وتمنـع مقـدمـاتهـا من التـبرج والسفـور والاختلاط فتؤدى الى تجفيف منابع الـرذيلة ومـا يستتبعها من أمراض وبيلة فتاكة، ما أشد ما تعانى منها البشرية اليوم. قال تعـالى: **﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيـلا﴾** (الاسراء/٣٢) **وقـال تعـالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها ومـا بطن﴾** (النور/١٩). وقـال عليه الصـلاة والسلام: «إذا ظهر الربا والـزنا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» أخرجه الحاكم، وقال عليه الـصـلاة والسـلام: «لم تظهـر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشـا فيهم الـطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسـلافهم الذين مضوا» أخرجه الحاكم وابن ماجه والبزار.

ويقـول قرار منـظمـة الصحة العـالمية WHO فى الاجتماع الثامن والعشرين الـذى انعقـد فى مايو ١٩٧٥ «إن الأمراض الجنسية هي أكثر الأمراض المعدية انتشاراً والتى تشكـل تهديدا خطيرا على الصحة العامة فى العالم اليوم، وللأسف فإن كثيراً من الدول لم تدرك بعد أبعاد هذه المشكلة».

وقـد ازدادت هذه المشـكـلة تعـقيداً وخـطورة بظهـور مرض الايدز (فقـدان المناعـة) وانتشاره انتشـاراً ذريعـاً حتى بلغ عدد من دخل فيروس الايدز الى أجسامهم أكثـر من ١٥ مليون شخص وأن المرض قد أصـاب بالفعـل مليوناً ونـصـف المليون فى مختلف قارات الـعـالـم، مع ملاحـظة أن بلاد المسلمـين، رغم تخلف بعضهـا وبعدها عن الدين الحق الا أنها أقل



المجتمعات البشرية اصابة بهذا المرض الفتاك الخطير.

وليس الايدز وحده هو الذي يشكل الخطر على الصحة العامة فهناك السيلان الذى يصيب أكثر من ٢٥٠ مليون شخص سنويا، ورغم توفر العلاج له الا أن مكورات السيلان تتحرر لتصبح أكثر شراسة واشد مقاومة للعقاقير والمضادات الحيوية . . ومضاعفات السيلان كثيرة بما فيها التهاب البروستاتة (الموثة) والمجاري البولية واصابة الرجل والمرأة بالعقم فى كثير من الاحيان . . ثم هناك الكلاميديا التى تصيب أكثر من خمسمائة مليون شخص فى كل عام . . ومن مضاعفاتها اصابات الجهاز البولي والتناسلي وحدوث العقم واصابة المواليد بالتهاب العينين والرئتين ومضاعفات أخرى نادرة نسبيا .

ثم هناك الهربس ، وما أدراك ما الهربس الذى يصاب به مئات الملايين؟ وإذا كان للسيلان والكلاميديا علاج فإن الهربس لا علاج له سوى الاسيكلوفير الذي لا يقضى عليه بل يبقيه فى حالة كمون يثور بعدها . . وهو عقار مكلف باهظ الثمن لا يقدر عليه كل أحد . .

وهناك الثآليل الجنسية وفيروسات بوليوما وعلاقتها مع الهربس فى تسبيب سرطان عنق الرحم الذى أخذ ينتشر بصورة مريعة فى كثير من المجتمعات نتيجة انتشار الزنا وكثرة المخاللين.

ثم هناك الزهري الذي يصيب أكثر من خمسين مليون شخص كل عام . . ورغم وجود علاج ناجح له وهو البنسلين الا أن هذا المرض شديد المكر والخداع ويظهر بصورة مختلفة تجعل تشخيصه عسيرا فى كثير من الأحيان مما يؤدى الى ظهور عاهات خطيرة وإصابات فى العظم والوجه والجلد والشعر والقلب والشرايين والجهاز العصبى بأكمله ابتداء من المناطق المخية العليا حيث يؤدى الى الجنون الكامل مع شلل بأنواعه المختلفة حتى اشتهر الشلل المصحوب بالجنون General Parl ys of the Insane ومن صفات هذا الجنون انه يكون مصحوبا بجنون العظمة فيعتقد المشلول نفسه نابليونا يقود المعارك ويستولى على الدول أو تتخيل المصابة نفسها جان دارك أو مارلين مونرو.

■ وإذا انتقلنا الى الخمور التى حرمها الاسلام تحريما كاملا قطعيا بقوله تعالى **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾** (المائدة/ ٩٠، ٩١). فاننا سنذهل لما ترويه لنا أرقام منظمة الصحة العالمية من فجائع الخمر وموبقاتها وتأثيرها على الصحة . . وهى تغتال العقل وهى الغول (ثم حرفت هذه اللفظة عند الغربيين Alcohol ثم عادت الينا فأصبحنا نسميها الكحول!!) . وقد نفى الله سبحانه وتعالى هذه الصفة عن خمر الجنة فقال: ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾، فهى لا تغتال العقل ولا تسبب السكر ولا تنفد.

ويوضح تقرير منظمة الصحة العالمية رقم ٦٥٠ لعام ١٩٨٠ بعنوان المشاكل المتعلقة باستهلاك الكحول (الغول) (Problems Related to Alcohol Consumption بعض الاضرار المتعلقة بشرب الخمور فيقول: «إن شرب الخمور يؤثر على الصحة ويؤدي الى مشاكل تفوق المشاكل الناتجة عن الأفيون ومشتقاته، والحشيش والكوكاكيين والامفيتامين والباربيتورات، وجميع ما يسمى مخدرات مجتمعة، وإن الاضرار الصحية والاجتماعية لتعاطى الكحول تفوق الحصر» .

ويقول تقرير الكلية الملكية

للأطباء النفسيين فى بريطانيا (عام ١٩٨٦): «إن الكحول مادة تسبب تحطيم الصحة بما لا يقاس معها الخطر على الصحة الذي تسببه المخدرات. . وإن معظم المخاطر على الصحة الناتجة عن تعاطى الكحول ليس من العدد القليل الذي يشرب كميات كبيرة من الكحول ولكن الخطر الأعظم على الصحة العامة للأمة هو من العدد الكبير الذي يتناول كميات معتدلة من الكحول».

ويذكر تقرير الكلية الملكية للاطباء العموميين فى بريطانيا (عام ١٩٨٦) أن الوفيات الناتجة عن تعاطى الكحول وما تسببه من أمراض وبيلة مثل تليف الكبد وأمراض الجهاز العصبى والسرطان والحوادث تقدر بأربعين ألف وفاة سنويا فى بريطانيا.

ويعتبر تليف الكبد الناتج عن شرب الخمور أهم ثالث سبب للوفاة بين الذكور البالغين فى فرنسا والولايات المتحدة وروسيا وايطاليا وهو السبب الخامس للوفيات بين النساء البالغات فى هذه البلدان.

ويذكر كتاب «الف باء الكحول» الصادر عن المجلة الطبية البريطانية (BMJ) (١٩٨٨) أن ما بين خمس وثلث جميع الحالات التى أدخلت الى الاقسام الباطنية في بريطانيا كانت بسبب الكحول. . وفى انجلترا وحدها (دون اسكوتلنده وويلز) يدخل الى أقسام الأمراض الباطنية ما بين ٣٠٠,٠٠٠ و٥٠٠,٠٠٠ شخص بسبب تعاطى الكحول سنويا. . وفى السويد أثبتت دراسة مالمو الرصينة أن ٢٩ بالمئة من جميع أيام دخول المستشفيات في السويد كان بسبب تعاطي الخمور.

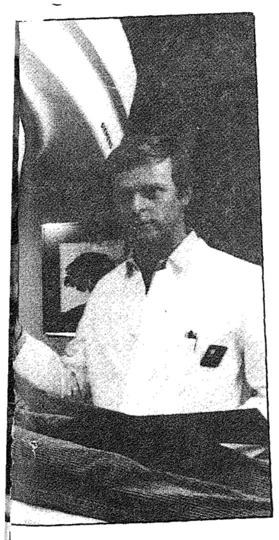
وتقرر جميع المصادر أن مالا يقل عن خمسين بالمئة من جميع حوادث المرور فى العالم ناتجة عن شرب الخمور. ويذكر تقرير الكلية الملكية للاطباء أن ٥٠ بالمئة من جميع جرائم القتل تمت تحت تأثير الخمور ويرفع تقرير هلسنكي هذا الرقم الى ٨٠ بالمئة. وتؤكد جميع التقارير من منظمات الامم المتحدة والولايات المتحدة وبريطانيا أن ما بين ٥٠ و٨٠ بالمئة من جميع جرائم الاغتصاب والاعتداء على المحرمات جنسيا مثل الاخت والبنت بل والأم تمت تحت تأثير الخمور. ويذكر تقرير من منظمة الصحة العالمية أن ٨٦ بالمئة من جرائم القتل تمت دراستها فى ثلاثين قطرا.

وتؤكد التقارير الطبية أن ما بين ٢٥ و٣٠ بالمئة من جميع الحالات الموجودة فى مستشفيات الأمراض العقلية ادخلوا بسبب تعاطى الخمور.

وتؤكد التقارير الطبية أن ثلث الحالات التى تدخل الى قسم الحوادث فى أوربا والولايات المتحدة وبريطانيا انها تدخل بسبب تعاطى الخمور.

وتذكر مجلة ميديسن دايجست المآسي الناتجة عن شرب الخمور وأنها تزداد كثافة بسبب حرص شركات الخمور على توسيع مبيعاتها الى العالم الثالث والدول النامية فتذكر أن انتاج البيرة فى كثير من دول افريقيا قد زاد بنسبة ٤٠٠ بالمئة (خلال عشر سنوات من ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨٠م) وأن الزيادة قد بلغت فى بعض أقطار آسيا نسبة ٥٠٠ بالمئة وان المشروبات الكحولية قد وصلت الى كثير من القرى قبل أن تصل اليها المياه النظيفة والصرف الصحى والكهرباء والتعليم!!

وفى الولايات المتحدة تبلغ تكاليف الخمور والاضرار الناتجة عنها ١٢٠ ألف مليون دولار سنويا بينما يذكر الدكتور على التويجري في بحث له نشرته مجلة رسالة الخليج



العربى أن البلاد العربية مجتمعة تنفق على الخمور والمخدرات ما قيمته ٦٤ ألف مليون دولار سنويا، وهو مبلغ تنوء بكاهله هذه الدول المصاب أكثرها بداء الديون الخارجية.

ولا شك أن الاسلام قد استطاع أن يجتث مشكلة الخمور والمخدرات من أساسها فى مجتمع المدينة المنورة فى عهد الرسول ﴿ﷺ﴾ وفى عهد خلفائه بل حتى فى عصور الضعف والانحطاط. ويستطيع كذلك دون ريب أن يواجه هذه المشكلة المعقدة أشد التعقيد فى هذا العصر الحديث، وكما قال ارنولد توينبى فى كتابه محاكمة الحضارة Civilization on Trial «إن الاسلام هو الدين والنظام الوحيد الذى استطاع ويستطيع أن يجتث مشكلة الخمور من جذورها».

وهناك مشكلة صحية خطيرة يستطيع الاسلام أن يحلها كما حل مشكلة الخمور والمخدرات وغيرها من المشاكل الا وهى استخدام التبغ تدخينا ومضغا وسعوطا، والتبغ مادة تسبب الادمان بما فيه من النيكوتين ويشبه فى ذلك ما نسميه مخدرات مثل الافيون والحشيش والماريوانا وحبوب الامفيتامين وحبوب الفتلين وغيرها من العقاقير.

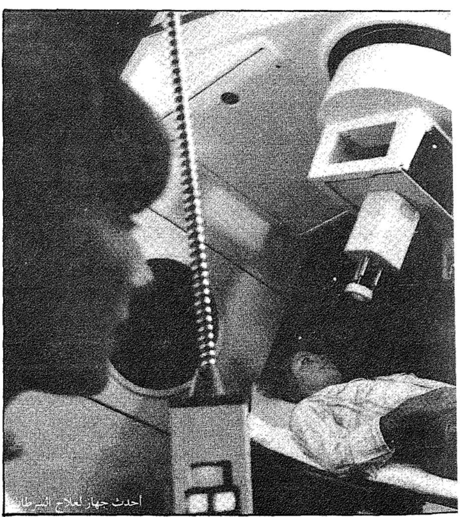
والتدخين كما تقول منظمة الصحة العالمية يؤدي الى قتل مليونين ونصف المليون من البشر سنويا وهو رقم مفزع حقا حيث نجد ضحايا القنبلتين الذريتين اللتين القيتا على نجازاكى وهيروشيما فى نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ والذين قتلوا ٢٦٠٫٠٠٠ شخص أى عشر العدد الذي تقضى عليه السجائر واستخدامات التبغ الأخرى فى سنة واحدة.

وقد ذكر وزير الصحة الامريكى الدكتور ايفريت كوب أن ضحايا التبغ سنويا فى الولايات المتحدة يبلغون ٣٥٠٫٠٠٠ شخص بالاضافة الى خمسين ألف آخرين يتوفون نتيجة ما يسمى التدخين السلبى (أى تدخين الآخرين)، وبالمقارنة فإن ضحايا الخمور فى الولايات المتحدة حسبما ذكره وزير الصحة الامريكى يبلغون ١٢٥٫٠٠٠ سنويا وضحايا المخدرات ستة الآف شخص فقط وفى المملكة المتحدة نجد الأرقام التالية:

وفيات (ضحايا) التبغ ١٠٠٫٠٠٠
وفيات (ضحايا) الخمور ٤٠٫٠٠٠
وفيات (ضحايا) المخدرات ١٥٦

وفى ألمانيا يتوفى اكثر من ١٤٠٫٠٠٠ (مائة وأربعين ألف) شخص نتيجة التدخين سنويا، وهكذا قل فى معظم اقطار العالم.

وبما أن شركات التبغ الاحتكارية الكبرى تكسب آلاف الملايين سنويا من تجارة التبغ فانها تحارب بقوة لزيادة مبيعاتها فى دول العالم الثالث بعد أن واجهت


أحدث جهاز لعلاج السرطان



انحساراً شديدا فى دول أوربا وكندا واستراليا والولايات المتحدة.

وقد نددت بهذا المسلك الشائن منظمات الامم المتحدة وبالذات منظمة الصحة العالمية واليونيسف كما ندد بذلك كل الهيئات الطبية المحترمة فى العالم، وأطلق السناتور روبرت كيندي على شركات التبغ لقب «قاتلة البشر» وقدم وزير الصحة الامريكى ايفريت كوب لكتاب جيد ظهر عام ١٩٨٨ بعنوان «تجار الموت Merchants of Death» للمحامى لاري وايت الذى أوضح بالأرقام ان شركات التبغ الكبرى بلغت مبيعاتها فى الولايات المتحدة ٣٠ ألف مليون دولار ومبيعاتها فى العالم أجمع أكثر من مائة ألف مليون دولار، وأن هذه الشركات تدفع الرشوات والمبالغ الضخمة حتى لا تصدر ضدها تشريعات تمنع استهلاك التبغ، وهى بذلك تؤدى الى تحطيم صحة عشرات الملايين من البشر سنويا وتقضى على الملايين منهم كل عام، ويالها من جريمة بشعة مروعة!!

وعلماء الاسلام قد أفتوا مرارا بتحريم تعاطى التبغ وزراعته والاتجار فيه ولو نفذ ذلك لأمكن انقاذ الملايين من براثن المرض والعاهة والموت.

وقد اعتنى الاسلام بالرعاية الصحية للطفولة والأمومه أيما اعتناء. «وقد جعل الجنة تحت اقدام الامهات» واعتنى بتكوين الأسرة الصالحة وحث على الزواج من الأكفاء وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» أخرجه أبو داود والترمذي. وقد قال تعالى ممتنا على البشر بنعمة الزواج: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ (الروم/ ٢١). وقد ثبت أن الزواج بالاضافة الى كونه إحصانا ضد الموبقات والفواحش فانه يؤدى الى السكن والمودة والحياة النفسية المستقيمة، وأن المتزوجين أقل عرضة للامراض النفسية والعصابيه والعقلية من غير المتزوجين، وأن نسبة المدمنين للخمور والمخدرات بين المتزوجين هى أقل بكثير عن أقرانهم من غير المتزوجين.



وهكذا قل فى كثير من الأمراض الجسمانية والنفس جسمانية.

وقد نبه المصطفى ﴿ﷺ﴾ لاختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح وقال صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» أخرجه ابن ماجة والديلمى، وقال صلى الله عليه وسلم: «اياكم وخضراء الدمن قالوا: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء» أخرجه الدارقطنى.. وتزوجوا الاكفاء وانكحوا اليهم.

وهذه الاحاديث الشريفة تؤكد أهمية الصفات الوراثية التى تنتقل من الآباء والأمهات الى الابناء والأحفاد.. ولم يقصرها الرسول الكريم الحكيم ﴿ﷺ﴾ على الامراض الجسمانيه بل تعداها الى ما هو أهم واعمق وهو الأمراض الأخلاقية والنفسية.

وقد صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال: اغتربوا لا تضووا» أى لا تتزوجوا القريبات حتى ينحصر الزواج فقط فى الاقارب دون غيرهم فيؤدى الى ضعف البنية وظهور الامراض الوراثية المتنحية.

وقد حمى الاسلام الجنين من الأمراض البيئية وهى ترجع الى الميكروبات والامخاج وأغلبها ناتج عن الأمراض الجنسيه (أى أمراض الزنا) ونوع منها وهو مقوسات جوندي ناتج عن أكل لحم الخنزير وعن الاختلاط الشديد بالقطط، كما ترجع الى المواد الكيماوية ومن أخطرها الكحول (الغول) والنيكوتين فى التبغ وأنواع المخدرات.

وقد حمى الاسلام الجنين من الاجهاض وجعل له دية هى غرة (وهى عشر دية المولود) وقد قال تعالى ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) (الانعام ١٥١) وقال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من املاق، نحن نرزقكم وإياهم﴾، وجاء فى بيعه النساء ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾.. وقد فقدت البشرية فى ظل الحضارة الراهنة رشدها فهي تغتال كل عام أكثر من خمسين مليون جنين دون ذنب ولا جريرة. وذلك نتيجة الكفر والفقر والزنا وتفكك نظام الأسرة.

وهكذا نجد تعاليم الاسلام تحمى الجنين من أسباب التشوهات الخلقية والخلقية وتحفظ حقه فى الحياة الكريمة.

ويحفظ الاسلام للوليد حقه فى الرضاعة قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة. وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها. لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده. وعلى الوارث مثل ذلك، فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما. وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف. واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ (البقرة/٢٣٢) وهي آية فذة جامعة فى موضوع رضاعة الطفل الوليد.. وأمه أحق بحضانته إذا انفصمت عرى الزوجية.. وقال ابن حزم ان الرضاعة واجبة على الأم متى استطاعت ذلك ولو كانت ابنة الخليفة وتوفرت المرضعات..

واليوم كم يعاني الاطفال الرضع من اهمال الرضاعة وكم هى الفوائد التى تفوت الام والطفل بعدم الرضاعة.

والمجال بعد هذا واسع لا يتسع له هذا المقام وفيما ألمحنا اليه غنيمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الحجـ



كانت الحجامة حتى أوائل الخمسينيات من هذا القرن طريقة علاجية معروفة بين الناس لعلاج بعض أمراض الانسان، وقد عرفها العرب فى الجاهلية واستمروا فى استخدامها فى صدر الاسلام، واستعملها الاطباء المسلمـون ومن أشهرهم الشيخ ابن سينا ووصفوا فوائدها العلاجية فى مؤلفاتهم الشهيرة، ولازالت تدور فى مخيلتي منذ الطفولة صور الحجام وهو ممسك بكؤوس الحجامة يصفها الواحد تلو الاخر على جسم المريض المستسلم بين يديه والكاتم لالامه، وفى الوقت الحاضر بقى القليل من الناس فى المجتمعات البدائية يلجأون إلى الحجامة بين حين واخر فى علاج بعض أمـراضهم، وسـوف يتنـاول هذا المقـال الحجامة فى اللغة وأدواتها وأنواعها وتأثيراتها العلاجية ورأي الاسلام حولها واستخداماتها الطبية.

بقلم: الدكتور محى الدين لبنيه
- المدينة المنورة -

أدواتهـــا

كانت تستعمل قديمـاً فى الحجامة أداة مجوفه ذات فوهتين، وصنعت أحياناً من قرن كقرن ثور، توضع فوهتها الواسعة على المكان المختار من جلد المريض ثم يسحب الهواء من المحجم بمصه بوساطة الفم من الفـوهة الثانية الضيقة، ثم عرفت كؤوس الحجامة المصنـوعـة من الـزجـاج Cupping glass بأشكـالها المختلفـة وزودت أحيانـاً بمكبس كالسرنجه لشفط الهـواء بعـد وضع فتحتها على الجلد، وكانت تحفظ أدوات الحجـامـة عادة داخل محفظة خاصة يحملها الطبيب لعلاج مرضاه، وعرفت كؤوس الحجامة فى بلاد الشام ومصر بـ كاسات الهواء.

الحجامـة فـى اللغـة

أصل الحجم: المص، وسمي به فعل الحاجم، لما فيه من مص للدم فى موضع الشرط.

قال ابن الأثـير: المحجم بالكسر، الآلة التى يجمع فيها دم الحجامة عند المص، والمحجم أيضا: مشرط الحجم، واحتجم: طلب الحجامة، وهو محجوم.

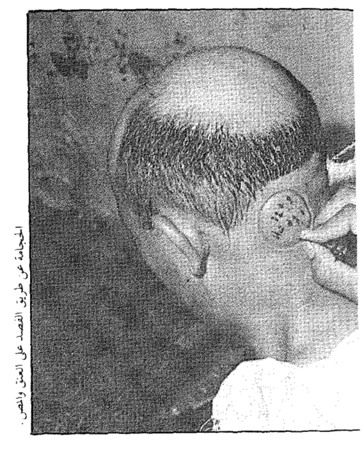
قال ابن دريد: الحجمة من الحجم الذى هو البدار لأن اللحم ينتبر أي يرتفع، ويقال: حجم الصبي ثدى أمه: إذا مصه، وما حجم الصبي ثدي أمه أى: ما مصه، وثدي محجوم، أي ممصوص، والحجام: المصاص.

قال الأزهـرى: المحجمـة: قارورتـه، وتطرح الهاء فيقال: محجم وجمعه محاجم.

أنواعهـــا

استعمـل الأطباء القدماء نوعين من الحجامة، ودنيله ما جاء فى كتاب «القانون فى الطب» للشيخ ابن سينا، وهما:

ـامة في الطب الإسلامي



الحجامة عن طريق الفصد على العنق والمص.

أولا: الحجامة بلا شرط وعرفت بالحجامة الجافة Dry Cupping وفيها تستعمل أداة الحجامة مثل كاسات الهواء على الجلد مكان الحجم المختار ثم يسحب هواء المحجم بالمص بما يشبه السرنجه أو بخلخلة هواء كأس الحجامة بوساطة احتراق قطعة صغيرة من الورق أو ادخال قطعة قطن ملتهبة داخل المحجم ويترك المحجم عدة دقائق قبل انتزاعه من الجلد فيتخلف عنه ما يشبه الكدمة واحمرار في الجلد نتيجة التسخين الموضعي وفقا لطريقة بيرز Biers Method

ثانيا: الحجامة بعد تشريط الجلد وسميت أيضا الحجامة الرطبة Wet Cupping أو المبزغة أو الدامية، ويستعمل فيها المحجم بعد تشريط الجلد بآلة حادة قاطعة. واحداث تفريغ داخل المحجم عن طريق سحب الهواء بالمص أو نتيجة احتراق قطعة من الورق أو القطن للمساعدة في خروج الدم من مكان الفصد ومنع تخثره على فوهة الجرح وتوقف سيلانه.

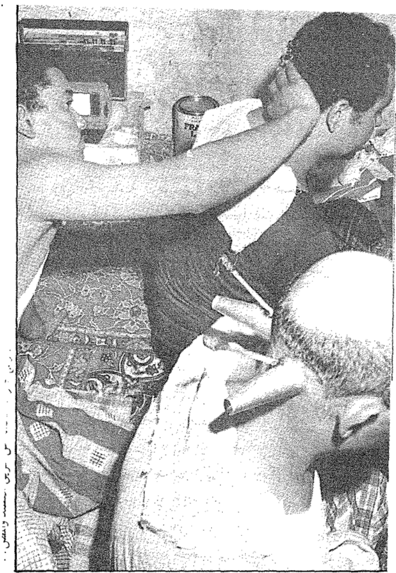
وفي الحجامة الرطبة يرفع كأس الحجامة بعد تجمع الدم فيه ثم يعاد تطبيقه مرة ثانية عند الضرورة ثم يغطى موضع الحجامة بضماد جاف ضاغط، ولا تزول الندبات الناتجة عن عملية الفصد لذا يحذر اجراؤها في المناطق الظاهرة من الجسم.

رأي الاسلام حول الحجامة

كانت الحجامة معروفة بين العرب في الجاهلية، وخلال عهد النبوة نصح الرسول ﴿ﷺ﴾ بالحجامة عند الحاجة اليها، ودليله ما جاء في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط»، وفي رواية: ما كان أحد يشتكى الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وجعا في رأسه إلا قال له: احتجم. وروى الامام البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهي أمتي عن الكي»، كما أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قوله: احتجم رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأعطى الحجام أجره ولو علمه خبيثا لم يعطه».

استطبابات الرسول ﴿ﷺ﴾ بالحجامة

استعملت الحجامة في علاج بعض أمراض الرسول ﴿ﷺ﴾، ودليله ما روته كتب الحديث الشريف، فذكر البخاري في صحيحه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ احتجم وهو مُحرِم في رأسه من شقيقة كانت به، والشقيقه: الصداع النصفى، وروى أبو داوود عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ إحتجم على وركه من وشاء كان به» والوشاء، هو الوهن دون الكسر والفك، وفي حديث للبخاري عن ابن عباس قوله: احتجم الرسول ﴿ﷺ﴾ في



رأسه من وجع كان به، وفى رواية «من شقيقة كانت به»، وذكر الامام الترمذي عن أنس رضى الله عنه قوله، احتجم رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى الأخدعين والكاهل»، والاخدعان: عرقان فى جانبى العنق، والكاهل: مقدمة أعلى الظهر، وروى أبو داوود عن أبى هريرة «أن أبا هند حجم النبى ﴿ﷺ﴾ فى النافوخ»، وقال أنس رضى الله عنه: احتجم النبى ﴿ﷺ﴾ يمين ظهر قدمه» رواه الترمذي والنسائى، وفي الصحيحين عن حميد بن الطويل عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾، حجمه أبو طيبة فأمر له بصاعين من طعام وكلم مواليه فخففوا عنه من ضريبته، وقال: خير ما تداويتم به الحجامة، كما احتجم الرسول ﴿ﷺ﴾ بعد ما سم، ولم يرو عنه عليه السلام أنه انتظر فى تلك الاحوال يوماً معينا للحجامة أو ساعة معينة منه.

استخداماتها فى الطب الاسلامى

استعمل الاطباء المسلمون الحجامة فى علاج العديد من الأمراض، وذكروا فوائدها فى مؤلفاتهم، ودليله ما قاله ابن سينا فى كتابه «القانون فى الطب» عن فوائد الحجامة بلا شرط على الورك لعلاج عرق النسا وخوف الخلع، وأن الحجامة على القمحدوة (نقرة القفا) والهامة تنفع فيما ادعاه بعضهم من اختلاط العقل والدوار وتبطىء فيما قالوا الشيب وفيه نظر، فإنه قد تفعل ذلك فى أبدان دون أبدان، وفى أكثر الأبدان يسرع الشيب، وتنفع من أمراض العين ولكنها تضر بالذهن، كما جاء فى كتاب «الطب النبوى» لابن قيم الجوزية عن استطبابات الحجامة قوله: «الحجامة تحت الذقن تنفع من وجع الأسنان والوجه والحلقوم، إذا استعملت فى وقتها، وتنقي الرأس، والحجامة على ظهر القدم تنوب عن فصد الصافن: وهو عرق عظيم عند الكعب، وتنفع من قروح الفخذين والساقين وانقطاع الطمث والحكة العارضة فى الانثيين، والحجامة فى أسفل الصدر نافعة من دماميل الفخذ وجربه وبثوره ومن النقرس وحكة الظهر، وأن الحجامة تنقي سطح البدن أكثر من الفصد، والفصد لأعماق البدن أفضل والحجامة تستخرج الدم من نواحي الجلد»، كما ذكر نفس الكتاب فوائد أخرى للحجامة، وهى تنفع على الكاهل من وجع المنكب والحلق والحجامة على الاخدعين تنفع من أمراض الرأس واجزائه كالوجه والاسنان والاذنين والعينين والانف والحلق، إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم أو فساده، أو عنهما جميعا.

وروى أبو داود والترمذي عن أنس رضى الله عنه قوله: كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يحتجم فى الاخدعين والكاهل» وهما المكانان لمعظم استطبابات الحجامة وخاصة الكاهل، واختلف الاطباء القدماء فى الحجامة على نقرة القفا وهي القمحدوة، فطائفة منهم استحسنتها وقالت: إنها تنفع فى جحوظ العين والنتوء العارض فيها وكثير من أمراضها ومن ثقل الحاجبين والجفن وتنفع من جربه، وروى أن الامام احمد بن حنبل، احتاج إليها فاحتجم فى جانبى قفاه ولم يحتجم فى النقرة، وعارضه أطباء آخرون بقولهم: ان الحجامة تضعف مؤخر الدماغ إذا استعملت بغير ضرورة».

مضادات استطباباتها

عرف القدماء الحالات التى ينصح عدم اجراء الحجامة الرطبة ـ الدامية ـ فيها خوفاً على حياة المريض، ومنها ما ذكره موفق الدين البغدادي فى كتابه «الطب من الكتاب والسنة» «إن الفصد إذا وقع فى غير مكانه أو لعدم حاجة اليه أضعف القوة وأخرج الخلط الفالج إلى غير ذلك من المضار وتجنب القصد والحجامة لمن حصل له هيضة والناقه والشيخ الفاني والضعيف الكبد والمعدة ومتغضن الوجه والأقدام والحامل والنفساء والحائض. . وتكون الحجامة بعد الفصد ذات أضرار صحية فى حالات الانتان الجلدي ومرض السكر وضعف الجسم وعند وجود اضطرابات فى زمن التخثر للدم قبل الاصابة بمرض الناعور والقصور الكبدى.

أوقات استحباب الحجامة

كانت هناك اعتقادات شائعة بين القدماء عن استحباب اجراء الحجامة فى أوقات معينة من الشهر، ودليل ذلك ما ذكره صاحب القانون فى الطب فى هذا الخصوص «يؤمر باستعمال الحجامة لا فى أول الشهر لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت ولا في آخره لأنها تكون قد نقصت بل فى وسط الشهر حين تكون الاخلاط هائجة بالغة فى تزايدها لتزايد النور فى جرم القمر، وفي الحقيقة لم تكن هناك دلائل ملموسة تؤكد هذه الاعتقادات كما لم يرد عن الرسول ﴿ﷺ﴾ بأنه اختار يوماً معيناً أو ساعة معينة منه لاجراء الحجامة، والحجامة للمريض لا تفطر صيامه، ففي رواية للبخارى عن ابن عباس أن النبى ﴿ﷺ﴾ احتجم وهو صائم، إلا اذا كانت تضعف الصائم فانها تكره له، وفي صحيح البخاري قال ثابت النباتى لأنس رضى الله عنه «أكنتم تكرهون الحجامة للصائم على عهد رسول الله عليه السلام ، قال: لا ، إلا من أجل الضعف».

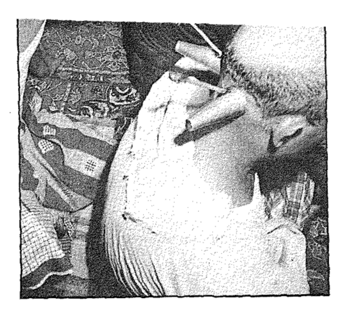
تأثيراتهـا العلاجيـة

إن حالة المص الناشئة عن المحجم نتيجة خلخلة الهواء داخله تسبب حدوث هجوم دموي فى منطقة الحجامة وخروج الدم من الأوعية الشعرية يتخلف عنه ما يشبه الكدمة، كما أن الحرارة الناتجة عن حرق قطعة من الورق أو قطن تنشط الدورة الدموية فى المنطقة المجاورة لها مما يساعد الدم فى نقل النواتج الأيضية فى الخلايا بعيدا عن منطقة الحجامة ومن ثم تخفيف الشعور بالألم، وهناك اعتقاد أن الألم الذى تسببه الحجامة ينتقل فى شكل تيارات عصبية الى المخ فيلغي وقتيا الشعور بالألم الاصلي فى منطقة شكوى المريض، وبلا شك لازالت الالية الدقيقة لحدوث ذلك غير معروفة بدقة، بينما تساعد الحجامة بعد قطع الوريد بالمفصد فى اسراع خروج الدم واستمرار تدفقه واعاقة تخثره.

فوائدهـا العلاجيـة

كانت الحجامة حتى منتصف هذا القرن أو بعده بقليل مذكورة فى المراجع والمؤلفات الطبية، وكان يستعملها الأطباء بنوعيها الجاف والرطب فى صورة جلسات فى علاج العديد من الأمراض مثل:

- تخفيف الآلام الروماتيزمية المزمنه وآلام الظهر والتهاب المفاصل.
- فى بعض أمراض القلب وضغط الدم وهبوط القلب المصحوب بارتشاح فى الرئتين عن طريق حجم منطقة ما تحت عظمة الترقوة اليسرى بثلاثة أصابع.
- صداع الرأس وآلام الرقبة والبطن.
- فى حالات عسر البول الناتجة عن التهاب الكلية، وفيها تطبق الحجامة على الخاصرة.
- احتقانات فى الرئة والكبد ووزمة الرئة الحاد، يجوز فيها الحجامة الرطبة على الظهر.
- الالام العصبية القطنية تكون فيها الحجامة مسكنة للالم سواء كانت جافة أو رطبة يوضع فيها كأس الحجامة على جانبي العمود الفقرى وليس على العجز، وفى حالات الالام الأربية توضع المحاجم



على الظهر.

■ كما استعمل الاطباء أحيانا الحجامة بعد الفصد لوريد المريض للاسراع فى خروج الدم وزيادة حجمه فى علاج بعض امـراض القلب والـدم كالصباغ الدموي Haemochromatosis وهيموسيدرين Hae-mosiderosis واحمرار الدم (ازدياد عدد كريات الدم الحمراء Poy Cythemia rupra fera بنوعيها الاولي والثانوي، وارتفاع ضغط الدم داخل الدماغ Intra cronial pressure وحالات القصور فى عمل القلب والقصـور الـوظيفى فى البطين الأيسر للقلب نتيجة الاصابة بوزمة رئوية Pulmonary Oedema .

وفى الختام لابـد من القـول ان نجم الحجامة بنوعيها قد أفل بعد سطوع دام قرون طويلة. ولمع بريق شهرة كثير من العقاقير النافعة والوسائل الطبية الحديثة فى علاج الأمراض وانتهى دور الحجام وأقفل دكانه.

المراجـع

(١) ابن قيم الجوزية (الطب النبوى) ص٤١-٤٤، دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان.

(٢) الـنـووى، شرح صحيح مسلم ج١٤ ص٢٠٠، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ١٢/ ١١٦، دار الفكر - بيروت - لبنان.

(٤) البعدادى، موفق الدين، الطب من الكتاب والسنة ص٤١-٤٨. دار المعرفة - بيروت - لبنان.

(٥) النسيمى، د. محمـد ناظم، الـطب النبوى والعلم الحديث ص٩١-١٠٣، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

Ill ustrated Stemans Medical Dictionary (1982) P.345. Williams and Wilkin s, Ball timore, MD. U.S.A.

الـــــ

بقلم: مهندس كيميائي: محمد عبد القادر الفقي - الظهران -

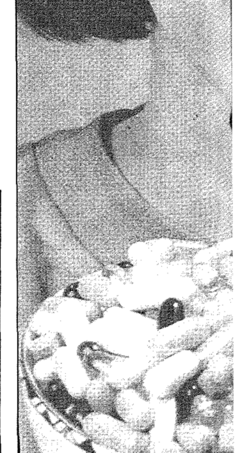
ثمـة بيت شعـرى شهـير للإمـام الشافعي - رضي الله عنه - يقول فيه:

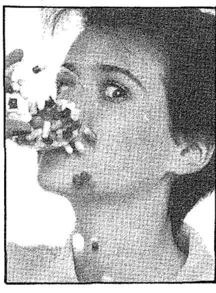
لكـل داء دواء يستـطاب به
إلا الحـماقـة أعيت من يداويها

■ وقـد بلغت الحـماقـة بالانسـان المعـاصر الحد الذي أصبح الدواء الذي يستطاب به داء يقع الكثير فى براثن إدمانه أو سوء استخدامه أو الاسراف فى تنـاولـه دون داع، ضاربـين عرض الحـائط بالاخطار الصحية المترتبة على ذلك، وما يتبع ذلـك من آثار اجتماعية واقتصادية تزلزل دعائم الأسرة والمجتمع.

إساءة استعمال الادوية:

بدخـول الـتصنيع الكيميائي





> ● «.. إذا قدرت أن تعالج بالأغذية، فلا تعالج بالأدوية، وإذا قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب..»
> ـ الرازى.

داء في الدواء

عالم الأدوية، أصبحنا نحصل على مئات الأدوية الكيميائية المصنعة بأشكال مختلفة وبأنواع عدة لعلاج الأمراض.

ومما يؤسف له أن كثيرا من الأدوية المصنعة بطرائق كيميائية أسيء استعمالها وأفرط الكثيرون فى استخدامها، فالمورفين والكودايين ـ على سبيل المثال ـ شاع استعمالها فى التخدير وإسكان الألم، لكن الانسان أدمن استخدامها، وأخذ البعض يتحايل على الحصول عليها لا لغرض طبي ولكن كمادة مخدرة. وهو أمر جعل كثيرا من السلطات الطبية فى العالم تضع محاذير متعددة على استعمالها، وأوقفت بعض الجهات الرقابية تناولها، بسبب سوء الاستعمال.

وهناك أدوية كثيرة أسرف الانسان فى استعمالها، متناسيا أن لهذه الأدوية آثارا جانبية شديدة، وأن الافراط في تناولها يؤدي إلى حدوث مشاكل صحية كبيرة، وبخاصة تأثير الدواء المستمر على الكبد والقلب والكليتين.

وثمة مقولة مفادها أن (التراكم الكمي يؤدي إلى تغير كيفي). وهي تصدق على معظم الأدوية الكيميائية، مما دعا البعض إلى المطالبة بنبذ العلاج الكيميائي والعودة الى الأعشاب والنباتات الطبية.

المنبهات:

ومن الأدوية التى أفرط الانسان فى استخدامها: المنبهات.

وتأتى «الامفيتامينات» فى مقدمة هذه الأدوية، وهي عبارة عن مواد كيميائية عضوية تشبه (الأدرينالين) من نواح كثيرة، وهي أيضا تتشابه مع مخدر الكوكايين المحرم استخدامه. فكل منهما (الأمفيتامينات والكوكايين) يفقد الشهية، ويعزز النشاط والوعي، وينبه الجهاز العصبي المركزي.

وقد تم تركيب عقار الأمفيتامين في مستهل القرن العشرين، واستعمل فى ثلاثينيات هذا القرن لأغراض العلاج. ونظرا لمفعوله المنبه، لجأ إليه الطيارون في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) لكى يساعدهم على زيادة عدد الطلعات الجوية فى تلك الحرب.

ومنذ ذلك الحين، شاع استخدام الامفيتامينات على نحو مفرط بين كثير من سكان العالم، وبخاصة بين سائقي سيارات الشحن الذين يقومون برحلات طويلة، والطلبة الذين يستعدون لأداء الامتحانات، والرياضيين الذين يسعون إلى تحطيم الأرقام القياسية، وغيرهم.

ومنذ قرابة أربعين عاما، تزايد الاسراف فى تعاطي الأمفيتامينات في كثير من المناطق الحضرية بالعالم: في دول أوروبا الغربية،

وفي الـولايات المتحدة الأمريكية. وقـد أسرف البعض في تعاطيها في بعض دول العـالم الثـالث أيضا، حتى إنها اتخذت شكلا شبه وبائي في بعض البلدان، مما حدا بالهيئات المسؤولـة عن الـدواء والصحة إلى إصـدار قوانـين صارمـة تخضـع بموجبها هذه العقاقير لرقابة شديدة.

ومن الجـدير بالـذكـر أن هذه المنبهـات (الامفيتـامينات) تشتمل على مجموعة كبيرة من الأدوية، وإن كانت أهميتهـا العـلاجية محدودة. فهي لا تستعمل في البلدان الأكثر حرصا على سلامة مواطنيها إلا في حالتـين: الأولي: علاج الـزكام، والثانية: علاج السعال.

وتـتعـرض قشرة كبسـولات الأمفيتـامينات للتحلل بالانزيمات بسرعة لا بالتدريج، ومن ثم يحدث نوع من السم الكيميائى لمتعاطيها.

المهدئـات:

للتغلب على القلق والتـوتـر، يلجأ عشرات الملايين من الناس في جميع أنحـاء العـالم الى العقـاقير المهدئة، التي من أشهرها الفاليوم.

وقد تعرض هذا العقار لهجمات شرسة من قبل العلماء والأطباء بعد أن تبين لهم أن له آثارا خطرة تكاد أن تكـون مدمـرة. فهو يؤدي إلى الاصابة بحالة كآبة شديدة، تكون مصحـوبـة بحـالـة انـطواء ورغبة شديدة فى الانتحار.

وقـد أجرى فريق من الأطباء الكنـديين - برئاسة الدكتور ديفيد هوربـين - عدة تجارب على فئـران المعـامل. وتبين من هذه التجارب أن الفئـران التي تعـرضت لعقـار الفاليوم قد ظهرت فيها أورام سرطانية.

وفى دراسة بريطانية عن سرطان الثدى عند النساء، تبين أن غالبية النسـاء الـلاتي أصبن بهذا المرض الخبيث كن يتعـاطـين هذا العقار وغيره من المهدئات. وعند فحص حالاتهـن، ظهـر أن الاصـابـة بالسرطان كانت متقدمة، وأرجعت الـدراسـة ذلك إلى القلق الشديد الـذى يعـتري المـرضي، والـذي يدفعهن إلى مضـاعفـة استعـمال العقار عند اكتشافهن إصابتهن بالسرطان.

وفى الـولايات المـتـحـدة الامـريكية، اتضـح أن الفـاليوم يؤدي إلى الادمـان مثـل تعـاطي المخدرات تماما. والذين وصلوا الى مرحلة إدمان هذا العقار يتحايلون للحصول عليه، ويقومون باللجوء إلى الأطباء للحصول على وصفات طبية (روشتات) لصرف العقار من الصيدليات. وإذا فشلوا في ذلك، فإنهم يسـتـعينـون بالأصـدقـاء والمعارف الذين يعملون بالعيادات والمستشفيات للحصول عليه.

ويؤدي إدمـان هذا العقار إلى شعور من يتعاطاه بالرغبة في اعتزال النـاس وقـد تهاجم المـدمن - بعد ذلـك - حالات الـقـلق الحـاد، ويتصبب العـرق من جسمه، كما يصاب بحالات من التشنج. ومن الممكن أن يصـاب أيضا بحالات مرضية شديدة، ويذهب فريق من الأطباء إلى رأي مفاده أن المصابين بإدمـان المهـدئـات تكون حالاتهم أصعب علاجا من مدمني المخدرات.

المسكنات:

تستخدم هذه الأدوية على نطاق واسـع لتخفيف آثـار الألم، وهى تضـم مجمـوعـة كبيرة من المركبات الكيميائية، من أشهـرهـا أمـلاح البروم، المعروفة باسم (البروميدات).

وتستعمل هذه الأملاح بصفة خاصـة في علاج الأرق والـتهيج الـعـصبي والصرع. وهي تتصف بطول مدة مفعولها، لان إفرازها من الكليتين بطيء، فتبقى في الجسم مدة أطول، ولهذا كانت فائدتها في علاج الصرع كبـيرة، لأن بقـاءها بالجسم مدة طويلة يضمن السيطرة على الأعصـاب المتوترة حتى يحين موعد الجرعة التالية.

وإذا أعـطي ملح الـبرومـيد بمقادير صغيرة خمدت حدة الذهن والـتيقظ والتنبـه التى يتصف بها الشخص العـادي، فيبـدو خاملا خامـدا لا يقـوى على الـتركـيز والتفكـير، أمـا إذا أعـطي مقادير كافية لجلب النـوم، فإن المـريض يصحو منه كسولا على غير ما نعهده فيه بعد الاستيقاظ من نوم طويل، وإذا أعـطي لفـترات طويلة، فإن تراكمه بالجسم يسبب أعراضا غير محمودة، من أهمها: بلادة التفكير، وضعف الـذاكـرة، وظهـور طفح جلدي على شكـل بثـور أو بقـع حمراء، وفي الحالات الشديدة، قد

لا يقوى المريض على السير بثبات. ويتهته ويتلعثم إذا حاول التعبير عن أفكاره.

وقد شاع في السنوات الأخيرة استعمال مستحضرات (الفينوباربيتال) التى من أسمائها المعروفة: اللومينال، وقد أدى سوء استخدامها الى ظهور أعراض تسمم شديدة تصحبها غيبوبة لا يفيق المريض منها نتيجة لشلل مركز التنفس فى المخ، أو بسبب حدوث التهاب رئوي حاد ناجم عن الغيبوبة الشديدة وتراكم الافرازات المخاطية فى قاع الرئتين ثم غزوها من قبل الجراثيم. وقد لا تعدو أعراض التسمم - في بعض الحالات - حدوث طفح جلدي يشبه طفح الحصبة، ويكون مصحوبا بارتفاع فى حرارة جسم المريض.

وللفينوباربيتال مستحضرات عديدة، وتتوقف كفاية أي مستحضر منها وسلامة مفعوله على قدرة الجسم على تحطيمه والتخلص منه، فمستحضر (الفينوباربيتون) - على سبيل المثال - لا يطرد من الجسم بسهولة، ومن ثم فإن تكرار استعماله أياما متوالية يؤدي إلى تراكمه في داخل الجسم، ومن ثم حدوث تسمم مزمن.

وكلما كان تخلص الجسم من المستحضر بطيئا، شعر الانسان بخمول جسمي وذهني فى اليوم الذى يعقب تناوله لهذا المستحضر.

ومن المؤسف أن إنتاج المسكنات لا يخضع لرقابة فعالة في بلدان كثيرة، وكذلك الأمر بالنسبة لتجارتها وتوزيعها، ومن ثم فإن هذه الأدوية تباع دون ضوابط، مما يؤدي إلى حدوث مالا تحمد عقباه بسبب إفراط البعض في استخدامها دون إدراك لمخاطرها وأضرارها على الصحة.

المنومات:

ومن بين العقاقير التى شاع استخدامها فى السنوات الأخيرة: المنومات.

وهى تستعمل عادة بغرض التغلب على حالات الأرق، أو للتخلص من عذاب ألم شديد، أو بغرض السهر للمذاكرة أو إنجاز عمل ما.

وقد وجد أن إدمان المنومات، يؤدي إلى نوع من التسمم المزمن الذي يكون من أهم أعراضه: التبلد الذهني، والخمول الجسدي، حيث يصحو الشخص من نومه خاملا كسولا لا يقبل على عمل اليوم بنشاطه المعهود، على الرغم من أنه قد نام ملء عينيه ساعات طويلة.

الدواء الداء:

لعله من الجلي أن الاحاطة بأضرار الأدوية الكيميائية المختلفة أمر صعب، ويكفي القارىء أن يطلع على ما هو مدون عادة فى النشرات الداخلية لعلب هذه الأدوية، وربما قد يتخيل القارىء أنني أدعو إلى إساءة الظن بهذه الأدوية أو محاربتها، وهذا غير صحيح، إنما قصدت أن أحذر من الاسراف فى استخدامها وأن ألفت الانظار إلى إدمان البعض لأنواع معينة منها.

علماء المسلمين ومخاطر الدواء:

أدرك علماء المسلمين الأخطار المحتملة للأدوية، ولمسوا آثارها الجانبية فنجدهم في العصر الاسلامي الأول - وبالتحديد فى القرن الثامن الميلادي - يحذرون الناس من هذا الخطر، فيعلن الطبيب العربى (ثياذوق) - الذي كان يعالج الحجاج بن يوسف الثقفي - أنه على الانسان ألا يشرب الدواء إلا لازالة علة أو مرض.

وبعد (ثياذوق) يقرر العلامة أبو بكر الرازي - فى القرن التاسع الميلادي - مبدأ هاما في العلاج، حيث يقول في كتابه الشهير (الحاوي):

«إذا قدرت أن تعالج بالأغذية، فلا تعالج بالأدوية، وإذا قدرت أن تعالج بدواء مفرد، فلا تعالج بدواء مركب».

ولذلك، سارع الخلفاء العباسيون الى تنظيم مهنة الطب والصيدلة، ولم يسمحوا بالعمل إلا لمن حصل على ترخيص بمزاولتها، ولا يحصل على هذا الترخيص إلا من أدى امتحانا أمام لجنة (الحسبة) التى تشكلها الدولة، وبهذا ظهر أول تنظيم رسمي لممارسة مهنة الصيدلة في العالم، ثم انتقل هذا التنظيم إلى باقى دول العالم، وتطور وتعدل، حتى ظهرت دساتير الأدوية والتشريعات المنظمة لتصنيع الدواء وبيعه وصرفه.

الليزر يقتحم الطب

بقلم: د. خالد عقيل
استاذ الفيزياء وتقنية الليزر
- جامعة دمشق -



ما هو الليزر قبل كل شيء LASER
الليزر كلمة مؤلفة من الأحرف الأولى لجملة انكليزية :
Light Amplification by Stimulated Emission of Radiation

وتعني تضخيم الضوء بواسطة إصدار الاشعاع المحرض والشعاع الليزرى هو شعاع ضوئي يمتاز عن الأشعة الضوئية المعروفة (التقليدية) بالميزات التالية :

١ ـ وحدانية اللون.
٢ ـ الدرجة العالية من الاستقطاب.
٣ ـ الانفلاش الزاوي الصغير.
٤ ـ الدرجة العالية من الترابط.
٥ ـ الاستطاعة العالية.

■ ويمكن توليد الليزر فى الوقت الحاضر على شكل إشعاع مستمر أو إشعاع نبضي في المجالات المرئية وغير المرئية ومن مواد مختلفة غازية، صلبة، وسائلة مثل الهليوم والنيون والأرغون والياقوت الأحمر والبلورات الممزوجة وأنصاف النواقل والأصبغة الكيميائية وحتى من الماء.

ليس بوسعنا في هذه العجلة من أمرنا أن نعطي القارىء الكريم بصورة مفصلة عن المساهمات الجليلة لأشعة الليزر في المجالات الطبية الجراحية والعلاجية المختلفة بقدر ما نحن على استعداد تام في المستقبل القريب بإذن الله أن نسلط الضوء على هذا الاستخدام أو ذاك بصورة أكثر تفصيلا تعميما للفائدة.

ومن الصعوبة بمكان أن نتصور الطب الحديث يتطور بعيدا عن مساهمات الليزر الجبارة، خاصة فى الجراحة المجهرية العينية والعصبية وكذلك الأمر في مجال الأمراض الباطنية، وفى الحقيقة إن تلك المساهمات كبيرة وذات شأن عظيم، ومع هذا كله فما زال الطريق طويلا وهو فى خطواته الأولى.

من بابه الواسع !!

وينكب علماء الطب بالتعاون الوثيق مع علماء الليزر على دراسة آليات تأثير أشعة الليزر على الأجسام الحية بصورة أكثر فهما وعمقا، وبطبيعة الحال يمكن فهم التأثير الحراري؟ والصدمي لأشعة الليزر على النسيج الحي إنطلاقا من القوانين الفيزيائية المعروفة فى التأثير المتبادل بين الضوء والمادة بصورة عامة، غير أن تلك القوانين غير كافية من أجل فهم الظواهر المختلفة التى تنشأ في النسيج الحي بعد تعرضه للاشعاع الليزري مثل الالتهابات والتشويه، ولا نعلم حتى الآن أى طول موجة وأى نظام توليد وأية طاقة ليزرية هى الأكثر ملاءمة لهذا العلاج أو ذلك بصورة مطلقة وأكيدة وهذه المعلومات مرهونة بنتائج الابحاث التى تجرى الآن على نطاق واسع.

ومن الواضح أن الأبحاث المذكورة تساهم فى توسيع استخدام الليزر في المجال الطبى بدرجة كبيرة، ونستطيع بطبيعة الحال استثمار أفضلية الأشعة الليزرية عن غيرها من وسائل العلاج التقليدى لصالح البشرية، ويمكن للجراحين التوجيه نحو استخدام الليزر بكل ثقة في السنوات القليلة القادمة نتيجة النجاحات الكبيرة التي حققها الليزر في مجال طب العيون وخاصة علاج زرق العين أو ما يدعي الماء الأزرق، وكذلك انفصال الشبكية، وفي مجال توسيع دسامات القلب وسد الثغرة الولادية بين الأذينين أو بين البطينين وتجريف الشرايين المسدودة نتيجة تراكم الكوليسترول الضار والتريفيليسيرد أو في مجال النزيف المعوي أو غير ذلك الكثير من النجاحات التي سنتحدث عنها بالتفصيل مستقبلا إن شاء الله.

وسيصبح من البديهي استخدام الليزر في علاج الاورام السرطانية بعد استكمال الأبحاث المكثفة فى هذا المجال وسنقرأ مستقبلا في مستشفى ما أو عيادة طبية ما لوحات كتب عليها ما يلى:

- الجراحة المجهرية الليزرية.
- الجراحة الغامة الليزرية.
- التنشيط الحيوي الليزري.

وغيرها الكثير.

■ والحقيقة أن الحزمة الليزرية المعالجة تغير طبيعة العلاج نفسه فتجعله اكثر سرعة وأقل ضررا ودون حدوث نزيف دموى.

■ ان المسائل الملحة التى وضعت بتحد أمام استخدام الليزر في الطب هى على سبيل المثال لا الحصر:

١ - التنظير الليزري:

وفى الحقيقة يجرى في أيامنا هذه استخدام الليزر من الهليوم نيون فى النظام المستمر باستطاعة عشر الواط للحصول على صور عن الأوعية الدموية، فى الوقت الذ ي لا يمكن فى هذه الحالة أبدا استخدام أشعة رونتجن، كما يمكن مستقبلا إضاءة كامل منظومة الأوعية الدموية وتفحصها على شاشة تلفزيونية بصورة مفصلة للكشف عن أية علة مهما صغرت.

٢ - الكشف المبكر عن الأورام الخبيثة:

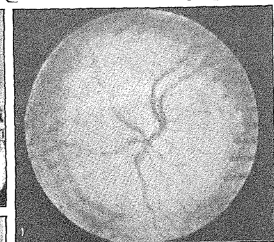
إن الكشف المبكر عن ورم خبيث يعطي الأمل فى الشفاء التام، ولهذا الغرض تستخدم الحزمة الليزرية في المجال ما فوق البنفسجى التى بواسطتها يمكن للمواد الكيميائية المتراكمة في النسيج المريض أن تتألف مما يمكن رؤيتها بسهولة، كما يمكن التعرف ليس على وجود الكتلة بحد ذاتها فحسب وإنما أيضا على طبيعة تلك الكتلة وأبعادها فورا.

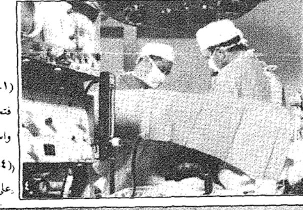
كما أن استخدام الألياف الضوئية فى ايصال الحزمة الليزرية الى الاماكن الصعبة والخطرة من الجسم البشري كالدماغ أو القلب أو المثانة أو الرئتين سيفتح صفحة

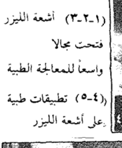
حديدة ناصعة أمام استخدام الليزر في المجال الطبى مستقبلا.

ومن المؤمل البحث فى تأثير الأشعة الليزرية على تركيب الدم وعلى عملية تشكل الدم، وكذلك البحث فى تأثير الأشعة الليزرية فى المجال ما تحت الأحمر فى النظام النبضى على الجملة العصبية والدماغ، وإمكانية التحفيز البيولوجي لامتصاص الدواء بسرعة كبيرة، كما من المأمول الحصول على نتائج طبية فى استخدام الليزر فى تقوية المناعة البشرية ضد الأمراض، والتأثير الحيوى الحرارى على الخلايا المسؤولة عن الأمراض النفسية المختلفة.

وإن غدا لناظره قريب.

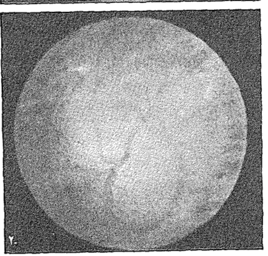


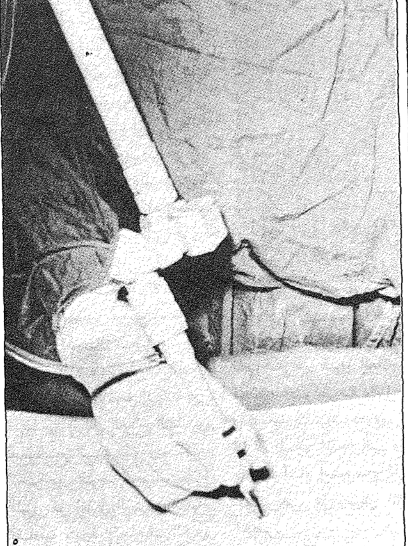


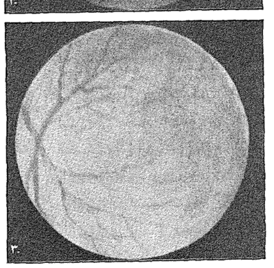


(١-٢-٣) أشعة الليزر فتحت مجالا واسعاً للمعالجة الطبية

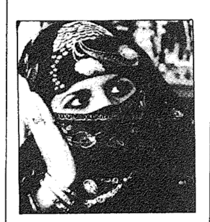
(٤-٥) تطبيقات طبية على أشعة الليزر

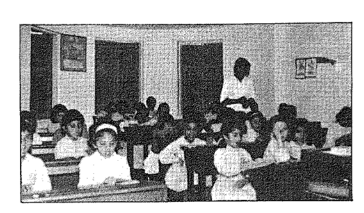




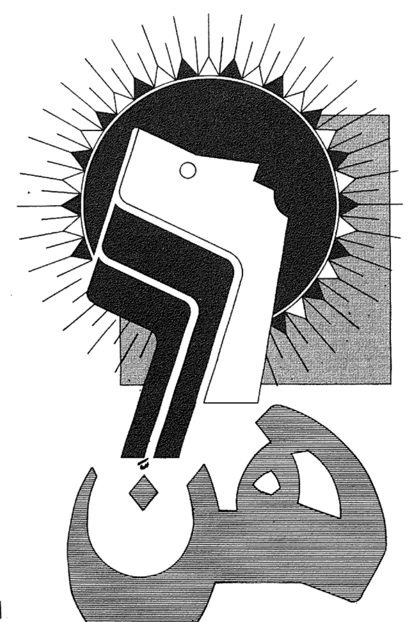


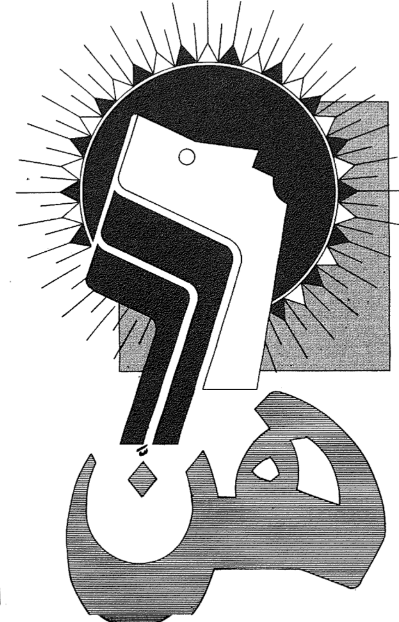
مجلة شهرية
ذات أداء متخصص
تخاطب عقل المرأة ووجدانها
العدد (٧٠) رجب ١٤١٣





● تعليم المرأة ضرورة تحتمها طبيعة مسئوليتها العظمى.





في هذا العدد

● بيننا كلمة ١٣٨
● المرأة والعلم في ميزان الاسلام ١٣٩
● لحظة هدوء ١٤٤
● مناجاة طيور الحب ١٤٦
● اوراق زوجية ١٤٨
● رسالة الى السيدة الجميلة ١٥٠

.. عزيزتي القارئة

مرحبا بمشاركاتك في (هن) وعلى طريق الكلمة الهادفة والفكرة النيرة نلتقي.



سيارة تحمل بقايا وطن، ولعب أطفال شاحبة مثل وجهي.. مخنوقة كحلمي، وسيل ذكريات أليمة، وبقايا إصرار مستميت على العودة، وطفلا ولد غريباً.. بلا أب يستقبله بضمة حنان أو قبلة شوق.. بلا وطن يغتسل بضوء شمسه، أو يستحم بمياه خليجه، هؤلاء كانوا رفاق رحلة العودة.

الطريق لم يعد ذاك الطريق، والشمس لم تعد تلك الشمس، فاليوم أضحت معالم الطريق ولوحاته الارشادية بقايا آلات عسكرية مدمرة، وهياكل عظمية متناثرة، وطلقات مبعثرة، وخوذات جنود وأحذية، وبقايا ملابس عسكرية.. ممزقة.. مضرجة بالدماء.. اليوم خلعت الشمس ثوبها الذهبي وراحت تستحم فى بحيرة من دماء.. والذكريات أثقل من أن يحملها وجدان منهك كوجدانى، وخيوط المؤامرة أعقد من أن تعي مغزاها فتاة فى مثل عمري، لم تعرف للخيانة معنى أو مدلولا أو ـ حتى ـ مفردات معجم.

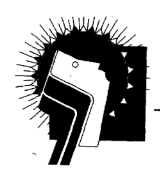
أتحسس أمارات وجه طفلي الذي يحمل كثيراً من تقاسيم وجه أبيه، الذى لم أره ولم أعرف إلى أى مصير ساقوه؟ مذ سربني في ليل مظلم خارج حدود الكويت، وعاد كى يصون عرضاً، ويذب عن حرمة وطن.. تطاردنى هواجس أحاديث جدتي فى ليل الشتاء البارد الطويل، التى لم أعرها ـ قبل اليوم ـ أدنى اهتمام، والآن يدفعني الخوف إلى استدعائها.. وتتمثل فى أن الرجل إذا أنجب طفلا يشبهه، كان ميلاده إيذاناً بانفراط عقد عمره، وأمارة رحيل أبدي.

شلال من التساؤلات يباغت ذاكرتي المتعبة، ويتوارد على مخيلتي الغائمة.. هل البطولة خنق بسمة فوق شفاه؟! ومحق مفردات رقيقة هامسة الايقاع من ذاكرة؟! ومنازلة العدو من جوف الخنادق، ومحاورته عبر الدوائر اللاسلكية والتليفزيونية المغلقة؟!.. لا يا زعيماً من ورق، وأسطورة إغريقية جوفاء، فالبطولة أن تنازل العدو الحقيقي فى الساحة التي ارتضاها ميداناً للنزال، وبالأسلوب الذى قبله لغة للحوار ومنهجاً للتفاهم.

أم ترى أن قدر هذه الأمة الحتمي.. أن يولد حلمها العروبي الكبير وفى صدره خنجر، ويطوق باقة زهوره شريط أسود؟! وأن تزهر رياضها أوان خريف، وأن تنطلق الضحكة من أفواه اطفالها مخنوقة؟! وأن تصير البسمة على تقاسيم وجه فتياتها ـ وهن فى عمر الزهور ـ أمارة إدانة واصبع اتهام؟! على حد تعبير الكاتب المصري أيمن ميدان.

واليوم.. أعود اليك ـ معشوقتي الكويت ـ فأراك متشحة بالسواد، مخضبة اليدين بالدماء.. أراك وقد كبرت ألف عام.. ألف دهر!! اليوم أطرح جسمى المنهوك على صدرك.. وفوق الشفاه ابتسامة مبتورة الجذور، وفى الصدر ألف طعنة.. ألف خنجر، وعلى تقاسيم الوجه ألف صورة لسؤال يتردد.. لماذا نعدو ـ دائماً ـ إلى الوراء..؟!

لماذا...؟!.... لماذا..؟!



المرأة والعلم في ميزان الإسلام

بقلم: د. ضاحي عبد الباقي
رئيس قسم احياء التراث العربي
الكويت

تعـددت أدوار المرأة فى عصر النبوة وكان العلم الـوسيلة المعـبرة عن فكرها الناضج، الذى يستمد دعـائمـه من خلال الايمان بالله وبـرسـالـة خاتم الأنبياء، وكان لقيام الحضارة الاسلامية دور فعال فى اتسـاع رقعـة مهـام المرأة وبخاصة فى مجال التعليم والتعلم ـ حيث اتسم بالموسوعية فى جميع مناحيه ـ فقد أسهمت فى إثـراء الحضـارة الاسـلامية بعـطائهـا المتـواصل وبجهدها الذى أنتج أجيالا صلبة تدرك رسالتها فى الحياة.

العلم معان ودلائل:

لا جدال فى أن العلم هو السبيل المـوصـل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى حيث إنه من أهم الأسس التى قامت عليها دعوة خاتم الأنبياء، فقد تعددت معـانيه ولم تتـابـين أهدافه لذلك نجد أن البدايات الأولى للرسـالة النبوية تجعل من العلم القيمة التى تكفـل للانسـان انسجامـاً مع صلته بالخالق تبارك وتعـالى وبحـركة الكون، فإن أول سورة نزلت على قلب النبى ﴿ﷺ﴾ فسرت لنـا هذه المعـانى ﴿**اقرأ باسم ربـك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**﴾[1]، ومن هذا المنطلق الفطرى الذى يرتبط بجوهر الرسالة النبوية اعتبر الاسلام العلم ذا درجة أفضل من العبادة، لأنه يضع للمسلم أسس الخير مع نفســه وخـالقـه وحركة الكون، فتتكون بهذا نماذج تستقى وجودها من معانى هذا العلم الذى يعد وسيلة إلى معـرفة الله، نرى ذلك جليا فى أحاديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ فعن سعـد بن أبى وقـاص قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾ «فضـل العلم أحب إلى من فضـل العبـادة، وخير دينكم الورع»[2] بل إن هناك حديثا يوضح درجة العالم مقارنا إياها بدرجة العابد حيث قال النبى ﴿ﷺ﴾ «فضل العالم على العابد كفضلى على أدنـاكم، إن الله عز وجـل ومـلائكتـه وأهـل السماوات والأرض، حتى النمل فى جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير»[3]،

يقـول الامام الغزالى معقباً على هذا الحديث: «فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد من العلم، وإن كان العابد لا يخلو من علم بالعبادة التى يواظب عليها، ولولاه لم تكن عبادة. وأهل العلم أولئك الذين استحقوا هذه المنـزلـة، أرحم بأمـة محمـد ﴿ﷺ﴾ من آبـائهم وأمهـاتهم، قيل وكيف ذلـك؟ قال لأن آبـاءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة»[4].

موقف الاسلام من تعليم المرأة:

لقد أجزل الاسلام ثواباً جزيلا وعطاء عظيماً لطالب العلم، لذلك نجد النبى ﴿ﷺ﴾ يوجه الأمة الى تعلم العلم حيث لا يفصل بين الرجل والمرأة، وإنما يجعل منهما الثنائية التى تجتمع على ميثاق واحد من الشرعية، لأنهما يكونان البنية الاساسية لحركة الكون، بل يجعل من المعطيات الكونية عنصراً مشاركاً ينطق بلسان السماء ويعبر عن عطائها لمن يقوم بتعلم العلم، فعن أنس بن مالك قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾ «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان فى البحر»[٥]، نجد أن لفظ مسلم فى الحديث يستغرق الرجل والمرأة على السواء، حيث إن المرأة داخلة فى هذا التعميم، وإذا تأملنا الاطار الذى رسمته الشريعة الاسلامية للمرأة من خلال دائرة التكليف، نلاحظ أن التباين لم يكن فى الأصول بينهما وبين الرجل وإنما اقتصر على أحكام فرعية قد ميزت بينهما، ليتوافق كل حكم من هذه الأحكام الفرعية مع الطبيعة البشرية من حيث الذكورة والأنوثة.. وإذا أمعنا النظر فى شريعة الاسلام من خلال مجالات التكليف للمرأة نجد أنه ليس هناك انفصام بينها وبين الرجل وإنما عليها مثل ما على الرجل من تكليف عينى فى الشعائر المسنونة (**الذكر - الصلاة - الصيام - الخ**) وفى الأخلاق والمعاملات (**الصدق - العدل - البر - الاحسان - التقوى - الادب**) وفى الحياة العامة (**الصبر والهجرة إزاء الكافرين والموالاة والطاعة إزاء جماعة المؤمنين**).

وقد قال الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيماً﴾[٦].

حقيقة إن دور المرأة فى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية يحتاج إلى علم يرتكز على معطيات لا تخل بالاطار الذى رسمته شريعة الاسلام لها حيث إن الأصل فى الاحكام هو اتحاد الشريعة وعموم الخطاب، ولم يثبت هناك أى تخصيص أو تمييز، وإذا عدنا إلى عصر النبوة وجدنا مجالس العلم كانت تقام بين يدى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وكانت السيدة عائشة تتصدى للفتوى وكان النساء يجادلن برأيهن بين يدى رسول الله وخلفائه حيث إنه دين يقرر الحوار لا سيما فى مجالات التعليم والتعلم بين المرأة ومثيلاتها.

فضل تعليم المرأة:

لا شك أن تعليم المرأة يعد من العناصر الأساسية التى تكون شخصية عامة ذات معالم مضيئة، حيث إن العلم هو الوسيلة إلى تقويم السلوك البشرى وتهذيب النفس وتثقيف العقل ووسيلة الى وضع المقاييس والمعايير الصحيحة التى تتصل بالهدف الحقيقى لوجود المرأة فى هذا الكون، والتى تكفل لحركة هذا الكون استمراراً يستمد حيويته من خلال شرائع السماء، لقد اعتبر الاسلام التعليم من المكملات الأساسية لتكوين شخصية المرأة التى نشأت فى بيئة ذات تربية إسلامية سليمة، وجعل منها تحقيقا لمعانى الاحسان حيث قال النبى ﴿ﷺ﴾: «من كان له أختان أو ابنتان، فأحسن إليهما ما صحبتاه، كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين، وفرق بين إصبعيه»[٧]، بل اعتبرها الاسلام ذات مسئولية تقوم عليها بيئة المجتمع الاسلامى والتى قد وضح لنا معالمها النبى ﴿ﷺ﴾ فى حديثه الشريف: «والمرأة



راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها»[٨]، وهى مهمة متعددة الجوانب منها الاقتصادى والصحى والاجتماعى والتربوى والنفسى والادارى، وأهمها مكانتها من طفلها وهو فى دور امتصاص الايحاء والسلوك والأفكار والأخلاق، وهذا يترجم إلى التزامات تندمج فيها بفكرها ووجدانها حتى تحقق نموذج القدوة الحسنة، «وهذا الاعتبار - أنها ذات مسئولية - له أثره فى حياتها الفكرية والنفسية، فإن الاحساس بالمسئولية هو فى الواقع إحساس بالذات وباعث الاستجابة إلى الواجب، ومن ثم فهو مناط الاحساس بالكرامة وأهمية الوجود، ذلك إلى أنه ينبه فيها جوانب غافلة أو خاملة إلى التزامات فى آفاق عدة، فتدب فى نواحى النفس ألوان من النشاط والحركة ويمتاز الفكر بتعدد جوانب النظر، فهو اعتبار له أثره فى دعم الوجود واكتمال الشخصية»[٩].

واما بالنسبة للمقومات التى يجب أن تتوفر لها للقيام بهذه المسئولية هو «العلم بدينها وكل معرفة تثير ذهنها وتقوم ضميرها وتصلها بآفاق الحياة العامة وتبصرها بأصول مهمتها وأهداف زوجيتها وأموميتها الروحية والاجتماعية.. وواجبها فى توفير الظروف الحسية والنفسية لعمل كل من قانونى الزوجية والأمومة وحقيقة إنسانيتها ورسالتها التى يجب أن نحققها بها فى الحياة»[١٠].

هذا ومن العلوم التى يجب ان تتعلمها المرأة المسلمة ما يدخل تحت ما أطلق عليه العلماء اسم فرض الكفاية، الذى إذا اقام به البعض سقط عن الباقين، وهو تعلم ما تقوم به مصلحة المسلمين ولا غنى لهم عنه، ويحدثنا الامام الغزالى فى هذا الصدد فيقول: «أما فرض الكفاية - أى فى العلم - فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا، كالطب إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما.. هذه العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى، وسقط الفرض عن الباقين، فلا تعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة، بل والحجامة والخياطة) وما ذكره الغزالى هو على سبيل المثال لا الحصر، فتعليم المرأة هذه العلوم وغيرها من علوم فرض الكفاية داخل فى هذا الاختصاص، وكما تقول القاعدة الفقهية «مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

فعلوم اللغة العربية تعد مدخلا لفهم كتاب الله وسنة نبيه، وإذا تحدثنا بمفهوم الاختصاص فى توزيع فروض الكفايات لوجدنا أن اثنين على الأقل مما ذكره الغزالى داخل فى صميم اختصاص المرأة، فالأول هو الطب والثانى هى الخياطة، فلا جدال أننا فى حاجة إلى الطبيبة التى تعالج أمراض بنى جنسها، وكذلك المعلمة التى تعلم البنات فى مختلف المراحل التعليمية فهى قادرة على فهم مشاكلهن والوصول إلى مداركهن من خلال ألاحساس بها وتحمل تبعة مهامها الجسيمة التى تقع على عاتقها من تربية وتعليم وتهذيب وتقويم، وإبراز للقيم والمبادىء الاسلامية، فكل ذلك يفرض عليها إحاطة جيدة بعالمها وما استحدث فى مجالها العملى من علوم مثل اضطلاعها بعلوم النفس والاجتماع وعلوم تنمية شخصية الطفل وعلوم استخدام وسائل الاتصال الحديثة من صحيفة وتلفاز وحاسب الكترونى فى الدعوة والتعليم، وكل هذه المجالات تتفق مع طبيعة المرأة من الناحية النفسية والاجتماعية والانسانية وهذا يعتبر تحديداً لمعالم المنفعة التى تجد المرأة كيانها من خلاله فى مجتمعها المسلم.

دور الأوائل فى التعلم ونشر العلم:

إن دور المرأة المسلمة عبر التاريخ البشرى يعتبر

سجلا حافلا بالانجازات فى مجالات عديدة، ومن هذه النماذج السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حيث كانت متبحرة فى الفقه والطب والشعر كما أنها كانت حافظة لأكثر من ثلث أحاديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ وقد تحدث عن علمها كثير من الصحابة حيث يقول أحدهم: «**ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة**» وكذلك قال الزهرى: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل» ومن هذه النماذج نجد فى عصر النبوة أسماء بنت أبى بكر، وأم عطية الانصارية وأم سليم، وأم الدرداء، وفاطمة بنت قيس، وكن جميعهن من راويات الحديث، وإذا راجعنا طبقات النساء المحدثات فى مسند الامام أحمد من التابعيات لوجدنا أنه يضم وحده خمسين تابعية، ونذكر منهن على سبيل المثال حفصة بنت سيرين وزينب بنت المهاجر وصفية بنت شيبة. وكذلك كان فى الأندلس أيام الخلافة الأموية نحو ستين فقيهة، ومن أبرزهن فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندى صاحب كتاب (**تحفة الفقهاء**) التى قد تفقهت على أبيها وحفظت تحفته، وتزوجها علاء الدين بن أبى بكر صاحب كتاب (**صاحب البدائع**) وعندما كان زوجها يخطىء ترده إلى الصواب، ومن أهم ما يميز هؤلاء الفقهاء فى هذا العصر الأموى أنه كانت توقد على بيوتهن السرج دلالة على أنهن أهل الفتوى والفقه، لهذا يجب على المرأة المسلمة اليوم أن تكون امتدادا لهذا الجيل من الصحابيات والتابعيات اللاتى حملن الرسالة المنوطة بهن وكن مثالا يحتذى به فى كل زمان ومكان.

دور المرأة المسلمة اليوم:

من الممكن أن نوجز ما يجب على المرأة المسلمة اليوم وهى تواجه تحديات عدة تريد أن تبعدها عن دينها وأن تجعل منها نموذجا تافها مقلداً للمرأة فى الغرب الأوربى فى التالى:

١ ـ فهم الاسلام بشكله الواضح المتكامل، دون تجزئة ولا تفتيت لمعالم جوهره، فتحث الخطى لمعرفته وتطبيقه فى أنواع السلوك وألوان الحياة المختلفة.

٢ ـ التفاعل مع مجتمعها بشكل إيجابى، فتدعو بسلوكها وتطبيقاتها، وكونها قدوة ومثلا واقعيا فتدرك حقائق الحياة بكل مستجداتها ومتغيراتها، كما تعلمتها من شريعة الاسلام.

٣ ـ عدم التأثر بالثقافة الغربية المخالفة لتعاليم الاسلام فكراً وسلوكاً لأنها تعد نوعا من التغريب داخل المجتمع الاسلامى وذلك بأن تحيا كأنثى مكرمة ترتدى زى الاسلام وتكون بعيدة عن النظرات المستهينة والمواقف المبتذلة.

٤ ـ اتخاذ العلم وسيلة من وسائل التسلح بالايمان الذى يصل الانسان بربه.

٥ ـ ان تكون طبيعة المنهج التعليمى ومضامينه الاجتماعية والسياسية والعقائدية معبرة عن الفكر الاسلامى المستنير وعن الأوعية التى يستقى منها هذا الفكر أهدافه واتجاهاته وأسسه وقيمه.

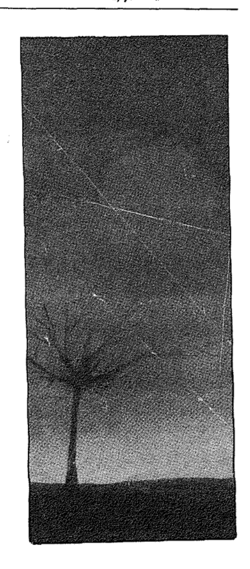
الهوامش

(١) سورة العلق الاية ١ : ٥.
(٢) صحيح الجامع للألبانى (٤٢١٤).
(٣) رواه الترمذى وصححه الألبانى (٤٢١٣).
(٤) إحياء علوم الدين للغزالى (١/١١٠٧).
(٥) صحيح الجامع (٣٩١٤).
(٦) الأحزاب الآية ٣٥.
(٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى (٣/١٠٢٦).
(٨) رواه البخارى ومسلم.
(٩) انظر «الاسلام وقضايا المرأة المعاصرة» للبهى الخولى ص٢١٤.
(١٠) نفس المرجع ص٢٢٤.



هل يهبط القمر..

مديحة أبو زيد - القاهرة -



يخيفنى انطلاق البدر حين يدنو للضباب
وهو يعبر الحدائق الكثيرة الأشواك
مليئة بالعشب الأصفر والرياح المرتعشه الهوجاء
يجىء وفى شفتيه الرجاء
مرددا أنغامه المنسابة الايقاع
لعل الحياة التى قد طواها السأم
تولد فى اشعة الشروق
تحمل لى شمسه الدافئة الاعضاء
سفينة الربيع المخضرة الشراع
لأحيا فى مدينة يعشش فى ابراجها الصباح
فتخرج الاطيار مغردة لحن اللقاء
ويختفى وجه ذلك المساء القديم
ولاتبين الشجرة العريانة فى العواصف والصقيع
ولا أرى تحت قبوة الضياء والمطر
وفى غابة من نخيل وثمر
سوى زورق من اللالىء الفضية الألوان
لكنى اراك فى لقائنا الأخير
تطلق الجفاء فى أشعة الغروب
فتخفت الضياء فى قنديلى المرتجف الشموع
ويبقى سؤال بفكر يدور
اهذه حديقة حلمى أم بقايا ضياع
هل تورق الاشجار تحت ثقوب المطر
وهل يهبط القمر
يطوف بالمدينة الحزينة المغلقة النوافذ
يفتح الابواب للضياء
يحل عناق الظلمة
فيرحل المساء فى سحابة من الدموع
ويسكن النهار فى بشاشة الوصال
هل يخرج فى انتصار
من متاهة القفار
ام الريح تبعثره فى الطريق



كريم الخس:

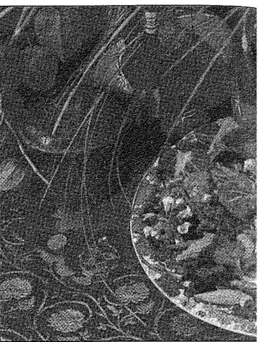
بعيدا عن الصيدليات، والمستحضرات الطبية، واغراء الاعلانات، خذي هذه الوصفة المجانية من غير مقابل.. «١٠٠ جرام من اوراق الخس مغلية فى لتر من الماء» هذا المحلول «العجيب» اشربيه ونامي هادئة، وانعمي باحلام ناعمة.

أو: هذا المحلول نفسه يمكن ان تستخدميه كريما للوجه إذا أصابه الجفاف، وعلاجاً للدمامل والحروق.. وهم يقولون «الخس مقو عام لأنه يحتوي على الحديد والفيتامينات».. ألم نقل دعك من اغراء الاعلانات.

بقي ان نقول لك - سيدتى - ... العهدة على الراوي ..

● تايور من قطعتين من الاسود والأبيض.. البلوزة بأزرار أمامية والجوب كروازية.



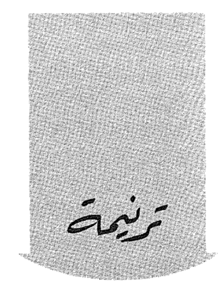


●● «الـزواج نعمـة» !! و«غاية نبيلة» !!.. وأما علامـات التعجب هذه فهي قهقهات التعسين من المتزوجين!! وبالطبع فنحن نحزن لتعاستهم إذ ليس في الأمر ما يدعو إلى شيء من ذلك..

المهم فى الأمر، دعونا فى أفراحنا.. إذ الفرح فى حد ذاته شيء جميل.. وكل أمة لها عاداتها وتقاليدها فى الابتهاج بهذه المناسبة الجميلة.

وهـذه الصـورة، لا أظنها تحتاج لتعليق منا.. هذان الزوجان فى قمة قمة فرحتهما.. ومن عاداتهم في أمريكا أن يحمل الزوج زوجته عند عتبة البيت، انه الفأل الحسن أن يحملها على اكف الراحة.

تُرى، من غير الزوجة يدلل كل هذا الدلال!! ونأمل ان يكون هذا (الدلال شافعا لنا الى قلوبهن).



(طاهر أبو فاشا)

جف عودي
غير أنى لم يزل قلبى اخضر
فى خريف العمر يصبو
والهوى شيء مقدر
ان يكن في صفوه معنى لطيف
او يكن في روضه ظل وريف
فتباريح الهوى شيء عنيف
ومخيـف..
وانا شيخ ضعيف
يتصباه جمال الروح والحس الرهيف
ونديم لا أرى فيه سوى روح شفيف

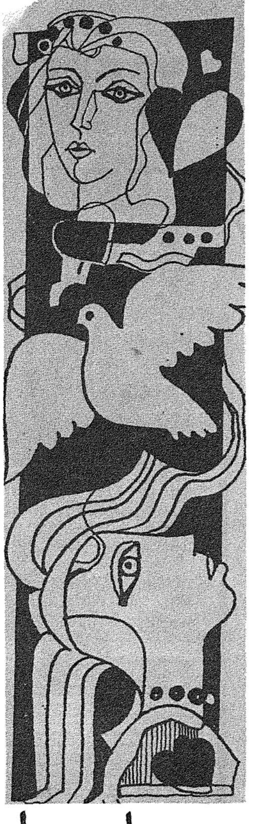
قـالوا:

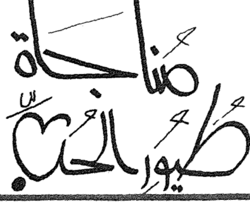
● الرجل أرجوحة بين ابتسامة المرأة ودمعتها..

«جبران خليل جبران»

● لا توجد امرأة أقوى من رجل وانما يوجد رجل أضعف من امرأة.

«حنا خباز»





يا خفقات الحب أنت مني
أصداء حلم شاعري الحس
ينديا بالروح لا بالأذن
وسرها بادٍ وخافٍ عني
الحب ما أخفقت تغني
هدهدتني في لآلئ التمني
كأنها من بعض سحر الجن
تنفث بي أشهى رحيق اللحن
فأنتشي من دون بنت الدن
غني طيور الحب.. غني.. غني
هذا النداء وأنت فيه عوني
لا تصمتي يا طير لا بل غني!!

* * * * * *

يا طير لا تخشى ولا تراعي
فأنت في داري وفوق قاعي
زادك من زادي ومن متاعي
يا طير أنت في حمى اليراع
هذا الحمى رعاه أي راعي
حمى القصيد العذب في السماع
والفن والخدمة للطويع الواعي
يا طير لا تخشى ولا تراعي
إنك عندي في حمى اليراع!!

* * * *

يا طير ما أنت؟ ضللت أمري
حقيقة؟ أم حلم؟ ولست أدري!!
تستقبلين انبلاج الفجر
أشبه بالتهليل أو بالذكر
الله في سرك أو في الجهر
أنواره في كل معنى تسري
هيا أحيبتي الحب لا تفري
فسرك المحجوب مثل سري
أنا وأنت بعض أسرى الدهر
يا طير إنا صفحة في سفر
مطوية تنشر يوم الحشر
ليس لنا يا طير من مفر
ما أنت يا طير؟ ضللت أمري!

* * * *

وإن كان عيشي خرق الصمت الدوي
لو مضة العمر خير باقي..
والمواعد الحسنى لحظة محض..
فيم الغرور بزهو القرض؟
وأنت أولى بكل رفض..!!

* * * *

إنك مثلي يا طيور الحب
وقلبك الوادع الغض قلبي
تستلهمين الحسن في التصبي
وتشربين الحب كأس الشرب
وتطعمين الحب بين الحب
والحب لطف من صنيع الرب
إنك روح الروح وحي قلبي

بل قبسي وواحتي في دربي!

* * * * *

فيك أيا طير بديع الرب

في اللون من شرقيه للغرب

في صخب اللج ورقص السحب

والليل إذ يهدي بنجم القطب

والصبح إذ تجلى روؤه الحجب

والطل إذ مارق بين العشب

والرملة الوسنى بحضن الكثب

والورد يفشي العطر عبر الدرب

وعالم سحر عني القلب

أسراره تنبيك أو لا تنبي!

* * * * *

يشغلك يا طير البهي الصنع

صنع صناع عجب في البدع

ما إن له مثل ولا في السمع

ألوانه فيها ائتلاق الدمع

والضوء يبهر من لمع

وسحرها السحر الجميل الوقع

تالله ما أبدعه من صنع..!

* * * * *

أتعشقين الله يا طيور

وترقبين الكون إذ يدور؟

وجولة الأفلاك والبدور

والليل والآصال والبكور؟!

حنادس يبتسم عنها النور

تشربه الجبال والبحور

والرمل والأمواه والصخور

ما لمعنا في أرضنا الغرور

يا طير إن العيش فيها زور

أواه لو تدرين يا طيور!!

ويكشف المخبوء والمستور

عالمنا ظلاله والنور

يا طير ظل زائل محسور

ليس لنا يا طير فيه دور

وإنما قصورنا القبور

لعما دليل يمحي السرور

والخصب جدب والرياض بور

ليتك تدرين أيا طيور..!

* * * *

جهلت يا طير وبعض الجهل

أنبل سر عاش تحت الظل

فغفلت العالي عين الدخل

في عالم جم خفول الشكل

نمر ليس الجري إما يحلي

غدّار عهد وقطوع إلّ

يا طير لو حليت بعض قولي

* * * *

كم مرة حلقت عني كربي

بسقسقات راصفاً جنبي

كنت السلام في أتون الحرب

في الرقة واليمن بعيش صعب

كنت صدى لي مثل همس الشقي

تنفث بي أسرارها وتصطبي

ولكن يا الله ماذا الفتى..؟!

يا طير لو تدرين ماذا أرى!

غرس به يجنى كريم النبت

مغرز كالإبن أو كالبنت

يا طير لو تدرين ماذا أرى!!

* * * *

ريشك بالألوان فيه لوحة

مجموعة لم جاد فيه الفن

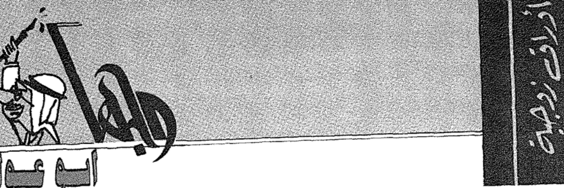
كأنما الألوان فيك لحن

من راءها يفتن بل يجن

هل أنت يا طير

إنس وجن..؟!

* * * *





٥٨٢ ——— أبو عــواد

أنا وأنت كأننا رمزين للمتاعب والهموم كلما حاول أحدنا نسيان مشاكله سرعان ما يتذكرها برؤيا الآخر!!!

٥٨٢ ═══ ام عمــرو

اننا نصنع الرموز بأنفسنا، نعطيها معناها ونغيره برغبتنا وارادتنا، ومهما طال استخدام رمز ما بدلالة ما، فإننا نستطيع تغيير هذه الدلالة لمعنى جديد اذا كنا صادقين فى ذلك وبإ صرارنا على استخدام الرمز بالمعنى الجديد فقط.

٥٨٣ ——— أبــو عــواد

المسألة ليست مسألة من يتنازل ويعتذر للثاني!!! إن المســألـة يا سيدتي هي من يحاسب النفس على تصرفـاتهـا حتى لا يضع نفسه باستمرار فى مواقف توجب الاعتذارات المتكررة!!

٥٨٣ ═══ ام عمــرو

عندما يخطىء الانسان عليه ان يعتذر، فإ ذا قبل ا عتذاره ولم يعاقب على خطأه فعليه ان يحاسب نفسه، وقلما تعطى للزوجات الفرصة لمحاسبة النفس وتصحيحها.

٥٨٤ ——— أبــو عــواد

ليس بالضرورة أن يكون للرجل اكثر من زوجة حتى يتعـرف على أمـزجـة وطبـاع النساء.. فالمرأة الواحدة دائمة التغير في افكارها ومواقفها بل وحتى فى شكلها حتى ليهيأ لى أنها تمثل معظم ان لم يكن سائر أطوار المرأة!!..

٥٨٤ ═══ ام عمــرو

تحتفظ الزوجة عادة بالطور الذى يلاقى استحساناً واطراء ا من الزوج. لذا انصح الازواج بأن يمتدحوا ما يحبونه فى زوجاتهم.

٥٨٥ ——— أبــو عــواد

عندما تصبح المشاكل بين الزوجين سمه تتميز بها حياتها ـ فان ذلك يعنى أنها على مفترق طرق فاما أن تكون ذروة هذه المشاكل مدعاة للاتفاق أو نذير بالافتراق.

٥٨٥ ═══ ام عمــرو

الاتفـاق والفـراق، كلاهما، وسيلة مناسبة لانهاء المشكلات، المهم الا نلجأ إ لى الثانية إ لا بعد استنفاد كل وسيلة إ لى الاولى.

٥٨٦ ——— أبــو عــواد

كلا ياسيدتى إننى لا اكره المرأة.. غير أننى اكره معظم تصرفاتها.. واكره جميع دسائسها وكيدها!!

٥٨٦ ═══ ام عمــرو

ان الكثيرين من الرجال لا يتفقون معك على كره معظم تصرفات المرأة فأنا لم اقابل رجلا حتى الان لا يرى ان امه اعظم انسانة فى العالم، كل أولئك الامهات نساء أيضاً، اليس كذلك!؟ يبدو ان الرجال يحتاجون لوقت طويل لاكتشاف حقيقة من حولهم؟ أو أن الرجل يكتشف عظمة المرأة الاولى فى حياته عندما ينتقل إ لى ا مرأة ثانية.

٥٨٧ ——— أبــو عــواد

وتظلين امرأة تجذبها الألوان.. ويعجبها الاطراء



لاهثة خلف المظاهر. . . أيا كان المؤهل ومهما كانت الثقافة!!

٥٨٧ ـــــــ ام عمرو

اذا كانت الالوان تجميلا لما نراه حولنا وإ ذا كان الاطراء تجميلا لما نسمعه والمظاهر وسيلة لاخفاء عيوب او قصور لا نملك حياله شيئا لكان هذا نوعـًا من الثقافة والكياسة يحتاج مؤهلا خاصـًا به.

٥٨٨ ـــــــ أبو عواد

إذا تجمعت النساء في مناسبة ما . . فان محور الحديث غالباً ما ينصب على زواج فلان على زوجته فلانه وإذا انتهى الحديث وانفض المجلس فثمة امرأة من الحاضرات ـ إن لم يكن اكثر ـ تبدأ وساوسها وشكوكها حول زوجها ـ الذى قد لا يفكر اطلاقا فى الزواج عليها ـ لتبدأ رحلة المعاناة بين الزوجين الآمنين ليبدأ معها فى التفكير جديا فى الزواج خروجا من كابوس دوامته معها!!.

٥٨٨ ـــــــ ام عمرو

الزوجه السليمة نفسيـًا لا تساورها الشكوك والوساوس الا اذا رأت من سلوك زوجها ما يدعو لذلك. واذا كان الزوج اخر من يعلم فالزوجة اول يعلم.

٥٨٩ ـــــــ أبو عواد

المرأة لا تختلف كثيراً عن المهرجين من الرجال فهى تتكلم فى كل شيء . . وتدعي معرفة كل شيء حتى وان لم تكن تفقه شيئاً!!.

٥٨٩ ـــــــ ام عمرو

الذى يتحدث كثيرًا ويتحدث فى كل شىء انسان يخفى المـًا شديدا او لا يشعر بالثقة بنفسه، وكلاهما يوجد فى النساء والرجال على السواء ولا علاج له إلا بالبحث عن الاسباب ومداواتها.

٥٩٠ ـــــــ أبو عواد

إسعاد الزوج فن لا تجيده المرأة بمطالعة المجلات النسائية!!.

٥٩٠ ـــــــ ام عمرو

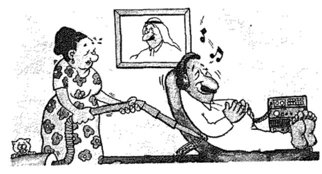
قدرة كل من الزوجين على اسعاد الاخر علم وفن ورغبة وارادة وهى قبل كل شىء ريشة يمسك بها فردان.. وبالمناسبة فكثير من المجلات النسائية تقدم نصائح جيدة وهى على كل الاحوال افضل من نصائح الجارات.

٥٩١ ـــــــ أبو عواد

ثرثرة الزوجة دلالة أكيدة على فراغها . . ذلك أن الذين يعملون كثيرا لا يميلون إلى الثرثرة!!.

٥٩١ ـــــــ ام عمرو

ثرثرة الزوجة قد تكون لسد وقت الفراغ ولان الزوجة لم تتعلم وسيلة اخرى لذلك . ولكنها كثيرًا ما تكون لجذب اهتمام زوج تتعطل حواسه لحظة رجوعه إلى البيت.



عباس محمود العقاد

رسالة الى السيدة الجميلة

حبيبتي سارة:

رسالتي إليك صفحة من ذكرياتي معك تحمل بعض خواطري التي طالما راودت ضميري بين لحظات من السكون حين أكون وحدي. . لحظات من السكون الرضي يلوذ بها قلبي ليستريح من هموم الأشجان وأثقال التبعات الجسام التي أخذت بها نفسي ونذرت لها فكري وحياتي كلها. . نعم، رسالتي إليك صفحة من ذكرياتي معك. . ذكريات ماضينا أنا وأنت، ذلك الماضي الذي لو تأملته لاستغربت غاية الاستغراب ولعلمت كم تلعب المصادفات في حياتنا، وكم تعبث براحتنا وهنائنا. .

كنت أقرأ كتاب: «أصل الانواع» لدارون. . وفجأة وبغير سابق تفكير أو سابق إنذار وجدتني أتجه إلى «دولاب» قديم به مجموعة من مفكرات السنوات السابقة. فأخذت واحدة منها وقلبت صفحاتها على غير هدى فلفت نظري عبارة كتبتها أنت بخط يدك وكانت: «في الساعة الخامسة موعدنا القديم». . تركت كتاب: «أصل الأنواع»، وصرت أفكر في هذه العبارة، وأشهد أنني عشت تاريخها من جديد. . تمثلت تاريخها من جديد، فقد نقلتني إلى الأيام التي استحر فيها الخصام بيني وبينك وأضربت صفحا عن ارتياد كل مكان كنا نؤمه سويا، ثم وجدتني رغم أنفي أذهب إلى دار الصور المتحركة التي كانت تضمنا في ليالينا الحسان حيث كنا نلتقي معظم أوقاتنا، وفي أثناء عرض الفيلم وكان من الكوميديا الهزجة الخفيفة كان الناس يضجون بالضحك من المواقف الفكهة والملح الطريفة. أما أنا فكنت أزعم لنفسي أنني أشهد الرواية وأتتبع الممثلين والممثلات وليس في خلدي من ذلك شيء إلا كما يرى الناعس المهموم ما حوله من الأشباح أو يسمع ما حوله من الأصداء، كل ما يثبت في خلده منها أنها أشباح وأنها أصداء. . ولكن وجداني كان جد أسيان كأن بيني وبين السعادة عداء فعنفتها بل عنفت الزمان قائلا:

مه يا سعادة عني
فما أنا من رجالك
لا تطمعي اليوم مني
بالسعي خلف خيالك
فقد سألتك حتى
مللت طول سؤالك
وقد جهلتك لما
سحرتني بجمالك
إن الحبيب بغيض
إذا استعز بخالك
فلا تمري ببالي
ولا أمر ببالك
أشقى الانام أسير
معلق بحبالك

■ ثم جاءت فترة الاستراحة فإذا بالفتى الذي يبيع بعض الحلوى والمرطبات مقبل علي في دهشة واستفهام يسألني: أكنت مسافراً يابك؟ وقبل أن يسمع الجواب أسرع فقال: إن السيدة كانت هنا في حفلة الغروب. . وإذا بي أسأله وأنا لا أقصد السؤال ولو فكرت في سؤالي قبل أن ألفظ به لكتمته وأخفيته: أكانت وحدها؟ وخيل إلي أنني ألاحظ في نظرات البائع ولهجته تلميحاً خبيثاً يقول لي مالا أريد أن أعرفه ولا أريد أن أجهله في الوقت نفسه. . فسلبتني تلك الملاحظة كل طمأنينة إلى ما سيقوله البائع من خبر مقبول أو خبر مرفوض وودت لو أنه يسكت فلا يجيب بشيء. . ولكن البائع لم يزد على أن هز رأسه وقال: لا أدري.

● هو عباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤).
● رائد الفكر العربى الحديث. ● صاحب الاسلاميات الجليلة.
● مؤسس مدرسة الشعر الحديث فى الادب العربى.
● يتميز شعره بقوة الفصاحة وعمق المعانى وحيوية البيان.

محمد عبد الواحد حجازى

حبيبتى سارة:

لا أعلم إلى هذه اللحظة إن كان خصامك لى وبعادك عنى عن عزيمة جادة، ومبدأ ثابت أم أنه العبث الذى مردت عليه؟.

أتلعبين بحبى أم تجدينا
وتضمرين الهوى أم أنت تلهينا
وبين جفنيك ماء الحب نبصره
أم السراب الذى بالماء يغرينا
إنى لأعلم أن الهزل يتبعه
فى الحب جد وان ماريته حينا
فالهى بنا أو فجدى لست ناجية
منه وإن رغت منه ما تروغينا

■ ثم انتبهت من غفوتى على صوت البائع وهو يقول: كانت إلى جانبها سيدة ولعلها كانت معها، فاندفع منى سؤال آخر كما اندفع السؤال الأول وأنا أغالط نفسى وأحسب أننى أتهكم أو أريد من البائع أن يحسبنى متهكما غير جاد فى مطاولة الحديث: جانبها؟ أى جانب؟ إن للانسان جانبين وليس جانب واحد كما تعلم.، وهنا ظهر من البائع الخبيث أنه فهم كل ما هنالك من الشك والاستطلاع فقد عودته صناعته أمثال هذه المواقف وأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الشكوك فلم يفته أن (البك) يستطلع ويرتاب.. ومن يدرى؟ فلعله كان يرى بعينه ما يدله على أن (البك) جدير بالاستطلاع والارتياب، فارتفع كابوس ثقيل عن صدرى وأحببت أن أعتقد أن كلام البائع خليق أن يزيل عن نفسى جميع الشكوك لا مجرد الشك الذى خامرنى عند زيارتك لدار «الصور المتحركه فى ذلك اليوم، إلا أنها طمأنينة عاجلة لم تلبث أن ذهبت كما جاءت.

وفى طرفة عين إذا بى أناجى ذلك النجاء الذى كان غائبا عن خاطرى منذ فترة وجيزة: يا عجبا! إنى لأجتنب هذه الدار كأنها تجمع شياطين الأرض كلها فى حيز واقع وهى تزورها ولا ترى فيما كان بيننا من القطيعة موجبا لاجتنابها.. لو كان قلبها خاليا من هوى آخر لما استطاعت ذلك، ولو فعلت كما كنت أفعل أنا إلى هذا المساء.. والأغلب الأرجح أن هذا البائع يعلم من خفية الأمر أكثر مما يبوح به أو يريد أن يبوح، ألا تنظر إلى غمزات عينيه وحركات وجهه ونغمات كلامه؟ فماذا على المنحوس لو أفضى بما عنده وأراحنا من هذا العناء؟».

حبيبتى سارة:

وأصارحك اليوم يا حبيبة قلبى أن الخصام الذى طال بيننا حتى بلغ تسعين ليلة جعلنى أبوح لبعض خواصى بما أعانيه من تشتت فى المشاعر، وموجدة حارة أصابت فكرى وقلبى حتى أنهم هموا بمفاتحتى ونصحى ولكنهم تمنعوا حياء منى واكباراً للحب.. فما كان ضرك لو خلصت ضميرك من لجاج العناد فيعود الوداد ويعود الوئام؟ لقد جمح بك العناد عن الصواب والرأى الرجيح:

لك الله من آس على الداء غاشم
برغمى أراه اليوم غير مصيب
أتعلم أنى بت تسعين ليلة
على حرق موصولة وكروب
أطيل عزاء النفس وهى مشيحة
وأخفى أوار القلب وهو يشى بى
وأستدفع البلوى وليس بنافعى
دفاع لجوج أو دفاع أريب
أرى كل ما يشفى من الداء موغراً
جروحى التى داويتها وندوبى

رسالة الى السيدة الجميلة

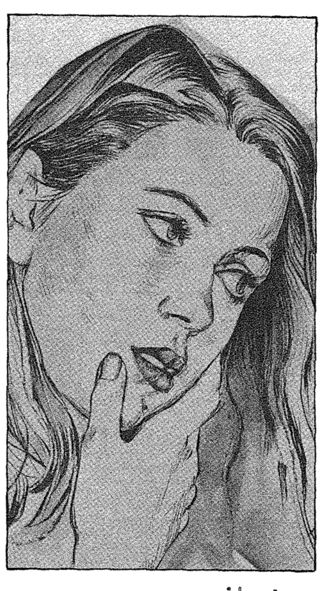
إذا قلت هذا سلوة عاد مسها
يشب لى الذكرى أحر شبوب
وأمسيت بعد السهد والأين لم أجد
سكون عزاء أو سكون لغوب

حبيبتي سارة:

وأصارحك أيضا بعد هذا الأمد الطويل من حبنا الذى نعمنا به وشقينا أن الكثيرين من أصدقائى لا يعرفون شخصك ورسمك لأنهم لم يشهدونى معك ولم يشهدوك معى حتى أنهم شكوا فى حقيقة وجودك فقال لى بعضهم: يا سيد المتيمين بل ياعميد العاشقين، أين حبيبتك هذه؟ كان لكثير، عزته..

ولجميل بثينته.. ولقيس لبناه.. فأين سارتك التى ملأت بها أسماعنا وشغلت بها دنياك؟ يبدو أنها من اختراعك ونسج خيالك؟ فقلت لهم: على رسلكم يا معشر اللائمين فإن للحب حرمته، وللحب قداسته.. فأين حرمته، وأين قداسته إذا جعلته مستباحاً لنواظركم التى لا أطمئن إليها؟ فقالوا: إذن صفها لنا.. قلت: هى شىء يعرف ولا يعرف..

فقالوا: أتتكلم بلسان الصوفية؟ قلت: كلا، بل بلسان العرف المقرر والمشاهدات اليومية.. هى جميلة جمالا لا يختلط بغيره فى ملامح النساء.. لونها كلون الشهد المصفى.. عيناها نجلاوان وطفاوان، تخفيان الأسرار ولا تخفيان النزغات.. استغرقتها الأنوثة فليس فيها إلا أنوثة.. تحب التدليل كما تحبه كل بنات حواء، ولكنها تكره التدليل السخى الفياض، كما تكره التدليل المعسول الناصع الحلاوة، وإنما تحب أن يقطر لها التدليل تقطيراً وأن يشاب لها أبداً ببعض التوابل والأفاويه».



حبيبتي سارة:

أرأيت إذن كم أنا خبير بشخصك وطباعك..
أحبك، نعم.. ولكن حبك أشقانى وحيرنى..
وكذلك الدنيا:

ماذا لقيت من الحياة وخبرة
بالعيش تمنعنى ورود جنابه
أشقى بنقمته وأجنب طيبه
حذراً لما عودى من فقدانه
فالعيش بين نعيمه وجحيمه
لا حظ لى منه سوى أحزانه

موضوع خاص

تراث الانسان العربي فى حاجة للحفاظ عليه وعرضه علمياً قبل ضياعه

الدور الحضاري للمتاحف والمعارض

بقلم: د. يوسف خليفة غراب
- مصر -

يدرّس علم المتاحف والمعارض فى العديد من جامعات العالم المتقدم Exhiption and Museum Design نظراً لأهمية العلم وضرورته الحضارية، وباعتباره وسيلة هامة تسهم فى عملية الجذب الثقافى للمواطنين، وحركة السياحة العالمية، فالمتحف هو المرآة الحقيقية لأصالة حضارة الشعوب وتقدمها وعمق جذورها الثقافية.

ومن ثم فقد اصبح للمتاحف والمعارض متخصصون يحملون ارقى الدرجات العلمية التخصصية، ولهم من الخبرة، ما يجعلهم جديرين بالتحدث عن اوطانهم من خلال التراث الذى يحويه المتحف والابداع بكل صوره الذى يشتمل عليه المعرض.

ولقد اهتمت الاكاديميات ومعاهد الفنون وكليات الاثار بإعداد الأجيال التى تتابع التقدم فى مجال العلوم التحفية واساليب التناول والتصنيف والتبويب كل وفق اختصاصه.

■ ان تاريخ هذا العلم يظهر أن المتحفيين قد تعاونوا فى تأسيس منظمة دولية اطلق عليها «المجلس الدولى للمتاحف - الايكوم).

ان المنظمة قد اخذت على عاتقها التخطيط للمؤتمرات والندوات وغيرها من اساليب التلاقي العلمى، الى جانب بحث انظمة تبادل الخبرات والمهارات.

ولقد ادت «اليونسكو» دوراً هاماً فى ذلك المجال إسهاماً مع (الايكوم)، وتم اصدار عديد من الدوريات العلمية المتخصصة منها على سبيل المثال:

Museum واخبار الايكوم Icom news بالاضافة الى العديد من الدوريات الاخرى والمطبوعات والمراجع، الى جانب المساهمة فى توفير التقنيات الحديثه، لاستثمار الرصيد الانسانى من التراث وفق اكبر سعة ممكنة وبشكل اعمق وأخصب، ومن ثم اصبح المتحف والمعرض نافذه ثقافية وسجلا تاريخيا حقيقياً وواجهة الأمه الثقافية الاصيلة.

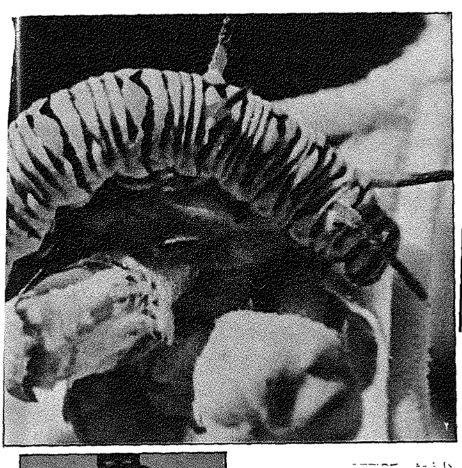
■ ان علم المتاحف قد أدى دوراً هاماً فى فتح نوافذ الضوء للعقول الثقافية المبدعة ومؤسسة تربوية واجتماعية واقتصادية غايتها الانسان وتقدمه.

لقد ساعد علم المتاحف على اعادة النظر الى التفكير فى متاحفنا بمنظور علمى وبحث اساليب فاعليتها بشكل ايجابى وتطويرها فهى الكتاب المفتوح على اصالة الشعب.

فكرة انشاء المتاحف:

بدأت فكرة انشاء المتحف، نتيجة لتجميع افراد المجتمع مقتنيات عديدة ومحاولتهم لتخصيص اماكن لها، ومن اشهر المجموعات مجموعة اوليفيه فورزيتا، وتعتبر من اقدم المجموعات الفنية والاثرية والتى تعود الى عام ١٣٣٥م.

وتعتبر المجموعات الخاصة بمثابة (نواة المتاحف) ومن هذه المجموعات مجموعة (متحف الاثار فى فلورنسا) ومجموعة متحف

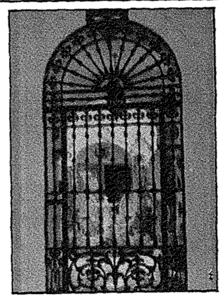


(اوفيتش OFFICE ومجموعة متحف بيتى Gallerie Pitti وغيرها.

وكانت روما تعتبر مدينة متحفية لكثرة محتوياتها من المقتنيات المتحفية، ففى عام ١٤٧١م اسس البابا سيكست الرابع (١٤١٤-١٤٨٤) متحف الكبيتول الذى حوى كثيراً من المقتنيات الرائعة التى اضافت كثيراً لرصيد الثقافة والجماليات العالمية.

وتعتبر مجموعة «فريد ريك» دوق اوربان من المجموعات الفريدة فى العالم والتى شكلت نوعاً فريداً فى المحتويات المتحفية وهى عبارة عن مكتبة وثمان وعشرين صورة لفليسوف وعالم مروراً بالقصور القديمة والوسطى والمعاصرة.

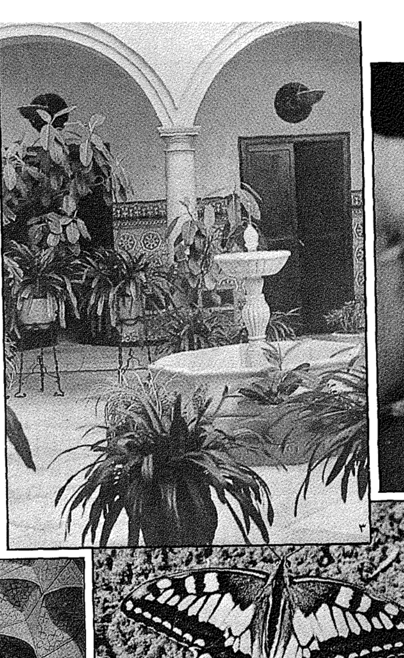
ويعد بول جوف (١٤٥٧) من الذين اهتموا بالمجموعات المتحفية



فى العالم وبخاصة الصور الشخصية التى كانت نواة لمتحف «جوفيانوم».

وفى مودين شيد «ألفونسو» الاول (١٥١٥ - ١٥٣٤) متحف (بيناكوتيك آيست».

وفى ميلانو اسس الكاردينال فردريك بوروميه متحفاً جديداً غير المجموعة السابق تكوينها.



وتوالى انشاء المتاحف فى العالم ومنها متحف قصرا أوفيتش الذى شيده فرانسوا الاول ومجموعة قوزما الاول فى قصر بيتى ومجموعة دومينكو جريماتى وفى بولنى انشأ الدوفريند مجموعة التاريخ الطبيعى وفى سويسرا انشىء متحف «بال» على نواة مجموعة بازيليوس امرباخ وانشىء فى فرنسا عام ١٤٩٤ - ١٥٤٧) فى قصر فونتينلو مجموعة لروائع الفن منها اعمال روسو (١٤٩٤ - ١٥٤١) وبوماتيس (١٥٠٤ - ١٥٧٠) ودافنشى (١٤٥٢ - ١٥١٩) والتى اعتبرت فيما بعد نواة لمتحف اللوفر الشهير. وفى قصر فرساى جمع لويس الرابع عشر اللوحات الفنية من اللوفر الى فرساى. وترك اللوفر لأكاديمية الرسم ومعارضها حيث اخذ الفن فى الازدهار ولكن ظلت الصالة الكبرى فى متحف اللوفر مقراً للمتحف الملكى للفنون Museum Royal des Arts .

وتعتبر الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨ بداية الازدهار الفعلى للحركة المتحفية فى العالم.

ثم ظهر اول قانون فى العالم للمتاحف فى ٢٦ مارس ١٧٩١ (قانون ١٩) وفى عام ١٧٩٢ نقلت جميع الاثار من القصور الى متحف اللوفر بباريس.

وكان هذا المتحف حافزاً لشعوب كثيرة فى التحرك صوب حماية تراثها والحفاظ عليه فالثقافة تُصنع وعلى القائمين على الامور صناعة ثقافة راقية خصبة تليق بابداع الشعوب واصالتها.

شروح الصور

(٢) متاحف العلوم هل تسجل نمط الحياة لكائنات الارض العربية

(٣-٤) ابداع الانسان فى الاندلس كان ولا زال وسيبقى ولكن ماذا فعلنا تجاه هذا الرصيد الجمالى الثقافى الذى لا يدانيه رصيد فى تاريخ البشرية العريض

(٥) متاحف التاريخ الطبيعى تحقق غزارة وتدفق المعرفة، وتثرى البصر بالمدركات الجديدة

(٦) المقرنصات الاسلامية متاحف مفتوحة تركها العرب فى الأندلس

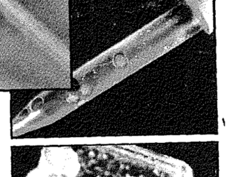
هندسة الوراثة

بقلم: د. محمد نبهان سويلم
- مصر -

بضـع سنـوات ويهـل القـرن الـواحـد والعشرون وهى بلاشك سنـوات قليلة لكنهـا حاسمـة، فالعلماء يضعـون الآن النقط فوق الحـروف لأبحـاث كثيرة تتنـاول موضوعات معقدة.

ومن هذه المـوضـوعـات تجيء هنـدسه الوراثة والتى ينتظر لها أن تقلب شكـل الحياة على الارض، فلم يكن يتصور احد منذ عشرين عاماً فقط أن يقـوم العلماء ومراكز الابحــاث بإجـراء دراسـات عن موضوعات كان المفروض انها بعيدة جدا عن مجال الاهتمامات العلمية، لكن حدث ما لم يكن يتوقعه احد، وبـدأ العلماء فى دراسة موضوعات مثـل العواطف والكراهية والخوف وكيفية تطوير الأعضـاء وكـذلـك دراسة امكانية نمو عضو محل عضو فى جسد الانسان، وظهرت نتائج ابحـاث عن شجـرة صغيرة تحمل الطماطم والباذنجان والبطاطس، ، ثمارا لها. . كيف؟

وفى هذه الايام فإن الـعـلماء يعتقدون بأنهم على وشك التوصل لينبوع الشباب مؤكدين، انها ينابيع موجوده داخل كل منا كامنة داخل الخلايا والجينات، وعلى الرغم من أن الجدال لا يزال دائرا بين العلماء عن كيفية تحديد مكـانها أو كيفية دفعهـا للعمل فإن الطريق اصبح ممهـدا بفضـل التقـدم الكبيـر فى هنـدسـة الـوراثـة وفى مجالات الـكيمياء الحيوية والتكنـولـوجيا الـطبية الفـائقـة الـتطور، ويقـول الدكتور ليونارد هايفيك من جامعة كاليفـورنيا إن العلم على وشـك اقتحـام اهـم اهـدافـه التى سعى طويلا لتحقيقها، ويعمل الباحثون الآن للتوصل إلى اجابات عن كثير من الأسئلة التى حيرت الانســان طويلا، وتـدل الابحـاث انـه من الممكن الاجـابه الحـاسمة القاطعة على هذه الاسئلة خلال السنوات القليلة القادمة.



١

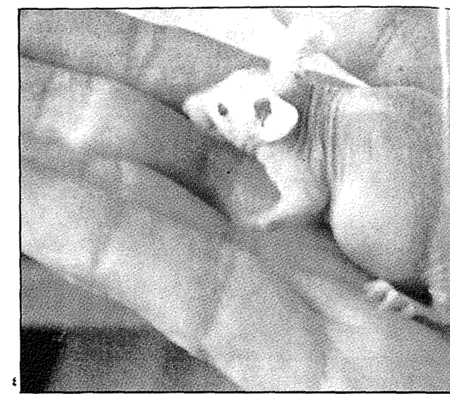


٢

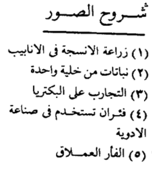


٣

■ وهنـدسـة الـوراثـة أو الصناعة الوراثية كانت حلمـاً داعب خيال الانسان منذ فجر بعيد ضارب فى اعـماق الـتـاريخ، ففـى تاريخ الآشـوريين وآثـارهم نلمـح صور الثـور المجنح أو ثور له جنـاحان ورأس إنســان. . ويحمـل تاريخ الفـراعنـة نفس المفهوم بأن جعلوا للأسد رأس إنسان كما يجسده تمثال ابى الهول على مقربة من اهرامات الجيزة، كما القت هوليود بثقلهـا الـتـقـنـى والـسينـمائي فى تجسيد شخصية الـسـوبـرمـان أو الانسان



٤



شـــروح الصـــور

(١) زراعة الانسجة فى الانابيب
(٢) نباتات من خلية واحدة
(٣) التجارب على البكتريا
(٤) فئـران تستخـدم فى صناعة الادوية
(٥) الفأر العمــلاق



٥

المتفــوق ومن قدراتــه الــطيران كالصــاروخ دون مدرج أو مهبط، والانســـان القـــديم تخيل عروس البحـر وصورها على هيئة سمكة، والعرب حافظوا على سلالة خيولهم وأنسـابهـا، وراحوا يصفون الخيل ويصـنفـونها كما مارس الانســـان تزويج الخـيول بالحمـير لانتـاج البغال، وهو تزاوج ينتج عنه نتاج عقيم.

والـواقـع فإن هنـدسة الوراثة مارسهـا الفـلاحــون بخـبراتهم بتـحســين سلالات ماشـيتـهـم وزراعاتهم وخيولهم باختيار السلالة القـوية من الآبـاء وتزويجها لانتاج سلالات من المـواشـى قادرة على الحرث وادرار اللبن أو زيادة الوزن لانتـاج اللحم أو لانتاج سلالات قادرة على الاحمـال وتحمـل اهـوال الحـــروب من الخيول، أو لزراعـة نبـاتـات تعـطى المحاصيل الوفيرة والجيدة وتقاوم الأمراض.

وهـذه الممارسـات البدائية فى الهنــدســة الــوراثية التى قام بها الاقدمون جاءت من تراكم الخبرة والمعرفة ولم تقع على مشارح العلم وتحت ادواتــه الا بعــد دخــول الميكروسكوب الالكترونى الساحة الـعلمية، إذ أدى دوراً هائــلا فى اعلام العلماء بإعجاز الخالق «جل وعـلا» فى خلق الخلية وكيف هى عالم قائم بذاته ذهل العلماء حياله ووقفوا يضربون اخماسا فى اسداس وبـدأوا رحلة بحث شاقـة ومضنية وأفـرز هذا الجهد المتواصل علمـاً جديدا دعـــاه العلماء علم الاحياء الجزيئى» إذ اعطى الميكروسكوب الالكترونى للعلماء مفاتيح الخلية، وكـانت هذه المفـاتيح بمثابة حجر رشيد بالنسبة لعلم تاريخ الفراعنة، فحلت ألغاز الخلية الحيوية سيان فى النبــات أو الحيوان كما كشف لهم معـطيات بيولوجية مذهلة وقدرات حيوية ما كانــوا بالــغيهـا دون الميكروسكوب الالكترونى.

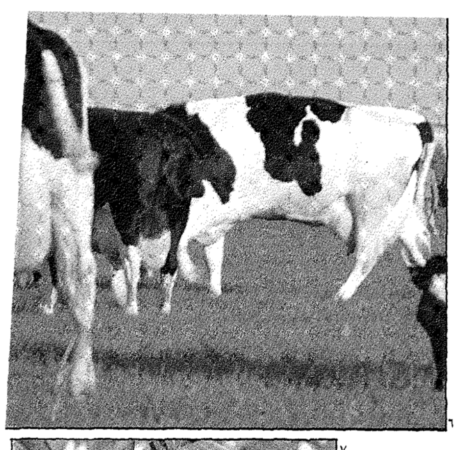
وكـــما تقـــول الاســطورة الشعبية.. افتح يا سمسم.. جاء علم هندسة الوراثة بما هو اغرب واعجب، مع الفــرق الشــاسـع والبــون الهـائـل بين سمسم هذا وذاك، فى الاسـطورة الشعبية كان شيئـا عجبــا كان خيالا.. من

خيال . . اما فى هندسة الوراثة فإن العلم والمخ والقدرة على هضم مختلف العلوم والخروج منها بابتكارات وراثية سيكون لها تأثيرها الكبير فى الايام المقبلة.

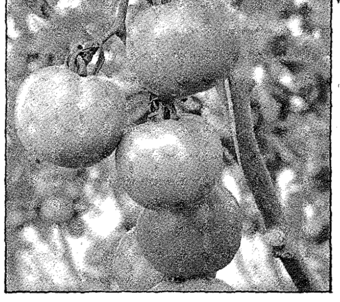
■ من هذه الانجازات . . أن العلماء يحاولون اكساب كل نبات قدرة ذاتية على تثبيت نيتروجين الهواء الجوى دون أن يبذل جهدا يذكر، فالنباتات القادرة على تكوين العقد البكتيرية مثل البرسيم والباذلاء تستهلك قدراً من جهد فى سبيل امداد هذه العقد بما تحتاجه من طاقة وغذاء مما يقلل من الكفاءة الكلية للنبات فى انتاج الحاصلات . . لذلك فكر العلماء فى دفع النبات ذاته إلى تثبيت الازوت الجوى دونما حاجة إلى أي معاونة بكتيرية.

حقيقة لازال يكتنف هذه البحوث كثير من المشاكل فالعمليات الحيوية المصاحبة معقدة، ولكن لأن العلم يأتى كل يوم بجديد فإن امكانية تحقيق هذا المشروع البحثى قاب قوسين أو ادنى من الواقع، وبذا سوف تزيد نسبة الانتاج الزراعى بحوالى ٣٠٪ أو ٤٠٪ عن معدلاتها الحالية.

وفى اليابان يقوم العلماء بالابحاث الوراثية على بيولوجية النباتات والحيوانات البحرية، ويعملون حاليا على دراسة ١٥٠٠ نوع منها، يعزلون منها ويفصلون المواد الفعالة أو المواد الكيميائية ذات التأثير الطبى أو العطرى أو لها خصائص علمية مميزة، بعدها



٦



٧

(٦) نوع مهجن من البقر عندما يجد الرعاية يعطي اكثر، فاكثر
(٧) نوع مهجن من الطماطم

يدرسون هذه المواد دراسة تطبيقية شاملة، ومتى حققت احداها فوائد علمية أو طبية مؤكدة فإنهم سوف يدرسون صناعة هذه المواد بيولوجيا لكن بين جدران المختبرات وداخل المعامل.

ويذكر كثيرون قصة معمل وارن منجسون بالولايات المتحدة الامريكية، حيث استطاع علماؤه تعديل الصفات الوراثية فى كرات الدم البيضاء لدم مريض مصاب باحد الامراض الخطيرة، وقانا الله واياكم منها، وحقنوا المريض بالكرات المعدلة وراثيا وحقق هذا الاسلوب تقليل خطورة المرض بنسبة ٦٠٪.

والكرات البيضاء المعدلة جرى عليها تعديل شفرتها الوراثية فى قلب جزيء DNA يقصون منه جزء ويضعون بدلا منه جزء آخر وكأنهم



يتعاملون على مستوى الجزيئات التى يستحيل على العين المجردة رؤيتها الا باستخدام ميكروسكوب الكترونى بنسبة تكبير لا تقل بحال عن مليون (مـره) ضعف الحجم الاصلى للجزء ومع هذا تمكنوا ببساطة من تعديل الشفرة الوراثية لكـرات الـدم ونجحوا فى انقاذ المريض من بعض آلامه وهمومه.

طبعـا لم يكن الـطريق حيال علماء المعهـد الامـريكى ممهدا ولم تكن للتجـربـة مشـاكـل لاحقة، العكس هو الصحيح تماما، فهناك مشـاكـل عديدة ظهرت على جلد المـريض، لازال العلماء يحاولـون التغلب عليهـا بإرسـال شفـرات واشـارات ولاجراء تعديلات حتى نأكـل الخـلايا المعـدلـه نفسها ولا تنطلق على غيتها مما قد يتسبب فى نقل المريض نفسه إلى الدار الآخرة.

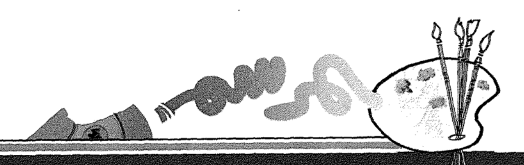
وكما سبق واوضحت أن جُزيء الـ (د. ن. ا) D.N.A هو المسيطر على الخلية وهـو الحـامـل للشفـرة الـوراثية، والجُزيء مثل السلم الخشبى، لكن ضلعـاه مجدولان ومتقـاطعان ويوجد منه ٦٢ نوعا، ويقـوم كل نوع بحمـل حامض امـيـنـى معـين يميزه عن بقية الاحمـاض الامينيه فى الخـلايا مع حمل الانـزيمات الـلاصقـة لهذه الاحمـاض الامينية لترتيبها ببعضها البعض لتكـوين جُزيء البروتين، وتسمى امـاكن لصق الاحمـاض بالـروابط وعندما تحتاج الخلية الى بروتين معين ترسل اشارتها إلى النواة حيث يوجد D.N.A والذى يتولى عن طريق ابـداعـى إلهى صنـاعـة الحمض الأمينى المطلوب.

■ لقد كان هدف الهندسة الوراثية مضـاعفـة الانتاج الزراعى لانتاج كميات وفـيرة من الـبروتـين لغذاء خمسـة بلايين من البشر يعيشـون فوق الارض ويعـانـون من وفـرة الغـذاء، الا أن اللعب بالجينـات الوراثية ينبىء بمخاطر ايضا كبيرة. فقد تمكن علماء هندسة الوراثة من تطوير فأر قزم وتحـويله إلى فأر عملاق يشبه الفأر العادى في اللون ولون العينين الا انه عملاق، وتم تعديله بتطعيم الفأر العادى بهرمون النمو البشرى فنما نمواً غير عادى، وهـذا وجـه العلماء صوب امكانية إنتاج خيول وعجول عملاقة.

وهــذه التجـارب والتـلاعب بالجينـات مكنت العلماء من تغيير تركيبـة الالبـان أو انتاج بيض بلا صفـار للاقـلال من نسـبـة الكـوليسترول، وكما يدرسون الآن زيادة مناعة الانسان للامراض مثل الايدز والسرطان.

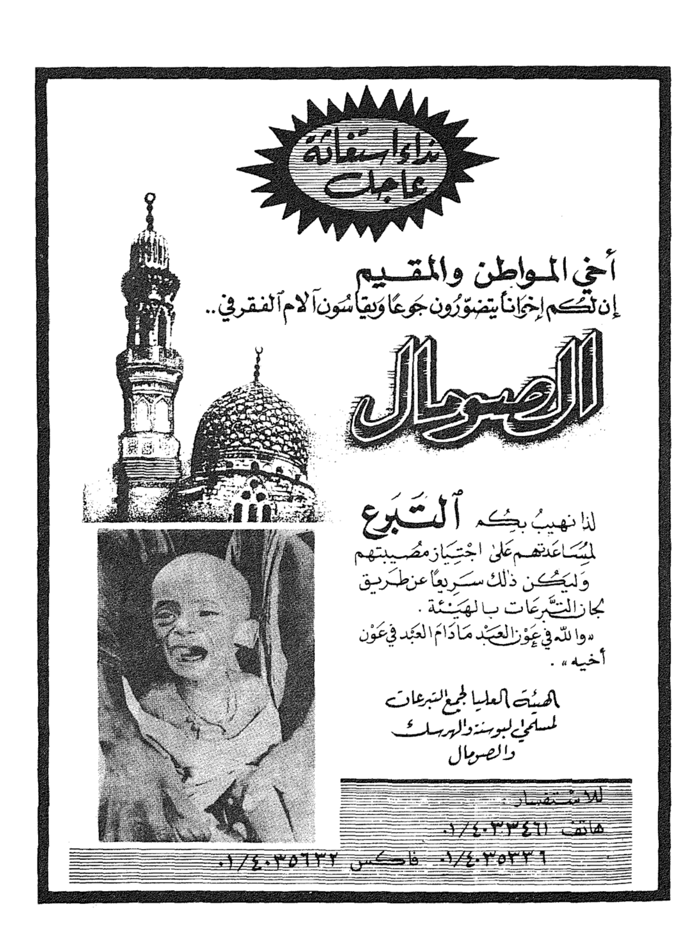
ومن المعـروف أن هناك اربعة آلاف مرض وراثى تسبب تشوهات خلقية وراثية معـروفة يظهر عشرة بالمـائـة منهـا عنـد الولادة، وتظهر الأعراض الباقية بعد سن البلوغ، وامكن للعلماء بفضـل هنـدسـة الوراثة التنبؤ المبكر بالعديد من هذه الامراض وهذا لا شك انجاز كبير مما سوف يسـاعـد فى علاجهـا أو تحاشيهـا قبل الاوان، كما استطاع علماء هندسة الوراثة انتاج الطعوم واللقاحات وراثيا لتلقيح الدواجن والماشية ضد الأمراض، وهذا النوع من اللقـاحـات اصبح يؤدى دورا رئيسيا فى الـطب ولا سيما بالنسبـة لمرض السكـر والاطفـال الـذين يعـانـون من النحـافـة المفرطة أو القصر غير المـألـوف، كما توصـل العلماء إلى جعـل المـاشية والفئران مصـانـع ادوية تنتـج ادوية لعلاج حالات عديدة من الامراض.

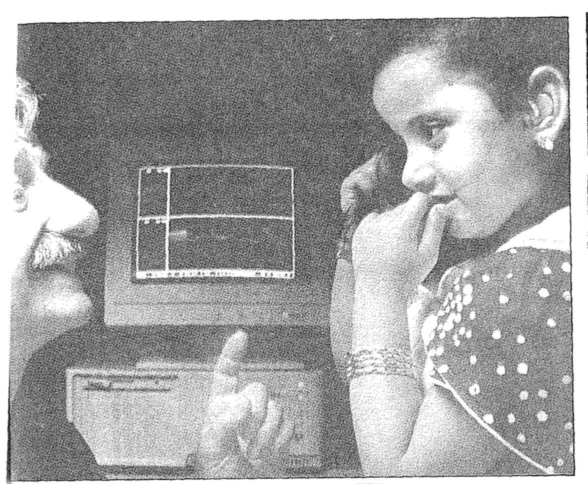
لقد اصبحت الهندسة الوراثية علما راسخا يمضى قدما نحو المزيد والمـزيد من الانجـازات العلمية المبهرة والخطيرة فى نفس الوقت شأنه فى ذلـك شأن الحـياة ذاتهـا.. أصبحت وجهاً يكمن فيه الخير كل الخير وآخر يحمل شرور الدنيا والمهم أن ينأى العلماء عن شر هذا العلم ويبقـوا على وجهه المشرق لخدمة البشرية جمعاء.

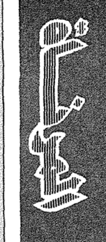


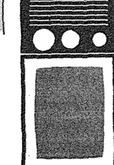
لوحة القراصنة من عمل الفنان سمير الدهام

- الفنان الدهام من مواليد مدينة الرياض
- عمل مدرساً للتربية الفنية
- وعمل رئيساً لقسم التحرير الفنى ـ جريدة الجزيرة
- شارك فى العديد من المعارض المحلية والخارجية
- حصل على مجموعة من الجوائز التقديرية، وشهادات المشاركة.


نداء استغاثة عاجل
أخي المواطن والمقيم
إن لكم إخوانا يتضورون جوعا ويقاسون آلام الفقر في..
الصومال
لذا نهيب بكم التبرع
لمساعدتهم على اجتياز مصيبتهم
وليكن ذلك سريعا عن طريق
لجان التبرعات بالهيئة.
«والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».
الهيئة العليا لجمع التبرعات
لمسلمي البوسنة والهرسك
والصومال
للاستفسار:
هاتف ٠١/٤٠٣٣٤٦١
٠١/٤٠٣٥٣٣٦ فاكس ٠١/٤٠٣٥٦٣٢







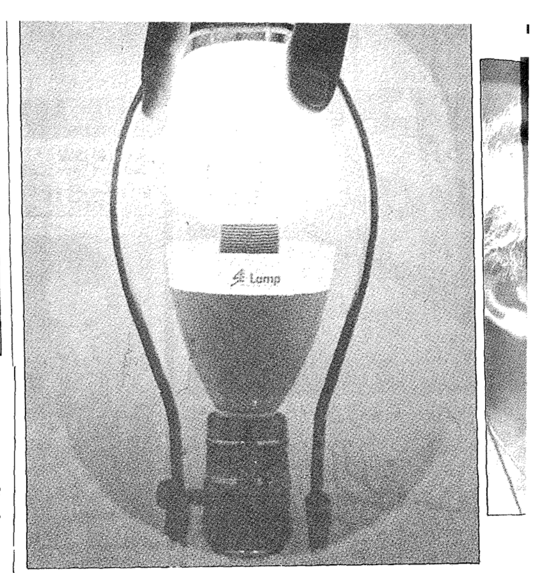
أمل جديد للمعوقين سمعيا

توصل العالم الفرنسى البروفيسور كلود هنرى كوارد . . الى أسلوب جديد متطور يمكن الاطفال المولودين بإعاقة الصمم من استعادة السمع عن طريق نقل الصوت على شكل اشارات كهربائية الى المخ باستخدام الة اليكترونية دقيقة صغيرة . . يبقى العائق الاكبر امام نجاح وانتشار هذا الامل الجديد للمعوقين سمعيا هو التكلفة العالية التى تصل الى حوالى ٣٠ر٠٠٠ (دولار) . . الاهم ان الامل موجود .

زراعة الذاكرة .. فتح جديد؟!!

تعتبر الذاكرة شيئا خياليا لا موقع له فى خارطة الدماغ ، وكأنها خيال أو وجود غير مرئى ، ولكن علماء الطب فى معهد «وولفرهامبتون» البريطانى لهم رأى مختلف . لقد نجح هؤلاء فى زرع ذاكرة تعود لنحلة عسل كبيرة السن فى دماغ لجنين نحلة مباشرة ، بعد تكونه وولادته ، صغير النحل ذاك وجد طريقة مباشرة الى مسكن النحلة المسنة التى «تبرعت» بدماغها له .

لقد قام الباحثون اولا



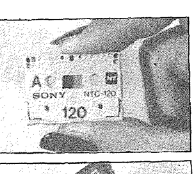
باستخلاص البروتينات والجزئيات من ادمغة نحل اتقن التعرف على طريق عودته لبيوته.. بعد ذلك قام الباحثون بزرق خلاصة تلك المواد فى اجنة النحل المتخلق عبر ابرة متناهية الدقة.. وتظهر النتائج المبكرة لهذه الابحاث أن صغار النحل المزروق قادر على تمييز طريق عودتها الى بيوتها بعد ان تركها الباحثون فى الحقول مسافة اكثر من ميل.. «وفى العادة يحتاج الامر من الصغار تكرار محاولة العودة قبل اتقانها».

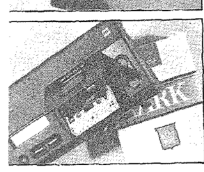
كما اكتشف الباحثون ان صغار النحل المعالجة بحقن خلاصة الدماغ ابدت رغبة ملحة فى الطعام على التو وبشكل ملفت للانتباه.. بينما المعروف ان النحل لا يبدى رغبته الجامحة هذه إلا بعد ان يتقدم به العمر.

وهذا دليل على نجاح زرع الذاكرة.. وباتت صغار النحل تملك ذاكرة كبار النحل.

لمبة (E)

لمبة جديدة اسمها «لمبة E» ابتكرتها مجموعة من المهندسين فى شركة كهرباء امريكية، وتتميز بان عمرها الافتراضى يقدر بحوالى ١٤ عاماً يعتمد الاختراع الضوئى الجديد على استخدام اشارة راديو (HF) بدلا من السلك الشعرى الرفيع التقليدى.





ميدرو تسجيل وشريط بحجم طابع البريد

مازالت اليابان تتحفنا باختراعاتها.. وآخرها وليس بآخر قامت شركة «سونى» اليابانية بتقديم مسجل جديد.

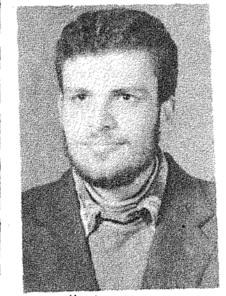
MICRO RECORDER

واعتبره العلماء ثورة جديدة فى عالم الأجهزة الكهربائية.

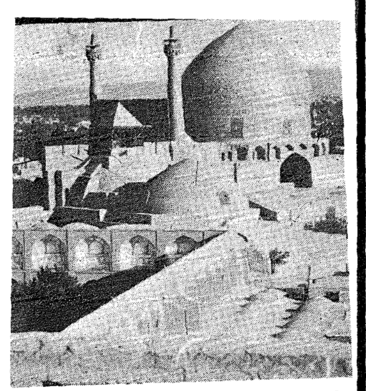
ويستطيع المسجل الجديد ان يستوعب شريطاً مدته ساعتان وهو قابل لاعادة التسجيل عليه مرات عدة دون ان يترك ذلك أى أثر على الصوت..

كما يتميز باستعماله قدراً قليلا جدا من الكهرباء اذ يكفى حجر بطارية من النوع الصغير لسبع ساعات متواصلة من التسجيل.

لغات لها تاريخ مع العربية «٥»



بقلم: محمد السيد على بلاسى - القاهرة -



● مسجد شاه فى ايران

اللغة

هى لغة من شعبة اللغات الإيرانية[1]، إحدى شعبتى (اللغات الآرية) أو (اللغات الهندية - الايرانية)، تلك التى تنتمى الى الفصيلة الهندية الأوربية[2].

واللغة الفارسية لغة حية مستعملة فى كثير من مناطق القارة الأسيوية من العراق غربا إلى حدود الصين شرقا، وهى لذلك تسمى فرنسية الشرق، لانتشارها فى الشرق انتشار الفرنسية فى الغرب[3].

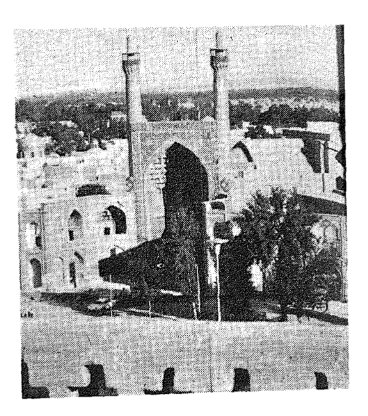
ونظرا للجوار بين العرب والفرس، فقد بدا مظهر التأثير والتأثر فى اللغات واضحا بين العربية والفارسية منذ أقدم العصور، حتى لنجد أن معظم الكلمات الدخيلة فى اللغة العربية كانت من اللغة الفارسية، ولعله مما حمل الأزهرى أن يقول: «ومن كلام الفرس مالا يحصى مما قد أعربته العرب»[4]، وقد كثرت هذه الكلمات حتى أصبحت كلمة «الفارسى» مرادفة «للأعجمى» عند علماء اللغة[5].

فها هو ذا الفراء يقول: «يبنى الاسم الفارسى أى بناء كان، إذا لم يخرج عن أبنية العرب»[6]، وذاك الجوالبقى يقول: «وربما غيروا البناء من الكلام الفارسى إلى أبنية العرب»[7]

غير أنه ينبغى أن يلاحظ أن اللغة الفارسية التى كانت تعاصر العصر الجاهلى وصدر الاسلام هى اللغة الفهلوية وليست الفارسية الحديثة، وبينهما اختلاف غير يسير[8].

هذا، وفى المقابل ظهرت الفارسية فى ثوب عربى بعد الفتح الاسلامى لبلاد فارس، فأخذت الفارسية الاسلامية تكتب بحروف عربية[9]، ودخلتها عناصر عربية كثيرة فظهرت فيها الصبغة العربية، ومازالت ظاهرة فيها إلى وقتنا الحاضر، بعد أن فشلت المحاولات التى بذلت لإجلاء هذه الصبغة وإزالتها؟[10].

أياً ما كان الأمر، فإن تأثير الفرس على العرب ظهر فى ثوب مادى موشى بالترف والحضارة والدعة والتنعيم أما التأثير العربى فيظهر سابحا فى بحار الروح متنسما عبير الفضيلة، فهو تأثير لغة الوحى وآداب السماء[11]!



الفارسية

هذا، ومن الكلمات التى دخلت العربية من الفارسية فى زمن متأخر:

- الديباج: أصلها فى الفهلوية: dēpāk، فصارت الكاف هنا جيما.

- الاستبرق: مشتقة من «استبر» أى: الشديد الثخين، بإلحاق (ak) وهى كثيرة جدا فى الأوصاف الفارسية، فأصل المعنى: نسيجة ثخينة، ثم أطلقت على غليظ الديباج.

- الفرسخ: فى الفارسية: «فرسنگ»، فلأن صوت الـ(گ) لا يوجد فى العربية، استبد لوه بالخاء[١٢].

الهوامش

(١) اللغات الايرانية: هى عبارةعن:
أ - الفارسية القديمة: وهى لغة الفرس فى الجنوب الغربى من إيران.
ب - الأفستية: وهى لغة النصوص الدينية القديمة التى كتب بها الكتاب الدينى المعروف بالافستا، وترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد.
ج - البهلوية: وهى اللغة الايرانية المتوسطة، وكانت سائدة فى الغرب، وكانت اللغة الرسمية فى العصر الساسانى من القرن الثالث الميلادى إلى منتصف القرن السابع، وكتبت بالخط الآرامى.

الهوامش

د - الفارسية: وهى اللغة الرسمية لدولة إيران الآن وتكتب بالخط العربى.
هـ - الكردية: وهى لغة الأكراد فى إيران والعراق.
و - الباشتو (لغة الافغان) وهى اللغة الرسمية لدولة أفغانستان.
راجع: دراسات فى علم اللغة والمعاجم: د. محمد عزت قناوى، ود. محمد السيد بكر، ١٠٢، ١٠٣ - بتصرف يسير - الطبعة الاولى - مؤسسة الرياض سنة ١٤٠٦هـ، وقارن بـ: علم اللغة: د. على عبد الواحد وافى، ص١٩٧، ط٩ - دار نهضة مصر. واللغة بين القومية والعالمية: د. ابراهيم أنيس، ص١٥٧، وما بعدها، ط. دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠م.

(٢) علم اللغة: د. على عبد الواحد وافى ص١٩٧، ودراسات فى فقه اللغة، د. صبحى الصالح ص٤٢، ط. دار العلم للملايين سنة ١٩٨٣هـ.

(٣) قاموس الفارسية: د. عبد النعيم محمد حسنين (المقدمة) ص١٢، الطبعة الأولى - دار نهضة مصر سنة ١٤٠٢هـ.

(٤) التهذيب: ١٠/٥٨٥، تحقيق: على حسن هلالى، ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٥٥) المعرب والدخيل فى اللغة العربية، مع تحقيق الألفاظ الواردة فى كتاب المعرب للجواليقى: للدكتور عبد الرحيم عبد السبحان، ص٢٣ - بتصرف يسير -.

(رسالة دكتوراة مخطوطة محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر تحت رقم ٣٥٨، سنة ١٣٩٧هـ).

(٦) المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم: لأبى منصور الجواليقى، ص٥٧، تحقيق وشرح الاستاذ احمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار الكتب سنة ١٣٨٩هـ.

(٧) المصدر السابق: ص٥٤ وهامشه.

(٨) من أهم مظاهر الخلاف ما يلى:
أ - أن بعض الصيغ الفهلوية كانت تنتهى بكاف، بينما حذفت هذه الكاف فى الفارسية الحديثة كـ: «ديباك» فقد تحولت فى الفارسية الحديثة إلى «ديبا» وعربت ديباج.
ب - وجود هاء فى صدر بعض الكلمات الفهلوية واختفاؤها من الفارسية الحديثة، مثل: هنذار: أنذار، وهدام: أندام، وهنجمن: أنجمن. وعربت هذه الكلمات بالهاء.
ج - أن الدال بالفارسية الحديثة كانت تناظرها التاء وأصبحت دالا فى أواخر الدور الفهلوى وهناك كلمات عربت بالتاء، منها «مرتك» وهى بالفهلوية «مراتك» وبالفارسية الحديثة «مرده» بالدال. ولمزيد من التفصيل راجع: المعرب والدخيل فى اللغة العربية، مع تحقيق الألفاظ الواردة فى كتاب المعرب للجواليقى: د. عبد الرحيم عبد السبحان ص٢٣-٢٦ وهوامشها.

(٩) ولكن هناك حروف أربعة زائدة فى اللغة الفارسية على اللغة العربية، وهذه الحروف هى: (پ) مثل: پدر: أب، و(چ) مثل: چاى: شاى، و(ژ) مثل: ژالـه: الندى، و(گ) مثل: گليم: سجادة. انظر، اللغة الفارسية.. نحوها وأدبها وبلاغتها: د. عفاف السيد زيدان، د. محمد نور الدين عبد المنعم، ود. محمود محروس قشطة، ود. يوسف صلاح الدين، ص٥ وما بعدها ط. الأنجلو المصرية سنة ١٣٩٦هـ.

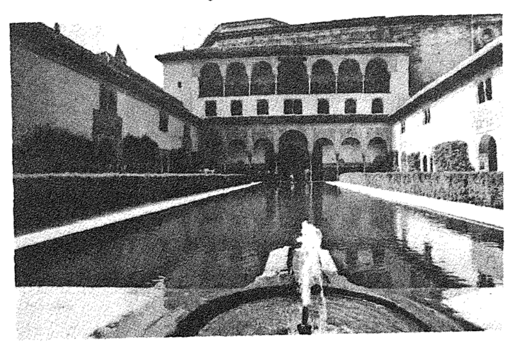
(١٠) قاموس الفارسية: د. عبد النعيم محمد حسنين، (المقدمة) ص١٢.

(١١) اللغة الفارسية: نحوها وأدبها وبلاغتها: د. عفاف السيد زيدان (بالاشتراك) المقدمة ص «ر».

(١٢) التطور النحوى للغة العربية: للمستشرق الألمانى برجشتراسر، ص٢١٢-٢١٦، تعليق الدكتور رمضان عبد التواب، ط. مطبعة المجد ١٤٠٢هـ، فراجعه تجد مزيدا من التفصيل. ولمزيد من الأمثلة راجع: اللغة الفارسية: د. محمد نور الدين، ص٤٤، ٤٥ ط. دار المعارف سنة ١٩٧٧.

مهرجانات:

الأندلس ٩٢



«من الصعب تخيل عصر النهضة فى أوروبا وثورتها العلمية بدون اسهام العرب فى كافة العلوم على ارض الاندلس . . .» .

ميجيل موراتينوس

مدير معهد التعاون مع العالم العربى

. . . وحمل العرب اسلامهم إلى المغرب الأقصى، وعبروا المضيق (مضيق جبل طارق) وانشأوا هناك فى الاندلس دولة اسلامية، أقوى ما تكون، وخلال مدة اقامتهم فيها تم اللقاء والتواصل بين الحضارة الاسلامية الزاهرة فى تلك الرقعة من الأرض، وبين الغرب، فأفاد الغرب منها كل الافادة فى نهضته العلمية والحضارية فى كثير من جوانبها، ولا يزال المخلصون للحقيقة المجردة يؤكدون فضل الحضارة الاسلامية على النهضة الاوروبية . . ولا يزال ما تركه المسلمون هناك ينطق بسبقهم.

والآن . . فى عام ١٩٨٨م شكلت لجنة من الجانب العربى والجانب الاسباني لاظهار الدور الاسلامي والعربى فى الاندلس.

ونتيجة لهذا العمل المتواصل النشط أقيمت مجموعة من المعارض للفنون الاسلامية، واحضرت القطع الفنية لهذا المعرض من المغرب، ومصر، وروسيا، وامريكا واسبانيا والدنمارك، لتمثل كافة مراحل الحضارة الاندلسية فى عهد الخلافة الاسلامية فى الاندلس وحتى سقوط غرناطة فى عام ١٤٩٢م وضم المؤتمر مجموعة من المفكرين والمؤرخين والعلماء من العالم العربى وأوروبا . .

وفى شهر نوفمبر الماضي اقيم الاحتفال الختامي لهذا المهرجان فى مدينة الزهراء.

معارض:

معرض الفن السعودى الحادى عشر

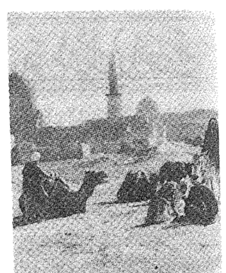
فى الشهر الماضى اقيم فى مدينة الرياض اعمال وفعاليات معرض الفن السعودي، وافتتحه صاحب السمو الملكى الامير سلطان بن فهد بن عبد العزيز وضم المعرض ١٢٠ عملا فنيا، فى الرسم والتصوير والمجسمات التطبيقية شارك بها ٦٠ فناناً وفنانة من مختلف مناطق المملكة . . وجاء هذا المعرض ليمثل عمقاً فنياً للحركة التشكيلية السعودية.

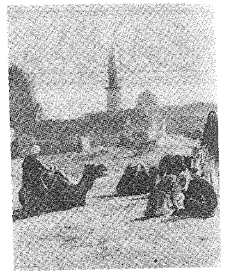
والمعرض كان من التنوع والثراء بما جعله يمثل كل الاتجاهات الفنية مع الدقة والاتقان والابداع الذى كان بادياً فى اعمال هذا المعرض . . اضافة الى الصيغة السلوكية والاجتماعية والبيئية التى مثلتها لوحات المعرض وفي المعرض وزعت مجموعة من الجوائز.

معارض:

الشرق فى عيون الغرب

الشرق العربى ـ منذ بداية القرن الثامن عشر كان مركز





جذب، ونقطة التقاء لكثير من المستشرقين بكل تصنيفاتهم الفكرية والثقافية والفنية.. ولقد شدهم ما فيه من أسلوب الحياة والعيش والتعامل والمعمار.. بل وشدتهم طبيعة هذا الشرق.

فى كل هذا أبدع الفنانون من المستشرقين الذين زاروا الشرق العربى لوحات غاية فى الروعة تسجل الى حد كبير طبيعة الحياة فى الشرق..

وفى باريس فى (صالة غاري روش) نظم معرض ضم عدداً ضخماً من لوحات المستشرقين التى تناولت الشرق العربى، ومنها: لوحة للفنان هنري روسو وهو فرنسي، ولد فى مصر **١٨٧٥م** وتوفي فى فرنسا **١٩٣٣م**، ولوحة نلفنانة مارغريت تديشى، ولوحة للفنان الانجليزي شوفالييه، ولوحة للفنان باتيست أوسمان ومجموعة اخرى من اللوحات والمنحوتات.



جائزة على وعثمان حافظ الصحافية

فضيلة الشيخ محمد الغزالي، عالم له مقدرته العلمية والقلمية، ولقد جرد من فكره وقلمه مدافعاً عن الحق بالكلمة البينة الناصعة، فى أسلوب اتسم بالجدية والصراحة فى قول الحق..

الشيخ محمد الغزالى تسلم مؤخراً من الاستاذ محمد على حافظ جائزة (كاتب العام) **١٩٩٢م**.

وقد قررت هيئة امناء جائزة على وعثمان حافظ الصحافية التى يرأسها الاستاذ الناشر هشام على حافظ استحداث ثلاث جوائز كبرى هذا العام لأبرز ثلاثة مفكرين فى العالم العربى قيمة كل جائزة عشرة الاف دولار وميدالية ذهبية.

وتتولى هيئة أمناء الجائزة ترشيح المفكرين العرب لهذه الجوائز طبقا لثلاث مناطق محددة يجرى اختيار واحد من كل منها باعتباره مفكر العام، وهذه المناطق الثلاث تم تحديدها على النحو التالى:

- الجزيرة العربية وتشمل السعودية والامارات والكويت والبحرين وقطر وعمان واليمن.
- المغرب العربى الكبير ويشمل الجزائر والمغرب وموريتانيا وليبيا وتونس.
- المشرق العربى ويضم باقى الدول العربية الاخرى.

وبالاضافة الى الجوائز الثلاث المخصصة لأبرز المفكرين تم تخصيص ثلاث جوائز أخرى تبلغ قيمة كل جائزة منها خمسة الاف دولار امريكى وميدالية فضية مخصصة لأحسن الاعمال الصحافية التى تنشر خلال عام **١٩٩٢** وتشمل المجالات الاتية:

- التحقيقات الصحافية.
- الموضوعات التى تعالج موقع المسلمين من النظام العالمى الجديد.
- أحسن كاتب عمود أو زاوية في الصحف العربية.

ويحق لكل صاحب انتاج صحافي ينشر - فى المجالات الثلاثة، خلال العام فى صحيفة أو



مجلة تصدر باللغة العربية أن يتقدم للحصول على هذه الجائزة وذلك بإرسال ثلاث نسخ اصلية من الانتاج الذى يرشحه موضحا عليه مكان وتاريخ الصدور ويرفق به أصول ما ينشر معها من صور ورسومات مع صحيفة بيانات تتضمن اسم صاحب الانتاج ومحل اقامته ورقم الهاتف وصورة شخصية له وملخصا وافيا عن نشاطه الصحافى.

وترسل الترشيحات فى موعد غايته الاحد، الثامن من شعبان ١٤١٣هـ الموافق ٣١ يناير ١٩٩٣م باسم رئيس هيئة الامناء، ص.ب ٤٥٥٦ جدة ٢١٤١٢ المملكة العربية السعودية ويخطر الفائزون بموعد ومكان تسليم الجوائز.

المؤسسة العالمية لمساعدة

خمسة عشر عاما فى خدمة الطاقات البشرية والعربية

فى عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م أنشئت هذه المؤسسة الخيرية العالمية برئاسة سمو الأمير تركي بن عبد العزيز. وخلال خمسة عشر عاما من العطاء المتواصل استطاعت هذه المؤسسة أن تنجز الكثير والكثير من الخدمات الانسانية للطلاب العرب فى كل انحاء العالم..

ولقد اصدرت المؤسسة مؤخراً تقريرا شاملا لكل خدمات المؤسسة خلال هذه المدة.. والخدمات المستقبلية التى ستقوم بها المؤسسة.

■ ويسعدنا هنا أن نقدم نبذة تعريفية مختصرة عن اعمال هذه المؤسسة الانسانية:

تمويل المؤسسة:

اعتمدت المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب وما تزال تعتمد فى تمويلها على مساندة المتبرعين الكرام من رجال الاعمال والبنوك والشركات فى الدول العربية وخاصة دول الخليج العربى وعلى رأسهم سمو الامير تركى بن عبد العزيز. وقد تكرم سموه بالتبرع للمؤسسة خلال السنوات الماضية بمبلغ ستة ملايين وخمسمائة وخمسين الف دولار.

ان هذا العطاء السخى يجسد المثل الاعلى لمواقف سموه النبيلة تجاه الاستثمار فى الشباب العربى الجامعي ويشكل دعوة لجميع المساهمين والمتبرعين لزيادة البذل والعطاء من اجل الاهداف العلمية التى تعتبر قاعدة للتطور الحضارى فى العالم العربى، لسموه من مجلس الامناء وبالنيابة عن آلاف الطلبة الذين ساعدتهم المؤسسة خالص الشكر والتقدير والعرفان.

خدمات المؤسسة:

١ ـ تقديم المساعدات المالية على شكل قروض (بدون فوائد) للطلبة المتفوقين والمحتاجين لتكميل تعليمهم الجامعي وتسدد هذه القروض عقب عودة الطالب الى البلدان العربية ومضي ستة اشهر على توظيفه على شكل اقساط شهرية تتناسب مع دخله.

٢ ـ التوجيه والارشاد للطلبة واولياء الامور في اختيار الجامعات وتخطيط التخصص الدراسي.

٣ ـ مساعدة الطلبة على الالتحاق بالجامعات المرموقة والمعترف بها

الطلبة العرب



ومعاهد اللغة مقابل رسوم رمزية .

٤ ـ الاشراف على الطالب وتقديم تقارير دورية لأولياء الامور والمؤسسات المسؤولة .

٥ ـ مساعدة الخريجين بالتعاون مع الشركات ورجال الاعمال في الدول العربية على التوظيف .

منجزات برامج المؤسسة:

* منحت المؤسسة قروضا تعليمية قيمتها اثنى عشر مليونا وسبعمائة الف دولار وزعت على حوالي ثمانية الاف وخمسمائة منحة دراسية .

* تخرج ما يزيد عن ٢٣٠٠ طالب عربي جامعي من الجامعات الاجنبية والعربية المرموقة .

* ساعدت المؤسسة عددا كبيرا من خريجيها على الحصول على وظائف في الدول العربية تتناسب مع تخصصاتهم وذلك ضمن جهودها المستمرة التى تهدف للمحافظة على العقول العربية المدربة .

الخريجون:

ساعدت المؤسسة خلال الخمسة عشر عاما الماضية فى اجتياز التعليم الجامعي ٢٫٣٣٨ طالب جامعى تخرج منهم ١٢٤٠ من الجامعات الاجنبية منهم ٤٠٤ بدرجة الدكتوراة و٣٧٣ بدرجة الماجستير و٦٤٣ بدرجة البكالوريوس وقد ارتفعت نسبة الخريجين بدرجات الدكتوراة والماجستير تدريجيا الى ان بلغت خلال سنة ١٩٩١ الى ٧٠٪ وذلك تمشيا مع قرارات مجلس الادارة بتركيز الجهود على الدرجات العليا . كما تخرج خلال نفس الفترة ١٠٩٨ طالب جامعي بدرجة البكالوريوس من الجامعات العربية .

وشملت تخصصات الخريجين ميادين واسعة النطاق تتطابق مع حاجات العالم العربي للنمو التكنولوجي والاداري والصحي والاجتماعي والاقتصادي وخاصة في الميادين التالية :

١ ـ الهندسة : الكهربائية ، المدنية ، الميكانيكية ، الكيماوية ، الالكترونية ، الجوية ، المعمارية ، تخطيط المدن ، المنتجات الصحية ، البترول ، الكمبيوتر والمناجم .

٢ ـ العلوم : الرياضيات ، الكيمياء ، الطبيعيات ، الجيلوجيا ، المعادن ، الزراعة ، البحرية ، الاحراش ، علم الحيوانات الداجنة ، الكيمياء الحيوية والكمبيوتر .



● سمو الامير تركى بن عبد العزيز

٣ ـ **الادارة** : الاعمال ، المالية والمحاسبة ، التدريب الزراعى ، الاتصالات ، ادارة التربية ، الانتاج الصناعى ، المعلومات الادارية والمصالح العامة ، السياحة والفنادق .

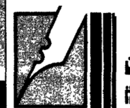
٤ ـ **الاجتماع** : الشؤون الاجتماعية ، السياسة ، الحضارات العالمية ، اللغات والاداب ، الصحافة والنشر .

٥ ـ **الصحة** : طب بشري ، طب الاسنان ، صيدلة ، علوم المواد السامة للطبيعة ، التحليل الطبى والمختبرات ، تحليل النفس .

وقد اعتمدت المؤسسة فى ارشادها للطلبة تشجيعهم لاجتياز مرحلة البكالوريوس في الجامعات العربية .

البرامج الخاصة لمساعدة الطلبة العرب:

بالاضافة الى البرنامج العام لمساعدة الطلبة العرب اقامت المؤسسة عددا من البرامج الخاصة



جاءت نتيجة لأوضاع استثنائية او أحداث طارئة وذلك وفقا لقرارات اللجنة التنفيذية للمؤسسة تحت رعاية وارشاد رئيسها العام سمو الامير تركي بن عبد العزيز. ومن بين هذه البرامج التي نفذت خلال الخمسة عشر عاما الماضية:

١ - برنامج المساعدة للجامعات والمعاهد التكنولوجية الفلسطينية في الاراضي المحتلة.

٢ - برنامج صندوق الطوارىء لمساعدة الطلبة العرب من لبنان الذين انقطعت عنهم مواردهم المالية بسبب الحوادث هناك.

٣ - برنامج الطوارىء لمساعدة الطلبة الفلسطينيين من المناطق المحتلة الذين يدرسون في الخارج والذين انقطعت عنهم مواردهم المالية نتيجة للاجراءات التى فرضتها السلطات المحتلة هناك.

٤ - برنامج صندوق الطوارىء لمساعدة الطلبة العرب من الكويت الذين انقطعت عنهم مواردهم المالية نتيجة للاحداث الاخيرة هناك.

٥ - برنامج خاص للطلبة العرب من مصر الذى ضم نخبة من الطلبة للدراسات العليا فى الجامعات المرموقة في الولايات المتحدة، بريطانيا، كندا والمانيا كلفتة خاصة من سمو الامير تركي بن عبد العزيز الرئيس العام.

تطلع الى المستقبل:

بناء على ارشادات سمو الامير تركي بن عبد العزيز الرئيس العام وتوصيات اعضاء مجلس الامناء فقد حددت المؤسسة اهدافا بعيدة المدى تشكل اتجاهات جديدة في مسيرة خدماتها للطلبة الجامعيين العرب ومساهمتها في البناء الاقتصادي والاجتماعي للعالم العربي.

■ وتتلخص هذه الاتجاهات فى التركيز على:

١ - مساعدة الطلبة الجامعيين العرب المتفوقين المحتاجين ماليا للحصول على شهادات الماجستير والدكتوراة والتخصصات النادرة عقب الدكتوراة بما يشكل ثمانين بالمائة من مجموع المساعدات.

٢ - تبني برامج تعليمية جديدة واضحة الهدف محدودة النطاق لسد حاجات ملموسة معينة في العالم العربي منها:

أ - برنامج حماية البيئة العربية، ويهدف البرنامج الى تطوير الخبرات التطبيقية العملية والاكاديمية فى ميدان حماية البيئة العربية وينص على تبنى منحتين للدراسة والابحاث لكل بلد عربى.

ب - تصعيد دور المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب فى تحديد حاجات العالم التكنولوجية والمساهمة الفعالة فى سدها، وبالامكان تنفيذ ذلك خلال ثلاث مراحل:

● **المرحلة الاولى**: تتركز على اجراء دراسات خاصة لتحديد الحاجات وذلك بالتعاون مع الاوساط الاكاديمية والتربوية فى الدول العربية، وبالامكان تحقيق هذه المرحلة عن طريق عدد صغير من المنح الدراسية لنخبة من الطلبة النابغين للقيام بهذه الدراسات تجاه ملاحقتهم لدرجات الدكتوراة (وذلك لمدة سنة).

● **المرحلة الثانية**: تتركز على تعميم نتائج الدراسات على الاوساط التربوية العامة والخاصة بما فى ذلك الحكومات العربية ودوائر الجامعة العربية الخاصة وتوفير الدعم المالى لتنفيذها.

● **المرحلة الثالثة**: تنفيذ توصيات الدراسات الخاصة تحت اشراف المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب وذلك عن طريق توفير المنح الدراسية للطلبة العرب النابغين لاكتساب الخبرات الاكاديمية والتطبيقية العملية فى الميادين التكنولوجية المحددة.

ج - برنامج الاطباء فى فلسطين المحتلة: ويهدف هذا البرنامج الى تدريب عدد من الاطباء من المستشفيات في المناطق المحتلة في التخصصات النادرة وغير الموجودة في هذه المناطق، وسيجرى التدريب فى الجامعات المرموقة الاجنبية والعربية.

الحاجة الماسة لانعاش التبرعات للمؤسسة:

عانت المؤسسة خلال السنتين

الماضيين عقب الحوادث الاخيرة فى منطقة الخليج العربى نقصا ملحوظا فى التبرعات من تلك المنطقة التى شكلت فى الماضي جزءا هاما من دخل المؤسسة.

وتتطلع المؤسسة الان وفى المستقبل الى تجديد هذه التبرعات السخية من الافراد والشركات والبنوك التى مكنت المؤسسة في الماضي من تحقيق اهدافها التربوية، وان ما حققته المؤسسة حتى الان ما هو الا البداية نحو طريق طويل نسير عليه بعون الله ورعايته وتضامن المتبرعين الكرام واعضاء مجلس الامناء وخريجي المؤسسة.

■ ان امتنا العربية تجتاز معركة مصيرية حضارية ستقرر مستقبل هذه الامة الخالدة للاجيال القادمة وليس لنا من خيرة الا ان نخوض هذه المعركة الحضارية بكل ما لدينا من عزم وقوة ومصادر بشرية ومالية، وعماد هذه المعركة هي أجيالنا الجامعية المتفوقة واساسها يبنى على العلم والتكنولوجيا الحديثة وعلى كل قادر منا ان يشارك في هذه المعركة بكل قواه بكل ما يعود بالخير على الامة باجمعها.

ان المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب هى مؤسسة للعرب جميعا وهى ما زالت بحاجة الى الدعم المتواصل حتى يمكنها من مواصلة جهودها تجاه التقدم العلمي والتكنولوجى للعالم العربي.

■ **وعنوان مكتب المؤسسة الرئيسي في الولايات المتحدة الامريكية:**

ARAB STUDENT AID
INTERNATIONAL
P.O. BOX 10
FANWOOD, NJ 07023 USA
FAX 908 65 4 3940

رؤيــة

■ انا لم اقل يوما ان لفظ جدة بضم الجيم خطأ أنا انظر الى اللغة خلافا لما ينظر اليها الكثيرون، اللغة وسيلة تعبير، وهى ليست غاية فى حد ذاتها بل هى وسيلة، وهذا شىء معروف. وشىء آخر هناك امور من التعميم لا تصح اطلاقا، كأن يقال لا يجوز ان تقول كذا، لان الامام الشافعى يقول لا يحيط باللغة الا نبى. وليس كل اللغة مدونا عندنا فى الكتب.

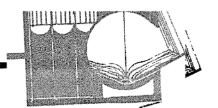
اذن من الخطأ ان اقول انه لا يسوغ ان تقول الا «حمد» بالفتح او «احمد» بالكسر لا يصح ان اقول هذا بل اقول ان اللغة الشهيرة هى كذا. وقد يجوز ان يقال غير هذا، مثلا ما هو اشتقاق كلمة جدة، يقولون فى ذلك اقوالا اقرب الى الصواب انها مأخوذة من جد البحر بضم الجيم، ولكن سمع جدة بالكسر ومن ذا الذى يدرى؟ فربما سمع ايضا بغير ذلك من الالفاظ، اذاً الشىء المحظور هو النفى لان النفي ليس علما، انما العلم هو الاثبات.

اما ان تقول لا يجوز كذا، وماذا يدريك؟ العلم ان تقول ورد فى الكتب كذا. وتثبت النص، هناك فرق بين القولين اشهر الاقوال وارجحها هو جدة بضم الجيم - ولكن ان اقول «التحقيقات المعدة فى حتمية ضم جيم جدة» حتمية؟! حتم لماذا ياسيدى؟ لم ينزل قرآن كريم او حديث شريف، لماذا نحتمه والذين قالوا بالضم لم يقولوا لا يجوز غير الضم، ثم ان هناك كثيرا من اخواننا الذين تناولوا الموضوع او تناولوا ما جرى بينى وبين اخى الكريم عبد القدوس الانصارى رحمه الله تناولوه من جانب واحد هم ظنوا ان المسألة متركزة فى هذه النقطة التافهة وهذا خطأ.

ولو قرأت المقالات التى كتبت ودارت حول الموضوع من الجانبين وتعليقات الباحثين والقراء ثم درست بعناية لوجدت فيها اشياء كثيرة تتناول ادبنا السعودى كله، ويبقى اننى واخى الكريم عبد القدوس الانصارى قد حاولنا قدر جهدنا ان نثرى الحوار بموضوعية ودون خروج او ابتزال.

«حمد الجاسر»

(عن جريدة المدينة)



وردت للمنهل



●● «تاريخ كتابة المصحف الشريف» تأليف الدكتور محمد زايد يوسف صادر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر. . الطبعة الاولى ١٤١٢هـ. . الكتاب فى (١٧١) صفحة من الحجم العادى محلى بالصور والرسوم. . جاء هذا الكتاب فى (١٢) فصلا ضمت الموضوعات التالية: (تاريخ كتابة القرآن الكريم وجمعه، ادوات ومواد الكتابة، ظهور النقط والشكل، خط النسخ الطراز المعتمد في كتابة المصحف، روائع الزخارف، والتذهيب، فن تجليد المصاحف، مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف.

●● «وافترقنا يازمن» ديوان شعر للشاعر يحى توفيق حسن - وهو الديوان الثالث للشاعر. . ضم (٢٠) قصيدة ومقطوعة الديوان فى (١١٤) صفحة، صادر عن دار العلم للطباعة والنشر/ جدة.





●● «الزمردة الخضراء» عنوان المجموعة القصصية الرابعة التى صدرت فى طبعتها الاولى ١٤١٣هـ للكاتب القاص الدكتور عبد الله باقازى.

وهى مجموعة تضم عشر قصص قصيرة «قطيع العجول - الضبع - الثعبان - العابث باللوحة - سرب الجراد - الأفعى التى تركت الألماسة - اللص الغبى - الكابوس الاسود - عطر الشمس». . والزمردة الخضراء التى اختارها المؤلف عنواناً لمجموعته القصصية.

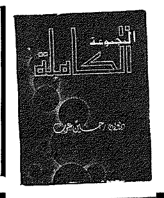
ومن خلال قصص المجموعة نستطيع ان نتلمس براعة الكاتب فى استخدامه للغة. . حيث نستطيع أن نقف على لغة مميزة وخاصة به. . لغة معبرة حية ومفعمة بالحركة كما نستطيع أن نقف على قدرته الفائقة فى التصوير مما يدل على نضج قصصه نضجاً فنياً.

●●«المجموعة الكاملة»

«المجموعة الكاملة» ديوان الاستاذ الشاعر حسين عرب. . صدرت هذه المجموعة فى مجلدين، جاء المجلد الاول فى (٣١٥) صفحة والثانى فى (٣٠٢) صفحة من القطع العادى.

وقد قسم الشاعر مجموعته في عدد من الموضوعات. . ويضم الجزء الاول من الموضوعات (إيمان - أوطان - الوطن العربى - فلسطين - الاناشيد» ويضم الجزء الثانى من الموضوعات: (اشجان ألحان - ألوان).

وشمل الجزء الاول من القصائد (٤٨) قصيدة وشمل الجزء الثانى من القصائد (٦٧) قصيدة وتصدر الكتاب تقديم للدكتور عبد الله محمد الغذامى وهو عبارة عن دراسة استغرقت (٢٧) صفحة.

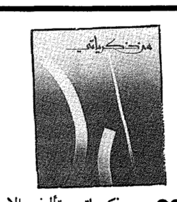


●● **«مرات . . بلد امرىء القيس في مرآة التاريخ الوجه التاريخي والتراثي»** تأليف الاستاذ عبد الله بن عبد العزيز بن ضويحي الضويحي ـ الطبعة الاولى ١٤١٣هـ ـ فى (٢٤٠) صفحة من الحجم العادى محلى بالصور والخرط . . ضم الكتاب عشرة أبواب تناولت: (الموقع الجغرافى والتضاريس، والأودية والشعاب، تاريخ المنطقة والتخطيط العمراني فيها . . والاماكن الاثرية فيها . . والحياة الاجتماعية . . الآبار والاحياء القديمة . . الحركة الادبية والشعراء القدامى والمعاصرين . . القبائل والاسر فى مرات.

●● **كتاب جائزة صاحب السمو الملكي الامير محمد بن سعود بن عبد العزيز أمير منطقة الباحة لحفظة كتاب الله الكريم ١٤١٢هـ».**

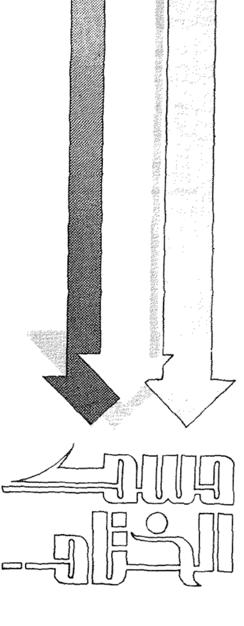
الاهتمام بالقرآن الكريم، وتربية الناشئة عليه هو اهتمام باصلاح حياة الناس فى دينهم ودنياهم . . وهذه الجوائز التى تهتم وترعى حفظة كتاب الله تعالى تعطى لهؤلاء الناشئة دفعاً فى هذا الاتجاه . . وللجوائز مفعولها الطيب الرفيع فى نفوس المتسابقين، هذه الجائزة التى يقوم بأمرها صاحب السمو الملكى الأمير محمد بن سعود بن عبد العزيز تأتى ضمن مجموعة الجوائز التى تهتم بحفظة كتاب الله الكريم فى هذه المملكة.

●● **«من أعلام الشعر اليمامي»** تأليف الاستاذ عمران بن محمد العمران، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ صادر عن دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة/ الرياض . . الكتاب في (٢١٠) صفحة من الحجم العادي ضم الكتاب ترجمة ودراسة لأكثر من أربعة عشر شاعراً من شعراء اليمامة . . وذيل بفهرس للأمكنة والأعلام.



●● **«من ذكرياتي»** تأليف الاستاذ سعيد محمد بوقري/ الكتاب من الحجم الصغير فى (٩٠) صفحة صادر عن دار الفنون للطباعة والنشر/ جدة . . والكتاب عبارة عن ذكريات لأستاذ عمل فى مجال التعليم وتخرج على يديه عدد كبير ممن هم الآن فى خدمة وطنهم.

●● **«إذا ما الليل أغرقنى»** ديوان شعر للشاعر عبد الله الفيفي . . الديوان ضم (١٢) قصيدة من الحجم الصغيرفى (١٠٢) صفحة.



القدوة الحسنة

لماذا نفتقر إليها ونجدها عند الآخرين..؟!



بقلم: محمد سليم رشدان الجامعة الاردنية

فيما نتداوله من معارف، وتستيقنه نفوسنا مما يقع فى احداث كل يوم: ان الطفل يقلد أباه، ومن حوله من ذويه فيما يفعلون، ويمضى على نهجهم حين يبلغ مبالغ الرجال، يقلدهم فيما كانوا يفعلون، سواء أكان هذا الذي فعلوه خيراً ام شراً.

ومن اجل ذلك قال الشاعر، وهو يعتز بما يفعله قومه من مآثر الخير، التى قلدوا فيها آباءهم، وساروا فيها على غرارهم، منذ نشأوا على أيديهم أيام طفولتهم المبكرة.. قال:

نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل مثلما فعلوا

فهؤلاء الأبناء ـ إذن ـ وجدوا القدوة الحسنة فى آبائهم فاقتدوا بها، وساروا على غرارهم يفعلون مثل فعلهم، دون ان يحيدوا عن هذا السبيل، ليكونوا بذلك قدوة لأبنائهم من بعدهم.

وان الذي يثير الدهشة فيما نراه من احداث كل يوم، فى المجتمع الذي نعيش فيه، هو ابتعاد الكثيرين عن طريق الخير، وانحرافهم عنها الى طريق الشر، رغم ما يعترض هذا الطريق من مهالك.

فهل فات هذه الفئة، أن يجدوا القدوة الحسنة فيمن حولهم؟

لابد أن يكون الأمر كذلك، حتى انحدروا الى ما وصلوا اليه!

لقد كتب الي يوماً صديق من مغتربه الذى هاجر اليه، وذكر لي: أنه مر به فى هذا المغترب من الحوادث الصغيرة مع الناس، الذين يتعامل معهم في حياته اليومية، ما ملأ نفسه دهشة وعجباً.

فقد استأجر ذات يوم سيارة عامة، من أحد أطراف المدينة التى يقيم فيها، ومعه بعض حاجات اشتراها، ليستعملها فى خاص شؤونه، وقد وضعها داخل سفط احكم ربطه والصاقه، وحين وصل الى الغاية التى يتجه

اليها، نقد السائق أجره الذى طلب، ونزل من السيارة ناسيا فيها تلك الحاجات، ثم مضى السائق فى سبيله، وهو لا يعلم له مكانا يطلبه فيه، ولم يتنبه الى رقم السيارة، لكي يلتمس صاحبها عن طريق شرطة السير، ومر على ذلك الحادث زمن..

وصادف أن عرج على حانوت تحت العمارة التى يقطن فيها، ليتزود منها ببعض المؤونة التى نفدت من عنده، فاذا بصاحب الحانوت يطيل النظر اليه، ثم يقول له مستطلعاً:

يخيل الى انك غريب، وانك لست من ابناء هذا الوطن اصلا، ويبدو ذلك من لكنتك حين تتحدث!
فأمن على قوله، وأكد له صدق فراسته فيه فقال متابعا استقصاءه: وقد ركبت يوماً سيارة عامة، ونسيت فيها بعض متاعك! فعجب مما يسمع، وسأله: وكيف عرفت ذلك، ولم أحدث به احداً؟ فقال صاحب الدكان، وقد اطمأن الى صدق فراسته: عرفته من سائق تلك السيارة التى حملتك، وذلك حين جاء يبحث عنك، ولم يستطع العثور عليك، وترك هذه الحاجات عندى: لانه انزلك على مقربة من حانوتي، وقدر ان تمر بى ذات يوم فأتعرف عليك، وأعيدها اليك، وها هي ذي كما تسلمتها منه، ولدي عنوانه اذا شئت أن تراجعه بشأنها، فيما لو افتقدت منها شيئاً!

وأحضر الى ذلك السفط: فاذا هو على نحو ما تركته فى السيارة، لم يمسه عبث او تبديل..

ومثل هذه الحادثه، أو مثل ما يقرب منها، حدث لي مع كثير من الناس هناك، ومن ذلك:

أن أخطيء مع أحدهم فى الحساب، فأدفع له مبلغاً فوق الذي طلب، فاذا هو تأبى عليه أمانته، إلا أن يعيد إلي ما أخطأت به، وهو يعتذر عن ازعاجي، لأنه تسبب لي بذلك الخطأ!، ومن ذلك أيضاً: أن اتحول عن المدينة الى مدينة أخرى، حملتني اليها ظروف دراستي، فأطلب من شركة الهاتف هناك، أن ترسل من يتسلم الهاتف، ويتسلم مني مقدار ما ترتب علي، بعد آخر مرة دفعت فيها الحساب. فيكون جوابهم: أن يطلبوا مني إرسال عنواني الجديد فى البلد الذى سأتحول اليه، ويفعلون هذا دون أن يدخلوا فى تقديرهم مطلقاً أن لا أرسل اليهم عنواني الجديد، في ذلك البلد الذى سوف أتحول اليه، أو: أن لا أسدد لهم قيمة تلك المطالبة، التي استحقت علي من جراء استعمال الهاتف، بعد آخر مطالبة منهم سبق ان سددتها.

ذلك ما ذكره صديقي فى رسالته.

وقد أوزده شاهدا على أخلاق الناس هناك، وسجل فيه كثيراً من المرارة، وهو يقارن ذلك بما يمكن أن يحدث عندنا من الاهمال وعدم الاكتراث، لو جرت هذه الوقائع فى بعض بلادنا، وما اكثر ما يقع من مثلها، وتكون عواقبه ـ على الغالب ـ غير ما يحدث هناك.. ورأيتنى اشارك صاحبى مرارته.. فما لنا لا نكون مثلهم؟!.. أتراها قضية علم وجهل؟!.. ولكننا نتعلم مثلما يتعلمون..

أتراها القدوة الحسنة، التي يجدها الأطفال فيمن حولهم هناك، فيقتدون بهم، ويقلدونهم أول الأمر محاكاة، ثم يصبح هذا التقليد ـ مع الأيام ـ جزءاً من يقينهم، الذي ينبع من أعماق نفوسهم، لا يملكون عنه محيدا ولا منصرفا؟!.

لابد أن يكون الأمر كذلك!.. لابد أن تكون هي القدوة الحسنة دون سواها.. وهذه القدوة الحسنة: لعلها هي كل ما يفتقر اليه أبناؤنا من أجل أن يقتدوا بها، فيصبح لها فى قرارة نفوسهم، مثل ذلك الذي أصبح لها في قرارة نفوس ابناء أولئك الناس هناك..

أجل، ان ابناءنا حيث يجدون مثل هذه القدوة الحسنة فيمن حولهم، سوف لا يقلون شأناً عن سواهم، وبخاصة: أولئك الذين نتحدث عنهم بمثل هذا الاعجاب والتقدير.

أتقول لى: إن هذه الصورة المشرقة، التى نتغنى بجمالها الباهر، تقابلها صورة أخرى شوهاء، تتمثل بعصابات (المافيا)، وجماعات السلب والنهب، بل القتل والاجرام، الذين ينغصون حياة الآمنين، في الكثير الكثير من المدن الكبيرة والصغيرة، فى مختلف أنحاء ذلك العالم، الذى ينعتونه بالعالم المتحضر رغم ذلك كله!

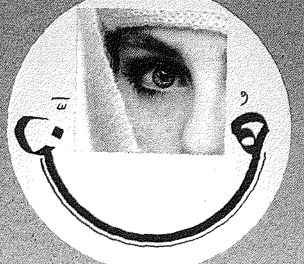
وأقول لك: إن هذا صحيح، ولعله النتيجة الطبيعية، لتلك الحرية المفرطة، التي منحوها لجميع طبقات الشعب هناك، وغاب عنهم: ان يحسبوا حساب الاستثناء فى كل قاعدة، وان تلك الصورة الكالحة الشوهاء، هى ذلك الاستثناء، الذى لابد من وجوده، ولكنه رغم هذا الوجود الفاضح، لا يستطيع ـ فى أى حال من الأحوال ـ ان يطمس تلك الصورة الجميلة المشرقة، التى تحدثت عنها، وأن يلغي وجودها القائم، فى حياة أولئك الناس.

المنهل

المجلة السعودية الاولى

شهرية للآداب والعلوم والثقافة





فكر أصيل .. اداء معاصر .. توجه متميز
تقرأه الصفوة

صدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة ـ جدة ٢١٤٦١ ص.ب ٢٥

معرض ارامكـو فـى الظهـران



معرض ارامكو في الظهران دار للاستكشاف العلمي وسجل حضاري حافل بعلوم البترول انتاجا وتصنيعا

ان زيارتك لهذا المعرض سوف تثري معلوماتک وتزيد من متعتک العلمية.. فهذا المعرض هو بمثابة موسوعة علمية متجددة تطلعک على العالم المتجدد في الصناعة البترولية المعاصرة ومشتقاتها وتقنيتها التي تتبناها ارامكو السعودية كاستراتيجية اساسية لتطوير المصادر البترولية في المملكة العربية السعودية، مستخدمة في ذلک احدث التقنيات في هذا المضمار، كما ستعرفک بالدور الحضاري الرائد للعبقرية الاسلامية وتراثها العلمي الرائع واثر هذا التراث في تقدم التقنية من خلال التجربة العلمية المقرونة بدقة الملاحظة لديهم، فمرحبا بک في معرض ارامكو بالظهران.

لمزيد من المعلومات يمكنك الاتصال بالهاتف : ٨٧٧-٢٤٩٩ (٠٣) او ٨٧٧-٢٤٢١ (٠٣)

المنهل
ALMANHAL
مجلة العرب الادبية

مرايا العام الجديد
الإنسان .. الغاية والهدف

برنامج الخليج العربى

رعاية للطفولة .. واهتمام بالامومه

الطوارق ملوك الصحراء
(تحقيق مصور)

الكشف الأثرى فى فلسطين

داخل العدد قسيمة مسابقة المنهل

أدبيات البترول

العدد ٥٠٢ المجلد ٥٤ شعبان ١٤١٣هـ
ALMANHAL



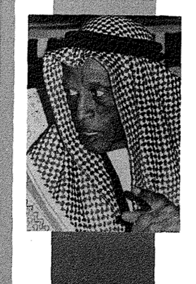
كيف ندرس؟

نستطيع أن نقسم دراسة الاشياء الى نوعين: أحدهما دراسة عبور ومرور، وثانيهما دراسة امعان واستفادة، فالدراسة الاولى يعتادها الكثيرون منا، وهى اذا اثمرت، فانما تثمر المعلومات المضطربة، والاراء المتبعثرة، التى قلما تقدم أو تجدي، وأما الدراسة الثانية فانها تجعل من الدماغ مولدا كهربائيا وتصقل التفكير صقلا جيدا يفيض بالحيوية والانتاج، فترى الدارس على هذا المنوال يسخر معلوماته الفكرية، لاعماله المادية، فتشرق معلوماته وتضيء اجواء اعماله فتنتظم وتجود، وتثمر وتفيد، وقد اتخذ الغربيون هذا اللون من الدراسة نبراسا، وبنوا على اساسه صروح امجادهم الحديثة فتفوقوا. وهكذا ترى الواحد منهم إ ذا عني بدراسة تاريخ أمة من الامم، أو احوال بيئة من البيئات فانما يعمل ذلك بتتبع واستقصاء واستنتاج، ليصل من وراء هذه الدراسة النظرية، الى فوائد مادية، وكذلك شأنه ان عنى بدراسة لغة من اللغات أو أثر من الاثار أو خبر من الاخبار او علم من العلوم، فانك اذا أمعنت النظر واجد له هدفا معينا بالذات من وراء هذه الدراسات.

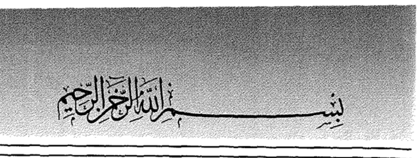
فاذا اردنا أن ننهض بحق فلنعن بدراسة الاشياء دراسة منظمة متقنة مرتبطة الحلقات، ولنعن باستثمار معلوماتنا فى حقول العمل النبيل، ففى ذلك نفع جزيل.

عبدالقدوس الأنصاري

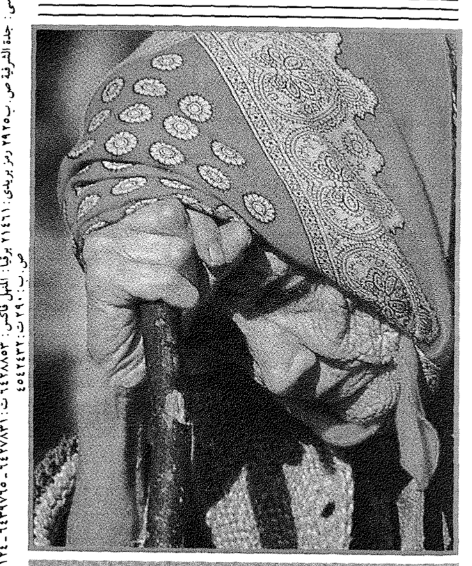
شعبان ١٣٥٩هـ



المنهل
ALMANHAL
للآداب والعلوم والثقافة أولى أمهات الصحافة السعودية أسسها المغفور له عبد القدوس الانصاري عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م
المركز الرئيسي: جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ : ت: ٤٥٤٢٤٣٢



لقطة الشهر



الظلم فاس تجرعه .. فاس تحمله .. سيدة تقدمت بها السن من مسلمي البوسنة والهرسك نحتت المأساة على جبينها كل قساوة الظلم، وحمق الظالمين.. شعب باكمله يباد، ومن يظل منه على قيد الحياة تبتلعه دوامة المجهول...!!!
والعالم يتفرج على المأساة، وهو متكىء على أريكته، يفرقع أصابع رجله..

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري
مستشار التحرير
أ.د/عبد الرحمن الأنصاري
نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء .. عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها ايات قرانية كريمة واسماء الله الحسنى فضلا عن احاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشـــارة

- تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد اولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب ويشترط فى الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته.
- يرجى فى المقال أن يكون بخط واضح.. ويفضل ان يكون مطبوعا على الالة الكاتبة، والا يكون المقال او القصيدة قد تم نشرها قبل ذلك.
- للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التى تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام با عادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

سعر النسخة: السعودية ٨ ريال - قطر ٨ ريال - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - مصر ١ جنيه - الكويت ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الاردن ٥٠٠ فلس.



تصــدر فى المملكــة العربيــة السعوديــة ـ جــدة عــن دارة المنهــل للصحافــة والنشــر المحــدودة.

ALMANHAL Issue No.502 VOl. No. 54 SHAABAN 1413H, FEB 1993C. المنهل العدد ٥٠٢ المجلد ٥٤ شعبان ١٤١٣هـ ـ فبراير ١٩٩٣م



فــى هــذا العــدد

٠٠٤ برنامج الخليج العربى لدعم منظمات الامم المتحدة ـ (تحقيق مصور)

٠٠٩ أبن الاولى (شعر) ـ أسامة عبد الرحمن.

٠١٠ الخطبة وأهميتها فى الاسلام ـ صالح علي العود.

٠١٣ الدجال وابن الصياد ـ د. عبد الباسط حمودة.

٠١٩ ابن خلكان شاعرا ـ د. مصطفى رجب .

٠٢٢ غربة ابن رمضان الاحسائي ـ عبد الله بن ناصر العويد.

٠٢٥ علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بنى العباس ـ د. غيثان على جريس

٠٣٢ تطور الشعر العربى فى صدر الاسلام ـ د. بهيج مجيد القنطار.

٠٣٨ مونتاى لماذا وكيف أسلمت ـ محمــد لمسوخي.

٠٣٩ غرناطة فى أشعار لوركا ـ د. بهاء لطفي قابيل.

٠٤٤ القصيدة فى مهب الريح ـ احمــد عثمــان.

٠٤٧ كتابة القصة القصيرة ـ د. محمد شتا أبو سعد.

٠٥٦ نقطــة توهــج ـ

٠٥٧ مجلة السائح العدد (٦٧).

٠٧٤ فتشت في المراة عن وجهي ـ يحـى الســماوى.

٠٧٦ رحلة فى الذاكرة (١١) ـ د. محمد رجب البيومي.

٠٨٠ ومضـــــات.

٠٨٥ مجلة فلسطيننا العدد (٥٧).

١٠٨ مــن التــراث .

١١٠ غير قابل للنشــر ـ د. علـى شـلش.

١١٤ يحى حقى (حوار مع الماضى) ـ خيرى السيد ابراهيم.

١١٦ اســتراحة قصــيرة .

١١٨ البترول .. وظواهر أدبية جديدة ـ د. محمد بن عبد اللطيف الملحم.

١٢٦ موافقات انجيل برنابا للقران الكريم ـ نصر عمر مقبول.

١٣٠ شــذرات الذهــب ـ د. أبو حســام.

١٣٤ مسرحية أهل الكهف ـ د. احمد هيبة.

١٣٩ مجلة هــن العدد (٧١).

١٥٠ المرنــــاه.

١٥٣ مدخل للابداع الفنى عند الاطفال ـ د. يوسف خليفة غراب.

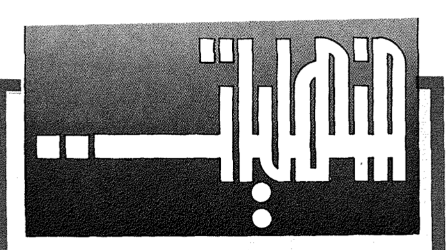
١٥٧ احياء التراث الطبي ـ د. نبيل سـليم.

١٦٢ قراءة فى سوسيولوجية دوركايم ـ الطيــب بو عـزه.

١٦٨ أرواق الاوراق ـ حمـاد السالمي.

١٧٢ قاموس الرأى ـ تمــيم الحكــيم.

١٧٤ مسـك الختـام ـ نادر صلاح الدين.



ميزانية العام الجديد
الانسان .. الغاية والهدف

ميزانية الدولة ـ أى دولة ـ لا نحسبها مجرد كم مهول من المليارات والارقام الفلكية . . لانها ـ أى الميزانية ـ ان كانت كذلك فقط فهي لا تعدو ان تكون مجرد بهرجة تسحر الأبصار، وتذهب بها مذاهب الضياع .

ولكن الميزانية ـ حسب ظننا ـ وسيلة لتحقيق غاية كبرى تشمل الانسان فى كل عطاءاته الايجابية الفاعلة . . إذن، الانسان، هذه القوة الفاعلة الناشطة، هذه القوة البانية لصروح الحياة هو الذي تتوجه اليه هذه الارقام المهولة . .

والانسان، هذه القوة الناشطة، يمثل مرتكز دائرة التوجه، ويتسع قطر عطاء هذه الدائرة كلما كان مرتكزها اكثر حيوية، وأقوى بنية . . بنيته النفسية، الاجتماعية، العلمية، العقلية، الاقتصادية، وفوق كل هذه البنيات بنيته الدينية، لان هذه الاخيرة هى قاعدة الانطلاق الواعي المدرك لما سبقها من بنيات .

والآن تأتي ميزانية العام الجديد، ليعلن فيها خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ من الارقام (السخية) ما يدعم ويقوي هذه الفاعلية المبتغاة فى ركائز البنيات الأساسية، الهادفة فى نهاية المطاف إلى إسعاد انسان هذه المملكة الحبيبة . .

وقراءة سريعة لمعطيات ارقام هذه الميزانية تدلف بنا إلى ميادين عدة شملت خدمات: التعليم، الصحة، التصنيع، الدفاع والأمن، المؤسسات الفاعلة الاخرى . . وغيرها من ميادين العطاء المتصلة حلقاته ابدا . .

. . ١٩٧ مليار ريال اجمالى ميزانية الدولة لهذا العام . . بزيادة ٩٪ من ميزانية العام الماضى .

ولا مجال هنا للدخول فى تفاصيل هذه الارقام . . ولكن نقول فى اجمال تام هذه الميزانية توجهت الى الانسان، وهو الغاية والهدف .

رئيس التحرير



غلاف العدد

الطوارق، شعب شديد البأس، روضته الصحراء، فاصبحوا والصحراء كتوء مين.. عرفوا مسالكها ودروبها، وأحسنوا معها التعامل.. لهم من تقاليدهم وعادتهم ما يحرس كل قيم الخير عندهم.

مجلاتنا الداخلية

مجلة السائح العدد «٦٧»

● محطات سياحية ٥٨
● سلا ـ احمد المكينسى ٦٠
● جزر القمر مدائن العطور ـ التحرير ٦٤
● الطوارق ملوك الصحراء
صالح محمد ناصر ٦٨

مجلة فلسطيننا العدد «٥٧»

● لنكن صحراء ٨٦
● طوفان الحجارة (شعر).
عبد السلام هاشم حافظ ٨٧
● الوثائق التاريخية التى سرقتها اسرائيل
مجاهد على شراب ٨٨
● فى القصة والرواية الفلسطينية
سمير احمد الشريف ٩٣
● الكشف الاثري فى فلسطين
د. عز الدين غربية ٩٦

مجلة هن العدد «٧١»

● بيننا كلمة
هند هرساني ١٤٠
● الاتصال التلفزيونى واثره فى البنية
د. سامية احمد ١٤١
● أوراق زوجية
أبو عواد/ أم عمرو. ١٤٦
● إلى السيدة الجميلة
محمد عبد الواحد حجازى. ١٤٨

الاشتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

تحقيق مصور

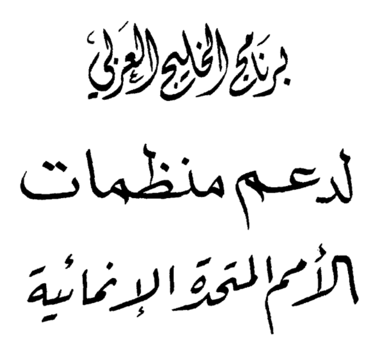
عالمنا اليوم أصبح يعانى الكثير من مشكلات الحياة الضخمة المتصاعدة يوماً بعد يوم.. اذ لا يأتى يوم الا وقد تضاعفت فيه مشاكل الحياة على الاحياء مما لا طاقة لهم به.

كثرت الامراض والاوبئة، تدهورت نظم العناية بالبيئة، أصيبت الحياة الاجتماعية والصحية بالكثير من الخلل والارتباك، ازداد الجهل وانحسرت وسائل التعليم فى كثير من بلدان العالم الثالث، الطفولة والامومة السليمة أصبحت حلما، أو كادت فى كثير من دول العالم الثالث.. بل أصاب الاعياء والارهاق والمرض البنية البشرية ذاتها وهى عصب الحياة ـ كما يقولون ـ

هذه المصائب جميعها تعددت أسبابها ومسبباتها فى العالم بأسره، منها ما سببه الانسان نفسه نتيجة الحروب التى قام بها وما تسببت فيه من دمار، وقتل وتشريد، نتج عنه ضياع لكل مقومات الانسان، ومنها ما جاء ت به الظروف الطبيعية، من براكين وزلازل، وتصحر وفيضانات.. وغيرها.

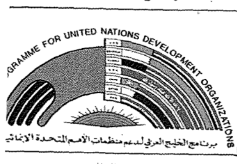
ولاصلاح كل هذا، أو جزء منه ولانجاز ما يمكن انجازه من خدمات من اجل الانسان، لابد من تكاتف مجموعة من المؤسسات الانسانية فى العالم.

وفى اطار هذا الاداء الانساني، ولرفع المعاناة عن الانسان كان هذا العمل الجليل الدؤوب المتمثل فى (برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية).






صاحب السمو الملكى الأمير طلال بن عبد العزيز



شعار البرنامج

■ أنشىء البرنامج بمبادرة من صاحب السمو الملكى الأمير طلال بن عبد العزيز فى أبريل ١٩٨١م، حيث وافقت سبع دول خليجية هى: المملكة العربية السعودية، الكويت، الامارات العربية المتحدة، عمان، قطر، البحرين والعراق على تأسيس البرنامج والمساهمة فى ميزانيته بغرض توحيد مساهماتهم فى مشاريع التنمية فى دول العالم الثالث فى مجالات رعاية الامومة والطفولة من خلال الوكالات المتخصصة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ومن خلال الجمعيات الأهلية العربية.

انعكست فلسفة سمو الأمير طلال فى ميدان التنمية على نوعية المشاريع التى يدعمها البرنامج والتى تتمثل فى الخدمات الأساسية التى يصل مردودها الفعلى الى السواد الأعظم من السكان، مثل مشاريع توصيل المياه الصالحة



الامير طلال في زيارة ميدانية لأحد مشروعات البرنامج

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا وأكثر من خمسين جمعية أهلية عربية.

أهداف البرنامج:

- دعم الجهود الانمائية بمراميها الاقتصادية والاجتماعية في الدول النامية من خلال المساهمة في تمويل مشاريع منظمات الأمم المتحدة الانمائية المعتمدة لدى البرنامج خاصة في مجال رعاية الطفولة والأمومة.
- تعميق الاهتمام بأهمية العنصر البشري في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- توجيه المعونات الى المشاريع الانمائية المحددة والصغيرة التى ترمى إلى إعداد وتدريب وتأهيل المستفيدين للاعتماد على ذاتهم والقيام بدورهم في خدمة الاقتصاد الوطني.
- تقوية التعاون والتنسيق من أجل توثيق وتوطيد العمل الانمائي المشترك بين البرنامج وبين المنظمات الدولية والعربية والمؤسسات والهيئات والجمعيات الدولية والاقليمية والمحلية.
- المساعدة على تعزيز البرامج التى تركز على الخدمات الأساسية فى المجالات الصحية والغذائية والثقافية للأفراد في دول العالم الثالث وخاصة النساء والأطفال.

المعونة العربية من أجل التنمية

البلدان العربية هي من بين

مشروع وبشرط توفر الـ ٥٠٪ الاخرى من طرف المنظمة المشرفة على المشروع أو من الدولة التى يتم تنفيذ المشروع بها (ما عدا الدعم المقدم للجمعيات الأهلية العربية حيث لا يشترط توافر التمويل الموازى فى المشروع فى ذات النسبة على الأقل).

وقد بلغ عدد وكالات الأمم المتحدة المتخصصة المعتمدة لدى البرنامج حتى الآن خمسة عشر منظمة هى: (اليونيسيف)، منظمة الصحة العالمية، اليونسكو، منظمة الأغذية والزراعة، برنامج الأمم المتحدة الانمائى، منظمة العمل الدولية، صندوق الامم المتحدة للنشاطات السكانية، برنامج الأمم المتحدة للمعوقين، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، مفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين، وكالة الأمم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، برنامج الأمم المتحدة لمواجهة الكوارث، الصندوق الدولى للتنمية الزراعية،

للشرب التى يستفيد منها جميع افراد الأسرة وكذا مشاريع الصرف الصحى وتحصين الأطفال والتدريب المهنى ورفع الوعى الصحى والتعليمى فيما يسمى بتنمية العنصر البشرى الذى بدونه لن يتوفر لدول العالم الثالث الكوادر الفنية الوطنية التى تمثل العنصر الأساسى الذى تقوم عليه خطط التنمية الناجحة.

■ ان تميز برنامج الخليج العربى بالمقارنة بالصناديق وبنوك التنمية الاقليمية والدولية يعود الى أن مبالغ الدعم التى يقدمها والتى بلغت أكثر من ١٦٦ مليون دولار منذ انشائه حتى الآن تقدم كمنح لا ترد وليست كقروض ذات فائدة أو دون فائدة وقد دعم المبلغ المذكور ٣٢٦ مشروعا انمائيا فى ١١٦ دولة نامية دون تفرقة فى لون أو جنس او دين أو توجه سياسى وبلغ عدد المستفيدين من سكانها ٢٥٠ مليون نسمه.. والبرنامج لا يقدم دعما يزيد عن ٥٠٪ من تكلفة أى

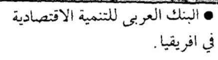
أسخى الجهات المتبرعة بالمعو
الـدولية، فقد بلغت مثلا جما
الأموال التى قدمتها البلدان العربي
السبعة فى عام ١٩٨١، وهـذ
البلدان هي المملكة العربي
السعودية، والامارات العربي
المتحدة، والكويت، وقطر،
والعراق، وليبيا، والجزائر، مبلغ
٧٧٧٠ مليون دولار. وفي السنة
نفسها كانت المملكة العربية
السعودية اكبر متبرع فى العالم، اذ
بلغ مجموع ما قدمته ٥٨٠٠ مليون
دولار، أى ما يساوي ٤ر٨ من
مجموع الناتج القومي، وكان المتبرع
الثاني بالارقام المطلقة قد قدم ٢ر٪
من مجموع الناتج القومي.

ومعلوم ان نحو ثلث المعونة يقدم الآن من خلال الصناديق القطرية والاقليمية التى اصبح عددها يتجاوز العشرة (ومنها البرنامج نفسه). ومن هذه الصناديق ثمانية تقدم التقارير عن نشاطها عن طريق امانة التنسيق.

والصناديق الثمانية المذكورة هي:

- البنك الاسلامي للتنمية.
- صندوق ابو ظبي للانماء الاقتصادي العربي.
- صندوق الأوبيك للتنمية الدولية.
- الصندوق السعودي للتنمية.
- الصندوق العراقي للتنمية الخارجية.
- الصندوق العربي للانماء الاقتصادى والاجتماعي.
- الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية.

البرنامج يساعد على حفر الآبار في وسط الصحراء



● البنك العربى للتنمية الاقتصادية في افريقيا.

■ وفى عام ١٩٨٢، وحده، قدمت هذه المؤسسات الثمانية ٢٦٣٠ مليون دولار من المعونة الدولية، وكان معظمها على صورة قروض ميسرة أو عادية.

ربما لا يكون برنامج الخليج العربى من كبار الجهات المتبرعة، لكن دوره هو العمل من خلال وكالات الأمم المتحدة فقط، ولهذا تجدر المقارنة بين المعونة الميسرة التى قدمها البرنامج الى وكالات الأمم المتحدة وبين النوع نفسه من المساعدات الذى قدمته البلدان العربية السبعة الاعضاء في منظمة الأوبيك لتلك الوكالات، فقد قدم البرنامج في السنة الأولى فقط من تأسيسه نحو ١٠٪ من مجموع هذه المساعدات، وقد تجاوزت المساهمات التي قدمها ما قدمته بلدان كثيرة منفردة، منها الجزائر والعراق وليبيا وقطر والامارات العربية المتحدة.



تنظيم وحماية الأرض المروية في موريتانيا

مساعدة الفقراء والمحرومين

هناك نحو ٨٠٠ مليون شخص، أي نحو خمس سكان العالم، يصنفون في درجة الفقر المطلق وهي حالة يصفها البنك الدولي بأنها «وصلت الى درجة كبيرة





من التدهور بتأثير المرض والأمية وسوء التغذية، وأنها تتردى الى درجة حرمان ضحاياها من حقوق الانسان الأساسية وتصل الى الاستهانة بكرامة البشر».

وفى عام ١٩٨١ كان متوسط نصيب الفرد من اجمالي الناتج القومي في البلدان الصناعية ١١١٢٠ دولارا أو ما يزيد ٤٠ ضعفا عن مثيله في أفقر بلدان العالم، وهذه البلدان عددها ٣٤، ويعيش فيها نحو نصف سكان العالم وتضم هذه المجموعة من البلدان بنغلاديش وأثيوبيا وباكستان وبوتان والهند واندونيسيا وزائير، حيث يبلغ متوسط نصيب الفرد من اجمالي الناتج القومي ٢٧٠ دولارا فقط، بل انه ينخفض فى بوتان حتى ٨٠ دولارا.

وفى الثلاثين عاما الماضية كانت الهوة التي تفصل بين الأثرياء والفقراء تتسع باطراد، ففي البلدان الصناعية زاد نصيب الفرد من اجمالي الناتج القومي، بالارقام الحقيقية، بنسبة ٢٫٥٥٨٪ في حين لم يزد في البلدان ذات الدخل المنخفض إلا بنسبة ١٫٤٧٪.

وفي الظروف الاقتصادية التي تسود العالم الآن تعبر هذه الارقام تعبيرا مباشرا عن المعاناة الانسانية، فعلى الرغم من ان انتاج الاغذية في العالم زاد بنسبة ضئيلة تتجاوز نسبة زيادة السكان في السنوات الاخيرة، فان استهلاك الفرد من الحبوب قد انخفض بالفعل خلال العشرين سنة الماضية في البلدان ذات الدخل المنخفض، في شبه الصحراء الافريقية وفي جنوب آسيا وبين عامي ١٩٧٠ و١٩٨٢ انخفض انتاج الفرد من الاغذية اكثر من ٢٠٪ في أنغولا وغامبيا وموريتانيا وموزامبيق والسنغال والصومال.

أما من حيث الجوع وسوء التغذية فهذه الارقام تعني ان نحو ربع سكان البلدان النامية (باستثناء بلدان التخطيط المركزي في آسيا) لا يستطيعون أن يحصلوا على الغذاء الكافي، فمعظم البلدان التي تعاني من نقص التغذية تقع في افريقيا، لكن معظم السكان الذين يعانون من نقص التغذية يعيشون في المناطق المكتظة بالسكان في آسيا، والمعروف ان مجموع الاشخاص الذين يعانون من سوء التغذية يبلغ ٥٠٠ مليون شخص، أي بمعدل شخص من عشرة من سكان العالم.

هذا الوضع، الى جانب نقص عدد الاطباء والمستشفيات، هو السبب في ان متوسط العمر المتوقع في البلدان الصناعية يبلغ الآن ٧٥ سنة، في حين لا يتجاوز ٥٨ سنة في البلدان ذات الدخل المنخفض، ولا يصل إلا الى ٣٩ سنة في الصومال مثلا.

اما احصاءات الوفيات بين الاطفال فتثير قلقا كبيرا، ففي بعض البلدان النامية يموت طفل من خمسة فى السنة الاولى من العمر، في حين ان الرقم المقابل في البلدان المتقدمة هو ١ من ٩ بل ان النسبة في بعض البلدان المتقدمة

هي اقل من طفل من مئة طفل فى السنة الاولى من أعمارهم، بينما تصل فى البلدان النامية الى نحو ١ من ٥٠.

وحالات الوفيات نفسها فى البلدان النامية هي حالات وفاة أطفال دون سن الخامسة، ويبلغ عددهم نحو ١٧ مليون كل سنة، واذا سادت الظروف الصحية الموجودة في أوروبا الشمالية في كل أنحاء العالم يمكن تفادي ١٥ مليون حالة من حالات الوفاة المذكورة فى السنة مما يعني ان ٤١ ألف طفل على الاقل يموتون كل يوم بسبب نقص الرعاية الصحية.

وأخيرا، فإن التعليم لم يصل بعد الى معظم الناس في البلدان النامية، فالذين يستطيعون القراءة والكتابة في البلدان ذات الدخل المنخفض لا يتجاوزون نصف عدد السكان إلا بنسبة قليلة، وفي بعض البلدان ما هو أسوأ.

ففى بوركينا فاسو لا يعرف القراءة والكتابة بين الكبار إلا نسبة ٥٪ وفي النيجر تصل النسبة الى ١٠٪ أما في بوتان فان ١١٪ من التلاميذ الذين في سن المرحلة الابتدائية يلتحقون بالمدارس.

■ ***هذه هي الأوضاع التي أراد البرنامج ان يتصدى لها، من فقر ومرض وسوء تغذية ونقص فى فرص التعليم، وقد بدأ البرنامج العمل من خلال ٨ من وكالات الامم المتحدة، وأصبح يقدم المساعدة حيثما تطلب، وحيثما يكون نفعها مباشرا لأكبر عدد من الناس، ويتركز العمل الذي يؤديه البرنامج بالتعاون مع منظمة الاغذية والزراعة للأمم المتحدة على ثلاثة مجالات رئيسية: تحسين البذور، توزيع الاسمدة، تلافي خسائر المحاصيل والأغذية، وفي منتصف عام ١٩٨٤ كان هناك ١٧ مشروعا مشتركا بين المنظمة والبرنامج تمت الموافقة على تخصيص الأموال المطلوبة لها، ومن هذه المشروعات ثلاثة تتعلق بتحسين البذور، ومشروعان لتوزيع الاسمدة وثمانية مشروعات لتلافي خسائر المحاصيل والأغذية. أما المشاريع الاخرى فتناولت دعم دور المرأة فى الزراعة في زيمبابوي (٥٠٠ الف دولار) وزيادة الانتاج البستانى فى البحرين (٤١٥ ألف دولار)، وتحسين الطرق الزراعية فى الفيليبين (٢٠٠ ألف دولار) وزيادة الانتاج الغذائي عن طريق الارشاد الزراعي في الصين الشعبية (٥٠٠ الف دولار).***

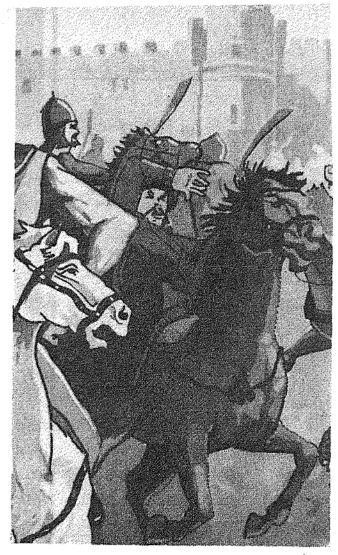
نشاط برنامج الخليج العربى

خلال السنوات المالية الثلاث الأولى (التى انتهت في اغسطس ١٩٨٤) مول البرنامج ١٤١ مشروعا بمقدار ١٠٩ ملايين دولار. وقد أفادت هذه المشاريع ١٨٠ مليون شخص في أكثر من ٩٠ بلدا فى جميع المناطق النامية في العالم. والمعروف أن برنامج الخليج لا يقدم كل الأموال لدعم مشاريع فى بلد واحد فقط، فمثلا مشروع إقليمي في افريقيا يقدم الأدوية المضادة للملاريا لعشرة بلدان، وهناك مشروع آخر لتحسين الصحة في الريف وتقديم مياه الشرب النظيفة والرعاية الصحية لاثني عشر بلداً آسيويا.

أما المشاريع الدولية السبعة، أي المشاريع التى تعاون بلداناً في مختلف المناطق فأكبرها مشروع يكلف ٩٫٦٥ مليون دولار لتحسين الأحوال الصحية فى الريف، وتوفير مياه الشرب النظيفة والرعاية الصحية، ويعمل هذا المشروع فى الهند وفى ١٤ بلدا آخر في كل من افريقيا وآسيا.

ويتبين من هذه الرسوم البيانية كيفية توزيع أموال برنامج الخليج العربى، حسب المناطق وحسب القطاعات وحسب التعاون مع مختلف منظمات الأمم المتحدة، وفى الوقت الحاضر تخصص معظم الأموال لصندوق الأمم المتحدة

للاطلاع على بقية التحقيق ـ فضلا
راجع ص ص ١١٢-١١٣



شـعـر

أين الألى؟

شعر: أسامة عبد الرحمن (الرياض)

كيف الحجى .. ما قاوم التضليلا
وهو الذى حمل اليراع صقيلا
ما عاد فى التاريخ ظل غمامة
فوق الحروف النازفات .. ظليلا
قد كان كل الحرف عطرى الندى
وأريجه مثل النسيم عليلا
أما اذا ما سل حدا صارما
ملأ المدى مثل السيوف صليلا

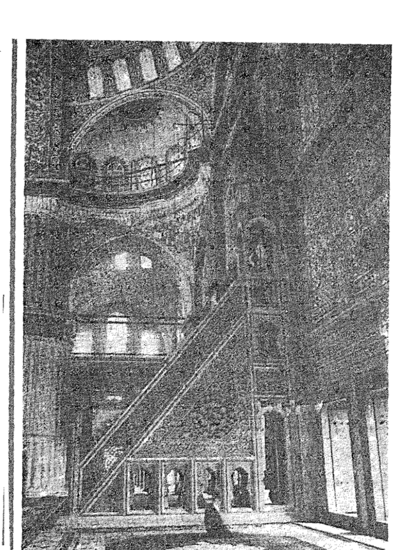
***

أين الألى كان الحجى نبراسهم
هل كان الا صادقا وأصيلا
خاضوا الدياجى .. والدروب طويلة
لم يرهقوا بالدرب كان طويلا
كى يلثموا وجه الصباح ويشبعوا
فيه السنا بحروفهم تقبيلا
كي يكتبوا بالعزم فصلا رائعا
فيه البطولة هللت تهليلا
مدت على الافاق ظل غمامة
يلقى بها .. ابن السبيل مقيلا
وعلى الصحائف اينعت كلماتها
بين الفصول سنابلا ونخيلا

***

أين الألى .. والحق كان سبيلهم
طوبى لحق ان يكون سبيلا
طوبى لحرف .. حين يرسم لوحة
وجه الصباح بها يطل جميلا
طوبى لحرف .. أن يظل شموخه
رغم الضلال مشعشعا ونبيلا
طوبى لحرف .. أن يكون لأمة
نحو الكرامة قائدا ودليلا
طوبى لحرف .. أن يكون لعزة
قعساء من أقصى الزمان سليلا
أين الألى .. قد ورثوا عز السنا
منذ ابتداء الدهر جيلا جيلا
كان الاباء خليلهم أنى مضوا
طوبى اذا كان الاباء خليلا
طوبى اذا كان الاباء مرافقا
لذوى الحجى ومسودا ووكيلا
مشكاته تجتاح أستار الدجى
وتظل شمسا بكرة وأصيلا
لو قطرة من جدول لذوى الحجى
تروى لكل الظامئين غليلا

الخطبة



بقلم صالح على العود

الامين العام لمركز التربية بفرنسا

شرع الاسلام الخطبة يوم الجمعة، وجعلها من شعائره الكبرى وخصائصها العظمى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله**﴾ (الجمعة/ آية ٩).

واهتم بالخطابة غاية الاهتمام، وربطها ربطا وثيقا بالصلاة حيث عدها شرطا فى صحة الجمعة: عن جابر بن سمرة قال: «كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس» (رواه مسلم فى صحيحه). ورفع من شأنها فخصها بمنبر يقوم عليه الخطيب عند إلقائها: عن أبى حازم بن دينار أن رجالا أتوا سهل بن سعد الساعدي وقد امتروا في المنبر مم عوده فسألوه عن ذلك فقال: والله إني لأعرف مما هو، ولقد رأيته أول يوم وضع، وأول يوم جلس عليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ أرسل رسول الله الى فلانة امرأة قد سماها سهل: مري غلامك النجار أن يعمل لي أعوادا أجلس عليهن اذا كلمت الناس، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة ثم جاء بها فأرسلت الى رسول الله فأمر بها فوضعت ههنا، الحديث رواه البخاري في صحيحه، وأوجب الإنصات للخطبة على من سمعها: عن أبى هريرة أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «اذا قلت لصاحبك: أنصت، يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت» (رواه البخاري ومسلم)، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا، والذى يقول له أنصت ليست له جمعة» (رواه أحمد بإسناد لا بأس به).

وشرط لها شروطا وأقام لها أركانا، إكراما لها وتعظيما:

● **كونها فى الوقت**: عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: كنا نجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفيء. رواه مسلم.

● **كونها قبل الصلاة**: عن أبى هريرة عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام». رواه مسلم.

بة .. وأهميتها في الإسلام

● **بحضور من تنعقد بهم**: عن طارق بن شهاب أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: «الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض» رواه أبو داود بإسناد صحيح إلا أنه قال: طارق بن شهاب رأى النبي ﴿ﷺ﴾ ولم يسمع منه شيئا[1].

● **كونها في المسجد**: عن جابر بن عبد الله قال: دخل رجل المسجد ورسول الله ﴿ﷺ﴾ يخطب يوم الجمعة فقال: أصليت، قال: لا، قال: قم فصل ركعتين» . رواه البخاري ومسلم .

● **الطهارة لها**: لأن الخطبة بمنزلة شطر الصلاة. لما روى ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: فانما قصرت الجمعة لمكان الخطبة، فكما تشترط الطهارة في الصلاة تشترط فيها.

● **الجلوس في أولها**: عن عبد الله بن عمر أن النبي ﴿ﷺ﴾ كان اذا خرج يوم الجمعة جلس - يعني على المنبر - حتى يسكت المؤذن، ثم قام فخطب. رواه أبو داود .

● **التأذين عندها**: عن السائب بن يزيد قال: إن الأذان يوم الجمعة كان أوله حين يجلس الامام يوم الجمعة في عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾.. الحديث رواه البخاري .

● **القيام فيها ثم الجلوس بين الخطبتين**: عن عبد الله بن عمر قال: كان النبي ﴿ﷺ﴾ يخطب يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم يقوم كما يفعلون اليوم. رواه البخاري ومسلم.

● **اشتمالها على حمد الله والثناء عليه**: عن جابر قال: كانت خطبة النبي ﴿ﷺ﴾ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه. . الحديث رواه مسلم .

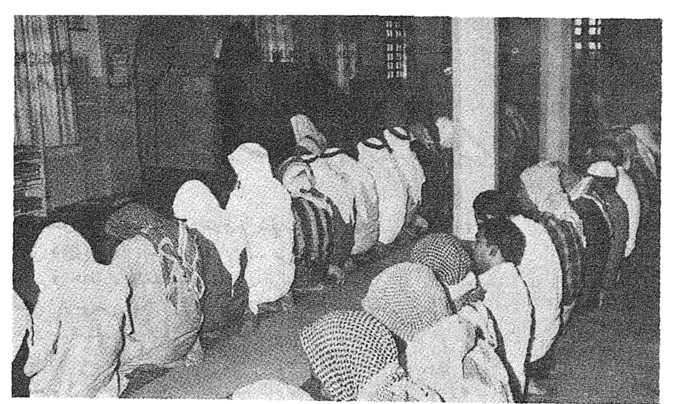
● **اشتمالها على قراءة آية**: عن عمرة بنت عبد الرحمن عن أخت لعروة قالت: أخذت (ق والقرآن المجيد) من في رسول الله يوم الجمعة وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة. رواه مسلم .

● اشتمالها على «أما بعد» وعلى التحذير والتبشير والوصية بالتقوى: عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين - ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى - يقول: أما بعد، فان خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة رواه مسلم .

● **الدعاء للمؤمنين**: عن سمرة بن جندب أن النبي ﴿ﷺ﴾ كان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات كل جمعة. رواه البزار بإسناد لين[2]، وفي رواية الطبراني في الكبير بزيادة: المسلمين والمسلمات.

■ هذه أهم ما يجب أن تكون عليه خطبة الجمعة في الاسلام لما لها من فضل ومكانة.

وأول جمعة جمعت في الاسلام كانت في المدينة قبل مقدم رسول الله ﴿ﷺ﴾ اليها، وفي ذلك يقول ابن سيرين: جمع أهل المدينة قبل أن يقدم رسول الله المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة، وذلك أن الأنصار قالوا: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وكذا للنصارى، فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه ونذكر الله ونصلي ونشكره، فاجعلوه يوم العروبة، وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه، وذبح لهم

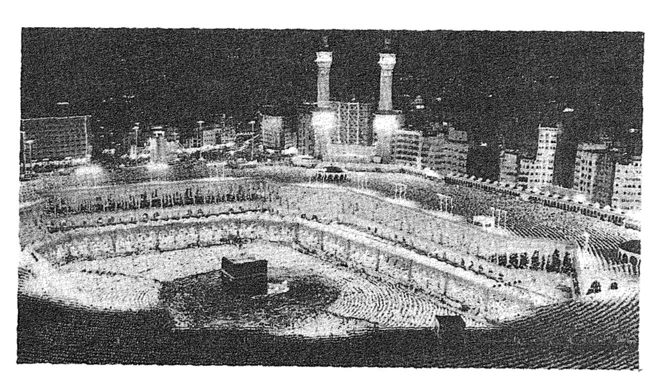


اسعد شاة فتغدوا وتعشوا من شاة وذلك لقلتهم، فأنزل الله في ذلك بعد: ﴿**اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة**﴾ الآية.

والكلام عما يجب أن يكون عليه الخطيب، وما يتوفر فيه، طويل لا تحتمله هذا العجالة، ومحله كتب الفقه الاسلامي.

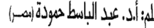
(١) قال المحدث الشيخ أحمد بن الصديق في كتابه مسالك الدلالة: وهذا غير قادح في صحة الحديث لأن مرسل الصحابي حجة عند الجميع غير أبي اسحق الاسفراييني.

(٢) في سبل السلام للصنعاني: قال البزار: لا نعلمه عن النبي ﴿ﷺ﴾ الا بهذا الإسناد وفي إسناد البزار يوسف بن خالد البستي وهو ضعيف.



الدجال وابن صياد





بقلم: أ.د. عبد الباسط حمودة (مصر)

نقل القرطبي[1] من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن يهوديا أتى النبى ﴿ﷺ﴾ (حديث طويل منه) فأخبرنى عن الدجال أمن ولد آدم هو أم من ولد إبليس؟ قال: (هو من ولد آدم لا أنه من ولد إبليس، وأنه على دينكم معشر اليهود) الحديث.

ويروى الترمذى عن أبى بكرة، قصة رسول الله ﴿ﷺ﴾ (يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما ولد أعور أضر شىء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه) ـ ثم نعت رسول الله ـ ﴿ﷺ﴾ أبويه فقال: (أبوه طوال ضرب اللحم، كأن أنفه منقار، وأمه أمرأة فرصاخية طويلة اليدين). قال أبو بكر فسمعنا بمولود فى اليهود بالمدينة، فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فيهما، فقلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد، ثم لنا غلام أعور، أضر شىء وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه، قال: فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل فى الشمس فى قطيفة، وله همهمة فكشف عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم تنام عيناى ولا ينام قلبى[2].

وروى البزار عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد: الدجال، فقلت له: أتحلف على ذلك! قال: إنى سمعت عمر يحلف بالله على ذلك عند النبى ﴿ﷺ﴾ فلم ينكره النبى ﴿ﷺ﴾.

وعن نافع قال: كان ابن عمر يقول: والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد.

وروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال خرجنا حجاجا أو عمارا ومعنا ابن صياد. قال فنزلنا منزلا، فتفرق الناس، وبقيت أنا وهو، فاستوحشت منه وحشة شديدة ـ مما يقال عليه ـ قال: وجاء بمتاعه فوضعه على متاعى، فقلت: إن الحر شديد فلو وضعته تحت تلك الشجرة، قال: ففعل فرفعت لنا غنم فانطلق بعس[3] فقال: اشرب أبا سعيد فقلت: إن الحر شديد واللبن حار ما بى إلا أنى أكره أن أشرب عن يده، أو قال: أخذه عن يده، فقال: أبا سعيد من خفى عليه حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ ما خفى عليكم معشر الأنصار، ألست من أعلم أصحاب رسول الله؟ أليس قد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: (هو كافر وأنا مسلم) أو ليس قد قال رسول

الله ﴿ﷺ﴾ : «لا يدخل المدينة ولا مكة، فقد أقبلت من المدينة وأنا بمكة) وفى رواية : وقد حججت، قال أبو سعيد: حتى كدت أن أعذره ثم قال: أما والله إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن. قال قلت له: تبا لك سائر اليوم، وفى رواة: قال أبو سعيد وقيل له أيسرك أنك ذاك الرجل، أى الدجال، قال: فقال لو عرض على ما كرهت.

■ وعن ابن عمر قال: لقيت ابن صياد مرتين، فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا والله، قال: قلت: كذبتنى والله، لقد أخبرنى بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالا وولدا، فكذلك هو زعموا اليوم، قال: فتحدثنا ثم فارقته قال: فلقيته أخرى وقد نفرت عينه قال: فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدرى، قال: قلت لا تدرى وهى فى رأسك، قال: إن شاء الله خلقها فى عصاك هذه، قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت، قال فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعصا كانت معى حتى تكسرت، وأما أنا فوالله ما شعرت، قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها: فقالت: ما تريد إليه، ألم تعلم أنه قد قال إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه.

وعنه قال: انطلق رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأبى بن كعب إلى النخل التى فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﴿ﷺ﴾ النخل طفق يتقى بجذوع النخل، وهو يحتل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو مضطجع على فراش فى قطيفة له فيها زمزمة، فرأت أم ابن صياد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو يتقى بجذوع النخل فقالت لابن صياد ياصاف - وهو اسم ابن صياد - هذا محمد، فثار ابن صياد فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : (لو تركته بين) وفى رواية قال له رسول الله ﴿ﷺ﴾ : (إنى قد خبأت لك خبئا) فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (أخسأ فلن تعدو قدرك) فقال عمر بن الخطاب: ذرنى يارسول الله أضرب عنقه، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : (إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير فى قتله) وفى رواية[١]: (إن يكن هو فلست صاحبه إنما صاحبه عيسى بن مريم وإن لم يكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد) وفى رواية عن جابر أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ لقى ابن صياد ومعه ابو بكر وعمر فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ أتشهد أنى رسول الله، فقال ابن صياد أتشهد أنى رسول الله، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ آمنت بالله ورسوله، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ما ترى؟ فقال ابن صياد أرى عرشا على الماء فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ترى عرش إبليس على البحر، قال ما ترى؟ قال: أرى صادقين أو كاذبين، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ليس عليه ليس عليه فدعوه.

وفى رواية عن الحسين بن على - رضى الله عنهما - قال: خبأ النبى ﴿ﷺ﴾ لابن صائد دخانا فسأل عما خبأ فقال: دخ فقال: اخسأ فلن تعدو أصلك، فلما ولى رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال القوم وماذا قال: قال بعضهم دخ، وقال بعضهم بل زخ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ هذا وأنتم معى تختلفون فأنتم بعدى أشد اختلافا.

وعن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: أحلف عشرا أن ابن صياد هو الدجال، أحب إلى من أن أحلف واحدة أنه ليس به وذلك لشىء سمعته من رسول الله ﴿ﷺ﴾ بعثنى رسول الله إلى أم ابن صياد فقال: سلها كم حملت به؟ فقالت: حملت به اثنى عشر شهرا، فأتيته فأخبرته، فقال: سلها عن صيحته حيث وقع؟ قالت: صاح صياح صبى شهرين، وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ إنى خبأت لك خبيا فقال: خبأت لى عظم شاة عفراء، وأراد أن يقول والدخان، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ اخسأ فإنك لن تسبق القدر.

وعن ابن عمر قال: لقيت ابن صياد فى طريق من طرق المدينة فانتفخ حتى ملأ الطريق، فقلت اخسأ فإنك لن تعدو قدرك، فانضم بعضه إلى بعض ومررت.

وكون ابن صياد هو الدجال تأرجحت آراء العلماء بين القطع بذلك أو استبعاد أنه سوف يأتى فى آخر الزمان، وأنه لم يولد وسيولد فى آخر الزمان. ولكن

القـرطبى يرجـح أن ابن صياد هو الـدجـال لكثرة النصـوص الدالة على ذلك فيقول: قال أبو سليمان الخـطابى: وقـد اختلف النـاس فى أمـر ابن صياد اختلافا كثيرا، وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول وقد يســأل عن هذا فيقـال: كيف يقـارن رسـول الله ﴿ﷺ﴾ من يدعى النبوة كاذبا ويتركه بالمدينة يساكنه فى داره ويحاوره، وما وجه امتحانه إياه بما خبأ له من آية الدخان وقوله بعد ذلك: اخسأ فلن تعدو قدرك.

قال أبو سليمان: والذى عندى أن هذه القضية إنما جرت معـه أيام مهـادنـة رسـول الله ﴿ﷺ﴾ اليهود وحلفـاءهم. . وكـان ابن صياد منهم أو دخيلا فى جملتهم وكان يبلغ رسول الله ﴿ﷺ﴾ خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب فامتحنوه بذلك ليروا آية أمـره، فلما كلمـه علم أنه معطل وأنه من جملة السحـرة والكهنة. . فلما سمع منه قول الدخ زجره وقال: اخسأ فلن تعدو قدرك.

والحكمة فى أمره أنه كان فتنة امتحن الله بها عباده المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة.

وقد اختلفت الروايات فى أمر ابن صياد فيما كان من شأنه بعد كبره، فروى أنه تاب عن ذلك القول، ثم إنه مات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم اشهدوا.

قال الشيخ: الصحيح خلاف هذا لحلف جابر وعمر أن ابن صياد الدجال، وروى أن أبا ذر كان يقول: هو الـدجـال، وروى ذلك عن ابن عمر، قال ابن جابر: فقدناه يوم الحرة هذا وما كان مثله يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة والله أعلم.

ثم قال القـرطبى: والصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم وما يبعد أن يكون بالجزيرة[٥] ذلك الوقت ويكون بين أظهر الصحابة فى وقت آخر إلى أن فقدوه يوم الحرة.

وفى كتاب أبى داود فى خبر الجساسة من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: شهد جابر أنه هو ابن صياد قلت: فإنه قد مات، قال: وإن مات، قلت: فإنه قد أسلم قال: وإن أسلم، قلت: فإنه قد دخل المدينة، قال وإن دخل المدينة.

وذكر سيف بن عمر فى كتاب: الفتوح والردة: ولما نزل أبو سبرة فى الناس على السوس وأحاط المسلمون بها، وعليهم الشهـر بان اخـو الهـرمـزان، ناوشوهم القتال، كل ذلك يصيب أهل السوس من المسلمين، فأشرف عليهم يوما الرهبان والقسيسون، فقالوا: يا معشر العرب إن مما عهد علماؤنا وأوائلنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال. فإن كان الـدجال فيكم فستفتحونها، وإن لم يكن فيكم فلا تعنوا أنفسكم بالحصار. قال: وصاف بن صياد يومئذ مع النعمان فى جند، فأتى باب السوس غضبان فدقه برجله وقـال: انفتـح فطار، فتقـطعت السـلاسـل وتكسرت الأغلاق، وتفتحت الأبواب، ودخل المسلمون.

وقصته مع أبى سعيد، وقوله: والله إنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن.

وقال الترمذى: وأين هو الساعة من الأرض، وأعرف والده، كالنص فى أنه هو. . والله أعلم.

نزول عيســـى (عليـه السـلام)

ينقـل القـرطبى عن الحافظ أبى الخطاب ثلاثة وعشرين قولا[٦] فى لفظ المسيح، وإلى جنب ما ذكرنا - عند الكلام على المسيح الدجال - نختار بعض ما جاء من هذه الألفاظ منها: مسيح بسكون السين وكسرها - على وزن مفعل فأسكنت الياء ونقلت حركتها إلى السين لاستثقالهم الكسرة على الياء.

ومنهـا أن أصـل الكلمـة (هاما شيحا) بالشين المعجمة فعربت إلى (مسيا) وكذلك تنطق به اليهود.

ومنها: سمى مسيحا لأنه كان أمسح الرجل ليس له أخمص، والأخمص ما لا يمسح الأرض من باطن الرجل.

ومنهـا: المسيح الـذى يمسح الأرض أى يقطعها، وسمى عيسى بذلـك لأنـه كان تارة بالشـام، وتارة بمصر، وتـارة على سواحـل البحـر، وفى المهـامـه (الصحراء) والقفار.

ويأتى نبأ نزول ـ عيسى عليه السلام ـ فى قصة قصيرة تلقاها رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن ربه: (أخبرت ببلايا تصيب أمتى من خسف وقذف ونار تحشرهم، وريح تقذفهم فى البحر، وآيات متتابعات بنزول عيسى وخروج الدجال).

وقد تقدمت روايات منها: (فيكون عيسى ـ عليه السلام ـ فى أمتى حكما وعدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة... الخ).

قال كعب الأحبار: إن عيسى ـ عليه السلام ـ يمكث فى الأرض أربعين سنة ويكثر الخير على يديه، وتنزل البركات فى الأرزاق حتى إن العنبة ليأكل منها الرجل حاجته ويفضل، والقطف من العنب يأكل منه الجمع الغفير والخلق الكثير، حتى إن الرمانة لتثقل الجمل، وحتى إن الحى ليعبر بالميت فيقول: قم فانظر ما أنزل الله من البركة، وإن عيسى ـ عليه السلام ـ يتزوج بامرأة من آل ـ فلان ـ ويرزق منها ولدين، فيسمى احدهما محمد والآخر موسى، ويكون الناس معه على خير وفى خير زمان وذلك أربعين سنة ثم يقبض الله روح عيسى ـ عليه السلام ـ ويذوق الموت ويدفن إلى جانب النبى ﴿ﷺ﴾ فى الحجرة ويموت خيار الأمة، ويبقى شرارها فى قلة من المؤمنين فذلك قوله (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ).

وهذه قصة من قصص رسول الله ﴿ﷺ﴾ تؤيد رواية كعب الأحبار. قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: (يمكث عيسى فى الأرض ـ بعد ما ينزل ـ أربعين سنة، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه).

وروى عنه أيضا(٧): (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل، وأنه يقتل الخنزير، ويكسر الصليب ويفيض المال حتى يهلك فى زمانه الملك كلها غير الاسلام، وحتى يهلك الله فى زمانه مسيح الضلالة الأعور الكذاب، وتقع الأمنة فى الأرض حتى يرعى الأسد مع الابل، والنمر مع البقر، والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات، فلا يضر بعضهم بعضا، يبقى فى الأرض أربعين سنة، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه) وفى رواية عبد الله بن عمر: (ويدفن معى فى قبرى، فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبى بكر وعمر).

وفى رواية: (إنه يتزوج امرأة من العرب بعدما يقتل الدجال، وتلد له بنتا فتموت، ثم يموت هو بعدما يعيش سنتين).

وفى رواية(٨) قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: (كيف أنتم إذا نزل عيسى بن مريم فيكم وإمامكم منكم ـ وفى رواية فأمكم منكم) قال ابن أبى ذئب: تدرى ما إمامكم منكم؟ قلت تخبرنى: قال: فأمكم بكتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة نبيكم ـ ﴿ﷺ﴾ ـ قال: (والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بنفخ من الروحاء حاجا أو معتمرا أو ليثنيهما) وقال: (ليدركن المسيح بن مريم رجالا من أمتى مثلكم أو خيرا منكم) يقول ذلك ثلاث مرات.

وفى رواية أبى هريرة أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: (ينزل عيسى بن مريم على ثمانمائة رجل وأربعمائة امرأة خيار من على الأرض يومئذ وكصلحاء من مضى).

وهذه قصة تتضمن بعض المعانى السابقة رويت عن جابر بن عبد الله يقول سمعت النبى ﴿ﷺ﴾: (لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فيقول أميرهم: تعال صل بنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء لكرامة الله لهذه الأمة).

ويرى القرطبى فى سبب نزول المسيح ـ عليه السلام ـ فى هذا الوقت، لأن اليهود همت بقتله وصلبه، مما جاء ذكره فى القرآن الكريم، ونسبوا إليه السحر وغيره، مما نزهه الله منه، وضرب عليهم الذلة والمسكنة فلم تقم لهم قائمة منذ أعز الله الاسلام، حتى إذا اقتربت الساعة وظهر الدجال، وهو أسحر السحرة، بايعه اليهود ويكونون من جنده، لينتقموا من المسلمين فينزل الله عيسى ـ عليه السلام ـ

ليدحضهم والمنافقين والمخالفين، ويقتل الدجال المدعى للربوبية، ويهزم جنده من اليهود، بمن معه من المؤمنين فلا يجدون مهربا، وإن توارى أحد منهم بشجر أو حجر أو جدار، ناداه: ياروح الله هاهنا يهودى حتى يوقف عليه فإما أن يسلم وإما أن يقتل، وكذلك كل كافر حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر.

ويحتمل نزول المسيح - عليه السلام - من السماء لدنو أجله، لأنه لا ينبغى لمخلوق من التراب أن يموت فى السماء لقول الله تعالى ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ ثم يعيش مدة ثم يقبضه الله ويصلى عليه المؤمنون، ويدفن حيث دفن الأنبياء: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم**﴾.

ووجه ثالث فى نزول - عيسى عليه السلام - من السماء أنه وجد فى الانجيل فضل أمة محمد ﴿ﷺ﴾ حسب ما قال وقوله الحق: ﴿**ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل**﴾ فدعا الله - عز وجل - أن يجعله من أمة محمد ﴿ﷺ﴾ فاستجاب الله له دعاءه، ورفعه إلى السماء إلى أن ينزل آخر الزمان مجددا لما درس من دين الاسلام، دين محمد - عليه الصلاة والسلام.

وجاء فى قصص رسول الله ﴿ﷺ﴾ ما يشير إلى حواري عيسى - عليه السلام - عند نزوله مما روى عن كثير بن عبد الله بن عوف عن أبيه عن جده قال:[9] غزونا مع النبى ﴿ﷺ﴾ وذكر الحديث المتقدم: (لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم عبد الله ورسوله حاجا أو معتمرا أو ليجمعن الله ذلك له) . . الخ.

قال كثير: فحدثت بهذا الحديث محمد بن كعب القرطبى قال: ألا أرشدك فى حديثك هذا؟ قلت: بلى، فقال كان رجل يقرأ التوراة والانجيل فأسلم وحسن إسلامه، فسمع هذا الحديث من نص بعض القوم فقال: ألا أبشركم فى هذا الحديث؟ فقالوا: بلى، فقال: إنى أشهد أنه مكتوب في التوراة التى أنزلها الله على موسى - عليه السلام - وأنه مكتوب فى الانجيل الذى أنزله الله على عيسى بن مريم - عليه السلام - عبد الله ورسوله وأنه يمر بالروحاء حاجا أو معتمرا أو يجمع الله له ذلك ، فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم، فيمر حجاجا فإنهم لم يحجوا أو لم يموتوا.

وذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول فى الاصل الثالث والعشرين والمائة قال:

حدثنا الفضل بن محمد الواسطى قال: حدثنا إبراهيم بن الوليد الدمشقى قال حدثنى أبى قال: حدثنا عبد الملك بن عقبة الأفريقى، عن أبى يونس مولى أبى هريرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بعثنى خالد بن الوليد بشيرا إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوم مؤتة، فلما دخلت عليه قلت: يارسول الله فقال: (على رسلك ياعبد الرحمن، أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل - رحم الله زيدا - ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل حتى قتل - رحم الله جعفراً - ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل - رحم الله عبد الله بن رواحة - ثم أخذ اللواء خالد، ففتح الله لخالد، فخالد سيف من سيوف الله، فبكى أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهم حوله فقال: ما يبكيكم؟ قالوا وما لنا لا نبكى وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا، فقال: لا تبكوا فإنما مثل أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها، فاجتب رواكبها وهيأ مساكبها، وحلق سعفها فأطعمت عاما فوجا، ثم عاما فوجا فلعل آخرها عاما طعما يكون أجودها قنوانا، وأطولها شمراخا، والذى بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم فى أمتى خلقا من حواريه) وفى رواية قال: (ليدركن المسيح من هذه الأمة أقواما إنهم لمثلكم أو خير منكم ثلاث مرات ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها).

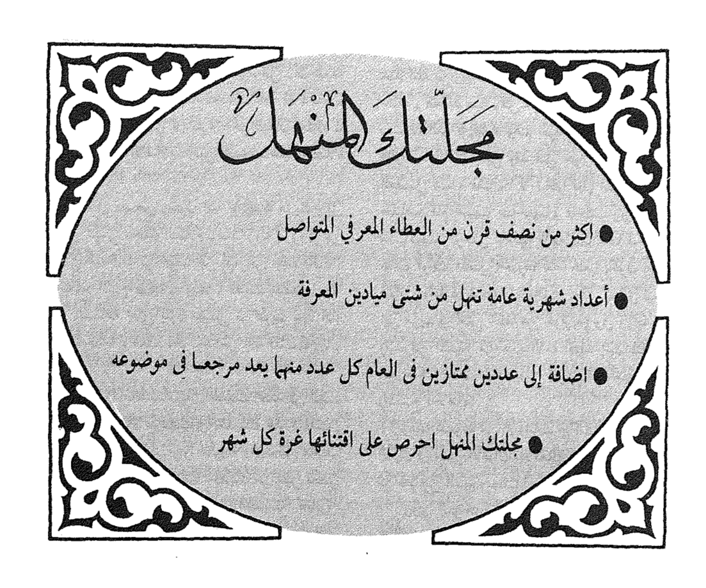
وهذه مجموعة من الروايات جاءت فى منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال[10] تحتوى على طائفة من قصص النبوة وبعضها يؤكد الروايات السابقة.

روى أبو هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: (والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح بن مريم حكما مقسطا وإماما عدلا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية،

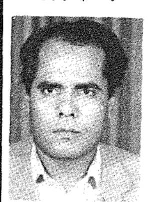
ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها) وعنه أيضا: (ليهبطن عيسى بن مريم حكما وإماما مقسطا، وليسلكن فجا حاجاً أو معتمرا، وليأتين قبرى حتى يسلم علي، ولأردن عليه) وعن جابر - رضى الله عنه - عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: (عصابتان من أمتى أحرزهما الله - تعالى - من النار: عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم).

وعن ثوبان: (طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء فى القطر، ويؤذن للأرض فى النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاحن ولا تحاسد ولا تباغض).

(١) التذكرة ص ٧٧٧ وما بعدها. انظر الاصابة جـ٥ ص١٣٦
(٢) قال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.
(٣) العس - بضم العين - القدح الكبير.
(٤) منتخب كنز العمال مسند الامام أحمد جـ٦ ص٥٤.
(٥) سيأتى ذكر الجزيرة عند الحديث عن الجساسة.
(٦) التذكرة ص ٧٦٦.
(٧) تنبيه الغافلين ص٢٩٩.
(٨) التذكرة ص ٧٦٢.
(٩) التذكرة ص ٧٧٣.
(١٠) حاشية مسند الامام احمد جـ٦ ص٥٤.



شعراء مجهولون:



ابن خلكان.. شاعرًا

● النماذج التى بين أيدينا من شعر ابن خلكان من الشعر الوجدانى العاطفى الرائع لا نلمس فيها أثرا للسياسة.

بقلم: د. مصطفى رجب

حين يظلم التاريخ علما من الأعلام فيضعه حيث طارت شهرته، ويغفل وضعه فى مجالات أخرى برع فيها وأبدع، يكون هذا مقبولا على مضض، فمثلا يقدم التاريخ الينا ابن سينا على أنه طبيب بارع، وأحيانا على أنه فيلسوف، ونادرا ما يقدمه الينا على انه شاعر مجيد أيضا.

ولكن حيث يظلم التاريخ علما من الاعلام، ويكون هذا العلم مؤرخا صناعته تدوين التاريخ، نجد أنفسنا أمام موقف غريب يثير الضحك الحزين أو الحزن الضاحك ان جاز التعبير.

فمن المعروف أن كتاب «**وفيات الأعيان**» ـ بفتح الواو والفاء ـ لابن خلكان من أشهر كتب التراجم فى تراثنا العربى ذلك انه تميز من دونها بميزات عديدة منها انه ترجم لمساحات زمنية واسعة قد تصل الى ستة قرون من الزمان، ومنها انه كان يهتم بذكر تواريخ الميلاد والوفاة، ومنها انه كان يتحرى الصدق فى الروايات التى ينقلها عمن سبقوه، ومنها انه كان يذكر البارعين المشاهير فى مجالات مختلفة، فلا يترجم لفئة دون فئات كما فعل بعض سابقيه ممن اهتموا بالترجمة للشعراء فقط أو للمفسرين فقط أو لرجال الحديث فقط.

وقد نال ابن خلكان عناية تليق بمكانته كمؤرخ متميز بين المؤرخين حققها بكتابه ذاك، وبمنهجه العلمى السديد الذى التزمه فيه، وقد حظى كتابه باهتمام لاحقيه من المؤرخين فنهلوا من معينه، واعترفوا له بالفضل والسبق والاجادة، وان كان لم يسلم ـ كغيره من العلماء ـ من الطعن والغمز سواء فى منهجه العلمى، أو على مستوى سلوكه الشخصى، ولعل هذا راجع الى الحسد الذى أشار الامام الغزالى فى كتابه «**أصناف المغرورين**» الى أنه يكون بين العلماء.

ولكن الجانب المجهول من حياة ابن خلكان هو كونه شاعرا بل لقد كان شاعرا رقيقا وظريف المعانى، جيد السبك، مستريح القافيه، تبدو لغته الشعريه فى غاية الروعة والرقة.. وليت التاريخ ـ الذى كان صناعته.. قد حفظ لنا هذا الجانب المشرق من جوانب شخصية ابن خلكان.

وابن خلكان هو أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكى الاربلى ويكنى بأبى العباس. قال عنه الزركلى فى الاعلام (١/ ٢٢٠) هو المؤرخ الحجة، والاديب الماهر، وكتابه «**وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**» اشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً واحكاماً. ولد فى أربل بالقرب من الموصل على شاطىء دجلة الشرقى، وانتقل الى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها وسافر الى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام، ثم عزل بعد عشر سنين، فعاد الى مصر وأقام بها سبع سنين ثم أعيد قاضيا للشام، ثم عزل بعد مدة وتفرغ للتدريس فى كثير من مدارس دمشق حتى توفى بها سنة احدى وثمانين وستمائة، وكان مولده سنة ثمان وستمائة.

ومن النماذج القليلة التى أوردها صاحب «الوافى

بالـوفيات» فى ترجمته لابن خلكان، والتى اثبتها فى مقـدمة المجلد الاول محقق كتاب «وفيات الاعيان» نستطيع أن نتبين شاعرية ابن خلكان التى لا يعرفها الكثيرون، . ونستطيع استنتاج أن هذا المؤرخ الفذ، لو أتيح لنتاجه الشعرى أن ينتشر لفاق كثيرا من كبار الشعراء الذين نعرفهم وقد يكون من السائغ أن نسأل عن سبب خمول ذكر ابن خلكان شاعرا، ولكن المؤكد اننا لا نملك اجابة قاطعة على هذا السؤال وان كانت هناك احتمالات يمكن أن نقدمها:

الاحتمال الاول: أن الرجل كان عالما كبيرا بدأ حياته بسماع صحيح البخارى بمدينة اربل من ابن مكرم الصوفى، وتتلمذ لعدد كبير من مشاهير العلماء الذين أدركهم (**كالمؤيد الطوسى وعبد المعز الهروى وغيرهما**). كما انه اشتغل بالتدريس والتأليف وقد شاعت فى تراثنا القديم فكرة تذهب الى التعارض بين العلم والشعر استشهد عليها القدماء بقول القائل (وينسب أحيانا للامام الشافعى):

ولـولا الـشـعـر بالـعـلماء يزرى
لكـنـت الـيـوم أشعـر من لبيـد

■ ومرجع هذه الفكرة الى تلك المفاهيم الخاطئة التى سادت العقلية العربية وربطت بين الجن وقرض الشعر. الامر الذى استوجب أن ينفى القرآن الكريم الشاعرية عن محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾. لان الوحى منزل من عند الله، وما يوحى به الشياطين لاوليائهم هو الكـذب والعبث. فكـان من مظاهر التقوى أن يتنزه العلماء عن قول الشعر وهذا خطأ جسيم.

الاحتمال الثانى: ان الرجل عمل بالقضاء سنين عددا، ولمنصب القاضى، أو قاضى القضاة، هيبته ورهبته التى تمنع شاغله من أن يكون كأحاد الناس. وتتطلب منه قدرا من الوقار الذى يلائم منصبه الدينى الخطير.

الاحتمال الثالث: ان الرجل وقد عرف عنه أنه عاش ميسور الحال كريم الموضع، عظيم المكانة فى قلوب القيادة الحاكمة، وفى قلوب الجماهير، لم يكن راغبا فى تحقيق شهـرة عن طريق الشعـر. فكان يستمع الى الشعراء يمدحونه، وقد يكافئهم. واذن فمن العسير عليه أن يقف مادحا بين يدى ملك أو زير أو أمير.

ويؤيد أحد هذه الاحتمالات، أو يؤيدها جميعا، أن النماذج التى بين أيدينا من شعر الرجل، كلها من الشعر الوجدانى العاطفى الرائع لا تشتم منها رائحة مدح، ولا تلمس فيها اثر سياسة.

ويستـطيع قارىء شعـر ابن خلكـان أن يلحظ ملمحين بارزين من ملامح شعره هما: «**التضمين ـ سهولة العبارة مع جودة المعنى**».

أما التضمين فهو ايراد اقتباس بنصه ووضعه فى القصيدة بحيث يبدو كما لو كان جزءا منها وهو ليس له، وقد سبقه فى هذا كثيرون. . ولكن التضمين نادرا ما يكون دقيقا رقيقا على النحو الذى نجده عند شاعرنا.

فمن ذلـك قولـه يصف ثلة من الغيد يلهـون ويسبحن فى غدير مياه حيث يقول:

وسرب ظبـاء فى غديـر تخالهـم
بدورا بافـق المـاء تبـدو وتـغـرب
يقـول عذولى، والـغـرام مصـاحبى
أمـالـك عن هذى الصبابـة مذهب؟
وفى دمـك المطلول خاضـوا كما ترى
فقلت له: «ذرهم يخوضـوا ويلعبوا»

(المطلول: المسفوك بلا ثمن)

■ فهو هنا يضمن شعره جزءا من آية قرآنية كريمة **﴿ذرهم يخوضـوا ويلعبـوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾** والصورة الشعرية مع ذلك متماسكة جيدة الـتركيب، فقـد شغفـه حب أولئـك الغيد، وهن لاهيات عنـه عابثات بمشاعره، فتخيل هو، وتخيل عذوله، ان الماء الذى يسبحن فيه هو من دمه الذى سفكه عشقه اياهن.

■ ومن ذلك تضمينه للقول المأثور فى قوله يصف غلاما:

انـظر الى عارضـه فوقـه
لحاظـه ترسـل منهـا الحـتـوف

تشاهد الجنة فى وجهه
لكنها تحت ظلال السيوف

■ ومنه فى نفس المعنى وهو يضمن من القرآن الكريم:

لما بدا العارض فى خده
بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر
فجاءنى فيه العذاب الأليم

■ ويقول مضمنا شطر بيت لأبى تمام:

كم قلت لما أطلعت وجناته
حول الشقيق الغض دوحة آس
لعذاره السارى العجول بخده
ما فى وقوفك ساعة من باس

■ فالشطر الثانى من البيت الثانى، هو الشطر الاول من مطلع قصيدة مشهورة وقف أبو تمام يمدح فيها الخليفه العباسى فقال:

ما فى وقوفك ساعة من بأس
تقضى حقوق الأربع الأدراس

■ ويروى الرواه أنه لما وصل الى قوله فى وصف مناقب الخليفة:

إقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

قال له بعض الجالسين من المنافقين: كل من شبهت الخليفة بهم أقل منه شأنا. فأطرق أبو تمام ثم ارتجل مباشرة:

لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

■ على أن لابن خلكان أشعارا فريدة فى حسنها، معانيها مبتكرة والتمكن فيها من الموهبة واضح فمن ذلك قوله يصف معاناته بعد فراق الاحباب:

وما سر قلبى منذ شطت بك النوى
نعيم ولا لهو ولا متصرف
ولا ذقت طعم الماء إلا وجدته
سوى ذلك الماء الذى كنت أعرف

■ فالبيت الثانى من هذين البيتين غاية فى دقة وصف مشاعر المحب المهجور، حين تسود فى وجهه الدنيا ويتساوى عنده الحزن والفرح ويصبح فى حالة كانعدام الوزن أو هى أسوأ، فيتغير لون الاشياء ويتفق طعمها، بل ربما تفقد حواسه القدرة على التمييز.

■ ومن ذلك قوله:

كأننى يوم بان الحى من أضم
والقلب من سطوات البين مذعور
ورقاء ظلت لفقد الالف ساجعة
تبكى عليه اشتياقاً وهو مأسور
يا جيرة الحى هل من عودة فعسى
يفيق من نشوات الشوق مخمور
إذا ظفرت من الدنيا بقربكم
فكل ذنب جناه الدهر مغفور

■ ان ابن خلكان عاشق متيم، ومحب مدله موله، ولكن شعره العاطفى يختلف عن شعر غيره من المحبين الشعراء، فهو يتغزل فى محبوبه فيبتكر المعانى ابتكارا، ويصطنع الصور الفنية فيحكم صوغها، ثم هو بعد ذلك لايتهتك ولا يستعطف، ولا يتذلل، بل يبث محبوبه أشواقه وهيامه مرتفع القامة أو قل أنه لا يتذلل لمن يتدلل بل يتعلل بالذكرى، ويرتوى بسيرة المحبوب الذى هاجر، كل ذلك فى ثوب قشيب من الصور. وقصيدته التالية خير مثال نستدل به على أنه كان حريا بشعر هذا الشاعر أن يكون له صدى بعيد المدى لولا أن طغت عليه شهرته كقاض ومؤرخ وفى هذه القصيدة يقول:

أى ليل على المحب أطاله
سائق الظعن يوم زم جماله
يزجر العيس طاوياً يقطع المهمه
عسفا سهوله ورماله
أيها السائق المُجد ترفق
بالمطايا فقَد سئمن الرحاله
وأنخها هنيهة وأرحها
قد براها السرى وفرط الكلالة

لا تطل سيرها العنيف فقد برح
بالصب فى سُراها الإطاله

■ ان الشاعر فى هذه الابيات يصف حالة الابل التى نقلت متاع المحبوب وأهله وهاجرت بهم الى بلاد لا يعلمها، وهو هنا يناشد سائق الابل أن يترفق بهذه الابل الجائعة الكليلة المرهقة التى لا تستريح، بل تجد فى سيرها كأن لها غاية تريد أن تبلغها سريعاً فهى تصل الليل بالنهار حتى سئمت الارتحال والسير. هل يصف الشاعر هنا حالته هو نفسه؟ ويتخذ من الحالة النفسية للابل معادلا موضوعيا لآلامه النفسية لابد أن الامر كذلك، فقد أسفر الشاعر فى البيت الاخير عن التوحد التام بينه وهو الصب المغرم وبين الابل، فالابل تسير وتتألم وهو أيضا يتألم كلما طال بها السير واشتد بها العذاب.

ثم ينتقل الشاعر الى خطاب سائق الابل لعله يرق لحاله فيعود بالمحبوب، فيصف لنا نفسه بأنهم تركوه حليف الوجد والهم يطوف بديار المحبوب الخالية يندب أيامه وذكرياته ويسأل هذه الاطلال التى استحالت خرابا عن محبوبه، وهو يدرك أن الاطلال المحيلة لن تجيب له سؤالا، ولكنه يقنع بمجرد الوقوف عندها والتأمل فيها ويذرف الدموع غزارا حسرة وألما على حاله:

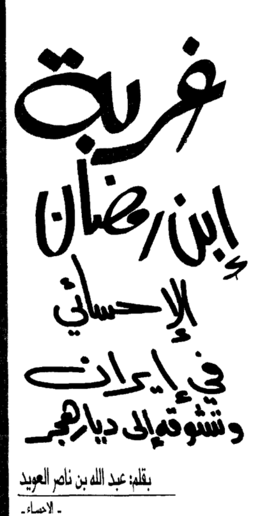
وتركتم وراءكم حلف وجد
نادباً فى محلكم أطلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى
ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب
غير أن الوقوف فيه علاله
هذه سنة المحبين يبكون
على كل منزل لا محاله
يا ديار الاحباب لازالت الأد
مع فى ترب ساحتيك مذاله
وتمشى النسيم وهو عليل
فى مغانيك ساحباً أذياله
أين عيش مضى لنا فيك ما أسـ
ـرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الشباب طلق نضير
والتصابى غصونه مياله

■ ان الشاعر يتحسر على ذكرياته فى هذه الاماكن حتى انه ليتمنى أن يعيش صورة من ماضيه ولو فى منامه حيث يستمتع للحظات بصور فاتنة ما أكثر ما استمتع بها فى عالم الحقيقة:

ولنا فيك طيب أوقات أنس
ليتنا فى المنام نلقى مثاله
وبأرجاء جوك الرحب سرب
كل عين تراه تهوى جماله
من فتاة بديعة الحسن ترنو
من جفون لحاظها مغتاله
ورخيم الدلال حلو المعانى
تتثنى أعطافه مختاله

■ أولم نقل ان شعر هذا الشاعر كان خليقا بأن يهيىء له مكانا مرموقا بين الشعراء المجدين؟ وكما رأينا فان معظم النماذج التى وصلتنا من شعره وجدانية لا تتزلف حاكما ولا تنافق أميرا ولا وزيرا ولا كبيرا، بل انه يصف ـ فقط ـ معاناته العاطفية الخاصة ولا يتبقى الا أن نشير الى الاضطراب الذى يرتبط بضبط اسم ابن خلكان، فقد روى صاحب «**روضات الجنات**» أن اسمه ينطق بفتح الخاء وتشديد اللام المكسورة، أو بضم الخاء وفتح اللام المشدده، او بكسر اللام والخاء جميعا، وجاء فى التاج أنه بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة، وهو ما نستريح اليه لاتفاق روايتين حوله، كما انه يقترب من الاسماء الفارسيه وقد سبق أن أشرنا الى أنه من ذرية البرامكة.





بقلم: عبد الله بن ناصر العويد
ـ الاحساء ـ

قائـل هذه القصيدة التليدة هو: الحاج على بن محمد آل رمضان الأحسائى، من شعراء الهفوف في القرن الثالث عشر الهجري، توفى عام ١٢٦٥هـ، بمعنى أنه معاصر للشاعر الكبير/ أحمد بن على آل مشرف.. والذي تحدثت عنه فى مجلتنا العريقة المتألقة «المنهل» عدد (ذو الحجة ١٤١٢هـ).

قال «ابن رمضان» هذه القصيدة الحزينة عندما كان فى (شيراز) من بلاد فارس (إيران) لطلب الرزق والبحث عن المعيشـة، يتـذكر فيها أهله وعشيرته، ويتشوق إلى موطنه «واحة الاحساء» المعروفة قديمـاً بـ (ديار هجر) بفتح الجيم وسكونها.

فهو ـ عبر هذه القصيدة ـ يكره ما يبدر من لوامه الـذين يستحسنون بالعمد سفك دمه، بمحاولتهم صرفه عن هواه (أحبابه وخلانه). وهو ها هنا يفاخر باقليم الأحسـاء كله، لا (حي الـرفعة) الذى كان يقـطنـه، والذى يخترقه شارع الفوارس حالياً بقلب قلعة الهفوف (العاصمة)، وكأني به يردد المثل القديم المهجور «الحسا من ذاق ماها، لم يتعد سماها» على حذف الهمزات.

فهو يتشوق إلى (العقير) ـ بضم المهملة، وفتح المثنـاة الفوقية، وسكون التحتية ـ أجل! إنه يتحنن إليه جداً جداً على الرغم من قول اللوام: إن به قذارة.

وابتدأ زفراته بالعقير، لأنه هو أول من سيحتضنه فى إيابه، إذ «العقير» هو الميناء الذى بواسطته يرحل الأحسائيون القدماء إلى العالم بحراً حيث يبحرون إلى (البحرين، وعمان، والهند، وزنجبار... الخ).

وشاعر يتقطع ألمـاً لفراق بلاده وذويه لابد له أن يدعـو بأن يسقيهـا الله الغيث حتى يتسنى لأرض الحسا الطاهرة الطيبة أن تلبس ثوبها الاخضر.

والأحسـاء عند شاعرنا لا تظهر من الرجال إلا أسودها، ولا من النساء إلا ظباءها. وبعد أن دعا لها شرع يسلم عليها سلام المحب النازح الهالك (كما هو واضح فى البيت رقم ١٧). ثم أخذ يلوم الدهر الذى وقف أمامه محارباً بجنده بعد أن أبدله بقرب احبابه بعدا.

واختتمهـا برجـائه من الله الكريم أن يشفيه، ويخفف آلامه، وييسر رحلته حتى يصل إلى أحبابه بأمان وسلام، ما دام حيا.. وقبل أن يسكن اللحد.

حقيقة.. القصيدة رائعة جداً، لا نملك إلا أن نترحم لقائلها وندعو لمن تطوع بتزويدنا هذه النسخة من المخطوطة، وهو الأخ الكريم «جواد بن حسين الرمضان» (أبو حسن) عضو النادى الأدبى بالمنطقة الشرقية وهو من أدباء المنطقة القدامى، وقد عاش فى «سوريا» سنين طويلة.

والـقصيدة نادرة جداً، فهي لم تذكـر فى جميع المؤلفات التاريخية والأدبية عن منطقة الأحساء، فهى تحفـة ثمينـة، ما أحـلى أن نعـرضها عليكم! حتى تقـرؤوهـا وتتذوقوها، وتبدوا آراءكم تجاهها.. لعل وعسى أن تكون لكم مرجعاً، أو بالادق (مصدرا).

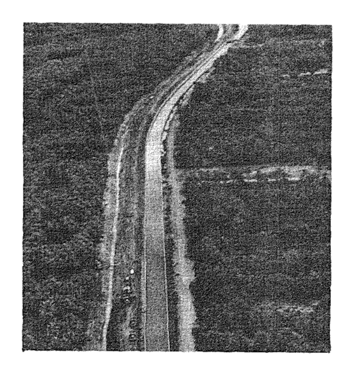
ونَدعكم الان للاقلاع عبر جو القصيدة، وهي من (البحر الطويل) الذى يتفق والغرض (الموضوع). ولو كانت من البحور القصيرة، أو المجزوءة للمنا شاعرنا «ابن رمضان الخزاعي» على تصرفه.. ولكن هيهات لنا ذلك، فأنى له أن يعبر عن شعوره، ويظهر زفراته بغير هذا البحر العميق.. فللموسيقى دورها فى هذا المقام.

■ وإلى القصيدة التى أبت إلا أن تكون دالية، ولا يخفى على الجميع ما للدال من رنة.

يكـر بلومى فى الـرواح وفى المغـدا
وأكـره منـه ما يعـاد ومـا يبـدا
ومـالي والـلوام لا در درهـم
قد استحسنوا باللوم سفك دمى عمدا
يريـدون صرفي عن هواي سفـاهـة
وهيهـات يأبى ذاك من طلب الرشـدا
يقـولـون: فى أرض (العقـير) قذارة
فقـلت لهم: والـله أشـتـاقـه جدا
وقـالـوا: (ابو زهمـول) مر مذاقه[1]
فقلت لهم: والـله أحـسبـه شهـدا
ألا ليـت لى من مائـه المـر شربـة
يصـادف حر الـقلب من طيبهـا بردا
ويـا ليت لى ـ وهى السعـادة ـ وقفـة
على رمـل (أم الذر) أبرى بها الوجدا[2]
ويـالـيت شعـرى هل أبيت برملهـا
وأوقـد حمضاً يفضـح المسك والرندا[3]
إذا عبـقـت بي نفحـة من دخـانـه
شممت بها ما تحمـل الريح من سعدا
أهيم بتلك الـسـوح ودا، وقـد درى
أخـو الـلب من ماذا أهـيـم بها ودا

***

رعـى الـله من تلك الـديـار ديـاره
ومـد لهم من فيض معـروفـه مدا
لقـد قلدوني منـة، لسـت قادرا
على شكـرهـا حيث ارتضوني لهم عبدا
سقـى الله ربعـاً كان يجمـع شملنـا
وألـبسـه الـوسمى من نسجـه بردا



فلله ربـع ينبت الأسـد والـظبـا!
ويحمى بشـوك السمـر من غيـده غمدا
لقـد نلت فيـه منـتـهـى كل لذة
وصـاحبت فيه طالعـاً كان لى سعـدا
ليـالى وجـه الـدهـر نحوي مقبـل
ولم يولنى الاعـراض منـه ولا الصـدا

***

على ذلـك الـمـغـنـى المنـير وأهـله
سلام محب نازح هالـك جهـدا
له الـدهـر بعـد السلم أضحى محاربـاً
يجر عليـه من فنـون الـبـلا جنـدا
رمـاه بمـر القـطع من بعـد وصله
وأبـدلـه من قرب أحـبـابـه بعـدا
فأمسى وقـد شطت به غربـة النوى
يصـالى من الأشجـان فى صدره وقـدا
يبـيـت كما بات الـسـليـم، ويغتـدي
بقـلب حسـام الـبـين شطره قدا

***

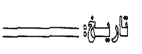
وإنـى لأرجـو من إلهـى بفـضـلـه
شفـائى بوصـل قبل أن أسكن اللحدا

الهوامــش

(١) أبـو زهمول: بئر ماء قرب شاطىء العقير، الى القرب منه قلاع أثرية، والشهد: العسل.

(٢) أم الذر: قطعة من الرمل على طريق العقير.

(٣) الحمض والرند: من أنواع الحطب البرى له روائح طيبة.





بقلم: د. غيثان علي جريس
جامعة الملك سعود
فرع أبها

من يدرس بعناية اهتمام خلفاء بني العباس الاول بالفقهاء والعلماء في مختلف أجزاء الدولة الاسلامية، يجد الكثير من المعلومات المتناثرة في بطون المصادر الاسلامية المختلفة التي تشير الى اهتمام خلفاء بني العباس بالعلماء، والعمل على التقرب منهم، سواء كان في مدينة بغداد أم في غيرها من مدن العالم الاسلامي المعروفة انذاك.

وبلاد الحجاز المشتملة على المدينتين المقدستين، كانت من المناطق الهامة التي حرص الخلفاء على السيطرة عليها لتكون تابعة لهم، نظرا لقداستها، فمكة المكرمة فيها الكعبة المشرفة، واليها يتجه المسلم في صلاته خمس مرات في اليوم والليلة، والى مكة المكرمة يأتي الزوار والحجاج لتأدية الركن الخامس من أركان الاسلام.

أما المدينة المنورة فهي موطن الرسول ﴿ﷺ﴾، وفيها قبره الشريف، من هنا كان حرص خلفاء بني أمية وبني العباس من بعدهم أن تكون منطقة الحجاز ولاية من ولايات دولتهم، بعد أن كانت المدينة عاصمة المسلمين أيام الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ وأيام الخلفاء الراشدين من بعده.

علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس

وبلاد الحجاز كانت مركزاً للدعوة الاسلامية، منها انطلقت الجيوش الاسلامية الى البلدان المجاورة لها في العهد الراشدي الذى انتهى بموت الخليفة الراشد علي ابن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ وجاء العصر الأموى لتصبح ولاية من ولايات الدولة الاسلامية، وانتقل المركز السياسى الى بلاد الشام، بعد أن اتخذ الأمويون مدينة دمشق عاصمة لهم. إلا أن الشيء الذى لا يمكن تجاهله، أن مكانتها الدينية بقيت ومازالت وستبقى ـ باذن الله ـ في نفوس المسلمين. لوجود مكة والمدينة وقيام المسلمين من مختلف مناطق المعمورة فى شد الرحال اليها، لتأدية مناسك الحج، ولهذا كان ومازال لها المكانة السامية في نفوس المسلمين.

وبما أنها ـ بلاد الحجاز ـ كانت في بداية الدولة الاسلامية ذات أهمية سياسية تخرج منها قرارات الحكام إلا أن المكانة الدينية بقيت على مر التاريخ حيث يقصدها الفقهاء والعلماء والمحدثون، وغيرهم من فئات المجتمع الاسلامى.

ولكون هذا البحث مركزاً على علماء الحجاز (وبخاصة الامام مالك) وعلاقتهم أو علاقته بخلفاء بنى العباس الأول، فسوف نركز على ذكر مشاهير علماء هذه المنطقة في الفترة المعنية بالدراسة، وعلى الأعمال الهامة التى مارسوها مع بنى العباس، وعلاقتهم بعلماء العراق الذين استوطنوا المدن الرئيسية في الأراضي الحجازية، وتعاونوا مع الفئات المختلفة في مجتمعاتها.

ومن مشاهير العلماء الحجازيين في العصر العباسي الأول، مالك بن أنس، وعبد الملك بن جريج، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثورى، وغيرهم الكثير، حيث كان البعض منهم يستوطن مكة المكرمة أو المدينة المنورة بشكل دائم، أمثال مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وسفيان بن عيينه الذى اتخذ مكة موطنا له، فى حين كان غيرهم من العلماء لا يمكث طويلا في مدن الحجاز، فسرعان ما يغادرها الى مدن اسلامية

أخرى قد تطول أو تقصر حسب الظروف ثم يعودون لزيارة الحجاز مرات ومرات، أمثال سفيان الثورى وغيره من علماء ذلك الزمان، وكانت أعمالهم وأعمال غيرهم من العلماء متنوعة، كالقيام في التعليم والتدريس، وافتاء الناس، ووعظهم وارشادهم، واجتماعهم بالامراء وأصحاب الشرطة والحسبة والبريد وغيرهم من موظفي الدولة فيعظونهم ويذكرونهم بمخافة الله، وقد يطلب من بعضهم المشورة في أمور الرعية، وقد يسند للبعض الآخر منصب القضاء، وهذه الأعمال التى مر ذكرها قد تكون صفات مشتركة عند علماء كل عصر وفي عهد كل حاكم، بسبب ما يحسه الفقيه من واجب تجاه مجتمعه الذى يعيش فيه، وما يجب أن يقوم به من وعظ وارشاد لأفراد المجتمع مع العمل الدؤوب فى محاربة الرذائل والانحرافات وكل ما نهى الله عنه.

ونظرا لإدراك خلفاء بنى العباس الأول أهمية العلماء والفقهاء فى مختلف أجزاء الدولة الاسلامية، وخصوصا أرض الحرمين، فقد كانوا يسعون للتقرب منهم، والسماع الى أقوالهم، وتقديم المنح والاعطيات اليهم، طمعاً في كسب ودهم، عندما يصبحون فى نظر الرعية حماة الدين، فيكسبون رضاهم لتطبيقهم الأحكام والتشاور مع العلماء باستمرار قصد الاجارة والصواب في تطبيقها.

وذكرت لنا المصادر التاريخية ما كان من اهتمام خلفاء بنى العباس بالعلماء والحرص على تزيين مجالسهم بهم، والتقرب اليهم بتقديم الهدايا لهم تعبيراً عن محبتهم والاهتمام بهم، ومثال ذلك، مجالسة الخليفة أبي عبد الله الملقب بالسفاح (١٣٢ - ١٣٦هـ/ ٧٤٩هـ - ٧٥٣م) وأخيه الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ = ٧٥٣ - ٧٧٤م) الذى زاد عن أخيه أبى عبد الله بالتقرب اليهم وكثرة زيارته ودعواته لهم، وعلى الأخص امام دار الهجرة (مالك بن أنس)[١].

وانفرد ابن خلكان دون غيره في ذكر زيارة الامام مالك الى العراق، بينما ذكرت مصادر أخرى أنه لم يخرج من المدينة حتى وافاه الأجل، لكن ما يمكن

- **العباسيون عملوا على نشر العلم، واكرام العلماء، والتقريب بين المذاهب، واخماد الفتن.**

تأكيده هو وجود علاقات جيدة ما بين الخليفة والامام مالك من جهة، وما بين الخليفة والأئمة الآخرين من جهة أخرى كسفيان بن عيينة وغيره، ويذكر ان الامام مالك قام بزيارة للخليفة المنصور، فاستقبله الخليفة بالحفاوة والتكريم، وسأله عن علماء وفقهاء الحجاز وعلى الأخص ابن أبي ذئب، وابن ابي سبره وغيرهما[٢].

وأشار القاضى عياض في كتابه ترتيب المدارك، الى تقدير الخليفة المنصور للامام مالك فقال: «إن رابك ريب من عامل المدينة، أو عامل مكة، او احد من عمال الحجاز في ذاتك، او ذات غيرك، او سوء سيرة في الرعية، فاكتب لى بذلك، انزل بهم ما يستحقون، وقد كتبت الى عمالي بهذا، ان يسمعوا منك ويطيعوا كل ما يعهد اليهم فانههم عن المنكر وامرهم بالمعروف تُؤجر على ذلك وانت حقيق أن يُطاع أمرك ويُسمع منك»[٣].

وهذا التصرف من قبل الخليفة المنصور تجاه الامام مالك ربما عائد الى أهميته عند الخليفة والحجازيين معاً، ولذا كان لحسن معاملة الخليفة له ما يبرر ذلك، لأنه كان يهدف الى تدعيم نفوذه عند المسلمين، وعلى الأخص عند أهل الحجاز، وبخاصة عند المدنيين الذين كانوا ينفرون منه، بسبب ما ارتكبه من آثام هو وغيره من بنى العباس مع العلويين فى المدينة ومع الاعراب المنشقين على الخلافة[٤]، وكل هذا دفع الخليفة المنصور الى تحسين العلاقة معه ليستبدل الخصومة بالمحبة.

ومن اهتمام الخليفة المنصور بعلماء الحجاز انه كان يلتقي بهم، أثناء ذهابه الى مكة المكرمه والمدينة المنورة، عند أدائه فريضة الحج، بل ويعين البعض

في بعض الوظائف التعليمية والشرعية، والى هذا يشير ياقوت الحموي الى أن ابان بن تغلب بن رياح قد عينه المنصور للوعظ والارشاد في مسجد الرسول ﴿ﷺ﴾ قائلا له «اجلس في مسجد المدينة وفقه الناس فاني أحب ان أرى في شيعتى مثلك»[٥]. ومن تشجيع الخليفة المنصور للعلماء، ما ذكره ابن قتيبة في مؤلفه «الامامة والسياسة» بأنه طلب من امام دار الهجرة، الامام مالك ان يعد له منهاجا لادارة الدولة، وفي هذا يقول «يا ابا عبد الله ضع هذا العلم ودونه، ودون فيه كتبا وتجنب شدايد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود، واقصد الى أوسط الأمور، وما اجتمع عليه أئمة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لنحمل الناس على علمك وكتبك ونبثها في الامصار»[٦]، لكن الامام مالك أقنع الخليفة بعدم جدوى ما يصبو إليه، لأن المسلمين تفرقوا في اجزاء البلاد الاسلامية، الأمر الذى أدى الى كثرة الآراء والمذاهب وبالتالى لن يكون الأمر سهلا.

وفي عهد الخليفة المهدى (١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٤ ـ ٧٨٥م) نجد العلاقات مع علماء وفقهاء الحجاز قد ازدادت رسوخا، لما كان يبذله الخليفة المهدى من جهد فى التقرب الى علماء الحجاز والاستماع الى آرائهم، ومشاورتهم في كثير من الأمور الشرعية والادارية والسياسية وغيرها من الأمور الأخرى، الى جانب المنح والعطايا لهم ولأهل الحجاز، وهذا ما أشارت اليه المصادر في أماكن عديدة، من ضمنها لقاء حدث بين الخليفة المهدى والامام مالك بن أنس وتذكير الاخير للخليفة بأحوال الحجازيين، وبخاصة أهل المدينة، وما هم عليه من شظف العيش، فلم يكن من الخليفة الا أن سارع في توزيع الأموال عليهم حيث بلغ مقدار ما صرف لهم حوالي مليونين ونصف دينار[٧]، ومن شدة رغبة الخليفة المهدى فى مجالسة الامام مالك والسماع اليه انه طلب منه مرافقته الى العراق، ولكن الامام استأذنه بالبقاء في المدينة مفضلا اياها عما سواها من المدن، فقبل عذره وأمر له بكسوة وستة آلاف دينار وتركه وشأنه[٨].

● علماء الحجاز كانوا مكان الاحترام والتقدير عند خلفاء بني العباس.

ومما يدل على مكانة علماء وفقهاء الحجاز عند الخليفة المهدى أنه استشارهم في اعادة بناء الكعبة وجعلها الى ما كانت عليه في عهد عبد الله بن الزبير[٩]، فقال له الامام مالك «دعها فإني أخشى ان يتخذها الملوك ملعبة فتركها الخليفة»[١٠]، وفي رواية أخرى ان الخليفة المهدى استشار فقهاء الحجاز فى نقض منبر الرسول ﴿ﷺ﴾ واعادة صنعه، فقال له الامام مالك، ان هذا المنبر مصنوع من خشب الطرفاء، وانه يخاف عندما ينقض ان ينكسر، ولا يصلح مرة أخرى فتركه الخليفة نزولا عند رأى الامام مالك وغيره من علماء الحجاز[١١]، ويورد لنا أيضا النهروالي رواية عن الخليفة المهدى عام ١٦٠هـ عندما استشار بعض علماء الحجاز في توسعة الحرم المكي فأيدوه بذلك فعمل على توسعته[١٢].

وسلك الخليفة الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٨م) نفس مسلك والده المهدى، فذهب الى مدن الحجاز عند انتهائه من مناسك الحج، ويحرص على مقابلة العلماء والفقهاء وأشراف الناس فيشاورهم فى كثير من الأمور، ويكثر من توزيع الصدقات على المحتاجين وتقديم الأعطيات للاشراف فيها، بل وكان يحرص أشد الحرص في مقابلة الامام مالك بن أنس والفضيل بن عياض وغيرهما ليسمع منهما وعظا وارشادا بل ويذكرانه بهادم اللذات (الموت).

ويذكر أن الخليفة هارون الرشيد أرسل وزيره يحيى بن خالد البرمكي الى الامام مالك يطلبه للحضور الى مجلس الخليفة ومعه كتابه الموطأ، وعند وصول يحيي البرمكي الى دار الامام واخباره بما يريد، قال مالك ليحيي، أقرىء الخليفة السلام، وقل له العلم يزار ولا يزور، فرجع يحيى بن خالد الى الخليفة، وما كاد يصل الا والامام مالك قد لحق به، فسلم على الخليفة، ثم أوصاه بفضل العلم واحترام العلماء وتشجيعهم فشكر له الخليفة عمله هذا[١٣].

ومن حرص الخليفة الرشيد الى سماع أحاديث الامام مالك وغيره من العلماء والعمل على الاستفادة من سلوكياتهم، ان أرسل ولديه الأمين والمأمون للسماع منهم جميعاً، والتعلم على أيديهم في المدينة المنورة ومكة المكرمة[١٤].

وذكر لنا صاحب كتاب «الامامة والسياسة» عن زيارة الخليفة الرشيد للحجاز في احدى السنوات، مقابلته للامام مالك، فعرض عليه الأخير حالة الحجازيين، وما هم عليه من العوز والحاجة، مذكرا إياه بسخاء والده المهدي، فما كان من الرشيد الا أن أمر بتوزيع خمسة ملايين دينار عليهم[١٥]، وهذا التصرف له ما يبرره، فمنزلة الامام مالك عند الخليفة منزلة سامية وسكان الحجاز كانوا في نظره هم سكان الحرمين، وتوزيع المال عليهم كان في محله، الى جانب رغبته في نيل مرضاة الله، وبسد حاجات سكان الحرمين، فسيكون بالتالى هناك، اخماد للفتن المرتقبه وذلك بعدم وجود آذان صاغية لمروجيها، أو ميل النفوس للقيام بها، بسبب ما أنعمه الخليفة على أهلها، وعندئذ يسود الأمن فى عهده، مثلما كان في عهد سلفه، وبلغ من حرص الخليفة الرشيد فى الاهتمام بعلماء وفقهاء الأمة بخاصة، وموظفى المؤسسات الدينية بعامة، ان امر الولاة بقضاء حوائجهم، بعد التعرف على أحوالهم، وفي هذا يقول ابن قتيبة في كتاب «الإمامة والسياسة» (أما بعد فانظروا من التزم الاذان عندكم فاكتبوه في الف من العطاء، ومن جمع القرآن واقبل على طلب العلم، وعمر مجالس العلم، ومقاعد الأدب فاكتبوه في الفي دينار من العطاء، ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم، فاسمعوا قولهم واطيعوا امرهم[١٦]، فان الله تعالى يقول: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾**[١٧].

وسلك الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) نفس المسلك الذى سلكه خلفاء بنى العباس من قبله، فكان يستقبل العلماء والفقهاء، وبخاصة علماء وفقهاء الحجاز، فيجزل لهم العطاء ويعرض عليهم مناصب القضاء في الحجاز وفي مدن أخرى من بقاع العالم الاسلامى.

ونظرا لأهمية العلماء والفقهاء في المجتمع الحجازى، بذل خلفاء بنى العباس الأول قصارى جهدهم في كسب تأييد الفقهاء في مواقفهم السياسية والوقوف الى جانبهم، وأوضح دليل على ذلك، سعي الخليفة المنصور الى الاتصال بالامام مالك بن أنس، وجعفر الصادق وسفيان بن عُيَينة وغيرهم، أثناء قدومه للحجاز، ومناقشته اياهم في كثير من الأمور، وخاصة عند وقوع بعض الفتن السياسية في الحجاز، ومعرفة آرائهم في كيفية القضاء عليها[١٨]. كما حرص فى ابعادهم عن العلويين، الثائرين ضده، حتى يضعف شأنهم ويقلل من أنصارهم عند الرعية، وكان الفقهاء والعلماء يستشارون في عظائم الأمور، من خلافة أو ادارة بلاد أو غيرها، فقد أشارت الروايات الى أن الخليفة هارون الرشيد استشار الفقهاء والعلماء والحجازيين منهم في ولاية العهد لولديه الأمين والمأمون، بل ذهب الى أبعد من ذلك، بأن سافر الى مكة ومعه العديد من الوزراء والقواد، وعدد من فقهاء وعلماء الحجاز، ليوقعوا على ترشيح ولديه من بعده[١٩]، كما سلك نفس المسلك أمير الحجاز داود بن عيسى العباسى، عندما أعلن الخليفة الامين (١٩٣ ـ ١٩٨هـ/ ٨٠٨ ـ ٨١٣م) عزل أخيه المأمون من ولاية العهد وتولية ولده بدلا منه، فلم يكن من الأمير داود بن عيسى الا أن استشار علماء الحجاز بشأن ما فعل الأمين، فأشاروا عليه بخلع الخليفة الأمين والاعتراف بالمأمون بدلا منه فلم يعمل الا بما أشاروا عليه به[٢٠].

وفى العصر العباسي الأول ظهرت بعض المذاهب الفقهية، فكان مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي، قد برز واشتهر في المدينة خلال العقود الأولى من عصر خلفاء بنى العباس الأول، وكان في منهجه يصر على العمل بما يتوافق مع حديث الرسول ﴿ﷺ﴾، بعد العمل بكتاب الله، وقد نما مذهبه

وانتشر حتى أطلق عليه، مذهب أهل المدينة، أو مذهب أهل الحديث، في حين أن الامام أبا حنيفة. صاحب المذهب الحنفي، كان قد ظهر مذهبه في العراق، وعمل ما يتفق مع مذهب الامام مالك من حيث الأصول، واختلافه في بعض الفروع، وقد تطور هذا المذهب الى أن سمي بمذهب أهل العراق، وأحيانا أخرى مذهب أهل الرأى، لان الامام أبا حنيفه كان يلجأ أحيانا الى الأخذ بالرأى والاجتهاد، وكان له في ذلك ما يبرره، وهو بعد العراق عن بلاد الحجاز موطن الرسول ﴿ﷺ﴾ وموطن حفظة الحديث، ثم كان يرى فى أخذه بالرأى والاجتهاد السلامة من الوقوع في الاخطاء التى تؤدى بصاحبها الى الأخذ بالاحاديث الضعيفة، لأن بلاد العراق كثر فيها الاختلاط وعلى الأخص أيام بنى العباس، فلم تكن مقصورة على الرجال الثقاة الذين كانوا يحفظون الأحاديث الصحيحة، وانما وجد فيها العجم والبربر والديالمة وغيرهم من العناصر المختلفة في أهوائها ورغباتها، وفي مستوياتها من العلم والمعرفة، الى جانب الظروف والملابسات التى أحاطت بها خاصة بما يتصل بالشريعة والفقه.

وقد عاش خلفاء بنى العباس الأول تلك العصور التى بدأ يظهر فيها التنوع في المذاهب والآراء الفقهية، فعندما كان علماء أهل الحجاز وعلى رأسهم الامام مالك يُدَرس ويفتى به في بعض الأمور الشرعية من خلال مذهبه، كان أيضا الامام أبو حنيفة وطلابه في العراق، أمثال، أبى الحسن الشيباني وقاضي القضاة يعقوب أبو يوسف يعلمون ويفتون في كثير من الأمور الفقهية التى تختلف في بعض فروعها عما كان يمارسه أهل الحجاز، لهذا كان على الخلفاء العباسيين أن يقاربوا بين وجهات النظر عند علماء الحجاز والعراق، وذلك لأهميتها عند الخلفاء وبالتالي كانوا يسعون الى اجتماع الطرفين والمناظرة بينهما حتى يصلوا في النهاية الى التقارب فيما اختلفوا فيه، وقد حفظت لنا المصادر الكثير من تلك الاجتماعات والمناظرات العلمية التى كان يرأسها الخليفة العباسى، وقد لا يتسع البحث لذكرها جميعا، وانما نقتصر على بعض الأمثلة التى تؤيد صحة ما ذهبنا اليه، ففي رواية ذكرها وكيع قال:

«قدم هارون الرشيد المدينة ومعه أبو يوسف فبعث الى مالك: يأمرك أمير المؤمنين ان تخرج اليه فكتب اليه مالك يا أمير المؤمنين إني رجل عليل، فان رأى أمير المؤمنين ان يكتب إلي بما اراد فعل، فأراد أن يكتب اليه، فقال له أبو يوسف إبعث اليه حتى يجيىء اليك فبعث اليه فجاءه في دار مروان، وقد هيء لكل انسان مجلس، فهيء لمالك مجلسه الذى له، فقال له أبو يوسف ما ترى في رجل حلف الا يصلي نافلة أبدا، قال يضرب ويحبس حتى يصلى، قال فجاء هارون، فقال له أبو يوسف يا أمير المؤمنين انى سألت مالكاً كذا وكذا فقال كذا، فقال له هارون وترى ذلك يا ابا عبد الله؟ فقال: لا، قال ابو يوسف اليس افتيتني بذلك؟ قال بلى ولكن ابا يوسف رجل عراقي إن أفتيته يترك النافلة يفتى الناس بترك الفريضة وانت لا أخاف على ذلك منك»[٢١].

وفى رواية أخرى يذكر ان هارون الرشيد قدم الى المدينة «فقعد في المسجد وقعد معه أبو يوسف وبعث الى مالك بن أنس فجاءه وعندما دخل سلم ثم جلس، فقال هارون لمالك اجب يعقوب أبا يوسف فيما يسألك عنه قال: مالك، يا امير المؤمنين ليس من أهل العلم أنشدك بالله هل للرسول ﴿ﷺ﴾ وقف يأخذ منه فيجعله حيث أراد الله قال هارون: نعم، قال: فأنشدك الله هل لعمر وقف قال اللهم نعم قال: فهذا يزعم ان الوقف باطل فالتفت هارون الى ابي يوسف مغضبا، فقال ما تقول، قال كان صاحبنا لا يراه وانا أراه»[٢٢]، ويقصد بصاحبنا هنا الامام أبو حنيفة.

وكل ما كان يسعى اليه الخليفة هارون الرشيد وغيره من خلفاء ذلك العصر هو تقريب وجهات النظر بين علماء المذهب المالكي وعلماء المذهب الحنفي، ولذلك كان كثيرا ما يحصل لقاء بين الطرفين يتسم بالنقاش الحاد بل ويصل فى بعض الأحيان الى عدم موافقة اراء بعضهم لبعض، لكن هذا كان في الجوانب الفرعية التى لا تؤثر على الأصول ولا على

جوهر العقيدة والفقه الاسلامي، ومن يتوسع في البحث والدراسة لاراء الفقهاء في آواخر العصر العباسي الأول وما تلاه من عهود يجد أن الحدة التى كانت بين علماء المذهبين قد تقاربت وأصبحت تصب في معين واحد، وذلك فيما تمثل فى مذهب الامام الشافعي - في العقود التاليه لعهدى الامام مالك بن أنس والقاضي يعقوب أبو يوسف وغيرهما، ولا يمكن اغفال المجهودات التى كان يقوم بها خلفاء وأمراء بنى العباس الاوائل من أجل التقريب بين الطرفين فيما كانوا يختلفون فيه.

وخلاصة القول ان العلماء في الحجاز كان لهم دور بارز وملموس خلال العصر العباسى الأول، ولم يكن تأثيرهم مقتصرا على شئون الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية في بلاد الحجاز، وانما تأثيرهم كان أيضا يمتد الى خلفاء وأمراء بنى العباس فى العراق، بل كانت هناك صلات وطيدة وقوية بين الخلفاء العباسيين الأوائل وبين علماء وفقهاء الحجاز ويظهر هذا جليا من الروايات والأخبار الواردة في ثنايا هذا البحث.

الهوامش

(١) انظر «أبو يوسف يعقوب الفسوى»، كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمرى (بغداد ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) جـ١، ص٦٦٩ وما بعدها.

(٢) شمس الدين أبو العباس بن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس (بيروت ١٩٦٨م) جـ٤، ص ١٨٣.

(٣) انظر «أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض»، ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة أعلام مذهب مالك (الرباط ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) جـ٢، ص٩٨.

(٤) من يتابع الأحداث التاريخية في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي المنصور فسيجد أن أهل المدينة والاعراب التى كانت تسكن خارج أرض المدينة قد انضمت مع الثائر العلوى محمد النفس الزكية عام ١٤٥هـ ضد الخليفة العباس، لكن مصير أولئك الثوار كان الفشل عندما أرسل المنصور قواتاً عباسية من بغداد فقضت على العلويين ومن ثار معهم من أهل الحجاز، للمزيد من التفصيلات انظر «أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى»، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة ١٩٦٠م) جـ٧، ص٥٣٩ وما بعدها.

(٥) شهاب الدين ياقوت الحموى، معجم الأدباء (القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) جـ١، ص١٠٧-١٠٨.

(٦) أبو عبد الله محمد بن قتيبه، الامامة والسياسة، تحقيق طه الزينى (بيروت ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧م) جـ٢، ص١٥٠.

(٧) للمزيد من المعلومات حول اهتمام الخليفة المهدى بأهل الحجاز، خصوصا العلماء والفقهاء، انظر ابن عياض، ترتيب المدارك جـ٢، ص١٠١ - ١٠٢، ابن قتيبه، الامامة والسياسه، جـ٢، ص ١٥١-١٥٢، غيثان على جريس «أعمال الخليفة المهدى العباسي الخيريه تجاه أهل الحجاز» (١٥٨هـ/ ٧٧٤م - ١٦٩هـ/ ٧٨٥م) مجلة الدارة، العدد (٤) السنة (١٦) ١٤١١هـ ص ١١٣-١٢٩.

(٨) ابن عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٩) للمزيد من التوضيح حول تاريخ الكعبة انظر: «أبو الوليد محمد الازرقى»، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدى ملحس، (مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) جـ١، ص ١٥٨، ٢٠١ وما بعدها.

(١٠) اسماعيل بن علي بن كثير، البداية والنهايه (بيروت ١٩٦٦م) جـ١٠، ص ١٣٢.

(١١) مؤلف مجهول، العيون والحدائق فى اخبار الحقائق، تحقيق دى غوي (ليدن، ١٨٦٩م) جـ٣، ص٧٢، ابن عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص ١٠٥، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١، ص ١٣٢.

(١٢) قطب الدين النهروالي، كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام (بيروت ١٩٦٤م) ص ١٠٣، انظر ايضا غيثان على جريس «اعمال الخليفة المهدى العباسى الخيرية تجاه أهل الحجاز» ص١١٣ وما بعدها.

(١٣) عبد الملك بن حسين العصامي، سمط النجوم العوالى في أنباء الاوائل والتوالى (القاهرة ١٣٨٠هـ) جـ٣، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(١٤) للمزيد من التوضيحات، انظر مؤلف مجهول، العيون والحدائق، جـ٣، ص ٩٨، ابن عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص١٩، القاضي الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله (الكويت، ١٩٥٩م) ص٢٢٣.

(١٥) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، جـ٢، ص١٥٣.

(١٦) المصدر نفسه، جـ٢ ص ١٥٧.

(١٧) سورة النساء، آية ٥٩.

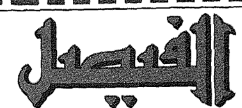
(١٨) ومن الفتن التى ظهرت فى الحجاز أثناء عهد المنصور ثورة العلويين في عهد محمد النفس الزكية، كما اشرنا سابقا، وايضا ثورات بعض القبائل العربية فى داخل المدينة وخارجها، الى جانب ظهور بعض الاضطرابات من قبل العبيد فى المدينة المنورة، للمزيد من التفصيل انظر الطبرى، تاريخ الرسل والملوك جـ٧، ص ٥٣٠ وما بعدها.

(١٩) انظر الطبرى، تاريخ الرسل، جـ٨، ص ٢٤٠ وما بعدها، عز الدين أبو الحسن بن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) جـ٦، ص ١٧٣.

(٢٠) المصدر نفسه، جـ٦، ص ٢٦٦.

(٢١) وكيع أبو محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي (القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م) جـ٣، ص ٢٥٩ - ٢٦٠،

(٢٢) المصدر نفسه، جـ٣، ص ٢٦٠.



تطور ال

- إذا قرأتم شيئا فر
- المساجلات الشعري

نهضت بالشعر وأره

عرفنا ان الشعر قد ظل على عهد الرسول ﴿ﷺ﴾ جاهليـا، وان تأثره بالاسلام كان عرضيا فى مجال ضيق، أما حاله فى عصر الراشدين فلم يكن خيرا مما كان عليه فى عهد الرسول.

فالخلفاء الراشدون لم يشجعوا الشعراء على القول حتى ينهض الشعر ويتطور تبعـا لذلك، ولكنهم على العكس، كانوا يشجعون من يعدل عنه الى القران الكريم ويكافئونه.

بقلم: د. بهيج مجيد القنطار - لبنـان -

ذكروا أن عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يقول له: «استنشد من قبلك من شعـراء ما قالوا فى الاسلام فارسل الى الأغلب العجلي فقال له: انشدني، فقال:

أرجــزاً تريــد أم قصــيــدا
لقــد طلبــت هيــنــا موجــودا

ثم ارسل الى لبيد بن ربيعة وكان قد ادرك الاسلام وهاجر الى الكوفة فى خلافة عمر فقال له: «انشدني ما قلته فى الاسلام» فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة فى صحيفـة ثم أتى بها وقال: «أبدلنى الله هذا في الاسلام مكان الشعر» فكتب المغيرة بذلك الى عمر فأنقص مَن عطاء الأغلب خمسماية وجعلها فى عطاء لبيد[١].

واذا كان عمر قد شجع من يعدل عن الشعر الى القرآن، فإن ذلك لم يمنعه أن يحض المسلمين على أن يلقنـوا ابناءهم أسير الامثال وأحسن الشعر وأعفه، فقد روي عنه: رووا أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر[٢] وقوله: أرووا من الشعر أعفه[٣].

وقـد نهج الخلفـاء الراشدون منهج الرسول من حث المسلمين على حفظ القرآن، من ذلك أن غالباً أبـا الفرزدق الشاعر، جاء بابنه وهو صبى الى علي بالبصرة بعد واقعة الجمل وقال له: «إن ابنى هذا من شعراء مضر فاسمع له، فأجابه علي: «علمه القرآن».

وعندما قصدوا الى تفسير القرآن شعروا بحاجتهم الى الشعر، قال ابن عباس: «إذا قرأتم شيئا فى كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب»[٤].

ذلـك موقف الخلفـاء الـراشدين والصحابة من الشعـر: تشجيع على العدول عنه الى القرآن وحث على أن يلقن الأولاد أحسنه وأعفه تقويمـاً لألسنتهم، وتهذيباً لنفوسهم، واستعانة به عند الاقتضاء فى تفهم كتاب الله.

وقـد جدت فى عصر الخلفـاء الراشدين عوامل قللت من دواعي الشعر وزادت من خفوت صوته، وانصراف المسلمين عنـه، فبـانتصار الاسلام آخر الأمـر، ودخـول العـرب فى دين الله أفواجاً وقفت المساجلات الشعرية التى شبت فى عصر الرسول بين شعراء المشركين من قريش وشعراء الاسلام، ومهما قيل فى هذه المساجلات، فإنها بلا شك قد نهضت بالشعـــر الى حد ما، وأرهفت من قرائـح الشعـراء المعـروفين وقتئذ، وأظهرت على كلا الجانبين شعراء كانوا مغمورين أو غير معروفين بالشعر من قبل.

وانصراف العـرب فى عصر الـراشدين الى فتح فارس والشـــام ومصر، واشـتراك الشعـراء فى تلك الفتـوح الاسلامية، جعل المحل الأول فيها للعمل الحربى دون القول، وللسيف المهند دون الكلمة.

وليس معنى ذلـك أن الشعـراء الـذين خرجوا للجهاد فى سبيل الله ونشر دينه، لم ينفعلوا بأحداث تلك الوقائع والحروب، وبمشاهداتهم الجديدة فيها، فالــواقــع ان هذه المــواقف الجـــديدة، قد هزت شاعريتهم، فانطلقوا يفخرون بشجاعتهم ويتباهون بالنصر، ويصفون المعارك، وأحوال الحصار، وآلات

الشعر العربي في صدر الإسلام

الحلقة الثانية والأخيرة

كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب.
بين المسلمين وبين الكفار فى صدر الدعوة الاسلامية
فت قرائح الشعراء.

القتال، وغنم الغنائم، ومقاسات أحوال الحر والبرد، والدواب الغريبة التى شاهدوها[٥].

وعلى كثرة هذه الأشعار التى تطالعنا فى كتب الفتوح والمغازي، مثل كتاب ابن جرير الطبري، فإن الروح الدينية فيه ضعيفة، وقلما نرى فيه حماساً دينياً، أو تمدحاً بفضائل الاسلام، أو اشادة بتعاليمه ومثله العليا، مع أن مواقف الجهاد فى سبيل الله كانت كفيلة بأن تضفى عليهم روحانية، وان تثير وجدانهم وتطلق على ألسنتهم شعراً يشرق بنور العقيدة والايمان.

لذلك قل شعر الهجاء حتى كاد ينعدم، فقد كان الخلفاء يمنعون الشعراء من الهجاء عامة، وهجاء الاسلام والمسلمين خاصة، وكان عمر أشدهم وطأة على شعر الهجاء، من ذلك أنه سجن الحطيئة الذي لم يتورع عن هجاء بعض الخلفاء كأبى بكر.

■ وقد أطلق عمر سراحه بشفاعة بعض الصحابة بعد أن أخذ عليه عهدا ألا يهجو مسلماً، ولكن الدين كان قد بدأ يفعل فى النفوس، ومظاهر الحضارة كانت قد أخذت تؤثر فى الأذهان فظهر أثر ضئيل، من ذلك شعر المخضرمين، ولكنه أثر لا يتجاوز بعض الألفاظ والتراكيب الاسلامية. هذا عبد الله بن رواحة يقبل على إحدى المعارك فيشعر كأن نفسه تخشى الاقدام وتتوجس فيزجرها قائلا:

أقسمت يا نفس لتنزلنه
طائعة أو لتكرهنه
وطالما قد كنت مطمئنه
مالي أراك تكرهين الجنه؟!

ان كل العوامل فى عصر الراشدين، لم تكن مشجعة للشعر على النهوض والتطور، وما خلفته لنا المغازي والفتوح الاسلامية، لا يخرج - فى معظمه - عن نهج الشعر الجاهلى وصورته ومظهره وجوهره.

قد نلتقي فى هذا الشعر ببعض الالفاظ الاسلامية، وببعض الاساليب التى تنحو منحى الأساليب القرآنية (كما ذكرنا من قبل)، وقد نلتقى فيه ببعض القصائد والمقطوعات التى تعالج موضوعات لم يطرقها الجاهليون كوصف المعارك، وأحوال الحصار، وأدوات القتال، ومقاسات أحوال الحر والبرد، وقد نلتقى فيه كذلك بلمسات دينية ضعيفة.

ولكن هذه الظواهر قليلة، لم تقو على أن تعبد لشعر الشعراء المخضرمين طرقاً جديدة، وتفتح أمامه آفاقاً جديدة، يتميز بها عما قبله وما بعده، فشعرهم - فى جملته - هو استمرار للمذهب الجاهلي، لم يتطور بالاسلام، ولم يتأثر به إلا تأثراً عرضياً من حيث بعض الألفاظ والأساليب والأغراض.

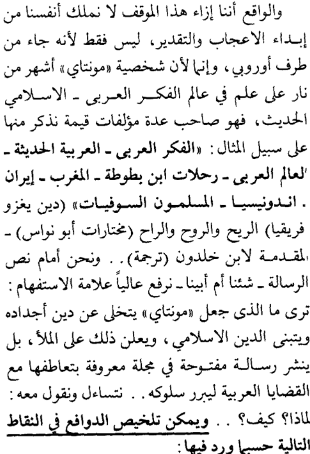
ولعل هذا هو ما حدا بابن سلام الجمحى فى كتابه «**طبقات الشعراء**» الى أن يعد شعراء الاسلام ممن يعرفون بالمخضرمين ضمن طبقات الجاهليين، إذ لم يجد لهم طابعا خاصاً بهم يميزهم عن سابقيهم من شعراء الجاهلية.

الهوامش

(١) ابو الفرج الاصفهانى - الاغانى - ج١٤ ص٩٧.
(٢) البيان والتبيين - الجاحظ - ج١ ص٢١٣.
(٣) جمهرة العرب ص١٥.
(٤) العمدة لابن رشيق ج١ ص١١.
(٥) الوسيط - للسكندري ص١٤٠.

المستشرق الفرنسي فانسان مونتاي (Vincen Monteil)

لماذا وكيف أسلمت؟



فى يوم الجمعة ٢٣ يوليو ١٩٧٧م، أعلن الاستاذ فانسـان مونتاي (Vincen Monteil) إسلامه بمسجد الـرمـال بنواكشوط (موريتانيا). وفي نفس الوقت، نشرت له المجلة الشهرية «فرنسا ـ الدول العربية» France Pays Arabes التى تصـدر ببـاريس نص رسالة مفتوحة يتحدث فيها عن الدوافع التي جعلته يعتنق الدين الاسلامى حيث صرح أن مبادرته ما هي إلا نتيجة لايمانه الراسخ بمبادىء القرآن الكريم التى تعرف عليهـا منذ أكثر من أربعين سنة، وقد اختار هذا المستشرق المعروف لنفسه اسم «المنصور بالله الشافعي».

والواقع أننا إزاء هذا الموقف لا نملك أنفسنا من إبـداء الاعجاب والتقدير، ليس فقط لأنه جاء من طرف أوروبي، وإنما لأن شخصية «مونتاي» أشهر من نار على علم في عالم الفكـر العـربى ـ الاسـلامي الحديث، فهو صاحب عدة مؤلفات قيمة نذكر منها على سبيل المثال: «**الفكر العربى ـ العربية الحديثة ـ العالم العربى ـ رحلات ابن بطوطة ـ المغرب ـ إيران ـ انـدونيسيـا ـ المسلمـون السـوفيـات**» (دين يغزو فريقيا) الريح والروح والراح (مختارات أبو نواس) ـ المقـدمـة لابن خلدون (ترجمة).. ونحن أمام نص الرسالة ـ شئنا أم أبينا ـ نرفع عالياً علامة الاستفهام: ترى ما الذى جعل «مونتاي» يتخلى عن دين أجداده ويتبنى الدين الاسلامي، ويعلن ذلك على الملأ، بل ينشر رسـالـة مفتـوحة في مجلة معروفة بتعاطفها مع القضايا العربية ليبرر سلوكه.. نتساءل ونقول معه: لماذا؟ كيف؟.. **ويمكن تلخيص الدوافع في النقاط التالية حسبما ورد فيها:**

١ ـ الأسباب الدينية:

عدم اقتناعه بمبادىء الكاثوليكية، دين آبائه وأجداده: فهو لم يختر أن يكون كاثوليكيا، وإنما كان هذا نتيجة تربية الأسرة ووليد البيئة والمجتمع، ويستشهد هنا بحديث شريف مفاده أن كل طفل يولد على الفطرة، فألوهية المسيح عند الكاثوليكية وغيرها من المذاهب النصرانية التي يرفضها الاسلام أساساً، وموقف النصارى من الرسالة المحمدية باعتبارها زيفاً وبهتاناً ـ حسب ادعائهم ـ هاتان الحقيقتان هما اللتان دفعتاه في الواقع إلى موقف اختيار. وهنا يهديه الله سبحانه وتعالى فيدرس القرآن ويقتنع ويؤمن ـ بأن عيسى عليه السلام رسول الله، وليس ابناً له كما تدعي ذلك «الكنيسة» لأن الله واحد أحد لم يلد ولم يولد، وبهذا تسقط لديه أكذوبة «الثالوث الأقدس» ويؤمن بكلام الله المبين: فالمسيح لم يُقتل ولم يُصلب وإنما شبه لهم ذلك، وبهذا تسقط الحيرة والشك فنراه مؤمناً بأن محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين وبأن القرآن خلاصة صافية للكتب السماوية.

٢ ـ الأسباب الاخلاقية:

إن الانسان في الاسلام لا يعرف مفهوم «الخطيئة الأصلية» التي هي احدى دعائم العقيدة النصرانية، يولد بلا ذنب، يحاسب عما فعل في دنياه، الاسلام دين دنيا وآخرة فلا زهد ولا رهبانية، والله يريد بعباده اليسر لا العسر، كل هذا قارنه «مونتاي» بتعاليم النصرانية فوجد أن الاسلام شريعة سمحاء، لا تكلف ولا تكليف.. إنه يدفع عن الاسلام تهمة «الجبرية والتواكل» و«التعصب الديني» ويدحض ما يحب أعداء الاسلام استعماله ذريعة للتنقيص والهدم.

٣ ـ الأسباب الاجتماعية:

إختار «مونتاي» الالتحاق بالأمة الاسلامية (مليار نسمة)، بمجتمع البساطة والوسط لأن الاسلام دين العدل والمساواة، لا يعرف التمييز.

٤ ـ الأسباب الثقافية:

فإعجابه بالحضارة الاسلامية في عصورها الزاهية والتى كانت باباً لنهضة أوروبا الحديثة كان الباعث لاعتناق دين أساسه القرآن: الكتاب المعجز المكتوب بلغة أنجبت عمالقة كالمتنبي وابن خلدون والغزالي وابن رشد.

■ إن تغيير العقيدة الدينية أمر بالغ الخطورة يتطلب من صاحبه بعد المعركة النفسية العسيرة شجاعة وإرادة وحكمة، وإذا كان هذا التغيير من النصرانية إلى الاسلام، وخصوصاً في وسط معروف بسخطه على الاسلام والمسلمين وبعنصريته تجاه المهاجرين، فهو أمر أشد وقعاً من الصاعقة، خاصة وأن الشهرة تؤدى دورها في هذا المجال، وأمامنا.. الملاكم العالمي الأمريكي محمد علي كلاى...

وهذا لا يدفع بغير المسلم أن يتساءل و«يتفلسف» فحسب، بل إن المسلم أحق بالتساؤل والتأمل العميق في قضية كهذه، فبعد العرض المجمل السابق، يمكن لنا أن نسلط الاضواء لتفصيل الأسباب التي حدت بـ «مونتاي» إلى الدخول في رحاب الاسلام، فهناك الأسباب الدينية التي هي جوهرية، وتأتي بعدها الأسباب الاخلاقية والاجتماعية والثقافية والنضالية.

■ إن الاسلام وجد في نفسية مونتاى أرضا خصبة نبتت فيها سنابل الايمان، فقد نشأ في أسرة كاثوليكية فرنسية تقوم بطقوس العبادة وتدين بمبادىء الكنيسة، ترعرع في جو لا نقول إنه جو تقوى وزهد

وعبادة بل جو عادي كما نراه في أغلب الحالات عند نصارى أوروبا.

فالمادية والحضارة التقنية والحرية الشكلية أتت منذ زمن بعيد جداً على المبادىء الدينية وأصبحت اللامبالاة سلاحا هداما يقوض دعائم الايمان بالله، فالمناخ يطبعه عدم الثقة، وذلك راجع أساساً إلى تاريخ الكنيسة بالذات وهو حافل بصفحات الارهاب وصكوك الغفران والمناورات السياسية التي جرت في المحراب والمخدع، وصفحات إقطاعية تزينها محاكم التفتيش والاباحية.. كل هذا فجر حركة تمرد تبدت عن ابتسامة ساخرة لفولتير وصرخة مساواة لروسو، استتبعتها آهات الرومنطيقيين وجنون السرياليين، وجاءت الآلة المعقدة لتصوب الضربة القاضية فتعم الفوضى الفكرية وينتشر القلق واللامعقول والانحلال الخلقي.

ففي هذا الجو بالذات ترعرعت أحاسيس «مونتاي» وباكراً أقلع عن كل التزام ديني، غير مقتنع تماماً بجدوى طقوس كنسية غامضة مستعصية، فاللغة اللاتينية الرسمية لا يفهمها غير القليل، وهناك وثنية جديدة لم يناد بها المسيح عليه السلام كالصليب، البدعة الدخيلة المنقولة عن الرومان، وتماثيل العذراء والرهبان، و«ديكور» يتمثل في لوحات غالية الثمن وطقوس مبتدعة.. عالم غامض حقا يثير في النفس الخشوع والرهبة، لكنه لا يزرع الايمان والثقة في نفسية حساسة واعية مثقفة.

شيئان من الأهمية بمكان أدخلهما «مونتاي» في معركة مصيرية مع عقله وقلبه وضميره:

١ ـ ألوهية عيسى التي ينبذها الاسلام ويستنكرها بقوة.

٢ ـ إتهام النصارى لمحمد ﴿ﷺ﴾ بالدجال.

فمشكلة «ألوهية المسيح» استبعدها منذ شبابه ولم تجد القبول في نفسه، وذلك راجع إلى أنه قرأ القرآن وفهمه وتفهمه، في طياته، تبين له أن المسيح مبجل كنبي وأن النصارى أهل كتاب لهم نفس الاحترام، إلا أن هنالك فارقاً جذريا بين القرآن والنصارى لا المسيح.. فعيسى ابن مريم جاء ليقوم اعوجاج اليهود ويهديهم إلى الصراط المستقيم، ولكن كهنتهم اجتمعوا واتفقوا على إعدامه صلبا كما كان يفعل الرومان في ذلك العهد، وحسب القرآن الكريم، لم يقتل المسيح ولم يصلب وإنما شبه لهم ذلك بعد أن كان قد ناداه الله سبحانه وتعالى الى الملكوت المقدس، فماذا تقول الكنيسة؟.. صلب المسيح وطعن، وفي رأيها أنه كان إنساناً بالولادة ثم اتحدت به «الكلمة» فأصبح إلهاً، في حين نرى الاسلام يثبت وحدانية الله سبحانه.. أما المعضلة الاخرى التي يستنكرها الاسلام فهي تقديس الكنيسة لمريم العذراء.

■ إن تزمت الكنيسة وطغيان رجالاتها لم يقف عند حد التحريف والتخريف بل إن الكنيسة وقفت «كسور الصين العظيم» أمام الدعوة المحمدية وكل هذه الأراجيف التى جاءوا بها نجدها بلغت شأوا بعيدا من التعصب الأعمى في أدب القرون الوسطى (وحتى في عصرنا نموذجه المفكر الفرنسي رونان)، وما الحروب الصليبية إلا نموذج للحقد والسخط اللذين لا مبرر لهما!

«مونتاي» وضع بين يديه القرآن والأناجيل، فقارن وتأمل، وبحث عن الحق والحقيقة فعثر على ضالته المنشودة: رسالة محمد بن عبد الله رسالة الحق، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وما على الرسول إلا البلاغ، لم يكن إلهاً، كان أمياً يتيماً، والقرآن معجزته ببراهينه المفحمة. ومحمد ﴿ﷺ﴾ خاتم النبيين جاء إلى العالمين مبشرا ونذيراً، جاء إلى اليهود والنصارى لكي يقلعوا عن غيهم، وجاء للوثنيين والمجوس وغيرهم ليكشف لهم عن طريق الخلاص ويسلك بهم سبل الهدى والسؤدد.

وبعد هذا تأتي الأسباب الأخلاقية التي حثته على تبني الاسلام، فالنصراني «يولد خاطئا» والذنب ذنب آدم! هذا مبدأ نصراني ويطلقون عليه «الخطيئة الأصلية» Le Peiheorginel، وهذا شيء آخر يمجه الاسلام لأن الكنيسة جعلت النصارى بهذا أمة من الخطاة. والاسلام ـ بالعكس ـ يقول ان الانسان يولد على الفطرة، بلا ذنب، وهو يحاسب عما فعل ﴿فمن

عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها﴾. ولا مكان فيه للرهبنة لأنه يريد أمة وسطا ولا يكلف الشخص فعـل المستحيل: دين دنيا وآخـرة. على المسلم أن يعمل لدنياه كأنه سيعيش أبدا ويعمل لآخرته كأنه سيموت غداً. وهذا خلاف ما تقوم به الكنيسة من رهبنة وزهد، الشيء الذي يخالف الطبيعة البشرية، ويتهم أعـداء الاسـلام والمسلمـين بتهمـة «الجبرية والتواكل»! وبهذا ففي رأيهم أن المسلمين أمة متأخرة تؤمن بالغيبيات وأن الاسلام دين رجعي معاد للحرية ومناصر للعبودية.

الدارس المتزن الحكيم يجد الاسلام دين الحرية والاختيار والالتـزام، إن الانسـان في نظر الشريعـة الاسـلامية إنسـان مخير قادر على فعل الخير والشر، مسؤول عما يفعل يوم الحساب، مثاب على ما هو خير ومعـاقب على ما هو شر، وذلك بمقتضى العـدالـة الالهية لأن الله سبحانه وتعالى عادل.

ولا ريب في أن القول بالجبرية المتزمتة يؤدي إلى شل إرادة الانسـان وفقدان الثقة بجدارته ومصيره، فالاعتقاد بالجبرية إنكار مجحف للحرية ودعوة مضللة للراحة والكسل والاتكالية، ونستنتج من هذا كله أن الاسلام دين تطور وتقدم، وليس دين جمود وركود.

أمـا عن التعصب الـديني فإنـه خرافة ابتدعها «أنـاس» القـرون الـوسـطى حينما قاموا بحملاتهم الصليبية.. فماذا وجدوا؟

وجـدوا صلاح الـدين وأئمـة الاسـلام ينادون بالجهـاد المقدس للدفاع عن العقيدة والنفس وذلك تطبيقاً للآية الكريمة: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخـير، ويـأمـرون بالمعـروف، وينهون عن المنكر وأولئـك هم المفلحــون﴾ (آل عمـران)، وللحـديث الشريف: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستـطع فبلسـانـه، فإن لم يستـطع فبقلبـه، وذلك أضعف الايمان»، فأي منكر رآه المسلمون؟ رأوا أناساً عبروا المحيطات والبحور وغزوهم في عقر ديارهم، يعملون فيهم السيف ويغتصبـون بنـاتهم ويسوقون أبناءهم للمجازر كالأكباش.. ولما دارت الدائرة على المعتـدي ورجـع إلى أوطـانـه وفيهم «لويس، أسير المنصورة الشهير» والنبلاء والأساقفة.. ماذا رددوا في الصالونات والساحات العمومية، تنفيساً عن كبت، وتصعيداً لحقـد؟؟.. قصــائــد وروايات فروسية (منقولة مسخاً عن سيرنا)، وحكايات عن «الشرلتان» والتعصب الأعمى!.. وفي ذلـك الحـين، كانت محاكـم التفتيش تجمــع الحـطب وتقيم الافـران لمجموعات تلصق بهم تهمة «السحر» و«الالحاد».. وأصبحت الكنيسة طبعاً مركزاً للثراء الفاحش ببيعها لصكـوك الغفـران أي لجوازات سفـر إلى الفردوس بدون خطيئة أصلية!.

وبهذا نرى أن تهمة «الشوفينية أو التعصب» تهمة كاذبة أصلا، يقول لنا التاريخ أنه في عهد أبي العلاء المعـري، كان النصارى إذا رأوا المؤذن يشرع بآذانه عنـد الغـروب، عمـدوا إلى ناقـوسهم لدى صلاة الغروب فيقرعونه قرعاً شديداً.

فمن هذه الحـادثـة، نرى أن النصـارى كانـوا يعيشـون كأهل ذمة، يتعايشون في سلام ووئام مع المسلمين في ديارهم وتحت قيادة أمير مسلم ذي جنود مسلمين، فلو كان هنالك نوع ما من التعصب لما قرع الناقوس تحرشاً بأهل السيادة؟! ولا أدل على ذلك من التعايش العقائدي والاجتماعي الذي كان بين أهل الكتاب والمسلمين في ظلال الدولة (أو الدول) الاسلامية.

بقي أن نشـير إلى سماحـة الاسلام، فقد دخل المسلمون زمن الفتوحات بلداناً لا كغزاة متعطشين إلى الاغتصاب والثراء، بل كدعاة خير إلى دين يحمي اليتيم والفقير والمظلوم.

أمـا فى شأن العبودية، فقد نادى الاسلام فعلا بتحرير الرقاب، ولم يترك سانحة إلا وحث على فك القيود واحـترام الانسان.. وما كانت العبودية ذنب الاسـلام، ولكنهم المسلمون فى أوج مجدهم اتخذوا الرق والغلمان والجواري، فقد ذهبت تلك الأجيال، ومـازال القـرآن محفوظاً لم يعتره تغيير. فأين النص الذي يحث على الاستعباد أو الاستعمار على الطريقة الغربية؟

وعلى أي حال، نرى الاستاذ «مونتاي» يجد في

الاسلام الملاذ لأنه دين لا يفرق بين حاجيات الروح والجسد، دين يوصي بالجار واليتيم والصدق والعفو والدفاع عن الحق المهضوم بطبيعة الحال.

■ إن «مونتاي» إلتحق بأمة يحسب لها حسابها فى عصرنا، وأصبح عضوا في مجموعة متكاملة ألف الساسة الاشارة اليها بـ «العالم الاسلامى» ولا ينسى أن يقول بأن الاسلام يحض على المساواة، فأفراد المجتمع كأسنان المشط، في مجتمع «فحل» يسوده نظام تعاون وأخوة ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم**﴾، فالاسلام أوصى بالجماعة «**عليكم بالجماعة فإن الذئب إنما يصيب من الغنم الشاردة**»

والاسلام شورى قلباً وقالباً، فما القياس والاجتهاد والاجماع والشورى إلا أساليب تنمي العقل وترفع من قيمة الاجتهاد، والمسلمون اليوم بحاجة أكثر من أي وقت مضى للعودة إلى النبع الصافي لاستلهامه والأخذ بالتعاليم القابلة أبداً للتطور لمجابهة معطيات عصر التقنية دون أن نسقط في فخاخ السرعة والاستلاب والسطحية التي تولدها بنيات مجتمعنا الاستهلاكى.

■ إن الملكية في الاسلام وظيفة اجتماعية لصالح الجماعة وليس لصالح الفرد وأهوائه رغم الاعتراف بحق الملكية الفردية. قال الرسول ﴿ﷺ﴾: «الناس شركاء فى ثلاث: الماء والكلأ والنار» وهذا هو معنى التأميم في الاصطلاح العصري.

يذكر «مونتاي» في الأسباب الثقافية ما قدمته الحضارة الاسلامية لعصر النهضة الغربية. يذكر والذكرى تنفع المؤمنين. ولهذا فبالتحاقه بالمجموعة الاسلامية ينتسب إلى هذه الثقافة معتزاً.. أليس هو المستشرق البارز والأستاذ الضليع في الدراسات العربية والاسلامية؟ إنه فخور بالعربية، بأم أنجبت المتنبي وأبا العلاء وابن خلدون والرازي وغيرهم.

وأخيراً يضع الاستاذ «مونتاي» النقاط على الحروف ويعلن تضامنه المطلق مع معسكر الفقراء، يعلن التزامه وصموده لمؤامرات الاستعمار بكل أشكاله ومن بينها «الصهيونية الشرسة»، لقد أبان للعالم أنه حر.. إختار أن يكون مسلماً، وبالتالي فقد اختار معسكره ودخل جبهة التحدي والمقاومة والبناء الحضاري، في رحاب العالم الثالث حيث الجوع والمرض والحرمان والجهل والاستغلال.. أرضية خصبة لمفكر ملتزم يريد التغيير ويطمح الى الأحسن والأصلح تحت مظلة المبادىء السامية. لم يدخله متفرجاً ولا صحفيا قدم من «عاصمة النور» ليكتب استطلاعاً، بل دخل المعمعة فاعلا منفعلا.

بقلم: د. بهاء لطفى قابيل - مصر -



غرناطة في أشعار لوركا

اسبانى المولد والجنسية واللغة، نعم ما فى ذلك شك، إلا انه ينتمى إلى أسرة كانت قبل ثلاثة قرون تتكلم العربية وتدين بالاسلام، وهو أمر يهدى إليه لقب عربى فى سلسلة جدوده ويسكن قريتــه التى تحمـل اسـما عربيا هو «عـين البقـارة»، وترجم إلى الأسبانية فيما بعد، فى منطقة لا تزال حتى يومنا هذا عربية التقـاليد والسحنات والعادات، ونحن نعرف أن التطور الاجتماعى فى اسبانيا ما قبل الحرب العالمية الثانية ـ وعلى عكس أوروبا كلها ـ كان يمضى بطيئا وأن المورونات ظلت حية متوهجة، لم يكن ملايين السياح والمدنية الحديثة وأدوات الاتصال المذهلة قد تدفقت على اسبـانيا بهذا القــدر الهـائـل، وأنهت حكايات الجدة وحديث الجد إلى الحفيد.

ولد لوركا عام ١٨٩٩ واغتيل فى ١٩٣٦. وما بين التـاريخـين أروع حكاية، عاش الطفل الكبير حياة عظيمـة، أحب الانسان، وقف إلى جانب البؤساء وحـارب الـطغيان وأنشد للحرية، ودفع حياته ثمنا لذلـك، لم يقض لوركـا فى «غـرنـاطة» سوى شهر واحد، مات بعده، ولكن هذا الشهر كان كفيلا بإثارة كوامنه ومشاعره التراثية والتغنى بزمان أصبح فى حكم المستحيل عودته.

ولعل الكثيرين يجهلون ان الاسم الذى اشتهر به «ملاك غرناطة» اسم عربى، «فلورقة» هى واحدة من ثلاث مدن ـ أولها غرناطة وثانيها مرسيه ـ ولها أهميتها فى التاريخ الأندلسى، وقد سقطت فى أيدى الاسبان فى منتصف القرن الثالث عشر.

وإذا تأملنـا وجهـه الأسمـر نجـد مسحـة من الارستقـراطية العـربية، تدفـع تلك الملامح الهادئة

ونتذكر عفويا ابياته الشهيرة من قصيدة «شفيع غرناطة»:

يطل فرسان عمالقة وسيدات حزينات

سمراوات من الحنين، لماضى البلابل

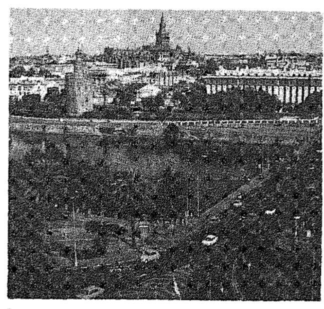
■ نحن بداية لا نستطيع الفصل بين لوركا وغرناطة، غرناطة العربية بالذات، ولا نستطيع بالتالى أن نفصل لوركا عن أندلس العرب، فهو قد غنى دائم ماضى الحياة والمدن العربية العظيمة المنهارة، وقارن بين ماضيها وحاضرها، وشعر بوطأة الزمن الغادر وهو يتطلع إلى مجدها الزائل.. غنى «قرطبة الوحيدة والبعيدة» و«قرطبة أرض الممات، واشبيلية موطن الجراح».

يقول الناقد الاسباني «جيليرمو ديات بلاخا» فى دراسته «مشعوذ الأندلس» ان غرناطة تبقى رمزا جوهريا وجماليا فى نتاج لوركا، وليست مجرد شـ عابر يتألق بين حين وآخر. وغرناطة عربية بشـ واضح وصريح فى شعره، انها مدينة مسلمة، مازا الظلال المترامية على جدران جزئها القديم عربـ لنوافير المياه فى ليلها صدى، وعبير الخزامى ينتشر صالات بيوتها.

غرناطة عربية، وقصر الحمراء فيها يبقى دائما للمحور الجمالى فيها، وصوتها منفعل، إنسانها طريقته الخاصة، علمته الحياة أن يحتقر الثـ والترف، وينزوى فى حديقة منزله، ألم يكن شاه على انهيار واحدة من أعظم حضارات الدنيا.

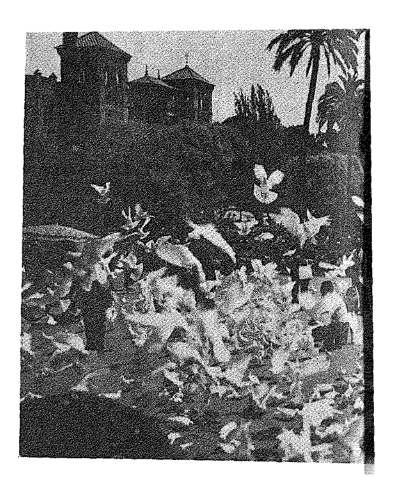
■ فى دواوينه «انطباعات» كتاب القصائد» «أغا «قصيدة الغناء الاندلسى» «قصائد غجرية» «التماريت»، يحملنا لوركا إلى أرض الجنوب، لنتعرف على الماضى، ولوركا دائم الحنين إلى ذلك الجنوب وذلك الماضى، وهو لا يكتفى بالتطلع إلى الوراء، الى تلك الحضارة، انه مؤمن باستمرار الحياة، وبأن هذا الاستمرار لابد وأن يلى مرحلة الصمت والموت التى تعيشها المدن الأندلسية، وإلى أرض العرب يعود لوركا بعد أن أرهقته رحلته إلى نيويورك، مدينة الطين التى اغتالت ماديتها طفولته، حولته من رجل ينشد بصوت متميز كل ما فى الحياة من أشياء وموجودات





إلى رجل يصرخ رافضا الظلم وزيف المدينة المعلقة بين الأرض والسماء.

إلى غرناطة يعود لوركا، ليغفو ويرتاح قبل أن يتابع، يقرأ قصائد عربية ـ أندلسية ترجمها المستشرق «جوميز» لأشهر شعراء العرب، ثم يشرع فى ديوان التماريت الذى امتدت سطوره من خلال الجذور العربية، وسنتركه يحدثنا عنها، دون أن نتدخل حتى لا نفسد قصة حبه، غرناطة العربية كانت حبيبته الأولى والأخيرة.. كانت بالنسبة إليه: البداية والنهاية، كما هى لنا.



(١) من ديوان: قصائد غجرية:

في الأراضى الظليلة تظلم عيونها بليل رحيب
في مرافق النسيم يصر الفجر المالح.
تغمض غرناطة عينيها الزئبقيتين
واهبة الظل الهادىء
ويصبح الماء بارداً حتى لا يلمسه أحد.

من قصيدة «غرناطة»

آه انت يا مدينة الغجر
فى زوايا الشارع ترتفع البيارق
من الذى رآك، ولا يتذكرك؟
يا مدينة الألم والمسك والسواك.
المدينة محررة من الخوف
تشرع أبوابها.
وأربعون دركيا يغيرون عليها للسلب
سرب من الصرخات البعيدة انطلق من الدوارات
وعبر طرقات الظل تهجر الغجريات العواجيز
وعند بوابة بيت لحم، كان الغجر مجموعين
والقديس يوسف ملىء بالجراح
يدفن طفلة فى كفنها، وبنادق تصر
لكن الدرك يتقدمون

زارعين تحت خطواتهم السعير
حيث غرة وعارية تحترق المخيلة
آه انت يا مدينة الغجر
يبتعد الدرك عبر نفق من الصمت
بينما يحاصرك اللهب.
آه.. من الذى رآك ولا يتذكرك؟
ليبحثوا عنك فى جبينى
لعبـة قمر ورمال.

من قصيدة «الدرك الاسبانى»

قرطبة وحيدة وبعيدة
فرس صغير سوداء، وقمر أكبر
ولو أنى اعرف الدروب
لن أصل أبدا إلى قرطبة
عبر السهل والريح ينظر الموت لى
من أبراج قرطبة
آه أى طريق بلا نهاية
آه أعرف ان الموت ينتظرنى
قبل ان أصل إلى قرطبة
وقرطبة وحيدة بعيدة.

من قصيدة «أغنية فارس»

«تعالى إلى غرناطة يا صبية»
لا تستمع إليهم الطفلة
مر ثلاث مصارعى ثيران شباب
يرتدون أزياء بلون الليمون
ويحملون سيوفا من فضة عتيقة
وعندما أصبحت العشية بنفسجية
مرَّ فتى كان يحمل ورودا وريحان قمر
«تعالى إلى غرناطة يا صبية»
لا تستمع إليه الطفلة
وظلت تقطف زيتونا
والذراع الرمادى للريح يزنرها من الخصر
شجيرة شجيرة، يابسة وخضراء.

من قصيدة «شجيرة يابسة»

من غرفتى أسمع فوارة الماء
إصبع من الدالية وشعاع شمس يشيران لقلبى
عبر نسيم آب، ترحل الغيوم
وأنا أحلم أنى يقظ
فى قلب فوارة الماء، غرناطة.

من قصيدة «العام ١٨٥٠»

(٢) من ديوان «التهاريت»:

فى غرناطة العطرة سماء بللورية
سماء جافة ومضغوطة بمخلب السنين
آه أيتها الرمانة الصافية
انت شعلة فوق الشجرة
تحيط بك الفراشات تحسبك شمسا
وخوفا منك تهرب الديدان
انت نور الحياة، أنثى بين الفاكهة
شهاب مضىء للغابة العاشقة.
ياليتنى مثلك ثمرة هوى فى المروج.

من قصيدة «أغنية شرقية»

نهر الوادى الكبير ينساب بين ليمون وزيتون
نهرا غرناطة ينحدران من الثلج الى القمح
آى يا حب، رحل ولم يعد
نهر الوادى الكبير.
نهرا غرناطة، واحد يبكى وآخر ينزف
وللمراكب الشراعية فى إشبيلية طريق
وفى مياه غرناطة تجدف التنهدات وحيدة
إحملى الزهر والزيتون
يا أندلس إلى جوارك
آى يا حب رحل ولم يعد

من قصيدة «الأنهار الثلاثة»

اشبيلية موطن الجراح
اشبيلية برج ملىء برماة ماهرين
وقرطبة أرض المهات
مدينة ترصد إيقاعات طويلة
وتطويها مثل سراديب مشتعلة
تحت قوس السماء وفوق سهلها الطاهر
تطلق السهم الثابت لنهرها
قرطبة أرض المهات
تمزج فى نبيذها مرارة دون جوان

من قصيدة «اشبيلية»

مئة فارس حدادين
إلى أين يذهبون؟
عبر السماء المضطجعة لحقل البرتقال.
لن يصلوا إلى قرطبة ولا إلى اشبيلية
ولا إلى غرناطة التى تتنهد بعد البحر.

من قصيدة «طريق»

فوق الجبل الأجرد مياه صافية
وأشجار زيتون مئوية
عبر الأزقة رجال ملثمون.
وفى الأبراج دوارات الهواء تدور
تدور إلى الأبد
آه يا قرية ضائعة
فى أندلس النشيج.

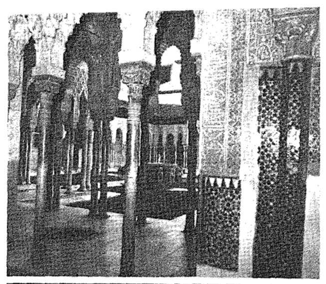
من قصيدة «قرية»

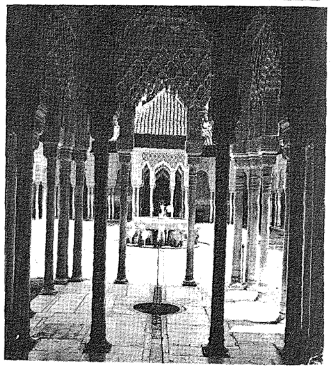
(٣) من ديوان «أغنيات»:

العاشقون المئة ينامون إلى الأبد
فى جوف التراب الجاف للأندلس
طرقات طويلة حمراء فى قرطبة

من قصيدة «الأعماق»

فى البيت الأبيض يموت ضياع الرجال
مئة مهرة تثب متواترة
لقد ماتت فوارسها.
فى ظل النجوم المرتعشة للمصابيح
ترتجف التنانير من الشيح
وظلال طويلة مسننة





تأتى من الأفق الكدر
وينقطع وتر قيثارة ما.

من قصيدة «موت أغنية أندلسية»

ترقص كارمن فى شوارع إشبيلية
شعرها أبيض وبؤبؤ عينيها براق
يا طفلات أسدلن الستائر
تلتف حول رأسها أفعى صفراء
وتمضى حالمة بالرقص
مع عشاق لأيام مضت
يا طفلات أسدلن الستائر
الشوارع مقفرة وفى أعماقها نتبين
قلوبا أندلسية باحثة عن أشواك.

من قصيدة «رقصة»

(٤) غرناطة غافية، تداعبها انهارها الرومانسية
وأنا أهفو هنا فوق قصر الحمراء
روحى ليست فى السماء
وفاض النهر الذى يحمل ذهبا فى مائه
وبدأ يصرخ مناديا من كان قد حكى
من تحدث؟ من أنت ياذا العاطفة؟
انت تكذب، انا كنت عاشق غرناطة
وروحى القلقة والمعذبة متوارية فيها
لدى جمال غرناطة بطريقة أفضل
ولكنى كنت شاعرها العظيم وعاشقها
الغذلان تموت وتنطفىء.
ويقول النهر:
انا أعرف من أنتما
تطلعت إليكما مرارا
وشربت شفاهكما الأرجوانية من دمى
أنتما الاثنان عظيمان وكلاكما أحبنى
وكان الضوء غريبا وعنيفا
وبدأ الصمت يعزف صداه الخائر
ذات الجلد الصقيل الأسود
وراحت الأنهار تقبل الصمت قبلتها الأبدية.
كان لون كل شىء ورديا
ورنت بعض قيثارات ممزقة وسامية
كانت أوتارها صرخات حب
وكانت أزهار الشرفات تتفتح
وتتحادث الديكة مع بعضها
واحدة بعد أخرى
كانت غرناطة حلما من أصوات وألوان.

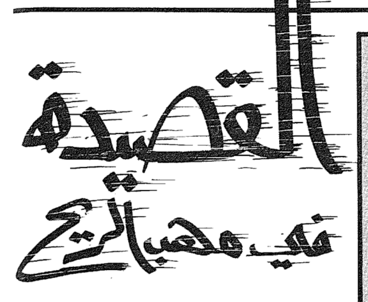
من كتاب «تخيل رمزى»

الهوامش والمراجع

(١) ناديا شعبان ـ مختارات من لوركا ـ المؤسسة العربية ـ بيروت ١٩٨٣ ص٥.

(٢) Lorca - Complete Works - Poems and others - Cambridge univ-london 1980.

(٣) Martin Hidger poet and philoso phyCambridge london 1960



بوريس باسترناك



نحلات

للشاعر البلغاري
ديمتر ميتوديف

ترجمة: ميخائيل عيد

شجرة الكرز تغازل النحلات:
تطرق النافذة ، ينفرط
غبار الطلع فى الاغصان المزهرة
وتنساه خلف الزجاج
منجذبة الى لعبة عشق
مع الاخرين..
ونحلتي الطيبة
ترتطم بالنافذة، تسقط على الاطار
ثم تحوم فوق رأسي بكراهية

* * *

افتح النافذة واطردها:
اخرجي، ها هي ذي الاغصان المزهرة!
ولا تلوميني على حماقتك
فقد دخلت ، ياعزيزتي من الباب!
ولكن كما يحدث اغلب الاحيان على الارض
تلوث النحلة
ولسعتني

* * *

اقف منزعجاً فوق الجسد الميت
فنحن الناس ايضاً
نحوم غالبا هكذا
حول اليوم الربيعي،
ونلسع، نحن انفسنا نلسع
ولكننا ،
لا نموت بسبب ذلك

بقلم: احمد عثمان
(مصر)

■ بوريس باسترناك . . شاعر سوفيتي (عفواً، سابقا، حالياً، روسي بعد المتغيرات الأخيرة، بناء على موطن مولده)، شهير، توفى فى العام ١٩٦٠ عن سبعين عاماً. فى بداية حياته، زاول الرسم والعزف الموسيقى على آلة البيانو. انه التأثير العائلى، فوالده فنان تشكيلي وأمه عازفة بيانو، ثم درس الأدب والفلسفة، فى سن التاسعة عشر، كتب المقالات النثرية وقرض الشعر، وأصدر أول دواوينه الشعرية «أشعار غنائية» Lirika فى العام ١٩١٣، عرفه العالم بأسره كروائي، أكثر منه شاعر أو صحافي، من خلال روايته الشهيرة: «دكتور جيفاكو» التى نال بها ـ بخلاف الدافع السياسي الخفي ـ جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٥٨، وعنها، يرى بعض النقاد أن بطلها يرتبط فى قدره المأساوي مع الواقع المؤلم للكاتب، فى شغفهما لحرية الفكر والاحاسيس للانسان، الذى استغرقته الحوادث الدرامية.

فى مقال له حول: «رينه ماريا ريلكه»، الشاعر الفرنسي، عند وفاته، كتب رؤى نقاشية عن طبيعة الفن ودلالته ودور الشاعر فى المجتمع، وعلاقتهما المتبادلة حتى لا يطمس الأيديولوجي النزعة الفنية، أى التجريب والتجديد. . وتلك هى رؤيته الفنية منذ ١٩٢٨، الى يوم وفاته، ولذلك هوجم مراراً وتكراراً بـ الاغراب والاغتراب من قبل ممثلى القمع السلطوي ـ الستاليني، وبالاخص الكاتب «سيركوف».

■ فيما يلى أقدم عدداً من قصائده:

تعريف القصيدة

إنها صفير يتعالى تدريجياً
إنها ضجة جليد يتحطم
إنها ليل تهتز فيه أوراق الشجر
إنها عندليبان من حديد ينصهر.

*** * ***

إنها بازلاء تشبع المكان،
إنها عالم يبكى تكاسله،
إنها فيجارو(١) تنقض على الناى، (٢)
فى تساقطها على الفسائل، على القشر.

*** * ***

كل ما رغب الليل فيه، متواجد
فى قاع المغاطس، والكهوف، وهى حاضرة
تلك النجمة المجلوبة من حوض السمك،
فى الكفوف المبتلة والمرتجفة

*** * ***

أكثر من لوح خشب فى الماء، إننا نختنق!
السماء تحت سطحه. .
النجوم تضحك بقوة،
لكن الثقب الضائع هوالعالم بأسره!

دروس الانجليزية

حين غنت ديزدمونة،
(يتبقى لها من العمر القليل)
ليس لنجمة الحب الحزينة،
إنما لصفصاف يبث نحيبا نشوانا.

*** * ***

حين غنت ديزدمونة
(صوت متضخم حتى يسترجع الحلم)،
أخذ شيطان أسود يحرس المزامير
من الأمواج الباكية ـ لأجل أيامها السوداء.

*** * ***

حين غنى أوفيلى
(يتبقى له من العمر القليل)،
هرب الشبح النحيل
كما الحشائش يدفعها الهواء.

*** * ***

حين غنى أوفيلي
(غثيان الحلم يخنقه)
أية غنائم لاحقته وسط المياه؟
إنها أغصان للصفصاف والشوفان.

* * *

جسده العاشق، ترك الرغبة
فى الأرض، ودخل فى مرج
بركة العالم الكبيرة
كي يفقده الوعي فى ضجيج هذا العالم.

الريــــاح

لست ـ أنا ـ كما كنت، وأنت موجودة فى كل مكان،
والهواء يعوى معانداً،
وهو يهز الاشجار والمنازل الصغيرة
ولا يحطم الاشجار كلها،
إلا أشجار الصنوبر،
فى آخر الافق الممتد،
كما يحدث دائماً مع عرائش العنب،
وعندما يستوى على الاجسام والستر.
ليس فى هذا أي تهور
أو بالاحرى غضب بلا راع،
لكنها تبحث ـ وسط ذلك ـ عن الكلمات المغناة
حتى تهدهدك كالموجة.

الـــــروح

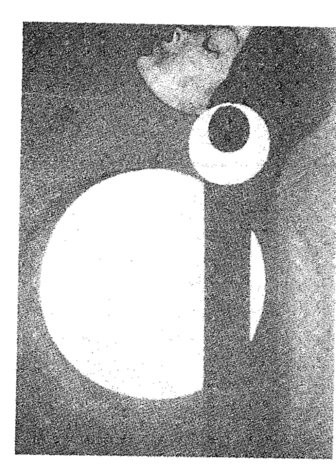
روحــى تبكى
أصدقاء الماضى،
أنت قبر
المشنوقين الاحياء.

**

حنطت أجسادهم
وأهدتهم قصيدة،
هى أغنية مرتبطة
بالنحيب ذاته.

**

فى هذه السن الذليلة



تجسد أنت الأنانية
واعياً بها وخلال الخطر،
إلا ان السلام مصان.

**

الاستشــهاد
ينحنى على شواهدك،
ولا يشــم ســوى
الأتربة المتساقطــة

**

روحى، قبري،
طاحونة تطحنك
وتمزج كل ما هو
موجود على الأرض

**

من، يطحن ما حدث لي،
خلال أربعين عاماً؟
أطحنه بأكمله
تراب المقبــرة.

الهوامــش

(١) فيجارو: عرس فيجارو، نتاج موزار الأوبرالي الشهير.
(٢) الناى: الناى المسحور، نتاج موزار الأوبرالي الشهير.

تعريف بكتاب:

كتابة القصة القصيرة

تأليف: ولسن ثورنلي
ترجمة: الدكتور مانع بن حماد الجهني
الامين العام للندوة العالمية للشباب الاسلامى

اعداد: د. محمد بن محمد شتا أبو سعد
رئيس محكمة الاستئناف العليا فى مصر

قليلون هم الذين يتنبهون لحقائق كيفية صناعة المستقبل، وللتأكد من صدق هذه الحقيقة فإنه يجدر التساؤل، أليس كل منا معنياً بركوب سيارته، لكن من منا حاول أن يتعلم كيفية صنعها بل حتى مجرد التعامل ا لآلي معها ومن ثم اصلاحها؟ إن الكثيرين ينبهرون بالشكل ولا يعبأون بالمضمون أو يهتمون بالشيء ولا يعيرون الكيفية أي اهتمام.

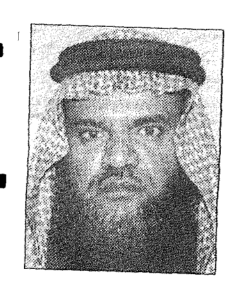
وهذا المثال المحسوس هو مدخلي المؤقت للتساؤل: كم كتابا للقصة القصيرة ظهر في العالم العربي؟ والاجابة: آلاف الكتب. ولكن السؤال الأهم. كم كتابا ظهر ليعلم الكتاب كيفية كتابة هذه القصة؟ ببساطة ويسر ومن خلال خبرة حقيقية وعبر منهج متكامل وفي اطار أمثلة محسوسة؟ والاجابة لا يوجد مثل هذا الكتاب في الساحة العربية رغم وجود عشرات الكليات التي يدرس فيها الأدب العربي.

ولا شك أن هذا نوع من القصور الشديد الذى تنبه إليه الدكتور مانع بن حماد الجهني فترجم كتاب كتابة القصة القصيرة لولسن ثورنلي، وقدمه الى المكتبة العربية في وقت هي أشد ما تكون حاجة اليه ليس فقط لمساعدة الكتاب والمؤلفين على انتهاج منهج حاسم شكلي وموضوعي في كتابة القصة القصيرة، بل أيضا لخدمة قراء هذه القصة، واثراء المكتبة بكتاب يبين الكيفية والطريقة ويشكل الحاسة الأدبية الابداعية والنقدية.

وبطبيعتي كقاض زهاء ثلاثين عاما فانني عشت في مجال قضايا الاحوال الشخصية خاصة وقضايا العمال والمعاملات المدنية والتجارية والمسائل الجنائية التي تنطوي على قصص خرافية تبين أبعاد الجريمة وغيرها، وتحول بعضها الى اعمال درامية تليفزيونية، أقول كقاص لا كقاص إنني بعد أن طالعت كتاب كتابة القصة القصيرة أحسست أن الانطباع خلاف التعلم، والابداه خلاف الصنعة، والموهبة السطحية خلاف الدراسة المنهجية، وتأكدت أن أي أديب لابد له أن يتعلم أدوات فنه الأدبى، وأساليب صياغة القصة أو الرواية، والنأي عن العفوية، والاقلاع عن السفسطة اللغوية، فكتابة القصة فن أو صناعة Technique وهو أيضا علم Science له أصوله وقواعده وأساليبه، ألا ما أضيع العمر الذي يقضيه إنسان في وهم القدرة على العطاء الأدبي وهو أبعد الناس عنه، ولكني كهاو للقصة، ومقحم اياها على عملي القضائي، لم يكن بوسعي التنقيب عن أفضل الكتب باللغات الأخرى لأطلع عليها فذلك أمر فوق طاقة أي انسان، ولذا فانني ما أن طالعت كتاب كتابة القصة القصيرة حتى وجدته، يقدم المنهج المتكامل لكتابة هذه القصة.

والحديث عن المنهج يقتضي الحديث عن الشكل من جهة والمضمون من جهة أخرى وأسلوب المعالجة، وعناصر العمل الفني وكيفية ابرازها شكلا وموضوعا، الى غير ذلك من هذه الأمور الأساسية في مجال المنهج وهي أمور تحتاج الى دراسة موسعة لا الى مثل هذا العرض السريع.

إننى أزعم أن الكتاب الذي أشير اليه تجاوز



الأمور السابقة وعرض الأمر بمنهج بالغ البساطة على نحو جعله ضرورة أساسية للمكتبة الأدبية العربية، ومن هذا المنطلق أقدم هذا العرض في نقاط محددة، أحاول أن أبسطها لتتفق مع صدق توجه هذا الكتاب في تعليم فن كتابة القصة، وأبدأ من المنهج البسيط لا المنهج المعقد كما أشرت آنفا وانظر الى الأمر من اطار غائي تعليمي.

أولا: فيما يتعلق بالمنهج القصصي:

إن أي قاص لابد أن يبحث عن الأساس الشكلي الذي يصوغ فيه الفن القصصي.

وهذه الجزئية من جزئيات المنهج هي التي تفرق بين قدرات الأفراد في التعبير الفني عن التجربة الاجتماعية والنفسية التي يريد الفرد التعبير عنها.

إن كتابة القصة القصيرة ليست حكاية تروى بطريقة عفوية، ولا تاريخ حالة يذكر بدون أطر منطقية، ولا موضوعا يعرض بدون تفاعل وتطوير وأداء محكم «إن القصة القصيرة الحقيقية . . هي ذلك النوع المحكم البناء الذي يخضع للأصول المحددة للفن القصصي الذي يتميز ببعض المواصفات الفريدة» (ص١٩).

■ **أما من حيث الموضوع الذي يصاغ في قالب منهجي شكلي معين**: فإن ذلك يحتاج لوقفات يمكن استخلاص معالمها بيسر من هذا الكتاب وهي التي أعرض لها تباعا فيما يلي:

● ليست اللذة أن نقرأ ولكن ان نعي ما نقرأ.

١ - **من حيث مفهوم القصة القصيرة**:

فالقصة القصيرة هي سلسلة مشاهد موصوفة تنشأ خلالها حالة مسببة تتطلب شخصية حاسمة لها صفة مسيطرة تحاول أن تحل نوعاً من المشكلة من خلال بعض الاحداث التي ترى أنها الأفضل لتحقيق الغرض (ص٢٠).

ويهتم هذا الكتاب ببيان ما يفترض بكاتب القصة من جعل كافة خياراته مشروطة.

وينجح كاتب القصة كلما جعلها تشتمل على عنصر تشويق هام لأن القصة تختلف عن المقالة والحكاية والمشاهد الموجودة فيها اذا نظر إلى كل منها على استقلال (ص٢١).

كما ينجح كاتب القصة اذا ضمنها أفكاراً توحي للقارىء بالتعاون مع الشخصية الحاسمة في القصة، بمعنى أن الأديب الناجح هو الذي يحيل القارىء الى متقمص، فلا يكفي أن يكون مجرد قارىء متفهم عارف، بل يجب أن يصبح بهذا التقمص كما لو كان هو صاحب الشخصية الحاسمة.

كما ينجح الكاتب القصصي اذا جعل القارىء شديد الانتباه وذلك بوضع الشخصية الحاسمة في القصة في مواقف تذكر المتلقي بتجاربه الخاصة فيكابد العملية بنفسه ويصبح تقمص الشخصية في هذه الحالة هو السجية الخاصة في القصة القصيرة المحكمة (ص٢٢).

٢ - **من حيث المشهد كوحدة رئيسية في القصة القصيرة**:

إن الوحدة الرئيسية في القصة القصيرة هي المشهد والمؤلف الناجح هو الذى يتصور القصة كما لو كانت

تحدث أمامه على المسرح ويصف ما يراه أو يسمعه أو يشعر به، حيث يجعل الكتابة تعطي القارىء تخيلا كاملا للمشهد.

كاتب القصة القصيرة الناجح هو الذي يجعلنا نسمع ما يسمع، ونحس ما يحس، ونتذوق ما يتذوق (ص٢٤).

والكاتب القصصي الناجح هو الذي يستطيع التحكم في التفاصيل التي يحويها وصفه، سواء كان وصف تجربة حسية تتعلق بزمان ومكان وادراك، أم تحليل شخصية لها غايات ودوافع ورغبات مع ملاحظة أن كل قارىء، تماما ككل أديب فريد في حواسه (ص٢٧).

والكاتب الناجح هو الذي لا يعالج الموضوع بقرارات تحكمية أو بتعبيرات غير فنية وانما يصوغ المشهد من خلال تحليل للزمان والمكان والاضاءة والشخصية ووجهة النظر والغرض والحواس الخمس (ص٢٨).

ويلاحظ من الناحية الفنية، أن هذا الكتاب يطلع الأديب والقارىء على العوامل التي تتحكم في منطق سرد التفاصيل وفق نظام معين، كالغرض من الوصف، والحالة النفسية للأديب، والعلاقات المادية، ووضع الشخصية، وهي أمور يمكن للناقد الحصيف أن يميزها، ويعرف الى أي حد كان الأديب صادقا في بناء المشهد القصصي (ص٢٩-٣١).

٣ - من حيث المعجم اللغوى للأديب وهو يصف المشهد:

يبدو أن هذا الكتاب، الذي لا يقول للقارىء أنه يعلمه شيئا في فن كتابة القصة، بطريقة مباشرة يأبى الا أن يقدم كل شيء ممكن من خلال الخبرة العميقة التي تقف وراءه وحدت الى ترجمته، ليكون مجرد أنموذج لكيفية اخراج الاساس الأدبي من المجال النفسي الى الاطار الاجتماعي الذى تتعايش فيه الظواهر، ويمكن أن يتضح هذا من خلال التركيز على طبيعة المفردات اللغوية التي يحسن بالأديب أن يستخدمها، وفيها يمكن استخلاص القواعد الآتية:

القاعدة الاولى:

إن نجاح الكاتب القصصي، في نقل تجربة شخصية القصة في مجموعة مشاهد تستلزم استعمال الكلمات التي تستخدم على المستوى الحسي الملموس في مجال الضوء والنظر واللمس والذوق والصورة (ص٣٤).

القاعدة الثانية:

ان الكلمة الموحية بفكرة مجردة يجب أن تتحول الى واقع حي في تجربة مشهد مادي، فكلمة «عمل» توحي بأعمال عديدة، وعند النزول في سلم التجريد فإنه يلزم بيان ما اذا كان المقصود وصفا محددا، كالبناء الذى يمكن أن تعبر عنه كلمة الاسكان، أما اذا كتبت النجارة، فإنه يمكن تصور اقتصار الأمر عليها وحدها، أما اذا تم وصف مشهد العمل بأنه قيام شخص ما بدق مسمار طوله كذا في الباب فقد اصبحت الفكرة المجردة (العمل) فكرة حية في مشهد مادي (ص٣٥).

القاعدة الثالثة:

ان كاتب المشهد الجيد يقدم أدلة ولا يقدم أحكاما، ولذا فإنه يستعمل أسماء مادية ملموسة (ص٣٧).

القاعدة الرابعة:

ان الكاتب الجيد لا يستعمل الكلمات المبتذلة وانما يبذل قصارى جهده لتقديم الكلمة الحية المجددة الدالة على المقصود (ص٣٩)، وهي دلالة يجب أن تتم بدقة متناهية (ص٤٠) لتجسد المعاني الايحائية الحقيقية (ص٤١).

القاعدة الخامسة:

ان التجارب هي مستودع التخيل الثر للقاص: «فالخيال وحده لا ينفع ولابد أن يؤسس على خبرة فعلية مختزنة بالذاكرة «والمشكلة بشكل رئيسي هي ليست في أننا لا نملك تجارب تصلح مادة للقصة،

بل هي في أننا غير مدركين وغير متأثرين بالتجارب التي تحدث حولنا باستمرار» (ص٤٥).

القاعدة السادسة:

ان الفكرة الشيقة لابد أن تتمركز حول مشكلة انسانية، وتبرز كيفية التغلب عليها أو الفشل فيها، والدوافع التي تكتنفها، وماذا حال دون الحل، ثم ماذا نتج عن ذلك فى النهاية (ص٤٨).

ومن هنا كان لابد لكل كاتب من دفتر من نوع دفتر المذكرات ليختزل منه المعلومات التي تساعده في اتمام البنيان القصصي المتكامل، وينمي الادراك للعالم والمهارة في الملاحظة الحسية وعمل المشاهد (ص٥١).

ثانيا: فيما يتعلق بالتطبيقات:

ولأن هذا الكتاب هو في جوهره كتاب لتعليم فن أو تكنيك أو كيفية أو طريقة كتابة القصة بطريقة مثلى، فإنه يقدم المنهج محللا بعد ذلك من خلال تطبيقات عملية، أبرزتها تماما بعض المشاهد المحلله ومنها:

١ ـ مشهد من مذكرات تحولت الى قصة: «خبز التوت [illegible]رق»، بقلم: أوليفيا برتقنولى (ص٥٥ ـ ٦٢).

[illegible]شهد من مذكرات تحولت الى قصة: «زمن [illegible]» بقلم: بنى أولرد (ص٦٣ ـ ٦٧).

[illegible]ف مشهدين تحولا الى قصة: «العم جوش» [illegible]م: جانيت هيرست (ص٦٨ ـ ٧٢).

٤ ـ تحليل لمشهد لكاتب محترف من المجموعة القصصية: «ثمانية رجال» تأليف: ريتشارد رايت (ص٧٣ ـ ٧٦).

٥ ـ تحليل لمشهد من قصة: «فيلكس تنقلر» تأليف: أ. إ. كوبارد (ص٧٧ ـ ٨٢).

والذي يمكن الاشارة اليه أن الراغب في خوض غمار تأليف القصة القصيرة، لابد أن يدرس بعمق دلالات تلك المشاهد بل أن الأديب ذاته في حاجة الى ذلك.

● الاديب الناجح هو الذى يحيل القارىء والمتلقي الى متقمص لصاحب الشخصية الحاسمة.

أما الدارس الاكاديمي فحاجته أكثر الحاحا لكي ينمي ملكة النقد أو الدراسة المقارنة.

ولا شك أن الوصف في المشاهد التى كتبها الطلاب في مذكراتهم قد تم تطويرها لكي تصبح مشاهد كاملة، ومجرد الوقوف على ذلك يعطى نوعا من الفهم العميق للمعالجة التى يمكن ان تشد انتباه القارىء، وتجعله اكثر قربا من أدب القصة القصيرة.

ان «التعليقات التى ترافق كل وصف تبدو لي أنها افضل جزء في هذا الكتاب» (ص٥٤).

ان المتعة الحقيقية في الاستنتاج يمكن أن تنتج من قراءة النص بدون تعليق، ثم قراءة كل فقرة من المشهد مقرونة بالتعليقات المرافقة لها (ص٥٤). ان هذا لا يساعد على الفهم فقط بل على التحليل ايضا، ولذا لابد أن تكون القراءة بطيئة والدراسة متأنية.

ونصل الآن إلى الاثر الانعكاسي الطيب لفهم هذه التطبيقات على نشوء جيل خليجي بوجه خاص وعربي واسلامي بوجه عام من كتاب القصة القصيرة ممن يحققون الاسلامية بأجلى معانيها في كتابة القصة القصيرة بحيث انهم:

* يخدمون العقيدة الاسلامية بطريقة غير مباشرة.

* ويجسدون القيم الاخلاقية الاسلامية بأساليب تبتعد عن الخطابية المملة.

* ويغرسون فى نفوس الناشئة روح حب الدين بأساليب لا يظهر فيها التوجيه الصارم، بل يشيع فيها الايحاء الهادف.

* ويبرزون معالم الاسلام من خلال عبارات تجسد الحقائق وتنأى عن إصدار الاحكام القطعية وتتخذ

من الوصف المناسب أساسا للافهام.
* ويركزون على فكرة جعل الشخصية المحورية أو الرئيسية في القصة ممن يحبون الخير ويسعون اليه لا ممن ينتصرون للشر ويكرسونه.
■ وهكذا، فإن تعلم كتابة القصة لن يكون هدفا في حد ذاته كما هو الشأن في البيئة التى نشأت فيها القصة بلغتها التي ترجمت منها، بل سيكون ذلك وسيلة لاذكاء القيم وبث اسمى المفاهيم واشاعة أفضل الفضائل قاطبة.

ولا شك أن الحركة النقدية التى ستستتبع الاهتمام بمثل هذا الكتاب، ستساعد على تكوين جيل يحترم القيم الاسلامية ويجاهد في سبيلها وينأى عن النفعية أو البراجماتية الضيقة، ولا يتأثر بالتيارات الأدبية القائمة والقاتلة لكل القيم، كالوجودية السارترية التي تنفي الحقيقة الالهية وما دونها وما فوقها من تيارات ومذاهب أدبية قاتلة.

■ ان التطبيقات العملية المشار اليها آنفا، قد وضعت يد الكاتب الواعد على أدوات الكتابة فمن اهتمام بالوقت الى تركيز على المكان، ومن استخدام لمفردات راقية الى نأي عن مبتذل الكلام، ومن ملاحظة دقيقة لحركة الريح والضوء الى غوص في أعماق الشخصيات، ومن رنو الى فضائل هامة الى اهتمام بتفاصيل غير مرئية تجسد الرغبة الحقيقية في وضع لبنة قوية في البناء القصصي، ومن عرض

● «أولاد حارتنا» سهم طائش لموهبة رائعة..

للمواقف الى تطوير لها، ومن تشبيهات تقرب المعنى، الى ابراز للحقائق التى تكاد تجعل القارىء يلمس هذه الحقائق، ومن بيان للاوصاف كما تشعر بها الحواس الخمس الى تعاطف مع مستلزمات التفاصيل، ومن استشراف للآمال مع اشخاص القصة الى تأكيد لحقائق الانطباعات الخيرة في النفس البشرية، ومن وصف لما لا يكاد يجاد وصفه كالروائح الى تكرار للأوصاف المتضادة أو المتناقضة أو حتى غير المتوافقة لجعل القارىء أو المتلقى يعيش مع افرادها في داخل بيئتهم وفي نفس الجو الذي يحيون فيه، ولو لم يكن لكل ذلك سوى اراحة الانسان من هراء الأدب الرخيص، والجنس المكشوف، والحرب الموجهة ضد اخلاقيات المجتمع لكان ذلك شيئا عظيما يكرسه فهم كيفية التعبير أو حتى مجرد كيفية فهم ما تم التعبير عنه في القصة، لكن الأمر يتجاوز ذلك الى حد التأثير في الشخصية تأثيرا عميقا، فيصبح المتلقى أو القارىء بوجه عام وكأنه المنوط به تحقيق أرقى القيم على الارض، وبعث أفضل الرسائل للوصول الى أنبل الغايات.

ولا شك ان امداد الافراد بالمفردات اللغوية يتم بطريقة شبه عفوية من مجرد قراءة القصة التى تنطوي على عنصر التشويق.. والملاحظ ان هذا الكتاب يركز على امرين يستخلصان بسهولة من ثنايا الاهتمام بالمشاهد المشار اليها وتقديم التحليلات والدراسات عنها وهذان الأمران هما:

** جعل المفردات الراقية أساسا للتخلص التلقائي من الكلمات المبتذلة، ولا يتأتى ذلك إلا بالاختيار الدقيق للكلمة، واذا كان الاسلام يستلزم الاحسان في كل شىء حتى في القتل، وكان الأدب الرخيص يقتل المجتمع بلا احسان، فان هذا الكتاب يدعو لا الى القتل، بل الى السمو بالنفس والروح وكيان الانسان من خلال الاحسان في اختيار افضل الكلمات وأدقها.

** وجعل التخطيط المسبق عنصرا أساسيا في بناء القصة، فلم يعد الأمر إذن أمر موهبة قد تخطىء السبيل، ولا خبرة مجردة عن الدراسة فتطيش سهامها ولو مرة واحدة فتدمر، بل الأمر أمر تخطيط لخدمة الاسلام والقيم والاخلاق والعقيدة وهذا هو أرقى هدف.

اني أزعم أن أولاد حارتنا كانت سهما طائشا من سهام الموهبة التي أودعها الله اعماق نجيب محفوظ

لأنها كانت استجابة غير واعية للدعوة القوية الى الالحاد في مصر وقتذاك. أي منذ قرابة ما ينيف على الثلاثين عاما، ومهما كان حصوله على جائزة نوبل تكريما لأديب عربي فان الفكرة الاساسية في «**أولاد حارتنا**» كانت تكريسا للسهم الطائش الذي انحرف بالموهبة، وهذا أمر لا يريد له المترجم أن يحدث، ولذا كان اختياره لهذا الكتاب بالذات اداة مباشرة للتوعية بأبعاد مستقبل القصة العربية ووجوب تسخيرها لخدمة القيم الاسلامية.

ان هذا الكتاب فضلا عما تقدم يأخذ بيد الراغبين في كتابة القصة الى الافادة من أساليب الاشتقاق اللغوي، واستعمالات صيغ الأفعال، والوقوف على المعاني الدقيقة، التي تصف وتساهم في بعث الحركة في الموقف فيندفع المشهد الى الأمام ولا يصمد على حال واحد من التوقف أو الجماد أو عدم التفاعل.

ان هذا الكتاب، من خلال هذه المحاولات التطبيقية، يضع يد الكاتب على عيوب الاطناب والتكرار الممل والاستعمال غير المدروس للصيغ اللفظية، لا سيما حالات استعمال المبني للمجهول فذلك أمر ينبغي هجره كلية عند كتابة القصة القصيرة، لما تتميز به من مميزات لا تتوافر لأي بنيان أدبي آخر.

ولعل أهمية الدراسة التطبيقية في هذا الكتاب لا تقف عند ما تقدم فحسب بل تتجاوزه الى مرحلة أخرى يدخل فيها الأمر مجال التحليل والاحساس بأثره، فبناء الشخصية وعناصر تكوينها والسمات المحيطة بها، تتأثر بالزمان والمكان والبيئة والوراثة، وقد يضفي الكاتب على ذلك جانبا آخر من الحيوية من خلال بيان علاقة تلك الأمور بالمنظر العام والضوء وتلميحات أخرى عن اللمس في الحرارة والرطوبة وما تمثله «الأنا» بالنسبة للقيم المراد غرسها، من خلال ترتيب عناصر الوصف، والاهتمام بالتفاصيل الموضوعية التي تثير رؤى شبه متقاربة ولكنها لا تغفل العوامل الذاتية والعواطف الخاصة والحركة والصوت وما يحلق بهما من أمور أخرى يكون الأديب ناجحا كلما استطاع ان يتحكم فيها ويبرز علاقتها بالشخصية وتأثرها بها أو تأثيرها عليها.

وهناك أمر آخر يهتم به التحليل العام للمشاهد المشار اليها، ألا وهو مدى توافر القوة الايحائية للكلمات وتأثيرها على المزاج، ومدى الاهتمام بآراء من لا يتصور عادة أن لهم آراء كالاطفال الصغار الذين يدركون من المواقف أموراً قد تؤثر على مستقبلهم وعلى مستقبل الاسرة دون أن يعي ذلك من وضعوهم في هذه المواقف، وهنا يأتي دور توظيف الأدب لخدمة التنشئة الاجتماعية، فأدب المواقف هو من جوهر وطبيعة القصة القصيرة.

انني أعتقد أن كثيرا من القراء قد يقرأون العبارات التحليلية التي كتبت أمام المشاهد المشار اليها دون أن يصلوا الى ما بثه هذا الكتاب في وجداني من الخواطر السابقة، ولكني واثق أنهم لابد أن يقفوا على حقائق قد تزيد أو تقل عما تقدم ولكنهم لا محالة يتأثرون بها بقدر أو بآخر عندما يحاولون القيام ببنيان قصصي أو حتى عندما يمارسون حياتهم الذاتية بأساليبهم الخاصة.

ان التكرار المتزن لعناصر المنظر يمكن بدوره أن يؤدى دوراً هاما ومؤثراً فى مجال كتابة القصة القصيرة، تماما مثلما يعلن الوصف الدقيق للصوت عن المكان والمنظر واللمس والشم ووجهة النظر، مثلما تؤثر الرائحة على التصرف والكلمة على المدلول، ومثلما تؤثر التعابير المرافقة للحوار عن جوهر الاساس الذي يبعثه هذا الحوار في النفس.

نعم ان كتابة القصة القصيرة ليست مسألة عفوية، وانما تعتمد كتابة القصة على قراءات مسبقة وتجارب عديدة، ولا شك أن هذا الكتاب يقدم الزاد العلمي المباشر لمن أراد ولوج خضم كتابة القصة أو فهم أبعادها، فليست اللذة أن تقرأ وإنما اللذة أن تعى ما تقرأ.

ثالثا: فى مجال وصف الشخصية الدرامية:

ومن يقرأ هذا الكتاب المترجم يجد أنه يعالج في الفصل الثالث مسألة وصف الشخصية الدرامية، في

صفحـات محدودة، من ص٨٣ حتى ص٩٩ ولكن متى كانت النتائج والغايات في أي عمل علمي تقاس بمقدار الكلمات أو العبارات أو الصفحات.

ان هذا الفصل له أثره الهام في تعليم الاشخاص كيفية كتابة القصة القصيرة إذ أنه يضع بعض الملامح الهامة والأساسية في هذا الصدد والتي يمكن القول ان أهمها ما يلي:

١ ـ اذا كانت المشاهد هي الوحدات الرئيسية في بناء القصة القصيرة، إلا أنها ليست هي القصة وان كان المشهد الواحد يحتوي على حيز كاف لتكوين القصة، لذا يجب تدعيم ذلك بأمور أساسية:

أ ـ جودة الحبك.

ب ـ الأمـور التي تساعد على جعل الوصف الحسي أساس التصوير الدرامي.

ج ـ التطور من المشهد الأول الى المشاهد الوسطى الى المشاهد النهائية.

٢ ـ ان بنيان القصة القصيرة لا ينفصل جزء منه عن الجزء الآخر البتة، حتى وان قام الكاتب المبتدىء بمعالجة تثبت خلاف ذلك أو حتى توهم هذا، ذلك أن الحقيقة أن كل جزء في القصة القصيرة وان خدم غرضـا محدداً إلا أنـه يجب أن تظل كافـة المشـاهد مترابطة من أجل ايجاد منظر عام واحد شامل، وأشير الآن الى أمور أساسية في بناء القصة القصيرة.

الامر الاول: الشخصية الحاسمة:

ولما كانت الشخصية الحاسمة فى القصة القصيرة هي الفرد الذي يتأثر بالأحداث، ويحدد القضايا التي تواجهـه في حل مشكلتـه، لذا فإن هذه الشخصية يجب أن تكـون دائـما شخـصـية واعية بالحـدث الـدرامي، معبرة عن ذلك أصدق التعبير، وبذلك يستطيع الكاتب أن يجتذب تعاطف القراء مع هذه الشخصية وبحيث يحدث التقمص الـذي سبقت الاشارة إليه، والذي يعني وضع القارىء نفسه موضع الشخصية الحاسمة، بحيث يكاد القارىء يندمج في ذات صاحب تلك الشخصية ويعرف دوافعه ويشعر بماذا يفكر وفيما يفكر أو يحس.

اذا استـطاع الأديب أن يفعـل ذلـك فانه يوفر للقصة القصيرة الوحدة في البنيان والتركيز في الغرض والـوضـوح في وجهـة النـظر، الأمـر الذي يعني أن الشخصية الحاسمة تقوم بوصف كل مشهد على نحو يبقي على ترابط القصة، فيرى القارىء نفسه عاطفيا وفكريا مع شخصية القصة.

الأمر الثاني: الصفة المسيطرة:

كذلـك ولما كانت القصـة القصـيرة لا تحتمـل التـطوير الموسع للتغييرات الشخصية كما في الرواية مثلا، إلا أن القصة القصيرة تتسع لا محالة لعرض واضح لصفة مسيطرة واحدة فقط تتمتع بها الشخصية الحاسمة، وقد بين هذا الفصل ذلك بيانا تحليليا دقيقا يستـطيع كل أديب أن يستقي منـه ما يشـاء من التصورات والأفكار والأخيلة.

ويلاحظ في القصة القصيرة وجوب الاقلال من الشخصيات الثـانوية، والخطأ الذي يتردى فيه كثير من الكتاب، بل بعض الموهوبين منهم، هو أنهم لا يتمثلون القاعدة التي يحث عليها هذا الكتاب وهي أنـه كلما كان من الممكن إيراد القصـة القصـيرة بشخصية ثانـوية واحـدة فإنـه لا يجوز استعمال شخصيتـين ثانـويتـين أبـدا وهكـذا، والسبب أن الشخصية الثانوية يجب أن يكون لها دور ضروري في بناء القصة القصيرة، ويكون لها بناء على ذلك صفات وسـمات، ولـكـن هذه الشخصية وان قامت بدور أساسي في مشهد الا أنه يجب أن يقتصر دورها على أداء الخدمة المنوطة بها، وتعدد الخدمات يعني الوقوع في كثير من الاخفاقات.

الأمر الثالث: المشكلة:

كل قصة قصيرة لابد أن تقوم على مشكلة تحتاج الى حل، فالأمر اذن ليس أمر ملء الأوراق بالكلمات والأخبـار، وعلى الأديب أن يتعـامـل مع المشكلة بمرونة، والمشكلة هي: أي شيء يحتاج الى اتخاذ قرار

من جانب الشخصية المسيطرة، ولا يهم بعد ذلك ان يكون القرار مدروسا أو عفويا فذلك يعتمد على تركيب الشخصية الذي يتصوره المؤلف، وقد بين الكتاب ذلك بيانا كافيا، وبين أن المشكلة قد تكون جسمانية أو نفسية وقد تكون فكرة ذهنية أو موضوعا أو بحثا في الاخلاق والدين.

ومن هنا يمكن التقاط الأفكار المتعلقة بتوظيف الأدب لخدمة العقيدة، وانطلاق الأديب في قصته القصيرة من منطلق أخلاقي عقدي يحركه في اتجاه الحق والعدل والانصاف والنأي عن الظلم والجرم والتحلل والتسيب واللامبالاة وغير ذلك.

والمشكلة يجب ألا تترك بلا حل، بل يجب أن تكون من المشكلات الجديرة بالحل المقترح سواء أكانت مشكلة معقدة وغامضة أم سهلة وواضحة، وأترك للقارىء أن يستخلص من الكتاب ما شاء الله له أن يستخلص في هذا الصدد.

فكـرة القصـــة:

ان هدف أي كاتب هو تسجيل سلسلة من المشاهد المسرحية كما يقول الكتاب، ولكن الاستغراق في الموضوع يجب ألا يطغى على غرض الكاتب، وكل كاتب لابد أن تكون لديه فكرة (تثور في داخلها المشكلة) وهي السبب الذى يحركه للكتابه، ولكل ما تقدم يجب أن تكون لكل قصة فكرة واضحة دائما في ذهن المؤلف ويستطيع المتلقى ادراكها بسهولة.

رابعا: النظرة الشاملة للأديب فى القصة هي أمر ضروري حاسم لنجاحه:

الأمر المقصود الذى أعتقد أن الكتاب قد عالجه في هذا الصدد ليس فقط وجوب توافر نظرة شاملة لدى الكاتب على تفاصيل احداث كل مشهد، وانما أيضا النظرة الشاملة للأديب تجاه البنيان الذي تقوم عليه القصة والمشاهد التى تتألف منها والاحداث التي تتطور فيها والفكرة التى تنبني عليها، والمشكلة التي تعالجها والحوار، وما يتفرع عن كل ذلك من أمور أو يتساند معها في ظل احترام كافة الجزئيات والأصول المتقدمة، وقد عالج الكتاب مسائل يمكن أن تندرج في هذا الاطار في الفصل الخامس الذي عنوانه: البداية مرة أخرى وذلك من ص ١٠١ حتى ص ١٢٠ وهذا الفصل يستلزم:

* الربط بين النظرة الشاملة للمنظر الأول وما عداه أي ما يلحقه من مناظر فالترابط ضروري.
* الاهتمام بالحالة المسببه، فالقصة تبدأ من وقت وضوح المشكلة واعتبارها ملزمة للشخصية الحاسمة.
* ان كثيرا من المصاعب لا تحتاج الى حل في القصة القصيرة ولكن المشكلة التى تفجرها القصة لابد لها من حل مترابط ومتكامل ووثيق الصلة بما يسبقه ويلحقه من أحداث.
* ان الترابط يقتضي الانطلاق في الاحداث الى الأمام، ولا مانع من الاسترجاع.

وبالجملة فهناك عناصر اساسية تركيبية يجب أن توصف فى بداية القصة وقد ركزها الكتاب في ستة ثم عالج مسألة وجهة النظر، وقال ان القارىء لا يستطيع أن يتقمص الشخصية الحاسمة الا اذا توافر الالتزام الصادق والتبني التام لوجهة النظر التي تسمح بهذا التقمص، وقد عالج الكتاب ما يعرف بوجهة نظر الشخص الثالث الذاتية ووجهة نظر الشخص الثالث الموضوعية ووجهة نظر المؤلف كلي المعرفة وهذه مسائل فنية ودقيقة وتحتاج لقراءات متعددة للكتاب. ص ١٠٩ وما بعدها.

وأما استعمالات الحوار: فإن الكاتب يجب ألا يستعمل الحوار إلا من أجل تطوير فهم الشخصية أو واقعها أو غير ذلك من الأهداف فلا حوار بلا غرض وإلا كان لغواً لا قيمة له في عمل يجب أن يكون لكل لبنة فيه قيمة بالغة.

ومن أجل هذا بين الكتاب أن الشخصية تكشف عن نفسها باختيار البنية واستعمال الكلمات والعبارات الاصطلاحية والحركة وغير ذلك في ضوء الحالة التى تفرض على الكاتب ما يستعمل وما لا يستعمل.

ولذا يجب أن يدرب الكاتب أذنه على التعرف على

الاصوات المتعددة للحوارات التي تدور حوله . . ويجب عليه أن يعي التعابير الاصطلاحية الخاصة بالحوار . كما يجب أن يعرف كيف يكون الحوار ملائماً رغم أن الحوار الذي يكتب في القصة ليس حواراً حقيقيا.

التعابير المصاحبة:

التعابير المصاحبة هى تلك التى توصل من المعنى ما يوصله الخطاب الشفوي نفسه.
أمثلة للحوار: وقد قدم الكتاب أمثلة للحوار الذي يفيد كاتب القصة القصيرة ويجعله أهلا لكل تقدير عند الوصول الى مثل هذا المستوى أو تجاوزه.

خامسا: وسط القصة القصيرة ونهايتها:
عالج الكتاب هذين الموضوعين في الفصلين السادس والسابع وهما قصيران، فهما من ص ١٢١ حتى ص ١٣١.
وهو يبين أن وسط القصة يقدم تلك المشاهد التي تعرض الحل الذي قررته الشخصية الحاسمة في المشاهد الأولى للتداخل بشكل ما مما يفرض على الشخصية أن تعيد تقويمها للوضع وتتخذ قراراً جديدا في سبيل تحقيق الحل الأكثر فعالية، وقد بين الكتاب ذلك وعمقه وذكر بعض أمثلة الوسط.

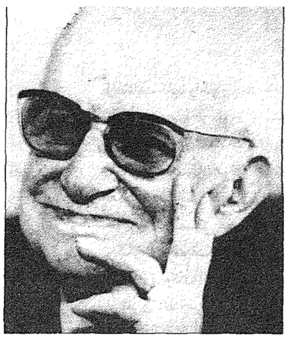
أما نهاية القصة:

فيجب أن يتم التحضير لها، فالقارىء لا يجوز أن يفاجأ بالقرار النهائي الذي اتخذته الشخصية الحاسمة، وإلا فإنه لن يتعاطف مع النتيجة التي تم الوصول اليها، والقاص الذكي هو الذي يريد منه أن يقول نعم ان هذه النتيجة صحيحة وقد فحص الكتاب بعض النهايات وقدم أفكاراً للدراسة.

سادسا: أما الفصل الثامن: فقد قدم تطبيقا على القواعد في ست صفحات بعضها يتعلق بالبداية وبعضها الآخر يتعلق بمشاهد الوسط والنهاية والمشاهد كلها والحوار.

سابعا:
وكل ذلك كان موضوع القسم الأول من الكتاب أما القسم الثاني فهو عبارة عن تحليلات وتعليقات على ثلاث قصص قصيرة هي قصص الجد لجيم راكام، وصغيرة جدا على الموت تأليف ليورك أليسون، وكأن الدنيا ربيع بقلم ميلثن كبلان، وقد استغرق ذلك من ص١٤١ حتى ص ٢٠٢ ولا أعتقد أن المجال يسمح الآن بعرض الافكار المستفادة من هذه التحليلات والتعليقات، ولذا يلزم اعادة عرضها فى وقت لاحق.

ثامنا: أما القسم الثالث: فينطوي على خمس قصص قصيرة للقراءة والتحليل وهى قصة فتى الغابة المسكين بقلم جيمس ألدرج، وقد انتهت بدليل للتحليل من حيث المشاهد والبناء والحوار وفكرة القصة، وقصة وولى، تأليف هويل وايت، وقد اتبعت بدليل مماثل للتحليل، وقصة عبر النفق بقلم: درويس ليسنق، وقد اتبعت أيضا بدليل للتحليل، ثم قصة المزلجة تأليف توماس إ. آدامز، وقد اتبعت أيضا بدليل التحليل، فقصة كيف سطا السيد هوقان على احد المصارف، تأليف القاص الكبير جون شتاينبك وهى متبوعة كذلك بدليل التحليل، واستغرق كل ذلك حتى ص ٣٢٨ من الكتاب.
ويلاحظ أن القسم الأخير كالقسم الثاني، لا يحتاجان لأكثر من ذهن القارىء والراغب في التأكد من قدرته على الكتابة القصصية لكي يتابع محتوياتهما في ظل الأمور الجوهرية التى سقناها في القسم الاول استخلاصا مما ورد في الكتاب، ومع ذلك فقد يكون من المناسب معاودة النظر في هذين القسمين فمعاودة النظر تكشف دائما عن الحقائق الغائبة.
واذ أرجو بهذا أن أكون قد وفقت في عرض وتحليل بعض جوانب هذا الكتاب الهام، فإنما أشكر المترجم على هذا الجهد الجبار الذي بذله في سبيل اثراء المكتبة العربية وسد ثغرة واضحة فيها،



يحيى حقى (١٩٠٥ ـ ١٩٩٢م)

رائد القصة العربية القصيرة

■ **«قنديل أم هاشم»** . . من منا لم يقرأها . . أو لم يسمع عنها . . حيث الصراع . . صراع الانسان الشاب بين حضارة الغرب الجديدة وبين تقاليد الشرق الموروثة.

(صح النوم) . . **(خليها على الله)**. . (خطوات من النقد ١٩٦٠) (فجر القصة المصرية ١٩٦٠) (فكرة وابتسامة ٦١) (دمعة فابتسامة ٦٦) (تعالى معى إلى الكونسير ٦٩) (حقيبة فى يد مسافر ٧٠) (عطر الاحباب ٧١) (ياليل يا عين ٧٢) (أنشودة البساطة ٧٣) (ناس فى الظل ٧٤).

وكلها تلمس فى توهج خاص وتعمق . . جذور أرض المجتمع . . وتركز على المواجهة بين الحضارتين العربية والغربية . . وكلها تنصرف إلى الجوهرى والأصيل فى التجربة البشرية.

إضافة الى توهج خاص ينطلق من توحد الاحساس بالواقع الشعبى وبالعمق التاريخى وبالحضارة الانسانية عامة . . وإلى جانب هذا . . وذاك.

فهناك العديد من الدراسات والمقالات الأدبية والنقدية والترجمات الخاصة بالمسرحيات والروايات . . خاصة وأن الرائد الشامخ كان يتقن اكثر من لغة . . التركية ـ الانجليزية ـ الفرنسية بجانب العربية . . إضافة الى العديد من المقالات الصحفية واليوميات.

توهج دام اكثر من ثمانين عاما ولا يزال يشع بما تركه صاحبه من آثار.

أما المولد: فكان فى القاهرة سنة ١٩٠٥م.

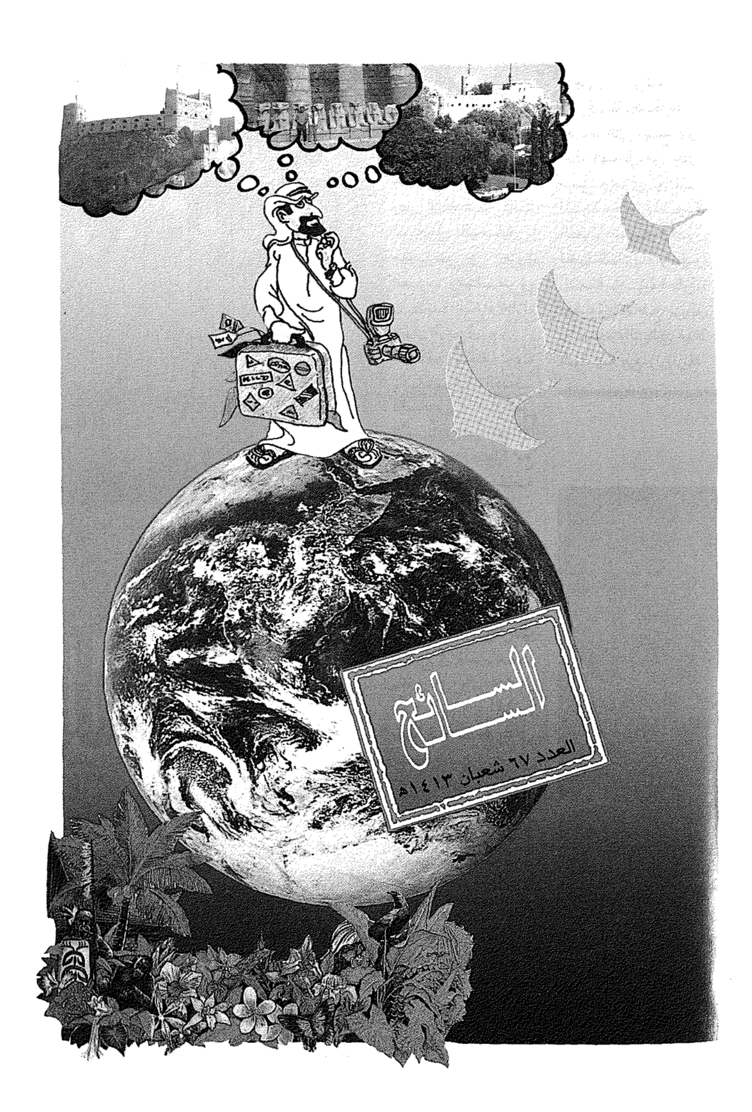
وأما الحياة العملية: فقد تخرج فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة . . وعمل بالسلك الدبلوماسى المصرى ٢٧ عاماً تنقل خلالها فى عدد من البلاد والعواصم العربية والأوروبية . .

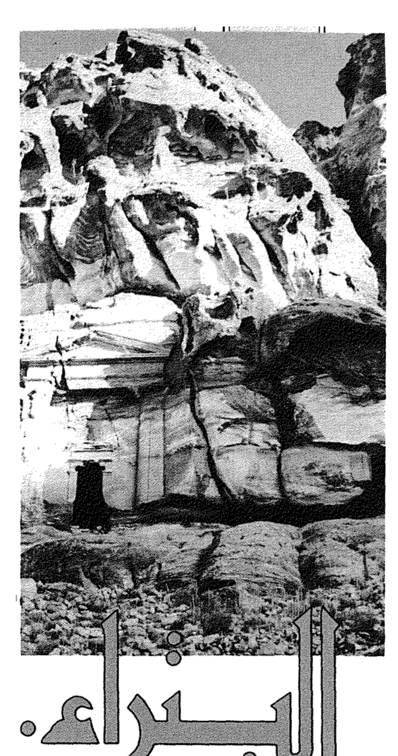
ومنذ ١٩٥٢ حتى ١٩٦٢م كان مديراً لمصلحة الفنون . .

ورائدنا . . حصل على جائزة الدولة التقديرية ونال العديد من الاوسمة وشهادات التقدير ـ كما نال جائزة الملك فيصل العالمية . .

رحم الله يحي حقى . . عاش وانتقل الى رحمة الله وكله عطاء أصيل . . فسطره التاريخ ضمن شواهد نهضتنا الأدبية.




السائح
العدد ٦٧ شعبان ١٤١٣هـ



البتراء

محطات سياحية

تقع فى جنوب الاردن على بعد ٢٧١ كيلومتر من عمان على الطريق الصحراوى والطريق اليها عبارة عن منحدر جبلى ينتهى فى قرية وادى موسى.. مدخل البتراء.. حيث يوجد نبع غزير لا يزال يزودها بالماء منذ عصور ما قبل التاريخ.

البتراء تقع بين جبال آدوم الرملية وتعد إحدى الروائع الفنية.. كانت قديماً عاصمة الأنباط وهى قبيلة عربية كانت تشتغل بالتجارة.. هاجرت من جزيرة العرب واستقرت فى منطقة البتراء خلال القرن الرابع ق.م.

هذه المدينة منحوتة بكاملها فى الصخر الخالص.. اقتبس الأنباط اهم مظاهر الحضارة الهلينية مع اضفاء صبغتهم الخاصة عليها حتى اصبحت هذه المدينة نادرة فى العالم وعجيبة من العجائب التى يتحدث عنها.

الطريق الى البتراء يبدأ بـ (السيق) وهو شق متعرج فى قلب الصخر يرتفع من ٧٠ ـ ١٠٠ متر ويرى الزائر على الجانبين بقايا قنوات حفرت فى الصخر كانت فيها مضى تجلب الماء من وادى موسى الى المدينة.. هذه الممر الضيق وتلك الحصون الصخرية الطبيعية التى تحتضن البتراء قد وهبتها مناعة ضد الغزاة.

وأنت تمخر عباب البتراء ترى الأضرحة والبيوت والمعابد والحمامات والمدرجات وطرق الماء المقطوعة فى الصخر التى يجتمع فيها الماء الصافى من وادى موسى ويجرى الى قلب المدينة وحين تبلغ نهاية الطريق تشاهد قصراً فخما ضخما له واجهة رائعة زهرية اللون متناسقة التقاطيع تزينها الاعمدة والتماثيل هذه الواجهة هى (الخزنة)



وهى اجمل آثار البتراء على الاطلاق بهندستها وزخرفتها.. ويعتقد انها كانت مدفناً لأحد ملوك الأنباط وقد حفرت جميعها فى الصخر.. وبنيت هذه التحفة نحتاً فى الصخر فى القرن الاول قبل الميلاد.. والمعروف ان الأنباط كانوا ينحتون أبنيتهم من أعلى الى اسفل.

جديد النغم

على سطح هذا المبنى، وفى الهواء الطلق، هذا البيانو الضخم، وهذا الفنان الضخم، واهزوجة النغم الجديد.. إنها اليابان.. وإنها أساليب إعلانها!!



البحيرة اللؤلؤة

للؤلؤة منظر خلاب وجذاب فيكفى النظر لها لتسحر العين بجمالها.. ولكن ماذا لو اقترنت هذه اللؤلؤة برائحة كريهة ومنظر غير مرض.. هذا ما حدث بالفعل فى عاصمة ساحل العاج «أبيدجان» فمن بعيد تبدو هذه المدينة خلابة كلوحة رائعة من الابراج السكنية المتألقة والمطلة على بحيرة زرقاء تحف بها الخضرة الاستوائية الساحرة.. ولكن عن قرب تباغتك رائحة كبريتية كريهة ترف على سطح المياه وتتسلل الى الفيلات الرائعة الانيقة بضاحية كوكودي القريبة فتزكم الأنوف.. وقد فسر الخبراء تسرب هذه الروائح الكريهة بانها نابعة من مياه الصرف الصحى والنفايات الصناعية المتخلفة عن المدينة التى يسكنها ٢ر٢ مليون نسمة يتم التخلص منها بلا مبالاة بالقائها فى البحيرات التى يحف بها النخيل.. وهناك تمتزج النفايات بالطحالب الوفيرة لتشكل طبقة سميكة من البكتريا المستهلكة للاوكسجين مهددة كل انواع الحياة المائية الاخرى.. ترى هل هناك طريقة لجلي اللؤلؤة واستمرارية تألقها.

النوم فى يوم الأرض

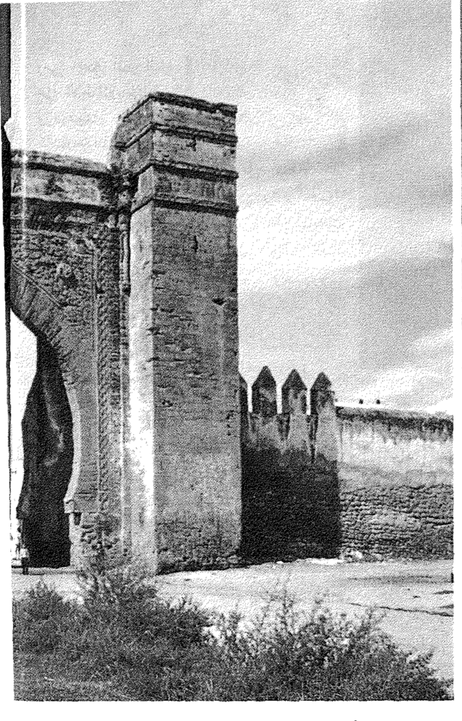
عالم يأتيه النوم من تجاويف أنفه، فيملأ الدنيا شخيرا، وعالم يبحث عن النوم فلا يجده..

الفرنسى (فرانك جانبيه) في تعامله مع الغطس ما كان يتعبه غير عدم النوم.. في محاولة للتغلب على هذه المعضلة قام بمجموعة من التدريبات واخذ تدريباً خاصاً على طريقة التنويم المغناطيسى حتى يتمكن من النوم ولو لفترة قصيرة تحت الماء..

وهذا فى حد ذاته يعتبر انجازاً كبيرا.. ويأتى كل هذا ضمن الاحتفال بيوم الارض.

استطلاع مصور:

سلا



بقلم: احمد المكينسي (المغرب)

تقع سلا على المحيط الاطلسي ولا يفصلها عن مدينة الرباط عاصمة المغرب إلا نهر أبي رقراق، يبلغ عدد سكانها ٥١٣ ألف نسمة حسب احصائيات سنة ١٩٨٧، أما مساحتها فتقدر بـ ١٢٧٥ كلم ٢. وتصل الكثافة السكانية في الكيلومتر المربع ٤ر١٠٠٩ نسمة.

سلا عبر التاريخ:

إن سلا موقع روماني قديم، لها تاريخ عريق؛ نشأت وترعرعت بعد خراب شالة في حروب برغواطة في آخر الربع الأول من القرن الثالث الهجرى الموافق لأواخر العقد الرابع من القرن التاسع الميلادي، حيث كانت في بداية تكوينها كتلاً وعمائر متفرقة من مهاجري شالة، ونمت بنزول العشريين بها[١].

ولما قدم أبو العباس ابن عاشر - رحمه الله[٢] - من الأندلس، وتنقل في بلاد المغرب لم يطب له المقام إلا في سلا فقال قصيدته المشهورة في هذه المدينة والتي استهلها بقوله:

سلا كل قلب غير قلبي ما سلا

أي سلوا بفاس[٣] والأحبة في سلا

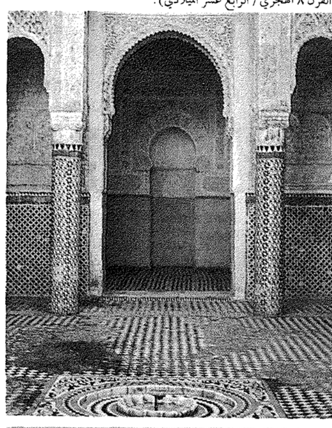
■ وهذا ابن الخطيب يقول:

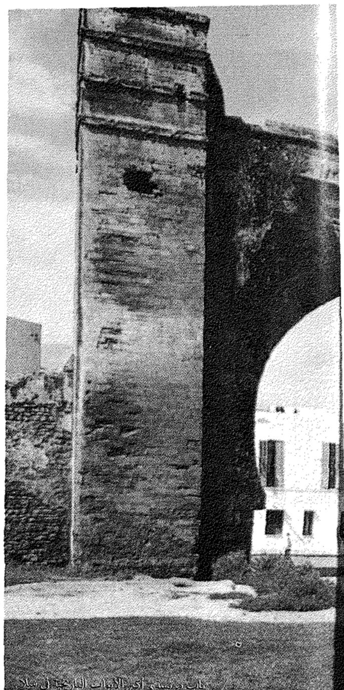
ولا نسخت كربي بقلبي سلوة

فلما سرى فيه نسيم سلا، سلا[٤]

■ وقد اتخذها بنويفرن عاصمة لهم بعد أن تناسق عمرانها على عهدهم وتواصل بنيانها واستدار سورها، وصارت ثغراً من الثغور المغربية

مدرسة أبي الحسن المريني أو مدرسة الانوار (القرن ٨ الهجري / الرابع عشر الميلادي).





باب مريسة، أكبر الأبواب التاريخية في سلا

منظر عام لمدينة سلا، وفي الصورة تظهر صومعة المسجد الأعظم أكبر مساجد المدينة.

تهتم بها الدول ويعتني بها الملوك سواء في عهد المرابطين أو الموحدين[٥]، فكانت تصنع فيها السفن ويجلب اليها العود - الخشب - من غابة المعمورة وترسل في وادي أبي رقراق بعد تجهيزها.

وهكذا أصبحت سلا تعد من أهم الثغور البحرية المغربية المعدة لصنع الأساطيل البحرية أو الجهادية لصد هجومات الاسبان والبرتغال على الشواطىء المغربية، وقد استطاع البرتغاليون امتلاك معظم مدن الساحل الأطلسي، ولم تنج من ذلك إلا سلا..

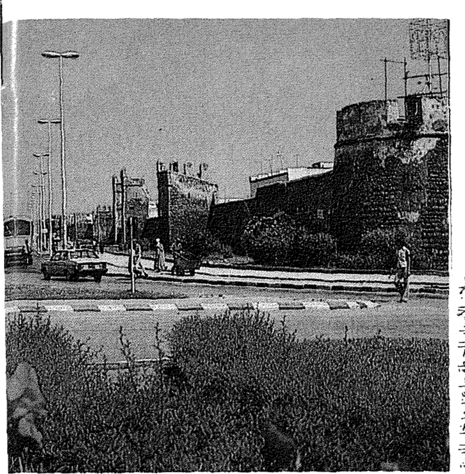
ولأهمية هذه المدينة اعتبرها الموحدون عاصمة من عواصمهم المتعددة. ولما جاء بنو مرين[٦] شيدوا بها دار الصناعة ورفعوا هياكلها وأقاموا معالمها، وتركوا بها عدة مآثر حضارية وبمجيء الدولة العلوية تم تشييد مؤسسات حربية وملاجيء طبية ومساجد وزوايا دينية لازالت قائمة حتى الآن.

اثار سلا الحضارية:

من اشهر آثار مدينة سلا أبوابها الكبيرة العتيقة، كباب مريسة، باب الخميس، باب سبتة، باب فاس، باب شعفة، باب الخباز، وأسوارها المحيطة بها وخصوصاً السور الغربي المقابل للوادي والذي شيده المرينيون، وأشهر

الآثار على الاطلاق مدرستها (جامعة قرآنية) التي كانت تلقن فيها العلوم، تأسست عام ١٣٤١م على يد السلطان أبي الحسن المريني[٧] وكانت تسمى كذلك مدرسة الأنوار، نظراً للقناديل التي تنيرها، قال عنها المؤرخ الفرنسي جورج مارشيه[٨] في كتابه «الفن الاسلامي» (انها أجمل مدرسة في العالم). . وكانت قبلة للطلبة من العالم، وكان أبو الحسن يعطي منحاً لمنتسبيها[٩].

■ **ومن أهم معالمها**: المسجد الأعظم والمرستان (المستشفى) - المدرسة الطبية العلمية والقصبة الاسماعيلية المسماة بالحريشة[١٠] والمعروفة بقصبة كناوة[١١] ومن مساجدها - مسجد الشيخ أبي العباس أحمد حجي، ومسجد الجزارين وضريح سيدي عبد الله بن حسون وضريح الامام ابن عاشر السلوي[١٢].



سلا: الأسوار المحيطة بها عند مدخل المدينة.

سلا .. اليوم:

في عام ١٩٨٣ أصبحت مدينة سلا عمالة من عمالات المغرب بعدما كانت بلدية صغيرة تابعة في التسيير الاداري لولاية الرباط[١٣]، لقد اتسعت سلا الآن وامتد عمرانها شمالا وغربا وجنوباً وشرقاً، وزادت جماعاتها الحضرية والقروية.

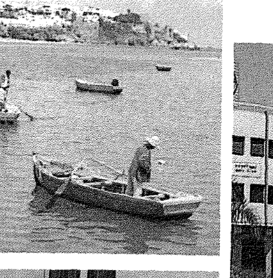
وتوسعت من الناحية العمرانية وسيكتمل نموها بتشييد المدينة الجديدة بالضواحي، وكذا بانشاء حي مولاي عبد الله واكتمال حي الرحمة بفضل وزارة السكنى.

● تمتاز سلا بصناعاتها التقليدية وحرفها المهنية، كصناعة الفخار (الطين) والقصب والجلد والأواني النحاسية والزرابي، ويتم تجميع هذه الصناعات بمركب الولجة للصناعات التقليدية الموجود عند مدخل المدينة، ومن أسواقها: السوق الكبير - وسوق الغزل (النسيج).

● كما تقع سلا على شاطىء كبير يؤمه السياح من الداخل والخارج. وبخصوص الجانب الثقافي بالمدينة، فإنه توجد جمعيات ثقافية وفنية ورياضية يزيد عددها على ٥٠ جمعية ونادٍ، وتسهر جمعية أبي رقراق على العمل بالنهوض بسلا من خلال البرامج الثقافية والفنية التي تسطرها لروادها. . وهكذا تسهر كل سنة على تنظيم مهرجانات للموسيقى الأندلسية ومسرح الطفل وغير ذلك.

● وبسلا توجد عدة معالم اجتماعية واقتصادية، كدار السكة، عند مدخل المدينة على طريق مكناس، وهي دار لطبع النقود والأوراق البنكية، تم تشييدها عام ١٩٨٧ ومستشفى مولاي عبد الله، والرازي للأمراض العقلية والعياشي لأمراض المفاصل والعظام.

● تشتهر سلا بموسم الشموع الذي ينظم بها كل سنة خلال شهر ربيع الأول، حيث يتم صنع عدة شموع من مختلف الألوان وتزويقها بعبارات قرآنية من الخط المغربي، واستعراضها خلال موكب يجول مختلف شوارع وأزقة المدينة احتفاء



نهر أبي رقراق الذي يفصل سلا عن الرباط، وترى في الصورة قصبة الاوداية بالرباط.



احد العروض التي تنظمها جمعية الجيل الصاعد بمناسبة احدى الحفلات الوطنية.



بذكرى ميلاد الرسول ﴿ﷺ﴾، وهذا تقليد قديم يرجع عهده إلى الدولة السعدية اي منذ القرن العاشر الهجري (٩٠٩هـ)(١٤).

الهوامـــش

(١) شالة: موقع أثري فنيقي روماني قرب مدينة الرباط، العشريون: نسبة إلى ابن عاشر.

(٢) عبد الواحد بن احمد ابن عاشر: فقيه مالكي أندلسي الأصل. نشأ وتوفي بفاس، له المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وهو منظومة على مذهب مالك، توفي عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م.

(٣) فاس: مدينة تاريخية، العاصمة العلمية للمغرب، أسسها ادريس الثاني عام ٨٠٨م - نتمنى ان تتاح الفرصة مستقبلا للقيام باستطلاع مصور حولها -.

(٤) ابن الخطيب: (لسان الدين) (١٣١٣-١٣٧٤) وزير ومؤرخ أديب، ولد في «لوشه» جنوبي غرناطة من أسرة هاجرت من الشام إلى الأندلس، تعلم على كبار الشيوخ وولي الوزارة، عرف بذي الوزارتين: الأدب والسيف، اتهم بالزندقة فقتل. له مؤلفات فى التاريخ وتخطيط البلدان والشعر والأدب والطب أهمها: «الاحاطة في تاريخ غرناطة».

(٥) المرابطون: (Almoravides) سلالة من البربر تنتمي إلى قبيلة لمتونة احدى قبائل صنهاجة (١٠٥٦-١١٤٧) حكمت المغرب وافريقيا الشمالية حتى الجزائر، أسسها يحيى بن ابراهيم الجدالي (توفي ١٠٥٦)، اشتهر بين ملوكها يوسف بن تاشفين، قضى عليها الموحدون.
- الموحدون: سلالة مغربية أسسها المهدي بن تومرت على قواعد شيعية، قضت على دولة المرابطين بعد احتلال عاصمتهم مراكش عام ١١٤٦ ومدت نفوذها على الأندلس، اشهر سلاطينها: عبد المؤمن بن علي.

(٦) بنو مرين: سلالة بربرية حكمت مراكش ١١٩٥ - ١٤٦٨ شادوا دولتهم على أنقاض دولة الموحدين، فاحتلوا مراكش عام ١٣٦٩، غزوا الأندلس، اشتهر بين ملوكهم أبو الحسن الذي احتل تلمسان ١٣٣٧ وابنه أبو عنان ١٣٤٨، ازدهر البلاط الفاسي في عهدهم، ولمع ابن خلدون المؤرخ وابن الخطيب الشاعر - الذي اشرنا اليه سلفاً - وابن بطوطة الرحالة الشهير، أسسوا جامعة القرويين: فاس.

(٧) جريدة الأنباء المغربية ص(٩) عدد يوم ٢٦/٢٧ أبريل ١٩٨٧.

(٨) (L'ART Islamique) (Georges Marc-he)

(٩) أبو الحسن المريني: أحد أشهر سلاطين الدولة المرينية.

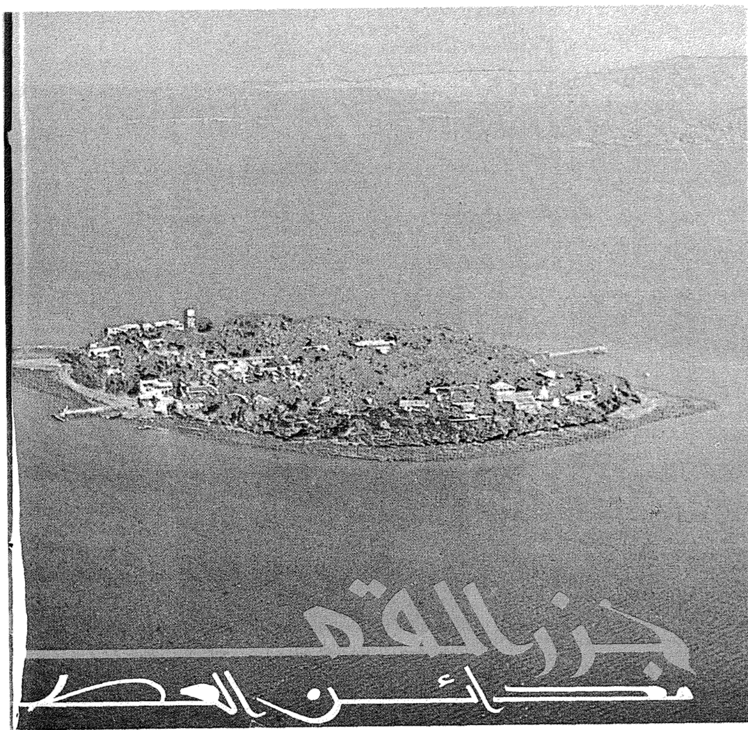
(١٠) جريدة «الميثاق الوطني» تصدر بالرباط، عدد: الخميس ٣٨ فبراير ١٩٨٥ ص٥ «آفاق وطنية».

(١١) كناوة: فرقة فولكلورية تشتهر بعزفها على الطبول بالمغرب ذات اصل افريقي زنجي.

(١٢) بالاضافة إلى مساجد اخرى بالمدينة: كمسجد السنة والأشهبة والسودان وحي السلام وسيدي مغيث... الخ.

(١٣) المغرب فى أرقام (نشرة عام ١٩٨٧) صادرة عن وزارة التخطيط.

(١٤) السعدية أو السعديون: هم سلالة من سوس حكمت المغرب (١٥٥٤ - ١٦٥٩) بذلوا جهدهم فى الدفاع عن بلادهم ضد تدخل الدول الأوروبية، اتخذوا فاس عاصمة لهم، أسسها محمد الشيخ المهدي ١٥١١ - ١٥٧٥، اشهر ملوكها احمد بن محمد الملقب بالمنصور الذهبي.

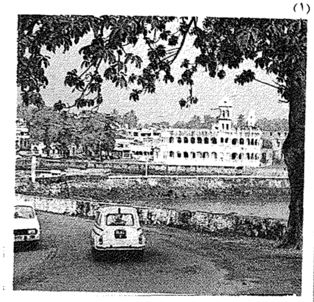


التحرير

خمس جزر كبرى تحتضنها مياه المحيط الهندى فى الجزء الجنوبى الشرقى للقارة السمراء (افريقيا) . . أو الجمهورية الاسلامية الاتحادية، هذه الجزر كونت ما عرف باسم (جزر القمر) أو الجمهورية الاسلامية الاتحادية، عرفها العرب قبل الاسلام، وتزايدت هجراتهم إليها بعده، اختلطوا بهؤلاء الافارقة السمر، تزوجوا منهم وعاشوا بينهم، ونشروا الاسلام فى ربوع هذه الجزر. . أصبحت تجرى فى عروقهم دماء (افريقية - عربية). . يتحدثون لهجتهم الخاصة بهم اضافة الى السواحلية والفرنسية والعربية. . والسواحلية هذه يكتبونها بالحرف العربى. . والعرب اول من اطلق عليها هذا الاسم (جزر القمر) . . والفرنسيون ينطقونها (Omore) .

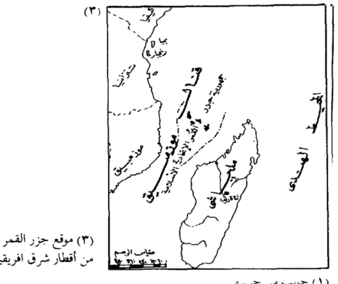
●● (جزر القمر) اسم شاعرى جميل، لكن ترى إلام يرجع هذا الاسم؟ . . هل لان هذه الجزر تمثل شريحة للقمر؟ ام لأن اهل هذه الجزر فى ساعات صفائهم ومرحهم لا يغادرهم ضوء القمر، ولا يغادرونه؟ . . ام لان القمر يخطب ودهم وهو مائل فى مياه المحيط وهى

(١)



(١) جانب من جزيره ميوت

(٣)



(٣) موقع جزر القمر من أقطار شرق افريقيا

تحتضن الجزر؟!.

كل هذا أو شيء منه قد يكون سبباً للتسمية. . والواقع يقول: اذا ما جلست على شاطىء إحدى هذه الجزر فى ليلة قمرية، فكأنما القمر يداعب هذه الحسناء فى خدرها.

●● (جزيرة القمر الكبرى، جزيرة هنزوان، جزيرة مايوت، جزيرة موالى، وجزيرة زواوي) هذه الجزر فى مجملها تكون جمهورية جزر القمر الاتحادية الاسلامية، ولا يزيد عدد سكانها عن نصف مليون نسمة ويبلغ اجمالي مساحتها (٢٫٣٠٠) كم مربع.

هذه الجمهورية الفتية نالت استقلالها من فرنسا فى ١٩٧٥م بعد فترة استعمار دامت (١٣٢) عاما. . ولم تزل جزيرة (مايوت) احدى الجزر الخمس الكبرى تحت الوصاية الفرنسية.

جمهورية تدين بالاسلام، وتسعى جاهدة لأن تتحدث العربية، لغة الدين، فهي إذن لغة العقيدة، هكذا يؤكدون لكل من يسألهم. . هذه الجمهورية ظلت قرابة (القرن ونصف القرن) تحت غطاء (الفرنسة والاستعمار الفرنسي). . وظلت طوال تلك الفترة مخبوءة فى عباءة النسيان والتعتيم الاعلامي، حتى ان الكثير لا يعلم عنها شيئا اكثر من انها جزر فى مياه المحيط، تعبرها السفن كمحطات فى خارطة البحار، (سبعة عشر عاما) من استقلالها حتى الان غير كافية للتعريف بها.

●● هذه الجزر يمكننا ان ندور حول محيطها فى مدة لا تزيد على أربع ساعات بالسيارة، لكن الجلوس الى أهلها والحديث معهم وإليهم عن عاداتهم وتقاليدهم فى أفراحهم وأحزانهم، أكلهم وشربهم، حربهم وسلمهم، فى كل شئون حياتهم، لا شك ان جزءاً من هذا يأخذ الكثير من الوقت، وهوحديث ممتع وجميل. . وبخاصة اذا علمت بان القوم خليط من العرب، والافارقة والاسيويين والفرنسيين. . دماء عدة اختلطت فى مجاري عروق هذا (القمرى) فأكسبته خليطاً متناسقاً من العادات والتقاليد، كأنما قد صبت جميعها فى بحيرات وخلجان هذه الجزر لتمنحها غطاء منمقاً.

لهذا كله سيكون حديثنا عن (جزر القمر) حديث قمر. . تحت ضوء هذا القمر نجلس، نناجيه ويناجينا، نرعاه ويرعانا. . إذن فليكن الحديث هكذا، جمل وادعة ترمى بظلالها على رمال هذا

المحيط . . انها جلسة سمر مرحة لا يعكر صفوها كلمة مختارة أو جملة (منمقة) .

●● هذه الجزر موقع كأنما زينت ربوعه . . طبيعة برية تكسوها الخضرة ويلفها الجمال، قوامها الغابات الكثيفة، والخضرة المنتشرة، والقمم البركانية، وشواطىء البحار ذات الرمال المتلألئة . . حيوانات بحرية تحت قشرة ماء بلورية، وحيوانات برية تمرح فوق أرض ممرعة . . جوها رائع، أمطارها سبعة أشهر فى العام وبغزارة . . تتراوح كمية الامطار الشهرية فيها ما بين (٢٥٠ ـ ٦٠٠) سم . . وغزارة الامطار هذه اكسبتها غطاء نباتيا كثيفا دائم الخضرة مما اكسبها أيضاً مظهراً جغرافياً جميلا حول الجزر إلى بستان أو حديقة كبيرة.

(٤) جزر القمر بلاد الألف مسجد

إذن مادمنا قد بدأنا الحديث بالارض والمناخ والجو فلنكمله بمنتجات هذه الارض . . وخيرات هذه الارض . . واول معلومة فى هذا تقول «إن المزروع من ارض هذه الجزر يساوي ٧٥٪ من مجمل ارضها الخصبة» ومن محاصيلها (قصب السكر ـ الفانيليا ـ الزيوت النباتية ـ البن ـ التوابل والبهارات الافريقية ـ الباباي ـ الموز ـ الكاكاو ـ الارز ـ وزهور العطور) .

وهذه الاخيرة (زهور العطور) تستورد منها فرنسا ما يغطى ٧٥٪ من صناعة العطور فيها . . ولا غرابة ان تسمى جزر القمر بـ (جزر العطور) .

وإذا ما تهيأت لك الفرصة لزيارة هذه الجزر فلا تحرم نفسك من زيارة حدائق الزهور هذه أو لا يفتك أيضاً منظر اولئك (القمريات السمر) وهن يجمعن الزهور للعطور . . ان هذا المنظر الجميل يستحق أن يسجل . . وكما يقولون فالحصول على لتر من العطر، يتطلب ٥٠ كغ من الزهور . . ومن أجدر بجمع الزهور غير النساء؟! . .

ثم ماذا . . . ؟

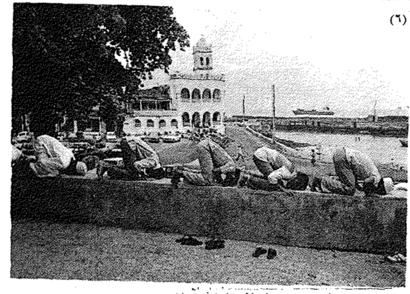
●● يبدو ان الجلوس فى ضوء القمر على هذه الرمال المتلألئة جميل وممتع . . والحديث عن (جزر القمر) لا يمل، ان لدى أهلها الكثير . . فهم يحدثوننا عن كل شيء .

ولعل جملة استرعت انتباهى : قال أحدهم جزر القمر بلد الألف مسجد . . يخبرنا مفتى الديار بان كل سكان هذه الجزر مسلمون . . ويؤكد هذا القول عددية المآذن التى تصافح الفضاء . . فالقوم يؤدون شعائرهم فى التزام تام . . ويقيمون تعاليم الدين الحنيف في مجتمعاتهم . .

(٥) بحيرة لاك سالي البركانية فى جزيرة القمر الكبرى



(٦)



(٦) شعب الجزر شعب مسلم لا يتهاون فى اسلامه

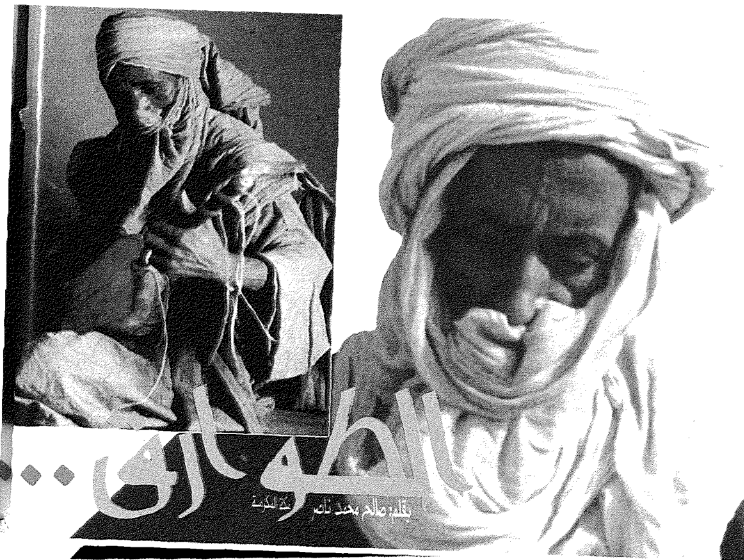
وزعم امتداد فترة الاحتلال الفرسي لديارهم فانهم قد انتصروا لدينهم ولم يؤثر فيهم الوافد. . وساعدها فى ذلك انشاء وتأسيس مجموعة من المؤسسات والمعاهد الدينية والكتاتيب التى تهتم بتحفيظ الناشئة كتاب الله. .

ورغم هذا فإنا نلمس حاجة ماسة لديهم في ايفاد عدد من أبنائهم الى الجامعات الاسلامية فى العالم الاسلامي ليرجعوا الى أهلهم دعاة متمكنين . . وهداة خيرين.

وهذه أفراحهم:

هل تمر مناسبة الزواج من غير فرح يقام. . ؟ الشعب الأفريقى بطبعه شعب فرح. . يحب الغناء والطبول. . والطرب يتزين، ويتبهرج، تتدلى على جسمه الأسمر كل أصناف الحلي. . اذا ما صعدت النظر فيه تجد جسده قد اصبح تحفة نادرة (الخرز - الريش - الاحجبة - جلد الأسد أو النمر - قرون الحيوانات». . كل هذه بألوانها الطبيعية تعطيك مهرجاناً من الروعة والدهشة. . ثم يأتي الطبل والنغم لتصحبها جميعها حركة الأرجل على الأرض. . تشكيلات رائعة من عطاء الفن الأفريقى تفرد به أهل هذه القارة السمراء.

أظن أن الليل قد أليل، وروعة الجزر واهل الجزر لا تغادر. . ولكن إلى لقاء.



الطوارق..

بقلم: صالح محمد ناصر — مكة المكرمة

الطوارق أو الرجال الملثمون، الرجال الزرق، وملوك الصحراء، كلها أسماء أطلقها المؤرخون على شعب الصحراء وينتشر الطوارق البربر فى الصحراء الكبرى من المغرب الأقصى غربا إلى تشاد شرقا ومن الجزائر شمالا إلى بركينافاسو جنوبا، هذا عن موقعهم، أما أصولهم العرقية فقد اختلف أهل التأريخ فيهم فمنهم من عدهم حاميين ومنهم من زعم أنهم ساميون وقد هاجروا هجرتهم الأولى من سبأ ثم استوطنوا فلسطين ومنها الى مصر فالشمال الأفريقى وفى شمال أفريقيا انتشروا عبر القرون على طول امتداد الساحل من طنجة الى برقة وبذلك صاروا السكان الأصليين لشمال أفريقيا. وعندما وقعت الخلافات السياسية بين القبائل البربرية كتامة وزناته ولمتونة وصنهاجة قام الصنهاجيون بالنزوح الى الصحراء الكبرى[1] ولحق بهم فيها بعد أبناء عمومتهم لمتونة وفى الصحراء وقسوتها قويت شوكتهم وكثر عددهم.

وفى سنة ٥٥ للهجره انتشر فيهم الاسلام[2]، انتشارا سريعا مذهلا كما تعرب الكثير منهم وتصاهروا مع الفاتحين وقد أسلموا على يد عقبة بن نافع الفهرى وأبى المهاجر[3]. وبانتشار الاسلام فيهم واختلاطهم بالعرب الفاتحين لم يعد الطوارق البربر جنسا مستقلا بذاته بل مجموعة أجناس وأعراق مختلفة انصهرت واندمجت تحت راية الاسلام[4] الخالدة فمنهم الزنجى والاسمر والاحمر والأبيض وحتى الأزرق العينين كلهم جمعتهم رابطة الدين والمصير واللغة.

وقد ساهم البربر فى نشر الاسلام فى أفريقيا الشمالية والأندلس[5]، ففى سنة ٩٢هـ قام القائد طارق بن زياد بعبور مضيق جبل طارق وكان أول قائد جيش مسلم يعبر المضيق كما قام بالخطوة الجريئة حين أحرق السفن التى أقلت جيشه وقال لجيشه قولته الشهيرة «**العدو أمامكم والبحر وراءكم**» وقام بفتح المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى. كما أن



الفن الشعبي والموسيقى الشعبية ترفههم في أوقات فراغهم

مُلـــوك الصّحراء

الفضل يرجع اليهم فى نشر الاسلام فى أدغال أفريقيا الغـربية وقـد أدت دولة المرابطين دورا بارزا فى نشر الاسلام واستولت على مملكة غانا الوثنية[٦].

يقول ابن كثير الدمشقى فى تاريخه فى حوادث سنة ٤٤٨ «ففيها ظهرت دولة الملثمين ببلاد المغرب الذين أظهروا عزة الدين وكلمة الحق واستولو على بلاد كثيرة ومنها سجلماسة وأعمالها والسوس وأول ملوك الملثمين رجل يقال له (أبو بكر بن عمر) وقد أقام بسجلماسة إلى أن توفى سنة ٤٦٢ اتفق له من الناموس ما لم يتفق لغيره من الملوك، كان يركب معه إذا سار لقتال عدو خمسمئة الف مقاتل وكان يقيم الحدود ويحفظ محارم الاسـلام ويحـافظ على الدين ويسير فى الناس سيرة شرعية مع صحة اعتقاده ودينه وموالاته للدولة العباسية[٧].

وقد خلفه ابن عمه يوسف بن تاشفين وتحققت له انتصارات باهرة فى المغرب والأندلس وقوى امره وعلا قدره وتلقب بأمير المؤمنين[٨].

هذا عن ماضى الطوارق، أما تاريخهم الحديث فكله مآس بداية من الاستعمار الى هذا الوقت وقد وصـل المستعمـر الصحراء وقبائلها متناحرة نوعا ما وسلطناتهم متطاحنة وقد كان هذا من حظ المستعمر وعندما دخل الفرنسيون البلاد لم يجدوا من يعترضهم بجدية الا ما كان من السلطان فهر بن الانصار أمير السلطنه[٩]، والسبب أن معظم السلاطين ليسوا على قدر المسؤولية وليس لهم هم إلا الحفاظ على سلطاتهم الشخصية أو العشـائـرية وقام فهر بمحاولة لتوحيد الصفوف للجهاد المقدس ضد الفرنسيين وكتب إلى السلطان موسى بن أماستان سلطان الهجار وأرسل إليه رسالة عليها توقيعه يحثه فيها بالوحدة وأن يكونوا يدا واحدة على العدو الواحد ولكنه لم يجد آذاناً صاغية منه لأن الفرنسيين وعدوه بتنصيبه ملكا على الصحراء ولم يجد من يجيبه إلا كاوسا من أهل آير ومحمد أحمد بن الجنيد السوقى، وعند استيلاء الفرنسيين على المنطقة قامت هجرات وتوجهت الى الاراضى المقدسة حيث أفتى العلماء بعدم جواز الاقامة تحت حكم النصارى وكان على رأس الداعين إلى ذلك أبو عبد الله محمود[١٠] التنبكتى والشيخ القـاسم بن محمد ومحمد أحمد بن الجنيد وهم من قبيلة آل السوق وقد وصلت بالفعل أول موجـة من المهاجرين الى المدينة المنورة سالكين طريق سيناء البرى آن ذاك وبعد أن رأى السلطان فهر ما حل بشعبه قرر مواجهة الفرنسيين[١١] مستعينا بالله وحـــده وقـام بالاغـارة على مراكـزهم وحقق بعض الانتصارات ولقن الفرنسيين فنون الكر والفر وعندما تأكد لهم بأن المواجهة لا تجدى معه قرروا الكيد له والغدر به وقاموا بإيهامه بأنهم يفاوضونه وعرضوا عليه كما عرضـوا على منـافسه موسى سلطان الهجار بان ينصبـوه ملكـا على الـطوارق مقـابل التعاون معهم ورفض ذلك بشدة، وفور عودته من مدينة غاوا التى جرت فيها المفاوضات قامت فرقة فرنسية بالاغارة على مخيمـه الواقع فى منطقة اضر أنبوكار وكان السلطان ورجاله يؤدون صلاة العشاء وقام الفرنسيون بالاحاطه بالمخيم وضربـوا صفـوف المصلين بالـرشـاشات ولم

يميزوا بين الكهول والشيوخ والاطفال والنساء وقد فقد السلطان الكثير من رجاله[١٢] فى هذه المعركة ولكنه تمكن من النجاة ووعد المستعمر بمكافأة لمن يأتى به، وفى بعض الايام وقع فى كمين فى أراضى الهجار وكانوا المنافسين التقليديين له وقتلوه رحمه الله بعد جهاد طويل حافل بالتضحيات والايثار وبعد هذه الواقعة حدثت هجرات جديدة وقامت اعداد كبيرة بالهجرة الى البلاد العربية ليبيا ومصر والاراضى المقدسة عن طريق السودان ومن حسن حظ هذا الفوج من المهاجرين الى الاراضى المقدسة أنهم صادفوا قيام الدولة السعودية الفتية الموحدة والموحدة شملهم عدلها وانضموا تحت لواء راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

مجتمع الطوارق

وحرى بالذكر أن مجتمع الطوارق ينقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية:

«إيلالا أى (الأحرار) - الأتباع (أينهضا) - الموالى (أيْكلان)»، والقسم الاول أى الاحرار ينقسم الى أربع طبقات متباينة:

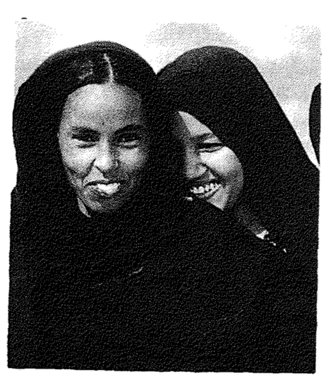
١ - طبقة (أيموشاغ) أى النبلاء والأمراء وهم السادة والقادة وشوكتهم قوية وبأسهم شديد وفيهم الشجاعة الفائقة وأشهر قبائل هذه الطبقة ولا مادن ودغ آلاد ودغ غالى ومشاهيرهم، أما ستان وكاردنا وفهرون بن الانصار وكاوسا: الاول والثانى وهم المؤسسون لسلطنتى الهجار وولامران[١٣] الأخيرون هم الذين قاموا بالتصدى للاستعمار الفرنسى وأبلوا بلاءا حسنا.

٢ - طبقة (ألفقيتن) أى المتعلمون والكلمة مأخوذة من الفقيه وهى طبقة الشرفاء والقضاة وكان سلاطين النبلاء يتخذون منهم الأئمة والقضاة والمستشارين وبينهم مصاهرة وتجانس ولا تمييز بينهم مع النبلاء الا فى الوظائف فالطبقة الأولى لها الزعامة الحربية والثانية الزعامة الدينية ويشتركون معهم فى الزعامة السياسية

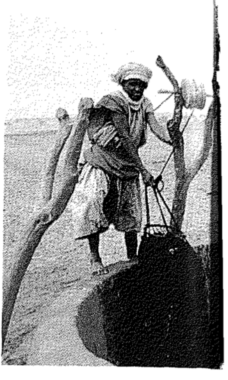

فى وسط الصحراء حفروا هذه البئر

ولهم مكانة ووجاهة عند مختلف الطبقات بحكم عملهم وأخصيتهم وأصولهم من شبه الجزيرة العربية[١٤] وأشهر قبائلهم كل السوق وايفوغاس والشريفن ومعناه الأشراف وأشهر رجالهم محمد أحمد بن الجنيد.

٣ - طبقة (ايمغاد) وهم العامة ويتخذ منهم الجنود ويتسلحون بالرماح والخناجر وهم صيادون مهرة







حياتهم ترحال
وتنقل دائمين

ويجيدون الرمى بالرمح ببراعة فائقة ويعملون برعى الغنم والبقر وأشهر قبائلهم إيمردغن وإيهيوانضاغ وكل سريرى ومن مشاهيرهم ناختا وهى امرأة جدة لهم.

٤ ـ طبقة (إينسلمن) وهذه الطبقة هى حملة القرآن وهى طبقة الحلفاء إذ كل قبيلة فيها لها حلفاء فى الطبقة الأولى والثانية وهم رعاة الابل والبقر ولهم العدد الاكبر من حيث العشائر وأشهر قبائلهم كل إينصر وكل الحرمة والمشهور فيهم محمد على بن الطاهر.

■ والقسم الثانى أى الاتباع ينقسم الى ثلاث طبقات متقاربة:

١ ـ طبقة (إنيهضا) وهم الحدادون وأهل الصنعة ويتقنون الصناعات الجلدية.

٢ ـ طبقة (أغوتن) وهم المطربون وأشهرهم مللولى جد الطبقة.

٣ ـ طبقة (إيكاداماان) ومنهم كالسابقين ولكل قبيلة من الأحرار أتباع من هذه الطبقات.

القسم الثالث الموالى وهم الزنوج وأصولهم وملامحهم أفريقية.

« طبقة (إيكلان) وهم العبيد، و(ايدى فان) أى العتقاء، (وإيبوغليتن)، و(تاغليفت)، و(ايغويلن)»، وكل هؤلاء رعية وموال ويمتهنون رعى الاغنام والزراعة وجمع المحاصيل الطبيعية كالقمر دين وما شاكله من الثمار. ومنهم الخدم وكل قبيلة وعشيرة لها موال يحملون اسمها ويعيش الطوارق فى توافق مع العرب الحسانية وأشهر قبائلهم البرابيش ويقطنون شمال تمبكتو وأولاد ملوك وقبيلة كنته ذات النفوذ الواسع وهى منتشره فى جميع أقطار غرب أفريقيا ولهم وجاهة عند العامة ومن مشاهير القبيلة

أيضا عالم جليل سنى وقد عاصر استيلاء الفرنسيين على بلاده.

عهد الاستقلال:

ففى سنة ١٩٦٠ أعلن الاستقلال ووجد الطوارق أنفسهم مقسمين بين ثلاث دول وأغلقت الحدود وقد كانوا قبل الاستقلال يتحركون فى الصحراء بحرية، وهنا تولدت مشكلات جديدة بين الحكومات الجديدة وقبائل الطوارق، ففى دولة مالى قامت ثورة سنة ١٩٦٣ عندما أعلن رئيس مالى آنذاك موديبوكيتا أنه ينوى تطبيق الاشتراكية اللينينية الشيوعية وقد قاد الثورة زعيم قبيلة إيفوغاس زيد أغ الطاهر وقام مودبو وقائده العسكرى النقيب ديبى سيلا وبمساعدة أفريقية بإخماد الثورة بوحشية متناهية وأهلكوا الحرث والنسل وعاثوا فى الارض فسادا وقاموا بتسميم الآبار وقتل البهائم واختطاف النساء والقى القبض على زعماء الثورة، وحوكموا بأحكام تتراوح بين الاعدام والسجن المؤبد وقام الأمير محمد على بنشاط سياسى لاعطاء الطوراق حقوقهم ولكنه أودع السجن حتى تمكن من الهرب الى ليبيا ومنها الى السعودية فالمغرب وهو مقيم هناك كمنفى وقد طعن فى السن وناهز المئة سنة.

■ **الثورة الجديدة ١٩٩٠م:**

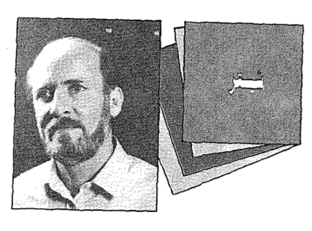
قامت ثورة جديدة اكثر تنظيما من سابقاتها وتقودها الحركة الشعبية لتحرير أزواغ الجناح العسكرى بقيادة زياد أغ غالى والجبهة الاسلامية لتحرير أطوال الجناح السياسى وهى عربية.

الشيخ سيدى المختار الكبير وهو عالم فحل له مؤلفات فى التاريخ والفقه والحديث وكذلك حفيده الشيخ باى

الهوامش

(١) الاسلام الفاتح للدكتور حسين مونس.
(٢) تاريخ الدولة الاسلامية تأليف جماعة من المختصين.
(٣) الطوارق عرب الصحراء، د. محمد سعيد القشاط.
(٤) نفس المصدر السابق، د. محمد سعيد القشاط.
(٥) كتاب الأمة شهر شوال ١٤٠٦هـ عبد القادر سيلا.
(٦) الاسلام الفاتح، د. حسين مؤنس.
(٧) البداية والنهاية لابن كثير ج١٢/٧٤/١٤٣.
(٨) نفس المصدر السابق ابن كثير.
(٩) الطوارق عرب الصحراء للدكتور محمد سعيد القشاط.
(١٠) حدثنى بذلك حفيد المذكور فى مكة.
(١١) الطوارق عرب الصحراء د. محمد سعيد القشاط.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) محمد الحسن وهو من ضمن المهاجرين ومازال حياً يرزق وقد حدثنى بهجرتهم فى مكة.
(١٥) الطوارق عرب الصحراء، محمد سعيد.
(١٦) المصدر السابق وهو كتاب من منشورات مركز أبحاث الصحراء فى طرابلس الغرب.





... فتشت في المرآة عن وجهي

شعر: يحيى السماوي

لا توقـدي شمـع البكـاء، وأوقـدي
حقـدي على دغـل الخطيئـة واحقـدي
فاذا سقـطت على الـتراب مضرجـاً
شدي ذراعـك وانهضـى بمـهـنـد
ما العيش إن تكـل العفاف وأصحرت
سبـل الفضيلة فى العـراق المـرمـد؟
إن يوصـدوا باب الـصبـاح بوجهنـا
كيـداً ـ فأبـواب الهـدى لم توصـد
ولـطالمـا كابـرت رغـم فجيـعـتـى
أرنـو الى فجـر الجـهـاد وأغـتـدي
لا تجزعـي مما أصـاب سفـيـنـتي
واسـترخصي الـدنيـا لدين محـمـد
فتيـممـي صوب العـراق شهيـدة
أو شئـت بيتـاً للأمـان: فأنجـدي[1]
أعـداؤنـا منـا، لهم في حقـلنـا
دغـل خبيث الجـذر فى العشب الندى
فاضـت عواديـهـم على عوادنـا
واسـتـطعـمـوا قلب الأخ المتـودد
هل كان عدلا سبـي ذات مروءة
ويصـان في وضـح النهـار المعتـدي؟

* * *

أغفـو على رمـح يغـل حشـاشـتي
وإن اسـترحـت على وثـير المـقـعـد
أورثـتـني يا ظلم كل رزيئـة
ما كان أشـقـاني بغـير تعـبـدي!!
فتـمـردي حتى نزيـل صروحـه..
فالخـير يا بغـداد أن تتـمـردي
وطـني؟ يقـال بأن لي وطـنـاً - فما
أبصرتـه الا وقـيـدي في يدي
وأراه أحـيـانـاً ينـام كطعـنـة
فوق الخـرائط، أو بصـوت المنشـد
يا موجـة الـضـوء اشـهـقـي في ليله
وتقحمي تلك الكهـوف وعـربـدي
عبثـت بي الأصـفـاد منـذ طفـولتي
فالجـرح خـبـزي والـفجيعـة موردي
فنهـضـت أكـفـاني على كتـفـي، وفي
قلبـي كتـاب الـله.. لم أتـردد
أنـا ما كبـوت لأن مهـرة ثورتي
جزعـت، وأن الـدرب غير معـبـد
لكـن بعض الـقـانـطين قد ادعى
إرثـاً بسـيـفـي قبـل قتـل مشردي!
يا قلب قد يبس الـفـرات وأقـحـلت
ضفـتـاه، واخـتـلط التقي بملحـد!
هذا عراق الخـير يشـحـذ خبـزه
فطريـفـه دمـع وجـرحـاً يرتـدي
بادءتـه عشـقـي وبـادءني الـضـنـى
والـتـذ مفـتـونـاً بجـمـر تسهـدي
كحـلـت أجـفـاني بطين «فـراتـه»
و«عصيـة» من سعف «دجلة» مرودي
آه.. متى جذري يضـم غصـونـه
فيـعـود لي نهري وزورق سؤددي؟
فلتـطفـئي يا ريـح نبض رجـولـتي
إن بعـت ايـمـانـي بباء الـعـسـجـد
ووقـفـت شحـاذاً على باب المـنـى
فوجـدت جرح الأمس يشرب من غدي!

ورأيـت نار الـذل في أعـشـابـه
تسري مسـير الماء في الجسم الصدي!
فتـشـت في المـرآة عن وجـهـي فما
أبصرت غير مجاهـد مسـتـشـهـد!
عكـازتي؟ وطـني وقـد غادرتـه
قسراً غداة استـأسـد «النـذل» الـردي
ولـربـما وجـد الـفـتـى بمـفـازة
ما لم يجده على بسـاط زبـرجـد
فدريئـة الـعـاصـين غير دريئـتي
وتـزهـد العـافـين بعض تزهـدي
يا قلب: كن صخـراً ولا تدع الهـوى
يغـري، وإن ثقـل المصـاب: تجلد
فإن ارتـعبت من الـطغـاة وجـدتهم
وثـبـوا عليـك بشهـوة المسـتـأسـد
فاغـضـب إذا غضبـوا، فإن نيـوبهم
تخشـى قراع الـفـارس المـتـوقـد
ويـدي إذا أسـلمـتـهـا لخصـيـمهـا
أدركـت أن المـوت تجلبـه يدي!

* * *

فيـم الـتـشـبـث بالحـيـاة إذا اعـتـلى
سقط الخليقـة فوق منـبرنا الهـدي؟
إن العصـور - وإن تطاول عمـرهـا -
لمح إذا قيـسـت بروضـة أحمـد
فبرب من ركـب «الـبراق» سحـابـة
فسجى وصـلى في رحـاب الأوحـد
أمشي على هدبي - إذا قدمـي اشـتـكى
وهنـاً - الى روض الصبـاح الأرغـد
وأمـد كفـي كالضريـر.. يقـودني
نسكي، وقنـديـل الفضيلة مرشـدي
وأصيـح: تبـاً يا حيـاة - اذا ابتغت
ذلي بمـد يدي لكـف مهـدي!

الهوامـش

(١) أنجدى: اذهبى إلى «نجد».

الأستاذ/ إبراهيم يعقوب الترزي

د. محمد رجب البيومى - عميد كلية اللغة العربية - الأزهر - المنصورة

سعدت باختياره عضوا بمجمع اللغة العربية بمصر، لأنه قد كافح كثيراً فى مجال الفكر العربى، وكان كفاحه فى عدة جبهات مختلفة، فى البرامج الاذاعية، وفى الكتب المدرسية، وفى التحقيقات العلمية لكتب التراث، وفى المسلسلات التليفزيونية، والذين يفرقون أعمالهم فى اتجاهات شتى يضيع أثرهم الضخم على تنوعه جوار الذين يحاربون فى جهة واحدة، لأن الترزى لو اقتصر على مجال واحد، لبلغ فيه الشأو البعيد، وليس وحده الذى تناهبته شتى الاتجاهات، فله أمثال.

أعتبر ابراهيم الترزى رفيق حياتى العلمية زمن الصبا والشباب، فقد كنا طالبين بمعهد الزقازيق الدينى وكنت أسبقه بعدة سنوات، إذ كان فى القسم الابتدائى بالمعهد، وأنا فى السنة الثالثة بالقسم الثانوى حين بدأ تعارفنا المتصل، وأذكر أنه قرأ لي قصيدة فى مجلة الاخوان المسلمين تحت عنوان (على قبر حمزة) فسعى إلى منوها، وتناقشنا فى شئون من الأدب والسياسة، وفى اليوم التالى دعانى إلى منزله بقسم يوسف بالزقازيق، وحين وافى الموعد وجدت خمسة من زملائى الطلبة لديه، وفاجأنى ابراهيم بأنه دعانا فى جلسة خاصة للاحتفال بذكرى مصطفى كامل، لأن اليوم يوم ذكراه، ثم أخرج من جيبه ورقة قرأها، فإذا هى موجز دقيق لحياته وأعماله، وطلب منا أن نتحدث عنه وفق ما يخطر على بال كل متحدث، وكان الموقف صعبا، ولكننا استمعنا الى سمر يدور حول الزعيم، وخرجت وأنا أقول فى نفسى: طالب بالقسم الابتدائى يهتم بذكرى الزعماء، ويقف على سيرهم، وينبهنا إلى الاحتفال بهم، وقد سبقناه بسنوات دون أن نلتفت إلى شىء!! هذا جميل!.

وتوثقت علاقتنا الأدبية توثقا أكيدا، فكنا فى يومى الخميس والجمعة نسير عصراً على شاطىء بحر مويس الذى يمتد الى مدى فياح مظللا بفروع الصفصاف وغدائر النخيل، نسير لنتحدث فى شئون الأدب والسياسة والعروبة والاسلام، وأذكر أنى بعد أربعين عاما جعلت أسير فى هذا الطريق متجها إلى كلية اللغة العربية بالزقازيق إذ كنت عضوا بمجلس الكلية، فكنت أنظر الى البحر الممتد، وفى خيالى مسيرتنا بالأصيل فى عهد الصبا، كان الترزى يتجسم أمامى وأنا أقطع الطريق، ولكني كنت أرى البحر غير البحر، والشجر غير الشجر، والنخيل غير النخيل، إذ كان زهو الصبا وحلاوة الأمل مما يخلع رونقا خلاباً على المنظر الساحر، فيزيده بهاء فوق بهاء! أما اليوم، فوا أسفى، لقد ماتت الاحلام، وتجسد الواقع فى صخره الصليب!

ولا أنسى أننى زرت ابراهيم ذات مساء، فوجدت معه زائرا مهيباً، عرفنى به، فإذا هو خاله الاستاذ الكبير أمين بسيونى المستشار بمحكمة الاستئناف، وبادرنى ابراهيم فعرض على كتاب (المنتخبات) للأستاذ أحمد لطفى السيد، وقال إن خاله المستشار قد أهداه إليه اليوم، وسكت لأسمع الاستاذ أمين بسيونى يقول فى هدوء: الاستاذ لطفى السيد من كبار الكتاب فى عهد تلمذتى، وهو من أصحاب الافكار لا أصحاب الأساليب، فهو معلم أكثر منه كاتبا، وكذلك كان زملاؤه أحمد فتحى

زغلول وقاسم أمين ومحمد مسعود، وقد رأيت ابن أختى ابراهيم يهتم بأصحاب الاسلوب فقط مثل المنفلوطى والبشرى والزيات والرافعى فأردت أن أوقفه على لون آخر، ليمزج بين الفكرة الجيدة، والتعبير البليغ! وكنت أسمع كلام السيد المستشار بمزيد الانتباه، وفى اليوم التالى قال لى ابراهيم سأعطيك كتاب (المنتخبات)، لتقرأه أولا، ثم أقرأه بعد ذلك، ونحكم عليه معاً بما نراه! وهكذا كانت أكثر قراءاتنا مشتركة. وأقول أكثر قراءاتنا، لأننا مع اهتمامنا بزعماء الأدب المعاصر كالمازنى والعقاد وطه حسين وهيكل والزيات وزكى مبارك وأحمد أمين، فقد كنت أهتم وحدى بكتاب الفكرة الاسلامية مثل محمد فريد وجدى ومحب الدين الخطيب ومحمد الخضر حسين وكان الترزى يهتم بكتاب الأدب الشعبى مثل بيرم التونسى وحسين شفيق المصرى وأبو بثينة، ومع ذلك فقد كان يشترى الكتب المختلفة فى كل اتجاه، . ويتفضل على بأن أقرأها قبله، وهذا مالا أنساه!.

كانت دائرة اتصالى بأدباء الزقازيق محدودة، فأنا لا أعرف غير الشعراء من أبناء العاصمة مثل عبد العزيز عفاره، وتوفيق العوضى، وأحمد مخيمر ومحمد الصادق سعود، أما ابراهيم فكان على صلة بالكثيرين، ذهبت إليه ذات مساء، فوجدته ينسخ قصائد مختلفة قال إنها للشاعر الضرير الاستاذ محمد العلائى، وكانت بعثته إلى انجلترا قد أبطأت، فكتب قصائد طويلة جدا، كان يمليها على الترزى لينشرها فى الرسالة تباعا، وأذكر أنى جلست معه فى مقهى صغير، فقدمنى إلى شاب أديب هو الشاعر الكبير الاستاذ صلاح عبد الصبور فيما بعد، وقال إنه تخرج هذا العام من كلية الآداب، وأن الاستاذ أمين الخولى يضن به على التدريس بالمدارس، ويبحث له عن عمل أدبى، كما صحبنى مرة لزيارة الشاعر الغنائى مرسى جميل عزيز، وكان حينئذ لا يزال يبيع الفاكهة بجوار سينما أبو لون بالزقازيق، وإذا حاولت أن أتذكر جميع من عرفنى بهم ابراهيم فى دراستى بالمعهد فلن أقدر، لأن ما يغيب عن الذاكرة اليوم أكثر مما يحضر، فلا ملام.


ابراهيم الترزى


محمد الخضر حسين


محمد فريد وجدي

ثم انتقلت الى القاهرة، وبدأت أنشر بالمجلات الأدبية قصائدى ومقالاتى، فكان الترزى أول قارىء لما أكتب، وكان يراسلنى ناقدا لا مقرظا، وأنا أرحب بكل ما يقول لأنى أعلم صفاء قلبه ونزاهة حواره، وقد لاحظ كثرة ما أكتب بمجلات سياسية، فكتب يقول لن أرضى عنك حتى تكتب بالرسالة والثقافة، وكنت أجدنى دون ما يأمل، ولكنه أجبرنى على مراسلة المجلتين، وقد حظيت بقبولهما، فكانت فرحة ابراهيم تصور لى أنه هو الكاتب لا أنا، ثم دارت الأيام فالتحق ابراهيم بدار العلوم، وانصرف الى دروس الكلية وحدها، لأنه ذو أسرة، فقد تزوج وهو طالب، فأصبح يكابد همه وهم غيره، وكنت أحثه أنا على الكتابة بالرسالة، فيقول وأين الوقت؟ ثم فاجأنى بمقال رنان نشره بالرسالة تحت عنوان (مصر واليونان) تحدث فيه عن الصلة الفلسفية بين الوطنين العريقين، وذهب مذهب من يرى انتقال الأثر النفسى من مصر الى فلسفة اليونان، بالدليل المقنع، والبرهان الملزم، رادا على من يقول ان الفلسفة لم تجد

منبعـا تنفجـر منه غير صخور الاغريق، وقد قرأت بحث ابـراهيم فوجـدتـه أكـبر من أن يكتبه طالب جامعي، اذ كانت أكثر حقائقه غائبة عنى، فتركت عمـلى بالمنصـورة، وسـافـرت إلى القاهرة لأهنئه بما كتب، ولم أنس أنـه قال لى: لقـد كنت أخشى أن تنقدنى، أما إذا زكيت فهذا ما سيشد أزرى.

تخرج ابـراهيم من دار العلوم متقـدمـا سابقا، والتحق بالـدراسـات العليا، فنال الدبلوم بكفاءة، وجاء موعد التسجيل لدراسة الماجستير، ولكن رئيس شعبه البلاغة والنقد فد ألزمه بشخصية ناقد مغربى هو عبـد الكريم النهشلى قائلا إنه أستاذ ابن رشيق والحصرى ولابد من البحث عنه، وليس للنهشلى غير نصوص مبتسرة فى كتاب أو كتابين لا يستقيم معها تصـور عمـل جامعى يجلو صحيفة ناقد جدير بهذا الوصف، فكنت إذا قابلت ابراهيم جعل يسألنى عن عبد الكريم النهشلى وكأنه وحده الذى بقى فى التراث النقدى دون بحث، وأنا لا أدرى من أمره شيئا، ثم كرت السنون، ومازال النهشلى مجهولا، لأن الكتاب الذى طبع منسوباً إليه قد دار الشك حول نسبته الى صاحبه، بأدلة ملزمة تتطلب الرد، أفلو كان الترزى قد اتجـه الى غيره أمـا كان سيجـلي فى بحث يختـار موضـوعه بنفسه؟ . . كنت أود ذلك! ولكن الأقدار تجرى بغير ما نريد.

جعلنا فى هذه الفترة نتراسل كثيراً، حيث نتحدث فى شئون الأدب وحده، وكانت المجلات الأدبية قد احتجبت ففـتر نشـاطى الأدبى، إذ لا أجد الدافع للكتابة، حيث امتنع المنبر المذيع، ولم أنس ذات يوم جاءني فيه خطاب من ابراهيم يبشرنى فيه بأن الأستاذ أمين الخولى قد أصدر مجلة تحمل اسم الأدب، ولابد أن أجـدد عهـد الرسالة بها، فقمت بنشر كثير من قصائدى على صفحاتها، ووجدت ابراهيم يتجه إلى جريدة المساء لينشر فيها بحوثاً أدبية وتاريخية متصلة، وكان يستشيرنى فى بعض ما يختار من الموضوعات، وأذكر أنى اقترحت عليه أن ينشر بحثا عن سلطان العاشقين عمر بن الفارض! لأنى أوثره بحب جم، فسـألنى عن المصـادر، فدللتـه على الشرح المبسوط للديوان، إذ فى مقدمته ما يحسن النظر إليه، واقتباس ما يروق قارىء الصحيفـة اليومية من طرائفه، وقد قابلته قبل أن يحرر المقال فقال لى يا أخى أنا أحب الشعب المصرى الطيب، المؤمن على مدى عصوره، إن عمر بن الفارض قد أدركه الوجد ذات يوم فخلع ثيابـه، وصاح يردد ذكر الله متواجدا، ونظر الناس إليه، فهاموا وراءه، وخلعوا جميع ثيابهم ولم يبقوا غير ما يستر العورة، وكلما مروا بشارع تكاثر الجمع وتزايد حتى بلغـوا ساحـة الأزهـر فتحول المشهد إلى موج يفيض بالنـاس، وكـأنهم فى تجردهم يقفـون فى يوم الحشر، وأصـواتهم تدوى بذكر الله! ما أطيب هذا الشعب يا أخى، قال لى ابراهيم ذلك، ونظراته تشعر ببريق مبـتسم صاف، فكنت لا أزور مسجـد ابن الفـارض إلا تمثلت ابراهيم وهو يصف ما قرأ، بل أزيد فأتمثل بخيالى الجمع المحتشد، وكل واحد يلقى ثوبه وعمامته ويسير فى موكب ابن الفارض، ويخيل الى أن الزمن لو كان قد سبق بى وبابراهيم إلى عصر ابن الفارض لكنا بين هؤلاء!.

وفى يوم من الأيام جاءنى خطاب من ابـراهيم يعلن أنه على موعد مع الاستاذ ابراهيم عابدين مع مجموعة من أساتذة الجامعة والمدارس الثانوية لتأليف عدة كتب مدرسية فى فروع اللغة العربية، ولابد من حضورى، لأنه صمم على أن أكون بين المؤلفين، ولم أرحب بالفكـرة بينى وبين نفسى، ولكنى صممت على الـذهـاب لأشهد الاجتماع فحسب، وكان بين الحـاضرين الـدكتور محمد غنيمى هلال كما أذكر، وشرق الحـديث وغـرب، ثم حادثت صديقى بأنى جئت متفرجا فقط، لأن التأليف المدرسى مع آليته عبء ثقيل، اذ ليست المادة العلمية وحدها بكافية لنجـاح التـأليف، بل لابـد من مراعـاة الأسلوب التربوى تبسيطا وتوضيحا وأسئلة وأجوبة مع مراعاة مستوى الطالب، ورغبات الحاضر السياسى والوضع الاجتـماعى، كما أن بين من تكتب اسماؤهم على المؤلفـات من لا يكتبـون كلمـة واحـدة، ويعتزون بصلاتهم مع ذوى الأمر، فلم يشأ ابراهيم أن يجبرنى على شىء، واندفع فى الشوط الى أقصاه فأصدر مع

بعض الزملاء كتباً كثيرة، ويخيل إلى أنه أنفق جهدا جاهـدا عاد على التـلاميذ بالنفـع، وفى هذا بعض العزاء، أما الجزاء المتكافىء فعند الله.

وقـد ألفت مسرحية شعرية عن موقعة المنصورة أثناء الحروب الصليبية، تقدمت بها إلى جائزة شوقى بالمجلس الأعـلى للفنـون والآداب، تحت عنـوان (انتصار) وأذن الله فنالت الجائزة، ورأى ابراهيم أن يكتب عنها كلمة تحليلية بمجلة (المجلة) التى كانت تصـدرهـا وزارة الثقـافـة من قبـل، وطالعت كلمة صديقى فوجدته قد أبرز حسنات كثيرة، وأشار إلى مآخذ يراها من وجهة نظره، ولا أدري لماذا تعجلت فرددت عليه، وعلم الترزى بما فعلت، فسارع الى رئيس التحرير يرجوه أن ينشر نقدى دون إبطاء، مع أنه يخالفه، وكتب الي يؤكد أنه حرص على نشر الرد، وإن خالفه، ليقف القارىء على الوجهين المختلفين، ثم ليختار ما يشاء، وتلك نبالة اعهدها فيه، ولم تكن غريبة علي.

على أن هذا الصدق فى النقد قد كان ديدنى معه، إذ جعلت أتابع البرنامج الثانى فى أول نشأته، وكان ابراهيم يكتب فيه قصصاً حوارية عن رجالات الأدب كالجاحظ وغيره، حيث تحتل القصة وقتاً طويلا يشبع السامع ويمتعه، فكنت استمع الى البرنامج، وأكتب إلى صاحبى بوجهـة نظرى، ثم يكـون النقـد مجال حوارنا حين نلتقى، وقد نشر مرة بحثا طويلا عن أبى خليل الـقبـانى بمجلة المجلة، وطلب رأيى فيه، فقلت له لا أعلم شيئا عن القبانى، فكيف أبدى غير الاستحسان! قال أنت تجاملنى؟ قلت وهل تعتقد!

رأيت الـترزى ذات يوم ومعـه كتاب (الاعتبار) للأمير أسامة بن منقذ، وهو مذكرات عن حياته كتبها بطريقة سهلة فسجل طرفا من شجون عصره المائج بأحداث الحروب الصليبية، وقد وضع ابراهيم عليه هوامش كثيرة، وميز بعض سطوره بخطوط تدل على اهتمامه بمضمونها، ثم تبينت بعد ذلك أنه كتب عن البـطل الشاعر العالم قصة أدبية تحت عنوان (الحلم الكبير) وقـد اختـارتهـا وزارة الـتربية للقـراءة ذات الموضوع الواحد، وأتبعتها بقصة ثانية عن بلاد اليمن ذات السدود، ولم أعجب لاتجاهه القصصى لأن بذرة الفنان تكمن فى نفسه منذ عرف طريق القلم، ولكنى عجبت حين رأيته يصعد فى وعورة ا لتحقيق العلمى لكتب التراث، وكأن وظيفته بمجمع اللغة العربية قد جذبتـه إلى أن يتصعد فى جبل وعر، لم تكن بشائر أعماله تتنبأ به، وقد قرأت بارتياح ما حققه من اجزاء السـيرة الشـامية للصـالحى المعـروفـة بسبـل الهدى والرشاد، لأن كتب السيرة النبوية حتى فى العصور الهابطة تجد من القراء كل ترحيب، أما الذى لم أصبر على قراءته فهو ما حققه من أجزاء (التاج) لأن قراءة مختـار الصحـاح تضـايقنى فكيف بشرح القـاموس وجهـد المحقق فيه شاق عسير، وقد اجتازه الترزى مرهقاًكما أتصور إلا أن يكون طابع العالم فى نفسه قد سيطر على طابع (الفنان) ولست أرى تحقيق التراث فى كل أحواله مما يرهق ولكن تحقيق (التاج) ونظائره ليست كتحقيق ديوان شعر، أو رحلة أديب.

لقـد تحدثت عن الـترزى كما اتفق الحـديث، فجرى القول فى شجون تفترق وتأتلف، ولو تعمدت الترتيب المنطقي لكان أولى وأجدر، ولكن هكذا اطرد السياق فعـذراً، ولن أنسى مواقف كثـيرة لى معـه، فلست أنسى كتبـه التى تحتـل مكـانـا فى مكتبتى المتـواضعة، فقد تعودت أن آخذ منه ويأخذني، ثم انقطع لقاؤنا لشواغل كثيرة، فكانت كتبه تذكرنى به دائما، ومنها كتب قيمة لزكى مبارك ومحمد كرد على، ونقولا زيادة، كما أذكر أن من كتبى لديه أثرا نفيسا من آثار الأستاذ محمد عبد الله عنان، وهو كتاب أعتز به، ثم كان من سرورى أنه جلس فى مجمع اللغة بمكانه الذى خلا بوفاته، فكدت أكتب إليه قائلا فى تهنئتى: تذكـر يا ابراهيم أننا كنا نتحدث عن الاستاذ عنان كثيرا، وأننى أنا الذى بدأت فعرفتك به، وأنت طالب بمعهـد الـزقازيق، فهل كان هذا إرهاصاً جميلا لما يحدث فى مستقبلك إذ تجلس مكـانه جلوس الواثق المطمئن، أقول إنى كدت أكتب إليه ذلك، ولكنى لم أفعـل، إذ لا يجوز أن أهنىء نفسى حين أهنئه، فكلانا يعرف موضعه من أخيه، وللنفوس ايحاءات تهمس فتترجم، وهى أصدق من كل بريد.



الفكر النيّر..
الكلمة المضيئة..
القلم النابض..
تجمعه ومضات
في أدب الواعدين

جوائز:

فاز بجائزة أحسن عمل أدبي في ومضات العدد السابق (٥٠١) لشهر رجب ١٤١٣هـ (عبد الله بن يحيى القحطاني) من السعودية أبها ـ عن قصته (ظمأ في الطريق).. وقد أرسلت له الجائزة على عنوانه.

المفقود من تراث

لقد خلد علماء المسلمين تراثاً علمياً وأدبياً وثقافياً له وزنه العلمي وقيمته الادبية منه ما هو مخطوط ومنه ما قد تم طبعه. والمخطوطات كثيرة وموزعة هنا وهناك بين المكتبات الخاصة ومكتبات المؤسسات والهيئات العلمية الكبرى والجامعات مما يلزم معه مضاعفة الجهد من اجل حصره وجمعه وترتيبه ثم محاولة تحقيقه وطبعه ونشره لتعم به الفائدة وينتفع به الدارسون والباحثون.

ومنطقة جازان احدى مناطق المملكة العربية السعودية الغنية بالعلماء والادباء منذ العهد القديم وهذه دراسة لمخطوطات المنطقة في مجال الأدب فقط للتعريف به خاصة اذا عرفنا ان هذه المخطوطات اصبحت في عداد المفقودات والله المستعان.

١ ـ ابو الحسن على بن ابى بكر بن محمد الزيلعي العقيلي:

له «ديوان شعر» منه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني بعنوان «الجواهر البهية في مدح خير البرية».

٢ ـ الشهيد منصور بن عيسى بن سحبان الغمدي

من شعراء القرن السابع الهجرى.. له «ديوان شعري» مفقود وله عشر قصائد في كتاب «طراز اعلام الزمن» للخزرجي وهو مخطوط، وبعض من قصائده في «العقد الثمين» للفاسى.

٣ ـ الجراح بن مشاحر الذروي الصبياني.

من شعراء القرن العاشر الهجرى، «ديوانه» منه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني طبع منه مختارات بتحقيق العقيلى سنة ١٣٨٥هـ.

٤ ـ محمد بن على بن عمر الغمدي.

القرن العاشر الهجرى.. له «اللامية في الاستسقاء» لدى نسخة نادرة منها، وقد نشرها

جازان الأدبي ..

وحققها الدكتور عبد الله ابو داهش فى مجلة عالم الكتب.

٥ ـ الشيخ المفتى عمر بن عبد القادر الحكمي

من علماء القرن العاشر ـ ت سنة ٩٨١هـ، له «ديوان شعرى» وهو مفقود.

٦ ـ العلامة صالح بن صديق النمازي.

له كتاب يسمى «مختصر العقد الفريد» ذكره كارل بروكلمان فى كتاب «تاريخ الادب العربى» ٢/٥٥٥.

٧ ـ العلامة المطهر بن على النعمان الشقيرى.

من علماء القرن الحادى عشر الهجرى. . له قصيدة رائية فى مدح الامام علي بن ابى طالب. . وله قصيدة جامعة لسور القرآن الكريم.

٨ ـ الحسن بن على البهكلى.

له «المقامة الغمدية» حققها ونشرها الدكتور عبد الله ابو داهش.

٩ ـ احمد بن محمد المعافا.

من علماء القرن الثالث عشر، له كتاب يعرف بـ «شرح المعلقات السبع» وهو مفقود.

١٠ ـ عبد الرحمن بن حسن البهكلي.

له مقامة مناظرة بين النخل والكرم» وله وصف رحلة ادبية الى المدينة المنورة.

١١ ـ الحسن بن احمد عاكش.

علامة جازان فى القرن الثالث عشر الهجرى. . له «ديوان شعرى» منه نسخة فى المكتبة العقيلية فى جازان.

١٢ ـ يحيى بن عباس الحازمى.

من علماء القرن الرابع عشر الهجرى. . له كتاب «شرح قصيدة بانت سعاد» وهو مفقود.

١٣ ـ عبد الله بن علي العمودي.

من علماء القرن الرابع عشر الهجرى. . له «الرحلة التعزيه» وله «رشفات الصدى فى الشعر العادى» وهو ديوانه، وهذه المخطوطات لدى ابنه الاستاذ ابراهيم العمودى فى ابي عريش.

ـــــــ احمد بن محمد الهندى (جازان)

■ **للمخطوطات بلا شك أهمية قصوى لا ينكرها أى مهتم بالتراث الانسانى جميعه..**

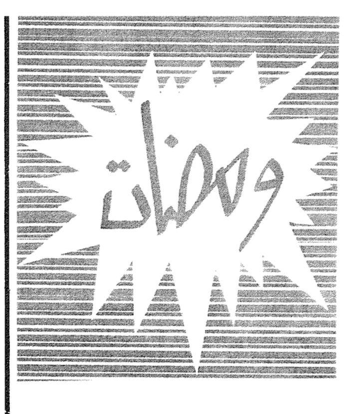
وومضات تنشر هذا الموضوع للتعريف بما هو مفقود من تراث جازان كما ذكر كاتبه وبه نفتح الباب لمن يريد أن يثرى هذا الموضوع بما لديه من معلومات موثقة فيه.. وكنا نأمل أن يستكمل الكاتب أرقام المخطوطات الموجودة بالمتحف البريطانى أو غيره.. كما ننوه بأنه كان من الممكن أن يكثف الموضوع بشكل أعمق حيث يقدم دراسة وافية عن المخطوطات وأهميتها.. ونأمل ان يواصل الكاتب جهده الموفق باذن الله تعالى فى هذا الموضوع. (المحرر)

الجسر

تتعلمين من البخار
وأرتدي علبا مفرغة من الذكرى.
عيون أصابعي اعتزلت،
وتخبرني بك الروح المليئة،
حاصريني بالغطاءات
أرق. . . .
ويسجنني سرير تحت ياقته
لها طعم بنافذتي محلى . .
نورس يأتي بأسماء لها شتى . .
متى رحل الجنين؟
الرقصة الأولى تطارده،
ورائحة لوجه . .
أنت فوق الجسر ـ مرتجفاً ـ تحاول،
وهى ترسل ـ دائماً ـ أصداءها . .

ـــــــ شريف فؤاد الشافعى (مصر)

■ **الجسر .. يظهر من خلالها توجه كاتبها للاهتمام بالصورة. والبناء الفانتازي.. كما أن التجربة ناضجة فنياً. وفى انتظار مشاركات أخرى.**



السؤال ـ الكتابة

سؤال وحيد أريد جوابه
ومازال يضني فؤادي عذابه
أنا موغل فى غرام الحروف
وملتفع بلهيب الكتابه
أرى فى القوافى جروحاً تنز
تئن أنينا بوزر الصبابه
وفى صفحة الدهر حين تخط
دروبا تعج شذى وخصابه
فما أجمل الحرف حين يصاغ
بدم الاديب وسحر خطابه
ينير شعاب الأنام طويلا
ولا أحد قد ينير شعابه
يغامر حيث الانام تخاف
ويعشق مثل الفراش التهابه
فهاتى جوابا يروى غليلى
يفسر ما لفنى من كآبه
وأدرك أنك أنت السؤال
وانك أنت الاجابة ـ الكتابه

بلقاسم بن سعيد (تونس)

صرخات جائعة

هذا الليل المغترب . . يجول بين النجوم الصامتة ليصنع ستاراً من سواد . . . ويزخرف خيوط الضوء المختبئة تحت القباب الرمادية.

ـ أريد خبزاً . . .

يتلوى طفلى جوعاً . .

يتلوى قلبى حزناً . .

وتموت الآهات فوق أعتاب شفتى المشروختين.

ـ أريد خبزاً

تنفذ صرخات طفلى من ثقوب الخيمة . . تولول ساخطة فوق الصخور والأشواك . . توقظ الجياع من إغفاءات متقطعة.

وتضج الخيام بالأنين والولولة . .

وتنهيدات الأمهات.

ـ غدا يأتى الخبز . .

ـ غدا تأتي العربة الكبيرة محملة بأجولة الدقيق . . وأصنع لك قرصاً كبيراً وشطيرة . . و . . وأشياء كثيرة.

ابتسم طفلى فرحاً.

وبكيت خجلا.

وشنقت فى نفسى كلمات مرتجفة.

«من يدرى فقد لا يأتى الغد . .»

محمد عبيد محمد (مصر)

■ **صرخات جائعة (أقصوصة)**

نقف من خلالها على موهبة فى الطريق .. وهى محاولة ناضجة فنيا.

ومضات تنشرها لك.. وفى انتظار مساهمات أخرى.

(المحرر)

قصة قصيرة:







الناقة

بقلم: اسماعيل بن محمد الامام (موريتانيا)

جلس الغالى تحت ظل شجرة فى خلاء من الارض تحيطه بعض الشجيرات القصيرة، المترامية فى ذلك البهو الواسع من ارض الله الشاسعة.

تقلبت بشرة الغالي، تحول وجهه إلى الاحمرار، جلس مرتجف الاوصال جاحظ العينين فى افق السماء هاديء اللسان فى عمق هذه البقعة النائية من الحي فى متاهات بعيدة، تتراقص أمام عينيه أشباح خيالية يتخيلها ناقته الانيقة الرشيقة، لقد بحث عنها فى كل مكان فكلما وصل الى نقطة تهاوت له ربوة الامل الى هاوية من القنوط وعدم الرجاء.. بحث عنها فى شرق المعمورة فانقبض امله واعتبروه يراود مستحيلا فقالوا له: ان هذه الارض لا تتسع لهذا النوع من الحيوانات التى تحتاج الى العشب الكثير والماء الغزير.

زاغت عيناه الى غرب المعمورة منقبا عنها فازداد اشمئزازا واضطرابا كادا ان يشوشا على مخيلته ويزيدا فى اضطرابه.

لقد تبع ناقته فى كل ارض الله الواسعة، تذكر وجهها الناصع الذى رافقه فى كل لحظة من حياته كم تعذب وتمزق كيانه من اجلها؟

لقد تضرع وسجد من اجلها لكن الامال تبخرت وكادت ان تضيع فى سماء هذا الوجود كما تضيع حبة رمل فى عمق صحراء.

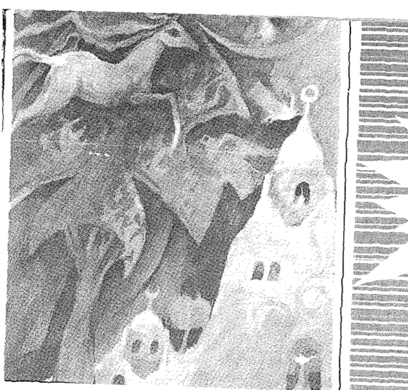
حاول ان ينام تحت الشجرة ليريح اعصابه المتوترة بعض الوقت لكنه شق سمعه صوت كالانفجار فنظر الى السماء للمرة الثانية فإذا هى قد تلبدت بالغيوم الداكنة التى تكتسح السماء لتغطى اشعة الشمس الساطعة.

همهم كالحيوان الجريح قائلا: ان خلف هذه الغيوم سينزل المطر ليروى هذه الارض الظمأى، «إنه رعد الظهيرة الذى لا يكذب مطره فانتابته موجة عارمة من الخوف والفزع عندما حاول ان يواصل السير لعله يلتجيء الى اقرب الاحياء المجاورة ولكن المحاولة باءت بالفشل الذريع.. حيث دندن الرعد وخفق البرق فتواصل سقوط المطر بشدة حتى كاد هدير المياه يهدد الطبيعة بكاملها».

بقى الغالى يصفع المياه برجلين مترنحتين ينظر بعينين يختلط فيهما بياض النهار بسواد الليل من شدة التعب والارهاق.

وفى الحى الذى انطلق منه الغالى ارتفعت الاصوات المفزعة تبحث عن الغالى الذى غاب ولم يعد بعد، فتناثر الرجال فى كل الطرقات يبحثون عنه بعد سقوط الامطار العنيفة المصحوبة بالعواصف المزمجرة بينما راحت امه تذرف الدموع بصوت جاهش تخنقه العبرات فامتلأ فناء خيمة ذوى الفقيد بالزوار وتغيرت الوجوه من فرح بسقوط المطر الى فزع يحز القلوب ويعكر المزاج.. وكثرت التخمينات فى امره وارتج الحى بأثره وكاد ان يفقد اتزانه مما دعاهم الى ان يدعوا منجما عرف بين





ـ قصة قصيرة ـ الناقة ـ

الاوساط بالبركة والرحمة فتمتم لهم رافعا رأسه الى السماء فى خشوع وابتهال واستطرد قائلا: لا تخافوا لا تخافوا عليه سيعود سالما مظفرا كما تريدون فى حين راح بعض اقارب الفقيد يقدمون ما استطاعوا من النذور للعثور عليهم بينما نذر بعضهم رقصات (فلكولورية لأبهاه) تعبيرا عن شعورهم بالحادث وليشاركوا ذويهم فى المأساة التى بدأت تغطى بردائها الحالك الحى باثره.

ومازال الرجال ينهبون المسافات ويستأصلون شأفتها بحثا عنه حتى عثروا عليه متكئا على جانب الطريق جثة هامدة فحملوه بين احشاء خفاقة ودموع مهراقه وهرعوا به فى اتجاه الحى الذى تركوه بين انفاس حائرة وقلوب مضطربة من شدة الفزع والذعر.

وما كادت الشمس تغيب ويلفها الحزن والاسى لذلك المنظر المثقل. . حتى ارتج الحى من جديد وارتفعت صيحات عالية معلنة عودة الرجال فانتشر مثقال ذرة من الامل على ان الفقيد قد عاد سالما وسرعان ما تلاشى ذلك الامل وتبخر فى السماء ليعلن ان الفقيد قد عثروا عليه ميتا ووجدوه متكئا على ردائه الابيض الذى ما فارقه يوما من ايام حياته ووجدوه قد كتب على ذلك الرداء (ابحثوا عن ناقتى فإنها لا توجد فى شرق المعمورة ولا غربها انها لم تبرح الحى فمازالت حية ترزق.

■ الناقة .. محاولة على الطريق.. تنشرها ومضات.. وتنصح بالاطلاع على نماذج القصة القصيرة المعاصرة للوقوف على ما وصلت اليه القصة القصيرة فنيا ومن حيث البناء اللغوى ٠ (المحـــرر)

بوح

يا شمس يا دوارة عبر الزمن
وأنـت تشـرقين لـى
عروسـة تـــزف
وتغربيـن فى بوابـة يطل من
شراعها النهـار
إنـى أبـث فى سنابل الذهـب
كل الذى يحـط فى أرض الرسـالة
. . جملة
« إنـى أحـبك يا وطـن »

ـــــــ خلف محمد كمال ابراهيم (السعودية)

■ بـوح .. بالفعل هى بـوح.. تجربة ناضجة فنيا وموضوعيا .. على الرغم من أنها تبدو مختزلـة.
ومضـات تنشـر التجربة.. وفى انتظار مشاركات أخرى.

(المحـرر)



فلسطيننا

العدد ٥٧ شعبان ١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ (الأنفال/٦٠)

محتويات العدد

- لنكن صرحاء
- طوفان الحجارة ـ شعر ـ
- الوثائق التاريخية
- في القصة والرواية الفلسطينية
- الكشف الأثري في فلسطين .

.. وماذا بعد ؟!

أن ينفى العدو الاسرائيلى أربعمئة فلسطيني عن مساكنهم وأهلهم وديارهم، ويرمي بهم الى المجهول فى جنح الظلام، فهذا أمر طبيعى (فى شرعهم)، و(عرفهم)، بل وفى (عقيدتهم) لا سيما وأن (عقيدتهم الانسانية) تقول (أى عربي أو مسلم، ارم به في مجاهل الارض فانه وباء).

اذن الامر فى (عرفهم) شريعة متبعة، وقاعدة راسخة، ولا ننسى هنا أن قرار (الطرد والنفى) جاء (مسببا) ومعللا بكل حيثياته.

القوم أنشأوا محكمة، ودفعوا إليها بكل البينات اللازمة والمثبتة لـ (وبائية) هؤلاء المنفيين.. وهل نبحث عن سبب أقوى لطرد ونفي (هؤلاء الوباء) اكثر من قتلهم لهذا الجندي المسكين الذي لم يكن يؤدي غير واجبه!!؟ ما لهولاء القوم لا يفقهون حديثا..!!

(كيف يجرؤ هؤلاء (الاوباش!!) على قتل أحد أحفاد سادة الارض).. هذه عقيدة اليهود، وهذا عرف الصهاينة، وهذه انسانيتهم..

الم يدعوا أنهم شعب الله المختار!!؟

الم يدعوا انهم أبناء الله وأحباؤه!!؟

الم يدعوا أنه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى!!؟

وهذه ادعاءات عريضة وأكاذيب مفضوحة سجلها عليهم القران الكريم.

لنكن صرحاء سادتي:

ترى، شعب بهذا التعالي، وهذا الادعاء، هل يرعى حرمة لاحد...؟

شعب يختزن فى داخله قدرا مهولا من الصلف، يدفع به مبررا لكل تصرف شاذ تأباه أدنى قواعد الانسانية.. وهل ترونا نعدم مثالا؟ بل هل ترونا نستطيع تعداد شواذ مغالطاتهم؟!!

قرروا نفى اكثر من اربعمئة شخص من ديارهم، ثم ماذا!!؟

قال اليهود (ليس للامم المتحدة الحق فى إدانتنا، لانها ادانة لا تحمل مبررا ولا مسوغا.. وقرارنا لا رجعة فيه.

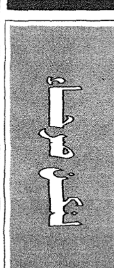
ترى .. هل نكرر القول (هؤلاء هم اليهود.. وهذه عقيدتهم)!!!

ومثال اخر:

(صبرا وشاتيلا) .. ماذا عمل فيها اليهود؟!! تقتيل، وتذبيح، وتشريد، بل وتجويع لاهل المخيم حتى اكلوا لحم الكلاب والدواب.. وهل ننسى عملية الترحيل الكبرى للفلسطينيين من لبنان..؟؟

شن اليهود على لبنان حربا شاملة بهدف ترحيل الفلسطينيين من ملاجئهم وخيامهم.. ورحل الفلسطينيون على مرأى من أعين العالم بكامله.. لنكن صرحاء سادتى..

فلسطيننا





عبد السلام هاشم حافظ (المدينة المنورة)

مهداة إلى أبطال الانتفاضة في فلسطين الحبيبة

ولدى . . أيا طفلى ويا مجد الحياه
يا قصة الانسان والعصر الجديد
يا نور نور الدرب نحو التعالى بالبنود
يا ابن الارادة والصعود
يا حامل الأكفان فى تجواله
يا أنت يا حلم العروبة والجدود
يا قاتل الثعبان بالحجر الشديد
يا كل شعب بالحقيقة هادر
فجرت أرضك بالحجارة والنشيد
فى وجه طاغوت الجرائم والعبث
بإرادة البطل الصغير.
لابد ينهار التأمرك والعبيد
وعهود حكم جائر أو بائس
وأمام إصرار الفؤاد العابس
وعلى اليد الجبارة المتهادية
يفنون من حجر فلسطينى يزلزل فى الطغاه

* * *

طفلى وياجيل البقاء
يا من تلوح لنا كعملاق فريد
ومع الصباح الباسم
للأهل يا كل الفلسطينيين . .
أظفارك الزرقاء تنهش كالمدى
جلد الكآبة والصهاينة الغلاظ
جلد الثعالب . . طغمة الافساد فى أرض السلام

* * *

إيه حبيب الأرض يا طفلى الغيور
أنت الشموخ بأمك المتعالية
حملتك فى القدس الشريف
رحم لها تعطى سخاء دائما
وولدت فجراً ساحراً متناميا
قد أنجبت فيك البطولة والشباب
من غزة الأمجاد من صلب الخليل
من ضفة الاسعاد والجولان حتى الكرمل
من كل أرض غالها ليل الغزاة الحاقدين
والسنديانات التى إن أثمرت
سحقوا الظلال وعربدوا وتجبروا
وتفننوا فى قتل الصبايا والشيوخ

* * *

لكنهم لم يهنأوا . . لن يهنأوا !
أبداً وأنت كرامة العهد الجديد
يا طفل . . يا فتيان . . يا أحبابنا
باسم الاله تيقظت
فيكم ضمائر أمة
صنعت لنا تاريخ أمجاد الحياة
طفلى ويا كل النضاليين حبك أثمرا
بك أنت يا رمز البقا ء
أنت الحضارة والسناء
تختار من دم أرضنا أمضى سلاح
بحجارة موارة فوارة
تشتاق تلتحم الصهاينة الجفاة المرجفين
وتواجه الاعمار والليل العفن
وتحيل أرض المقدس
تغلى على الأعداء ناراً عارمه
تفرى القلوب الغليظة للجنود
جند اليهود الخاطئين الخاسرين !
مهما استبدوا بالفلسطينى البطل

* * *

روح التحرك والخلود
وهو التهادى فى التأجج كالجبل
الثورة الاعصار تقتلع اليهود
من ثغرنا . . من دارنا . . من أرضنا
وتذيب من نازية العصر المهين .

الوثائق التاريخية التي سرقتها اسرائيل من المحكمة

بقلم: مجاهد على شراب (القاهرة)

تكشف «فلسطيننا/ المنهل» عن بعض صور الوثائق التاريخية وسندات الملكية وحجج الاوقاف التى تثبت عروبة القدس وارض فلسطين وملكيتها للشعب العربى الفلسطينى، والتى سرقتها اسرائيل ـ امام أعين العالم ـ عند اقتحامها لمبنى المحكمة الشرعية بالقدس.

وقد حاولت اسرائيل بهذا العمل العدوانى وبهذا الانتهاك الصارخ للقانون والشرعية، ان تسرق الوثائق التاريخية التى تثبت اصل الحق التاريخى، فلسطينيا وعربيا واسلاميا، وان تطمس وتخفى اصل هذا الحق وتعدم سند الملكية الشرعية كى لا يستطيع الفلسطينى والعربى صاحب الحق التاريخى ووارثه اظهار مستندات حقه (وورثه الشرعى) الذى لا يرقى اليه اى شك.

واسرائيل ـ بهذا العمل ـ ارادت ان تؤكد للجميع انها تضرب عرض الحائط بكل قيم الحق والتاريخ والقانون والعدالة والشرعية والسلام.

وهنا ـ قبيل عرضنا لنماذج من «الوثائق المسروقة» ـ نوضح، فى عجالة، اساليب اسرائيل العديدة فى الاعتداء على الحق العربى، من مصادرة الاراضى بالقوة، وتدمير المنازل والبيوت بالنسف، ثم قيامها «بتزوير» مستندات الملكية وعقود البيع للممتلكات والاراضى العربية، واخيرا اضطرارها الى «سرقة الوثائق والمستندات بالكامل» كى تخفيها من الوجود.

المصادرة بالقوة

تقوم اسرائيل بمصادرة الاراضى والممتلكات الفلسطينية تحت حجج وذرائع متعددة مثل استخدامها كمناطق عسكرية او بحجة شق طرق وابتداع القوانين العديدة العنصرية الجائرة كى تجرد العرب من مساحات شاسعة من اراضيهم، كما تقوم بهدم المنازل وتهجير سكانها العرب والتخلص من اكبر جزء ممكن من الكثافة السكانية العربية داخل القدس او المدن العربية الاخرى، او خنق هذه الكثافة ومحاولة تذويبها (او تفتيتها) وسط اطار المستوطنات الاسرائيلية فى مدينة القدس، أو المحيطة بها، لخلق واقع بشرى ومادى اسرائيلي فى المدينة المقدسة كسياسة امر واقع بحيث تغدو مسألة اعادة الاوضاع الى ما كانت عليه كما نصت قرارات الامم

الشرعية بالقدس الشريف ... !

المتحدة او الشرعية الدولية، أمراً مستحيلا! وتحاول السير على هذا الطريق بأقصى سرعة ممكنة ـ رغم جهود السلام ـ وذلك لجعل العرب والعالم يقفون امام الامر الواقع الاستيطاني.

تزوير الوثائق

اضافة الى هذا النشاط الاستيطاني ـ الذى يطالبها الجميع بوقفه ـ المبنى على المصادرة ووضع اليد على الاراضى والعقارات وتجريد اصحابها العرب منها بالقوة، فان اسرائيل تلجأ الى اساليب اخرى لتجريد العرب من ارضهم وممتلكاتهم. ومن هذه الاساليب «تزوير» شهادات «الطابو» وحجج ملكية الارض وسندات ملكيتها والايعاز لبعض الجهات او الشركات الاسرائيلية بشرائها اعتمادا على هذه «الشهادات او الوثائق المزورة»!! وحين يحتج صاحب الارض الحقيقى، بعد ان يعلم بعمليات البيع (وقد يكون علمه بعملية البيع بعد سنوات من وقوعها) تصر السلطات الاسرائيلية على اعتبار البيع صحيحا اعتمادا على قانون اسرائيلى يطلق عليه قانون «حق الشراء»! وعلى الفلاح الفلسطينى صاحب الارض ملاحقة المزور الاسرائيلى امام الجهات القضائية الاسرائيلية!!

ورغم ذلك ومن اجل الاصرار الاسرائيلى على الاستيلاء على الارض العربية واستيطانها، ورغم حكم المحكمة العسكرية العليا فى بعض الحالات لصالح الفلاح الفلسطينى، فان سلطات الاحتلال الاسرائيلى ترفض الانصياع لأى قرارات او احكام قضائية تصدرها محاكمها هى لصالح الفلاح العربى الفلسطينى!

وهناك امثلة عديدة وكثيرة (لا تحصى ولا يتسع المجال لذكرها وتعدادها) لعدم احترام السلطات الاسرائيلية للقانون الاسرائيلى نفسه وعدم التزامها به او تنفيذها له، مثل الحكم الذى اصدرته محكمة العدل العليا الاسرائيلية (عام ١٩٧٩) باعادة الاراضى التى استولى عليها مستوطنو «كريات اربع» (اربع قرى) القريبة من الخليل، الى اصحابها الاصليين (العرب)، وبدلا من ان تعيد السلطات الاسرائيلية الاراضى لأصحابها العرب الشرعيين، التزاما بأحكام المحاكم الاسرائيلية، واصلت قوات الاحتلال ـ نفسها ـ عمليات تسوية الارض المحيطة، والحاقها بالمستوطنات، وضربت بقانونها نفسه عرض الحائط!!

ولا تزال اسرائيل تحظر عمليات البيع بين مواطن عربى ومواطن عربى اخر، لانها تنظر الى المواطن (او المالك العربى) على انه لا يملك شيئا، وتسهل فى الوقت نفسه ـ وبعد ان تزور الوثائق والمستندات ـ عمليات البيع نفسها

اذا كانت الاطراف المشترية فيها، يهودية!!

اخيراً: «السرقة» اسهل من «التزوير»

ويبدو انه عندما استعصى النجاح على السلطات الاسرائيلية فى اتمام عمليات الشراء والاستيلاء على الارض والممتلكات العربية عن طريق «تزوير الوثائق والمستندات وسندات ملكية الارض» ليقظة الفلاح الفلسطينى واظهاره وابرازه للوثائق والشهادات والسندات الدامغة «الاصلية» التى تثبت حقه وملكيته للارض دون منازع، مما يعرقل ويفشل ويفضح كل عمليات البيع «المزورة» ويوقف عمليات انتقال الاراضى العربية للسلطات الاسرائيلية اواستملاكها لليهود ومن ثم عدم التمكن من تهويدها باستيطانها، سواء عن طريق السلطات الاسرائيلية نفسها أم عن طريق «قطعان المستوطنين»! يبدو والحال كذلك، ان الافضل والاسهل الاف المرات لاسرائيل ان «تسرق» كل ما تستطيعه، ومرة واحدة!!، من مستندات ملكية وحجج ووثائق وشهادات ملكية الاراضى العربية والمنازل والعقارات والاوقاف الاسلامية، فى مدينة القدس نفسها وفى انحاء كثيرة من فلسطين، تؤكد عروبة القدس وكل فلسطين على مر العصور.

■ وهكذا، وامام اعين العالم وعلى مسمعه، اقتحمت القوات الاسرائيلية «الرسمية» من شرطة وحرس حدود، مبنى المحكمة الشرعية بالقدس، «لتسرق» وثائق وحجج تاريخية يرجع تاريخها الى ٥٠٠ ـ ٨٠٠ سنة، فى عملية مكشوفة ومفضوحة بشكل صارخ، بهدف سرقة التاريخ ومحاولة طمس الحقيقة وان تخفى ـ كما تتوهم ـ اى دليل على عروبة القدس وفلسطين وعلى حق الشعب العربى الفلسطينى فى ارضه ووطنه كحقيقة ناصعة.

ولكن خاب ظن اسرائيل وسيخيب دوما، لان الحقيقة ستبقى دوما حية ناصعة ولن تستطيع اسرائيل ان تطمسها مهما سرقت من مخطوطات ووثائق وحجج وسندات ملكية.

■ و«فلسطيننا» تقدم بعض نماذج من هذه الوثائق والحجج من سندات الوقف الاسلامى فى القدس وسندات وصكوك الملكية الوقفية والفردية، التى تعتقد اسرائيل انها سرقتها وطمستها، ولكنها ستظل حججا دامغة تفند مزاعم اسرائيل فيما تدعيه وفيما يمكن ان تدعيه!

فماذا تقول الوثائق؟!

الوثيقة الاولى:

توثق لاول (وقف) اسلامى فى فلسطين، وهو وقف سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (صلى الله عليه وسلم) ويشمل هذا الوقف قرية بيت عينون، وأرض مدينة خليل الرحمن سيدنا ابراهيم (عليه السلام) وتعرف بـ (صبرون) مدينة الخليل، ومزرعة مرطون، ودكاكين فى سوق مدينة الخليل ٦٥٠ بابا.

نص الوثيقة:

وقف سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، سيد العرب والعجم وامام المكة والحرم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف بن هاشم عليه افضل الصلوة واكمل التحيات على تميم الدارى الانصارى رضى الله عنه وعلى اولاده واولادهم وذريتهم وانسالهم

واعقابهم بموجب الانطاى الشريف وبموجب دفتر اوقاف على بك . وتشمل :

- قرية بيت عينون تابع خليل الرحمن، تماما .
- ارض مدينة خليل الرحمن تعرف بحبرون وحبرا وبيت ابراهيم، تماما .
- مزرعة مرطون الان تعرف بالرياحية تابع خليل الرحمن تماما .
- دكاكين فى سوق مدينة خليل الرحمن تعرف بوقف تميم فى ارض بيت ابراهيم ٦٥٠ بابا .

الوثيقة الثانية:

توثق لاحد (اوقاف) الملك الناصر صلاح الدين الايوبى، وهى قطعة ارض فى مدينة القدس وحصة وقف، موثقة فى سنة ٩١٠هـ (اى سنة ١٤٩٠م) منذ اكثر من ٥٠٠ سنة.

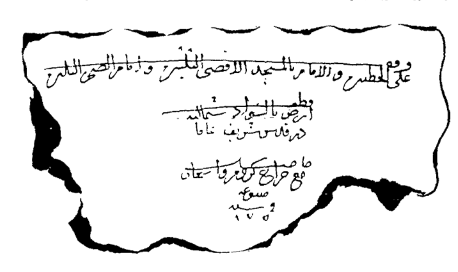
نص الوثيقة :

وقف الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب على بيمارستان بالقدس الشريف، تاريخ المحضر بجهة اوقاف بيمارستان المزبور فى سنة ٩١٠ وتاريخ ثبوت ارض المسعور فى سنة ٩٤١ وتشمل :

- قطعة ارض مصرارة فى ظاهر قدس .
- حصة وقف بيمارستان قدس شريف ١٦ ط ١٨٩٢ .

الوثيقة الثالثة:

توثق لـ (سند ملكية) ملك احد أمراء لواء القدس فى عام ٩٥٢هـ، وهو الامير سنان بك بن عبد الله ويتمثل الملك المجاور لسور المسجد الاقصى من الشمال فى دارين وحاكورة (مزرعة) واسطبل، عند باب الغوانمة، انتقلت اليه من بعض المواطنين القاطنين بالقدس.



نص الوثيقة :

ملك فخر الامراء سنان بك ابن عبد الله امير لواء قدس شريف المنتقل اليه من شيخ احمد ابن موسى الكتانى وظهر الدين وعبد البر ولد أثر الدين محمد، ومن عائشة بنت محمد البرساوى القاطنون بالقدس الشريف تاريخ المشترى اول فى ثالث عشر جماد الاول سنة ٩٥٢ تاريخ مشترى ثانى فى عاشر جمادى الآخر سنة ٩٥٢ . (وتشمل) :

- الدارين العلوية والسفلية مع القاعة والحاكورة الملاصقة لذلك من جهة الشمال والاصطبل المعروف بالمغارة المجاورة لسور المسجد الاقصى فى الباب الغوانمة فى نفس قدس شريف .

الوثيقة الرابعة:

توثق لـ (سند ملكية) احد قضاة القدس الشريف فى سنة ٩٥١هـ، فى اعلى عصية الظاهرية بالقدس الشريف.

نص الوثيقة :

ملك مولانا قاضى احمد جلبى ابن نصوح الحاكم بلواء قدس شريف تاريخ مشترى فى اربعة عشر شهر ربيع ثانى فى سنة ٩٥١هـ (وتشمل) :

- بعلة المعرق من بالدعية وابن الطرق فى اعلى عصية الظاهرية بالقدس الشريف تماما .

الوثيقة الخامسة:

توثق لـ (سند ملكية) مزرعة لمواطن عادى فى القدس الشريف.

نص الوثيقة (وتشمل) :

ملك جمال الدين بن عبد الله . . وتشمل :

- مزرعة مرج العرب تابع قدس

الصامد ٢٠ ط.

الوثيقـة السادسة:

توثق لسند (وقف) امام المسجد الاقصى (ولـه الثلثان) وامام مسجد الصخـرة (ولـه الثلث)، وتتكـون من قطعة ارض وحاصل (محل بيع وشراء او تخزين)، وحراج كروم (مزرعة عنب)، واشجار متنوعة، موثق فى سنة ٨٧٥هـ.

نـص الوثيقة :

وقف على الخـطيب والامـام بالمسجـد الاقصى الثلثين وامـام الصخرة الثلث . . **(وتشمل) :**

- **قطعـةارض بالسـواد شمالية دار قدس شريف تماما.**
- **حاصل مع حراج كروم وأشجار متنوعة فى سنة ٨٧٥.**

■ **وبعد . .**

لقـد سرقت اسرائيل عشرات الالاف من مثـل هذه الـوثـائق التاريخية الهامة، والحجج وسندات الملكية والاوقـاف الاسـلامية (فى القـدس ومختلف انحـاء فلسطين) من محكمة القدس الشرعية.

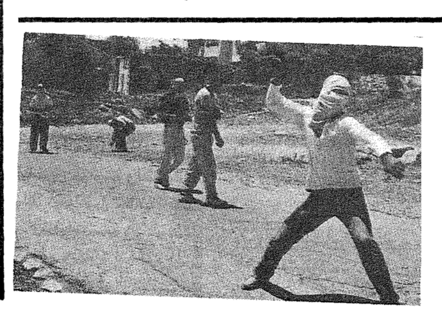
ورغم ان هدف (سرقـة هذه الوثائق واستلابها) معروف وواضح امـام العالم والمجتمع الدولى كله، الا انها ادعـت ان (الـعملية أمنية للبـحــث عن مواد تخريبـية وتحـريضـية)!!! و«وعـدت»! ـ كعادتها فى اعطاء الوعود!! ـ باعادة هذه الوثائق ما لم تتضمن اية مواد «ارهابية» او «تحريضية»! ولم تعدها حتى الان!!!

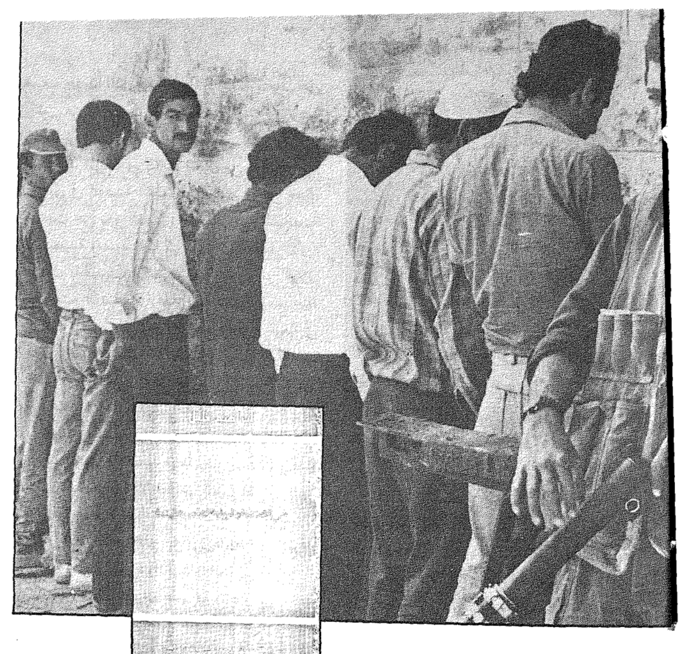
فأين «الارهاب» او «التخريب» او حتى «التحريض» فى مثل هذه الـوثـائق التـاريخية المثبتة للحق التاريخى؟ اللهم الا اذا كان اثبات الحق العـربى فى فلسطين وفى كل مدنها وقـراهـا وارضهـا واوقـافهـا وعقـاراتهـا، والتمسـك بهذا الحق وتبيانـه بالـوثـائق والادلة والحجج والصكـوك التـاريخية الـدامغـة الاكـيدة، هو «ارهــاب» و«مـادة تخريبـية» و«تحـريضـية» فى نظر اسرائيل التى لا تزال تسرق الحق العربى فى فلسطين؟!!.



في القـ

سمير احمد الشريف ـ الاردن





...صة والرواية الفلسطينية

صدر عن دار ابن رشد للنشر والتوزيع كتاب جديد يرصد القصة والرواية الفلسطينية وهو اول دراسة كما نعلم تتصدى لدراسة القصة الفلسطينية فى كتاب مستقل حيث إن اغلب الدراسات التى تناولت هذه الجوانب تعتمد معالجات سريعة مما تحتاجه الجريدة السيارة والمجلة السريعة، ولهذا فقد جاءت الدراسة ذات اسهام فى الحديث عن الحركة الادبية فى الادب الفلسطينى داخل فلسطين المحتلة وخارجها، هذه الدراسة كان الهدف الاول منها التعريف بلون من الوان الادب العربى فى فلسطين . . ولعل من الاهداف التالية لهذه الدراسة كذلك استقصاء الاثار الايجابية التى خلفتها انبثاقة الثورة الفلسطينية وانعكاسها على مسار القصة القصيرة والرواية وعلى الشخصية البشرية والدراسة غير متناسية بالطبع القاء الاضواء على الخصوصية التى يتميز بها الادب القصصى فى فلسطين.

■ اما ثالث اهداف هذه الدراسة فهو محاولة ربط الادب الفلسطينى فى المهجر بالادب الفلسطينى داخل الارض المحتلة مع تسليط المزيد من الاضواء على ادباء فى الضفة الغربية المحتله وهذا بدوره

يضيف جديداً للقارىء العربى إذ يجعله يتعرف على الكثير من الجوانب المجهولة فى مسيرة الادب الفلسطينى.

يرصد المؤلف فى الباب الاول من دراسته معالم الطريق فى القصة الفلسطينية القصيرة من خلال الحديث عن دور القصة فى الحفاظ على الشخصية الفلسطينية ومقوماتها كما يظهر في الفصل الاول فيتناول بالحديث الكاتب حنا ابراهيم من خلال مجموعته القصصية ازهار برية فيتوقف مع حياة الكاتب الذى ولد عام ١٩٢٧م فى قرية البعنة فى الجليل وتلقى دراسته الابتدائية فى مدينة الرمله ثم الثانوية فى عكا حيث عمل مدرسا فى بيت لحم حتى اوائل عام ١٩٤٨ وبدأ ينشر قصصه فى مجلة «الجديد» التي تصدر فى حيفا.

ينبه المؤلف الى قضية مهمة وهى ان دارس ادب الارض المحتلة عليه الا يخضعها لنفس القوانين التى تسري على القصة العربية خارج الوطن المحتل بسبب اختلاف الظرف الذى يؤدى الى اختلاف الانماط التعبيرية وطرائق السرد وآفاق المعالجه.

يشير المؤلف الى ان مجموعة (ازهار برية) لحنا ابراهيم تعالج عدة مواضيع على رأسها ثورة ١٩٣٦ زيادة على تصويره لواقع الانتداب البريطاني فى فلسطين وآثاره السلبية ثم نكبة عام ١٩٤٨ التى تعتبر محورا اساسياً فى اقاصيصه وما رافقها من النزوح والهجرة وما ترتب على ذلك من اثار ثم يأتي الموضوع الاخير الذى يشكل محورا اساسيا فى مجموعة حنا ابراهيم وهو علاقة عرب فلسطين باخوانهم فى الخارج.

■ فى الفصل الثانى من الباب الاول يتوقف المؤلف مع مجموعة جسر على النهر الحزين وهي من منشورات عربسك/ الارض المحتلة للقاص محمد علي طه الذى ولد فى قرية (ميعار) فى الجليل ايضا وهى مجموعة تؤكد بعمق كبير انجازات محمد على طه فى مجال الفن القصصي بمضامينه الانسانية وتقنيته الفنية العالية، فى هذه المجموعة تجد ١٤ قصة تحتوى على



الرمز والايماء واستخدام الاسطورة وان كان الغموض احيانا يحتوي بعضها.

اشتملت قصص محمد على طه على عدة محاور ضمن الدائرة الكبرى ـ الهم الفلسطينى فقد عالج فى قصصه مأساة الاقلية العربية داخل الكيان الصهيونى ثم تسليط الاضواء الكاشفة على ابعاد القضية الاجتماعية فى الريف ومواجهة الفلاحين لمصاعب الاضطهاد بأمل وثقة، وهو يناقش كذلك قضية الانتخابات البرلمانية فى اسرائيل منوها الى الاساليب البشعة التى تلجأ لها الاحزاب الاسرائيلية للحصول على الاصوات العربية.. لكن الملفت هو ان هذه الاحزاب جميعا تتفق فى هدف واحد رغم اختلافاتها ـ على الوقوف امام الاحزاب التى توجد بها اغلبية عربية، هذا غير كشفه لعلاقة اليهودي بالعربى التى تكرس مفهوم علاقة الغالب بالمغلوب رغم كل ما يقال عن الديمقراطية الكاذبة داخل الكيان الصهيونى وهذه الصورة تفضح بشكل واضح سياسة الاستغلال والاستخفاف بالعربى والدعاية المغرضة التى توجه له، ولعل على رأس الموضوعات التى طرحها محمد على طه فى قصصه «المقاومة» من خلال قصة ابريق الزيت اما الاساليب الفنية التى اعتمدها القاص فهى القصة الدائرية ـ قصة الاعتراف ـ قصة الحكاية ـ قصة الرمز.



■ فى الفصل الثالث من الكتاب يتوقف المؤلف مع صوت قصصي آخر هو خليل السواحرى فى مجموعته مقهى الباشورة وهو اسم لمقهى مشهور فى القدس وجاء تحت عنوان «مقهى الباشورة من زمن الاحتلال الى زمن الثورة» وصدرت عن وزارة الثقافة فى دمشق.

وما يميز هذه المجموعة من غيرها تميزها بوجود طابع النبوءة وطابع التوثيق، التوثيق لانها كتبت خلال عامين من الاحتلال وفيها سجل الكاتب بعدسة حساسة ما يجري على الساحة الفلسطينية من مقاومة وصراع وتحولات ايجابية وردود فعل تجاه ممارسات الاحتلال من تهويد واستيطان.

اما جانب النبوءة فيها فلأنها عبرت عن رؤية مستقبلية لواقع الصراع العربى الاسرائيلي وسيرورته واستكشافها لحركة الواقع وما تقود اليه من تحول حتمي للثورة على الاحتلال.

اهمية هذه المجموعة انها ترصد وبحركة دقيقة شاملة الاجواء التى خيمت على منطقة القدس بعد حزيران ١٩٦٧ ولهذا تعتبر مرجعا مهما فى هذا الجانب وخاصة فى العامين التاليين.

ولعل ما يميز المجموعة عن غيرها زيادة على ما ذكرنا وجود عامل السخرية فى ثناياها ويعد هذا العامل احد العوامل التي ساعدت على نجاح المجموعة بشكل عام ذلك انه ساهم فى تأكيد الطابع الواقعى للقصص وخففت من رتابة السرد، انها باختصار صورة تعكس التحولات من زمن الاحتلال الى زمن الثورة.

■ فى الفصل الرابع من الكتاب يتوقف المؤلف مع الكاتب محمود شقير ويناقش مجموعة الولد الفلسطيني ونزعة التجريب، وهي مجموعة صدرت عن دار صلاح الدين فى القدس المحتلة وفيها يحاول القاص البحث عن اسلوب جديد للقصة الفلسطينية داخل الارض المحتلة وان كانت هذه المحاولة يعتورها التعثر وعدم التوفيق احيانا، اما الملاحظات التى يمكن التنويه بها عن هذه المجموعة فهي اعتماد القاص النموذج المختزل من القصص القصيرة جدا وهى طريقة جديدة على القصة القصيرة بدأت تحتل مكانتها رغم ما يمكن ان يقال عنها فنيا.

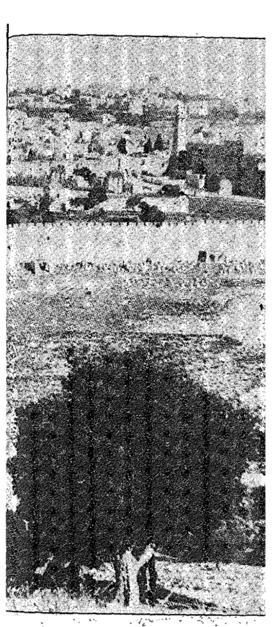
ثانيا ان مجموعة من القصص المنشورة فى هذه المجموعة عرفت انها موجهة للاطفال عندما نشرها كاتبها فى الصحف لكنه عدل عن ذلك وحذف «للاطفال» اضافة الى انه اضاف مجموعة من القصص عن الطبعة الاولى شكلت فى مجملها امتداداً كميا لإنتاجه وهى تعكس بحثه عن اسلوب قصصي واقعى يخدم افكاره وهذا واضح خلال نزعة التجريب التى رافقت الكثير من قصصه.

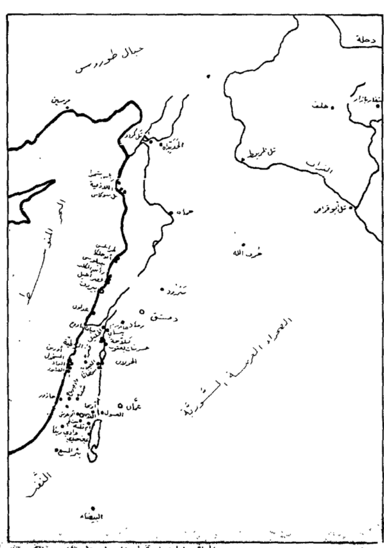
■ فى الفصل الخامس من كتابه يعالج المؤلف قضية الرمز والنموذج الفلسطيني فى مجموعة ابراهيم العبسى «المطر الرمادي» وفيها يتحدث عن النموذج الفلسطيني فى المجموعة وعن النموذج الثوري والرمز ويخرج بعدة ملاحظات اهمها ان الكاتب يستخدم الرمز ليقوم مقام طرف فى معادلة من طرفين من الرمز ودلالته من غير ان يربط الرمز بمدلوله وان الكاتب يتعمد فى كثير من الاحيان تفسير رموزه وهذا نابع من قناعاته الداخلية بعدم كفاية الرمز لتوضيح دلالته واستخدم الكاتب رموزا لدلالات غير متطابقة وعدم اتفاق الرمز مع ما يوحي به وهذه الرموز شكلت مجموعة من العثرات التى اثرت على المعمار القصصي وان كان الالتزام السياسى هو الهم الاول والاخير فى مجموعته (المطر الرمادي).

الكشف

- اليهود في فلسطين المحتلة يبحثون عن الآثار من منطلق ديني بحت.
- اليهود دمروا كل أثر يدل على عروبة فلسطين.

بقلم: د. عز الدين غربية ـ الكويت ـ





المواقع الحضارية في فلسطين في العصر الكنعاني

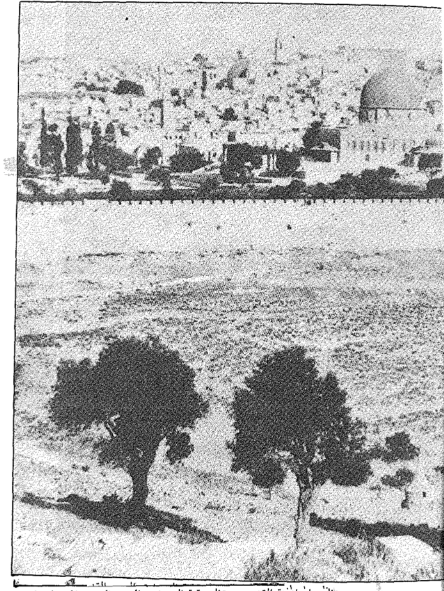
لمسيرة الكشف الأثرى فى فلسطين تاريخ طويل وهام يتميز باهدافه واسلوبه عن غيره من النشاطات الأثرية التى جرت فى الوطن العربى، أو الشرق القديم، لقد بدأت عمليات التحرى والاستقصاء عن تاريخ فلسطين فى العصر اليونانى، ونشطت فى العصور الوسطى، وفى اعقاب الحروب الصليبية، بلغت ذروتها فى عهد الانتداب البريطانى واثناء الاحتلال الصهيونى لفلسطين، وقد اسهمت فى ذلك مؤسسات وجمعيات غربية بدوافع دينية، ومن منطلق توراتى.

ولـلتعرف على مسيرة الاستكشاف الاثرى فى فلسطين، جرى تقسيم هذه المسيرة الى مراحل رئيسية ثلاث:

١ ـ تبدأ المرحلة الاولى مع الكتابات والمعلومات العامة التى قدمها الرحالة والمغامرون القدامى في العصر اليونانى، وتنتهي بتأسيس «جمعية استكشاف فلسطين» البريطانية عام ١٨٦٥م.

وتمثل هذه المرحلة فترات تمهيدية، ومحاولات متعددة زودتنا

الأثري .. في فلسطين


منظر عام لمدينة القدس، وتظهر قبة الصخرة والسور القديم المحيط بالمدينة

الاستكشاف الأثرى، التي تداخلت واستمرت في اكثر من مرحلة، بل ان تلك الاهداف مازالت المنطلق الاساسي للمستكشفين الغربيين.

المرحلة الاولى:

تعتبر مرحلة تمهيدية، وتتميز بكتابات بعض المؤرخين، والرحالة والمغامرين، والحجاج، وعدد من المتخصصين الاجانب، وذلك ابتداء من العصور اليونانية، عبر العصور الوسطى، والحروب الصليبية، ثم القرون السادس عشر، والسابع عشر، والثامن عشر، وحتى منتصف القرن التاسع عشر، عند تأسيس جمعية استكشاف فلسطين.

ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى فترات ثلاث، شهدت تطور هذا النشاط، وتنوع اساليبه، وذلك على النحو التالى:

الفترة اليونانية:

بدأت العمليات الاولى للتحرى والكشف عن تاريخ وحضارة فلسطين فى كتابات المؤرخين الاوائل، ورحلات المغامرين والحجاج الذين زاروا فلسطين وسجلوا بعض المعلومات التاريخية والجغرافية العامة عن

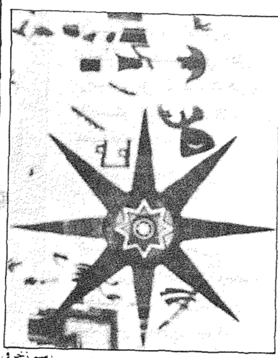
تحت الاحتلال الصهيوني.

٣ ـ المرحلة الثالثة وتبدأ من نهاية المرحلة الثانية ١٩٤٨م، وتستمر حتى الآن، علما بأن تقسيم هذه المراحل لا يعتبر حاسما، لتداخل بعض الظواهر المشتركة فيما بينها، ومن هذه الظواهر الاهداف التى اعتمدها المستكشفون الأثريون، وكذلك الاساليب المتبعة في

بمعلومات عامة عن تاريخ، وجغرافية فلسطين وطبيعتها.

٢ ـ تبدأ المرحلة الثانية، مع تأسيس جمعية استكشاف فلسطين، حيث بدأت خلالها الخطوات العملية الميدانية للكشف الأثرى، وتمتد هذه المرحلة حتى عام ١٩٤٨م، وهو انتهاء الانتداب البريطاني، وسقوط معظم فلسطين

مشـاهـداتهم، واهتـماماتهم منـذ العصـور اليونانية، وحتى العصور الـوسطى ، حيث قدموا معلومات تاريخية وجغـرافية عامة عن بعض



رسم زخرفي على قطعة من الجبس يرجع الى حوالي ٤٥٠٠ ق.م

المواقع والقرى والمدن الفلسطينية، ومن ابرز اولئك، هيرودوت (Herodotus) وسترابو (Strabo) وبليني الأكبر (Pliny the Elder) عام ٧٧م.

الحرم الابراهيمي في الخليل

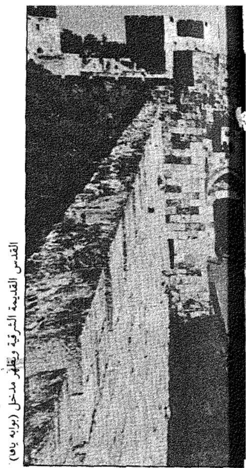
الفـترة من العصـور الـوسطى الى نهاية القرن السادس عشر م.:

تعتبر هذه الفترة امتدادا للفترة السابقة، الا ان تقاريرها تمتاز بانها اكثر دقة وتفصيلا، وقد تضمن بعضها رسومات ومخططات لبعض معـالم العمارة القديمة، وفي الوقت نفسه طغت ظاهرة التعصب الديني التـوراتي على تلك التقـارير، وبخـاصـة فيما يتصـل بالمعـالم الدينية[1]، حيث تبرز تلك الظاهرة بوضوح في كتابات بنيامين الاسباني (Benjamin of Tudela) ، والسويسري فيلكس شمت (Felix Schmid) ١٤٨٠-١٤٨٣ والالماني ليونهارد روخ ولف (Leonhard Rauch Wolff) عام ١٥٧٠م.

الفترة من القرن السابع عشر حتى عام ١٨٦٥م.

وهذه الفترة ايضا امتداد متطور للفـترات السـابقـة، وتتميز بزيادة عدد الـرحـالـة الـوافـدين الى فلسـطين، ووفـرة المعلومـات، والتقـارير المفصلة التي تنـاولت المـواقـع التـاريخية، والحضـارية القـديمـة، من الناحية التاريخية، والجغـرافية، كما تضمن بعضهـا رسومات وخرائط لبعض المواقع.

ويـتـضـح من دراسـة تلك التقـارير، استمـرار، بل تصاعد ظاهـرة التعصب الديني[2]، حيث كتب دارسـو اللاهوت العديد من التقارير ذات الصبغة التوراتية.


القدس القديمة الشرقية ويظهر مدخل (بوابه يافا)

ومن ابرز اولئك الرحالة، والكتاب، الهولندى ادريان ريلاند (Adrian Roland) عام ١٧٠٩م، والاسقف ريتشارد بوكوك (Richard Pococke) عام ١٧٣٨م.

ومع نهاية القرن الثامن عشر، وحتى منتصف القرن التاسع عشر، وفد عدد كبير من الرحالة الغربيين من بريطانيين، وامريكيين، وسويسريين، والمان، وكتبوا التقارير المتعددة والمتنوعة عن مشاهداتهم، ودراساتهم التاريخية، والجغرافية عن فلسطين، كما تضمن بعضها دراسات تصف المباني الكلاسيكية بصورة اكثر دقة[٣].

ومن ابرز اولئك السويسرى بيركهارت (J.L. Burck hardt) ١٨١٠ - ١٨١٢م. الذي اعتنق الاسلام، وعرف بالشيخ ابراهيم، ولما توفى دفن فى مقابر المسلمين بمصر ومن الامريكيين روبنسون (Edward Rubinson)، عام ١٨٣٨م. والالمانى اولريخ سيتزن (Ulrich Jasper Seetzen) عام ١٨٠٦م. والبريطانى جيمس مانجلز (James Mangles) عام ١٨١٧م.

لقد شهدت فترة نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر بداية النقلة الحقيقية من مرحلة التحرى وجمع المعلومات وكتابة التقارير الوصفية العامة، الى مرحلة الاستكشاف الاثرى الميداني، الذي اتضحت معالمه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، مع تأسيس جمعية استكشاف فلسطين، فقد قام ساولسى (Caiynart de Saulcy) فى الفترة من ١٨٥٠، ١٨٦٣م، بدراسات عامة واستطلاعية اتبعها بحفائر مبكرة فى عدد من المواقع وعثر على عدد من المقتنيات الاثرية الجذابة، ونقلها الى متحف اللوفر، الا انه لم يستطع تحقيق هدفه بربط نتائج استكشافاته بالنصوص التوراتية، واعتبر البعض ان ساولسي اول منقب عصرى على الساحة الفلسطينية[٤].

المرحلة الثانية:

وتبتدأ من تأسيس جمعية استكشاف فلسطين ١٨٦٥م وتنتهي حوالي ١٩٤٨م، وتتميز بتأسيس عدد من الجمعيات والمؤسسات والمدارس الأثرية الغربية، وبتطور عمليات الاستكشاف الأثرى، واستخدام اساليب ووسائل اكثر تقدما، وتحقيق نتائج هامة.

تأسست جمعية استكشاف فلسطين البريطانية تحت رعاية التاج البريطاني، قبل نصف قرن تقريبا من احتلال بريطانيا لفلسطين، ووضعها تحت الانتداب البريطاني، وجاء تأسيس هذه الجمعية اثر النشاطات الأثرية الواسعة التى شهدها الوطن العربى وبخاصة فى كل من مصر، والعراق وسوريا، خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر، وهى نشاطات قام بها غربيون، كان حافزهم الاول، العثور على كنوز الشرق القديم، وتزويد متاحف العواصم الاوربية والامريكية بكنوز من المقتنيات الأثرية العربية الاسلامية، التى تحتل الآن مكانة الصدارة في متاحفهم.

اما الهدف من انشاء هذه الجمعية، فيمكن التعرف عليه من خلال ما اعلن عند اشهارها «يجب ان لا تحظى أى بلد باهتمامنا، اكثر من البلد الذى كتبت فيه وثائق ايماننا، وفيه قدر ان تحدث الاحداث الهامة التى تصفها»[٥].

وقد بدأت نشاطاتها في الاستكشاف الأثرى بعد تأسيسها مباشرة، واشرفت ولا تزال تشرف على العديد من المكتشفات في فلسطين.

واول رئيس لها هو رئيس اساقفة

يورك، وقد استمرت الرئاسة لأساقفة يورك حتى عام ١٨٩١م، ثم انتقلت ولا تزال لمنصب اساقفة كانتبرى[٦]، وفي عام ١٨٦٩ أصدرت أول عدد من دورياتها تحت اسم (Palestine Exploration Fund Quarterly) وحملت المجلة عبارة «جمعية الاستقصاء المنظمة والدقيقة المتعلقة بآثار وطبوغرافية وجيولوجيا، والتاريخ الطبيعي، وعادات وتقاليد الارض المقدسة من اجل توضيح التوراة»[٧].

يتضح من اهداف جمعية استكشاف فلسطين والاشراف عليها انها ترتبط ارتباطا وثيقا بالمشاعر الدينية في الغرب وتنطلق من منطلقات توراتية، وتركز جهودها على المرحلة التى يفترض انها شهدت احداث التوراة والبحث عن المواقع والاماكن التي ورد ذكرها فيها، وجمعية استكشاف فلسطين كانت الجمعية الرائدة للجمعيات والمؤسسات والمدارس التى انشأت فيما بعد والتي تسابقت للكشف الأثرى في فلسطين، من نفس المنطلق التوراتي كما انها جميعا لها مراكز في مدينة القدس، واهم هذه المؤسسات:

● **الجمعية الامريكية الفلسطينية لاستكشاف فلسطين** (American Palestine Exploration Society) تأسست فى نيويورك عام ١٨٧٠م، واعلنت فى تقريرها الاول، عام ١٨٧١م.

«ان الاهمية العظمى لعملها هو الدفاع عن الكتاب المقدس»[٨]، ومن اجل ذلك فهي تناشد الوجدان الدينى، سواء كان مسيحيا ام يهوديا، ولم تعش هذه الجمعية طويلا.

● **جمعية الآثار التوراتية** (Society of Biblical Ar chaeology) وهى جمعية انكليزية تأسست عام ١٨٧١، وتتشابه في اهدافها مع جمعية استكشاف فلسطين، والفارق بينهما هو أن هدفها الآثار وليس اللاهوت، الا انها تعمل من خلال الآثار لتحقيق اغراض اللاهوت.

- المدرسة الفرنسية (Ecole Pratique detudes Biblique) تأسست سنة ١٨٩٢م، وقد اسستها رهبنة سانت ايتان الدومانيكية، وتصدر مجلة بعنوان: Revue Biblique.

- الجمعية الالمانية الشرقية (Deutch Orient Gesellschaft) تأسست برعاية القيصر الالمانى، عام ١٨٩٨م، ووجهت اهتمامها ايضا الى مصر والعراق.

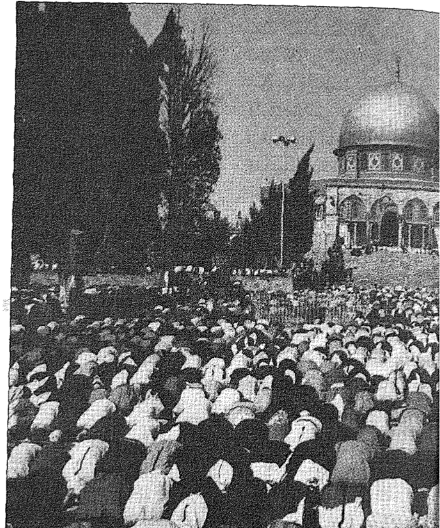
- المدرسة الامريكية للابحاث الشرقية (American Schools of Oriental Research) تأسست عام ١٩٠٠م، واعلنت ان من بين اهدافها «تشجيع ودراسة وتدريس الكتاب المقدس، وتوسيع حدود المعرفة به وبجغرافية، وتاريخ وآثار، ولغات فلسطين، وبلاد ما بين النهرين، وغيرها من بلدان الشرق الاوسط، وتصدر هذه الجمعية دورية تحمل اسمها بالاضافة الى دورية اخرى باسم: The Bible Archaeologist.

- الجمعية الالمانية (Deutch Evangelische Institute Fur Alterum Wissenschaft des Heil egen Lands) تأسست عام ١٩٢٠م واصدرت مجلة تعرف بـ: (Zeitschrift des deutschen Palastina vereins).

- المدرسة البريطانية للاثار، فى القدس (The British School of Archaeology in Jerusalem) تأسست عام ١٩١٩م، وتهدف الى تشجيع البحث فى اثار فلسطين، وتاريخها، وطبوغرافيتها وابتداء من سنة ١٩٦٨م اصدرت دورية تحمل

اسمه وأصبح بيفائيل يادين (Yig-ael Yadin) وكذلك بن يامين مازار (Benjamin Mazar) ، ونركيس (Merdecla Narkis) ، وليون ماير (Leon Al Meyer) وغيرهم من الذين أدوا دورا هاما في تأسيس جمعية ابحاث فلسطين اليهودية لاستقطاب المزيد من الصهاينة، وجمع الاموال، وتوسيع الكشف الأثرى لابراز ما اطلقوا عليه **«التراث اليهودى»** المزعوم فى فلسطين، وقد اجرت هذه الجمعية تنقيبا (١٩٣٣-١٩٤٠) في موقع الشيخ ابدين غربي مدينة الناصرة، باشراف ب. ما يسلر (B.Maisler) ، ثم في خربة كرك جنوبي بحيرة طبريا سنة ١٩٤٤.

■ ان اهداف هذه الجمعيات الغربية سواء الانكليزية، ام الامريكية ام الفرنسية، ترتبط ارتباطاً وثيقا بالجانب الديني، وتتخذ من التوراة منطلقا لنشاطاتها ولم يقتصر هذا الربط بين آثار فلسطين والتوراة على جمعيات الاستكشاف الأثرى التى اتخذت من مدينة القدس مركزا لها، بل امتد الى المؤسسات العلمية والجامعات، والمدارس فى الغرب، وبخاصة الالمانية، والامريكية، التى تفصل بصورة او بأخرى بين آثار فلسطين، وما تسميه **«بآثار التوراة»**، بل تقوم بتدريس ما تسميه «بآثار التوراة» في كليات متخصصة تعرف بالكليات اللاهوتية، أو اقسام الفكر الديني، بتشجيع وتمويل من المؤسسات



صلاة الجمعة فى ساحة مسجد قبة الصخرة

اسم Levant .

وفى عام ١٩٢٠م، اسست الحكومة البريطانية، دائرة الآثار الفلسطينية برئاسة جارستانج (Garstang) من جامعة ليفربول، كما أنشأت فرعا لها في شرقي الأردن عام ١٩٢٣م.

وظلت المؤسسات الكنيسية والدينية تمول الغالبية العظمى من الحفائر والمطبوعات كما كان لدائرة الآثار الفلسطينية مجلس استشارى، اعضاؤه من البلدان الغربية، ومن بينهم الصهيونى كلاوزنر (Joseph Klousner) الذى كان يمثل مصالح اليهود فى ذلك المجلس، فى حين لم يمثل الفلسطينيين أى عضو عربى.

وتتميز هذه المرحلة بنشاط ملحوظ للحركة الصهيونية من اجل توجيه المفهوم والفلسفة التاريخية في فلسطين بما يتفق والايديولوجية الغربية التى تسعى الى انشاء دولة يهودية بفلسطين، فوصل الى فلسطين عدد من الصهاينة تحت ستار باحثين أثريين[٩]، وركزوا جهودهم فى سبيل ايجاد المبررات التى يدعونها حول **«الحق التاريخى»** المزعوم لليهود، ومن اشهر اولئك العيزر بن يهودا (Eliezer Ben Ye-huda) ومن ثم ابنه بيفائيل الذى أصبح فيها بعد أول رئيس لهيئة أركان الجيش الاسرائيلي والذى غير

الدينية المسيحية واليهودية[١٠].

لقد كان هذا منطلق تلك الجمعيات والباحثين الغربيين (التوارتيين) الذين ركزوا اهتمامهم على مواقع افترضوا انها توراتية. وعلى سبيل المثال، يقول جلوك (Glueck).

كلما كنت اذهب مستكشفا في وادى الاردن، أو وادى عربة، أو أى جزء من شرقي الاردن، أو النقب، كنت استعمل التوراة كدليل للآثار، وأثق كل الثقة بمعلوماتها وشواهدها، وحتى تلميحاتها[١١]، اما بروز (Burrows) فقد ذكر في مقدمة كتابه: «انه كتب كتابه بصراحة وتحديد بدافع ديني، وانه كتبه من وجهة نظر دينية معينة»[١٢].

وتوضح هذه الامثلة الاتجاه الذى كان سائدا في الاستكشاف الأثرى الغربى في فلسطين مهما اختلفت مسميات المؤسسات التي عملت في حقل الآثار بفلسطين، والتى هدفت في مجملها الى البرهنة على صحة التوراة، والحوادث التاريخية التي وردت فيها، وذلك من خلال ما يتم اكتشافه من المواقع الأثرية، التى اعتقد انها مطابقة لاسماء المواقع التى ورد ذكرها في التوراة.

والى جانب ذلك فان هذه الجمعيات تعاونت مع بعض الحكومات الغربية، آنذاك والتى كان لها اطماع سياسية وعسكرية، فقد قدمت هذه الجمعيات من خلال دراستها وتقاريرها عن المسح والكشف الأثرى في فلسطين معلومات مفصلة تخدم مصالح الأثريين والعسكريين في آن واحد، وكانت تقاريرهم تجمع وتحفظ بحرص شديد من قبل القادة العسكريين لاهميتها كما تميزت مجلدات المسح الأثرى التى قامت بها البعثات البريطانية والخرائط التابعة لها بتوفر معلومات تفصيلية كثيرة، ومركزة عن طبوغرافية فلسطين، ومدنها، وقراها، ومواقعها الأثرية. وبخاصة تقارير كل من سي. ر. كودر (C.R. Con-der) وكتشنر (H.H. Kitchen er) اللذين قاما (١٩٧٢-١٨٧٨م) بعمليات المسح الأثرى فى فلسطين[١٣].

ويمكن التعرف على الاسلوب الذى اتبع فى الاستكشاف الأثرى في هذه المرحلة من خلال نشاطات عدد من المنقبين الذين اتبعوا اسلوبا أوليا وغير علمي ومرتبطاً باهداف توراتية، حيث اجروا تنقيباتهم في مواقع افترضوا انها توراتية وبحثوا عن الادلة التى تؤيد آراءهم، وتمثل تنقيبات الضابط المهندس البريطاني تشارلز وارين[١٤] (Charless Warren) الذى اوفدته جمعية استكشاف فلسطين عام ١٨٦٧م للعمل فى موقعين ورد اسمها فى التوراة، وهما القدس واريحا في الفترة (١٨٦٧-١٨٧٠) الخطوات الاولى في مجال الكشف الأثرى الميداني في فلسطين، اذ لم يكن لدى هذا الضابط المهندس معرفة حقيقية بالكشف الأثرى، أو بعلم الطبقات الأثرية، أو أهمية وجود الاوانى الفخارية، ويتلخص اسلوبه فى عمل حفر اسطوانية عميقة بالارض قد تصل الى ثمانين قدما، وكان يلتقط كل شيء يعتقد انه مهم، وبهذه الطريقة جمع بعض المقتنيات والمعلومات العامة نتيجة حفائره في القدس، كما اجرى بعض الرسوم والمخططات لمواقع الحفر التى نقب فيها، الا ان حفائره المحدودة فى اريحا لم تسفر عن معلومات هامة، واصدر كتابا تحت عنوان: (Under Ground Jerusalem) ضمنه نتائج حفائره، التى اثبتت الاستكشافات الأثرية فيها بعد انها لم تكن دقيقة.

اما سبب تسمية كتابه فتعود للوسائل التى اتبعها اثناء اجراء تنقيباته في القدس، لان اهل المدينة، والسلطات العثمانية آنذاك منعوه من الحفر في منطقة المسجد الاقصى، فلجأ الى الحيلة بحفر بعض الحفر العميقة بعيدا عن ارض المسجد، ومنها عمل خنادق افقية تتجه الى ارض المسجد الاقصى في محاولة للحصول على المقتنيات الأثرية.

اما الخطوة الثانية فتتمثل في الحفائر التى اجراها الضابط الانجليزى فلندرزبترى[١٥] ١٨٩٠، عندما نقب في موقع «تل الحصي» الذي يقع على بعد خمسة وعشرين كيلو متر الى الشمال الشرقي من مدينة غزة على طريق القوافل القديمة بين مصر وفلسطين، وتميز اسلوبه في العمل

بالاهتمام بالفخار كوسيلة من وسائل التاريخ التتابعي «النسبي» وساعده على ذلك عثوره على عدد من الجعارين المصرية حيث تمكن من تأريخها بالتقويم المصرى.

وعلى الرغم من انه اول من لفت الانتباه الى ان التل الأثرى عبارة عن سلسلة من المدن، أو القرى، التى تتراكم بعضها فوق بعض مع مرور الزمن، الا ان اساليبه ظلت بعيدة عن الاسس العلمية، وقد حاول بترى التمييز بين المراحل السكنية من خلال فصل البقايا المعمارية المتعاقبة، كما لجأ الى تصنيف المكتشفات من فخارية وغيرها تبعا لاشكالها، وقد اعتبر هذا تطورا اكثر موضوعية من حلقة التسلسل التاريخي التي سار عليها اتباع المدرسة التوراتية.

وفى فترة ما بين الحربين، تم الحفر فى عشرات المواقع الفلسطينية باشراف مؤسسات متعددة الجنسيات وبخاصة الانكليزية والامريكية، وظل الاسلوب التقليدى في البحث والتنقيب غالبا رغم دخول عناصر جديدة كان لها تأثيرها على تغيير بعض مفاهيم التطور الاجتماعي والتاريخى مضافا اليها استخدام وسائل تنقيب حديثة، الى جانب تراكم المكتشفات الأثرية التى ارغمت العديد من العاملين في الآثار الفلسطينية والشرقية القديمة الى القاء ضوء جديد على حلقة التسلسل التاريخي، اذ اصبح من غير الممكن التمسك بالتقسيمات الحضارية التى ارادها اصحاب المدرسة التوراتية مما ادى الى وجود اهتمام نسبى بالعصور التى سبقت النصف الاول من الالف الثانى ق.م، ابتداء من العصور الحجرية.

ومن ابرز المكتشفين فى هذه الفترة اولبريت (W.F. Albright) الذى كان مديرا للمدرسة الامريكية للابحاث الشرقية فى القدس (١٩٢٠-١٩٣٥م)، ومن اشهر اعماله حفائره، فى موقع «بيت مرسيم» فى الفترة (١٩٢٦-١٩٣٢م)، وقد تميز اسلوبه بالاهتمام بالتاريخ التتابعى للفخار، مما اسهم فى تطور دراسة الفخار وتصنيفه، بحيث اصبحت دراسة الفخار تحتل مكانة هامة فى الدراسات المقارنة، ويتضح اسلوبه فى كتابه: (Archaeology of Palestine, Baltimore, 1949)، ويؤخذ على اولبريت تعاطفه الكبير

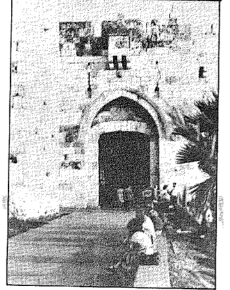

قلعة القدس، ويظهر فيها جانب من السور القديم

مع الحركة الصهيونية، وخير دليل على ذلك مقاله: «مثل الاثار عند الاسرائيليين The Phenomenon) of Israeli Archaeology) الـــذى كتبـــه تخليدا «لـنلسـون غلوك» المعـروف بنشاطه الصهيوني، وقد كرمـه الصهاينة[16] فاصدروا مجلدا كبيرا في ذكرى وفاته تحت اسم (Eretz Israel, vol 19) وجـاء في مقـدمـة المجلد: «وجـد الشعب اليهـودي واسرائيل في اولـبريت صديقا وفيا حقا قلما وجدوا مثله في السنين الماضية، وحتى الآن».

ومن المغـالطات العلمية التي اتبعهـا المنقبـون في هذه المـرحلة، تصـنيف المقتنيات الأثـرية وفق تسلسـل زمـني توراتي بعيدا عن الاسس العلمية، فقد اتبع كل من (بلس) (Bliss) و(مكالستر) R.A. Macalister اسـلوبـا مشـابهـا لاسلوب بترى في التنقيب الأثـرى (١٨٩٨-١٩٠٠م) في مواقـع «تل الصـافي»، وتـل «زكـريا»، و«تـل جديدة» في جنوب فلسطين الا انهما صنفا المكتشفات التي عثرا عليها تبعـا لما يعـرف بالعصـور التوراتية التـقليدية[17]، التي كانت سائـدة حتى سنة ١٩٠٢ وهي:

- عصر ما قبل الاسرائيلين المبكر حتى سنة ١٥٠٠ ق.م.
- عصر ما قبـل الاسرائيلييـن المتأخر (١٥٠٠-٨٠٠ ق.م).
- العصر اليهودي (٨٠٠ - ٣٠٠ ق.م)
- العصر السـلوقي (اعتبارا من ٣٠٠ ق.م).

وعندما نقب ماكلستر في موقع «تل الجزر» ١٨٩٠-١٨٩٢، ادخل مصطلحات: «سامي اول، سامي ثان، سامي ثالث، سامي رابع»[18].



باب الخليل في القدس

هذا الاسـلوب في التـنـقيب والتفسـير ينـطبق على العـديد من المـواقـع الأثرية الفلسطينية، مثل الـقـدس، مجدو، تل بلاطـة (نابلس)، تل شيلون (Shillon)، تل الجزر، التل (Al) وغيرها.

وعندما نقب جارستانج (Garstang) في اريحـا (١٩٣٠-١٩٣٦)، اكد انه عثر على السور الذي دمر زمن يشوع وارخه بالعصر البرونزي الحديث، الا ان حفائر كينيون اثبتت ان هذا السور يجب ان يؤرخ الى أواخـر العصر الـبرونـزي القديم، أي قبل الف سنة[19]، كما ثبت ان اريحـا خلال العصر الحجـرى الحـديث، الذي يفترض ان يشوع هاجم المدينة في فترة منه، لم تكن مسورة، بل كانت شبه مهجورة، خلال الجزء الاكبر منه، اما نسب النظام الدفاعي في القدس الى داوود، فقد ثبت خطأه ايضا، وثبت انه يجب ان يؤرخ الى ما يقرب من الف سنة بعد زمن داود[20].

وعندما نقب الالمانيان سيلين (Errest Sellin)، وفاتستنجر (Watzinger carl) في اوائل القرن الـعشرين في مواقـع: اريحـا، وبـلاطـة، وتعنك، وتل المتسلم، اتبعـوا مصـطلح «كنعاني» لاقدم المـكـتـشفـات، على الـرغم من اتباعهم التصنيف التوراتي.

المرحلـة الثالثـة:

تبـدأ هذه المـرحلة بالاحتلال الـصـهيوني لفلسـطين ١٩٤٨، وتستمر حتى الآن، وتتميز بنشاط سلطات الاحتلال في هذا المجال، وبـاستمـرار اشتراك العـديد من المؤسـسـات الاجنبية، كما تتسم بسيطرة النـزعـة التـوراتية على المؤسسات ودوائر البحث الأثرى، حيث تم انـشـاء دائـرة الاثـار الاسرائيلية، ومعهـا العـديد من المـعـاهـد الجـامعية والجمعيات التاريخية والاثرية التي اخذت على عاتقهـا القيام بالنشـاط الاثـرى، والتـاريخي بشكـل اوسـع ضمن الاطـار الثقافي للنظام الاستيطاني العنصرى الـذى اصبـح بمقدوره انتقـاء المعاهد والمؤسسات الغربية الـتـى تسـير موازية لهذا الـتيار، واخـذت تفـرض على البعثـات الاثـرية اسلوب التنقيب والنتـائج المـترتـبـة عليه، بل وادخـلت السلطات الصهيونية مادة الاثـار كمادة تعليمية للتربية الوطنية في

مدارسها.

وقد شهدت هذه المرحلة تطوراً نوعيا فى اسلوب الكشف الأثرى في عهد كينيون، حيث اتبعت الاسلوب الذى يعرف باسلوب «ويلر ـ كينيون» فى ذلك الوقت، ويتلخص هذا الاسلوب فى اعتبار ان الطبقات الأثرية تماثل الطبقات الجيولوجية، اى تتراكم بعضها فوق بعض، منحنية، متعرجة، متداخلة، واحيانا مضطربة، كما يركز هذا الاسلوب على التمييز بين هذه الطبقات، وبالتالي بين محتوياتها.

وفيما يختص بالبقايا البنائية، فانه ينبغي تأريخها بحفر خندق مستقيم على طرفي احد الجدران ومتعامد معه، وربط اساس ذلك الجدار بالطبقة التي يكشف الخندق انه وضع فيها وبمحتوياتها من الفخار، وغيره.

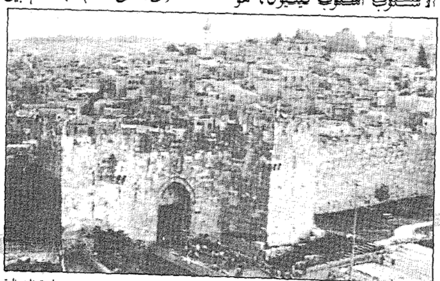
وقد اتبعت هذا الاسلوب فى حفائرها الاولى فى موقع بيت مرسيم (١٩٢٦-١٩٣٢م)، وقد تطور اسلوبها فى الكشف الاثرى فى الحفائر التى اجرتها (١٩٥٢-١٩٥٨م) فى اريحا بتكليف من جمعية استكشاف فلسطين، وكان الهدف من هذه الحفائر اجراء المزيد من البحث فى تاريخ اريحا خلال عصر البرونز، ثم الاستمرار في فحص المقتنيات المهمة التي سبق واكتشفها جارستانج في المدينة، وتنتمي الى العصر الحجرى الحديث، الى جانب محاولة العثور على مقابر، لما تتضمنه المقابر عادة من مقتنيات ذات دلائل هامة.

ويتلخص اسلوب كينيون المتطور بالملاحظة الدقيقة لتراكم الطبقات الأثرية (Stratigraphical Excavatiin)، الذى اعتبر بداية مرحلة جديدة متطورة فى تاريخ الكشف الأثرى فى فلسطين، قد وضع حدا للاساليب السابقة، واصبح يعرف للمختصين باسلوب «كينيون» وقد ضمنت كينيون تلك الاساليب في كتابها: (Archaeolo-gy in the Holyland, 1960)، وقد اتبع هذا الاسلوب، عدد من تلاميذ كينيون، ومنهم فرانكن (Franken)، وملارت (Mellart) وغيرهم.

ومع نهاية النصف الاول من القرن العشرين اصبح هذا الاسلوب اسلوب كينيون، هو الاسلوب المنطقى فى الكشف الاثرى فى فلسطين، رغم تجاهل الاسرائيليين له. وتكمن اهمية اسلوب ونتائج حفائر كينيون بظهور بوادر اتجاه جديد فى فهم العلاقة بين اثار فلسطين، والتوراة.

ورغم وجود الاتجاهات الحديثة فى استقراء الآثار وتأريخها، الا أن العاملين بحقل الآثار من باحثي التوراة استمروا في العمل على استقلال هذا النشاط في البحث عن شواهد أثرية تدعم العهد القديم، ووضعه في قالب يخدم اهدافهم من أجل تقويم ونشر ما اسماه الصهاينة «بالحق التاريخى»، واصول اليهود البعيدة فى فلسطين.

وقد انتقد بعض الباحثين التوارتيين من الالمان مثل «البريشت الت» (Albercht Alt) ومارتن نوث (Martin Noth) هذه الطريقة[٢١] المتطرفة فى تفسير الأثار المكتشفة، وربطها بالحوادث التوراتية باى ثمن، واشاروا بضرورة الالتفات الى المصادر التاريخية القديمة الأخرى، أى عدم الجمع بين البحث التوارتي، والحفائر الأثرية، لما في ذلك من تحيز فى تفسير المكتشفات.



باب العمود/ أحد أبواب القدس من الجهة الشمالية

وفى الفترة (١٩٢٥-١٩٣٩م)، اجرى معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة شيكاغو الامريكية

حفائر فى موقع تل المتسلم، حيث لقيت معارضة من وليم اولبريت، واتباعه من المدرسة التوراتية بسبب الاختـلاف فى المـنـطلقـات والاهداف، اذ لم يكن هدف ذلك المعهد استجواب الموقع من خلال التوراة، بل تفسير ما يكشف عنه من خلال كل اثر من الطبقات السكنية. وهو بذلك اتبع طريقة اكثر موضوعية فى توثيق المكتشفات ومعالجة جميع المراحل الزمنية.

وقد وجد هذا الاتجاه تجاوبا من بعض الاثـاريين الانـجـليز، وبخاصة بعد تأسيس معهد الاثار التابع لجامعة لندن برئاسة جوردن تشايلد[٢٢] (Gorden Childe) الذى رفض الاسـلوب الـتـقـليدى فى البحث واكد على اهمية البحث عن الآثـار على اساس المادية التاريخية كمنـطلق للتـطور الحضـارى، وضرورة تكريس جميع الوسـائل الـعـلـمية للكشف عن الآثـار ومعـالجتهـا من خلال وظيفتهـا واطـارهـا العـام المرتبط بطبيعة المجتمع الذى وجدت فيه.

وقـد حذر اصـحـاب هذه الطريقة المتقدمة فى البحث الاثرى من الوقـوع فى الخطأ بالربط بين الحفائر الأثرية والحوادث التوراتية، وقـد سار فى هذا الاتجـاه[٢٣] الاب ودوفو، وديفر (R. De Vaux, o.o)، وهم من رجال الدين المشتغلين بالآثار، واكدوا على ان جوهر رسالة العهـد القـديم مسـألـة تتعلق بالايمان، وهي رسالة أزلية، بينما النشـاط الأثرى يشكـل بابـاً من أبوابِ المعرفة الذى تتطور بحقائقه مع الزمن، وهى لذلك آنية، وأنه ليس من العـدل ان يتحـول فقـه العهـد القـديم الى استعـراض لانجازات الآثار، كما أنه ليس من العدل ان يرتفع النشاط الأثرى الى مرتبة القداسة الرادعة.



وحتى هذا الاتجـاه المعتـدل تحاول الصهيونية استغلاله بشتى الوسائل مستغلة التعاطف الدينى لدعـم افكـارهـا ومفـاهيمهـا وادعـاءاتها، بالنسبة لما يقـولـونه بالارض الموعودة، والحق التاريخى المزعوم، ويصر التوراتيون باستمرار على الربط بين المقتنيات الاثـرية وبـين ما يسمى بالفـترة التـوراتية بفلسـطين، خاصـة بعـد ان غدا حقل الاثار الفلسطينى مفتوحا على مصراعيه امام المنظمات الصهيونية، الـتى اخـذت بعـد الاحتـلال الصهيونى لفلسطين تخطط بشكل منـظم لخلق صورة تاريخية تتفق واهـدافهـا العـدوانية والعنصرية بالتعاون مع المؤسسات الغربية، فى غياب تام للمؤسسـات العربية فى هذا المجال.

امـا المقتنيات الأثـرية العربية والاسـلامية فلم تحظ باهتمام يذكر امام زحف هذه المؤسسات الغربية الـتـى كانـت ولا تزال تهدف الى خداع الرأى العام العالمي، بانه لا وجـود لجذور او حضـارة عربية في فلسـطين، وقـد لجأت فى بعض الاحيان الى اخفاء بعض المقتنيات في تقـارير المنقبين، أو أنها ذكرت على هامش هذه التقارير.

وممـا يلفت النـظر فى نتـائج الاسـتـكـشـافـات الاثـرية، والمطبوعات التاريخية الاسرائيلية، انها تركـز وبشكل كبير على المواقع التى تصنفهـا بالتـوراتية، والتى يجرى نشرها على نطاق واسع ووفق احـدث الاساليب الفنية العالمية، وبلغـات متعـددة، وفى اشهـر المؤسسات الغربية، بينما لا تحظى التقارير الخاصة بالمواقع القديمة، وبخـاصـة الكنعانية العربية، باى اهتمام يذكر[٢٤].

وتعمد هذه التقارير الى الربط بما يدعونه بامجاد اليهود، وباهداف

الحـركـة الـصـهـيونية، والكيان الاسرائيلي، وبـالبحث الاثـرى لتـحـقـيق الـنـوايا الـعـدوانـية للصهيونية، وتـبرير سياسة التوسع الصهيوني بحجـة انقـاذ الاثـار اليهودية التى لا يستطيع احد تحديد المنطقـة التى تتواجد عليها وظهر ذلـك بكـل وضـوح بعـد احتلال الضفـة الغـربية في فلسـطين، والمرتفعـات السـورية، وصحـراء سينـاء بعـد حرب ١٩٦٧م، ثم احتلال جنوب لبنان عام ١٩٨٢م، حيث نشـطت المؤسسـات الاثرية والدينية الاسرائيلية بتقديم المناطق العـربية المحتلة وكـانها منـاطق اسرائيلية، وذلـك من اجـل تبرير العـدوان والاحتـلال، كما حاولت طمس الصبغـة العـربية للمـواقع الاثـرية، والـتـاريخية وغـيرت اسماءها، وربطتها بالتوراة.

وفى اعقـاب حرب ١٩٦٧م، والاحـتـلال الـصهيونى للضفـة الغـربية، وقـطاع غزة، نشـطت حركة الاستكشافات الاسرائيلية، والغربية فى الارض المحتلة، وتركز معظمها فى مدينة القدس العربية، حيث ازيلت عشرات الابـنـية الاسـلامية، والاوقـاف الخـيرية، والـزوايا التاريخية الواقعة فى منطقة الحائط الغربى من الحرم الشريف (حـائط المبكى حسب ادعائهم)، بدعـوى الشروع فى الحـفـائـر الاثرية، كما تأسست جمعية كشف اسرائيل، وبـاشرت بالكشف عن هيكل سليمان.

ومنـذ عام ١٩٦٨م، وحتى اليوم تركزت حركة الكشف الاثرى حول الحـرم الشريف، وتحتـه، واصبحت هذه الحفائر خطرا يهدد الحرم القدسى الشريف بالتصدع والانهيار، كمقدمة لهدمه، واقامة ما يسمى بالهيكل الثالث مكانه.

الهوامـــش

(١) Perrot J., Archaologyia MVNDI, Syria-palestine, I, Nayel Publishers, Geneva, 1979, P.14

(٢) Albright., W., The Archaeology of Palestine, Penguin Books, London, 1961, P.23

(٣) Perrot., J. Op. Cit., P. 33

(٤) Albright., W., Op.cit., 26

(٥) معـاوية ابـراهيم، بحث مقدم الى مؤتمر الاثار السادس فى مراكش ١٩٧٧ ص٦.

(٦) Waston., Palestine Fund, Fifty Years Work in the Holy land, London, 1915

(٧) معاوية ابراهيم، نفس المرجع، ص١٦.

(٨) نفس المرجع ص٨.

(٩) نفس المرجع ص٨.

(١٠) Dever, Archaeology and Biblical Studies, Retrespects and Prespects, Excavation Illinois, 1974, P.11

(١١) Glueck, The River Jordan, New York, 1986,P.4

(١٢) Burrows, What means these Stones ? The significance of Archaeology for Biblical Studies London, 1957, P.11

(١٣) Albright, W., Op.cit., 27f

(١٤) محمود ابو طالب، اثار الاردن وفلسطين، عمان وزارة الثقافة والشباب، ١٩٧٨، ص١٦.

(١٥) Perrot.,J., Op.cit., P.16

(١٦) معاوية ابراهيم، نفس المرجع ص٩

(١٧) Albright., W., Op.cit., P. 30

(١٨) معاوية ابراهيم، نفس المرجع ص٧.

(١٩) Lapp., Biblical Archaeology and History, New York, 1957, P. 25f

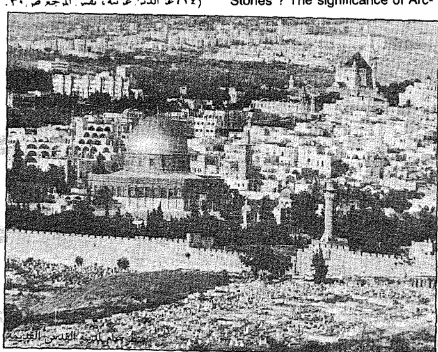
(٢٠) Kenyon., K., Digging Up Jerico, London, 1957 F. 25f

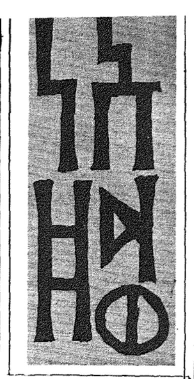
(٢١) معاوية ابراهيم، نفس المرجع ص٩.

(٢٢) عز الـدين اسماعيل غربية، فلسـطين تاريخهـا وحضارتها، منشورات اتحاد المؤرخين العرب بغداد، ١٩٨١، ص١٩.

(٢٣) Vaux, R., De., Palestine During the Neolithic, Chalcolithic, and in the Early Bronze Ages, C.A.H., Vol. I & 11, 1966

(٢٤) عز الدين غربية، نفس المرجع ص ٣٠.


منظر عام لمدينة القدس القديمة



من التراث

التحرير

(من التراث) صفحات نتذاكر فيها قول الماضين فإ ن فى أقوالهم: الحكمة المرسلة، النكتة الفكهة، القول المعجب، النصيحة البالغة.. وفى جملة أقوالهم امتاع ومؤانسة.. لغة وأدب.. فصاحة لسان وسرعة بديهة.

●● وبالصورة نسترجع تاريخ أمة سلفت .. وتراث حضارات سادت ثم بادت.

باب معرفة الحـ

من كتاب الرعاية لحقوق الله لابى عبد الله الحارث بن اسد المحاسبى المتوفى سنة ٢٤٣هـ.

■ قال الحارث رحمه الله: يا أخي، فإني أحذرك ونفسي مقاماً عنت فيه الوجوه وخشعت فيه الأصوات، وذل فيه الجبارون، وتضعضع فيه المتكبرون، واستسلم فيه الأولون والآخرون بالذل والمسكنة، والخضوع لرب العالمين وقد جمعهم الواحد القهار الذي لا ثاني له في الهيبة، ولا مشارك في حكمه، جمعهم بعد طول البلى للفصل والقضاء، في يوم آلى فيه على نفسه: أن لا يترك فيه عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسائله عن عمله في سره وعلانيته.

فانظر بأي بدن تقف بين يديه، وأعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً، فإنه لا يصدق إلا الصادقين، ولا يكذب إلا الكاذبين.

باب معرفة ما يبدأ به العبد من العدة للمقام بين يدي الله تعالى

فليكن أول ما تبدأ به من العدة لذلك المقام تقوى الله عز وجل، في السر والعلانية، ليأمن قلبك فى ذلك المقام مع قلوب المتقين، حين ينجز لهم ما وعدهم من الأمن والغبطة والسرور.

وما تركهم اللطيف فى الدنيا، مع ما يعطيهم في الآخرة، حتى أنار لهم قلوبهم، وأعز لهم أنفسهم وأغناهم به عن خلقه ونعمهم بطاعته، فألزم قلوبهم مع الخوف منه حسن الظن به، والأنس إلى رجائه، ثم علا ذلك بالشوق إليه جل وعز، وإلى جنته، فنقلهم من المكابدة إلى النعيم بطاعته والسرور بها، وقنعهم من الدنيا باليسير منها، فطيب فيها عيشهم، وأحسن فيها نصرهم ومعونتهم، وذلك الذى وعدهم، فقال عز وجل: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾**.

فهل على من كان الله عز وجل معه بالنصر والمعونة ضيم أو خذلان؟ فهم أعز الخلائق أنفساً، وأنورهم قلوباً، وأغناهم به غنى، وأطيبهم عيشاً، حزنهم فيما يسر به الناس، وسرورهم فيما يحزن له الناس، وطلبهم لما يرهب منه الناس، وهربهم مما يرغب فيه غيرهم من أهل الغفلة والغرة، يستأنسون إذا استوحش الناس، إذ كان أنسهم بالله جل وعز وحده استكمالا لمناجاته، فعنده يضعون بثوثهم،





● مبخرة نادرة على شكل شجرة يعلوها هلال.



● قدح تركي من الفضة المذهبة.

وإليه يفزعون في حوائجهم، وقد اتخذوه حرزاً وجنة وكهفاً، وثقوا به دون خلقه، وانقطعوا إليه عز وجل عن كل قاطع يقطعهم عنه، فاستوحشوا حين استأنس الناس استيحاشاً من الخلائق واستئناساً بربهم.

فهذه مواريث التقوى، لأنها أساس العمل، وأصل الطاعة، وهي أول منزلة العابدين وأعلاها، لأن النوافل بعدها، ولا تقبل نافلة إلا بها ومعها، وهي التى أصبح عامة القراء[1] لها مضيعين، وقد أمر الله جل ثناؤه فى كتابه في آيات كثيرة بها، وعظم قدرها وقدر القائمين بها، ونبهنا النبي ﴿ﷺ﴾ (عليها) بسنته، وعظم قدرها، والعلماء من بعده الى عصرنا هذا.

الهوامــــش

(١) القراء: الذين يجتهدون في العبادة على غير علم.



لقاء في الهواء الطلـ

- الذين يقرأون بجدية فى عالمنا العر
- الأدب السعودى، جيد الشعر، ضعيف
- قصيدة النثر، طبق محدود القيم

●● الشعب العربى شعب لا يقرأ. . هل هذا ادعاء ام حقيقة. . ؟.

■ هذه نصف حقيقة، وليست حقيقة كاملة، وإلا حكمنا على كتابنا بأنهم غير موجودين من ناحية، ولا يكتبون لقراء من ناحية أخرى. والصواب ـ بالطبع ـ أن عندنا كتابا، أى أن كتابنا يكتبون لقراء. ولكن هؤلاء القراء لا يتناسبون عدديا مع مجموع الأمة العربية الذى يزيد على ١٥٠ مليون نسمة. وهذه هى المشكلة أو الاشكالية على قول اخواننا فى المغرب. فالمفروض نظريا أن ١٥٠ مليون نسمة يضمون ما لا يقل عن ١٥ مليون قارىء إذا جعلنا نسبة القراءة ١٠٪، وهى أقل نسبة فى العالم المعاصر ذى العراقة التاريخية والحضارية والثقافية. فأين الخلل إذن؟ إنه يكمن فى نسبة الأمية المرتفعة والمتزايدة فى عالمنا العربى فالذين يقرأون كتب الأدب الجادة مثلا لا يزيدون على عشرة آلاف قارىء فى العالم العربى كله. والطبعة الاولى من روايات وأشعار أفضل أدبائنا لا تزيد على ستة آلاف نسخة فى الكتاب الواحد. . ومعنى هذا أن الذين يقرأون قلة قليلة، وأن الذين يكتبون مظلومون فى عالمنا. وأذكر أن الأديب الانجليزى سومرست موم ذكر مرة أنه سعيد الحظ لأن أمه كانت انجليزية، ولهذا تعلم الانجليزية وكتب بها وصارت كتبه تطبع بمئات الألوف.

ليس من الصحيح إذن أن شعبنا لا يقرأ، وانما الصحيح أن بعضه تعلم وصار يقرأ، وأن الغالبية من حقها أن تتعلم وأن تقرأ.

●● يعتبر البعض ان الايغال فى التراث والماضى تهمة. . ؟؟

■ ليس صحيحا أيضا أن الايغال فى التراث والماضى تهمة، ولكن الماضى وحده لا يكفى، لأنه حلقة واحدة فى ثلاثية الانسان فى الوجود. . أما الحلقتان الأخريان فهما الحاضر والمستقبل، فالانسان هو الكائن الوحيد الذى له ماض وحاضر ومستقبل.

●● عرف عنا استخدامنا لصيغة (أفعل) بلا حدود. . ؟؟

■ لا أحب صيغة أفعل التفضيل هذه، وأعتقد أنها دليل السطحية والذاتية إلا فى بعض الحالات والمواقف مثل الحقائق المادية، كأن يكون فلان اكبر سنا من فلان أو الاكبر سنا وسط أصدقائه.

●● الحياة القاسية تصنع الرجال. . ما مدى مصداقية هذه العبارة. . ؟؟

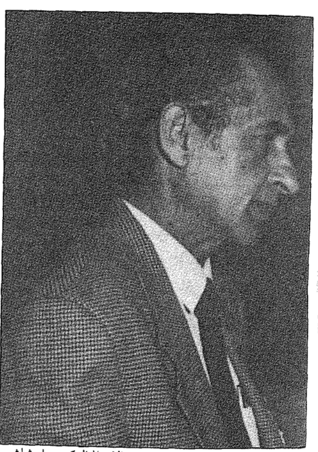
■ نعم . . الحياة القاسية تصنع الرجال، أو: الشدائد تصنع الرجال كما يقولون، ولكن هذه ليست القاعدة، لأن الحياة الناعمة تصنع الرجال أيضا إذا توفرت فيهم شروط الطموح والعزم والثقافة ووضوح الهدف.

●● هل نحن فى حاجة للمناظرات الفكرية؟؟.

■ نحن فى حاجة شديدة الى المناظرات الفكرية بالطبع، لأننا بحاجة دائمة إلى الرأى الآخر أو المخالف أو المختلف.

ـــق مع .. الدكتور علي شلش

ى لا يتجاوزون عشرة الاف قارىء.
واية والقصة، طموح المقالة، ناشىء النقد.
لجودة على مائدة الشعر.



● الاستاذ الدكتور علي شلش.

●● في كلمــة واحــدة . .

■ الأدب السعودى؟ .

● جيد الشعـر، ضعيف الـرواية والقصـة، طموح المقالة، ناشيء النقد.

■ الفن العربى؟ .

● شديد التنوع له مستقبل مرموق.

■ الصحافة السعودية؟ .

● آخذة في التقدم الكيفي، لا الكمى لأنها متقدمة تكنولوجيا.

■ سر تعلنه لأول مرة؟ .

● أعجبتنى جدة أكثر من الرياض.

■ **فى رأيي أن قصيدة النثر:** طبق محدود القيمة والجودة على مائدة الشعر.

●● بصراحة مطلقة، رأيك فيما يتصل بألقاب تطلق على بعض الكتاب العرب. . ؟؟

■ بصراحة مطلقة. . هذه الألقاب التى تطلق على بعض الكتاب ليس لها رأس ولا أرجل.

●● يا طالع الشجرة. . محاولة هزيلة لتقليد العبثية. . ؟؟

■ هذا غير صحيح. . هى محاولة غير هزيلة وغير عبثية.

●● هذه الرواية . . عمل فنى ابداعي . . وكاتبها له رؤية واضحة وبناءة؟؟

■ رواية «التـلال» للكاتب السورى هانى الراهب عمل فنى إبداعى وكاتبها له رؤية واضحة وبناءة.

التوقيع

(على شـلش)

علـى شـــلش

ولـد بمدينة صغيرة اسمها فارسكور بشمال دلتا النيل عام ١٩٣٥م وغادرها بعد نحو عامين وتنقل فى بعض مدن مصر مع ابيه الموظف الحكومي ثم حط الرحال بقرية ابيه فى غرب الدلتا حيث عاش مع الاسرة حتى سن الخامسة عشرة، وفى تلك القرية تعلم فى البيت تعليمـا خصوصيـا أهله لدخول المـدرسة

- أفعل التفضيل دليـ
على السطحية.

- هذه الألقاب ليس له
رأس ولا أرجل.

الابتدائية بالمدينة القريبة ثم تلقى تعليمه الثانو
موزعا بين مدينتي دمنهور والاسكندرية. وف
الاسكندرية تلقى أيضا بعض تعليمه الجامعي. ا
انتقل الى القاهرة حيث أكمل تعليمه، وعمل بالصحا
والتعليم الجامعي.

نال ليسانس وماجستير ودكتوراه فى الصحافة م
جامعة القاهرة، كما نال دبلوما فى كتابة السيناريو م
معهد السيناريو الذى انشىء بالقاهرة فى أوائ
الستينيات. كما نال شهادة الزمالة الفخرية فى الادا
من جامعة أيوا الامريكية.

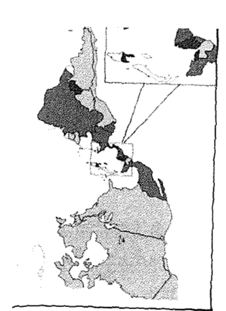
اشتغل بالصحافة الادبية منذ عام ١٩٥٧. وساه
بالكتابة في كثير من المجلات والصحف العربية، فضا
عن المجلات الانجليزية والامريكية. وتنوع نشاط
الادبي بين النقد والقصة القصيرة والرواية والترجم
والتحقيق والتاريخ.

شارك فى مؤتمرات وندوات ادبية عربية وأجنبية.
وحاضر بجامعات عربية وأجنبية ايضًا. كما ساح فى
قارات العالم جميعًا، ما عدا استراليا. وتنوعت
اهتماماته الادبية والفكرية.

ألف وترجم نحو ٤٠ كتابًا فى القصة والرواية
والادب والنقد والمسرح والسينما والرحلات والتراجم
والتاريخ والتحقيق.

يعيش فى لندن منذ عام ١٩٧٩ متفرغًا للقراءة
والكتابة والبحث.

برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية



أقام برنامج مكافحة أمراض الاسهال
- بلدان تقتصر أنشطتها على المكافحة
- بلدان تقتصر أنشطتها على البحوث

برنامج الخليج العربي

للطفولة (اليونسيف) كما أن المشاريع المتصلة بالصحة والتنمية الريفية تتلقى مخصصات أكثر مما يتلقاه غيرها من المشاريع.

تنمية وتحسين الثروة المائية والزراعية

فى مجال الثروة المائية والزراعية، قام برنامج الخليج العربي بدعم مجموعة من المشاريع في مجموعة من الدول منها: موريتانيا - بنين - جيبوتي - اليمن - بموركينافاسو - السودان - مصر - بيرو - وشملت هذه المشروعات مجموعة من المجالات منها: حماية الاراضى المروية - غرس الاشجار متعددة الاغراض - مكافحة التصحر - تنمية الغابات - زيادة البقوليات - مكافحة الامراض المنقولة بالمياه فى المناطق الريفية.



نشطة المكافحة والبحوث في ٩٥ بلدا

– بلدان تشمل أنشطتها المكافحة والبحوث معا

.. دفعة إنمائية كبرى

الصراع مع سفاح الأطفال

تتسبب أمراض الاسهال كل عام في وفاة ما يتراوح بين أربعة وخمسة ملايين طفل دون الخامسة من العمر في البلدان النامية، أى بمعدل ١٠ وفيات كل دقيقة.

ويضاف إلى هذا العدد المريع مئات الملايين من حالات الاسهال الموهن بين الاطفال دون الخامسة. وتبين التقديرات الأخيرة أن أمراض الاسهال الحادة قد أصابت في عام ١٩٨٠ ما يتراوح بين ٧٥٠ و١٠٠٠ مليون طفل فى العالم الثالث.

وأمراض الاسهال مسؤولة في العالم الثالث عما لا يقل عن ربع حالات الوفيات بين الأطفال خلال العام الأول من العمر.

وقد استعان برنامج منظمة الصحة العالمية لمكافحة أمراض الاسهال بما قدمه إليه برنامج الخليج العربى من مساهمة مالية في مساعدة ٧ بلدان في الاقليم الافريقى، و٣ بلدان في الاقليم الأمريكى و٦ في اقليم شرق البحر الأبيض المتوسط، وبلدين في أوروبا، و٦ في اقليم جنوب شرق آسيا، و٥٥ في اقليم غرب المحيط الهادى.

ويوجد ضمن البلدان المذكورة ستة عشر بلدا من أقل بلدان العالم نموا، وتضم الدول التسع والعشرون المذكورة نحو ١٠٨ ملايين طفل دون الخامسة من أصل عدد سكان اجمالي يبلغ ٧١٨ مليون نسمة. ويقدر عدد الأطفال دون الخامسة الذين يمكن أن يسهم المشروع في انقاذهم بـ ٥٠٠٫٠٠٠ طفل والبلدان المستفيدة هي:

- فى الاقليم الأفريقي: اثيوبيا، الجزائر، بنين، جمهورية تنزانيا المتحدة، رواندا، غينيا بيساو، ليسوتو.
- فى الاقليم الامريكى: بيرو، نيكاراجوا، هايتي.
- فى اقليم شرق البحر الأبيض المتوسط: السودان، الصومال، اليمن، باكستان، تونس.
- فى الاقليم الاوروبي: المغرب، تركيا.
- فى اقليم جنوب شرق آسيا: أندونيسيا، بنجلاديش، بوتان، تايلاند، ملديف، نيبال.
- فى اقليم غرب المحيط الهادى: الفلبين، جزر سليمان، جمهورية لاو الديمقراطية الشعبية، ساموا، فيتنام.

المشروعات التى يدعمها برنامج الخليج العربى

لدعم منظمات الأمم المتحدة الانمائية عن طريق منظمة الصحة العالمية

خاتمة:

ويظل برنامج الخليج العربى يقدم خدماته المتلاحقة والمتتالية من خلال منظمات الامم المتحدة دعماً للقوة البشرية، والحفاظ عليها سليمة معافاة.

وفى نطاق الوطن العربى ودول الخليج فقد قدم البرنامج دعماً سخياً لاقامة مجموعة من المشاريع التنموية في مجالات المجتمع والبيئة والتعليم والطفولة وغيرها.

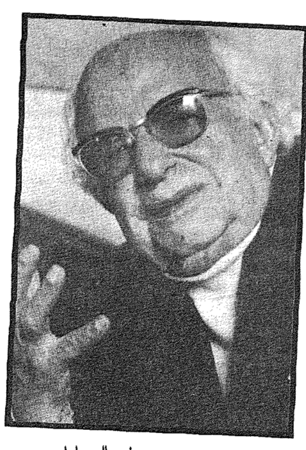
■ ومنها على سبيل المثال:

المشروع العربى للنهوض بالطفولة - مشروع صحة الطفل فى الدول العربية فى الخليج - مشروع مركز تدريب وبحوث المرأة والاسرة فى الوطن العربى - مشروع رياض الاطفال فى المملكة العربية السعودية.

وعموماً يمكن القول: ان هذا البرنامج منذ تأسيسه فى عام ١٩٨١م وحتى الآن بقيادة صاحب السمو الملكي الامير طلال بن عبد العزيز استطاع ان يقدم الكثير والكثير جداً من الخدمات الانسانية على مستوى العالم بأسره.

وقد حظى هذا البرنامج بالدعم الشخصى من الامير طلال، اضافة الى جهوده المخلصة فى انجاح اعمال هذا المشروع.

حوار



خيري السيد ابراهيم - مصر -

- أطالب الادباء وخاصة الشباب ان يعرفوا جيدا بيئتهم.
- اتمنى ان تترجم كل الابداعات العربية لأهميتها.
- لا تشابه بين الكتاب من جيلنا.

■ ....؟

●● انا عشت فى مدينة (منفلوط) لمدة سنتين، وطبعاً كانت لى وظيفة تشغلنى طوال الوقت، ولكن كنت بدأت اكتب شيئاً قليلا فى القصة، اخذتنى من تحقيق



آمال كثيرة جدا، وهى ان ادرس المنطقة التى اقيم بها، إذاً فأدباء الشباب عليهم مسئولية كبيرة جداً.. انهم أولا يجب ان يعرفوا المنطقة التى يعيشون فيها ويدرسوها من جميع النواحى.. مثلا الفلكور.. خصوصاً وانتم تلاحظون أنه على وشك أن ينمحى، كذلك الحواديت المحلية.. وهذه الاشياء يجب ان تشغل بال الأدباء.. وسوف ينعكس أثر هذا على الاديب فى المستقبل حين يكتب قصة أو رواية.. الخ.

■ ....؟

●● موقفى من المزاوجة بين الفصحى والعامية، هو البحث عن الكلمة المعبرة التى تحدث الاثر الذى أريده، انا لا أكتب الا بالفصحى، لكن إذا واجهنى موقف وجدت ان الأثر الذى اريده لا يتأتى الا بكلمة عامية، لا أجد لها مقابلا فى الفصحى (اكتبها)!

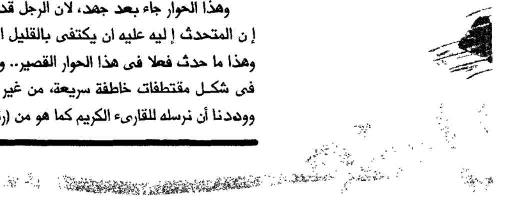
■ ....؟

●● بالتأكيد الفن متجدد، مع ان هناك من يقول شيئاً آخر، اى انه ليس هناك ما يسمى بالجديد الصرف، نحن نقول ان هذا غير صحيح ويجب علينا ان نستبدل كل هذا بكلمة «فن القول» وأظن ان المرحوم (امين الخولى) قد استخدم هذا المصطلح من قبل لانه: ما هو الأدب؟.. هو التعبير بالكلمة عما يعبر عنه المصور بالكاميرا والرسام باللون والموسيقى فى موسيقاه، فنحن جميعاً نحاول ان نعبر عن الفن

(يحي حقي) علم فى دنيا الأدب العربي، وأحد علامات النبوغ والابداع، حمل (قنديله) بين يديه يكتشف به المخبوء من الحياة في مسارات عطائها المتعدد والمتنوع..

لقد أصبح (حقي) ظاهرة إ بداعية رائعة في الحياة الادبية العربية.

وهذا الحوار جاء بعد جهد، لان الرجل قد ألم به المرض مؤخرا، حتى إ ن المتحدث إ ليه عليه ان يكتفى بالقليل المتاح منه حتى لا يرهقه.. وهذا ما حدث فعلا فى هذا الحوار القصير.. ولذا نجد ان هذا الحوار جاء فى شكل مقتطفات خاطفة سريعة، من غير تركيز على نقطة محددة، وودنا أن نرسله للقارىء الكريم كما هو من (رتوش) تحريرية.



بالفن، فالكاتب يعبر عن الفن بنفس الكلمة وهو الصياغة الحرفية وبمقدرته الصياغية فى ان يصل الى مجتمعه.

■ .... ؟

●● بعد جائزة نوبل، ادبنا العربى الذى استطاع ان يفرز كاتباً عظيماً مثل نجيب محفوظ يستحق بجدارة هذه الجائزة، ادبنا انفتح على العالم بصورة كبيرة، ولذلك أتمنى ان تترجم الاعمال العظيمة لكتابنا ليرى العالم ادبنا العربى.

■ .... ؟

●● انا ضد القول بالتشابه والتماثل بين الكتاب من جيلنا، فلكل ماضيه ولكل اتجاهه، والاصوب ان يكون الانسان صادقاً مع نفسه ولا يكتب إلا فى الموضوع الذى يمتلىء به ويحس به.. ويشعر ان هناك موضوعاً يريد التعبير عنه، لذلك لا يوجد هناك موضوع ينتج مثل موضوع آخر، وأنا اتجاهى كان ولا يزال فى ايمانى بالتقدم العلمى بلا حدود وبدون استثناء.. وكما نطالب بحرية الكلمة للأديب، فإني اطالب بحرية العمل والبحث للعالم فى معمله فنحن امام مشكلة كبرى هى الكون وماهيته وقوانينه.

■ .... ؟

●● تأثرت فى بداية حياتى بالأدب الروسى والعمالقة من الكتاب، واتمنى ان لا أجد (يحيى حقى) آخر، فى الاجيال الجديدة، ولكن اريد لكل إنسان طابعه الخاص.

ترجمة ذاتية

يحيى حقي:

- من مواليد ١٩٠٥م من أسرة ذات اصول تركية، نشأ فى أسرة مهتمة بالأدب والثقافة.
- عمل فى وزارة الخارجية المصرية، وكان يجيد عدة لغات الى جانب العربية والتركية.
- عمل مديرا لـ (مصلحة الفنون) فى العقد الخامس من هذا القرن، وكان نائباه فى هذا العمل نجيب محفوظ، وعلى احمد باكثير.
- عمل عضواً دائماً فى لجنة الترشيحات لجائزة الدولة التشجيعية والتقديرية.
- رأس تحرير مجلة «المجلة» التى كانت تصدر عن وزارة الثقافة وهى مجلة ادبية شهرية حققت فى عهده سمعة مرموقة واثرت فى الحياة الثقافية العربية.
- حاز على جائزة الملك فيصل العالمية لجهوده الأدبية والفكرية والثقافية المشهودة.
- الكثير من النقاد يعتبر قصص يحى حقي القصيرة هى الاكثر اكتمالا وجمالا فى تاريخ هذا الفن.
- كتابه (تاريخ القصة القصيرة) يعتبر أهم مرجع فى هذا الاختصاص.
- يرى الكثيرون من دارسي ادب الاستاذ حقى انه استطاع ان ينشىء لغة سهلة وعميقة تجمع بين الفصحى واللغة الدارجة.. وكان عميق الاهتمام باللغة العربية.
- «كناسة الدكان» كتاب ترجم يحى حقى فيه لنفسه ولم ينشر الا قبل عام من وفاته.



●● (استراحة فكر) .. تطواف عابر فى مدائن المعارف..

●● (المعارف) تجوال فى ساحة الفكر، تلمع فى جوانبها معالم الشعوب فى معطياتهم، الثقافية والفكرية، الحضارية والمدنية.. وتسجل بعض تلك المعطيات فى العادات والتقاليد والموروثات.

■ **قرآن كريـــم :**

﴿ لا يكـلف الـله نفسـاً إلا وسعهـا لها ما كسبت وعليهـا ما اكتسبت. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخـطأنـا، ربنا ولا تحمل علينا اصراكما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به.. واعف عنـا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

■ **حديث شـــريف :**

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد..»

■ **دعـــاء :**

اللهم اغفر لي خطيئتى وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به منى، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت إلهي لا إله إلا أنت».

■ دعا أعرابي، وهو يطوف بالكعبة، فقال: «اللهم قد أطعناك في أحب الأشياء إليك: شهـادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك، فاغفر اللهم ما بين ذلك».

■ **تربية وسـلوك :**

الـنـفس كالـطفـل ان تتركـه شب على
حب الـرضـاع وان تفـطمـه ينـفـطم

●● خطب الحجاج الثقفي يوما فأطال، فقال له رجل: الصلاة! فإن الوقت لا ينتظرك! فأمر الحجاج بحبسه، فأتاه أهل الرجل، وزعموا أنه مجنون، وسألوه أن يخلي سبيله.

فقال الحجاج: إن أقر بالجنون خليته.

فقيل للرجل فى ذلك، فقال: معاذ الله! لا أزعم أن الله ابتلاني، وقد عافاني!

فبلغ ذلك الحجاج، فعفا عنه لصدقه وشجاعته في الحق.

●● قال المأمـون يوماً لبعض ولده: إياك وأن تصغي لاستماع قول السعـاة، فإنـه ما سعى رجل برجل إلا انحط من قدره عندي ما لا يتلافاه أبداً.

■ **قـــالوا :**

«ان ادخـــال وسـائـل اعـلام جديدة وبخـاصـة التلفـزيون في المجتـمعـات التقليدية ادى الى زعـزعـة عادات ترجـع الى مئـات السنين وممارسات حضارية كرسها الزمن»..

(اليونسكو)

●● «الفنان طفل، ولا ننتظر من الأطفال أن يعيدوا ألعابهم الى الدولاب».

(الفنان توم فلبس)

●● «قضاء عشر دقائق فى الكلام الى طفل عن كيفية قيامه بقطع دودة أفضـل بكثير من مجرد تركه يتفرج على التلفزيون».

(الممثلة فلستى كندل)

●● سئـل الأحنف بن قيس عن العقـل فقـال: رأس الأشياء، فيه قوامها، وبه تمامها، وهو سراج ما بطن، ومـلاك ما علن، وسـائس الجـد، وزينة كل أحد لا تستقيم الحياة إلا به، ولا تدور الأمور إلا عليه.

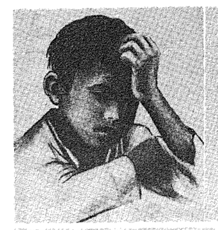
■ **أجيـــال:**

عفواً - بنى - فإنا في زمن تحولت فيه ابتسامة الوليد، ونضارة الصبا، إلى سحابة سوداء على جبينهم..

عفواً ومعذرة - بنى -

التوقيع

زمن الكآبة



حزمة مشاعر

أنـا كم غرست النـور
والآمـال فى قلب الشجـر
وأقمت أفـراح النجوم لكى
يبـاركـهـا الـقـمـر
وخـطبت أسراب الريـاح
الـعـاشـقـات الى المـطر
وعقـدت للدنيـا مراسيم
الـزواج من الـقـدر
أنـا كم زففـت الـكلمـة
النشـوى الى حضن الـوتـر
وفـشـلـت حين أردت أن
أحـظى بحـلمـى المنتـظر

(الشاعرة جليلة رضا)

نماذج بشريه:

عمر بن الخطاب (٥٨١ - ٦٤٤م)

ثانى الخلفاء الراشدين. وأول من لقب بأمير المؤمنين، آمن بالله ورسوله فى أوائل الدعوة، واشترك مع النبي في جميع الغزوات، وقد تزوج النبى ﴿ﷺ﴾ من ابنته حفصة، واشتهر بالشجاعة والعدل حتى لقب بالفاروق، أي الذي يفرق بين الحق والباطل.. تولى الخلافة فى العام الثالث عشر للهجرة وكانت الحرب دائرة بين العرب والروم فى الشام، وحضر عمر فتح بيت المقدس.

وهو أول من أنشأ الديوان لادارة أعمال البلاد وعين القضاة، ووضع التاريخ الاسلامي مبتدئاً من أول سنة قمرية هاجر فيها النبى ﴿ﷺ﴾ الى المدينة، وأنشأ معسكرات للجند في البصرة والكوفة والفسطاط، وأول من عمل إحصاء للمسلمين، وجعل الخلافة شورى فى ستة، توفي الرسول وهو راض عنهم. ويعد عمر المثل الأعلى للحاكم العادل.

كان أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه.

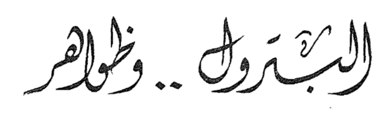
لعبة الياي

لعبة طريفة تعتمد على خفة الحركة تستعمل فيها كرة صغيرة تصنع من القماش، يقوم اللاعبون أثناءها بضرب بعضهم بتلك الكرة، وخيرهم من تقع في يده فيهاجم زملاءه بها ويسدد إليهم الضربات، والويل كل الويل لمن يقترب من حاملها.

ألعاب شعبية:







بقلم: معالى الدكتور محمد بن عبد اللطيف الملحم
وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء

- مظاهر التغيرات في البعد الثقافي أكثر وضوحاً..
- عن أدبيات البترول.. كتب رواد في عالم الأدب والثقافة في بلادنا وخارجها..

في مساء السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول ١٤١٣هـ القى معالى الدكتور محمد بن عبد اللطيف الملحم محاضرة بعنوان (أدبيات البترول) فى نادى المنطقة الشرقية الادبى وحضرها جمع غفير من محبي الادب والثقافة والفكر من رواد النادي.

وقد اهدى الدكتور الملحم هذه المحاضرة لمجلته (المنهل).. ويسعدنا نشر هذه المحاضرة القيمة لقرائنا الافاضل.

وخالص الشكر والتقدير نقدمه لمعالى الدكتور الملحم على هذا الاهداء والايثار الذي يدل على خالص تقديره ووفائه لمنهله.

(المنهل)

أدبية جديدة

قبل البدء في تحديد إطار موضوع حديثي لابد لي من المرور من خلال مدخلين أساسيين أتناول فيهما، باختصار، أفكارا عامة عن أوضاع المنطقة الشرقية أو منـطقـة الأحسـاء، سيـان، من النـاحيـة التاريخية والاقتصادية والثقافية.

المدخل الأول:

ظل التاريخ السياسي والاجتماعي والأدبي والثقافي للمنـطقـة الشرقية من المملكة العربية السعودية في صورتـه الشـاملة مجهـولا منـذ فجـر التاريخ وحتى عصورنا الحديثة وذلك ما عدا بعض النتف التاريخية في ثنايا كتب التاريخ المعتبرة، وبعد أن استرد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله منـطقـة الأحسـاء في عام ١٣٣١هـ وحتى عام ١٣٧٩هـ لم تحظ هذه المنطقة بتاريخ مستقل ومتكامل مثلما حظيت به بعض مناطق أخرى بالمملكة العربية السعودية وذلك على الرغم من أن بمنطقة الأحساء على مر العصور أدباء، وفقهاء وعلماء وحتى ما ينيف على ثلاثين عاما خلت من الآن لم تضم المكتبة العربية كتـابـا شامـلا واحدا عن هذه المنطقة يتحدث عن تاريخها وثقافتها وأدبها وذلك على الرغم مما يقال قبل تلك الفترة من أن بها مؤرخين.

وظلت حركة التأليف خارج المنطقة الشرقية سواء من داخل المملكة العربية السعودية أم من خارجها تشير إلى فترات متقطعة من تاريخها، وبكل المقاييس التاريخية يمكن اعتبار كتاب «تحفة المستفيد» للشيخ محمد آل عبد القادر النواة الأولى لحركة التأليف من داخـل المنـطقـة الشرقية نفسها على الاطلاق، وهو كتاب اعتمد السرد التاريخي غير المتصل من الناحية الـزمنية، ولم يتبن مناهج البحث التاريخي الحديثة، ومـع ذلك يظل هذا الكتاب، للفراغ الذي حاول سده، عظيما ورائعا.

وقبـل صدور كتـاب «التحفـة» حظيت منـطقة الأحساء بعناية مؤرخين، وأدباء، وسياسيين، ورجال صحـافـة من داخـل المملكة العربية السعودية ومن خارجهـا أمثـال ابن بشر، ولـوريمـر، وبلغـريف، ومـاكي، وتـويتشـل، وهارسون، وفيدال، وحافظ وهبـة، وفؤاد حمزة، والـزركـلي، ورشدي ملحس، وباصميل، وأمين الريحاني، وعبد الله عريف وغيرهم.

■ تعتـبر المنـطقة الشرقية أو منطقة الأحساء، هذا الجزء الغالي من بلادنا السعودية، ذات تاريخ مجيد وعـريق، وتتكون مرتكزات هذا التاريخ من عوامل أربعـة: ديمـوغرافية، ودينية، واقتصادية، وأدبية، وبسبب هذه العوامل مجتمعة احتلت منطقة الأحساء مكانا مرموقا في تاريخ جزيرة العرب قبل الاسلام وبعده.

كانت منــطقــة الأحســاء ملتقى الحضـارات وعاصرت بقاعها، وسهولها، ومغانيها، شعوبا وقبائل شكلت فيما بعـد لون الـديموغرافية فيها وذلك منذ عصور الجاهلية.

وكانت منطقة الأحساء مصدر خير وبركة للدعوة الاسـلامية تمدهـا بالـوقـود والأرزاق الوفيرة، وكتب الخـراج في الاسلام تشهد على ذلك.. وبالأحساء بيوت علم وأدب، وقد شد الرحال إليها مجدد دعوة الاسلام بديار العرب في العصر الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله طلبا للعلم بها.

وبسبب وضعها الاقتصادي ذاقت منطقة الأحساء الأمرين، عاصرت النهب والسلب، وذاق أهلها مر العذاب أحيانا بفعل أهلها، وأحيانا اخرى بفعل الغير.

ولأهمية منطقة الأحساء أو المنطقة الشرقية للمستعمر الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد كان أهم كتاب وثائقي تحدث عنها هو كتاب «دليل الخليج» لمؤلفه لوريمر. وكان هذا الكتاب بمثابة الانجيل للحكومة البريطانية بأرض الخليج العربي آنذاك، وتحدث مؤلف الكتاب كثيرا عن منطقة الأحساء، وبالكتاب الغث والسمين، والصحيح والخطأ، ومع ذلك ظل هذا الكتاب ولا يزال مصدرا ذا حجية بالغة لكل من تحدث عن أرض هجر، . والكتاب أعني «دليل الخليج» كان الغرض منه أن يكون العين المبصرة لصناع القرار البريطانيين بمنطقة الخليج، وبالفعل كان.

وتدوين تاريخ ما قبل استرداد الملك عبد العزيز آل سعود للأحساء فى عام ١٣٣١هـ لا يزال في مراحله الأولى. ، وظلت الأحساء رغم ما ألم بها من مآس بلد النخيل، وبلد الجمال والخضرة، وبلد الحيوية والخير والعطاء.

المدخل الثاني:

وبقى لكي أتناول موضوع حديثي أن أشرح، باختصار، أوضاع المنطقة الشرقية من الناحية الاقتصادية.

لقد أرسى جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله، دولة حديثة في الجزيرة العربية على ثلاث قواعد:

قاعدة دينية، وقاعدة سياسية، وقاعدة اقتصادية.

وفارق جلالة الملك المؤسس، رحمه الله، الحياة مطمئنا من ثبات هذه القواعد الثلاث، ومن أنها بأيد أمينة.

وكانت القاعدة الدينية بغرب المملكة العربية السعودية، وكانت القاعدة السياسية بوسط المملكة العربية السعودية، وكانت القاعدة الاقتصادية بشرق



عبد الله بن خميس

عبد الله الشباط

المملكة العربية السعودية، وتدار هذه القواعد الثلاث الآن من قبل رجال مخلصين على رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.

ويعنيني هنا في هذا المقام أن أتحدث عن القاعدة الاقتصادية التي بدأت جذورها بالمنطقة الشرقية، وتفرعت عن هذه القاعدة منذ ستة عقود من الزمن قواعد فرعية قوية أخرى في شتى أنحاء المملكة العربية السعودية، وهذه القواعد الفرعية ذات طابع تنموي، وتعليمي، وأمني، وعسكري، وثقافي، وزراعي، وعمراني، وصناعي، وصحي، وسياحي. ويشهد العدو قبل الصديق على عظمة القاعدة الاقتصادية وفروعها، وبما حققته من انجازات لا مثيل لها بمختلف المقاييس في عالمنا المعاصر.

وأعود على بدء إلى القاعدة الاقتصادية (الأم) في هذه المنطقة. بدأت جذور هذه القاعدة بالزراعة، ثم جاء رديف أكبر لها وهو البترول، وأحدث تفجر البترول تحولات هامة في مختلف مناطق المملكة وبالمنطقة الشرقية بالذات.

وحينما كنت أدرس في مدرسة قانون جامعة ييل الأمريكية للدراسات العليا التقيت بأستاذ كان له شرف الدفاع عن المملكة العربية السعودية في أهم قضية بترولية في العالم، وكانت هذه القضية بين المملكة العربية السعودية وشركة الزيت العربية الأمريكية، وكانت هذه القضية هي السبب الرئيسي في توجهي لدراسة قانون عالم البترول، وحينما توجهت لهذه الدراسة تفتحت أمامي آفاق جديدة

لدراسات كنت أتمنى، بجانب ما أعددته من دراسات قانونية، أن أتوجه لها باحثا ودارسا، وهي دراسات تتعلق بها يمكن أن أسميه بـ «أدبيات البترول» وهو الموضوع الأدبي الذي رأيت طرح معالمه الرئيسية في هذه الصفحات.

■ ولكي أحدد المقصود من «أدبيات البترول» من المهم أن أستبعد منه ثلاثة مجالات هي في عالمنا المعاصر ملء السمع والبصر.

●● **المجال الاول «العملية السياسية البترولية»** وهي العملية المعقدة المتعلقة بسياسات البترول سواء داخل الدولة البترولية الواحدة أم فيما بين الدول، وهي سياسات يكثر الحديث والجدل عنها وحولها في أيامنا المعاصرة.

●● **المجال الثاني: «العملية الاقتصادية البترولية»** وتختص هذه العملية بسياسات البترول من ناحية الانتاج وتقنينه، والمحافظة عليه بباطن الأرض، والتخزين، والتكرير، والبيع، والتسويق، والأسعار.

●● **المجال الثالث: «العملية القانونية البترولية»** وتتعلق باتفاقيات البترول، واجراءات التقاضي، وفض المنازعات البترولية.

ولقد ألف في العمليات الثلاث الكثير من الكتب، وأنشئت من أجلها مجلات متخصصة ومراكز للبحوث في الجامعات وغيرها. وباستبعاد هذه المجالات الثلاث عن موضوع حديثي الموسوم بـ «أدبيات البترول» وقبل أن أحدد المقصود من هذه «الأدبيات» أود تقديم الصورة الشعرية التالية وهي من الشعر الشعبي العربي.

بعد التوقيع على اتفاقية امتياز أرامكو في عام ١٣٥٢هـ كانت أمارة المنطقة الشرقية بحي الكوت أحد أحياء مدينة الهفوف حاضرة الأحساء، وكان أمير المنطقة آنذاك سمو الأمير عبد الله بن جلوي آل سعود، وقرب السراي (أو السراج) حيث مقر الأمارة من جهة شماله «براحة الخيل»، وهي ساحة واسعة مشهورة بالأحساء، واتخذت أرامكو من الأحساء مقرا لها، وبدأت تمارس نشاطها باحثة عن الزيت، وبعد نجاحها في اكتشاف البترول، وعن هذا النجاح حبر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله الجعفري أحد مشائخ الشافعية بالأحساء أبياتا شعبية استقرأ فيها ما كان يتصوره عن مصير هذه الشركة في المستقبل، ومدى ما حققته من نجاح.

وبهذه الأبيات الشعرية الخمسة ثلاث كلمات أرغب في شرحها أولا، وهي أبيات كما سبق أن ذكرت، تدخل في صميم «أدبيات البترول».

●● الكلمة الاولى انجليزية الأصل، وهي تيلغراف (Telegraph) وتعني اللاسلكي، وعبر عنها الشاعر بكلمة «التيل» بتشديد التاء المفتوحة.

●● الكلمة الثانية هي «الويل» وتعني هذه الكلمة نوع من القماش الرقيق الناعم الغالي الثمن وكان منه «غتر» الويل الشهيرة آنذاك.

●● الكلمة الثالثة «السواحل»، وتعني نوعاً من القماش الخشن ذي اللون الأصفر، وكان هذا القماش يلبس آنذاك، وقد لبسناه ويستخدم السواحل الآن أكياسا يعلب فيها دقيق صوامع الغلال، وتقرأ الأبيات الشعرية كالتالي:

بوسط البراحة ضرب ذا «التيل»
زمر بلندن يسمعونه
جات الشريكه تجر «الريل»
والبر كله يحفرونه
تجري المعادن سوات السيل
بوسط المكاين يصفونه
عقب السواحل ثياب «الويل»
وتوال شعر يمشطونه
يا اهل الجزيرة دقو الهيل
وذاك الفقر ما عاد تطرونه

■ تصور هذه الأبيات رغم بساطتها ما أعنيه تماما من أدبيات البترول، وتتناول هذه الأدبيات وضعين هامين:

أولهما: التحولات التي طرأت على البنية أو التركيبة السكانية بالمنطقة الشرقية.

ثانيهما: تأثيرات «العملية البترولية» بكافة عناصرها، وأطرافها، وأهدافها، وقواعدها على السلوك النمطي

لأفراد مجتمع هذه المنطقة وبما يشتمل عليه من أخلاقيات وعادات وتقاليد وقيم.

■ وهناك حقائق أدت إلى قيام هذين الوضعين أسوق منها ما يلي:

أحدث البترول منذ اكتشافه صدمة حضارية لمست كافة مجتمعات العالم على تفاوت نسبي وبشكل غير مباشر، وبالنسبة لمجتمع المنطقة الشرقية كانت اللمسة مباشرة ونقلته من وضع إلى وضع قبل غيره من مجتمعات مناطق المملكة العربية السعودية.

والمخضرمون منا، أي الذين عايشوا عصر ما قبل البترول وبعده، يدركون تلك التحولات الهامة التي أحدثتها تأثيرات هذا المعدن على كل المستويات بمنطقتنا وذلك:

- منذ أن تعددت استخداماته في مجالات الزراعة، والصناعة وآليات التقنية، وفي عهدي السلم والحرب.

- ومنذ أن أصبح نفس المعدن حلقة حيوية في بنية النظام الاقتصادي الدولي المعاصر كما هو معروف حاليا بتوجهاته وتناقضاته.

- ومنذ أن كان البترول بالنظر إلى مشتقاته مصدرا لصناعات أساسية من طبيعة غذائية، وطبية، وتجميلية، وتحويلية.

■ وفوق ذلك كله تنظر الأمم الغربية حاليا الى معدن البترول لانعدام البديل على أنه من أهم مصادر بقاء حضارتها، ولذا فهذه الأمم لن تألو جهدا في استخدام كل الاستراتيجيات المتاحة لها حتى ولو كان منها الدخول في صراعات دموية بغية استمرار تدفقه اليها.

وإذا كان هذا شأن هذه المادة في مجتمعات العالم، فما هو الدور الذي أدته في مجتمع المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

رغم ما أحدثه البترول من تحولات اجتماعية وثقافية وأدبية وترفيهية في مجتمع المنطقة الشرقية، يلزم باديء ذي بدء تقرير حقيقتين هامتين:

●● **الحقيقة الاولى**: هي ثبات العقيدة الاسلامية في نفوس أفراد مجتمع هذه المنطقة ورسوخها وذلك على الرغم من احتكاكهم قبل غيرهم من افراد مجتمعات مناطق المملكة العربية السعودية بالعمالة الأجنبية الوافدة من شتى أنحاء الدنيا.

●● **الحقيقة الثانية**: هي محافظة أفراد هذا المجتمع على قيمهم العليا ذات الطبيعة الاسلامية العربية.

ومع أخذ هاتين الحقيقتين في الاعتبار، كان مجال «أدبيات البترول» تلك التحولات الاجتماعية التى كانت محل رصد الكثير من رواد الثقافة والأدب من مواطنين وأجانب.

ويتمحور مجال هذه «الأدبيات» في بعدين: «إجتماعي - وثقافي»، ويتعلق البعد الاجتماعى كما ترويه كتب الرصد العربية والغربية، بتلك التغيرات التي طرأت على العلاقات الاجتماعية وذلك من خلال أكثر من منظور، وعلى سبيل المثال:

من منظور مجتمع الحي حيث بداخله كان الأفراد قبل عصر البترول بمثابة أسرة كبيرة مقفلة، بينها تعارف قوي وتعاون متبادل وفي عهد البترول تفككت عرى التعاون، وتباعد الأفراد بعضهم عن البعض الآخر نتيجة لما طرأ على الحي نفسه من تغييرات افقدته أصالته أو أزالته كلية.

ومن منظور الأسرة الواحدة حيث كانت قبل عصر البترول أكثر ترابطا، وفي عهد البترول أصبح الترابط أقل، ويضربون مثلا لذلك أن رب الأسرة كان يعيش مع بنيه وزوجاتهم تحت بيت واحد، وكان بين كافة أفراد الأسرة مودة ومحبة وتآلف ومؤانسة، أما بعد عصر البترول فالشعور لدى الابن داخل أسرته بعدما يشب عن الطوق، ويتزوج هو النزعة نحو التفرد والاستقلالية ليعيش بعيدا عن محيط أسرته كما هو الوضع في المجتمعات الغربية.

ومن منظور التكافل الاجتماعي تقول نفس المصادر، أن التكافل قبل عصر البترول كان أقوى منه بعد عصر البترول، وكان لعصر الزراعة دور كبير في مجال التكافل لأن منتجاتها كانت من أهم دعائمه.

ومن منظور وسائل الترفيه، كان شباب الحي قبل البترول يمارس وسائل الترفيه البريئة في ظل رقابة آبائهم في ساحات واسعة بوسط الحي، وبعد البترول

انـدثرت هذه الوسائل نظرا للتفكك الذي طرأ على الحي نفسه.

أما البعد الثقافي، فمظاهر التغيرات التي طرأت عليه أكثر وضوحا فيه منها في البعد الاجتماعي . . ومن مظاهر هذه التغيرات، على سبيل المثال، ما طرأ على أوضاع كل من الزراعة ودور الوعظ.

وبخصـوص الزراعة كان التعلق بها قبل عصر البترول أقوى منه بعد عصر البترول، ومن المعروف تقليديا أن الـزراعـة بما كانت تمثله من بيئة خضراء ومياه جارية كانت تشـد اليها أصحاب الأحاسيس المـرهفـة من أدباء وعلماء، وبالأخص ملاك المزارع والبساتين منهم حيث تعودوا على التجمع فيحلو لهم السمر بتبادل الأحاديث الممتعة، والاستماع الى الجيد من الشعـر والطرائف الجميلة، وبعد تفجر البترول أصبحت تلك التجمعـات في خبر كان، وأخـذت المشقة تحل محل البساطة، وابتعد الناس عن الزراعة بقدر اقترابهم من مظاهر المدنية التي ترتب عليها تدفق فجائى لثروات ما كانت في الأصل متوقعة.

وبخصوص ما طرأ على دُور الوعظ من تغير في دورها حيث كانت قبل البترول تشد أفراد الحى إليها لانعدام وسائل التعليم الحديثة، كانت أشبه ما تكون ـ قبل البترول ـ بمراكز جذب لأفراد مجتمع الحي، أما بعد عصر البترول فالغالب منها قد توارى عن الأنظار أو اندثر.

صدمة البترول الحضارية كانت عنيفة ومفاجئة وأحـدثت انعكـاسـات في ذهنية أو عقلية الفـرد، وتحتوي «أدبيات البترول» ـ لا سيما من كتاب الرصد في العالم العربي والغربي ـ على دعاوى قابلة للتفنيد منهـا أن الفرد قبل عصر البترول كان متوقد الذهن نشيط الجسم، أما بعد عصر البترول فأصبح اتكاليا، خامـل الـذهن، محبا للهو، أضناه الترف فارتمى في أحضان الدعة والكسل.

هذه التصـورات التي أتحـدث عنهـا باختصار، تشكـل الاطـار العام والشامل لما أعنيه بـ «أدبيات البترول» وكتب عن هذه الأدبيات كما سبق القول، رواد في عالم الأدب والثقافة ببلادنا وخارجها.

ومن أحسن الكتب السعـودية التى قرأتهـا عن «أدبيات البترول» بالمنطقة الشرقية ثلاثة كتب، وان كان مؤلفو هذه الكتب لم يستخدموا مصطلح «الأدبيات».

أولها: كتاب أديب الاحساء الكبير الاستاذ عبد الله بن أحمد الشباط «أحاديث مدينتي القديمة».

ثانيهـا: كتـاب الاستاذ الدكتور عبد الله بن ناصر الـسـبيعي «اكتشــاف البــترول وأثــره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية»

ثالثها: كتاب «بلادنا والزيت» جمع وتقديم الاستاذ الاديب عبد الله بن خميس.

وتحت عنوان «**إلى القاء يا نبع العطاء**» يقول أديب الأحساء الاستاذ الشباط في آخر حديث لبلدته القديمة:

بلدتي القـديمة . . ترى أين راحت معالمها . . أين السـور . . والدروازة . . وأبراج الحراسة؟ وأين القصــور التي نشم منهـا رائحـة التـاريخ . . ؟ هل صحيح ذهب كل هذا وانطمس . . ؟ ذابت (دروازة) الخميس كما ذابت دروازة الحزم . . وانطمست معالم الســور بين الكــوت . . والبلد القــديم . . وقصر ابراهيم . . ماذا بقي منه . . ؟ .

ويلي عليك يا بلدتي القديمة . . في البدء قطعوا أغصانك ودفنوها . . واليوم يطمسون معالمك . . لأن مظهـرك القـديم وأسمالك البالية لم تعد لائقة بهذا الاستقبال الحافل بكل جديد.

حتى أحـاديثـك القـديمـة لم تعـد تتمشى مع متطلبات زمن الحداثة والتجديد . . لأن التجديد في عرف المجددين يقتضي إلغاء القديم . . ومحو آثاره . . كأن لم يكـن لذلــك الـقــديم بطولات يتـغنى بها المتخاذلون . . وكأن لم يكن للقديم حضرة، وتاريخ ونبع للعطاء لازلنا منه نغترف، ونستمد ثقافة المستقبل.

مسكينة أنت يا بلدتي القديمة . . كل يوم يدفنون من أعضائك عضوا . . ويغتالون من أحيائك حيا . . ويشومون من وجوهك الحزينة وجها . . حتى أسمائك القـديمة لم تعد تعجبهم . . فاختاروا لأبنائك أسماء

جديدة تتمشى مع التجديد.. حتى إن القادمين إليك لا يستدلون على شيء من معالمك، ولا يرون مظهرا من آثارك القديمة لأنها أصبحت في خبر كان.

■ ويقول الاستاذ الدكتور السبيعي في مقدمة كتابه:

لا مراء أن اكتشاف النفط في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية حدث ضخم، وربما كان من أضخم الاحداث التي شهدها هذا القرن في جزيرة العرب، بل وفي العالم كله.. ولكن هذا الحدث الكبير لم يحظ بنصيب واف من الدراسة والاستقصاء.

فالدراسات التاريخية على قلتها، وعدم تطرقها اليه، تعمد إلى نهج الكتابة التاريخية التقليدية دون تصد لتحليل النواحي الاجتماعية.. والثقافية، والخروج بدراسة تاريخية شاملة تستظهر بالمعلومات التاريخية والبيئية والاجتماعية المختلفة لتضع حدثاً اقتصادياً كبيراً مثل هذا في منظور شامل وواسع.

أما كتاب الأستاذ الأديب ابن خميس والذي لمس في بعض جوانبه ما أعنيه بـ «أدبيات البترول» فقد اشتمل على موضوعات لا تدخل في موضوع البحث الذي أنا بصدده.. ومع ذلك فقد تطرق الكتاب إلى جوانب من «أدبيات البترول» وهي تلك التى تتعلق بالجوانب الاجتماعية والثقافية، ومادة الكتاب عبارة عن إجابات على استفسار طرحته مجلة «الجزيرة» منذ عشرين عاما على نخبة من المفكرين السعوديين، ومن يطلع على هذا الكتاب الآن يجد أن خطط الدولة الأربع الطموحة للتنمية قد أجابت على معظم التساؤلات التي وردت فيه، إلا أنه فيما يتعلق بـ «أدبيات البترول» فلا تزال له أهمية كبرى.

وقبل انشاء الجامعات السعودية كانت المصادر المحلية في خصوص «أدبيات البترول» قليلة إذا ما قورنت بالزخم الهائل من الكتب الأجنبية التى تصدت لهذا اللون من الأدب وذلك عند تناولها لجوانب «العملية البترولية» بالمنطقة الشرقية من الناحية السياسية والاقتصادية والقانونية.

وبعد انشاء الجامعات السعودية وتكثيف البعثات الطلابية إلى خارج الديار السعودية تعددت مصادر «أدبيات البترول» على النحو التالى:

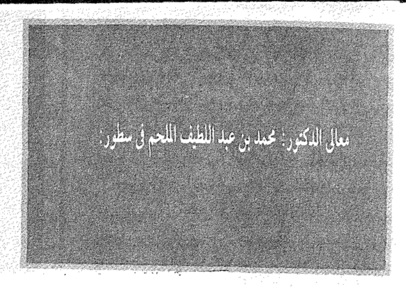
أ ولا: ما كتبه الرواد الأوائل الذين استقطبتهم شركة الزيت العربية الامريكية للعمل لديها طوال العقود الخمسة الماضية، ومن المعروف أن شركة أرامكو قبل أن تكون سعودية بجانب ما كانت تقوم به من نشاط اقتصادى بحت بحكم عقد امتيازها، كان لها مراكز للبحث عن أوضاع مجتمع المنطقة الشرقية من الناحية الاجتماعية والثقافية والأدبية والديموغرافية في كل من الظهران، والدمام، ولونج آيلند بنيويورك. وكشف السيد ف. ش. فيدال في مقدمة كتابه «**واحة الأحساء**» عن هذه الحقيقة، كما أن هذه الحقيقة مترجمة في كتاب «دليل ارامكو» باللغة الانجليزية المعد من قبل السادة ستاينبك، ورنتز، ولوبكشر.

ثانيا: تزخر مكتبات أشهر الجامعات الأمريكية كجامعة «ييل» وهارفرد، وكولومبيا ومشجن، وتكساس، ومكتبة الكنجرس الامريكي وغيرها وكذلك الجامعات البريطانية بدراسات تتعلق بـ «أدبيات البترول» وكانت هذه الدراسات تمول إما من قبل شركة «أرامكو» أو من إعداد طلابنا المبتعثين للدراسات العليا بالجامعات الأمريكية والبريطانية، وقد اطلعت على بعض من هذه الرسائل.

ثالثا: وبدأت مكتبات جامعاتنا السعودية تتملك كثيرا من الرسائل العلمية عن «أدبيات البترول» من إعداد طلاب سعوديين بعد أن بدأت هذه الجامعات في منح الدرجات العلمية العليا، وقد اطلعت على بعض من هذه الرسائل.

وفي اطار «أدبيات البترول» تتضمن هذه الرسائل جوانب ايجابية وسلبية عن الحياة الاجتماعية والثقافية بمجتمع المنطقة الشرقية، وهنا بيت القصيد، ومن يطلع على النسخة التي أودعها السيد ف. ش. فيدال بمكتبة جامعة هارفرد للحصول على درجة الدكتوراة عن كتابه المسمى «واحة الأحساء» يجد الدليل على صحة ما ذكرته.

الحديث عن «أدبيات البترول» شيق، ولكنه طويل، ولا يتسع وقت هذه المحاضرة للاحاطة به، ولدي بحوث في هذا المجال سأعمل على نشرها إن شاء الله، وكل ما دونته هنا مجرد خواطر عن موضوع كبير وخطير.





١ ـ ولد بالهفوف، الأحساء، المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٧م تقريبا.

٢ ـ وتعلم قراءة القران الكريم عام ١٣٦٤هـ الموافق ١٩٤٥م لدى معلم الكتاتيب الشيخ ثابت بن سعد بن ثابت بمنزله الكائن بفريق «البدع» الغربي التابع لفريق الملحم بحي النعاثل بمدينة الهفوف بالأحساء.

٣ ـ حصل على ليسانس الحقوق بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف الثانية عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م من كلية الحقوق، جامعة القاهرة.

٤ ـ عُين «معيدا» بكلية التجارة جامعة الملك سعود، وكان ذلك عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م.

٥ ـ وبعد عام من التدريس بكلية التجارة كـ «معيد» سافر الى أمريكا حيث درس اللغة الانجليزية بجامعة جورج تاون، بواشنطن، العاصمة الامريكية عام ١٣٨٣هـ الموافق ١٩٦٢م.

٦ ـ وفي عام ١٣٨٤هـ الموافق ١٩٦٤م التحق بكلية الحقوق، جامعة ييل الامريكية حيث حصل في عام ١٣٨٥هـ الموافق ١٩٦٦م على الماجستير في القانون بمرتبة الشرف.

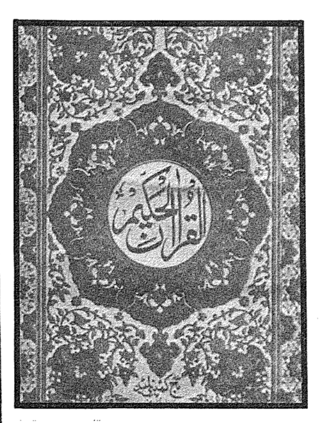
٧ ـ حصل في عام ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠م على درجة الدكتوراة فى «علم القانون» من كلية الحقوق، جامعة ييل الامريكية بمرتبة الشرف.

٨ ـ عُين في صيف ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠م أستاذاً مساعداً بقسم القانون بكلية التجارة ـ جامعة الرياض ـ (جامعة الملك سعود حاليا).

٩ ـ وتقلد عمادة كلية التجارة بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليا) في عام ١٣٩٣هـ الموافق ١٩٧٣م. وفي عام ١٣٩٥هـ الموافق ١٩٧٥م أختير ليكون وزير دولة وعضو مجلس الوزراء في حكومة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز، ولا يزال بنفس هذا المنصب حتى الآن.

■ لمعاليه العديد من المؤلفات منها: كتاب باللغة الانجليزية (Middel East oil: Aredistrbution Of Values Arising Fromthe Oil Industry.) فى (٣٥٠) صفحة.. وكذلك كتاب «وضع الرسوم فى القانون المالى السعودى»، وغيرهما من المؤلفات وكثير من المقالات فى الشئون البترولية والقانونية نشرت فى العديد من الصحف والمجلات المحلية.





بقلم: نصر عمر مقبول
الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة
ماجستير من قسم الاستشراق

● انجيل برنابا يعد من أدق الأناجيل الموجودة الآن.
● بسبب دقته، وتوافقه مع القران الكريم فى بعض القضايا منع من التداول.
● انجيل برنابا . نفى بنوة المسيح، وفكرة التثليث، وصلب المسيح.
● أثبت هذا الانجيل تبشير المسيح بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واعترف بنبوته.

يتفق المؤرخون على أن النسخة الأولى التى عثر عليها من هذا الانجيل كانت باللغة الايطالية وهى التى عثر عليها الراهب «كويمر» سنة ١٧٠٩م، وقد انتقلت هذه النسخة من بين يدى هذا الراهب إلى فيينا فى بداية القرن الثامن عشر الميلادى. ولهذا الانجيل ترجمة بالاسبانية وأخرى بالانجليزية.

وأريد أن أقتصر فى هذه المقالة على ما وافق فيه إنجيل برنابا القرآن الكريم منوها بأن هذه الموافقات قد اختلف فيها هذا الانجيل مع الأناجيل الأخرى المعتمدة لدى النصارى، وتعود أهمية هذا الموضوع إلى جوانب متعددة نذكر منها على سبيل الايجاز:

١ ـ إن اختلاف انجيل برنابا مع الأناجيل الأخرى قد أدى الى منعه من التداول.

٢ ـ أن اتفاقه مع القرآن الكريم فى مواضع كثيرة يجعلنا نميل إلى أن هذا الانجيل قد يكون من أكثر الأناجيل بعدا عن التحريف.

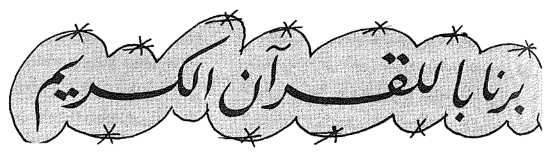
٣ ـ ان هذا الاتفاق بينه وبين القرآن قد أدى إلى ادعاء بعض النصارى بأن واضع هذا الانجيل كان عربيا مسلما.

■ **ولنقف فى عجالة على مجمل ما وافق فيه هذا الانجيل القرآن الكريم :**

(١) نفى بنوة المسيح:

ويتضح هذا مما جاء فى هذا الانجيل حيث قال: «أيها الأعزاء: إن العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم، والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة ليضل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله»[١].

وهذا موافق لصريح قوله تعالى: **﴿ذلك عيسى**



ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ (سورة مريم آية/ ٣٤، ٣٥) .

(٢) نفى التثليث:

ينقل برنابا حوارا دار بين أحد الكهان وعيسى عليه السلام يسأل فيه الكاهن قائلا بأن اليهودية قد اضطربت لآياتك وتعليمك حتى انهم يجاهرون بأنك أنت الله . . . فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بازالة الفتنة التى ثارت بسببك لأن فريقا يقول انك الله وآخر يقول انك ابن الله ويقول فريق آخر انك نبى .

●● أجاب يسوع : «وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لا تخمد الفتنة ، وهل جننت أنت أيضا!! وهل أمست النبوات وشريعة الله نسيا منسيا . . . انى أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنى برىء من كل ما قال الناس عنى من أنى أعظم من بشر لأنى بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام[٢].

■ والقرآن الكريم ذكر ذلك ووضحه فى أكثر من آية - ففى سورة المائدة يقول تعالى : **﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾** (سورة المائدة آية/ ١١٦، ١١٧) .

وفى موضع آخر يقول تعالى : **﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾** (سورة المائدة آية/ ٧٢) .

وقال : **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾** (سورة المائدة آية/ ٧٣، ٧٤) .

(٣) نفى صلب المسيح عليه السلام:

ينفى انجيل برنابا أن يكون المسيح قد صلب ويرد الملابسة الى وجه الشبه الذى كان بين عيسى ويهوذا ، فالذى صلب هو يهوذا ، وليس المسيح فظن الناس أن الذى صلب هو عيسى عليه السلام لأن «صورة يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع ، كذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبيا كاذبا ، وانما الآيات التى فعلها بضاعة السحر لأن يسوع قال انه لا يموت الى وشك انقضاء العالم لأنه سيؤخذ ذلك الوقت من العالم»[٣] .

■ وفى نص آخر يقول : «الحق أقول لكم انى لم أمت بل يهوذا الخائن احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم[٤]» .

أما القرآن فمعروف أنه قد عرض لهذا الأمر ونفى أن يكون المسيح قد صلب بصريح الآية الكريمة **﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾** (سورة النساء آية/ ١٥٧، ١٥٨)

(٤) عودة المسيح عليه السلام:

وبما أن المسيح لم يصلب ولم يمت - بل رفعه الله اليه - فهو إذاً سوف يعود فى آخر الزمان وهذا تقرره الآية الكريمة فى سورة النساء حيث يقول تعالى : **﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾** (سورة النساء آية/ ١٥٩) .

■ وهناك أحاديث تذكر ذلك وتبين بأن عيسى سوف ينزل فى آخر الزمان ، منها على سبيل المثال حديث ابى هريرة رضى الله عنه الذى يقول فيه : سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفسى بيده لينزلن عيسى بن مريم اماما مقسطا، وحكما عدلا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليصلحن ذات البين، وليذهبن الشحناء، وليعرض المال فلا يقبله أحد، ثم لئن قام على قبرى وقال: يا محمد، لأجيبنه . . رواه البخارى ومسلم(*).

وهناك أحاديث كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

● وهذا الموقف من عودة المسيح ليتفق تماما مع ما جاء فى انجيل برنابا الذى يقول فيه «**اتحسبوننى أنا الله والله كاذبون لأن الله وهبنى أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم كما قد قلت لكم**»[٦].

(٥) الاعتراف بنبوة محمد ﴿ﷺ﴾ والتبشير به على لسان المسيح عليه السلام:

هناك نصوص فى انجيل برنابا تبشر بنبوة محمد ﴿ﷺ﴾ فمرة تصرح بأنه محمد وأخرى تقول بأنه رسول الله وثالثة تذكر بأنه محمد رسول الله.

●● ففى النص الأول ـ يقول برنابا على لسان المسيح: «ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا يا محمد ليكن الله معك وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك»[٧].

●● وفى النص الثانى يقول: «لست أهلا أن أحل رباطات جرمون أو سيور حذاء رسول الله الذى[٨] تسمونه مسيا الذى خلق قبلى ويأتى بعدى».

■ وفى النص الثالث يقول: «سأل التلميذ يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه الذى يأتى الى العالم؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب: انه محمد رسول الله»[٩].

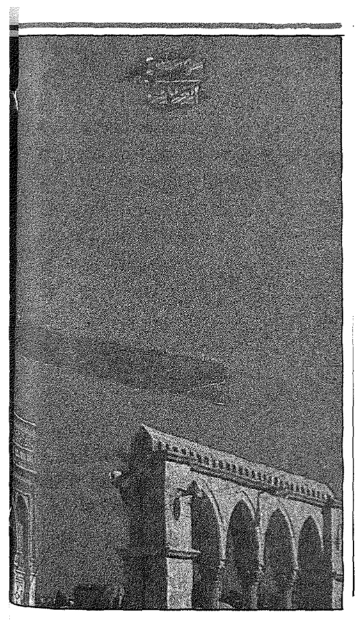
وكذلك القرآن الكريم ذكر بأن عيسى عليه السلام قد بشر بمحمد ﴿ﷺ﴾ حيث قال تعالى: **﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوارة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾** (سورة الصف آية/٦)

■ إذا فالقرآن شاهد بأن أهل الكتاب من يهود ونصارى كانوا يعرفون ذلك لدرجة انهم كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، وهذه النصوص تدل دلالة واضحة على صدق ما أثبته برنابا فى انجيله الذى كتبه عن عيسى عليه السلام.

(٦) اثبات أن الذبيح اسماعيل عليه السلام وليس اسحاق:

الموافقة الأخيرة وتقوم على اثبات أن الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق كما تدعيه كتب النصارى واليهود المحرفة أما انجيل برنابا فجاء فيه ما نصه:

«الحق أقول لكم اذا أمعنتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا لأن الملاك قال يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله . . . خذ ابنك البكر، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة، فكيف



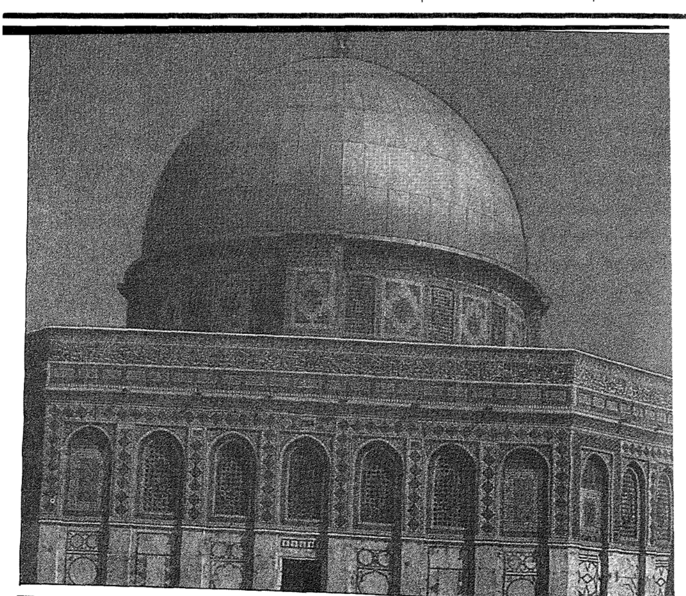
يكون اسحاق البكر؟ وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين»(١٠).

وهـذه المـوافقـة لم يذكـرها القرآن صريحة باسم اسماعيل ولكن ذكرت هناك نصوص نبوية تدل على ذلـك وتبين بأن الابن الوحيد الذى قدم للذبح هو اسماعيل وليس اسحاق.

■ وبعـد فهذه جملة من الموافقات التى نجدها بين انجيل برنابا والقرآن الكريم ومنها نعلم السبب الذى من أجله حرمت الكنيسة ومجامعها البابوية تداول هذا الانجيل ـ بقى أن نلاحظ أن منزلة برنابا فى المسيحية من حيث المكـانـة والـزمن والثقـافة اكبر وأقدم من مرقص ولوقا ويوحنا ـ لأنه كان استاذا لمرقص واماما لبـولس حسب النصـوص المروية عن أنـاجيلهم ورسـائلهم. وبعـد، فلعل هؤلاء القوم يهتدون ولا يغلقون القلوب والضمائر والعيون عن أنوار الحقيقة، وان لم يسلموا فالحق فى ذاته شىء والهداية أمرها اولا واخيرا الى الله رب العالمين، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) انجيل برنابا ص ٣٧ مطبعة دار القلم ترجمة خليل سعادة.
(٢) انجيل برنابا ـ الفصل ٩٣ من فقرة ١٨ حتى ٢٣ ـ والفصل ٩٤ من فقرة ١، ٢.
(٣، ٤، ٧) نظرات فى انجيل برنابا ـ محمد على قطب ص٦٠.
(٥) البخارى ٤/٣٤٣ ومسلم ٢/١٨٩، ١٩٢.
(٦) نظرات فى انجيل برنابا ص٦٠.
(٧) انجيل برنابا الفصل ٤٤ فقرة ٣٠.
(٨) انجيل برنابا ـ الفصل ٤٢ فقرة ١٥.
(٩) ما هى النصرانية ـ محمد تقى النعمانى ص ٢٣١
(١٠) انجيل برنابا الفصل ٤٤ فقرة ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١.







● غلاف كتاب الشذرات

بقلم: د. أبي حسام

الاديب والمفكر صاحب المنهج الملتزم، ينسحب التزامه هذا على انتقائه للكلمة التى ينشرها، ذلك لانه يود للقارىء والمتلقى الاطلاع على الافضل والاجود.

والاستاذ الدكتور (أبو حسام) - ونحن نحترم رغبته الكريمة فى عدم ذكر اسمه - من هؤلاء النفر الذين خدموا الكلمة فى منهجيتها الصادقة الفاعلة.

(شذرات الذهب)عنوان نشر تحته الشاعر الكبير الاستاذ احمد بن ابراهيم الغزاوى ما ينيف على ألفي شذرة، فى الادب والتاريخ، والحكمة، والطرفة، والشعر واللهجات، والعادات، والتقاليد، وغيرها.. وقد استمر نشرها متتالية فى مجلة المنهل على مدى يقارب نصف قرن من الزمان.. وقد جمعتها دارة المنهل للصحافة والنشر وطبعتها فى مجلد يقرب من الف صفحة.

واستاذنا الدكتور (ابو حسام) اطلع على هذه الشذرات وأعجب بها، ورأى - مشكورا - إ فادة للقارىء - ان يواصل هو الكتابة تحت هذا العنوان ذاته (شذرات الذهب) مؤثرا بهذا العمل الجليل مجلته المنهل.

والمنهل يقدر لابى حسام هذا الجهد الطيب وهذا الاخلاص والوفاء المتجرد لمنهله، وللقارىء، وللكلمة الطيبة.

١ - العلامة الغزاوى

أثبت الشاعر الكبير الاستاذ احمد بن ابراهيم الغزاوى أنه علامة حقا، بما دبج تحت هذا العنوان بمجلة المنهل من غرر لامعة، تطوف فى شتى فنون الفكر العربى من أدب وتاريخ وسيرة واجتماع وفلك وأحياء إلى مالا أستطيع إحصاءه، وقد اكتمل تراثه الحافل من الشذرات فى مجلد ضخم شارف الألف من الصفحات فأحسنت مجلة المنهل أكبر الاحسان حين جمعت هذه الفرائد الغالية فى عقد ثمين، بل فى عدة عقود، وقد رأيت من الأنسب أن نحيي ذكرى الرجل الفاضل باحتذاء صنيعه، فنحاول أن نعيد عنوان (الشذرات) لنصل ما انقطع من الحديث، ومن يدرى فقد يأذن الله فتمتد هذه الشذرات حتى تأتى بكتاب تال، وهو أمل عزيز.

٢ - انفراد الشذرات

وقد انفردت الشذرات عن شبيهاتها المماثلة فى التراث الأدبى، بأنها لم تقف عند الأدب وحده، لأن أكثر المجموعات التى نحت هذا المنحى فى القديم - وفى أكثر الحديث - قد جعلت أخبار الشعراء مع الملوك والرؤساء موضع الاهتمام، فإذا توسعت وجاوزت هذا النطاق فإنها تمتد إلى مفاكهات

ـذرات الذهب

الأسمار، ونوادر الطرف، وأقاصيص الندماء عن التطفل والحمقى والبخلاء ومن يجذبون الناس بأفاكيههم المستطابة، أما شذرات الغزاوى رحمه الله فقد وصلت الماضى بالحاضر، وجاوزت الأدب إلى الدراسات الفكرية المتشعبة لتمتص منها ما يقدم فى طبق شهى بعيداً عن المصطلحات والمحترزات، وقد امتد عمر الغزاوى فأدرك من المشهورين والمغمورين من حفظ عنهم شتى المواقف، وله ذاكرة جيدة تسعفه بما كان فى الزمن البعيد، كأنه حادث الساعة، ومؤرخ هذا العصر إذا أراد أن يكتب تاريخ الحجاز، وأن يحيط ببعض نوادر أعلام من رجال السياسة والأدب، فلابد أن تكون (شذرات الذهب) من مراجعه، لأن الذى يكتب تاريخ العباسيين مثلا لا يقتصر على كتاب الطبرى فى تاريخ الدول وأضرابه، بل لابد أن يرجع الى مثل البخلاء وعيون الاخبار والفرج بعد الشدة من كتب الأسمار والنوادر وما يسلك هذا السبيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الأستاذ الكبير نبيه الأنصاري - حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فأشكركم أجزل الشكر على تكرمكم بإهدائي

(شذرات الذهب) للشيخ الغزاوي رحمه الله، وهو كنز ثمين فمنكم مشكورين بجمعه

وسيبقى قارورة عطر على الأيام

وأحب بهذه المناسبة أن أقدم لكم اقتراحاً هو هذا

أن يبقى هذا العنوان دائماً بمجلة المنهل، وأقوم بتحريره تطوعاً دون مكافأة

مادية، وباسم مستعار أيضاً هو (أبو حسام) فإذا رأيتم لهذا الاقتراح فكرموا

بإخباري مشكورين ... وما أريد إلا أن يستمر عبير هذه الشذرات

ودمتم وتقبلوا فائق احترامي

أخوكم أبو حسام

● رسالة الاستاذ الدكتور (أبي حسام).

٣ - نقل الأديب

وقد أشارت كلمة الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصارى التى عرفت بالشذرات فى الغلاف الاخير الى (نقل الأديب) التى كان ينشرها أديب العربية الكبير الاستاذ محمد إسعاف النشاشيبى على صفحات الرسالة، وهى إشارة نابهة تذكر بعمل مشابه، وقد وعى النشاشيبى كنوز العربية وعيا حصيفا فأخذ يقطف من روائعها، وقد امتازت (نقل الأديب) بحواشيها الهامشية، إذ كان صاحبها بارعاً فى أفانين العربية من نحو ولغة وبيان، فكان ينتهز الفرص فيكتب فى الهوامش نبذا دقيقة ويحتفل بها كبار العلماء لأنها لا تتاح إلا لماهر غواص.

وكانت هذه النقل قبل نشرها فى مجلة الرسالة، عدة أمليات مختارة جمعها النشاشيبى من الكامل والأمالى والعقد وأضرابها، وقدمها هدية إلى الأديب السورى الكبير الاستاذ خليل مردم فشغف بها حبا وكتب للاستاذ النشاشيبى هذا الخطاب بعد الديباجة[1].

«كنت أحسب أن هدية الاستاذ (نقل) كاسمها، فاذا هى سحر وخمر ونقل، وذلك أن عنوانها يستدرج القارىء ويوهمه أنه نقل

هذا الكتاب

- هذه الشذرات تصدر بعد ترقب طال وفي مناسبة الذكرى السابعة لوفاة راقمها (حسانها الكبير) معالي الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي رحمه الله. تشرّفت بجمعها وإعدادها وفهرستها مؤسسة أدبية خاصة، وطرحها بهذه الصورة وبهذا التبويب الذي يسجل مسطرة نشرها في مجلة المنهل السعودية قرابة نصف قرن بعد أن أمل نفر من أهل الفضل والعلم والأدب الموثوق بهم أن تكون كذلك بعيداً عن صنعة الفصول والأبواب.
- والشذرات بحقها وألوانها ثم تعليقات صاحبها تمثل دوحة فيحاء في رياض الأدب تومئ في مردودها عن أقاويل الفكر وتنبئ في مكنونها عن أفانين المعرفة
- وصاحب الشذرات بأصالته ويراعه الفياض وثمار قريحته الخصبة يأتي في مقدمة الرعيل الأول بين كبار أدبائنا ممن ولدت الحركة الأدبية الحديثة في مهود قرائحهم وبطون أقلامهم. ولهذا عُدَّ «شيخاً للأدب السعودي» ولقب به الى جوار الألقاب الأدبية التي يستحقها - فعلا - والتي كانت علماً عليه وجرت على ألسنة الناس
- وحسبنا أن نذكر - هنا - لاحصاء هذه الشذرات والجمع بقراءاتها والبحث عن معينها المتدفق والذي حاكت به كتاب (شذرات الذهب) لمؤلفه المؤرخ الحصيف «ابن العماد» والتي فاقت به - كيفا وكما - ما كان يطرزه الاستاذ الأثير (محمد اسعاف النشاشيبي) في مجلة الرسالة
- ويكفي أن نعلم هذه الحصالة عقولة الاستاذ «عبد القدوس الانصاري» صديق صاحب الشذرات الذهبية وأليفه ورفيق دربه وحواره بلون «إن للموضوعات القيمة التي يطرقها بذهنه اللماح رهنا ونورا مبا كشافا وتوجيهات وتنبيهات قيمة تغذي الشباب بغذاء دسم لذيذ وتحوي من عوامل الاصلاح المنشود شذرات ذهبية رائعة»
- وختم الشكر والتقدير لأسرة الفقيد التي أجازت وباركت هذا الإصدار محققة بذلك رغبة المغفور له العميد الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي - رحمه الله - في جمعها وإصدارها كتابا مستقلا يصدر عن المنهل

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري
صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل
المملكة العربية السعودية - جدة

● الغلاف الأخير من كتاب الشذرات

فكه ليس غير، وهذا لعمرى أول أبـواب السحـر، فإذا جاز هذا البـاب، أو جازت عليه تلك الحيلة، وجـد نفسـه فى روضـة فردوسية بين أقداح ونقل، فالنقلة تغرى بالقدح، والقدح يستدعى النقـلـه، وهكـذا دواليك حتى تستخفـه نشـوة الطرب وتتلاعب بنفسه ولبه.

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا
جبـال حنـين ما سقونى لغنت

فيا ليت شعرى كيف يستجيز من حرم الصهباء على نفسه أن يغوى الناس بالخمر ويفتنهم بالسحر.

٤ ـ نقـل الحـبيب

وقد اهتم بطرائف النشاشيبى فى نقله، كثير من أدباء العرب، وحـاكـوه فى اختياراتـه، وأذكر أن وزير القلم التونسى العالم الشهير حسن حسنى عبد الوهاب، أخذ ينشر فى مجلة (الجـامعـة) التونسية شذرات مماثلة وقد استهلهـا بهذا الاهداء: «الى سيد الكتاب، ومحى الاداب العـلامـة الكبـير محمـد إسعاف النشاشيبى أدام الله حياته» فبعث إليه النشاشيبى بخطاب قال فيه[٢]:

«نقل الأديب للنشاشيبى ما هو إلا من ذلـك الميراث القـديم العظيم، وقـد ورث الاستـاذ كما ورثـت وعـرف من قدر ما ترك الأكـرمـون الأولـون مثـل الـذى عرفت، بل أكثر مما عرفت، وما أنا بالمستـأثـر بكنـوز القـوم، ومـا أنا بالمستبد، وما أنا بالوارث الأوحد،


النشـاشيبى

نبيـه الانصـارى

وإن هذا المال الموروث لدثر كثير، ولكـل فى التدبير والتثمير والانفاق منه طريق. . وليست تسميته ولده ـ وكتـاب المرء ولده المخلد ـ باسم ولـدى، (وقـد زيد الحبيب) إلا تواضـعـاً، والـعـلماء الـكبـار يتـواضعـون، وعـزوه الفضـل إلى بإظهاره تلك الطرائف التونسية هو أدب نفسى، فمـرحبا مرحبا بنقل الحبيب إلى الأديب.

٥ ـ امالــى الازهــر

كان الـواعظ الشهـير الأستـاذ سيد رجب مشرفـا على تحرير مجلة (الايمان) التـى سميت فيها بعـد بمجلة (نـور الاسـلام) وقد جعل يقدم فى كل عدد طرائف ممتازة تنحو منحى الشذرات والنقل، مع فارق واضـح، هو أن الشذرات والنقل كليهما لا يتقيدان بموضوع واحد فى الفصل المستقل، أما أمالى الأزهر فكان صاحبها يتقيد بموضوع واحد يجمعـه من شتى المصادر، ويسوقه مساق الأخبار المطردة، ولو جمعت هذه الأمالى فى كتاب لهدت إلى خير كثـير، وقـد كانت المجلة محدودة الانتشار فلم تذع هذه الأمالى ذيوع الشذرات والنقل، كما أن الاستاذ سيد رجب رحمـه الله كان يبـدي علمه، ويخفي اسمه، على عكس من يملأون الصفحات بما لا يفيد ثم يمـهـرون كلامـهـم بأضخم الألقاب وأطول الأسماء! وأما الزبد فيذهب جفاء.

٦ ـ حديقـة الخطـيب

من أعـظم روائـع المختـارات الـذهبية ما جمعـه الكـاتب الكبير الاستـاذ محب الـدين الخـطيب فى سلسلة الحـديقـة وقـد صدر منهـا أربعـة عشر جزءا من اللبـاب الخـالص أدبـاً وتـاريخا وتـوجيهـا وحكمـاً بالغـة، وقد قال فى الجزء الاول إنه يقرأ قطعاً جليلة من شعر متخـير، أو نثر مصطفى أو حكمة توحى بها حقائق الحياة فيتمنى أن تجمـع هذه النـوادر فى كتب سهلة المأخذ تكون مسلاة وموعظة وعوناً للنهضـة الأدبية فى تهذيب النفس لذلك أخذ يجمع هذه النوادر لتؤدى

رسالتها أدبيا وإسلاميا.

وفى سلسلة أجزاء الحديقة مقالات طويلة، وقصائد رنانة، حيث لم يكتف الخطيب بالشذور وحدها، وقارىء هذه المقالات يجد بها لذة النادرة، ودسامة المقالة، لأن المنحى التوجيهي لدى الخطيب أوحى إليه الا يكتفى بالنجوم دون الشموس.

ومازالت الحديقة تصدر قوية بشذراتها ونوادرها ـ أمدا طويلا ـ فلاقت إعجاب القراء، وتحدث الاستاذ محب الدين الخطيب فى مقدمة الجزء الثالث عشر من الحديقة فقال:

إنى بما أصدرت من أجزاء الحديقة حتى اليوم قد أقمت البرهان على خطأ من يذهب إلى أن قراءنا لا يحفلون بكتب الأدب ما لم تكن لسان الهوى، وصناجة الهزل، فعلم من لم يعلم أن قراء العربية أكرم نفوساً، وأقوم أخلاقا مما وصمهم العابثون، فالحمد لله على ذلك.

٧ ـ الذخائر والعبقريات

ومن هذا الوادى ما حمله الاستاذ الكبير عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان فى سلسلة الذخائر والعبقريات.. ومجلة البيان هى التى أنشأت جيل العقاد والمازنى وشكرى والسباعى وصال فى أرجائها الرافعى صيال الفارس المغوار، وقد نشأت فى وقت لم يكن فيه للأدب الخالص ظهير يؤيده، فكابد البرقوقى فى سبيل استمرارها عناء باع معه ما ورثه من عقار والده على كثرته، لأن الأديب الجاد يفلس ويضيع، أما الذى يستهوى القراء بنزوات اللهو وروايات الجنس، فيشترى الضياع ويبنى القصور، وشرح البرقوقى لديوان المتنبى شاهد بفضله، حيث جمع فيه خلاصة ما تقدم من الشروح مع إضافة ما فتح الله عليه.

أما الذخائر والعبقريات فموضع النقد فيها أنها احتفلت بذخائر الاقدمين فقط، ولم يضف من ثمار المعاصرين ما يمد المجرى العذب فى النهر الصافى الرقراق، وفي الأدب المعاصر كنوز تقف مع كنوز التراث دون أن تتخلف عنه، ونوادر البشرى والبابلى وحافظ والمويلحى ليست بأقل من نوادر أبى العيناء والجاحظ وأبى حيان، وهذا ما فطن إليه الغزاوى ومحب الدين الخطيب، أما النشاشيبى فقد سار مع البرقوقى فى العكوف على آثار السابقين، والفائدة محققة فى كلا الاتجاهين دون نزاع.

٨ ـ الأنابيش

ظهرت مجموعة (الانابيش) فى أكثر من عشرة أجزاء وهى شذرات أدبية مماثلة جمعها الاستاذ عبد الرحمن الضبع، ولكنه لم يكن القائم على اختيارها، إذ طلب من القراء أن يوافوه بما يعرفون من النوادر، لينشرها بجريدة المصرى حينئذ، ثم يعقب عليها، فانهال عليه سيل زاخر من محبى الطرف، وقد يتفق عشرة من المراسلين على نادرة واحدة، فتكتب بأسمائهم جميعا، وتوالت الرسائل حتى ظهرت الاجزاء المتعاقبة فى زمن محدود، ولولا احتجاب جريدة المصرى لاتصل السيل الى أبعد مجراه، وكان من مراسلى هذه الأنابيش نفر من ذوى الاقلام المشتهرة، والصيت المدوي مما يؤكد أن جد الطرائف الأدبية متأصل فى كل نفس، وأذكر أن الشاعر الكبير الاستاذ حسن القاياتى أطرف الأنابيش بهذين البيتين:

تهانى الشعر يا مصر فعيشى حرة عيشى

كفى بحاثنا مجدا سمو فى الأنابيش

٩ ـ عود إلى الغزاوى

لم أحظ بلقاء الشاعر الكبير أحمد بن ابراهيم الغزاوى إلا مرة واحدة، حيث عرفت مصابه فى زوجته الراحلة، فتقدمت لتعزيته مع صديق من كبار الأدباء فى المملكة، وكان الرجل متماسكا عامر القلب بالايمان ولكنه شكا هجوم المحدثين من النقاد على شعره، وقال إنه يبارك الجيل الجديد من الشعراء، ويتمنى أن يعيدوا للمملكة عهود السالفين من شعراء الجزيرة الكبار، ولكن احترام الآباء واجب الأبناء، فقلت له إن شوقى أكبر شعراء العصر قد تعرض لمعارك

فضلا ـ البقية ص١٣٨

الهوامش

(١) مجلة الرسالة العدد ١٩٧ سنة ١٩٣٧م.
(٢) مجلة الرسالة العدد ٢٣٠ سنة ١٩٣٧م.

مسرحية أهل الكهف بين الإيحاءات الدينية والخلفيات

يمثل المرحوم توفيق الحكيم، علامة متميزة على الخريطة الثقافية للوطن العربى، وقد عرف توفيق الحكيم بغزارة عطاءاته وخصوصيتها وتنوعها، إلى جانب موسوعيته التي أهلته لأن يكون محط دراسات وأبحاث تتقاطع فيها بينها على مستوى إبراز الدور الريادي الذي أداه الرجل في أكثر من جنس أدبي. وهو بهذا يكون قد حطم خرافة «التخصص» الذي تدعو إليه بعض الفعاليات الثقافية العربية، في الوقت الذي تدعو فيه جهات أخرى إلى تجاوز مسألة «الأجناس» في إطار لحمة إبداعية تتداخل فيها مختلف مكونات الخطابات الأدبية.

إن اختيارنا لموضوع له صلة بالمرحوم توفيق الحكيم، يتأسس على الاعتبارات السالف ذكرها إضافة إلى أن توفيق الحكيم ـ فى زعمنا ـ لم يقدم إلى القارىء كفاية باعتباره من خاض فى التجريب بدءاً من «يا طالع الشجرة». وتعاملنا مع أهل الكهف أساسه معرفة مدى استفادة الحكيم من تقنيات توظيف التراث.

لقد تم الاجماع فى النقد المعاصر ـ الغربي تحديدا ـ على أن العنوان يعتبر وحدة دلالية صغرى، لابد أن تجد لها ظلالا في النص باعتباره جماعاً دلائليا لما يمكن أن يوحي إليه العنوان.

إن عنوان المسرحية «أهل الكهف» يشير صراحة إلى مرجعية لها قدسيتها ألا وهي القرآن الكريم. وبالتحديد سورة الكهف ـ فى الحزب الثلاثين، ولعل ما يرسخ هذه المسألة هو استهلال توفيق الحكيم مسرحيته بالآية الكريمة **﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾**.

فهل يتعلق الأمر باستحضار بعض المضامين القرآنية وتضمينها للكتابة الدرامية؟ ألا يمثل ذلك حساسية نقدية بخصوص طرائق التعامل مع القرآن كتمثل رمزي ذكي وليس استنساخا؟.

ولعله من المفيد استحضار آراء مجموعة من النقاد، باعتبارها إضاءات ملحاحة في أفق فهم السبب الذي من أجله سمى الحكيم مسرحيته هذه «أهل الكهف».

يقول حلمي محمد القاعود معلقا على الآية القرآنية التى تصدرت المسرحية: «وهذه الآية الكريمة توحي بأن الحكيم يعالج القصة من خلال منظور إسلامي بالدرجة الأولى، مع تصرف يسير فى حركة الشخوص (. . .) يجعل من المسرحية عملا فنيا مقبولا، لكن المسرحية لا توحي بمعالجة إسلامية»[1]. وفى هذا السياق نجد الاستاذ محمد علي حماد يقول: «شاء المؤلف أن يتخير أهل الكهف» عنوانا لقصته وقد شاء النقاد مالا يشاء المؤلف وقد تشاء القصة مالا نشاء نحن جميعا: سمها إن شئت «أهل الكهف» وسمها إن شئت «الحب» و«الزمن» أو «القلب» أو «العقل» أو «البعث» أو ما شئت من الأسماء فهي خليقة بأن تسمى بشىء من هذا كله»[2].

ولعل الحكيم بقوله المفصل حول ملابسات وظروف كتابة المسرحية، يكون قد مد القارىء بأكثر من إضاءة. . يقول: «إن أهل الكهف كتبت في أعماق نفسي منذ سمعت سورة الكهف تتلى يوم الجمعة فى المسجد وأنا صغير (. . .) وأشاهد أصحاب الكهف جالسين القرفصاء ولا كلبهم ككل

لتوفيق الحكيم الفكرية والفنية

بقلم: د. أحمد هيبة - المغرب -



الكلاب»[٣]، ويعترف الحكيم فى جانب آخر صراحة بأن الخيوط الفنية الأولى لهذه التجربة الدرامية كانت تعتمل في داخله وهو ما يزال بعد طفلا.

يتضح مما سبق، أن أهل الكهف كمسرحية ولدت كفكرة فى مناخات دينية (المسجد) غير أن توفيق الحكيم بما أوتي من مهارات وقدرات فنية، استطاع أن ينحو في (أهل الكهف) منحى يؤصل تجربته المسرحية.

وقبل أن نعالج المسرحية من خلال مكوناتها كإجراء تيسيري لانخراط القارىء معنا فى تفكيكها، يجمل بنا أن نؤكد مع بول شاوول على أن «النص المسرحي العربى قد يكون من أكثر العناصر المسرحية التي تشكو خللا تاريخيا: مزمنا، وثابتا في الايقاع، وربما أكثر من الاخراج والتقنيات. . ولذلك أسباب كثيرة، أبرزها تقاطع النص المسرحي العربى مع الأدب، وتاليا تقاطع الكاتب المسرحي العربى مع الأديب والشاعر، أي تقاطع نوعين إبداعيين مختلفين أساسا فى البنية والدلالة والهاجس والايقاع»[٤].

نستحضر هذه القولة لدلالتها على صعوبة تفكيك النص الدرامي دونما التباس على مستوى الأدوات الاجرائية، وكخطوة أولى، نحاول أن نتلمس الفكرة التي تمحورت حولها الكتابة الدرامية في «أهل الكهف» وإن كنا نعتبر أن كل تجزيىء لأى نص إبداعي مهما كان حجمه وكيف كان جنسه، اغتيال لمعانيه، وفى هذا الاطار يرى حبيب الزحلاوي أن فكرة «أهل الكهف» مستلهمة لا محالة من قصة، يقول حبيب «أليس من المحتمل كثيرا أن الذى أغار على فكرة رواية بأكملها، ونقل أبطالها ومواقفهم وأحاديثهم أن يكون استعار تقسيم الفكرة على هذا النحو البارع ووصف وقعها فى نفوس ثلاثة من الرجال، لكل واحد رأيه وتقديره وحكمه الخاص، وألبسها ثوبا قشيبا اسمه «الزمن»[٥].

■ إن أهمية الكتابة الدرامية التي نحن بصددها، تتمثل فى كونها تتخذ من إشكالية الارتداد إلى الماضي بزعم أو آخر، المضمون العام الذى ينهض عليه البناء الدرامي للمسرحية، وهكذا يمكن أن نستشف أن أهل الكهف «هم أصحاب الفكر الجامد، الذين يعتبرون كل تحول أو تغير «رجسا من عمل الشيطان» أو «بدعة». وهم بذلك لا يتهاونون فى اعتراض سبيل أى فكر تجديدى.

الحدث والبناء فى أهل الكهف:

فى أى عمل أدبي، يكون للبناء أهميته من حيث هو اختيار فني. . وهو وعاء يضمنه الكاتب مضمونا أو مضامين يراها أساسية فى عملية مساءلة الواقع وخلخلة بعض الأفكار المتجاوزة، وهكذا يرى محمد على شمس الدين، الشاعر اللبناني، أن «هناك علاقة جدلية بين الحدث فى الواقع، وإيقاعه فى الكتابة»[٦].

أما توفيق الحكيم فيقول بخصوص البناء: «إذا ملك أديب مسرحي ناصية الحوار، فما الذى يبقى أمامه لينشىء مسرحية؟ لا شيء أمامه غير أن يشرع

فى البنـاء. ذلـك أن المسرحية كيان مبني: أى قائم بعضـه فوق بعض، ومـرتبط جزؤه بكله فى منـطق ونظام، هذه الأجزاء التي يضمها هذا البناء، تتكون منها مراحل ثلاث: العرض فالعقدة ثم الحل. أما العرض فمهمته تقديم الأشخاص وطيف الحادثة، التي ستتضـح ملامحها فيما بعد، وتتعقد، ثم تنفرج عن الخاتمة»[٧].

انسجـاما مع رأي الحكيم، يمكن لنا أن نقدم للقارىء ملخصا للحدث المسرحي على النحو التالي:

ثلاثـة رجال كانوا نياما فاستيقظوا تحت أجنحة الـظلام، ويتحاورون فيما بينهم.. ومن خلال سير الحـوار تتكشف بنية الـزمن وانتمـاؤهم العقـدي (مسيحيون) من عهـد «دقيانوس» الوثني وهوملك، فيما كان «مشلينا» و«مرنوش» يشغلان منصب وزيرين عنـده، وعنـدمـا انكشف أمر دينهما، فرا إلى كهف قادهما إليه الراعي يمليخا مرفوقا بكلبه.

وداخـل الكهف، يستعـرضـان ذكـرياتهما قدام الراعي، فيتضح أن (مرنوش) متزوج وله ابن، وأن زواجه كان خفية. أما مشلينا فقد تأكد أنه يحب ابنة الملك «دقيانوس». أما الراعي، فحدود طموحاته هي توفير الطعام لغنمه وهذا ما يدفعه الى مغادرة عالمه/ الكهف.

وفعـلا يخرج يمليخـا، وبخروجه يخرج مرنوش ومشلينا إلى الحياة، فتكون فرصة لاتصالهما بالناس، فيما الـزمن لا يسـترسـل فى خط بياني، بل ينكسر ليتداخل الماضى والحاضر.

ويكشف الفصـل الثانى من المسرحية عن نقلة نوعية على مستوى الأحداث والمكان. ينقلنا الحكيم فى هذا الفصـل إلى القصر، حيث تظهـر شخصية متنـامـية جديدة هي «بـريسكـا» ابنـة الملك «تيزوسيس»، والـواقـع أن ظهـور «برسيكا» أعطى المسرحية نفحـة جديدة على مستـوى ربط الحـاضر بالمستقبل، إن «برسيكا» تخبر «غالياس» أنها رأت فى نومها نفسها تدفن حية، ويرد عليها «غالياس» بأن عرافـا تنبـأ يوم ولادتهـا بأنها ستتشبـه جدتهـا الأميرة «بريسكا» ابنة «دقيانوس» الوثني.

فى هذه الأثناء يدخل الملك فيأمر بإحضار هؤلاء القـديسـين بعـد أن يخبره «غـالياس» بأن المصـادر القديمة تتنبأ بظهورهم، ويرحب بهم، فينشأ بينهم حوار تتصـادم فيه عقيدتان: المسيحية وعقيدة أهل الكهف الذين زعموا أنهم لم يناموا إلا يوما أو بعض يوم.

بعد لحظات، يدخل الراعي مذعوراً باحثا عن رفيقيه ليقص عليهما موقف العالم الجديد منه وسرعان ما يصطدم الراعي بمرنوش الذى رماه بالجنون، أما مشلينـا فكان لحظتها قد استكمل زينته وأندمج فى العصر الجديد دون أن يتنكر للقرون التى مضت من عمره، وبالنسبة للراعي يمليخا، فإنه لا يرى مبرراً لارتباطه بهذا العالم الجديد.. لهذا فإنه يعلن قطيعته به.

■ ويشرع الفصل الثالث ببهو الأعمدة، حيث يحاور «مشلينـا» «غـالياس» الـذى لا يتـورع عن تلقيبـه القـديس، سائـلا إياه عن موعـد قدوم بريسكـا للقائه.. فى الوقت ذاته، يقبل مرنوش منهكا متذمرا فيخبر رفيقه «مشلينا» بأنه لم يجد زوجته وابنه، بل إن بيتـه لم يعد له وجود، فقد انمحت آثاره وحل محله سوق الأسلحة وأخبر أن ابنه مات فى سن الستين بعد أن قاد جيوش الروم الى النصر.

وتبـدو آثـار الغرابة على «مشلينا» الذى تردد فى هضم هذا الخبر، غير أنه اعتبر لغة الأرقام لا تأثير لها فى إحساسه ما دامت حبيبته متشبثة بمبدأ الحياة، أما «مرنوش» فقد التحق «بيمليخا» لأن قلبه مات بموت زوجه وابنه مؤمنا بأن انفصال الحياة عن الماضي أقل من العدم.

ويخرج مرنوش لتدخل بريسكا، فتضع بدخولها حدا لأحزان مشلينا من جراء غياب صديقه فيخاطبه اعتقـادا منـه أنها معشـوقتـه السابقة، لكن بريسكا تستغرب لقوله مما يدفعه إلى اتهامها بالخيانة، ويجري بينهما حوار ينكشف من ثناياه سر جديد: أن مشلينا هو زوج جدتها وأنها سميت ببريسكا لشبهها بالجدة.

غير أن مشلينا يتشبث ببريسكا الحفيدة باعتبارها

تمثل الرمز أو التمثال للعشق المفقود، غير أن بريسكا الحفيدة ترفض هذا الواقع، وهنا فقط يصاب مشلينا بصدمة على المستوى النفسي، فيعترف بالهوة السحيقة الموجودة بينه وبين بريسكا، وفي حمأة هذه الأحداث ذات البعد التراجيدي، يلفظ «يمليخا» أنفاسه فيحاول مشلينا إثارة انتباه مرنوش إلى معالم الحقيقة الجديدة لكن هذا الأخير، يصم أذنيه عن السماع.

في هذه اللحظة، تدخل بريسكا الكهف/ العالم الآخر في نوع من التحدي لذاتها وكأنها جاءت لتمد مشلينا بآخر بريق من الأمل.. ولكن هذا الاخير، تكون قواه قد خارت لحظتها.. ويظهر «غالياس» الذى يأمر الأميرة أن تختبىء من أهل المدينة الذين جاءوا لبناء المعبد، تخرج الأميرة برفقة غالياس الذى هم بتوديعها، لكنها توصيه إن ردد الناس حكايتها، أن يؤكد لهم أنها لم تكن قديسة، ولكنها كانت امرأة تعشق، وتنتهي المسرحية بهذا المشهد الذى يؤشر على انتصار الحب، ودخوله فى مصالحة مع الزمن.

تقنية الحوار فى أهل الكهف:

يقول توفيق الحكيم فى شأن الحوار داخل البناء المسرحي: «إذا ذكرت المسرحية، ذكرت معها كلمة الحوار.. ذلك أن الحوار هو أداة المسرحية.. فهو الذى يعرض الحوادث، ويخلق الأشخاص، ويقيم المسرحية من مبدئها الى ختامها، والحوار فى أغلب ظني كالشعر، ملكة تولد أكثر مما هو شيء يكتسب، وإن كان طول الممارسة والمرانة، له بالطبع أثر كبير فى الوصول به إلى الجودة والاتقان، والرأي في أن الحوار ملكة، راجع إلى صفته الضرورية له وهي: التركيز والايجاز، والاشارة التي تفصح عن الطبائع واللمحة التي توضح المواقف»[8].

واضح مما تقدم، أن توفيق الحكيم يقدم تعريفا كيفيا للحوار بما هو مجموعة من الميكانيزمات المحركة للدراما، المؤججة للصراعات. فإذا كان الحوار عبر الأجناس الأدبية من أسس بلاغة الاقناع، فإنه فى مسرحية أهل الكهف، إضافة إلى هذه الوظيفة، يتأرجح بين حوارات ساذجة (الملك)، وأخرى طافحة بالحكمة (يمليخا). وإذا كان توفيق الحكيم/ الناقد يرى أنه من مميزات الحوار الدرامي الايجاز والتركيز، فإن حوارات المسرحية جاءت هي الأخرى متنوعة بين جمل قصيرة وأخرى متوسطة وثالثة طويلة، وهذه نماذج لها حسب الترتيب الوارد أعلاه.

جمل قصيرة:

«غالياس: أين القديسين؟

الملك: القديسون؟

غالياس: نعم أين هم؟

الملك: أتصغي إلي يا غالياس؟

غالياس: بالطبع يامولاي»[9]

■ أما الجمل المتوسطة فنمثل لها بما يلي:

يرد الملك على بريسكا: «كلا يا ابنتي، هم ليسوا خرافيين.. إنما هم قديسون وإن وجود هؤلاء القديسين بيننا لشرف عظيم وبركة كبرى»[10].

ونمثل للجمل الطويلة بملفوظ غالياس التالي:

«إذا كانت القصة ضمير الشعب كما يقولون.. وإذا كانت البشرية (...) قد اتحدت وتلاقت فى قصة واحدة، أفيمكن يامولاي لضمير البشرية قاطبة أن يخطىء؟»[11].

إن أهم ما يميز لغة الحوار المسرحي فى «أهل الكهف» كونها تتكىء على السلاسة والبساطة دون أن تروم جانب التعقيد والترميز، فلا هي عامية سوقية، ولا هي غارقة فى فصاحة النخبة مما يؤهلها بحق أن تكون مسرحية ذهنية.

الارشادات المسرحية أو تعاليمها:

مما تجدر الاشارة إليه، أن كل حوار فى المسرحية يكاد يكون مصدرا بحديث عن الحالة النفسية للمتحاورين أو ألبستهم وملامحهم بل إننا نجد حديثا أحيانا عن مكان الحدث.

وهذه الممهدات اللغوية المساهمة فى انخراط المتلقي فى قراءة المسرحية قراءة ممنهجة، هي التي تسمى الارشادات المسرحية أو تعاليم المسرحية،. ومعلوم أن هذه التقنية لم تزدهر إلا مع فكرة استبدال

كتابة النص الدرامي بكتابة مشروع العرض المسرحي، وهنا نجد أن المؤلف هو في الحقيقة المخرج، إنه لا يكتب جملة مسرحية إلا بعد أن يضع لها الاطار الاخراجي، ومن شأن هذه الطريقة أن تجنب الممارسين مجموعة من المتاعب.

هذا ويمكن القول إن مسرحية «أهل الكهف» تمثل جماعا لموضوعات تتقاطع على أكثر من مستوى، ولعل أبرزها: الزمن، البعث، الحب، الاحباط، الصراع بين اليأس والأمل.

وهكذا تكون هذه المسرحية مرصدا حقيقيا لمجموعة من القضايا التي تطارحتها الثقافة العربية فى فترة من فترات احتدام المثاقفة، وإذا كان لابد من إشارة فى ختام هذا المبحث المتواضع، فإن توفيق الحكيم فى مسرحية «أهل الكهف» استعار من سورة الكهف الاطار العام أو المناخ. وغير الشخوص فى أفق تأصيل كتابة درامية تحتفظ بفرادتها وخصوصيتها.

الهوامش

(١) حلمي محمد القاعود «أهل الكهف» مجلة المنهل عدد ٤٣٢ مجلد ٤٦ سنة ١٩٨٥ ص٩٨.
(٢) محمد على حماد، عن الدكتور رمسيس عوض، ماذا قالوا عن أهل الكهف؟ مطابع الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ ص١٧٦.
(٣) سلامة موسى الأدب للشعب، مكتبة الانجلو المصرية بدون طبعة ١٩٧٥ ص١٥٥.
(٤) بول شاوول ـ المسرح العربى الحديث (١٩٧٦ ـ ١٩٨٩) رياض الريس للكتب والنشر ص١٧٣.
(٥) حبيب الزحلاوى عن د. رمسيس عوض. ماذا قالوا عن أهل الكهف؟ مطابع الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦
(٦) محمد على شمس الدين ـ ندوة أصيلا الشعرية ـ المغرب صيف ١٩٧٩
(٧) توفيق الحكيم ـ الفنان ـ مطابع الاهرام التجارية ١٩٧٠ ص١١٩.
(٨) توفيق الحكيم ـ الفنان ص١٠٩ـ١١٠
(٩) توفيق الحكيم ـ أهل الكهف ص٦٩.
(١٠) توفيق الحكيم ـ المسرحية ص٦١.
(١١) توفيق الحكيم ـ المسرحية ص٥٩.

شذرات الذهب بقية

بقلم أبو حسام

طاحنة من الجيل الخالف، وقد تضايق منها كثيرا، ولكنها لم تحل دون سبقه الشعرى، وإمارته الذائعة، وكذلك الغزاوى يناقشه أولاده وأحفاده بما لا يراعون فيه حقوق الأبوة، وهو أفسح صررا، وأرحب ذراعا من أن يضيق بكلام متحمس عجول! فضحك الشاعر الكبير، وقال يكفى أن تذكر شوقى، فقد أرحتنى، ثم قرأت له من بعد ما اتخذت منه مجالا لمقال نشر بالمنهل، فأسعده كثيرا، وكتب عنى فى الشذرات ما أسعدنى أيضا، رحمه الله وأكرم مثواه.

١٠ ـ الدليل الثاقب

وإذا كنت فى هذه الشذرات المستأنفة، سأختار أجود ما أقع عليه، فإنى أذكر نفسى بقول الشاعر المصرى الكبير اسماعيل صبرى فى وصف مختارات البارودى، وهى أقرب أدباً وأمت صلة بما نختاره من الشذرات.

يا رائد الشعر لا تقرب مناهله
إلا وراء دليل صادق النظر
ما كل شىء تراه ناضرا زهر
شتان بين هشيم الشعر والزهر
وإن حفظت فلا تحفظ سوى كلم

غر جوامع مثل الآى والسور
لا تأخذن بتلابيب الكلام وكن
من أن يردك مدحوراً على حذر

مجلة شهرية
ذات أداء متخصص
تعنى بشئون وثقافة المرأة
العدد (٧١) شعبان ١٤١٣





رعاية المعوقين ضرورة إنسانية ...

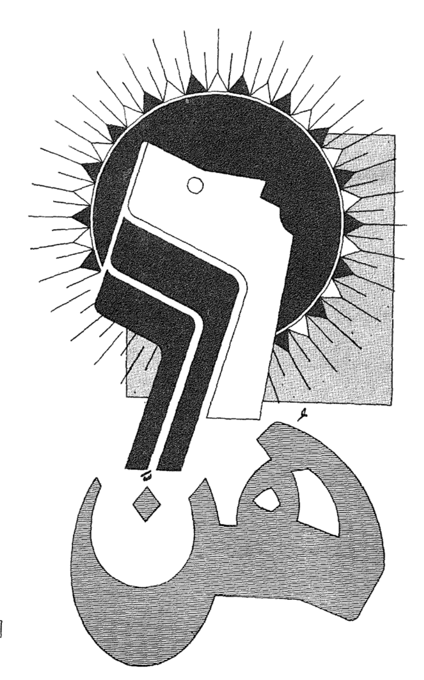
● التلفاز عمق كثيرا من العادات السالبة فى مجتمعنا، مما ينبغى معه إعادة ترتيب ابجديات منهجه

فى هذا العدد

● بيننا كلمة	١٤٠
● الاتصال التلفزيونى واثره فى البنية	١٤١
● أوراق زوجية	١٤٦
● إلى السيدة الجميلة.	١٤٨

.. عزيزتي القارئة

مرحبا بمشاركاتك فى (هن) وعلى طريق الكلمة الهادفة والفكرة النيرة نلتقى.





أيهما أفضل!!

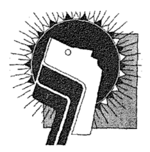
بقلم: هند أحمد هرساني

لا أدري من منا المنتصر فى نظرهم وأنا أقرأ أو أسمع عن دعوات حارة لتحرير المرأة؟ لدفعها «لكسب حقوقها ونيل مزايا تدعم مستقبلها»، لا أدرى وهم يطالبون بحقوق المرأة كيف تحقق المرأة لنفسها النجاح فى مجال بعيد عن كيانها وطبيعتها، وتدمر مملكتها وتهدم أساسها الذي تستمد منه كرامتها وتدعم كيانها.
من المنتصر؟ المرأة هناك وقد غلبت عليها شقوتها وتاهت عن ادراكها الحقيقة؟ ام المرأة هنا تحت ظل الاسلام والخلق العربي الكريم؟ أيهما افضل لنا وهم؟ ان ننبهر بدعوى تحرير المرأة وننقاد الى إغراءاتهم المضللة للدخول الى مجالات لا تلائم انوثتنا ولا كرامتنا كى ننال الثناء منهم والتقدير. . ام نلتزم بما هو حق وخير فى ظل تشريع إلهى حكيم وفر علينا عناء ما كابدوه فى رحلة تحرير المرأة وما جربوه وخيب امالهم عند ممارسته واقعاً مؤلماً؟ وبذلك نتهم بالتخلف، أو الرجعية أو بأننا من عالم بعيد عن تقدمهم المزعوم بنجاحهم السقيم بمراحل عديدة.

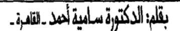
اعتقد ان الأمور اتضحت بما فيه الكفاية فلم تعد المرأة العربية المسلمة تنبهر بمكانة المرأة فى الغرب وقدرتها على اثبات كيانها فى كل مجال بلا تحديد. . لم نعد ننبهر. . بما حققته المرأة هناك. . لأننا ندرك تماماً ان واقع المرأة المعاصر يؤكد لها عظم الخطأ الذى وقعت فيه والتضحية التى أهدرتها عندما ابتعدت مسافات بعيدة عن دورها المناسب لها. . وتخلت بجهل أرعن عن مهمتها الخالدة التى هيأها الله تعالى لها. . وهى مهمة ابدا لم تكن تافهة ولا سهلة ولكنها مهمة أوكلت إليها لتمد البشرية بنتاج مضطرد لاعمار الكون وإثراء الحياة بالمبادىء والقيم انطلاقاً من مكانها الطبيعى الذى اختيرت له لكننا نختلف ويختلفون، دينيا وفكريا واجتماعيا وتعود بهم التجربة الى البدايات الواضحة التى لا تحتاج الى تحد ولا تجاهل، فالمرأة لا تزال تحن الى حماية الرجل. . والى قوته. . ورحمته. . مهما بلغت من سلطة عملية أو ارتفعت علميا، لا تزال المرأة تفتقر للرجل وتحن الى الظلال الوارفة بدفء الحياة تحت ظل الرجل. . تحن الى هذا بشكل أو بآخر وان تعالت مكابرتهن ودعواهن الى التحرر من سلطة الرجل وتجاهل قوامته سواء فى بعض مجتمعاتنا العربية أم المجتمعات الغربية لكن الحق لابد أن يرغم كل مكابر على الاعتراف بفشله والرجوع إليه ولن نجد لسنة الله تبديلا.

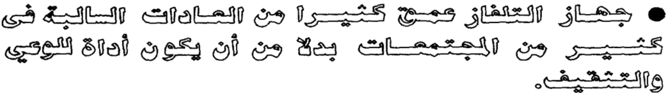
ألسنا اوفر حظاً واعظم نعمة ونحن تحت رعاية الرجل؟ هذا الرجل. . أب رحيم يرحم طفولتنا ويرعى شبابنا هذا الرجل زوج محب أو أخ حنون، أو ابن بار، هذا الرجل نحتاجه بكل اوضاعه وقدره فى حياتنا. . لأن هذا هو السلوك الطبيعى للبشر كما هيأه الله تعالى لنا كاناث وذكور. . لكل منهما دوره وواجبه. . كل منهما يكمل الآخر. . المرأة والرجل. .
حنانا تكمله قوة وحماية، وسكينة يحيطها امان وطمأنينة. . ألسنا أوفر حظاً من نساء الغرب ونحن تحت سلطة الرجل.
سلطة الرجل قوامته. . بنجاح لنا ومكسب كبير لأنه يحقق لنا عامل الكفاية النفسية والمادية ويسير وفق منهج رباني حدد لكل من الرجل والمرأة ما يمكن ان يؤديه بلا تعد ولا ظلم وبلا احتقار.
سلطة «الرجل» الرجل كما هو مقدر له أن يكون عطفاً وحماية وليس الرجل ذلك الارهابى الذى يصول ويجول فى بيته والذى يدفعه جهله ليرى فى قوامته على المرأة سيفاً يهددها به وقت الحاجة. . وكلما سنحت الظروف!.

ابداً لم تكن الرجولة الحقة إهانة للمرأة من الرجل،، ولا الأنوثة إذلالا للمرأة. . إنها طبيعة كل منهما فى تكميل الآخر ليحققا الانسجام لاعمار الكون والحياة وفق المبادىء والمناهج التى هدانا الله تعالى بها. . لا صراع. . لا حرب بيننا. . ولا ظلم ولا مطالبة بحقوق مسلوبة. . متى أدى كل فرد التزاماته نحو الآخر كما أنزل الله عز وجل فى كتابه المقدس وهدانا اليه الرسول ﴿ﷺ﴾ ودعونا من المطالبة بحرية المرأة، أو الانبهار بها. . فنحن فى غنى. . عن ذلك كله لأننا قد كفينا مؤونة ذلك اذا طبقنا الشريعة السمحاء بكل دقة واحترام. .



الاتصـــال التلفزيـــوني وأثــره فـــي البنية الاجتماعية


بقلم: الدكتورة سامية أحمد ـ القاهرة ـ


● جهاز التلفاز عمق كثيرا من العادات السالبة فى كثير من المجتمعات بدلا من أن يكون أداة للوعي والتثقيف.

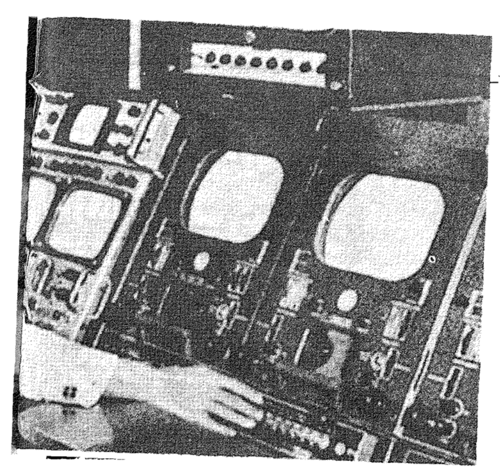
يستعرض هذا المقال العناصر الهـامـة فى بحـوث الاتصـال، للاسـتـفـادة منهـا فى وضـع استراتيجيات الاتصال ـ من خلال التليفزيون كقناة اتصال جماهيرية ـ للعادات والتقاليد فى المجتمع العربى.

ذلك أن التليفزيون الذى يقدم برامجـه الى المشاهـدين فى بيوتهم حيث يجلس الصغار والكبار معا، يثير مشكلات قانونية وقيمية اكثر من غيره من وسائل الاعلام الأخرى.

ويتفق الباحثون على أن وسائل الاعلام تميل الى تعديل الاتجاهات ـ فى اطار العادات والتقاليد كذلك ـ اكثـر مما تميل إلى تغييرهـا. ولا تدعم وسـائل الاعلام الاتجاهات دعما قويا فحسب، بل انها تستطيع ايضـا ـ بصـورة طفيفة ـ أن تعيد توجيه أنماط السلوك، أو الاتجاهات القائمة نحو مناطق جديدة. يقول ولبورشرام: ان أى رسالة اعلامية يتلقاها الشخص الراشد تدخل الى حيث دخلت ملايين الـرسائل من قبل، وحيث تكون معايير الجماعة قد رسخت، وحيث يكـون الفكر قد تكون، وحيث تكون المعرفة قد تشكلت حول أغلب المـوضوعات الهـامـة، ومن ثم فان الـرسـالـة الجديدة لا تكون عادة بمثابة حدث مزلـزل، ولكنهـا تكون مجرد نقطة أخـرى فى العملية البطيئة الطويلة التى من خلالها تتكـون الطبقات المترسبة فى شخصياتها.

ويذهـب «شرام» ايضـا الى أن الادوار الاجتـماعية، والعـادات والتقـاليد يمكن أن تؤثر فى اختيار وسائل الاعلام، لأن الاستمرار فى أنماط السلوك أيسر من تغييرها.

والسلوك الاعـلامى فى حقيقة الامـر يصبـح جزءا من السلوك الاجتـماعى، كما أن اختيار مواد الاعلام ليس فى الحقيقة سوى مجرد فعل اجتماعى معتاد، مثال ذلك،



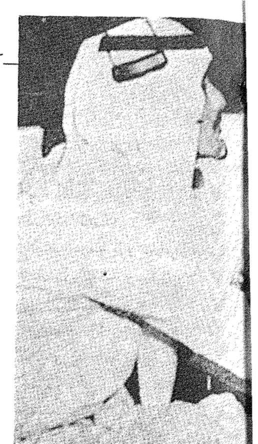
أن شابا قد يأخذ موعدا للذهاب الى السينما لمجرد ان الذهاب الى السينما هو ما يفعله الشباب من أمثاله.

ومشاهدة التليفزيون فى حياتنا اليومية أصبحت أيضا فى حكم العادة، سواء أكان ذلك بمفهومها الفردى أم الجمعى، ولذلك نجد ان مصطلح Habit يشير الى «العادة الفردية» من حيث كونها نمطا متكررا للفعل يصدر عن فرد بالذات، يكون مكتسبا وملاحظا من جانب الآخرين، وعلى الرغم من اختلاف الميكانيزمات، فإن المماثلة وثيقة جدا بين العادة الفردية والعادات الجمعية، فالعادات الفردية تتعلق بالاشخاص والعادات الجمعية تتصل بالمجتمعات أو أى تجمعات أخرى.

وتشير «العادة» كمصطلح ايضا[1] الى نموذج الاستجابة المكتسبة التى يكررها فرد معين بطريقة تلقائية فى مواقف محددة، وعلى الرغم من أن الاعراف الاجتماعية ونماذج السلوك تسمى أحيانا «عادات» فانه ينبغى ان نتذكر أن التفاعل المتكرر أو «الروتينى» ينطوى على تقييم معقد للمواقف وعلى سلوك واتجاهات متعلقة بأداء الدور، ومن ثم يمكن التوصل الى فهم أفضل للمركبات الناتجة عن ذلك، من خلال التفسيرات الاجتماعية والثقافية بدلا من اللجوء الى المفاهيم السيكولوجية والفسيولوجية وقد تحدد المعنى الفنى لهذا المصطلح من خلال الاستخدامات السيكولوجية له، فقد وصف «بين» Bain العادة بأنها حركات عشوائية تجلب اللذة لمن يقوم بها بينما يذهب آخرون من أمثال «ديوى» Dewy الى أن العادات الفردية ليست مسألة سلوك متكرر، وانما تتضمن حساسية من جانب بعض الاشخاص نحو مثيرات أو منبهات معينة، مما يجعل من الممكن وصفها كما نصف الاتجاهات النفسية[2].

ويبدو أن الاستخدام المعاصر لمصطلح العادات الفردية أصبح مرتبطا بالمدرسة السلوكية فى علم النفس.

أما التقاليد فهى «جملة الافكار والعادات الفردية والجماعية التى يسير على نهجها شعب من الشعوب ويتوارثها أفراده جيلا عن جيل، ولم يكن من الخطل أن تعتبر بمثابة وراثة اجتماعية، لأن كيفية فعلها وتأثيرها قوية الشبه بالوراثة البيولوجية»، ويذهب «موريس جنزبرج» الى هذا التشبيه، لأن التقاليد تشكل أفعال الافراد وتحدد سلوكهم، كما تماثل الوراثة البيولوجية فى انها فى جوهرها اساس للتواصل والاستمرار، وتنقل لعصور المستقبل أعمال الماضى ومآثره، ويبين كيف أن التقاليد عامل رئيسى فى نمو العاطفة القومية وفى التشكيل الفعلى للانماط القومية، والتطلع نحو مستقبل مشترك، يقول «رينان» Renan «ان الامة مبدأ روحى يتألف فى جوهره من أمرين: الاول حيازة مشاعة



تركة زاخرة من الذكريات، والثانى هو القبول الفعلى، والرغبة القائمة فى المعيشة معا، والتصميم الارادى على مواصلة العمل الى أقصى حد للانتفاع بما آل للأمة من تراث خفى غير منظور».

وتستخدم «التقاليد» Traditions استخداما اصطلاحيا فى علم الاجتماع اشارة إلى «التراث» بمعنى انتقال بعض المعتقدات وأنماط السلوك والانشطة من جيل الى آخر. وقد يستخدم مصطلح التراث بمعنى الثقافة أو كعنصر ثقافى ينتقل عبر الزمان ويحقق درجة من الدوام والاستمرار. والتراث قد يكون شفاهيا أو تراثا شعبيا، أو رواية شعبية، وبالنسبة للنظم الاجتماعية ينتقل التراث عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية حيث يكتسب الطفل العرف وأنماط السلوك المعتادة من الاسرة والمدرسة وجماعة الرفاق.

وقد يستخدم المصطلح ايضا كإشارة إلى بعض العناصر الثقافية التى تنتقل من جيل الى آخر، وهنا يستخدم المصطلح بمعنى «التقاليد» أى أنماط السلوك المقننة التى تنتجها الجماعة، وتعمل على تدعيم تماسكها ووعيها بذاتها، كما يحظى بالقبول من جانب الاعضاء.

وفى ضوء هذا الفهم، نستطيع أن نتعرف على سبب اهتمام الناس بالتليفزيون خاصة ووسائل الاعلام عامة، ثم على الدور الذى يقوم به التليفزيون فى دعم العادات والتقاليد، ومحاولة احداث تغيير فى بعض جوانبها السلبية، بهدف دفع التغير الاجتماعى الى الأمام.

ذلك أن التليفزيون ووسائل الاعلام تشبع حاجات معينة لدى الجمهور المتلقى، ولذلك يستخدمها الناس بطرق مختلفة: فالعمر والجنس والتعليم والمركز الاقتصادى والاجتماعي، مثل تلك الامور تميل الى التأثير فى الاسباب التى من أجلها يستخدم الناس وسائل الاعلام، وكذلك تؤثر العوامل الاكثر دقة كالاتجاهات النفسية، والامانى، والآمال، والمخاوف، والعادات والتقاليد. ولا تؤثر هذه الاستعدادات فى استخدام الفرد لوسائل الاعلام وانها تؤثر ايضا فيما يجده فيها[٣].

والتليفزيون يقوم هنا بدور فعال، لما يقدمه من مواد برامجية وفنية تخدم الاتصال الإجتماعى، والارشاد فى الحياة اليومية، والهرب من الملل، والعادات والتقاليد فى المجتمع.

وقد حاولت «هيرتا هيرتزوج» دراسة أثر المسلسلات على النساء خاصة، فوجدت عند الكثيرات منهن أنها كانت مصدرا للنصح حول مشكلات الحياة، والأساليب اللائقة للسلوك، وكلما قل التعليم الرسمى الذى تلقته النساء، وكلما اعتبرن أنفسهن مهمومات، وجدن عونا اكبر فى المسلسلات. فقد لقين مساعدة فى علاقاتهن الاجتماعية مثل مسايرة الآخرين، ومعاملة الازواج والصديقات، وتربية الاطفال.

■ إن وسائل الاعلام تؤيد الدوافع القائمة ولا تخلق دوافع جديدة. وبقليل من المقاومة توجه وسائل الاعلام أنماط السلوك فى قناة أو أخرى، بعد أن يكون النظام السلوكى، أو الاتجاه الاساسى قد استقر، ويندر أن تحاول بث انظمة سلوكية أو اتجاهات جديدة تختلف اختلافا كبيرا.

وتؤكد الدراسات التى أجريت حول التليفزيون، ما يفيد فى دراسة العادات والتقاليد، أن العرض التليفزيونى الناجح هو الذى يقوم

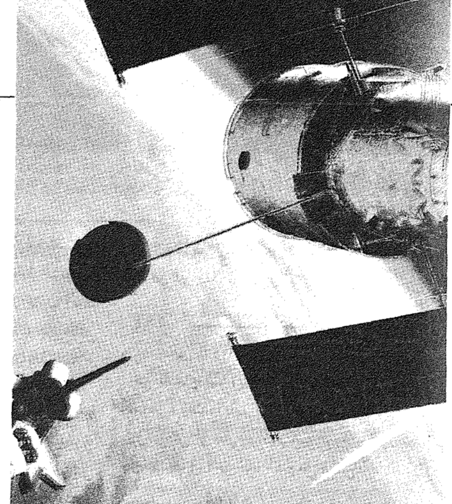
على أساس تكرار نفس المبادىء أو القيم، وبالتالى العادات أو التقاليد، وعن طريق تكرار عرضها يمكن تعلمها، كما أن التليفزيون يؤثر اكثر ما يؤثر عندما ينفرد هو بعرض نوع من الحقائق لم يسبق للمشاهد أن خبرها. وحينما تعرض العادات والتقاليد من خلال المشاهد التمثيلية، يكون تأثيرها اكبر، ولا سيما اذا تلاقت هذه المشاهد مع اهتمامات المشاهدين وعاداتهم وتقاليدهم.

واذا كان التليفزيون يؤدى الى اكتساب المعارف والمعلومات بطريقة عرضية غير مقصودة[1]، فان للتليفزيون آثارا ايجابية وأخرى سلبية، ولا سيما حينما يتعرض للعادات والتقاليد، فقد وجد أن التليفزيون يقرب بين أعضاء الاسرة bings Families Closer together بمعنى أنهم يقضون سويا ساعات أطول بعد اقتناء الجهاز، وان كان التفاعل قليلا جدا بين أعضاء الاسرة فى حالة المشاهدة حيث يشاهدون كما لو كانوا منفصلين، ويشك فى أنه يقرب بين أعضاء الاسرة بأى معنى سيكولوجى، ذلك ان الجلوس فى حجرة «نصف مظلمة» ليس باعثا على المحادثات الجماعية المتبادلة، حتى الصغار وجد أنهم لا يقضون وقتا طويلا مع بعضهم البعض بعد اقتناء الجهاز حيث ينعزل الاطفال ويعتكفون فى بيوتهم للمشاهدة الفردية أكثر من الجماعية وبالمقارنة مع غيره من المناشط يجعل التليفزيون الفرد يستغرق فلا يقوم بأى نشاط آخر أثناء المشاهدة.

ويقرر كثير من الآباء أنهم يجدون صعوبات فى جعل الاطفال يتركون المشاهدة ويحضرون لتناول الطعام، ولقد نجح بعضهم فى حل هذه المشكلة بتقديم الوجبات أمام التليفزيون؟! كذلك وجد أن محافظة الاطفال على مواعيد النوم تمثل مشكلة كبرى للاباء. ويبدو أيضا أن التليفزيون يتداخل مع الواجبات المنزلية التى يكلف بها التلاميذ، ولقد تبين أن الاطفال يفضلون التليفزيون على الراديو والسينما والقراءة. ووقت التليفزيون يؤخذ من أوقات انشطة بنائية اخرى كاللعب والموسيقى وغير ذلك من الهوايات[2].

ولوحظ أنه يوجد اكثر لدى الاسر كبيرة الحجم، عنه عند الأسر صغيرة الحجم، وان الاسر التى تقتنى التليفزيون تستقبل ضيوفا اكثر وخاصة عندما كان التليفزيون شيئا جديدا، وان الأسر «المقتنية» تقوم بزيارات أقل منها قبل الاقتناء، وانهم يركبون سياراتهم للتنزه أقل من ذى قبل، وأنهم أقل ممارسة للانشطة الرياضية، والمعروف أن التليفزيون يقدم الصورة الناطقة The Talking-Picture للمنزل مع مثيراته الثنائية - أى الصوتية والبصرية - ومازال من المأمول أن يؤدى التقدم التقنى الى حماية ابصار الاطفال من أضرار المشاهدة المتصلة[3].

ومن دراسة آثار التليفزيون على العادات والتقاليد والسلوك، يتضح لنا أن التليفزيون يمكن أن يثير «دوافعنا» وقد ينتج فى المشاهد الشعور «بالاحباط» لأن البرامج تخلق نوعا من «الاثارة» excitenent وتعمل الخيالات والاوهام التى يستغرق فيها الفرد أثناء المشاهدة الى خفض التوترات. ولكن مشاهدة انماط معينة من «العادات والتقاليد» قد تؤدى الى تقمصها وتعلمها سواء أكانت هذه العادات السلوكية ايجابية أم سلبية، وان كانت الدراسات تدل على أن الطفل المنحرف الذى يشاهد التليفزيون كان منحرفا اصلا قبل المشاهدة، وأنه لجأ الى المشاهدة أو لإدمان المشاهدة كنوع من التعويض أو التنفيس، وهناك حقيقة هامة هى أننا نتعلم الكثير من التليفزيون وأن بعض ما نتعلمه ضار وبعضه صالح، ولذلك تحتاج مشاهدة الاطفال الى توجيه من الآباء والمعلمين لاختيار الصالح والبعد عن الطالح[4]. ولذلك يوصى بعض الباحثين بضرورة خضوع البرامج التليفزيونية للتخطيط من قبل الاخصائيين فى





علم النفس والتربية والاجتماع، وضرورة اعتماد البرامج على الاسس والمبادىء التي تؤدى الى نجاح الرسالة الاعلانية، وضرورة اشراك الناس فى وضع البرامج(٨).

ومن الوظائف النفسية للتليفزيون التى تفيد فى دراسة العادات والتقاليد، أن التليفزيون يساعد على التقمص أو التوحد، ويوحد أفكار الناس وقيمهم واتجاهاتهم وميولهم ومعاييرهم، ويثير خيال الناس، ويساعد الفرد على اسقاط آماله وآلامه على ما يشاهد من أناس وأحداث، وفى ذلك نوع من تصريف الشحنات الانفعالية الحبيسة فى الانسان، ويزودهم بالمعلومات والحقائق، ويشبع حاجات الافراد نحو السلبية، وأنه يثير الخوف والقلق فى الاطفال.

ويوفر منفذا خياليا للعدوان المكبوت لدى الفرد، وله دور كبير فى اقناع الناس، وتعديل اتجاهاتهم، وفى عمليات غسل أدمغتهم، وهو فوق ذلك أداة من أدوات الممارسة الديمقراطية، وينمى الثروة اللغوية فى الاطفال، ويقلل الفروق الاجتماعية بينهم فى هذه الناحية.

واذا كان سلوك الفرد متنوعا، فان هذا التنوع يكون فى حدود تقيمها المؤسسات ونظم العقاب فى المجتمع الذى ينتسب اليه الافراد، وعلى ذلك ينبغى دراسة المشكلات التى تكمن فى ميدان الثقافة عن طريق وضعها الاجتماعى الذى يؤكد الصلة بين مفهومى المجتمع والثقافة.

الهوامش

(١) د. محمد عاطف غيث وآخرون: قاموس علم الاجتماع ص٢١٩.

(٢) J.Dewey, Human Nature and Conduct, N.Y.1422

(٣) تيود بيترسون وآخرون: وسائل الاعلام والمجتمع الحديث، ترجمة د. ابراهيم امام.

(٤، ٥٥، ٦، ٧، ٨) د. عبد الرحمن عيسوى: الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون ص٧٩، ص٨٠، ص٨٠، ص١٩٨، ص١٩٨، ص١٩٩.



معها
أبو عواد

٥٩٢ ـــــــــــــ أبو عـواد

لا أشـك لحظة واحدة أن كل زوجة أمنيتها أن تكـون سعيدة مع زوجهـا ـ هذا ـ اذا كانت أصلا مقتنعة به ـ وحتى تتحقق هذه السعادة أو على الأقل جزء منها على الزوجة أن تبذل وتصبر كما بذل الفلاح وصبر قبل جنى الثمر.

٥٩٢ ـــــــــــــ ام عمـرو

الصبـر دواء ناجـع لما لا نستطيع ان نغيره او نعالجه من سلوكنا، فهل يجب على الزوجة، كل زوجة ان تفترض ان سلوك زوجها لا يمكن التعامل معه إلا بالصبر؟!

٥٩٣ ـــــــــــــ أبـو عـواد

قالت له بشموخ:

الاوراق القـوية الخضراء لا تسقط أبـدا مهـما اشتـدت الـرياح والعـواصف.. انها فقط الاوراق الضعيفـة ـ الصفـراء ـ هى التى تسقط من نسمـة هواء.. وربـما سقـطت لوحـدهـا.. ترى كم هي حكيمه تلك المرأة التى يقال عليها إنها أمية لم تدخل المدرسة وتبصم بابهامها «الايسر»!!.

٥٩٣ ـــــــــــــ ام عمـرو

الاوراق الخضراء لا تسقط بفعل الرياح والعواصف، ولكنها تقطع بالالات الحادة، التى تأتى فى كثير من الاحيـان على هيئـة لسان بشرى.. وبالمناسبة اميات الزمن الماضى كانت تكفيهن مدرسة الحياة، اما اميات الـزمن القـادم، فربما جاء من الرجال من يحكم عليهن بالالتحاق بمدارس المتخلفين من الجنس البشرى. لذا انبهن الى ذلك..

٥٩٤ ـــــــــــــ أبـو عـواد

بعض الازواج يفسرون احترام الزوجه على أنه عن اقتنـاع بهم ويتعاملون معها على أساس مفهوم خاطىء وعندما ينفد صبر الزوجة.. ويتحول الحمل إلى وحش أو جارح.. يصاب الزوج بذهول شديد ويكتشف فى آخر لحظة أنه رجل مغفل.

٥٩٤ ـــــــــــــ ام عمـرو

انه انسان مغفل فعلا كل من يفترض انه يفرض الحب على انسـان اخـر تحت التهديد، اى نوع من التهديد، الحبّ يعطى ولا يؤخذ يمنح ولا يطلب ولا يمكن الحصول عليه إ لا بطريقة المقايضة بالمثل.

٥٩٥ ـــــــــــــ أبـو عـواد

شـىء واحد لا تهبه المرأة إلا لمن تحب هو ـ قلبها.

٥٩٥ ـــــــــــــ ام عمـرو

المرأة كالرجل، كائن حى، لا يهب إ لا لمن يستحق.

٥٩٦ ـــــــــــــ أبـو عـواد

يعجبنى فيك أنـك «تسـترجلين» بمـرورك فى الشوارع.. واذا اختليت إلى مأمن ونزعت القناع.. فاذا أنت «بدر البدور».

٥٩٦ ـــــــــــــ ام عمـرو

لماذا يقال عن المرأة انها مسترجلة، عندما تسير فى الشارع كإ نسان وليس كأنثى، لماذا لا نقول انها امرأة



عادية تحترم نفسها وتعرف مقتضيات كل زمان ومكان.

٥٩٧ ــــــــــ أبـو عـواد

أشفق على حنجرتك يا سيدتى . . فليتك تخلدين للصمت والـراحة . . ان الثرثرة والصياح المستمر لا ينصح به الأطباء فى مثل حالتك فالسكوت أولى لك من الكـلام . . فصوتك المبحوح المختنق في صدرك يثير الشفقة .

٥٩٧ ــــــــــ ام عمـرو

افضل من الشفقة على من يبحم صوتها ويختنق فى صدرهـا، ان نستمـع إليها ونعى ما تقوله ولو لمرة واحدة، كثيرا ما يتجاهل الزوج حديث زوجته ويستمر فى التجاهل حتى يصبح ما تقوله له، حتى لو كان هاما، وكأنه نوع من الضوضاء الخارجية، لا معنى لها.

٥٩٨ ــــــــــ أبـو عـواد

انهم يتحـدثـون عن امـرأة مزواجة طلقت من زوجهـا الـرابـع ولمـا تتم عقـدهـا الـثـالـث . . فهل بالضرورة أن تكون وهى وحدها على خطأ وجميعهم على صواب أقول ربما كان الأول على صواب لكنها قد تكون ضحية الآخرين . . وربما كانت تستحق أكثر من ذلك ! ! .

٥٩٨ ــــــــــ ام عمـرو

المطلق كالمطلقة، سواء بسواء قد يكون ضحية وقد يكـون مجنيا عليه، سواء أكان الطلاق للمرة الاولى أم العاشرة، وعلينا ان نتثبت من كل حالة على حدة قبل اطلاق الاحكام.

٥٩٩ ــــــــــ أبـو عـواد

الأصيلة من النسـاء هي التى تأخذ من العصر أشياء تثرى بها موروثها وأصالتها فتظل شرقية الطباع فى كل الأحـوال . . ان الـلواتى يقـطعن صلتهن بالماضى ويتنكرن له حكمن على أنفسهن بالسقوط إذ لا توجد شجرة بلا جذور ولكن ـ للأسف ـ ما اكثر الـنسـاء الشرقيات اللواتى انسلخن من جذورهن وأصبحن أشبه بالدمى ! ! .

٥٩٩ ــــــــــ ام عمـرو

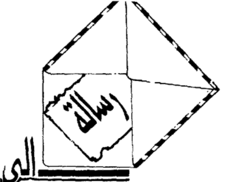
نعم، فالمرأة اقدر الناس على حمل تراث امتها، بل واقـدرهن على توصيـل هذا التراث للاجيال اللاحقة، ولانها مستودع الثقافة، فمن الضرورى ان ننظر إليها ونتعامل معها ونحن على وعى وادراك لاهمية وخطورة هذا الدور.

٦٠٠ ــــــــــ أبـو عـواد

صحيح ان «الجميلة» تولد مخطوبة . . وصحيح أيضـاً أن «العروض» و«الشيكات المفتوحة» ستنهال على والدها فى وقت مبكر للغاية . . و . . و . . ولكن جمالهـا وحده قد لا يكفل لها السعادة بل ربما يكون سببا فى شقائها .

٦٠٠ ــــــــــ ام عمـرو

فعلا، تحتاج المرأة لحياتها، ولحياة من هى مسئولة عنهم، اكثر بكثير من ان تكون منظرا جميلا ويا حبذا لو ادركت النساء ان الجمال نسبى وادرك الرجال انه عرض وقتى ذاهب.



المرقش الأكبر

الى السيدة الجميلة

حبيبتي ابنة عمي أسماء بنت عوف بن ضبيعة:

يا أقـرب النـاس إلى قلبي وآنسهم لروحي، وأسنـاهم في عيني.. ها قد أحـال أهلك بيني وبـينـك.. بين قلبـي وقـلبـك.. بين روحـي وروحـك.. فما كان أظلم وأصدأ نفوسهم وأجحد أفئدتهم حين تآمروا على مصيري ووجودي فاستطاعوا بأخبث الحيل أن يفرقوا بيننا.

ثم بانت الحيلة.. وانكشفت الخـطة، وفسرت الأحـداث نفسها بنفسها، وتلك غريبة من غرائب النفوس حين تلتوي فتدركها ظلمة الكنود.

ما هذا يا حبيبتي أسماء؟ حقاً كان أمر أبيك عجبا من العجب.. إنني بعـد أن أدركت مدى حبـك لي، وحبي لك سرت سيرة الكـرام فخطبتك إلى أبيك، فقال لي: «لا أزوجك حتى تعرف بالبأس». وكأنما وجـدني غير جدير بك، فارتعت من كلمتـه، ومع ذلك فقد آثرت أن أثبت له شدة إقدامي وجسارتي، وقـوة بأسي وشجـاعتي، وكيف أنني ممن يبـذلـون أرواحهم دفـاعـاً عن أهليهم وذويهم، ومن يبذلون أرواحهم في سبيل معالي الأمور لاخسيسها أو دنيها. فانـطلقت بفرسي أنهب الأرض نهبا، وأقطع النهار والليل كالبرق الخاطف لا أتلبث عند قوم ولا أتلبث عند عشرة حتى بلغت ملكاً له صيته وحوله، وله أبهته وفخامته. فدلفت إلى قصره بعد أن سمح لي حرسه وعرضوني عليه.. واستفسر عن حالتي وما ألجأني أن آتـي إلى مملكتـه البعيدة.. وعلم أنني شاعـر فمدحته وعظمت له في المعاني وفخمت له في الخصال والصفات. فأجازني وأجزل لي العطاء، وظلت المودة بيني وبينـه.. أحتمي به وأسترفده، وهو يأنس بي وبحديثي ويطرب لمدحي إياه.

ومع أنني عشت في أمن ورخاء، وترف، إلا أن حبـك كان دوماً يؤرقني ويشغل خاطري في نومي ويقـظتي فما فارقت صورتك خيالي.. وطالما سرى طيفـك نحوي وأنت بين صويحباتك تنعمين ببهجة الأمن ورخاء العيش. فقفلت عائدا، وما أن دخلت فرسي حرم وطني حتى كانت شهـرتي قد سبقتني فقلت في نفسي: فأل حسن، فسألت عنك وهممت بالـذهاب الى أبيك لأقول له: إنني حققت لك ما كنت تطلبه مني: بأساً وغنى. ولكن صك سمعي ما أفجعني.

حبيبتي.. ابنة عمي أسماء:

حقا، صك سمعي نبأ رهيب رعيب فقد ذكر لي إخـوتي أنـك مت منـذ زمن، وأروني قبراً قالوا إنه لك.. فلا تسألي عن حزني آنئذ ولا تسألي عن حربي وغمي، فعزمت على ألا اكل شيئا، وذات أمسية وبينا أنـا جالس وحدي، وقد مالت الشمس إلى المغيب وجدت صبيين يلعبان بكعبي[1] كبش ثم اختصما في كعب، فسمعت أحدهما يقول: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الـذي دفنـوه وقالوا إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء.. فكشفت عن رأسي ودعوت الغلام فسألته عن الحديث، فأخبرني ثم أحببت أن أتـأكد من حقيقة الخبر فصدقتني أختي فيما روت، فقـد قالت أصـاب عمك عوف زمان شديد، فأتاه رجل من مراد أحد بني غطيف فأرغبه في المال فزوجه اسماء على مائة من الابل وحتى يداري عمك فعله فإنه ذبح كبشا وأكل أهله لحمه ودفنوا عظامه ولفوها في ملحفة ثم قبروها.. فماذا أصنع أنا..؟

حبيبتي.. ابنة عمي أسماء:

أتـدرين ماذا صنعت؟ وأنى لك أن تعرفي وقد أسرع المرادي بك إلى أهله.. دعوت خادمة لي ولها زوج من غفيلة، وكـان أجـيراً عندي وأمرته أن يعد رواحله لألحق بالمرادي في وطنـه كي انتزعك منه، وكنت في هذا الوقت في شدة المرض والاعياء حتى



● هو عمرو بن سعد بن مالك ● من فحول الشعراء الجاهليين.
● لقب المرقش لقوله: الدار وحش والرسوم كما
رقش فى ظهر الاديم قلم

بقلم: محمد عبد الواحد حجازى - مصر -

أشرفت على الهلاك وأخذنى أجيرى وزوجته . . وفى الطريق بان الغدر في عينه فأيقنت أننى لا محالة هالك فتركنى فى الصحراء لتأكلنى الضوارى وكنت قد غافلته وكتبت فى مؤخرة الرحل رسالة إلى أهلى كى يخفوا لنجدتى وإنقاذى، فقلت:

يا صاحبى تلبثا لا تعجلا
إن الرواح رهين ألا تفعلا
ياراكبا إما عرضت فبلغا
أنس بن سعد إن لقيت وحرملا
لله دركما ودر أبيكما
أن يغلب الغفلى حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام أن مرقشا
أضحى على الاصحاب عبئا مثقلا
وكأنما ترد السباع بشلوه
إذا غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

■ وعاد الغفلى إلى أهلى يبكى وينتحب مدعيا أننى قد مِتُّ. وقرأ أخى حرملة الأبيات فأدرك أننى فى خطر. وكان أول شيء فعله أنه قتل الغفلى وزوجته، ثم ركب فى طلبى. أما أنا فقد بلغت حيك حيث قابلت راعى غنم لزوجك وأعطيته خاتماً لى لتضعه خادمتك فى إناء اللبن الذى تشربينه، فإذا قرع سنك علمت أننى قريب منك وأننى أود أن أراك فإن لم تستطيعى فلا أقل من أن تتذكرى أنه قد كان لك ابن عم يهواك وتهوينه، ويعشقك وتعشقينه وأنه ركب المخاطر من أجلك واحتمل الأهوال إرضاء لأبيك الذى باعك من أجل المال. آه . . ألا ما أعجب الأيام حين فرقت بينى وبينك فأشقتنى وأشقتك:

فما بالى أفى ويخان عهدى
وما بالى أصاد ولا أصيد

ألا ما كان أجمل أيامك الخوالى يا أسماء . . كم نعمنا، وكم سعدنا، وكم لهونا فى براءة عذبة، لا يعكر صفونا حسود ولا ينغص هناءنا فضول حقود:

ورب أسيلة الخدين بكر
منعمة لها فرع وجيد
وذو أشر شتيت النبت عذب
نقى اللون براق برود
لهوت به زمانا فى شبابى
وزارتها النجائب والقصيد
أناس كلما أخلفت وصلا
عنانى منهم وصل جديد

حبيبتى .. ابنة عمى أسماء:

تلك رسالتى إليك بعثتها مع جارة لى، ووالله إنى لا أعلم إن كنت سألتقى بك يوما أم لا، فإن مننت بزورة فنعما هى . . وإن أبيت إلا طيفك فنعم الضيف هو:

سرى نحوى خيال من سليمى
فأرقنى وأصحابى هجود
فبت أدير أمرى كل حال
وأذكر أهلها وهم بعيد
على أن قد سما طرفى لنار
يشب لها بذى الأرطى وقود
حواليها مها بيض التراقى
وآرام وغزلان رقود
نواعم لا تعالج بؤس عيش
أوانس لا تروح ولا ترود
يرحن معا بطاء المشى رودا
عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت أخرى
وقطعت المواثق والعهود

الهوامش

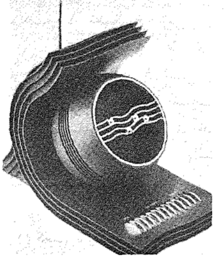
(١) كعب الكبش : حافره .

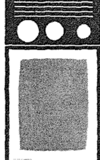
الفضة والكمبيوتر

خذ قليلا من الفضة والكوبلت ثم جمد المزيج الى درجة ٣٢٠ مئوية تحت الصفر بعد ذلك اخبز المزيج فى فرن حتى درجة ٧٠٠ مئوية لمدة عشر دقائق. ترى هل تعرف ما حصلت عليه الان؟ لقد حصلت على سبيكة شديدة المقاومة للمغناطيس وهذه مادة تتناقص مقاومتها الكهربائية عندما تتعرض لحقل مغناطيس.. هذه الميزة ربما تساعد فى تحسين ذاكرة الكمبيوتر.

علماء الفيزياء فطنوا منذ فترة طويلة الى خصائص المواد الطبيعية المقاومة للمغناطيس جرى اكتشاف حقيقتها منذ اربع

فن وراديو





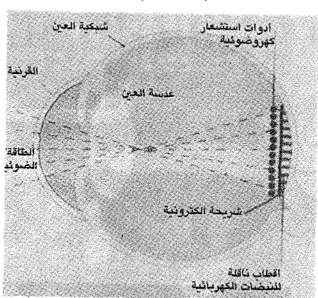
كل شىء فى هذا الراديو الجديد يوحى بالجمال ويؤكد تمازج متعة العين مع متعة الاذن، كما يؤكد التصميم الذى يوحى بالقرن الواحد والعشرين.

مصمم الراديو راعى فى هيكله ان يكون عبارة عن لوحة مجسمة رائعة الجمال، ومع هذا الجمال فقد روعى فى الجانب التكنولوجى منه ان يوفر جوانب عملية ايضا تعتبر من احدث الصيحات فى عالم صناعة الراديو.

بالراديو عدة موجات،

سنوات فقط، الباحث شين وهو فيزيائى يعمل فى معهد جون هو بكنز، قام حديثا بتطوير صنف جديد من السبائك يشار اليه بالرمز (G M R) ويعتقد خبراء الصناعة ان هذه السبائك ربما تكون زهيدة الثمن مما يشجع على استخدامها واستثمارها فى التطبيقات العلمية.

نعمة الابصار معجزة.. فى القرن العشرين



خطوة طبية والكترونية جريئة قام بها فريق من الباحثين الامريكيين بهدف تلافى بعض الاضرار الناتجة عن امراض تسبب العمى.

توصل الفريق الى زرع شريحة الكترونية حساسة للضوء داخل العين، وقد تمكنوا بذلك من اعادة بعض القدرة على الرؤية لنوع معين من العميان.

سوف يقتصر الاسلوب الجديد على المرضى الذين حدث لهم أعطاب بالخلايا التى تتلقى الضوء فى شبكية العين.. فقد وجد احد جراحى العيون الامريكيين انه اذا كان العصب الموجود خلف الخلايا الضوئية ما زال سليما فان الشخص يمكنه رؤية الضوء عندما يستشعر العصب نبضات كهربائية.

وهكذا قام فريق من الاطباء والمهندسين الالكترونيين بتصميم شريحة الكترونية تذرع داخل العين وتتلقى الضوء وتنقله الى نبضات كهربائية تؤثر فى اعصاب الخلايا الضوئية فى شبكية العين، وبذلك يعود للاعمى نوع من القدرة على الرؤية.

ويقول جراح العيون، بجامعة «جون هوبكينز» الاستاذ «يوجين دي خوان» ان هذه تعتبر مجرد خطوة اولى على الطريق الصحيح.

و«توم جراي» المشرف على الجانب الالكترونى فى تلك البحوث يقول انه من الممكن نظريا تطوير شريحة الكترونية تحتوى على ادوات استشعار يصل عددها الى ١٠٢٤ وبها يمكن استعادة القدرة على الرؤية.

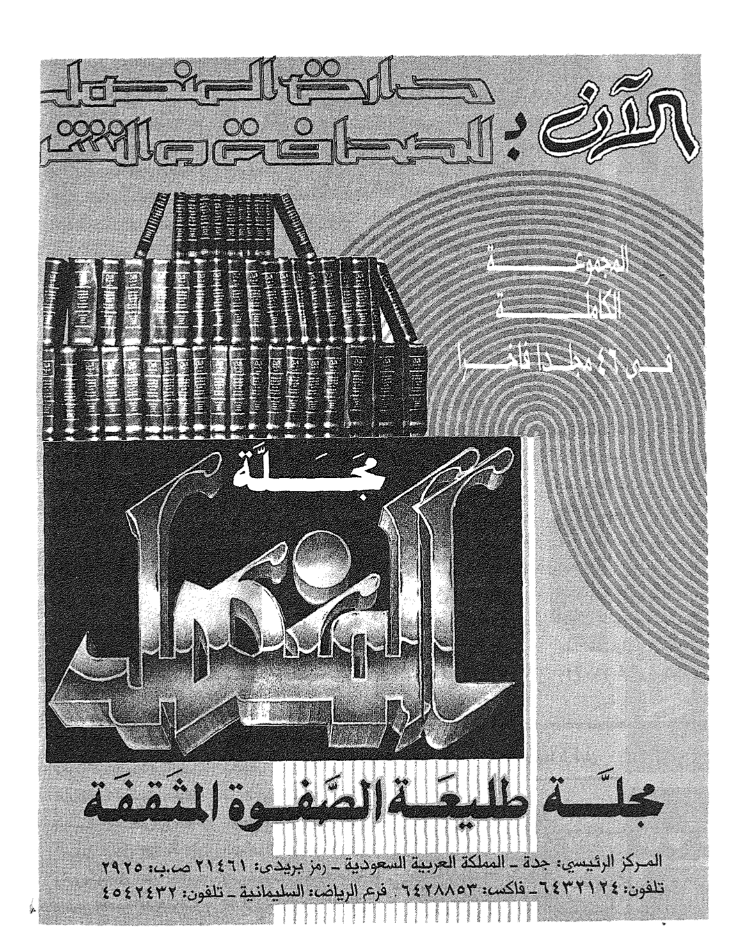
والجدير بالذكر ان الغرض من هذه البحوث هو اعادة جزء من القدرة على الرؤية فقط، تكفى لتحرك الانسان الذى كان اعمى بسهولة نسبية ولكنها لا تقارن برؤية العين الطبيعية. فصورة العين الطبيعية تحتوى على ما يقارب المليون معلومة.. هذا مقارنة بحوالى (١٠٢٤) تحتويها الصورة الالكترونية.

وقد صممت الساعة بطريقة مبتكرة بحيث تكون كروية ومرتكزة ايضا على قاعدة صغيرة متحركة بحيث يمكن توجيه الساعة فى اى اتجاه وتحريكها الى اعلى أو الى اسفل حسب ما يناسب الانسان ويعمل الراديو بالبطارية والكهرباء وحجمه لا يزيد عن ١٠×١٥×٢٠ سم مكعب.. اريال الراديو من النوع الذى يمكن جذبه للخارج كما يمكن التحكم فى موجات الراديو والصوت بتقنية عالية جدا.. وهى على شكل دوائر صغيرة تتناغم مع التصميم العام.

سفينة.. ولا كل السفن

انها السفينة «راديسون دياموند» الرائعة.. الثورية التصميم، والتى قامت بتدشينها بريطانيا.

السفينة تكلفت ٨٠ مليون جنيه استرلينى وتتسع لـ٣٥٤ شخصاً وتزن ٢٠ الف طن وارتفاعها ٤٢٠ قدما وعرضها ١٠٣ قدما وطاقمها مكون من ١٩٢ شخصا اما عدد قمراتها فتبلغ (١٧٧) قمرة فاخرة.



الآن : دار المنهل للصحافة والنشر
المجموعة
الكاملة
في ٤٦ مجلدا فاخرا
مجلة
المنهل
مجلة طليعة الصفوة المثقفة
المركز الرئيسي: جدة ـ المملكة العربية السعودية ـ رمز بريدى: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٩٢٥
تلفون: ٦٤٣٢١٢٤ ـ فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ . فرع الرياض: السليمانية ـ تلفون: ٤٥٤٢٤٣٢



قسيمة اشتراك فى مسابقة المنهل للنشاط الابداعى ٢

« الشـــعر »

شروط المسابقة :

(١) أن تكون القصيدة أو (القصائد) لم يسبق نشرها وأن تكون منسوخة على الالة الكاتبة من وجه واحد فقط .
(٢) أن تكون باللغة العربية الفصحى ومضبوطة بالشكل فيما تقتضى الضرورة ضبطه .
(٣) أن تتوافر فيها مقومات الابداع الأصيل .
(٤) ارفاق القسيمة الاصلية شرط أساسى للدخول فى المسابقة وهى صالحة لعمل واحد فقط .
(٥) اخر موعد لارسال الاعمال نهاية شهر شوال ١٤١٣هـ الموافق ٢٠ ابريل ١٩٩٣م .
(٦) الاعمال المخالفة للشروط السابقة تستبعد من الدخول فى المسابقة .
(٧) تعرض الاعمال على لجنة متخصصة لتحديد القصائد الفائزة فى المسابقة ، وقرار اللجنة نهائى فيما يتصل بالاعمال الفائزة .
(٨) للجنة الحق فى نشر ما تراه جيدا من القصائد المقدمة والتى لم تفز فى المسابقة .
(٩) تنشر نتيجة المسابقة فى عدد المنهل لشهر المحرم ١٤١٤هـ وستعمل المجلة على نشر القصائد الفائزة بالمسابقة فى نفس العدد .
(١٠) يخطر الفائزون على عناوينهم وترسل لهم المكافآت الخاصة بالمسابقة . ولا ترد الاعمال لاصحابها .

■ **توزع الجوائز على النحو التالى:**

● الفائز الاول : جائزة قدرها ١٠٠٠ (ألف ريال) واشتراك مجانى بالمنهل لمدة عام .
● الفائز الثانى : جائزة قدرها ٧٥٠ (سبعمائة وخمسون ريالا)، واشتراك مجانى لمدة عام .
● الفائز الثالث: جائزة قدرها ٥٠٠ (خمسمائة ريال) واشتراك مجانى لمدة نصف عام .

مع تحيات مجلة



سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل

تحية طيبة . .

فضلا ارجو الاشتراك فى مسابقة المنهل للنشاط الابداعى (الشعر) المعلن عنها فى العدد ٥٠٢ ومرفق لكم طيه مشاركتى فى المسابقة بقصيدتى :

. . . .

. . . .

اسم الكاتب (ثلاثى) . . . . السن : . . . .

العنوان : . . . . القطر : . . . .

المدينة : . . . . ص.ب : . . . . رمز بريدى : . . . .

تليفون : . . . . فاكس : . . . . تلكس : . . . .

أى معلومات اخرى : . . . .

ترسل المشاركات الى مجلة المنهل المركز الرئيسى - جدة - الشرفية ٢ شارع تنورة (عرفات سابقا) - برقيا : المنهل - الرمز البريدى ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٩٢٥ - ت : ٦٤٢٧٨٣١-٦٤٢٥٦٨٧ - فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣ مرفقة بالقسيمة الاصلية .

موضوع خاص:

...س يمضي والحياة تتغير وقوانين الخالق الاعظم باقية ابد الدهر، هنا كان الأجداد يوماً، وبقيت بقايا من ديارهم ... وهم، واصبح كل شيء قطعة من الحياه، يحمل معنى ...ه وغاية، فهل يدركها الانسان يوماً

مدخل للإبداع الفني عند الأطفال

بقلم: د. يوسف خليفة غراب (القاهرة)



● استخدام الطفل للحاسبات الآلية يفتح افقاً جديدة للفكر والابداع نحن مطالبون بتحقيقه.

للمعرفة دور اساسى فى تنمية الابداع، وتكوين المفاهيم والمدركات المعرفية والبصرية يعطى تكاملا فى الرؤية والتناول، كما ان زيادة المعلومات والمعارف عن الاشياء والمدركات تكون رؤية واضحة، وكلما زادت سعة المعلومات المتاحة للطفل عن الشيء كان العطاء اكثر قيمة وجدوى. ويهدف هذا المقال الى تنمية الابداع الجمالى للطفل من خلال عمليات التذوق والاستمتاع الفنى.

والغاية من ذلك تزويد الطفل بالمدركات والمعارف والمعلومات المتصلة بالمدركات بطريقة واعية ومخطط لها سلفا، الى جانب تنمية المدركات الحسية للطفل بقيم ابداعية جمالية تسهم فى تعديل سلوك الطفل بطريقة افضل واكثر قيمة انسانية، بالاضافة الى استثمار الطفولة وغرس قيم إبداعية لدى كل طفل مزود بقدرات ومواهب حقيقية وتأصيل ذلك بإيجابية.

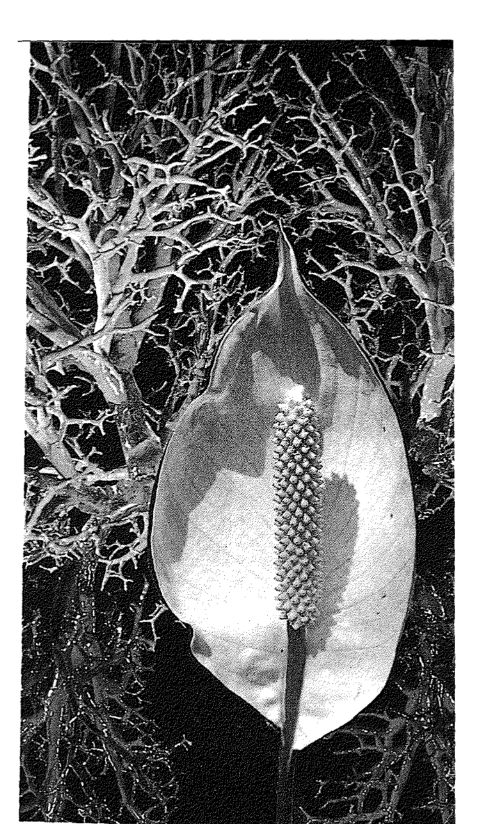


● ايقاع جمالى املته الطبيعة على الانسان.. ان ابلغ قوانين التوافق اللونى يمكن ان نتعلمها من الطبيعة المملوءة بالمفردات وما على الانسان الا ان ينتقى من هذه المفردات ويعيد منظومة رؤيته الابداعية من جديد فى شكل جمالى ويمكن تنمية ذلك الاحساس والذوق عند الطفل بحثه دائماً على رؤية الجماليات والتفكير فيها.

تقديم المعرفة للطفل:

من الضرورى ان نقدم المعلومات الضرورية والوفيرة للطفل عند تقديمنا لشكل من اشكال الفن او رؤية جمالية نريد بها تعديل سلوكه الفنى ليصبح اكثر قيمة وتكيفا واتزانا مع الحياة.

وذلك لنجعله يدرك جيداً ما يراه ويفكر فيه، ويحاول ان يبحث عن مصادره واسباب الهيئة التى يوجد عليها الشكل، وذلك لأن



زيادة المعرفة تحقق عائداً افضل على الانسان وسوف نقدم نموذجاً مبسطاً لاثراء الخبرة المعرفية والادراكية والجمالية للطفل، تساعده فى تشكيل سلوكه فى الحياة لكى يكون اكثر جمالا وخلقا.

نموذج مقترح لتنمية الخبرة الجمالية للطفل

يتكون هذا النموذج من ثلاثة محاور اساسية: الاول يسمى المحتويات، وهى كل المدركات التى نود ان يعرفها الطفل ويدركها جيدا، والثانى: ويسمى العمليات، وهى ان المحتويات الاولى تشكل مشكلة لعقل الطفل هذه المشكلة تدخل الى العقل فيتحرك ويعمل جاهداً على حلها، واذا حلت المشكلة نتيجة العمليات العقلية كان ناتجها ما يسمى بالمخرجات او النتاج.

ثم يأتى بعد ذلك المحور الثالث وهذا النموذج، قد بنى اساساً على نموذج التكوين العقلى لـ «جيلفورد».

ورغم ان هذا النموذج يعد قديماً الا اننا يمكننا الافادة منه ايجابياً فى تنمية واثراء خبرة الطفل الجمالية، « راجع الصفحة التالية »

تحليل النموذج:

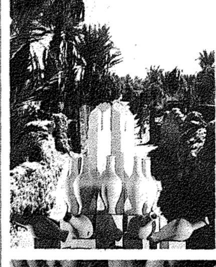
من المتعارف عليه فى اية عملية تعليمية ان يقدم العلم أو المعرفة مجزأة تتفق وقدرات الانسان، اما الطفل الذى تقدم له المعرفة، مثال ذلك اذا طبقنا النموذج السابق واردنا ان نقدم مفهوم او معنى الوحدة الفنية للطفل فاننا نأخذ من (أ) ١ ومن (ب) ١، ٢، ٣، ٤، ٥، يكون الناتج وفق اهدافنا جـ ممثلا فى الشكل او الرمز او اللغة او السلوك وهكذا تكرر العملية مع رقم ٢ فى أو ٣ فى أ وهكذا، علما بأن المكونات ترتبط ببعضها رأسيا وبتسلسل ويكون ناتج العملية فى النهاية ان الطفل يتعلم وفقاً للهدف الموضوع الفن او الموضوع الجمال المحدد، ومن مميزات هذا النموذج ان المخرجات فى المجموعة (جـ) يمكن ان تصبح هى المدخلات مع بقاء المحور (ب) ثابتاً ليكون الناتج شيئاً واحداً فى الفن ممثلا فى محتويات أ (١، ٢، ٣، ٤، ٥) وباكتساب الطفل مهارة فى المخرجات والمدخلات يصبح اكثر

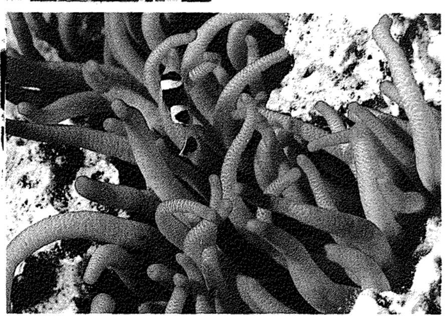
نمـوذج مقـترح لتنمية الابـداع
الجمالى عند الاطفال

المحور الاول للنموذج	المحور الثانى : العمليات	المحور الثالث : النتاج
(١) وحدات (٢) علاقات (٣) اقسـام (٤) انظمـة (٥) مضامين (٦) تشكيلات	(١) التعـرف (٢) تذكـر (٣) تفكير متقارب (٤) تفكير متباعد (٥) تقويـم	(١) شـكل (٢) رمـز (٣) لغـة (٤) سـلوك الفن - الجمال

الماما وثقافة باشكال الفن المختلفه، ومن ثم يتعدل سلوكه الفنى.

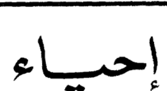
■ ان اطفالنا اعز ما نملك وفيهم وبهم تزدهـر الحياة ونحن مطالبون بان نغرس فيهم قيم الجمال والحق والخـير وذلـك لا يتـحـقـق إلا بالتخـطيط الدائم للطفل فى كافة مراحل عمره، واذا تحقق ذلك كان الغد اكثر اشراقاً.





● كل ما يفعله الانسان انه يعيد صياغة المدركات والمفاهيم من جديد باستخدام مفردات الطبيعة، ويكون اتفاق وتآلف النظام الانسانى فى الابداع مع الطبيعة رائعاً كما تكون عناصرها فى وحدة واحدة، ولو نظر الانسان لما يحيط به لأدرك قوانين الجمال فى الكون والنفس ولتعدلت سلوكياته نحو الافضل.

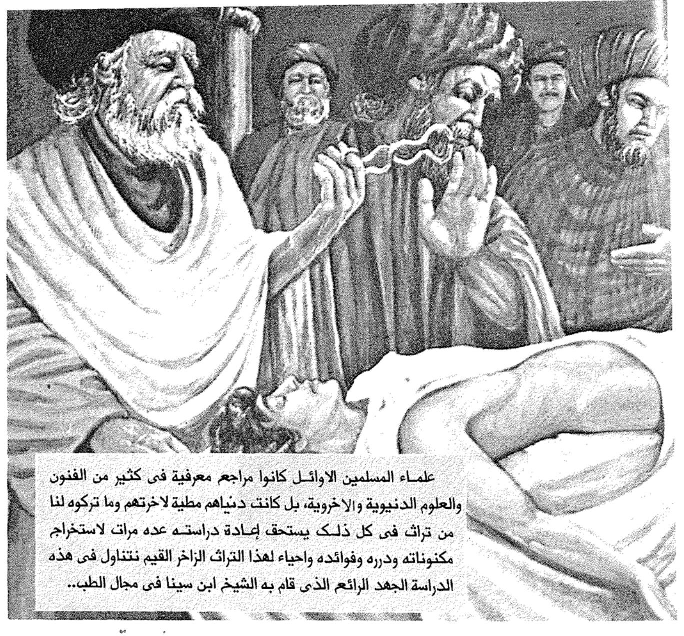
● كائنات بحرية تداعب سمكة.



إحيـاء

فى تعريفه للطب يقول ابن سينا «علم يعرف منه احوال الانسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة».

بين الشيخ ابن سينا أن جسم الانسان بمثابة وسط حى تحيط به البيئـة الـطبيعية التى يعيش بها ومنهـا، فأكـد التفاعـل الـدائم



طب قديم

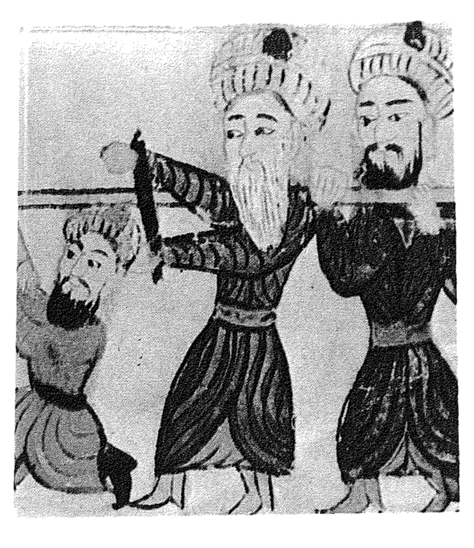
التراث الطبى

بقلم: د. نبيل سليم الاسكندرية

بينهما. . وبعد التعرض للعناصر الوراثية يشير الشيخ الرئيس الى الخصائص الطبيعية للجسم التى تجعله يحافظ على سلامة مزاجه ووظائفه ويقول ابن سينا: ان هناك قوتين يمكن للطبيب استخدامها، احداهما طبيعية والثانية حيوانية، ويضاف اليهما التعديل والاستفراغ، أما وظيفة المناعة أو الدفاع الخاصة فهى تدفع الجسم الى مقاومة التغيرات التى تحدث لأسباب داخلية أو خارجية.

ويشير ابن سينا الى تعديل الأسباب المؤثرة وهى أمور سبعة تتلخص فى تعديل المزاج، فاختيار ما يتناوله الانسان، فتنقية الفصول، فحفظ التركيب، فاصلاح المستنشق، فاصلاح الملبس. . ثم تعديل الحركات البدنية والنفسية التى يدخل فى نطاقها حالتى النوم واليقظة.

تعرض ايضا الشيخ الرئيس الى شتى الوسائل التى تساعد على التربية الصحية السليمة وحفظ الصحة أو البدن مؤكداً أهمية اصلاح المياه الجوفية ووصفها بمزيد من الدقة واشار الى خطورة تعفنها



والى ضرورة تطهيرها، فيقول مثلا: «ان التصعيد والتقطير يصلح المياه الرديئة، فإن لم يكن ذلك فالطبخ».

وفى مجال التقطير اشار ابن سينا الى دور وتـأثير الطين فى حبس وترسيب المواد الغريبة أو الشائبة العالقة بالماء فكان أول من نبه إلى ذلك، فنحن اليوم نستعمل لهذا الغرض مثلا المواد التى تحل محل الطين مثل سلفات الألومين وغيرها.

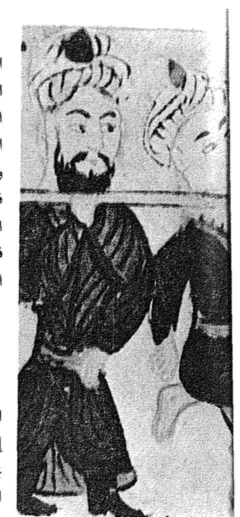
كما ان ابن سينا كان اول من اشار الى تطهير المياه باضافة الخل والأحماض التى تبيد الجراثيم وتقضى عليها مثل جراثيم الكوليرا والحمى التيفودية أو التيفود.

تنقية البيئة عند ابن سينا

اما عن تنقية الهواء من التلوث، فقد بين صفات الهواء الجيد بأنه الذى لا تخالطه الأبخرة والأدخنة أو الأشياء الغريبة.. وأكد أن من الوسائل المطهرة للهواء، استعمال العطور النباتية فى شكل التبخير والتدخين أو فى شكل مركبات أخرى.. ولعلنا نرى اليوم مئات الأنواع من «الاسبراى» سواء المعطر او الملطف او المنقى وغيرها.. وبالنسبة للمسكن وتدبيره يقول ابن سينا انه «ينبغى لمن يختار مسكنا ان يعرف تربة الأرض وحالها فى الارتفاع والانخفاض، وهل هى معرضة للرياح أم غائرة فى الأرض، وعليه أن يعرف ايضا طبيعة رياحها.. وما الذى يجاورها من البحار والجبال والمعادن والبطائح.. ويعرف حال أهل البلد فى الصحة والأمراض.. ثم أى الأمراض يعتادهم، ويتعرف على قوتهم وشهوتهم وهضمهم ونوعية أغذيتهم، كما يجب ان يجعل الابواب والفتحات شرقية شمالية، وأن تكون اعمدة المسكن ملائمة بحيث يمكن للرياح الشرقية مداخلة الأبنية، وتمكين الشمس من الوصول الى كل موضوع فيها، وعليه مجاورة المياه العذبة الكريمة الغمرة النظيفة.

وهناك دستوران متكاملان يجب الاهتمام بهما: اولا.. اختيار ما يؤكل من حيث الكم والكيف بالنسبة الى الحاجة والى حفظ الصحة فيجب إذاً معرفة خصائص المأكولات من انواع اللحوم والحبوب والبقول والتوابل والمشروبات والأملاح.

كما أن تدبير الاكل ينفصل عن تدبير الحركات البدنية والرياضية وعن تدبير وسائل الاستفراغ وكل ذلك «حفاظا» من أمراض الامتلاء وان «الرياضة امتع الاسباب لاجتماع مواد الامتلاء فى البدن وتأثيرها السيىء عليه». ويقول ابن سينا فى صدد وقاية الأغذية «ان اللبن واللحوم والسمك البارد، قد يحدث لهم تغير وتعفن يكون سببا فى تسمم الجسم بأمراض تعفنية مختلفة.. فمثلا قد يستحيل اللبن



فى طريق للحموضة الى عفونة اخرى ويتولد عنه دوار وغشى ومغص فى فم المعدة وربما عرضت منه هيضة قاتلة» . . «وقد يتحقق تجنب هذه العفونة بالطبخ والترويح والتحميض، واضافة بعض المواد المانعة من التعفن.

وعن أهمية الرياضة يتحدث طويلا عن تدبير الحركات البدنية بشتى انواع الرياضة والتدليك والاغتسال أو الاستحمام وذلك بعد تحليل اشكالها وسرعتها وشدتها وترديدها وامتدادها بالنسبة للمرأة الحامل، كما أشار الى التمسك بقواعد الصحة النفسية مرارا لأنها تتلازم دوما مع الصحة البدنية عند كل انسان.

وخلاصة القول أنه سواء فى الكتاب المتعلق بالوقاية وحفظ الصحة، أو فى عديد من الفصول المتفرقة فى فنون كتاب القانون . . اعطى ابن سينا أهمية بالغة لتعديل واصلاح البيئة . . ومن ناحية اخرى فقد ضم قانون ابن سينا ايضا ـ وهو الموسوعة الطبية الشاملة ـ شتى فروع العلوم والمعارف الطبية، وان الطبيب ليجد فيه بغيته مهما كانت.

ابن سينا والمحك الأول للطبيعة

إذا كان جلد الانسان هو المحك الاول له مع الطبيعة، حيث إن أجزاء كبيرة تكون غالبا عارية مما يجعلها عرضة للعدوى بميكروبات البيئة . . والتلوث بما فيها من شوائب . . ومن يطالع كتاب القانون خاصة الأبحاث التى وردت فيه عن الجلد ولواحقه (الاظافر والشعر) يجدها قد عولجت بأسلوب شيق جذاب وتركيب متقن بديع.

تكلم ابن سينا فى قانونه عن الامراض الجلدية التى كانت معروفة فى عصره . . وعلل أسبابها حسب المفاهيم الفلسفية السائدة لدى علماء ذلك العصر، فهى مفاهيم الاخلاط والأمزجة التى تنجم عن اضطراباتها جميع الأمراض ومنها الامراض الجلدية التى لم تكتشف الا فى الازمنة الحديثة بفضل تطور وسائل البحث والتشخيص وبعد اكتشاف مسببات تلك الامراض والجراثيم والطفيليات وما شابهها.

ومن الممكن بنظرة حديثة تصنيف او تقسيم الأمراض التى وردت فى كتاب القانون الى مجموعات أربع:

الاولى: هى الامراض التى تدخل فى أبحاث الأمراض العامة (الطبية والجراحية) كالاورام والقروح والبثور ومنها السرطان وداء الخنازير، والعرق المدينى والجذام والبرص، والتقيحات، والنواسير.

الثانية: هى الأمراض الجلدية الصرفة ومنها البهاق والنملة (الاكزيما) وداء السمك.

الثالثة: وهى أمراض لواحق الجلد أى الشعر والاظافر.

الرابعة: فهى الزينة والعناية بصحة الجلد.

■ ومن البديهى أننا لا نستطيع فى هذه العجالة، أن نتكلم عن جميع هذه الأمراض بل نكتفى بتقديم صورة مختصرة عن بعضها ونرى أن من الواجب أن نسجل فى البداية، أننا وجدنا فى معظم أبحاث ابن سينا التى تتعلق بالجلد آراء صائبة جداً فى وصف بعض الأمراض وتمييزا دقيقا لعلاقاتها وأعراضها وخصائصها وتطوراتها وانذاراتها وطرق عدواها.

من ذلك داء الخنازير المعروف حاليا باسم سل العقد الليمفاوية للشباب. ونحن نعلم الآن أن مقاومة الصبيان لسل العقد الليمفاوية جيدة جدا وأن شفاءهم العفوى من هذه الاصابة وارد دوما وأبدا.

ومن ذلك الجذام هذا المرض الذى قال عنه: إنه علة رديئة تفسد مزاج الأعضاء وهيئاتها وشكلها، وربما أفسد فى آخره اتصالها حتى تتآكل الاعضاء وتسقط.. وهو كسرطان عام للبدن.

وقال «يعني ذلك كله فساد الهواء فى نفسه او لمجاورة المجذومين فإن العلة معدية وقد تقع بالإرث».

وقال «وهذه العلة تسمى (داء الأسد) قيل انها سميت بذلك لأنها كثيرا ما تعترى الأسد، وقيل لأنها تجهم وجه صاحبها وتجعله يشبه سحنة الاسد»، وهى ما تعرف فى هذه الأيام خاصة فى الكتب الفرنسية باسم «السحنة الأسدية Facies Leonien» كما قيل ايضا انها تفترس من تأخذه افتراس الأسد.

ايضا هناك العرق المدينى (Filaire de Medine) الذى قال عنه: له حركة دودية تحت الجلد كأنها حركة حيوان، وكأنه بالحقيقه دود، حتى ظن بعضهم أنه حيوان يتولد، وأكثر ما يعرض فى الساقين، وقد رأيته على اليدين، وعلى الجنب، ويكثر فى الصبيان» وقال: «وربما ولدته بعض المياه.. واكثر ما يتولد فى المدينة، ولذلك ينسب اليها».

وقال فى معالجته: «فالصواب ان يهيأ له ما يشد به ويلف عليه بالرفق قليلا حتى الى آخره من غير انقطاع».

كما قال عن البهاق (Vitiligo) وهو ابيضاض يطرأ على الجلد فى



النباتات والاعشاب أحد مصادر الدواء

بعض المناطق فى الجسم بأنه يكون فى سطح الجلد وليس له عور أو سمك.. ويريد بذلك انه تغير فى اللون فقط.

ولقد ميز بين البهاق والبرص الذى هو ابيضاض يصيب الجلد ولكن فى عمقه فقال: والبرص يأخذ فى الجلد واللحم الى العظم، ومعنى ذلك أن البرص يصيب الاجزاء العميقة من الجلد، كما انه يصيب العضلات والعظام، وهذا ينطبق على نوع من الجذام، وهو الجذام الناصل Lepre (Achromiante) (أى بقع الجذام الفاقدة للصباغ الجلدى) والتى تصيب سطح الجلد فتفقده الصباغ ثم تنتهى بتآكلات عنيفة.

أما العناية بصحة الجلد فقد أولاها ابن سينا اهتماما بالغا فنادى بتنظيفه والاكثار من الاستحمام دفعا للأمراض التى قد تلتحق به كالجرب والحكة والقمل والتى تتولد من انسداد مسام الجلد وقلة التنظيف.

وكذلك الزينة التى يبتغى منها إصلاح ما افسدته بعض الامراض الجلدية أو يتقى بها اصابات تؤدى الى تشويه الصورة أو يحافظ بها على جمال البشرة ولواحقها كالشعر والأظافر.. لذا نجده يوصى

بالعناية بالشعر ويتكلم عن اسباب ضياعه (نقصه أو سقوطه) ويصف الأدوية الحافظة والمطلوبة والمنبتة له كما يصف مجعداته ومبسطاته (Frisage et Defrisage) ويكثـر من وصف الادوية والقـواعـد الواجب اتباعها لإبطال الشيب او منعه او لصبـغ الشعـر بالخضـابـات او المسودات او المشقرات او المبيضات.

كما ان له ابحاثاً قيمة فى القانون فى اصـلاح احوال الجلد من جهة اللون، ولـه دراسـات واقية ومنهـا الأشياء المحسنـة للبـدن بالتـبريق والتجميع والجلاء اللطيف (Maguillage)، ومـنهـا الـطرق الكفيلة بإزالة آثار الضرب والآثار السـوداء وآثـار القروح والجدرى، وآثـار الـبرص والنمش والكلف والـوشم، ومنهـا معـالجـة الحمـرة المفرطـة فى الـوجـه، والباذ شنام «الذئب الشرس» (Lupus Perino) ومنهـا معـالجـة البهـاق والـبرص والوضح (Alpineism).

بعث تراثنا المندثر

وبشكل عام فإن بحث الزينة لدى ابن سينا واسع جدا ويحتاج الى دراسة مستفيضة ومفصلة، لذا فقد اقتصرنـا على ذكـر بعض الامثلة والأقوال ذات المعنى البارز والفائدة الملموسة، بيد أن هناك مجالاً واسعاً للبحث والاستكشاف والمقصود من ذلـك ليس فقط إبـراز المعلومـات النيرة التى كتبها اسلافنا الأمجاد فى صنـاعـة الطب ولا سيما فى ميدان حفظ الصحـة، ولكن زيادة على ذلـك استخلاص العبرة والنصائح الحكيمـة التى كثيرا ما يتنـاسـاها بعض الأطباء فى عصرنا هذا.

لقد احتل العرب المركز الأول فى مجال الطب لمدة تزيد عن ٥٠٠ عام (ما بين ٧٠٠ الى ١٢٠٠).

وإذا كان حديثنا اقتصر على ابن سينـا فى هذا المقـام فلابد قبل ان نختم هذا الحديث من الاشارة الى جوانـب اخـرى.. فمـن بين الانجـازات الـطبية العظيمة التى يدين بها الغرب للطب العربى.. التـطعيم ضد الجـدرى الـذى استخـدمـه الأطباء الفرس وطوره العرب، إذ كانوا يختنون الجلد من التطعيم بالغشاء المخاطى، وهكذا مهدوا الطريق الى اساليب التطعيم التى اكتشفها «جنر» عام ١٧٩٦م.

وفى علم الصيدلـة عرف العـرب العـديد من النباتات الطبية، ومن الجدير بالذكر انهم استخدموا عفن البنسلين وعش الغراب، كمراهم لمداواة الجـروح المتقيحـة، وهكذا عرفوا استخدام المضادات الحيوية بطريقة تجريبية.. اما طب العيون فهـو من ابتـداع العـرب، وقـد ساعـدت المعـرفـة الـواسعة لعلماء الطبيعة فى مجال البصر أطباء العيون الـعـرب الى حد بعـيد، وظـلت اسـاليبهـم الفنية لمدة طويلة حتى القـرن التـاسـع عشر، وفى عام ١٢٥٦ اخـترعت الابـرة المجـوفـة لاستخدامها فى سحب سحابة العين.

● تراث المسلمين فى العلوم أفاد منه الغرب

■ هذا وقـد قدمت الاكـاديميات العربية بمكتباتها وكلياتها وخططها التعليمية ونظمها ودرجاتها الجامعية وطلابها الاجانب حسب قومياتهم، نماذج لنـظم الـتعليم انتقلت الى اوربـا الـتى اتبعت هذه النـظم وحـاكتهـا فاقـامت على غرارها جامعاتها الكبيرة فى بولونيا وباريس ومونبلييه واكسفورد.

ان اسهام الحضارة الاسلامية فى العلوم الـطبيعية يتطلب منا ألا نفصـل هذه المساهمة عن الاصول السـابقـة للعلوم الانسـانية عموما والـتى كانت موجـودة فى البـلاد العـربية.. فإن إحياء «تـركـة» الماضى سيكون له أثره وتأثيره البالغ على انسانية عصرنا وعلومه.. كما أن هذا الـتراث العظيم بالطبع لا ينفى ان رجلا ذا ثقافة عربية سيجد ثروة كبيرة عند بطليموس، والونج بك وغيرهم، تماما كما أن الرجل ذا الثقافة الأوربية لا يستطيع ان يجهل تراث ابـن سينـا والـرازى وابـن خلدون وابن رشد وغيرهم.

لقـد تعمدنا بشكل خاص أن نؤكـد للحـاضر، الأرث الثقـافى لأسـلافنـا فى مواجهـة المفهـوم الاستعـمارى الـذى زيف طويلا - المصدر الاصيل للثقافة العربية وروعتها.

اجتماع:

قراءة في..

● الحالة الايجابية للمجتمع تتمثل سلوك الافراد ومشاعرهم على نحو ايجابي

بقلم: الطيب بوعزة - المغرب -

مدخل:

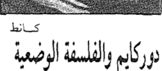
بالتأكيد إن علم اجتماع ما قبل دوركايم (١٨٥٨ - ١٩١٧) في صياغاته الاولى مع سان سيمون، وأوجست كونت، وهربت سبنسر. ليس هو ذاته مع دوركايم وبعده، ذلك لأن الاسهام المنهجي الذي قدمه هذا الأخير يعادل في دقته وعمقه إسهام جاليليو في الفيزياء، بتحديده للمنهج التجريبي، وتطبيقه على الظواهر الفيزيائية، وإذا كان دوركايم لم يعمل على إجراء ممارسات ميدانية، وتجارب سوسيولوجية، فإنه ولا شك ساعد بتدقيقه للمفاهيم الاجتماعية، وتحديده الدقيق لموضوع السوسيولوجيا ومعايير تميزه وملاحظته على إعطاء دفعة قوية لهذا العلم الذى كان - بعد تأسيسه مع أوجست كونت في بداية القرن التاسع عشر الميلادى، يشهد أزمة خانقة نتيجة ركوده وجموده فى نفس الوضعية الملتبسة كعلم تابع لعلوم الطبيعة، ومختلط بتفسيرات ومفاهيم غيره من العلوم الانسانية كعلم النفس مثلا.

إن السوسيولوجيا - راهنا - قد اختطت لنفسها سياقات منهجية ومفاهيمية متميزة عند فكر دوركايم، أوغير مستندة عليه: فهي إما سوسيولوجيا ميدانية (إمبريقية) مشدودة إلى جزئيات الحياة المجتمعية، أو سوسيولوجيا نقدية تتناول المجتمع وظواهره على نحو كلي، معتمدة على مفاهيم وأساليب «الفهم الداخلي» للوقائع، وإبصار بعدها الانساني المتميز، وهي بذلك تقترب على نحو واضح من فكر عالم الاجتماع الالماني ماكس فيبر (١٨٦٤ - ١٩٢٠) متخالفة مع مجمل النسق الفكرى لدوركايم، لكن رغم ذلك يظل لدوركايم حضوره، ولو حضورا بغيابه - إذا صح استعمال لغة فلسفة هيدجر في مقال سوسيولوجي - فهو حاضر أولا بفعل النقلة التى أحدثها في هذا الحقل المعرفي الانساني من مستوى التجريد إلى مستوى التجريب، وهى نقلة نجد حضورها في مختلف إسهامات العلم الاجتماعي حاليا، وهو حاضر ثانيا بفعل التعارض معه والاختلاف مع اتجاهه الوضعي المتطرف، فى سياق السوسيولوجيا النقدية التى تؤكد على ضرورة الحذر من مماثلة علم الاجتماع بعلوم الطبيعة، وضرورة التأكيد على الطابع الانساني، وهي بذلك تجد في دوركايم قاعدة انطلاقها الأثيرة، لأنه على الاقل يحدد لها بجلاء السياق الذى يجب أن لا تسير فيه، والاعتبارات المفاهيمية التى يجب أن تحذر من استعمالها، وبأضدادها تعرف الاشياء كما يقال!.

لذا ليس تناولنا لدوركايم فى هذا المقال، إرتحالا إلى ماض علمي قد انقضى، بل هو استحضار لأصول مفاهيم ورؤى منهجية لازال استعمالها واشتغالها يلحظ في واقعنا العلمي الراهن، ومنهجية أخرى لا نستهدف من قراءتنا هاته الاتصاف السلبي بالنموذج الغربى فى علم الاجتماع، ذلك النموذج الذى ينهض فى عمقه على مسلمات ومفاهيم الحضارة الغربية، بل إننا نحاول قراءته إنطلاقا من ذاتيتنا الحضارية، رغم أن هذه المحاولة تبقى طموحاً وأملا أكثر منها إنجازاً وواقعاً.

سوسيولوجية دوركايم

ي تضامنه وتماسكه، وايجابية التضامن تنعكس على





كانط — البيركامو — موريلي — رولان بارت

دوركايم والفلسفة الوضعية

منذ نقد الفيلسوف الالماني «إيمانويل كانط» (١٧٢٤ - ١٨٠٤) للعقل البشري بعد تساؤله: لماذا لم تستطع الفلسفة أن تساير تطور العلم (الفيزياء)، وبقيت عاجزة عن حسم أولى تساؤلاتها التى طرحتها منذ القديم؟ وتوصل كانط بعد الاجابة على هذا السؤال المقلق إلى التأكيد على أن العقل الانساني عاجز عن التفكير فى المجال الذى يخرج عن إطاري الزمان والمكان، وأن هذا العقل يكون فعالا حين يرتبط بالعالم المحسوس، ويخبط عشوائيا حين يتجاوزه، إلى عالم الماورائيات (الميتافزيقا) منذ هذا النقد الكانطي لقدرات العقل - والفلسفة «تكتسب» إتجاهات فكرية رافضة لها، داعية إلى بناء التفكير في قضايا المعرفة والانسان والمجتمع، مثلما ينبني فى مجال العلم الطبيعي: على أساس الملاحظة والتجربة.

وفى ظل هذا المناخ الفكري الرافض للفلسفة - وخاصة فى منهجها الميتافزيقى - والمعجب بالعلم وأسلوبه المنهجي التجريبى، ستنبثق «الفلسفة الوضعية» مع مؤسسها «أوجست كونت» (١٧٩٨ - ١٨٥٧)، كنزعة فكرية علمية، تؤكد على نحو مبالغ متطرف على فعالية المنهج التجريبى، وضرورة نقله من العالم الطبيعى الى العالم الانساني، وهكذا نادى كونت بتأسيس علم جديد يتناول الظاهرة الاجتماعية بمثل الطريقة التى يتناول بها علم الفيزياء وعلم البيولوجيا موضوعاتهما، أي على نحو تجريبي ينهض على الملاحظة والاستقراء والتجربة وبنشوء هذا العلم وتداوله، يرى كونت أن البشرية ستصل الى المرحلة الثالثة والاخيرة: المرحلة الوضعية، حيث يسود التفكير العلمي الصائب، بعد أن عاشت المرحلتين السابقتين: اللاهوتية (الدينية)، والميتافزيقية (الفلسفية).

ورغم أن دوركايم انتقد غير ما مرة، مفاهيم كونت وتصوراته، ونعى عليه قانونه الشهير (المراحل الثلاث)، ورفض مفهومه للتقدم، فإنه لم يتجرد من كل مفاهيم الفلسفة الوضعية، بل استند عليها، والتزم بمفهومها العلمي، بل وعلى نحوأكثر تأكيداً وجذرية من كونت نفسه: فلم ينتقد دوركايم سالفه كونت، فى قانونه (المراحل الثلاث) إلا لأنه قانون وهمي لا يثبت تجريبياً، ولم ينتقده فى مفهومه للتقدم،

إلا لأنه مفهوم «ميتافزيقي» ليس له مضمون تجريبى ملحوظ.

■ إذن إنطلاقا من مفاهيم الفلسفة الوضعية المؤكدة: على ضرورة إضفاء الطابع العلمى على دراسة المجتمع - وتوسل المنهج الاستقرائي التجريبى - ووجود قانون السببية في الوقائع الاجتماعية مثلما هوموجود فى الوقائع الفيزيائية. . سيدرس دوركايم الحياة المجتمعية الانسانية، ليصل بهذه الدراسة إلى مستوى «العلمية»، ويلح على ذلك إلى درجة رفضه الشديد لكل المفاهيم والتصورات التى لا تتماسك أمام الرؤية العلمية التجريبية. ولذا لا نستغرب إذا اعتبر البعض أن علم الاجتماع لم يتأسس كـ «علم» إلا فى سنة **١٨٩٥** مع صدور كتاب دوركايم الشهير: «قواعد المنهج السوسيولوجي».

كيف ندرس الظواهر الاجتماعية؟

قبل تحديد الكيفية المنهجية الملائمة لدراسة الظواهر الاجتماعية، يقدم دوركايم معيارين لتمييز هذا الصنف من الظواهر حتى لا يضطر علم الاجتماع الى دراسة ظواهر غير متناسبة مع علمه ومفاهيمه ورؤيته، **فما هي الظاهرة الاجتماعية؟**.

لم يكن طرح هذا السؤال من قبل دوركايم ترفا فكريا، بل هو نقطة إنطلاق رئيسة فى تفكيره السوسيولوجى، كما أن هذا التساؤل راجع إلى ما لاحظه في الدراسة الاجتماعية السابقة عليه والمعاصرة له من تخليط فى مفاهيمها، وميوعة في تحديد مجال اشتغالها، ومن المؤكد - يقول بياجيه (١٨٩٦ - ١٩٨٠) أنه «لا يبدأ أى علم فى الوجود إلا بتحديد موضوعه»، لذا نلاحظ أن دوركايم أولى اهتماما خاصا بتحديد موضوع علم الاجتماع.

يقول دوركايم: **«قبل البحث عن المنهج الملائم لدراسة الظواهر الاجتماعية يجب أن نعرف أولا ما هي الظواهر التى تسمى بهذا الاسم»**.

إن المسألة ضرورية خصوصاً وأن هذه الصفة تستعمل كثيراً وبدون تحقيق، فهي تستعمل عادة لكي تدل تقريبا على كل الظواهر التى تحدث داخل المجتمع. . ولكن ليس هناك على هذا الأساس. . حوادث إنسانية لا يمكن أن تسمى اجتماعية، إن كل فرد يشرب ويأكل ويفكر، وللمجتمع مصلحة كبيرة فى أن تمارس هذه الوظائف بانتظام، واذا كانت هذه الظواهر اجتماعية، فلن يكون لعلم الاجتماع موضوع خاص به، وسوف يتداخل مجاله مع مجال البيولوجيا والسيكولوجيا»[١] بينما نلاحظ وجود ظواهر متميزة فى المجتمع، تختلف عن ظواهر العلوم الطبيعية، مثل: القانون، والاعتقادات الدينية، والعادات والتقاليد. . وهذه الظواهر «**ليست خارجة عن إرادة الفرد فقط، ولكنها تتمتع أيضا بقوة الزامية وقسرية تفرض نفسها عليه. . إذن** (فهذه الظواهر) **نوع جديد. . وهي التى تستحق أن يحتفظ لها باسم الظواهر الاجتماعية**»[٢].

■ وهكذا حدد دوركايم معيارين لتمييز موضوع علم الاجتماع:

أ - فلا تعتبر الظاهرة إجتماعية إلا اذا كانت أولا تتميز بكونها ملزمة للافراد وذات سلطة عليهم.

ب - وتكون ثانيا مستقلة عن الافراد ومنتشرة فى الجماعة، أي «عامة».

وبهذا يمتلك السوسيولوجي إمكانية الامساك بالظواهر الاجتماعية، وإبصارها فى سياق الحياة المجتمعية، وباعتبار هذه الظواهر مستقلة عن الافراد وملزمة لهم، فهي إذن ليست نتاج إرادتهم، وبالتالي يؤكد دوركايم على عدم فعالية المنهج النفسي (السيكولوجي) فى دراسة المجتمع، ويدعو إلى رفضه، فرغم ان الظواهر الاجتماعية تتكون من خلال إجتماع الافراد، فإنها لا يمكن أن تفسر إنطلاقا منهم لانهم حينما يترابطون بعلاقات تتشكل الظاهرة الاجتماعية، وتصبح شيئاً آخر غير مكوناتها، لها طبيعتها الخاصة، المتميزة عن عناصر تكوينها.

■ **وهنا يجب أن نتساءل: لماذا رفض دوركايم علم النفس؟**.

يرجع رفضه إلى مستوى علم النفس فى عهده، حيث كان يعتمد على منهج «الاستبطان» -Introspec

tio ، وتناقل هذا المنهج إلى تفسير الظواهر والوقائع الاجتماعية بارجاعها إلى مشاعر الملوك والقادة السياسيين والقادة العسكريين، وتكوينهم الثقافي، والمؤثرات النفسية التى طبعت حياتهم، فأصبح علم الاجتماع بذلك مختزلا في معلومات عن حياة ونفسيات الافراد، لا بحثا فى قوانين وآليات الحياة المجتمعية وعوامل تطورها وعوائقها.

ومزيدا فى تمييز علم الاجتماع عن غيره من الدراسات، دعا الى ضرورة التناول العلمى للظواهر واعتبارها أشياء، إذ بذلك ينفلت علم الاجتماع من إسار النقاش والجدال النظرى الفارغ، والتعلق الساذج ببحث ظواهر وقضايا زائغة غير ملحوظة، ولقد أثار تعبير دوركايم بأنه يجب أن ننظر إلى «الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء» سلسلة من الردود النقدية، والاعتراضات الرافضة لها، وكان أشهر هذه الردود كتاب «جول مونرو Jaules-Monn-erot المعنون: «الظواهر الاجتماعية ليست أشياء»[٣].

وبالفعل نعتقد أن قول دوركايم بضرورة النظر الى الظاهرة الاجتماعية باعتبارها شيئا هو ولا شك نوع من التطرف والمبالغة دافعه هو الرغبة في تأكيد الطابع العلمي لدراسة المجتمع، ولكن للاسف إن هذه المبالغة لا تحقق تلك الرغبة، بل إنها تمنعها من التحقق، لاننا حينما نشيء الظاهرة الاجتماعية نفقدها حقيقتها كظاهرة إنسانية متميزة عن الظواهر المادية الطبيعية، ونمنع أنفسنا من القدرة على الامساك بالمقومات المعنوية اللامادية، الملحوظة في الحياة الاجتماعية للانسان، من خلال آثارها ومفعولها الأكيد على سلوك الفرد والجماعة.

إذن انطلاقا من الهاجس العلمي الوضعي، وبرفض الاتجاه النفسي في تفسير المجتمع، سيحاول دوركايم تأطير الدراسة السوسيولوجية من خلال مفاهيم منهجية، حدد ملامحها منذ كتابه **«تقسيم العمل الاجتماعي»** الذى كان في الأصل رسالته لنيل الدكتوراه، وقد صدر سنة **١٨٩٣**م بأفكار ومفاهيم ظل فى مختلف كتاباته وأبحاثه التاليه يحاول دعمها والدفاع عنها.

مفاهيم سوسيولوجية دوركايم:

ثمة ثلاثة مفاهيم رئيسية في علم اجتماع دوركايم، نجد تداولها شائعا في مختلف كتاباته وتأليفه، بل وفى كتابات أتباعه وتلامذته أيضا وهي:

أ - مفهوم «القهر الاجتماعى».
ب - مفهوم «الشعور الجمعي».
ج - مفهوم «التضامن الاجتماعي».

أ - مفهوم القهر الاجتماعي: قد تكون هذه الترجمة الشائعة فى الكتابات العربية لمفهوم دوركايم تحتاج الى تنبيه حتى لا يؤخذ القهر على غير مدلوله الاصطلاحي عند دوركايم، فليس القهر هنا إلا الضغط والالزام الذى يمارسه المجتمع على مجموع أفراده وآحاده، وهنا نلتقط الموضوع المحوري الذى تدور عليه مختلف كتابات ومفاهيم دوركايم وهو: علاقة الفرد بالمجتمع.

إن الافراد حين يجتمعون ويشكلون مجتمعا، فإنهم بذلك يشكلون كيانا جديدا متميزاً عنهم، كيان له حياته الخاصة، وشعوره، وعوامل تطوره وثباته، كيان عام يصبحون هم خاضعين له لا هو خاضعا لهم، وهو بذلك يمارس على مختلف الافراد قوة وضغطا، ويسيرهم ويؤثر على تفكيرهم ومشاعرهم، بل وعلى أفعالهم وسلوكهم، واذا كانت كل المذاهب الاجتماعية أكدت على تأثير البيئة المجتمعية على الافراد، فإن دوركايم ذهب فى ذلك الى أقصى ما يمكن وصوله بهذه الفكرة، حتى جعل «الانتحار» وهو الموضوع الأثير لدى التفسير السيكولوجي، ناتجا بسبب تأثير المجتمع.

وإذا تساءلنا: ما هو السبب الذى يجعل للمجتمع قوة الضغط والالزام على أفراده؟ يجيب دوركايم بأنه راجع إلى «الشعور الجمعي» الذى يسود المجتمع ويصوغ أفراده.

ب - مفهوم الشعور الجمعي: نجد فى الكتاب المبكر

لدوركايم «تقسيم العمل الاجتماعي» تعريفا للشعور الجمعي يرجعه إلى «مجموع الاعتقادات والمشاعر المشتركة بين غالبية أفراد المجتمع»(١) إلا أنه في كتابه «قواعد المنهج السوسيولوجي» الصادر سنة ١٨٩٥، أبرز أن التماثل والتشابه فى أنماط الشعور والتفكير الملاحظ فى أفراد المجتمع الواحد، ليس هو الذى يؤسس الشعور الجمعي، بل إن هذا التشابه ناتج بالاحرى بسبب ضغط الشعور الجمعي على هؤلاء الافراد، وصياغتهم وفق نمطه، وبذلك زاد دوركايم في تمييز علم الاجتماع عن علم النفس، ورفض هذا الاخير في دراسة الظواهر الاجتماعية.

ولكن لابد من إزالة التباس نلاحظ تداوله فى بعض التفسيرات لمدلول الشعور الجمعي، حيث تساويه بعقل جماعي موجود على نحو مستقل، بينما دلالة الشعور الجمعي - كما يؤكد أيضا مؤرخ السوسيولجيا الشهير «نيقولا تيماشيف»(*) - تعنى ثقافة المجتمع، وما تحمله من مكونات دينية وقيم سياسية قانونية ونظم مالية وعادات وتقاليد.. والتى تتناقل من خلال التنشئة الاجتماعية إلى الأفراد فتصوغهم وتشكل كيانهم العقلي والنفسي.

ج - مفهوم التضامن الاجتماعي: وحين يسود الشعور الجمعي، أو ثقافة المجتمع، وتتكثف عوامل نقله من خلال وسائل التنشئة الاجتماعية، يتلاحم الافراد ويتماسك كيان المجتمع، وهذا التماسك هو ما يطلق عليه دوركايم «التضامن الاجتماعى» وهو من مفاهيمه الرئيسية، ويعتبر دوركايم أن الحالة الايجابية للمجتمع هي حالة تضامنه وتماسكه، وإيجابية التضامن تنعكس على سلوك الافراد ومشاعرهم على نحو إيجابى أيضا: ولذا فجماعة «البروتستانت» باعتبارها أكثر تضامنا وتماسكا من جماعة «الكاثوليك» تشهد نسبة أقل من الانتحارات، بالمقارنة مع نسبة إنتحار الكاثوليك.

وثمة نوعان من التضامن: «تضامن آلي» وهو تضامن المجتمع البدائي الذي يعتمد على «تشابه» الافراد وعدم تمايز بعضهم عن بعض، وكان الشكل القانوني المرافق لهذا النوع من التضامن هو قانون رادع قوي يعتمد أقسى أنواع العقاب، للحفاظ على تضامن المجتمع وتماسكه.

وهناك «تضامن عضوي» مثلما نشهده في المجتمعات الحديثة، والذى ينتج بفعل تقسيم العمل، والذى غير من الوضع الاجتماعي البدائي، وما كان يشهده من تشابه وتماثل بين الافراد إذ بتقسيم العمل برزت فئات وجماعات مختلفة مهنيا، ومكانة في سلم المجتمع. وما دام هذا التضامن العضوى ينهض على الاختلاف، فإنه شكل من أشكال «التعاقد» ولذا فهو تضامن أقل تماسكا من التضامن الآلي، ولذا نلاحظ ان الشكل القانونى سيطرأ عليه تعديل، يتمثل في تخفيف العقوبة على فروقات التضامن، فنجد أن قانون المجتمع العضوي يتوسل أساليب أقل عنفا من أساليب قانون المجتمع الآلي فى تضامنه.

د - المنهج السوسيولوجي عند دوركايم:

رفض أوجست كونت الاسلوب الاحصائي في تناول الظاهرة الاجتماعية ولذلك انتقد العالم البلجيكي «كتليه» فى تطبيقه للمنهج الاحصائى فى دراسة المجتمع، واعتمد كونت عوض ذلك على المنهج التاريخي، مؤكداً على طابع السببية فى تلاحق الظواهر وتعاقبها، أما دوركايم فقد رفض اعتماد المنهج التاريخى واعتبر المنهج الاحصائى ذا أهمية، أكدها بتطبيقه على نحو بارع فى كتابه «الانتحار» الذى صدر سنة ١٨٩٧، واعتبر أن المنهج الملائم لدراسة الظاهرة الاجتماعية هو المنهج التجريبى القائم على الملاحظة والمقارنة بين الظواهر. وحدد دوركايم لهذا المنهج مجموعة من القواعد يمكن إيجازها في:

١ - أول قاعدة منهجية وأهمها حسب دوركايم هى ضرورة اعتبار الظواهر الاجتماعية أشياء، والتعامل معها على أساس هذا الاعتبار، فهي ظواهر واقعية قابلة للملاحظة.

٢ - التخلي عن التصورات المسبقة والشائعة التى

تتداول في واقعنا حول ظواهره الاجتماعية، وإتيان الظاهرة على نحو متجرد من كل مسبق نظرى، فالظاهرة المدروسة هي التى يجب أن تخبرنا عن نفسها لا أن نجعلها تتماشى مع مفهومنا وتصورنا المسبق عنها.

٣ ـ أن نحدد الظواهر الاجتماعية تحديداً دقيقا، ونقصر بحثنا ودراستنا في إطارها وهذا لن يتأتى لنا إلا بتمييز دقيق للظواهر السوسيولوجية عن غيرها، ويقصد دوركايم بالظاهرة الاجتماعية: «**العادات ـ القوانين ـ النظم الاخلاقية ـ المعتقدات ـ الاديان**».

٤ ـ اعتبار الظواهر الاجتماعية مستقلة عن الظواهر الفردية السيكولوجية.

٥ ـ السببية: لكي يكون المنهج السوسيولوجي، منهجاً علميا فاعلا لابد أن يستند في تفكيره على السببية إلا أن دوركايم يرفض إرجاع ظاهرة ما إلى عدة أسباب، ذلك لأن تعدد الاسباب فى نظره إنكار للسببية، وعدم إقتدار على تفسير الظاهرة تفسيراً دقيقا، لذا يؤكد على أنه إذا كانت ثمة أسباب متعددة لظاهرة الانتحار ـ مثلا ـ فليس ذلك إلا دليلا على وجود أنواع متعددة من الانتحار.

■ هذه أهم القواعد المنهجية التي قدمها دوركايم كأسس ضرورية لانطلاق تفكير اجتماعي علمي، ومن الملاحظ أن هذه القواعد لا تخرج عن خصائص التفكير الوضعي، الطامح إلى إنجاز فهم وتفسير للظواهر الانسانية، يماثل تفسير الظواهر الطبيعية، وهنا بالضبط تكمن قوة الاتجاه الوضعي، ونقط ضعفه أيضا.

■ وخلاصة القول: إن الفلسفة والسوسيولوجيا الوضعية باعتبارها رؤى علمية متطرفة تخطىء حين تنظر إلى الظاهرة الانسانية بنفس النظرة إلى الظاهرة الطبيعية المادية وإن هذه المماثلة بين الظاهرتين هي بحد ذاتها غير علمية وتناقض اعتبارات الموضوعية ومقتضياتها لانها لا تنظر إلى الموضوع الانساني كما هو كموضوع تتداخل فيه الابعاد المعنوية والروحية، والمادية، بل تختزله إلى بعد مادي، وتستدخله في قوالب المنهج التجريبى الجاهزة ومعادلات المنهج الاحصائي، إن الظاهرة الانسانية معقدة متعددة الابعاد، وهي أوسع وأغنى من أن تختزل في صيغة سبب/ نتيجة، أو تستدخل في رقم أو معادلة إحصائية.

وهذا التطرف في الفهم والتفسير للظاهرة الانسانية يجد أصوله في مجمل تفكير الحضارة الغربية المادية، مما يستوجب علينا أن ندرك هذا النقص، ولا ننحدر في استنساخ النموذج الغربى الوضعي، وضرورة استكمال المنهج العلمي الانساني بمقولات ومفاهيم تمكننا من إبصار البعد المعنوى والديني في حياة الانسان فرداً وجماعة.

الهوامش

(١، ٢) E.Durkheim: Lesreples de la methode Socio- logique Paris. P.U.F. 1963. P.P.3-4-5

(٣) I. Monnerot: Les Faits Sociause n e sont pas des Choses Paris. Gallimard 1946.

(٤) E. Durkheim. (De la division du Travuil social) Aed. Paris 1960. P.46.

(٥) راجع نيقولا تيماشيف: «نظرية علم الاجتماع»، طبيعتها وتطورها ترجمة: د. محمود عوده (وآخرون).

تنويـــة

نشرت مجلة المنهل فى عددها رقم (٤٩٨) صورة تمثل جانبا من جوانب التراث الشعبى فى مملكتنا الغالية وذلك كلقطة مختارة للعدد المذكور.. ولما كانت هذه الصورة محفوظة الحقوق لمؤسسة عثمان عبد الجبار للتصوير ومقرها الرياض ص.ب: ٢٠٨١١.

فان المنهل ينوه لذلك ويشيد بدور هذه المؤسسة فى القاء الضوء على الجوانب الفنية المؤثرة فى تراثنا الشعبى.

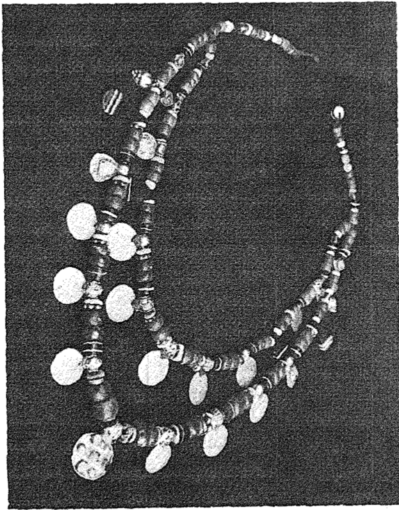
(المنهل)



روقـة منـصـوبـة علـى أعمـدة الكلمـة، قوامهـا: الـطرفـة المـزحـة، المعلومـة والمعـرفـة، المثـل والحكمـة.. أشـتـات جتمعـة تهـش لهـا النفـس وتسـتوعبها.

عجائب وغرائب .. من تراثنا

الهدية على قدر مهديها



حماد السالمي

●● الهدية ما أتحفت به.. وفي القران الكـريـم: ﴿وإني مرسلة إلـيهم بهدية﴾.. وهي هدايا بلقيس ملكة اليمن إلى سليمان عليه السلام.

●● وقد جاء فى الحديث الشريف: (تهـادوا تحـابـوا) .. وفي حديث الجمعة: (فكأنما اهدى دجاجة، وكأنما أهدى بيضة).

●● والهدية لا تكون إلا بين اثنين متصادقين، أو متحابين، وقد اشتهر منها ما كان بين الزعماء والسلاطين وما كان بين العشاق والمتحابين.

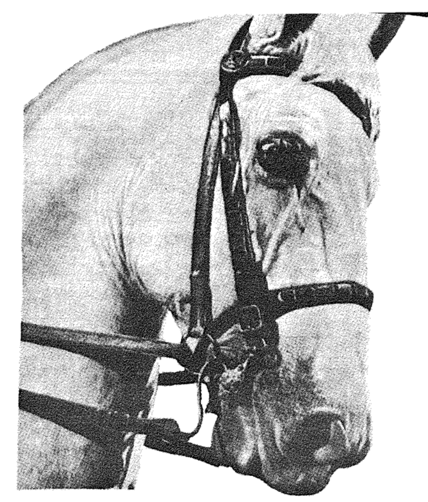
●● وفـى الادب العـربى، احتلت الهدية مكانها بوضوح، شعرا ونثرا ورواية. مما يدل على أن التهادي كان سبيلا من سبل التودد، ومظهرا من مظاهر الصداقة بين الافراد والمجتمعات.

●● على أن الهـدايا لم تكن خالصة في مجمل تاريخها، فقد كان هناك من الهدايا ما حمل السم إلى الطرف الاخر، وما حمل الموت كما فى قصة زنـوبيـا الملكة المشهورة، وكما في البردة المهداة الى امرىء القيس من ملك الروم.

●● ولو تتبعنا مدونات العرب فى باب الهـدايا، لوقفنا على مفارقات وعجائب لا حصر لها، إن فى أسلوب الاهـداء، وإن فى حجم الهـديـة وقيمتها، مما يدخل أحيانا في مجال الخيال الذى لا يصدقه عقل.

●●ويبدو أن تقدير الهدية، قد قام على منـطقية المقولة العربية التى ذهبت مثلا وظلت تتحكم في قيمة الهـدية حتى اليوم.. فالهدية على قدر مهديها.. دافع قوى لتحسين صورة المهـدي فى نظر المهـدى إليـه، وتـعـظيم قدره عنـده، وبـالعكس، فإنهـا بنفاستها وعلو شأنها، تعبر عن شعور المهدي نحو المهدى اليه، ومقدار إعزازه واجلاله له.

●● والهدية لا تخلو أيضا من نقيصة التفـاخـر والتباهي والعلو.. وهارون الرشيد اهدى ملك الفرنجه ـ شارلمان ساعة دقاقة، حتى يوضح له الفرق





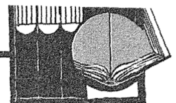
بين الدولة العربية الاسلامية المتحضرة، ودولة الفرنجة المتأخرة.

●● والمدونات العربية فى هذا الباب، لا تقتصر على حوادث عربية فقط، بل تتعدى ذلك إلى أمم الفرس والفرنجة، مما هو غريب وعجيب فى ذات الوقت.

●● يروى صاحب (الذخائر والتحف) أن (برتا) بنت الاوتارى ملكة - الافرنجة وما والاها أهدت الى المكتفي بالله، مع (علي) الخادم - أحد خدم زيادة الله بن الاغلب - سنة ثلاث وتسعين ومئتين (خمسين سيفا، وخمسين ترسا، وخمسين رمحا فرنجية، وعشرين ثوبا منسوجة بالذهب، وعشرين خادما صقلبيا، وعشرين جارية صقلبية حسانا لطافا، وعشرة أكلب كبارا لا يطيقها السبع ولا غيره، وسبع بزات، وسبعة صقور، ومضرب حرير بجميع الاته، وعشرين ثوبا معمولا من صوف يكون فى صدف يخرج من قصر البحر هناك، يتلون بجميع الالوان كقوس قزح، يتلون لونا فى كل ساعة من ساعات النهار.. وثلاثة - أطيار تكون ببلاد فرنجة، إذا نظرت الى الطعام والشراب المسموم صاحت صياحا منكرا، وصفقت باجنحتها حتى يعلم ذلك، وخرزا تجذب النصول والازجة بعد بناء اللحم عليها بغير وجع).

●● إلا ان اعجب ما في هدايا برتا، ليس الطيور التي تملك حاسة ضد السم ولا الحرير والذهب، ولكن رسالة فى حرير ابيض، والخط يشبه الخط الرومي،، ومضمون الرسالة طلب التزويج بالمكتفي ومودته.

●● وكان هذا الخادم من جملة خدم ابن الاغلب صاحب افريقية، أنفذه فى غزاة فى مراكبه التى يغزو فيها بلاد افرنجة ونواحي الروم، فوقع أسيرا عند (برتا) سبع سنين، ثم أنفذته بهذه الهدايا العجيبة والرسالة الاعجب عندما علمت أن المكتفى أعلى ملكا من ملك افريقيا، ومعه طلب الزواج.. ولما عاد (علي) بالجواب مات فى الطريق، ومات معه ما أودعه اياه المكتفي من رسالة شفوية إلى طالبة الود والزواج، وإن تم تدوين نص الرسالة، لرد وعرف فحواها.



كتب .. وإصدارات



●● «أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث» تأليف الاستاذ محمد بن أحمد العقيلي، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ.

الكتاب فى (٥٢٦) صفحة من الحجم الكبير، محلى بمجموعة من الصور النادرة والخرط البيانية والتوضيحية. . والكتاب سفر وثائقى وتاريخي له أهميته، لا سيما وكاتبه من كبار المؤرخين.

جاء الكتاب فى ستة فصول أساسية شملت:

- اضواء على الجزيرة العربية
- الحالة السياسية فى المخلاف السليماني
- السعودية واليمن
- الاختلاف بين الشقيقتين
- المطامع الاستعمارية فى جنوب الجزيرة العربية.
- امتشاق الحسام.

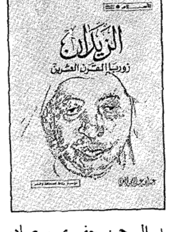
وشمل الكتاب فى آخره: الوثائق والمعاهدات التاريخية، وبيانات ببليوغرافية للوثائق والخرائط، والصور، واسماء الرجال، واسماء الدول والامارات والمدن والقرى والمواضع والقبائل والشعوب.



●● «الادب . . ماهية وفائدة» تأليف الدكتور السيد تقى الدين.

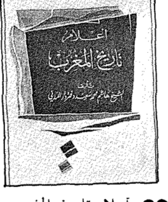
الكتاب فى (٣٦٦) صفحة من الحجم الكبير - صادر عن (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع).

جاء الكتاب فى أربعة فصول تناول فيها: لفظ الأدب وتحديده وتطوره، نظرية الأنواع الأدبية، الأدب وأجهزة الثقافة فى العصر الحديث. . اما الفصل الرابع فقد جاء تحت عنوان: قضايا أدبية، وقد تناول فيه ما يقرب من ثلاثين موضوعا.



●● «الزيدان . . زوربا القرن العشرين» تأليف الاستاذ عبد الله عبد الرحمن جفري، صادر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر تحت سلسلة الاعلام.

الكتاب من الحجم المتوسط فى (١٨٤) صفحة. . الطبعة الاولى محرم ١٤١٣هـ. . وهذا الكتاب كما جاء فى مدخله لا يتحدث عن الزيدان المؤرخ، المفكر، الأديب، الكاتب، ولكنه «تعبير عن عزاء الكلمة، عن عزاء الحب».



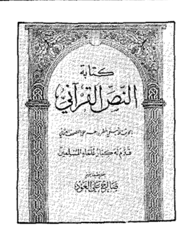
●● «أعلام تاريخ المغرب» تأليف الشيخ هاشم محمد سعيد دفتر دار المدنى الكتاب من الحجم العادي فى (١٧٤) صفحة من منشورات العصر الحديث، توزيع دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

الكتاب سجل حافل لما انجزه علماء المغرب العربى الكبير في مجالات السياسة، والعلم والفكر، والتاريخ والمجتمع، وغيرها.

العثماني» تأليف فضيلة الشيخ صالح على العود، الكتاب من الحجم العادى فى (٩١) صفحة.. جاء الكتاب فى ثلاثة فصول، تناول فيها الكاتب تعريف القرآن الكريم وجمعه، ورسم المصحف، وتناول فى الفصل الثانى وجوه امتناع كتابة القرآن الكريم بالحرف اللاتينى، والفصل الثالث اورد فيه المؤلف مجموعة من فتاوى علماء الاسلام فى كتابة القرآن الكريم بالحرف اللاتينى.



●● «معجزات السبع المثاني فاتح الكتاب ورفعة مكانتها فى الصلاة تأليف الشيخ هاشم محمد سعي دفتر دار المدني.. الكتاب مر الحجم العادي فى (٨٠) صفحة صادر عن دار رادين للطباعة والنشـ - بيروت، والكتاب نظرات فى سو الفاتحة.



●● «كتابة النص القرآني بالحرف اللاتيني خطر داهم على المصحف

رسائل:

صاحب المنهل رئيس التحرير - المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد.

وفقنا الله وإياكم وثبت على طريق الرشد الاقدام.. قرأت العدد الاخير من المنهل واعجبني البيت المكتوب على الغلاف:

فأين الباسلون، اباة ضيم
إذا نادى نفير الحرب قاموا

فزدت عليه:

أبوا أن يسلكوا طرق المعالى
فهم فى الناس ايقاظ نيام
دماؤهم جرت فى كل أرض
وحربهم المحافل والكلام
تبرأ منهم الاسلام لما
أميت العزم وانفرط الزمام

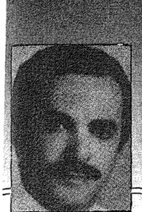
فإن كانت تصلح للنشر كان بها وان... المقبرة أولى بها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عيسى على سعيد
الباحة

المحرر:

ولماذا المقبرة؟!.. النشر أولى بها.. بل هى تصلح وزيادة.. واهلا بك، وبكل ما تحمل من طموح وكبرياء..

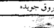


قاموس الرأى

إعداد: تميم الحكيم



فاروق جويده





احمد محمد جمال



عزيز ضياء



جبران خليل جبران

حسن عبد الله آل الشيخ

الحرف	الكلمة	التعليق	اسم الكاتب
الألف	الأمية الثقافية	مرض ثقافى وحضارى خطير، يمكن أن يعصف بأية أمة أو دولة، حتى وان كانت فى قمة مجدها.	فاروق جويده
الباء	البيت	وظيفة المرأة الاساسية، ومهمتها الطبيعية.	احمد محمد جمال
التاء	التأليف المسرحى	هو المحرك الحقيقي لأية نهضة مسرحية مرجوة.	الفريد فرج
الثاء	الثقافة	عنصر هام لحياة الانسان.. فهي غذاء العقل الذى به ينضج وبه ينمو، وبدونها يصبح الانسان قاصرا عن بلوغ التفاعل الاجتماعي الأمثل.	حسين نجار
الجيم	الجمال	ينبوع لا ينضب من السعادة لمن يعرف كيف يكتشفه.	الكسيس كاريل
الحاء	الحياة	كفاح وصبر ودأب.. ومن قبل ذلك ومن بعده عبادة المولى عز وجل، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه.	د. عبد الله باقازى
الخاء	الخوف	هو شعور لا يرهب غير القلب الفاسد.	شكسبير
الدال	دور الناقد	هو توضيح مواطن الجمال، ومواطن القبح.	عزيز ضياء
الذال	الذكرى	حجر العثرة في سبيل الأمل.	جبران خليل جبران.
الراء	الرشوة	داء فاتك يخفي معالم الحق، ويفصم روابط الاخاء، ويدع الناس حيارى بين حق مشروع، وباطل يحجب أصحابه عنه ويدفعه الى من لا يستحقه.	حسن عبد الله آل الشيخ
الزاى	الزواج	اعلان رسمي لاباحة تحقيق دوافع الحب والوفاء بين الزوجين.	د. مصطفى فهمي
السين	السعادة	شعور لا نتسامى اليه الا من خلال الاحساس بوجود الآخرين بكل أبعادهم داخل وجودنا.. فهي مثل الحب نبتة لا تزهر الا فى أرض الايمان بانسانية الآخرين.	د. ثريا العريض
الشين	الشاعر	ضمير انساني أمين يسعى نحو مجتمع خال من الاحقاد.	رجي محمود
الصاد	الصحافة	هواية وعشق وثقافة متنوعة.. وهي أولا وأخيرا أخلاق وفن، وسعة صدر، وصبر على المكاره.	حسن قزاز
الضاد	الضحك	هو الوظيفة الطبيعية للانسان	رابيليه.
الطاء	الطلاق	سيف بتار يقطع المرأة نصفين.. فلا هى حية..، ولا هى بميتة.	أسامة السباعى
الظاء	الظلم	الوجه القاتم للخليقة.	مدحة عكاش
العين	عامل الزمن	هو الذى يرسخ الصداقة ويقويها حتى تصبح جزءا من كياننا.. فنفرح لفرح الصديق، ونأسى لأساه، ونختزن أعمق الحزن لفقده.	محمد حسن فقى



حسين عبد الحي قزاز

محمد حسن فقي

جاك بيرك

د. محمد بن حسين

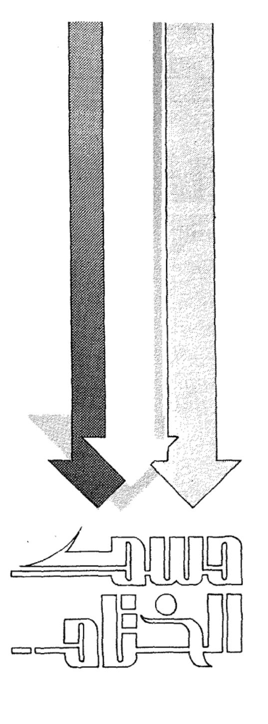
الحرف	الكلمة	التعليق	اسم الكاتب
الغين	غاية الفن	هي استيطان الشعور الحى وتجسيمه، والمشاركة الحيوية التى هى ضرب من الالتماس الوجدانى والتفاعل مع الصور الحيوية.	د. محمد على أبو ريان
الفاء	الفن	رسالة هادفة تتقلد مسؤولية التثقيف والتهذيب فى كل الدول والمجتمعات.	فوزى خياط
القاف	القلم	صائغ الكلام.. يفرغ ما يجمعه العلم.	أبو دلف
الكاف	الكتابة	هى الفعل من أجل التغيير المفترض، وذلك تبعا للمعطيات والظروف السائدة.. فهو بذلك فعل البحث عن الحقيقة.	محمد غرم الله الغامدى
اللام	اللغة	كائن حي يتطور ويتجدد ويضيف ويضاف اليه.	جاك بيرك
الميم	المدرسة	أداة هامة من أدوات التوجيه التربوى، فهي حجر الزاوية والقاعدة الكبيرة فى عملية البناء، والمكان الاول للاعداد والتكوين والمعين الذى يتزود منه طلاب العلم والمعرفة.. وهي أقوى الوسائل التوجيهية تأثيرا، بل هى أكثرها فعالية.	عبد الله بن حمد الحقيل
النون	النجاح	سلم لا تستطيع أن تتسلقها ويداك فى جيبك.	مثل أمريكى
الهاء	الهروب	محاولة غير سامية للبقاء.	محمد أحمد الحساني
الواو	وظيفة الادب	أن يجسد الكرامة والشموخ والكبرياء.. وأن يرفع يده فى وجه العدوان.	على صدقى عبد القادر
الياء	اليتم	هو الاحساس بالانقطاع عن مدد الروح.	د. محمد بن سعد آل حسين

فى العدد القادم: لقاء جديد ومبتكر فترقبوه!!

كلّ عَام وأنتم بخير

عددنا القادم لشهر رمضان المبارك.

عطاء روحي وفكري.. لاشك أنك أكثر حرصاً على اقتنائه



مـا وراء السطور ؟!!

والدارس لتراثنا العربى البشعرى . . تستوقفه ظواهر تكـاد تختفى فيما نقـرأه اليوم من اشعار . . والباحث فى تراثنا الشعرى . . يدرك كل الادراك ويعى كل الوعى . . أنها ظواهر - إن أصاب التعبير - حرى بنا أن نقف عندها وقفات ووقفات متأنية ومتفحصة ومستجلية لكنه تراكيبها الجمالية . . وفنونها اللفظية وابداعاتها التصويرية .

ولنكتف بظاهرة واحدة :

يا من على البعد ينسانا ونذكره
لسـوف تذكـرنـا يومـا وننسـاك
إن الـظلام الذى يجلوك ياقمر
له صبـاح متى تدركـه أخفـاك

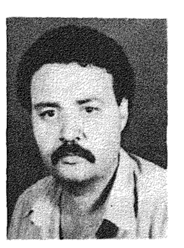
و :

طول مقـام المـرء فى الحى مخلق
لديبـاجتيـه فاغتـرب تتجـدد
فإنى رأيت الشمس زيدت محبـة
الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

والأمـر : يتجاوز ظاهرة القياس المنطقى تلك . . ومجرد الوقوف عليها عند هذا أو ذاك من الشـعراء . . بل هاهم الشعراء يعارض بعضهم بعضا . . بالقياس .

والمسـألة : لا تقف عند حد المعارضة . . والمعارضة فقط . . بل فيها الجديد . . فى الفكر والتصوير .

فهذا أبو تمام مـرة أخرى :



بقلم : نـادر صـلاح الدين - جـدة -

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

■ فيعارضه عبد السلام بن رغبان الشاعر العباسى المعروف (بديك الجن الحمصي) . . أيضا بالقياس :

نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى
كهوى جديد أو كوصل مقبل
مقتى لمنزلى الذى استحدثته
أما الذى ولى فليس بمنزلى

لقد أولع شعراء كثيرون بمثل تلك الظواهر . . القياس المنطقى . . التوليد . . وغيرهما . . خاصة شعراء العصر العباسى . .

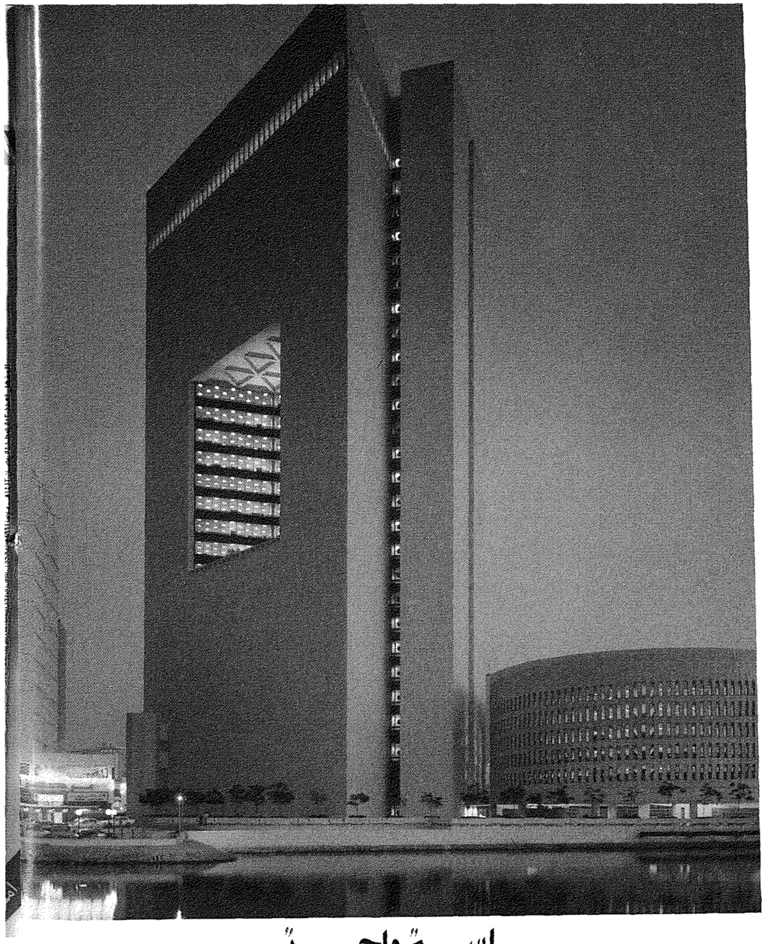
. لا نغالى ونقول . . إن هؤلاء الشعراء وظفوا جل أو حتى بعض أشعارهم وابداعاتهم لتلك الظواهر أو غيرها . . ولكن الذى نؤكد عليه أن تلك الظواهر كانت نتيجة طبيعية بل وبديهية . . لتأثر هؤلاء بما قرأوه وهضموه من ترجمات . . وآداب وفكر وثقافة الأمم الاخرى من منطق يونانى وفلسفة يونانية . . وعلوم هندية وآداب فارسية ، والذى نؤكد عليه أكثر أن هؤلاء حين قرأوا واستوعبوا وهضموا لم يفرزوا أدبا غريبا عنا مبهما علينا . . بل هم أبدعوا أدبا أصيلا . . احتفظ بعربيته . . وتراثه . . وحافظ على أصالته . . واحتوى الجديد المعاصر خارجين لنا بملحمة رائعة تجمع بين الأصالة والمعاصرة .

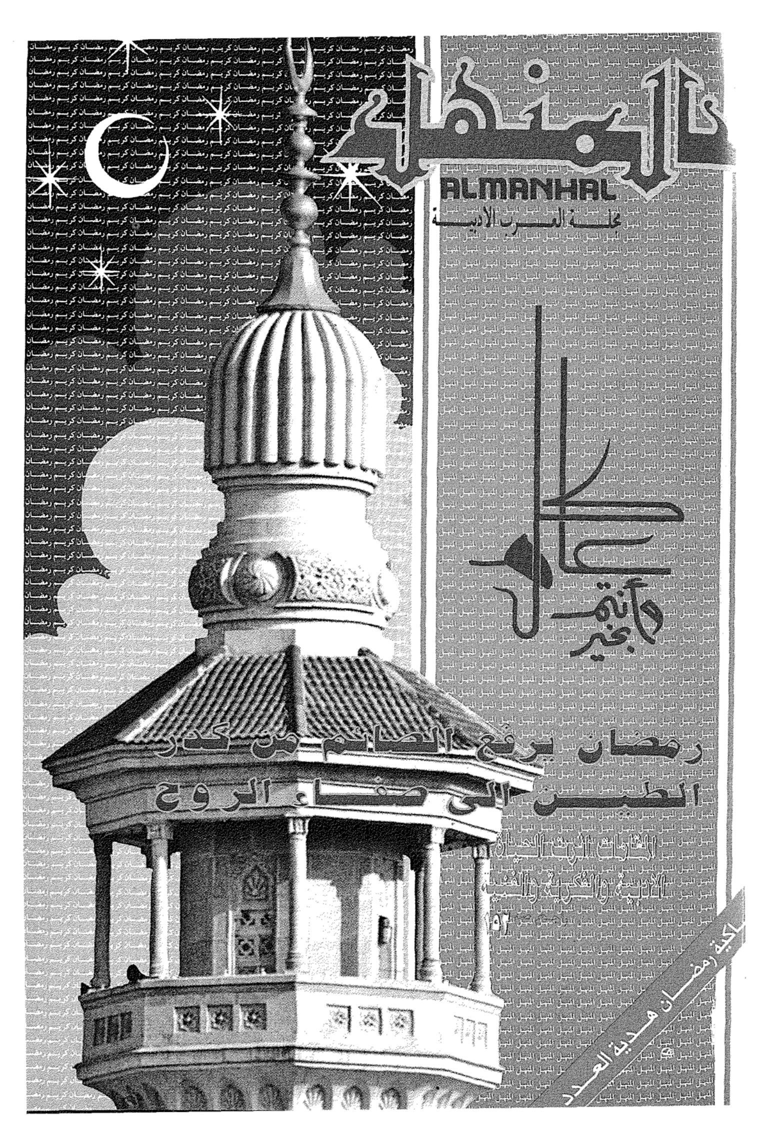
بالفعل . . وحقيقة . . لقد ظهرت آثار من هذه الترجمات ولجأ بعض ـ ونقول بعض ـ الشعراء لتوظيف ألفاظ بل وصور بل وتراكيب خيالية لمسنا فيها واستطعنا أن نؤكد بصراحة مطلقة إنها تأثير حرفى للمترجمات .

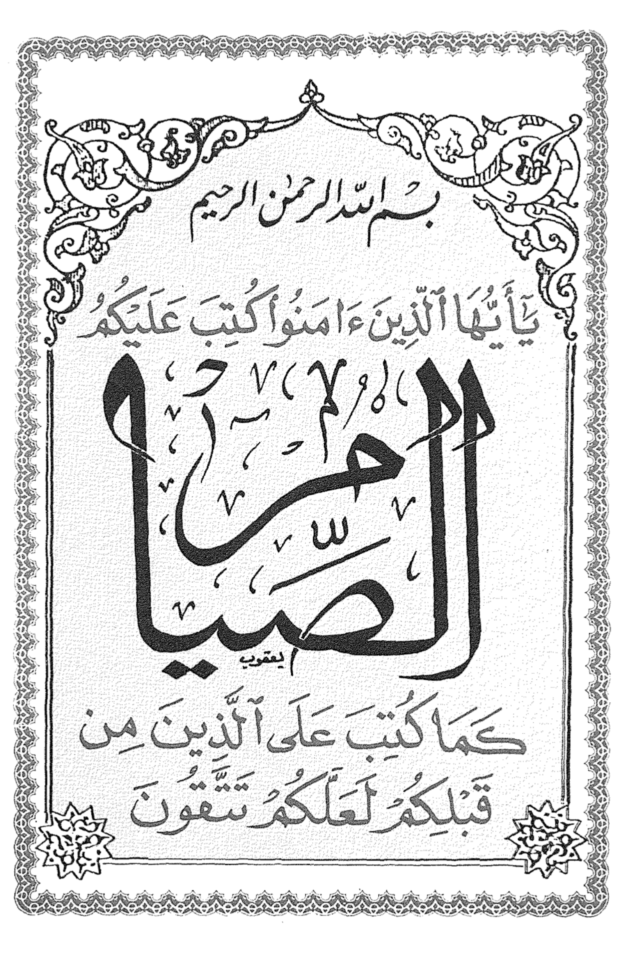
ولكن هذا لم ينقص من الأصالة شيئا . . فالنماذج قليلة . . ومحدودة . . والغالب الاعم تمثل أجود تمثل . . هذا ما يمكن أن نقرأه ونقف عليه من وراء السطور وهذا ما يجب ان يكون حين نقرأ ونهضم ونتمثل النافع من ثقافة الغير .

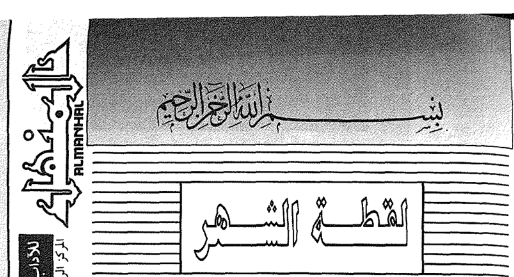


نداء استغاثة
عاجلة
أخي المواطن والمقيم
إن لكم إخوانا يتضورون جوعا ويقاسون آلام الفقر في..
الصومال
لذا نهيب بكم التبرع
لمساعدتهم على اجتياز مصيبتهم
وليكن ذلك سريعا عن طريق
لجان التبرعات بالهيئة.
«والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».
الهيئة العليا لجمع التبرعات
لمسلمي البوسنة والهرسك
والصومال
للاستفسار:
هاتف ٠١/٤٠٣٣٤٦١
٠١/٤٠٣٥٣٣٦ فاكس ٠١/٤٠٣٥٦٣٢




المنهل
ALMANHAL
مجلة العرب الأدبية
كل عام وأنتم بخير
رمضان يرفع الصائم من كدر الطين إلى صفاء الروح
رمضان هدية العدد


بسم الله الرحمن الرحيم
يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الصيام
يعقوب
كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ



للآداب والعلوم والثقافة أولى أمهات الصحافة السعودية أسسها المغفور له عبد القدوس القاسم الأنصاري عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م

المركز الرئيسي: جدة الشرفية ص. ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص. ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

عزيزي القارىء.. عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن احاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشـــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب ويشترط فى الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته.

● يرجى فى المقال أن يكون بخط واضح.. ويفضل ان يكون مطبوعا على الالة الكاتبة، والا يكون المقال او القصيدة قد تم نشرها قبل ذلك.

● للمجلة الحق فى عدم نشر المواضيع التى تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

لقطة الشهر



(مدفع رمضان) عادة فرضت وجودها وأصبحت عبر الاجيال، إحدى لوازم هذا الشهر الكريم، فى كثير من الدول الاسلامية.

ويعد (مدفع رمضان) هذا مظهرا احتفائيا خالصا يستمر على مدى الشهر.. ولعل اختفاءه يوما عن أسماع الصائمين يضع مجموعة من علامات الاستفهام.

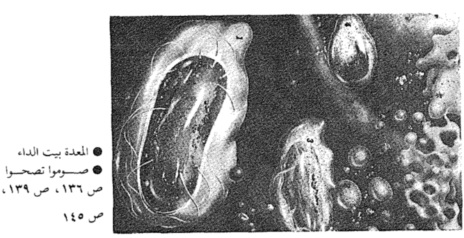
سعر النسخة: السعودية ٨ ريال - قطر ٨ ريال - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - مصر ١ جنيه - الكويت ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الاردن ٥٠٠ فلس.



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصـــدر فى المملكـــة العربيـــة السعوديـــة ـ جـــدة عـــن دارة المنهـــل للصحافـــة والنشـــر المحـــدودة.

المنهل العدد ٥٠٣ المجلد ٥٥ رمضان ١٤١٣هـ ـ مارس ١٩٩٣م ALMANHAL Issue No. 503 VOL. No 55 Ramadan 1413H, Mar. 1993C.




● المعدة بيت الداء
● صـــوموا تصحـــوا

ص ١٣٦، ص ١٣٩، ص ١٤٥

فـــى هـــذا العـــدد

٠٠٤ ماذا يعنى شهر رمضان العظيم ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
٠٠٨ رمضـــــان (شـعر) ـ محمد حسن فقـــى.
٠١٤ ســـيد الشـــــهور ـ عبد القدوس الانصارى.
٠١٦ رمضان دروس تربوية ـ صـالح أبو عـراد.
٠٢٠ رمضـــان (شـــعر) ـ حســـين عـــرب.
٠٢٢ دراسات فى الحديث النبوى ـ د. عبد الباسط حموده.
٠٢٦ عظمة القرآن المتجددة ـ د. عبد المهدي عبد الهادي.
٠٣٤ من مزايا رمضـــان ـ عبد القدوس الانصارى
٠٣٦ رمضـان والشـــعر ـ محمد مرسي محمد مرسي. .
٠٣٨ رسالة المسجد فى المنهاج التربوى ـ محمد بلبشير الحسني.
٠٤٤ الصوم . . (حوار فقهى) د. محمد السيد طنطاوي.
٠٤٧ تثبيت وتثبيط (شـعر) ـ عمر بهاء الدين الاميري.
٠٤٨ رحلة فى الذاكرة ـ د. محمد رجب البيومي.
٠٥٢ ريادة المقامات بين ابن دريد وبديع الزمان ـ د. جـابر قميحـة.
٠٥٦ صور من الصراع فى الأدب العباسى ـ د. شلتاغ عبود شراد.
٠٦٧ رمضان (شـعر) ـ محمد بن علي السنوسي.
٠٦٨ الصيام وأهميته فى علاج الامراض ـ محمد صلاح الدين خليفة.
٠٧٦ خواطر حول رمضان ـ عبد العزيز الرفاعى.
مذاهب أدبية (الدادية) ـ د. حمـادة ابراهيم. ٠٧٨
القراءة الادبية بين المتعة والفائدة. د. محمد احمد حمدون. ٠٨٤
شـذرات الذهـــب ـد. أبـو حســـام. ٠٩٢
أرواق الأوراق ـ حمـاد السالمى. ٠٩٦
رمضـــان وافـى (شعر) ـ احمد عبد الهادي. ٠٩٨
عوامل النصر فى موقعة بدر الكبرى ـ محمد رجاء حنفي. ١٠٠
رمضان ثورة على الكسل والتراخي ـ حوار مع د.احمد عمر هاشم. ١٠٤
عيـــد الفطـــر ـ محمد رائف المعرى ١٠٧
رمضان كما أدركناه ـ عبد القدوس الانصارى ١٠٨
العيد فى الشعر العربى ـ جنكو عباس ابراهيم. ١١٠
نظام الزكاة واثره فى الوقاية ـ د. محمد فاروق النبهان. ١١٦
ليالي رمضان . . رحلة فى ذاكرة الزمن الجميل ـ (استطلاع مصور). ١٢٤
الصوم نبع الصحـة ـ محمد احمد عبد الكريم. ١٣٦
الصوم وامراض السمنة ـ د. محمد على البار ١٣٩
حذار من البطنة فى رمضان ـ د. محى الدين لبنية. ١٤٥
متابعـات ثقافيـــة . ١٥٠
قاموس الرأى ـ تمـــيم الحكـــيم. ١٥٦
مسـك الختـام ـ زهـــير الانصارى. ١٥٨

وكـلاء التوزيـع: تهامة للتوزيع/ جدة ت: ٦٦٩٥٠٠٠ ـ وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٥٧٤٧٠٤٤ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشريفية للتوزيـع/ الدار البيضاء ت: ٤٠٠٢٢٣ ـ دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥ ـ دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت: ٦٣٠١٩١ ـ دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ت: ٤١٨٠٩

المنهل

هذا العدد

. . . هذا الشهر الكريم، انه وافد خير وبر وصدق لمن يبتغون هذا وسعوا له سعيه . . شهر كرمه الله سبحانه وتعالى بأن أنزل القرآن الكريم فيه، وجعله سيد الشهور، وخصه بليلة جعل كل مسلم يخطب ودها ويتمناها، وجعل الاجر فيه أضعافاً مضاعفة . . وان أعطينا هذا الشهر الكريم حقه كما ينبغي فإنا نكون قد حزنا على خيرى الدنيا والآخرة .

منذ سنوات عدة لم يصدر المنهل عدداً خاصاً بهذا الشهر، وما ذلك الا لأنه كان توقيتاً لعدد المنهل السنوي المتخصص، ولما تحول هذا العدد عن توقيته القديم الى ان يكون في شهرى (شوال وذى القعدة) بمشيئة الله فقد استحسنا ان نصدر عدداً في شهر رمضان المبارك، نتنسم فيه نفحات هذا الشهر الكريم حيث تخصص جل العدد له . . مع تطعيمه ببعض المواد الأخرى فى الادب والفكر والطب، كلها لا تبعد في مضمونها العام عن مضمون ومسار العدد بكامله .

وهذا نهج جديد نسير عليه ونتمنى أن يحوز رضا القارىء الكريم، وبطبيعة الحال فانه لا غنى لنا عن آرائكم ومقترحاتكم . . هذا وطبيعة عددنا قضت باحتجاب مجلاتنا الداخلية الثلاث (السائح - فلسطيننا - هن) وذلك حتى نفسح المجال لموضوعات رمضان، ونفسح المجال أيضاً لنورية هذا الشهر تتوهج ضياءاً في صفحات وأسطر هذا العدد.

وإليكم جميعاً - قراءنا الأكارم - والى جميع المسلمين نرفع أكف الضراعة الى المولى العلي القدير ان يتقبل منا أجمعين صيامنا وقيامنا، وخالص اعمالنا . . وكل عام وانتم بخير.

رئيس التحرير





رمضان شهر الخير وافى.. وأكف المؤمنين الضارعين تبتهل بالدعاء إلى مجيب الدعاء.. اللهم نور قلوبنا بنور الايمان.. وطهر نفوسنا من اكدار الدنيا، ومزالق الشهوات.

فقرات مستلة

●● رمضان الكريم تربية للنفس الانسانية على الترفع عن الصغائر، ومزالق الشهوات، وتربية لها على بذل الرحمة واشاعة الود بين الناس.

●● تحمل المكاره، والصبر على الاذى، والتمسك باجمل الفضائل ورفيع الاخلاق، من السمات المميزة لهذا الشهر الكريم.

●● رمضان خيط نوري، يشف فى نفس المؤمن يرتفع به من قبضة الطين إلى علياء النقاء والطهارة، والسمو بالنفس الى مواقع الخير.

●● هذا الكون بكل ما يحويه رسالة الحق إلى الخلق، علينا قراءتها جيدا، والافادة منها.. والمؤمنون مأمورون بالتفكر الفاعل فى خلق السماوات والارض.

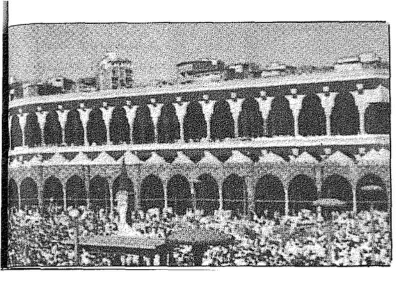
●● المسجد لم يكن ابدا لاداء الصلوات فحسب، بل تعددت رسالاته لصالح المسلم، ولتنمية حياته فى مجالاتها الروحية والمادية، الفكرية والعلمية.. بل حتى في السلم والحرب.

●● المقامات فى الادب العربى أدت دورا كبيرا فى الحياة الاجتماعية والفكرية والادبية.

●● الدادية، تعتبر احدى المذاهب الادبية الهدامة، ذلك لانها قامت على الفوضوية والعبثية.

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

ماذا يعني





بقلم: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

شهــر رمضـــان، شهــر الصيام والقيام وتـلاوة القـرآن، شهـر العتق والغفـران، شهـر الصدقات والاحسان، شهر تُفتح فيه أبواب الجنات، وتُضاعف فيه الحسنات، وتُقال فيه العثرات، شهر تُجاب فيه الـدعوات، وتُرفع الدرجات، وتُغفر فيه السيئات، شهـــر يجود الله فيه سبحـــانــــه على عبـاده بأنــواع الكرامات، ويبذل فيه لأوليائه العطايات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الاسلام، فصامه المصطفى ﴿ﷺ﴾ وأمـر النـاس بصيامه، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه.

شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقـد حرم، فاستقبلوه رحمكم الله بالفـرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه، والمسابقة فيه إلى الخيرات، والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الـذنـوب والسيئات، والتناصح، والتعاون على البر والتقـوى، والتـواصى بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والدعوة إلى كل خير، لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم.

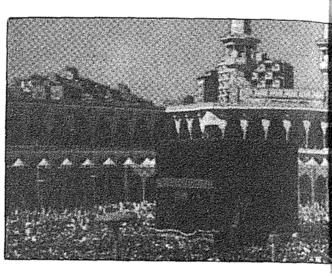
وفى الصيام فوائد كثيرة، وحكم عظيمة، منها: تطهير النفس وتهذيبها وتزكيتها من الأخلاق السيئة كالاشر والبـطر والبخـل، وتعـويدهـا الأخـلاق الكـريمة، كالصبر والحلم والجود والكرم، ومجاهدة النفس فيما يرضى الله ويقرب لديه.

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه، ويذكره بعظيم نعم الله عليه، ويذكره أيضاً بحاجة إخوانه الفقراء، فيوجب له ذلك شكـر الله سبحانه، والإستعانة بنعمه على طاعته، ومواساة إخوانه الفقراء والاحسان إليهم.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد فى قولـه عز وجـل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الـصيام كما كتـب على الـذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه، فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى، والتقوى هى طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، عن إخلاص نية ومحبة ورغبة ورهبة، وبـذلـك يتقى العبـد عذاب الله، فالصيام شعبـة عظيمة من شعب التقوى، وقربة الى المولى عز وجل ووسيلة قوية إلى التقوى فى بقية شئون الدين والدنيا.

وقـد أشـار النبى ـ ﴿ﷺ﴾ ـ إلى بعض فوائـد الصـوم فى قولـه ﴿ﷺ﴾: «يا معشر الشباب: من استـطاع منكم البـاءة فليتـزوج فإنـه أغض للبصر

شهر رمضان العظيم؟



وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» فبين النبى ﴿ﷺ﴾ أن الصوم وجاء للصائم، ووسيلة لطهارته وعفافه، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، والصوم يُضيق تلك المجارى ويُذكر بالله وعظمته، فيضعف سلطان الشيطان، ويقوى سلطان الإيمان، وتكثر بسببه الطاعات من المؤمنين، وتقل به المعاصى.

وفى الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم - تظهر للمتأمل من ذوى البصيرة منها: أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة، ويكسبه صحة وقوة، وقد اعترف بهذا الكثير من الأطباء، وعالجوا به كثيراً من الأمراض. وقد ورد فى فضله وفريضته آيات وأحاديث كثيرة، قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات﴾** إلى أن قال عز وجل: **﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾**.

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت). وأخرج الترمذى عن معاذ بن جبل (رضى الله عنه) قال: قلت: يارسول الله: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار، فقال: (لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا).

ثم قال النبى ﴿ﷺ﴾: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جُنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل، ثم تلا رسول الله ﴿ﷺ﴾: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ ثم قال عليه الصلاة والسلام: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ فقلت: بلى يارسول الله، فقال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله، ثم قال ﴿ﷺ﴾: ألا أخبرك بملاك ذلك كله. قلت: بلى يارسول الله قال: كف عليك هذا، وأشار إلى لسانه، فقلت: يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال صلى الله عليه وسلم: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟.

■ إن الصوم عمل صالح عظيم، وثوابه جزيل، ولا سيما صوم رمضان، فإنه الصوم الذى فرضه الله على عباده، وجعله من أسباب الفوز لديه، وقد ثبت فى

الحديث الصحيح أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: (كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، يقول الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

وفى الصحيح عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وسلسلت الشياطين» وأخرج الترمذى وابن ماجة عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه قال: (إذا كان أول ليلة من رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وينادى منادٍ ياباغى الخير أقبل وياباغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة).

وجاء عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه كان يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان ويقول لهم: (جاء شهر رمضان بالبركات فمرحباً به من زائر وآت)، وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: **«أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهى بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله»** (رواه الطبرانى)

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: **«إن الله فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه، فمن صامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»** (رواه النسائى).

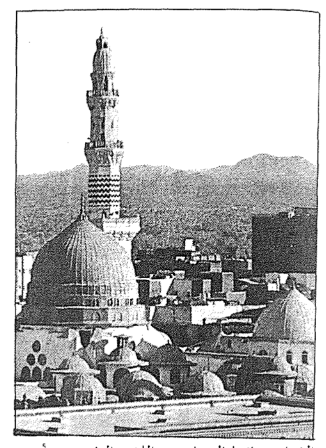
على المؤمن فى قيام رمضان وفى غيره من الصلوات الطمأنينة فى القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل القرآن وعدم العجلة، لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب، والخشوع فيها وأداؤها كما شرع الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب، كما قال الله سبحانه: **﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾**، وقال النبى ﴿ﷺ﴾: «وجُعلت قرة عينى فى الصلاة»، وقال للذى أساء فى صلاته: إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها).

وكثير من الناس يصلى فى قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها، بل ينقرها نقراً، وذلك لا يجوز، بل هو منكر لا تصح معه الصلاة فالواجب الحذر من ذلك، وفى الحديث عنه ﴿ﷺ﴾ أنه قال: «أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته، قالوا: يارسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها»، وثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أمر الذى نقر صلاته أن يعيدها.

فيا معشر المسلمين: عظموا الصلاة وأدوها كما شرع الله، واغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه ـ رحمكم الله ـ بأنواع العبادة والقربات، وسارعوا فيه إلى الطاعات، فهو شهر عظيم جعله الله ميداناً لعباده، يتسابقون إليه فيه بالطاعات، ويتنافسون فى أنواع الخيرات، فأكثروا فيه ـ رحمكم الله ـ من الصلاة والصدقات وقراءة القرآن الكريم والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام.

وقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان، فاهتدوا به ـ رحمكم الله ـ فى مضاعفة الجود والإحسان فى شهر رمضان، وأعينوا إخوانكم الفقراء على الصيام والقيام، واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام، واحفظوا صيامكم عما حرمه الله عليكم من الأوزار والآثام، فقد صح عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه».

وقال عليه الصلاة والسلام: «الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، فإن امرؤ سابه أحد فليقل إنى امرؤ صائم». وجاء عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «ليس الصيام عن الطعام



والشراب وإنما الصيام من اللغو والرفس». وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ منه كفر ما قبله». وقال جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

فينبغى للصائم الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتعقل، والإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والإستغفار وسائر أنواع القربات فى الليل والنهار، اغتناماً للزمان، ورغبة فى مضاعفة الحسنات، ومرضات فاطر الأرض والسموات. واحذروا - رحمكم الله - كل ما يجرح الصوم، وينقص الأجر، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصى، كالتهاون بالصلاة، والبخل بالزكاة، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامى، وأنواع الظلم فى النفس والمال والعرض، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وشرب المسكرات والتدخين، والغيبة والنميمة والكذب، وشهادة الزور والدعاوى الباطلة، والأيمان الكاذبة، وحلق اللحى وتقصيرها وإطالة الشوارب، والتكبر وإسبال الثياب، واستماع الأغانى وآلات الملاهى، وتبرج النساء وعدم تسترهن من الرجال، والتشبه بنساء الكفرة فى لبس الثياب القصيرة، وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله.

وهذه المعاصى التى ذكرنا محرمة فى كل زمان ومكان، ولكنها فى رمضان أشد تحريماً وأعظم إثماً لفضل الزمان وحرمته، ومن أقبح هذه المعاصى وأضرها على المسلمين ما بُلى به الكثير من الناس من التثاقل عن الصلوات، والتهاون بأدائها فى الجماعة فى المسجد، ولا شك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق، ومن أسباب الزيغ والهلاك، قال تعالى: ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى**﴾. وقال النبى ﴿ﷺ﴾: «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر». وقال له ﴿ﷺ﴾ رجل أعمى: يارسول الله إنى بعيد الدار عن المسجد وليس لى قائد يلازمنى، فهل لى من رخصة أن أصلى فى بيتى؟ فقال له النبى ﴿ﷺ﴾: هل تسمع النداء للصلاة؟ قال: نعم. قال: أجب.

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وهو من كبار أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة فى الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض، ولا شك أن التهاون بأداء الصلاة فى الجماعة من أسباب تركها بالكلية. وقد صح عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أنه قال: «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر». وقال النبى ﴿ﷺ﴾: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة».

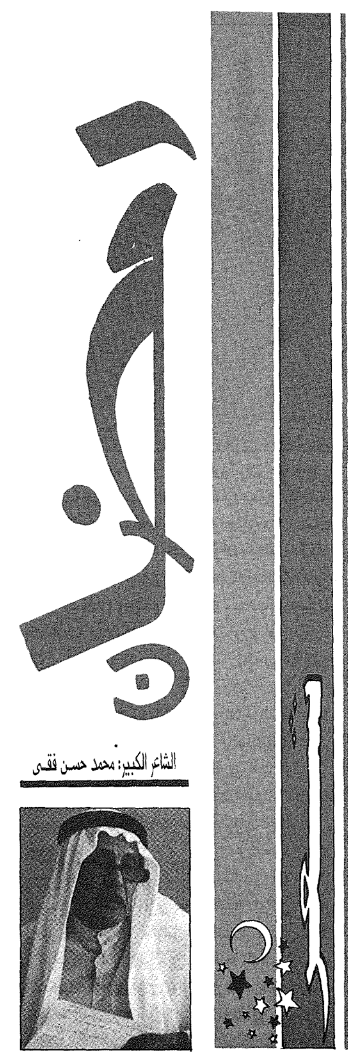
ومن أخطر المعاصى اليوم أيضاً ما بلى به الكثير من الناس من استماع الأغانى وآلات الطرب، وإعلان ذلك فى الأسواق وغيرها، ولا ريب أن هذا

إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب، فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه

حديث شريف

من أعظم الأسباب فى مرض القلوب، وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به. ومن أعظم الأسباب أيضاً فى عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى، كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً، أولئك لهم عذاب مهين﴾. وقد فسر أهل العلم (لهو الحديث) بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق، وقال النبى ﴿ﷺ﴾: «ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»، والحر: هو الفرج الحرام، والحرير معروف، والخمر: هو كل مسكر، والمعازف: هى الغناء وآلات الملاهى، كالعود والكمان وسائر آلات الطرب، والمعنى أنه يكون فى آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال آلات الملاهى. وقد وقع ذلك كله كما أخبر به النبى ﴿ﷺ﴾ وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام، وقال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ إن الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله، واستقيموا على طاعته فى رمضان وغيره، وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه، لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة فى الدنيا والآخرة، والله المسئول أن يحفظنا وسائر المسلمين من أساب غضبه، وأن يتقبل منا جميعاً صيامنا وقيامنا وأن يصلح ولاة أمر المسلمين، وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه، وأن يوفق الجميع للفقه فى الدين والثبات عليه، والحكم به والتحاكم إليه فى كل شىء إنه على كل شىء قدير، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



الشاعر الكبير: محمد حسن فقى

رمضان.. فى قلبى هما هم نشوة
من قبل رؤية وجهك الوضاء
وعلى فمى طعم أحس بأنه
من طعم تلك الجنة الخضراء
لا طعم دنيانا، فليس بوسعها
تقديم هذا الطعم للخلفاء
ما ذقت قط ولا شعرت بمثله
أفلا أكون به من السعداء

* * *

قالوا بأنك قادم، فتهللت
بالبشر أوجهنا .. وبالخيلاء
وتطلعت نحو السماء نواظر
لهلال شهر نضارة ورواء
تهفو إليه، وفى القلوب وفى النهى
شوق لمقدمه، وحسن رجاء
لم لا نتيه مع الهيام .. ونزدهى
بجلال أيام .. ووحى سماء؟
بهما نحلق فى الغمام ، ونرتوى
من عذبه .. ونصول فى الأجواء
ونشف أرواحاً فننهج منهجاً
نفضى به لمرابع الجوزاء
ونصح أجساداً، فلا نشكوا الونى
أبدا، ولا نشكوا من الأدواء
فنعود كالأسلاف أكرم أمة
وأعز فى السراء والضراء

* * *

رمضان .. ما أدرى ونورك غامر
قلبى فصبحى مشرق، ومسائى
أأنال بعد مثالبى ومساوئى
بك منهما، بعد القنوط شفائى
نفسى تحدثنى بأنك شافع
عند المهيمن لى من الأسواء
وبأننى سأنال منك حمايتى
ووقايتى من معضل الأرزاء
ما أنت إلا رحمة ومحبة
للناس من ظلم قسا.. وعداء

فلقد كرمت من السماء بما أتى
من وحيها.. وشرفت بالإطراء
سدت الشهور فأنت سيد عامها
بل أنت سيد دهرها المتنائى
مهما أقول، فلن تطول مقالتى
شم الذرى، ولوامع الأسماء

* * *

رمضان.. من بعد الكدورة مسنى
منك الجلال بحكمة ونقاء
قد كنت أسدر فى الضلال وأرتمى
فى حضنه بتبذل وغباء
حتى لقيتك فارعويت عن الخنى
وكرهت كل ضلالة وعماء
شتان ما بين الخلاعة والتقى
أو بين عقل نابه وخواء

* * *

رمضان جئت وقومنا فى محنة
والدين .. جازت حدها.. نكراء
زعماؤنا - إلا القليل - تورطوا
فيها، فشقوتنا من الزعماء
صبغوا الصوارم من دماء شعوبهم
فى الأرض، والأجواء والدأماء
تلك الدماء زكية - ياليتها
سالت لأجل كرامة وجلاء
وتنكروا للدين، فهو خرافة
فى زعمهم جازت على الآباء
واستبدلوا قومية عربية
بعقيدة أفاكة حمراء
حتى غدونا فى صميم بلادنا
شذاذ آفاق من الغرباء
إن الزعامة حين تخضع رغبة
فى الحكم.. تصبح لعنة الشرفاء
كلا، فلا بالدين يعصف كيدهم
أبداً، ولا العربية العرباء
الدين صرح شامخ متوسد
كنف الجبال، وهامة الصحراء

لن يستكين لعصبة موتورة
مخدوعة بسرابها.. لا الماء

بل سوف يعصف بالهراء ورهطه
عصف القوى بزمرة الضعفاء

ولسوف يغضب غضبة مضرية
دمنا، ويرفض رأيهم بإباء

ويبيد كل زعامة مكذوبة
ويزيل كل عقيدة شوهاء

ظنوه ماء لا يثور لذلة
أو فرية وجموعه كالشاء

ويل الطغاة من الكرامة والحجا
فهما - إذا امتهنا - ردى الأجراء

* * *

رمضان، هذى مكة وبطاحها
تشدو بذكرى طيبة وقباء

فتصيخ للتطريب منه وتنتشى
نجد بغير تواجد وبكاء

بل بالسيوف تجيش فى أغمادها
شوقاً تعيد به فخار حراء

تسطو بآساد الحمى وفهوده
وتعود تسطو بعدهم بظباء

مافى الحمى إلا الأسنة والقنا
للخارجين على سبيل سواء

النابحين بكل نهج لاحب
ليعود نهج تفرق وجفاء

يا هؤلاء لنا مناهج جمة
تفضى لكل تقارب وإخاء

ويضيؤها الاسلام خير منارة
للناس ما درجوا على الغبراء

* * *

أأخا العروبة إن دين محمد
بالعرب قام بهمة ومضاء

أهوى بكسرى.. واستهان بقيصر
واجتاح كل عبادة عمياء

لم يستبد على الشعوب ولم يجر
فهفت له بسماحة ورضاء

لم لا؟! وقد خرجت به وبآله
لرخائها من شدة وعناء

لم لا؟! وقد خرجت ببرد نسيمه
وجنانه من وقدة الرمضاء

لم لا؟! وقد راحت تجوب طريقها
فى النور ناجية من الظلماء؟

ما ثم فى الاسلام من متجبر
أو ثم فى الاسلام من إيذاء

شهد الذين تفيأوا بظلاله
أن الحياة كرامة الأحياء

رمضان .. إن بهيكلى وبنهيتى
ومشاعرى كوماً من الأقذاء

إنى أنوء بكاهلى من عبئه
ويظل صبحى عانيا - ومسائى

أفلا يخفف منه أن سريرتى
برئت من التضليل والاغواء

وتميزت بصفائها وتدثرت
بردائها.. بتجمل وحياء

ما اعتامها حقد ولا حسدت على
موفور أمجاد.. وفرط ثراء

هى ما تزال على امتداد سنينها
طفلا برغم الشيب والاعياء

ركبت متون كبائر أهوت بها
للقاع.. قاع الاثم والأخطاء

فإذا المصير مصير كل مغامر
يطوى جوانحه على البرحاء

رمضان أسعدنا فإن سحائباً
سودا تحط بأرضنا السوداء

مافى مدائنها.. ولا وديانها
- وهداك - غير مظاهر وطلاء

أو غير هذا الذئب يفتك جهرة
وتربصاً بالماعز العجفاء

أو غير رب ضراوة وتنمر
أو رب مكر قاتل ورياء

* * *

حاولت غير موفق أن لا أرى
خزياً يشين، فما التفت ورائى
فرأيت قدامى مخازى جمة
فتجملت عيناى بالإغضاء
فسمعت همهمة تقول بأننى
أنا لست غير صدى من الأصداء
وتقول أخرى فى عداء واضح
كلا، فما هو غير ذئب خلاء
صدقا، فليس كلاهما متجنيا
عندى فكيف أضيق بالأرزاء
الذئب مفترس لسد مجاعة
وأنا افترست لطاعة الحوباء
شتان بين دم يراق بحقه
ودم يراق لشهوة عشواء
فيه الغذاء له فلم يك ظالماً
فى سفكه.. وعدوت فيه غذائى

* * *

رمضان، لست بحائد وغرتى
فيها أرقت على التراب ذمائى
إلا إذا استلهمت منك مواعظاً
تروى صداى وتحتفى بندائى
أنا بلقع قفر يحن لرشة
من غيدق فى جوه معطاء
فإذا ارتويت فإننى متطلع
فى تربتى للزهرة الغيداء
إنى لألتمس الهدى لعشيرتى
فى كل صرح سامق.. وخباء
ولمربعى الغصان من نزواته
ولكل فقر مدقع.. وغناء
أنى التفت رأيت فى جنباتها
مالا تسر به عيون الرائى
ورأيت غانية تداعب ماجناً
قد جن بالسمراء والشقراء
فأغض من طرفى.. فلست بسالم
من مثل هذا الطيش والاغراء

هذى الغرائز لا تطيع بصائراً
عرفت بواطن حلية وفراء
عرفت بأن الحسن يقتل تارة
ويضل أخرى فى هوى الحسناء
فتجنبته فلم تقع فى حفرة
تطوى الردى بالغمز والايماء
إن الذين تقلبوا فى جمره
عرفوا نعيم البؤس واللأواء
أرأيت أطراف البنان تخضبت
بدم، وليس بحمرة الحناء
أرأيت ألحاظ الحسان تلهبت
وتحفزت للفرض والإملاء
إنى رأيتهما فقلت لخافقى
كيف النجاء.. ولات حين نجاء؟

* * *

رمضان إن البائسين تطلعوا
أملا إليك.. فجد على البؤساء
بالخير تشملهم به وببسمة
يشتاقها العانون للتأساء
من ذا أحق بذاك منك وأنت فى
عالى الذرى متربع ببهاء
الله من فكنت من آلائه
فاشكره ـ بالنعمى ـ على الآلاء
فإذا نظرت من المشارف للورى
فرأيت ثم اللهو فى الأبهاء
ورأيت ثم خلاعة .. وضراوة
فاضرع إلى مولاك فى العلياء
اضرع إليه لعله من فضله
يهدى ويشفى من عضال الداء
فلقد حظيت بصوم يوم قانت
وعبادة فى ليلة غراء..

* * *

رمضان.. أيبس مورقات غصوننا
قبل الجفاف.. تزعم السفهاء
أيان سرت تر المواكب جهرة
تدعو الى مستنكر الآراء

لم تجد فيهم حكمة ووداعة
باهمس.. أو بصراحة الصحراء
فإذا استحى أو خاف منهم خائف
من سوء دعوته.. دعا بخفاء
سخروا بكل مسالم.. وتهكموا
جهلا وموجدة على الخلصاء
الفرد يعصف بالجماعة ضارباً
صفحاً عن التشريع والإفتاء

فإذا نصحت له تنفج وانتضى
سيفاً يسيل دماً على النصحاء
لو لم يكن نذلا لما حسب العلا
وقفاً ولا إرثاً من الآباء
مهلا .. فرب جريمة لم تنتقم
من ربها انتقمت من الأبناء

ولربما عجلت فراح بطعنة
ممن أسال دماءهم.. نجلاء
كم أرعن أوحت له نزغاته
بالموبقات.. فلج في الإفناء
ريعت به الدنيا وزلزل سمعها
وضميرها.. من أسوأ الأنباء
لكنه استخذى وقد لاحت له
نذر الصوارم أيما استخذاء

سحقاً لطاغية إذا نزلت به
أقداره.. أمسى من الجبناء
يبكى الذى سفك الدماء بريئة
تعساً له من سافك بكاء
من سامنا خسفاً ولاقى مصرعاً
لم يلق غير شماتة وهجاء

* * *

رمضان أثقلنا عليك. ولم نكن
يوماً على أحد من الثقلاء
عفواً، فإن نفوسنا فى نشوة
تسرى من الأعضاء للأعضاء
من بعد ما اصطبرت على لأوائها
رقصت وقد وافيت من لألاء

محبورة بشوابها.. مغمورة
بعطائها.. مسرورة بلقاء
لا زلت فينا قادماً ومودعاً
تسدى، فنثنى نحن خير ثناء

* * *

ياذا الجلال. وأنت خير مؤمل
للخاطئين.. وأنت خير وقاء
أوغلت فى سبل الهوى فإذا الهوى
يمسى وطائى المشتهى وغطائى
وفناؤك الممتد أرحب ساحة
من أن يضيق بآثم خطاء
ضاقت على منازلى ومرابعى
ومسالكى.. وجفا الجنوب كسائى
ودلفت فى جنح الدياجر خائفاً
ونكصت حين أبى على فنائى
لم يبق لى إلاك فارحم آبقاً
من ناره.. بالروضة الغناء
إنى أحن لزهرها وثمارها
وتحس برد ظلالها احشائى

* * *

سأطوف فى أرجائها متهللا
متوسلا بعقيدة سمحاء
رغم الأثام ثوت بصدرى صخرة
شماء لذت بها من الأنواء
يا صخرتى الشماء.. إن تتوسلى
لله أشد بصخرتى الشماء
فأنا الفقير إليه فى ملكوته
والفقر يقصد سيد الكرماء
ما أستريب بعدله وبفضله
أو أستريب بتوبتى ودعائى

ليس الصيام عن الطعام والشراب، وإنما الصيام عن اللغو والرفث. حديث شريف


شهر الخير والنور يضيء
فرحة وابتهاجا في قلوب
هؤلاء الصّغار فيملأون
الدنيا جمالاً ومرحاً..

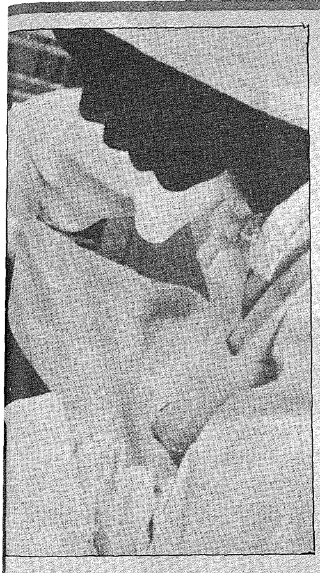
سيد الشهور

حقاً إن شهر رمضان لهو سيد الشهور، لأنه حافل بالبركات والخيرات والسعادة والهناء والتوفيق.. نهاره صيام، وليله قيام. وبين قيام المؤمن في نهاره بفريضة صيامه الذي هو أحد أركان الاسلام، وبين قيامه بنافلة قيامه - يحوز المؤمن الصائم القائم كبريات المثوبات، ويحرز البشريات، وينال الأماني العذاب.. وذلك لتوافق روحه وجسمه في القيام بما هو في صالحهما معاً فالروح تحلق في سماء المكارم بسبب الصيام، والجسم يحلق في أجواء الصحة بسبب التقليل من الطعام والشراب وأخذ الوقاية والكفاية منهما معاً.. الوقاية من أوضار المسغبة الفتاكة بالإنسان، والكفاية من الزاد الذي ينأى بصاحبه عن آفات المخمصة الضارة بالإنسان.

رمضان شهر العبادة والاعتدال:

في شهر رمضان يستأنس المؤمن الصائم القائم بحقوق الصوم.. يستأنس بتلاوة القرآن المجيد آناء الليل وأطراف النهار، فتستوي معنويته وتسري فرحة الإيمان والاستقامة في شرايينه، ويتدرج في معارج التقوى بتدبره لآيات الله جل وعلا حيال مخلوقاته - أثناء تلاوته لآي الذكر الحكيم، وهناك يبصر بعين ذهنه المتفتحة، ويرى بذهن عينه المفتوح، فيسرح أنظاره في روعة هذا الكتاب الخالد المعجز.. روعته في مفاهيمه ومراميه، وفي أهدافه وتوجيهاته وإرشاداته.. وروعته في أسلوبه الذي بهر العالم، وانقطعت دونه أعناق أبلغ البلغاء.

والمؤمن الصائم في إخلاص وصدق وحرارة إيمان.. يندفع بقلب متشح بالإخلاص والإيمان، مغمور باليقين والصلاح، صوب امتثال أوامر الاسلام واجتناب نواهيه جملة وتفصيلا فيما بعد رمضان، امتثاله لها في شهر رمضان.. فيرزق الاستقامة والصواب في سائر أيامه ولياليه.. إن



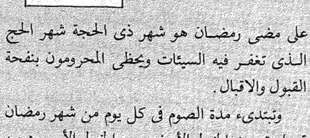
الصيام كما ورد في الحديث النبوي الشريف (جنة).

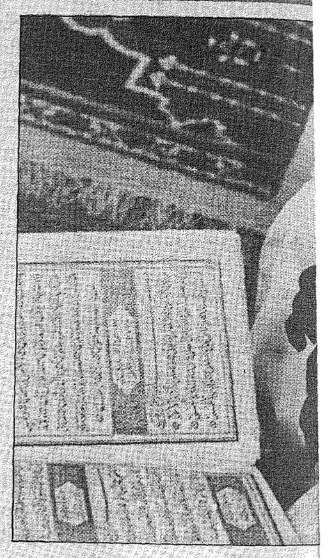
● وقد فرض الله صيام شهر رمضان على عباده المؤمنين البالغين الأصحاء المقيمين، وعلى المؤمنات المماثلات، ضماناً منه تعالى لتقوية دعائم الإيمان بين جوانحهم، وتثبيتاً لأهداف الإسلام في الاستمساك بمحاسن الأخلاق في الأقوال والأعمال في هذا الشهر المبارك خاصة.. وفيما يتلوه من شهور عامة حتى دخول شهر الصيام القابل.

إن الصيام إذا قام به المرء حق القيام، غير مكتف بترك الطعام والشراب وحدهما، بل إنه يترك إلى جانب ذلك ارتكاب الآثام والغيبة والنميمة وقول الزور وسائر النواهي ما كان منها كبيراً وما كان منها



بقلم: عبد القدوس الانصارى





صغيراً إن الصيام إذا كان على هذا المنوال فإنه يعتبر بحق سيد أنواع الرياضة، لأنه يجمع بين رياضة الروح ورياضة الجسم معاً.

● وشهر رمضان بالنسبة لشهور السنة، هو واسطة عقدها، ودرتها المفضلة اللامعة، وجوهرتها الثمينة. وهو من حيث نسق الشهور يجيء تاسعها فى السنة الهجرية، ومعنى ذلك أنه يقع فى نهاية ثلثى العام. ويأتى بعده الثلث الثالث من الأشهر التالية له.. ولحكمة ربانية كان ذلك مكان شهر رمضان فى نسق الشهور، وإن تنس فلا تنس، أن الشهر الثانى عشر والختامى للعام الهجرى الذى هو نهاية ثلثه الثالث والذى نستقبله بعد مضى شهرين اثنين فقط على مضى رمضان هو شهر ذى الحجة شهر الحج الذى تغفر فيه السيئات ويحظى المحرومون بنفحة القبول والاقبال.

وتبتدىء مدة الصوم فى كل يوم من شهر رمضان قبيل تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وهكذا حتى دخول الليل بغياب قرص الشمس فى الأفق القريب أو البعيد.

هى أيام معدودات تقل نسبتها عن العشر - بضم العين - بالنسبة لأيام السنة.. وللمريض والمسافر فى شهر رمضان مندوحة فى عدم صيامهما، ما داما على المرض والسفر، بيد أن عليهما أن يصوما الأيام التى فاتهما الصيام فيها بعد تعويضاً عنها. أما العاجز عن الصوم بالمرة إما لشيخوخة حاطمة معوقة، أو لمرض عضال ملازم فتجزئه عن الصيام فدية طعام مسكين.

● وفى رمضان أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وهذه مزية انفرد بها هذا الشهر الميمون دون زملائه من الشهور.

■ وفى رمضان تنمو البركات وتعم الخيرات ويسود الاخاء والرخاء.. وتغفر السيئات وتتضاعف الحسنات وتصفد الشياطين، ويشعر المسلمون أغنياؤهم وفقراؤهم بأنهم أخوة متساندون وأعضاء متعاونون.. مما يشعر العالم حتى يوم الناس هذا بعظمة أثر الاسلام وعمقها فى المجتمعات الاسلامية قاطبة.. ذلك الأثر الباهر الذى تتجلى شموعه الوضاءة فى رمضان شموساً وضاءة، كما يشعر العالم أيضاً خلال ذلك الأثر الباهر بأن دين الاسلام هو دين الله الحق الجامع لاحتياجات البشر فى كل زمان ومكان.. فقد بقى صافياً متلألئاً طيلة القرون، ولم تشوهه أصابع التبديل والتحريف كما شوهت غيره من الأديان، وهكذا بقيت شمس الاسلام ساطعة صافية، إضاءة شمس السماء فى رائعة النهار.



دروس رمضان

رمضان شهر كريم، ومناسبة عظيمة فيها من المحاسن والبركات مالا يمكن أن يحصى، ولا ريب فهو شهر أنزل فيه القرآن الكريم، وفيه ليلة القدر، وهو شهر نهاره صيام وليله قيام، شهر يبعث فى الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء والعطف على البائسين، وهو شهر الصبر لأن الصوم نصف الصبر والصبر نصف الإيمان، وهو شهر التقوى لقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** (البقرة١٨٣).

وللصوم فوائد عديدة ومعانٍ عظيمة لما فيه من راحة للنفوس وانشراح للصدور، وصحة للأبدان، وفرصة لا تعوض للمتاجرة مع الله سبحانه، ولهذا فإن أمة الاسلام فى كل مكان تترقب قدومه فى كل عام كما يترقب الغائب الحبيب، ويرى فيه المسلمون بركة يلتمسونها، ويحرصون على اغتنامها حرصاً شديداً وفى ذلك يقول الشاعر الشيخ/ عائض بن عبد الله القرني:

مرحباً أهلا وسهلا بالصيام
يا حبيباً زارنا فى كل عام
قد لقيناك بحب مفعم
كل حب فى سوى المولى حرام
فاقبل اللهم ربى صومنا
ثم زدنا من عطاياك الجسام

وللصيام فى شهر رمضان دروس تربوية تربى النفوس على الكفاح واحتمال المكاره والتمسك بالفضائل الإجتماعية، وتربي الروح على الإتصال بالواحد الديان صلاة وصياماً وذكراً ودعاء واعتكافاً وعطاء، وتربى على تقوية الإرادة وضبط النفس والصبر والجلد والتحكم فى الذات وكبح الشهوات، ومن هذه الدروس التربوية الرمضانية ما يلي:

(١) في الصيام تربية روحية للفرد المسلم تهذب النفس وتعودها على حب الخير والطاعة والصبر خاصة وأن الصيام عبادة تكفل الله سبحانه وتعالى بمكافأة العبد عليها، لأنها عبادة سرية بين الخالق سبحانه والمخلوق ولذلك قال تعالى فى الحديث القدسى المتفق عليه: «كل عمل ابن آدم له، الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به» فالصيام من أعظم الأعمال التى لا يطلع عليها الا الله سبحانه فيكون بذلك قربة الى الله عز وجل، وصلة روحية عجيبة بين العبد وبين ربه جل وعلا، قال الشاعر:

يا صائماً ترك الطعام تعففاً
أضحى رفيق الجوع واللأواء
أبشر بعيدك فى القيامة رحمة
محفوفة بالبر والأنداء

(٢) فى نهار رمضان تربية للفرد المسلم للصبر على جميع الشهوات الإنسانية والإبتعاد عنها كالطعام والشراب والكلام الفاحش والجماع ونحوها من الشهوات والغرائز. وهذا فيه تربية للنفس على كبح جماحها، والتحكم فى رغباتها وملذاتها، والسيطرة عليها، فعن ابى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﴿ﷺ﴾ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ، ولا يصخب» (رواه مسلم) وفى هذا مجاهدة للنفس وضبط للشهوات ووقاية للفرد ومن ثم المجتمع من كل ما من شأنه إثارة الشحناء ودواعي الغضب، قال ابن المقرىء:

من المروءة ترك المرء شهوته
فانظر لأيها آثرت فاحتمل

(٣) اشتمل ليل رمضان على نوعين من التربية للفرد المسلم وهما:

الاولى: تربية روحية تتمثل فى مناجاة الله سبحانه والخلوة معه عندما يقف العبد بين يدى مولاه سبحانه لصلاة التراويح أو القيام داعياً مستغفراً ذاكرا لله متضرعاً اليه راجياً عفوه ومغفرته، قال الشاعر:

عباد ليل إذا جن الظلام بهم
كم عابد دمعه فى الخد أجراه

وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: «من قام

تربـــــــويـــة

بقلم: صالح على ابو عراد الشهري
كلية المعلمين بأبها ـ قسم التربية

رمضان ايهاناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه، فقيام رمضان أنس ومحبة وطاعة وشوق، والقيام يقوى صلة العبد وايهانه بربه، كما أنه يطرد النفاق من النفس البشرية لما فيه من احياء للقلوب المؤمنة وسهر للعيون الخائفة.

الثانية: تربية جسدية تتمثل فى وقوف المصلى وجلوسه وركوعه وسجوده، كل ذلك من شأنه أن ينشط الدورة الدموية للجسم وينقيه من الاخلاط الرديئة، ويحرك العضلات فيكون ذلك بمثابة التمرين الرياضي الذى يفيد الجسم ويطرد عنه الداء ومن المناسب أن نذكر هنا أن هناك أوضاعاً معينة لبعض العضلات لا يمكن أن تتشكل الا فى حالة الصلاة ما بين ركوع وسجود وجلوس وقيام.

(٤) فى الصيام تربية اجتماعية تتمثل فى شعور الغني بالجوع فى نهار رمضان فيتساوى بذلك مع الفقير ومن ثم يشعر بشعوره، ويحس بإحساسه، وهنا تتحرك عواطف الرحمة والشفقة فى نفسه فيمد للفقير وللمسكين يد العون والمساعدة، وهذا يؤدي بالتالي الى الشعور بالوحدة العالمية والاتحاد بين المسلمين، والمواساة بين الاغنياء والفقراء والانفاق والبذل والصدقة. قال الشاعر:

الله أعطاك فابذل من عطيته
فالمال عارية والعمر رحال
المال كالماء إن تحبس سواقيه
يأسن وإن يجر يعذب من سلسال

فما أجمل التربي على البذل، وما أجمل التعود على العطاء، وما أجل ذلك كله فى رمضان.

(٥) فى رمضان تربية على كيفية اجابة الصائم المثالية لمن سبه أو شتمه أو تعدى عليه بالقول أو الفعل فقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم وهو خير البرية وأستاذ البشرية ومعلم الإنسانية «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إنى صائم، إنى صائم» (متفق عليه)، هذه الإجابة المختصرة كلها جلال وجمال، وأدب وتربية وخلق، توحي بأن يتذكر الصائم إنسانيته التى تقتضى منه أن يدرأ السيئة بالحسنة وأن يقابل الشر بالخير، كما أنه لو دعي الصائم المتطوع الى طعام فما عليه إلا أن يقول هذه الإجابة النبوية لتكون رداً طيباً وعذراً مقبولا.

(٦) فى الصوم تربية للفرد المسلم على فضائل الأخلاق ومنها غض البصر عن ما حرم الله، والصمت إلا عن ذكر الله وتسبيحه وتحميده والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبعد عن الرذائل كاللغو وفحش الكلام، والانفاق ابتغاء مرضاة الله والصبر والحلم والتسامح والكرم والجود وفى ذلك يروى البخاري وأبو داود عن ابي هريرة رضى الله عنه قول رسول الله ﴿ﷺ﴾: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه». قال الشاعر:

إن لم يكن للصوم منى تصون
وفى بصرى غض وفى قولي صمت
فحظى إذا من صومى الجوع والظما
وان قلت انى صمت يوماً فما صمت

ويقول شاعر آخر:

لا يقبل الرحمن صوم عباده
الا إذا كفوا عن الحرمات
إن جاعت الأكباد يارب الورى
فغذاؤها بلقاك فى الصلوات
وحلوقنا يارب إن ظمئت
فأعذب ريها من منهل الطاعات

(٧) فى الصيام تربية إنسانية تتمثل فى مراعاة شعور الآخرين، وهذه التربية تلاحظ عند من لهم العذر فى إفطار هذا الشهر، فهم يتوارون عن أعين الصائمين عند أكلهم وشربهم، مراعاة لمشاعر الصائمين، وحرصاً على عدم التأثير على صومهم أو خدش

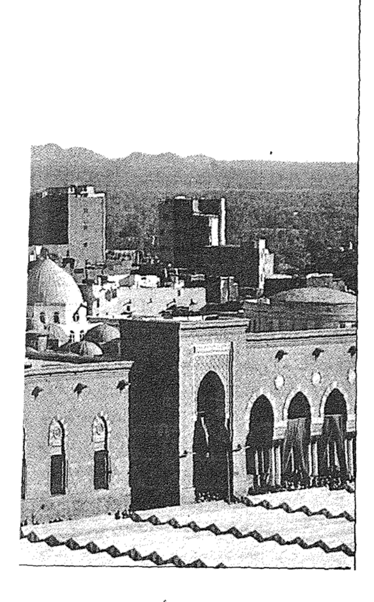
مشاعرهم بأي لون من ألوان الحرج، فهم بذلك ينصرفون إلى مكان خاص بعيد عن أعين الصائمين، وفي هذا السلوك تربية خلقية فاضلة يتميز بها شهر الصيام دون غيره من الشهور.

(٨) حث المسلم وتربيته على الإكثار من العمل الصالح فى نهار وليل شهر رمضان ويتمثل ذلك فى الصلاة والاعتكاف والاستغفار والتوبة وكثرة الذكر والاحسان إلى الفقراء والمساكين ومصالحة الخصوم وصلة الأرحام وزيارة الأقارب والعفو عن المذنبين والجود والعطاء لأن فى هذا الشهر فرصة كبرى لمضاعفة الأجر والثواب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﴿ﷺ﴾: «كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان» (رواه البخارى).

(٩) فى الصوم تربية صحية بدنية لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (رواه الترمذى). وهذا فيه دعوة نبوية تربوية تحث على عدم الاسراف فى تناول الاطعمة والمشروبات، والاهتمام بما يفيد الجسم منها وعدم السماح للنفس بتناول كل ما تشتهيه مما لذ وطاب من الوان الاطعمه وأصناف المأكولات لأن فى ذلك إضاعة لفائدة الصوم والغاء لحكمته واساءة من الفرد لصحته خاصة أنه قد ثبت طبياً أن صوم شهر فى العام سبيل الى الصحة وقوة الجسد، فيا لعظمة الاسلام.

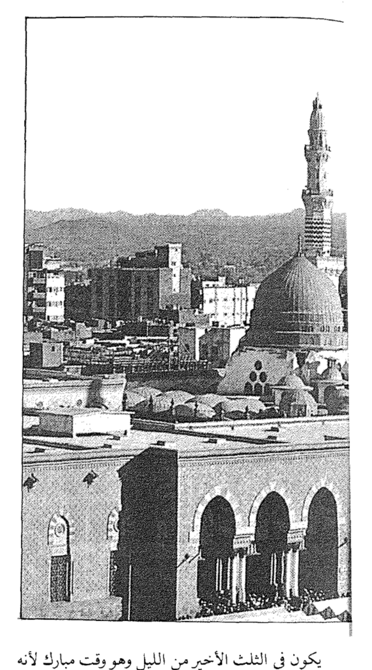
(١٠) من عظمة التربية الاسلامية أن الصائم إذا نسي وهو صائم فأكل أو شرب فلا شيء عليه، لأن النسيان والغفلة صفة انسانية فطرية، وسلوك بشري طبيعى ليس للانسان دخل فيه، وهذا من تساهل التربية الاسلامية وتسامحها وعظمتها، ومراعاتها لطبيعة الانسان وفطرته البشرية، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال الرسول ﴿ﷺ﴾: «إذا نسي أحدكم، فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه» (متفق عليه).

(١١) فى جواز الإفطار للمسافر والمريض وكبير السن غير القادر على الصيام والحامل والحائض والنفساء



والمرضع إذا خافت على نفسها أو رضيعها، رخصة اسلامية، وتربية ايمانية تدل على أن دين الاسلام دين يسر وسهولة، وأن الله سبحانه لا يريد أن يشق على عباده، قال تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ (البقرة ٢٨٦).

(١٢) فى السحور تربية جسدية صحية تهتم بالجسم ورعاية البدن حتى لا يخل عدم السحور بالصحة العامة للصائم، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: (تسحروا فإن فى السحور بركة) متفق عليه. ولقوله صلى اله عليه وسلم فيما رواه ابن خزيمة فى صحيحه (استعينوا بطعام السحر على صيام النهار) فيكون السحور بذلك عوناً على الصيام والعبادة إضافة الى كونه صرفاً للنعمة فى عبادة المنعم سبحانه، وليس هذا فحسب بل إن وقت السحور



يكون فى الثلث الأخير من الليل وهو وقت مبارك لأنه وقت النزول الإلهي إلى سماء الدنيا ووقت الاستغفار قال تعالى: ﴿**وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ الذاريات.

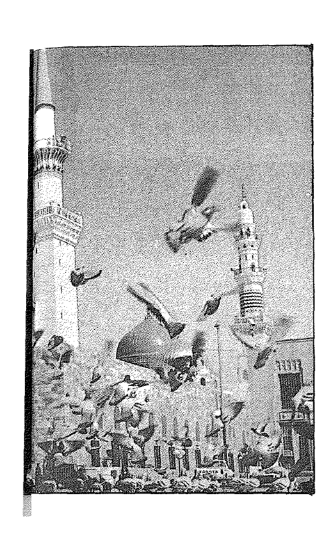
(١٣) فى شهر رمضان تربية اجتماعية تتمثل فى زكاة الفطر للفقراء من الأغنياء فيتحقق بذلك مبدأ تربوي اجتماعي فاضل هو مبدأ التكافل الاجتماعي، وليتساوى الناس فى مسراتهم، ويسعد الفقراء بما يحصلون عليه من المال والطعام والهدايا، وفى ذلك تربية على الاحسان والجود والبذل وبالتالى الدعوة الى المحبة والألفة، وازالة الفوارق الاجتماعية فى المجتمع، كما ان فى ذلك علاجاً للنفوس من رذيلة الشح والبخل وعبادة المال وتعويدها على البذل والعطاء والانفاق، لتكون النفس هي الراغبة فى العطاء طواعية وحبا وتطهرا لا جبرا وقهراً.

(١٤) من دروس رمضان التربوية أن لكل صائم مكافأة، ولكل عامل جائزة، وجائزة الصائم فوزه برضوان الله سبحانه، وأن له فرحتين إحداهما عند فطره والأخرى عند لقاء ربه، كما أن رائحة فمه اطيب عند الله سبحانه يوم القيامة من ريح المسك. قال صلى الله عليه وسلم: «والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: «إذا أفطر فرح بفطره، واذا لقى ربه فرح بصومه» متفق عليه. وليس هذا فحسب بل صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «للصائم دعوة لا ترد» فما أجمل أن يرفع العبد يديه داعياً مولاه وهو على يقين من أن دعوته مجابة وأن طلبه محقق. عندئذ يسأل الله سبحانه بما يشاء من خيري الدنيا والآخرة.

(١٥) فى نهاية شهر رمضان تربية نفسية واجتماعية عظمى عندما يتبادل الصائمون التهانى بعيد الفطر السعيد، والأماني الصادقة بالعود الحميد والعمر المديد مقروناً بالعمل الصالح، ومن عظمة التربية الاسلامية أن جعلت من هذا العيد مناسبة سعيدة للاحتفال والفرح والسرور والبهجة لا بالعود والوتر والرقص والتمايل مع أنغام الموسيقى، وانما بحمد الله وشكره على تمام الصيام وثبات الأجر ان شاء الله، ثم تبادل الزيارات بين الأهل والاخوان والأحباب والاقارب، وصلة الرحم وبر الوالدين، وتفقد الجيران والسلام عليهم والأنس بهم، فى جو إيماني مبارك يعطره ذكر الله سبحانه والصلاة على رسول الله ﴿ﷺ﴾، وتلطفه النكتة الصادقة والطرفة البريئة، وتزينه الأحاديث الباسمة والدعابات الجميلة والبسمات الحانية والقصص البديعة، ولذلك سمي يوم العيد يوم الجوائز فمن صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً فاز بالجائزة الكبرى ونال الفوز العظيم واستحق الثواب الجسيم.

فيا أبناء الاسلام ويا إخوة الايمان، هذا هو شهر رمضان المبارك، وهذه عظمته، وهذه تربيته الشاملة الكاملة الباذخة الراسخة، جعلنا الله واياكم فيه من المقبولين، ووفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، والله أعلم.

للشاعر الكبير حسين عرب



بشرى العوالم، أنت يارمضان
هتفت بك الأرجاء والأكوان
والشعر والأفكار، وهى عتية
ينتابها لجلالك الإذعان
لك فى السماء كواكب وضاءة
ولك النفوس المؤمنات مكان

* * *

الشرق، يرقب فى هلالك طالعاً
يعنو لديه، الكفر والطغيان
وبك استهام فؤاد كل موحد
يسمو به الإخلاص والإيمان
سعدت بلقياك الحياة، وأشرقت
وانهل منك، جمالها الفتان

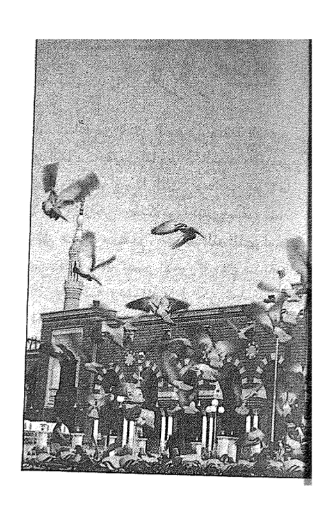
العبقرية فيك، جلجل صوتها
لما تنزل بالهدى القرآن
الدين عنها والحياة، تفردا
مجدا، وفاض بنورها الوجدان
وتهلل الحق الصراح بنفحة
علوية، فيها هدى وبيان

* * *

يا مُشعلا قبس الحقيقة، بعد أن
أعيت عن استقصائها، الأذهان
ومبدداً حلك الضلالة، حينما
عم الدنا، من زيفها فيضان
كانت كما زعم الغواة (حضارة)
يختال فيها الفرس والرومان
ذلت وذل على المدى عُبادهُا
في الغابرين، وشاه منها الشان
ولقد طلعت بشمسها، مدنية
قدسية، تعنو لها الأخدان
شيدت على الحق القويم، فشيدت
مجداً، يسير بذكره الركبان

* * *

أشرق بنورك في الربوع، وكن لها
أملا، يزول بلمحه العدوان
واذكر (فلسطين) الذبيحة، أرضها
مجلى الردى، وسماؤها نيران
فجر اليهود بها، وزاد فجورهم
مستعمر، بعهوده خوان
دارت عليها الدائرات فأصبحت
ينساب فيها، البؤس والأحزان
شيخ تخضب بالدماء، ومصلح
يُنفى، وحام للذمار يهان
وفتى يعذب في السجون، وغادة
تُسبى، وطفل دمعه هتان
تلك الحضارة تنجلي أسرارها
عنهم، فلا كانت ولا هم كانوا
تدمى العيون لها، ويرتاع النهى
من هولها، وتصدع الآذان

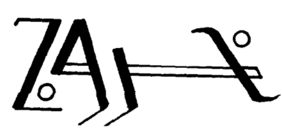


وتعلمت عنك الحصانة والحجى
فانجاب عنها، الهم والخذلان
وتذكرت فيك العروبةُ، مجدها
هل مجدها، إلا الذمار يصان

* * *

يا باعث الآمال، تخفق ثرة
بالخير، ليس يشوبها بهتان
ومحرر الأخلاق، من قيد الهوى
إن عمها من زيغه طوفان
بشراك، تفتر الثغور، لوقعها
جذلا، ويخفق خاطر وجنان
والبشريات صدى النعيم المرتجى
نصتْ به الآيات والأديان
ما إن تمرد عن نظامك معشر
إلا وحق عليهم الخسران







بقلم: د. عبد الباسط حمودة - مصر -

من خلال عرضنا لعلامات الساعة من الفتن الصغرى، وفتنة المسيح الدجال ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ يتبين لنا أن هذا القصص النبوى انما هو قصص من عند الله ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ وقال سبحانه: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ وقوله سبحانه: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ وقوله: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾.

وإذا كان من الأسس: الإيمان بالله والإيمان بالغيب، فإن فى التفصيل الدقيق، والوقوف على كل صغيرة وكبيرة فى القصص الذى تناول خروج المسيح الدجال، ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ لمعجزة من المعجزات الخالدة الباقية لرسول الله ﴿ﷺ﴾ وإذا كان العلماء يجمعون على أن القرآن الكريم هو معجزته فى حال حياته ومعجزته الباقية إلى يوم الدين، فإن السنة النبوية هى كذلك، وهى أجلى ما تكون وأوضح فيما يعرضه علينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من إخبار بما سيكون، على هذا النحو المفصل والوصف المرتب، والذى لا شك أنه واقع وحادث، كإخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أمور وقعت للمسلمين فى حال حياته بينهم، مثل وصفه لما حدث فى غزوة مؤتة وغيرها من الوقائع.

فقصص النبوة فيما يتعلق بالغيب، من محمد ﴿ﷺ﴾ النبى الأمى معجزة تشع بنورها كلما دارت عجلة الحياة، تعرض علينا أفعال الناس وأقوالهم فى الأزمنة المتأخرة، وما يصحبها من ظواهر تجرى بتقدير العزيز العليم.

وفى قصص خروج يأجوج ومأجوج، وقد أشار القرآن إلى ذلك فى قول الله تعالى: **﴿قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ وقوله: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، واقترب الوعد الحق﴾.**

نقول إن تولى القصص النبوى هذه النصوص القرآنية بالشرح والتبيين فى وصفهم فى خلقهم وتكوينهم وأفعالهم ومصيرهم، كل ذلك يدل على خلود السنة، وعطائها الذى لا يكف ولا يقل عن توجيهها للمسلم فى حياته اليومية فى عباداته ومعاملاته.

■ قال ابن منظور[1] فى مادة: (أجج) ويأجوج ومأجوج قبيلتان من خلق الله جاءت القراءة فيهما بهمز وغير همز، وجاء فى الحديث: «إن الخلق عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج» وهما اسمان أعجميان واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أجت النار، ومن الأجاج وهو الشديد الملوحة المحرق من ملوحته، ويكون التقدير فى يأجوج يفعول، وفى مأجوج مفعول، ويجوز أن يكون يأجوج فاعولا، وكذلك مأجوج، وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان

يأجوج ومأجوج

اشتقاقها، فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية، ومن لا يهمز وجعل الألفين زائدتين يقول: يأجوج من يججت، ومأجوج مججت، وهما غير مصروفين. قال رؤبة:

لو أن يأجوج ومأجوج معا
وعاد عاد واستجاشوا تبعا

■ وجاء في البخاري[١] في باب قصة يأجوج ومأجوج وقول الله تعالى: **﴿قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ وقول الله تعالى: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا، إنا مكنا له في الأرض واتيناه من كل شيء سبباً، فأتبع سبباً﴾ إلى قوله: ﴿آتوني زبر الحديد﴾** واحدها زبرة، وهي القطع: (حتى إذا ساوى بين الصدفين) يقال عن ابن عباس: الجبلين والسدين وخرجا أجرا، (قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً) أصبب عليه رصاصا، ويقال الحديد ويقال الصفر، وقال ابن عباس: النحاس (فما اسطاعوا أن يظهروه) يعلوه (وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء) ألزقه بالأرض، وناقة دكاء لا سنام لها، والدكداك من الأرض مثله، حتى صلب من الأرض وتلبد (وكان وعد ربي حقا) وقوله: (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) قال قتادة: حدب أكمة، قال رجل للنبي ﴿ﷺ﴾ رأيت السد مثل البرد المحبر، قال رأيته.

وقال البخاري حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب ابنة أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب ابنة جحش - رضي الله عنهم - ان النبي ﴿ﷺ﴾ دخل عليها فزعا يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) - وحلق بإصبعه الابهام والتي تليها - قالت زينب ابنة جحش: فقلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم، إذا كثر الخبث).

ونقل ابن كثير[٣] عن الطبراني عن عبد الله بن عمر عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: (إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا، وإن من ورائهم ثلاث أمم تاويل، وتايس، ومنسك) قال: هذا حديث غريب بل منكر ضعيف.

وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعا، إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاءوا وشجر يلقحون ما شاءوا، ولا يموت منهم رجل إلا وترك من ذريته ألفا فصاعدا».

وروى القرطبي[٤] عن عمرو بن العاص قال: إن يأجوج ومأجوج ذرء جهنم، ليس فيهم صديق، وهم على ثلاثة أصناف على طول الشبر، وعلى طول الشبرين، وثلث منهم طوله وعرضه سواء، وهم من ولد يافث بن نوح - عليه السلام -.

وروى عن الأوزاعي أنه قال: الأرض سبعة أجزاء، فستة أجزاء منها: يأجوج ومأجوج، وجزء من سائر الخلق.

وقال قتادة: الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، يعني الجزء الذي فيه سائر الخلق، غير يأجوج ومأجوج، فاثنا عشر للهند والسند، وثمانية آلاف للصين، وثلاثة آلاف للروم وألف فرسخ للعرب.

قال عبد الملك: وهما أمتان من ولد يافث بن نوح، مد الله لهما في العمر وأكثر لهما في النسل، حتى ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد ألف ولد، فولد آدم كلهم عشرة أجزاء: يأجوج ومأجوج

منهم تسعة أجزاء، وسائر ولده كلهم جزء واحد.
وقال أيضا: وكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرض القوم الذين هم قريب منهم فلا يدعون لهم شيئا، إذا كان أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا حملوه، فقال أهل تلك الأرض لذى القرنين: هل لك أن نجعل خرجا يعنى جعلا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا).

وفى تفسير الحوفى أبى الحسن: أن ذا القرنين لما عاين ذلك منهم انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما وهو فى منقطع الترك مما يلى مشرق الشمس، فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ، فلما أنشأ فى عمله حفر له أساسا، حتى إذا بلغ الماء جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس، فصار كأنه برد حبره من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه انطلق عائدا إلى جماعة الإنس والجن.

وعن الامام علي ـ رضى الله عنه ـ قال: وصنف منهم فى طول شبر، لهم مخالب وأنياب كالسباع، وتداعى الحمام وتسافد البهائم، وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام، إحداهما وبرة يشتون فيها والأخرى جلدة يصيفون فيها.

وقال كعب الأخبار: خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف: صنف أجسامهم كالأرز، وصنف أربعة أذرع طولا وأربعة أذرع عرضا، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى فيأكلون مشائم نسائهم.

ويروى أنهم يأكلون جميع حشرات الأرض من الحيات والعقارب، وكل ذى روح مما خلق الله فى الأرض، وليس لله خلق ينمى كنمائهم فى العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم، يتداعون تداعى الحمام، ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا.

وقد سبق ـ فى قصص المسيح الدجال ـ وعيسى عليه السلام بعض ذكرهم ونعرض الآن ما جاء من قصص رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى شأنهم:

روى ابن ماجة عن أبى هريرة[٥] قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله، فيرجعون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم فى حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء فيرجع إليها الدم، فيقولون قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا فى أقفائهم فيقتلون ـ قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ والذى نفسى بيده إن دواب الأرض تسمن وتشكر[٦] شكرا من كثرة ما تأكل من لحومهم».

وروى ابن كثير[٧] عن الإمام احمد عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: (تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس، كما قال ـ عز وجل ـ ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ فيغشون الناس، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا، حتى إن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد فى حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقى أهل السماء، قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة دما للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك بعث الله ـ عز وجل ـ دودا فى أعناقهم كنغف الجراد الذى يخرج فى أعناقه، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو قال فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه، قد أوطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادى يامعشر المسلمين ألا أبشروا، إن الله ـ عز وجل ـ قد كفاكم

عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط».

وحدث محمد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت خطب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو عاصب إصبعه من لدغة عقرب فقال: (إنكم تقولون لا عدو لكم وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوا حتى يأتى يأجوج ومأجوج عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشعاف من كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة).

قال كعب الأخبار[٨]: إن يأجوج ينقرون بمناقرهم السد حتى إذا كادوا أن يخرجوا قالوا: نرجع إليه غدا، وقد عاد كما كان، فإذا بلغ الأمر ألقى على بعض أن يقولوا نرجع إن شاء الله غدا فنفرغ منه، قال: فيرجعون إليه وهو كما تركوه فيخرقونه ويخرجون، فيأتى أولهم البحيرة فيشربون ما فيها من ماء، ويأتى أوسطهم عليها فيلحسون ما كان فيها من طين، ويأتى آخرهم فيقولون: قد كان ههنا ماء ثم يرمون بنبالهم نحو السماء فيقولون: قد قهرنا من فى الأرض وظهرنا على من فى السماء، قال: فيصب الله عليهم دواب يقال لها النغف، فيأخذ فى أقفائهم، فيقتلهم النغف حتى تنتن الأرض من ريحهم، ثم يبعث الله عليهم طيرا فتنقل أبدانهم إلى البحر، فيرسل الله السماء أربعين فتنبت الأرض حتى إن الرمانة لتشبع السكن، قيل لكعب: وما السكن؟ قال: أهل البيت. قال: ثم يسمعون الصيحة.

وخرج ابن ماجه وأبو بكر بن أبى شيبة[٩]، واللفظ لابن ماجه عن عبد الله بن مسعود قال: «لما كان ليلة أسرى برسول الله ﴿ﷺ﴾ لقى إبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام - فتذكروا الساعة، فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده علم منها، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده علم منها، فردوا الحديث إلى عيسى قال: قد عهد إلى فيما دون وجبتها، فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكروا خروج الدجال، قال: فأنزل إليه فأقتله، فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج (وهم من كل حدب ينسلون) فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا شىء إلا أفسدوه، فيجأرون إلى الله فأدعو الله أن يميتهم فتنتن الأرض من ريحهم، فيجأرون إلى الله فأدعو الله فيرسل السماء فتحملهم فتلقيهم فى البحر، ثم تنسف الجبال وتمتد الأرض مد الأديم، فعهد إلى إذا كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التى لا يدرى أهلها متى تعجلهم بولادتها ليلا أو نهارا).

ويفهم من قصص النبوة أن يأجوج ومأجوج كفار لم يؤمنوا بالله وهم يمثلون غالبية أهل النار، وهم من ولد آدم[١٠]: (إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أسلموا لأفسدوا على الناس معايشهم، ولن يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا، وإن من ورائهم ثلاث أمم: تاويل، وتاريس، ومنسك) وقال فى قصة أخرى: (بعثنى الله حين أسرى بى إلى يأجوج ومأجوج فدعوتهم إلى دين الله وعبادته فأبوا أن يجيبونى فهم فى النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس) ولذلك تكون الغلبة للمسلمين عليهم عند نزول المسيح - عليه السلام - ويتركون وراءهم قسيهم ونشابهم وأتراسهم، وجاء فى رواية أوس بن أبى أوس عن النبى ﴿ﷺ﴾: (سيوقد المسلمون من قسى يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترسهم سبع سنين).

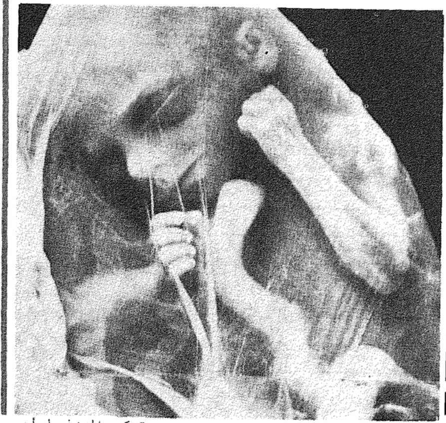
وجاءت هذه القصة فى البخارى[١١] عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾: (يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار، قال يارب وما بعث النار؟ قال من كل ألف - أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعين - فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبى ﴿ﷺ﴾ من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود، وإنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة

● البقية ص ٤٣

عظمة



بقلم: د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي
أستاذ الحديث بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى



● تكوين الجنين في بطن أمه.

القران الكريم كتاب حوى أوجه العظمة كلها، فما من وجه من أوجه العظمة إلا وتجده في القرآن الكريم، بل تجد القرآن الكريم بلغ فيه الغاية.

ومن أوجه عظمته أن كل منصف يعترف أنه الكتاب الذي فوق طاقة البشر، فالأديب يعترف بأنه ليس من كلام البشر.

والاجتماعي - عالم الاجتماع - يعترف بأنه في توازنه وهيبته فوق فكر البشر، وعلماء النفس يعترفون أنه أسعد النفس وواءمها بما لا يمكن للبشر مشاكلته، أو مجاراته. . وعلماء التربية يعترفون أنه أرسى من المناهج والقواعد ما ليس في وسع البشر. . وعلماء الدراسات المعملية من طب وغيره. . وعلماء الجيولوجيا واكتشاف أطوار الكون الماضية. . وعلماء دراسات المستقبل من فضاء وأصول الكائنات، كل هؤلاء يعترف المنصفون منهم بعظمة مصدر القرآن، وأنه كلام لا يمكن أن يكون من عند البشر، فلقد وجدوه كلام العليم الخبير بأسرار الكون ودقائقه، وجدوه في اعتدال واتزان فوق قدرة البشر.

نعم القرآن كتاب دين، يعطي الإنسان العقيدة الصحيحة، والسلوك المستقيم، ليسعد في الدنيا والآخرة، وهو ليس كتاب نظريات علمية، أودراسات معملية، لكنه مع ذلك بهر العلماء بصحة حديثه عن الأشياء، وحقائقها، ودقائقها، فإنه حينما يتحدث عن أمر فكلماته في غاية الدقة، وتعبيراته عين الصواب!!

ففي قوله تعالى: ﴿**كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة**﴾[1] - والآيتان تهديد لأبي جهل فرعون هذه الأمة، وكان يعادي رسول الله ﴿ﷺ﴾ والمسلمين أشد العداء، حقدا أن كانت النبوة في غير أهله!! - يلفت النظر في هاتين الآيتين أن الوعيد انصب على الناصية، مع وصفها بأنها كاذبة خاطئة، إن الناصية هي مقدم الرأس، فلِمَ التركيز عليها دون غيرها؟ لابد أن لها علاقة بالصدق والكذب، والصواب والخطأ، فيكتشف العلم الحديث أن مقدم الرأس يحتوي على القشرة الأمامية الجبهية، وتقع أسفل مقدم شعر الرأس مباشرة، وهذه القشرة تشكل مركزا علويا من مراكز التفكير والتركيز والذاكرة، وهي الموجهة لتصرفات الانسان الشخصية، مثل الصدق والكذب، والصواب والخطأ، إنها تحث الانسان على المبادأة بعمل الخير أو الشر[2].

ـة القرآن المتجـــددة

فأظهــر العلم الحــديث ما فى التعبير القــرآنى من عظمة ودقة، وأنــه ليس مجازفــة، أو إطــلاقـا للألفـاظ على عواصفهـا وإنـما هو كلام من أحاط بكل شىء علما.

لقد سبق القرآن العلم بمئات السنـين، بل إنـه هو الـذى ألهم الانسانية هذا الفهم، ولفت نظرها لهذا الأمر.

وفى قولـه الله سبحانه ﴿**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغـة، فخلقنـا المضغة عظاما، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخـر، فتـبـارك الـله أحسـن الخـالقين**﴾[٣] نجد أن الله سبحانه وتعالى قد سمى الجنين فى أول الأمر نطفــة، ثم علقــة، ثم مضغـة، فوصف القــرآن الكــريم أطــوار الجنـين، وجعـل لكل طور اسما، وكل واحد من هذين سبق علمى، يقـول أحد أساتذة الطب[٤]: «إن الالفاظ القرآنية لوصف نمو الجنين هى أدق وأوفى المصـطلحات التى تنسجم مع النمو فى الرحم، وهى مصـطلحات مثالية للاستخدام فى علم الاجنة الذى يعانى الباحثون الغربيون فيه من مشكلة عدم توافر المصطلحات، الأمر الذى جعلهم يصفون مراحل نموالجنين بالأرقام.

وفى سوق القرآن لهذه المراحل علم وبـلاغة متناهيان، فلقد بين زمن كل مرحلة بأوجز تعبير، فحينما تكون المرحلة قصيرة يعطف بحرف الفاء، المفيدة للتعقيب، ﴿**فخلقنا العلقـة مضغـة، فخلقنـا المضغـة عظاما، فكسونا العظام لحما**﴾، إنه يعطف المرحلة على سابقتها بالفاء، مما يدل على التوالى والسرعة، لكنه فى انتقـال مرحلة العـظام المكسـو باللحم إلى مرحلة النشأة عطف بـ «ثـم» الـتـى تفيد الـتـراخى ﴿**ثم أنشـأنـاه خلقا آخر**﴾ مما يدل على تأخـر هذه المـرحلة عن سابقتها، وهكـــذا يبـين القـرآن الكـريم ـ وبــأسلوب سهـــل موجـز ـ توالى المـراحل أو تباعدها، فجاء العلم الحـديث فاعترف بأن كل ذلك فى غاية الدقة والحكمة.

وحدث أن التقى أحد أساتذة الفلك[٥] بأحـد المسلمـين[٦]، ودار الحـــديث عن تكــوين الأجــرام السـماوية ونـظامهــا المدهش، وأبعـادهـا وفـواصلها اللامتناهية، وطـرقهـا ومـداراتهـا وجـاذبيتهـا، وطـوفـان أنـوارهـا المذهلة، يقول المسلم: حتى إننى شعرت بقلبى يهتـز بهيبـة الله وجلاله، وأما عالم الفلك النصرانى فوجــدت شعـر رأسـه قائما، والـدمـوع تنهمر من عينيه، ورأيت يديه ترتعــدان من خشية الله، وتــوقف الفلكى عن الكلام فجأة، ثم راح يقول لجليسه المسلم: عنــدمــا ألقى نظرة على روائـــع خلق الله يبــدأ وجــودى يرتعش من الجلال الإلهى، وعندما أركع لله وأقول «إنك لعظيم» أجد أن كل جزء من كيانى يؤيدنى فى هذا الــدعــاء، وأشعـر بسعـادة وسكون عظيمين، وأحس بسعادة فوق سعادة الآخرين ألف مرة.

يقـول المسلم: لقـد أحـدثت محاضرة هذا الفلكى طوفــانـــا فى عقلى، فقلت له: لقد تأثرت جدا بالتفاصيل العلمية التى رويتموها لى، وتذكرت بهذه المناسبة آية من آى كتابى المقدس، فلو سمحتم لى لقـرأتها عليكم، فهز رأسه قائلا: بكل سرور. فقرأت عليه قول الله تعـالى: ﴿ومن الجبـال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن النــاس والــدواب والانعـام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عبــاده الـعـلماء﴾[٧]، فصرخ الفلكى قائــلا: ماذا قلت؟ إنــما يخشـى الـله من عبــاده الـعلماء؟

مدهش! وغريب، وعجيب جدا!!
إنه الأمر الذى كشفت عنه دراسة ومشاهدة استمرت خمسين عاما.

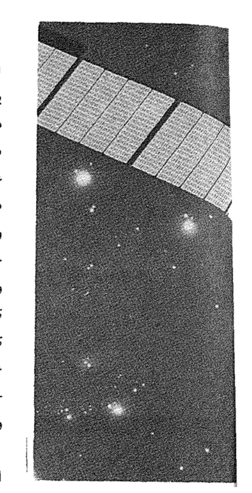
■ إن هذه الآية قد استولت على تعظيم الفلكى النصرانى، وجعلته يعجب للقرآن الكريم، كيف تأتى كلمة بهذا الايجاز مفيدة لهذا المعنى الدقيق، العلماء هم الذين يخشون الله، وكلما ازداد المرء علما بما فى الكون من دقيق الصنع، وحكمة التدبير ازداد لله خشية، إلا أن العجيب فى الأمر أن تكون هذه الجملة من كتاب قاله المرسل به صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا، لقد جعلت هذه العظمة هذا الفلكى النصرانى يعترف بأن القرآن وحى من عند الله.

وهكذا يتكلم القرآن عن كل أمر بدقة متناهية، فإذا تكلم عن الكون، فالكلام فى غاية الصحة والدقة، وإذا تكلم عن خلق الانسان فكلام الخالق البارىء المصور سبحانه، وإذا تكلم عن الجانب الاجتماعى فالخير والسعادة، والمنهج الفاضل، وإذا تكلم عن الاقتصاد أخذ بيد البشرية الى الخير والصواب واذا تكلم عن التاريخ القديم من بدء الخلق، وأصول العالم أعطى من العلوم ما يبهر الباحثين العاكفين على البحوث والاكتشافات.

لقد كانت أفكار الناس قبل مائة عام تقريبا تعتمد فى مجموعها على التخمين والمجازفة، فلما جاء عصر البحث العلمى أظهر أن معلومات القرون الماضية عن كثير من الأمور إنما هى خرافات وخزعبلات، إلا أن هذا البحث العلمى وقف أمام القرآن معظما، فليس كبقية علوم القرون الماضية، وإنما هو كتاب فى قمة الحكمة، جاء بالحق الكامل وعين الصواب، فمعلوماته صادقة وحقائقه ثابتة، وأسلوبه فى غاية الدقة والعظمة، حتى بهر العلم والعلماء، ولم يبق للمنصف منهم إلا أن يسلم بأن القرآن ليس من قول البشر، وإنما هو كلام الله الخالق الذى أحاط بكل شىء علما.

■ إن عصرنا هذا يحرص على التخصص العلمى، نظراً لأنه ليس فى طاقة الانسان مهما أوتى من قوة الذكاء، وسعة الذاكرة أن يحيط بالعلوم، ويعطى فيها جميعها، وأصبح الباحث الذى يحترم نفسه لا يتكلم إلا فى تخصصه، لأن الذى يتكلم فى غير تخصصه يتخبط، فلو أن أستاذا فى علوم الطب تكلم فى علوم الهندسة لسخر منه المتخصصون فى الهندسة، نظرا لما سيكون فى كلامه من تخليط وأخطاء، وهكذا فطاقة الانسان محدودة يخطىء ويصيب، ولا يكثر صوابه إلا بالجد والاجتهاد فى البحث والدرس، وعليه فلا يمكنه الحديث عن كثير من الأشياء مع الدقة الصائبة، أما القرآن الكريم فإنه يتكلم فى كل التخصصات، وفى جميع المجالات بكل دقة وصواب، دقة فوق العلم، وصواب فوق التخصصات، وما ذلك إلا لأنه كلام الله الذى خلق الكون وخلق الإنسان، وعلمه ما لم يكن يعلم.

● الأقمار الصناعية.. وقد تنوعت اغراضها.



■ إن أصحاب التخصص البارعين فيه المستعملين للأجهزة البالغة الدقة، يتحدثون بالأمر ويطرحونه على أنه قضية مسلم بها، وبعد فترة وجيزة يثبت خطأ هذا الأمر، ويرده الباحثون الآخرون على قائله، فمثلا توصل باحث إلى أن أصغر شيء في الكون هوالذرة، وأنها لا تقبل الانشطار، وبعد فترة وجيزة ثبت خطؤه، وثبت أن الذرة ليست أصغر الأشياء، وثبت أنها تقبل الانشطار.

وأهل الطب منذ أربعين سنة تقريبا أعلوا شأن الدخان، وسموه البلسم الشافى، ووصفوه لكل الأمراض علاجا، ولم يمض على قولهم هذا وقت طويل فإذا بهم يصرخون: حذار من الدخان، إنه يسبب أخبث الأمراض!!!

بهذه السرعة تنقلب علوم البشر، أما القرآن الكريم، فإنه يتحدث عن الأمر، فلا يزداد مع مضى الزمن إلا جدة وتألقا، فلقد مضى على القرآن أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، كم طرحت من نظريات، وتُوصل إلى حقائق، وكم انقلبت من حقائق ثبت خطؤها، والقرآن هو هو، لا يتغير، ولا تتخلف قضية من قضاياه، ولا تنقض حقيقة من حقائقه، وإنما تثبت الدراسات والبحوث تقدمه على العقل البشرى، وأنه كلام خالق الكون العليم بأسراره وأخباره.

لقد حدثنا القرآن عن عسل النحل وأنه «فيه شفاء للناس»[٨] فماذا كان بعد أن مضى على هذه الحقيقة أكثر من أربعة عشر قرنا؟ إنها لم تزد إلا جدة وقوة، وكثير من أسرار عسل النحل قد ظهر وتجلى، وأصبح يتداوى به من كثير من الأمراض، ويتناول للصحة والسعادة.

وجاء فى القرآن الكريم تحريم أكل بعض الأشياء، ومنها الدم، فماذا بعد أربعة عشر قرنا؟ لقد أظهرت البحوث أن أكل الدم يحطم الصحة، نظرا لما يحتوى عليه من كمية كبيرة من حامض البوليك، وتحدث القرآن عن تحريم لحم الخنزير، وبعد أربعة عشر قرنا بات واضحا أنه يورث آكله العديد من الأمراض، منها مرض تليف الكبد، وهو مرض قاتل.

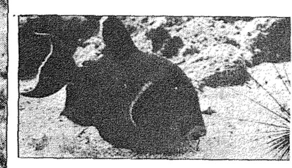
وهكذا فإن القرآن الكريم يتحدث عن الأمر فلا يتخلف ما تحدث به، ويخبر بالأمر فيتحقق لا محالة، حقائقه عين الصواب، وحديثه فى أعلى درجات الدقة، وهو بذا يدل دلالة قاطعة على أنه كلام الله الخالق، العليم الخبير سبحانه وتعالى.

والناس فيما فى القرآن من جديد ما بين منصف ومتعصب، فالمنصفون يسلمون دائما بعظمة القرآن ويؤمنون به، والمتعصبون يعميهم تعصبهم، فيحاولون



● خلية نحل فى أعلى الشجرة.

● البحار مليئة بانواع المخلوقات المتنوعة .



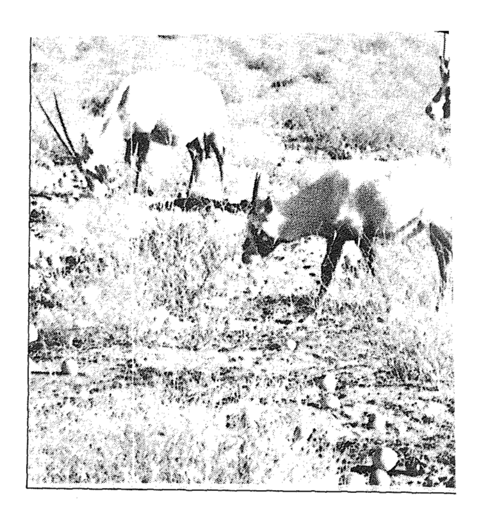
● المها الجميل فى رحلة البحث عن [illegible]

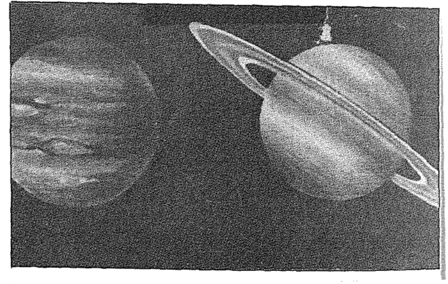
صرف الناس عن القرآن بكل حيلة ووسيلة، يقول المنصر جون تاكلى عن المسلمين: يجب أن نستخدم كتابهم (أى القرآن الكريم) وهو أمضى سلاح فى الاسلام ضد الإسلام نفسه، لنقضى عليه تماما. يجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا انتهى كلامه[٩].

■ إن هذا النصرانى الحاقد يعترف - كما يعترف كثيرون أمثاله - أن القرآن قد اشتمل على أمور جديدة عظيمة، وحقائقه فى هذا الجديد عين الصواب، لكنه أعماه تعصبه كما أعمى قومه، فراحوا يصرفون الناس عن أوجه عظمة القرآن، وفعلهم هذا نفسه دليل على عظمة القرآن، فإن القرآن قد أخبر به فوقع كما أخبر، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[١٠].

ومن عظمة القرآن أنه يستحوذ على إعظام كل طائفة بما يقنعهم أنه الحق، وأنه كلام الله، فكما أسعد البعض بسبقه العلمى، فلقد أسعد الآخرين بأمور أخرى، فمنهم من يكون إعظامه وسعادته بتحقق ما أخبر به القرآن أنه سيكون فيقع كما أخبر، من ذلك أن القرآن أخبر المسلمين فى الصدر الاول عن فتح مكة، فقال سبحانه ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾[١١] ففتحت، ودخل المهاجرون والأنصار المسجد الحرام، وطافوا بالكعبة زادها الله تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة.

وفى صدر الإسلام دارت معركة بين الفرس والروم انتصر فيها الفرس، فأخبر القرآن الكريم أن الفرس وإن كانوا قد انتصروا على الروم، فإن الروم سينتصرون على الفرس، ثم زاد الأمر عظمة فحدد الزمن وأنه فى خلال سنوات قليلة، وما كان أحد يتصور أن ينتصر الروم، فلقد كانت امبراطورية مهزومة من كل ناحية، وأكثر النواحى انهزاما ملكهم فلقد كان رجلا يائسا كسولا، وكان رجل ملذات وشهوات، كان يبدو كما لو كان متفرجا أبله، استسلم لمصائب شعبه، وفرح المشركون فى مكة بانتصار الفرس، فلقد كانوا يرونهم على شاكلتهم أصحاب معبود مادى، أما الروم فهم أصحاب دين سماوى (المسيحية) كالمسلمين، وراح المشركون فى مكة يسخرون من المسلمين قائلين: لقد غلب إخواننا إخوانكم، وكذلك سوف نقضى عليكم، إذا لم تصطلحوا معنا، تاركين دينكم الجديد، وكان المسلمون بمكة فى أضعف وأسوأ أحوالهم المادية، وفى هذا الوقت يتلو رسول الله ﴿ﷺ﴾ على المسلمين قرآنا كريماً ﴿غلبت الروم، فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد





● هذا السماء زينه الله سبحانه وتعالى بمجموعة هائلة من الكواكب السيارة.

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[١٢]. وتحقق ما جاء به القرآن الكريم فإذ بهرقل الروم تتغير أحواله تماما، ويتحول إلى رجل عسكرى قوى، وتقوى الإمبراطورية، ويقود جيشا ينتصر به على الفرس انتصارا عظيما، ليسترد به كل أرض الروم من الفرس، بل ويتوغل فى أرض الفرس، ويناشده حكام فارس ـ المشغولون بالقتال الدائر فى البيت الملكى ـ الصلح، ويعود هرقل إلى عاصمته القسطنطينية فى احتفال رائع.

■ إن الدارس لهذه القضية يعظم القرآن الكريم كل التعظيم، ذلك أنه يجد الحديث عنها فى القرآن حديثا عاليا، حديثا لا يصدر إلا من عظيم، حديثا لا يكون إلا من خالق الكون الذى يعلم ما كان وما سيكون، وهو خالق ما كان وما سيكون، وماذا بعد أن يحدد نتيجة المعركة، وزمنها «فى بضع سنين» والبضع من ثلاثة الى عشرة، إنه زمن قليل، يمر سريعا، وهو فى عمر الدول أقل وأسرع، لكن الأقدار الالهية غير محكومة، لا بزمن ولا بغيره، كما قال سبحانه ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾[١٣].

ومن هنا يقول أحد المؤرخين[١٤] لهذه الحقبة تعقيبا على هذه الآيات من القرآن الكريم: فى ذلك الوقت حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة لم تكن آية نبوءة أبعد منها وقوعا، لأن السنين الاثنتى عشرة الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الامبراطورية الرومانية.

ومن الناس من يعظم القرآن لما له من هيبة، وما فيه من علو، فها هو الوليد ابن المغيرة يسمع القرآن، وهو لا يزال مشركا، وكان أعلم العرب بالشعر والرجز، بل وبأشعار الجن فقال ـ واصفا القرآن الكريم ـ والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، وما يقول هذا بشر.

وسمعه عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ـ أحد سادات قريش، وممن اعترف لهم بسداد الرأى مع الحلم

والفضل ـ فاعترف بأنه ليس شعرا، ولا سحرا، ولا كهانة، ثم قال: ما سمعت أذناى قط كلاما مثله.

وها هو عبد الله بن المقفع، الأديب البليغ، صاحب الرسائل البديعة، المعترف له بغزارة العلم، ها هو يجتمع له جماعة من الملاحدة والزنادقة، أزعجهم تأثير القرآن فى الناس فقرروا مواجهة تحدى القرآن، واتصلوا بابن المقفع هذا لاتمام خطتهم، فقبل القيام بهذه المهمة واتفق على أن يتم العمل بعد عام، على أن يتحملوا كل ما يحتاج إليه خلال هذه المدة، ولما مضى على الاتفاق نصف عام عادوا إليه، وبهم تطلع إلى معرفة ما حققه أديبهم لمواجهة تحدى القرآن، وكانت المفاجأة أنهم وجدوه قد أقلع عن مهمته، واعترف بعجزه، وأنه لا يمكنه أن يأتى بآية واحدة.

لقد مر ابن المقفع بصبى يقرأ القرآن، فسمع منه قول الله تعالى ﴿**وقيل يا أرض ابلعى ماءك**﴾[١٥] فرجع ومحا كل ما عمل. ثم قال: أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر.

وإن الانسان ليزداد يقينا بعظمة القرآن كلما استمع إليه، وتدبره، إنه كلام الله سبحانه الذى لا يدانيه كلام، يعترف بذلك الإنسان العادى ويثق به الأديب البليغ أكثر من غيره.

ومن الناس من يعظم القرآن الكريم لقوة تأثيره، وإعماله فى النفس، فالنفوس الزكية به تخشع، يملك عليها زمامها، ويناديها إلى

شجرة الميرامية.

دائرة الاستقامة، وعالم الهداية، كما قال ربنا سبحانه وتعالى فى وصفه ﴿**تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء**﴾[١٦].

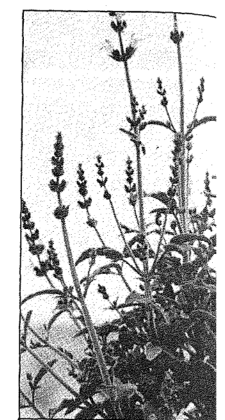
فها هو جبير بن مطعم يقول «سمعت النبى ﴿ﷺ﴾ يقرأ فى المغرب بالطور[١٧]»، فلما بلغ هذه الآية ﴿أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون، أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾[١٨] كاد قلبى أن يطير، وذلك أول ما دخل الايمان قلبى[١٩].

■ إن الواقع يثبت أنه ما من إنسان إلا ويسعد بقراءة أو سماع القرآن الكريم، مسلما كان أو غير مسلم، عربيا كان أو غير عربى، إنه كلام الله، فهو ربانى يسعد الأرواح.

والإنسان روح وجسد، وسعادته مرهونه بسعادة روحه، أما سعادة الجسد فى ملذات زائفة، وشهوات قد تكون قاتلة، نظمها الاسلام خير تنظيم، ولا سعادة إلا بنهج القرآن الكريم فى إسعاد الروح، وإشباع حاجات البدن.

وداء البشرية المعاصرة التعصب لما هم عليه، وعدم الجدية فى طلب الحق، فما من عاقل إلا وهو يدرك عظمة القرآن الكريم، ويدرك عظمة الدين الذى جاء به، إلا أن الناس منهم من هو متعصب لما هو عليه، ومن هو مؤثر لهواه، عبد لشهواته، وهؤلاء لم ينصفوا، ولم يفكروا فى العاقبة.

■ إن القرآن الكريم بعظمته من كل ناحية، وظهور أنه كلام الله الخالق العظيم سبحانه وتعالى إنما يدعو الناس إلى الهداية والاستقامة، يدعوهم إلى الايمان



بالله رب العـالمـين، والالتـزام بالاسلام عقيدة وشريعة، إنه حجة الله على خلقـه، لم يجد أحـد فيه غلطة، ولم يقـف أحــد فيه على سقطة، وإنما وجد الجميع فيه كل عظمـة، وتمـر السنـون، بل وتمـر القرون، وتتقدم البشرية ما تتقدم، والـقــرآن حق صادق، عظيم شامخ، يثبت أنه فوق طاقة البشر، فقامت به الحجة، ولزم الناس أن يؤمنـوا به، وأن يسلمـــوا لله رب العالمين، إن القرآن يسعد العقل فى كل زمـان ومكـان، ويشعـره أنـه سيده، وأنـه فوقـه، وأنـه الكتاب العظيم الذى لا يمكن أن يكون إلا كلام الخـالق سبحـانـه وتعـالى، فليتـخلص النـاس من عصبيتهم وأهــوائهم، وليدخلوا فى دين الله الحق الذى هو الاسلام، ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم «مـا من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنـــما كان الـذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى، فأرجـو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامـة»[٢٠] فكـل نبى أعـطاه الله معجزة تدعو الناس إلى الايمان به، وتقوم بها الحجة أنه رسول من عند الـله، إلا أن معـجـزات الانبياء السابقين كانت حسية يؤمن بها من حضرها وشاهدها، دون من غاب عنها، والقرآن غير هذا، فإنه ليس مقصورا على من شاهد نزوله، وإنما هو كلام الله الخـالد، يتلى فى كل مكان، ويقتنع به أهل كل جيل، فأوجـه العظمة فيه متعددة، تقنع كل جيل بالاسلام وبالقرآن.

ولما كان القرآن هكذا، معجزة عامة شائعة، باقية خالدة، عظيمة متجـــددة، لا تزداد مع الأيام إلا جدة، ولا مع الزمن إلا قوة، لما كان القـرآن هكذا رجا صلى الله عليه وسلم أن تكـون أمته أكثر الأمم، وأن يؤمـن به الكثـيرون، وهـــذه الرجوى قد تحققت، فإنه صلى الله عليه وسلم أكثر الانبياء تبعا.

على أن مما يجعـل القـرآن بابا واسعا لجمع الناس على الاسلام أنه محفوظ بحفظ الله سبحانه كما قال تعالى **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافـظون﴾**[٢١] وكـما قال الله لنبيه ﴿ﷺ﴾ **﴿وأنـزلت عليك كتابا لا يغسله الماء﴾**[٢٢] أى أنه كتاب محفوظ فى الصـــدور، فلا يمكن القضـاء عليه شأن الكتب المحفــوظـة فى السـطور، والـواقـع يؤكـد ذلك، فالامـة فى شرقهـا وغـربهـا عربيها وعجميهـا يحفظون القرآن الكريم عن ظهـــر قلب، فالمؤمن به مؤمن حقـا، والقـارىء له قارىء لكلام الله صدقـا، والمقتـدى به سالـك سبيل الفائزين.

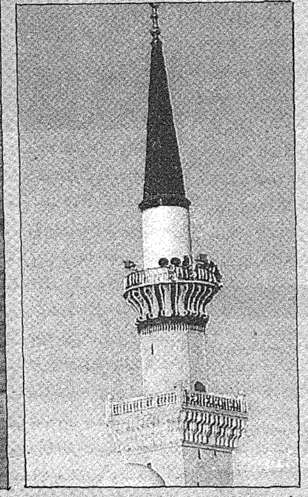
الهوامـــــش

(١) سورة العلق آية ١٥، ١٦.
(٢) نقـلا عن بحث للدكتـور احمد مصطفى كمال أستاذ تشريح الجهاز العصبى بكلية الطب جامعة الازهر.
(٣) سورة المؤمنون الآيات ١٣، ١٤.
(٤) هو الـدكتـور مارشـال جونسون الاستاذ بجامعة جيفرسون الطبية بولاية فلادليفيا الامريكية.
(٥) هو السير جيمس جينز، الاستاذ بجامعة كمبردج.
(٦) هو الـدكتور: عناية الله المشرقى، أستاذ الـطبيعة والرياضيات، وأول من عرض فكرة القنبلة الذرية.
(٧) سورة فاطر جزء من الآية ٢٧، والآية ٢٨.
(٨) سورة النحل آية ٦٩.
(٩) التبشير والاستعمار ص٤٠ نقلا عن كتاب Islam and Missions, 217
(١٠) سورة التوبة آية ٣٢.
(١١) سورة الفتح آية ٢٧.
(١٢) سورة الروم آية ٢-٦.
(١٣) سورة يس الآية قبل الأخيرة.
(١٤) هو إدوارد جبن فى كتابه «تاريخ سقوط واندحار الامبراطورية الرومانية».
(١٥) سورة هود آية ٤٤.
(١٦) سورة الزمر آية ٢٣.
(١٧) أى بسورة «والطور...».
(١٨) هذه الآيات من سورة الطور من ٣٥-٣٧.
(١٩) أصل هذا الحديث فى البخارى رقم ٤٨٥٤.
(٢٠) أخرجه البخارى فى أول فضائل القرآن حديث رقم ٤٩٨١.
(٢١) سورة الحجر آية ٩.
(٢٢) أخـرجـه مسلم فى كتـاب الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة. ٤/٢١٩٧، ٢٨٦٥.



من مزايا شهر رمضان فى الأحاديث النبوية





الأحاديث الواردة فى مزايا شهر رمضان ونفحاته البرة كثيرة.. ومن تلك الأحاديث النبوية قوله صلوات الله وسلامه عليه: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى مناد: ياباغى الخير أقبل، ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة».

فى هذا الحديث نص بأن رمضان شهر خير ورحمة، فإن الشياطين ومردة الجن تصفد فيه، أى تقيد وتسلسل حتى لا يصل شرها إلى الصائمين.. وفيه أن أبواب النار تغلق تكرمة لدخول شهر رمضان.. وفيه أن أبواب الجنة تفتح للمسلمين، تكريماً لهم فى شهر الصيام الميمون.. وفيه أن منادياً خاصاً ينادى بدعوة الخير والصلاح.. وفيه أن لله عتقاء من النار فى كل ليلة من لياليه الوضيئة.

وفى هذا الحديث من سيد البشر - وهو الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى - فى هذا الحديث إفصاح عن المكانة الجليلة التى يحتلها شهر رمضان.. فلو يعلم العباد حقيقة قدره لتمنت أمة الرسول عليه الصلاة والسلام أن تكون السنة كلها رمضان. وهناك حديث رُوِىَ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب منعته من الطعام والشراب فشفعنى فيه.. ويقول القرآن: منعته من النوم بالليل فشفعنى فيه.. قال: فيشفعان».

ومقارنة الصيام بالقرآن فى طلب الشفاعة للعبد الصائم والعبد التالى للقرآن تحمل فى ثناياها أهمية بالغة عند الله عز وجل بالنسبة للصيام.. كما هو واضح من سياق الحديث النبوى الشريف ونصه الكريم المنيف.

وفى حديث نبوى آخر يقول صلوات الله وسلامه عليه فى إجابته لصحابى قال له: يا نبى الله حدثنا عن رمضان، فقال الرسول: «إن الجنة لتزين لرمضان من رأس الحول الى الحول - فإذا



بقلم: عبد القدوس الانصاري

كان أول رمضـان هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق أشجار الجنة، فتنظر الحور إلى ذلك، فيقلن: ياربنا اجعل لنا من عبادك هذا الشهر أزواجاً تقر أعيننا بهم، وتقر أعينهم بنا. ثم قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «فما من عبد يصوم يوماً من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين، فى خيمة من درة».

وهذا الحديث يعطينا صورة واضحة لما منحه شهر رمضان من المفاخر والمزايا، فإن الجنة تتزين لقدومه وتتحرك أشجارها وتصطق أوراقها ابتهاجاً بمقدمه، والحور العين فى الجنة تسهمن فى هذه الغبـطة الشاملة، وقد بشر الرسـول الكـريم المسلمين بأن من يصوم منهم يوماً من رمضان يزوج بإحدى الحور العين فى خيمة من درة.



تحتفل الدول الاسلامية جميعها بشهر رمضان احتفالا تأتلق به البهجة وتغمره البشاشة والفرحة لما يتحقق لشعوبها من أمان يأملون ان تتحقق فى هذا الشهر.

فالمسلمون يتهيأون إلى لقائه فرحين مغتبطين ويأخذون فى إعداد لوازمه وواجباته قبل أن يأزف موعده فإذا أشرق هلاله وجد الاستقبال الحافل والترحيب الجزيل، ولم يترك الادب العربى شيئاً إلا تناوله، وكثيرا ما تناول الأشياء بالقدح أو المدح أو بهما معا، وكان لشهر رمضان حظ من الشعر ما بين ترحيب بمقدمه وتوديع له مع استقبال للعيد.

فمما قيل فى التهنئة بشهر رمضان:

نلت فى ذا الصيام ما ترتجيه
ووقاك الله ما تتقيه
أنت فى الناس مثل شهرك فى الأشهر
أو مثل ليلة القدر فيه

● ولهبة الله ابن الرشيد جعفر بن سناء الملك فى رمضان قوله:

تهن بهذا الصوم يا خير صائر
الى كل ما يهوى ويا خير صائم
ومن صام عن كل الفواحش عمره
فأهون شىء هجره للمطاعم

● ولمحمد ابن الرومى المعروف بها ماى:-

ولما انقضى شهر الصيام بفضله
تجلى هلال العيد من جانب الغرب
كحاجب شيخ شاب من طول عمره
يشير لنا بالرمز للأكل والشرب

● ولابن قلاقس من قصيدة:-

وهلال شوال يقول مصدقا
بيدى غصبت النون من رمضان

● وللصاحب بن عباد:-

قد تعدوا على الصيام وقالوا
حُرم الصبُ فيه حُسن العوائد
كذبوا، فالصيام للمرء مهما
كان مستيقظاً أتم الفوائد
موقف بالنهار غير مريب
واجتماع بالليل عند المساجد

● ولعماره اليمنى:

وهنئت من شهر الصيام بزائر
مناه لو ان الشهر عندك أشهر
وما العيد إلا أنت فانظر هلاله
فما هو إلا فى عدوك خنجر

● ولابن المعتز:-

اهلا بفطر قد أتاك هلاله
فالآن فاغد الى السرور وبكر
فكأنما هو زورق من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر

● وللأمير تميم بن المعز لدين الدين يهنىء الخليفة العزيز بالله بشهر رمضان:

ليهنك إن الصوم فرض مؤكد
من الله مفروض على كل مسلم
وإنك مفروض المحبه مثله
علينا بحق قلت لا بالتوهم

● وقال أيضاً:

شهر الصيام أجل شهر مقبل
وبه يمحص كل ذنب مثقل

● وحدثنا أحمد بن يوسف من كتاب الدولة العباسية قال:

أمرنى المأمون أن اكتب الى جميع العمال فى أخذ الناس بالاستكثار من المصابيح فى شهر رمضان وتعريفهم ما

...ان والشعر

بقلم: محمد مرسي محمد مرسي (القاهرة)

فى ذلك من الفضل فما دريت ما أكتب ولا ما أقول فى ذلك إذ لم يسبقنى إليه أحد فأسلك طريقه ومذهبه، فقلتُ فى وقت نصف النهار فآتانى آت فقال: قل: فإن فى ذلك أنساً للسائلة وإضاءة للمجتهدين ونفياً لمكان الريب، وتنزيها لبيوت الله من وحشة الظلمة فكتبت هذا الكلام وغيره مما هو فى معناه.

التشهير بالمفطرين:

لأمير الزجل الشيخ محمد النجار مواليا نظمها فى الشريعة الاسلامية استهلها بقوله:

يا تارك الشرع فين تقواك وإيمانك
وفين عهودك وميثاقك وإيمانك

■ ومنها:

يا خاسر الدين يا فاطر نهار رمضان
طاوع إلهك وخالف النفس والشيطان
دا الصوم هو الصون ومنه صحة الابدان
لك (فرحتين) فرحتك وقت ما تفطر
والثانية شوف فرحتك فى يوم لقا الديان
الصوم عليك فرض لازم فى نهار رمضان
اصحى، تخالف وتترك رابع الأركان
تكف به النفس عما يأمر الشيطان
ونيتك كل ليلة والصيام يثبت
برؤية الشهر وإتمام جميع شعبان

■ ومنها:

زكاة صيامك عليك واجب تطلعها
مادمت قادر عليها ليه بتمنعها
طهر بها النفس من بخلك وادفعها
ده نصف صاع قمح أو أزيد ما هوش حاجه
تنقذ حياة ناس قليل المال ينفعها

● ولمحمد الجنبهى قصيدة من هذا النوع نقتطف منها:-

جاء الكتاب بأعمال لها حكم
إن ظل يعملها الأعمى تبصره
منها الصلاة ومنها الصوم هل سقطت
عنك الصلاه لعذر أنت ذاكره
صام الافاضل شهر الصوم وانسكبت
دموعهم لشهود لست تحضره
وانت ساه ولا غير مرتكب
إلا الذى كاتب الأوزار يحصره
أطعت بطنك ما لاحظت عاقبه
يا من تصاغر والدنيا تكبره

■ ومنها:-

وهل ترى الصوم إلا فرط مرحمة
يهدى لها العبد فضلا ثم يأجره
أهل الكمال لهم فى الصوم مصلحة
تخفى على من له بطن تباكره
فيا بطين ومن تدعوه شهوته
أن يمضى شهر التهانى وهو مفطره

■ وما أصدق الرسول الكريم حين قال.. الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقى ربه فرح بصومه» (متفق عليه).

فما أخلقنا أن نتعلق بهذه التربية الكريمة ونتمسك بهذا الهدى النبوى المبين وهذه الموعظة الربانية الحسنة موعظة الصوم فى هذا الشهر المبارك حتى يحقق الله سبحانه وتعالى الأمانى الحسنة لنا.. اللهم آمين.



رسالة المسجد في المنهاج التربوي الإسلامي



بقلم: د. محمد بلبشير الحسني
رئيس شعبة الدراسات الاسلامية
بكلية الاداب جامعة محمد الخامس

■ يعد المسجد فى البناء الإسلامى حجر الزاوية لما وكل اليه من ادوار فى قيام المجتمع الإسلامى وتماسكه ورقيه وامنه فقد عرف عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أنه أول ما فعل فور وصوله الى المدينة وبرفقته المهاجرون، بناء المسجد ليكون مكان العبادة واجتماع المسلمين للتشاور وفض النزاعات وتلقى دعوة الرسالة الإسلامية.

فالمسجد يرتبط ارتباطا متينا بالخطة التشريعية والمنهاج التربوى الإسلامى، لمكانته المحورية فى بناء المجتمع الإسلامى وتشكيل عقلية المسلم.

طبيعة المنهاج التشريعى والتربوى والاسلامى

يعتمد المنهاج الإسلامى، من أجل بلوغ هدف تأثير دعوته، على عنصرين اساسيين: تكييف التشريع مع طبيعة الإنسان فى حدود طاقاته ومؤهلاته وتسيير تطبيقه بربطه بظرفى الزمان والمكان.

تكييف التشريع الاسلامى مع طاقات الانسان واستعداداته النفسية والعقلية: الله تعالى المشرع هو نفسه الخالق، فيستحيل فى حقه تعالي ان لا يكون التشريع الإلهى غير متناسب او غير منسجم مع طبيعة الإنسان فيما يطيقه وما لا يطيقه، جسميا وعقليا ووجدانيا.

ولذا نجد الاسلام يربط بين منهجه التشريعى ومنهجه التربوى التبليغى بل إن من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، اسلوبه فى التأثير على النفوس، واستغلال مشاعرها وخلجاتها ومواطن القوة والضعف فيها. فقد سعى الى النفاذ الى القلوب بشتى الوسائل: بالتهويل والتهديد، وبالتشويق والتحفيز، وبالجمع بين الوعد والوعيد لاستغلال حاستى الخوف والرجاء والتجأ الى اثارة الحس الاجتماعى لدى الإنسان وتحريك الحس الذوقي والجمالي لديه بدعوته الى التملى بجمال صنع الله وبآياته الباهرة. أما دعوته الملحة الى التفكير والتدبر والتبصر والنظر فى النفوس والآفاق، فقد زخرت آياته وسوره بها.

والشريعة بصفة عامة استهدفت مصلحة الإنسان فردا وجماعة، فقد دعت الى حفظ الضروريات التى لا يستغنى عنها الأنسان وهي النفس والدين والعقل والمال والنسب، وعملت على فتح الذرائع فى وجه الخير وسدها فى وجه الشر، مساعدة له على نفسه، ونددت، على لسان كتابها، بالاكراه والاستبداد والسيطرة، فقد قال تعالى فى سورة البقرة (اية/٢٥٦) **﴿لا إكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغى﴾ وجاء فى سورة «ق» آية٤٥: ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ وفى سورة الغاشية آية٢١: ﴿فذكر، إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر﴾**.

وشرعت الاحسان الالزامى بالزكاة، والاحسان التطوعى بالانفاق فى سبيل الله والعفو عند المقدرة واردفت العزائم بالرخص فى العبادات وطعمت ذلك بالكفارات الموقية من عقاب الآخرة، بالتوبة عند العدول عن العصيان، وجعلت اتقاء الحدود بالشبهات وإباحة المحظور عند الضرورة آخره.

وخلاصة القول أن الشريعة عاملت الإنسان بكامل المرونة واليسر وعدم الاحراج والتكليف بما لا يطيق ولكنها فى نفس الوقت تدعو المسلم الى الالتزام والاستقامة، وعدم الاغترار بزينة الحياة الدنيا وشهواتها التى قد تفضى به الى الفسوق والعصيان، فقد جاء فى كتاب الله العزيز: **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب، قل أؤنبئكم بخير من ذلكم، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله﴾**، (آل عمران ١٤-١٥).

■ هذا جانب من وسطية الاسلام وواقعيته فى منهجه للدعوى.

ربط التشريع الاسلامي بظروف تساعد على تطبيقه

من حكمة الشارع وصلاحية منهجة في التربية والتبليغ ومساعدة الإنسان على تنفيذ الأحكام، ربط العبادات بظرفى الزمان والمكان على الخصوص، لما لهذين الظرفين من دور أساسى فى حياة الانسان. وكثيرا ما يلح القرآن على ما سخر، للانسان من ليل ونهار وشمس وقمر اشارة الى التقسيم الزمانى **﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر﴾** (النحل١٢)، فالملاحظ ان أربعة من اركان الإسلام الخمسة تخضع للتوقيت واحيانا للمكان ولظروف خاصة: فالصلاة موقوتة خمس مرات موزعة على النهار، من قبل طلوع الشمس الى ما بعد غروبها، وللصلوات الاخرى اوقاتها وظروفها، كالنوافل، والتراويح، وصلاة الجنازة وصلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء. الخ.

والصيام، كما هو معلوم له شهر معين في السنة، لا يجوز الخروج عنه، والزكاة مرتبطة بالحول بالنسبة للنقود وفروض التجارة وبموعد الحصاد بالنسبة للزروع، والحج بدوره مرتبط بموعد المناسك فى جملتها وتفاصيلها، والتى تصبح باطلة اذا خرجت عن وقتها، كأن يكون الوقوف بعرفة فى غير اليوم التاسع من شهر ذى الحجة، بل المطلوب ايضا فى مناسك الحج الترتيب الزمانى والمكانى المحدد، واذا لم تبطل العبادة بخروجها عن وقتها فينتقص اجرها ولا تخفى الحكمة من التوقيت واعتماد الشريعة عليه فى معظم الاركان، ففيه وسيلة للتذكير، وما توزيع الصلوات المفروضة على اليوم بكامله الا وسيلة لربط الانسان المسلم بحبل لا يتركه، اذا تمسك به، ينزلق الى الزيغ عن الطريق السوى.

وفى الدعوة الى مراعاة التوقيت الايقاظ من الغفلة، مع العلم ان الانسان كثيرا ما ينسى ويغفل، وتدريب الانسان المسلم على الانضباط والمحافظة على المواعيد وتنظيم العمل.

ويعوض التوقيت في العبادات احيانا بتحديد المكان اويضاف اليه كصلاة الجمعة، فهى تكون فى يوم معين فى الاسبوع ولا تصح الا فى المسجد وصلاة العيدين لابد وان تكون فى المصلى او فى المسجد، وفى وقتها المحدد، اي فى صباح كل من العيدين، ومعلوم ان مناسك الحج كلها مرتبطة بالاماكن، منذ مواقيت

الاحرام الى الطواف حول الكعبة بالحرم المكى، الى السعى بين الصفا والمروة، الى الوقوف بعرفة الى المكوث بمنى، مرورا بالمزدلفة ورميا بالجمرات الثلاث.

وتحدد بعض العبادات او الشعائر بظروف خاصة، غير ظرفى الزمان والمكان، كالرخص الخاصة فى الصلاة بالتيمم بدل الوضوء وبالتقصير والجمع عند السفر، وبالصلوات الخاصة بظروف معينة كصلاة الاستسقاء وصلاة الخوف، وصلاة الجنازة، والتراويح فى ليالى رمضان، والنوافل وصلاة الكسوف.

وهناك رخص وكفارات فى الصيام والحج ترتبط بظروف المرض او المخالفة المقصودة او الخطأ او النسيان.

مكانة المسجد

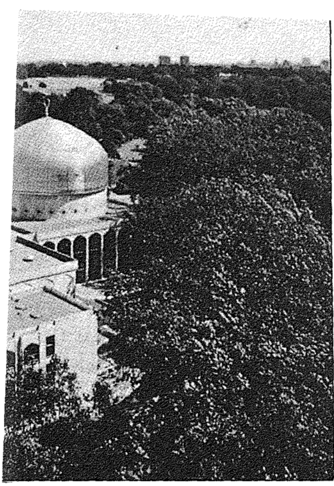
«المسجد» لغة مكان «السجود» والسجود رمز للخضوع والعبادة ويطلق عليه «بيت الله» فهو ليس ملكا لاحد، وهو مكان التقرب اليه تعالى بالتقوى والدعاء والتهجد وتلاوة القرآن.

كما يطلق عليه «الجامع» اى مكان تجمع المسلمين للعبادة والتوجه الى الله، ويرمز يوم الجمعة الى ذلك اليوم المعين الذي يفرض فيه الاجتماع للصلاة والاتعاظ.

فالمسجد اذن مركز العبادة، وقد كان مفهوم العبادة، منذ عهد الرسول ﴿ﷺ﴾ مفهوما شاملا للتعبد بالصلاة وتلاوة القرآن، وطلب العلم، والتقاضى (لتطبيق العدل) والتشاور وذلك تطبيقا لقوله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** (الذاريات ٥٦).

والعبادة هى ايضا الالتجاء الى الله تعالى، فى السراء والضراء، للبحث عن الطمأنينة وراحة النفس، والعودة الى الله، وهذا ما يتناسب وينسجم مع دور المسجد.

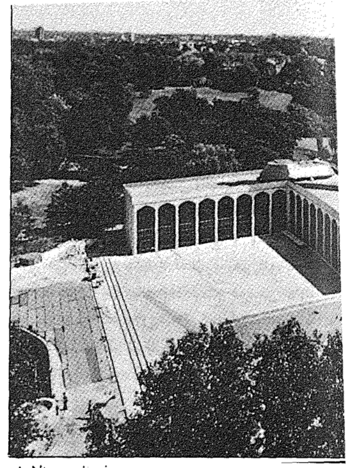
وقد أشاد المولى فى كتابه الحكيم، وكذا رسوله



الكريم، بمن يهفو الى المساجد، فقد قال تعالى: **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾** (التوبة ١٨) وقال النبى عليه السلام: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله: الامام العادل، وشاب نشأ فى عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد.. الحديث» (رواه البخارى)، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من غدا الى المسجد وراح، أعد الله له الجنة نزلا كلما غدا وراح».

والمسجد رمز لوحدة الأمة، ومدرسة للتربية النفسية والاجتماعية للمسلم، فهو مطالب بوحدة الصف ومواصلته عند الصلاة، وبالتالى بالتمسك بالانضباط والامتثال، وبالتذكر بان الكل متساو امام المعبود، لا فرق بين غنى وفقير، وصغير وكبير وامير وعاهل، وابيض واسود والصلاة فى المسجد وسيلة لتهدئة النفوس وراحتها، وإخماد الغيظ والحقد والشعور بالتآخى والتآزر والتسالم، وقد عبر الرسول عليه السلام، عن دور الصلاة (خاصة فى المسجد) فى الاستراحة من هموم الدنيا والانشغال بها، فخاطب بلالا رضى الله عنه بقوله: «ارحنا بها يا بلال».

انتقد بعض المفكرين ما اصبحت عليه المساجد الآن من جمال فى عمرانها وزخرفة وتنميق فى سقوفها



وجدرانها، فى حين كانت المساجد فى العهود الأولى تتميز ببساطتها، حتى لا ينشغل المصلى بهذه الزخارف عن التدين والخشوع وحتى لا يشعر الفقير المحروم بما تثيره فى نفسه تلك الزخارف من اسى وحقد على المجتمع. قال الدكتور محمد سعيد البوطى فى كتابه «فقه السيرة» (ص١٩٩) «لقد كان فى المساجد ما يعزي الفقير بفقره، ويخرجه من جو الدنيا وزخرفها الى الآخرة وفضلها، فأصبحوا يجدون حتى فى مظهر هذه المساجد ما يذكرهم بزخرف الدنيا التى حرموها، ويشعرهم بنكد الفقر واوضاره».

فضل الصلاة فى المساجد الحرم الثلاثة والصلوات التى تكون فى المساجد او المصلى

المساجد الحرم الثلاثة، وخاصة الحرم المكى رموز لوحدة المسلمين وتضامنهم، ومعلوم أن اجتماع المسلمين مرة فى السنة للقيام بمناسك الحج، يعد مؤتمرا إسلاميا كبيرا، يذكرهم بوحدتهم واجتماعهم على عقيدة واحدة وشريعة وقيم واحدة، كما يمكنهم من التعارف والتراحم وكأنهم يستشهدون على ذلك بالبقاع المقدسة التى يجتمعون فيها، وهى مهبط الوحى وموطن الرسول الكريم.

وقد أشار عليه السلام الى عظم الأجر فى الصلاة فيها فقد جاء فى حديثه: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: (المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى)، كما قال فى حديث آخر: «صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد، الا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام افضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة».

اذا كانت الارض بما رحبت، كلها مصلى للمسلم، الا ان بعض الصلوات لا تقام الا فى المسجد والمصلى فصلاة الجمعة لا تكون الا فى المسجد، بخطبة وبتعويض صلاة الظهر بركعتين تصلى جماعة، عن ابن هريرة ان النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة» وعن صلاة الجماعة بصفة عامة، قال عليه الصلاة والسلام «صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ سبعا وعشرين درجة، ومعلوم ان ركنين من اركان الحج لابد ان يقاما بالمسجد الحرام، وهما الطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة.

اما صلاة العيدين والاستسقاء والكسوف فتقام بالمصلى او بالمساجد.

كذلك التراويح بعد صلاة العشاء فى ليالى رمضان لا تقام عادة الا فى المساجد، وهو اعظم اجرا.

والتهجد هو ايضا يكون بالمساجد.. وجاء فى صحيح البخارى ان النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (ومعلوم ان التراويح جزء من هذا القيام».

ويكفى التذكير هنا بما جاء فى كتاب الله عن التأكيد على عمارة المساجد، حيث قال تعالى: ﴿واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾ (الاعراف ٢٩).

وعن الترغيب فى ولوج المساجد، نجد الكثير من احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، منها قوله:

«وان احدكم لا يزال فى صلاة ما كان فى المسجد، حتى يخرج منه» وقال: «ان اعظم الناس فى الصلاة اجرا، ابعدهم اليها ممشى، ويتوعد الله تعالى اشد الوعيد من يمنع من ولوج المساجد بقوله تعالى في كتابه الحكيم ﴿**ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها**﴾ (البقرة ١٤٤)

من مقومات الصلاة فى المسجد واهدافها وادابها

جاء فى كتاب عمل اليوم والليلة للنسائى (ص٢١٦) ما يلى: قال جابر بن سمرة، وكان يجالس رسول الله ﴿ﷺ﴾، «كان رسول الله ﴿ﷺ﴾، اذا صلى الفجر جلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس، فيتحدث اصحابه، ويذكرون حديث الجاهلية، وينشدون الشعر، ويضحكون ويبتسم».

- تكره الصلاة بين السواري، حتى لا تقطع الصفوف ويبقى التواصل، ولكن لا تكره عن الضيق.
- ينبغى على من يصلى فى الصف ان يضع سترة امامه حتى لا يشغل عن صلاته، كما يحرم المرور بين يدى المصلى وسترته فقد جاء فى حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ «اذا صلى احدكم فليصل الى سترة وليدن منها».
- ونهى الرسول عليه السلام اتخاذ المقبرة مسجدا.

الحفاظ على حرمة المسجد:

يقول الدكتور البوطى فى كتابه السالف الذكر (فقه السيرة ص٤٢٧) أن الرسول عليه الصلاة والسلام استقبل وفد ثقيف فى مسجده بالمدينة لمحادثتهم وتعليمهم، وكانوا آنئذ مشركين، كما استقبل فيه وفد نصارى نجران، حينما جاءه لسماع الحق ومعرفة الاسلام، إلا أن الله تعالى امر بعد فتح مكة، بعدم السماح لغير المسلمين بولوج المسجد الحرام، حيث قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾ (التوبة ٢٨).

- والمطلوب من المسلمين الحفاظ على حرمة المسجد، بصيانته من الاقذار والروائح الكريهة، والامتناع عن البول والبزاق فيه، وعدم أكل البصل والثوم عند دخوله، لاجتناب اذاية المصلين.
- كما يحظر فيه البيع والشراء والتسول ورفع الأصوات ويستحب يوم الجمعة الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب، قال تعالى: ﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾.
- ويوصى الرسول ﴿ﷺ﴾ المسلم، وهو يتلو القرآن فى المسجد الا يجهر بالتلاوة، فيمنع غيره من تلاوته وتدبره، او من التمعن فى صلاته: «المصلى يناجى ربه عز وجل، فلينظر بم يناجيه ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن».

اهتمام المسلمين بالمساجد:

يعتبر المسجد الركيزة الاولى فى بناء المجتمع الاسلامى، ترسيخا لعقيدة الاسلام وعباداته وقيمه، وضمانا لتماسك المسلمين وتوادهم كالجسد الواحد. وان او ما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، فور وصوله الى المدينة، بناء المسجد واقتفى المسلمون اثره، فكانوا يبنون المساجد بمجرد أن يتم استقرارهم فى بلد ما، اثر فتوحاتهم. فشيدت المئات بل الآلاف من المساجد، فكانت تساعد على انتشار الاسلام، بالقدوة والموعظة الحسنة، عمادي الدعوة.

وقد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله، بنى الله له بيتا فى الجنة».

- وانتشرت الاوقاف الاسلامية فى العالم الاسلامى، فركزت عنايتها بالمساجد ومرافقها من دورات المياه للطهارة من الخبث والحدث، ونظمت الحلقات الدراسية وكراسى العلم فى مختلف مجالات المعرفة، وشيدت للطلاب مدارس بجانب المساجد الكبرى لسكنى الطلبة ورتبت لهم ما يحتاجون اليه فى اقامتهم من غذاء.

وتعتبر جامعة القرويين التى كانت الى عهد قريب مرتكزة فى المسجد الذى يحمل هذا الاسم اقدم جامعة اسلامية فى العالم وتحيط بها الى الآن، مدارس

كانت مقرا للطلاب الآفاقيين، ومكتبة غنية بمخطوطاتها النفيسة وكتبها، ومتاجر لبيع الكتب، كما كان يقام فيها سوق اسبوعى لبيع الكتب والمخطوطات وكانت هذه الجامعة جامعة مفتوحة طوال قرون من الزمان، يلجها كل من يجد فى نفسه القدرة على متابعة الدروس التى كانت تلقى بها فكم من تاجر او صانع تفقه بالمثابرة على هذه الحلقات الدراسية.

وقد أدى المسجد دورا اساسيا فى الكفاح الوطنى بالمغرب حيث كانت تلقى فيه خطب التحريض على الجهاد ضد المستعمر فكان يقوى فيهم الايمان وعقد العزم على الكفاح ونصرة الاسلام ضد العدو الغاشم.

وتجدر الاشارة على سبيل التذكير إلى قيام المسلمين قومة رجل واحد، حينما اقدم الصهاينة على محاولة احراق المسجد الأقصى المبارك فاجتمعت على اثر ذلك اول قمة اسلامية بالمملكة المغربية فى شهر سبتمبر ١٩٦٩.

خاتمة:

إن المسجد فى البناء الاجتماعى والثقافى الإسلامي، شاهد من الشواهد البارزة على:

١ - شمولية الرؤية الاسلامية فى توجيه الفرد والمجتمع والامة، وبناء هؤلاء على أسس قويمة، وقد علق الدكتور البوطى فى مؤلفه «فقه السيرة» المشار اليه آنفا على هذا بقوله (ص١٩٥): «إن من نظام الاسلام وآدابه، شيوع آصرة الاخوة والمحبة بين المسلمين، ولكن شيوع هذه الآصرة لا يتم الا فى المسجد، فما لم يتلاق المسلمون يوميا، على مرات متعددة فى بيت من بيوت الله، وقد تساقطت مما بينهم من فوارق الجاه والمال والاعتبار، لا يمكن لروح التآلف والتآخى ان تؤلف بينهم».

٢ - واقعية المنهاج الاسلامي، فى ربط الجانب النظرى فى الدعوة الاسلامية بالجانب التطبيقى اعتمادا على البعدين الزمانى (التوقيت من العبادات) والمكاني (المسجد) وكذا بوصل المتابعة بالتشريع، عن طريق منهج تربوي قويم، يضع المسلم فى اطار يساعده على الحفاظ على السلوك المستقيم ومراجعة النفس باستمرار.

● يأجوج ومأجوج (دراسات فى الحديث) بقية.

فكبرنا، ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا، ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا».

ونحب أن نقف هنا مع بعض العلماء المحدثين[١٢] حول ما جاء فى يأجوج ومأجوج من أحاديث كثيرة يشكك فى بعضها لما فيه من التناقض مثل ما روى عن كعب قال: (خلق يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف: صنف كالأرز، وصنف أربعة أذرع طول وأربعة أذرع عرض، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى يأكلون مشائم نسائهم) يتعارض مع رواية ابن عباس - رضى الله عنهما - (إن يأجوج ومأجوج شبر وشبران وأطولهم ثلاثة أشبار، وهم من ولد آدم).

ونخلص إلى القول بأن أصحاب الكهف وأن ذا القرنين ويأجوج ومأجوج حقائق ثابتة لا شك، وكيف لا وقد أخبر بها الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكن الذى ننكره أشد الانكار هذه الخرافات والأساطير التى حيكت حولهم.

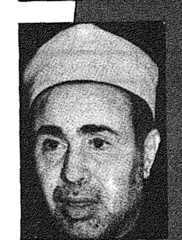
والذى نستغربه كيف تكون هذه الروايات على كثرتها وتعدد رواتها واختلاف مصادرها، وتداولها فى كتب أمهات السنة، كيف تكون من قبيل الخرافات والأساطير!!

الهوامش

(١) لسان العرب ج٣ ص٢٨.
(٢) ج٤ ص١٦٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٠٦.
(٤) التذكرة ص٧٨١.
(٥) المرجع السابق ص٧٧٩.
(٦) شكرت الدابة شكرا فهى شكرة واشتكر الضرع امتلأ.
(٧) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٩٥.
(٨) التذكرة ص٧٧٩.
(٩) المرجع السابق ص٧٨٠.
(١٠) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج٦ ص٥٨.
(١١) ج٦ ص١٢٢ - ١٢٣.
(١٢) محمد محمد أبو شهبه: الإسرائيليات ص٣٤٣.

حوار فقهي مع مفتي مصر



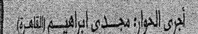


- الجاحد لفريضة الصيام
- لا يجوز الفطر من اجل الام
- الاعتكاف سنة مؤكدة.

■ رمضان شهر خير مبارك، تتنزل فيه البركات وتستجاب الدعوات.. وهو شهر الخير كل الخير، تسبح في جوه العبق بالتهليل والتكبير أنفس المؤمنين.

ولمكانة هذا الشهر، ولما ينبغى ان يكون عليه المؤمن من حرص على أدائه على اكمل وجه وأحسنه، كان للمنهل هذا اللقاء الفقهي السريع مع فضيلة الشيخ الدكتور سيد طنطاوي مفتى جمهورية مصر العربية.. وهذه اجاباته على الاسئلة التى حملناها اليه إ نابة عن القراء الذين يتطلعون للاجابة على مثل هذه الاستفسارات.

(المنهل)


أجرى الحوار: مجدى ابراهيم (القاهرة)

**** متى شرع الصيام وعلى من يجب، وما هى حكمة مشروعيته؟**

■ شرع الصيام على المسلمين فى شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة . أما الحكمة من مشروعية الصوم فقد وضحها الله عز وجل فى قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾، أى لعلكم بأدائكم لهذه الفريضة تنالون درجة التقوى التى هى أسمى الدرجات وأعلاها وأرفع المنازل وأعظمها، وبذلك تكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه. ويجب الصوم على كل مسلم بالغ عاقل، خال من الأعذار التى تبيح له الفطر سواء أكان ذكراً أم أنثى .

مشروعيته وأحكامه ..

رتد عن الاسلام.

ثات او المباريات الرياضية.

**** ما هى الاعذار المبيحة للفطر؟ وما عقاب من يفطر عامدا دون عذر؟**

■ الشريعة الاسلامية أقامها الله على أصول ثابتة وقواعد حكيمة، ومن أبرز مزاياها وخصائصها اليسر والسماحة ورفع الحرج. قال تعالى ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ ومن مظاهر اليسر والسماحة أن الله تعالى فرض صيام شهر رمضان على كل مسلم بالغ عاقل صحيح مقيم ـ إلا أنه سبحانه، فضلا منه وكرماً، أباح لبعض عباده، بل أوجب على البعض الآخر الفطر لظروف تضطرهم إلى ذلك، وأصحاب الأعذار المبيحة للفطر هم: «المرضى الذين يخافون بسبب صومهم زيادة مرضهم أو تأخر شفائهم أو حصول مشقة شديدة لا تحتمل، والمسافر سفراً مباحاً، أى سفر طاعة لا معصية مسافة تقدر بحوالى ثمانين كيلو مترا، ومنهم الشيخ الكبير، والمرأة العجوز، والحامل والمرضع إذا كان الصوم يسبب لهم مشقة كبيرة. . ويجب على الحائض والنفساء الفطر فى رمضان وعليهما القضاء».

أما الذي يفطر فى رمضان عمداً من غير عذر شرعي فإن كان جاحداً لفريضة الصوم منكرا لها كان مرتداً عن الاسلام، وإلا كان مسلما عاصيا، فاسقا يستحق العقاب شرعاً.

**** هل يجوز الافطار فى نهار رمضان أثناء الامتحانات؟**

■ الافطار فى نهار رمضان لا يجوز مطلقاً إلا من أجل العذر الشرعى الذى أشار إليه القرآن الكريم، وهو المرض أو السفر. . ومن كان مريضاً ومرضه خفيف ويستطيع الصيام فصيامه أفضل من فطره، أما الذى يكون مرضه مرضا ثقيلا ويقول الطبيب الثقة ان هذا المرض سيؤدي إلى زيادة المرض، لو أن هذا الشخص صام فقد يجوز له أن يفطر، وكذلك السفر إذا كان مريحاً فمن الأفضل عدم الفطر، أما إذا كان شاقاً، وهذه مسألة بين العبد وخالقه فإنه فى هذه الحالة يجوز له أن يفطر، والقرآن الكريم يقول: ﴿**وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾.

المسألة إذن تتعلق بما بين الانسان وخالقه، أما الفطر من أجل حضور الامتحانات فهذا ليس أمراً شرعياً، ولا يجوز لإنسان ما أن يفطر فى نهار رمضان من أجل الإمتحان.

نفس الشيء ينطبق على الرياضيين أثناء تأدية مبارياتهم، وغيرهم.

**** وما حكم استعمال أدوات التجميل والكحل للنساء فى نهار رمضان؟**

■ هذه مسألة لا شيء فيها، ولا علاقة لها بالصيام، إن كانت هناك حرمة فالحرمة لا تأتي بسبب الصيام ـ وإنما تأتي إذا استعملت المرأة الزينة لغير الأمور الشرعية (للإغراء مثلا، لكى يراها الناس). . هنا تأتى الحرمة ـ لكن هذه الأمور لا علاقة لها بالصوم.

**** وما حكم استعمال معجون الاسنان وقطرة العين والحقن؟**

■ لا شـــيء فيها . . فهى لا تفسد الصيام.

**** وما حكم صيـام المرضع والوالدة؟.**

■ إذا استطاعت الصوم فمرحباً، وإذا لم تستطع أن تصـــوم تفـــطر، ثم تقضي بعـــد ذلـك الأيام التى أفطرتها . . أما الوالدة التى وضعت لتوها فلا بد لها أن تفـطر لأنها فى حالـة نفاس، (يحرم الصوم فى حالة الحيض وفى حالـة النفاس) . . تفطرالمرأة ثم تقضي الأيام التى أفطرتها بعد رمضان.

**** والمرضى الذين لا يرجى شفاؤهم؟**

■ أيضا لا يصوم المريض الذى لا يرجى شفاؤه على أن يطعم عن كل يوم مسكيناً، وإذا لم يستطع فأمره إلى الله سبحانه وتعالى.

**** هل يجوز أن يصام عن الميت إذا كان لا يصوم أيام حياته فى رمضان مع أنه أخرج كفارة قبل موته؟**

■ إذا كان قد أخرج كفارة قبل موته فليس هناك داعٍ للصيام عنه ـ وإنما يتصدق عنه، ويدعى له بالخير.

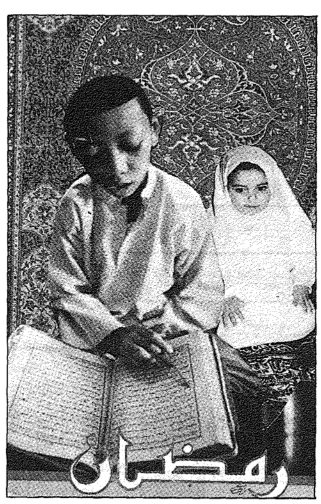
**** ما حكم الاعتكاف فى رمضان؟ وما هى مبطلاته؟**

■ الاعتكـاف سنـة من السنن التى كان الـرسـول «ﷺ» يحرص عليهـــا، وثبـت ذلـــك فى صحيح البخـارى وفى غيره من كتب السنة أن الرسول كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فمن كان عنده الوقت وعنده القدرة على ذلك فعليه أن يتأسى بالنبي عليه الصلاة والسلام.

وعن مبطلات الاعتكاف . . الخروج من المسجد مكان الاعتكاف بدون عذر شرعي، والجماع . . من مبطلات الاعتكاف.

**** كيف يكون الصوم صحيحًا؟**

■ يجب على المسلم أن يسعي دائمـاً إلى الكمال فى عبـادتـه وفى أقـواله وفى سائر أحواله، والصوم من العبادات ذات المنزلة السامية والدرجات الرفيعة عند الله تعالى، ويجب على المسلم أن يؤدي هذه العبادة أداء تتـوافر معه كل معاني التقوي والخشوع وحسن الصلة بالله رب العالمين.



● القرآن الكريم تحتضنه هذه الفطرة النقية في شهر القرآن

اداب الصـــــوم

وقد ذكر العلماء آداباً وسننا للصوم ينبغى للصائم المحافظة عليها، مثل:

ـ تعجيل الفطر بعد تحقق الغروب.

ـ أن يدعو الصائم بما فيه خير عند فطره وخلال صيامه.

ـ أن يتناول طعام السحور، ويستحب تأخيره.

ـ كف اللسان عن فضول الكلام ولغوه، وكفه عن الحـرام كالغيبة والنميمة وقول الزور، وغير ذلك مما يتنافى مع آداب الصوم.

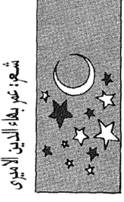
ـ يجب أن يتحـلى المسلم بالاكثـار من تلاوة القرآن وتجديد التوبة والمداومة على الاستغفار.

■ ومن الاشياء المستحبة الاعتكاف فى العشر الاواخر من رمضان، ما تيسر ذلك.

شعر

تثبيت و تشبيط

شعر: عمر بهاء الدين الأميري



ما بين تثبيت وتشبيط
أمضي الصيام بخير تخطيط
قال الطبيب: كلاك في تعب
والقلب يشكو .. قلت: تفريطي
دعني أصوم تعبداً ودوا
فأنال أجرى دون تقسيط
فالصوم لله الحكيم به
يجزى ويشفى وهو تنشيطي
تسخو القريحة فى معارجه
فأخط شعرى دون تنقيط



● عوامل النصر ـ بقية المنشور ص ١٠٠

فى هذه المعركة، مع العوامل الأخرى التى ساعدتهم، بيد أن عنف الضربة وسرعتها وقوة تسديدها فى جيش يتفوق تفوقا ساحقا فى العدد والعدة، والسلاح والاستعداد، جعل من هذه المعركة معركة ذات غرابة غير مألوفة فى التاريخ . . وتبدو هذه الغرابة عميقة عندما نعلم أن المولى تبارك وتعالى قد أمد المسلمين بالملائكة التى شاركت فى هذه المعركة .

ولقد حدث خلاف فى نوع هذا الاشتراك، فالبعض يرى أن الاشتراك كان تثبيتا وتقوية لمعنويات المسلمين. فكان الملك يظهر للمسلم على شكل صورة رجل يعرفه، فيرشده ويوجهه، ويبشره، والبعض الآخر يرى أن الملائكة قد اشتركت اشتراكا فعليا فى القتال، ونحن نميل الى الرأى الثانى ونؤيده، اذ أن اشتراك الملائكة فى هذه الوقعة بالقتال، كان معجزة للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

■ وبعد: لقد كان هذا النصر العظيم الذى أحرزته الدولة الاسلامية الناشئة فى أول موقعة تخوضها من أهم الدعائم فى تعزيز سيادتها وهيبتها، كما كان صدمة عنيفة هزت ركائز اليهود وأقضت مضاجعهم .

ويضاف إلى هذا أن انتصار الجماعة الاسلامية قرر مصيرها كقوة لا تكتفى بالدفاع عن نفسها فقط، بل ويمكنها مهاجمة أعدائها، وانزال الهزيمة بهم، وذلك نصر الله عز وجل يؤتيه من يشاء، وهو العلى القدير.

الأســتاذ/ الســيد حســ



د. محمد رجب البيومي ـ عميد كلية اللغة العربية ـ الازهر ـ المنصورة

نشأنا نقرأ قصائد رائعة للاستاذ السيد حسن القاياتي بجريدة الأهرام ومجلة الرسالة، وندرك فى نظمه رصانة تدل على إتقان واتئاد، حيث لا يأتى بالمعنى العفوى كما اتفق، ولكنه ـ كأبى تمام ـ دائم الغوص على الشوارد الخافية النائية، وكانت مكانته فى مجمع اللغة العربية تلقى علينا ظلا من المهابة، فلا نجرؤ على نقد ما يقع من الغموض فى شعره، حتى كانت السنة الرابعة بكلية اللغة العربية، وحاضرنا الاستاذ عبد الجواد رمضان عن الأدب المعاصر، فذكر السيد حسن القاياتى قريناً لشوقى وحافظ ومحرم وكبار الفحول من شعراء النهضة، وأكبرنا ذلك بدءاً، فعرض علينا الاستاذ من قلائده ما كنا نجهل، بل ما زاد عجبنا من جهلنا إياه، فالاستاذ فريد فى اتجاهه الشعرى، يعنى بالدقائق من المعانى، وتجنب الفضول، وإذا أطال لا ينزل عن مستواه فى بيت واحد! وقد كثر حديث الاستاذ عبد الجواد رمضان عن صاحبه، فقلنا له: وماذا يفيد الحديث المقصور على الطلاب فى حجرة ذات أربعة جدران، فانطلق ليكتب بحثا أدبياً عنه نشره بمجلة الازهر، وتلته بحوث خاصة بشعر القاياتى، وأذكر أنى قرأت فيها كتبه الاستاذ بمجلة الازهر أن الاستاذ حسن القاياتى، كان زميل الاستاذين الكبيرين مصطفى عبد الرازق ومحمود أبو العيون فى عهد الطلب، يتدارسون ويسمرون معا، ثم حان موعد امتحان (العالمية) وهى الشهادة النهائية حينئذ، فتقدم الاستاذان للامتحان، وأنف الاستاذ القاياتى أن يجلس مجلس الممتحن! ولا ندرى كيف وقع هذا؟ ولكنه تاريخ يكتب!.

(أول لقاء)

تشوقت إلى لقاء الشاعر الكبير، فأخبرت الاستاذ عبد الجواد برغبتى، فقال لى حين طلبت أن يمهد سبيل التعارف: عجباً، ألا تعرف بيت القاياتى بالسكرية! لا يوجد أديب أو زعيم سياسى إلا عرف هذا البيت، لقد كان والد السيد حسن من زعماء الثورة العرابية، ونفى الى الشام مع شقيق له من علماء الازهر، وألف بعض الكتب هناك، ثم قامت ثورة ١٩١٩ فكان منزل القاياتى بالسكرية أحد براكينها الثائرة، وبه أعد أكثر منشورات الثورة، وكان الاستاذ مصطفى القاياتى أكبر خطيب عرفته ثورة ١٩١٩ بشهادة زعيمها الخالد سعد زغلول! ومازال بيت القاياتى منذ سنة ١٩١٩ عامراً بالوفود! واذا انقطع حديث السياسة فإن حديث الشعر والأدب لا ينقطع، لأن السيد حسن القاياتى يصغى إلى كل ما يعرضه الناشئة من طلبة الازهر ودار العلوم والجامعة من الشعر، ويحاول أن ينقد ما اعوج، ويهدى من ضل! ثم تسألنى بعد ذلك عن بيت القاياتى، وتطلب شفيعا للقاء صاحبه، اذهب سريعا وتتلمذ عليه!

لم يكن الاستاذ عبد الجواد مبالغا فيما قال، فقد ذهبت عقب صلاة المغرب إلى بيت القاياتى بحى الدرب الاحمر فوجدت المجلس الادبى يؤمه الناشئة والكبار معا، وفى هذا المجلس عرفت صديقى الاستاذ طاهر أبو فاشا إذ كان لا ينقطع عن لقاء الشاعر الكبير، كما عرفت فريقاً من الأدباء لهم مكانهم الواضح فى دنيا الفكر المعاصر، وتقدمت

ن القاياتي



حسن القاياتي


احمد شوقي

زكي مبارك

للاستاذ فأعلمته بما يفيض فيه الاستاذ عبد الجواد من حديث عن شاعريته، ووجدت من بشاشة اللقاء ما شجعني على تكرار الزيارة، غير أن الذى عجبت له، أن الاستاذ لم يكن ليكتفى مع زائريه بما يقدم من شراب القهوة شتاء والليمون صيفا، بل كان يقيم مآدب الغذاء والعشاء على نحو متواصل، وكأن الزائر قد أتى إلى منزله الخاص ليأكل ويشرب! وقد رأى الاستاذ طاهر أبو فاشا دهشتى حين أخبرنى أن ما شهدت الليلة هو النظام اليومى الممتد، فقال لى، لقد تأخرت عن موعدك، جئت للسيد حسن وأنت فى السنة الرابعة، لقد ضاعت عليك السنوات الثلاث! وحين رجعت إلى الاستاذ عبد الجواد تحدثت معه عن لقاء الشاعر، وكرم مجلسه فقال إن بيت القاياتى من أعرق بيوتات مصر والتى لها تقاليد لا تنقطع، وكان أجداد القاياتى من كبار القضاة فى عصر المماليك، ولهم ذكر مأثور دونه على مبارك فى الخطط التوفيقية وفى طليعتهم شمس الدين القاياتى قاضى قضاة مصر فى المائة الثامنة ومنذ المائة الثامنة هذه، والبيت عامر بزائريه، يتحدثون فى اللغة والدين والأدب والسياسة ثم يأكلون وينعمون! وأطرق الاستاذ قليلا ثم قال، وفى قنا بيت مماثل، هو بيت أبو الوفا الشرقاوى! بيوت حافلة بالعلم والكرم معا!!.

(شغف واهتمام)

شغفت بتتبع آثار القاياتى فيما تفرق من الصحف، وقد حدثنى الاستاذ محمد شوقى أمين، أنه كتب فى جريدة الوادى عدة مقالات عن شعر القاياتى تحت عنوان (ثنائيات القاياتى) إشارة إلى أبيات من الحكمة، أكثر الشاعر من نظمها، بيتين بيتين، حتى ألفت مجموعة من المعانى الفكرية ذات المنحى الفلسفى، وكان المشرف على رئاسة تحرير الوادى حينئذ الدكتور طه حسين، فقال لشوقى حين واصل المقالات عن هذه الثنائيات، ماذا أبقيت لشوقى وحافظ والبارودى حين جعلت القاياتى أكبر شاعر معاصر! وقد قرأت ما وقع فى يدى من مقالات شوقى أمين، ثم لفتنى الاستاذ عبد الجواد رمضان إلى قراءة ما كتبه القاياتى فى جريدة كوكب الشرق، تحت عنوان (العثرات) إذ أخذ يتتبع مقالات الأدباء وقصائد الشعراء تتبعاً ناقدا، ويخص كل عثرة نقدية بتصويب كاشف، وكان البحث عن جريدة كوكب الشرق شاقا بالنسبة إلي، ولكنى اهتديت إلى مجلد يحوى سنة كاملة من أعدادها، فأسفت أكبر الأسف أن تفرقت هذه البحوث فى صفحات الجريدة المسائية دون أن تجمع! مع أنها لو طبعت فى جزء مستقل لألفت كتاباً حافلا بالتصويب النقدى الرصين، ولا أدرى لماذا أهملها صاحبها؟ فتركها أباديد.

(بين القاياتى وشوقى)

من أبيات السيد حسن القاياتى الذائعة قوله:

إنى لأضخم من فى مصر قافية
لا تجحدوني هذا أيها العجم

وهو قول يدل على اعتزازه بمكانته الشعرية، كما يدل على أنه لا يقر سبق غيره عنه فى مضمار القريض، وهو لإبائه العنيف لم يشأ فى حياة شوقى أن يشن حربا عليه، لأن أنصار التجديد قد أصلوا شوقيا بما فيه الكفاية، ونزع القاياتى أقرب إلى نزع شوقى فى

الاتجاه الفنى، فما يقال عن تقليد شوقى يقال أيضا عن تقليد القاياتى! وحين ارتحل شوقى نهض من يبايع العقاد بإمارة الشعر، كما نهض من يشيدون بشوقى الراحل ويعدونه فردا لا نظير له! ولا أدرى لماذا ترك القاياتى تحفظه من ناحية شوقى وآثر أن يعلن ما طواه فى أحنائه من شجون أدبية، حين كتب فى جريدة كوكب الشرق الصادرة بتاريخ ١٩٣٤/١٢/٢٣ تحت عنوان (إمارة الشعر) وهى إحدى العشرات المتوالية بالجريدة ورقمها ٦٨ فقال القاياتى:

« هأنذا، وهذا شوقى، وتلك أشعاره وهذه أشعارى، فإن كنتم ولابد قاضين له علينا، فلا أقل من نظرة موازنة عفيفة برة تلقونها على قصيدة لى، وقصيدة له، فإذا انكشفت المقايسة بيننا وبينه عن سبقه وتبريزه كان لكم أن تحلوه سماءه وتلبسوه تاج الامارة يأتلق على مفرقه الوضاح.

ثم يعرض قوله:

كم نال كرسى النيابة جاهل
إن قيس بالكرسى قيس بأنفس

مقارنا بقول شوقى:

دار النيابة قد صفت أرائكها
لا تجلسوا فوقها الأحجار والخشبا

مؤكدا أن شوقياً نزع المعنى منه غاصباً إياه! ويقول بصدد ذلك «لمحة جلى من الموازنة بين شاعرين عصريين احدهما أمير الشعراء شوقى، والثانى شاعر من عرض الشعراء، لا هو بالنابه ولا المعروف، بيد أنك ترى فى بيته على فضيلة السبق فيه مسحة فنانة من الشاعرية الساحرة، فى جدة من التشبيه، وجزالة من اللفظ إلى ما نجد فى بيت شاعركم من الانتحال بل الاغارة المسلحة».

■ هذا قليل من كثير قاله القاياتى! وموضع النقد فيما انتحاه، أنه جعل الموازنة بين بيت وبيت فقط! وما هكذا يا سعد تورد الابل! فقد يتفوق القاياتى فى بيت وفى أبيات! ولكن النظرة العامة الى شعر الشاعرين فى موضوعاتها المختلفة، وأساليبها المتباينة هى التى تكون موضع الترجيح، ولا أدرى كيف نسى القاياتى ذلك أو تناساه!.

(رثاء منتحل)

كان من عادة القاياتى أن يودع الراحلين، بثنائية من شعره، يكتبها بالنسخ، ويوقع بكلمة (السيد) فحسب، ويضع الشعر بين مستطيل يخطه بالقلم الرصاصى، ثم يرسل القصاصة إلى الجريدة اليومية فيظهر البيتان بتوقيع (السيد)

وحين مات الدكتور زكى مبارك ظهر هذان البيتان بتوقيع (السيد)

شعل من اللهب الذكى
شبت بقلبى من زكى
جمع الذكاء فروعيت
صلة المسمى بالسمى

وكنا فى منزله بالسكرية، فحدثنا الشاعر حديثاً عجبا، خلاصته أنه نظم بيتين فى رثاء زكى مبارك، وبعث بهما إلى الجريدة، ففوجىء ببيتين لم ينظمهما، وقد نشرا بتوقيعه، ثم رأى أن يحقق الامر بنفسه، فوجد الأصل مكتوباً بخط نسخى يوافق خطه، وبتوقيع لا يختلف عن توقيعه وقد وُضِع البيتان فى مستطيل كعهده فيما يرسل، وهو للآن لا يعرف هذا الذى حاكاه شعرا وخطا وتوقيعا فأجاد المحاكاة! قلت، ولَم لَم تعلن الأمر قال: أردت، ولكن رئيس التحرير شاء أن يتريث، ليعلم من المرسل؟ لأنه إذا وجد الصمت، فسيعلن عن نفسه! أما إذا وجد الاجتماع فسيؤثر السكوت.

ثم ضحك القاياتى، وقال: هناك قصة مشابهة وقعت للشيخ حمزة فتح الله، فقد كان يركب فى تفتيش المدارس بالصعيد سفينة تابعة لشركة (كوك) وكان عمالها يضايقونه حين الوضوء والصلاة، فعزم على شكواهم، ولم يفعل، ولكنه فوجىء بقصيدة ممهورة باسمه، تعلن هذه الشكوى، وإذا كان الشاعر يتكلف الغريب غير المأنوس من الألفاظ، فقد جاءت ألفاظ القصيدة على طريقته وكأنها من حر نظمه، فكانت مفاجأة أولى للشاعر، أما المفاجأة الثانية فهى نسخة القصيدة ذاتها، إذ كتبت بخط

مماثـل لخط الشيخ حمزة فتـح الله، إذ كان يكتب بحـروف تقـرب من الرسم الكوفى، وهو ما اعتاده أصحاب الصحف، حتى ألفوه منه! وقد قال الشيخ حمزة: هذا النـظم نظمى ومـا قرضتـه، وهذا الخط خطى وما كتبته! ثم اتضح أن الشاعر اسماعيل صبرى اشترك مع حفنى ناصف فى النظم، وقد قلدا الخط تقليدا متقنا. ثم قال القاياتى إنه كان على صلة قوية بإسماعيل صبرى، وقـد زاره لأول مرة مع الدكتور محمـد صبرى السـوربـونى وسجـل هذه الزيارة فى قصيدة نشرها أخيراً بالثقافة، ومطلعها:

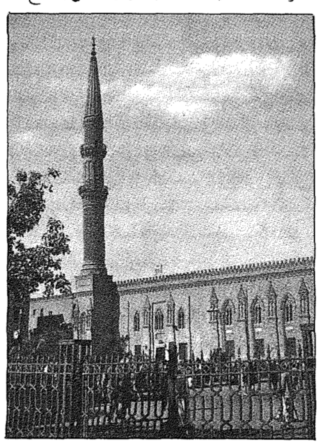
أمـا وقـد زرتـك فلأعـجـب
برتـبـة أدنـت من الـكـوكـب
نوه بى قصـديـك فى منـتـدى
زاحمـت فيـه الـبـدر بالمـنـكـب
صفـى دار خلتـنـى عنـده
أزور عرش المـلك فى موكـب
كم رحـب الـبشر بنـا جهـده
والـدار لولا الـبشر لم ترحـب

(تأبيـن حـــار)

حين انتقـل القـاياتى إلى رحمـة الله، لم توفـه الصحف حقـه من التـوديع، فسكت عنه مريدوه، وطالما غمرهم بتشجيعه وبره، ولكن تأبين مجمع اللغة العربية للراحل الكريم فى حفل مشهود، قد أحيا ذكر الشاعر خير إحياء، إذ ألقى الدكتور منصور فهمى كلمة رنانة كان لها تأثيرها النفاذ بين الحاضرين جميعا، وكنت أحـد من سعـدوا بسماعهـا، وحرصت على الاحتفـاظ بها بعـد نشرهـا فى مجلة المجمـع، لأن الـدكتور منصور قد كان أديبا رائع التعبير، صادق العـاطفة، قوى الاخلاص، وقد رسم صورة رائعة للشـاعـر فى سمـو ،تعـاليه ونـزاهتـه، وذكر مطلع التـأبـين، أنه صب آثار الفقيد من أهله فجىء له بمكدسات من المقالات والقصائد نشرت على مدى خمسـين عامـا ولم تطبـع فى أجزاء ثم قال: على أن الكيفية التى جمع بها الفقيد مخلفاته الأدبية قد تدل على طبيعة زاهد لا يتلهف على شهرة فى دنيا الأدب، ولا يتعجل منزلة بين الناشرين، فيؤثر الريث والدعة على الركض الحثيث.

ثم كان الدكتور منصور فهمى شاعراً قوى التأثير حين رسم موكب الوداع للراحل إذ كان بعض شهوده المشيعـين فرأى النعش الكـريم يخرج فى الضحـوة العـالية من منزل أثرى تتجمع فى أروقته وواجهاته أنماط من الفن الشرقى الصميم، وقد تدافع المريدون إلى حمله متـزاحمـين، وقـد أخذوا يتئدون ويتثاقلون حرصـاً على أن يصيبهم أكـبر قسط من بركـة هذا الرفات، حتى بلغوا جامع المؤيد ليضعوا الجثمان فى سيارة تحركت عجلاتها بين نشيج الباكين، وصلوات الـداعـين، ومضى الـركب المتـواضـع ييمم شطر القـايات، حيث كان النـاس فى استقبـال الجثـمان حشودا زاخرة يتزودون منه بآخر النظرات، ويضعون رفـاته فى رحاب آبائه المباركين، رضوان الله عليهم وعليه أجمعين.

■ هذا بعض ما يحضرنى عن القاياتى، ولصديقى الاستـاذ الشـاعر محمد مصطفى البسيونى ذكريات عاطرة عنه فلعله يتحدث عنها، وسيجد من يستمع.





بقلم: د. جابر قميحة
جامعة الملك فهد - الظهران -

ريادة المقاما
بين ابن دريد

■ المقامة فن نثرى قصصى، وهى تعتمد على الخيال فى تأليف حوادثها، وترمى إلى غاية مثل تعليم اللغة، وسرد الموعظة، ووصف الأشياء ونقد الأدب والمجتمع. وهى تدور فى الغالب على حادث واحد يتكرر فيها: فالبطل (كأبى الفتح الإسكندرى فى مقاماته بديع الزمان الهمذانى أو أبى زيد السروجى فى مقامات الحريرى) لا يظهر إلا متنكرا لتحقيق هدف معين هو غالبا الكدية وابتزاز أموال الآخرين.. ويدور حوار يكتشف فيه الراوى حقيقة البطل المتنكر.

وأسلوب المقامة غارق فى المحسنات البديعية من سجع وجناس وتضاد وازدواج، زيادة على استخدام الغريب والمهجور والمهات من الألفاظ. ولا تكاد مقامة واحدة تخلو من بعض الأبيات الشعرية المصنوعة[١].

وليس من همنا فى هذه الصفحات القلائل أن نقدم دراسة عن «فن المقامة» فذلك مالا يتسع له المقام، ولكن هدفنا الوحيد هو «الإبانة» عن الرائد الحقيقى لهذا الفن بعد أن رأيت فى المسألة خلافاً فى تاريخنا الأدبى كما يظهر فى السطور الآتية.

ذهب الثعالبى إلى أن بديع الزمان الهمذانى (٣٥٨ - ٣٩٨هـ) أملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح السكندرى فى «الكدية»[٢] وغيرها، وضمنها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين[٣]..

وبديع الزمان نفسه يزعم أنه أنشأ هذا العدد من المقامات، وليس منه واحدة كالأخرى[٤].

وما بين أيدينا الآن من مقامات البديع خمسون مقامة لا تزيد إلا اثنتين أو ثلاثا فى بعض الطبعات، ونحن نستبعد أن يكون الهمذانى قد كتب هذا العدد الضخم من المقامات، وخصوصا إذا عرفنا أنه لم يعمر أكثر من أربعين عاما.

وينكر بعض النقاد ومؤرخى الأدب أن يكون الهمذانى هو رائد فن المقامة، لأنه مسبوق إلى هذا الفن «بأحاديث ابن دريد (ت ٣٢١هـ) التى عارضها الهمذانى - على حد قولهم - بمقاماته التى «تذوب ظرفا، وتقطر حسنا»[٥].

وأشهر من يذهب هذا المذهب من المحدثين الدكتور زكى مبارك تأسيسا على نص الحصرى من أن الهمذانى عارض أحاديث ابن دريد الأربعين بمقاماته الأربعمائة[٦].

والحقيقة أن من يراجع أحاديث ابن دريد يلاحظ عليها ما يأتى:

(١) أنها مجرد أخبار تاريخية لا تخلو من طرافة، وأن شخصياتها حقيقية لها وجودها الفعلى على مسرح الحياة، فليس فيها الشخصية المخترعة، ولا الاحداث المتخيلة.

(٢) أن ابن دريد حرص كل الحرص على أن يسوق هذه الأخبار بسندها كاملا[٧] مما يجعل هذه الأحاديث لا تزيد فى قيمتها الأدبية عما جاء فى كتب الأدب الجامعة، وأشهرها الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.

(٣) وأخيرا نجد أن القول بشدة تأثر الهمذانى بابن دريد، حتى فى الموضوعات المشتركة قول مبالغ فيه، كالذى ذهب إليه أستاذنا الدكتور شوقى ضيف من أن «المقامة الأسدية» للهمذانى تعد صيغة نهائية لوصف الأسد فى أحد أحاديث ابن دريد[٨].

والذى يطلع على العملين يجد الفرق الشاسع بينهما، فى منهج الوصف والمضمون الفكرى، والنسق التعبيرى، فكل ما وصف به الهمذانى الأسد فى مقامته لا يزيد على السطور الآتية: «قد طلع من

... وبديع الزمان الهمذاني

غابه، منتفخا فى إهابه، كاشرا عن أنيابه، بطرف قد ملىء صلفا، وأنف قد حشي أنفا، وصدر لا يبرحه القلب، ولا يسكنه الرعب، وقلنا خطب ملم وحادث مهم»[٩].

وجاء وصف الأسد الذى نقله أبو بكر ابن دريد على ألسنة ثلاثة هم: أبو زبيد الطائى، وجميل بن معمر العذرى، والاخطل التغلبى فى مجلس يزيد بن معاوية:

ومن قول الأول فيه «لونه ورد، وزئيره رعد، ووثبه شد، وأخذه جد»

ومن قول الثانى فيه «وجهه فدغم، وشدقه شدقم، ولعزه معرتم، مقدمه كثيف، ومؤخره لطيف».

ومما قاله الأخطل «ضيغم ضرغام، عشمشم همهام، على الأهوال مقدام»[١٠].

وقد نقلنا سطوراً قليلة جدا تبين عن طبيعة أحاديث طويلة قالها الثلاثة فى وصف الأسد، وهى أوفى بكثير جدا من السطور الثلاثة التى جاءت فى المقامة الأسدية للهمذانى.



والمقام لا يتسع لتفصيل القول فى هذه المذاهب أو فى هذين المذهبين: مذهب من يرى أن ابن دريد هو الرائد الحقيقى لأدب المقامة، ومذهب من يرى أن الهمذانى هو الأجدر والأحق بهذا اللقب.

ولكنا نرى أن هذه القضية قد وضعها المتجادلون وضعا غير موفق، لأن منطق البحث العلمى يقتضينا - ونحن نبحث فى ريادة المقامات - أن نفرق بين مسألتين:

الاولى: هى أصول المقامة وجذورها.

والثانية: فن المقامة أو «المقامة كفن» له ملامح موضوعية وفنية وأسلوبية مطردة.

فعن المسألة الاولى: نستطيع أن نجد جذور المقامات فى موضوعات الكدية والخداع والبخل التى أثارها الجاحظ فى كتابه «البخلاء» مثل حديثه عن خالد بن يزيد، مولى المهالبة الذى اشتهر بخالويه المكدى[١١] وكان قد بلغ فى البخل والتكدية وكثرة المال المبالغ التى لم يبلغها أحد، ووصيته لابنه عند موته يشبهها - إلى حد كبير - وصية أبى الفتح الاسكندرى لابنه[١٢] ووصية أبى زيد السروجى - بطل مقامات الحريرى - لولده[١٣].

كما نجد جذورا موضوعية وشكلية للمقامات فى الخطب والمواعظ التى تناثرت فى تضاعيف المصنفات الأدبية، ومن أشهرها ما سماه ابن عبد ربه «بمقامات العباد عند الخلفاء»[١٤] مثل: مقام صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدى، ومقام رجل من العباد عند المنصور، وهو يمثل أطول المواعظ، وكذلك مقام الأوزاعى بين يدى المنصور. . ومقام ابن السماك عند الرشيد. . الخ.

وكل هذه المواعظ أو هذه «المقامات» تدور حول

التزهيد في الدنيا، والعدل في الرعية، والترغيب في الآخرة، وقد غلب عليها الاسلوب المرسل.

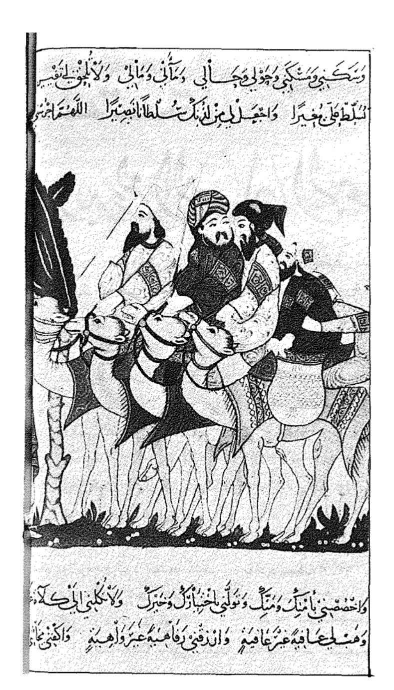
أما الأداء البديعي، والتزام السجع فذلك موجود في الأدب العربي قبل المقامات بقرون، على اختلاف في درجة الالتزام، وفي النثر الجاهلي منه الكثير[١٥].

كل أولئك موجود ومتناثر أوزاعا في المصنفات الأدبية القديمة، لكنه شيء يختلف تماما عن «فن المقامة» أو «المقامة كفن» له منهج وطريقة وطابع قصصي، وأسلوب مطرد على نسق بديعي معروف، وهذا ما لم يصطنعه أحد قبل بديع الزمان، فالحكم بريادته لفن المقامة حقيقة تاريخية لا ينقضها ما سبقه من «أحاديث ابن دريد» أو «مواعظ العباد» أو سجع المكدين»، وإن كان لكل ذلك بالطبع تأثير واضح - لا على مقاماته فحسب - ولكن على تشكيل شخصيته الأدبية، واتجاهه الفكري والفني، فالأدب في كل عصر تأثر وتأثير، وأخذ وعطاء، وتفاعل موار لا ينقطع ولا يتوقف.

وقد اعترف الحريري بأن الهمذاني بمقاماته كان «سباق غايات، وصاحب آيات» وأن المنتديات في عصر الحريري - أي بعد وفاة الهمذاني بقرن من الزمان - كان يتردد على ألسنتها دائما «ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان، وعلامة همذان»[١٦].

■ ومن ثم نرى أن ما ذهب اليه الدكتور زكي مبارك (من أن البديع ليس مبتكر فن المقامات، وإنما ابتكره ابن دريد المتوفى سنة **٣٢١هـ**)[١٧] عاريا من الدليل بعد أن رأينا - في عجالة - الطبيعة الموضوعية والفنية لأحاديث ابن دريد، وكان على الدكتور زكي مبارك أن يفرق - كما أشرنا - بين جذور المقامات، أو الألوان الأدبية التي مهدت لظهورها، والتي تعد أحاديث ابن دريد واحدا منها، وبين «فن المقامات» الذي يمثل لونا أدبيا مميزا بسماته المعروفة.

والغريب أن الدكتور زكي مبارك الذي سلب بديع الزمان ريادته لفن المقامة عاد فنقض ما ذهب إليه، واقترب - إلى حد الاعتراف - من الرأي الذي رجحناه، وهو الرأي الذي عليه أغلب النقاد ومؤرخي الأدب، وذلك في قوله «ومع أن ابن دريد هو المبتكر



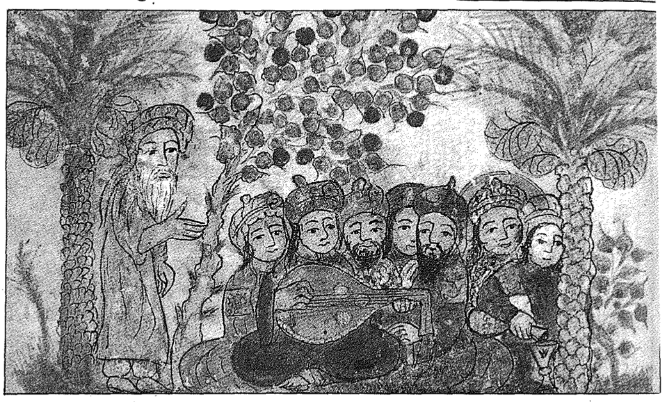
لفن المقامات، فإن عمل بديع الزمان في هذا الفن أقوى وأظهر، وطريقته في القصص تختلف عن طريقة ابن دريد، والذين كتبوا مقامات بعد ذلك لم يكن في أذهانهم غير فن بديع الزمان، فهو بذلك منشيء هذا الفن في اللغة العربية، ولم تسم تلك القصص بعد ذلك (أحاديث) كما سماها ابن دريد، وإنما سميت مقامات كما سماها بديع الزمان»[١٨].

فبديع الزمان الهمذاني إذن هو الرائد الحقيقي لهذا الفن، وعلى دربه سار الحريري في مقاماته، وإن خالفه في غير قليل من الملامح والسمات الفنية والفكرية، ولهذا حديث آخر.





● المقامات والقصص والروايات القديمة ألهبت خيال الفنان الشرقي القديم، وكان نتاج تعامله معها هذه المنمنمات الرائعة، وقد سجلت لنا نماذج من حياة الماضين.



الهوامش

(١) راجع احمد الشايب: الأسلوب ١١٠-١١٣ (ط٨ - ١٩٨٨ - مكتبة النهضة المصرية القاهرة).

(٢) الكدية الأرض الغليظة أو الصلبة التي لا تعمل فيها الفأس، ومن معانيها - وهو المقصود هنا - حرفة السائل الملح (انظر المعجم الوجيز: مادة: كدى).

(٣) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٤/٢٥٧ (مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٧٧).

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ٦/٥٠٧ (طبعة دار الشعب - القاهرة) وانظر كذلك: ابراهيم بن علي الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب ١/٣٠٥ ط٤ دار الجيل بيروت).

(٥) الحصري: السابق: نفس الصفحة.

(٦) انظر: زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع ١/١٩٨ - ٢٠١ (المكتبة التجارية، القاهرة د.ت).

(٧) انظر من هذه الأحاديث على سبيل التمثيل: حديث اجتماع عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند ملك من ملوك حمير (أمالي القالي ٢/٢٧٧: ط٣ مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٤) وكذلك خبر الشيظم الغساني ونزوله بملك الشام مستجيرا (ذيل الأمالي ١٧٩).

(٨) د. شوقي ضيف: المقامة ١٨ (ط٣، ١٩٧٣. دار المعارف - القاهرة).

(٩) المقامة الأسدية: مقامات بديع الزمان الهمذاني: (دار الآفاق الجديدة: بيروت ١٩٨٢).

(١٠) ذيل الامالي ١٨١

(١١) راجع: البخلاء للجاحظ ١١٨-١٤٦ (ط٢ - دار اليقظة العربية - دمشق ١٩٦٣).

(١٢) مقامات البديع: المقامة ٤٢: الوصية.

(١٣) مقامات الحريري: المقامة ٤٩: الساسانية (دار الكتاب اللبناني ١٩٨١ بيروت).

(١٤) ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد ٣/١٥٨-١٦٨ (ط٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٢)، والمقامات عنده جمع مقام لا مقامة، ويعني بالمقام: الموقف فيه موعظة أو محاورة.

(١٥) انظر: احمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب: الجزء الاول، وانظر فيه بخاصة: مقال: مرشد الخير ص١٠ - وما دار بين إحدى ملكات اليمن وخاطبيها ص٢٥، ومقال: ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر ٦٦ عدا سجع الكهان في الجاهلية وهو كثير (ط٢ مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٢).

(١٦) الحريري: في تقديمه لمقاماته.

(١٧) زكي مبارك: مرجع سبق ١/١٩٨.

(١٨) زكي مبارك مرجع سبق ١/٢٠١.

صور من الصراع في الأدب العباسي

بقلم: د. شلتاغ عبود شراد
جامعة بايرو - كانو - نيجيريا

جامع قرطبة الكبير
أثرٌ إسلاميٌّ خالد

● مسجد قرطبة وقد كان يعج بالحركة العلمية والأدبية.

■ لا ندرى على التحقيق كم من القرون مرت على الادب فى جزيرة العرب حتى استوى بالصورة التى عرفناها عنه فى المرحلة السابقة للاسلام، وهي المـرحلة التى سميت بالجاهلية وسمي أدبها بالادب الجاهلى، والادب الـذى يمثـل هذه المرحلة لا يتعدى عمره المائة وخمسين عامـًا قبل الاسلام كما يرى الجاحظ(١).

ومن الطبيعى أن تكون هناك مراحل مرت على هذا الادب قبل أن يبـدو بصورته الناضجة التى عرفناها، ولابد ان تكون هذه المراحل قد شهدت فيها اللغة والادب تطورا مستمرا، منذ مراحل الطفولة والسذاجة حتى مراحل النضوج والاكتمال. والملاحظ على الادب الجاهلي الذي بين أيدينا أنه يخلو من النماذج التى تمثل تلك المراحل السحيقة فى القدم، ولا نجد إلا شذرات وأمثلة قليلة يظهر فيها الخلل اللغوى أو الموسيقي، كما لاحظ غير واحد من الباحثين القدامى والمحدثين(٢).

مهما يكن فإ ن الادب الجاهلي المعروف قد استكمل مواصفات الادب النـاضج من الناحية الفنية والمضمونية وصارت له تقاليده الثابتة فى البناء والشكل واللغة والاوزان وحتى فى المضامين والافكار، ويلحظ فى ذلـك كله أثـر البيئـة العـربيـة الجاهلية، من حيث ظروفها الطبيعية والاجتماعية والدينية.

ولقد عكس لنا النشاط الادبي والنقد الادبي فى تلك الفترة هذه التقاليد والاصول، ولكن بطريقة تأثرية غير منظمة، ولكنها فى الاحوال كلهـا تظهر مدى ما تعارف عليه الناس من قيم أدبية، ومن أصول فى الصياغة واللغة والموسيقى بحيث اصبحت مقاييس يحتكم إ ليها الادباء والنقاد فى تقديم الشعر والنثر انذاك.

ولما جاء الإسلام، لم تتغير البيئة الطبيعية اول الامر، ولم ينسلخ المجتمع من موروثاته الاجتماعية كلها، لأن الإسلام نبذ بعض هذه الموروثات وأقر البعض الآخر، مما ينسجم مع الفطرة الانسانية ولا يتعارض مع قيم العقيدة التوحيدية. وكانت ثورة الاسلام الكبرى على التصورات الدينية الخاطئة وعلى الاعراف الاجتماعية المستمدة من هذه التصورات الخاطئة.

ولم يكن فن الأدب، شعره ونثره، مما ثار عليه الاسلام او عارضه، بل نظر إليه باعتباره اداة يمكن ان يستثمرها فى اسناد منهجه ودعوته، فظل الناس مشدودين لتراثهم الأدبى لأن الإسلام لم يحظره عليهم، ولكنه وجههم - بطريقته التربوية - الى العناصر التى يجب ان تنبذ من هذا التراث، والى العناصر التى يمكن ان تستثمر فيحافظ على استمراريتها فى الحياة الجديدة.

هذا من حيث الموقف من الافكار والمضامين وانعكاساتها العملية، ولم يكن له موقف رافض البتة من البناء الفنى واللغوى للادب الجاهلي، خطبه وامثاله، وشعره ورجزه.

فكان هذا ايذانا بالانفتاح على الفن والأدب فى العصر الجاهلي، وعدم التحرج فى التعامل معه، فاستمرت تقاليده فى شخصية الادباء الذين دخلوا الاسلام، وكانت لهم تجربة فى الجاهلية قبل الاسلام والذين سموا بالشعراء المخضرمين، بل إن هذا الامتداد الفنى استمر حتى فى شخصيات الشعراء الذين ولدوا فى ظل الإسلام.

إذن فالتقاليد الفنية لأدب ما قبل الإسلام استمرت فى العصر الإسلامي، وأخذت طريقها الى الترسيخ والثبات تدريجياً.

والثورة الحقيقية التى تمت بعد الإسلام كانت ثورة فى التفكير ومناهجه وثورة فى التعامل الإنسانى فى صوره كلها، وتستطيع ان تلحظ هذا فى دراسة النماذج الأدبية فى المرحلتين لترى مدى النقلة التى انتقل إليها الأديب بعد الإسلام وبفضل توجيهه.

واستمر الأديب يستوعب التطورات والأحداث ويعكسها ويستجيب لها ابتداء من المرحلة الأولى للدعوة فى جزيرة العرب ثم المراحل التالية التى شهدت امتدادا للدعوة خارج الجزيرة وضمها أقواماً أخرى من غير العرب.

بناء على هذا يمكن القول بأن الذى اتبع من الأدب بعد مجيء الإسلام إنما لغته وهندسة بنائه الموسيقي وسبل تصويره الى حد ما، ولم يكن الاتباع اتباعاً فى صور المعتقد والسلوك وشبكة العلاقات بمقدار ما ينعكس منها فى الادب، بل ان صورة الاتباع الفني لم تكن تنطبق تماماً على الشعر الاسلامي لأن المضامين الجديدة التى جاء بها الاسلام أثرت على اللغة نفسها، كما أثرت على الصورة، فصارت هذه اللغة قرآنية المفردات، كما صارت الصورة قرآنية المنحى والنسيج فى كثير من الاحوال[3]. وإن كان الاطار الموسيقى قد بقى على حاله المعروفة فى الجاهلية فى المرحلة الأولى فى الإسلام على الاقل.

وعلى هذا يجب التعامل بحذر مع الاحكام النقدية والأدبية التى تعمم القول وتنتهى إلى اقرار التقليد والاتباع فى الأدب بعد مجيء الاسلام، وهي أحكام تجافى الواقع لأنه ليس من المعقول أن يأتى الاسلام بهذا الانقلاب الهائل فى النظر الى الكون والإنسان والحياة دون أن يمس بنية الادب، علما بأن الأدب لا يعيش بمنأى عما يعتمل في المجتمع والبيئة من غليان وتغير.

■ وحين نتجاوز القرون الخمسة من بدء الدعوة الاسلامية، وندخل الفترة التى حكم فيها بنو أمية، نكون أمام أدب اتيحت له الفرصة بأن يتمثل تعاليم الإسلام من جانب، وأن يرسخ لبداية تقاليد جديدة فى الادب من جهة أخرى.

ففى هذا العصر انطلق العرب من حدود جزيرتهم الى أجزاء واسعة من الارض شرقاً وغرباً فتعاملوا مع أجناس بشرية متنوعة من فرس وروم وهنود، فتولد من هذا تلاقح وتفاعل القى ظلاله على أغراض الأدب وأشكاله.

ثم إنه بالإضافة إلى تعدد البيئات فى هذا العصر،

قد أثار الحكم الأموي عدة مشكلات سياسية ودينية وعرقية كان لها الأثر الكبير فى اتجاهات الشعر وخصائصه.

والذى يلاحظ على هذه البيئات أن كل واحدة منها صارت متخصصة بنمط من القول الشعري والخطابي، أو قل غلب عليها ذلك النمط أو الطابع، فقد غلب الغزل اللاهي في بيئة مكة والمدينة كما غلب الغزل العذري العفيف فى بيئة البادية فى نجد والحجاز، وكان ذلك خاضعاً للتخطيط السياسى الاموى فى ابعاد أهل الحجاز من ابناء المهاجرين والأنصار عن منافسة الحكم الاموي فى ادارة شؤون المسلمين وحكمهم.

اما بيئة العراق فقد غلب عليها طابع المعارضة السياسية، أو طابع الأدب الحزبى، فقد نشطت هذه البيئة في معارضة الحكم الاموى ونظرت إليه باعتباره خارجاً عن الاسلام لأنه اغتصب الخلافة ولم يخضع فيها لنظرية الاسلام السياسية، وتكاد الأحزاب السياسية كلها - على خلافات جزئية - تتفق فى هذه النظرة للامويين يستوي في هذا الشيعة من أنصار أهل البيت النبوي، أو الزبيريون أو الخوارج.

وقد بقيت بيئة الشام وقفا على انصار الحكم الاموي والسائرين فى ركابه والمنتفعين منه من الشعراء والخطباء.

وقد ترك هذا التنوع فى الاتجاهات الفكرية أثره على طريقة العرض الفنى كل بما يناسب موضوعه واهتمامه النفسى.

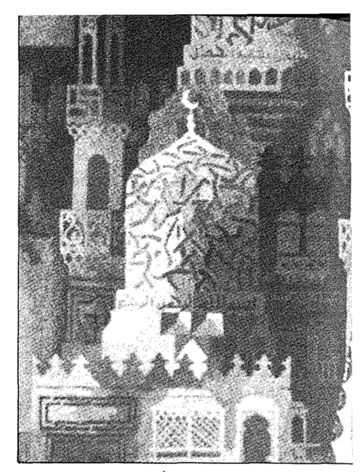
ففى الشعر الغزلي العفيف وجدنا التضخيم العاطفي والتوقد الشعوري بما يضيف الى هذا الغرض نفساً جديداً ويكسبه طابعا لا ينطلق من الوصف الجسدي للمرأة، بل يتوجه الى هذه الروح العاشقة، الصادقة فى حبها وما تعانيه من وجد ودنف، وفي الشعر الغزلي اللاهي فى الحجاز تدخل الالفاظ المدنية الجديدة، ويلجأ الشعراء الى المقطوعات الشعرية القصيرة، وإلى أسلوب القص والحكاية حيث يعرضون مغامراتهم ويصورون نتائجها.



وفى الشعر السياسى، وفى الهجاء منه خاصة، يتحول هذا الفن الى لون مما سمي بـ (النقائض) بين جرير والفرزدق والاخطل، وهو فن له خصائصه وسماته التى ترسخت فى هذا العصر بناء على ظروف الحياة السياسية المتجددة[4].

وفى جانب آخر من الشعر السياسي نجد بعض الشعراء من الشيعة والخوارج معاً، يتخلصون من تلك المقدمات الغزلية التقليدية ويستحدثون مقدمات من المدح لأهل البيت والتفاني فى حبهم كما فعل الكميت بن زيد او مقدمات فروسية استشهادية كما هو الحال عند شعراء الخوارج، وربما دخل عنصر جديد فى الجدل والمحاجة العقلية فى هذا الشعر، ولاول مرة فى تاريخ الادب العربي، وهذا أثر من الآثار الثقافية فى هذا العصر الذي كان بداية للدراسات الكلامية والمنطقية[5].

ولهذا فليس من الصحيح ان يقال دائماً بأن الشعر والأدب سواء فى العصر الإسلامى الأول، او فى عصر الحكم الأموى ظل كما هو عليه فى العصر الجاهلي، اذ الحال يشهد أن تطورات كثيرة طرأت عليه سواء من الناحية الفكرية والمضمونية بفضل العقيدة الاسلامية وتوجيهاتها، وبأثر الظروف البيئية والسياسية التى جدت فى حياة المسلمين، أم من



الناحية الفنية والشكلية فقد أثرت الروح الإسلامية والاتجاهات الفكرية فى طريقة عرض الافكار وتلوين الأدب بألوان جديدة مستحدثة ستكون مقدمة لما يطرأ على الفن الشعرى من تغييرات، كما سنلاحظ.

■ لم يكن الشاعر العربى فى صدر الإسلام أو فى فترة الحكم الأموي بحاجة إلى أن يرجع إلى شيء من موضوعات الشاعر الجاهلي أو يسايره فى نسق أفكاره بعد الانقلاب الفكرى والنفسى الذى احدثه الاسلام، ولكن بقيت ثمة صلة فنية بين هذا الشاعر والشاعر الجاهلي، وصلة تذوق لنصوص الشعر الجاهلى التى كانت على درجة عالية من حيث البناء الفنى، اضف الى ذلك أن الشعر الجاهلى على الرغم من صدوره عن مرحلة جاهلية لم يكن يحفل كثيرا بالوثنية فيكثر من وصف عبادة الاصنام أو يوغل فى وصف الخرافات والاساطير كما هو الحال فى شأن الادب اليوناني الوثنى القديم، وربما يفسر لنا هذا امتداد التقاليد الفنية للعصر الجاهلي فيما تلاه من التاريخ[٦].

غير أن الامر فى العصر العباسى قد تغير فلم يعد التجديد يطرأ على الموضوعات وعلى بعض الصور الفنية، بل تجاوزه الى إعادة النظر فى الهيكل العام لبناء القصيدة العربية، وادخال عناصر جديدة فى لغتها وفى معانيها. صحيح ان العصر الاموي قد ساهم - كما اشرنا - فى شيء من هذه العناصر الجديدة، ولكن العصر العباسي قد أوغل فى هذا الاتجاه، وإن لم يكن بالصورة التى أراد الباحثون المعاصرون أن ينتهوا إليها.

مهما يكن فان الدوافع التى أدت الى هذا التغيير فى العصر العباسي تتلخص فى هذا الانفتاح الواسع على البلاد التى كانت مهداً لحضارات قديمة كالحضارة الفارسية والرومانية أو آثار البلاد التى كانت تدين بأديان الهنود القديمة. وكان من آثار هذا الانفتاح ان تلقى العرب علوماً وثقافات متعددة حاولوا أن يطبعوها بطابعهم الخاص، ولكن المرحلة الاولى من هذا الانفتاح شابها شيء من الاضطراب وعدم التجانس، فكان كثير من تلك الأفكار يعرض بشكله الأجنبي، أو قل المادي، دون كبير تغيير أو انسجام مع روح الحضارة الإسلامية، بل إن من هذه الافكار ما كان تعريضاً او شكاً بالعقائد الإسلامية نفسها، ومنها ما كان سخرية بالعرب وبيئتهم التى انطلقوا منها.

وبالإضافة إلى هذا الاصطدام بالحضارات المادية والثقافات الأجنبية، نجد الثراء والغنى والترف الذى صار عليه المجتمع العباسى بعد اتساع رقعة الخلافة ونمو التجارة والصناعة بشكل لم يسبق له مثيل، فكان نتيجة لهذا كله أن يتأثر الادب بهذه الالوان من الثقافات وهذه الانماط من صور الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ولكنني لا أريد أن أعرض القضية على انها صورة من صور الصراع بين الحضارة والبداوة كما شاء بعض الباحثين[٧]، لأننا لو فعلنا مثل هذا لانتهينا إلى الإقرار بأن التعلق بالقيم المادية من الناحية العقائدية، وتصوير الانحلال والانغماس بالمجون من الناحية السلوكية والاجتماعية، والثورة على المأثور من الظواهر الفنية، أقول لأقررنا بأن كل هذا هو توجه حضاري، وأن التمسك بقيم التوحيد وما يستتبع هذا من مواقف سلوكية وأخلاقية واجتماعية وغيرها من نظم الحياة الخاضعة لقيم التوحيد، والعودة الى الصور الفطرية

الطبيعية في الفن والأدب، إنما هو صورة من صور البداوة، أو قل التخلف.

الحق ان التعبير المناسب عن هذا الصراع، ليس التضاد بين الحضارة والبداوة، وإنما هو صراع بين المادة والروح، بين القيم المادية التى وفدت على المجتمع العباسى، وبين الحضارة الاسلامية التى تُعنى بالجانب الروحى فضلا عن عنايتها بالجانب المادى، وبالتالي فهو صراع بين الأدب الذى يعكس الحضارة المادية بمجونها من جهة، وترفها من جهة، وبتصوراتها العقائدية من جهة أخرى.

والقضية، بعد ذلك لم تكن بمثل هذه الحدة والانفصام التام بمعنى أنه ليس بالضرورة ان يكون الشاعر الذى تأثر بالاجواء العباسية قد انسلخ من عقيدته بشكل تام، وإنما يكون قد تأثر بهذه الاجواء بنسب متفاوتة حسب درجة تفاعله مع قيم الحضارة المادية ودرجة اقتباسه منها، وقد يكون تأثره من الناحية السلوكية والاخلاقية، كما قد يكون من الناحية الثقافية بشكل عام، تلك الناحية التى سيكون لها انعكاس على آثاره الفنية واسلوبه الفني.

كما أنه ليس بالضرورة أن يكون الشاعر الذي بقى محافظاً على عقيدته الإسلامية ولم يخضع للتأثيرات المادية، ليس بالضرورة أن يكون مثل هذا الشاعر قد وقف نفسه على شعر النسك، او التصوف، وأدار وجهه عن كل ما يجري فى الحياة من نشاطات، أو ما يعتمل فيها من تغيرات، كما شاء كثير من الباحثين أن يصور العصر العباسى على أنه حالتان لا ثالث لهما: عبث ومجون وشك أو نسك وتصوف وانطواء، بل إن الدكتور طه حسين جعل شعراء الشك والمجون أكثر تمثيلا للعصر، واصدق تعبيراً عن هموم الناس آنذاك، أما الفقهاء والمتكلمون ورواة الحديث فكانوا كما يقول:

«عاكفين على الفقه يستنبطونه، وعلى الكلام يمحصونه، وعلى الحديث يروونه، وعلى الاخبار يلتقطونها، ويذيعونها بين الناس، وكانوا فى هذا لا ينطقون بلسان أحد، ولا يعبرون عن رأي أحد، ولا يمثلون إلا العلم الذي يعنون به، ويعكفون عليه!!»[٨]، وكأن الحياة فى العصر العباسي كانت ذات لون واحد، شك ومجون، وليس للدين والعلم اي تأثير فى تلك الحياة، والحق أن الحياة ترفض هذه القسمة الحادة (أسود ـ أبيض) (مجون ـ نسك)، بل كان هناك اناس ـ وأعتقد أنهم هم الأكثرية ـ يمارسون الحياة الطبيعية دون أن يكونوا ماجنين، ودون أن يكونوا ناسكين، وهذه الحياة هى التى ينشدها الإسلام وينظم أنشطتها.

سمي الشعراء الذين ساروا فى طريق الترف والمجون فى أواخر العصر الأموي وبدايات العصر العباسي بالمحدثين، وألحق بهم بعد ذلك شعراء البديع والمعاني الغامضة. يمثل النماذج الأولى بشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبو نواس، ويمثل النماذج الثانية أبو تمام خاصة.

ولم يكن بشار فى الواقع مجدداً تجديداً ذا أهمية فى الشعر، بل كانت معانيه مزيجا من القديم وآثار الحضارة العباسية[٩]، ولكن الجديد عنده هو سلوكه المتحدي للاعراف والدين وفسقه ومجونه وظهور ذلك كله فى شعره الغزلى الصريح، بالاضافة الى ظهور المفاهيم الزرادشتية الفارسية فى شعره.

ويلاحظ أن تضخيم عنصر التجديد عند بشار وراءه مسعى استشراقي ينفخ فى صورة كل خارج على قيم الاسلام، ومتنكر لعقيدته ونظامه، وعلى خطى هذا المسعى الاستشراقى سار الباحثون العرب ممن تتلمذوا على يد المستشرقين أو تأثروا بهم.

اما الأمر مع أبى نواس فيختلف، إذ أنه أوغل في اتجاه المجون والتهتك فى الغزل الصريح بالمرأة، أو الغزل الماجن بالمذكر أو وصف الخمر والإدمان عليها، فضلا عن ذلك فانه حاول أن يغير من الهيكل العام للقصيدة العربية، وذلك بثورته على المقدمة الغزلية التقليدية وسخريته بالشعراء الذين الفوا هذا النمط من التقديم لقصائدهم من العرب الجاهليين ومن بعض الشعراء فى العصر الاسلامي والأموي.

قل لمن يبكي على رسم درس
واقفاً، ما ضر لو كان جلس!!

وما من شك فى أن لمنطق ابى نواس وحجته

اساساً قويا من تجدد الحياة الاجتماعية لدى العرب، فاذا كانوا يقفون فعلا على الأطلال ويتذكرون أيامهم الخوالي مع من كان يسكن تلك الديار قبل رحيل اهلها عنها، كما كانوا يقطعون الفيافي من أجل الوصول الى الممدوح فيصفون رحلتهم تلك ويصفون النوق التى أقلتهم فى رحلتهم الشاقة، أما والحال لدى الشاعر العباسى قد تغيرت، وأصبح يعيش فى بلاط الممدوح ويروح عليه ويغدو، فلا داعي لتلك المقدمات التى تخص أهل البادية وتصور حياتهم.

ثم إن حياة الشاعر العباسي بمجونه ولهوه أملت عليه أن يصف الخمر التى يتلهى بها، فاستبدل بوصف الاطلال البالية، وصف الخمر وحاناتها وندمائها، والنساء ومحاسنهن ومفاتنهن.

هذه هى المرحلة الأولى من تجديد المحدثين، اما المرحلة الثانية فهى مرحلة الايغال فى البديع والغوص على المعاني الفلسفية، والخيالات المستحدثة والاستعارات الغريبة والتى تجسدت في أكثر صورها تعقيداً لدى أبى تمام فصار رأس هذه المدرسة وأبرز ممثليها، وقد كان هذا التعقيد سببا فى الخصومة بين شعراء الطبع وشعراء الصنعة، او الشعراء القدامى والشعراء المحدثين، كما يحلو لكثير من الباحثين أن يسموهم.

ولو كان الخلاف حول القدم والجدة فقط لنشأت الخصومة حول شعر ابى نواس قبل ابى تمام، ولكن شعر ابي نواس كان يميل الى الطبع وعدم التكلف، فكان مستساغاً مؤثراً فى النفوس على الرغم مما فيه من مجون وتهتك وعلى الرغم مما فيه من خروج على معايير القصيدة العربية، إذا، فالخلاف كان حول الايغال فى الصنعة أو قل التعويل على الفكرة والمعنى وطلبها على حساب الشعور والتلقائية، وكان مما يذهب هذا الاحساس الفطري فى الشعر كذلك طلب البديع وتكلفه مما لا مسيس حاجة إليه فى الكشف عن مضامين جديدة أو معانٍ حضارية جديدة، بل هو التصنع والافتعال الذى هو انعكاس للترف والفراغ فى ذلك العصر الذي عرفناه.

وعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن اتجاهين رئيسيين اثنين وجها الشعر في العصر العباسى هما اتجاه الطبع واتجاه الصنعة، وليس من الصحيح الاستعاضة عن هذين المصطلحين بمصطلح القدامى والمحدثين، او المقلدين والمجددين، لأن من المجددين والمحدثين من كان ذا اتجاه يميل الى شعر الطبع والتلقائية، مثل شعر أبى نواس والعباس بن الاحنف وأخيراً البحتري الذي اصبح علماً لهذا الاتجاه، وهو من المحدثين.

ونريد أن نقف عند هذين الاتجاهين، اتجاه الطبع واتجاه الصنعة، كما تمثلا فى شعري البحتري وابى تمام، كما أشار إليهما النقاد القدامى والمحدثون.

لم يكن الاتجاه نحو البديع والصنعة من مبتدعات ابى تمام بل نجد لهما جذوراً فى الشعر القديم والادب القديم، بل ونجد لهما أمثلة فى القرآن الكريم والحديث النبوى وكلام البلغاء والخطباء من الأدب الجاهلي والاسلامي، ولكنه اخذ يظهر تدريجياً فى شعر بشار ثم فى شعر مسلم بن الوليد حتى قيل إنه أول من أفسد الشعر بالبديع(١٠)، ولكن أبا تمام لم يرض بذلك القدر الطبيعى من البديع والذي يمكن تشبيهه بمقدار الملح فى الطعام، بل تكلف فيه واغرب كل الاغراب حتى جاء بالمستكره الذى يمجه الذوق وتعافه السليقة العربية، وقد رصد القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني هذا الاتجاه لدى ابى تمام وعبر عنه خير تعبير حين قال: « . . ثم لم يرض بذلك حتى اضاف إليه البديع، فتحمله من كل وجه، وتوصل إليه بكل سبب، ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة، وقصد الأغراض الخفية، فأحتمل فيها كل غث ثقيل، وأرصد لها الأفكار بكل سبيل، فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل الى القلب إلا بعد إتعاب الفكر، وكد الخاطر، والحمل على القريحة، فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة، وحين حسره الاعياء، وأوهن قوته الكلال، وتلك حال لا تهش لها النفس للاستماع بحسن، أو الآلتذاذ بمستظرف، وهذه جريرة التكلف»(١١).

وهو يشير بهذا إلى أن عنصر الصنعة فى شعر أبى

تمام مبعثه عناصر عديدة منها طلب الوعر من الألفاظ القديمة والغريب منها، وطلب البديع فى جناس وطباق واستعارة بشكل مفرط مفتعل ليس وراءه ضرورة فنية او معنوية أو شعورية، ثم التكلف فى البحث عن المعانى البعيدة والإغراب فيها بما يكد الذهن ويأتي بالملال، وهذا فى الواقع أقرب إلى النثر العلمي منه الى الشعر الذى هو نتاج اللمحة الدالة والإحساس الشفاف، وقد لحظ معاصرو أبى تمام هذا وشخصوه، قال دعبل الخزاعي: «ما جعل الله ابا تمام من الشعراء، بل شعره بالخطب والكلام المنثور أشبه من بالشعر»[١٢]، ولعل ابا العلاء المعرى المتأخر زمنيا عن ابى تمام قد نسج على مقولة دعبل حين قال: أبو تمام والمتنبي حكيمان، وإنما الشاعر البحتري!!.

ولم يكن القدامى يغضون من شعر أبى تمام فى ذكر خصائصه تلك، ولكنهم يذكرون ما هو كائن فى هذا الشعر، وما هو من طبيعته، بل إنهم كثيراً ما يذكرون محاسنه ونوادره وعناصر الابداع لديه، ولكن الباحثين المعاصرين ضربوا على وتر التجديد عند ابى تمام وضخموه لكي يكون هذا ذريعة وتسويغاً للجديد الذى نحا منحى الأوربيين فى عصرنا، وما كان فيه من تنكب عن واقع حياتنا، وما فيه من تبعية وتغريب فكرى وسلوكي.

والحق أن أبا تمام كان من أشد الشعراء ارتباطاً بالقديم من حيث اللغة والهيكل العام للقصيدة العربية، ولم يبلغ حتى ما بلغه سابقه ابو نواس فى الثورة على ذلك الهيكل ومقدمته الغزلية خاصة، ولم يكن الجديد عنده الا الاغراق في البديع والاغراق فى المعاني التى لا يمكن التوصل إليها الا بالتأويل وكد الذهن.

واذا عرفنا الهدف وراء تضخيم عنصر التجديد عند ابى تمام، فاننا نستطيع ان نضع جهد أبى تمام فى موضعه من محاولات التطوير والاغناء للشعر العربى، وهو الموضع الذى يتعلق باغناء هذا الشعر بالمعاني المرتبطة بالثقافة الغزيرة والتجارب العميقة والتى هي نتاج للعمق الثقافي فى العصر العباسى وتلاقح الثقافات المتعددة فيه، ونستطيع ان نقول فى هذا إنه إغناء للشعر وتجربة لها طابعها الخاص الذى يتذوقه بعض المثقفين من الناس ثقافة فلسفية، وإن كان الآخرون الذين يميلون إلى الأصل الفطرى فى الشعر يعرضون عنه ولا يستسيغونه.

مهما يكن فهو لون جديد فى الشعر، ولكنه انتهى بالشعر فى المراحل التالية الى الموت والانتحار، وذلك حين لم يكن من هم الشعراء إلا هذا البديع والشكل الذى لا يحمل معه أية تجربة إنسانية ويخلو من أي توجه حضاري، اللهم إلا اللعب اللفظى الذى ينم عن فراغ رهيب، وإحساس بالملل مقيت!! وهكذا كان طابع المرحلة الشعرية التى تلت سقوط بغداد خاصة.

واذا عرفت هذا الاتجاه فى شعر أبى تمام وعرفت موقف القدامى منه والمحدثين منه، فمن الخير أن تعرف موقع البحتري من نفوس أولئك وهؤلاء، والذى نشهده من ثنايا كتب النقد القديم ان النقاد ومتذوقى الشعر كانوا الى شعر البحتري أميل، وإن لم يغمطوا حق أبى تمام ومذهبه فى الشعر، ذلك أن العربى بسليقته ميال الى عنصر الجمال فى الشعر، وكلما كان الجمال صادراً عن طبع صادق وتدفق تلقائى، كان أوقع فى النفس من التعمل وإعمال الذهن، والحق أن النقاد القدامى نظروا إلى الشعر على أنه طبع وذكاء ودربة، وفى ذلك جماع التكوين الشعري كما لاحظ صاحب الوساطة[١٣].

وإنك لتلاحظ ميل اولئك النقاد إلى البحترى وتجاوب مشاعرهم مع انسيابيته وفطرته إلا أنهم لم يعلنوا ذلك ولم يصرحوا به فى أغلب الأحوال لأن المسار النقدي حول التفاضل بين الجديد والقديم - كما يقولون - اخذ طابع الموازنة والوساطة، وكان مناط ذلك التحرج من التعصب لأحد الطرفين فى الخصومة.

أما الباحثون والنقاد المعاصرون فأظهروا اهتماماً بأبى تمام أكثر من صاحبه، وفي رأيي، إن هذا قد خضع للاتجاه العام فى عصرنا نحو البحث عن عناصر الجديد فى مراحل الشعر القديم والحديث،

وتضخيم هذا الاتجاه على حساب كثير من التجارب الأدبية التى لم تكن مقلدة بالمعنى الصحيح للتقليد، ولكنهـا كانت صاحبـة موقف موازن بين القـديم والجـديد، موقف يقتضيه العمران الانساني ـ بتعبير ابـن خلدون ـ وهـو الـذى لا يحطم كل صلة له بالقـديم، كما لا يعكف على القديم دون إضافة أو تحوير، وهو أمر يرفضه منطق الحياة فى مجالات الفن والجوانب المتحركة من الحياة الاجتماعية.

فالبحـترى نفسـه الذى صنفه القدامى فى خط عمود الشعر، ويصنفه المعاصرون فى عداد المقلدين أو القدماء، هو فى الواقع ابن عصره، ووليد تجارب ذلك العصر وما عج فيه من تغييرات فكرية واجتماعية وأدبية.

لم يكن البحتري، اذاً مقلداً البتة، وإنما كان في روحه ميل الى الفطرة وعدم التكلف التقى بخصيصة من خصـائص الشعـر القـديم، ولم يكن فى تجاربه ومعانيه ولغته وصوره ليلتقي بتجارب الشعراء الذين سبقوه فى العصر الجاهلي او الاسلامي او الاموي، ولعل هذا يحتاج منا الى وقفة مع شعر البحتري نبسط القول فيها عن بنية هذا الشعر ومعانيه وتمثيله لروح عصره، وسوف نفعل هذا إن شاء الله.

والـواقـع الأدبى لدى الأمم جميعاً يشهد انه لا يوجد شاعر أو أديب واحد مقلد مائة بالمائة، كما لا يوجد اديب مجدد مائة بالمائة، فالتراث القديم يصب فى كيان الشـاعر والحياة المعاصرة تملي عليه المواقف فيأتى الفن الادبى امتـداداً للماضي من الجـانب، وتعبـيراً عن الحـاضر وتطلعاً الى المستقبل، فـ (خير انتاج ادبى ـ كما يقول إليوت ـ هو ما يتجلى فيه أن الاقدمين من نوابغ الاسلاف لم يموتوا)[١٤].

مر علينا أن المبدأ الذى اعتمد عليه بعض النقاد فى النفور من مذهب أبى تمام هو العودة بالشعر الى فطرته وتوخي طبع الشاعر وسليقته بعيداً عن التصنع والتكلف والاستحالة التى أوغل فيها ابو تمام معتمداً على الخطوات الاولى التى مهد بها الى هذا التصنع كل من بشار ومسلم بن الوليد واذا كان هذا المبدأ قد اعتمـده الادبـاء والنقـاد وبعض الخلفـاء ومتذوقى الشعـر، فاننـا سنلحظ مبدأ آخر لدى اللغويين فى موقفهم من الشعر المحدث.

فالمعـروف أن هناك جهوداً حثيثة تمت فى أواخر القرن الهجري الاول وبدايات القرن الثانى نحو جمع اللغة وتدوينها والتصنيف فى مبادئها واصولها اعتماداً على الاتصال بالبادية والأخذ من أفواه الأعراب فيها، واتخـذ هذا الجهد الطابع العلمي المنظم فى كل من البصرة والكوفة، وكان لذلك أثره على النقد واصوله فى تلك المرحلة، بحيث اصبح طابع النقد لدى جيل من العلماء طابعـاً لغـوياً ونحـوياً خاصة فى المراحل الأولى من الجمع والتدوين[١٥].

ومن المعلوم أيضـاً، أن عرب الجاهلية والصدر الاول من الاســلام كانـوا يعتمـدون على الفـطرة والسليقة فى التعبير اللغوي، ولكن اختلاطهم بأقوام تعلمـوا العـربية تعلمـاً، بعد اتساع رقعة الاسلام وتفاعل العرب مع غيرهم من الشعوب، عزز التوجه اللغوي ووضع اللغويين أمام مسؤوليتهم الجديدة، فحاولوا ان يبسطوا سلطانهم على الشعراء والادباء، ويقفوا فى طريق الانحراف باللغة عن مبادئها وأصولها.

ولم يكن هؤلاء اللغويون، في الواقع، من ذوي الاهتمامات اللغوية والنحوية فقط بل كان عدد كبير منهم من رواة الشعر ومتذوقيه، وكانت لهم آراء نقدية شديدة المساس بحقيقة الشعر، وإن كان اغلب هذه الآراء ذات طابع لغوي، كما سنلاحظ.

لقد أخضعوا الشعراء للقواعد اللغوية والنحوية التى استنبـطوهـا باستقراء التراث اللغوي والأدبي، وهـذا حق من حقوقهم بناء على حرصهم على هذه اللغـة التى نزل بها كلام الله، وكـانـوا يرون أن المحـافظة على هذه اللغة محافظة على القرآن نفسه، ولكنهم فى واقع الأمر غالوا فى هذا الاتجاه حين ربطوا بين واقع التراث اللغوي وبين الأدب الذى قيل فى عصرهم، إذ أرادوا أن يكـون هذا الأدب خاضعـاً للاصـول اللغـوية والفنية التى صدر عنهـا الأدب الجاهلي والإسلامي فى صدره الأول.

لقد كان من حقهم أن يتحاكموا إلى أصول اللغة

وقواعدها فى النظر إلى الشعر الذى قيل أواخر العصر الاموي والعصر العباسي، فيرفضوا ما خالف هذه القواعد والاصول ويقبلوا ما انسجم معها، ولكنهم اكتفوا بالرواية عن الأدب القديم وبهروا به وجعلوه مثلهم الأعلى، وأزروا بكل جديد وعابوه.

كان يكفى - فى عرفهم - أن يكون الشاعر جاهلياً أو إسلامياً فيعد محسنا، فاذا كان من الشعراء المتأخرين عد شعره مولداً لا يسوغ أن يستشهد به ولا يجوز أن يخضع للرواية والتدريس، بل إنهم تعصبوا للشعر القديم تعصباً أعماهم عن رؤية أية مزية للشعراء المحدثين.

يروى عن ابن الأعرابى أنه قال عن شعر أبى تمام: «إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل»[١٦]. وكان ابو عمرو بن العلاء يقول: «لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قد مت عليه أحداً»[١٧]، فكان مقياسهم مقياساً زمنياً لا يراعي الاجادة الفنية للشاعر، وهذا مقياس فيه تجن كبير على الحقيقة الأدبية وفيه تعصب للقديم لقدمه فقط.

هذا منهج اللغويين عرضنا إليه بإيجاز شديد، فى حين ان النقاد والأدباء كان حكمهم على الشاعر بمقدار اجادته او إخفاقه فى التعبير عما يجيش بنفسه وما يعتمل بداخله بغض النظر عن العصر الذى عاشه، هذا صاحب الوساطة يقول: «ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والأعرابي والمولد»[١٨].

نقول، إنه من الصحيح ان يغار اللغويون على اللغة العربية ويحافظوا على اصولها ويحتكموا الى هذه الاصول فى تقويم الشعر المحدث خاصة بعد ان شاع اللحن وبعدت الشقة عن هذه الاصول، ولكنه ليس من الصحيح أن يرفضوا الشعر المحدث حتى ولو كان محافظاً على هذه الاصول اللغوية، وكان ذنبه تأخره زمنياً عن شعراء الجاهلية وصدر الاسلام فقط.

وربما نجد العذر لأولئك اللغويين فى أنهم واجهوا فى هذا الشعر المحدث ظواهر ابتعدت كثيراً عما ألفوه من الشعر القديم، خاصة فى هذا التكلف والاغراب لدى ابى تمام وشعراء الصنعة فى العصر العباسى.

ومهما يكن فان قانون الحياة عموما يقتضي هذا التوازن بين الاسس القديمة وبين نبض الحياة الجديدة، بحيث لا يخرج الاديب على تلك الاسس خروجاً كلياً، ولا يتوقف عندها فقط، لأن ايقاع الحياة الجديدة يملي عليه ان يستجيب له بقدر ما يحافظ على تراث الاقدمين المتفاعل مع ذاته.

عمود الشعر:

ينتهى بنا الحديث عن الأسس التى اعتمدها محبو الأدب القديم الى ما سمى بالنقد العربى بـ (عمود الشعر) وهو امتداد لاتجاه الطبع والفطرة الذى قال به الادباء والنقاد وللاتجاه اللغوي الذى انطلق منه اللغويون، ولكن هذا الاساس قام على اصول نظرية محددة أصبحت اداة بيد النقاد فى المراحل التالية فى تقويم الشعر والحكم على جودته.

والآن نريد أن نمتحن هذه الاسس التى قام عليها عمود الشعر، ونرى الى أى درجة فهمت على حقيقتها لدى النقاد القدامى والمعاصرين.

لم يحدد النقاد القدامى المقصود بمصطلح عمود الشعر على وجه الدقة، ولم يعرفوه تعريفاً واضحاً الا ما جاء فى مقدمة المرزوقي فى شرحه لحماسة أبي تمام. وهو تعريف يحيط به الغموض، مما جعل النقاد القدامى والمعاصرين يختلفون فى تحديد المقصود به تماماً.

قال المرزوقي فى ذكر الابواب السبعة لعمود الشعر: «إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والاصابة فى الوصف.. والمقاربة فى التشبيه، والتحام اجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما»[١٩].

ثم يشرح هذه الأبواب ويجعل لكل باب معياراً خاصاً، ولكن هذه المعايير فى الواقع تتداخل فيما بينها ويلتبس بعضها ببعض، ومع ذلك فالمقاييس التى اعتمدت فى هذا العمود تشبه الى حد كبير المقاييس التى اعتمدتها المدرسة الكلاسيكية فى النقد الأوربي

إبـان عصر النهضـة، حيث جعلت العقل المقياس الاول فى الحـكم على التجـربـة الأدبية من حيث مضمـونها وشكلهـا، ولا نريد أن نبحث الآن عن الدواعي الحضارية (السياسية والفكرية) التى دعت الى هذا التوجه العقلي، ولكننا نريد رصد هذا التشابه بين هذين الاتجـاهـين النقـديين فى بيئتين مختلفتين وزمنين مختلفين.

ويمكنك أن تلحظ هذا التوجه العقلي وضوابطه فى حديث المرزوقي عن اكثر من معيار حيث يقول (فعيار المعنى ان يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب)، (وعيار الاصابة فى الوصف الذكاء وحسن التمييز)، (وعيار المقـاربة فى التشبيه الفطنة وحسن التقدير)، (وعيار الاستعارة الذهن والفطنة)، فأنت مع الفهم والذكاء والتمييز والفطنة والذهن والتقدير، وهي كلها خاضعة لمراقبة العقل.

وليس هذا وقفاً على المعنى فقط بل على الأدوات الفنية والخيال أيضـاً، حيث اشـترط فى التشبيه بين الشيئـين أن يكـون اشتراكهما فى الصفات اكثر من انفـرادهمـا ليبـين وجـه الشبـه بلا كلفـة، كما قال المرزوقي، وفى الاستعارة اشترط مناسبة المستعار منه للمستعـار له، وهـذا حد واضـح للمدرسة العقلية وضوابطها، إذاً لا مجال للغموض والابهام، او التوليد المعنوي الذي يعتمد على الايحاء والرمز فى العلاقات بين الاشياء، وهذا ما يلحظ على مدرسة المحدثين فى العصر العباسي مع شيء من التحفظ حول قرب أو بعد هذه العلاقات وقدرتها على الايحاء فى شعر ابى تمام والمحدثين غيره.

ولكننـا لا ينبغي أن نفهم المقـولات النقدية فى عمـود الشعـر على اسـاس فهمنـا للقيم النقدية فى المـدرسـة الكـلاسيكية الأوربية، كما فعـل الاستاذ الدكتور محمد غنيمي هلال حين فهم كلمة عمر بن الخـطاب (رضى الله عنـه) فى وصفه لزهير بن أبى سلمى حيث قال عنه إنه (كان لا يمدح الرجل الا بما يكون فى الرجال). فهما على أنها دليل على ذكر المعاني العامة التى لا تتعلق بممدوح بذاته، بل هى صفات عامـة للجنس الانسـاني[٢٠]، على ما هو معلوم من خصـائص المدرسة الكلاسيكية، ولكننى أفهم من مقـولـة عمر هذه على انها تعبير عن عنصر الصدق الذى يلزم الشاعر فيه نفسه من حيث توفر الصفات التى يذكـرهـا فى الممـدوح نفسـه، باعتبـاره إنساناً متميزاً، وليس باعتبار تمثيله للصفات الانسانية العامة.

هذا ما يشـترك فيه المعـنى والخيال من حيث الوضوح ومراقبة العقل وصدورهما عنه، وهناك ابواب اخرى لها معايير تصدر عن مفهوم واحد، مثل عيار اللفظ، وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى، وعيار التحام أجزاء النظم، وهو مفهوم الطبع والفطرة والاستعمال والدربة، وهذا ما يلحظ على مدرسة عمود الشعر فى نماذجهـا الجـاهلية والإسـلامية فى أغلب الأحوال، حيث نجد الالفة والبعد عن التكلف وطلب الحوشى والغريب من الألفاظ لذاتها.

ويرتبط بهذا المفهـوم حديثهم عن القافية حيث (يجب ان تكـون كالمـوعود به المنتظر يتشوفها المعنى بحقه واللفظ بقسطه)[٢١].

وهـذه مسألة جوهرية فى الاختلاف بين مدرسة عمود الشعر ومدرسة المحدثين الذى تصنعوا وتكلفوا كل غريب حتى بلغوا حد التحمل والاستحالة، على انه لا ينبغي ان يفهم من كلامنا هذا أن نماذج عمود الشعـر تخلو من الصنعة تماماً، لانه لا يخلو فن من الصنعـة، ولكنه فرق بين الصنعة بالدرجة الطبيعية التى تلحظ فى شعراء الجاهلية وصدر الاسلام، وبين التصنع والتصنيع الذى وصل إليه الشعر فى العصر العباسي وفيما بعده.

■ هذه هى الأصـول النقـدية التى مثلها مصطلح عمود الشعر فى النقد العربى القديم، وهي اصول رأى المحدثون من الأدباء أنها غير ملزمة لهم فى كل تفـاصيلهـا، والحق أنهم لم يثـوروا عليها كلها، بل خرجـوا عنها فى شيئين اثنين هما: الغلو في البديع، والبعد عن الوضوح بتكلف الاستعارات الذى تولد عنه الغموض فى بعض الأحيان.

ومهما يكن فان هذا الخروج لم يكن خروجاً كليا على قواعـد الشعـر العـربى القديم من حيث لغته

وموسيقاه وصوره، في الشكل الذى عرفناه في بعض حركات التجديد في العصر الحديث بتأثير من صلتنا بالآداب الأوربية.

والـذى يبـدو لي من معـارضـة بعض النقـاد واللغـويين القدامى لاتجاه المحدثين وخروجهم على خصائص الشعر القديم، أن الحركة التجديدية عند بشـار بن برد وأبى نواس واضرابهما ارتبطت بموقف أخـلاقـي وسـلوكي يتعـارض مع قيم المجتمـع الإسلامي، وكان معظم النقاد واللغويين من الملتزمين بهذه القيم والحفظة عليها، نقول هذا على الرغم من أن الحكم السائد في معظم الدراسات النقدية الحديثة هو ان النقـد العـربى القـديم يفصل بين الاخلاق والفن، وأن هذا النقـد كان في معـظمـه نقـداً فنياً محضـاً. ولكن الاستقـراء الكـامـل للآثـار النقدية القـديمـة، ومعـرفـة الـروح السـائـدة في الحضـارة الاسلامية يؤكدان أن الذوق الادبي والحكم النقدي لم يكونا بعيدين عن تحكيم القيم الاسلامية ومن آثار هذا التحكيم كان النفـور من اتجـاه المحـدثين من شعـراء المجـون والزندقة والساخرين بقيم المجتمع الاسلامي[٢٢]، على أنه من الحق القول أن المحدثين لم يكونوا سواء في هذا الخروج على قيم المجتمع، فقد كان ابـو تمام، مثـلا، شاعراً متزناً وصاحب دين، ولكن معـارضته جاءت من باب غلوه في استخدام البديع والاغراب في الاستعارات.

على أنه، مهما يكن من طبيعة هذا الصراع بين تيار المـدرسـة التى تميل الى قيم الادب القـديم، والمدرسـة المجـددة، فانه صراع في حدود المجتمع الاسلامي الذى يتفاوت فيه التزام الناس بالاسلام، ولكنـه لم يبلغ الامـر بالشعـراء ان يخرجوا على قيم التوحيد، أو يدعوا الى نبذ القيم الاجتماعية السائدة كلها والاعتماد كلياً على قيم مستوردة، كما حدث في العصر الحديث، حين صارت أوربا قبلة الناس في الفكر والمشاعر والسلوكيات، وهو ما تعانى منه الامة الاسلامية منذ قرنين من الزمن، وإلى يوم الناس هذا.

الهوامـــش

(١) الحيوان، جـ١، ص٧٤، ينظر شوقى ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط٧، س٢، ص٣٨.

(٢) ينـظر فصل (أغاليط االشعراء) في الوساطة بين المتنبي وخصومه للقـاضي على بن عبـد العـزيز الجـرجـاني، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبى، القاهرة، ط٤، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، ص٥.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، جـ١، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م، ص١٩، حيث يروي المناظرة بين اهل مكة وابن مناذر الشاعر البصري، الذى قال: اما ألفاظنا فأحكى الالفاظ للقرآن. «وينظر كتاب الدكتوره ابتسام مرهون الصفار، اثر القرآن في الأدب العربي في القرن الاول للهجرة.

(٤) د. شوقى ضيف، التـطور والتجـديد في الشعـر الأمـوي، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٨١، ص١٦٥.

(٥) حركات التجديد في الادب العربى، مجموعة من الاساتذة، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٧٥، ص٤٢،٤٤.

(٦) د. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، مطبعة نهضة مصر، ط؟، ١٩٧٢، ص٧٥.

(٧) مقال الدكتور حسين نصار (التجديد الحضاري، ثورة أبى نواس) في حركات التجديد في الأدب العربي، ص٤٨.

(٨) حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة، ط؟، س؟، جـ٢، ص٣٥.

(٩) د. شوقى ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر االعربى، دار المعارف القاهرة، ط٧، ص١٥٧.

(١٠) د. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص١٠٧.

(١١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص١٩.

(١٢) د. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط٢، س؟، جـ٢، ص٩٠، وينظر الى المحاورة التى عقدها الآمدي بين صاحبي البحتري وابى تمام في مقدمة (الموازنة).

(١٣) ص١٥.

(١٤) د. محمد غنيمي هلال، دور الادب المقارن في توجيه دراسات الادب العربى المعاصر، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٥٦، ص٦.

(١٥) ينـظر، طه احمد ابراهيم، تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجرى، دار الحكمة، بيروت، ط؟، س؟، ص٤٩.

(١٦) محمد مندور، ص١٨١.

(١٧) طه احمد ابراهيم ص١٠٢.

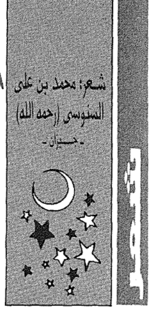
(١٨) ص ١٥.

(١٩) حماسـة ابى تمام، لجنـة التـأليف والترجمة والنشر، تحقيق أحمد امـين، وعبـد السـلام هارون، القسم الاول، القـاهـرة، ط١، ١٣٧١هـ، ١٩٥١م، ص٩.

(٢٠) النقد الادبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، ط؟، ١٩٧٣، ص١٧٢.

(٢١) مقدمة المرزوقى للحماسة ص١١.

(٢٢) الدكتور عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الادب الاسلامي، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص١١١ وما بعدها.



رمـضـان يا شهـر الـصـيـام الحـ
ـر من أسر الـظلام
أطـلق بأضـواء الهـدى
أسر الـنـفـوس من الحـطام
وأنـر بقـدسـى الـصـفـاء
رؤى الحـيـاة من الـقـتـام
وانـضـح عواطـفـنـا تقـى
واغـمـر نوازعـنـا وئـام
رمـضـان يا أمـل الـنـفـوس
الـظامئـات إلى الـسـلام
يا شهـر بل يا نهر ينهـل
من عذوبـتـه الأنـام
طافـت بك الأرواح سابـحـة
كأسراب الحـمام
بيض يجللهـا الـتـقـى
نوراً ويـصـقـلهـا الـصـيـام
رفـافـة كشـذى الـزهـور
نقـيـة كنـدى الـغـمام
شفـافـة الاحـسـاس قانـتـة
مهـذبـة الـكـلام
عزت على الأهـواء
وارتـفـعـت على دنيـا الـرغـام
وسـمـت إلى الـنـور الـذى
غمـر الـوجـود به ابـتـسـام
نور من الـفـرقـان يرفـعـهـا
إلى أسـمـى مقـام

آيـاتـه تشـفـى الـسـقـام
ولـفـظه يطفـى الأوام
رمـضـان معـذرة فإنا
لا وراء ولا أمـام
نمـنـا وأسرى المـدلجـون
ومـا عسـى يجد الـنـيـام؟
طال الـطريـق بنـا وضـل
وهـد منـكـبـنـا الـزحـام
ولـوى الـطمـوح عنـانـه
وانـقـد من يدنـا الـزمـام
سخـرت بنـا الأهـواء
وانـطلقـت تقـهـقـه فى عرام
وتخـاذلـت همم الـنـفـوس
فلا انـطلاق ولا اقـتـحـام
حال يغص بها الـكـرام
شجـى ويـبـتـهـج الـلئـام
رمـضـان رب فم تمنـع
عن شراب أو طعـام
ظن الـصـيـام عن الـغـذاء
هو الحـقـيـقـة فى الـصـيـام
وهـوى على الأعـراض
ينهـشـهـا ويـقـطع كالحسام
يا ليـتـه إذ صام صام
عن الـنـمائـم والحـرام
واسـتـاك إذ يسـتـاك عن
كذب وزور وإجـرام
وعـن (الـقـيـام) لو أنـه
فيـما يحاولـه اسـتـقـام
رمـضـان نجـوى مخلص
للمـسـلمـين ولـلسـلام
تسـمـو بها الـصـلوات
والـدعـوات تضـطرم اضطرام
لله جل جـلالـه
ذى الـبر والمـنـن الجـسـام
أن يلهـم الـله الهـداة
الـرشـد فى كل اعـتـزام

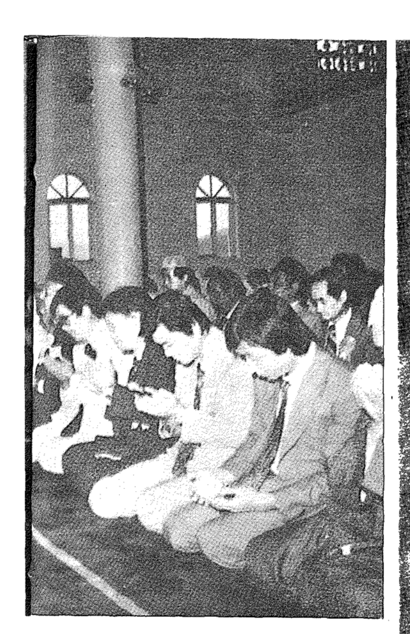
الصيام وأهميته في علاج الأمراض الاجتماعية

«اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربى وربك الله هلال رشد وخير»

(رواه الترمذى، وقال حديث حسن) .

بقلم: محمد صلاح على خليفة

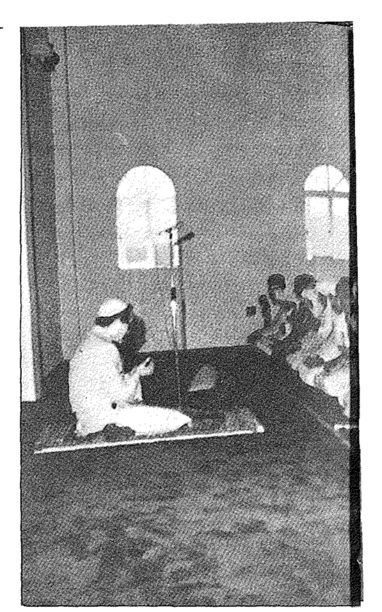
- القاهرة -



■ هكذا كان يقول رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، عند رؤية هلال رمضان أو هلال غيره . . ثم يقول صلى الله عليه وسلم «اذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى مناد: «**يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر**» (رواه النسائى والترمذى) .

والصوم عبادة روحية عرفته الأمم القديمة وفرضته الشرائع السماوية منذ أقدم الأزمان، مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة البقرة الآيات ١٨٣، ١٨٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات﴾ .

وهو من دعائم الاسلام الخمس لقول رسول الله ﴿ﷺ﴾ «بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة



وحج البيت وصوم رمضان» (رواه البخاري ومسلم).

والصوم يسمو بالنفوس المؤمنة إلى أوج المثالية الانسانية ويهدف أولا وقبل كل شىء إلى تحرير هذه النفوس من الشهوات الطاغية وتهذيبها وكبح جماحها عن الملذات الشاغلة والانغماس فى تيار النسيان الذى يملك على الإنسان حسه وعقله، وهو يتيح للصائم رقابة ذاتية نابعة من نفسه تبعده عن مواطن الزلل والخطأ وتقوده الى الخلق الحسن والسلوك الحميد إستجابة لفطرته الدينية، لقول رسول الله ﴿ﷺ﴾ «الصائم فى عبادة حين يصبح إلى أن يمسى ما لم يغتب مسلما أو يؤذه، فإذا اغتاب خرق صومه» وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ كفر ما قبله (رواه احمد وابن حبان).

ويقول صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» (البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

والصوم هو الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس لقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة البقرة الآية ١٨٧ ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل﴾، مع وجوب النية لقول الرسول ﴿ﷺ﴾ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى».

إنه يشبع فى النفس الاحساس بالانسانية ويدربها على التحلى بالايثار والتحرر من الانانية ويربى فيها المقدرة على تحمل المشاق، كما يحرر المؤمن من الرزايا والخطايا.. وهو بهذا يمثل أسمى درجات السعادة التى تتحقق فى الشعور بالمسئولية الاجتماعية والاخلاقية تلك السعادة المنبثقة من فضائل العمل والانتاج والاحساس بالواجب فيعمل الافراد والجماعات على توجيه قدراتهم نحو التعاون بدلا من الصراع.

■ إن العالم فى هذه الايام يمر بمرحلة دقيقة وبظروف عصيبة تفرض على الأمة الإسلامية أن تكون على حذر من التردى فى المعاصى، وعلى يقظة من الوقوع فى الشراك التى تنصب لهم مع مجابهة الصعاب التى توضع فى طريقهم ومقدرين فى الحسبان أبعاد الفتن والمغريات المزينة للمسالك والضروب لغواية المسلمين وفتنتهم عن دينهم الحنيف.. وهذا لا يتأتى إلا بنبذ ما تفشى بيننا من أمراض وعلل اجتماعية والتى كانت سائدة قبل الاسلام كأمراض النفاق والحسد والانانية وحب الذات واشاعة الاشاعات الكاذبة والانتهازية، والوصولية وعدم الانتماء والغش والخداع والتراخى فى العمل مما سبب الفقر والغيبة والنميمة وعدم الصبر على تحمل المشاق وغير ذلك من العلل والأمراض الاجتماعية.

فمجتمع ما قبل الاسلام كانت تسوده النزعة الفردية والتعصب القبلى والأنانية وحب الذات وما سبق ذكره من أمراض وعلل اجتماعية فكانت النتيجة التفرق والتقاتل والضعف مما جعلهم لقمة سائغة أمام الأمم الأقوى.

أمـا المجتمـع الاسـلامى فى عهـد رسـول الله ﴿ﷺ﴾ وصحـابتـه الأطهـار فقـد كان يسود أبناءه التحـلى بالصـبر والتضحية والايثـار والسعى الجـاد للعمل والصدق والأمانه وعدم الغيبة والنميمة وكافة الصفـات الحميدة ـ ذلك لأنهم تمسكوا بكتاب الله وسنـة رسـوله محمد ﴿ﷺ﴾ مصداقا لقوله تعالى فى سورة الاحزاب الآية ٢١ ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ وقوله جل ثناؤه فى سورة النساء الآية ١١٣ ﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾، فكانت النتيجة الاتحاد والقوة واقامة الدولة الاسلامية الفتية . . وفى عزلتى تتراءى لبصـيرتى مشـاهـد من مواقف النبى ﴿ﷺ﴾ مسجلة مواقفـه وسجـاياه وشـمائله موصولة بكتـائب الفتـوح الكـبرى التى حملت اللواء الأغـر فبلغت به ما بين وديان السنـد والرافدين والنيل الى اقصى المغـرب حيث رفعته على قمم الأطلس قبل نهاية القـرن الاول للهجـرة . . وهـذا لم يتـأت إلا بالعمل الجاد والكفاح الدائب . . مصداقا لقول الحق سبحـانـه وتعـالى فى سورة التوبة الآية ١٠٥ ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

■ وتـدور الأيام وتتغـير الأصول ويحيد الخلف عن طريق السلف الصالح ويهمل الأحفاد ما ورثوه عن الأجـداد من إسـلام صحيح وإيمان صادق وسمات حميدة أخرى كالتضحية والايثار والسعى الجاد للعمل وخـلاف ذلـك نظرا لضعف الإسـلام الصحيح فى القلوب واتبـاع النفس الأمارة بالسوء مصداقا لقوله تعالى فى سورة يوسف الآية ٥٣ ﴿وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم﴾ . . فكانت النتيجة التصارع والتفتت شعوبا ودويلات وكـان شيوع الفـواحش، فطمـع فيهم الـطامعـون وغزاهم المستعمرون، وبذلك يحق فينا قول الحق سبحانه وتعالى فى سورة الروم الآية ٩ ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانـوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾، وقوله جل ثناؤه فى سورة مريم الآية ٧٤ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا﴾. ﴿فأقم وجهك للدين حنيفـا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلـك الـدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم ٣٠).

فلكى نتخلص من متاعبنا ومشاكلنا يتحتم علينا التمسك بأمور الدين قولا وفعلا لأن الدين هو الفطرة التى فطر الحق سبحانه وتعالى الناس عليها وأن جميع تكليفـاتـه وعباداته إنما هى حلقات متماسكة تهدف جميعهـا إلى اعـداد وبناء الفرد المؤمن القوى الأمين حيث ان الحق سبحـانـه وتعالى قد شرع العبادات تحقيقا للآتى :

● تحسين العلاقة بين العبد وربه الواحد القهار ليقوم على عبادته والعمل بأوامره والبعد عن نواهية مصداقا لقوله تعالى فى سورة الفاتحة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

● تحسين علاقة الأفراد بعضهم ببعض على أساس من الخصال الحميدة لتحقيق الخلافة فى الأرض، ولا شك أن الصيام من العبـادات التى تقـوى الايمان وتزكى النفوس وتطهر الروح وتنظم السلوك . . وفى ذلـك يقـول الحق سبحـانـه وتعالى فى سورة المائدة الآيات ١٥ـ١٦ ﴿قـد جاءكم من الله نور وكتـاب مبـين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخـرجهم من الـظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.



وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: قال الله عز وجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وانا أجزى به، والصيام جنة، واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه» (اخرجه البخارى).

● **الصيام والصبر**: شهر رمضان أوجب الله عز وجل علينا صيامه وحبب إلينا قيامه.. فهو شهر الصبر على المعاصى والصبر على الشهوات والصبر على الطاعات.. أليس الصائم يكون ممتنعا عن المأكل والمشرب والمتع واللذات المباحة وهى فى ميسوره؟ أليس الصائم يكون ملتزما بالخلق الطيب مع التنزه عن اللغو والرفث واللهو والعبث.. مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخارى).

وقد حدد النبى ﴿ﷺ﴾ السلوك الحسن الذى يجب أن يتحلى به الصائم بأن يكون منهجه هو التخلى عن الرذائل والتحلى بالحلم والوقار والسكينة واجتناب الرفث وهو الفحش من القول والعبارات البذيئة النابية وترك الصخب وهو الصياح ورفع الصوت، فذلك علامة السفه والطيش - فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ كفر ما قبله» (رواه احمد وابن حبان).



واذا صدرت من غيرك إساءة لك فقابل السيئة بالحسنة وادفع بالتى هى أحسن وذكر نفسك بأدب الاسلام والتزم خلق الصائم وردد ما أمرك الرسول الكريم به فى هذا الموقف «فإن شاتمه أحد أو قاتله، فليقل: إنى صائم إنى صائم» (من حديث رواه احمد ومسلم والنسائى).

وأى صبر أجمل من أن يأخذ الصائم نفسه بهذا المنهج السوى فى عبادة روحية تعلو به عن درك عالم الحيوان الى مصاف الملائكة الأطهار.. وفى ذلك روى فى المباهاة بالصائم أن الله تعالى يقول «انظروا يا ملائكتى إن عبدى ترك شهوته ولذته وطعامة وشرابه من أجلى» كما ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة جل وعلا أنه يقول للشاب الصائم: «أيها الشاب التارك شهوته لأجلى المفنى شبابه لى أنت عندى كبعض ملائكتى».

فالصوم درس من دروس الصبر وتعويد المسلم عليه حتى يصير عادة وخلقا.. ودرس أيضا من دروس المراقبة لله وتربية الضمير على الأمانة ولذلك كان سراً بين العبد وربه.. وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة الزمر الآية ١٠ ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

● **الصيام والتعاون على عمل الخير**: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾.

فشهر رمضان يتميز بأنه شهر تلاوة القرآن ودرسه والتزود من علومه وشهر التجمع لتفهم أحكامه وشهر التعاون على أعمال الخير ومساعدة المحتاج والأخذ بيد الضعيف فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «من نفس عن مؤمن كربة من

كُرَب الدنيا نفس الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

واذا كان الله عز وجل قدر رمضان وعظمه بالقرآن الكريم الذى أوحى به فى ليلة تنزلت فيها الملائكة بإذن ربهم من عالمهم الروحانى ليكون معجزة الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ الخالدة فقد أراد لنا الحق سبحانه وتعالى أن نكون متعاونين ومتحابين لأعمال البر والتقوى ومبتعدين عن الرذائل والفواحش لقوله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾، كما ورد عن الرسول ﴿ﷺ﴾ فى الحديث الصحيح أن قال: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» وفى قوله «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

● الصيام مدرسة لتعليم السلوك الحميد:

حيث ان الصيام هو إمساك عن الأكل والشرب وما أحله الله عز وجل من لذائذ وفقا لضوابط وقتية محددة مع توافر النية إيمانا واحتسابا لوجه الله.. فيكون الصوم بذلك معودا الإنسان على احترام سلوك النظام.. وهو من أعظم الفضائل الاجتماعية التى تنبثق عن الصيام، نظرا لأن جميع شعائره ومعالمه تتسم بالنظام الدقيق والعمل المنسق الذى يدرب الصائم على أن يسلك فى حياته مسلك الدقه والنظام ويعتاد السلوك المنضبط فى جميع شئونه وعلاقاته مع الأفراد الذين يجمعهم نظام واحد فى الصيام.

كما أن الصيام يربى خلق الإرادة القوية التى تكسب الإنسان شجاعة وإقداما، فالإنسان ضعيف الإرادة لا يستطيع مواجهة الحياة مواجهة فعالة.

ونظرا لأن الصيام سر بين العبد وربه ـ بذلك يتربى فى المؤمن خلق الأمانة وخلق الصبر بتعود الإنسان على تحمل مشاق التكاليف ومطالب الحياة وشدائدها.. انه كذلك يربى خلق التضحية حيث يضحى الصائم بمطالب نفسه فى سبيل مرضاة ربه كابحا جماح شهوته منصرفا عن شيطانه وهواه.

وتلك صفات تتحلى بها الأمم التى تريد أن تنهض وتكون قائدة لغيرها، بذلك يكون الصيام محصنا للناس من مفاسد الأخلاق علاوة على اعداده لهم لمصارعة الشدائد ومواجهة أحداث الحياة.. وبذلك يكون الصيام مدرسة للتربية النفسية والخلقية والاجتماعية تتردد فى جنباتها دروس عالية السمو غالية فى الفضائل الإنسانية التى تكفل للحياة أن تسير سيرا آمنا.

● الصيام والاخاء الدولى:

ترتكز فلسفة الصيام الى أعمال التدبير والروية والعقل.. ولا شك أن التدبير يستلزم وجود القياس بكل مظاهره وصوره وهذا يتطلب تحديد الحاجات وترتيبها مع حصر الموارد وتصنيفها بهدف إشباع الحاجات بأعلى كفاية أى بأقل وقت وجهد ومال.. وهذا يكون على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع الأعلى درجة (سواء أكانت أسرة أم بلده أم دولة).

ونظرا لأن الموارد والامكانيات على مستوى الفرد الواحد وما يعلوه محدودة ومتناقصة فإنه يستلزم معه حتمية الإخاء والتعاون مع الآخرين حيث ان الإمكانيات الإنسانية وحدها قاصرة على توصيل الانسان إلى ما يتمناه ويرغب فيه.. ومن هنا كان صفاء النفس وتطهرها من النزوات والهوى أفضل وسيلة للوصول الى رضا الحق عز وجل، فالاسلام قد جاء لخير الدارين ورسم طريق الحياة فى الدنيا والآخرة وأمر بالعمل الصالح فى الدنيا ليسعد الانسان ومن حوله وليجزيه الله بالثواب فى الآخرة.

فليس الهدف من الصيام هو الحرمان من لذات الحياة والامساك عن الطعام والشراب فقط، وانما وسيلة إلى ما هو أسمى وأجل.. غايته فى ذلك هو أن

نتعلم الصبر والاحتمال على مكاره الأمور وزلات الأيام والقوة والثبات على مصائب الدهر وفلتات الزمان وأن نشعر بالعطف والرقة نحو الفقراء والمساكين والرحمة والحنان إزاء المحتاجين والمعوزين.

فعندما يكون الانسان المسلم صائما يشعر أن أخاه المسلم الفقير انما هو صائم طول الدهر، فحينئذ تأخذه الشفقة على أخيه المسلم وتراه مندفعا اليه لمساعدته، وترى الانسان المسلم الذى يصوم رمضان يحس بما أحس به أخوه المسلم الفقير ويشعر بما يشعر به أخوه المسلم المحتاج، ففى هذه الظروف يسرع الغنى الى مشاركة الفقير ويخفف بعضا من آلامه وهمومه، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» فاذا ما عمت هذه الخصال الحميدة فى نفوس الافراد انعكست سماتها على سمة المجتمع الكبير والذى بدوره يقوم بتطبيقه مع غيره من المجتمعات الأخرى محققا بذلك دولية الاخاء والتضامن. . وبذلك يكون المجتمع الدولى مترابطا ومتماسكا لأن التراحم والتعاطف يحوطه من كل جانب بفضل حكمة الصيام.

وهذه الروح التى تسعى إليها الانسانية حاليا نرى السبق الإسلامى فى تطبيقها منذ البعثة المحمدية. . فالدول تحاول نشر هذه المبادىء بالشعارات ووسائل الاعلام ولكن شريعة الاسلام تعالت وتسامت عن كل هذا ورجحت أن يكون ذلك بالتدريب العملى والتجربة والمشاهدة حتى يكون المبدأ أقوى وأعمق وأسرع وأوضح للناس جميعا. . فكان الصيام خير دليل على نشر روح المحبة والاخاء والتضامن والتعاون بين الناس فى مشارق الأرض ومغاربها، مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة المؤمنون الآية ٥٢ ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾.

● **الصيام ومشكلة الفقر:**

ظاهرة الفقر من الأمراض الاجتماعية التى تنفرها الشريعة الاسلامية لآثارها المدمرة على حياة الأفراد والشعوب. فكثير من الفواحش يكون باعثها والدافع الأساسى إلى وقوعها هو العوز والحاجة. وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا» (رواه ابو نعيم فى الحليه) ويقول سيدنا علي كرم الله وجهه «لو كان الفقر رجلا لقتلته» كما ورد عن الرسول ﴿ﷺ﴾ أنه كان فى دعائه يقول «اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» (رواه مسلم).

وإذا كانت خيرات الطبيعة فى متناول الأفراد جميعا وأن كل فرد قدر له الحق سبحانه وتعالى من خيرات الكون رزقا ونصيبا مصداقا لقوله تعالى فى سورة هود الآية ٦ ﴿وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها﴾. ولما كان المال (الذى يتولد من العمل وليس المال الذى يتولد من المال ويرفضه الاسلام لكونه من أعمال الربا) وسيلة الى الخير وتيسير المنافع للناس. . فيلزم على الإنسان أن يسعى ليكتسب ويحصل على المال، ولا عذر لأحد فى ترك العمل بحجة أن الله قدر له رزقه أو أن هناك من الظروف القاسية ما يحول بينه وبين العمل فالحق سبحانه وتعالى يقول فى سورة الزلزلة الآيات ٧، ٨ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ ويقول جل ثناؤه فى سورة الملك الآية ١٥ ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور﴾ ويقول عز من قائل فى سورة التوبة الآية ١٠٥ ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ وقوله جل علاه فى سورة الكهف الآية ٣٠ ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾.

فالانسان له حاجات أساسية يلزم توفيرها ليتمكن من الحياة ويتمكن من تأدية الفروض المكلف بتنفيذها من قبل الحق سبحانه وتعالى فى عمارة الكون ليكون خليفة الله فى أرضه ـ وهذه الحاجات الأساسية تتمثل فى المأكل والمشرب والكساء والمأوى إمتثالا لقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة طه الآيات ١١٨، ١١٩ ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾، أضف الى ذلك أنه فى جانب اليسر أن جعل له الحق سبحانه وتعالى كل ما أخرج له من الطيبات لقوله تعالى فى سورة الاعراف

الآية ٣١ ﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ وقوله جل علاه فى سورة الاعراف الآية ٣٢ ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.

اذن المسلم مطالب بأداء الأنشطة الاقتصادية وذلك عن طريق السعى والعمل للأعمال الحلال والمشروعة علاوة على ما تقرره أحكامه الشريعة الإسلامية كالزكاة والإرث والهبة... الخ، والرسول ﴿ﷺ﴾ يأمرنا بالعمل والحث عليه فيقول «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه» (متفق عليه)، من ذلك يتبين أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تحثنا للسعى إلى العمل لسد الحاجات ومنعا للعوز وتمكينا للإنسان من تأدية رسالته فى الحياة الدنيا كما رسمها له الحق سبحانه وتعالى ولما كان شهر رمضان هو شهر القرآن لقوله تعالى فى سورة البقرة الآية ١٨٥ ﴿شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ فقد كان جبريل يأتى الرسول ﴿ﷺ﴾ كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، انه كتاب الله المعجزة الخالدة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيجب تدبرها وينبغى العمل على اساسها والتذكر عن طريقها لقوله تعالى فى سورة (ص) الآية ٢٩ ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾.

والسعى إلى العمل يتطلب فى القائم به أن يكون صحيحا فى بنيته وتفكيره ويعمل بوازع من ضمير حى يقظ لكى يؤتى العمل ثماره وهذا كله يحققه الصيام.

● **الزكـاة:**

التوازن بين الطبقات فى المجتمع يحقق الحرية وينشر العدل والمساواة وينزع الاحقاد من الصدور ويثبت بين الناس دعائم الأخوة والمودة ولهذا شرعت الزكاة.. وكان النبى ﴿ﷺ﴾ وصحبه الكرام لا يعيشون لأنفسهم وانما يعيشون لغيرهم يعطون كل محتاج ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يمشى فى المدينة ليلا ليعرف فقيرا يبيت على الطوى فيطعمه من جوع أو يجد أرملة تربى أيتاما ضعافا فيعينها على سد حاجتهم.. ومن انواع الزكاة «صدقة الفطر» وهى واجبة على كل فرد من المسلمين صغيرا أو كبيرا ذكرا أو أنثى. حرا أو عبدا، وتجب بالفطر من رمضان.. فقد روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما «فرض رسول الله ﴿ﷺ﴾ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين».

وقد شرعت فى شعبان من السنة الثانية للهجرة لتكون طهرة للصائم مما عسى أن يكون قد وقع فيه من اللغو والرفث ولتكون عونا للفقراء والمعوزين.. ففى الحديث عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال «فرض رسول الله ﴿ﷺ﴾ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات» وصدق الحق عز وجل أن قال فى سورة المعارج الآيات ١٤، ٢٥ ﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾، ويقول جل ثناؤه فى سورة الفرقان الآية ٦٧ ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾.

من ذلك يتبين أن الصيام قدم أساليب تطبيقية وعلمية فى محاربة مشكلة الفقر بهدف رفاهية الانسان وذلك بالحث للسعى الى العمل المشروع الحلال وخلق الظروف الملائمة صحيا واقتصاديا واجتماعيا لانجاز الأعمال وبذلك تكون النتيجة وفرة الإنتاج فى مقابل الاستهلاك فيتحقق عن ذلك وجود مدخرات لتكون دعامة بناء الدولة الاسلامية الفتية فى أجواء يسودها المحبة والتضامن والاخاء والتضحية والإيثار وغير ذلك من الصفات الحميدة.

قيل لزين العابدين رضي الله عنه: إنك من أبر الناس بأمك فلماذا لا تأكل معها في صفحة واحدة؟ فقال: إني أخاف والله أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عيناها إليه فأكون قد عققتها.

مراجــع البحــث

● القرآن فى شهر القرآن ـ د. عبد الحليم محمود.
● الاقتصاد فى الإسلام ـ د. على الخطيب، الاقتصاد الاسلامى ـ أ. عبد السميع المصرى.
● مقالات منشورة للباحث فى المنهل الغراء عدد المحرم ١٤١٣هـ ـ منار الاسلام الغراء اغسطس سنة ١٤١٢هـ صفر ١٤١٣هـ.
● مقالات اقتصادية ودينية للباحث منشورة بالمجلة التمرية فى جميع الاعـداد بدءا من عام ١٩٩٠م وحتى تاريخـه وجريدتى العمال، والاقتصاد والصناعة مايو، يونيو ١٩٩١م،
● جريدة الاهرام ١٨/٩/١٩٩٠م الفقه على المذاهب الأربعة ـ فقه السنة للشيخ سيد سابق.

● القراءة الأدبية بين المتعة والفائدة ـ بقية المنشور ص٨٤

نماذج بشرية.. وأعنى بها الشخصيات.

لقد ورد فى أدبنا القديم تصوير للشخصيات كبخلاء الجاحظ وأذكياء ابن الجوزى، والحمقى والمغفلين وغير ذلك.. ولكننا نقرؤها على أنها نماذج بشرية مجردة.. أى ليست أشخاصا بذواتهم.. تماما مثل الشخصيات المجردة التى وصف الجاحظ طبائعها لأبي الوليد محمد بن أحمد بن داود في رسالة «المعاش والمعاد» ليبين له الطبائع التى ركب عليها الخلق وفطرت عليها البرايا كلها.

أما النماذج التى نقرؤها فى القصص أو نشاهدها فى المسرحيات والتمثيليات فهى نماذج بشرية لا تقف عند حد التجريد.. إنها واقعة.. أعنى أشخاصاً يفعلون ويتحركون، يبلغ بنا الوهم ونحن نتفاعل معهم أنهم فينا نحن.. منا.. وبين ضلوعنا.. وهنا تكون الخطورة فى أن لا ندرك أنما يلحق بهم من صفات (فضائل أو رذائل)، (عواطف أو انفعالات) إنما جاء مكثفا.. ففي تصوير بخيل يجمع الكاتب صفات بخله في أعوام كثيرة لتعرض في ساعتين أو أقل.. وكذلك في تصوير مكيدة امرأة لأخرى تعرض أحداث أعوام في دقائق.. وهذا كله يعنى أن التركيز والتكثيف في الصفة المراد إبرازها عنصر هام فى عرض تلك الشخصيات.. ومما لم ندرك هذا العنصر قد يختل توازننا ونتصرف ازاء المواقف المماثلة في حياتنا تصرفات مبالغ فيها بنيت على الوهم الذى عشناه ونحن نقرأ أو نشاهد تلك الأعمال.

لا أعنى بذلك أن أعرض بهذا اللون من الأدب.. على العكس انه ينم عما تضرم به أرواح كتابه ومؤلفيه من نشاط انسانى دائم لا يستقر ولا يهدأ. علينا فقط أن ندرك أنهم يقدمون ما يمكن أن نصير إليه ان لم نبصر ما نحن عليه.

■ إن الأحداث التى تدور فى العالم من حولنا، ويتناولها الأدب، أحداث معقدة كل التعقيد تحتاج ـ لكى نفهمها حق الفهم ـ أن نعبىء لها كل طاقاتنا لنظفر بمعناها العميق.. ولن يتحقق لنا ذلك إلا إذا قرأنا.. وقرأنا وقد انمحى من نفوسنا ذلك الزعم الخطير بأن الأدب مسلاة وتزجية للفراغ.. وقرأنا وقد انمحى من نفوسنا ذلك الزعم الخطير بأن الأدب أن يكون وسيلة للتلقين وزرع الأيديولوجيات.. قرأنا.. وقرأنا وقد اندمجت نغمتا المتعة والفائدة في كل عمل يؤدى وظيفته بنجاح، فليست متعة الأدب إحدى المتع المفضلة فى قائمة ما، ولكنها متعة رفيعة مقرونة بالتأمل الاكتسابى.. وليست فائدة الأدب من نوع الواجب أو الدرس أو الجدية.. إنها جدية الادراك الحسى.. جدية الاحساس بالجمال.

الهوامـــش

(١) ص ١٣٨ الأدب الكبير، وأظن أن اسامة بن منقذ ذكر شيئا قريباً من هذا فى لب الآداب.

* أقرب الى مناهج البحث العلمى عندنا (ص٦٦، ٦٧ الادب الكبير).

(٢) مما ذكره د. ابراهيم حمادة: مقالات فى النقد الأدبى (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٥٣) استنادا الى نورمان فورستر ان هذه النواحى جعلت حياة الانسان ـ الغربى ـ «بهيمية» ومقرفة.

(٣) ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم: ادب الكاتب (تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ص١ متن.

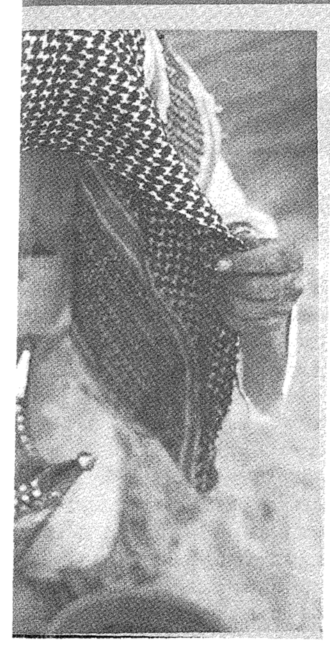
(٣) محمد غنيمى هلال: قضايا..، ص١٥٢.

(٤) ابراهيم حمادة: مقالات، ص١٤٤.

(٥) السـابق: ص١٥٠.



خواطر حول رمضان



هذه خواطر رمضانية مرسلة . . لا يقيدها منهج ، ولا ينظمها نظام، ولكن تربطها الأحاسيس المختلفة حول هذا الشهر العظيم.

وهذا الشهر العظيم، شأنه شأن أى شىء عظيم فى الدنيا . . له محبون . . وله كارهون . . وبين المحبين والمبغضين، أناس اتخذوه عادة . . فلا أبدوا حباً ولا كرهاً . . ولكنهم ما شعروا به ولا بشخصيته كما ينبغى أن يشعر المحبون.

وكأى شخصية عظيمة فى الكون، فإن فى رمضان صرامة وحزماً . . فهو جاد كل الجد، فى بياض نهاره . . منذ الخيط الأول من الفجر، حتى غياب الخيط الأخير من ضوء النهار . . فإذا انتهى وقت مهمته . . أو صرامته . . انفرجت أساريره . . وبش إلى أصحابه . . وأفرحهم بكل ما لذ وطاب . . من طعام وشراب.

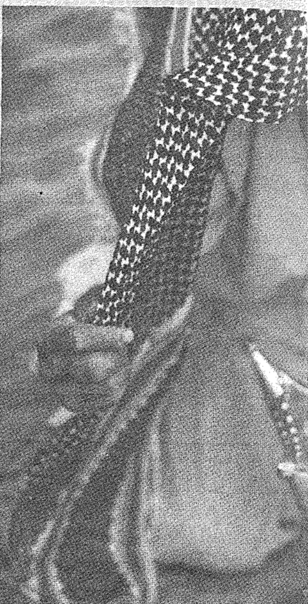
وهو مع كرمه وسخائه، لا يحب الاسراف ولا التبذير . . ولا وضع الشىء فى غير موضعه . . يحب الدقة والنظام فى مواعيده . . ويريد منا أن نتعود عليها . . وأن نعرف أن للمواعيد حرمات . . وأن لكل شىء من الأشياء ميقاتاً . . وأن لكل أمر حدوداً . . وهو يريد أن يربطنا بالله تعالى منذ الفجر حتى الغروب . . ثم يريدنا أن نعود إلى الله عشاء . . فنتعبد له ذلك التعبد الفريد عن طريق التراويح . . وهى الصلاة النفلية الخاصة به.

والأخطاء التى يقع فيها بعض الناس، أو معظمهم، فى فهم رمضان، لا ينبغى أن تنعكس جريرتها على الشهر الكريم . . فمن الناس من حول نهار رمضان الى نوم . . وليله الى سهر . . وربما جعل سهراته صاخبة . . وهذا العمل ليس من سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾.

فإن رمضان الإسلامى . . رمضان الخالص من الشوائب . . لم يكن كذلك . . فهو شهر معتدل، ويعلمنا الاعتدال . . فلا حرج على الناس أن يصيبوا فى نهاره، نصيباً من الراحة . . ولا حرج عليهم فى ليله، أن يصيبوا شيئاً من الترويح بعد التراويح . . ولكن الحرج كل الحرج أن يساء فهمه، فنمعن راحة، أو نوغل ترويحاً . . ولكن ما دخل الرفق أمراً إلا زانه . . وكما كان رمضان المبارك موسماً للعبادة . . والصلاة فقد كان ومازال موسماً لأشياء كثيرة . . فهو أيضا موسم للأحداث التاريخية . . وليرجع من شاء إلى السيرة النبوية ليعلم أن الوحى



بقلم: أ. عبد العزيز الرفاعى



إنما نزل بادىء ذى بدء فى رمضان، وأن ليلة القدر فيه، وأن النصر الكبير للمسلمين فى بدر، إنما وقع فى رمضان، وكان التمهيد الحقيقى للفتح العظيم، فتح مكة، الذى كان فى رمضان أيضاً.

ورمضان موسم حفظ القرآن الكريم، ومذاكرته، واستذكار ما يتصل بعلومه.. بل هو أيضاً موسم العلم والتعلم والوعظ، ونشاط حلقات المساجد.

وقد يتخذ الشعراء والأدباء من السهرات الرمضانية موسماً لأشعارهم ومحاوراتهم، وقد يكون رمضان ذاته محوراً للحديث أو الشعر.. وقد يصفون طعامه وكنائفه وقطائفه.. ومنهم من يعتدل أو من ينحرف.. أو يغلو، ومنهم من يرضى على رمضان فيمتدحه، ومنهم من قد يضيق به ذرعاً إن لم يذهب إلى أبعد من ذلك.. فيكون من الغاوين.

وقد أفرد بعض المؤلفين لرمضان مؤلفات خاصة، وإن كانت الحصيلة فى هذا الباب ليست كثيرة على حد علمى، فجاءت مؤلفاتهم أنواعاً وألواناً، فى الدين والوعظ، أو فى وظائف الشهر، أو فى طرائف الشعراء.. الخ.

ولا أعرف ما إذا كان قد عنى أحد بوضع فهرسة عما ألف عن رمضان، وما دار حوله من موضوعات؟.

أما إذا كان الجواب بالنفى، فحبذا لو عنى أحد الباحثين بذلك، فإنه سيخرج بحصيلة جيدة.. ويسدى إلى العلم يداً رمضانية جديدة.

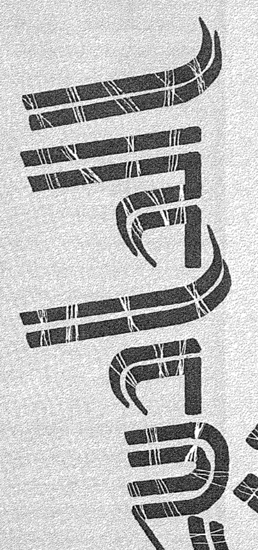
ولرمضان فى الحرمين الشريفين طابع مميز.. ساعة الافطار.. يكاد يشترك المصلون فيها فى طعام واحد. يتهادون الطعام أو يتبادلونه، ويتجلى العطف على الفقير بأجلى صوره، وأجل معانيه.. ثم تكون صلاة التراويح متى حان حينها، ولا نظير للتراويح فى الحرمين الشريفين..

وفى بعض البلاد العربية، تشيع عادات وتقاليد ينفرد بها رمضان.. وربما أخذ بعضها فى التلاشى.. وذلك كالمسحراتى.. الذى ينقر على طبلته فى وقت السحور ليوقظ النيام، ليتناولوا سحورهم.

إن شخصية رمضان المميزة، جديرة بأن يكون لها معجم رمضانى، يأتى على كل ما يتصل برمضان، مبوباً على حروف الهجاء..







- حياتي كلها مرتبطة بالدادية قبـ
وأثناء وبعد ظهور الكلمة نفسها. تريستا

- الدادية تمثل حركة رفض للقيـ
التي اعتمدها الفن والادب في العصر
الحديث.

- الدادية فوضى وانفراط لعقد النظـ
الاخلاقية والتعبيرية.

- مسرح العبث تتحرك فيه
شخصيات خالية من الابعاد النفسيـ
والمشاعر الانسانية.

«دادا» كلمة اختارها واطلقها الكاتب الفرنسي الروماني الأصل (تريستان تزارا) ١٨٩٦ - ١٩٦٣م، وقد وقع اختياره على هذه الكلمة لسبب غريب، هو خلوها من المعنى، وذلك ليطلقها على هذه الحركة التي بدأت على يديه في مدينة زيوريخ بسويسرا عام ١٩١٦م، وتعتبر الدادية بوجه عام حركة هجوم ورفض للقيم التي يعتمد عليها الفن والأدب في العصر الحديث.

بقلم د. حسناء ابراهيم

ولعل السبب الجوهرى وراء حركة المعارضة العنيفة هذه، يكمن في الفوضى التى سادت العقول خلال الحرب العالمية الأولى، والرغبة في قلب النظم الاجتماعية والأخلاقية التى ثبت فشلها، أما من الناحية الجمالية وفيما يتعلق بالفن بصفة عامة، فقد كان الهدف هو القضاء على جميع أشكال الفنون عن طريق الدعوة الى العنف والتعسف والانطلاق من كل قيد، واذا كانت باريس قد شهدت بعض المعارض الدادية، فان هذه الحركة ظلت في المقام الأول حركة أدبية.

تهدف الدادية إلى تدمير اللغة، أو على أقل تقدير تدمير أشكالها العتيقة الجامدة، ونظام الروتين أو (الكليشيهات) الذى صارت إليه اللغة وأصبح زنزانة للعقول والأفكار، ومن ثم كان لابد من القضاء على قواعد النحو والصرف، فينبغي أن يعاد الى الكلمات أيضا حريتها.

وقد سلكت الدادية في حملتها مسلكا فكها، يقوم على الهزل والفضيحة فالكلمات لا تختار لمعناها ولا لمضمونها الفكرى، وانما هى توضع الواحدة بجوار أختها، لا يحكم النظم منطق ولا عرف، فالدادية دعوة الى كل غريب مستهجن، فالدادى «ينام فوق الأمواس.. ويتصف بالبله.. ويأخذ حمامات من الدقائق المقدسة، ويسعى للهزيمة، ويكون الأخير دائما، ويدعو بعكس ما يطلب الآخرون».

هذا وغيره كثير من أساليب حياة الدادية والداديين، مما نشر فى منشوراتهم السبعة التي تعتبر من أهم الوثائق على هذه الحركة التى كانت بمثابة تحول فى التفكير الغربي وفى العقلية الأوربية بشكل عام.

وبالرغم من الانتشار الذى حققته هذه الدعوة، وبالرغم من ظهور حركة مشابهة في نيويورك، وثالثة فى ألمانيا، الا أن الدادية لم تلبث أن استنفدت طاقتها فى الهدم والتدمير، وتفرق عقدها وتشتت وانفض عنها أهم أعضائها، وتحولوا الى حركة أخرى هي السريالية.

والذى يهمنا فى حركة الدادية، هو أنها حركة من حركات المعارضة الكبرى فى العصر الحديث، أدت الى ظهور المسرح المعاصر بشكله المعروف، ولكن طبيعة الحركة الدادية التى تسعى الى التدمير لا تتفق مع الفن المسرحي الذى يقوم على التعاون والبناء، ومن ثم كان انتاج الدادية من المسرح ضئيلا لا يكاد يذكر، ولكن ذلك لم يمنع الداديين من أن يتخذوا من منصة التمثيل منبرا لدعوتهم ولاثارة الجماهير، وبذلك ومن خلال سعي الدادية الحثيث إلى تجديد أنماط الحياة وأشكال الفن، أحدثت فى مجال المسرح تجديدات هامة تركت بصماتها واضحة في المسرح المعاصر.

ولعل من أهم ما أدلت به الدادية في هذا الصدد، هو أنها فتحت المجال أمام التجارب المسرحية الحديثة أيا كانت، وكانت الفلسفة الجمالية التى تعتمد عليها هذه الحركة هي أن تستثير مشاعر المشاهدين وتستفزهم وتدفعهم دفعا الى المشاركة في العرض والتعبير عن آرائهم، فالدادية لا ترحب بالمتفرج السلبى الذى يأتي الى المسرح لمجرد المشاهدة والاستماع، ثم يعود من حيث أتى وكما أتى، بل ترى الدادية أن الجمهور معني بما يعرض عليه، وأن العرض يخصه، فلابد أن ينفعل به، ويعبر عن رأيه بالسلب أو بالايجاب، ولعل من أهم الأمور التي استحدثتها الدادية في ساحة الفن والمسرح بوجه خاص هو ما نطلق عليه اليوم التلقائية:

«الاستيلاء على الانسان، وهو في حالة عدم التوازن، وبلوغه وهو فى حال التشتت وعدم الاتصال، فى غمرة تناسقه وترابطه البدائي، قبل أن تتضح له فكرة التناقض (...) تحويل اتساقه

المنطقي المكتسب الى اتساق عبثي فطرى أصيل».

والقضية كلها تكمن في ايجاد الوسائل التى يتحول بها المشاهد من السلبية الى الايجابية، وهذا فى حد ذاته يمثل أحد المبادىء الرئيسية التى يقوم عليها فن المسرح الطليعى فى الخمسينيات من هذا القرن.

المسرح الدادى

يضم المسرح الدادى، كما أسلفنا عددا قليلا من المسرحيات، وهذا الأمر ليس بالمستغرب، فنحن نعرف أن الحركة الدادية هي في جوهرها حركة سلبية معارضة رافضة، حركة عدمية هدامة، في حين أن فن المسرح، كما هو معروف يعتمد بالضرورة على نوع من التعاون البناء، ولم يحل هذا كله دون ظهور ثلاثة أسماء لامعة فى مجال المسرح الدادى ترك أصحابها آثارا هامة فى تاريخ المسرح، وهم: «تزارا) مؤسس الحركة، و(ريبيمون ديسيني)، ثم (جوليان طورما).

وقبل أن نتناول بالتحليل أعمال هؤلاء الكتاب الكبار الثلاثة لتقييم عطائهم فى الحركة المسرحية المعاصرة، يجدر بنا أن نلم المامة سريعة بكتاب المسرح الدادى الآخرين الذين أدلوا أيضا بدلوهم فى ميلاد المسرح الطليعى في الخمسينيات من هذا القرن.

كانت أول مسرحية عرضت فى سهرة دادية بعنوان: «**أبو الهول والانسان التافه**»، لمؤلفها المصور النمسوى (أوسكار كوكوشكا)، وقد وصف المؤلف مسرحيته بأنها «طرفة» وهي تعتبر مثالا للحركة التعبيرية الألمانية في بدء ظهورها.

كان مؤلف هذه المسرحية، الذى بدأ حياته مصورا ورساما ونحاتا، يتردد فى برلين على المنتديات الأدبية والفنية الطليعية، وكان يقرض الشعر، ويكتب للمسرح أعمالا يتجرد فيها من القيود اللغوية المتوارثة، مما يذكرنا فى وقت واحد (بألفريد جارى) من قبله و(يونسكو) من بعده.

واذا انتقلنا إلى كاتب آخر هو (إيريك ساسي)، نجده أيضا قد كتب مسرحية واحدة بعنوان: شرك المدروسة، حيث يعالج بطريقة غريبة فكاهية موضوع الاتصال والمفاهمة الذى يمثل جوهر المسرح، فنحن نرى الشخوص فى هذه المسرحية لا يفهم بعضهم بعضا، ومن ثم فالمؤلف يناقش قضية اللغة التى تعتبر من الموضوعات الكبرى الشائعة فى مسرح العبث، وبوجه خاص عند (يونسكو) و(بيكيت).

وهذا كاتب آخر هو (كليمون بانسير) وهو بلجيكى يعشق الفوضى أو البربرية، كما وصفه (آراغون)، كتب (بانسير) في عام ١٩١٨م: ملهاة، تؤدى بواسطة العرائس الحية على شاكلة مسرحية: أوبو ملكا، عنوان المسرحية: البهلوانات أو المشعوذون.

والحقيقة أن المؤلف يعترف بالفضل الذى يدين به للكاتب (الفريد جارى) حين يقول: «إن الأب (أوبو) وأعمال (جارى) الأخرى تلخص بكل قوة حياتنا أمس واليوم وغدا».

ومن ناحية أخرى، فان مسرحية (بانسير) تتسم بروح الفكاهة العبثية التى تقربها مرة أخرى من مسرحيات العبث المعاصر.

وهذا (إيميل ماليسبين) يصدر مجلة شبه سريالية، وينشر فيها دعوتين حول المسرح، كما يتصوره، مع مقتطفات من مسرحياته، والذى يهمنا عند هذا الكاتب أنه يحمل على المسرح فى عصره بسبب ما يسوده من رتابة تتعلق بموضوع المجال المكاني في المسرح، وقد تعرض (ماليسبين) لنوعية من المسرحيات تدور أحداثها على منصتين في وقت واحد.

ففى مسرحية له بعنوان: «**القارب العاطفى**» (١٩٢٤م) يعرض علينا شخوصا آلية، ويستخدم مكبرا للصوت، وأشباحا، وأرواحا هائمة، ثم إن طابع أداء القراقوز يغلب على الشخوص جميعا، فيبرز مثالبهم ويعزلهم في عالمهم الخاص، حيث نشاهد موت بعض الشخوص، ثم نشاهد بعثهم من جديد!!.

أما عن اللغة المستعملة، فهي لغة القراقوز التى تخلط بين الجد والهزل، وتمزج الأفكار الراقية بالعبارات السوقية المبتذلة، مما ينتج عنه نوع من

الفكاهة التي كان يدعو إليها من قبل (غيوم أبو للينير).

الحقيقة أن آراء (ماليسبين) حول الوسائل الفنية المسرحية واللغـات الـدرامية، وتـركيزه على أهمية الصوت، وإمكـانية الكتـابة في موضوعات تصلح للاذاعة، هذه القضايا كانت جديدة بالنسبة للعصر، ولكنها تركت بصمات واضحة في المسرح المعاصر، وبخاصة مسرح (صمويل بيكيت).

تريستان تزارا «مؤسس الدادية»

شاعـر فرنسي من أصـل رومـاني (١٨٩٦ - ١٩٦٣م)، بعد أن أنشأ الحركة الدادية التى اخترع اسمها كما أسلفنا، استقر فى العاصمة الفرنسية منذ عام ١٩١٩م، حيث أدت خلافـاتـه مع كل من (أنـدريه بروتـون) والسرياليين إلى قطيعـة فى عام ١٩٢٣م، بعد تأسيس الحركة الدادية شرع (تزارا) وزملاؤه في تنفيذ مخططهم لتدمير كافة القواعد الفنية والقيم الجمالية والأخلاقية والفلسفية والدينية، التى تعتمد عليها المجتمعات الغربية.

وسعيا وراء هذا الهدف، بدأ (تزارا) وأصدقاؤه، يعـبرون عن ثورتهم بحملة شعواء ضد اللغة، وقد نظموا لذلك «سهرات فنية وأدبية» فى معظم العواصم الأوربية وباريس بنوع خاص (منشور الحركة الدادية عام ١٩١٨م)، وقـد أحدثت هذه السهرات ضجة وضجيجا في أنحاء أوربا.

وقد جاء منشور الحركة الدادية الثانى فى ٢٦ مايو ١٩٢٠م متضمنـا مسرحية للشاعر (تريستان تزارا) بعنـوان: مغـامـرة السيد أنتيبـيرين السماوية، وفيها يعارض الكاتب بين «الشعر بوصفه وسيلة تعبير» وبين الشعر بوصفه «نشاطا ذهنيا»، كما تعرض المسرحية لقضية أساسية من قضايا مسرح اللا معقول، وهي قضية عدم الاتصـالية أو عدم التفـاهم بين البشر، فنحن نطالع في هذه المسرحية، كما سنطالع فيما بعد فى بعض مسرحيات (يونسكو) و(بيكيت)، الألفاظ تخرج من أفواه الشخوص في حرية، ودون ضابط من المصدر، أو من التقاليد اللغوية، بل ودون ضابط من المنطق أو من القواعد، فكل شخص من الشخوص يدلي برأيه ويعرض ما يقول دون أن يأخذ فى الاعتبار الطرف الآخر، وللالمام بما تضمنته هذه المسرحية من حداثة وثورة على القديم، يكفي أن نقرأ ما ورد على لسان الكاتب بهذا الصدد:

«لقد اخترعت بهذه المناسبة آلة جهنمية تتكون من آلة تنبيه (بورى) وثلاثة أصداء متتابعة، بغرض أن أطبع فى ذهن المتفرج بعض الجمل التى توضح أهداف الحركة الدادية (. . .) ثم جعلت الديكور أمام الممثلين وليس خلفهم، وقام الديكور الشفاف الذى يتكون من اطار دراجة، وبعض الحبال المعلقة على المنصـة وبعض الاطـارات التى تحتـوى على عبارات غامضة، قام هذا الديكور باكمال المطلوب».

أما فيما يتعلق بردود أفعال المشاهدين، فقد كانت عنيفـة: تمثلت فى صياح ونقنقـة وزعيق «كـأننـا في مستشفي للأمـراض العقلية، وكانت رياح الجنوب تهب على المنصـة، وفي القـاعة سواء بسواء»، وبدأ الحـوار الحقيقي، الحـوار بين الممثـل المؤلف وبـين المشـاهـدين، يتألف من نباح وعواء وقذائف، كان ذلك دليلا على أن الجمهور أدرك أنه المقصود، وأنه أصيب في الصميم، بحيث فقـد شعـوره، ولم يعد يرعى أعرافا ولا تقاليد ولا كرامة.

كتب (تزارا) بعد ذلك للمسرح عملين آخرين، الأول بعنـوان: المغـامـرة السـماوية الثـانية للسيد أنتيبـيرين، والثـانية بعنـوان: «قلب بالغـاز»، وهما شديدتا الشبه بالأولى، يحمل فيهما المؤلف على اللغة بحيث لا يمكن أن نطبق على هذه النصوص المعايير التقليدية للذوق، ومن ثم كان الهجـوم الذى يشنه الكاتب على الفلسفة وعلم النفس والتحليل النفسي والمنـطق، غير معـترف بشـىء الا لمتعـة التلفظ بالكلمات، فاللغة لم تعد وسيلة اتصال، بل أصبحت موضـوعا فى حد ذاتها، أصبحت مادة مستقلة، كما سنرى ذلك عند كل من (يونسكو) و(بيكيت).

كانت مسرحية (تزارا) الرابعة بعنوان: منديل من السحاب، وقد اعتبرها (آراغون) أعظم صورة درامية

فى الفن المعاصر، بعد مسرحيتي : أوبو ملكا، و ثديا تيريزياس.

واذا كان موضوع هذه المسرحية، موضوعا تقليديا، الا أن الاخراج جاء على طريقة الكاتب الايطالي (بيراندللو).

(المنصة تمثل مجالا مغلقا مثل الصندوق، لا يستطيع أن يخرج منه أى ممثل (. . .)، فالممثلون يقومون بعمل التنكير (المياكياج) لأنفسهم، ويرتدون ملابسهم، ويتحدث بعضهم الى بعض فى فترات الراحة، أما الديكورات ففى أقل الحدود، تتكون من شاشة تعرض عليها بعض الصور المكبرة التى تشير الى المكان الذى تدور فيه الاحداث، كما أن تغييرات الديكور تتم أمام الجمهور، بالاضافة الى أن الممثلين يحتفظون بأسمائهم، كأنهم يعيشون حياتهم الخاصة فوق منصة التمثيل).

جورج ريبيمون ـ ديسيني
(ذلك المجهول صاحب أعظم المسرحيات الدادية)

يعتبر (جورج ريبيمون ـ ديسيني) أكثر الكتاب الداديين انتاجا، ومع ذلك فهو فى عداد المنسيين بل والمجهولين.

أولى مسرحياته بعنوان: امبراطور الصين، هي بشهادة النقاد تحفة المسرح الدادى، بل إنها من أوائل النصوص التى سبقت ظهور الحركة الدادية، مع أنها تنتمي الى هذه الحركة. كتبها المؤلف فى عام ١٩١٦م، (العام الذى شهد مولد الدادية)، وذلك على الأوراق الخضراء الخاصة بوزارة الحرب، حيث كان مجندا في وحدة البحث عن المفقودين، ومن الجدير بالذكر أن شخصية (أوبو) كانت سائدة ومعروفة فى مختلف الأوساط منذ بداية القرن، كما أن (ديسيني) يعترف بأثر (ألفريد جارى) مؤلف: أوبو ملكا، ويفضله عليه وعلى غيره:

(رجل ظل يمارس نفوذه الظاهر والباطن فى المجال الفنى خلال الفترة الممتدة من ١٩٠٥م حتى قبيل حرب ١٩٣٩م، وبوجه خاص بين ١٩٠٥ ـ ١٩٢٥م، ذلك الرجل هو (ألفريد جارى).

فى مسرحيته «**امبراطور الصين**» يحاول (ديسيني) بدوره أن يدمر المسرح القائم فى عصره، فى ثورة غاضبة تتمثل في الاغتصاب والقتل والتدمير.

ومن الجدير بالذكر أن الجمهور والمخرج لم يكونا مهيأين لاستيعاب مثل هذه الصورة القاتمة للعالم التى تعرضها المسرحية التى تعتبر بحق عملا رائدا فيما يتعلق بالشكل وبالمضمون، فمن أول وهلة فى المسرحية، يطالعنا العبث واللا معقول على المنصة: فهذه آلة كاتبة تحل محل «الكتب المقدسة» وتقوم بتوزيع قرارات القدر بشكل آلى، وبهلوانات متفلسفة تقوم بألعاب حواة وحركات شعوذة وجمادات تتحلل أمام عيون المشاهدين.

«إيهام، وخدع، وشعوذة، وقتل، في إيقاع سريع أشبه بإيقاع السينما».

فهذا امبراطور الصين الجديد ما أن تولى الحكم حتى شرع في قتل الناس، وقام باغتصاب أقرب الناس اليه، ثم انتحر، فقد أقبل عصر السيادة البربرية، ولكنه أيضا عصر سيادة اللامعقول في مجتمع مجرد من التزمت، وضاق بالنظم العتيقة، انها الحركة الدادية قبل أن تسمى باسمها، انها الثورة على سائر الأعراف المتوارثة والتقاليد المعروفة.

«تدمير كل ما هو طيب ونقي، لأن الجمال والطيبة والنقاء كلها تعفنت»، كأننا نسمع (الأب أوبو) وهو يردد عبارته المشهورة: «حش بطنه لن نكون قد قضينا على كل شيء، ان لم نقض أيضا على الخرائب.

ويصف (مارتان إيسلان) فى كتابه: مسرح العبث، مسرحية امبراطور الصين، بأنها مسرحية تعبيرية أو انطباعية، فهي تجمع عناصر اللامعقول (Nonsense) والعنف التي تميز مسرح العبث.

وبذلك يمكن أن نضع (ريبيمون ـ ديسيني) في اطار حركة فكرية بدأت ولم تتوقف منذ أواخر القرن التاسع عشر، وتعتبر الدادية مرحلة انفجار لها، ولكنه انفجار قوى عنيف.

بعد ذلك، كتب (ديسيني) مسرحية أخرى بعنوان: طائر النعار الأبكم، عرضت فى عام

۱۹۲۱م، فى احدى السهرات الدادية، وهي تعالج موضـوعـا شائعـا فى مسرح العبث، ألا هو عدم الاتصـال أو عدم التفاهم بين الناس، ومن عناصر الحداثـة في هذه المسرحية أيضا أنها بدون ديكور، فالممثلون هم الذين يوحون بالمكان الذى تجرى فيه الأحداث، وهو مكان غير محدد، يمكن أن يكون أى مكان، وكل شخص من الشخوص يعيش فى عالمه المتميز، يواصل حديثه دون مراعاة لحديث الأطراف الأخرى.

وفى عام ۱۹۲۸م، جمع (ديسيني) الموضوعات الأساسية في مسرحية «امبراطـور الصين» وضمنها مسرحية أخرى يشترك فيها ثلاثون ممثلا بعنوان: «جلادبيرو».

والحقيقة أن هذه المسرحيات الثلاث التى كتبها (ديسينى) تعتبر أهم الأعمال المسرحية الدادية التى تشتمل على القضايا الأساسية التالية: «أن الانسان خرج الى هذا العالم بلا ارادة منه، وأنه مقضي عليه بالموت، ولكي ينسى هذا الوضع، وهذه الحقيقة، فهو يلعب، ويمثل ويلهو، ويقيم مسرحا فى ميدان يعرض عليه العالم».

كأننـا أمـام مسرح (بيكيت)، وأمام عالمه الذى يديره مبعوثون من قبل الخالق، كما أن تكاثر الجمادات في مسرح (ديسيني) والـدور الـذى تقـوم به اللغـة بوصفها كيانا مستقلا عن مصدرها، كل ذلك يذكرنا بمسرحيات (يونسكـو)، بالاضـافـة الى أن القضايا التى يناقشها (ديسينى) مثل السلطة المطلقة، والحرية الفردية، وعزلة الانسان، تثير أمامنا صورة (كاليغولا) بطل مسرحية (ألبيركامو) الذى تسيطر عليه هذه الأفكار.

جوليـان طورمـا
أو (أوبو) ذو القوة العشارية

من بين كتاب الجيل الثاني مباشرة لجيل (ألفريد جارى) وفي الـوقت ذاتـه يعتـبر أحـد رواد مسرح الطليعة، وله ثلاث مسرحيات لم تعرض على المسرح، هي: القصـاصـات، ولـوما لامير (۱۹۲٦م)، ثم مسرحية: «البترو» التى نشرت بعد وفاته.

وتعتبر هذه المسرحيات امتدادا لمسرح (جارى)، ومن ناحية أخـرى فهي تتضمن النـظريات الدادية والسريالية، وتبشر بطليعة الخمسينيات.

و(البـترو) هذا شخصية ارهابية، بمثابة (أوبو) ولكن بقـوة عشرة أضعـاف ، يتحدث بلغة خاصة شديدة الغرابة، وشخوص المسرحية ليست كائنات حية، وانـما هم مجموعة من المانيكان لا تجمع بينهم علاقات محددة، وفى نهاية المسرحية يتحرك أحد هذه المـانيكـان، فيثـير الرعب، ويصدر رائحة كريهة لا تطاق، تذكرنا هذه النهاية بنهاية مسرحية (يونسكو) المغنية الصلعاء، أو تحريف ثنائى.

مرة أخرى، نحن أمام العبث الذى يطغى على المسرح، الذى تتحرك فوقه شخوص خالية من كل أبعـاد نفسية، ومشـاعر انسانية، ولا يقوم بينها أى اتصال أو تفاهم.

«إن جوهر المسرحية يكمن فى خلوها الكامل من السمات النفسية والمنطقية، فالشخوص تنطق عبارات خالية من كل معنى مباشر».

ان هذه المسرحية تضعنا فى اطار مفهوم (بيكيت) للأدب، حيث وصل الأدب الى مرحلة لا يمكن له أن يتجـاوزهـا . ولكن اذا كانت مسرحية «البترو» تتضمن موضوعا بالرغم من كل شيء، فان المسرحية الثـانية: القصـاصات، على النقيض من ذلك، لا تتضمن أى موضوع أو حدوتة، انها العبث الكامل، فالشخوص هذه المرة عبارة عن تماثيل من الخشب، ومع كل لا تخلو من مواقف انسانية، ويذكرنا البطل (أو سمـور) بشـخـصية (الـلامسمى) بطل رواية (بيكيت) التى تسمى باسمـه، حينـما يقـوم عامـل النظافة فى نهاية المسرحية بجمعه، ليس بالمكنسة كما حدث عنـد (بيكيت)، ولكن فوق قاعدة بعجلات والقائه في خلفيات المسرح، وعلى شاكلة (جان جينيه) يعجز (طورما) عن تفسير تصرفات شخوصه.

«إن جوهـر الـدرامـا عنده لا يكمن فى تفكك

البقية ص ۹۷



القراءة الأدبية بين المتعة والفائدة

بقلم: د. محمد أحمد حمدون
كلية التربية للبنات بجدة

مَر مفهوم القراءة الأدبية بمراحل قبل أن يصل إلى ما وصل إليه في الوقت الحاضر، ولعل هذا التطور راجع إلى ما طرأ على مفهوم الأدب نفسه خلال العصور، وما صاحب هذا المفهوم من ظواهر حضارية، فمثلا لو سمعنا أحد أدباء العصر الجاهلى نتحدث عن «القراءة الأدبية» لفغر فاه مدهوشا بما سمع، فالأدب آنئذ قد يسند إليه «الأكل أو الشرب لا القراءة»،أى أن الآدب هو الداعى إلى الوليمة . . والمأدبة هى الطعام والشراب».

يقول قائلهم:

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى
لا ترى الأدب فينا ينتقر

■ فمادة «الأدب» فى ذلك العصر لا تعنى النشاط الابداعى المعروف لنا الآن، وإنما تدور حول معانى الدعوة للطعام، وفى نفس الوقت فإن الابداع المتجلي فى الشعر وغيره إنما ينتشر عن طريق المشافهة والسماع. . أو الرواية الشعرية. . لا «القراءة» ومن ثم قد تبدو له عبارتنا لغزاً.

** وحين ظهر الاسلام تطور مفهوم «الأدب» إلى حد ما . . ومن ثم مفهوم القراءة الأدبية. . فالاسلام لم ينف عن «الأدب» المفهوم الذى شاع فى العصر الجاهلى وهو المرتبط بالمأدبة أو الوليمة أو الدعوة للطعام. . وإنما وجهه توجيها ينمو به فى اتجاه الفكر والروح، فصار الأدب يعنى «التهذيب الخلقى والنفسى» حتى لخص النبى ﴿ﷺ﴾ أدب النبوة فى قوله: «أدبنى ربي فأحسن تأديبى».

فالأدب هنا هو الخالق جل وعلا، ومأدبته فى الأرض هى «القرآن الكريم» - حسبما صور لنا الحديث الشريف - والأدب على هذا - هو كل ما يهذب ويربى.

* لقد كان هذا البعد - أعنى التهذيب والتربية النفسية والروحية هو الاضافة الاسلامية الأساسية والجوهرية لمفهوم الأدب، حتى صار كل عمل يؤدى الى التهذيب والتربية أدبا، وصار الأدب يمتح مع الدين من معين واحد، فى نفس الوقت. . بدأ مفهوم «التثقيف» - بمعنى التقويم والتعديل الناتجين عن توسيع المدارك بالمعارف - ينسحب لا إلى الحياة العربية فحسب، بل إلى مفهوم الأدب أيضاً فيصبح جزءاً لا يتجزأ منه، لدرجة أنه ما يكاد يبدأ التطور فى الحياة العلمية والثقافية العربية وما ترتب عليه من «تدوين» - خلال القرن الثانى للهجرة - حتى نجد التوجيه الاسلامى لمفهوم الأدب بدا مسيطرا على الانتاج الأدبى وعلى الاستعمال الشائع للفظة «الأدب» فصارت القراءة الأدبية بذلك قراءة مواد ذات طبيعة تأديبية تهذيبية (أى مقومة للروح والنفس) وتثقيفية تعليمية (أى منضجة للعقل والمعرفة).

■ ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن «القراءة الأدبية» خلال الفترة الأطول من تاريخنا - أعنى منذ بدء التأليف الأدبى فى أخريات القرن الأول الهجرى، وإلى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى أو أوائل

العشرين الميلادى تميزت بخصائص ثلاث نستطيع أن نجملها فيما يلي:

أولا: لم تكن القراءة الأدبية شعراً وأخباراً وأمثالا ومقامات.. الخ معزولة عن قراءة العلوم والمعارف سواء منها اللغوية أم التاريخية أم الدينية، الى الحد الذى جعل الثعالبى (ت ١٠٣٨م) يصف ابن جنى (ت٣٩٨هـ) بأنه «القطب فى لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة فى الأدب».

ومعروف أن ابن جنى عالم لغوى بالدرجة الأولى.. ولكن اتساع ثقافته وإدراكه لعلوم ومعارف عصره جعلا رئاسة الأدب تستقر عنده، وذلك بلا شك لا يخرج عن مفهوم الأدب الذى كان يعنى عندهم: «الأخذ من كل فن بطرف»، والذى كان مسيطرا على تصورهم.. فنجد القلقشندى المتوفى ٨٢١هـ فى موسوعته الأدبية الكبرى «صبح الأعشى» ينصح من يريد الكتابة بأن يتحلى من كل فن بطرف.. وهو نفس المبدأ الذى تردد عند «عبد الحميد الكاتب» المتوفى قبله بسبعة قرون تقريباً (حوالي سنة ١٣٥٥هـ)، والمبدأ المطبق عملياً - أيضاً - فى كتابات كثير من الأعلام وعلى رأسهم الجاحظ (المتوفى سنة ١٦٠هـ).

فأولى خصائص الأدب - إذاً - فى هذا المفهوم أنه لا يقف عند حد ما نسميه اليوم أدباً من شعر ونثر.. بل ولا عند حد الثقافة.. بمفهومها الواسع بل يتعدى ذلك ليصل الانسان بعلوم ومعارف عصره ما أمكن.

ثانيا: على الرغم من هذا الاتجاه الموسوعى فى فهم الأدب، ومن ثم توجيه «القراءة الأدبية» فى اتجاه الشمول الفكرى والفنى.. نجد أن السمات الأساسية للأدب - وعلى رأسها كونه تعبيراً جمالياً ممتعاً - مسألة مفروغ منها.. فكتاب مثل الحيوان للجاحظ.. كتاب لا يفني جماله الأدبى مع أن بعض الحقائق العلمية الواردة فيه عن الحيوان لم تعد اليوم بذى أهمية.. وهو ليس كتاباً فى الحيوان فقط كما يتوهم بعض الناس ولكنه موسوعة شاملة تضم الى جانب الحيوان مسائل فى الأكوان والانسان والأديان والثقافات وعادات الشعوب.. ولهذا السبب أثنى عليه ابن العميد الكاتب لأنه كتاب «يعلم العقل كما يعلم الأدب».. غير أن تأثيره الذى يمتد عبر الزمن يرجع إلى أن كاتبه كان يقصد دائماً إلى إبعاد الملل والسأم عن القارىء والترويح عن النفس، باستخدام هذا التنويع وربطه بمسائل فى الحيوان مع توجيه أنظار قرائه إلى عجائب صنع الخالق فى الكون»، كما جاء فى مقدمة الكتاب.. «**تلك إذن سمته الأدبية**»:

«إبعاد الملل والسأم عن النفوس وإيقاظ الشعور فينا لنتأمل عجائب صنع الخالق فى هذا الكون».

* إن هذا الكتاب - فى الحقيقة - من أصدق الأمثلة على مفهوم الأدب كما ورثناه إنه يكشف لنا خفايا المعاني ودقائق الفكر فى الروح والجسم والحواس.. والخير والشر والجوهر والعرض.. بل يكشف لنا خفايا المجتمع الذى عاش فيه الكاتب، وأغوار الحياة بكل ما تكشف له من أسرارها.. كل ذلك بأسلوب شائق ممتع يروح عن النفس ويبعد عنها السأم.. وتلك أهم صفة للأدب على الدوام.

ثالثا: إلى جانب توسع مفهوم «القراءة الأدبية» وشموله المعرفى والعلمى، وإلى جانب اتجاهه ناحية الترويح عن النفس وإمتاعها، كان هناك اتجاه ثالث نحو التهذيب والتأديب الخلقي، وهو - كما ذكرنا - كان من أبرز ما أكده الإسلام فى مفهوم الأدب.

ولذلك - يجب أن نعد الأدب فى عصر صدر الاسلام وكذلك فى العصرين الأموى والعباسى وعصر الدويلات واحداً فى اتجاهه هذا رغم المتغيرات الأخرى - الفنية والموضوعية - التى تميز تلك العصور بعضها عن بعض. وإن كان هذا الاتجاه التهذيبى لا يعنى بالطبع إغفال دور الامتاع أو الترويح عن النفس.. إلا أننا نجد أن بعض الأعمال قد حملت صفة الأدب مع أنها تقتصر على هذا المفهوم وحده.. أعنى لو نظرنا فى عمل مثل الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع لوجدناه مجموعة من التوجيهات

والنصائح تستعمل فيها كلمة الأدب للدلالة على السلوك القويم الذى يجب أن يتحلى به المسلم كقوله:
«التزم الأدب مع الناس» أو دعوته للقارىء أن يتحلى بالفضائل ويتجنب الرذائل.. أو أن ينهاه عن «المزاح والهزل والكلام السخيف» أو الكبر المؤدى الى الغطرسة والجبروت والاستطالة.

وباختصار فإن هذا الكتاب يعد نموذجاً لما نطلق عليه اليوم «الآدابية الاسلامية».. وهى عبارة عن كتابات كثيرة شارك فيها ابن المقفع والجاحظ وعبد الحميد الكاتب - على سبيل المثال لا الحصر، لقد كانت كتابات هؤلاء الآدابيين مرآة لمجتمعهم عكست ما هو كائن، وما يجب أن يكون.. وجعلت «الغاية» و«الفائدة» الاجتماعية أساساً تصدر عنه وتهدف إليه فى آن واحد.. حتى أطلق على أدبهم أحياناً «أدب المرايا» لأنه يعكس - كما ذكرنا - صورة النفس.. صورة الواقع بما فيه من هنات.. وصورة المثال بكل إشراقاته وتطلعات الإنسان إليه.

* وجدير بالذكر أن نشير الى أن مكانة الآداب بهذا المفهوم عندهم جاءت تالية لمكانة «الدين» و«الأخلاق» فى المجتمع.. فابن المقفع - مثلا - يقول: «وعلى العاقل أن يحصى على النفس مساويها فى الدين والأخلاق والآداب.. فيجمع ذلك كله فى صدره أو فى كتاب.. ثم يكثر عرضه على نفسه ويكلفها إصلاحه»[1].

■ **نموذج يلخص اتجاه الآدابيين فى مفهوم الأدب الكبير.. ص٦٦، ٦٧ من ابن المقفع.**

مطلب فى تحذير المرء من انتحال رأى غيره

* إن سمعت من صاحبك كلاماً، أو رأيت منه رأياً يعجبك فلا تنتحله تزينا به عند الناس.. واكتف من التزين بأن تجتنى الصواب إذا سمعته، وتنسبه إلى صاحبه.

* واعلم أن انتحالك ذلك مسخطة لصاحبك، وأن فيه مع ذلك عاراً وسخفاً. فان بلغ بك ذلك أن تشير برأى الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء.. وهذا من سوء الأدب الفاشى فى الناس.

* ومن تمام حسن الخلق والأدب فى هذا الباب أن تسخو نفسك لأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك، وتنسب إليه رأيه وكلامه، وتزينه مع ذلك ما استطعت.

* لا يكونن من خلقك أن تبتدىء حديثاً ثم تقطعه وتقول: «سوف» كأنك روأت (تدبرت) فيه بعد ابتدائك إياه. وليكن ترويك فيه قبل التفوه به، فإن احتجان الحديث (منعه) بعد افتتاحه سخف وغم.

■ خلاصة ما سبق أن القراءة الأدبية فيما يقرب من ثلاثة عشر قرناً من تاريخنا العربى - الاسلامى قامت على ثلاثة عناصر هى:

١ - شمول مفهوم الأدب حيث يمتد إلى العلوم والمعارف المتاحة ولا يقف عند الشعر أو النثر الفنى فقط (الأخذ من كل بطرف).

٢ - التأكيد على دور الأدب فى الترويح عن النفس ورفع السأم عنها، (وتلك سمة الأدب الحية).

٣ - التأكيد على مبدأ المنفعة الاجتماعية والتهذيب النفسى والروحى للقارىء.

** وبهذا تكون «القراءة الأدبية» ممتعة ومفيدة، فى آن واحد.

** ننتقل الآن إلى ما طرأ على مفهوم «القراءة الأدبية» من تغيرات فى العصر الحاضر مع الاشارة إلى أن هناك ثلاثة عوامل تعمل ضد هذه القراءة وهى:

أولها: تلك البدائل الثقافية التى بدأت تهيمن على أسلوب الحياة المعاصرة ممثلة فى الاذاعتين المسموعة والمرئية، وهذه ليست شرا كلها على الأدب - كما قد يتصور للوهلة الأولى - فلا شك أن الأدب بجانبيه الروائى والشعرى يجد له منافذ فى المذياع والتلفاز.. وفيهما حل «التلقى» للأدب محل «القراءة الأدبية».

ثانيها: غياب الكشافات والمراجعات الدورية التى تعرفنا بالنتاج الأدبى العربى على كثرته، وتثير فينا

الرغبة والحماس للاطلاع عليه وقراءته . . حتى ليكاد كل منا لا يعرف من أدباء العرب فى القديم والحديث ما يزيد على أصابع اليد الواحدة، أعني معرفة قراءة واتصال. فأعمدة النقد والكتب فى الصحف والمجلات ـ إن قرأناها ـ نجدها ـ على كثرتها ـ محصورة فى أعلام مشهورين أو محليين، أو مهتمة باللقاءات والشخصيات والحوار دون اتصال حقيقى بالأدب . . النص . . الابداع .

أما العامل الثالث والأخير: وأرجو أن أكون مخطئاً فيه ـ فهو ذلك «الكسل الوجدانى» الذى ينتاب حياتنا . . حياة إنسان هذا العصر جملة . . كسل من نوع غريب يصاحب بعض مظاهر «نشاطنا العقلى» التى تظهر على السطح حيناً بعد حين . . كسل يصرفنا عن معايشة الأبعاد الجمالية والانسانية فى حياتنا، سواء منها ما صدر عن الأدب أم الفنون؟!! أهي الحياة الحديثة . . ـ كما تطلق عليها أحيانا ـ هى الملومة فى هذا؟ هل هو «الشر المنظم والمميكن والمنطلق الآن فى العالم من حولنا، يقتل فينا المشاعر والوجدان؟ أم هل هى المادية الكسولة روحاً . . المطلقة العنان لأهوائها ورغباتها . . أو ربما هو هذا الرضا الودود الواهن، العقيم، المشوش[2] . . أيا ما كان . . هناك كسل وجدانى فى حياتنا يعمل مع العاملين السابقين ضد فكرة القراءة الأدبية .

** ولعل هذا الكسل ليس مقصوراً على عصرنا . . فهذا ابن قتيبة مثلا ـ وهو المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة ـ يشكو مثل هذا الكسل فى أهل زمانه حين يعرض أسباب تأليفه كتابه «أدب الكاتب» الذى عده ابن خلدون أحد أركان الأدب الأربعة يقول:

«فإنى رأيت أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيرين، ولأهله كارهين: أما الناشىء منهم فراغب عن التعليم، والشادى تارك للازدياد، والمتأدب، ـ فى عنفوان الشباب ـ ناسٍ أو متناسٍ، ليدخل فى جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين[3].

● ربما ـ إذاً ـ ما طرأ على عصرنا من عامل الكسل هذا هو امتداده إلى مساحات أبعد فى حياتنا الثقافية والفكرية .

● على أن هذه العوامل التى تعمل ضد فكرة «القراءة الأدبية» يجب أن لا تدفعنا إلى الاغراق فى التشاؤم، فلا يزال هناك قراء . . ولا تزال هناك قراءات أدبية . . وإن صاحب هذا كله تغير فى المفهوم . . فما هذا التغير؟ .

■ إن ما حدث لهذا المفهوم يرتبط إلى حد كبير بحالة «التخصصية» التي فرضت نفسها على إنسان العصر، عربياً وعالمياً. فلا شك أن من أهم معطيات التفكير العلمى الحديث التخصص والاهتمام بالمنهجية التى تمتد إلى جميع فروع العلوم الطبيعية والمعاشية والانسانية بما فيها الأدب ودراساته وباجتماع «التخصصية والمنهجية» فى تناول النشاط الأدبى بدأ مفهوم «الشمولية» فى الأدب يتقلص . . صحيح أن الأدب «فكرة وصياغتها» ولكن الحقيقة أن جانب الصياغة هو الذى يخرج دائماً منتصراً . . فالكاتب لا يكون أديباً لأنه تحدث عن بعض الأشياء . . ولكن لأنه تحدث عنها بطريقة فنية خاصة[4]. ولأنه إنما كتبها بتأثير غير تأثير «المعرفة» التى تدفعه الى الحديث عن شيء معلوم له كتبها بتأثير «مساعد غير منظور» على حد تعبير ستيفنسون فى تحليله للدكتور جيكل/ مستر هايد .

** ولذلك فالعمل الأدبى عنده «يقوم به أولئك الصغار فى الدماغ . . ينجزون نصف عملى وأنا مستغرق فى النوم . . وربما أنجزوا النصف الآخر وأنا يقظ، يخيل إلى أننى أنا الذى أقوم بالعمل» .

ـ وجوته يزعم أنه كتب أحسن رواياته وهو فى غيبوبة تشبه حالة النائم .

ـ ويصرخ فولتير وهو يشاهد إحدى مسرحياته: «أحقاً أنا الذى كتبت هذا؟» .

ـ وجورج إليوت يخيل إليها أن عقلا آخر استحوذ على قلمها فى روايتها Adam Bade .

على أنه قبل هؤلاء جميعاً كان هناك من شعراء العرب واليونان من يعتقدون فى قوى غيبية توجه عملهم . . ولكن الجديد حقاً هو أن «التخصصية»

بدأت ـ من هذا التصور لطبيعة الابداع الأدبى ـ فى تقليص النواحى المعرفية من مفهوم الأدب: «الأدب يبدأ بالكلمة، ويبنى أبنيته على أساس الجمل والعبارات. . والعقل والخيال، فيه يتأملان الانسان وخلفيات سعادته وشقائه ثم يتحدثان إلينا بتمام وصفاء. . وهو سجل للجمال ومجاهدة الجنس البشرى لأن يعرف ويعبر عن نفسه، وهو يمزج حبه للجمال بحبه للحقيقة. . موضوعه طبيعة الانسان الداخلية وهو نمو مستقل يمكن أن يتغذى من أعمال المفكرين (دون أن يكون طفيلياً) ولكن رجاله «مفكرون غير منظمين»(*) فى أحسن حالاتهم الفكرية.

** وباختصار قادت التخصصية والمنهجية الى حصر مفهوم الأدب فى ذلك النشاط الابداعى الذى يمتزج فيه التفكير بالانفعال بالحساسية بالعقل بإخلاص المشاعر بدقة التجربة والتأمل.

** وهو فى هذا يختلف عن العلم القائم على مناهج فكرية محددة الخطى والنتائج، حتى علم الأدب نفسه الذى بدأ فى ظل تلك «التخصصية والمنهجية» ينقسم الى فروع: «التاريخ الأدبى، والنقد الأدبى، والأدب المقارن، ونظرية الأدب».

** وعلى الرغم من أن هذا الحصر الجديد لمفهوم «الأدب» لا يزال يفسح المجال لأجناس أدبية عديدة مثل المقالة والخاطرة والرسالة والمذكرات والسيرة الذاتية وغيرها لأنها جميعاً تقوم على مبدأ الابداع السابق. . يكاد ينحصر المفهوم ـ تعسفاً، وبسبب اهتمامات القراء المحصورة ـ فى الشعر والقصة والمسرحية. . وبعض من «السيرة الذاتية» والمقال.

■ **والسؤال الآن هو: اذا كان المفهوم الاكثر سيادة فى تاريخنا الادبي يؤكد أن القراء ة الادبية تحقق المتعة والفائدة معا.. فهل يحقق المفهوم الناتج عن التخصصية فى حياتنا المعاصرة نفس التوازن، أم يميل لواحدة علي حساب الاخرى..؟**

هنا سنضطر الى استعراض بعض المسائل الهامة. . حتى نستطيع الوقوف على اجابة محددة.

ـ **الاولى** تتعلق بتحديد الموقف من النشاطين العلمى والأدبي.

ـ **والثانية** تحدد مفهوم المتعة.

ـ **والثالثة** مفهوم المنفعة أو الفائدة.

ـ **والأخيرة** تؤكد المصالحة بين المفهومين.

■ أما تحديد الموقف من النشاطين العلمى والأدبي فيدخل في مناهج البحث التى تسيطر على الجهود البشرية. . لكى تحدد كل جماعة منهجها فيما تقوم به من نشاط. . واذا كان اتجاهنا المعاصر قد مال مع الاتجاه الذى لا يهتم بالنواحى المعرفية في الأدب. . وهو اتجاه له جذور في ثقافتنا أكثر منه تأثراً بالمنهجية الجديدة. . فإن كثيرا من كتابنا المعاصرين بدأوا يستخدمون مصطلح «الاطلاع» ليعنى شيئا أكثر من مجرد القراءة الأدبية.

وقد كان هذا المصطلح شائعا عند طه حسين والعقاد والزيات وهيكل وجيل عريض تبعهم فى قراءة النتاج الأدبى والفكرى. . القديم والحديث. . العربى والغربي ومن هنا نقول إن الاتجاه الحالى اذا كان قد قصر مفهوم الأدب على الأعمال الابداعية فإنه لم يقصر القراءة عليها. . وإنما جعل مفهوم «الاطلاع» مكملا لها فى توسيع المدارك والمعارف الانسانية عند القراء.

على أن الأدب بمفهومه الابداعي ليس معزولا تماماً عن العلم ومعطياته. . فإذا كان قد وجد من يقول (مثل ماكس إيستفان وبعض خلفائه) كل ما نعرفه عن الحياة هو ما يخطرنا به العلم. . والمنطقة التى يلهو فيها الشعر سرعان ما تنكمش للاشىء فإن هناك من يعارضهم مؤكدا بأنه ستبقى هناك دائما «لا معرفة علمية فحسب، وإنما معرفة انسانية. . من نوع المعرفة التى نستقيها من الانسانيات وبصفة خاصة من الأدب بل انه مما أثر عن ماثيو ارنولد قوله: «ان الادب وليس العلم، هو الادارة الاساسية فى العملية التربوية لجعل الناس انسانيين».

والذى يبدو أن كتابنا المحدثين قد مالوا إلى تلك الناحية فيؤكد المرحوم محمد حسين هيكل فى كتابه «ثورة الأدب» أن الحضارة لم تكن يوما مذهبا منطقيا يقيمه العقل وحده، وإنما هى مجموع مطامح الحياة

الى المثل الأعلى.. هي تصور الجماعة الانسانية لصلتها بالوجود فى مجموعة تتصل بها عناصر تراثية عريقة الصلة بالأدب.. وفي كل الحضارات كان الأدب سباقا الى اقتحام الميادين التى برزت فيها تلك الحضارات.. أعنى أن تراث الانسانية كلها ـ الدين والعلم والتاريخ والفنون والفلسفة.. بل والتراث الأدبي نفسه ما هو إلا «كمية معدة للطحن» بواسطة الأديب على حد تعبير فورستر ـ وحين يتناول هذا التراث يقدم لنا من خلاله حقيقة يستعمل فيها «الأسلوب التمثيلى» لا «الاسلوب النظرى» الذى تستعمله العلوم، ولكنه أى الأسلوب التمثيلى بلا شك أسلوب يقدم لنا حقيقة نستطيع أن ننتفع بها على أسس منهجية، كما سنذكر بعد قليل.. فالأدب ليس خلوا من الحقائق العلمية بهذا المفهوم.

وفيما يتعلق بالمتعة فان الأدب فن، وشأن الفن أن يمتع.. والمتعة هى تلك النشوة الحادثة من معايشة نص أدبي قراءة أو سماعا أو مشاهدة (الآن).

ونحن نعرف أنها وجهت كثيرا من نقادنا العرب، بدءا من الجاحظ وحيث يؤكدون أهمية الجمال فى النص، بغض النظر عما يتضمنه من مضمون خلقى أو اجتماعى.. ولكنها لم تصل أبداً ـ فيما نعلم ـ الى حد أن تصبح مذهبا نقديا صارماً كذلك الذى حدث بالنسبة للأدب فى الغرب.. فوظيفة الأدب قد طرحها الجماليون والفلاسفة والسياسيون والخلقيون والنفعيون فى أكثر العصور واللغات.

ولكن أحدا لم يصل بها الى ما وصل اليه نقاد أوروبا خلال القرن التاسع عشر، فهذا بودلير يقول: «يعتقد جمهور من الناس أن غاية الفن هي أن يعلم أى شيء.. وأن عليه تارة أن يحسن الضمير، وتارة أن يحسن العادات، وطورا أن يظهر أى شيء مفيد.

ثم يعقب على ذلك بقوله: لا غاية للشعر الا الشعر ذاته، ولا يستطيع أن تكون له غايات أخرى.. ربما كانت عبارة «الفن للفن» التى ظهرت عام ١٨٢٩ وتبعها مذهب «الفن الصافي».. وكان فيكتور هوجو هو أول من أطلقها هي التى تحدد شعار مذهب المتعة في الأدب.. وهي التى أكدت أن «الفن ترف تكمن قيمته فى جماله لا في فائدته»..

ولقد غالى بعضهم فيها إلى حد أن يعلن جوته أنه «ما أن يصبح شيء ما مفيدا حتى يبطل أن يكون جميلا.. ولا يوجد الجمال الحق إلا فيما لا فائدة منه.. وكل ما هو مفيد هو سمج».

بل لقد ذهب الاتجاه البرناسى في اطار هذا المذهب الى أبعد من ذلك فأعلن «اللامبالاة بالفائدة الأخلاقية أو الاجتماعية» ونضب على يد زعمائه العرق العاطفى والشخصى والاجتماعي والسياسى وكل ما له فائدة بالنسبة للشاعر، بل لم يبق للشاعر من ماضيه الا الأساطير البدائية والعصور الأولى، يستخدمها بصورة هائمة مشوشة.

وليس غرضنا بالتأكيد أن نتابع هذا الاتجاه.. وحسبنا أن نقول إن قصر الأدب على الفن والفن على الجمال كان الأساس الموجه لفكرة المتعة ـ والمتعة وحدها ـ فى الأدب.. ولو تابعنا مسرحية بيجماليون لتوفيق الحكيم لوجدنا أن غايتها هى تأكيد هذه الفكرة.. كمثال من أدبنا الحديث.. على الطرف المقابل يقف دعاة المنفعة أو الفائدة فى الأدب.. فيرون أن «النظام الطفولى ـ وهذه ليست عبارتى ـ لمدرسة الفن للفن بإبعاده المنفعة أو الاخلاق عن الأدب يصبح عقيما بالضرورة، وأن على الكاتب أن يختار موقفا يكشف عن جوانب الحياة التى يحياها جمهوره.. وأن يكون صادقا فى تصويره بحيث تكون التجربة كاملة.. ان أصحاب المنفعة يؤكدون:

١ ـ الأدب يغذى وعى القراء فلا مناص أمامه من المشاركة فى تنمية الوعى الاجتماعى.

٢ ـ الأديب مسؤول عن المشاركة الايجابية فى مجتمعه بقدر ما يشارك أصحاب العلوم النظرية والعملية.

٣ ـ يستطيع العمل الأدبي ـ بل يجب ـ أن يدعم الخلق والتربية والتعليم والمذاهب الفكرية.

ولقد تحمس أصحاب هذا الاتجاه حتى ذهب بعضهم الى أنه «فى أعمق فرائض الفن تكمن فرائض الخلق».. وذهب فريدرك شيلر الى أن المسرح يجب أن يكون «منظمة خلقية» أما برتولد بريخت فقد قال: «لا وجود لفن جديد بدون هدف جديد.. والهدف

الجديد هو التربية».

لكنه من الواجب أن ندرك أن أكثر الذين تحدثوا عن الفـائـدة أو المنفعـة فى الأدب بكـل جوانبهـا الأخلاقية والتربوية والاجتماعية.. يؤكدون أن هذه المنفعـة لا تأتى بصـورة تلقينية مباشرة.. وإنما تتم بدلالات وإيحاءات غير مباشرة.

واذا كان دعاة المتعة قد اعتذروا أحيانا بأن الجمال له فائدة فى ذاته فهو قوة عظيمة ترفع الانسان فوق ذاته، وما الانفعال الشعرى سوى قابلية لما وراء هذا العالم.. لعالم أكمل.. فإن دعاة الفائدة قد اعتذروا بأنه ما من فن عظيم يمكن أن يكون مجرد دعاوة.. فعلى كل حال لو مططنا هذا المصطلح ليعنى الجهد الـرامى (بـوعى أو بغير وعى) الى التأثير على القراء ليشاركوا الكاتب فى موقفه تجاه الحياة عندئذ نجد أن كل الفنانين دعاة.. أى أن فى الفن منفعة وفائدة.

من هذين الاعتذارين نصل الى المسألة الرابعة المتعلقة بسؤالنا هل الأدب للمتعة أم للفائدة؟

وواضح أننا نصل مع الاعتذارين الى المصالحة الأبدية التى تكمن فى كل عمل أدبي جيد.. وهى أنه «ممتـع ومفيد فى آن واحـد.. لأنـه لا تعـارض بين «الجمالية والأخلاقية» وفضيلة الأدب الجيد تكمن فى قدرتـه على السمـو بنفس من يتـأمله، فالأفكـار لا تستـطيع أن تكون إلا أشكالا والأشكال ليست إلا كشفا عن فكرة.. والشكل الجمالى الباعث على المتعة هو نفس الفكـرة المحققـة للفائدة.. يقول روبرت فروست (من أبرز شعراء أمريكا) ان القصيدة تبدأ بالامتاع وتنتهى بالمعرفة والحكمة.. وهو فى ذلك مثل سلفه هوراس «الشعر يمتع ويعلم».. ومثلهما قلنا نحن.. تماما مثلما نسمع من رسول الله ﴿ﷺ﴾.. «ان من البيان لسحراً» وهذا قمة الدهشة أو الامتاع فى الادب، وفى نفس الوقت نجد أنفسنا مع أصحاب رسول الله من أمثال حسان بن ثابت يدافعون عنه بالكلمـة.. كما دافعـوا عنه بالسيف.. وتلك قمة الفائدة فى الأدب.

■ **بقى سؤال أخير**: وقد تحقق أن فى القراءة الأدبية متعـة وفـائـدة.. فهل من وسيلة معينة على تلمس أقصى فائدة ومنفعة من قراءاتنا الأدبية؟

أظن أن هناك بعض الملاحظات المفيدة فى هذا السؤال ليمكن استنتاجها من آراء الدارسين والنقاد.

أولها: التأكيد على «تكرار قراءة النص الواحد».. فعـلى غير ما هو مألوف عند كثير من الناس من أن القراءة الأدبية استهلاكية (كالطعام لا نأكله الا مرة واحـدة) يدعو كثير من النقاد الى ضرورة «قراءتين» للأعمال الأدبية لتحقيق الاستمتاع والاستفادة بأفضل صورة ممكنـة.. وقـد ذهب فورسـتر إلى أن القراءة الأولى شعـور بالنص.. انطبـاع.. مشـاركـة.. ذوق.. وفيها يرجىء المرء مخالفته أو موافقته إلى ما بعد القراءة الثانية التى تكون قراءة تفكير وفهم.

وممن دعـا بدعـوة القـراءتـين من نقـادنا العقاد وهيكل.. يقول الأخير ملحا على ضرورة الوصول من خلال قراءتين إلى إحساس بالنص وتأثر به: إن المسألة ليست مسألة قراءة فحسب.. بل هى مسألة تدبـر وشعـور شخصي، فكـرى أو نفسى، يتـأثـر بمـلامسـة مظاهـر الحياة.. للأعصـاب الانسـانية المهذبة تهذيبا خالصا يجعلها قابلة للاحساس والتأثر.

ثانية الملاحظات:

تتعلق بضرورة التحرر من الأفكار والانطباعات المسبقـة عن الكـاتب أو النص الـذى نقـرأ ـ قدر الامكـان ـ لأن هذه الأفكـار والانـطباعات المسبقة تفسد فينا حاسة الاستقبال وتحرمنا من أهم خصائص الروح العلمى في التعامل مع الأدب.. أعنى الاقرار بوجـود التأثر به فى حياتنا وتنظيم الدور الذى تؤديه فينا.. إن مثل هذا التمسك بالأفكار والانطباعات السـابقـة من شأنه أن يجعلنا نغوص فى ذواتنا حتى تصبـح قراءتنـا، كما يقول الدكتور غنيمى هلال ـ يرحمـه الله ـ «من أمـور الحياة البـاطنـة ومحاولة من محاولات العـزلـة» فلا يجد القارىء في النهاية سوى نفسه بوصفها وحدة منعزلة.

ومـن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به المـاء الـزلالا

■ إن علينا أن لا نطرح ما استقر في أنفسنا عن العمل

قبل أن نعطيه الفرصة لطرح ما يريده منا فينا . . هنا تصبح القراءة للأدب بمثابة تعاقد حر كريم بين المؤلف والقارىء فيثق كل منهما فى الآخر ويعتمد عليه ويتطلب منه ما يتطلبه من نفسه .

ونضرب مثالا على أهمية تحرر القارىء من انطباعاته المسبقة ما أحدثته رواية مثل «كوخ العم توم» الأمريكية التى تعد بلا شك أحد مسببات الحرب الأهلية الأمريكية ، ، لو ظل هؤلاء الذين قرأوها من «البيض» على انطباعاتهم المسبقة عن «السود» لما أحدثت الرواية تأثيرها الذى غيرت به مسيرة الحياة الانسانية فى ذلك البلد . . إن علينا أن ندرك أن كل عمل أدبي ينشر على الجمهور يريد ـ أو يريد مؤلفه ـ أن يؤثر في توجيه الفكر والشعور . . أن يحدث تغييرا كبيرا أو طفيفا فى محيط المسائل العملية أو الأخلاقية أو الاجتماعية أو السياسية ، إن طروحاتنا معه استجابة أو نفورا متزامنين مع طروحاته هى التى تؤدى إلى الأنفع والأمثل .

هذا يقودنا إلى ملاحظة ثالثة تتعلق بأهمية اختيار ما نقرأ . . فإذا كنا حسب الملاحظة السابقة ـ لا محالة ـ متأثرين بما نقرأ ، فإن قدرا من الوعى والجهد المبذول فى اختياره أمر لا مفر منه . . فإذا استطعت أن أقدم لابنى مثلا كتابا ممتعاً ومفيداً عن الحياة فى الجامعة (قصة أو مسرحية) قبل إقدامه عليها كانت مساعدتي له خير ألف مرة من عشرات النصائح والوصايا . . إن دورنا في الاختيار سواء لأنفسنا أم لمن هم أمانة في أعناقنا لا يقل أهمية فى تحقيق المتعة والفائدة عما يحققه النص نفسه ، ولذلك فمن الطريف حقا أن نقرأ فى مجلة أجنبية نسائية (Glamour) أغسطس ١٩٨٧م عن سيدة تعد قائمة مثالية للقراءة الصيفية لزوجها تحقق ـ حسبما تقول ـ المتعة والاستنارة والفائدة ، ولكنها تحقق بالدرجة الأولى حسبما نرى «ما تريده هى فى هذا الزوج» .

كم هو مفيد حقاً أن نعرف أن الانسان حصيلة ما يأكل ويشرب ويقرأ ، وقد تنبه الى هذه الحقيقة تى . اس . اليوت . ومن قبله بأكثر من ألف عام قال ابن المقفع :

ولسنا الى ما يمسك أرماقنا من المأكل والمشرب بأحوج منا الى ما يثبت عقولنا من الأدب الذى فيه تفاوت العقول . . وليس غذاء الطعام بأسرع فى نبات الجسد من غذاء الأدب في نبات العقل

والملاحظة الأخيرة تبدو تقنية إلى حد ما . . إنها تتلخص في أن تكون قراءتنا ناقدة . . وأنى تتأتى القراءة الناقدة لقارىء لم يدرس النقد أو الأدب؟ .

هنا تكمن الصعوبة . . ولكننى سأحاول التبسيط ما استطعت . . إننا نتعامل في العمل الأدبى ـ أى عمل أدبى ـ مع ثلاثة مستويات :

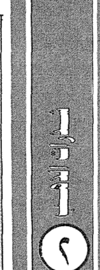
ـ **الأول مستوى الخاصيات الجمالية** : وفيه نلاحظ بعض الملامح المعمارية للعمل ، الايقاع التوازن ، الوحدة ، الصور . . الخ . أى أن هذا المستوى يقوم على الشك المثير لدهشتنا أو انجذابنا .

ـ **اما المستوى الثانى فهو مستوى الأفكار** : المعانى والقضايا المطروحة . . التلميحات . . تصور المدركات حسية كانت أو معنوية . . البصيرة . . فهو مستوى تنويرى يتصل بمجالات الإدراك العقلى أو الذهني على عكس المستوى الأول الذى هو شعورى وجدانى .

ـ **فى المستوى الثالث تكون الإثارة كلية** : عقلية ذهنية ، وشعورية وجدانية فى آن واحد . . (وعلى هذا المستوى يثير الأدب التفاعل والتوتر والحيوية الى أن تصبح القراءة الأدبية وعياً بعالم محدد المعالم ودخولا فيه . . فنغدو وكأننا من مضطهدى جنوب أفريقيا أو أطفال الحجارة أو مهاجرى فلسطين حين نقرأ عملا أدبياً يمس تلك الجوانب .

وإذا كانت هذه المستويات الثلاثة موجودة فى كل الأنواع الأدبية التى نقرؤها من شعر أو قصة أو مسرحية أو غيرها ، فإن القصة أو المسرحية أو التمثيلية التلفازية بشكل خاص تشتمل على **مستوى رابع هو مستوى التفاعل** (تعاطفا أو نبذا) مع ما تمثله من

البقية ص ٧٥





بقلم: د. (أبي حسـام) (المنصورة)

■ الاديب والمفكر صاحب المنهج الملتزم، ينسحب التزامه هذا على انتقائه للكلمة التى ينشرها، ذلك لانه يود للقارىء والمتلقى الاطلاع على الافضل والاجود.. والاستاذ الدكتور (أبو حسام) ـ ونحن نحترم رغبته الكريمة فى عدم ذكر اسمه ـ من هؤلاء النفر الذين خدموا الكلمة فى منهجيتها الصادقة الفاعلة.

(شذرات الذهب) عنوان نشر تحته الشاعر الكبير الاستاذ احمد بن ابراهيم الغزاوى ما ينيف على الفي شذرة، فى الادب والتاريخ، والحكمة والطرفة، والشعر واللهجات، والعادات، والتقاليد، وغيرها.. وقد استمر نشرها متتالية فى مجلة المنهل على مدى يقارب نصف قرن من الزمان.. وقد جمعتها دارة المنهل للصحافة والنشر وطبعتها فى مجلد يقرب من الف صفحة.

واستاذنا الدكتور (ابو حسام) اطلع على هذه الشذرات وأعجب بها، ورأى ـ مشكورا ـ إ فادة للقارىء ـ ان يواصل هو الكتابة تحت هذا العنوان ذاته (شذرات الذهب) مؤثرا بهذا العمل الجليل مجلته المنهل.

والمنهل يقدر لابى حسام هذا الجهد الطيب وهذا الاخلاص والوفاء المتجرد لمنهله، وللقارىء وللكلمة الطيبة.

١١ ـ ترفع نبيل

كان الشاعر الكبير محمود سامى البارودى يعرف أنه سيعرض للنفى بعد انهزام الجيش المصرى فى موقعة التل الكبير، فاستدعى أحد أصدقائه من أعيان مديرية الغربية، فأخبره أن فى خزانته أموالا ذهبية كثيرة، وأنه يخشى أن تكون من غنائم الانجليز، ويريد أن يحفظها لديه، فإن حُم مصيره فى منفاه فهى له، وإن رجع سالما فهى مناصفة بينهما.

قال الراوى ـ وهو الاستاذ محمود فهمى النقراشى رئيس وزارة مصر الأسبق ـ وبعد سبعة عشر عاما عاد البارودى من منفاه، واتصل بصديقه ليرد وديعته، فبالغ فى إنكارها، إذ يعلم أن البارودى عاد مجردا من رئاسته وسطوته، وعلم الشيخ محمد عبده بما كان فسافر إلى طنطا عاصمة الغربية، وقال للرجل أنت فوق الثمانين، ولقاء الله قريب، وحرام عليك أن تحرم رجلا فاضلا من حقه، وهو يعانى مرارة الحرمان بالنسبة لسابق عهده، وما زال به حتى حصل منه على عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية هى بحساب اليوم فوق المليون، وجاء الأستاذ الإمام بالمال فرحاً لصاحبه، . ولكن البارودى أبى أن يأخذ عشرة الآلاف! وقال فى شمم، يجب أن ترد الأموال الى سارقها اللص ليكوى بها فى نار جهنم حين يلقى الله! أيعتقد أنه يتفضل على بجزء تافه من مالى فيهدأ ضميره ويستريح؟! لابد أن أتركه نهباً لعذاب الضمير!!

هذه نفس عالية حقا! ولكن خطأ البارودى لا يرجع إلى رده المال وهو صاحبه، قدر ما يرجع إلى اعتقاده أن للخائن ضميراً يؤرقه ويعذبه! ولو وجد عنده هذا الضمير ما أنكر الحق وخان الأمانة.

١٢ ـ طرفة أخرى

كان البارودى أثناء قيامه بأعباء الوزارة ملجأ لذوى الحاجات، فكانوا يكتبون إليه بما يرجون، فيبلغهم ما يريدون، وفى كرة له عابرة بفناء قصره، لمح رجلا يقف على الباب فى انكسار ورهبة، فتوجه إليه ملاطفاً، فأخبره أنه لا يجد قوت يومه، ولو كان

معه أجر القرطاس والكاتب، لذهب لمن يكتب رجاءه للوزير كي يعطف عليه! فسأل عن اسمه وعنوانه، ووعده خيرا، وفي اليوم التالى تغير الجو السياسى، وذهب البارودى إلى مقر عمله ليعلم أن الوزارة ستستقيل قريبا، وربما بعد ساعات، فأرسل من يحضر السائل إلى مقر الوزارة على عجل، فذهبت فرقة من الشرطة لإحضاره وارتاع الرجل المسكين، حين وجد فريقاً من رجال الأمن، إذ ظن أنه ارتكب عملا خطيرا، وكان عليهم أن يخبروه بأنه طلبة الوزير، ولكنهم لم يفعلوا، فلما بلغ مقر البارودى حنا عليه في رفق واستدعى رئيس قلم الموظفين بوزارة الحربية، وأمر أن يعين بوظيفة ساع بأجر شهرى قدره خمسة جنيهات، وتسلم الرجل عمله فورا، وتحقق ظن البارودى فاستقالت الوزارة بعد ساعات، ورجع البارودى إلى منزله ليقول: الحمد لله، لو جاء هذا السائل المسكين بعد يوم واحد، ما استطعت أن أصنع له شيئا!! يقول الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف: إن مروءة البارودى ونخوته الواضحتين في شعره، صورة حقيقية من سمو نفسه، وارتفاع همته، فهو يصدر عن طبع خلقى، لا عن تكلف بيانى وفي مواقفه ما يؤكده قول الدكتور الصديق.

١٣ ـ بين البارودى وحافظ

ذكر الأستاذ طاهر الطناحى في كتابه (حياة مطران) ما فحواه، أن حافظ ابراهيم حين رجع من السودان محالا إلى الاستيداع، وقع في أزمة مالية حادة، فاتجه إلى البارودى وكان قريب العهد بعودته من المنفى فمدحه بقصيدته التى مطلعها:

تعمدت قتلى في الهوى وتعمدا
فما أثمت عينى ولا لحظه اعتدى
كلانا له عذر فعذرى شبيبتى
وعذرك أنى هجت سيفا مجردا

■ وقد قال في هذه القصيدة بيتين لم ينشرا بالديوان وهما:

أتيت ولى نفس أطلت جدالها
سيقضى عليها كربها اليوم أو غدا
فإن لم تداركها بفضل فقد أتت
تودع مولاها وتستقبل الردى

■ فلما سمع البارودى هذين البيتين بكى بكاء حارا، وناشد حافظاً أن يحذفهما من القصيدة، ثم نهض من مكانه، وعاد وبيده ظرف به أربعون جنيها، هى قيمة ما كان مقررا للبارودى وقتئذ من المعاش، ثم قال لحافظ: إننى أبكى لأنى عشت إلى زمن يقدم فيه مثلى إلى مثلك هذا المبلغ الضئيل، وقد أجاب حافظ رجاء البارودى فحذف البيتين حين نشر القصيدة للمرة الأولى.

١٤ ـ مطارحة شعرية

كان الأمير شكيب أرسلان في باكورة شبابه، يكتب مقالات أدبية بالأهرام، ويستشهد فيها ببعض شعر البارودى وهو منفى بسرنديب، فتأثر البارودى باهتمام الأمير/الشاب به، على حين أغفله بنو قومه من المصريين وكتب إليه هذين البيتين:

أشدت بشعرى بادئا ومعقبا
وأمسكت لم أهمس ولم أتقدم
وما ذاك ضنا بالوداد على امرىء
حبانى به، لكن تهيبت مقدمى

■ فتأثر شكيب تأثرا مماثلا، ورد على البارودى بقصيدة قال فيها:

أيعجب من تنويه مثلى بمثله
لعمر الذى قد شق في شعره فمى
لقد طالما حدثت نفسى وعاقنى
ترددها ما بين أقدم وأحجم
لألفيت عندى دوس مشتجر القنا
وخوضى في حوض من الدم مفعم
أقل لقلبى في المواقف هيبة
وأهون من ذاك الجناب المعظم

■ واتصلت المراسلات الشعرية بين الشاعر الكبير، والشاعر الناشىء زمناً، وكان البارودى وهو في مرض الشيخوخة لا يضن على شاعر تقدم إليه بالتشجيع، فنظم مقطوعات شعرية في تشجيع حافظ ابراهيم، وعبد الحسن الكاظمى، ومصطفى صادق الرافعى،

إذ رأى من حق المروءة لديه أن يأخذ بناصر من يسمو إلى الصيت الأدبى عن طريق الشعر، فهل يفعل كبار الأدباء اليوم هذا مع النابتة من المتأدبين.

١٥ـ من بدائع خليل مطران

يقول شاعر الأقطار العربية خليل مطران عن البارودى: أدركته وقد عاد من منفاه، فدخلت عليه وهو فى صدر مجلسه، فحيانى بذلك اللطف الذى كان لا يفارقه الوقار، ولا تثبت معه الكلفة، ثم صار لي معه بعد ذلك ود وعهد، واتفق أن جئته ذات يوم وما بيننا ثالث، فتطارحنا الشعر وتباحثنا فيه، ثم اقترحت عليه بيتين يرتجلهما فاستوى يفكر، استوى ساكناً ساجيا، مسندا ظهره إلى الحائط، وفكر غير منقبض المحيا، ولا مُعنت الملامح، مُتهللة سماحة وجهه اللامع بأنوار الزوال، بين بلج لحيته المستديرة، وقتم الناظرتين السوداوين! مرت بى وبه دقيقة، وهو متمكن فى مجلسه، وأنا مسترسل فى خاطر أخطرته فى قلبى رؤية الرجل على هذه الحال، فخيل إلى أنى لدى تمثال من تلك التماثيل التى أقامها صناع اليونان لبعض المتقدمين من حكمائهم وتبدلت فى ذهنى الناظرتان السوداوان بالظلين اللذين يحيطان بالعيون المطبقة فى تلك التماثيل، وبينما أنا مستغرق الحواس بتلك الذكرى، إذ تحرك الرجل تحرك من يعالج معنى مستعصيا فتنبهت تنبه دهشة، كأنى بالتمثال وقد تحرك!

وفى تلك الوهلة تذكرت لأول مرة، أن البارودى، وذلك رسمه، وتلك بشرته البيضاء، ليس بعربى النبعة، وقضيت عجباً لآية البيان التى تلتقى عندها فروق الأصول والفروع والمكان والزمان.

١٦- عبده الحمولى

يقول أحمد شوقى فى رثاء المطرب الأشهر (عبده الحمولى)

يحبس اللحن عن غنى مدل
ويذيق الفقير من مختاره
يا مغيثا بصوته فى الرزايا
ومعينا بحاله فى المكاره



حافظ ابراهيم

شكيب ارسلان





خليل مطران

مصطفى صادق الرافعي

ومحل الفقير بين ذويه
ومعز اليتيم بين صغاره

■ والبيت الأول له شواهد كثيرة من مواقف الحمولى، ومنها أنه كان ذات يوم بمدينة الاسكندرية، حيث يحلو له أن يتجول فى الأحياء الشعبية وحيداً، فمر بزقاق صغير، ليجد امرأتين تتنازعان لأن إحداهما قد آذت الأخرى برش الماء فى الزقاق، إذ اعتزمت أن تقيم حفلا متواضعا لزفاف ابنها فى الغد، فهى تسكن التراب بالماء لتمهيد الأرض، ولكن الأخرى لم يرضها أن تهتم جارتها بابنها هذا الاهتمام، فقالت لها: حفلة إيه ياشيخه! يعنى عبده الحمولى جاى عندك!! فردت الجارة: ما يبعدش على الله! هو كريم!! وسمع الحمولى هذا الحوار فتقدم إلى المرأة، ودفع لها ثلاثين جنيها ذهبيا، وقال لها: أقيمى السرادق فى الشارع العام بهذه النقود وسيحضر عبده الحمولى بنفسه لأنه صديقى!.

وجنت المرأة، ولم تصدق، ولكن زوجها قال لها: الرجل دفع ثلاثين جنيها ذهبا، لازم واثق من صاحبه، وقام على الفور ونصب السرادق.

أما عبده الحمولى فقد اجتمع بأصدقائه فى الاسكندرية، وأعلمهم أنه سيغنى فى مساء الغد، (بباب سدرة) فى الاسكندرية، وعلم الناس هذا النبأ السعيد، فذهب الجمهور المحتشد الى المكان المحدد



وازدحم الناس فى الطرق المجاورة حين امتلأ السرادق بالخاصة والعامة، وشهدت الاسكندرية ليلة من أجمل لياليها، ولما انتهى الحفل نادى الحمولى السيدة الوالدة، وقال لها، مبروك على العريس يا ستى!!

١٧- طرفة أخرى

أقام وجيه كبير من وزراء العهد الماضى حفلة لزفاف ابنه، ودعا عبده الحمولى لإحيائها، فجاء مع صديقه الصحفى سليم سركيس، ولكن رجلا كبيرا من زملاء الوزير تضايق لوجود سركيس لأنه كتب مقالا ينقده فى جريدته، فطالب بإخراجه من السرادق فورا، ونظر الحمولى فوجد صاحب الحفلة يشير على سليم سركيس بالخروج، فرمى الأجر الذى أخذه من الداعى وقدره ألف جنيه ذهبا، وصاح: سأخرج معه، فهاج الجمهور، وأحس الداعى بأن ذلك فأل غير سعيد، فقال للحمولى: سيبقى سركيس ولن يخرج، فصاح الحمولى: لن أغنى حتى يخرج صاحبك الذى أهان صاحبى!! وتمسك الحمولى بموقفه، ورأى الداعى أن يستأذن صاحبه ليخرج مرغما، فانسحب فى خجل شديد.

١٨ ـ من بدائع عبد العزيز البشرى

تحدث الأديب الكبير عبد العزيز البشرى عن عبده الحمولى فقال بعد أن أبدع فى وصف مقدرته الغنائية، لست بمستطيع أن أصف كيف صدح الحمولى بالمقطع الأخير ، لأنى لا أدري، ولكنى أستطيع أن أقول إن طائفا عنيفاً جدا من الكهرباء. سرى فى الحشد المجتمع فلم يسلم منه أحد، جمد الناس جميعا، وتعلقت أنفاسهم، وشل كل مناط للحركة فيهم، فما تحس منهم إلا أبصارا شاخصة، وأفواها مغفورة، لو اطلعت عليهم لخلتك فى متحف يجمع دمى منحوتة لا أناساً يترقرق فيهم ماء الحياة، وكذلك القائمون بالخدمة قد مسهم هذا الطائف فجمدوا وثبتوا. . وقد ظلت هذه الحال زهاء عشرين ثانية، وينفجر البركان الأعظم يتطاير عنه الحمم، ويموج الناس بعضهم فى بعض، ولا تسل كيف قدت الحناجر من الشهيق ولا كيف بريت الأكف من التصفيق.

١٩ـ من الشعر البديع

يقول محمود سامى البارودى:

قالت وقد سمعت شعرى فأعجبها ... إنى أخاف على هذا الغلام أبى
أراه يهتف باسمى غير مكترث ... ولو كنى لم يدع للظن من سبب
فكيف أصنع إن ذاعت مقالته ... ما بين قومى وهم من سادة العرب
فنازعتها فتاة من صواحبها ... قولا، يؤلف بين الماء واللهب
قالت: دعيه يصوغ القول فى جمل ... من الهوى فهى آيات من الأدب
وما عليك وفى الأسماء مشترك ... إن قال فى الشعر يا ليلى ولم يعب
وحسبه منك داء لو تضمنه ... قلب الحمامة ما غنت على عذب
فاستأنست ثم قالت وهى باسمة ... إن كان ما قلت حقا، فهو فى تعب
يا حسنه من حديث شف باطنة ... عن رقة ألبستنى خلعة الطرب

أروقة منصوبة على أعمدة الكلمة، قوامها: الطرفة والمزحة، المعلومة والمعرفة، المثل والحكمة.. أشتات مجتمعة تهش لها النفس وتستوعبها.



عجائب وغرائب.. من تراثنا

هدايا العظماء

حماد السالمي

● والهدايا التى كانت تجرى بين السلاطين والملوك، فيها من التفاخر والتهديد والتزيد ما يعد غاية فى العجب والغرابة معا..

● فقد اهدى ملك الصين إلى كسرى أنوشروان حين هادنه، فارسا بفرسه من دُر منضد.. عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر، وقائم سيفه من سفن ثابت منضد، عليه الجوهر، وثوب صيني حرير عشاري، فيه صورة الملك جالسا فى إيوانه، وعليه حلتاه وتاجه، وعلى رأسه الخدم بأيديهم المزاب، مصورة منسوجة بالذهب الأحمر، وأرض الثوب لازوردي فى سفط مذهب تحمله جارية تتلألأ جمالا.

● ثم كتب إليه مع الهدية رسالة تصف بذخه وقوته ومكانته فى مملكته. فقال: «من ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر، الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور، الذى يوجد رائحته على فرسخين، والذى يخدمه بنات ألف ملك، والذى فى مربطه ألف فيل.»..!

● ويبدو أن كسرى أنو شروان كان مهاباً من الممالك التى تقع شرق وشمال مملكته.. فهذا ملك الهند يهديه الف قن من العود الهندى، يذوب فى النار كالشمع، ويختم عليه فتتبين الكتابة، وجام ياقوت أحمر، فتحه شبر فى شبر مملوءا درا. وعشرة امنان كافور كالفستق وأكبر، وجارية طولها سبعة أذرع، تضرب أشفار عينيها خديها، وكان يتبين لمعان البرق من بياض مبسمها، مقرونة الحواجب، لها ضفائر شعر تجرها.. وفرشا من جلود الحيات، ألين من الحرير، وأحسن من الوشى، وكتابه كان بالدر والذهب فى لحاء شجر الكادي.

● وهذا ملك التبت هو الآخر يهادي كسرى انو شروان فيهديه مئة تبتية مذهبة وألف من مسكا.

● ودهاقين العراق أهدوه فى النيروز عشرة آلاف الف، وفى المهرجان مئة ألف ألف ـ وحمل هذا

كله الى الخلفاء فى الاسلام بعد الفتح .

● أما كسرى إبرويز، فإنه أهدى الى قيصر ملك الروم حين زوجه ابنته مريم وهى أم ولده شيرويه بن كسرى، وهو الذى قتل أباه وأخته بوران، أهداه ما قيمته عشرة آلاف بدره بعد أن كان قسم فيمن صحبه من الروم من أصحاب قيصر الفين وخمسمائة بدره . . من ذلك الف لبنة من ذهب، زنة كل لبنة منها ألف مثقال، ومن المال الصامت خمس مئة بدرة وألف لؤلؤة صافية ثمن كل لؤلؤة أربعة الاف درهم، وألف استبرق ملينة ملحمة - منسوجة بالذهب، قيمة كل استبرقة منها أربعة آلاف درهم. وألف برذون فتي، من نتاج الملوك، قيمة كل برذون منها ألفا درهم، وقيل أربعة آلاف درهم .

● وكتب «دهمي» ملك الهند إلى عبد الله المأمون بالله بكتاب فى لحاء شجرة تنبت بالهند يقال لها الكاذي أحسن من الكاعز والقرطاس لونه الي الصفرة والخط لازوردي مفتح بالذهب ومعه هدية عبارة عن جام ياقوت أحمر فتحه شبر فى غلظ الاصبع، مملوء دراً، وزن كل درة مثقال، والصرة مئة درة، وفرش من جلد حية تكون فى وادي المهراج تبتلع الفيل . . ! ووشى جيدها دارات سود على قدر الدرهم، . وفى وسطها نقط بيض مغروزة بالدر لا يتخوف من جلس عليها السل، ومن كان به السل وجلس عليها سبعة أيام ذهب عنه، ومصليات ثلاث بوسائدها من ريش طائر يقال له السمندل، اذا طرحت في النار لم تحترق، وفروازها در وياقوت أحمر. ووزن مئة ألف مثقال عودا رطباً، إذا ختم عليه قبل الصورة. . مع كافور وجارية سندية .

● الحركات الهدامة فى الادب والفن (بقية المنشور ص٧٨)

الحبكة، ولا في انعدام الأبعاد النفسية والمنطقية، وانما يكمن في اللغة التى تتجلى على المسرح سائر أمراضها، كما يكمن في استحداث أشكال مسرحية جديدة» .

ان مقارنة الوسائل الفنية التى يستعملها (طورما) فى هذه المسرحيات الثلاث، يمكن أن يدلنا على الرحلة الفنية التى قطعها هذا الكاتب الذى سد الطريق أمام أية محاولات فنية أخرى:

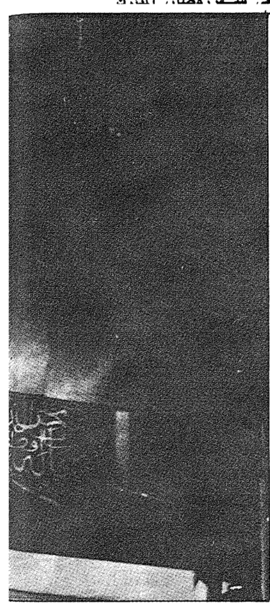
«لا ينبغي أن نعيد الكرة، ونبدأ التجربة من جديد، فهي واضحة كل الوضوح، فبعد (لوترياmon) و (رامبو) و(جارى) كل الذين يريدون أن يكتبوا كتابات جادة مرة أخرى مغفلون، - أنا أخفف من تعبير-» .

■ ان أوجه الشبه كثيرة بين (طورما) من ناحية، و(بيكيت) و(يونسكو) وسائر كتاب المسرح الطليعي من ناحية أخرى، فهذان (لودريكس) و(فيديفورم) من شخوص (طورما) يتنقلان حاملين حقيبة تحتوى على جميع حاجياتها أشبه بكل من (بوتسو) و(لاكي) في مسرحية (بيكيت) بعنوان: فى انتظار غودو، وأشبه بشخصية (أوبو) الذى يتنقل بحقيبة يحمل فيها (مدام ضميره) فى قميص النوم، نضيف الى هذه الملامح المشتركة استعمال (طورما) للفظ «بوغريلا» فى مسرحية «لوما لامير» وهو من الألفاظ التى يشيع استعمالها عند (جارى)، دليلا على تأثر (طورما) بمسرحيات (أوبو) .

هذه بالاضافة الى سرطانية اللغة ودمارها، واستحداث أساليب مسرحية جديدة، وكذلك محاولة تدمير الأدب من الداخل عن طريق وسائله الخاصة، وأخيرا بتر العبارات وقصورها عن أداء المعنى، أو تأكيد أية حقيقة أو وجهة نظر محددة، كل ذلك يقربنا من طليعة الخمسينيات: «أو ليس مسرح (طورما) مثل مسرح (بيكيت) كتب لكي يقدم لنا فرصة للعب والتمثيل؟» .



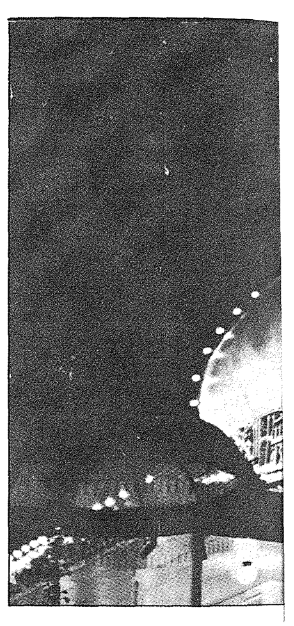
شعر: أحمد عبد الهادى



قبة احد مساجد «أندونيسيا»
في شهر رمضان المبارك

رمضان وافى الخلق بالخيرات
فاستبشروا باليمن والبركات
واستقبلوا شهر الهدى بحفاوة
وخذوه بالأحضان والقبلات
فالله جل جلاله قد حفه
بالنور والإيمان والآيات
سبحانه فهو الذى قد خصه
دون الشهور بعاطر النفحات
شهر إذا سميته بصفاته
سجلت شهر الصوم والصلوات
بل شهر ربى فيه قد نزل الهدى
فى ليلة جلت عن السنوات

فيـزين الفعـل القبيـح ـ بمكـره ـ
ويـقـبـح الـتسبيـح والـطاعـات
ولـقـد يصـوم المـرء من ماء ومـن
زاد ويـتـلو محكـم الـسـورات
أو قد يسـىء إلى الـورى بلسـانـه
ويـصـب جام الـسخط والـلعنـات
ويـظل يدمـى بالـنكـات قلوبـنـا
فيـقـول: إنـى صائم (سـاداتى)
هذا هو الـصـنـف الـذى قد ذمـه
(طـه) الـنـذيـر وصـادق الـكلمات
لا صوم للمـغـرور ملء ردائـه
لا صوم للمـغـمـور بالـنـزوات
لا صوم للمـطرود من ديـانـه
حتـى ينـقـى الـنفس من سوءات
رمـضـان جاء معـطر الـنـسـمات
يمحـو ذنـوب الـنـاس بالحسنـات
فلمـحتـه نوراً يضـىء بمـهـجتـى
وشـعـرت بالايـمان فى نبـضـاتـى
ويـزف بشرى لسـت أدرى كنهـهـا
وغـدا ضيـاه يطارد الـظلمات
حتـى إذا انجـاب الـظلام فرفـرفت
نحـوى حمامـات من الـربـوات
وشـدت معـى الألحـان فوق خميـلة
زيـتـونـة تزهـو على الـشـجـرات
وهنـاك (مـوسيقى) الـسـلام تثـيرنـا
والـنهـر يجرى طيـب الـغـدوات
فعـلمـت أن الـسـلم عاد لأرضـه
وأتـى الـنسيـم فأيـقظ الـزهـرات
ورأيـت أعـدائـى هنـالـك عبرة
فرجـعـت أرفـل ثابـت الخـطوات
فأنـا وإخـوانـى نسـير على هدى
ومـطوحـين بكـل فظ عات
رمـضـان وافى الخـلق بالخـيرات
فاسـتـبشروا بالـنصر والـوثـبـات



فيهـا المـلائكـة الكـرام لقـدرهـا
يتـنـزلـون بسـابـغ الـرحمـات
فاهنـأ أيـا من قد نويـت صيـامـه
وقـيـامـه وأتـيـت بالـصـدقـات
واهنـأ أيـا من قد سعـدت بقـربـه
فلتـغـتـنـم ما شئـت من لحظات
ولـتـقض شطراً ساهـداً متـهجـداً
فغـدا تفـوز بأعـظم الـدرجـات
وامـلأ فؤادك بالإلـه وذكـره
فهـو المـلاذ لنـا من الأزمـات
واحـذر من الـشـيـطان فيـه فإنـه
يدعـوك للعـصـيـان بالهـمـزات



بقلم: محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

القاهـرة

إن فى تاريـخ أى أمة من الامم أياما تسعد بذكراها، لما اقترن بها من الاعمـال الجليلة، والامور العظيمة، وما أكثرالأيام التى حفل بها تاريخنا الاسلامى الخالد، ففى يوم الجمعة الموافق للسابع عشر من شهر رمضان، من السنة الثانية الهجرية، حدثت موقعة (بدر)، ومما لا شك فيه أن هذه الموقعة كان لها أعظم الاثر فى تحطيم كبرياء (قريش) وكسر شوكتها، وقد خلد الله عز وجل ذكر هذه الموقعة فى القران الكريم، فسمى زمنها بـ (يوم الفـرقـان)، وامتن على المسلمين بها فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببـدر وأنتم أذلـة﴾ (سورة آل عمران الآية ١٢٣)، وبشر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من حضرها بالجنة.

ولقـد كانت هذه المـوقعـة بدايـة لمرحلة هامة فى تاريخ الدولة الاسلامية، حتى لقد نظر الناس اليها على أنها لا تقل فى نتائجها عن بدء الوحى، ونزول القرآن الكريم، أو الهجرة الى (المدينة).

إن النصر فى أية موقعـة من المـواقـع له عوامله ومبرراته، وتلك حقيقة هامة لا سبيل الى انكارها أو التغـاضى عنهـا، وعـوامل النصر ومبرراته إنما تأتى نتيجـة ظروف معينـة، تتصـل بالجيش المحـارب، وتتصل بالعدو، واننا نستطيع أن نجمل العوامل التى أدت إلى انتصار المسلمين وهزيمة المشركين فى موقعة «بدر» فيما يلى:

١ ـ قـوة الإيمـان:

لقد كان المسلمون الأولون يؤمنون ايمانا صادقا بأهمية جهـادهم، وصـدق دعوتهم التى رسخت فى قلوبهم، واعتقادهم بأن الله عز وجل ناصرهم على أعـدائهم، وهـذا الايمان القـوى هو الـذى دفـع المسلمـين الى أن يخوضـوا غمار المعـركـة بكل ثبات واطمئنان، غير مبالين بكثرة عدد المشركين وقوتهم.

وعـلى الرغم من أنهم فوجئوا بكثرة عددهم إلا أنهم لم ترهبهم الكثرة، بل ثبتوا على الحق، ولولا هذا الايمان القوى بالله عز وجل، وبحقهم فى الدفاع عن عقيدتهم، لكان هناك قول آخر.

موقعة بدر الكبرى

٢ ـ تماسك الجبهة الداخلية:

شرع الرسول ﴿ﷺ﴾ منذ وصل الى «المدينة» فى بناء مسجده، ولم يكن المسجد على عهده مكانا خاصا بالصلوات فحسب، بل كان مدرسة للتهذيب والتعليم، كما كان محكمة للقضاء، ودارا للشورى، ومركزا لقيادة الجيش، ونزلا لاستقبال الوفود والرسل الذين كانوا يتوجهون للقاء الرسول ﴿ﷺ﴾.

وكان موقف الرسول الكريم وأصحابه المهاجرين ـ بعد أن تركوا وطنهم، وخرجوا من ديارهم، وجردوا من أموالهم ـ موقفا دقيقا يتطلب الاخلاص والتضامن، ويقتضى أن يسود التعاون بينهم وبين الأنصار، وكان الأنصار قد شعروا بحاجة اخوانهم المهاجرين، وقدروا ظروفهم العصيبة، فآووهم ونصروهم، وضربوا أروع الأمثال فى الاخلاص لهم والتفانى فى خدمتهم، حتى لقد وصفهم الله عز وجل بذلك الوصف الرائع، حيث يقول: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (سورة الحشر الآية ٩).

وكانت سياسة الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ فى هذه الظروف القاسية سياسة القائد المحنك الرشيد، فقد عمل على تنظيم صفوف المسلمين، وتأكيد وحدتهم، فربط بينهم برباط قوى وثيق، وذلك أنه عقد تلك الأخوة النادرة المثال بين المهاجرين والأنصار.

وقد أظهر الأنصار من الكرم والتسامح مع اخوانهم المهاجرين ما خفف عنهم آلام الغربة وعوضهم عن فراق الأهل والأحباب.

وكان اليهود المقيمون بجوار المسلمين فى «المدينة» أعداء للأنصار قبل أن يدخلوا فى الاسلام، فلما قوى أمرهم بمجيء اخوانهم المهاجرين اليهم ازدادت عداوتهم وحقدهم عليهم.

وقد كتب الرسول ﴿ﷺ﴾ وثيقة بين فيها حقوق المسلمين وواجباتهم، وحقوق اليهود وواجباتهم، وكان أساس هذه الوثيقة الأخوة فى السلم، والدفاع عن «المدينة» وقت الحرب، والتعاون التام بين الفريقين اذا حدث أمر لأحدهما أو لكليهما.

ولقد دلت هذه الوثيقة على عبقرية الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ وحسن تدبيره، فهى تقرر حرية العقيدة، وحرية الرأى، وحرمة «المدينة» وتحرم الجرائم، وتحارب الظلم والاثم، ولا شك فى أن هذه الوثيقة كانت ذا أثر كبير فى تقوية عزائم المسلمين، وحفظ «المدينة» من مطامع المشركين المعتدين، ولولا أن اليهود غدروا وخانوا، ونقضوا العهود والمواثيق ـ كعادتهم ـ وبدأوا العدوان على المسلمين، لما وقف الرسول منهم موقف العداء، ولظلت «المدينة» يغمرها الود والصفاء.

وبذلك صار المسلمون ومن تبعهم داخل «المدينة» وحدة متحالفة، للدفاع عنها ضد أى عدوان يقع عليها، واذا كانت الجبهة الداخلية متماسكة قوية، كان لذلك أثره الفعال على القوات المحاربة، ورفع روحها المعنوية، وامكان امدادها بالمؤن والعتاد.

٣ ـ التخطيط المنظم:

لقد كان المهاجرون يحنون دوما الى موطنهم «مكة» ويتطلعون الى «قريش» التى فرقت بينهم وبين أهلهم، فتثور أنفسهم ألما، ويودون لو أن الفرصة تتهيأ لهم ليستردوا حقهم المسلوب.

وعندما استقرت الأوضاع بـ «المدينة» فكر الرسول ﴿ﷺ﴾ فى القيام بعمل يجعل «قريشا» تشعر بقوة المسلمين، وأنهم قادرون على أن يلحقوا بهم الضرر، عسى أن يتراجعوا عن غيهم، ويحاولوا التفاهم مع المسلمين، فكان أول ما ارتآه الرسول

الكريم ﴿ﷺ﴾ من وسائل النضال ضد «قريش» هو تهديد تجارتهم الى «الشام».

وفى السنة الأولى من الهجرة بدأ النضال على شكل سرايا تقف فى وجه التجارة القرشية، وقد تمكن الرسول الكريم من عقد محالفات مع القبائل العربية على طريق «قريش» الى «الشام» وحول «المدينة» ليؤمن حدودها.

وهكذا أصبح طريق التجارة فى يد المسلمين وتحت سيطرتهم، وعندما علم رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن هناك قافلة تجارية لـ «قريش»، قادمة من «الشام» ويقودها أبو سفيان أراد أن يعترض طريقها، ليفجع «قريشا» فى أموالها، كما فجعت المسلمين من قبل فى أموالهم وأنفسهم.

وأعد الرسول ﴿ﷺ﴾ العدة لملاقاة القافلة، فخرج فى نحو ثلاثمائة بعد أن استخلف على «المدينة» رجلين من بسطائها، أحدهما يؤم الناس فى الصلاة، والآخر يقضى بينهم، وكان الرسول الكريم شديد الحرص على معرفة قوة العدو قبل بدء أى معركة من المعارك التى خاضها، فجمع من المعلومات مالا يطمع فى أكثر منها أى قائد عظيم فى معركة مصيرية، ووجد المسلمون غلامين من غلمان «قريش» يملآن بعض الأوانى من أحد الآبار، فأخذوهما الى الرسول الكريم، الذى ناقشهما واستجوبهما استجوابا دقيقا، استنتج منه الرسول الكريم عدد جيش «قريش»، ومن به من أشرافها، وعرف المكان الذى يرابط فيه جيشهم.

ولا شك أن معرفة المكان وعدد الجيش يؤدى الى رسم الخطة الصحيحة فى مواجهة العدو، ولذلك فإن الرسول الكريم توجه بجيشه الى الشرق من جيش المشركين عند أقرب ماء الى العدو، ليتيح للمسلمين فرصة الانتفاع بالماء دون المشركين.

وعندما اجتمع المسلمون واستعدوا للقتال، نهض الرسول الكريم وقوم صفوفهم، حتى لكأنهم البنيان المرصوص، وحثهم على الثبات، وقد أعد كتيبة الرمى اعدادا أفسد تفوق المشركين فى سلاح الفرسان، ومن هنا ندرك أن الرسول ﴿ﷺ﴾ كان يخطط لمعركة «بدر» تخطيطا دقيقا، أدى فيما بعد الى احراز النصر على المشركين.

٤ ـ الروح المعنوية:

اذا كان الموت من الأمور الحتمية التى ينتهى عندها مصير كل انسان حى، فان أعظم المراتب التى يسعى اليها أصحاب الهمم العالية هى الاستشهاد، دفاعا عن العقيدة والعرض والوطن، وهذا الاستشهاد لا ينقص من عمر الانسان ولو لحظة واحدة.

تلك كانت عقيدة المسلمين الأوائل، وهى التى جعلتهم يندفعون فى حروبهم لا يبالون بالموت، وكلهم شجاعة واقدام وبسالة.، ولقد رتب الرسول الكريم قواته وأعدها اعدادا قويا، وأدى ذلك الى رفع الروح المعنوية لدى الجنود، وارتقى باستعدادهم للمعركة، وصعد حماسهم للقتال. بالاضافة إلى أن المسلمين كانوا أسعد حظا من المشركين، فقد ضربوا حصارا قويا حول مياه «بدر»، ومنعوا «قريشا» من أن تستقى منها، وقد أكسبهم النوم الذى غشيهم ليلة المعركة قسطا وافرا من راحة الجسد والأعصاب، وأمطرت السماء ماء مهدت به الأرض تحت أقدامهم، وسهلت تحركاتهم على سفح التلال، فى حين قيدت زحف المشركين، وعوقت تحركاتهم.. وتسلطت أشعة الشمس فى الصباح على أعين المشركين أثناء عملية الزحف، ففككت تجمعاتهم، وأفسدت خطتهم فى تنظيم صفوفهم، ومما زاد التفكك فى صفوف المشركين أنهم بدأوا يشعرون بأن هذا القتال أصبح لا ضرورة له بعد نجاة القافلة.

٥ ـ القيادة الناجحة:

لقد كان الرسول ﴿ﷺ﴾ فى قيادته لجيش المسلمين فى موقعة «بدر» المثل الأعلى فى القيادة الناجحة، التى تتوافر فيها عناصر النجاح، فالرسول الكريم هدد مصالح المشركين بعقد التحالف مع القبائل النازلة على طريق التجارة، فأوقع الرعب والفزع فى قلوب أعدائه، وتتجلى مظاهر القيادة

الناجحة حينما بلغ الرسول الكريم أن «قريشا» قد ساقت اليه جيشا كبيرا متأهبا للقتال، وأنه موجود خلف الكثيب بالعدوة القصوى. وهزت المفاجأة المسلمين، لأن الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ قد أخبرهم بأن الله عز وجل وعده احدى الطائفتين: العير، أو النفير، وما كان خروجهم إلا للعير، وقد أفلتت العير، وتأزمت الأمور واستفحل خطرها، وفي هذا الموقف الحرج برهن الرسول الكريم على عبقرية فذة، فقد جمع كل قواته من المهاجرين والأنصار، وشرح لهم الأمر من جميع وجوهه، وأوضح لهم كافة الاحتمالات، وطلب منهم ابداء الرأي؟

هل يمضي الى «بدر» ويلقى جموع «قريش»؟..
أم يؤثر العافية ويعود إلى المدينة؟.

فأشار أبو بكر الصديق بالذهاب الى «بدر» والتقدم للحرب، حتى يقطع دابر كل اشاعة قد تروجها «قريش» فيما بعد عن خوف المسلمين وهربهم منهم، وكان رأي عمر بن الخطاب كذلك وأيدهما المقداد بن عمرو.

ولفت نظر الرسول الكريم أن هؤلاء الثلاثة من المهاجرين، وهو في الواقع إنما يريد استجلاء موقف الأنصار، وهم العماد الباقي لقواته، فالتفت الرسول الكريم الى بقية من بالمجلس وقال: «أشيروا على أيها الناس» وعندئذ أحس الأنصار أنه يقصدهم فقال سعد بن معاذ: «لكأنك تريدنا يارسول الله؟»، فقال: «نعم» فقال سعد: لقد آمنا بك وصدقناك، فلو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا».

ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه الرسول ﴿ﷺ﴾ بالبشر والسرور، فقد رأى من أصحابه تضامنا تاما وايمانا كاملا، فقال لهم: «سيروا وأبشروا، فان الله قد وعدني احدى الطائفتين، وقد أفلت العير، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»، وهكذا أجمع المسلمون رأيهم على ملاقاة «قريش»، وقادهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى وادي «بدر».

٦ ـ اختيار المكان:

إن الكثير من المواقع الحربية مهما اختلفت نظمها وأساليبها وأسلحتها يتوقف مصيرها الى حد كبير على الموقع الذي يختاره الجيش لنزوله، وبمعرفة المكان ينكشف الغرض الحقيقي لعملية الهجوم أو الدفاع أو التحصين، وتتضح منه القدرة على الثبات والتعرض للحصار أو سهولة الارتداد.

هذا إلى جانب أن معرفة عدد القوات المكونة لجيش العدو تبين جانبا مهما عن مدى امكاناته واستعداداته، وبمعرفة القواد الذين يقودون الجيش تظهر خطة العدو في حربه، حيث ان لكل قائد تجاربه الخاصة، ومواهبه الحربية، ومهاراته العسكرية التي يعرف بها، ويتضح كذلك مدى ما يحيق بالعدو من خسائر في حالة ما اذا فقد قادته في المعركة.

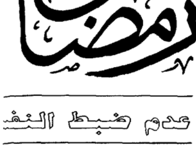
لقد أراد الرسول ﴿ﷺ﴾ أن ينزل بالمسلمين في أول وادي «بدر» ولكن الحباب بن المنذر اقترح ان ينزل جيش المسلمين في آخر الوادي، وأن يكون معسكرهم على مرتفع من الأرض، بين وادي «بدر» بغدرانه ومائه، وبين الكثيب المنخفض الذي نزلت به «قريش» وفي هذه الحالة يقف المسلمون بين «قريش» والماء، فيقاتلون وخطوطهم مأمونة، فاقتنع الرسول الكريم برأي الحباب، وأعلن أمام المسلمين جميعا أنه قد نزل على رأي الحباب، وأن في رأيه الحكمة والصواب، وهكذا كان الرسول الكريم يحترم الرأي الصائب وينفذه.

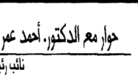
وفي منتصف الليل قام المسلمون ومعهم الرسول الكريم ببناء حوض كبير حول العين، فتدفقت اليه المياه من غدران «بدر» وأقام المسلمون بالقرب منه، وانفرد الحباب بن المنذر بتموين الجيش بالماء، وقطعه عن «قريش» وأيقن المسلمون أنهم سيواجهون المشركين بالسلاح والعطش، وسلاح العطش سلاح قاتل، وقد ساعد ذلك على انتصار المسلمين.

٧ ـ نصر الله عز وجل:

مما لا شك فيه أن المسلمين قد بذلوا غاية جهدهم

البقية ص ٤٧





حوار مع الدكتور. أحمد عمر محمد هاشم

نائب رئيس جامعة الأزهر

عدم ضبط النفـ

حكمة هذا الشهر

المسابقات ما دامـ

الربط بين رمضا

الاستاذ الدكتور احمد عمر هاشم.. اثرنا ان يكون حوارنا معكم عن شهر رمضان الكريم ـ أعاده الله على الامة الاسلامية والعربية بالخير والبركات ـ حوارا خفيفا .. بعيدا إلى حد ما عن اكاديمية الحوارات.. وتركنا ما نود طرحه من قضايا ومسائل متعلقة بالصيام لمقالات العدد.. ورأينا ان يكون لقاؤنا معكم فى (رمضانيات) بهذه الصورة.. مثريا لجوانب قد تعجز المقالات والبحوث المتخصصة عن تغطيتها.

حوار: نادر صلاح الدين

المنهل :

هل هناك علاقة بين الاشتقاق اللغوى لكلمة رمضان وفريضة الصيام؟!

●● يرى بعض العلماء أن هناك علاقة بين الاشتقاق اللغوى لكلمة رمضان وفريضة الصيام، وأن كلمة (رمضان) مشتقة من الرمضاء لشدة الحر حيث كان يوافق مجىء شهر رمضان فى وقت الصيف والحر وهناك من يقول: إن الاسماء لا تعلل.

المنهل :

هل الصوم والصيام مترادفان .. أم ان هناك فرقا دلاليًا؟!

●● جاءت كلمة الصيام فى القرآن الكريم بمعنى الفريضة التى كتبها الله تعالى على هذه الأمة كما كتبها على الأمم التى كانت قبلها فى قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** (سورة البقرة آية/١٨٣)، كما وردت كلمة الصيام فى القرآن أيضا فى قوله تعالى: **﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾** (سورة البقرة آية/١٨٧).

كما وردت فى موطن آخر بلفظ (الصيام) أيضا فى قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾ (سورة المجادلة آية/٤).

كما وردت بلفظ الصيام أيضا فى قوله تعالى: ﴿ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ (سورة البقرة/ ١٩٦).

ووردت كلمة صيام وصوم فى السنة النبوية الشريفة بمعنى واحد أما كلمة الصيام فوردت فى قوله صلى الله عليه وسلم: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه» رواه مسلم، وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة أتت النبى ﴿ﷺ﴾ فقالت: «إن أمى ماتت وعليها صوم شهر؟ فقال: أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟ قالت: نعم قال فدين الله أحق بالقضاء، فوردت الكلمتان بمعنى واحد وإن اكثر ورودها فى القرآن الكريم بكلمة «الصيام».

المنهل :

للاسف.. ربط كثير من الناس بين الصيام والكسل.. ولا شك ان هذا مخالف لطبيعة شهر العبادة.. تعليقك؟!

●● لا يصح أن يربط البعض بين الصيام والكسل، لأن هذا الربط أثر من آثار الدعاوى الزائفة والشبهات المغرضة التى حاول أعداء هذا الدين أن يثيروها، ليصرفوا المسلمين عن عبادة من أهم عبادات الاسلام فإذا ظهر كسل من بعض

ثورة على الكسل والتراخي



ـد الافطار من العادات التى تتنافى مع

ى إطار التعاليم الاسلامية جائزة.

الكسل فرية افتراها أعداء الاسلام.

المسلمين، فلا يحكم بسلوك البعض على العبادة نفسها، والعكس هو الصحيح إذ أن الصيام يدعو أصحابه إلى النشاط والعمل وواضح أن المعدة حين تكون خالية يكون الجسم خفيفا وحين يكون خفيفا يكون اكثر حركة ونشاطا، ولذا نرى كبرى الغزوات حدثت فى شهر رمضان مثل غزوة بدر الكبرى، ومثل غزوة الفتح.

فمما افتراه اعداء الاسلام وأثاروه حول هذه العبادة أنهم ربطوا بينها وبين رذيلة الكسل وادعوا زورا أو بهتانا أنه لم يؤخر المسلمين فى أعمالهم وفى اقتصادهم الا شهر رمضان وهى فرية كاذبة، فما رفع المسلمين ولا قوى بدنهم ونشاطهم الا هذا الشهر الذى يعتبر مصحة بدنية وروحية ففيه تنشط الأبدان ويتم علاج المعدة، وبه يكون البرء من كثير من الاسقام «الصوم جنة» أى وقاية وفيما قيل: «صوموا تصحوا» لأن المعدة بيت الداء، والى جانب فوائد الصيام الصحية فإنه عبادة وطاعة وفريضة فرضها الله على عباده ولا توجد عبادة من العبادات تتنافى مع منافع الناس الصحية والعملية والانتاجية لان الحكيم الخبير سبحانه وتعالى لا يكلف عباده إلا بما فيه منفعتهم دنيا وأخرى، وحسب الصيام فضلا أنه يغرس الضمير الدينى الذى به يراقب الانسان كل حركات نفسه وسكناتها ويدعوه إلى الاخلاص فى العمل والصدق فى القول، والاتقان فيما يوكل اليه من أعمال والى التحلى بمكارم الأخلاق والمسارعة إلى صنائع المعروف وبالجملة الى تقوى الله تعالى.

المنهل:

هناك بعض عادات عرفت عند بعض الناس تظهر فى هذا الشهر.. وتختلف مع ما يدعو إليه الشهر الكريم.. ماذا يقول د. عمر فى ذلك؟..

●● من العادات التى تتنافى مع حكمة هذا الشهر، عادات سار عليها معظم الصائمين، وعادات أخرى يقع فيها بعضهم.

فأما العادات التى سار عليها اكثر الناس: فهى عدم ضبط النفس عند الافطار، فالبعض يأكل بعد الافطار فى وجبة واحدة أضعاف ما كان يأكله قبل شهر الصيام ثلاثة أمثال، وهذا يتنافى مع الحكمة العليا من الصيام.

وبعض الناس يستكثرون من أطايب الطعام والشراب ويتفننون بشكل صارخ لدرجة أنه يضع أمامه أنواعا كثيرة اسرافا وتبذيرا وهذا يتنافى مع دعوة الاسلام إلى القصد والاعتدال، قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وقال سبحانه ﴿ولا تبذر تبذيرا﴾

صحيح أن الاسلام يدعو إلى التمتع بالحلال والطيبات من الرزق ويحب الله اظهار أثر النعمة على عبده، ولكن كل هذا لابد أن يكون فى دائرة المنهج الاسلامى: كل واشرب والبس فى غير سرف ولا مخيلة، فإذا كان الاسراف أو التبذير أو الخيلاء فهذا منهى عنه.

ومن تلك العادات أيضا كثرة النوم بالنهار، لدرجة أن البعض لا يستيقظ بالنهار ولا ينام بالليل، فغير ما خلقه الله تعالى وما جعله من رسالة فى الليل والنهار - وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا - ونحن نقول لا مانع من النوم بالنهار، ولكن لا يستغرق النوم كل النهار ويضيع العمل وتنقلب الآية ومن العادات: الاستكثار المفرط فى انواع المأكولات والحلوى والقاء ما يتبقى من طعام أو حلوى فى القمامة، وهذا بطر وغرور وبذخ واسراف وتبذير وامتهان للنعمة، والأجدر التوسط والقصد وإرسال ما تبقى للمحتاجين.

ومن تلك العادات التى يقع فيها بعضهم: انهم يقطعون الشهر فيما لا فائدة فيه ويشغلون وقتهم بالمسليات والبعض يذهب الى خارج بلاده إلى بلاد أخرى فيها تسليات اكثر ومنها أيضا: انفلات أعصاب البعض لأتفه الأسباب بحجة أنه صائم ويتخذ من الصوم ذريعة للفحش من القول والصياح ورفع الصوت مع أن الصوم يعلم الحلم ومكارم الاخلاق.

المنهل:

هناك عادات يسعد د. عمر برؤيتها خلال هذا الشهر المبارك.. ما هى فى رأيكم؟!

●● أما العادات التى يسعد الانسان بها فى هذا الشهر فهى: التقاء كثير من الفقراء وأبناء السبيل والأرحام على مائدة الانسان فى وقت الافطار، فمما لا شك فيه أن افطار الصائم له ثواب عظيم «من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار» ومن العادات التى يسعد الانسان بها: امتلاء المساجد بأكملها بالمصلين والقائمين الذين يؤدون الفروض ويؤدون صلاة القيام ومنها أيضا: تلاوة القرآن الكريم وكثرة مجالس القرآن ومجالس العلم، ومنها انتشار موائد الافطار التى يتنافس عليها المسلمون لإفطار الغرباء وأبناء السبيل والمحتاجين.

المنهل:

اللهم إنى صائم.. عبارة يرددها بعض الصائمين وتكون احيانا فى غير موضعها.. رأى الدكتور؟!.

●● عبارة «إنى صائم» وردت فى الحديث: «فإن سابه احد أو قاتله فليقل «إنى صائم» أى أنه يقول هذه العبارة ليذكر بها نفسه ويذكر بها غيره فهو متلبس بعبادة لا يليق معها أن يجهل كما يجهل الغير بل عليه أن يتحلى بالحلم فالحلم سيد الأخلاق، ويذكر غيره حتى ينزجر أما استعمال البعض لهذه الكلمة وكأنه يهدد أو يتوعد بها أو كأنه يريد أن يتخذ ذريعة لانفلات أعصابه فهذا ما يتنافى مع ما ينبغى أن يتحلى به وأن يظهره من قوله «إنى صائم» أو ينظر إلى ما حرمه الله ثم يقول اللهم انى صائم أو يسب انسانا ويقول هذه العبارة مثل هذا خطأ وارتكاب للذنب وتمسح فى الصوم، إن كنت تريد المحافظة على صومك فامتنع أولا عن النظر إلى ما حرم الله وعن انفلات الاعصاب وعدم الخوض فى اعراض الناس، وحين يستنفرك أحد فقل: «إنى صائم».

المنهل:

ما الصورة التى يجب ان تكون عليها وسائل الاعلام خلال هذا الشهر الكريم.. بصفة خاصة مقارنة بما تقدمه؟..

●● الصورة التى يجب أن تكون عليها وسائل الاعلام فى هذا الشهر الكريم هى ابراز محاسن الاسلام، وتقديم نماذج القدوة من سلفنا الصالح، وعرض وسائل التعليم الدينى بأسلوب عصرى مشوق وعلاج المشاكل النفسية وخدمة الأمة ومحاولة استثمار معنى هذا الشهر الذى يعلمنا إياه وهو توحيد موقف المسلمين حتى نقضى على الخلافات المتكررة التى نشاهدها.

المنهل:

فى هذا الشهر الكريم تكثر المسابقات التى تعلن

عنها وسائل الاعلام المختلفة.. رأى الدكتور عمر هاشم بصراحة مطلقة ـ فى هذا ـ إ سلاميا؟!.

●● فى هذا الشهر الكريم تكثر المسابقات التى تعلن عنها وسائل الاعلام المختلفة . . وفى الاغلب أن المسابقات يقوم على تمويلها بعض أصحاب المؤسسات الذين يبتغون من ورائها الدعاية لمؤسساتهم وبضائعهم، والدعاية ليست حراما، والمسابقات ـ ما دامت فى إطار التعاليم الاسلامية ـ فهى جائزة، ولكن إذا أراد أصحابها أن يحظوا بالثواب على تبرعاتهم المالية وجوائزهم فعليهم الا يعلنوا اسماءهم وألا يصرحوا بأسماء مؤسساتهم وألا يدخلوا عنصر الدعاية، اذا كانوا يريدون الثواب على ذلك، لأن الله تعالى يقول: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾** وفى الحديث القدسى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه» .

■ **المنهل: تتوجه بخالص تقديرها للاستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ونسأل الله أن يجعل أيامنا جميعها أيام خير وبركة.**

عيد الفطر

شعر

محمد رائف المعري ـ القاهرة ـ

يا مرحبا بالعيد في إقباله
يا مرحبا بالسعد مع إطلاله
كم نحن في شوق الى استقباله
كل المنى والخير مع إهلاله
عيد المحبة والاخاء لنا أتى
بعد الصيام فمرحباً بهلاله
رمضاننا الشهر الكريم خصاله
في حله عيد وفي ترحاله
رمضان روض بالعبادة عاطر
والمؤمنون تمسكوا بحباله
ربحت تجارتهم وأينع زرعهم
يا فوزهم شربوا نمير زلاله
يا فوز قوم بالرضا قد كوفئوا
فيما أتاه العيد في سرباله
رمضان ولى كي تحل بفرحة
فاهنأ إذن إذ أنت من أفضاله
يا عيد انت الفرحة الصغرى لنا
والفرحة الكبرى لقاء جلاله
والفرحتان هدية الباري لنا
نعم الجزاء الحق جاء لآله
هذا عطاء الله من فيض الندى
نلقاه من فضل الكريم وماله
ودعتنا يا خير شهر مسرعا
والعيد أقبل زاهيا بعجاله
هذا هلال العيد اقبل ضاحكا
ملأ القلوب بنوره وجماله
ورنا ببسمته كما ضحكت لنا
آمالنا فالغيث ملء رحاله
يا لهف نفسي كيف لا نبقى على
شوق له لنعيش في أمثاله
والله يأتي بالشهور لوقتها
فلنحتفل بالعيد في إقباله

رمضان قديماً في هذه البلاد

كانت المملكة العربية السعودية ومازالت مثابة للحجاج إلى بيت الله الحرام، ومسجد سيد الأنام، ومثابة للرحالين من المسلمين، وندر أن يرتحل إلى الحرمين غير المسلمين، وكان نفر منهم دخلوها وهم مستخفون.

والعادة أن الرحالة المسلم إذا زار مكة والمدينة، فإنه ينتظر فى إحداهما إلى أن يحج.. ومن أعلام الرحالين المسلمين الذين وفدوا إلى هذه البلاد فى القرون الخالية، الرحالة ابن جبير الأندلسى، والرحالة ابن بطوطة المغربى، وهناك رحالون قبلهم وبعدهم من المسلمين كثيرون، وقد دون لنا الرحالتان المذكوران مشاهداتهما وملاحظاتهما عن هذه البلاد المقدسة، ويعنينا من ذلك الآن وصفهما لمظاهر الحفاوة البالغة والفرح العام بدخول شهر رمضان على ما شاهداه ودوناه خلال وصفهما لمشاهداتهما من العادات المتبعة إبان قدومهما فى ليالى رمضان الغراء بمكة المكرمة.

فهذا ابن جبير يصف لنا كيف كانت ليالى رمضان فى عهد قدومه إلى مكة فى أواخر القرن الهجرى السادس، وصفاً دقيقاً شيقاً. لقد جددت حصر المسجد الحرام، وأكثر الشمع فيه، وأكثرت المشاعل فيه، وغير ذلك من الآلات - وربما كانت صحة هذه الصيغة (اللالات) وهى نوع معين من المصابيح كان معروفاً إلى عهد غير بعيد، وهكذا حتى تلألأ الحرم نوراً وسطع ضياءاً، وتفرقت الأئمة لإقامة التراويح، فرقاً، فرقاً، وجئ للمسجد الحرام ولإمام الكعبة بشمع كثير، من أكبره شمعتان نصبتا أمام المحراب، فيهما قنطار، وقد حف بهما شمع دونهما، صغار وكبار.

وكان المؤذن الزمزمى يتولى التسحير فى الصومعة - أى المئذنة - التى فى الركن الشرقى من المسجد، بسبب قربها من دار الأمير، فيقوم فى وقت السحور فيها داعياً مذكراً، وقد نصب فى أعلى الصومعة - المئذنة - خشبة طويلة، فى رأسها عمود كالذراع، وفى طرفيه بكرتان صغيرتان، يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لا يزالان يقدان مدة التسحير، فإذا قرب تبين خيطى الفجر ووقع الإيذان بالقطع مرة بعد مرة، حط المؤذن القنديلين من أعلى الخشبة، وبدأ الأذان، وثوب المؤذنون، أى رجعوا الأذان فى كل ناحية من المسجد وأسطحة مكة مرتفعة إذ ذاك، وهى الآن كذلك أو أرفع، فمن لم يسمع نداء التسحير، من البعيدين فى المسكن عن المسجد يبصرون القنديلين يقدان فى أعلى الصومعة - المئذنة - بلهجة أهل المغرب. فإذا اختفيا عن أنظارهم علموا أن وقت السحور قد انقطع. اهـ.

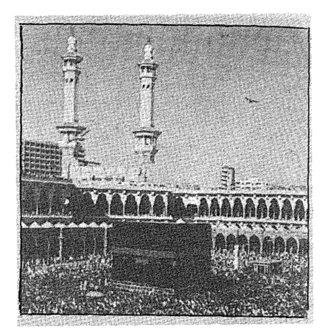
هكذا كان وصف ابن جبير الممتع لليالى شهر رمضان فى مكة إبان رحلته وحجه إليها قبل ثمانية قرون خلت.

وجاء بعده بسبعة وأربعين ومائة عام - أى فى سنة ٧٢٥هـ - الرحالة ابن بطوطة قادماً من طنجة بالمغرب الأقصى، فوصف لنا مشاهداته من الحفاوة الرائعة بمقدم رمضان وبلياليه الحسان فى بلد الله الحرام. وبتأمل وصفه يلوح للمتأمل أنه دون وصف ابن جبير فى البلاغة، وأنه قد أورد كثيراً من الصيغ والعبارات التى كتبها ابن جبير فى رحلته، فهو إما مقلد له أو شبه مقلد، وكل شئ من ذلك تقريبا ظل على ما كان عليه فى زمن ابن جبير، ولم يطرأ فى أى شئ من مظاهر العبادة والفرح والاحتفال، اللهم إلا بعض تعديلات طفيفة تتعلق بعدد صلوات التراويح نقصاً لا زيادة، وتتعلق بعضها ببعض الجزئيات فى العادات التى لابد من حصول التغير فيها بمضى نحو قرن ونصف القرن من الزمان بعد مقدم ابن جبير الى مكة.

رمضان كما أدركناه

بقلم: عبد القدوس الانصارى





مما هو معلوم لدينا أنه بتتابع القرون وتجدد السكان، تتغير ظروف الحياة، فتحدث تغيرات طبيعية فى طبائع الأفراد والمجتمعات، ويتناول هذا التغير المآكل والمشارب والملابس والمساكن، وهكذا تتغير بعض ألوان الحياة، كما تتغير المفاهيم، وقد عرفنا أن السلف الصالح منذ عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ ومن بعده عصر خلفائه البررة الراشدين، كان كل اهتماماتهم منصبة فى شهر رمضان على التنافس الشريف فى أداء العبادة الخالصة لله تعالى، الصافية من الشوائب، وفى تلاوة القرآن المجيد، بقلوب خاشعة، وأعين دامعة، وأصوات رقيقة ناصعة، وبذكر الله وتسبيحه ودعائه بما فيه صلاح الدنيا والدين، والسلامة من نار الجحيم، والدخول مع النبيين والشهداء الصالحين جنات النعيم.. وما كانوا يعنون بشىء من المطاعم والمشارب، يكفيهم ما تيسر من ذلك مهما كان، ولو كان الأسودين.. وإذا سمت الأرواح، زال عنها الشره إلى ألوان الطعام، ونأت عن الاهتمام بها واكتفت بما يقيم صلبها.

والصيام جُنة، والصيام شُرع ليرتفع الإنسان عن مراتب الحيوان بقدر المستطاع.. بهذا جاء الإسلام، وبهذا كان صيام السلف الصالح، وكانوا فى لياليه يتوجهون للصلاة والعبادة إلى وقت السحور. وبتتابع الأجيال وتوالى القرون، وتحول الأمور، رأينا رمضان فى العهد العباسي وما بعده يستقبل بمظاهر الفرح والابتهاج فى المدن الكبيرة، فتقام الولائم، فى كل بيت فى كل ليلة، وتنوع أنواع الأطعمة والأشربة المباحة.. وتضاء المساجد، وتزين بالأفرشة الفاخرة،. وبالشموع الغالية الأثمان، الكبيرة الأحجام، وتعمر الأسواق بمختلف البضائع، وينكب الناس على الشراء، كما ينكب بعضهم على تعاطى ألعاب ومسليات يختارونها لتزجية الفراغ أو لملء الفراغ.. فإذا أقبل السحور تسحروا ثم ناموا.. وربما مكثوا فى نومهم العميق حتى وقت متأخر من النهار.

وقد أدركنا كيف كانت الأسواق ومازالت فى أصبحة رمضان شبه خالية، بسبب حاجة الناس إلى النوم فيها لطول السهر فى الليل، وأدركنا كيف تبتدىء حرارة النشاط تسرى فى أوصالها كلما تقدم النهار من بعد صلاة الظهر حتى المغرب وحتى صلاة العشاء وإلى وقت السحور، وقد أدركنا كيف يموج المسجدان النبوى فى المدينة والحرام فى مكة بمئات من أولئك الذين يقومون الليل لصلاة التراويح، وقبيل السحور ينفضون إلى منازلهم فيتسحرون ويصلى بعضهم صلاة الصبح فى وقتها، وينام الآخرون عن ذلك، وإذا أراد المسلمون اليوم أن يجددوا مجدهم وأن يضيفوا إليه مجداً طريفاً، فعليهم باتباع خطوات السلف شبراً بشبر، وبخاصة فيما يتعلق بأمور عباداتهم التى فى ذروتها صيام شهر رمضان وقيامه.

العيد




لكل الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية أعيادها الخاصة التي يحتفلون بها ويبتهجون لقدومها، ولكل منهم طقوسه وطرقه الخاصة في التعبير عن هذا الابتهاج، وكذلك كانت الأعياد موجودة قبل الإسلام، ولكن معنى العيد فى الاسلام يحمل دلالات مميزة، وانطلاقاً من هذه الدلالات آثرنا الوقوف عند العيدين (الفطر السعيد والأضحى) في الشعر العربي.

جنكو عباس ابراهيم - سوريا -

العيد في اللغة:

الأعياد: جمع عيد ككبد وأكباد، وانما جمع بالياء، وأصله الواو للزوم الياء في الواحد، وقد قيل للفرق بين أعواد الخشب وبينه، فهو مشتق من العود، ففيه معنى التكرار والاعتياد وهو كل يوم فيه جمع، وعيدوا تعييداً أي شهدوا العيد، وسمي عيداً لأنه يعود وهو من عاد لأنه يعود في العام مرتين، وقيل لعود الفرح فيه وقيل العيد هو السرور العائد أو ما اعتادك من فرح أو هم أو غير ذلك. قال أحد الشعراء: «والقلب يعتاده من حبها عيد». وقيل سموه عيداً لأنه يوم شريف تشبيهاً بالعيد وهو محل كريم مشهور عند العرب.

فى القرآن الكريم:

ترد لفظة العيد فى القرآن الكريم وبالتحديد في سورة المائدة قال تعالى: ﴿قال عيسى ابن مريم: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً، لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾[1].

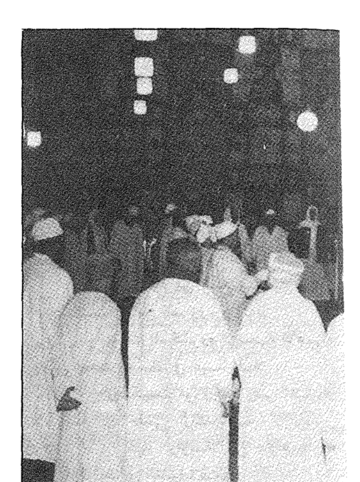
ومعنى العيد فى هذا النص القرآني هو تأكيد صدق نبوة السيد المسيح لتطمئن قلوب أتباعه وهو في الوقت ذاته آية من آيات الحق سبحانه وتعالى.

وحكمة العيد هي فى ظهور الفرح والسرور بتمام فريضة الصوم في عيد الفطر، وبإتمام فريضة الحج في الأضحى. وقال تعالى فى سورة الكوثر: ﴿إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر﴾[2]، ففى هذه الآيات الكريمة نستشف معنى ما وهبه الله لنا وضرورة النحر في عيد النحر أو عيد الأضحى.

فى الحديث النبوي:

في كتب الحديث نجد أحاديث كثيرة فى العيد وعن العيد نذكر منها ما رواه أصحاب السنن «عن أنس رضى الله عنه قال: قدم النبى ﴿ﷺ﴾ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟

عيد في الشعر العربي



قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر»[3].

وفي حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل ابو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث قالت: وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﴿ﷺ﴾؟! وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»[4].

وعن النحر في عيد الأضحى نذكر الحديث الشريف الذي رواه البخاري والنسائي عن البراء رضي الله عنه قال: خرج النبي ﴿ﷺ﴾ يوم الأضحى إلى البقيع فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وقال: إن أول نسكنا في يومنا هذا أن نبدأ بالصلاة ثم نرجع فننحر»[5].

العيد في الشعر العربي:

حاولنا البحث عن العيد في الشعر العربي الذي قيل في صدر الاسلام ولكن لم نعثر على شيء وذلك يعود حسب اعتقادنا إلى اهتمام الشعراء بمبادىء الدعوة الإسلامية ونشرها، وكذلك كان الحال معنا في العصر الأموي اذ لم يسعفنا الحظ في الالتقاء بأي شاعر قال في العيد، ولكن بدخولنا إلى العصر العباسي وجدنا ما نبحث عنه عند كل من البحتري والمتنبي وأبي فراس الحمداني، وان كان لا يخرج من إطار التهنئة والتبريكات إلا قيلا..

فنرى أن البحتري يهنىء المتوكل العباسي بصومه المبرور وعيده الأغر فيصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر:

بالبر صمت وأنت أفضل صائم
وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عيداً إنه
يوم أغر من الزمان مشهر[6]

■ أما المتنبي فإنه يهنىء سيف الدولة ويقدم له تبريكاته مرتين، مرة بمناسبة عيد الفطر السعيد وأخرى بمناسبة عيد الأضحى.. ففي المرة الأولى يقول:

الصوم والفطر والأعياد والعصر
منيرة بك حتى الشمس والقمر
تري الأهلة وجهاً عم نائله
فما يخص به من دونها البشر
ما الدهر عندك إلا روضة أنف
يا من شمائله في دهره زهر
ما ينتهي لك في أيامه كرم
فلا انتهى لك في أعوامه عمر

فان حظك من تكرارها شرف
وحظ غيرك فيها الشيب والكبر[٧]

■ فنرى أن المتنبي يمزج بين التهنئة والمدح وكذلك فعل في المرة الثانية حينما يمدح ويهنيء سيف الدولة بعيد الأضحى:

هنيئا لك العيد الذي أنت عيده
وعيد لمن سمى وضحى وعيدا
ولازالت الأعياد لبسك بعده
تسلم مخروقا وتعطى مجددا
فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى
كما كنت فيهم أوحداً كان أوحدا
هو الجد حتى تفضل العين أختها
وحتى يصير اليوم لليوم سيدا[٨]

■ ويذكر المتنبي العيد أيضا في قصيدته المعروفة «لا تشتر العيد» القصيدة التي يهجو فيها (كافور) والذي كان من عادته أن يوزع الهدايا والعطايا على مقربيه وكبار جنده وحاشيته، وبينما كان كافور مشغولا بذلك فر أبوالطيب المتنبي بماله وجنده وكل ما يملك يطلب النجاة متوجهاً إلى الكوفة مسقط رأسه فقال بهذه المناسبة:

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم
فليت دونك بيداً دونها بيد
لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي
شيئاً تتيمه عين ولا جيد[٩]

■ أما الشاعر أبو فراس الحمداني صاحب الروميات الشهيرة فمن المعروف عنه أنه كان أسيراً عند الروم، وفي أسره هذا تذكر أسرته وقد حل العيد عليها فوقف في قصيدة عند أسره في يوم عيد وقفة حزينة فقال:

يا عيد ما عدت بمحبوب
على معنى القلب مكروب
يا عيد قد عدت على ناظر
في كل حسن فيك مكذوب
يا وحشة الدار التي ربها
أصبح في أثواب مربوب
وطلع العيد على أهله
بوجه لا حسن ولا طيب
مالي وللدهر وأحداثه
لقد رماني بالأعاجيب[١٠]

العيد في الشعر العربي الحديث:

والعيد في الشعر العربى الحديث لا يختلف كثيراً عنه في الشعر العربي في العصر العباسي ونعني بذلك ذكره في اطار التبريكات والتهنئة ولكن بشكل مختلف فنرى أمير الشعراء (أحمد شوقي يمزجه بوصفه لوطنه فيقول في القصيدة التى كتبها للخديوي عباس والتي حملت عنوان «عيد الفطر والخديوي عباس»:

بالأمس قد كنا سجينى طاعة
واليوم من العيد بالاطلاق
ضحكت إلى من السرور، ولم تزل
بنت الكروم كريمة الأعراق
وطني أسفت عليك في عيد الملا
وبكيت من وجد ومن اشفاق
لا عيد لي حتى أراك بأمة
شماء راوية من الأخلاق[١١]

■ ويقول ايضاً في القصيدة نفسها:

العيد بين يديك يا ابن محمد
نشر السعود حلى على الآفاق
قابلته بسعود وجهك والسنا
فازداد من يُمن، ومن إشراق
فاهنأ بطالعه السعيد، يزينه
عيد الفقير وليلة الأرزاق
يتنزل الأجران في صبحيهما
جزلين عن صوم وعن انفاق
اني أجل عن القتال سرائري
إلا قتال البؤس والإملاق
وأرى سموم العالمين كثيرة
وأرى التعاون أنجع الترياق[١٢]

■ أما حافظ إبراهيم أو شاعر النيل كما يطلقون عليه فإنه يهنيء الخديوى عباس الثاني ولكن بلغة أخرى تختلف عن لغة شوقي، بلغة فيها من المباشرة

والوضوح اضافة إلى المدح الشيء الكثير، فلنستمع إليه وهو يقدم له تبريكاته بعيد الفطر:

مطالع سعد أم مطالع أقمار
تجلت بهذا العيد أم تلك أشعاري
إلى سدة «العباس» وجهت مدحي
بتهنئة شوقية النسج معطار
مليك أباح العيد لثم يمينه
ويا ليت ذاك العيد يبسط أعذاري
ويحمل عني للعزيز تحية
ويذكر شيئاً من حديثي وأخباري
أمولاي هذا العيد وافاك فاصبه
بحلة إقبال ويمن وإيثار
ويمنه وانشر من سعودك فوقه
وتوجه بالبشرى ومره بإسفار
فلا زالت الأعياد تبغي سعودها
لدى ملك يسري علي عدله الساري(١٣)

■ ويتطرق الشاعر محمود سامي البارودي إلى العيد بصيغة تختلف كليا عن تلك الصيغ التي عرفناها عند كل من شوقي وحافظ، فهو لم يلتجأ إلى تذكر العيد عن طريق تهنئة أحدهم وبتقديم التبريكات إليه، وانما يطرق عيد الفطر السعيد على بابه وهو في حرب الروس مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٤هـ، فوقف يصف فيها الروس وبلادهم، وحاله وهو بعيد عن أهله يلبس الدرع الحديدي عوضاً عن الألبسة الجديدة قائلا:

ألا أيها اليوم الذي لم أكن له
ذكوراً، سوى أن قيل لي هو عيد
أتسألنا لبس الجديد سفاهة
وأثوابنا ما قد علمت حديد
فحظ أناس منه كأس وقينة
وحظ رجال ذكرة ونشيد
ليهن به من بات جذلان ناعماً
أخا نشوات ما علله حقود
ترى أهله مستبشرين بقربه
فهم حوله لا يبرحون شهود

إذا سار عنهم سار وهو مكرم
وإن عاد فيهم عاد وهو سعيد(١٤)

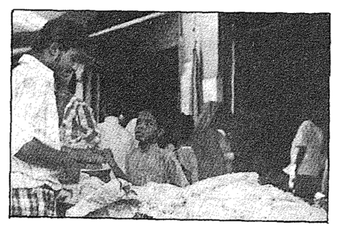
■ على حين ان الشاعر معروف الرصافي يدخل معنا إلى العيد بصورة مغايرة تماماً حتى عن البارودي فهو يرصد بشعره حال يتيم في العيد، ولكن رصده هذا غارق في التشاؤم والسوداوية خاصة حينما يتمنى على العيد ألا يكون، لأنه حسب رأيه يجدد حزن المحزون، على كل سنستمع إلى ما يقول:

أطل صباح في الشرق يسمع
ضجيجاً، به الأفراح تمضي وترجع
صباح به يكسو الغني وليده
ثياباً لها يبكي اليتيم المضيع
صباح به تغدو الحلائل بالحلى
وترفض من عين الأرامل أدمع
ألا ليت يوم العيد لا كان، إنه
يجد للمحزون حزناً فيجزع
يرينا سروراً بين حزن، وإنما
به الحزن جد، والسرور تصنع
فمن بؤساء الناس في يوم عيدهم
نحوس بها وجه المسرة اسفع
قد ابيض وجه العيد لكن بؤسهم
رمى نكتا سوداً به، فهو أبقع(١٥)

العيد في الشعر المهجري:

لا شك أن الشعر المهجري يعتبر كنزاً للشعر العربي وربما تفرد الشعر العربي بهذا النوع من الشعر ولهذه الأهمية وحتى تكون وقفتنا شاملة أو قريبة من الشمول رأينا من الضرورة أن نعرج على الشعر المهجري ونعرف علاقة شعرائه مع العيد، وبصراحة وجدنا عندهم الشيء الكثير حتى اننا نعجز عن ذكر كل ما قالوا في العيد فان ذلك يحتاج إلى دراسات خاصة ولهذا اكتفينا بشاعر واحد حتى يكون كانموذج لكل الشعراء المهجريين.

وشاعرنا هذا هو رشيد سليم الخوري المعروف بالقروي والذي يقول:



أرسل الشعر مثلما يرسل العيد
صبايا القرى بسيطاً جميلاً[16]

فمن الطبيعي عند الشاعر المهجري أن يتبادل بطاقات المعايدة مع أهله في وطنه الأم وماذا سيكتب الشاعر في هذه البطاقات غير الشعر، من ذلك ما يقوله القروي رداً على بطاقة معايدة في إحدى قصائده التي حملت عنوان «بطاقة عيد»:

بطاقة العيد أم طيف لأحيه جا
معبأ الجيب من أنفاسها أرجا
أم ابتسامتها الوضاءة انبلجت
كألف صبح على بربارتي انبلجا
بلت غليلي، امدتني بعافية
وبدلت كربتي في غربتي فرجا[17]

■ ورغم أن القروي لم يكن مسلماً وانما كان يدين بالمسيحية إلا أنه لم يتأخر أبداً في مشاركة المسلمين عيدهم والاحتفال معهم، حتى انه كان يلقي قصائد كثيرة عليهم منها ما قاله في قصيدة «عيد الفطر» التي ألقاها في حفلة عيد الفطر التي أحيتها الجمعية الخيرية في صنبول سنة ١٩٣٣، ولكن بحس وطني:

صياماً إلى أن يفطر السيف بالدم
وصمتاً إلى أن يصدح الحق يا فمي
أفطر وأحرار الحمى في مجاعة
وعيد وأبطال الجهاد بمأتم
أكرم هذا العيد تكريم شاعر
يتيه بآيات النبي المعظم
ولكني أصبو إلى عيد أمة
محررة الأعناق من رق أعجمي[18]

■ ومرة يعود القروي من سفر طويل فيجد أخته مريضة لازمت فراشها والطبيعة في أفتن مجالي جمالها، وكان ذلك في أيام العيد، فوصف تلك الحالة في قصيدته «أختي المريضة في العيد» فيقول:

رأيت الصبايا صفوفاً تغني
وتطفر في العيد مثل الظبا
إلى كل روض على كل غصن
أهاب الربيع فلبى الصبا
وأختي البريئة رهن الألم
كما حبس الطفل عن ملعبه[19]

كلمة أخيرة:

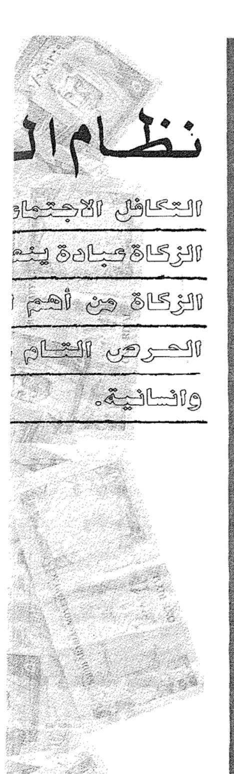
هذه وقفات عند شعراء قالوا في العيد كلمتهم وشعرهم قدموا تهنئاتهم وتبريكاتهم لمن يودون، فعسانا وفقنا في تبيان ذلك.

الهوامش

(١) سورة المائدة الآية ١١٤.
(٢) سورة الكوثر الآية ١، ٢، ٣.
(٣، ٤، ٥) الشيخ منصور علي ناصيف ـ التاج الجامع للأصول في احاديث الرسول ـ ج١ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٦١ ص٣٠٤، ص٣٠٤، ص٣٠٠.
(٦) أحمد الهاشمي ـ جواهر الأدب ج٢ ـ دار السعادة ـ مصر ـ الطبعة السادسة والعشرون ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م ص١٩٣.
(٧) المتنبي ـ الديوان ـ ج٢ ـ دار المعرفة ـ بيروت ص٩٧.
(٨) المتنبي ـ الديوان ـ ج١ ـ دار المعرفة ـ بيروت ص٢٢١.
(٩) المتنبي ـ الديوان ـ ج٢ ـ دار المعرفة ـ بيروت ص٣٩.
(١٠) أبو فراس الحمداني ـ الديوان ج٢ ـ ص٢٩.
(١١، ١٢) أحمد شوقي ـ الديوان ـ المجلد الأول ـ دار اليقظة العربية ـ مصر ـ ص٤٨٧ توثيق وتبويب الدكتور احمد محمد الحوفي.
(١٣) حافظ ابراهيم ـ الديوان ـ ج١ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٦٩ ـ ص١١.
(١٤) محمود سامي البارودي ـ الديوان ـ ج١ ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة ١٩٥٤ ـ ص١٤١
(١٥) معروف الرصافي ـ الديوان ـ المجلد الأول ـ دار العودة ـ بيروت ص١٦٥.
(١٦) القروي ـ الديوان ـ المجلد الثاني ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ص٤٣٨.
(١٧، ١٨، ١٩) القروي ـ الديوان ـ المجلد الاول ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ص١٥١، ص٤٦٠، ص٩١٦.







من الصعب على الباحث ان يستوعب الافاق البعيدة التي يستهدفها التشريع الاسلامي من وراء اقراره للاحكام الفقهية، سواء ما تعلق منها بأحكام العقود المدنية، أم ما ارتبط منها بالانظمة المالية التي يقوم عليها النظام المالي والاقتصادى فى الاسلام.

وقد لا نجد فى كتب الاقدمين من فقهائنا ما نجده فى كتب المحدثين من العلماء من اصطلاحات اصبحت اليوم متداولة وشائعة.. وذلك لان فقهاء نا الاقدمين قد ركزوا على بيان الاحكام، وتعمقوا فى توضيح فروعها، بينما ابتدأت دراساتنا المعاصرة تركز على دراسة الغايات من تلك الاحكام، والاثار الايجابية لتطبيقها من الناحية التربوية والاجتماعية.

وكلمة التكافل الاجتماعي اصبحت إحدى اهم المصطلحات المعاصرة فى الفكر الاسلامي، التي ابتدأ الاهتمام بدلالاتها واثارها ينمو مع نمو المجتمعات المعاصرة.. وتطلق كلمة (انظمة التكافل الاجتماعي) على مجموعة من النظم المالية التي تسهم فى تحقيق التكافل والتوازن فى المجتمع، ومن حق الباحث ان يتوسع فى هذا المفهوم بحسب رؤيته الشخصية، فيرى فى بعض النظم الاسلامية ما يحقق التكافل الاجتماعي، ويسهم في دعم هذا المضمون الذى اصبح من اوضح المؤشرات الفعلية على تطور المجتمعات المعاصرة وتقدمها الحضارى.

بقلم: د. محمد فاروق النبهان
مدير دار الحديث الحسنية
جامعة القرويين المغربية

ومن المؤكد ان التكافل الاجتماعي في المجتمع يسهم بطريقة تلقائية فى الوقاية من الجريمة، وذلك لأن معظم البواعث على الجريمة يرتبط بحاجات مادية، تتصاعد حدة تفاعلها فى النفس الانسانية، فتسيطر على الانسان، وتدفعه الى ممارسة نوع من انواع السلوك الاجرامي، لا يجد فى نفسه الشجاعة فى الظروف العادية على اقترافها.

وبالتالي فانني أشيد بأهمية الدراسات التي تربط بين الجريمة والظروف النفسية التي تدفع الانسان لارتكاب تلك الجريمة، وبخاصة الدراسات الاجتماعية والاسلامية التي تركز على اهمية توفير الظروف المناسبة للفرد نفسيا وماديا، كوسيلة ايجابية فى الوقاية من الجريمة.

ولا اود هنا ان اركز على الجانب المادى فحسب،

...كاة وأثره في الوقاية من جرائم الاعتداء على الأموال

...ل أنواع السلوك التى تساهم فى تقوية علاقات الأفراد.

...ها على الحياة الاجتماعية.

... التى تسهم إيجابيا فى منع الجريمة.

...صيل الزكاة وإنفاقها فى مصارفها ضرورة اقتصادية

فالتكافل الاجتماعي أعم من تلبية حاجات مادية، ويشمل كل ما يوفر الأمن النفسي للمواطن، والشعور بالارتياح نتيجة قناعته بان ما يعتقد بانه حق مقرر له يستطيع ان يمارسه بحرية، وفى ظل هذا الشعور فان من المؤكد ان بواعث الاجرام لدى الفرد ستظل حبيسة خالية من اى عنصر يوقظ دوافعها، ويسعى فى تنمية بذورها فى النفس البشرية.

وهنا تبرز أهمية دراسة انظمة التكافل الاجتماعي فى الاسلام فى جميع صورها واشكالها المادية والاخلاقية والنفسية، التى تساهم بطريقة ايجابية فى توفير المناخ الملائم لنمو المشاعر الانسانية لدى المواطن، ولامتصاص كل عوامل الغضب والانتقام والشر منه، لكي يكون قادرا على التحكم السليم فى انفعالاته، وعلى السيطرة الكاملة على سلوكه، وعلى مواجهة أزماته بمواقف عاقلة فى ظل شعوره بالارتياح النفسي الناتج عن قناعة ذاتية بعدالة الظروف التى أدت الى تلك الظروف القاسية.

مفهوم التكافل الاجتماعي فى الاسلام:

يشمل التكافل الاجتماعي كل انواع السلوك التي تساهم فى تقوية العلاقات بين افراد المجتمع، لكي يكون ذلك المجتمع متلاحم البنيان قوى الاركان، قادرا على مواجهة الأزمات دون أن تؤثر فى تكوينه، أو تضعف من قدراته.

ولا يقتصر التكافل على الجانب المادى، بالرغم من التسليم بأهمية هذا الجانب، وركنيته فى مفاهيم التكافل، وذلك لأن الانسان وهو يواجه المشكلات التي تعترض طريقه يحتاج الى غيره، واحيانا تكون تلك الحاجة ذات طبيعة نفسية تسهم فى تخفيف ما يعترض طريقه من صعوبات.

وبالاضافة الى هذا فان التكافل يشمل تعاون افراد المجتمع فى كل شأن من شؤون حياتهم، ويمثل هذا المعنى ما ورد فى الحديث الشريف: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

وقد عبر النبى ﴿ﷺ﴾ عن معنى التكافل من خلال مسؤولية المجتمع عن كل ما يسيىء اليه، ووجوب دفاع المجتمع عن اخلاقه وقيمه ومصالحه، فى مواجهة كل من يسيىء الى تلك المعاني.

قال النبى ﴿ﷺ﴾: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك اضعف الايمان»[2].

وقال ايضا فى بيان شمولية التكافل الاجتماعي: «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم

استهموا على سفينة، فصار بعضهم اعلاها، وبعضهم اسفلها، فكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وان اخذوا على أيديهم نجَوا ونجوْا جميعا»[٣].

وتتضح لنا معالم ذلك التكافل الواسع من خلال اقرار الاسلام لكثير من الاحكام التي تؤكد حرص الاسلام على ان يقوم المجتمع الاسلامي على أساس من التكافل والتكامل، سواء فى وجوب التكافل للدفاع عن الأرض والعقيدة، أم فى وجوب التكافل لنشر العلم والمعرفة، أو في التكافل فى دفع الديات بالنسبة للجرائم التي تقع عن طريق الخطأ، أم في اقرار الاسلام لاحكام النفقات بين الاقرباء، أم فى تشريع الاسلام للانظمة المالية التي تحمل الاغنياء مسؤولية توفير الكفاية المادية للفقراء.

نظام الزكاة فى الشريعة الاسلامية:

يعتبر نظام الزكاة فى الشريعة الاسلامية من اهم النظم المالية التي يقوم عليها النظام الاسلامي، ولذلك فقد اعتبرت الزكاة ركنا اساسيا من اركان الاسلام الخمسة، وجاء ذكرها فى القرآن فى اكثر من سبعين مرة، وفى معظم الاحيان كان يرد ذكر فريضة الزكاة مقترنة بالصلاة.

قال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ (سورة النور ٥٦)، وقال ايضا: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (التوبة ١٠٣)، وقال: ﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ (المعارج ٢٤-٢٥).

وركزت السنة النبوية على فريضة الزكاة، وأشرف النبى ﴿ﷺ﴾ على جبايتها من الاغنياء لصالح الفقراء، وارسل الجباة الى كل مكان لكي يقوموا بجباية هذا الواجب الديني الهام.

روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ لما بعث معاذا الى اليمن قال: «انك تأتي قوما من اهل الكتاب، فادعهم الى شهادة أن لا اله إلا الله وأنى رسول الله، فان هم اطاعوك لذلك، فأعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم، فان هم اطاعوك لذلك فاياك وكرائم اموالهم، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب»[٤].

وهذه العناية المتميزة بهذا الواجب المالي يؤكد أهمية هذا النظام الاسلامي في تكوين مجتمع اسلامي متماسك البنية، يشد بعضه ازر البعض الآخر.

وعندما ارتدت بعض القبائل العربية فى صدر الاسلام، وامتنعت عن دفع فريضة الزكاة الى خليفة المسلمين أبى بكر الصديق، قرر الخليفة ان يحاربهم، ادراكا منه لخطورة هذا الامتناع الذى سوف يؤدى الى إلغاء هذه الفريضة الاسلامية الهامة، وعندما قال له عمر بن الخطاب: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه، وحسابه على الله تعالى، اجابه الخليفة الاول لرسول الله بكلمة ايمانية حاسمة لا تقبل نقاشا فى مسلمات اسلامية، تعتبر من اركان الاسلام ودعائمه، «والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ لقاتلتهم على منعها»، وعندها قال عمر، فوالله ما هو الا ان شرح الله صدر ابى بكر للقتال حتى عرفت انه الحق»[٥].

والزكاة فى اللغة: يراد بها النماء، يقال زكا الزرع إذا نما، وأحيانا يراد بالزكاة الطهارة والتطهير، والزكاة بهذا المعنى تنمى المال وتطهره، كما تنمى القيم الانسانية فى نفسية الانسان، وتطهره من الذنوب والآثام.

وتجب فى المال الذى يزيد عن حاجة صاحبه بعد اعفاء الحد الأدنى من المال من الزكاة، وهو الذى يسمى بما دون النصاب، فالمال الذى يقل عن النصاب الشرعي لا تجب فيه الزكاة، أما المال الذى يزيد عن النصاب فتختلف مقادير الزكاة فيه وفقا

لطبيعة المال، ولكل نوع من أنواع الزكاة نصاب محدد، ومعيار دقيق يحدد مقدار الزكاة فى ذلك المال، والغاية من تنظيم ذلك التيسير على الناس، ودفع الحرج عنهم، ومراعاة العدالة والقدرة فى فرض الزكاة.

■ **ونستطيع أن نقسم الأموال إلى أقسام ثلاثة :**

١ - السوائم : وتشمل الابل والبقر والغنم.

٢ - النقود: وتشمل الأموال المعدة للنماء، سواء أكانت نقدية أم كانت فى التجارة.

٣ - الزروع والثمار: وتشمل ما تخرجه الارض من زرع وثمار.

■ ويلاحظ ان سبب فرض الزكاة على هذه الانواع هو قدرة هذه الاموال على النمو، سواء النمو الطبيعي أم النمو الذى يتم بجهد الانسان، ويدخل ضمن هذه الاموال النقود التي تستعمل فى التجارة، لانها اموال نامية، سواء بذل صاحبها جهدا فى نموها، أم كنزها بدون استغلال.

وتجب الزكاة فى جميع انواع المال الذى يملكه صاحبه، ولا يستثني من ذلك الا ما كان معدا للاستعمال الشخصي، كالدار التي يسكنها صاحبها، او الاثاث الذى يستعمله فى مكتبه او منزله، والقوت المدخر للاستهلاك، والحلية التي لا تتجاوز مقدار الحلى العادى الذى تستعمله المرأة للزينة، وذلك لان جميع هذه الاشياء تدخل ضمن الاستعمال الشخصي[٦]، ومع هذا فقد تشدد ابو حنيفة فى موضوع الحلى واوجب فيه الزكاة تشبيها له بالذهب والفضة[٧].

ولا نود الحديث فى هذا المجال عن مقادير الزكاة، وذلك لان المجال لا يتسع لبحث الاحكام التفصيلية لهذه الفريضة، الا اننا سوف نشير بايجاز الى الاحكام التى ترتبط بموضوع البحث الذى نحن بصدده.

ارتباط الزكاة بالاموال:

من الاحكام المسلمة فى الفقه الاسلامي ان الزكاة عبادة، والعبادة لا تجب الا على المكلف، فاذا لم تتكامل شروط التكليف فى الانسان فلا يمكن ان يطالب باداء العبادة لعدم توفر شروطها، ويصدق هذا الكلام على الصلاة والصوم والحج، وهذه العبادات لا تجب الا اذا تكاملت شروط التكليف فى الانسان، واهم تلك الشروط البلوغ والعقل.

ولكن الزكاة لا ينظر اليها بذلك المنظار الخاص، وذلك لانها ليست مجرد عبادة، وانما هي عبادة ينعكس اثرها على الحياة الاجتماعية ومن هذا المنطلق فلا يمكننا تجاهل الطابع الاجتماعي لهذه الفريضة المالية، ولذلك فقد اتجه جمهور العلماء الى القول بان هذه العبادة تجب فى الاموال سواء أكان صاحب المال مكلفا أم غير مكلف، وحكمها فى ذلك كحكم ضمان ما يتلفه الانسان وكحكم نفقات الاقارب، وهذه الواجبات لا يشترط فيها التكليف، وانما تجب فى الاموال.

وقد ذهب الى هذا الرأى عدد كبير من الصحابة والتابعين وائمة الفقه والاجتهاد، منهم على بن ابي طالب، وعبد الله بن عمر، وجابر وعائشة، والشافعي ومالك، والثورى، واحمد، وابو ثور[٨].

وهذا الاتجاه فى التفكير الاسلامي يدعونا للتأمل فى طبيعة هذا الواجب الاسلامي، واهميته الاجتماعية ودوره فى بناء مجتمع متماسك متوازن، وبالرغم من ان بعض العلماء قد خالف ذلك الرأى، ولم يوجب الزكاة فى مال الصغير[٩]، لان الزكاة عبادة، والعبادة يشترط فيها البلوغ، ولان تكليف الصغير بدفع الزكاة يتضمن الحرج والمشقة لان الصغير لا يملك القدرة على انماء ماله، وان فرض الزكاة عليه سيؤدى الى امتصاص الزكاة لأموال الصغار، وهذا يتنافى مع عدالة الاسلام التى تحرص على حماية اموال الصغار، وبناء على هذا فقد اتجه ابو حنيفة الى التوسط فى هذا الموضوع، وفرض الزكاة على الصغير فيما تخرجه الارض، ولم يفرضها عليه فى غير ذلك من الاموال.

ومهما يكن من امر . فان تجاوز جمهور العلماء لاشتراط صفة البلوغ فى وجوب الزكاة يؤكد النظرة الاجتماعية لهذه الفريضة، وتداخلها بمسؤولية المال

فى المجتمع، وضرورة ان يؤدى ذلك المال دوره فى تحقيق التوازن المادى، والعدالة الاجتماعية، فى المجتمع الاسلامي.

دور الزكاة فى الوقاية من جرائم الاعتداء على الاموال

التساؤل الذى يطرح نفسه فى هذا المجال هو:

١ ـ ما اثر نظام الزكاة فى الوقاية من جرائم الاعتداء على الاموال؟.. وهذا التساؤل يرتبط بتساؤل آخر وهو:

٢ ـ ما اسباب جرائم الاعتداء على الاموال؟

والتساؤل الاخير جدير بالدراسة الواقعية المنطقية التي تنطلق من منطلق الرغبة فى معالجة مشكلة اجتماعية قائمة، وان القانون لكي يكون سليما وعادلا يجب عليه ان يراعي الاسباب التى ادت الى الجريمة وذلك لان القانون لا يحرص على توقيع العقوبة، وانما يحرص فى الدرجة الاولى على منع الجريمة، ولا يمكن منع الجريمة الا بعد السيطرة على الاسباب التي تؤدى لتلك الجريمة، وان تجاهل القانون للاسباب التي تدفع المجرم لارتكاب جريمته، يعتبر امرا مخالفا للعدالة، وذلك لان المجرم محكوم عليه ومطوق بدوافع نفسية واجتماعية قد تدفعة بغير ارادته الحقيقية لارتكاب جريمته، تحت ضغط ظروف خارجية تفقده القدرة على محاكمة الامور والتفكير فيها بطريقة سليمة.

واذا كان القانون يحرص على منع المجرم من ارتكاب جريمته فان من واجب ذلك القانون ان يسهم بطريقة ايجابية فى منع او التخفيف من عنف الاسباب التي تضغط على المجرم لكي تقوده بغير ارادته الى ارتكاب جريمته.

وان الاسلام عندما اعتبر ان جريمة الاعتداء على الاموال جريمة خطيرة تستحق عقوبة زجرية عنيفة تتمثل فى قطع يد السارق، فانما فرض تلك العقوبة بعد ان اقام نظاما اجتماعيا يقوم على اساس التكافل المادى، والمسؤولية الاجتماعية، بحيث لا يمكن تصور جريمة اعتداء على الاموال فى ظل ذلك النظام الا ان يكون الدافع اليها قصداً جنائياً خطير يمس امن المجتمع ويهدد استقراره، ولهذا فقد حكم الاسلام بقطع يد ذلك السارق الذى اعتدى على مال غيره مع توفر كامل اسباب الكفاية المادية له.

وان نظام الزكاة يستهدف ازالة حالة الاكراه على ارتكاب الجريمة، فالزكاة تصرف في مصارفها الشرعية المحددة، واهم تلك المصارف: الفقراء والمساكين.

قال تعالى: ﴿**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفى الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، فريضة من الله، والله عليم حكيم**﴾ (سورة التوبة/ ٦٠).

والآية تركز على الفقراء والمساكين فى الدرجة الاولى، لانهم اولى بالرعاية واشد حاجة الى الاموال من غيرهم، لان المال يحفظ عليهم حياتهم ويمكنهم من تلبية ما يحتاجون اليه من طعام وشراب.

أثر الزكاة فى منع الجرائم الناتجة عن الحاجة:

لو درسنا الاسباب التى تؤدى الى ارتكاب جرائم الاعتداء على الاموال لوجدنا ان معظم الاسباب يتركز فى وجود دوافع نفسية تعمقها ظروف اجتماعية تدفع الفرد لارتكاب جريمته.

ولا ينبغى ان نتردد فى القول فى ان معظم المجرمين الذين ادانتهم المحاكم بتهمة الاعتداء على اموال الغير قد لا يكونون ممن توافرت فى نفسياتهم اوصاف الاجرام، وبعضهم قد يكون بحكم طبيعته النفسية ممن يكره الجريمة ولا يفكر فيها، ولكن قد يجد نفسه فجأة امام ظروف قاهرة قاسية تدفع به الى ارتكاب جريمة الاعتداء على اموال الغير..

ومن واجبنا عند دراسة جرائم الاعتداء على الاموال ان نبحث عن الاسباب التى دفعت المجرم لارتكاب جريمته، فاذا كانت الجريمة ناتجة عن

ظروف قاهرة فرضت نفسها على المجرم، فان من واجب القانون ان يعالج الاوضاع الاجتماعية التى تدفع الى الجريمة قبل ان يوقع العقوبة على الجاني، تحقيقا لروح العدالة، فالقانون لا يستهدف توقيع العقوبة على الجاني، وانما يستهدف منع الجريمة، وليست هناك اية فائدة فى فرض العقوبة على الجاني مع استمرار الاسباب المؤدية الى الجريمة.

وان الزكاة تعتبر احدى اهم الاسباب التى تسهم ايجابيا فى منع الجريمة فى المجتمع الاسلامي، وذلك لان الفقر حقيقة واقعة، وبخاصة ذلك الفقر الناتج عن عجز أو شيخوخة أو بطالة عامة او مجاعة، وفى هذه الحالة لابد من مواجهة هذه الحالات بنظام مال يراعي حاجتهم، ويلبي رغباتهم النفسية فى حياة كريمة.

وقد جاء القرآن الكريم موضحا مصارف الزكاة فى اصناف محددة، تعطى لهم اموال الزكاة فريضة من الله، واجبة التنفيذ لا تسقط عن المكلف بها اذا توفرت اسباب وجوبها.

قال النبى ﴿ﷺ﴾ لمعاذ حينما ارسله الى اليمن: «اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم، فترد على فقرائهم، وقال ايضا: «لاحظ فيها لغني ولا لقوى مكتسب»، وقال ايضا: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذى مرة سوي»[11]، والمراد بذى المرة السوى هو القادر على العمل والكسب.

وروى عن زين العابدين انه تعالى علم قدر ما يدفع من الزكاة، وما تقع به الكفاية لهذه الاصناف، وجعله حقا لجميعهم فمن منعهم ذلك فهو الظالم لهم[11].

وان الاسلام اعتبر الفقر الذى يستحق به صاحبه حقه من اموال الزكاة هو ما دون الكفاية، والكفاية هي ما يحتاج اليه الانسان لحياة كريمة، توفر له المسكن الملائم والطعام المناسب واللباس اللائق، وذهب مالك والنخعي والثورى الى ان من ملك الدار والخادم ولم يجد ما يحتاج اليه اعتبر فقيرا، وجاز له اخذ الصدقة، وقال ابو حنيفة: الغني الموجب للزكاة هو المانع من اخذها، وكل من لا يملك النصاب فهو فقير.

ونلاحظ ان الاسلام يجعل ملك النصاب هو الحد الفاصل بين الغني والفقير، فمن ملك النصاب فهو غني تجب عليه الزكاة، ومن ملك ما دون النصاب فهو فقير تجب له الزكاة، بشرط الا يكون قادرا على الكسب، لان القادر على الكسب يعتبر غنيا بكسبه اليومي، فلا يعطى من الزكاة، لئلا يشجع على الكسل.

ويستحق الغارمون جزءا من اموال الزكاة، لقوله تعالى: ﴿**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين**﴾. والمراد بالغارمين هم الاشخاص الذين ركبهم الدين وليس عندهم ما يوفي هذا الدين، ومعظم هؤلاء يلجؤون فى مثل هذه الحالة الى الاختلاس والسرقة.

والغارم هو الذى ينفق امواله بطريق مشروع، ثم يعجز عن الوفاء بالتزاماته المالية لاسباب خارجة عن ارادته، كالتاجر الذى يخسر فى تجارته ويعجز عن سداد ديونه، او الذين ينفقون اموالهم فى اوجه الخير، ثم يجدون انفسهم امام التزامات لا يستطيعون الوفاء بها، وفى هذه الحالة فان جميع هؤلاء يستحقون جزءا من اموال الزكاة، لسداد ما التزموا به من ديون.

■ قال الجصاص: «الغارم من ذهب السيل بماله او اصابه حريق فأذهب ماله أو رجل له عيال لا يجد ما ينفق عليهم فيستدين.. اما من ذهب ماله وليس عليه دين فلا يسمى غريما، لان الغرم هو اللزوم والمطالبة، فمن لزمه الدين يسمى غريما»[12].

والذين اعتبروا ان الذين يفقدون اموالهم فى المصالح العامة يدخلون ضمن الغارمين احتجوا لذلك بحديث قبيصة بن مخارق قال: «تحملت حمالة، فأتيت النبى ﴿ﷺ﴾ أسأله فيها، فقال: اقم حتى تاتينا الصدقة فنامر لك بها، ثم قال: يا قبيصة ان المسألة لا تحل الا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل اصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى

يصيب قواما من عيش، ورجل اصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد اصابت فلانا فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، فما سواهن من المسألة (ياقبيصة) سحت يأكلها صاحبها سحتا»[٣].

ولا شك ان مساعدة الاسلام لهؤلاء المنكوبين ماديا ممن ضاقت بهم سبل الحياة، وطوقتهم الشدائد واحاطت بهم الديون، هو من اهم العوامل التى تجعل هؤلاء فى مأمن من التفكير الخاطىء فى ارتكاب جريمة الاختلاس او السرقة، وهذا منهج سليم فى معالجة الازمات الشخصية بطريقة عاقلة تسهم فى التخفيف عن المصاب، وتعيد له توازنه النفسي، وتمنحه الثقة بالنفس، وتفتح له طريق الامل فى اعادة ترميم ما اصابه من انهيار مادى.

أثر الزكاة فى التخفيف من أسباب الجريمة:

يسهم نظام الزكاة فى تحقيق علاقات اجتماعية سليمة بين افراد المجتمع، وبين مختلف الطبقات، وذلك لان هذا النظام المالي الهام يحقق التكافل بين الفقراء والاغنياء، ويقيم قنوات هامة من العلاقات الانسانية بين الغني والفقير، وهذه القنوات تعمق المشاعر الانسانية، وترتقي بقيم المجتمع لكي تكون تلك القيم مرتبطة بالفضيلة ومسهمة فى اقامة مجتمع متماسك، يشد بعضه أزر البعض الآخر..

وان الغني الذى اكرمه الله بنعمة المال عندما يقيم قناة من التواصل تجرى باستمرار، وتحمل معها الخير للفقير المحتاج، فان من المؤكد ان ذلك سوف يسهم ايجابيا فى ايجاد علاقات انسانية بين مختلف الطبقات الاجتماعية.

ويجدر ان نشير الى ان الزكاة بالمفهوم الاسلامي تفرض نوعا من انواع المشاركة المتجددة بين الاغنياء والفقراء، وتلك المشاركة تختلف كليا عن معنى الاحسان الاختيارى الذى يحمل معنى المنة والتفضل، فالزكاة هي فريضة، والغني عندما يدفع مقدار الزكاة فانما يؤدى ديناً لأصحابه الفقراء، ولا خيار له فى ذلك، فالفقير هو صاحب الحق فى ذلك الجزء من المال، ولذلك فان هذا المعنى يمنح الفقير ثقة بالنفس، ويعزز مشاعره الانسانية، ويجعل منه انسانا يسهم بكل طاقاته فى خدمة المجتمع الذى ينتمي اليه، ويرتبط مع مجتمعه بروابط من التكامل فى تحمل المسؤولية، وفى الدفاع عن أمن المجتمع، واستمرار مسيرته.

وفى ظل هذا المجتمع فان من المؤكد ان الجريمة لا تجد ظروفا ملائمة لنمو اسبابها، وتوفر شرائط وجودها، فالجريمة هى نتاج ظروف معينة، وعندما تزداد الجريمة فى مجتمع ما فان من المؤكد ان ظروف الجريمة قائمة، وعندما يستطيع المجتمع ان يتغلب على الظروف الاجتماعية، ويصحح مساراته المخالفة لمبدأ العدالة، فان الجريمة لا تجد ظروفا ملائمة للنمو، ولا تجد الدوافع النفسية التي تشجع المجرم على اقتحام ذلك الجدار المحرم الذى تأنفه النفس البشرية فى الظروف العادية.

وإننى أدعو الجهات المعنية بأمر الإصلاح الاجتماعي، والتي تحرص على القضاء او التقليل من الجريمة وبخاصة تلك الجريمة التى تتعلق بالاعتداء على الاموال، ان توجه اهتمامها للقضاء على القهر الاجتماعي والفقر المذل والحاجة الملحة، ففي ظل هذه الظروف سوف تظهر الجريمة، وسوف تنهك المجتمع وتهدد أمنه وسلامته، وعندما يستطيع المجتمع ان يعيد صياغة واقعه، بما يكفل العدالة فى التوزيع وضمان حقوق الفقراء والضعفاء، وتوفير الامن النفسي لهم فى ظروف العجز والشيخوخة والبطالة فان من المؤكد ان الجريمة لن تجد المناخ الملائم للظهور، وسوف تكون كالنبتة الخبيثة فى ارض طيبة مثمرة معطاء.

ونظام الزكاة بالكيفية الشرعية السليمة كفيل بأن يسهم ايجابيا فى التخفيف من الجرائم المتعلقة بالاعتداء على الاموال، نظرا لان الزكاة تحقق الكفاية المادية للمحتاجين من الفقراء والمساكين، ونأمل من

اعماق قلوبنا ان يتجه دعاة الاصلاح الاجتماعي لإعادة صياغة مجتمعنا الاسلامي صياغة تقوم على اساس العدالة فى التوزيع، والكفاية فى الاجور ،ضمان الظروف الطارئة، وتوفير الحاجات الاساسية لكل مواطن، فى ظل ظروف اجتماعية تحمي كرامة المواطن، وتصون حرمة الوجود الانساني، ولا ترهق الانسان فيما يمس كبرياءه من مواقف قد تنمي فى ذاته احقادا قد تكون مدمرة فى يوم من الايام.

الهوامش

(١) رواه البخارى ومسلم واحمد.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه البخارى والترمذى.

(٤) رواه الجماعة، انظر نيل الاوطار للشوكاني حـ٤ ص١٢٣.

(٥) رواه الجماعة الا ابن ماجة، وفى لفظ مسلم والترمذى وابي داود: لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه، ويراد بالعقال هو الحبل الذى يعقل به البعير، الذى كان يؤخذ فى الصدقة، وقيل اراد ما يساوى عقالا من حقوق الصدقة، اما العناق فيراد به النخلة الصغيرة التى لم تتم من عمرها السنة ـ ويقال فى المثل: العنوق بعد النوق اى القليل بعد الكثير.

(٦) انظر المقدمات الممهدات لابن رشد جـ١ ص٢٢١.

(٧) انظر بدائع الصنائع للكاساني جـ٢ ص١٧

(٨) انظر بداية المجتهد لابن رشد حـ١ ص٢٤٥ والمغني لابن قدامة جـ٢ ص٩.

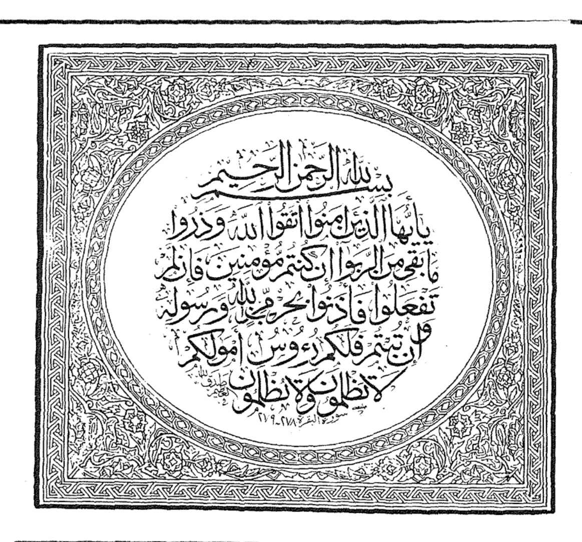
(٩) نقل هذا الرأى عن النخعي وسعيد بن جبير، انظر بداية المجتهد جـ١ ص٢٤٥.

(١٠) انظر المغنى لابن قدامة جـ٢ ص ٥٥٢، ونيل الاوطار للشوكاني جـ٤ ص١٦٩.

(١١) انظر تفسير القرطبى ج٨ ص١٦٨.

(١٢) انظر احكام القرآن جـ٣ ص١٢٧.

(١٣) انظر تفسير القرطبي جـ٨ ص١٨٤.





(رمضان) شهر الخير والبركة، شهر التسامح وموصول المودة، شهر الغفران والرضا.. هذا الشهر من قبل مطلعه، تتطلع نفوس المؤمنين لقدومه، ويظهر هذا في مظاهرهم النفسية والمعنوية، بل والاجتماعية.. وعند قدومه، تعطر تهانيهم بقدومه الافاق.. وتنشرح نفوسهم بشرا وتطلعا إلى الخير.

الشعوب الاسلامية في مختلف بقاع الارض لها مع هذا الشهر الكريم وقفات ووقفات.. ولهم فيه سنن متصلة بالحياة لم تتخلف ورثوها عن اباء هم وأجدادهم.. وهذه السنن الماضية تتمثل فيما تعارفوا عليه من عادات وتقاليد يقدمون عليها فى هذا الشهر الكريم.. وهي فى مجملها تعظم في نفسهم مكانة هذا الشهر، الذى خصه الله سبحانه وتعالى بان انزل فيه القران الكريم، وبان جعل فيه ليلة القدر التى هي خير من ألف شهر.

عادات وتقاليد فى استقبال هذا الشهر وتوديعه والاحتفاء به.

عادات وتقاليد فى الملبس والمأكل والمشرب.

عادات وتقاليد فى تجمعهم وافتراقهم.

عادات وتقاليد فى حياتهم الاجتماعية والسلوكية خلال هذا الشهر المبارك.

وهذه الصفحات ما هي الا رحلة سريعة غير متأنية عبر ما اعتاده الناس فى هذا الشهر المبارك.. ولما كانت عادات الناس تختلف بحسب بيئاتهم ومجتمعاتهم، فان تعرفنا على بعضها من خلال هذه الصفحات سيطبع فى نفوسنا ما يملأ نا شوقا لمعايشة تلك البيئات.

وفى النهاية، فهذا جهد المقل، لا لشىء إلا لاستحالة الاحاطة المفصلة لكثير من هذه العادات والتقاليد.

■ وهذه إطلالة سريعة نعيش فيها رمضان.. ولياليه.. نتلمس.. عادات وتقاليد الشعوب.. ونقف على أبرز معالمهم الرمضانية!.. فى بعض الدول الاسلامية.. ونبدأ هذه الجولة بمعلمين رمضانيين بارزين هما فانوس رمضان والمسحراتى.

فانوس رمضان:

الفانوس جهاز لوقاية مصدر الضوء من الريح أو المطر، وقد استخدم الرومان فوانيس صنعت جوانبها من القرون الرقيقة لحماية المشاعل الزيتية التى ظلت تستخدم حتى العصور الوسطى إلى جانب الشموع، وفى عهد النهضة استخدمت فوانيس من المعدن المثقوب. ثم استخدم بدلا منها الزجاج. استخدمت الفوانيس المصنوعة من الورق أو المنسوجات الرقيقة فى الشرق، وكثيرا ما تكون قابلة للتطبيق، وفى الشرق الأوسط استخدمت فوانيس من النحاس المشغول، واستخدمت فوانيس مصنوعة من الطفلة فى بعض جهات أفريقيا.

ليالي رمضان

رحلة في ذاكرة الزمن الجميل

وقالوا إن الفانوس كلمة إغريقية قديمة تدل على نوع من الاضاءة، وأنه يصنع من معدن مثقوب.

والعرب برعوا فى صناعة الثريا والمشكاة والقنديل والشمعدان وغير ذلك كما تفننوا وأبدعوا فى صناعة المصابيح وكان ذلك خلال عصور الحضارة العربية.

أما فانوس رمضان فيقول عنه الاستاذ عاتق بن غيث البلادي أنه كان من عادات الحجازيين فى شهر رمضان وأن الأولاد كانوا يتخذون فوانيس تسمى فوانيس رمضان تسرج بالغاز. ويتجولون بها فى الأحياء تعبيراً بريئاً عن امتداد فرحة الآباء إلى الأبناء الذين لا يعلم بعضهم علام هذا الفرح. واذا جاءت الصلاة: صلاة العشاء. أسرع الناس فى صفوف لصلاة التراويح. ولأهل مكة والمدينة تفضيل للحرمين يصلون فيهما التراويح خاصة لقوله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة الف صلاة فيما سواه» (رواه البخارى ومسلم).

وعند السحور، تسمع الأبواب تقرع، ينبه الأخوان بعضهم على القيام للسحور، وبعده صلاة الفجر فتسمع: (السحور يا ابو فلان) يكرر أمام كل بيت تقريباً.

وقد كان هناك من الفقراء من يمتهن التسحير فاندثرت هذه العادة. ولا تختلف بوادى الحرمين وقراها عما ذكرنا، إلا أنه ليس لأبناء البوادى فوانيس. وعندما حل علي أول رمضان فى مكة المكرمة سنة ١٣٦٤هـ اتخذت فانوساً وجعلت أركض به واجلس به على الرصيف حتى يؤذن لصلاة الفجر. عادات عندما يستعيدها المرء يشعر بالحنين إليها. وعلى قرب الفترة، وأنها امتداد لقرون عديدة فقد اختفت هذه العادة حتى أن ابناءنا اليوم لا يعرفون إسراج الفانوس - ولعل بعضهم لا يعرفه اصلا.

في مصر:

لا يكاد يخلو منه بيت أو حارة خلال شهر رمضان. حيث يستخدمه الاطفال كزينة فى اياديهم وهناك أكثر من ٥٠ نوعا من الفوانيس تتزين بها الحوارى والشوارع. ومصر عرفت الفانوس مع بداية العصر الفاطمى. وصار هو المفضل عند الاطفال خلال هذا الشهر. وعلى الرغم من تطور صناعته وظهور الفوانيس المصنوعة من البلاستيك إلا أن الفانوس التقليدي بشمعته هو السائد حتى الآن.

■ وفى فانوس رمضان قال الشعراء:

يصف الشاعر مجير الدين بن نعم فانوس رمضان قائلا:

انظر إلى الفانوس تلق متيما
ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه لنحوله
وتعد من تحت القميص ضلوعه

● وقال ابن النبيه:

حبذا في الصيام مئذنة الجا
مع والليل مسبل اذياله
خلتها والفانوس إذ رفعته
صائدا واقفا لصيد الغزاله

● كما يقول فيه الرشيد ابو عبد الله:

احبب بفانوس غدا صاعدا
وضوؤه دان من العين
يقضى بصوم وبفطر معا
فقد حوى وصف الهلالين

● ويصفه ابن نفطويه فيقول:

نصبوا لواء السحور واوقدوا
في رأسه نارا لمن يترصد
فكأنه سبابة قد جمعت
ذهبا وقامت في الدجى تشهد

● وهذا الفقيه أبو محمد القلعى يبدع فى تصوير فانوس رمضان قائلا:

وكوكب من ضرام الزند مطلعه
تسرى النجوم ولا يسرى اذا رقبا
يراقب الصبح خوفا ان يفاجئه
فان بدا طالعا فى أفقه غربا
كأنه عاشق وافى على شرف
يرعى الحبيب فان لاح الرقيب خبا



● مدفع رمضان تقليد رمضاني متوارث

● السمبوسك من الاكلات المفضلة فى شهر الصوم!

■ **أما الظاهرة الثانية فهى المسحراتى**

المسحراتى.. يمثل ظاهرة من الظواهر الرمضانية الجميلة التى كادت أن تختفى فى أيامنا هذه.. وهو هذا الشخص الذى يحمل طبلته التقليدية تحت ذراعه الأيسر. ويجوب الحوارى والطرقات ينقر نقراً موسيقياً.. بإيقاع مرتب على الطبلة.. تارة شاديا بالألحان المتعلقة بالصيام.. وأخرى بأسماء أهل الحى أو القرية جميعاً.. أسماء الصغار كما يردد أسماء الكبار.. ولعل ذلك مما جعل الصغار متعلقين به متلهفين إلى انتظاره وسماعه.. والصغار فى بعض القرى كانوا يكتبون أسماءهم على أبواب البيوت أو جدرانها.. ليقرأها ويشدو بها على إيقاع الطبلة.. وتلك كانت عادة من العادات المحببة إلى نفوس الصغار قبل الكبار خلال شهر رمضان المبارك.

ووسائل الإعلام - فى بعض البلدان - خاصة الاذاعة والتلفاز.. استطاعت أن تفيد من شخصية المسحراتى.. حيث وظفته لنقد بعض الجوانب الاجتماعية.

■ فى قطر يستقبله المسلمون بفرحة عارمة.. يصومون نهاره ويقومون ليله فى العبادة الدائمه وقراءة القرآن الكريم وإقامة حلقات الذكر.

ومع قدوم شهر رمضان يتبادل القطريون التهاني والتزاور والتراحم استعداداً للصيام وقراءة القرآن واقامة الصلوات واخراج الزكاة والصدقات للفقراء والضعفاء والايتام ويعبر المسلمون فى قطر عن بهجتهم بهذا الشهر عن طريق اقامة الولائم الخاصة ليلا ويتم خلالها دعوة الفقراء والاصدقاء والاقارب الى هذه الولائم.

■ **وفى الامارات العربية** يبدأ استقبال شهر رمضان المبارك منذ منتصف شهر شعبان.. كما أن المسلمين يؤدون فروض صلاتهم

الشهر الكريم.

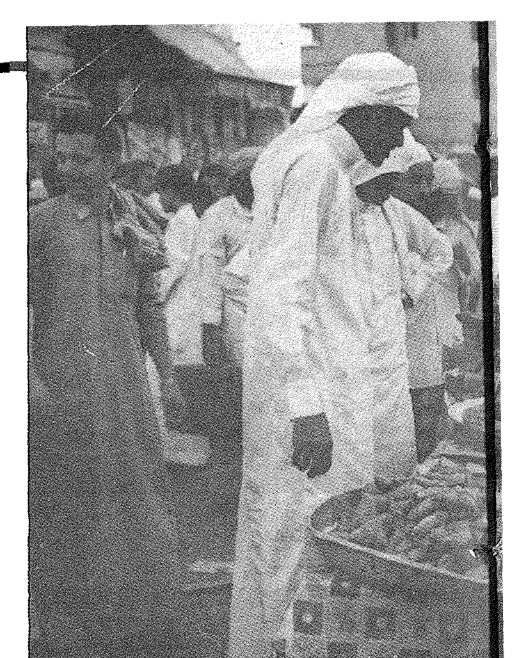
ومن الاكـلات الشعبية التى تحرص عليهـا الأسر فى الامـارات خاصـة خلال شهـر رمضـان ـ الهريس والقرع والأرز بأنواعه كذا الحلويات مثل العصيد والجنيص.

■ **امـا فى الـكـويـت**.. فهـم يستعـدون لاستقبال شهر رمضان المـبـارك.. ويطلقـون على يوم الـثـلاثـين من شعـبـان.. يوم (القريش) حيث يستعد فيه الاهالى بتنظيف المنازل والتجمع للذهاب إلى منـطقـة السيف على شاطىء الخـليج يغـسـلون ملابسـهـم ويغتسلون بماء البحر ـ وفى المساء تكون العودة إلى البيوت استعدادا لاستقبال رمضان.. وهم يقضون نهاره وليله فى عبادة تامة ـ من صلاة وقـراءة القرآن الكريم.. كما تكثر الـدواوين الـتى تزدحم بالشيوخ والشباب فى جو روحى عظيم.

الاطفـال يلعبـون ويمـرحون خلال هذا الشهر الكريم ويزاولون لعبة القرقيعان على البيوت حاملين الـطبول الصغيرة وهم فى جماعات ويرددون «قـرقيعان.. قرقيعان.. بيت قصـيد ورمضـــان.. عادت عليكم صيام كل سنة وكل عام».

وعند سماع الأهالي وأصحاب البيوت هذا الكلام فإنهم يوزعون على الأطفال الحلوى والمكسرات.

■ **وننتقل الى المغرب**: حيث تبدأ الاستعدادات لقدوم الشهر المبارك خلال العشر الاواخـر من شهـر



يقبـل عليهـا كل مار وعـابر سبيل ليتسابقوا عليه فى افطاره طلبا للأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.

وبعـد صلاة العشاء والتراويح تبـدأ الجلسـات العـامـرة وتفـرش الموائد من الساعة العاشرة والنصف وحتى الثـانية وذلـك بشتى انـواع المأكولات من كل ما لذ وطاب من الأطعمـة التى تزخـر بها المـائـدة الامـاراتية ويتسابق النسوة لاعداد هذه الاطعمة ويضعون جدولا زمنيا خاصة بين الأسر بحيث يكون كل يوم لدى اسرة من الاسر طوال

الخمس وصـلاة التراويح والتهجد فى أكثـر من ألفـين ومـائتين وستة مسـاجـد موزعـة على إمـارات أبو ظبى، دبى، الشـارقـة، عجمان، رأس الخيمة والفجيرة.

والأسرة تقـوم قبـل الافـطار بسـاعـة تقـريبـا بتبادل المأكولات المصنوعة في كل بيت كما تقام موائد الافطار بالقرب من احدى المساجد ويتـولى احـد اصحـاب المنـازل القـريبـة من المسجد تجهيز المائدة طوال شهـر رمضان المبارك وتكون هذه المائدة على قارعة الطريق حتى

شعبان . . يشمل هذا تجديد طلا
المنازل وتنظيفها وترتيبها وفى التاس
والعشرين أو الثلاثين م
شعبان . . أى عند ثبوت رؤ
الهلال ـ تعلن وزارة الاوقاف قدو
شهر رمضان المبارك بإطلاق ١
طلقة . . فيصعد المغاربة فو
أسطح المنازل وهم يحملون الدفوف
والمزامير لمشاهدة الهلال . . ثم يخر
المواطنون إلى الشوارع يؤدون بعض
الألعاب النارية ويغنون بأعذب
النغمات وخلال الشهر الكري
تزدحم الجوامع الشهيرة والأماكن
الدينية لأداء الصلوات والعبادة .

وتتم خلال الليالي الزيارات
العائلية التي تكثر فى هذا الشهر
الكريم . . وربما يقطعون الطرق
ذهابا وعودة عبر المدن المغربية
للزيارات والالتقاء بالاقارب وتكون
تجهيزات خاصة لهذه الزيارات قبل
حلول شهر رمضان وقد جرت هذه
العادة كل سنة .

ويستقبل الاطفال والاولاد
رمضان باللعب فى الحواري والازقة
تحت ضوء الشموع والاسرجة
ويقوم الاهالى بالصلوات فى الليل
والتهجد وقراءة القرآن خلال
حلقات دينية فى المساجد وتزدحم
الجوامع والمساجد ويلقى خلاله
الشيوخ والائمة القرآن والاحاديث
خلال هذه الندوات الليلية الدائمة
خلال شهر رمضان المبارك .

ومن الوجبات الرمضانية
الرئيسية فى المغرب ما يطلق عليه
الحريرة ومن حلواهم المفضلة



● المسحراتي . . سلوك اجتماعي كنا نتمنى ألا ينقطع .

كذلك فى هذا الشهر أكلة
الجريش .

■ **وفى تونس**: يستقبله
التونسيون بشوق بالغ . . حيث
نرى المساجد والجوامع تقام فيها
صلاة التراويح والتهجد ونقف على
الاحتفالات الدينية الرائعة لاختتام
القرآن الكريم .

ومن العادات الرمضانية فى
تونس اصوات المدفع عند الافطار
والامساك اضافة الى وجود أبو طبيلة
فى بعض المدن ومـا يعبر عنه
بالمسحراتى كل ليالى رمضان
ومهمته ايقاظ النائمين مع قرب
حلول وقت السحور، وفى رمضان
تشهد بعض الاحياء الشعبية
الحفلات الموسيقية داخل القاعات
المغلقة وخارجها تقام المدن الترفيهية
المتنقلة للاطفال .

ومن العادات والتقاليد الخاصة
بالطعام والموجودة فى تونس خلال
شهر رمضان (الملسوقة) وهى عبارة
عن ورقة دقيقة من العجين
تستعمل لإعداد البريك .

■ **وفى الجزائر**: يبدأ
الاستعداد منذ أواخر شهر رمضان
حيث تتزين الطرقات والمحلات
والمساجد وتكثر الحركة بشكل غير
عادى حتى إنك لتسمع أحاديث
الناس فى الطرقات عن ليلة الشك
وهلال رمضان .

ويسمى اليوم التاسع
والعشرون أو الثلاثون . . فى بعض
المناطق فى الجزائر . . بيوم
«القرش» .

ويتوجه المسلمون خلال شهر
رمضان المبارك إلى المساجد حيث
الصلاة والعبادة ـ أما ليلة السابع



قسيمة اشتراك فى مسابقة المنهل للنشاط الابداعى ٢

«الشعر»

شروط المسابقة:

(١) أن تكون القصيدة أو (القصائد) لم يسبق نشرها وأن تكون منسوخة على الالة الكاتبة من وجه واحد فقط.
(٢) أن تكون باللغة العربية الفصحي ومضبوطة بالشكل فيما تقتضى الضرورة ضبطه.
(٣) أن تتوافر فيها مقومات الابداع الأصيل.
(٤) ارفاق القسيمة الاصلية شرط أساسى للدخول فى المسابقة وهى صالحة لعمل واحد فقط.
(٥) اخر موعد لارسال الاعمال نهاية شهر شوال ١٤١٣هـ الموافق ٢٠ ابريل ١٩٩٣م.
(٦) الاعمال المخالفة للشروط السابقة تستبعد من الدخول فى المسابقة.
(٧) تعرض الاعمال على لجنة متخصصة لتحديد القصائد الفائزة فى المسابقة، وقرار اللجنة نهائى فيما يتصل بالاعمال الفائزة.
(٨) للجنة الحق فى نشر ما تراه جيدا من القصائد المقدمة والتى لم تفز فى المسابقة.
(٩) تنشر نتيجة المسابقة فى عدد المنهل لشهر المحرم ١٤١٤هـ وستعمل المجلة على نشر القصائد الفائزة بالمسابقة فى نفس العدد.
(١٠) يخطر الفائزون على عناوينهم وترسل لهم المكافآت الخاصة بالمسابقة. ولا ترد الاعمال لاصحابها.

■ **توزع الجوائز على النحو التالى:**

- الفائز الاول: جائزة قدرها ١٠٠٠ (ألف ريال) واشتراك مجانى بالمنهل لمدة عام.
- الفائز الثانى: جائزة قدرها ٧٥٠ (سبعمائة وخمسون ريالا)، واشتراك مجانى لمدة عام.
- الفائز الثالث: جائزة قدرها ٥٠٠ (خمسمائة ريال) واشتراك مجانى لمدة نصف عام.

مع تحيات مجلة



سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل
تحية طيبة . .

فضلا ارجو الاشتراك فى مسابقة المنهل للنشاط الابداعى (الشعر) المعلن عنها فى العدد ٥٠٢ ومرفق لكم طيه مشاركتى فى المسابقة بقصيدتى :

. . . .

. . . .

اسم الكاتب (ثلاثى) . . . . السن : . . . .

العنوان : . . . . القطر : . . . .

المدينة : . . . . ص. ب : . . . . رمز بريدى : . . . .

تليفون : . . . . فاكس : . . . . تلكس : . . . .

أى معلومات اخرى : . . . .

ترسل المشاركات الى مجلة المنهل المركز الرئيسى ـ جدة ـ الشرفية ٢ شارع تنورة (عرفات سابقا) ـ برقيا : المنهل ـ الرمز البريدى ٢١٤٦١ ـ ص. ب : ٢٩٢٥ ـ ت : ٦٤٢٧٨٣١-٦٤٢٥٦٨٧ ـ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣ مرفقة بالقسيمة الاصلية .

والعشرين من شهر رمضان فلها طابع مميز وخاص حيث تتميز بالتفنن فى قراءة همزية البوصيرى والبردة وذلك بعد إتمام ختم القرآن.

● ومن الاحتفالات الرمضانية فى الجزائر صيام الطفل يومه الأول إذ يعتبرون ذلك مناسبة عائلية تسمى يوم يصوم الصبى أول مرة فيتمثل استحياء ان نظر كل العائلة مشدود نحوه منذ أن يستيقظ فى الصيام وأعينه الى الصبر أو الى النوم في حين يظل يتظاهر هو بحيويته ولا يعترف بألم الجوع والعطش إلا بعد الافطار.

● والاطفال الجزائريون هم الآخرون يتفاعلون مع شهر الصيام بطريقتهم الخاصة فتراهم يملأون الطرقات في الليل ويمارسون العابهم ببساطة الطفولة ويطرقون أبواب منازل الحارة فى عفوية ويطلقون بعض الألعاب النارية البسيطة كتعبير عن فرحتهم الكبرى بشهر رمضان المبارك.

■ اما فى مصر: فقد اعتاد المصريون الاحتفال فى هذا الشهر الكريم بشكل خاص حيث يستقبلون رمضان بفرحة عارمة.. وليلة استطلاع الهلال تحس بحركة دائبة فى الشوارع وبمجرد ظهور الهلال أو ثبوت الرؤية تطلق المدافع، ويقوم الرجال بأداء الصلوات فى المساجد.. وصلاة التراويح.

للمصريين عاداتهم الخاصة فى هذا الشهر من طعام وشراب وزينات.. فالمسحراتى وفوانيس رمضان والحاجة فاطمة وتبادل الزيارات العائلية جميعها لها طابع مميز فى الشهر الكريم في جمهورية مصر العربية الى جانب سهرات رمضان التى هى الأخرى لها متعة خاصة لدى افراد الشعب المصرى.

● ومن مظاهر رمضان فى مصر تبادل الزيارات العائلية بين أفراد الشعب المصرى بينما يقوم الرجال بعد تأدية صلاة العشاء والتراويح بالجلوس في المقاهى الشعبية وخاصة فى «الحسين» و«السيدة زينب» وغيرها والاستمتاع بالوقت حتى يحين موعد السحور حيث تجتمع الاسرة على المائدة التى تضم ما لذ وطاب من الأكلات الشعبية المشهورة والتى تزخر بها المائدة المصرية مثل الكشري ودقية البامية والملوخية والجلاش والرقاق.. وغيرها.

● كما ان المائدة المصرية لها دور كبير فى هذا الشهر مثل القطايف والكنافة وقمر الدين والزبادى والخروب والكركديه والعرقسوس والبلح والتين والعصائر وغيرها من الأكلات الشعبية والمشتهرة فى رمضان.

■ وفى سوريا:

يبدأ الاستعداد لشهر رمضان الكريم مع التزام كثير من الناس بصيام الاثنين والخميس اعتباراً من بداية شهر رجب وخلال شهر رمضان يتوافد السوريون على المساجد لأداء العبادة والصلوات والتسابيح وبعضهم يعتكف فى المساجد أيام العشر الاواخر من شهر رمضان هذا إضافة إلى قيام أجهزة الاعلام المختلفة بتقديم البرامج الدينية والتاريخية خلال الشهر الكريم.

●● ومن عادات الشاميين (أهالى العاصمة دمشق) ان يقوموا قبل يوم أو أيام باستقبال الشهر فى نزهات عائلية أو فى شكل جماعات من الأصدقاء الى مناطق الغوطة الشرقية أو مناطق الربوة والشادروان مما يدل على ولعهم بالخضر والظلال.

● أما الاطعمة التى يتهافت عليها الناس فى هذا الشهر فمتعددة ويتحلق الناس حول موائد الافطار التى تحتوى العديد من الأطعمة فى هذا الشهر مثل: (الفول المدمس وفتة حمص (التسقية) والأرز المطبوخ مع الفول الاخضر كما يقوم البعض منهم بصناعة بعض الحلويات كالمعمول والوريان بالقشدة.

■ وفى الأردن: يستقبل المسلمون الشهر الكريم باستعدادات كثيرة.. وخلاله تزدحم المساجد بالمصلين خاصة فى صلاة التراويح وتكثر الصدقات والزكوات من المحسنين لمساعدة إخوانهم المحتاجين.

وتشهد الاسواق الأردنية حركة دائبة فى البيع والشراء كما يقوم اصحاب المحلات فى الشوارع بوضع الزينات ولمبات الاضاءة التى تزدان بها جميع المحلات التجارية وتشع الأنوار بها احتفاء بقدوم هذا الشهر الكريم.

● وبخلاف الكنافة والقطايف والبقلاوة فان المائدة الاردنية تزخر بالعديد من الأكلات الشعبية اللذيذة وخاصة فى شهر رمضان المبارك ومن اشهرها المنسف والمقلوبة والمسخن والفول.

■ **فى السودان:**

الاهتمام البالغ لأهل السودان بهذا الشهر المبارك يدفعهم إلى تتبع مطالع الشهور الثلاثة قبله، ويتم هذا العمل بصورة فردية وجماعية من غير تكليف من جهة رسمية.. وسبب هذه المبالغة فى الاهتمام بمطالع الشهور قبله يرجع الى ان عبادة الصوم ذاتها تحمل هذه الدقة فى نفس الصائم، اضافة الى ان شهر رمضان له خصوصيته بين الشهور.

وعلى هذا فمن الظواهر المعتادة عندهم ان تجد الناس فيما بينهم يتجادلون ويتحاورون ما اليوم الذى طلع فيه هلال رجب، وهكذا شعبان،

لتحدد بداية رمضان بدقة قدر استطاعتهم.

وينسحب هذا الاهتمام على الصبية والصغار، وما ذلك إلا بسبب مباركة الكبار لبعضهم مطلع الهلال، وما هي الا دقائق حتى تشيع هذه التباريك والتهاني فى كل أنحاء القرية أو البلدة.. هذا رغم أن وسائل الاعلام جميعها (راديو - تلفزيون - صحف) تنقل للناس بداية الصوم ونهايته، إلا أن الناس تجدهم اكثر اهتماما لان يروا الهلال بأنفسهم.

ومظاهر الصوم فى السودان تحيطها البساطة وعدم التكلف.. والغالب فى افطارهم، هو الافطار الجماعي فى المدن والقرى على السواء، إذ يجتمع عند ساعة الافطار كل مجموعة منهم من الجيران والاقارب والاهل فى بيت أحدهم، وغالباً ما يكون الافطار فى



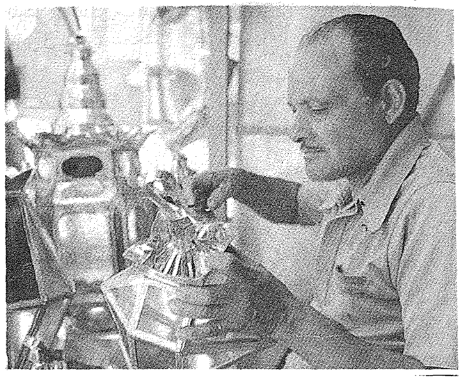
الشارع العام (فى القرى خاصة) ومن المناظر المألوفة جداً أن تجد على طول الشارع وعلى امتداد بصرك الموائد ممتدة فى جماعات ملتفة حول بعضها.

ومن طيب النفوس أن من جاء به الطريق فى ساعة الافطار ان يتناول افطاره عند أقرب مجموعة حتى وان كان من اهل البلدة نفسها اذ ليس بالضرورة ان يصل الى أهله ما دام وقت الافطار قد حان.

«العصيدة الدافئة بالتقلية» هى الوجبة الشعبية المفضلة ساعة الافطار، إذ تتسابق إليها الأيدى قبل غيرها من أنواع المأكولات الأخرى.. وفى المشروبات يأتي «الآبرى» أو «الحلومر» فى المقدمة.. وهو مشروب شعبى يتكون من خلطة محسوبة بدقة من دقيق الذرة، والقرفة، والهيل، والزنجبيل، والقرنفل والعرق الأحمر وبعض الأعشاب الأخرى.. وكل هذا يعطيك كوباً من العصير اقرب فى لونه الى تمر الهند ولكنه أجمل طعماً ومذاقاً.

أما ليالي هذا الشهر المبارك، فان الناس بعد صلاة التراويح لا يميلون فى الغالب للسهر وبخاصة فى القرى، إلا اصحاب المتاجر والمهن.. وغالب الناس تجدهم فى منازلهم بين أسرهم وأهليهم.. أما العيد عند أهل السودان فانه روعة وجمال.. يتجمعون فى مصليات العيد خارج المساجد وفى الساحات.. يؤدون صلاة العيد.. ويتصافحون فى عناق مودة تظن ألا فرقة بعده أبدا.. حتى اصحاب العداء القديم يتصافحون فى مصلى العيد بصورة عاطفية تلقائية، وفى لحظة كأن ما بينهم من عداء قديم سحابة صيف سرعان ما انقشعت.. ومن مصلاهم هذا فى

● فوانيس رمضان صناعة الأجداد للأبناء.



مجموعات لمباركة العيد السعيد على الأسر والأهل والاقارب، بل ويتناولون وجبة إفطار يوم العيد فى أى بيت ـ كيف ما اتفق ـ من غير حرج، ليس هذا فحسب بل صاحب البيت نفسه الذى تصادف ان حان وقت الافطار عنده يصر اصراراً شديداً على كل الحاضرين بتناول الافطار عنده.

وفى صبيحة يوم العيد أيضاً ـ ومنذ طلوع الفجر ـ كل اهل القرية او البلدة تجدهم فى حركة نشطة لاستقبال هذا اليوم. (ترتيب للمنزل ـ إلباس الاطفال ملابس العيد ـ تجهيز (الديوان) لاستقبال القادمين لمباركة العيد ـ تجهيز الافطار (العصيدة ـ التقلية ـ الشعيرية ـ السكسكانية ـ الفطير).

انه العيد، وإنها فرحة العيد، فرحة العيد هذه ترفع الحرج عن الجميع.. هكذا رمضان.. شهر الخير والبركة.. وهكذا العيد، عيد الفطر.. عيد التسامح والتواصل والمودة.

■ فى الصومال:

يتم الاعلان عن الافطار فى شهر رمضان المبارك فى الصومال.. عن طريق آذان المغرب حيث لا تطلق المدافع إيذاناً بذلك وكما هو معروف فى كثير من الدول.. فى رمضان تضاء المساجد وتفرش بفرش جديدة.. وتطلى طلاء جديدا.. ولكل حى فرقة تسحير. تبدأ تحركها بعد منتصف الليل مستخدمة الطبول والاناشيد والاهازيج.

أما ليالى رمضان.. فى الصومال ففيها الالعاب الشعبية التى يقوم بها الصغار على حين يقضى الكبار تلك الليالى فى أداء صلاة التروايح ثم الاجتماع بعد ذلك على المقاهى والديوانية للتسامر.

أما العشر الأواخر منه فهى للتهجد حيث تمتلىء المساجد خاصة فى قلب العاصمة.. أما العادات الخاصة بالطعام.. فلعل تلك الوجبات الثلاث التى يقوم عليها الصوماليون.. ما يميزهم عن الشعوب الأخرى فى هذا.. فهناك وجبة الافطار الخفيفة وهى عادة من تمر وماء وبعض الحلوى الصومالية.. ووجبة العشاء: ويتناولها الصوماليون بعد الانتهاء من صلاة العشاء والتراويح وتتكون عادة من الأرز واللحم وبعض الفواكه.. ومن أكلاتهم الشعبية (الباستر) وتشبه المكرونة توضع عليها الشوربة وهى من الأكلات المفضلة فى شهر رمضان.. ثم وجبة السحور.. وهى وجبة خفيفة تقتصر عادة على الأرز الأبيض واللبن وبعض المشروبات والفواكه.

■ فى جزر القمر:

على سواحل الجزر يسهرون حتى الصباح..

يستعد المسلمون فى جزر القمر لاستقبال شهر رمضان بدءاً من بداية شهر شعبان.. حيث يعدون المساجد ويشعلون مصابيحها ويعمرونها بالصلاة وقراءة القرآن الكريم.. خلال الشهر الكريم.

الذى تكثر فيه حلقات الذكر وتلاوة القرآن الكريم . . كما تكثر فيه الصدقات وأفعال الخير . . وفى ليلة رمضان الكريم . . يخرج السكان حاملين المشاعل ويتجهون إلى السواحل حيث ينعكس نور المشاعل على صفحة المياه . . ويضربون بالطبول إعلاناً بقدوم رمضان ويظل السهر حتى وقت السحور.

ومن الاطعمة الرئيسية على مائدة الفطور فى جزر القمر الثريد . . إضافة إلى اللحم والمانجو والحمضيات . . وهناك مشروب الأناناس والفواكه الأخرى.

■ **فى ساحل العاج:**

التهليل والتكبير طلائع البشرى بقدوم شهر الخير.

فى ساحل العاج يحتشد المسلمون آخر يوم من شهر شعبان فى الطرقات لاستطلاع هلال شهر رمضان المبارك . . فإذا رآه البعض بثت وسائل الاعلام نبأ رؤيته ويجتمع الناس لأداء صلاة التراويح جماعة فى المساجد المنتشرة فى كل مكان . .

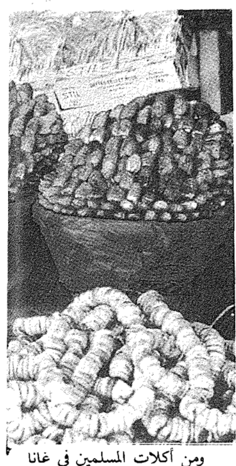
وقت الافطار . . يتبادل المسلمون دعوات الافطار . . وهى عادة اعتادها الناس هناك . . حيث يقدم التمر . . وبعض الأطعمة والحلويات والمشروبات التى تتفنن ربة البيت فى صنعها خاصة خلال هذا الشهر الكريم . . واثناء الشهر المبارك يكثر الناس من العبادة والاسراع فى فعل الخيرات وخلال العشر الاواخر يعتكف بعض الناس فى المساجد للتهجد.

■ **فى غانا:**

من دار شيخ القبيلة ينطلق الاعلان بقدوم شهر رمضان.

لشهر رمضان مذاق خاص فى غانا . . المسلمون فى غانا يستقبلون الشهر الكريم ـ بدءاً من منتصف شعبان . . حيث تهيأ المساجد لإقامة صلاة التراويح . . وتنقل وسائل الاعلام الأناشيد الاسلامية المعبرة عن فرحة الاطفال برمضان . . وعند مشاهدة هلال رمضان . . عادة يذهب الناس إلى رئيس القبيلة الذى يأمر أشخاصاً بعينهم لابلاغ الناس بحلول شهر رمضان . . وهؤلاء يستخدمون الطبول والآلات التى تصدر أصواتاً قوية فى مهمتهم . . وتظل تلك عادتهم فى أوقات السحور. وتكتظ المساجد (ونذكر أن فى مدينة أكرا وحدها ما يقرب من ٢٥٠ مسجدا وجامعا) تكتظ بالمصلين.

ومن عادات أهل غانا خلال هذا الشهر الكريم . . اجتماع الناس فى المساجد وأمام المنازل . . حيث يؤدون صلاة التروايح جماعة كما يأكلون بصورة جماعية . . ومعظم الأغنياء يقدمون طعام الافطار للفقراء فى المساجد . . ويتميز هذا الشهر الكريم . . بعودة كل مسافر إلى مكان بعيد . . لقضائه ضمن أسرته.



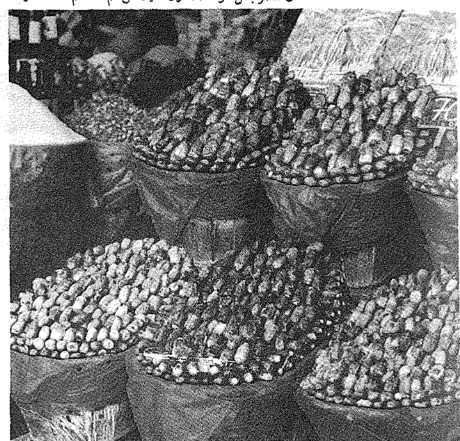
ومن أكلات المسلمين فى غانا المفضلة خلال شهر رمضان . . الخضروات واللبن والشاى والبيض والأرز والسمك . . وهناك أكلة خاصة هى (التو) (مصنوعة من الثريد) وأما المشروب المفضل فهو (كوكو) إضافة إلى بعض الفواكه.

■ **فى السنغال:**

فى شهر القرآن الكريم العلماء يتسابقون الى شرح كتاب الله تعالى وتبيين آياته.

بكل فرح يستقبل المسلمون فى السنغال شهر رمضان المبارك . . ويغتنمون تلك الفرصة فيصلون الصلوات الخمس جماعة فى المسجد إضافة إلى تبادل الزيارات الودية والبعد تماماً عن كل ما يضر النفس

● التمر بكل أنواعه.. أول ما يلامس فم الصائم عند افطاره.



أو الغير.

وممـا يذكـر أنهم يجتمعـون للاستماع إلى العلماء وهم يشرحون الأحاديث والقصص الاسلامية فى الفترة ما بين الثانية عشرة ظهراً والثـالثـة عصراً.. والمسلمـون يجتمعـون أيضـا فى المسـاجـد والشـوارع والطرقات لأداء صلاة التـرابيح حيث تتسـع المسـافـات وتزيد عن الكيلو متر الواحد فى كل اتجاه.

ومن عادات الطعـام عندهم خلال شهـر رمضان.. تفنن المرأة السنغـالية فى إعـداد الاكـلات الشعبية والجـديدة.. وبـذلـك تختلف الأكـلات الـرمضـانية عن غيرهـا فى الشهور العادية.. ومن أشهـر تلك الأكـلات.. أكـلة (الفـوتـري) وهى معـدة من دقيق حبوب مطحونة.. الذرة.. البر.. وغـيرهـا، تخلط بالحليب والسكـر وتؤكل ساخنة.

■ **رمضان فى المملكة العربية السعودية:**

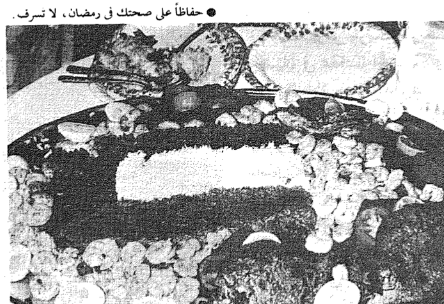
ولـرمضان جوه الروحى المميز والخاص فى مملكتنا الحبيبة.. وإذا كان شهـر رمضان الكريم يختلف من بلد إلى بلد.. بل ومن مكان الى آخـر.. فهو مختلف فى المدينة عنه فى القرية.. مثلا.. إذا كان الأمر كذلك.. فإن هذا الاختلاف الـذى نعنيه إنما يختص بمـظاهـر الاستعـداد لقـدوم رمضـان.. ويتصـل بالعادات والتقاليد.. أما الجـانب الـروحى فهـو واحـد.. وذلك أمر بدهى.. لا يعتريه تغير ولا يصيبه تغيير أو اختلاف.

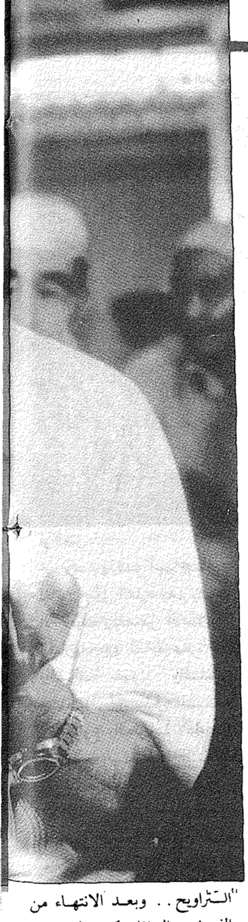
وسـنعـرض عرضـاً سريعـاً لرمضـان فى مملكتنـا الحبيبة.. فى بعض المنـاطق.. ولنبـدأ بمـدينة رسـول الـله ﴿ﷺ﴾ **المـدينـة المنورة**.. تزدحم بالـزائـرين كل عام.. منـذ دخـول الـشهـر الكـريم.. ويشتـد هذا الـزحـام خاصـة فى العشر الأواخـر منه.. حيث يستـمتـع الجميع بالجـو الروحانى الذى يسود بلد الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

ومن عادات الاسر خلال هذا الشهر المبارك أن الصائم يخرج من منـزلـه قبـل آذان المغـرب بقليل مصـطحبـاً أولاده فوق سن العشر سنـوات.. ومعهم بعض الفاكهة والتمـر والقهـوة العـربية.. وبعد آذان المغـرب.. يفـطرون على ما معهم ويصلون فريضة المغرب.. ثم يعود الابناء الى البيت على حين يبـقى الأب حتى يفـرغ من أداء صلاة الـتراويح.. الـتى يأخـذ بعـدها قسطاً من الراحة ليعود مرة أخـرى لأداء صلاة التهجـد التى تستمر حتى الثالثة من بعد منتصف الليل تقريباً.

ومن المظاهر التى كادت تختفى والتى لا نستطيع أن نقف عليها إلا فى نطاق ضيق فى بعض الأحـيـاء الـشعبية.. ما يتصـل بخـروج الاطفـال فى مجمـوعـات ينشـدون الاهـازيج الجميلة مستعينـين فى ذلـك بالـطبـول والعصى وهم يدورون على المنازل يقرعون أبوابها

● حفاظاً على صحتك فى رمضان، لا تسرف.





ليحظوا بالحلوى والفشار والمشبك.. وتقسيمها فيها بينهم.. ويمضون من بيت الى آخر.

كان هذا من المظاهر المتصلة بالعادات والتقاليد قديماً، وسرعان ما أخذت فى التلاشى بسبب العمران واتساعه.

■ **وفى مكة المكرمة** .. ومع إطلالة العشر الأواخر من شعبان تستعد كل أسرة لاستقبال الضيف الغالى العزيز. فيكون التزود بالحاجيات الأساسية،.. ويميز الشهر الكريم ذلك التواصل الأسرى.. حيث تتجمع الأسر والجيران للتسامر وسماع الأحاديث الدينية والقرآن الكريم.

وعادة ما يتم شرب الشاى والقهوة بعد أداء صلاة المغرب.. ثم يستعد رب الأسرة وأبناؤه للذهاب إلى المسجد الحرام لأداء صلاة العشاء والتراويح.. كما يؤدى بعض تلك الفرائض والنوافل فى المساجد المختلفة.

وهناك ما يميز البيت المكى فى طبقه الرمضانى.. والذى يتكون من الشوربة والسمبوسة والهريسة والفول. وأكثر من صنف من اللحوم إضافة الى أنواع الحلوى الأخرى.. كالمهلبية وقمر الدين وشراب السوبيا..

■ **وفى جيزان**: فإن طبيعة اليوم والحياة فى رمضان تبدأ بمظاهر شيقة.. فبعد صلاة العصر يقوم الآباء والأبناء بالذهاب الى ضفاف البحر للاستمتاع بالنسمات الباردة وقرب الغروب يتسابق الجميع لاستضافة الاهل والفقراء.. ثم يذهبون بعد ذلك الى صلاة المغرب جماعة ويعودون الى موائد الافطار التى تضم (الشوربة ـ والسمبوسة ـ والمهلبية وكذا شرب القهوة القشر الحلوة أو القهوة البن أو الشاى المطعم بالشمطرى الوارد من ربوع جيزان.

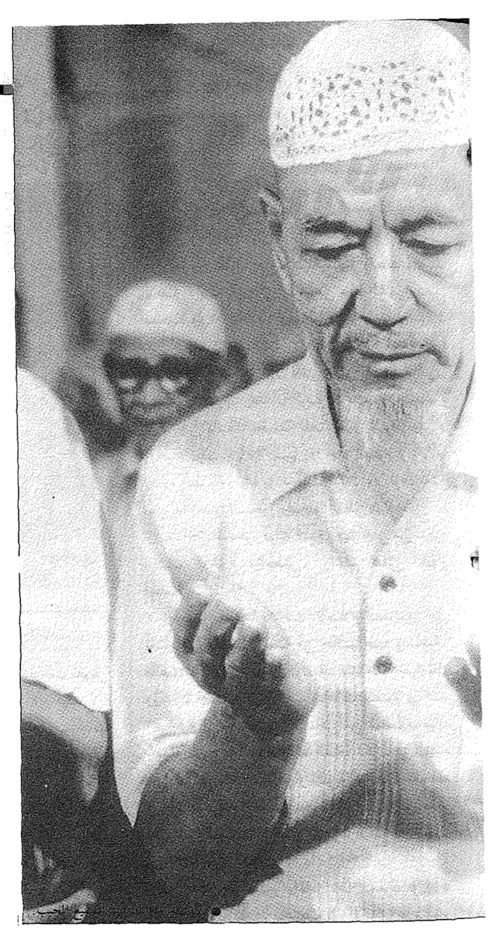
وعند صلاة العشاء يسرع الجميع لأداء الصلاة وصلاة التراويح.. وبعد الانتهاء من الفروض والنوافل تكون العودة الى طعام العشاء المكون من المرسة والكبسة والحوت والمسقط .. وغيره.

الاسواق وحركة البيع خلال الشهر الكريم فإننا نستطيع أن نقول إن أسواق المملكة خلال شهر رمضان المبارك تشهد حركة نشطة للغاية . . وخلال الشهر المبارك تتغير مواعيد البيع والشراء . . ومع تدفق مئات المشترين ينقلب ليله نهارا . . فالمحلات تفتح أبوابها حتى ساعة متأخرة من الليل . . ويواكب التجار تلك الحركة النشطة حيث يحرصون على زيادة بضائعهم والتنويع فيها .

ينسحب هذا على معظم إن لم نقل كل المحلات التجارية الشعبية المتنوعة حيث يسودها عبق التاريخ الذى ينطلق من كل زاوية . . وهناك مظهر آخر من المظاهر المميزة خلال شهر رمضان المبارك . . يتمثل فى انتشار البسطات التقليدية المتميزة خاصة فى جدة ـ عروس البحر الأحمر . تلك البسطات التى تقدم الاطعمة والمشروبات التقليدية والمفضلة خلال رمضان . . خاصة الحلويات . . كالكنافة والبسبوسة والطرمية والسمبوسك وهناك الفول والتميس الذى يشتد الاقبال عليه كذلك .

ومن المشروبات كالسوبيا والتوت والفراولة والزبيب وترتفع حركة البيع ارتفاعاً ملحوظاً .

ومن الجدير بالذكر أن تلك البسطات تخضع لرقابة ومتابعة شديدتين من قبل أمانة المدينة . . إضافة إلى مراقبتها صحياً مراقبة دقيقة .



ومن المظاهر التراثية التى نقف عليها . . قيام الصبية ببعض الألعاب المتوارثة مثل شد الحبل ـ الدسيس ـ الشقلة ـ الغميضة ـ السارى ـ كرة القدم والطائرة والسلة .

■ ومن خلال إطلالة سريعة على

الصوم..





محمد احمد عبد الكريم ابو صعيليك - الاردن -

كلما أطل شهر رمضان المبارك، فرحت نفوس المؤمنين واهتزت مشاعرهم طرباً بقدومه، كيف لا! وهو شهر الصوم، والعبادة، والرحمة، شهر يستجاب فيه الدعاء، وتصفد فيه الشياطين، ويضاعف فيه الأجر.

وقد فرض الله الصوم شأنه شأن سائر العبادات، ولفرضية الصوم حكم عظيمة، ومعان جليلة، فهو يربى النفس البشرية على تقوى الله، ويحول بين الصائم ورذائل الاعمال والاقوال، ويوقظ الأرواح، ويقوى العزائم، ويعود الصائم على الصبر وتحمل الشدائد والانتصار على الاهواء والشهوات، وإضافة الى كل ما سبق فإن للصوم فوائد صحية عظيمة لا تعد ولا تحصى، ودليل ذلك حديث الرسول: **«صوموا تصحوا»** (رواه الطبراني).

وقد وضع الاسلام آداباً للصوم، وحث الصائم على ضرورة الالتزام بها طيلة شهر رمضان عند الافطار والسحور حتى يخرج من هذا الشهر بكامل صحته وتمام عافيته، وبمزيد من الحيوية والنشاط ومن أبرز تلك الآداب:

١ - **تأخير السحور**: إن القارىء لأحاديث الرسول المتعلقة بالصوم، يجد أن الرسول حث على السحور لما فيه من فائدة عظيمة للصائمين شيوخاً وشباباً ورجالا ونساء، ولا سيما إذا جاء الصوم فى الأيام الحارة الطويلة، ومما يؤكد ذلك قوله: «لا تزال أمتى بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطور» (رواه احمد).

ولتأخير السحور فوائد كثيرة، فهو يقلل من شعور الصائم بالجوع والعطش، وينظم عمل الجهاز الهضمي.

٢ - **تعجيل الافطار**: حث الاسلام الصائمين على تعجيل الافطار لما له من حكم طبية وصحية، فالصائم أثناء صومه يكون قد فقد طاقة حرارية، ويكون جسمه فى أواخر ساعات الصوم فى أشد الحاجة إلى تعويضها، ليتمكن من مواصلة حياته وعمله بنشاط وجد، وهذه الطاقة تكون فى الغذاء على شكل مواد سكرية أو نشوية أو دهنية فالطعام الذى يتناوله الصائم يتحول فى جسمه الى سكر الجلوكوز ليعوض الجسم الهبوط الناتج فى كمياته أواخر ساعات الصوم.

٣ - **الافطار على التمر والماء**: دعا الرسول ﴿ﷺ﴾ الصائمين في أكثر من حديث إلى الافطار على التمر أو الماء ومن ذلك قوله: «**إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور**» (رواه أبو داود).

وهذه الدعوة إلى الافطار على التمر، تنم عن حكمة خاصة إذا عرفنا أن التمر مادة سريعة الامتصاص والهضم مما يمنع حصول ارتباك فى معدة

نبع الصحة

الصائم، وانتفاخ فى أمعائه. . ثم إن التمر يحتوى على ٧٣٪ من وزنه مواد سكرية، و٣٪ من وزنه أليافاً سليولوزية[1] وبالتالى فإن الافطار على التمر يزود جسم الصائم بكميات كبيرة من المواد السكرية، وبأسرع وقت ممكن لأن المعدة والأمعاء تكونان خاليتين من الطعام وعلى استعداد تام لامتصاصه. كذلك يحتوى التمر على أملاح الكالسيوم، وبعض الفيتامينات مما يحفظ جسم الصائم من الاصابة بأمراض سوء التغذية، والأمراض الناتجة عن نقص الاملاح المعدنية والفيتامينات.

يقول الدكتور أنور المفتي أستاذ الأمراض الباطنية بكلية الطب ـ جامعة القاهرة: «إن الأمعاء تمتص الماء المحلى بالسكر فى أقل من خمس دقائق فيرتوى الجسم، وتزول أعراض نقص السكر فيه، في حين أن الصائم الذى يملأ معدته مباشرة من الطعام والشراب، يحتاج الى ثلاث أو أربع ساعات حتى تمتص معدته ما يكون فى إفطاره من سكر، وعلى هذا تبقى الأعراض لذلك النقص، ويكون الصائم بعد أن يشبع كمن لا يزال يواصل صومه»[2].

٤ ـ تعجيل صلاة المغرب: يستحب للصائم تعجيل صلاة المغرب، وذلك بعد الافطار على التمر أو الماء مباشرة وفى ذلك فائدة صحية للجسم، فدخول كمية بسيطة من الطعام الى معدة الصائم ثم تركها فترة معينة دون إدخال الطعام إليها يكون بمثابة منبه لها لتبدأ عملها دون حدوث أى ارتباك فى وظيفتها وعلى العكس من ذلك تماماً فإن تناول الطعام مرة واحدة عند الافطار مضر بالجسم، وله مساوىء كثيرة منها:

- أنه يؤدى إلى ارتباك وظيفة المعدة، وانتفاخ الامعاء.
- أنه يقلل من قدرة التقلص لعضلات جدران الأمعاء والمعدة.
- أنه يقلل من إفراز العصارة الهاضمة.
- أنه يؤدى الى زيادة وزن الصائم، فبعد حصول الجسم على حاجته من المواد السكرية عند الافطار تبقى كميات كبيرة من الدهنيات والبروتينات تتحول الى طبقة دهنية تحت الجلد تؤدى الى الضخامة.
- أنه يؤدى الى اضطراب الهضم والنزلات المعوية.

الصوم علاج لكثير من الامراض:

يعتبر الصوم عاملا مهماً فى علاج الكثير من الأمراض كما أنه وسيلة فعالة للوقاية من بعض الأمراض، يقول الدكتور عبد العزيز اسماعيل: «إن الصيام يستعمل طبياً فى حالات كثيرة، ووقائيا فى حالات أكثر، وان كثيرا من الأوامر الدينية لم تظهر حكمتها وستظهر مع تقدم العلوم، فلقد ظهر أن الصيام يفيد طبياً فى حالات كثيرة وهو العلاج الوحيد فى أحوال أخرى»[3].

وتتضح الآثار الصحية الايجابية للصوم من خلال ما يلى:

١ ـ أمراض المعدة والامعاء: يعتبر الصوم عاملا مهما للوقاية من أمراض المعدة والأمعاء لأنه: «يريح الجهاز الهضمى أثناء ساعات النهار على مدار شهر كامل. . يريح الجهاز الهضمي من حركة الامعاء الكثيرة. . يطهر الامعاء والمعدة من السموم الناتجة عن السمنة».

ومن أبرز أمراض المعدة والامعاء: «التهاب الأمعاء الغليظة. . التلبك المعوي. . انتفاخ الامعاء. . التعفن المعوى. . وعسر الهضم الناتج عن الافراط فى المواد الزلالية.

وهنا يحضرنا قول «ماك فادن» عالم الصحة الامريكى وصاحب كتاب الصيام: «إن أكثر

الامراض انتفاعاً بالصوم أمراض المعدة، فالصوم لها مثل العصا السحرية، يسارع فى شفائها ويرى المعالج به العجب العجاب وتليها أمراض الدم ثم أمراض العروق كالروماتيزم»[4].

٢ ـ مرض السكرى: يرتبط هذا المرض ارتباطاً وثيقاً بالغذاء كماً ونوعاً، وهو ينتشر كثيراً بين الاشخاص ضخام الاجسام، وللمعالجة من هذا المرض ينبغى للمصاب أن يتبع نظاماً غذائياً معيناً يقلل فيه من تناول المواد الغذائية الغنية بالنشويات والسكريات، ومن هذا المنطلق فإن الصوم يعتبر وسيلة فعالة لمعالجة المصابين بهذا المرض ولا سيما إذا لم يكثر الصائم من تناول المواد التي تسببه عند الافطار والسحور.

٣ ـ ارتفاع ضغط الدم: يعتبر الصوم علاجاً فعالا لارتفاع ضغط الدم، فالتقليل من تناول الغذاء ينتج عنه هبوط فى نسبة الكولسترول فى الدم، مما يقلل من ارتفاع ضغطه.

(٤) السمنة: يعتبر الصوم علاجاً فعالا لأمراض السمنة لأنه: «يذيب الشحوم داخل جسم الانسان.. يمنع تجمع الشحوم داخل جسم الانسان.. وسيلة فعالة لتخفيف الوزن».

وللسمنة أخطار كثيرة، إذ إنها تهيىء الجسم للاصابة بأمراض كثيرة منها: «التهاب حوصلة المرارة.. التهاب المفاصل.. دوالي الأطراف.. ارتشاح عضلات القلب.. النزلة الشعبية المزمنة».

يقول المرحوم محمد رشيد رضا متحدثاً عن دور الصوم فى علاج السمنة وأمراضه: (ومن فوائد الصوم الصحية أنه يفنى المواد الراسبة فى البدن ولا سيما أبدان المترفين أولى النهم وقليلى العمل، ويجفف الرطوبات الضارة، ويطهر الأمعاء من السموم التى تحدثها البطنة ويذيب الشحم أو يحول دون كثرته فى الجوف وهى شديدة الخطر على القلب، فهو كتضمير الخيل يزيدها قوة على الكر والفر)[5].

٥ ـ الامراض الجلدية والام المفاصل: يعتبر الصوم علاجا مفيدا لكثير من الأمراض الجلدية كمرض البشرة الدهنية أو الصدفية، وكذلك يعتبر الصوم علاجاً فعالا لأمراض المفاصل وخاصة مرض الروماتيزم.. وإضافة الى ما سبق ذكره فإن الصوم يريح أجهزة الجسم وأنسجته وخلاياه، وفى ذلك وقاية له من الضعف والاصابة بالامراض المزمنة.

ولكى يخرج الصائم من شهر رمضان بكامل صحته وبمزيد من النشاط والحيوية فإن عليه أن يراعي عند إفطاره وسحوره ما يلى:

«التقيد التام بآداب الصيام التى حث عليها الاسلام عند الافطار والسحور.. عدم تناول الطعام بكثرة عند الافطار والسحور.. عدم الاكثار من تناول المواد الغذائية الغنية بالدهنيات.. عدم الاكثار من تناول الحلويات.. عدم الاكثار من شرب السوائل المثلجة وخاصة عند الافطار.

وبعد:

فى ضوء ما سبق نتبين أن الصوم لا يتعارض إطلاقاً مع الصحة بل انه نبع للصحة كما أنه نبع للخير الكثير، فهو مفيد صحياً للأجسام كما أنه وقاية لها من الأمراض لذلك فإن الله لم يفرض الصوم على عباده إلا لأنه تبارك وتعالى يعلم أن فيه خيراً كثيراً، وأن فيه فوائد صحية لا تحصى، كشف العلم عن بعضها، وبقي البعض الآخر مخفياً، فصدق الله حينما قال: ﴿**وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ (البقرة ١٨٤)، وصدق رسوله ﴿ﷺ﴾ حينما قال: «**صوموا تصحوا**» (رواه الطبراني).

الهوامش

(١، ٢) رمضان والطب ص٣٢، ص٣٣.
(٣) حديث رمضان ص١٦٧.
(٤، ٥) الصيام فى الاسلام ص٢٥٥، ص٢٢.





بقلم: د. محمد على البــار

الصــوم والسمنــة

فسيولجية الصــوم:

لقـد خلق الله سبحـانـه وتعالى جسم الانسان وكذلك جسم معظم الحيوانات على نمط معين بحيث يبقى مستوى السكر فى الدم لا يقل عن ٧٠ الى ٨٠ مليجرامـات فى كل مائة مليمتر من الدم . . وذلك لأهمية السكر كغذاء هام للدماغ . . بل إن الدماغ لا يقبل فى الواقع الا الجلوكوز (سكر الدم) كغذاء يجدد به نشاطه وطاقته .

وإذا ابتدأ سكر الجلوكوز فى الانخفاض عن هذا المستوى أرسلت مناطق معينة فى الدماغ (تحت المهاد Hypothalamus) رسـائـل متعددة الى الغدد تطلب منها المدد . فتقوم الغدة الكظرية (Suprarenal) بافراز المزيد من هرموناتها الحاثة على تحويل المواد المدخرة فى الجسم مثـل الجليكوجين (Glycogen) والدهون الى سكر جلوكوز (بواسطة هرمون الكوريتزول والادرينالين) .

وكـذلـك تفعـل الغدة الدرقية والغدة النخامية وتـرسـل هرمونـاتها الحاثة على تحويل مخازن الطاقة المدخرة فى الجسم الى جلوكوز . ولذلك يبقى مستوى السكر فى الدم ثابتا حول ٨٠ مليجراما رغم صيام ساعات طويلة .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى للانسان وكثير من الحيوانـات القـدرة على أخذ الطعام فى وقت محدود وتخزينه لوقت الحاجة .

فالحيوانـات لا تجد طعامها دائما . . وإن وجدته فإن مخاطـر إضاعة الوقت فى الطعام المستمر تجعله تقع فريسة للحيوانات الأقوى والأخطر .

لذا جعل الله لها خاصية وقدرة على أخذ الطعام فى وقت محدد فقط وربما تمضى أياما دون طعام ومع ذلـك تبقى على قيد الحياة ذلـك لأن المخـزون من الطعام يكفيها .

■ **وهناك ثلاث مراحل :**

المرحلة الاولى : هى أخذ الطعام وهضمه وتحويله الى طاقة ينتفع بها .

المرحلة الثـانيـة : تحويل الفـائض من هذه الطاقة الموجـودة على هيئـة جلوكـوز أو أحماض دهنية الى مستـودعـات الـطاقـة على هيئة جيلكوجين ودهون تترسب فى الجسم وخـاصـة بين الاعـطاف والعجز والارداف والبطن .



المرحلة الثالثة: عند عدم وجود الطعام يقاوم الجسم بما وهبه الله من قدرات بتحويل المخازن الدهنية ومخازن الجليكوجين الى طاقة على هيئة جلوكوز وأحماض دهنية.

وكل مرحلة من هذه المراحل معقدة أشد التعقيد. . ففى مرحلة الهضم يشترك الجهاز الهضمى والعصبى والهرمونات المتعددة فى هضم الطعام وامتصاصه وتحويله الى الكبد الذى ينظم عمليات معقدة عظيمة القدر فى حفظ هذه الطاقة وتوزيعها من ثم على الجسم حسب الحاجة.

وفى المرحلة الثانية يشترك الكبد وهرمون الانسولين الذي تفرزه جزر لانجرهان فى البنكرياس فى تخزين الفائض من المواد الغذائية فى المخازن المحددة لها، فالجليكوجين يختزن فى الكبد والعضلات، والدهن يتوزع فى معظم خلايا الجسم وخاصة فى مخازن الدهن فى العجز والاعطاف والبطن.

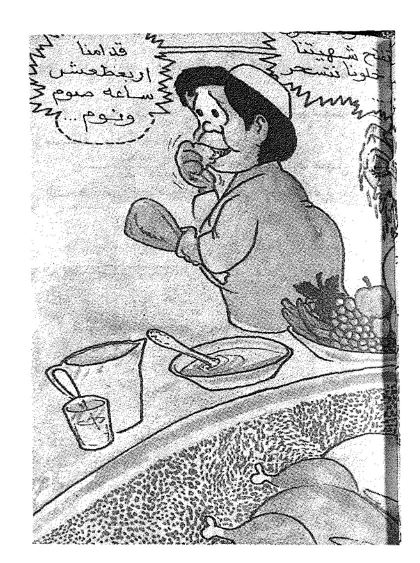
أما فى المرحلة الثالثة وهي تحويل الطاقة المخزونة على هيئة سكر معقد جليوكجين وعلى هيئة دهون الى سكر جلوكوز وأحماض دهنية فتشترك فيه مجموعة كبيرة من الغدد مثل الغدة الكظريه (الكوريتزول والادرينالين) والغدة الدرقية (الثيروكسين) والبنكرياس (جلوكاجون Glucagan) والغدة النخامية (هرمون النمو Growth H.).

وبما أن الانسان كان يواجه صعوبة فى الحصول على الطعام باستمرار فقد جعل الله له هذه الخاصية مثل الحيوانات. وعندما كثر الطعام وأصبح الانسان يأكل بانتظام ثلاث وجبات وأكثر وفيما بين الوجبات يشرب كثيرا من المشروبات التى بها مواد سكرية وخاصة فى العصر الحديث فإن ذلك يؤدى الى تراكم المواد الدهنية المختزنة فى الجسم دون أن تتاح فرصة لإذابتها. . وفى ذلك أضرار وأضرار.

وأول تلك الأضرار هو تعطيل العملية الفسيولجية المتعلقة بتفتيت الطاقة المدخرة على هيئة دهون وجيلكوجين. . وإذا عطلت وظيفة أى عضو فإن ذلك العضو يضمر. وها هنا يفقد الجسم قدرته على عملية الهدم المتعلقة بتفتيت الطاقة بصورة جيدة. . ويؤدى ذلك الى المزيد من تراكم المواد الدهنية التى تؤدى الى السمنة، وجاءت فريضة الصوم لتلبى هذه الحاجة، ضمن مجموعة من خصائص ومميزات الصوم الاخرى.

لذا احتاج الانسان الى فترات من الصيام الطويل نسبيا، ولهذا فرضه الله تعالى علينا كما فرضه على الذين من قبلنا. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾. . وقد جعل الله فترة الصيام من طلوع الفجر الى غروب الشمس. . ولم يجعله من غروب الشمس الى طلوع الفجر. . ولذلك حكم عديدة منها أن نشاط الانسان انما هو فى النهار. . وعملية الهدم للمخزون من الطاقة. . وإذابة هذه الشحوم انما تتم فى النهار. . ومن المعلوم أن عمليات الهدم تكون على أبطأها فى الليل وعلى أشدها فى النهار.

فتكون الفائدة قليلة إذا كان الصيام فى الليل بدلا من النهار. . أما صوم النهار فإنه يؤدى الى إذابة مخازن



الطاقة بصورة أكبر وأفضل.

وفى النوم تقل عملية الاستقلاب (Metabolism) . . ورغم أن نوم النهار ليس كنوم الليل الا أن صوم النهار أيضا يقلل من عملية الاستقلاب وبالتالى يقلل من إذابة مخازن الطاقة.

ولذا فان الذين يصومون رمضان ويقضون نهاره نياما فإنهم يفقدون كثيرا من فوائد الصيام وحكمه . . التى منها الصبر على الجوع والعطش . . ومنها إذابة مخازن الطاقة الموجودة على هيئة دهون وجليكوجين.

■ **ويقول ابن القيم فى زاد المعاد (ج١/ ١٨٨):**

لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها. وقبول ما تزكوبه مما فيه حياتها الأبدية ويكسر الجوع والظمأ من حدة سورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضييق مجارى الشيطان من العبد بتضييق مجارى الطعام والشراب وتحبس قوى الاعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها فى معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها، وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر الاعمال فإن الصائم لا يفعل شيئا وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها ايثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، كونه ترك طعامه وشرابه من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر وذلك حقيقة الصوم.

■ وللصوم تأثير عجيب فى حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التى إذا استولت عليها أفسدتها. . واستفرغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ويعيد اليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾، وقال النبى ﴿ﷺ﴾ «الصوم جنة» وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام وجعله وجاء هذه الشهوة، والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة لهم وإحسانا اليهم وحمية وجنة».

وقال فى الطب النبوى فى باب الصوم:

«الصوم جنة أى وقاية، وهو من أدواء (أدوية) الروح والقلب والبدن. وله تأثير عجيب فى حفظ الصحة وإذابة الفضلات وحبس النفس عن تناول مؤذياتها. ولا سيما إذا كان باعتدال وقصد فى أفضل أوقاته شرعا وحاجة البدن إليه طبعا. . ثم إن فيه من إراحة القوى والاعضاء ما يحفظ عليها قواها وفيه خاصية تقتضي ايثاره وهو تفريحه للقلب عاجلا وآجلا. . وهو يدخل فى الادوية الروحانية والطبيعية، وإذا راعى الصائم فيه ما ينبغى مراعاته طبعا وشرعا، عظم انتفاع قلبه وبدنه به، وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التى هو مستعد لها وأزال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه.

ويحفظ الصائم مما ينبغى أن يتحفظ منه وقيامه



بمقصود الصوم وسره وعلته الغائبة فإن القصد منه أمر آخر وراء ترك الطعام والشراب وباعتبار ذلك اختص من بين الاعمال بأنه لله سبحانه وتعالى.

أسباب السمنة
والأمراض التي تؤدي إليها

أسباب السمنة تعريف السمنة وقياسها:

إن السمنة هى زيادة فى الوزن عن الحد الطبيعى.. وقد تعارف الأطباء على تحديدها بزيادة فى الوزن بمقدار ٢٠ فى المئة أو أكثر عن الحد الطبيعى الذي عليه أكثر الناس وهناك جداول معينة تحدد الطول والوزن.. وقد اهتم الغربيون بذلك أشد اهتمام وخاصة شركات التأمين. وتكونت جداول للطول والوزن بعد فترة طويلة من الملاحظة لمختلف طبقات الناس واعمارهم.

وإذا كانت الزيادة أقل من ١٠ بالمئة فتعتبر فى الحد الطبيعى. أما إذا وصلت الى ما بين ١٠ الى ٢٠ بالمئة فتسمى زيادة فى الوزن فإذا جاوزت ٢٠ بالمئة اعتبرت سمنة ضارة جدا.

كما أن هناك وسائل اخرى لقياس السمنة منها مؤشر أو معامل كتلة الجسم Body Massindex ويحسب كالتالى:

الوزن بالكيلوجرام ـ الطول بالمتر (٢)

ويعتبر المعدل الطبيعى لذلك ما بين ٢٠ الى ٢٥ بالنسبة للذكور. و١٨ الى ٢٤ بالنسبة للاناث فإذا بلغ ذلك ٢٨٫٦ للاناث و٣٠ للذكور فهى السمنة.

وكذلك هناك قياس ثخانة الجلد (Skin Fold Thickness) فى وسط الذراع من الخلف.. فإذا زاد عن قياس معين اعتبر ذلك سمنة فمثلا يعتبر اكثر من ثخانة ١٫٥سم سمنة خفيفة بالنسبة للذكور فإذا وصلت ٢ سم الى ٢٫٥سم اعتبرت سمنة متوسطة فإذا زادت عن ٢٫٥ اعتبرت سمنة مفرطة. أما بالنسبة للنساء فإن أقل من ٢ سم يعتبر طبيعيا، ومن ٢ الى ٢٫٥ سمنة خفيفة، ومن ٢٫٥ الى ٣سم سمنة متوسطة، وأكثر من ٣ سم سمنة مفرطة.

وسبب السمنة بسيط ويتلخص فى أن دخل الشخص من الطاقة (المعبرة بالسعرات الحرارية كالورى) هو أكثر من إنفاقه لهذه الطاقة.

وبما أن حاجة الانسان من الطاقة تعتمد على حركته وجهده العضلى فإن الناس يختلفون في مدى حاجتهم للطعام.

هناك أولا حاجة أساسية للطاقة لعلميات الجسم الاساسية مثل نبضات القلب والاوعية الدموية والتنفس والجهاز الهضمى وحرارة الجسم.. وهذه تحتاج فى الشخص البالغ (فى درجة حرارة ٢٥ درجة مئوية أو ما حولها) الى ١٢٠٠ سعر حراري.. وتسمى قيمة الحرارة الأساسية (B.M.R Basal Meta-bolic Rate)، ثم هناك قيمة أو سعر النشاط العادى للحركة.. وذلك لا يزيد عن ثمانمائة سعر حرارى.

فإذا كان هذا الشخص لا يمارس الرياضة فإنه لا يحتاج إلا الى ألفي سعر حراري فى اليوم.. فإذا فرضنا أنه يأخذ زيادة بسيطة فإن هذه الزيادة ولو كانت بمقدار نصف أوقيه (١٥ جراما) كل يوم فإنها تصبح فى العام ٥٫٥ من الكيلوجرامات.. وهكذا يزداد وزن الشخص رغم أنه لم يأخذ إلا كمية بسيطة فائضة عن حاجته من الطعام. والانسان فى العصر الحديث كما يقول الدكتور ماهلر (R.Mahler) في بحثه الذي نشرته مجلة الكلية الملكية للأطباء عن السمنة لا يأكل لانه جائع بل يأكل ليرضى شهيته الى الطعام.

ذلك لأن الانسان فى العصر الحديث وفى المدن على الأخص لا يترك لجسمه فرصة كي يستخدم المخزون لديه من الطعام.. وانما يأكل باستمرار.. فبعد وجبة الافطار تراه في مكتبه يحتسى الشاى أو القهوة أو المشروبات وجميعها محلاة بالسكر.. وهذه تعطيه طاقة.. فإذا عاد الى منزله أو فى عمله أخذ طعام الغذاء.. وبين الغذاء والعشاء لا يكف أيضا عن المأكولات الخفيفة أو المشروبات المحلاة بالسكر عادة، فلا يجد الجسم راحة من الطعام كما أن المخازن



تمتلأ باستمرار دون أن تفرغ من محتوياتها.

وإذا أضفنا الى ذلك قلة الحركة وخاصة فى مجتمعات الوفرة وخاصة فى البلاد البترولية الغنية.. فإن ذلك يؤدى لا محالة الى السمنة.

الرسول ﴿ﷺ﴾ يتنبأ بانتشار السمنة وحياة الترف:

والغريب حقا أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قد أخبرنا بحياة الدعة والترف هذه.. وذلك من معجزاته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فقد قال فى الحديث الذى أخرجه مسلم: «لتتركن القلاص (أى الابل) فلا يسعى عليها). وقال: «سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد» (رواه احمد والحاكم).

وقال صلوات الله وسلامه عليه «يكون فى آخر الزمان رجال يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب المساجد» والمياثر هى السروج العظيمة أو ما يشبهها.. وهى فى زماننا السيارات التى يركبها الناس والتى وصفها الرسول بأنها أشباه الرحال وأن الناس يأتون عليها الى المساجد.

وقد وصف رسول الله ﴿ﷺ﴾ السمنة وانها تزداد في آخر الزمان وقال لعمران بن حصين رضى الله عنه «إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يدنون.. ويظهر فيهم السمن» (رواه البخارى ومسلم واحمد وابو داود والترمذي والنسائي).

القلق والتوتر من أسباب السمنة:

ويقول الاطباء ان من أسباب السمنة القلق والتوتر. وكثير من الناس من يأكل بشراسة دون أن يدرى إذا كان متوترا قلقا لكأنما ينتقم من الطعام أو كما يقول العامة «يفش غله من الطعام».

ولا شك أن حياة المدنية هي حياة القلق والكآبة.. وذلك نتيجة التكالب على الحياة المادية وعلى متع الحياة الرخيصة.. ونتيجة انتشار الربا والزنا وغيرها من الآفات.. وهم كما وصفهم رسول الله ﴿ﷺ﴾ وصفاً دقيقا يعرفه كل من عاش فى الغرب ولو فترة بسيطة قال ﴿ﷺ﴾: «إذا اقترب الزمان يربى الرجل جروا (الكلب الصغير) خيرله من أن يربي ولداً له، ولا يوقر كبيرولا يرحم صغير. ويكثر أولاد الزنا حتى أن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب»، (رواه الطبرانى والحاكم عن أبي ذر).

ويفشو الربا فشواً شنيعاً حتى يدخل كل بيت.. ويسبب من المآسى والقلق ما لا يتصوره إنسان.. قال عليه الصلاة والسلام «ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره» (رواه ابو داود وابن ماجة والحاكم).

ونتيجة لهذه الآفات مجتمعة من زيادة السمنة وحياة القلق والتدخين وزيادة السكر زادت جلطات القلب زيادة كبيرة جدا فى العالم أجمع حتى أصبح موت الفجأة أو السكتة القلبية هى سمة هذا العصر الحديث، حيث بلغت الوفيات من جلطات القلب أن جعلها القاتل رقم واحد فى معظم أقطار العالم وخاصة فى أوربا وأمريكا.

وقد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «من اقتراب الساعة موت الفجأة» (رواه ابن ابي شيبة عن الشعبي).

وأخرج ابو داود قوله صلى الله عليه وسلم «موت

الفجأة أخذة أسف» أى غضب وقال عليه الصلاة والسلام : «موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر» (رواه ابن ابي شيبة عن عائشة وابن مسعود رضى الله عنهما) .

أما الأعراض التى تسببها السمنة أو على الأقل تساهم فى زيادتها زيادة كبيرة فهى :

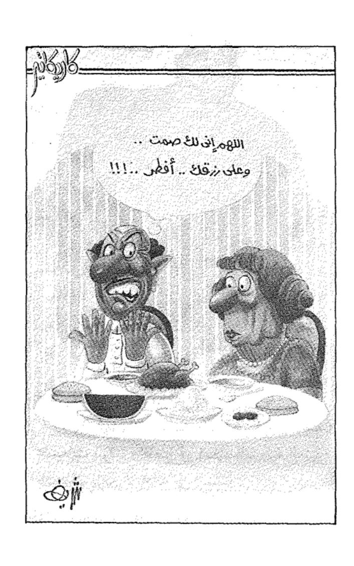
١ ـ جلطات القلب وموت الفجأة .
٢ ـ البول السكري .
٣ ـ ضغط الدم .
٤ ـ التهاب المرارة وحصواتها .
٥ ـ التهاب المفاصل .
٦ ـ صعوبات الجهاز التنفسى .
٧ ـ زيادة المضاعفات للعمليات الجراحية .
٨ ـ زيادة حالات السرطان .

التحذير من السمنة :

قال عمر رضى الله عنه : «إياكم والبطنه فإنها مفسدة للجسم مورثة للسقم مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فإنه أصلح للجسد وأبعد عن السرف، وان الله تعالى ليبغض الحبر السمين» (رواه أبو نعيم . . وقد رفعه بعضهم الى النبي ﴿ﷺ﴾) .

وما أروع كلمات عمر رضى الله عنه فإنها من مشكاة النبوة صادرة . . والبطنة أى كثرة الاكل والشرب تفسد الجسم . . وقد تقدم بعض امراض السمنة من زيادة جلطات القلب وارتفاع ضغط الدم وزيادة البول السكري . . وحالات النقرس وكثرة أمراض المرارة لدى النساء البدينات خاصة . . وزيادة فى سرطان القولون والمستقيم والبروستاتا لدى الرجال . . وسرطان الرحم وعنق الرحم والثدى لدى النساء وزيادة فى سرطان المرارة والقنوات المرارية . . وزيادة فى أمراض المفاصل وخاصة الركبتين والفخذين والقدمين لأنها تنوء بحمل الاثقال .

هذه هى الاضرار الجسمانية وأما الاضرار الدينية فالكسل عن العبادات . . وزيادة الميل الى الشهوات واقتحام المحرمات . . وما أحسن القصد والاعتدال فإنه كما يقول عمر رضى الله عنه أصلح للجسد



وأبعد عن السرف .

وإن المؤمن ليرتعد من قولة عمر : «وان الله ليبغض الحبر السمين» . وقد وردت أحاديث تنفر من السمن والسمين ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين «إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون . . ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون . ويظهر فيهم السمن» (رواه البخارى ومسلم والترمذى واحمد والنسائى وابو داود) ونظر رسول الله ﴿ﷺ﴾ الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه باصبعه وقال : «لو كان فى غير هذا المكان لكان خيرا» (أخرجه احمد والحاكم والبيهقى واسناده جيد) وأخرج الترمذى عن ابن عمر ان رجلا تجشأ عند النبي ﴿ﷺ﴾ فقال له : كف عنا جشاءك فإن اكثرهم شبعا فى الدنيا اطولهم جوعا يوم القيامة . . وأخرج رزين عن أبي جحيفة مثله .

وهذا أدعى لأن يرتعب المسلم من السمن لأن فى ذلك ضرراً على دينه وبدنه ، وعلى قلبه وقالبه .

حـــذار من البِطْنة في رمضان

بقلم: د. محيى الدين لبنيه
مستشفى الملك فهد ـ المدينة المنورة

اهتمت الديانات السماوية بشؤون الحياة اليومية للبشر واختص فيها الإسلام بالشمول فطلب ما يستحق أن يطلب لما فيه فائدة للانسان وأباح ما فيه عون له على فعل ما فرض عليه من واجبات وهجر ما نهي عنه من أفعال، والشريعة الاسلامية قد فرضت صوم شهر رمضان وهو من الاركان الخمسة للاسلام، ودليله قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (سورة البقرة/ ١٨٣)، **والصوم نظام يتصل بحياة المسلم ويجب الالتزام بآدابه لتحقيق المنفعة المرجوه منه، وللأسف يقبل عدد كبير من الناس خلال شهر رمضان على الافراط فى استهلاك ما لذ وطاب من الطعام والشراب بين غروب الشمس والسحور، وكادت تختفى آداب الصوم التى اتبعها السلف، وقد اهتم الأطباء بدراسة تأثيرات الصوم** على جسم الإنسان فى صحته ومرضه، وهذا ما سوف يستعرضه هذا المقال.

المتغيرات الكيموحيوية فى الجسم موضـع الدراسـة

تركـزت اهتـمامـات العلماء فى أبحـاثهم حول تأثيرات الصوم على المتغيرات الكيموحيوية فى الدم Blood biochemistry كسكـر الـدم والبـولـة Urea والكرياتنين وحمض البوله Uric acid والجليسريدات الثلاثية (الدهون) والكوليسترول والعناصر المعدنية و apoproteins ، ومكونات الدم مثل عدد كريات الدم الحمـراء وعـدد كريات الـدم البيضـاء ونسبهـا، والصفيحات الدموية Platelets وسلوكها وغيرها ودرس بعضهم هذه المتغـيرات فى جسم الشخص السليم والمريض خلال ساعات النهار أثناء الصوم، كما بحث آخـرون تأثـيرات صيام شهر رمضان كله على الدم بدراسـة المتغيرات فى الجسم قبله وبعده، ولم يغفل الاطبـاء أيضـا عن دراسة تأثيرات الصوم على وزن الجسم وعملية الاتزان المائى وتغير مستويات العناصر المعدنية فى مصل الدم.

مسـتويات دهون الدم

فى الثمانينيات من هذا القرن أجرى العديد من الفرق الطبية الدراسات على تأثيرات صيام شهر رمضان على مستـويات الـدهـون والـبروتينـات الـدهنية والكـوليسـترول فى مصـل دم اشخـاص أصحـاء، ونخص منها بالذكر تجارب باحثة لدى قسم الكيمياء الحيوية بكلية الـطب فى جامعـة الكـويت على ٣٠ متـطوع سليم الجسم، وفى نهاية دراستهـا أجـرت مقارنة بين نتائج التحاليل المخبرية للدم فى بداية شهر رمضان وآخره، فاكتشفت حدوث إرتفاع ملموس فى مستـوى الكـوليســترول والجليسريدات الثـلاثية والـبروتينـات الـدهنية منخفضـة الكثـافـة (L D L) والبروتينات الدهنية ذات الكثافة المنخفضة جدا (VLDL) وظهور انخفاض ملموس فى مستويى Apo-protein C III, Apoprotein C II فى مصـل الـدم، واشـارت الى عدم احتـمال تأثـير هذه المتغـيرات فى

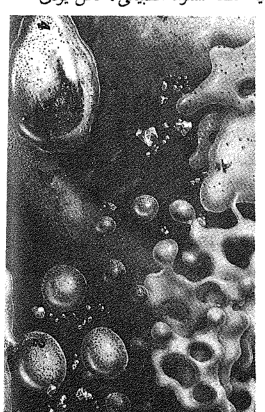
مستويات دهون الدم على الأشخاص العاديين ولكن لها مدلولاتها في حالة المرضى، كما اكتشف فريق طبي ارتفاع مستوى الجليسريدات الثلاثية في دم أشخاص أصحاء في نهاية شهر رمضان، بينما لاحظ فريق طبي آخر حدوث زيادة معنوية في مستوى الكوليسترول الكلي وعدم ظهور تغيرات في مستوى الجليسريدات الثلاثية الكلية نتيجة الصيام في الاشخاص الأصحاء، وعزوا ذلك الارتفاع في نهاية رمضان بشكل رئيسي إلى الافراط في استهلاك السكر العادي المستعمل في تحضير العصائر والشرابات وأطباق الحلويات المتنوعة من غروب الشمس حتى السحور، وأن التغيرات التي تحدث في نسب الـ Apoproteins في مختلف أجزاء البروتينات الدهنية تلقي الضوء على التغيرات العصبية التي تحدث في الجسم خلال شهر رمضان، وبلا شك هناك ضرورة اجراء دراسات علمية على التغيرات التي تحدث في مستويات الدهون في المرضى الصائمين الذين يعانون ارتفاعاً في دهون الدم والكوليسترول.

تأثيراته على الصفيحات الدموية

أجرى فريق من الأطباء بقسم علم الوظائف في كلية الطب بجامعة الملك سعود دراسة حول تأثيرات الصوم في رمضان على الصفيحات الدموية وسلوكها في ٣٣ متطوعاً صحيح الجسم، وعموماً يؤثر الاجهاد Strem الذي قد يتعرض له جسم الانسان على Haermostatic Variables مثل وظيفة الصفيحات الدموية في التجمع Coagulation وانحلال الليفين Fibrinolysis والصيام في الطقس الحار والعمل فيه أحد الأسباب المسئولة عن حدوث الاجهاد في الجسم، واكتشف أولئك الباحثون انخفاضاً في استجابة ثاني فوسفات الأدينوزين (ADP) (٢ ميكروميتر/ل) والأدرينالين والكولاجين Collagen وحمض أراكسيدوتيك للتجمع أثناء رمضان بالمقارنة مع الأشهر الأخرى، وهذا يعني أن الاجهاد الذي يواجه الصائم في رمضان كما يظهره استجابة تجمع الصفحات الدموية يقل عنه في أيام الفطر، ومن المعروف أن ارتفاع معدل حدوث التجمع للصفيحات الدموية يزيد فرصة تكوين الخثرات في الدم.

ضغط الدم

ضغط الدم: هو معادلة بين قوة دفع الدم بوساطة عضلة القلب وحجم الدم من جهة والمقاومة التي يواجهها هذا الدفع من قبل الشرايين الدموية من جهة اخرى، ولقد منح الله تعالى جسم الانسان القدرة على تنظيم مستوى ضغط دمه تلقائيا بوساطة الاعصاب التي تؤثر على قطر الشرايين بالتضيق أو بالتوسع لمواجهة الظروف الطارئه خفيفة الشدة، ويحدث انخفاض في مستوى ضغط الدم في حالتي الضعف العام والوهن العصبي أو عند حدوث حالة الجفاف Dehydration الناشئة عن فقد شديد في سوائل الجسم بالاسهال والعرق الغزير وعدم تعويض الفاقد منها، وفي معظم الاحوال تكون تأثيرات الصيام على مستوى ضغط الدم بسيطة وضمن حدود الطاقة التنظيمية للجسم التي تؤدي إلى المحافظة عليه عند مستواه الطبيعي، لكن يؤدى

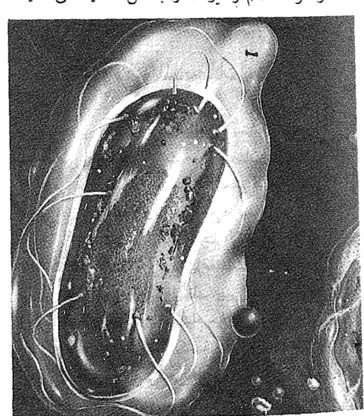


الصيام مع العمل فى الطقس الحار وما يصاحبه من عرق شديد إلى فقد فى سوائل الجسم وحدوث الوهن وهبوط فى ضغط الدم قد يؤدي إلى الشعور بالدوخة، لذا ينصح الصائم بعدم بذل جهد عضلى زائد اثناء ساعات النهار خاصة فى الطقس الحار والقيام بالاعمال التى تحتاج الى مجهود عضلى كبير ليلا.

وفى حالات ارتفاع ضغط الدم يسود الاعتقاد بفائدة صيام المريض فى تقليل مستواه خلال ساعات النهار وشعوره بالتحسن، وفى احوال كثيرة يستطيع مريض ارتفاع ضغط الدم تناول دوائه مرة واحدة أو اكثر بين الافطار والسحور، وهناك ضرورة مراجعته للطبيب المختص لوضع النظام الخاص بعلاجه.

أمراض الجهاز الهضمى

الجهاز الهضمي هو أكثر أجزاء الجسم تأثراً بالصوم، وخلاله ترتاح المعدة والأمعاء أثناء ساعات النهار من العمل الدؤوب المستمر باقى أشهر السنة، ولقد لاحظ الأطباء فائدة الصيام فى تخفيف حدة بعض أعراض الجهاز الهضمى كالتهاب المعدة الحاد وسوء الهضم وغيرها، ولابد من التأكيد على أهمية



عدم الافراط في تناول الوان الطعام والشراب فى رمضان لتحقيق الفائدة المرجوة من الصوم للجهاز الهضمي.

مرض السكر

يفيد فى علاج مرضى السكر الكهولي - غير المعتمدين على الانسولين فتقليل أوزانهم يساعد فى تخفيف أعراض المرض مما قد يصل الى حد شفائه فى بعضهم، وصيام مريض السكر من هذا النوع خلال ساعات النهار ثم تناوله طعاماً خفيفاً فى مكوناته فى الافطار والسحور له فائدته فى تفادى الارتفاع الحاد فى سكر الدم ومن ثم عدم ظهور أعراضه الصحية السيئة، وفى كثير من الحالات ينصح الاطباء مرضى السكر الذين يعتمدون على الانسولين في علاجهم خاصة عند حصولهم على أكثر من جرعة منه عدم الصيام، وقد يستثنى بعضهم من ذلك بعد تغيير حجم جرعات الانسولين المعطاة ومواعيدها بين الافطار والسحور.

التهاب المفاصل الروماتيزمي

اجرى فريق من الاطباء النرويجيين تجاربهم العلمية حول فوائد الصوم فى علاج التهاب المفاصل الرثوي Rheumatoid arthrits ودرسوا تأثيرات الصوم على ٥٣ مريضاً بعد تناولهم أغذية نباتية لفترة سنة، فلاحظوا حدوث تحسن ملحوظ فى العديد من الحالات المرضية ضعف المفاصل Tesder Joints وانتفاخ المفاصل Swollen Join ts والشكوى من الألم Pain Score والشعور بخشونة فى المفاصل صباحا وقوة القبضة Grip Strength ومعدل الترسيب فى الدم وعدد كريات الدم البيضاء.

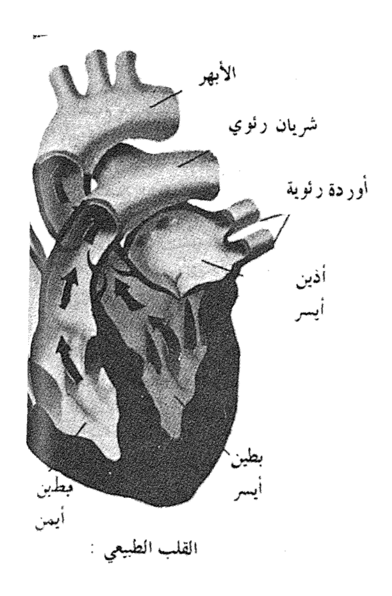
القصور الكلوى

درس فريق من أطباء قسم أمراض الكلى بمستشفى القوات المسلحة السعودية بالرياض

تأثيرات التغذية خلال شهر رمضان على ٤٠ مريضاً بالقصور الكلوى المزمن الذين يعتمدون على الغسيل بالكلية الصناعية، وتركزت أبحاثهم فى التعرف على التغيرات فى وزن جسم المريض قبل صوم رمضان وبعده، فاكتشفوا حدوث زيادة فى أوزان المرضى وارتفاع فى مستوى عنصر البوتاسيوم لديهم خلال رمضان، لكن لم تظهر تغيرات معنوية فى مستوى ضغط الدم وتركيز عنصر الصوديوم والكرياتنين والمبوله والفوسفور فى وصول دم أولئك المرضى، وعموماً لاحظ الاطباء وجود اتجاه نحو زيادة حجم السوائل فى جسم المريض بعد الافطار فى رمضان حتى السحور، وهو يفسر سبب زيادة وزن المريض المعتمد على الغسيل بالكلية الصناعية وحصول بعض المرضى على حجم جاوز احياناً الثلاث ليترات من السوائل كالعصائر والشوربات ومن العادات الغذائية السائدة فى المملكة تناول التمر وعصير المشمش والقهوة وجميعها ذات محتوى مرتفع من عنصر البوتاسيوم الضار بهؤلاء المرضى، لذا هناك ضرورة توعية مرضى القصور الكلوى المعتمدين على الغسيل بالكلية الصناعية بالحمية الغذائية المناسبه لهم وتحديد حجم السوائل التى يحتاجونها فى رمضان وغيره.

تأثيراته على الرغبة الجنسية

الصوم يفيد فى تقوية إرادة المسلم على مجاهدة نفسه والابتعاد عن اتيان المعاصي والتفكير بها، وحالتا الشعور بالوهن والضعف أثناء الصيام تفيدان فى تخفيف حدة الرغبة الجنسية نتيجة الضعف الذى يصيب أجهزة الجسم المختلفة بما فيها نشاط الهرمونات المسئول بعضها عن ذلك، وجاء فى صحيح البخارى قوله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء».. أي وقاية من المعاصي، ومن المفيد اجراء دراسات علمية على تأثيرات الصوم على مستويات الهرمونات لاكتشاف دورها فى سلوك المسلم خلال شهر رمضان.



القلب الطبيعي :

عند علاج مرضى القلب بمضادات التخثر

كما درس فريق من الأطباء فى مستشفى فيصل التخصصي بالرياض تأثيرات صوم رمضان على علاج ١٠٦ مريضاً بالقلب بمضادات التخثر المأخوذة عن طريق الفم فترة طويلة بالمقارنة مع مرضى آخرين لم يصوموا، فلاحظوا أن نسبة حدوث الانضمام الخثري Thromboembolism والمضاعفات النزفية فى المجموعتين كانت واحدة ولم تظهر بينهما فروق معنوية احصائياً، وهذا يؤكد أن الصيام خلال رمضان أو أى وقت آخر ليس له آثار عكسية على فعالية العلاج طويل الأجل للمرضى عن طريق الفم بمضادات تخثر الدم.

الابهر
وريد أجوف علوي
شريان رئوي
أوردة رئوية
بطين أيسر
أنابيب وصول الهواء المضغوط من المحرك
بطين أيمن
وريد أجوف سفلي
غلاف بلاستيكي
القلب الاصطناعي

تنويـــة :

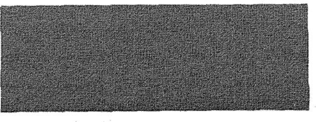
فى الختام إذا رغبنا فى تحقيق الفائدة المرجوة من الصــوم على صحتنـا الجسمية والنفسية فإنـه يجب التزامنا الصحيح بآداب شهر رمضان التى سار عليها السلف الصالح كالتعجيل بالافطار وتأخير السحور وعدم الاسراف فى تناول الطعام كما ونوعـاً، بعد أن تركز اهتمام الكثير من المجتمعات الاسلامية بمظاهر هذا الشهر الفضيل بعيداً عن جوهره كعبادة فرضها الله تعالى لتقوية الايمان وتهذيب النفس فأصبح شهراً للتخمـه والكسـل والخمـول بعـد أن كان أجدادنا يعـدونه شهراً للصبر والتقشف والجهاد، وبلا شك لازال المجـال واسعـاً أمام العلماء لإجراء المزيد من الأبحـاث على تأثـيرات صوم رمضـان على جسم الانسان في الصحة والمرض.

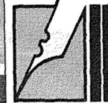
المراجع العلمية

(١) Al-Khader A.A.,et al (1991)
Effect of diet during Ramadan on Patients on Chronic haemodialysis Saudi Med - J.12 (1) 30

(٢) Gumaa, K.A.,et al (1978).
The effect of Pasting in Ramadan , Serum uric alid and Lipid Concentrations. British.j.Nutr,40و573

(٣) د. دياب، عبد الحميد وقرقوز، أحمد (١٩٨٢) مع الطب فى القرآن الكريم ص٢٠٠، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ـ سورية.







المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم

في العاصمة المقدسة مكة المكرمة منبع الوحي ومهبط الرسالة وفي رحاب الكعبة المشرفة قبلة المسلمين، ومهوى افئدتهم نظمت وزارة الحج والاوقاف بالمملكة العربية السعودية مسابقتها الدولية السنوية الخامسة عشر لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره وذلك بقاعة التضامن الاسلامي بمكة المكرمة في الفترة من غرة شهر شعبان ١٤١٣هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩٩٣م وحتى ١٢ شعبان ١٤١٣هـ الموافق ٣ فبراير ١٩٩٣م ونيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد المحسن بن عبد العزيز نائب أمير منطقة مكة المكرمة اعمال هذه المسابقة التي حضرها عدد من اصحاب المعالي الوزراء وسفراء الدول الأسلامية وعدد من الشخصيات الاسلامية والوفود المشاركة في المسابقة وألقى سموه كلمة ترحيب نيابة عن خادم الحرمين الشريفين.

كما ألقى معالي الأستاذ عبد الوهاب بن أحمد عبد الواسع وزير الحج والاوقاف كلمة ترحيبية تحدث فيها عن مسيرة هذه المسابقة في عامها الخامس عشر وعن دور المملكة في خدمة الاسلام والمسلمين والعناية بكتاب الله وتلاوته. وأكد معاليه ضرورة توحد المسلمين باتباع منهج القرآن الكريم والاستضاءة بنوره في سائر مراحل حياتهم وفي مختلف شؤونهم وأمورهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وأن يصبحوا باتحادهم قوة كبيرة ذات تأثير فعال في جميع مجالات الحياة.

ولن تأتي القوة إلا بالعمل على خدمة القرآن وحفظه ونشره وتلاوته في الاصقاع الاسلامية وغير الاسلامية حتى تظل راية الاسلام عالية خفاقة.

اهداف عامة للمسابقة:

من أهم الاهداف السامية لهذه المسابقة تشجيع الناشئة من أبناء المسلمين على حفظ كتاب الله



صاحب السمو الملكى الأمير سعود بن عبد المحسن   وزير الحج والأوقاف.

الكريم وترتيله وتجويده وتفسيره والاقبال عليه بالدراسة.

فروع المسابقة:

تنقسم المسابقة الى خمسة فروع:

الفرع الاول: حفظ القرآن الكريم كاملا مع التجويد والترتيل وتفسير جزء من القرآن الكريم يحدد كل عام.

الفرع الثانى: حفظ القرآن الكريم كاملا مع التلاوة والتجويد.

الفرع الثالث: حفظ عشرين جزءا من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد.

الفرع الرابع: حفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم مع التلاوة والتجويد.

الفرع الخامس: اجادة ترتيل القران الكريم مع حسن الصوت والتنغيم وحفظ جزء واحد متصل على الأقل.

جوائز المسابقة:

توزع جوائز سخية فى نهاية المسابقة على الفائزين الخمسة فى كل فرع من فروع المسابقة وذلك من قبل وزارة الحج والاوقاف السعودية.

الهيكل الادارى للمسابقة:

هذا وقد تم تشكيل لجنة عليا للتخطيط والاشراف على المسابقة وتتكون تلك اللجنة من سعادة وكيل وزارة الحج والاوقاف لشئون الاوقاف ونائب المشرف العام على المسابقة الاستاذ/ حسام حسين خاشقجى وعضوية عدد من المسؤولين بالوزارة، كما تم تشكيل (أمانة عامة للمسابقة) يرأسها الأمين العام للمسابقة الاستاذ عبد العزيز عبد الرحمن السبيهين.

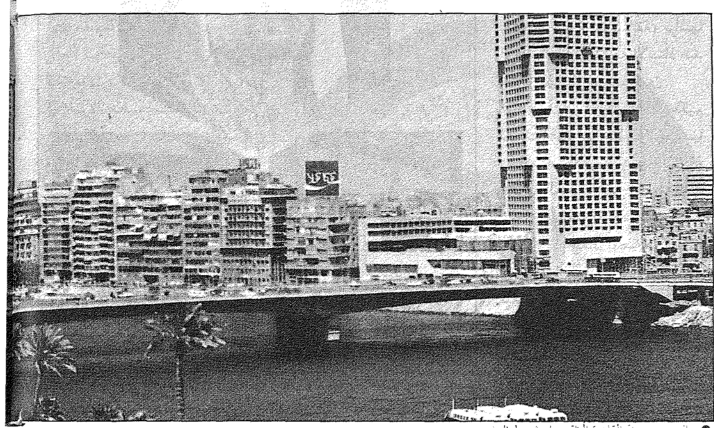
واختيرت لجنة التحكيم للمسابقة من مصر واندونيسيا وباكستان والمغرب والهند والمملكة العربية السعودية فهى إذاً لجنة دولية يشترك فيها اهل العلم والفضل من سائر دول العالم الاسلامى وذلك كسبا للخبرة والتجربة وتوخيا للعدالة فى التحكيم واخراجه بالمظهر اللائق المشرف.

استضافة الوفود:

هذا.. وبناء على توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله فإن وزارة الحج والاوقاف تستضيف المتسابقين والمرافقين طيلة مدة اقامتهم بالمملكة العربية السعودية قرابة الخمسة عشر يوما وترسل لهم تذاكر السفر ذهابا وايابا، كما تقدم لهم هدايا رمزية وترتب لهم زيارات لبعض المعالم فى مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة.

وجاء تبرع خادم الحرمين الشريفين بالموافقة على انشاء مبنى للامانة العامة للمسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره فى مكة المكرمة على نفقته الخاصة وقد جاءت هذه المكرمة تتويجاً لهذا العمل الاسلامي الكبير.





● جانب من مدينة القاهرة الواقع على شريط النيل

معرض القاهرة الدولي للكتاب في عيده الفضي

في أرض المعارض في مدينة نصر، وفي اليوم السادس والعشرين من يناير ١٩٩٣م افتتح السيد رئيس الجمهورية محمد حسني مبارك والدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة العامة للكتاب والمسؤول عن المعرض أعمال المعرض في دورته الخامسة والعشرين. مجموعة أعمال وطروحات هذا المعرض شكلت في مجملها مهرجاناً ثقافياً وفكريا، واكسبت أداء المعرض زخماً معرفياً وثقافياً أضاف مجموعة من التوجهات الجديدة.

وأخذ المعرض - إضافة الى الزخم الثقافي والعلمي والحواري - صيغة احتفالية مهرجانية وذلك لمرور ٢٥ عاماً على تأسيس وبدء اعمال هذا المعرض.

وبمناسبة العيد الفضي للمعرض طرح ضمن أعماله المتعددة محوران أساسيان :

الاول: ٢٥ عاماً في مسيرة الثقافة المصرية: وشملت موضوعات هذا المحور الموضوعات التالية: «التحولات السياسية - الدور المصري في الثقافة العربية - التحول الاقتصادي.. عصر المعلومات من الآلة الى الكمبيوتر - الرؤية المستقبلية في تطور التعليم - الثقافة مشروع التنوير - السلطة والثقافة المعاصرة - الثقافة المصرية والعالم - المرأة ومستقبل الثقافة العربية في عالم متغير - مسيرة الادب المصري من الستينيات إلى السبعينات - الرياضة المصرية في ٢٥ عاماً - السينما والمسرح في ٢٥ عاماً - الفنون التشكيلية في ٢٥ عاماً».

الثاني: في نطاق العيد الفضي فقد خصص لإقامة ندوات ومناقشات


● فخامة الرئيس محمد حسني مبارك

حول (كتب اضاءت ٢٥ عاماً من المسيرة الوطنية والفكرية) وضمن الكتب التى اقيمت دراسات ونقاشات حولها:

الآن أتكلم - وكاتبه خالد محي الدين.

شخصية مصر - للدكتور جمال حمدان.

تجديد الفكر العربي - للدكتور زكي نجيب محمود.

دائرة الأبداع - للدكتور شكرى محمد عياد

أقنعة الارهاب - للدكتور غالي شكري.

النيل - للدكتور رشدى سعيد.

الفتن الطائفية - للاستاذ جمال بدوي.

الطب المصري القديم - للدكتور بول غليونجي

الاعمال الكاملة - للاستاذ يحيى حقى

افكار العالم الجديد - اشراف د. أنور عبد الملك

راية الخيال - الحركة السريالية فى العالم للاستاذ سمير غريب

أمراء الارهاب - للاستاذ عبد الستار الطويلة.

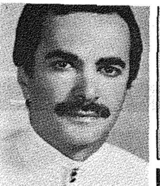
■ ولعل موضوع ما اصطلح على تسميته بـ (التطرف) قد فرض نفسه على ندوات ومناقشات دورة هذا المعرض، إذ عقدت حوله اكثر من عشر ندوات وحوارات جاءت كلها تحت شعار (المواجهة) وتضمنت الموضوعات التالية: «جذور التطرف - الابعاد الاجتماعية والنفسية للتطرف - الدين والتطرف - السياحة ثروة المستقبل - المؤسسة التعليمية والتطرف - المؤسسة الأمنية ودورها فى مواجهة التطرف - المواجهة الاعلامية للتطرف - الفنون والتطرف - التطرف ومؤسسات المجتمع المدنى - التطرف والفكر - الثقافة والمستقبل - الزلزال علمياً واجتماعياً».


● د. غازي القصيبى ● الطيب صالح


● د. محمد جابر الانصاري ● الابراهيمى

أما الليالي الشعرية فكان لها نصيب الاسد فى المعرض اذ كانت بمعدل اربع قراءات شعرية فى الليلة الواحدة على مدى ايام المعرض. هذا اضافة الى اعمال المعرض الاخرى المتنوعة ومنها جائزة احسن كتاب، واحسن ناشر، واحسن مؤلف، واحسن اخراج فنى.. ومنها العروض السينمائية والمسرحية، والفنون الشعبية، المقهى الثقافي والمخيم الثقافي.

معرض هذا العام جاء اكثر عطاء من سابقه، إذ شاركت فيه ٦٩ دولة، و٢١٥٠ ناشرا، و١٦٫٥ مليون عنوان شملت ٤٥ مليون كتاب،، توزع كل هذا الأداء المتعدد فى ٢٢ صالة.



قاموس الرأى

إعداد: تميم الحكيم

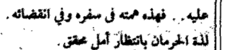
الحرف	الكلمة	التعليق	اسم الكاتب
الألف	أمل الصائم	هو أن يقبل الله عز وجل صيامه .. وأن يكون عمله هذا خالصا لوجه الله ليس فيه رياء ولا نفاق، ولا تذمر ولا تضجر.	د. أحمد محمد البنانى
البـاء	البخـل	سـوء الظن بالمعبود.	الخليفة (المأمون)
التـاء	التقـوى	هى قمة العقيدة لأنها مراقبة الله فى السر والعلن.. ومن راقب الله فى جميع أموره جعل على نفسه حارسا يردعه عن الوقوع في كل عمل ينهى عنه الدين، كما يسير فى أعماله وتصرفاته كلها وفق ما يأمره به الدين.	د. محمد بن سعد الشويعر
الثـاء	ثروة الصائم	رحمة الرحيم ومغفرة الغفار.. ونجاة من العذاب العظيم بالعتق مِنْ النار.	تميم الحيكم
الجيم	الجنـة	أمنية كل صـالح.	د. عبد الله العبادى
الحـاء	حلوى رمضان	رشـوة الضمائر للمعدات وتعويض للجوع بالتخمة.	عباس محمود العقاد
الخـاء	خطبة الجمعة	درس أسبوعى عظيم للتوجيه والتربية والنصح.	عثمان الصالح
الـدال	الدنيـا	دار أولها عناء، وآخرها فناء.. من اغتنى فيها فتن، ومن فقر بها حزن.	علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)
الـذال	ذهب الايمان	هو قيمـة لا تنـال الا بعلم راسخ يثري النفس بالسكينة والأمن.. ويثبت الأقدام عند الامتحان.	حـنان اللحـام
الـراء	رمضـان	شهر الجهاد والعمل، والصدق والتجرد، وتغليب سلطان الروح على سلطان المادة، واعلاء جانب العقل على رغائب الغريزة.	د. مصطفى عبد الواحد
الـزاى	الزكـاة	أعجوبة اقتصادية لنقل بعض الدخل من الأغنياء الى الفقراء.	د. محمد أنس الزرقا
السـين	السـخاء	الاستقصاء على الملهوف.	الأحنف بن قيس
الشـين	الشريط الاسلامي	وسيلة توعيـة جديـدة تحتاج الى تطويـر.. والبعد عن الأسلوب الـوعـظي، والانتقـال الى طريقـة الحـوار والتشخيص والتوثيق.	د. عبد الله العجلان
الصـاد	الصيام	عبـادة خفيـة.. وهـو تعويد للنفس على عدم الخداع أو الرياء والتقرب الى الله بما يحبه ويجزى به.	الشيخ فراج بن على العقلا.
الضـاد	ضيف رمضان	هو الضيف الذى يدفع أجر طعامه بأغلى من ثمنه.	عائدة الجراح
الطـاء	طالب الله والدار	هو ظاعن الى الله في حال سفره، ونازل عليه عند القدوم	ابن قيم الجوزية

عباس محمود العقاد

الشيخ متولى الشعراوى

الشيخ على الطنطاوى

يخ عبد الرحمن حبنكه



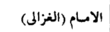


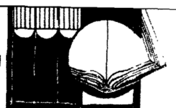
د. يوسف القرضاوي

عثمان الصالح

د. مصطفى عبد الواحد

	الآخرة	عليه.. فهذه همته فى سفره وفي انقضائه.	
الظاء	ظمأ رمضان	لذة الحرمان بانتظار أمل محقق.	الشيخ عبد الرحمن حبنكة
العين	على مائدة الافطار	أحد المظاهر الذى تتجلى فيه الوحدة الاسلامية ويبدو فيه المسلمون أسرة واحدة.	الشيخ على الطنطاوى
الغين	الغيبة	خلق مذموم.. وفاكهة كثير من المجالس اليومية.	الشيخ محمد الشعلان
الفاء	الفساد فى الارض	هو أن تعمد الى الصالح فتفسده.	الشيخ محمد متولي الشعراوى
القاف	القرآن الكريم	شريعتنا الخالدة.	د. عبد الله العبادى
الكاف	الكرم	التبرع بالمعروف، والعطاء قبل السؤال.	عبد الله بن عمر
اللام	ليل رمضان	مسرح اغتنام للحسنات.. العاقل فيه من يغتنم منها قدر استطاعته ويبلغ رضوان الله من خلالها بعظيم طاعته.	صفا الميدانى
الميم	المقصود من الصوم	التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل.. وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الامكان.	الامام (الغزالى)
النون	الناطق بالباطل	شيطان متكلم.	د. يوسف القرضاوى
الهاء	الهوى	مفتاح السيئات، وخصيم الحسنات.	(من المأثور)
الواو	وظيفة رمضان	معلم يربيك لتكون من الصابرين، وتشعر بواقع اخوانك من الفقراء والمساكين، وتلتزم بأوامر ونواهي الدين.	
الياء	يوم الصائم	هو الانقطاع الى عبادة الله سبحانه وتعالى في ساعات معينة امتثالا لأوامره، وطاعة له، وتقربا اليه سبحانه.. حيث تصبح الرغبات والحاجات الضرورية بمنأى عن المسلم المقترب الى ساحات رضوان الله وطاعته.	زبيدة هلال د. عبد الله باقازى



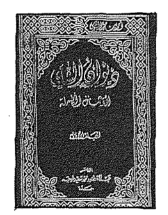


كتب .. وإصدارات

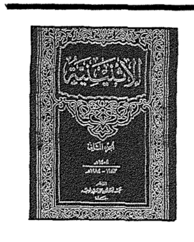


●● «هوامش أدبية» تأليف عمران بن محمد العمران ـ الطبعة الاولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ـ دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة ـ الرياض.

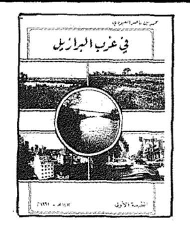
الكتاب فى مئة وثمانين صفحة تحدث فيه الكاتب عن حوالى ٣٢ موضوعاً، تجمعها جميعها الناحية الأدبية.



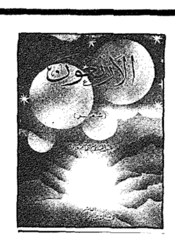
●● «ديوان الشامي» شعر الشاعر الاستاذ احمد بن محمد الشامي (الديوان فى ثلاثة مجلدات المجلد الواحد فى حوالى ٤٥٠ صفحة، بتجليد فاخر.. الناشر الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجة.. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ والديوان يضم الاعمال الكاملة للشاعر.



●● «الاثنينية» صدر منها الآن المجلد الثامن ويضم الشخصيات التى حفلت بها اثنينية الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجة حتى عام ١٤١٠هـ.



●● «في غرب البرازيل» تأليف الشيخ محمد بن ناصر العبودي، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ ـ الكتاب من الحجم العادى فى حوالى مئة صفحة.. صادر عن مطابع الفرزدق ـ الرياض، الكتاب جولة أدبية ووصفية فى البرازيل، مركزاً فيها على الأقلية الاسلامية هناك.



●● «الأربعون» ديوان شعر، للشاعر الاستاذ عبد السلام هاشم حافظ، الديوان فى الحجم العادى فى اكثر من مئة وستين صفحة، ضمت (٦٣) قصيدة.. والديوان يحمل اسم احدى قصائده.. الناشر الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجة ـ جدة.



●● «عن اللون فى شعر المتنبى»

تأليف الدكتور عبد الله احمد باقازي - من اصدارات نادي القصيم، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ - الكتاب فى الحجم العادى فى (١٦٢) صفحة..

جاء الكتاب فى ستة فصول.. تناول الكتاب الابيات التى وردت فيها الألوان، ودرس طبيعة اللون، وفلسفته المقصودة فى البيت، ومفهوم تمازج الالوان مع بعضها.

●● «**جولة فى جزائر جنوب المحيط الهادىء**» مشاهدات وبيان لأحوال المسلمين.. تأليف الشيخ محمد بن ناصر العبودى.. الكتاب فى حوالى (٣٠٠) صفحة.. صادر عن مطابع الفرزدق - الرياض.

تناول الكتاب بالحديث والوصف السياحي الرائع أربع جزر من جزر المحيط الهادى وهي: «جزر فيجى، نيوكالدونيا، واناواتو أو نيوهبريدز، ثم جزر سلمون» وفى هذه الجولة خلال ٣٠٠ صفحة تحدث المؤلف عن عادات وتقاليد وتراث هذه الشعوب، بل وتناول الحياة الاسلامية فى بعض هذه الجزر، وطبيعة الحياة التى يعيشونها.

الكتاب فى مجمله صيغة جميلة لتسجيل التاريخ من خلال حركة السياحة، والرؤية الحقيقية ومعايشة هذه الشعوب.. الكتاب محلى بالصور الملونة.

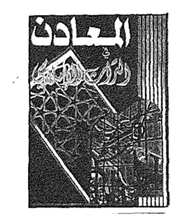


●● «**مجلة البحوث الفقهية المعاصرة** مجلة فصلية علمية محكمة متخصصة فى الفقه الاسلامي.. صدر منها العدد الجديد للاشهر (ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤١٣هـ).

ومن موضوعات هذا العدد:

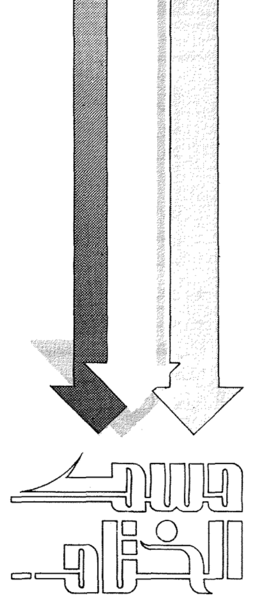
- الاختيارات - دراسة فقهية تحليلية مقارنة للدكتور عبد الوهاب ابراهيم ابو سليمان.
- اصطلاح المذهب عند المالكية - للدكتور محمد ابراهيم احمد على.
- صيانة اجور العمال في الشريعة الاسلامية للدكتور عبد السلام احمد فيغو.

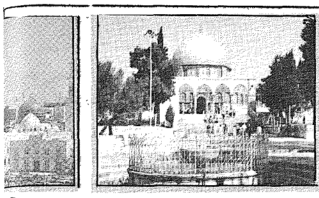
هذا اضافة الى فتاوى المجامع الفقهية، وبعض الموضوعات الاخرى، والجزء المترجم الى الانجليزية من المجلة..



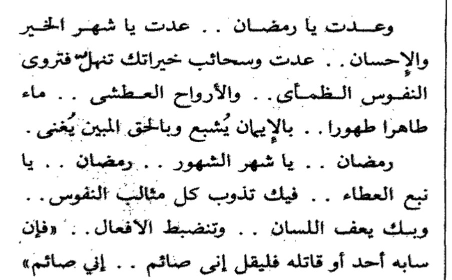
●● «**المعادن فى التراث الاسلامي**» تأليف الاستاذ زهير محمد جميل كتبي، الكتاب فى ١٨٨ صفحة من الحجم العادي، صادر عن دار الفنون للطباعة والنشر - جدة، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

جاء الكتاب فى خمسة فصول، استعرض المؤلف خلال هذه الفصول، المعادن فى القرآن الكريم، وفى الحديث والسيرة النبوية، كما استعرض المعادن، مضمونها وصفاتها ومسمياتها فى التراث الإسلامي..





شهر الش

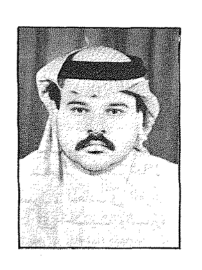


وعـــدت يا رمضـــان . . عدت يا شهـر الخير والإحسان . . عدت وسحائب خيراتك تنهل فتروى النفـوس الـظمـأى . . والأرواح العـطشى . . ماء طاهرا طهورا . . بالإيمان يُشبع وبالحق المبين يُغنى .

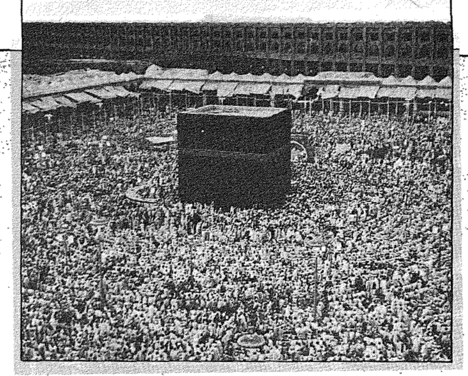
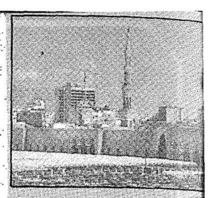
رمضان . . يا شهر الشهور . . رمضان . . يا نبع العطاء . . فيك تذوب كل مثالب النفوس . . وبك يعف اللسان . . وتنضبط الأفعال . . «فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم . . إني صائم»

فيك يا شهر الشهور . . الصدق قائم . . والحق دائم . . ولا نبغى إلا مرضاة الله . . «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» .

إليك يا الله . . يا خالق الأكوان . . وفى هذا الشهر الكريم . . فى شهر الشهور . . وفى كل لحظة تدق فيها القلوب . . وتتردد فيها الانفاس . . إليك يا مالك الملك فى كل آن ومكان . . نتوجه مخلصين لك الدين . . بالتوبة الصادقة والنية الخالصة . .



زهير نبيه الانصارى

شهور

«إنما الاعمال بالنيات . . وإنما لكل امرىء ما نوى» اليك يا غفور يارحيم . . نهاجر . . وبك نستعين . . وعلى بابك يا رمضان . . نغتسل من ذنوبنا وخطايانا . . ونطهر من أوضار الجسد والنفوس .

فيك يا شهر الصوم والعبادة . . نتآلف . . وبك نجتمع ولا نتخالف . . على الإيمان والتوحيد . . على مائدتك يا شهر الشهور . . يلتئم شملنا ويزاد تقواك تتعلق قلوبنا . . فالنفس راضية والروح صافية . . وفيك يا شهر الاحسان تذوب الفوارق وتتوارى الطبقات خلف كرمك وبرك . . «ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى» .

سلام يا سيد الشهور . .

سلام فإنا من مقيم وذاهب . . فتلك طبيعة الأشياء . ولكـــن . . .

حنانيك يا شهر الشهور . . ترفق بنا واتئد . . نناجيك أن تشرق ولا تغيب . . وإذا كانت لحظاتك تنقضى . . وساعاتك تفر . . وأيامك تولى . . فتلك سجية كل جميل . . وشيمة كل حسن أصيل .

فإن معانيك الحسان . . وآثارك الجمان . . تظل تزين قلوبنا . . وتتزيا بها نفوسنا وتنطق بها أفعالنا وأعمالنا . . بطول العمر والأيام . . تأتى . . وترحل . . يا شهر الشهور . . وفى القلب شوق لا يستكين . . وأمل لا يلين . . شوق لك بطول العمر . . وأمل فيك أن تدوم دائمـاً . وتبقى أبدا . . يا شهر القرآن . . يا شهر الخير والبركات . فى الصدور . . من القلب أناجيك . . والعين بالدمع تفيض .

شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
Al Madina Printing & Publication Co.


المنهل
ALMANHAL
مجلة العرب الادبية
● ثنائية اللغة ..
قضية تشغل البال !!
اللغة العربية
عدد متخصص
آفاق مستقبلية
● تيسير النحو العربي
ضرورة لابد منها!؟



اللغة.. تبسيط وتيسير

إن النظر الى اللغة العربية ونحوها يجب أن يكون من ناحيتين: احداهما ناحية القواعد واللغة بذاتهما، والثانية ناحية طرق تحصيلهما، فاما ناحية اللغة والقواعد بذاتهما فهى ناحية مشرقة باسمة ميسورة بسيطة، يجب أن تبقى مصونة لصيانة بساطتها وجمالها الخالدين. وأما ناحية طرق تحصيلها فهي التى لكم الحق فى السعي وراء تيسيرها وتعبيدها دواما، لتضمنوا بذلك مسايرة لغتكم المقدسة، لمقتضيات العصر الحاضر، والعصور المقبلة، لا بأس، حسن جدا أن تعتنوا بهذه الناحية الهامة كل العناية، أنشئوا (المجامع العلمية) و(الادبية واللغوية) وألفوا اللجان اثر اللجان، وبسطوا كتب الدراسة، واحتفلوا بتنظيمها، واهتموا باقتدار المدرس، وحسن تدريسه وانظروا إلى برامج الدراسة نظرة فحص، لضمانها لدراسة الطلاب قواعد اللغة العربية دراسة حقة، دراسة تحفظ لها مركزها السامى بين الدروس، واستحثوا المفكرين لاستخراج كنوز هذه اللغة من قماطرها الخالدة التى بنت على كثير منها عناكب الاهمال.

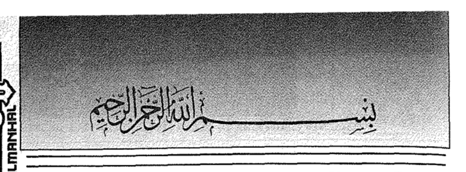
فاللغة كائن حى وتقدم حياتها يتمثل فى تعاهد طرق دراستها وكتب دراستها بالتبسيط والتيسير والتنظيم، ولا نقول. ان كل شىء فى هذا النحو قد تم، فالنحو بذاته تبسيط للغة وتنظيم لحلقاتها الذهبية، فى عقد رياضى زاهر، وطريقة التبسيط مفتوحة على مصراعيها، ومنذ ان وجد هذا النحو فى هذه اللغة ما انفك علماؤه يعبدونها، رتلا بعد رتل، وكوكبة بعد كوكبة.

فالتبسيط والتيسير يجب ان ينحصر اتجاههما الى اسلوب التأليف وطرق دراسة القواعد المقررة قديما بادخالها فى قالب مستعذب حديث، وقد لاحت بواكير هذا الاتجاه، والحمد لله، واملنا ان تظل الجهود المبذولة فيه متقدمة موفقة وسائرة الى الامام.

عبدالقدوس الأنصاري

شوال وذو القعدة ١٣٥٧هـ





المنهل
ALMANHAL

للآداب والعلوم والثقافة أولى أمهات الصحافة السعودية أسسها المغفور له عبد القدوس القاسم الأنصاري عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م

المركز الرئيسي: جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣١١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩١٠ ت: ٥٤٤٢٤٣٢

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

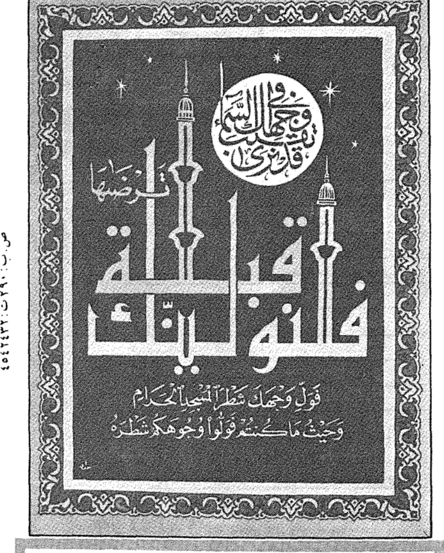
عزيزي القارىء .. عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

- تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد اولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب ويشترط فى الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته.
- يرجى فى المقال أن يكون بخط واضح.. ويفضل ان يكون مطبوعا على الالة الكاتبة، والا يكون المقال او القصيدة قد تم نشرها قبل ذلك.
- للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التى تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.





قال قيصر الروم:
ما أحسدهم على شيء حسدي على جمال حروفهم.

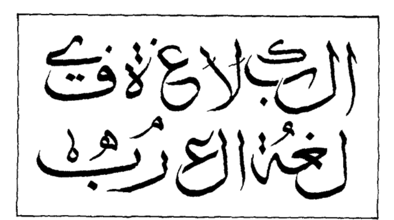
كما أثرت اللغة العربية الخط وساعدت على تطويره، ساهم الخط فى الحفاظ على انتشار مأثورات اللغة العربية.
اللوحة أعلاه تحوي خطوط الثلث والنسخ والكوفى الحديث، مع تطويع بعض حروف الكوفى لخدمة فكرة اللوحة.

سعر النسخة | السعودية ٨ ريال - قطر ٨ ريال - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - مصر ١ جنيه - الكويت ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الاردن ٥٠٠ فلس.



تصـــدر فى المملكـــة العربيـــة السعوديـــة ـ جـــدة عـــن دارة المنهـــل للصحافـــة والنشـــر المحـــدودة.

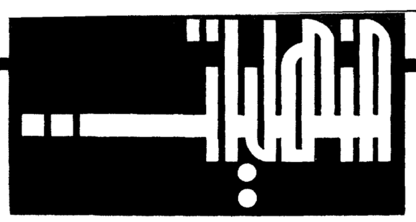
مجلة المنهل العدد ٥٠٤ المجلد ٥٤ شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ ـ ابريل ومايو ١٩٩٣م. ALMANHAL Issue No.504 VOl. No. 54 Shaw.Elk. 1413H, Apr.May 1993C.



فــى هــذا العــدد

٠٠٤ أهمية اللغة العربية (استهلال) ـ أ.د. عبد العزيز الخويطر
٠٠٦ القرآن الكريم حافظ للغة ـ أ.د. حسن محمد باجوده.
٠٢٢ اللغة . . وظيفتها وحقيقتها ـ د. حامد صادق قنيبى.
٠٢٨ مصادر لغتنا العربية وقواعدها ـ أ.د. احمد محمد قاسم.
٠٣٤ النهوض باللغة العربية ـ أ.د. البدراوي زهران.
٠٣٨ اللغة وقوميتنا العربية ـ أ.د حسـين نصـــار.
٠٤٢ الصلة بين اللهجات العامية وبين الفصحى ـ أ. حمد الجاسر.
٠٤٤ أصل لهجة معاصـرة ـ أ.د. سليمان بن ابراهيم العايد.
٠٥٢ بين تفصيح العامية وحماية الفصحى ـ د. بكري عبد الكريم.
٠٥٤ اللغات اليمانية القديمة ـ القاضي اسماعيل بن علي الاكوع.
٠٥٦ التجاوز على الفصيحة ـ أ.د. ابراهيم السامرائى.
٠٦٢ أخطاء شائعة ـ الفريق يحى عبد الله المعلمي.
٠٦٤ حتى لا تضيع اللغة العربية ـ أ.د. ياسين بن ناصر الخطيب.
٠٦٦ دفاعا عن العربية الفصحى ـ الأستاذ فاروق شوشـــة.
٠٦٨ ليس فى العربية تضخم لفظى ـ د. نعمـــة رحيـــم.
٠٧٢ وشائج القربى في العربية ـ الأستاذ محمد السيد على بلاسي.
٠٧٦ مستقبل اللغة فى القرن ٢١ ـ أ.د. الطاهر أحمد مكي.
٠٨٢ دور اللغة العربية فى عام ٢٠٠٠ ـ الأستاذ أحمد الاخضر غزال.
٠٨٤ لغة الضاد بين التشكيك والتحديث ـ أ.د. ناول عبد الهادى.
٠٨٨ اللغة العربية وحملات التغريب ـ أ.د. ابراهيم عوضين.
٠٩٦ التعريب . . الاستراتيجية والتاريخ ـ د. عشراتي سليمان.
١٠٢ تعريب العلوم الانسانية ـ أ.د. محمود ابراهيم.
١٠٤ العربية بين التعريب . . والترجمة ـ أ.د. عبد الصبور شاهين.
١٠٨ المصطلح بين الترجمة والتعريب ـ أ.د. محمد حسن عبد العزيز
١١٢ الترجمـــة ـ أ.د. عفيف دمشقية.
١١٤ تعريب الطب ـ د. يوسف نور عوض.
١١٧ التعريب والمعاصرة التكنولوجية ـ د. محيي الدين صابر.
١٢٦ العربية بين القواعد والنصوص ـ أ.د. محمد رجب البيومى.
١٣٠ العربية بين المعلم والطالب ـ أ.د. محمود اسماعيل الصينى.
١٣٨ الاعلام واللغـــة ـ أ.د. محمد عبد المنعم خفاجى.
١٤٤ اللغة فى نظرية الاعلام ـ د. عبد العزيز شرف.
١٥٢ البرامج الاذاعية والفصحى المشتركة ـ د. ســهير جــاد.
١٦٤ لغة الفن القصصى ـ أ.د. طــه وادى.
١٧٠ ظواهر لغوية فى الشعر المعاصر ـ د. محمد أحمد حمدون.
١٨٢ اللسانيات وبرمجة العربية فى الحاسوب ـ د. محمد على الزركان
١٩٠ اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ـ أ.د. البدراوي زهران.
٢٠٠ اللغة العربية . . حوار مفتوح ـ التحريـــر.
٥٥٥

وكلاء التوزيع | تهامة للتوزيع/ جدة ت: ٦٦٩٥٠٠٠ ـ وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٥٧٤٧٠٤٤ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٤٠٠٢٢٣ ـ دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥ ـ دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت: ٦٣٠١٩١ ـ دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ت: ٤١٨٠٩





غلاف العدد

الحرف العربي، أساس الكلمة العربية والكلمة العربية هى ميراث هذه الامة، ومفتاح ماضيها وحاضرها وأمل مستقبلها.

اللغة: وسيلة الاتصال بين البشر..
اللغة: تلك الأصوات المنظمة .. والسمة التى تفرد بها الجنس البشرى..
واللغة: كائن حى.. يولد ويعيش.. ويهرم ويموت.. يعروه ما يعرو الكائنات الأخرى.. تغير عليه صروف الدهر.. ويرميه الحدثان.. فيتغير ويتبدل.. ويجاهد.. فيصمد أو يخر صريعا.
إن ما نعانيه - اليوم - من ازدواجية فى اللغة .. وما تعرضت له الفصحى من هجوم لمفردات عامية بدأت تزحزحها - وبتنا كالقطاة التى عزها شرك.

فلا بالليل نالت ما ترجت
ولا بالصبح كان لها براح

فالأمر الجلل .. ما يجرى على ألسنة الناس اليوم.. ولا وجه له فى فصحانا.. بل لا أصل له ولا أساس..
وما يزيد الطين بلة.. التمسك بهذا والاصرار عليه.
ولا نخفى سرا.. إذا قلنا وبصراحة مطلقة.. إن بعض وسائل الاعلام من صحف وإذاعة مسموعة ومرئية.. فى بعض البلدان العربية.. تساعد فى ذلك - بل هى السبب وراء ما ينتشر وما يجرى على الألسنة من عامى.. ومبتدع بعيد عن الفصحى.. لا ينتمى لأصولها وجذورها.
لا شك هذا إضافة إلى أسباب أخرى عديدة تفسد الأذواق وتربك الإحساس بجمال عربيتنا.. وكبريائها.. وعلى رأسها.. هؤلاء المنتفعون على حساب لغة ديننا وتراثنا وحضارتنا.
كذا.. ما نتوجسه من احتواء عربيتنا لما يتفجر من مصطلحات وما يقتحم من ألفاظ وعبارات - كما هى - مسايرة للتطور العلمي ومواكبة للتقدم التقني مما قد يؤثر فى معناها ويهز بناها.
لغتنا العربية.. التى ارتضاها الله تبارك وتعالى لعباده.. وأنزل بها خاتم رسالاته «بلسان عربى مبين».. «وهذا لسان عربى مبين».. مفهومها ووظيفتها.. مشكلاتها وقضاياها مصير لغتنا وسط هذا الصراع اللغوى العالمى المستعر.
تلك محاور هذا العدد السنوى المتخصص الذى نتوجه فيه إلى اللغة العربية بنظرة مستقبلية.

ن - أ

فقرات مستلة

●● تنافس اللغويين في اظهار براعة الحفظ أدى الى توهم الترادف في اللغة.. ويرى أبو هلال العسكري فى الترادف تكثيرا للغة بما لا فائدة وراءه.

●● اللغة رموز لدلالات فكرية واجتماعية وروحية.. وهى أداة للتواصل والتأثير على الجمهور سلبا أو ايجابا من خلال وسائل الاعلام.

●● اللغة هى الواجهة الحضارية للأمة، وضعفها ضعف للأمة.. واللغة فوق كل هذا قيمة دينية وعقدية.

●● اللغة التى حملت كل أعباء الحضارة في القديم لا يعجزها حمل كل أعباء الحضارة والعلم والتقنية فى عصرنا الحاضر، والأعصر التالية.

●● معلم المرحلة الابتدائية يعتبر المؤسس الاول للتلميذ علميا ونفسيا.. وكثير من معلمى العربية فى المراحل الاساسية يفتقرون الى اجادة اللغة العربية نطقا وكتابة وأسلوبا.

●● القرآن الكريم حول اللغة العربية إلى لغة مقروءة بعد أن كانت مسموعة فقط.. وأضفى عليها البعد الدينى الذي يجعل تعلمها أمرا واجبا على كل المسلمين.

●● التحرر من سلطان اللغة طلبا للمعاصرة أحد مظاهر النشاط التغريبي .. وتيار الحداثة فى كثير من صوره تحطيم لما ينبغي المحافظة عليه.

الاشتراكات
● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

استهلال



- الايجاز مع كامل الابانة من الس
- اللغة هي الواجهة الحض

بقلم: أ.د. عبد العزيز الخويطر
ـ وزير المعارف ـ

اللغة عند الأمم جزء مهم من كيانها، ومظهر معبر عن شخصيتها، تتطور معها، وتتبلور في ضوء تقدمها أو تأخرها، تستمد منها حياتها، وتدل عليها.

والعرب ولغتهم امتزاج حضاري حقيقي، لا يفصل بينهما فاصل، ولا يحول دون تفاعلهما حائل، يثبت ذلك معتقد، ويوطده محيط، وتؤكده بيئة.

واللغة العربية فيها صورة العرب كاملة، منها تعرف طباعهم، وبها تميز خلقهم، ومن خلالها تحكم على عاداتهم، وتفهم تقاليدهم، وتقدر اتجاههم. هي ديوان مفصل واضح لكل ما يخصهم، وعن كل ما يعنيهم، ولأنها كذلك، فقد اهتموا بها، والتفتوا إليها وغاروا عليها، لأنها تنقل أفكارهم صادقة أمينة بينهم، وبين غيرهم، كما يريدون وبالصفة التي يختارون، يسيطرون عليها حتى تحافظ على ما كسبته منهم مع الزمن، من دقة في التعبير، وثراء في الألفاظ، وحسن في الأداء، وجمال في الاسلوب، وتنوع في المنهج، إن رأوا نبوا سارعوا إلى تهذيبه، أو شذوذا بادروا إلى تشذيبه، أو كدرا تسابقوا إلى تصفيته، أو قصورا تكالبوا على إكماله، أو ازورارا تزاحموا إلى تقويمه، عينهم على اللغة لا تطرف، وطرفهم لا يغمض، أنعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بمحور كريم شريف نبيل، يدورون في محيطه، ولا يبتعدون عن مركزه، هو لهم قائد، وهو لهم هاد، وهو لهم نبراس ساطع، وسراج منير، لا يبتعدون عن فناره، ولا ينأون عن رشد مناره، به فخرهم وفيه اعتزازهم هو رأسمالهم الذي لا تلحقه خسارة وتجارتهم التي لا تبور، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ميزان عملهم العادل، ومقياس سيرهم المستقيم، فيه صوابهم، ومنه رشدهم فهم بهذا أصحاب ميزة عظمى ونعمة فضلى، لا يماثلهم في ذلك احد ولا يدانيهم مزاحم، ولا ينافسهم طامح.

عندما يتكلم العرب عن لغتهم يختلط الفخر بالاشادة، والاعتزاز بالمباهاة، وتأخذهم عليها الغيرة والحذر والحماية، وفيما يقولون عنها حكمة وحق وعدل، وصفهم لما هي عليه من جودة، أو ما يجب أن تكون عليه من ذلك يؤكد عمقا في دراستها، وإدراكا لميزتها، وبعدا في معرفة كنهها:

«قيل لأبي [illegible] عنها».

وقال جعفر بن يحي: «إذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار هذرا، وإذا كان التطويل واجبا كان التقصير عجزا».

ـــة العربيَّــة

ت المميــزة للغــة العربيــــــة.

ربة للأمـــة. وضعفـــها ضعـــف للأمــــة أيضـــا.

أبو عمرو وجعفر في النصين لم يتكلما عن وصف ميزة من ميزات اللغة فقط، ولا عن شرط من شروط ارتقائها فحسب، ولكنهما دللا باتقانهما لنقل الفكرة الى السامع بأنهما يتكلمان بالطريقة التى مدحا بها من راعى الأصول، ومشى على الأمثل، ففى كلامهما إيجاز مع كامل الافادة كما يقتضيه المقام، ويستوجبه الظرف.

ويسأل الحسن بن سهل عن البلاغة فيقول: قال لى المأمون: «ما البلاغة؟» فجعلت أفكر، فقال: «دعنى أقول لك، هو ما فهمته العامة، ورضيته الخاصة».

تأخـذ العـرب البلاغة، وتشدهم وتعجبهم وتبهرهم، لأنها منتهى الايضاح عما يدور فى الذهن، ووسيلة لوصول الأمر المقصود إلى ذهن السامع بالصورة التى هى عليه فى ذهن القائل، لا زيادة تمل، ولا نقصان يخل، فالايجاز مع كامل الابانة هو الهدف وهذا ما يجب أن تتصف به أمة يهمها توفير الوقت للتفكير والاعمال، دون اهداره فى الأقوال، هم يسألون عن البلاغة حتى يعمدوا إليها، وهم بهذا يعمدون الى المحامد، وهذا هو ما يمليه مجتمع شعاره الاسلام، وديدنه العمل فى إطاره، وتحت ضوء مشعله ومناره.

والايجاز الذى أشير إليه تجده فيما لا يحصى من التعبيرات: تجده فى بيت مثل بيت امرىء القيس، كلمات قليلة، لمعان كثيرة، معان تحتاج عند غير ناطقى اللغة العربية الى مجلد يشرح مراميها.

«أفـــاد   وجـــاد   وســـاد   وقـــاد

وذاد   وعـــاد   وزاد   وأفـضـــل»

وما دمنا قد استشهدنا على الايجاز بشعر، فالشعر له منزلته فى اللغة العربية وله شرفه لما فيه من مزايا التأثير والبقاء، والشاعر له منزلة مميزة، ويقبل منه ما لا يقبل من غيره لهذا السبب، والاحتفال بمولد شاعر فى القبيلة في الجاهلية أمر معروف، والحديث عنه متواتر، وإذا كانت هذه النظرة للشاعر فى الجاهلية، فهي لم تزل كذلك فى الاسلام، يقول الخليل: «الشعراء أمراء الكلام، يتصرفون فيه أنى شاءوا جائز لهم مالا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، وتسهيل اللفظ وتعقيده».

وقال الخليل بن أحمد: «الشعراء امراء الكلام يجوز لهم شق المنطق، وإطلاق المعنى، ومد المقصور وقصر الممدود».

وإذا كان حديثنا فى أول قولنا هو عن الايجاز والاطناب، فالخليل أخذ جانبا آخر من فنون القول، وهو إطلاق المعنى وتقييده، وتسهيله وتعقيده وأوحي بأن الاطلاق له مقامه، والتقييد له مكانه، والتسهيل مطلوب، والتعقيد ليس كذلك، إلا أن الشاعر سمح له فى هذا بما لم يسمح به لغيره، هذا ما يؤكد أن اللغة العربية فى مرحلة نضج، لها من القواعد المفصلة والدقيقة ما يتناسب مع كونها وعاء القرآن الكريم، ونعم الوعاء الشريف.

القرآن الكريم حافـ

• الاعراب .. والموسيقى .. والاختزال ثلاث ظواهر أساسية ميزت
• الأسلوب القديم فى تلقى العلم عن شيخ ثقة كان له دو
• القرآن الكريم حول اللغة العربية الى لغة مقروءة بعد ان
• تعصب القوميات غير العربية للغاتها المحلية أدى إلى انـ

بقلم: أ.د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون
اء لكلماته، وبانتشار القرآن بين عباد الله المؤمنين ذاعت وانتشرت،
بتت أركانها فى شعوب لم تعرف العربية من قبل، بل لقد ضمن القرآن
ريم لهذه اللغة الثبات والصيرورة.. ودراستنا لهذا الموضوع (القرآن
ريم حافظ للغة) سوف تتناول الاتـى:
خصائص اللغة العربية وأسباب تفوقها فى العصر الجاهلي.
كاسب اللغة العربية بنزول القرآن الكريم فيها.
أ ـ مكاسب بطريق غير مباشر.
ب ـ مكاسب بطريق مباشر.
يف حفظ القرآن الكريم اللغة العربية منطوقة مسموعة؟
يف حفظ القرآن الكريم اللغة العربية مكتوبة مسموعة؟
يف يحفظ القرآن الكريم اللغة العربية منطوقة ومكتوبة؟



خصائص اللغة العربية وأسباب تفوقها فى العصر الجاهلي

قسم علماء فقه اللغة اللغات إلى ثلاثة أصناف.
سنف الأول اللغات العازلة، وهي غير المتصرفة،
ية الكلمات فيها لا تتغير وأصولها لا تلصق بها
وف زائدة لا قبلها ولا بعدها، وليس بين أجزاء
كيبها روابط وصلات، ومن هذا الصنف اللغة
سينية وكثير من اللغات البدائية.
صنف الثانى اللغات الإلصاقية، وهي لغات
لية تمتاز بالسوابق واللواحق التى تربط بالأصل
ير معناه وعلاقته بما عداه من أجزاء التركيب. ومن
هذا الصنف اللغة اليابانية والتركية.

والصنف الثالث اللغات التحليلية، وهي المتصرفة التى تتغير أبنيتها بتغير المعانى وتحلل أجزاؤها المترابطة فيما بينها بروابط تدل على علاقاتها. ومن هذه، اللغات السامية وفى طليعتها العربية، وأكثر اللغات الهندية الأوربية[1].

واللغة العربية أحدث اللغات السامية سنا، وفق الرأي الراجح[2] كما أن جزيرة العرب هي المهد الأول للشعوب السامية[3]، ومنها هاجروا جماعياً إلى الأماكن الخصبة المجاورة.

وقد لاحظ العلماء تفوق اللغة العربية على سائر اللغات السامية، بما فى ذلك اللغة السامية الأم، :ن **اللغة العربية تفوقت على كل اللغات السامية فى**

ـظ للغــــــــة

اللغة العربية عن بقية اللغات السامية الاخرى.

ر في سلامة النطق بالكلمة.

كانت مسموعة فقط.

حسار مد اللغة العربية على ألسن أولئك القوم

الكاتـــب
فـــى ســطور

- له اهتمام خاص بالدراسات القرآنية.
- اختط منهجاً طيباً فى تأليفه حول تفسير القرآن الكريم وهو فى عدة اجزاء.
- له جمهرة من المشاركات العلمية فى كثير من المجالات.

النهـوض بخصـائص تلك اللغات، بما فى ذلك أهم صفتين لتلك اللغات وهما الاشتقاق والاعراب، واللغة العربية اقرب اللغات السامية إلى اللغة الام، ومن ثم فهي أساس المقارنات اللغوية[٤] ومما احتفظت به اللغة العـربية عدد من الأصوات التى هجرتها لغة سامية واحدة أو أكثر من لغة[٥] وثمة ألفاظ، تستعملها اللغة العـربية اليوم عمـرها أكثر من أربعين قرناً[٦] ثم إن ظاهرة الاعراب فى العربية أقدم من القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد[٧].

وحينما نبحث عن السبب الذى أتاح للغة العربية أن تنهض بخصائص اللغات السامية بأكثر من سائر اللغات السامية الاخرى فإن ذلك السبب يعود إلى انعزال العرب فى شبه جزيرتهم التى تعتبر أكبر شبه جزيرة فى الدنيا. إنها على سبيل المثال أكبر من شبه القارة الهندية وتشكل وحدها اليوم زهاء سدس العالم الاسـلامي. وبسبب هذا الانسياح الـواسـع لشبه الجزيرة العربية هى أشبعت كل رغبة فى العربى إن أراد حرباً أو سلمـاً، أراد كيداً أو نجعة[٨] ومن هنا كان الغالب على هجرة العرب من جزيرتهم أن تكون هجـرة جماعية بسبب قسـوة الحياة وشدة الجدب فى بعض الأوقات، وكأن الجزيرة العربية بمنزلة الأم غير الرءوم التى تطرد أولادها الفينة بعد الفينة.

وبالاضافة إلى عزلة االعرب فى جزيرتهم، تلك العــزلـــة التى أتــاحت للغـة االعـربية أن تنهض بخصـائص اللغـة السامية الأم نهضة مباركة، وأن تكون لها شخصيتها المتميزة، ثمة سبب آخر ساعد هذه العزلة على أن يكون لها أثرها الحميد على اللغة العـربية، أما هذا السبب فهو الصفاء الغـالب على سماء الجـزيرة العـربية. لقد انعكس صفاء الجزيرة العربية على نفوس العرب التى عكسته بدورها على لغتهـا فى مخارج الحروف فتوزعت توزيعاً عادلا على سلم المخارج الصوتية، وفى الكلمة التى تكونت من تلك الحروف، والتى صيغت فى قوالب صوتية بسبب الاشتقاق وهي قوالب صوتية صغيرة، لأنها قليلة عدد الحـروف، فلا تتجـاوز الكلمـة المشتقة مع حروف الـزيادة السبعـة الأحرف. وبسبب ظاهرة الاعراب ووسـائـل أمن اللبس فى اللغـة العربية أتيح للفظة العربية مرونة كبيرة فى الموقع من الجملة أو العبارة مع الاحتفاظ بمعناها.

وقد نجم عن كل ذلك أن كانت اللغة العربية هي اللغة الموسيقية الشاعرة دون سائر لغات الدنيا[٩] ومن هنا كانت الموسيقى شرطاً أساسياً فى شعر اللغة العربية، بسبب يسر تحقيق هذا الشرط فى هذه اللغة المـوسيقية الشاعرة، التى تملك أكبر معجم لغوي، والتى تتجـلى بعض مظاهـر عبقريتها فيما يمكن أن يسمى بالاختـزال. إن اللفظة العربية القليلة عدد الحروف تنزل منزلة الدائرة الصغيرة أو الحلقة الصغيرة من السلسلة ومن المعـروف أن السلسلة الصغـيرة الحلقات أكثر ليناً وأشد طواعية، خاصة **وقد عرفنا أن**

اللفظة العربية، بسبب ظاهرة الاعراب فى المقام الاول، حرة من الحـركة، وإ ن حرية الحركة هذه قد عززت من موسيقية العربية، اللغة الشاعرة.

■ **ونستطيع أن نشير إلى أهم المظاهر التى نهضت بها اللغة العربية فى عصورها السحيقة قبل الاسلام فى هيئة نقاط:**

(١) **ظاهـرة الاشتقاق**: فالمعروف أن اللغة العربية يضـطردفيهـا الاشتقـاق بأكثر من أي لغة اشتقاقية أخرى، والاشتقاق معناه استلال الألفاظ من الأصل اللغوي وسبكها فى هيئة قوالب صوتية كاسم الفاعل من الثـلاثي مثـلا فإن له قالبا صوتياً واحداً فى كل ألفاظ اللغة العربية. وقس على ذلك سائر الصيغ. وإن هذه القـوالب الصـوتية الثمـرة اليانعـة لظاهرة الاشتقـاق من أهم الأسباب فى جعل اللغة العربية لغة موسيقية، فى شعرها ونثرها على السواء.

(٢) **ظاهـرة الاعـراب**: والمعروف أن اللغة العربية تتفـوق فى هذه الظاهرة على سائر لغات الانسانية. **ومن فوائد هذه الظاهرة إ تاحة الفرصة للفظة كي تأخذ حريتهـا تقـديمـاً وتـأخيـرا مع احتفاظها بموقعها الاعرابي. ولا يخفى ما فى هذه الحرية من تأكيد لصفة الموسيقية التى تعرف بها اللغة العربية إ ضافة إ لى قدرتهـا الفـائقـة على نقل وساوس النفس وخلجات الصدر وخطرات الذهن.**

(٣) **توزيـع مخارج الحـروف الأبجـدية على سلم المخارج توزيعاً عادلا**: ولا يخفى ما فى هذا التوزيع من إسعاف على الافصاح عن المعانى، بسبب البعد الكـافى بين المخـارج، فإن من أسباب اللبس قرب المخارج، ولا يخفى ما لاستقلال المخارج الصوتية من أثـر فى فصاحة اللفظة ودور متميز فى مجال القافية، وهي كذلك حلية صوتية، وينبغى أن يكون لاعتماد العـرب الأميين على الأذن والسـماع بأكثر من العين والبصر دور فى صقل لغتهم من الوجهة الصوتية.

(٤) **وفرة المفردات** التى تعبر عن المعانى المتقاربة، وربـما التى تعـبر عن مسمى معين، وهو ما يسمى بالـترادف، وهي مفردات أسهمت فى إيجادها سائر القبائل العربية، وفى قوالب صوتية معينة. ويكفى فى هذا الصدد أن يقال: إنه أمكن جمع أكثر من **٥٦٤٤** لفـظاً فى شئـون الجمـل رفيق الأعرابي فى الصحراء ومؤنسه فى وحشته(١٠) فإذا أضفنا إلى ذلك قلة حروف اللفـظة العربية اسمـاً وفعلا وحرفاً فهى تقل حتى تكـون حرفـاً واحداً، وهي تزيد فتقف مع حروف الـزيادة عند سبعة أحرف، استطعنا أن نفهم قدرة هذه المفـردات على الافصاح عن المعنى من جهة، وعلى إسعاف اللغة العربية كى تكون اللغة الموسيقية الشاعرة من جهة أخرى.

ومـا معنى انعـزال العـرب القرون المتطاولة فى جزيرتهم وهم أمة البيان وفرسان الكلمة، وهم القوم الـذين تجلت عبقـريتهم فى فنى الشعر والنثر معاً؟ معناه نهوض هذه الأمة بخصائص اللغة العربية إلى أسمى الـدرجـات، والوصول بها إلى أعلى القمم، والعجيب فى شأن اللغة العربية أنها فاجأت الانسانية وهي فى أوج كمالها، وكامل زينتها، وروائع بيانها، فى مجالي الشعر والنثر على السواء.

ورغم اختلاف العرب قبل الاسلام فى كل شيء تقريباً فإنهم اتفقوا على اتخاذ لسان قريش لغة أدبية لهم، رغم انسياح هذه الجزيرة البعيد المدى. وثمة أسبـاب متعددة وراء اتفاق العرب على جعل لسان قريش لغة أدبية لهم منها الدينى، فهم سدنة البيت الحرام ورعاة المشاعر المقدسة، ومنها الاقتصادي فإن قوافل قريش التجارية تجوب الجزيرة العربية وبخاصة رحلة الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام.

وإذا كان العـرب يزورون قريشاً فى عقر دارها بسبب زيارة الأماكن المقدسة للحج والعمرة وارتياد الأسواق فى المواسم وهي أسواق تجارية وثقافية، وإذا كانت قريش فى رحـلاتهـا التجـارية تزور القبـائـل العـربية فى عقـر دارها، فإن هذا وذاك أتاح لقبيلة قريش أن تكون على علم بلسان العرب كله، وأن تكون قادرة وهى القبيلة المعروفة برقة إحساسها ودقة ذوقها، أن تتخلص من عيوب النطق المبعثرة فى لسان

العـرب من ناحية، وأن تنتقى ما راقهـا من لسـان العرب، فعلى سبيل المثال كانت قبيلة قريش تسهل الهمزة فتقول مثلا ذيب وبير وشي فى حين كانت قبيلة تميم تنبر فتقول ذئب وبئر وشيء، ولم يخف على قبيلة قريش أن النبر أجمل من التسهيل فاستعارته من تميم، فأصبحت قبيلة قريش تهمز بعد أن كانت تسهل.

لقد فوجئت الانسانية باللغة العربية فى أوج كمالها قبل الاسلام بعدة قرون، كما فوجئت بتراثها البياني فى مجالي الشعر والنثر على السواء، وهو يرفل فى أجمل موسيقى، وأنصع بيان، وأحلى لفظ، وألطف معنى.

ولما كان من سنن الله تعالى بشأن اللغات أن كل لغة بعد أن تصل إلى القمة أن تتدحرج عنها، فليس بعـد الـطلوع إلا النـزول، وليس بعـد الكمـال إلا النقصـان، ولما كانت اللغة العربية ليست بدعاً من اللغات، فبعد أن وصلت أعلى القمة قبل الاسلام كادت تتدحرج، ولكن شاء الله تعالى أن ينزل فيها آخر الكتب السماوية وأشرفها، فمنع اللغة العربية أن تترجل عن صهوة قمتها، فكانت اللغة بمثابة ذلك الفائز الحاصل على أعلى الدرجات فى القفز حتى إذا كان فى أوج ارتفاعه تم التقاط صورة له فى أعلى قفزة له، إن القـرآن الكريم حفظ اللغة العربية فى أعلى قفزة ميمونة مباركة لها من ناحية، وحمل اللغة العربية إلى القمم الرفيعة التى لا تشرئب لها الأعناق، وإلى الآفاق الرحبة التى لا تتطلع إليها الأطماع.

مكاسب اللغة العربية بنزول القرآن الكريم فيها

أ ـ مكاسب بطريق غير مباشر:

شاء الله سبحـانـه وتعـالى أن يبعث فى العرب الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آيات الكتاب العزيز ويزكيهم ويطهـرهـم ويعلمهم معـاني ذلـك الكتاب العـزيز وسنة المصطفى ﴿ﷺ﴾ فبعث خاتم النبيين وأشرف المـرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، لأن من حكمة الله تعالى ألا يبعث رسولا إلا بلسان قومه، قال تعالى:[11] ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾، وشاء الله سبحانه وتعالى أن تكون معجزة كل رسول من جنس ما نبغت فيه أمة ذلك الرسول كي تكون الآية غالبة والحجة بالغة والمعجزة قائمة. ولما كانت عبقرية العرب قبل الاسـلام قد تجلت فى لغتهم وفى كونهم أئمة البيان وفرسان الكلمة فقد شاء الله تعالى أن تكون معجزة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى أمة البيان آية بيانية ومعجـزة بلاغية تجلتا فى القرآن الكريم الذى انفرد دون سائـر الكتب السـماوية الأخرى بكونه معجزة ومنهجاً فى آن واحد، إن الكتب السماوية السابقة على القـرآن الكـريم لم يكن التحـدى بأى منها إنما كان التحـدى بآيات مادية محسـوسـة كعصا موسى عليه السلام، لتفوق قومه عليه السلام فى السحر، وقدرة عيسى ابن مريم عليه السـلام بإذن الله تعالى على إبـراء الأكمـه الـذى ولـد أعمى ممسـوح العينـين، والأبرص، وإحياء الموتى بأن يدعوهم عليه السلام فيخرجون من قبورهم، لتفوق قومه عليه السلام فى الطب.

لقد تدرج القرآن الكريم مع العرب بعامة، كفار قريش بخاصة، وقد عرفنا مكانتهم الرفيعة فى مجال البيان، أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم فعجزوا، وأن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، وأن يأتوا بسورة واحـــدة مثله أو من مثله فعجـــزوا. جاء فى سورة الإسراء المكية[12] قولـه تعـالى: ﴿قـل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ وجاء فى سورة هود المكية[13] كذلك قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه، قل فأتـــوا بعشر سور مثـله مفـتريات وادعــوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ وجاء فى سورة يونس المكية[14] كذلك قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقـين﴾ وجاء فى سورة البقرة المدنية[15] قوله تعالى: ﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.

ونستـــطيع أن نفهم أن تحدي القـرآن الكـريم

للعرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم أو بمثل عشر سور مثله أو بمثل سورة مثله أو من مثله قد حمل العرب وبخاصة قبيلة قريش على التفكر فى هذا التحدى، وإلى التدبر فى إعجاز هذا الكتاب العزيز. ومع أن للتحدى العديد من الصور فإن التحدي المقصود هنا هو المتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ألا وهو التحدى البيانى لهذا الكتاب العزيز.

والمعروف أن الجميع عجز أمام التحدى القرآني، وفى مقدمة هؤلاء كفار مكة الذين هجروا ميدان البيان الذى هم متفوقون فيه إلى استلال السيوف واستقبال الحتوف. والمعروف كذلك أن بعض السفهاء جرءوا على إعلان سخفهم كمسيلمة الكذاب فكشفوا عن سوءاتهم بما جرى على ألسنتهم من سخيف القول وباطل الكلام ظانين أنهم بذلك الهراء يقابلون تحدي القرآن الكريم لهم فأضحكوا عليهم كل ثكلى. ونستطيع أن نفهم أن الكافرين الذين أعلنوا عداوتهم للاسلام قد أثار التحدى القرآنى حفائظهم وشحذ هممهم بقصد أن يتفاعلوا مع اللغة بيانيا وأن يأتوا ولو بمثل سورة واحدة من مثل القرآن الكريم وذلك قبل أن يهجروا ميدان البيان واللسان إلى ميدان الضرب والطعان. ونستطيع أن نفهم أن قبيلة قريش يأتى كفارها فى هذا المجال على رأس كافرى الجزيرة العربية وذلك لسببين اثنين:

السبب الاول: وهي تشترك فيه مع سائر العرب، ألا وهو امتلاك زمام اللغة العربية وناصية البيان العربى. ويتجلى ذلك الامتلاك فى فطنة العربى آنذاك بالسليقة لظاهرة الاعراب العظيمة الدلالة على فهم التركيب. والمعروف أن العربي بفطرته لا يلحن آنذاك. كما يتجلى فى فطنة العربى آنذاك للمعنى الثانوي الذى يفيده كل لفظ مشتق.

والمعروف ان اللفظة العربية المشتقة المفردة تفيد معنيين اثنين حدا أدنى. المعنى اللغوي الذي يفيده اللفظ فى الدلالة على المسمى، والمعنى الاشتقاقى الذى يفيده اللفظ أو صفة المسمى المهمة التى يفيدها بسبب اشمال اللفظ المشتق بالضرورة على حروف الاصل اللغوي الذى اشتقت منها اللفظة.

إن لفظة السماء مثلا تدل على القبة الزرقاء التى تظلنا نهاراً، المرصعة بالنجوم، أو التى يزينها القمر، ليلا، وبالاضافة إلى إفادة لفظة سماء هذا المعنى اللغوى هي تفيد بسبب اشتمالها على حروف الأصل اللغوى: «سما» أهم صفة فى المسمى وهي صفة السمو أو العلو.

أما السبب الآخر الذى جعل قبيلة قريش يأتى كفارها على رأس الكافرين فى الموقف من التحدى القرآني فإنه السبب الذى انفردت به قبيلة قريش وحدها وذلك أنها اعتبرت نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ ونزول الوحي عليه من السماء امتدادا للتنافس بين بيوتات قريش، وفوز بنى هاشم بشرف النبوة والوحي.

ونستطيع أن نفهم أن عجز كفار قريش وهم أفصح العرب وأحرص الناس على منافسة بنى هاشم على الشرف والمجد، عن الاتيان بمثل سورة واحدة من سور القرآن الكريم عجز للانسانية إلى يوم الدين، وذلك بسبب ذهاب هذين السببين إلى غير رجعة. ونستطيع أن نفهم كذلك أن قبيلة قريش ومن ماثلها لم تهجر ميدان البيان المتفوقة فيه إلى ميدان القتال وبذل الأرواح إلا بعد استنفاد الجهد فى مجال البيان المتفوقين فيه، ويلحق بكفار قريش كل المناوئين للقرآن الكريم من الذين يعرفون اللغة العربية والذين جربوا حظوظهم فى الاستجابة للتحدى القرآني فعجزوا وجبنوا عن إعلان كلامهم السخيف، وكتموا محاولاتهم الفاشلة، كى لا ينضموا إلى ركب السفهاء الذين استزلهم الشيطان ونفوسهم الأمارة بالسوء فكشفوا عن سوءاتهم فكانوا سبة الدهر ولهو المقيم ولهو المدلج السارى، وذلك على غرار مسيلمة الكذاب وأمثاله من السفهاء.

والذى أود أن أخلص إ ليه هو أن للقرآن الكريم دورا بارزا فى حفظ اللغة العربية لدى أولئك المناوئين، ولكن بطريق غير مباشر، لان كل الذين تجاوبوا مع التحدى القرآني من أولئك المناوئين، عنوا بلغتهم العربية عناية بالغة، وبذلوا منتهى وسعهم وطاقتهم كي يأتوا من القول بما يشفى نفوسهم مما تجد من رغبة فى الاستجابة للتحدى القرآني. وسواء أعلن

أولئك الحمقى عن سخافاتهم كمسيلمة الكذاب أم أخفوها فإن القرآن الكريم حمل الجميل بطريق غير مباشر على العناية بلغتهم العربية، وفى ذلك مظهر من مظاهر حفظ القرآن الكريم اللغة العربية.

ب ـ مكاسب بطريق مباشر:

كان العرب قبل الاسلام محصورين فى جزيرتهم التى أشبعت كل رغبة لديهم، ولم يدر بخلد واحد منهم أن يخرج من جزيرته إلا من أجل التجارة وما فى حكمها، ولم يدر بخلد جماعة منهم أن تخرج إلا من أجل الهجرة الجماعية بسبب شظف العيش وقسوة الحياة.

ولكن بعد الدعوة الاسلامية واستمرار الفتوحات فى كل اتجاه انتشر المسلمون فى انحاء الأرض يحملون الاسلام ولغة الاسلام ولم يمض قرن واحد من الزمان على وفاة المصطفى ﴿ﷺ﴾ حتى كانت دولة لا إله إلا الله محمد رسول الله ممتدة دون انقطاع من حدود الصين شرقا، إلى حدود فرنسا غرباً. وهذه الفتوحات إنما كانت من أجل إتاحة الفرصة المطلقة للناس كي يختاروا الدين الذى يرتضون دون أي مؤثر من ترغيب أو ترهيب.

ونستطيع بشأن هذه الدولة العربية الاسلامية أن نقول إنها تمثلت فيها ثلاث موجات:

الموجة الاولى: موجة المد الاسلامي.

الموجة الثانية: موجة اللغة العربية.

الموجة الثالثة: موجة الكتابة العربية الاسلامية.

وتفسير ذلك أن المجاهدين فى سبيل الله تعالى حملوا دين الاسلام معهم، كما حملوا معهم القرآن الكريم وسنة المصطفى ﴿ﷺ﴾ النبى العربى القرشى الهاشمي، وذلك معناه أن لسان هذه الدولة الاسلامية هو اللغة العربية، والمعروف أن الاسلام دين العلم، فليس ثمة دين حث على العلم كالاسلام، وقد كان القرآن الكريم وسنة المصطفى ﴿ﷺ﴾ منطلق عناية المسلمين بعلوم القرآن الكريم والسنة المطهرة أولا، العلم المطلق آخرا.

■ **إن المسلمين عنوا بجمع اللغة من مظانها خدمة للقرآن الكريم والسنة المطهرة، وبعد الاطمئنان إلى فهم كل من القرآن الكريم والحديث الشريف أصبح جمع اللغة غاية فى ذاته، وكما كان القرآن الكريم والحديث الشريف سبب العناية باللغة العربية وبتراثها الشعري والنثري على السواء، كان القرآن الكريم والحديث الشريف سببا فى ظهور علوم ذوات علاقة بهما كعلوم اللغة والسيرة وعلوم القرآن الكريم وعلوم الحديث الشريف أما علم النحو فقد وضع أساسًا لمنع اللحن فى تلاوة القرآن الكريم.**

ولما كانت تلاوة القرآن الكريم والحديث الشريف تشترط الالتقاء المباشر بالشيخ والتلقى المباشر عنه ضماناً لسلامة نقل العلم وتلقيه، فقد صبغت هذه الحقيقة طريقة نشر العلم فى تلك الدولة العربية الاسلامية الطويلة العريضة، ومن هنا كان الاهتمام بما يسمى بالاجازة بمعنى أن يجيز الشيخ تلميذه فى نقل علمه عنه، ولا يكون ذلك إلا بعد اطمئنان الشيخ إلى كفاءة تلميذه وتمكنه من العلم وبخاصة فى مجال النطق الصحيح لمفردات العلم، قياساً على تواتر رواية تلاوة القرآن الكريم وسنة المصطفى ﴿ﷺ﴾.

وبسبب هذه العناية الكبرى بالتلقى المباشر عن الشيخ فى نقل العلم ونشره تأخر فى المرتبة نقل العلم عن طريق الكتب مباشرة، وهى الطريقة التى تسمى بالوجادة والتى يسمى أصحابها بالصُّحفيين، نسبة إلى الصحف التى أخذوا العلم عنها، بمعنى الكتب. وهكذا كان الاهتمام كبيرا بصحة نطق المعلومات وصحة نقل العلم والنطق به، قياسًا على صحة تلاوة القران الكريم ورواية السنة المطهرة واشتراط التلقى المباشر عن الشيخ.

ولا يخفى أن للأذن دورها الكبير بشأن الكلمة المنطوقة المسموعة، وان للقرآن الكريم أكبر الدور فى حفظ الكلمة العربية الاسلامية المنطوقة المسموعة ولا يخفى أن الكلمة المنطوقة المسموعة تشكل نصف العلم. أما النصف الآخر فتشكله الكلمة العربية الاسلامية المكتوبة المقروءة، وكما كان للقرآن الكريم دور كبير فى العناية بالكلمة العربية الاسلامية من هذه الناحية وفى حفظ هذه الكلمة، كان للقرآن

الكريم دور كبير فى العناية بالكلمة العربية الاسلامية المكتوبة المقروءة هذه المرة وفى حفظها.

كان تراث العرب فى الجاهلية منطوقاً مسموعاً بأكثر منه مقروءاً مكتوبا. وبالاسلام أصبح للعلم حظه الموفور من الكتابة والقراءة، وذلك على غرار حظه الموفور من النطق والسماع. وكان المنعطف الذى بدأ عنده حظ العلم فى الاسلام من الكتابة والقراءة تدوين القرآن الكريم للمرة الثالثة والأخيرة على عهد عثمان بن عفان الخليفة الثالث الراشد رضى الله عنه وجمع القرآن الكريم على حرف واحد من الأحرف السبعة سنة خمس وعشرين هجرية، وإرسال عثمان رضي الله تعالى عنه عددا من نسخ المصحف الشريف فى صورته الأخيرة إلى عدد من العواصم الاسلامية.

لقد أخذ المسلمون فى سائر أنحاء الدنيا يكتبون النسخ من القرآن الكريم وفق المصحف الامام الذى احتفظ به عثمان رضي الله تعالى عنه لنفسه ووفق النسخة التى بقيت فى المدينة المنورة والنسخ التى أرسلت إلى الأمصار. **وحرصا من المسلمين على قدرة المسلمين جميعـًا على قراء ة النسخة الواحدة من المصحف الشريف فى كل زمان ومكان كتبوا كل العلوم وفق كتابة المصحف العثماني.**

ولما كان للدولة الاسلامية فى فجرها لغة واحدة هي العربية وكتابة واحدة هى الخط العربي الاسلامي، فذلك معناه أن الموجات الثلاث التى أشرنا إليها، وهي موجة المد الاسلامي، وموجة اللغة العربية، وموجة الكتابة الاسلامية، كانت فى الحقيقة موجات متساوية فى القوة بحيث إنه يصح القول إنها موجة واحدة ذات ثلاث صور.

وبمرور الوقت ظهرت فى الدولة الاسلامية افة الشعوبية التى تسمى حاليا بالقومية، فتعقبت بعض الاقطار الاسلامية للغاتها المحلية، وكان ذلك على حساب اللغة العربية لغة القران الكريم والحديث النبوي الشريف. وقد نجم عن ظهور اللغات المحلية انحسار مد موجة اللغة العربية. وحينما نقارن بمرور الوقت بين موجة المد الاسلامي وموجة مد اللغة العربية يبدو كأن الموجتين تتجهان فى اتجاهين متعاكسين، بسبب انحسار موجة اللغة العربية من ناحية، واستمرار موجة المد الاسلامي فى أكثر الاتجاهات من ناحية أخرى.

وإذا كانت الشعوبية أو القومية قد حملت بعض الجماعات الاسلامية على التعقب للغاتها المحلية على حساب لغة القرآن الكريم، فإن كل الشعوب الاسلامية وبدون استثناء قد احتضنت الكتابة العربية الاسلامية، تلك الكتابة التى دون فيها المصحف الامام أو المصحف العثمانى، والتى سارت دائماً فى ظل كتابة المصحف الشريف وتحت حمايته، وكأن هذه الموجة الثالثة، موجة الكتابة العربية الاسلامية ظلت مواكبة للموجة الأولى موجة المد الاسلامي، لأن المسلمين جميعاً كانوا حريصين على القدرة على قراءة النسخة الواحدة من المصحف الشريف، وهكذا شملت بركة القرآن الكريم الكتابة العربية الاسلامية التى كتب بها التراث الاسلامي كله بلغات العالم الاسلامي المختلفة، تماماً كما شملت اللغة العربية ذاتها منطوقة مسموعة.

وفى العصر الحديث نجم أعداء الاسلام والمسلمين فى تضليل الكثير من الشعوب الاسلامية، بقصد سلخها من ماضيها الاسلامي المجيد، وذلك بتحويلها عن استعمال الكتابة العربية الاسلامية التى تسير فى ظل المصحف الشريف إلى استعمال الحروف اللاتينية. وبذلك استبدلت تلك الشعوب الاسلامية - وللاسف - الذى هو أدنى بالذى هو خير. ونجم من ذلك انحسار الموجة الثالثة موجة الكتابة العربية الاسلامية التى يستمر بكل أسف وألم انحسار مدها كل يوم. وكادت الكارثة تحل بالبلاد العربية حينما تبنى بعض أبنائها الدعوة ذاتها باستبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير، باستعمال الحروف اللاتينية بدل كتابة المصحف الشريف.

وحتى هذه اللحظة أصبح ترتيب الموجات الثلاث على النحو التالى: المد الإسلامى، مد الكتابة العربية الاسلامية، مد اللغة العربية.

ويتضح مما سبق أن حفظ القرآن الكريم للغتنا

العربية شمل شقيها، الشق المنطوق المسموع، والشق المكتوب المقروء، ولما كان الأعداء يهاجمون الاسلام من جميع نواحيه، وكان بحثنا يتعلق بجانب اللغة فذلك معناه أن حديثنا عن حفظ القرآن الكريم في الميادين الثلاثة التالية:

١ ـ كيف حفظ القرآن الكريم اللغة العربية منطوقة مسموعة.

٢ ـ كيف حفظ القرآن الكريم اللغة العربية مكتوبة مسموعة.

٣ ـ كيف حفظ القرآن الكريم اللغة العربية منطوقة ومكتوبة بإذن الله تعالى.

(١) كيف حفظ القرآن الكريم اللغة العربية منطوقة مسموعة؟.

يتجلى هذا الحفظ في ثلاثة ميادين رئيسية:

أ ـ حفظ القرآن الكريم مادة اللغة العربية.

عرفنا أن اللغة العربية بلغت القمة قبل الاسلام وحينما كادت تنزل عنها شاء الله تعالى أن ينزل فيها الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فمنعها من النزول عن قمتها وارتقى بها إلى رفيع الدرجات وأرحب الآفاق. وكيف حدث ذلك؟.

حينما خرج العرب من جزيرتهم احتكوا بغير العرب كما أن الأعاجم الذين دخلوا في دين الله تعالى أفواجاً غصت بهم المدن الاسلامية وكثر احتكاك النشء بهؤلاء الأعاجم مما عجل بتسرب اللحن إلى العامة والخاصة في المدن، ابتداء بعاصمتي الاسلام الأوليين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد ظهر في نهاية القرن الأول الهجري مبدأ تنقية اللغة من اللحن. وكانت البادية سليمة معافاة من اللحن، وكان أي أعرابي في القرن الثانى من الهجرة حكماً عدلا في أي خلاف لغوي ينشأ بين العلماء. وفي القرن الثالث الهجري تسرب اللحن إلى البادية وأخذ علماء اللغة الذين حذقوها عن الكتب يتصيدون أخطاء الأعراب.

وفي القرن الرابع الهجرى فسد اللسان العربى كله، وحلت اللغة الفصحى المكتسبة بالتعلم محل اللغة الفصحى بالسليقة وبالفطرة، وكان هذا القرن هو الذى تم فيه تبويب اللغة تبويباً علمياً منظماً.

■ إن القرآن الكريم هو الذى حفظ اللغة العربية حتى حلت اللغة الفصحى المكتسبة محل اللغة الفصحى بالسليقة، تلك اللغة الفصحى التى نستعملها حتى يوم الناس هذا وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وإن حفظ الله تعالى القرآن الكريم الذى نزل بلسان عربى مبين إلى يوم الدين معناه حفظ اللغة العربية بحفظ الله تعالى لهذا الكتاب العزيز. قال تعالى:(١٦) ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وبفضله تعالى تم ذلك على النحو التالى:

■ إن عناية المسلمين في فجر الاسلام بالقرآن الكريم ليس عليها من مزيد تلاوة وحفظاً وتدبراً وعملا بتعاليمه وبتعاليم السنة المطهرة المبينة للقرآن الكريم. ولما كان فهم معانى القرآن الكريم أمراً ضرورياً بين يدى ترتيل القرآن الكريم وحفظه وتدبره، ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ووفق طرائقها في التعبير حقيقة ومجازا، لذا كانت العناية بلسان العرب كبيرة من قبل العلماء الذين عُنوا بالقرآن الكريم، وفي مقدمة هؤلاء عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما الذى كان يكثر من الاستشهاد بكلام العرب، وبخاصة الشعر الذى كان ديوان العرب وسجل أمجادها ومفاخرها. ومن هنا كانت العناية بجمع اللغة العربية من مظانها شعراً ونثراً. حتى إذا كان من العلماء الاطمئنان إلى فهم القرآن الكريم أصبح جمع اللغة غاية في ذاته. والحقيقة أن جمع اللغة وترتيبها خدمة للقرآن الكريم كان دائماً وأبداً الهدف الحقيقي والأولي الذى لازم كل المؤلفين في مجال اللغة جمعاً وترتيباً وتأليفاً. وإليك هذا الدليل المتأخر الذى يعود إلى القرن السابع الهجري.

إن ابن منظور ٦٣٠ ـ ٧١١هـ مؤلف لسان العرب هاله انصراف المسلمين في عصره عن اللغة العربية لغة القرآن الكريم فصنف معجم لسان العرب غيرة على لغة هذا الكتاب العزيز. وإليك

بعضاً مما جاء في المقدمة: «أما بعد فإن الله سبحانه قد كرم الانسان وفضله بالنطق على سائر الحيوان، وشرف هذا اللسان العربي بالبيان على كل لسان، وكفاه شرفا أنه به نزل القرآن، وأنه لغة أهل الجنان. . وهو المسئول أن يعاملنى فيه بالنية التى جمعته لأجلها، فإننى لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان، ويخالف فيه اللسان النية. وذلك لما رأيته قد غلب فى هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن فى الكلام[١٧] يعد لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً.

وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية، وتفاصحوا فى غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب فى زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون، وسميته لسان العرب. وأرجو من كرم الله تعالى أن يرفع قدر هذا الكتاب وينفع بعلومه الزاخرة، ويصل النفع به بتناقل العلماء له فى الدنيا وبنطق أهل الجنة به فى الآخرة».

وأود أن أضرب مثلا من الواقع على حفظ القرآن الكريم للغة فى هذا الجانب، فى إمكانك أن تلقي نظرة سريعة - مثلا - على تفسير: جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ كي تتبين وفرة استشهاده بالشعر الجاهلي والاسلامي.

إن كل بيت يستشهد به الطبري لشاعر من الشعراء يعنى عناية العلماء الفائقة بديوان ذلك الشاعر وربما العناية بشعر قبيلته، وهل كان يخطر ببال أي شاعر جاهلي أن شعره سيبقى بعده لأكثر من جيل واحد أو جيلين وربما لثلاثة أجيال؟ لا. فكيف والثابت اليوم أن الأدب العربى الاسلامي أقدم الآداب الانسانية بمقياس الفهم والاستيعاب وليس المراد القدم الزمني.

إن الآداب السابقة على الأدب الجاهلي زمنا هي فى لغة غير اللغة التى يعبر بها أربابها اليوم أو التى سوف يعبرون بها بعد اليوم، وما لنا نذهب إلى الآداب السابقة زمناً على الأدب الجاهلي ونترك روائع الأمم الأدبية والفكرية التى تعود إلى عهد قريب، وليكن على سبيل المثال شكسبير أشهر شعراء الإنجليز الذى عاش فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

إن للشاعر لغته الخاصة به بحيث إن المتخصصين فى أدبه يقولون بسبب سرعة تطور الدلالة فى تلك اللغات: ليست الصعوبة مع شكسبير تكمن فى استعماله الفاظاً غير مستعملة فى عصرنا، لأن المعاجم المتخصصة فى الشاعر تبين المعنى المراد، ولكن الصعوبة الحقيقية تكمن فى الألفاظ التى لا زلنا نستعملها نحن ولكن معناها اليوم مختلف، ونظن أنا نفهمها على حقيقتها، وما السبب الذى جعل تلك اللغات تعرف جيداً موت الألفاظ والتطور السريع للدلالة؟ السبب هو عدم ارتباط أى لغة بكتاب، مقدس، بما فى ذلك اللغة العبرية التى تختلف اليوم اختلافاً بينا عنها فى لغة العهد القديم. وما السبب الذى جعل الشعر الجاهلى معلوماً لنا وربما لأطفالنا؟ لأن لغته العربية هى لغة القرآن الكريم الكتاب العزيز الذى تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين. وفى حفظ الله تعالى للكتاب العزيز حفظ لكل تراث هذه اللغة وفيه الشعر الجاهلي أو الأدب الجاهلي.

وفى إمكانك أيضاً وأنت تلقى نظرة سريعة على تفسير الطبري أن تتبين مدى عنايته باللغة وبشرح الغريب من ألفاظ القرآن الكريم، وفى إمكانك أن تتمثل كل من يفسر لفظة فى غريب القرآن الكريم وقد عاد إلى أحد معاجم اللغة العربية كى تتبين أن الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية وجهت التأليف فى المعاجم وجهات معينة بحيث يبدو فى كل ترتيب لمواد المعجم العلاقة الأسرية بين الألفاظ المشتقة من أصل لغوي واحد. إن فى التعامل مع أي لفظة مشتقة تعاملا ضمنيا مع كل المواد المشتقة من ذلك الأصل اللغوي، وفى فهم معنى اللفظ الواحد فهماً ضمنيا لكل مشتقات الأصل الواحد، وإن أقرب مثل

يحضرني لتقريب المعنى المقصود المغناطيس وقدرته على جذب كل ما أمكن جذبه من نوع الحديد إليه. إن التعامل مع أي لفظة في أي مادة من مواد المعجم بمثابة التعامل بالمغناطيس مع نوع الحديد، وأعني بنوع الحديد هنا سائر الألفاظ المشتقة من الأصل اللغوي الواحد.

ولا ننسى أن التعامل مع الشطر من البيت يقود إلى التعامل مع البيت فالمقطوعة، فالقصيدة، فالديوان. وقل الشيء نفسه عن كل لفظة تتعامل معها بشأن سنة المصطفى ﴿ﷺ﴾ المبينة للقرآن الكريم وبشأن كل موضوع تتعامل معه لغويا.

وما معنى هذا التلاحم المعرفي بين ألفاظ اللغة العربية؟ معناه أن اللغة مستعملة، وأنها حية تلبي كل الاحتياجات، ومن هنا كانت اللغة العربية لا تكاد تعرف موت الألفاظ الذى تجيده سائر لغات الانسانية، هذا إلى قدرة هذه اللغة الشريفة على تلبية كل حاجة ومواكبة كل جديد.

■ وهكذا كانت اللغة العربية أغنى لغات الانسانية ببركة هذا الكتاب العزيز، إنها حية متطورة من ناحية، وإنها لا تكاد تعرف موت الألفاظ من ناحية أخرى، ومن ألطف ما يمكن الاستشهاد به دليلا على حياة هذه اللغة أن الألفاظ المرغوب عن استعمالها يكثر دورانها على الألسنة بقصد التحذير من استعمالها! إن كل طالب يدرس البلاغة ينبه إلى وجوب تحاشي لفظة مثل الهعخع بزنة هدهد، وهي اسم لضرب من النبت، ومثل لفظة مستشزرات التى جاءت فى قول امرىء القيس فى معلقته:

غدائره مستشزرات إلى العلا

والمعنى: ذوائب هذا المحبوب مرتفعات إلى أعلى.

ولا ننسى أن اللغة العربية لبت خلال العصور كل الاحتياجات التى اقتضتها سنة التطور وبخاصة فى مجال الترجمة، مما فى ذلك ترجمة كتب العلم، ولا ننسى كذلك أن اللغة العربية كانت لغة العلم فى العالمين العربي والاسلامي كله، الذين يتكلمون اللغة العربية والذين لا يتكلمون اللغة العربية، وبذلك قامت اللغة العربية بالدور العالمي، ربما لاول مرة فى تاريخ اللغات، بنجاح منقطع النظير. وإذا كانت اللغة العربية قامت فى الماضى وفى ظل الظروف الصعبة آنذاك بالدور العالمي، فما أحراها أن تقوم بهذا الدور اليوم فى ظل الوسائل السهلة الميسرة، وإن القرآن الكريم الذى حفظ اللغة العربية قديماً هو الذى يحفظها اليوم وسيحفظها غداً بإذن الله تعالى.

■ وهكذا حفظ القرآن الكريم مادة اللغة العربية من ناحية المفردات والصيغ، مظهراً من مظاهر حفظه هذه اللغة الشريفة من زاوية كونها منطوقة مسموعة، ويبقى وراء ذلك جانبان اثنان هما حفظ القرآن مخارج حروف اللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم تراكيب اللغة العربية، وإن كلا من هذين الجانبين بحاجة إلى أن نقف عنده ونبين أبعاد حفظ القرآن الكريم له.

ب ـ حفظ القرآن الكريم مخارج حروف اللغة العربية:

فيما يتصل بحفظ القرآن الكريم مخارج أصوات الأبجدية العربية أو مخارج حروفها سبق أن ألمحنا إلى أن اللغة العربية نهضت بحروف الأبجدية السامية نهضة عظيمة، وحافظت على سائر حروفها فى الوقت الذى تخلت فيه سائر اللغات السامية عن بعض الحروف، ونعتقد أن من أسباب نهوض اللغة العربية بحروف الأبجدية السامية انعزال العرب الطويل فى جزيرتهم، وكونهم أرباب الفصاحة وأئمة البيان، واعتمادهم على الانشاء واستعمال الأذن وحاسة السمع بأكثر من القراءة واستعمال العين وحاسة البصر. وربما كان لطيفاً أن نشير إلى أن اللغات السامية رتبت حروفها فى هذه الكلمات الست: أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت، وأن اللغة العربية تزيد بهذه الحروف التى تسمى بالروادف والتى تجمعها هاتان الكلمتان ثخذ ضظغ، وأن الترتيب الحالى لحروف الهجاء العربية ا، ب، ت، ث، الخ إنما قام به نصر بن عاصم الليثى التابعي الذى مات بالبصرة سنة ٨٩هـ ـ ٧٠٨م[١٨]، وانما قام نصر بن عاصم بهذا الترتيب بعد استحداث الاعجام[١٩] وربما كان لطيفاً أيضاً أن نشير إلى أن أحد عشر حرفاً من الأبجدية

العربية ليس لها ما يقابلها في الأبجديات الأوربية.

فكيف حفظ القرآن الكريم مخارج حروف الأبجدية العربية؟

■ من المعروف أن التلقي المباشر عن الشيخ أهم شروط تلاوة القرآن الكريم، وإن من ألطف ما يمكن أن يشار إليه في هذا الصدد أن أبا حيان صاحب تفسير البحر المحيط يقرر أن سلسلة الرواة بينه وبين المصطفى ﴿ﷺ﴾ برواية ورش ثلاثة عشر رجلا وبينه وبين المصطفى ﴿ﷺ﴾ برواية عاصم اثنا عشر رجلا. علماً بأنه رحمه الله تعالى رحمة واسعة، ولد بالأندلس في سنة ٦٥٤هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٤هـ. ويعلق رحمه الله تعالى على إسناد رواية ورش[٢٠]: «ومثل هذا الاسناد عزيز الوجود بيني وبين رسول الله ﴿ﷺ﴾ ثلاثة عشر رجلا. وهذا من أعلى الأسانيد التي وقعت لي» ويضيف قائلا بشأن رواية عاصم[٢١]: «وقد وقع لي في بعض القراءات أن بيني وبين رسول الله ﴿ﷺ﴾ اثني عشر رجلا، وذلك في قراءة عاصم... وهو إسناد أعلى ما وقع لأمثالنا»

ولماذا يشترط تلقى القرآن الكريم مباشرة عن الشيخ؟

لأن القرآن الكريم لا تصح قراءته إلا مجوداً. والتجويد يقوم على دعامتين اثنتين، إتقان نطق الحروف وإحسان معرفة الوقوف، ولا يتم شيء من ذلك ولا يتحقق إلا عن طريق التلقى المباشر عن الشيخ. وهكذا حفظ القرآن الكريم مخارج حروف الهجاء العربية، وفي هذه اللحظة في إمكانك أن تتمثل الكرة الأرضية، وقد وصل الاسلام بفضل الله تعالى منها حيث وصل الليل والنهار، وقد انكب المسلمون زرافات أو وحدانا على تجويد القرآن الكريم عن طريق إتقان مخارج الحروف وإحسان معرفة الوقوف، وأعنى بالوقوف معرفة الوقف والابتداء.

وإن من أكبر نعم الله تعالى على الانسانية اختراع أجهزة التسجيل، بحيث إن الواحد يستطيع أن يصغى لتلاوة القرآن الكريم في أي وقت شاء بصوت من أحب من مشاهير القراء، أجزل الله تعالى لهم المثوبة.

إن القرآن الكريم بنزوله حفظ مخارج حروف الابجدية العربية وضمن لها الخلود لان الله تعالى تكفل بحفظ هذا الكتاب العزيز إلى يوم الدين، وفى حفظ الله تعالى الكتاب العزيز حفظ لمخارج حروف الابجدية العربية عن أي تغيير أو تبديل. وإن هذا الثبات فى مخارج الحروف تعرفه اللغة العربية وحدها لانها اللغة الشريفة التى اصطفاها الله تعالى بإنزال اخر كتبه وأشرفها فيها.

وسبق أن ألمحنا إلى أن اشتراط تلقى التلميذ عن شيخه كي يجيزه للتدريس والنقل عنه بعد اطمئنانه إلى صحة تلقيه وأدائه قد انسحب على سنة المصطفى ﴿ﷺ﴾ وعلى كل فروع العلم ولا يخفى ما فى التلقى المباشر عن الشيخ من ضمان صحة التلقى والأداء. ولهذا كانت هذه الدرجة أرفع درجات تلقى العلم فى حين يأتى فى آخر درجات التلقى تلقى طالب العلم عن الكتب التى يجدها أو الصحف، وتسمى هذه الطريقة المتأخرة الوجادة، بكسر الواو، ويسمى صاحبها الصحفي والجمع صُحُفيون بضم الصاد والحاء فيهما[٢٢].

ج ـ حفظ القرآن الكريم تراكيب اللغة العربية:

لو أن سؤالا كهذا طرح على أي أمة من أمم الأرض: **هل هنالك من أمة ولد لديها علم من العلوم المتعلقة بلغتها وأدبها كاملا بحيث إن القرون التالية لا تضيف إليه شيئاً جديداً ذا بال؟** لكان الجواب بالنفي. أما لغة القرآن الكريم فإنها تفخر بأن عندها ذلك العلم الذى ولد كاملا بحيث إن القرون التالية لم تكد تضيف إليه جديداً وربما أكثر من علم وأعنى في المقام الأول علم النحو الذي ولد كاملا فى أول كتاب شامل لقواعده، وذلك فى المؤلف الذى أطلق عليه اسم الكتاب والذى وضعه إمام النحاة سيبويه ١٤٨ ـ ١٨٠هـ[٢٣] تلميذ الخليل بن احمد الفراهيدى. وأعنى بعد ذلك علم العروض الذى اخترعه الخليل بن احمد الفراهيدى ١٠٠ ـ ١٧٠هـ الذى ولد ومات بالبصرة والذى يعد بحق إمام العربية[٢٤].

■ وكيف تسنى لعلم النحو أو علم قواعد اللغة

العـربية ـ مثلا ـ أن يولد كاملا؟ وكيف تسنى لهذه العجيبة أن تتحقق؟ تسنى لعلم النحو أن يولد كاملا بسبب ثبـات المنـابـع التى استقى منهـا هذا العلم قواعده، وتسنى لهذه العجيبة أن تتحقق بسبب حفظ الله تعالى كتابه العزيز إلى يوم الدين، ذلك الكتاب العزيز الذى كان المنبع الأول الذى استقى منه علم النحو قواعده. وفى حفظ الله تعالى الكتاب العزيز من أي تحريف حفظ لعلم النحو وثبات لقواعد اللغة العربية، ليس فقط حتى يوم الناس هذا وإنما حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

إن علم النحو إنما وضعت مبادئه أساساً من أجل طرد اللحن عن القـرآن الكـريم، ولمـا كان القرآن الكريم قد نزل وفق طرائق العرب فى تعبيرها شعراً ونثراً، ولما كان المصطفى ﴿ﷺ﴾ الرسول العربي قد أوحى الله تعالى إليه السنة المطهرة كما أوحى القرآن الكـريم فقـد كان الحديث النبوى الشريف بلسان عربى كما كان القـرآن الكريم. وإن علم النحو أو علم قواعـد اللغـة العـربية إنـما استقي من القرآن الكريم وحديث المصطفى ﴿ﷺ﴾ والتراث العربى. وبسبب ثبـات المصـدر الأول أعنى القرآن الكريم ثبتت السنـة المطهـرة وثبت التراث العربى إلى يوم الناس هذا وإلى يوم الدين بإذن الله تعالى. ولما كان وضع النحو فى كتاب سيبويه شاملا وكان الثبات من سمات النبع الذى استقى علم النحو منه مادته كان الثبات من سمات قواعد علم النحو أو قواعد اللغة العربية، ومن هنا صح القول بل تأكد بأن علم النحو ولـد كامـلا وبأن اللغة العربية وحدها تعرف ولادة العلم الكامل. وإن ما قيل عن النحو يقال عن علم العروض، فبسبب ثبات القوالب الصوتية أو البحور الشعرية إلى يوم الناس هذا وإلى يوم الدين بإذن الله تعالى تأكد القول السابق وثبت الجواب بالايجاب على السؤال المطروح.

وهكذا يتبين حفظ هذا الكتاب العزيز تراكيب اللغة العربية، ليس فقط إلى يوم الناس هذا بل إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها بإذنه جل وعلا.

٢ ـ كيف حفظ القرآن الكريم اللغة العربية مكتوبة مسموعة؟

نزل القرآن الكريم على النبى الأمي مفرقاً حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال خلال ثلاث وعشرين سنة، وقد تعاون كل من الصدر والسطر، الاستظهار عن ظهر قلب والكتابة على حفظه، جاء بشأن حفظ القرآن الكريم فى الصدر قوله تعالى خطاباً للمصطفى ﴿ﷺ﴾ وتـطمينـا له عليه الصـلاة والسلام بتثبيت القـرآن الكـريم فى صدره فى سورة القيامة[٢٥]: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه﴾، وجاء فى سورة العنكبوت[٢٦] قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون، بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾.

وكان كلما نزل على المصطفى ﴿ﷺ﴾ شىء من القرآن أمر واحداً من كتبة الوحي بتدوين ما أوحى الله تعالى به إليه ووضعه فى مكانه من المصحف بناء على توجيه جبريل عليه السلام عن رب العزة، وكان للنبى ﴿ﷺ﴾ زهـاء أربعـين كاتبـاً، وكـان القـرآن الكـريم يكتب فى ضوء الحـديث الصحيح: أنـزل القرآن على سبعة أحرف[٢٧] ويرجح أن المراد بالسبعة الكثرة وليس العدد ذاته، كما يرجح أن المراد بالحديث التنبيه إلى إرادة الله تعـالى اليسر بعبـاده لا العسر استجابة لدعوة المصطفى ﴿ﷺ﴾ ربه أن يخفف على أمته التى لا تستطيع أن تقرأ القرآن على حرف واحد: «فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لجبريل: إنى بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفانى والعجوز الكبيرة والغلام. قال: فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف. قال الترمذي: حسن صحيح. وفى لفظ: فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ. وفى لفظ حذيفة (بن اليمان) فقلت يا جبريل: إنى أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة والغـلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ كتابا قط. قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»[٢٨] وكان ما يكتب من القرآن يجمع فى بيت المصطفى ﴿ﷺ﴾. ولم يكن فى الامكان جمع القرآن بين دفتي مصحف لأن

القرآن الكريم كان ينزل تباعاً عليه صلى الله عليه وسلم حتى قبيل وفاته. وتوفي صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم غير مجموع بين دفتي مصحف ولكنه كان مكتوباً كله، وولي أبو بكر الخلافة، واشتد القتل في حفاظ القرآن الكريم الكريم يوم اليمامة، وخشي عمر رضى الله تعالى عنه أن يضيع شيء من القرآن الكريم بموت الحفاظ فاقترح على أبى بكر جمع القرآن الكريم بين دفتى مصحف، وشرح الله تعالى صدر أبى بكر لذلك فكلف زيد بن ثابت الأنصاري بجمع القرآن الكريم لأن زيداً أحد الحفاظ وأحد كتبة الوحي وصاحب العرضة الأخيرة للقرآن الكريم على المصطفى ﴿ﷺ﴾، وتعاون زيد وعمر رضي الله تعالى عنهما على جمع القرآن. وتم لهما ذلك خلال عام واحد، ولما كان فتح اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب سنة اثنتي عشرة للهجرة[٢٩] فذلك معناه أن جمع القرآن الكريم تم سنة اثنتي عشرة للهجرة.

ولم يكن زيد وعمر يدونان شيئاً من القرآن الكريم إلا بعد أن يشهد شاهدان بأن ما جاءا به من قرآن مكتوب دون بين يدي المصطفى ﴿ﷺ﴾. وكان هذا الجمع في عهد أبى بكر رضي الله تعالى عنه على السبعة الأحرف المذكورة، وحينما جاء النشء الجديد الذى لم يعرف الحكمة من الأحرف السبعة والذى أخذ يفضل قراءة على أخرى رغم أنها كلها من المتواتر تم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة خمس وعشرين هجرية كتابة المصحف الامام على حرف واحد، وقد شكل عثمان رضى الله عنه لجنة رباعية يرأسها الأنصاري الخزرجى زيد بن ثابت كاتب الوحي، أما أعضاؤها الثلاثة الباقون فقرشيون وهم عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٣٠] واختلفوا في عدة المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق فالمشهور أنها خمسة، وحبس بالمدينة واحداً[٣١] وأمسك لنفسه مصحفاً الذى يقال له الإمام[٣٢] وأمر عثمان رضي الله عنه بما سوى المصحف الذى استكتبه والمصاحف التى نقلت منه وسوى الصحف التى كانت عند حفصة وردها إليها أن يحرق[٣٣] وتم ذلك الحرق بفضل الله تعالى.

■ وهكذا يتبين أن كل المصاحف في الدنيا حتى يوم الناس هذا وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها بإذنه تعالى - انها تكتب وفق كتابة المصحف الامام سنة خمس وعشرين هجرية.

وهكذا يتبين كيف اكتسب الخط الذى كتب وفقه المصحف الامام منزلته الرفيعة لأن هذا الخط اقترنت به القراءات المعروفة وكلها تدخل في الحرف الواحد الذى كتب به المصحف الشريف للمرة الأخيرة على عهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وفي هذا الخط كتب التراث الاسلامي كله.

وهكذا يتبين أن التراث العربى الاسلامي أخذ بالاسلام دين العلم يكتب وفق الطريقة التى يكتب بها المصحف الامام ويستوى في ذلك التراث العربى وتراث سائر الشعوب الاسلامية التى احتضنت هذه الكتابة وكتبت فيها تراثها كى يمكن للمسلمين جميعاً قراءة النسخة الواحدة من المصحف الشريف، وقراءة التراث الاسلامي كله الذى كتب في هذا الخط العثمانى.

بقى علينا أن نقرر أن هذا الخط العثماني كان من حيث الجوهر ثابتاً لم يطرأ عليه أي تعديل. أما من حيث الشكل وحده فقد لبى هذا الخط حاجات الامة الاسلامية فقد كان أداة مرنة في أيدى الخطاطين الفنانين من المسلمين.

لقد كان الخط الاسلامي ولا يزال مظهراً متميزاً من مظاهر فن الزخرفة الاسلامية، وكان تطور هذا الخط من حيث الشكل باهراً، وكان تطوره من زاوية كتابة المصحف الشريف فيه، وهكذا ظهرت الأنواع المختلفة من الخط كالكوفي والرقعة والنسخ والديواني والثلث وما إليها، إن كل هذه الأنواع متعلقة بالشكل وحده أما لب الخط وجوهره فلم يمسس بشيء بسبب ارتباط هذا الخط في جوهره بالمصحف الشريف وبالقراءات، ويضاف الى الشكل الذى راعى الناحية الجمالية، ثمة إضافة خارجية أو إضافتان خارجيتان راعتا هذه المرة المعنى بأكثر من الشكل، وهاتان الاضافتان الخارجيتان هما الاعجام، بمعنى إزالة العجمة بنقط بعض الحروف، والضبط بالشكل.

لقد أثبت الخط العثماني الثابت من حيث الجوهر المتطور من حيث الشكل أنه خير وعاء لنقل المصحف الشريف والسنة النبوية المطهرة من ناحية، والتراث الاسلامي كله، العربي وغير العربي من ناحية أخرى. وكان هذا الخط من أهم مظاهر وحدة الشعوب الاسلامية.

ولم تخف هذه الحقيقة على أعداء هذه الأمة فأغروا بعض الشعوب الاسلامية باستبدال الذى هو أدنى، أعنى الحروف اللاتينية، بالذى هو خير، أعنى الخط الاسلامي الذى كتب فيه المصحف الامام على عهد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، ثالث الخلفاء الراشدين. ولا يخفى ما لهذه الجريمة من أثر سيىء على الأمة الاسلامية، فبعد أن كانوا يقرأون النسخة الواحدة من المصحف الشريف بالخط العثماني لم يعد هذا الشيء موجودا اليوم، هذا إلى قطع ما بين تلك الشعوب الاسلامية التى احتضنت الحروف اللاتينية وبين ماضيها الاسلامي العريق، وقطع ما بين تلك الشعوب وبين الشعوب الاسلامية الأخرى التى لم يكف الأعداء عن الاستمرار فى محاولة تضليلها كي تستبدل هي الأخرى الذى هو أدنى بالذى هو خير.

وفى الوقت ذاته لا ننسى أن المسلمين الذين احتضنوا الحروف اللاتينية لا يزالون يقرأون القرآن الكريم المكتوب بالخط العثماني رغم محاولات الأعداء المستمرة المستميتة لكتابة المصحف الشريف بالحروف اللاتينية، ولرابطة العالم الاسلامي كبير الأثر فى قرارها الذى اتخذته بتحريم كتابة المصحف الشريف بالحروف اللاتينية للأسباب السيئة المعروفة المترتبة على ذلك، ولأن الخط العثماني ترتبط به القراءات المختلفة التى روعي احتمالها لها فى أثناء كتابة المصحف الامام على عهد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه سنة خمس وعشرين هجرية.

وهكذا يتبين كيف حفظ القرآن الكريم الكلمة العربية الاسلامية المكتوبة المقروءة.

٣ ـ كيف يحفظ القرآن الكريم اللغة العربية منطوقة ومكتوبة؟

كل أنواع الهجوم التى يشنها أعداء الاسلام والمسلمين على اللغة العربية ترجع إلى مهاجمة اللغة العربية منطوقة مسموعة فى نحوها وصرفها وموسيقى شعرها ومكتوبة مقروءة فى الخط العثماني الذى حمل بدقة منقطعة النظير القرآن الكريم بقراءاته المتواترة المختلفة وحمل سنة المصطفى ﴿ﷺ﴾ والتراث العربي الاسلامي فى اللغة العربية وسائر لغات العالم الاسلامي، أما الهدف البعيد الذى يسعى إليه أعداء الاسلام فهو أن يتحقق فينا نحن المسلمين ـ لا سمح الله ـ شكوى الرسول ﴿ﷺ﴾ المسلمين يوم القيامة إلى الله تعالى على نحو ما جاء فى هذه الآية الكريمة من سورة الفرقان[٣٤]: «وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا» فكما اتخذ القوم التوراة والانجيل وراءهم ظهرياً ففصلوا فصلا نكداً بين الدين والدولة هم يريدون لنا أن نفعل مثلهم وأن نضع القرآن الكريم ـ لا سمح الله ـ فى الأدراج أو على الرفوف كما يفعلون وأن نهجر ـ لا سمح الله ـ مثل قول الله تعالى لنا فى سورة الأنبياء[٣٥]: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ ومثل قوله تعالى خطاباً للمصطفى ﴿ﷺ﴾ ابتداء، ولكل فرد من أفراد الأمة الاسلامية تبعاً فى سورة الزخرف[٣٦]: ﴿فاستمسك بالذى أوحي إليك إنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ والذكر بمعنى الشرف والمجد والسؤدد.

وما أشبه هذه المؤامرات التى تحاك ضد اللغة العربية منطوقة ومكتوبة بتلك الجحور التى تقوم الأرانب بحفرها والتى تؤدى فى النهاية، بعد زمن قصير أو طويل، إلى انهيار البناء وسقوطه على عروشه. وإنما يتجه الخصوم إلى القرآن الكريم أخيراً لأنه معجزة هذا الدين الكبرى الخالدة وقد قال تعالى[٣٧]: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ وقال تعالى[٣٨]: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾.

فما هي الأعمال التى ينبغى القيام بها كي يحفظ القرآن الكريم - بإذن الله تعالى - اللغة العربية منطوقة ومكتوبة؟ إنها فى هيئة نقاط :.

١ - نشر الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن لكريم وتلاوته وتدبر معانيه فى كل مدينة وقرية وبيت، وإسناد الاشراف على هذه الجمعيات إلى أولى الفضل والنُّهى.

٢ - التوسع فى عقد مسابقات القرآن الكريم المحلية والعالمية من أجل تشجيع النشء على الارتباط بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وفهماً وعملا، إن الأثر الحسن لهذه المسابقات يفوق الوصف، وقد أكرم الله تعالى وزارة الحج والأوقاف فى المملكة العربية السعودية بالقيام بهذه المهمة العظيمة خير قيام. ولا يخفى أن هذه المسابقات خادمة للقرآن الكريم كي يقوم بدوره فى حفظ اللغة العربية المنطوقة.

٣ - التوسع فى طبع المصحف الشريف وذلك على غرار العمل الجليل الذى يقوم به مجمع الملك فهد - حفظه الله - لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وقد أكرم الله تعالى وزارة الحج والأوقاف بالقيام بهذه المهمة العظيمة خير قيام، ولا يخفى أن طبع القرآن الكريم يعنى حفظ هذا الكتاب العزيز للغة العربية مكتوبة، وحينما نعلم أن المسلمين فى الدنيا يزيد عددهم على الألف مليون مسلم ندرك العدد الضخم من المصاحف التى يحتاجها هذا العالم مما يعنى أن الجهود يجب أن تتضافر من أجل وصول المصحف الشريف إلى كل غرفة. وحبذا لو كان لمجمع الملك - فهد حفظه الله - لطباعة المصحف الشريف فروع فى أرجاء المعمورة، تخففاً من مؤونة الشحن، وتخلصاً مما نسمع من ثقات من أن خصوم هذا الدين حينما تصل إلى موانئهم النسخ من المصحف الشريف والكتب الاسلامية قبل أن يضعوها بالرافعة على رصيف الميناء هم يغمسونها فى ماء البحر!.

٤ - التوسع فى تسجيل القرآن الكريم بأصوات المجودين وفى ذلك خدمة للغة العربية المنطوقة المسموعة.

٥ - التوسع فى إنشاء معاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها فى البلاد العربية من أجل استضافة أبناء العالم الإسلامي وبناته، وفى البلاد غير العربية الاسلامية وغير الاسلامية. أليس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هما عماد مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بها وغير الناطقين؟ بلى. وينبغى أن تكون العناية فائقة بأبناء الأقليات الاسلامية وبناتها.

٦ - تأمين المقررات الدراسية، وتزويد المدارس بالمدرسين.

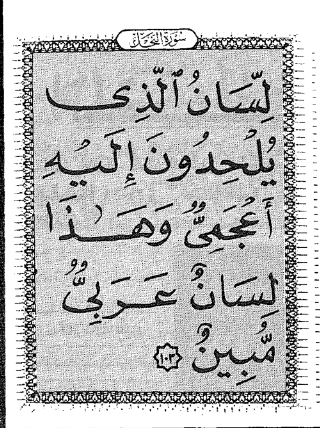
٧ - التوسع فى إنشاء المعاهد الدينية وكليات القرآن الكريم.

٨ - رفع مستوى كتاتيب القرآن الكريم الحالية.

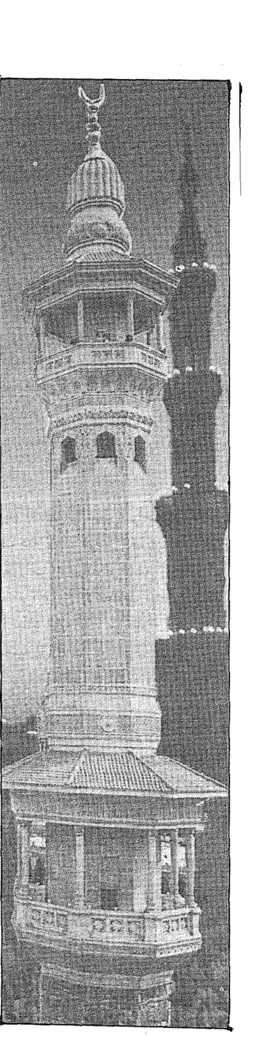
٩ - العناية بالأوقاف الاسلامية لأنها - بفضل الله تعالى - مصدر خير ثر ومستمر للإسلام والمسلمين.

الهوامش

(١) انظر هنا دراسات فى فقه اللغه د. صبحى الصالح ٣٥،٣٤ دمشق ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
(٢) يرى العلامة أولسهوزن أن اللغة العربية أقدم اللغات السامية، دراسات فى فقه اللغة ٣٧.
(٣) دراسات فى فقه اللغة ٤٩.
(٤) اللغة العربية عبر القرون، د. محمود فهمى حجارى ٣٥ القاهرة ١٩٧٨م.
(٥) اللغة العربية عبر القرون ٢٧.
(٦) اللغة العربية عبر القرون ٢٤.
(٧) اللغة العربية عبر القرون ٢٨.
(٨) النجعة بضم النون: طلب الكلأ فى مواضعه.
(٩) استعارت الشعوب الاسلامية من اللغة العربية موسيقى الشعر أو علم العروض.
(١٠) انظر دراسات فى فقه اللغة ٣٣٩.
(١١) سورة إبراهيم ٤.
(١٢) الآية ٨٨.
(١٣) الآية ١٣
(١٤) الآية ٣٨.
(١٥) الآية ٢٣.
(١٦) سورة الحجر ٩.
(١٧) اللحن الأول بمعنى حسن التعبير ودقته واللحن الآخر بمعنى الخطأ!.
(١٨) انظر المعجم الوسيط: «أبجد».
(١٩) انظر الأعلام للزركلى ٢٤/٨ والاعجام إزالة العجمة بالنقط والحركات

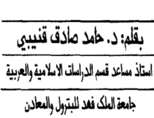


(٢٠) البحر المحيط ١/١١.
(٢١) البحر المحيط ١/١١.
(٢٢) انظر مثلا طبقات فحول الشعراء ١/١١ لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٧٤م.
(٢٣) انظر الأعلام للزركلى ٥/٨١.
(٢٤) انظر الأعلام للزركلى ٢/٣١٤.
(٢٥) الآيات ١٦-١٩.
(٢٦) الآية ٤٨ و٤٩.
(٢٧) انظر الاتقان للسيوطي ١/٦٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٤م والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى، تصوير بيروت بدون تاريخ.
(٢٨) النشر ٢٠، وانظر البرهان للزركشى ١/٢٢٧ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابى الحلبى، وتصوير بيروت بدون تاريخ.
(٢٩) معجم البلدان «اليمامة» واستمرت حروب الردة نحو سنة كاملة العسكرية العربية الاسلامية محمود شيت خطاب ٣٢ وتوفى أبو بكر سنة ثلاث عشرة للهجرة، الأعلام ٤/١٠٢
(٣٠) انظر مثلا فتح البارى حديث رقم ٤٩٨٧ و٤٩٨٤ و٣٥٠٦.
(٣١) فتح البارى ٩/٢٠.
(٣٢) النشر ٧
(٣٣) فتح البارى ٩/٢١.
(٣٤) الآية ٣٠.
(٣٥) الآية ١٠.
(٣٦) الآية ٤٣، ٤٤.
(٣٧) سورة التوبة ٣٢.
(٣٨) سورة الصف ٨.



اللغـــة

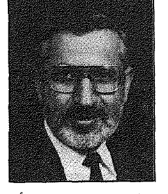
- من غير الممكن تحديد الزمن
- اللغة رموز لدلالات فكرية
- اللغة الآن أصبحت مصطلحا



بقلم: د. حامد صادق قنيبي

استاذ مساعد قسم الدراسات الاسلامية والعربية

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن



عرف ابن جنى اللغة بأنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[١] والدراسة الحديثة لم تستطع أن تضيف شيئا على هذا التعريف لتحديد وظيفة اللغة وماهيتها.

فوظيفة اللغة تحقيق الاتصال بين البشر عن طريق الصوت، والصوت الذى نعنيه هنا هو الصوت الذى يصدر عن الكائن المفكر، وقد خص الله الانسان دون المخلوقات بالقدرة العقلية المفكرة دون سائر المخلوقات الارضية، واللغة والحالة ثمرة العقل، والعقل جوهر الانسان.

ومظهر اللغة إنما يكون بتالف هذه الاصوات على نحو بالغ التعقيد تتداخل فيه مجموعات لا حصر لها من الارتباطات العقلية وما أودع الله الكائن الانسانى من موافقات وخصائص فى طبيعة خلق الية النطق لديه من أوتار صوتية، وتجويف أنفي، وأسنان، ولسان، وشفتين، ورئتين.. الخ.

■ إن النطق باللفظ الواحد ـ مثلا ـ يبدأ شعورا بالحاجة لأداء غرض معين، ومن ثم ينتقل هذا الشعور من الادراك أو العقل إلى المخ ثم يصدر المخ أمره عن طريق الأعصاب للنطق باللفظ المطلوب، وهنا تطرد الرئة قدراً من الهواء المختزن فيها ليمر من الشُعب إلى القصبة الهوائية ثم إلى الحنجرة وحبالها الصوتية، فيصوت الهواء فى الحنجرة صوتا تشكله حسبما يريد العقل.. عاليا أو خافتاً سريعا أو بطيئا، خشنا أو ناعما، ضخماً أو رفيعاً.. إلى آخر أشكال الصوت وصفاته. ومع الحنجرة اللسان والشفتان والفك والأسنان، يمر بها هذا الصوت فيتشكل بضغوط خاصة فى مخارج الحروف المختلفة، وفى اللسان خاصة يمر كل حرف بمنطقة منه ذات ايقاع معين، يتم فيها الضغط المعين ليصوت بجرس معين.. وذلك كله لفظ واحد، ووراءه العبارة، والموضوع، والفكرة، والمشاعر السابقة واللاحقة، وكل منها عالم عجيب غريب.

ومازال العلماء فى اختلاف شديد لتحديد نشأة اللغة، فمنهم من قال إنها توقيفية ألهم الله بها الانسان، جاء فى التفسير الكبير[٢]: «قال الأشعرى والجبائى والكعبى: اللغات كلها توقيفية، بمعنى أن الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الألفاظ وتلك المعاني، وبأن تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني».

وآخرون قالوا إنها تعليم واكتساب، وإنها ربما نشأت عن محاكاة الانسان لأصوات الطبيعة، أو التعبير عن انفعالاته من اللذة والألم، أو إنها مجرد اتفاق ومواضعة.

وأنا أزعم انه يمكن الجمع بين هذين الرأيين، وسأعمد إلى توضيح ما أذهب إليه من خلال تحليل نص للبيضاوي وهو يفسر الآية الكريمة: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ (البقرة/ ٣١).

قال البيضاوى[٣]: (وعلم آدم الأسماء كلها)، إما بخلق علم ضروري فيه أو إلقاء فى روعه، ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل[٤]، والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا، ولذلك يقال: علمته فلم يتعلم، و(آدم) اسم أعجمي كآزر وشالخ، واشتقاقه من الأُدمة أو الأَدمة بالفتح بمعنى الأسوة، أو من أديم الأرض.. (والاسم) باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفاً فى اللفظ الموضوع

.. وظيفتها وحقيقتها

الذي تفجرت خلاله في الانسان عبقريته اللغوية.
ولجتماعية وروحية.
عالميا نقرأ من خلالها ما يجري في نبض الآخرين.

لمعنى سواء أكان مركباً أم مفرداً مخبراً عنه أم خبراً أم رابطة بينهما، واصطلاحاً فى المفرد الدال على معنى فى نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، والمراد فى الآية إما الأول أو الثاني، وهو يستلزم الأول لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة يتوقف على العلم بالمعاني، والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعداً لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات(*) وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها، (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا إذ التقدير أسماء المسميات، فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأسماء سيما إن أريد به الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء، أو مدلولات الألفاظ. وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء.

وقول البيضاوى (إما بخلق علم ضروري بها فيه أو إلقاء فى روعه)، أى بما أودع الله خلق آدم معرفة الأسماء، وفتق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الأسماء كلها. وظاهرة النطق عند الانسان أعجوبة بحد ذاتها، إلا إن الألفة مع تكرارها تفقدها روعة الدهشة، ولنعد قليلا لنتأمل كيف يتم التفكير والادراك والتخيل وتركيب الكلمات والجمل والأفكار، وربط كل هذا بعضه مع بعض بحيث يخرج الكلام منسجماً متوازناً يهدف إلى معنى، بل كيف يتم التواصل بين البشر، وكيف يتم الانتقال من عالم الماديات المحسوسة إلى عالم التجريد والتعبير عن خلجات النفس الانسانية.

إن الطب مازال يقف عاجزا عن تقديم التفسير الشافى لهذه الظاهرة: «والحق يقال إننا درسنا عمومات الطب من أوله حتى آخره، ومع ذلك لم نستطع حتى الآن أن نفقه هذه الأسرار، كما أن الأطباء الذين يبحوث هذه القضايا يقفون مشدوهين أمام هذه الظواهر الفذة العجيبة المحيرة **﴿الرحمن. علم القرآن، خلق الانسان. علمه البيان﴾** سورة الرحمن. إن النطق فى مستواه الفكري قبل البحث عن كيفية حدوث التصويت يعد ظاهرة غير مفهومه فى عرف العلم، وحقا إن الانسان محير بتركيبه.. ثم لنتأمل على المستوى المادى، إن الحبال الصوتية بفضل تقلصها وارتخائها بالاضافة إلى عضلات اللسان، وغضاريف الحنجرة، وعضلات الوجه، وإطباق الشفتين، ثم الأجواف المحفورة فى الجمجمة هي التى تعطي الصوت رنينه الخاص لكل إنسان بحيث يكون لكل إنسان صوته المميز الخاص **﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما انكم تنطقون﴾** (سورة الذاريات/ ٢٣).

وأما الأعصاب فهي تؤدى الدور المهم فى إعطاء الأوامر إلى العضلات المناسبة بحيث تتناسق هذه العضلات مع بعضها البعض فيرتخي قسم حين ينقبض قسم آخر فلا يطغى عمل على عمل، ولا يفسد عمل عضلات عمل عضلات أخرى، فإذا انطلق الهواء من الرئتين فإن الحبال الصوتية هى التى تعترضه أولا حتى يخرج الحرف الحلقي المناسب وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والخاء والغين ثم ينطلق الى

الفم حتى يخرج من أحد زوايا اللسان أو من مقدمه أو من إطباق الشفتين، هذا بالنسبة لمخرج الحرف الواحد. وتتابع الحروف عجيب لأن الحرف الأول من الكلمة قد يكون مخرجه من الشفة بينما يكون الحرف الثاني الذى يليه مباشرة من الحلق والثالث من جانب اللسان، فإذا اكتملت الكلمة الواحدة تتابعت كلمات أخر، وتتابعت الجمل.. ويجب أن نلاحظ أن العضلات والغضاريف والحبال الصوتية مزدوجة وهناك تناسق عجيب ما بين الشطرين فاذا حصل خلل ما فى المخيخ - مثلا - الذى يقوم على تناسق عضلات التصويت حدث المرض المعروف بالرثة هو تقطع الكلمات وعدم فهم ما يقوله المريض تماماً إلا بصعوبة، ولنعلم أن هذه العملية المتكررة يشرف عليها ثلاثة أعصاب رئيسية وألياف عصبية وفروع عصبية صغيرة لا تحصى، بالاضافة إلى سبعة عشر عضلة فى الوجه، فأى ابداع وأى عظمة هذه[6].

وقول البيضاوى (والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالباً، ولذلك يقال علمته فلم يتعلم). لقد منح الله الانسان ملكة العلم والتعلم، وبهذه الملكة كون حضارته وثقافته ومعرفته وكل ما اتصل بذلك من العلوم والفنون، ولولا هذه الملكة لكان الانسان مثل بقية الحيوانات، ولكانت حاله لا تفترق فى شيء عن حال السباع وغير السباع، ولكان يعيش مثلها فى الغابات فلا علماء ولا أدباء، ولا أنبياء يخرجونه من الظلمات إلى النور، يقول الرازى[7]: هذه الآية دالة على فضل العلم، فإنه سبحانه ما أظهر كمال حكمته فى خلق آدم عليه السلام إلا بأن أظهر علمه، فلو كان فى الامكان وجود شيء أشرف من العلم لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء إلا بالعلم.. والله علّم سبعة نفر سبعة أشياء: علم آدم الأسماء ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾. وعلم الخضر الفراسة ﴿**وعلمناه من لدنا علما**﴾. وعلم يوسف علم التعبير ﴿**رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث**﴾، وعلم داود صنعة الدرع ﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم**﴾ وعلم سليمان منطق الطير ﴿**يا أيها الناس علمنا منطق الطير**﴾. وعلم عيسى عليه السلام علم التوراة والانجيل ﴿**ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل**﴾، وعلم محمداً ﴿ﷺ﴾ الشرع والتوحيد ﴿**وعلمك ما لم تكن تعلم - ويعلمهم الكتاب والحكمة - الرحمن علم القرآن**﴾.

ولا شك أن (البيان) من أفضل نعم الله على الانسان، قال تعالى: [8] ﴿**الرحمن، علم القرآن. خلق الانسان، علمه البيان**﴾، والبيان الكلام، وأصل المادة (ب ي ن) يدل دلالة صريحة على الوضوح والابانة الكاشفة، وليس (البيان) مجرد النطق الصوتي معزولا عن المشاعر والأحاسيس والأفكار على ما سبق بيانه، فالحيوان فى عمومه المطلق له لغة غريزية، وقد زوده الله بأجهزة عضوية من سمع وبصر وصوت تتفاهم بها جموعه وافراده، ولكن يظل نطق الانسان بياناً. وسمعه وعياً وادراكاً، وبصره تمييزاً وهدى. وإلا مسخت انسانية الانسان فهبط إلى دونية الدواب العجماء: ﴿مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾(البقرة/١٧١). واقرأ آيات: الأعراف **١٧٩**، والانعام **٣٩**، والاسراء **٩٧**.

وتجدر الاشارة إلى أن اختصاص الانسان بالبيان يرتبط بهذه المعجزة البيانية للنبى العربى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، قال تعالى[9]: ﴿**نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربى مبين**﴾ (الشعراء).

لقد جهد العلماء فى الوصول إلى خصوصية تميز النوع الانسانى عن عموم جنسه فى الحيوان، فكان النطق هو هذه الخصوصية المميزة لنوعنا حين يستوى مع عامة الحيوان من طعام وشراب وتناسل، وما نحتاج إليه من ضرورات البقاء المادى، ثم قالوا فى تعريف الانسان إنه (حيوان ناطق)، وإذا أضفنا إلى ذلك أن نطق الانسان (بيان) فيكون تعريف الانسان بأنه (ناطق مبين) تعريفا يرقى باللغة حتى يجعلها شطر ماهيته، وإنما كان للغة هذه المكانة لأنها دليل على القدرة العقلية المفكرة التى اختص بها الانسان دون سائر المخلوقات الأرضية، ولما كانت اللغة ثمرة العقل، والعقل جوهر الانسان، كان من المنطق أن

نقرر أن اللغة مجال هذا الجوهر ومظهره.

■ إن النطق المبين ظاهرة انسانية بحتة، وهذا يختلف أشد الاختلاف عن طبيعة الأصوات التى تصدر عن بقية الحيوانات، وصحيح أن كثيرا من الحيوانات تصدر أصواتاً تعبر عن بعض الانفعالات الأساسية القليلة مثل الألم والغضب والخوف أو الدعوة إلى الجماع الجنسي، ولكن كلام الانسان (البيان) يختلف اختلافاً جوهرياً، كما إنه أكثر اتساعاً من حيث المفردات بحيث يمكن للانسان الاتصال مع غيره بطريقة أفضل وأكثر فاعلية.

يعقد الباحث نايف خرما[10] فصلا بعنوان طبيعة اللغة، ومما ورد فيه: «وجد أن بعض لغات الحيوان والطيور تتألف من أصوات مفردة يزيد بعضها عن تلك التى تستعملها بعض المجتمعات البشرية، فالمجتمعات البشرية المختلفة تستخدم ما بين أحد عشر وسبع وستين صوتاً مفرداً، ففى اللغة الانجليزية مثلا ما يقرب من ٤٥ صوتاً، وفى اللغة الايطالية ٢٧ صوتاً، وفى اللغة العربية حوالى ٤٠ صوتاً، بينما لا يوجد فى لغة سكان جزر هاواي أكثر من ١٣ صوتاً مفرداً أما لغات الحيوانات والطيور، فإن فى لغة الطيور ما بين ١٢ و٢٥ صوتاً، وفى لغة الحيوانات الثديية الدنيا ما بين ٧ و٣٦، وفى لغة الدلفين ما بين ٧، ١٩، وفى لغة القرود المختلفة ما بين ١٠ و٣٧ صوتاً مفرداً، فالفرق إذن فى عدد الأصوات المفردة بين الانسان والحيوان ليس شاسعاً، بل إن فى لغات بعض الحيوانات عدداً من تلك الأصوات المفردة يفوق ما هو متوفر فى لغات المجتمعات البشرية كما هو واضح فى الاحصاءات المذكورة سابقاً.

ولكن هذا الاكتشاف ليس هاماً بحد ذاته. بل الأهم هو كيفية دلالة تلك الأصوات على المعاني، فهل هى دلالات مباشرة أم هي أشبه بالأصوات المفردة عند الانسان التى ليس لها دلالة مباشرة؟ ثم هل يمكن للحيوان أن يركب من تلك الأصوات رموزاً تدل دلالة غير مباشرة على المعنى المقصود؟.

ثم تأتي الاجابة عن ذلك بعد عرض نماذج من تجارب العلماء، فيقول[11]: «إن ما تطلق عليه لغة الحيوان ليست لغة حقيقية، إذ لا تتوفر فى أي منها جميع المميزات التى تتوفر فى لغة الانسان، بل هي وسائل للاتصال تختلف فى مدى تعقيدها، إلا أنها جميعا تشترك فى أنها وسائل محدودة تتألف فى معظمها من إشارات مباشرة وليست رموزاً تشير اشارات غير مباشرة كما أنها جميعاً تفتقر إلى عنصر التجديد أو الابتكار الذى يتوفر فى لغة الانسان ويشكل أهم خاصياتها».

وبقى فى قول البيضاوى ما يحتاج إلى إلقاء الضوء عليه وهو مفهومه (للاسم) فقد بين حده اللغوي وأنه من حيث الاشتقاق دال على العلامة ـ من السمة أو السمو ـ وصفات الأشياء ونعوتها وخواصها دالة على ماهياتها، والاسم دليل يرفع الى الذهن صفات المدلول عليه، و(الاسم) فى العرف هو اللفظ الموضوع لمعنى سواءا كان مركبا أم مفرداً مخبراً عنه أم خبرا أم رابطة بينهما، واصطلاحاً نحوياً فى المفرد الدال على معنى فى نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، والمراد هو المفهوم العرفي للدلالة على المعاني لأن الفضيلة فى معرفة حقائق الأشياء أكثر من الفضيلة فى معرفة أسمائها، يقول صاحب (فى ظلال القرآن)[12]: «ها نحن أولاء ـ بعين البصيرة فى ومضات الاستشراف ـ نشهد ما شهده الملائكة فى الملأ الأعلى.. ها نحن أولاء نشهد طرفاً من ذلك السر الالهي الذى أودعه الله هذا الكائن البشرى، وهو يسلمه مقاليد الخلافة، سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها ـ وهي ألفاظ منطوقة ـ رموزاً لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة. وهى قدرة ذات قيمة كبرى، لو لم يوهب الانسان القدرة على الرمز بالأشياء للمسميات، والمشقة فى التفاهم والتعامل حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شىء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه.. الشأن شأن نحلة فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا باستحضار جسم النحلة! الشأن شأن جبل، فلا سبيل إلى التفاهم عليه الا بالذهاب الى الجبل!.. إنها مشقة هائلة لا تتصور معها الحياة! وإن الحياة ما كانت لتمضى فى

طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن على الرمز بالأسماء للمسميات».

ويحسن أن نعرض لمفهوم اللغة: حقيقتها ووظيفتها في الدرس اللغوي الحديث. أما من حيث حقيقة اللغة فلقد انتهى الدرس الحديث إلى أن أصل اللغة غامض مجهول لا فائدة من البحث فيه. يقول الدكتور عبد الصبور شاهين[١٣]: «ليس من الممكن تحديد الزمن الذى تفجرت خلاله فى الانسان عبقريته اللغوية، فذلك أمر يتعلق بالغيب التاريخي، الذى يطلقون عليه: (ما قبل التاريخ). وليس من الممكن أيضاً اعطاء صورة واضحة عن الخطوات الأولى للانسان فى طريق اللغة، وإن كان من المؤكد أن اهتداء هذا الانسان إلى استخدام صوته، فى شكل حرف معبر هو صورة هذه العبقرية المتفجرة، وهو فى الواقع بداية للحياة الانسانية الحقة التى تمخضت عن الحضارات الكبرى المتتابعة، بل عن الأديان والرسالات السماوية، التى خاطبت الانسان فى كل زمان ومكان بوحي الله: **﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك، منهم من قصصنا عليك، ومنهم من لم نقصص عليك﴾** (غافر/ ٧٨).

وينكر (فندريس) القول بأصل اللغات، وينادى باستحالة الوصول إلى نتيجة قطعية تبين الصورة التى بدأ يتكلم فيها: فهناك لغات تنتسب إلى تواريخ منها القديم، ومنها الأقدم. ويقرر أنه يمكننا أن نعرف بعض اللغات الحديثة فى صورة قديمة ترجع إلى أكثر من عشرين قرناً، ولكن أقدم اللغات المعروفة، اللغات الأمهات كما تسمى احياناً، لا شيء فيها من البدائية، ومهما اختلفت عن لغاتنا الحديثة فإنها تفيدنا علماً بالتغيرات التى طرأت على الكلام، ولا تدلنا على شيء من كيفية نشوئها[١٤].

أما وظيفة اللغة فهى تحقيق الاتصال بين المتكلمين، وإنه لا قيمة للأصوات والكلمات والصيغ والتراكيب إلا بمقدار ما يتعارف المجتمع على أنها رموز للدلالة: «أليست هذه الألفاظ العامة التى نستعملها: كالشجرة، والانسان، والبشرية، والحرية، أشبه بالرموز الرياضية؟ أليست أشبه بالنقود التى يرمز بها الى القيم؟ أو لم تكن الرموز الرياضية والاقتصادية وسيلة للرقى في الميدانين الفكري والاقتصادي؟ وكذلك اللغة، فهي لم تقتصر على كونها معبرة عن التفكير، بل كانت كذلك أداة انمائه وارتقائه.. ؟»[١٥].

وعلى ما ذهب إليه فيليب لوكوربييه Philippe Le Corbeller إذ يرى أن الكلام كان هو الخطوة الأولى التى خطاها الانسان فى مجال الاتصال حتى يمكن القول إن اللغة هى نوع من الشفرة Code التى تشير أو ترمز إلى أشياء معينة أو ترمز إليها، وبذلك فإن صوتاً معيناً يشير أو يرمز إلى الألم أو إلى الخوف. كما أن نقطة أو شرطة معينة فى شفرة (مورس) تشير إلى حرف معين.

ولقد غدت دراسة اللغات فى الوقت الحاضر من أهم الدراسات، فإنه ولتعدد وسائط الالتقاء بين مجتمعات العصر الذى نعيشه فقد شاعت مصطلحات موحدة غدت رصيداً مشتركاً بين جميع الأمم، ناهيك عما رافقها من أفكار وأساليب فى طرائق العيش والحضارة. ولكن المهم هنا أن الانسان ظل يعتمد اللغة والكلام وسيلة لتحقيق أغراضه. ورغم أن ما يستخدمه الانسان من ألفاظ لها معان محددة فى معجمه، إلا أن هذه الألفاظ بدأت تأخذ دلالات جديدة تبعاً للطريقة التى تنطق بها والاشارات المصاحبة لها.

وربما كان المتخصصون أو المشتغلون بالعلوم الطبيعية عموماً من أشد الناس حرصاً على تحديد مدلول اللفظ عندهم حتي لا يساء استخدامه للتأثير فى أفكار الآخرين وآرائهم ووجهات نظرهم ومشاعرهم. لذلك نرى حرص هؤلاء النفر على لغة موحدة للمصطلحات.

ووجد الانسان العادى نفسه فى حاجة إلى اعتماد الأسلوب العلمى فى التفكير والسلوك ليعيش الانسجام مع عصره. عصر العلم والتقنية.

---

(١) ابن جني. الخصائص ١/٤٤.

(٢) الرازي. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ٢/١٧٥.

(٣) البيضاوى، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ) أنـوار التنـزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ص٢٤. مصور عن طبعة استانبول، المطبعة العثمانية، ١٣٠٥هـ.

(٤) التسلسل: ترتيب أمور غير متناهية (تعريفات الجرجاني).

(٥) المتخيلة: هي القـوة التى تتصرف فى الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة وتصرفها، أما الموهومات فهى قضايا يحكم بها الوهم فى أمور محسوسة (كله عن تعريفات الجرجاني).

(٦) الدكتور خالص جلبى. الطب محراب الايمان، ص ١٤٣.

(٧) التفسير الكبير ٢/١٨٧. (٨) سورة الرحمن: ١-٤.

(٩) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(١٠) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.

(١١) المرجع نفسه، ص ١٤٥.

(١٢) سيد قطب، الـظلال ١/٦٧، طبعـة دار الـتراث العـربى، بيروت، ط الخامسة، ١٩٦٧م.

(١٣) اللغة العربية لغة العلوم والتقنية.

(١٤) انظر: فندريس، اللغة، ص٢٩-٣٠.

(١٥) المبارك، فقه اللغة، ص٢.

قوة اللغة من قوة أهلها

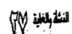
من حسن حظ اللغة العربية أنها ارتبطت بالاسلام وصار تعليمها واجبا من الواجبات الدينية.. فتلاوة القرآن الكريم فرض مكتوب على المسلم.. والاسلام يحث على حفظ القرآن أو حفظ اجزاء منه.. وقد أتاح ذلك للغة العربية أن تنتشر وأن تحفظ وتظل غضة على مر العصور.. لم يطرأ عليها أدنى تعديل.. لأنها لغة الكمال.. فاللغة العربية ليس لها طفولة ولا شيخوخة.. والسر فى ذلك هو الاسلام.. لأن العربية جزء من الاسلام ووعاء له تنتشر بانتشاره وتقوى بقوته ويرتفع شأنها بارتفاع شأنه.

لقد فتح الاسـلام بقرآنه الكريم القلوب.. فإذا أهل البلاد يقبلون على الاسلام ويدخلون فيه أفواجا ويتعلمون اللغة العربية ويهجر كثير منهم لغاتهم الأصلية جاعلين المقام الأول لهذه اللغة باعتبارها لغة الدين الذى اعتنقوه واصبحوا شركاء فى حمله والجهاد فى سبيل نشره ونشر لغته.

ولقد استمدت اللغة العربية قوتها من قوة الدولة الاسلامية وان ما أصاب العربية فى القرون الأخيرة جزء مما أصـاب الأمـة الاسـلامية حين تحكم فى مقاليدها أعداؤها.. فأخذ كل شعب يبحث فى التاريخ عن جذوره وهـويته.. وترتب على ذلك احياء لغاتها القديمة والتخلي عن لغة القرآن الكريم عن طريق الإذعان لثقافات الغرب المسموعة.

ونحن ـ والحمد لله ـ نشهد فى السنوات الأخيرة صحوة اسلامية فى سائر أقطار العالم الاسلامي.. وهى صحوة تبشر بعودة الاسلام إلى الحياة من جديد.. ولا شك أن نصيب اللغة العربية من هذه الصحوة نصيب كبير.

(الشيخ رشدي أدهم امام)
المرشد الديني للمسلمين فى اليونان



مصادر لغتنا العربية

بقلم: أ.د. احمد محمد قاسم
مستشار الدراسات العليا لوكالة الرئاسة العامة لكليات البنات

- **قريش أفادت كثيرا من لغات العرب، فانتقت أحسنها.**
- **لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا يحيط بجميعها غير نبي.**
- **علماء العربية القدامى كانوا أكثر حرصا عليها، وأشد دقة.**
- **التنافس القوي بين مدرستي البصرة والكوفة أثرى اللغة العربية كثيرا.**

ولا عجب أن نجد العباقرة من أسلافنا يجمعون أصول النحو ويضعون أسسه وقواعده ويرفعون بنيانه بصدق وإخلاص، وصبر وعزيمة لا تلين، فكان الواحد منهم لا يوجد إلا في حلقة علم، أو قاعة بحث، أو ميدان مناظرة أو جلسة تأليف، أو في رحلة إلى البوادي والنجوع للوقوف على اسرار اللغة وجمع قواعدها من مصادرها الأصلية.

وهؤلاء تركوا تراثا قيما مدونا انتفع به تلاميذهم وخلفاؤهم وتوارثته الأجيال وتعاقبت عليه طوائف علماء اللغة والنحو وتنافسوا في تشييد أركان قواعد اللغة وأصولها وإقامة بنيانها على أسس سليمة مستمدة من مصادرها لذا فإن تراثهم الذي خلفوه وراءهم نفيس للغاية لأنهم بذلوا فيه جهدا خارقا لا يرقى إليه كثير من علماء العلوم الاخرى.

ولقد اختلف العلماء في أصل وضع اللغة العربية، هل هي من وضع الله سبحانه وتعالى أم هي من وضع البشر؟.

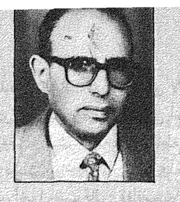
فنرى القرطبي يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿وعلم آدم الاسماء كلها﴾[2]:

«اختلف أهل التأويل في معنى الأسماء التي علمها [الله تعالى] لآدم عليه السلام، فقال ابن عباس: علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها ثم يقول: قلت: وقد روى هذا المعنى مرفوعا على ما يأتي وهو الذي يقتضيه لفظ «كل» إذ هو موضوع للاحاطة والعموم»[3] ثم يقول: قال ابن منداد: **في هذه الاية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفا وأن الله تعالى علمها ادم عليه السلام جملة وتفصيلا).**

ويميل الأزهري أيضا إلى أن اللغة توقيف فيقول **(لسان العرب أوسع الالسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا وما نعلم أحدا يحيط بجميعها غير نبي ولكنها لا يذهب منها شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها)**[4] ولكن ابن منظور يرى أن لغة العرب ليست مما تلقاه آدم عن ربه وإنما هي لغة يعرب بن قحطان فقال[5] «اختلف الناس في العرب لم سموا عرباً؟ فقال بعضهم: **أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان،** وهو أبو اليمن كلهم وهم العرب العاربة، ونشأ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام معهم فتكلم بلسانهم، فهو وأولاده العرب المستعربة، وقيل إن أولاد اسماعيل نشأوا بعربة وهي من تهامة فنسبوا إلى بلدهم وروى أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: «خمسة أنبياء من العرب وهم: محمد واسماعيل وشعيب وصالح وهود صلوات الله عليهم» وهذا يدل على أن لسان العرب قديم وهؤلاء الانبياء كلهم

.. وقواعدها

لغتنا العربية إحدى اللغات الحية التى قامت على وجه الارض فأدت رسالتها كاملة على خير وجه، فعبرت عن حاجات المجتمع من امال والام وعلوم وفنون وسارت مع المجتمعات العربية تستوعب كل جديد، وتتسع لكل مبتكر، فهى أداة طيعة للتفاهم، تستخدم للابانة عن الاغراض، والكشف عما فى النفوس، ولا شك أن العلوم النقلية ـ على قدر جلالها ـ لا يمكن الالمام بها ومعرفة أسرارها إلا بالوقوف على قواعد اللغة، ومعرفة أصولها ودقائقها، وإذا كانت اللغة العربية قد استمدت معظم أصولها من القرآن الكريم، والاستشهاد بآياته، فإن العالم المفسر لا يستطيع أن يفهم كتاب الله ويقف على أسرار آياته إلا إذا ألم بقواعد اللغة، ولذلك قال أبو البركات الانبارى ما خلاصته[1] (إن الائمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه (أى النحو) شرط فى رتبة الاجتهاد وأن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يتعلم النحو فيعرف به المعانى التى لا سبيل لمعرفتها بغيره، فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه لا تتم إلا به).



الكاتب فـي سـطـور

- تخرج فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر.
- حصل على الماجستير والدكتوراة من نفس الكلية.
- عمل وكيلا لكلية اللغة العربية بالزقازيق ثم عميدا لها.
- عمل استاذا في مجموعة من الجامعات العربية.
- يعمل الآن مستشارا للدراسات العليا بوكالة الرئاسة العامة لكليات البنات فى الرياض.

كانوا يسكنون بلاد العرب» ثم قال: **(وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهم عرب)** وقال أيضا «قال قتادة: كانت قريش تجتبى أى تختار أفضل لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن بها» وإذا كان ابن منظور يرى أن لغة العرب ليست مما تلقاه آدم عن ربه وأن أول من نطق بالعربية هو يعرب بن قحطان فإنه لم يحدد لنا كيف أنطق الله يعرب بن قحطان بهذه اللغة ولم يبين لنا ما إذا كان ذلك على سبيل الالهام أو غيره».

ولكن ابن جنى يفصل الكلام فيما قيل عن أصل اللغة فيقول:[6] «حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم واختلف هل هى من وضع الله أم البشر؟ على مذاهب:

أحدها وهو مذهب الاشعرى: أنها بوضع الله واختلف على هذا، هل وصل إلينا علمها بالوحى إلى نبى من أنبيائه؟ أو بخلق أصوات فى بعض الأجسام؟ تدل عليها وإسماعها لمن عرفها ونقلها، أو بخلق العلم الضرورى فى بعض العباد بها على ثلاثة آراء:

أرجحها الاول ويدل له ولأصل المذهب قوله تعالى ﴿وعلم آدم الاسماء كلها﴾[7] أى أسماء المسميات، قال ابن عباس: علمه اسم الصفحة والقدر وغيرهما، وفى رواية عنه عرض عليه أسماء ولده إنسانا إنسانا والدواب، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس أخرجهما ابن أبى حاتم فى تفسيره، وتعليمه تعالى دال على أنه الواضع [للغة] دون البشر وأن وصولها بالوحى إلى آدم» ولقد رجح ابن جنى هذا الرأى[8] ونقله عن شيخه أبى على الفارسي.

والمذهب الثانى: أنها اصطلاحية من وضع البشرثم قيل: وضعها آدم عليه السلام، وتأول ابن جنى الآية على أن معنى (علم آدم) أى أقدره على وضعها، وقيل أصل اللغات كلها من الأصوات المسموعات، كدوى الريح والرعد، وخرير الماء، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونهيق الحمار ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد واستحسنه ابن جنى وقال: «وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل»[9].

والمذهب الثالث: الوقف أى لا يدرى أهى من وضع الله تعالى أم من وضع البشر لعدم دليل قاطع على ذلك، واختار ابن جنى هذا الرأى أخيرا حيث قال: «فأقف بين تين الخلتين حسيرا وأكاثرهما فأنكفىء مكثورا، وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف باحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها قلنا به وبالله التوفيق»(١٠).

ويعلق على ذلك محقق الخصائص الشيخ محمد على النجار بقوله: «يبدو من هذا أن مذهب ابن جنى فى المبحث: الوقف، فنراه لا يجزم بأحد الرأيين: الاصطلاح والتوقيف وقد صرح بهذا ابن الطيب فى شرح الاقتراح».

وإذا كانت اللغة توقيفية أو اصطلاحية فهل وضعت فى وقت واحد؟ قال ابن جنى: «الصواب رأى أبى الحسن الأخفش سواء قلنا بالتوقيف أم بالاصطلاح: **أن اللغة لم توضع كلها فى وقت واحد بل وقعت متلاحقة متتابعة فإ نها لابد أن يكون وقع فى أول الامر بعضها ثم احتيج فيما بعد للزيادة عليه لحضور الداعى إ ليه فزيد فيها شيئا فشيئا إ لا أنه على قياس ما كان منها فى حروفه وتأليفه وإ عرابه المبين عن معانيه لا يخالف الثانى الاول)**(١١).

ولكن الشيخ محمد الطنطاوى صاحب «نشأة النحو» لم يرجح رأيا فى هذا الموضوع بل ترك الأمر من غير تحديد فقد قال فى صدر تمهيده لمؤلفه:(١٢) «نشأت اللغة العربية فى أحضان جزيرة العرب خالصة لأبنائها منذ ولدت نقية سليمة مما يشينها من أدران اللغات الأخرى ثم يبين أنه كان لأسواق العرب التى كانت تقام بأرضهم طوال العام أثر كبير فى قوة اللغة ورفعة شأنها ومن إشهر الأسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز التى كان يتبارى فيها مداره الخطباء ومفوهوا الشعراء من القبائل المتنائية الاصقاع يعرضون فيها مناظراتهم ومنافراتهم ومعاظماتهم وكل ما يعن لهم فى جيد الخطب وبديع الشعر فقد عاد ذلك على اللغة بتثبيت دعائمها وإحكام رسوخها وجودة صملها وبقيت كذلك متماسكة البنيان غير مشوبة بلوثة الأعاجم».

■ وهكذا كانت اللغة لها مكانتها السامية ومنزلتها الرفيعة يغار عليها أبناؤها ويحرصون على قوتها ونقائها من اللحن، بل كانوا يعجبون لمن يلحن كيف يرزق قال ابن قتيبة: «روى أن أعرابيا دخل السوق فسمع بعض العرب يلحنون فقال: سبحان الله! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح!!»(١٣).

والحقيقة أن اللغة كانت قبل الاسلام وفى بدايته قوية صحيحة فصيحة سليمة البنيان إ لى أن اختلط العرب بالأعاجم فظهر اللحن على ألسنتهم وامتد ذلك إ لى القرآن الكريم ومن هنا ألحت الضرورة لوضع قواعد اللغة لضبط الالسنة وعصمتها من اللحن والخطأ وكان بدء التفكير فى وضع قواعد النحو فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل على يد على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقد جمع كثيرا من الأسماء والأفعال والحروف وأعطاها لأبى الأسود الدؤلى وبين له أنواعها وقال له انح هذا النحو(١٤) فكان ذلك نواة لمادة النحو العربى وكان شأنه فى ذلك شأن أى شىء يولد، فقد ولد فى القرن الأول الهجرى ضعيفا محتاجا إلى العناية والرعايه ثم حبا بعد ذلك فى أوائل القرن الثانى الهجرى ثم نما عوده فأصبح شابا يافعا فتيا فى أواخر هذا القرن وأوائل القرن الثالث الهجرى فقد ظهرت كوكبة من أئمة اللغة والنحو فوضعوا الأسس والدعائم واستمدوا أصول اللغة وقواعدها من كلام العرب ومن هؤلاء الأئمة الأعلام: الخليل بن احمد المتوفى سنة ١٦٠هـ ويونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣هـ وسيبويه المتوفى سنة ١٨٣هـ وأبو الحسن الكسائى المتوفى سنة ١٨٩هـ وأبو زكريا الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ وأبو عمر الجرمى المتوفى سنة ٢٥٥هـ وأبو عثمان المازنى المتوفى سنة ٢٤٨ أو ٢٤٩ أو ٢٣٠هـ فى أحد الأقوال وأبو العباس المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ وأبو العباس ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ وغيرهم من جهابذة العلماء وأئمة اللغة.

ولقد اهتم هؤلاء بالقواعد الأصولية للغة حيث قاموا بجمع أصول العربية من السماع والاجماع والقياس واستصحاب الحال،

والسماع هو الاحتجاج بمن يوثق بفصاحته فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم وكلام نبيه ﴿ﷺ﴾ الوارد إلينا عنه نصا وكذلك شمل كلام العرب ممن توثق بعربيتهم وفصاحتهم قبل بعثة النبى ﴿ﷺ﴾ وفى صدر الاسلام نظما ونثرا عن مسلم أو كافر إلى أن فسدت الألسنة للاختلاط بالأعاجم وكثرة المولدين.

فالقرآن الكريم مصدر من مصادر اللغة التى يحتج بها فى العربية سواء أكانت القراءة متواترة أم آحادا بل يحتج بالقراءة الشاذة أيضا قال السيوطى: «وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا بل لو خالفته يحتج بها»[١٥] ثم قال: «وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحويين، وإن اختلف الاحتجاج بها فى الفقه ومن ثم احتج عى جواز إدخال لام الأمر على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بقراءة: (فبذلك فلتفرحوا)[١٦] واحتج على صحة قول من قال إن الله أصلها «لاه» بما قرىء شاذا: (وهو الذى فى السماء لاهٌ وفى الأرض لاهٌ)[١٧].

وأما الحديث الشريف فيحتج بما ثبت أنه من لفظ رسول الله ﴿ﷺ﴾ وذلك قليل لذا نرى الكثيرين من النحاة لم يحتجوا بالحديث الشريف لأمور: منها أن معظم الاحاديث مروى بالمعنى، ولأن الأعاجم والمولدين قد تداولتها قبل تدوينها فزادوا عليها ونقصوا منها، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظا بألفاظ ولهذا ترى الحديث الواحد فى الموضوع الواحد مرويا على أوجه شتى، ولأن بعض الرواة الأعاجم وقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون ذلك.

ولذلك قال أبو البركات الانبارى عند الكلام عن منع «أن» فى خبر كاد: «وأما حديث (كاد الفقر أن يكون كفرا) فإنه من تغييرات الرواة لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد»[١٨].

وأما كلام العرب فيحتج بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم لذا لا يحتج بكلام أهل الحضر ولا من هم فى أطراف بلاد العرب لمجاورتهم لغيرهم ممن خالطوا الأعاجم.

وإذا كان النحو قد نشأ بالبصرة فإن البصرة أنشئت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونزح إليها واستوطنها صفوة من القبائل العريقة فى الفصحى فاتخذوها دارهم وأكثرهم من قيس وتميم وكان قريبا منهم «المربد» وهى سوق صارت فى الاسلام معادلة لسوق عكاظ فى الجاهلية فكانت فيها النوادى الأدبية، والمجامع الثقافية، وحلقات الانشاد والمفاخرة والمنافرة والمعاظمة ومجالس العلم والأدب، وكان الشعراء يؤمونه ومعهم رواتهم، وكان لفحولهم حلقات خاصة فيه قال الاصفهانى «وكان لراعى الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد يجلسون فيها»[١٩].

كما كان العلماء والأدباء والأشراف ينزلون فيه للمذاكرة والرواية والوقوف على ملح الأخبار، كذلك كان اللغويون يأخذون عن أهله ويدونون ما يسمعون، كما أن النحاة كانوا يسمعون فيه ما يصحح قواعدهم ويؤيد مذهبهم ويدعم آراءهم، وكثيرا ما نجد التنويه عنه فى تراجم النحاة واللغويين[٢٠].

ولم يكتف علماء البصرة بذلك بل أجهدوا أنفسهم فارتحلوا الى البوادى والنجوع وشرقوا وغربوا وتحملوا الشهور والاعوام تفانيا فى التثبت بأنفسهم من سلامة ما يروون عن العرب، وعن هؤلاء أخذت علوم العربية، وفى أيامهم دونت.

روى أن أبا الحسن الكسائى سأل الخليل بن احمد من أين أخذت علمك؟ فقال من بوادى نجد والحجاز وتهامة. فسلك الكسائى طريق الخليل ونهج نهجه وخرج إلى الأماكن التى استقى منها الخليل علمه ثم رجع بعد أن أنفد خمس عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ من أهل البادية وحين عاد إلى البصرة وجد الخليل قد مات وجلس فى موضعه يونس بن حبيب البصرى فجرت بينهما مسائل ومناقشات أقر له يونس فيها وصدره فى موضعه مع أن الكسائى كان كوفيا[٢١].

ولقد كان للتنافس الشديد بين البصرة والكوفة أثر كبير فى جمع أصول اللغة ووضع قواعدها فقد كانت تعقد المساجلات والمناظرات بين علماء البلدين رغبة فى الوصول

إلى الحقائق واعتزازا بما لديهم، وأملا فى الحظوة عند الخلفاء والامراء، ومن ذلك مناظرة الكسائى وسيبويه، ومناظرة الكسائى والأصمعى، ومناظرة المبرد وثعلب وكان المتناظرون يستشهدون فى مناظراتهم بفصيح كلام العرب وأشعارهم وكانوا يفخرون ويتباهون بأنهم استمدوا مصادر اللغة وأصولها من البوادى والنجوع العربية الأصلية، وفى ذلك يقول الرياشى البصرى: «نحن نأخذ اللغة عن حرشة[22] الضباب، وأكلة اليرابيع، وهؤلاء - يقصد الكوفيين - أخذوا اللغة عن أهل السواد[23]، أصحاب الكواميخ[24]، وأكلة الشواريز»[25] لذا فإنهم لم يحتجوا بكلام المولدين والمحدثين وقيل إن آخر من استشهد بشعره هو ابراهيم بن هرمة، وإن أول المحدثين بشار بن برد وإن كان سيبويه قد احتج ببعض شعره.

وكما أن «الاجماع» حجة من الحجج الشرعية فإنه حجة من حجج النحاة واللغويين، قال فى الخصائص: «وإنما يكون حجة إذا لم يخالف المنصوص ولا المقيس على المنصوص وإلا فلا، فإنه لم يرد فى قرآن ولا سنة أنهم يجتمعون على الخطأ[26].

وقال السيوطى: «وإجماع العرب حجة ولكن أنى لنا بالوقوف عليه، ومن صوره أن يتكلم العربى بشىء ويبلغهم ويسكتون عليه»[27] كما أنه استدل على حجية الاجماع بما ذكره ابن مالك[28] من جواز توسيط خبر «ما» الحجازية مع نصبه بقول الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم

إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

فالفرزدق كان له أضداد من الحجازيين والتميميين ولم يرد عنهم تصويب قوله فعدم نقل ذلك عنهم دل على اجماعهم على صواب قوله[29].

ولم تقف اللغة العربية على المسموع عن العرب فحسب بل تجاوزت ذلك إلى القياس فالقياس أحد مصادر اللغة وقد عرفه ابو البركات الانبارى بأنه: (حمل غير المنقول على المنقول إذا كان فى معناه)[30]، وقال: وهو معظم أدلة النحو والمعول فى غالب مسائله عليه كما قيل «إنما النحو قياس يتبع» ولهذا قيل فى حده: إنه علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب» وعلق السيوطى على ذلك بقوله «فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو لا يعلم أحد من العلماء أنكره لثبوته بالدلالة القاطعة وذلك أنا أجمعنا على أنه إذا قال العربى: كتب زيد فإنه يجوز أن يسند هذا الفعل إلى كل اسم مسمى يصح منه الكتابة نحو عمرو وبشر وأزدشير، إلى مالا يدخل تحت الحصر وإثبات مالا يدخل تحت الحصر بطريق النقل محال»[31] ثم قال: «وكذلك القول فى سائر العوامل الداخلية على الأسماء والأفعال الرافعة والناصبة والجارة والجازمة فإنه يجوز إدخال كل منها على مالا يدخل تحت الحصر وذلك متعذر بالنقل فلو لم يجز القياس واقتصر على ما ورد فى النقل من الاستعمال لبقى كثير من المعانى لا يمكن التعبير عنها وذلك مناف لحكمة الوضع فوجب أن يوضع وضعا قياسيا عقليا لا نقليا بخلاف اللغة فإنها وضعت وضعا نقليا لا عقليا فلا يجوز القياس فيها بل يقتصر على ما ورد به النقل. ألا ترى أن «القارورة» سميت بذلك لاستقرار الشىء فيها، ولا يسمى كل مستقر فيه قارورة، وكذلك سميت الدار دارا لاستدارتها ولا يسمى كل مستدير دارا».

كذلك من الاصول النحوية التى يعتد بها «استصحاب الحال» وهو كما قال الأنبارى «إبقاء الحال على ما يستحقه فى الأصل عند عدم دليل النقل فى الأصل.. وهو من الأدلة المعتبرة كاستصحاب حال الأصل فى الاسماء وهو «الاعراب» حتى يوجد دليل البناء، وحال أصل الأفعال وهو «البناء» حتى يوجد دليل الاعراب»[32] وقال فى الانصاف[33] «احتج البصريون على أنه لا يجوز الجر بحرف محذوف بلا عوض بأن قالوا أجمعنا على أن الاصل فى حروف الجر أن لا تعمل مع الحذف وإنما تعمل معه فى بعض المواضع إذا كان لها عوض ولم يوجد هنا فبقى فيما عداه على الأصل والتمسك بالأصل تمسك باستصحاب الحال وهو من الأدلة المعتبرة» وقال ابن مالك: «من قال إن كان وأخواتها لا تدل على الحدث فهو مردود بأن الأصل فى كل

الأفعال الدلالة على المعنيين [أى الحدث والزمان] فلا يقبل إخراجهما على الأصل إلا بدليل»[34].

ويقول السيوطى: «والمسائل التى استدل فيها النحاة بالأصل كثيرة جدا لا تحصى كقولهم: الأصل فى البناء السكون إلا لموجب تحريك، والاصل فى الحروف عدم الزيادة حتى يقوم دليل عليها من الاشتقاق ونحوه، والاصل فى الاسماء الصرف والتنكير والتذكير وقبول الاضافة والاسناد»[35].

ومع أن الأنبارى قد قال: إن استصحاب الحال من الأدلة المعتبرة كما سبق إلا أنه قال إنه من أضعف الأدلة ولهذا لا يجوز التمسك به ما وجد هناك دليل فلا يجوز التمسك به فى اعراب الاسم مع وجود دليل على البناء من شبه الحرف أو تضمن معناه[36].

تلك أهم الأصول التى استقى منها النحاة قواعدهم ذكرتها بإيجاز وهناك عدد من المصادر الأخرى التى استمد منها النحاة أصولهم كالاستدلال بالعكس أو بيان العلة أو عدم النظير أو الاستحسان أو الاستقراء أو التعارض والترجيح ويمكن الرجوع فى ذلك إلى المصادر التى عنيت بذلك كأصول النحو لابن السراج ولمع الأدلة وجدل الاعراب وأسرار العربية للأنبارى والاقتراح للسيوطى والله أعلم.

الهوامش

(١) انظر الفصل الحادى عشر من لمع الادلة.
(٢) الآية رقم ٣١ من سورة البقرة.
(٣) انظر تفسير القرطبى جـ١ ص٢٤٧.
(٤) انظر تهذيب اللغة جـ١ ص٤.
(٥) انظر لسان العرب جـ١ ص٥٨٧ «عرب».
(٦) انظر الخصائص جـ١ ص٣٣.
(٧) الآية رقم ٣١ من سورة البقرة.
(٨) المرجع السابق جـ١ ص٤٠.
(٩) المرجع السابق جـ١ ص٤٦-٤٧ والاقتراح ص٣٢.
(١٠) الخصائص جـ١ ص٤٧.
(١١) المرجع السابق جـ٢ ص٢٨-٢٩.
(١٢) انظر نشأة النحو ص٧.
(١٣) انظر عيون الأخبار جـ٢ ص١٥٨.
(١٤) انظر نزهة الألباء ص٣.
(١٥) انظر الاقتراح ص٤٨.
(١٦) الآية رقم ٥٨ من سورة يونس.
(١٧) الآية رقم ٨٤ من سورة الزخرف.
(١٨) انظر الانصاف حـ٢ ص٥٦٧.
(١٩) انظر الأغانى أخبار جرير جـ٨ ص٢٩.
(٢٠) انظر نشأة النحو ص٩٨.
(٢١) انظر نزهة الألباء ص٤٣.
(٢٢) أى صائدى الضباب.
(٢٣) سواد العراق: ما بين البصرة والكوفة وما حولها.
(٢٤) نوع من الأدم أو المخللات المشهية.
(٢٥) اللبن الثخين وانظر الاقتراح ص٧٠.
(٢٦) انظر الخصائص جـ١ ص١٨٩.
(٢٧) انظر الاقتراح ص٨٩-٩٠.
(٢٨) انظر التسهيل ص٥٦-٥٧.
(٢٩) انظر الاقتراح ص٩٠.
(٣٠) انظر جدل الاعراب ص٤٥ ولمع الأدله الفصل الحادى عشر.
(٣١) انظر الاقتراح ص٩٥.
(٣٢) انظر جدل الاعراب ص٤٦ ولمع الادله ص١٤١.
(٣٣) المسألة ٥٧ جـ١ ص٣٩٦.
(٣٤) انظر التسهيل ص٥٢-٥٣.
(٣٥) انظر الاقتراح ص١٧٣.
(٣٦) انظر لمع الادلة ص١٤٢.

ابن السكيت يعقوب بن اسحق

(٨٠١ - ٨٥٧) لغوى، مات بسامرا، وأصله من دورق بالاهواز، ويظن أنه ولد ببغداد، أخذ عن أبيه، والشيبانى، والفراء، وابن الأعرابى، روى عن البصريين، ورحل الى البادية فصار اماما فى اللغة والشعر والقرآن، على ضعف فى النحو، أدب أبناء العامة ببغداد ثم أبناء آل طاهر بسامرا، ثم أبناء المتوكل، الذى اتخذه نديما له، ثم قتله لتشيعه، ألف عدة رسائل لغوية فى الموضوعات الخاصة: أهمها «اصلاح المنطق» و«الألفاظ والأضداد»، وشرح دواوين الخنساء، وطرفة، وطفيل، وعروة، والمزرد، وقيس بن الخطيم، وكتب «معانى الشعر» و«سرقات الشعراء، وما تواردوا عليه».

النهوض باللغة العربية يتطلب رسم

• اللغة العربية لها من مقوماتها الشخصية ما يعطيها

• اذا ما اهتم أهل العربية بها اعطتهم من نفسها ما يفضى جديد حياتهم.

النهوض باللغة العربية والوصول بها الى ما كانت عليه إبان عصور ازدهارها الذهبية يتطلب رسم سياسة لغوية، فسلطان اللهجات المحلية له السيطرة على الناطقين بالفصحى حتى .لمتخصصين منهم سواء أكان ذلك فى الجانب الشكلى أم الجانب المعنوى (الدال والمدلول معا)، أضف إلى ذلك ما ينشأ عن التطور اللغوى بقوانينه وعلله من نزوع نحو الحوشية.

وفى ضوء التقدم العلمى وإمكانيات العصر يجب أن نضع تخطيطا دقيقا ينبثق عن سياسة لغوية أهدافها محددة، **وهى الارتقاء باللهجات فى الوطن العربى بأسره إلى العربية الفصيحة ولغة القرآن الكريم)**، فالعاميات تقوم فى لجمتها وسداها على العربية الصحيحة الفصيحة، وهى متفرعة عنها، ويجيء دور التخطيط من هنا لرفع مستوى العاميات من خلال عمل الدراسات الوصفية التقابلية بين اللهجات الدارجة والفصحى ليستضاء بها فى حركة، الارتقاء اللغوى من جانبها الاول وهو المناهج الدراسية فى التعليم العام ليصل المجتمع الجامعى إلى حالة من النقاء اللغوى يحمل رايتها الاعلام بوسائله المختلفة داخل المجتمع بأسره.

ومن الثابت لدى اللغويين أن لغة النقاء أو اللغة النموذجية لديها قوة فرض نفسها إذا رسمت لها السياسة اللغوية نتيجة الدراسة الميدانية الشاملة، فالصورة المثالية تفرض نفسها على جميع الأفراد حتى فى التداول أثناء الحياة اليومية وذلك بما تملكه من خصائص تترفع بها عن رطانات اللهجات المحلية، ومن هنا تطلب رسم السياسة اللغوية خطة ذات تفصيلات داخل هيكل عام يشمل كل المجالات النظرية والتطبيقية.

فمما هو ثابت أن دور رجال العلوم اللغوية فى المجال الأكاديمى والاجتماعى والنفسى والتربوى يرتكز على التأكد من سلامة الاحتمالات المرسومة فى تفصيلاتها الدقيقة وهيكلها العام - وذلك عن طريق مرور أعمال الباحثين والمتخصصين باختبارات يضطلع بها المسئولون للتأكد من سلامة ما هو قضية المجتمع الاولى، ولذا فقد اطلق «س. بيت كورد» (S.Pit. Corder) على هذا الدور اسم العملية الشاملة. (الهيكل العام - والتفصيلات الدقيقة داخله).

واعتبر المتخصصون هذه قضية المجتمع الأولى وعد دور الدولة فيها دورا سياسيا وحاسما لما تضطلع به وتتحمله من أعباء بناء على ما يقدمه المتخصصون فى مجال علم اللغة التطبيقى وعلم اللغة العام.

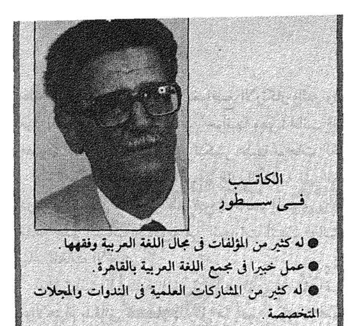
ومراحل تنفيذ السياسة اللغوية يرتكز على معطيات النظريات اللغوية الحديثة وفى مقدمتها نظرية الطيف اللغوى (Linguistic - Spectrum) أو نظرية الموجة حيث تضع التصور الكامل من خلال التكامل بين النظر والتطبيق الذى يضع فى اعتباره النظاميات (Regularities) التى تعالج الاستعمالات المتنوعة داخل اللهجات المنطوقة او ما يطلق عليه الازدواجية اللغوية، وبذا يجيء الارتقاء التدريجى بالمستوى الفعلى للاستعمال اللغوى من أدنى مراحله إلى المستوى المنشود واضعا فى اعتباره التدرج اللهجى داخل المجتمع وما يحمله من تداخل فى المجتمع الواحد أو المجتمعات المتعددة.

سياسة لغوية

صفتي الشمول والاستمرارية.

بقلم: أ.د البدراوى زهـران

أستاذ اللغويات ورئيس قسم اللغة العربية - جامعة اسيوط -



الكاتـب فـى سـطور

- له كثير من المؤلفات فى مجال اللغة العربية وفقهها.
- عمل خبيرا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- له كثير من المشاركات العلمية فى الندوات والمجلات المتخصصة.

ويجيء التخطيط واضعا فى اعتباره سلسلة التحويلات (Trans Formations) التى تربط الصور اللغوية من طبقة إلى طبقة إلى الوصول بالاستعمال اللغوى إلى المستوى المنشود.

من خلال الاستعانة فى ذلك بما قدمه المشتغلون بالعربية الفصحى من جهود على امتداد تاريخها الطويل، وبما قدمته المؤسسات المتخصصة فى هذا الصدد وفى مقدمتها المجامع اللغوية، وما تضطلع به الجهات الثلاث صاحبة التأثير على المستعملين للغة من حيث الكم والكيف - التعليم العام بمراحله - والجامعة بدورها الفعال داخل المجتمع وأجهزة الاعلام بمستحدثاتها وإمكانياتها ودور المعنيين بالثقافة بالوطن العربى.

ويسطع دور مدارس تحفيظ القرآن الكريم فهى مناط رسوخ العربية وعامل نهوضها واستقرارها - مع الاستفادة من الوسائل الحديثة والتقنية العلمية فى تحفيظه مما يحفظ للنطق سلامته وللغة متنها ومعجمها وأنواع اشتقاقاتها وصيغها وصرفها.

ومما تجدر الاشارة إليه أن اللغة العربية مرت بها فترات ضعف كادت تودى بها فى بعض الحالات ومع ذلك خرجت منها ظافرة منتصرة وذلك بفضل عوامل متعددة هيأها الله للغة كتابه الكريم فمما سجله صاحب لسان العرب عن حالة اللغة العربية فى عصره ان اللحن فيها كان متفشيا وأن أبناءها كانوا يتفاصحون بغيرها وأن النطق بها كان يعد من العيوب - ومع ذلك خرج فى هذه الآونة من ديوان الانشاء ما يشبه رسم سياسة لغوية خرجت بها العربية منتصرة ظافرة.

يقول ابن منظور فى أسباب تأليفه للسان العرب: يقول: **«لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، وذلك لما رأيته قد غلب فى هذا الاوان من اختلاف الألسنة والألوان حتى لقد أصبح اللحن يعد لحنا مترددا - وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية وتفاصحوا فى غير العربية»**، وذلك أيام الحروب الصليبية حيث تلاطمت فى مجتمع الناطقين بالعربية أمواج اللغات الافرنجية على اختلاف ألسنتها واللغات الأعجمية بأنواعها.

فما نراه فى مجتمع الناطقين بالعربية اليوم ليس عسيرا علاجه ففى ضوء التقدم العلمى المنبثق عن السياسة اللغوية الهادفة للارتقاء باللهجات فى الوطن العربى إلى الفصحى ولا سيما وأن فى مختلف هذه اللهجات ظواهر أصيلة تحتفظ بها رغم مرور القرون وأن عامل التوحيد اللغوى تذكيه مواجهة الغزو الفكرى والثقافى واللغوى، وقد رأينا فى ظروف مماثلة فيما مر من أعصر أن أبناء كل جماعة لغوية يتخلون عما يتصل بلهجاتهم عن اقتناع ويتقبلون ما يصدر عن الفصحى من نماذج مبعثها كتاب الله الكريم.

ويتضح ذلك فيما يتصل بالجانب الصوتى مما هو خاص بمخارج الحروف وخصائص النطق وكيفيته وطريقة الأداء والالتزام بالتلقين القرآنى بكل ما يتصل من تشكيل الأصوات داخل الكلمات والجمل مما يعمل على توحيد الصيغ والأبنية ويحقق دوره فى التأثير على النظام المقطعى الذى يختط منهجا موحدا فى ظل خصائص نطق تتصل

بنظام التراكيب مما هو خاص بمواضع الارتكاز والنبر وطرق التنغيم داخل سلسلة الكلام مما ينتج عنه خصائص تعيد للفصحى أهم جانب من جوانبها وهو الجانب الشكلي. ومن الثابت لدى اللغويين أن هذا الجانب أهم حصون اللغة وأنه قلعتها التى تنكسر عليها موجات الغزو فى الصراع اللغوى.

أما ما يتصل بجانب المعجم فان الدراسة الميدانية الشاملة وما تسفر عنه من بحوث وما تقدمه من أعمال ودراسات يمكن أن يحقق النهوض بالجانب المعنوى والدلالى فى ظل علم المفردات بمعطياته الجديدة وفى ظل ما يقدمه علم البنيات النحوية من انجازات أثبتت فعاليتها فى النهوض باللغات المختلفة فى ـاتها وبين ابنائها أو أبناء اللغات الأخرى.

وإن تطبيق السياسة اللغوية كما هو ثابت لا يقل أهمية عن التخطيط لها والاضطلاع بتنفيذها فى جميع مراحلها ـ والاهتمام بدقائق تفصيلاتها وكل ما يشير به رجال العلوم اللغوية النظرية والتطبيقية فى هذا الصدد.

ابو عمرو الشيبانى، اسحق بن مراد

(٧١٣ ـ ٨٢١) لغوى. ولد برمادة الكوفة، ومات ببغداد، تنقل بالبادية، اخذ عن البدو والمفضل الضبى، وحفظ اللغة والشعر وأيام العرب، غلب عليه الاهتمام باللغات والنوادر والأراجيز، روى الحديث، أدب أبناء بعض بنى شيبان، فنسب اليهم، أخذ عنه كثير من المعروفين أمثال: ثعلب، وأبو عبيد، وابن السكيت، وأحمد بن حنبل، وصف بالصدق والأمانة، جمع أشعار أكثر من ثمانين قبيلة، وألف رسائل لغوية عن موضوعات مثل: الخيل، والابل، وخلق الانسان، والنحل، وغريب الحديث، والغريب المصنف، والنوادر، أشهر كتبه: «الجيم» الذى رتب الألفاظ فيه على الألفباء تبعا للحرف الأول وحده، وعنى فيه باللغات القبلية، والألفاظ النادرة والغريبة، أكثر من الشعر والأراجيز والأخبار، وتتبع بعض الموضوعات، ويسمى أيضا «اللغات والحروف» ويعد أحد أقدم معجمين فى العربية ولكن الترتيب لم يكتمل فيه.

ابن دريد، محمد بن الحسن

(٨٣٧ ـ ٩٣٣). لغوى أديب. ولد بالبصرة ومات ببغداد، هرب الى عمان بعد فتنة الزنج (٨٧١)، وبقى **١٢** سنة، ثم عاد الى البصرة، وانتقل الى جزيرة ابن عمر، ثم الى فارس فقلده ابنا ميكال ديوانها، ولما عزلا **٩٢٠** انتقل الى بغداد، وأصابه الفالج فى أواخر حياته، اشتغل بالتدريس، واخذ عن السجستانى، والرياشى، والآشناندانى، واخذ عنه السيرافى، والمرزبانى، والقالى، وأبو الفرج الأصبهانى، يعد عالم عصره باللغة، وأشعر العلماء، وواضع البذرة الأولى للمقامات «بأحاديثه»، واشتهرت «مقصورته»، فكثرت معارضاتها وشروحها، ألف فى الرسائل اللغوية الصغيرة مثل: «السرج واللجام» و«الخيل» و«اللغات» وفى الأخبار الأدبية مثل: «الملاحن» و«الوشاح»، واشتهر كتابه «الاشتقاق» فى ابانة أصول ومعانى اسماء القبائل والرجال، ومعجمه الكبير «الجمهرة» رتب الالفاظ فيه على الأبنية، ثم رتب الأبنية على الألفباء، والحق به أبوابا كثيرة ليس فيها ترتيب، وتشبه الرسائل اللغوية الصغيرة ذات الموضوع الواحد، فالكتاب فى مرحلة وسطى بين الرسائل اللغوية والمعاجم الحقة، ويعسر فيه الوصول الى موضع اللفظ المراد معرفة معناه.

معاهد تعليم العربية لغير الناطقين بها

دور العلم والمدارس والمؤسسات التعليمية فى العالم الاسلامي تقوم بدور كبير فى نشر اللغة العربية من خلال نشاطاتها واساليبها المتعددة فمنها ما يعتمد على نشر الكتاب ومنها ما يعتمد على المنهج المدرسى ومنها ما يقتصر على التدريس فى ايام الاجازات وهى جهود متواضعة ومحدودة وغالبا ما تعتمد على الجهد الذاتى او الدفع بالتبرعات من المحسنين او من قوت اولياء امور الطلاب حرصا منهم فى تعليم ابنائهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

كما تقوم بعض اقسام اللغة العربية فى عدد من الجامعات فى الدول الغربية والشرقية بتعليم اللغة العربية للراغبين من ابناء تلك البلاد أو الوافدين إليها لأغراض متعددة.

وكان لفتح جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية لمعاهدها فى الخارج اثر ملموس فى تدعيم هذه الجهود بل وفي تقويتها وتوجيهها، فقد ساهمت في بناء عدد من اقسام اللغة العربية فى جامعات الدول المضيفة لها كما شارك اساتذتها في تدريس اللغة العربية فى الاقسام العربية والادبية فى جامعات تلك الدول وقام عدد من اساتذة اللغة العربية والعلوم الاسلامية بإعادة التخطيط لمناهج اللغة العربية والعلوم الاسلامية لمرحلة التعليم العام فى عدد من الدول التى توجد فيها المعاهد وذلك بطلب من حكومات ومؤسسات تلك البلاد.

وكثيرا ما ترد طلبات من المدارس الاهلية والحكومية إلى المعاهد فى الخارج بطلب كتب تعليم اللغة العربية فيتم تزويدها بذلك.

وتقوم مراكز البحث العلمي فى تلك المعاهد بإعداد الدراسات وعقد المؤتمرات حول تطوير اساليب تعليم اللغة العربية وآخرها الندوة التى عقدت فى معهد العلوم الاسلامية والعربية في اندونيسيا هذا العام واسفرت عن بحوث جادة ومثمرة.

إذا نظرنا للجهد العظيم والنتائج الطيبة التى تحققها معاهد اللغة العربية التى ترعاها الجامعات السعودية وغيرها فى الداخل والخارج ادركنا عظم المهمة التى تقوم بها ويكفى لتأكيد ذلك إلقاء نظرة سريعة على ما تقوم به معاهد جامعة الامام الستة في جاكرتا وطوكيو ورأس الخيمة وجيبوتى ونواكشوط وواشنطن فهي تستقطب آلاف الدارسين من تلك البلاد ومن غيرها وتعنى باللغة العربية والعلوم الاسلامية وتوفر الكتب والمناهج والاساتذة المتخصصين في ذلك وخريجوها ينتشرون فى مدارس ومعاهد تلك الدول ليقوموا بالمهمة نفسها ولا يقل عن ذلك الجهد الذى تقوم به المعاهد المتخصصة فى تعليم اللغة العربية الموجودة فى المملكة والتابعة لجامعة الملك سعود وجامعة الامام والجامعة الاسلامية وجامعة ام القرى فخريجوها وكتبها منتشرة فى انحاء العالم ولا ينسى فى هذا المجال جهد وزارة المعارف التى تقوم على نشر وتوزيع كتاب تعليم اللغة العربية المسمى (العربية للناشئين).

الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان

عميد المعاهد الخارجية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

اللغة .. وقوميتنا

بقلم: أ.د. حسين نصار
مستشار الرئاسة العامة لكليات البنات بالرياض

● العربية هى الرباط الوثيق الشامل للعرب فى كل مكان.
● القرآن يقوم بالقسط الاكبر من الحفاظ على اللغة العربية

وقد تعددت الدراسات والآراء التى حاولت أن تتبين الصلات التى تجمع الشعب أو القوم تحت اسم واحد، سواء أكانت وطنية أم قومية ولم تقف عند التعدد بل اختلفت أيضا فى أكثر ما قالت.

فقد قال بعضهم يجمع بينهم العرق أو الدم أو الجنس الواحد، ولا شك أن ذلك صحيح، ولكنها ليست الصحة المطلقة فالولايات المتحدة الأمريكية قطر واحد، ولكن شعبها ينحدر من أعراق معظم شعوب الدنيا إن لم يكن كلها، وتنتمى بقية شعوب الأمريكتين إلى العرقين الهندى الأحمر والأسبانى بصفة أساسية.

بل يمكن القول إنه لا يوجد شعب فى جميع أرجاء الدنيا حافظ على نقائه العرقى، وبخاصة الشعوب العربية، حقا ينحدر أكثر مسلميها وكثير من نصارى العراق وسورية ولبنان من العرق العربى، ولكن الاسلام دفع العرب إلى أن يتخذوا المسلمين من غير الدم العربى إخوانا، والفتوح أباحت لهم التسرى، واتساع الخلافة يسر لهم الاختلاط بالشعوب اقريبة منهم والبعيدة عنهم، وإذا كان العرب استنكفوا - ومازالوا يستنكفون من تزويج بناتهم إلى غير العرب، فإن رجالهم لم يجدوا حرجا من التزوج من الأعاجم، بل يمكن القول إنهم أقبلوا عليه إقبالا واسعا فى عصور متعددة، لا يشترطون فى الزوجة إلا أن تكون من أهل الكتاب، أما الجارية فلم يضعوا حيالها أى شرط.

وقد أدى ذلك إلى ظهور رجال لا ينحدرون من دماء عربية خالصة، ولكنهم يعدون من رواد العروبة أو القومية العربية بالتعبير الحديث، وأبرز أمثلة هذه الفئة الجاحظ الذى تجرى فى عروقه دماء إفريقية ودافع عن العرب أحسن دفاع أمام الشعوبية العجمية، وقد أمثل لها بعنترة، الذى رفعته السيرة (الملحمة) الشعبية علما على الكفاح العربى.

وقال بعضهم يجمع بينهم الدين الواحد. ولكن ذلك القول غير مطلق أيضا فما أقل الأقطار التى يعتنق أبناؤها دينا واحدا، ولا يخلص الاسلام إلا فى الجزيرة العربية باستثناء اليمن الذى عاشت فيه جماعة يهودية كبيرة، ولا زالت بقاياها فيه. والسبب فى هذا النقاء الدينى أن الجزيرة مهد الاسلام، وأن الاسلام منع دخول غير المسلمين مكة، وأن الحكومات الاسلامية منذ عصر الخلفاء الراشدين، أو عصر عمر بن الخطاب خاصة، حرصت على هذا التحريم. أما بقية الأقطار العربية، فيكثر فيها النصارى، ويقل اليهود، من أبنائها سواء أكانوا من العصور السابقة على الاسلام أم التى جاءت بعده.

وقد انضم كثير من النصارى إلى الدعوة القومية بل كانوا زعماء لها فى بعض الاقطار، فى بعض الاوقات، مما رمى بظلال مريبة على هذه الدعوة عند كثير من الشعوب العربية الاخرى.

وقال بعضهم الآخر يجمع بينهم التاريخ الواحد، ولا شك أن الاقطار العربية جميعها، بل والاسلامية أيضا، بل وما سلب من الأمة الاسلامية، خضعت لدولة واحدة تحت خلافة الأمويين، وشطر من خلافة العباسيين، واجتمعت أقطار كثيرة منها تحت ظل خلافة الراشدين والعباسيين فى المشرق والمغرب،



اصطلح المحدثون على استعمال عدد من الكلمات التى كان من قبلهم يرونها من المترادفات استعمالات مختلفة تميز بين دلالاتها، فأطلقوا كلمة الوطن والقطر على البقعة العربية التى تخضع لحكومة واحدة، وكلمة الشعب على من يعيشون فى هذه البقعة، فظهرت عبارات الوطن أو القطر السورى، والوطن أو القطر التونسى، والشعب السعودى أو المصرى.

وأطلقوا القومية العربية على من يعيشون فى البقعة التى تمتد من الخليج العربى وإ يران شرقا إ لى المحيط الاطلسى غربا، ومن تركيا والبحر الابيض المتوسط شمالا إ لى جيبوتى وأواسط إ فريقية جنوبا.

وهناك مناطق خارج هذه البقعة تغلب العروبة على أهلها مثل الاسكندرونة، أو تفشو فيها حتى أتاحت للعرب أن يحكموها فى زمن ما مثل زنجبار التى اندمجت فى تنجانيقا تحت اسم تنزانيا، ولكن هذه البقاع سلبت من العروبة فى أزمان مختلفة.

الكاتب فى سطور

● تولى مجموعة من المناصب العلمية والادارية منها:
- عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة.
- رئيس اكاديمية الفنون في القاهرة.
- مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فى القاهرة.
- عمل استاذا زائرا في عدد من الجامعات في العالم العربى.

● عشق الأدب وكتب التراث وله فيها جمهرة من التحقيقات والمؤلفات.

والأمويين فى الأندلس والعثمانيين فى استانبول، ثم بسطت الحكومات المتعاقبة سلطانها على أكثر من دولة متقاربة كما فعل الفواطم والأيوبيون والمماليك وغيرهم. ولكن هذه الأقطار انفصل بعضها عن بعض عند سقوط الدولة العثمانية، وخضع كل منها لحكومة محلية مستقلة، أو انفصل من قبل هذا السقوط.

وإذن لا تطرد الآراء السابقة، وتنخرم فى موقع ما، ولا يبقى غير اللغة الواحدة، والآمال المشتركة.

ويراد بالآمال المشتركة وعى الشعوب بمصالحها الحقيقية التى تحتم عليها التغاضى عن وجوه الاختلاف، واستثمار وجوه التباين، والتنسيق بين المصالح المحلية والمشتركة، والسعى إلى ما أمكن من الاتفاق أو الاتحاد الاقتصادى والسياسى.

وأمثلة هذا الوعى كثيرة، بدءا بالجامعة العربية، فدول الخليج العربى، وانتهاء بدول المغرب العربى، ومرورا بالوحدة الاندماجية بين مصر وسورية: إن لم نضرب الأمثلة بالسوق الأوربية المشتركة، والسوق الأمريكية المشتركة المزمع إقامتها بين كندا والولايات المتحدة والمكسيك. حقا قد تجد من الفئات أو الافراد من يمارى فى جدوى التضامن العربى أو الوحدة، ولكن الدلائل كلها والامثلة التى ذكرتها تبرهن أن الأغلبية تهفو نفوسها إلى لون ما من الاتفاق، يقصر عند بعضهم فيكتفى بشىء من التنسيق، ويمتد عند بعض فيتمنى الاندماج فى كيان واحد شامل.

واللغة هى الرباط الشامل الوحيد، يتفاهم بها المتعلمون فى جميع أرجاء الوطن العربى، ويحاول أن يفعل ذلك غير المتعلمين أيضا.

قد يقول قائل إن كل قطر من أقطار العروبة له لغته (لهجته) العامية، التى يتفاهم بها أهله، ويتعذر على غيرهم إدراك المراد بها فى بعض الاحيان. وذلك قول صحيح.

ولكن يحد من هذا العائق وجود القرآن. فأبناء هذه الأقطار - مسلهم ونصرانيهم ويهوديهم - تتردد على آذانه فى كل حين الآيات القرآنية من القراء فى الاذاعة

المسموعة والمرئية والمساجد والمآتم والمواسم والاحتفالات المتنوعة، حاملة اللغة العربية الفصيحة، ومشيعة الإلف بينهم وبينها، على تفاوت مراتبهم من العلم والجهل بها، بل من العلم والجهل عامة.

ويحد منه أن وسائل الاعلام ـ وبخاصة الصحف ـ تلتزم اللغة الفصيحة ما استطاعت مهما كان القطر العربى الذى يصدرها.

ويحد منه وجود بعض اللهجات القريبة من الفصحى ـ مثل المصرية ـ ومازالت دائبة الاقتراب منها، شاعت فى غير قطرها، وصار أبناء الاقطار المختلفة يفهمونها فهما تاما أو يكادون.

ولا تقتصر اللغة العربية على أن تكون مجرد لسان يستخدمه العرب للتفاهم فهى إلى جانب ذلك ثقافة واسعة الجوانب، متعددة الانحاء، راقية المراتب، شاركت فيها جميع أقطار العروبة قديما وحديثا.

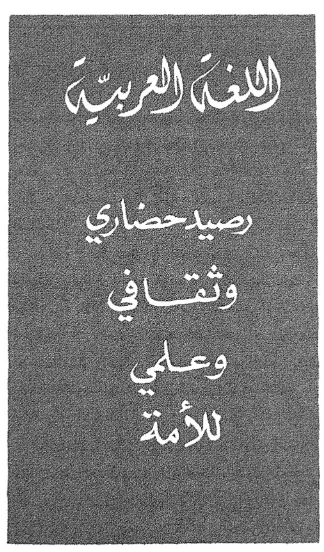
ولذلك نجد التجديد الشعرى خاصة يبدأ فى القرن الماضى بالعودة إلى عصور الازدهار الماضية، ومن ثم وجد عصر الكلاسية الجديدة أو ما سميناه عصر الاحياء الجديد.

وما إن تبزغ حركة تجديد، أو يبتكر فن أدبي، أو يبتدع اتجاه فنى فى قطر من اقطار العروبة حتى يرتد صداه فى غيره من أقطار العروبة، محافظا على كل كيانه أحيانا، ومجريا عليه بعض التعديلات الأخرى. كذلك ينتقل الفنان والنمط الفنى والجنس الأدبى من قطر عربى إلى آخر، فلا يستنكر الأرض الجديدة، بل قد يجد فيها ظروفا أصلح ومجالا أرحب، فيشتد عوده ويلفت الانظار، فتنتقل آثاره إلى مواطن أخرى قد يكون منها وطنه الاول، غير أنه يصل إليه ناضجا زاهيا.

من أجل ذلك عندما نقول إن العربية هى الرباط الوثيق الشامل البارز للعرب فى كل مكان، لا نعنى اللسان العربى وحده، بل نعنيه ونعنى ما أنتجه هذا اللسان الفنى المبدع من ثقافة، كانت حضارة بنى الانسان فى عصر من العصور، وخلفت اثارها المعترف بها فى الحضارة العالمية بعدها.

ومن أجل ذلك نحرص عليها، ونطالب بالحرص عليها، ونتخذ جميع الوسائل عليها، فهى لساننا، وأداة التفاهم بيننا وبين أشقائنا بما يشيعه هذا التفاهم من تجانس واتفاق، ومصدر ثقافتنا، ومحور كياننا الموحد، ومن أقرب الأمثلة على نتائج التفريط فى اللغة الفرقة التى وقعت بين أهل إيطاليا وأسبانيا وفرنسا بعد تحللهم من اللغة اللاتينية الجامعة، واتخاذ كل منها لهجتها المحلية لغة لها، فلم يعد بينها رباط جامع.

ومن حسن حظنا أن القرآن ـ الذى وعدنا الله عز وجل بحفظه أبدا ـ يقوم عنا بالقسط الاكبر من الحفاظ على العربية، ويحمل عنا الكثير، ويحفظ العربية ويضمن لها البقاء أيضا غناها وقدرتها الواسعة على الاشتقاق والنحت، وقابليتها الفسيحة للتوسع، وترحيبها الفسيح بالدخيل الذى تقترضه من اللغات التى تختلط بها، دون أن تفقد مقوماتها الأساسية.



ابن القوطية ، محمد بن عمر

(٠٠ ـ ٩٧٧)، لغوى، مؤرخ، ولد ومات بقرطبة، ودرس بها وبأشبيلية اللغة والفقه والتاريخ، فعين قاضيا، وزكاه القاضى، فجعله على شرطة قرطبة، لم يكن يضبط روايته للحديث، نظم الشعر الجيد، وشرح «أدب الكتاب» لابن قتيبة، وألف «المقصور والممدود» و«تاريخ افتتاح الأندلس» الذى وصل فيه الى عهد عبد الرحمن الثالث، وأشهر كتبه: «الأفعال» وجعله فى ثلاثة أقسام: ١ـ ما فيه فعل وأفعل، ٢ ـ ما فيه أفعل ٣ ـ ما فيه فعل، وجعل الأول فى قسمين: ما فيه الصيغتان مع اتفاق المعنى، ثم مع اختلافه، ورتب الكلمات تبعا للحرف الأول وحده، وحسب مخارج الحروف، ثم رتبها حسب صيغها: المضاعف، فالصحيح، فالمهموز، فالمعتل، وأعجب به الكتاب، فاتخذوه أساسا لكتبهم.

العربية في أنحاء العالم

يقوم المعهد العربى الاسلامي بطوكيو بجهود طيبة فى مجال تعليم لغة القرآن الكريم لغير الناطقين بها من المسلمين وغير المسلمين ومن هذه الجهود:

- وثق المعهد علاقاته مع اقسام اللغة العربية بالجامعات والمعاهد فى اليابان وتبادل معهم الآراء وقام ويقوم بتزويدها بالمناهج والكتب والمشورة العلمية.
- يتصل المعهد بمختلف الوسائل بالجامعات والمدارس الثانوية العليا للتعريف بالمعهد وترغيب الطلاب فى دراسة اللغة العربية.
- يقدم المعهد خدماته المجانية لتعليم اللغة العربية لكل الراغبين من اليابانيين والجنسيات الاخرى وقد وصل عدد الجنسيات التى كانت تدرس فى المعهد فى بعض الفترات إلى اكثر من خمس وعشرين جنسية ويعد ذلك نشرا للغة القرآن على مستوى شبه عالمي.
- أحدث المعهد العربى الاسلامى فى طوكيو فى مجال نشاطه الاول وهو (تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها) ما يمكن ان نطلق عليه حركة قوية ومتقدمة فى تعليم اللغة العربية بل صارت خطته الدراسية وما يتصل بها من انشطة نموذجا للخطط الدراسية للمعاهد التى تفتح فى بلاد غير إسلامية فبعض خريجى المعهد يعملون الآن مدرسين للغة العربية فى مدارس اللغات فى طوكيو بل ان احد مدرسى المعهد من اليابانيين قد قام بسد الفراغ الذى تركه إغلاق المعهد حوالي سنتين ـ ذلك ان فتح معهداً لتعليم اللغة العربية مازال يقدم خدماته فى تعليم اللغة ونشرها بنجاح حتى الان وهذا المدرس قام لأول مرة بتدريس اللغة العربية فى معهدنا العربى الاسلامي فهو يعد احد خريجى هذا المعهد كمدرس.
- قطع المعهد شوطاً كبيرا فى إنشاء (المكتبة العالمية لتجارب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها) وقد زودت حتى الآن بالكتب والشرائط المسموعة والمرئية من مختلف الجامعات والمعاهد فى شتى انحاء العالم وعلى سبيل المثال تم تجميع هذه الكتب وما يتصل بها من مواد تعليمية من جامعة الامام ومن جامعة الملك سعود وجامعة متشيجان والمدارس الإسلامية العالمية ومعهد بورقيبة فى تونس ومكتب التربية العربى لدول الخليج وبعض معاهد وجامعات نيجيريا.

وعندما يستكمل هذا المشروع سيشكل مركز ابحاث متكامل فى هذا المجال ويكون منطلقا لنشر لغة الاسلام على احدث الأسس فى هذا الجزء من العالم.

الصلة بين اللهجات وبين اللغة

- **تخير وانتقاء الأصلح من اللهجات ضرورة تفرضها حركة**
- **عدم تغلغل النفوذ الاجنبي في انحاء الجزيرة العربية وانقى لغة.**

لا شك أن لهجات سكان الجزيرة تضرب بجذور عميقة لأصول اللهجة الفصحى الأم، لغة القرآن الكريم، ولهذا فإن العناية بتلك اللهجات مما تقوى به اللغة الفصحى، وتنتشر وتتغلب على غيرها من اللهجات الأعجمية التي وفدت الى هذه الجزيرة مع من وفد اليها من مختلف الأجناس التي تمت بأصولها إلى جذور غير عربية.

ومن هنا فإن من أولى الأمور للحفاظ على اللغة العربية العناية بلهجاتها، عناية يراد منها انتقاء الصالح القريب الى الفصحى وتعميمه في الاستعمال في جميع الوسائل من صحافة وإذاعة مسموعة أو مرئية.

وقد كان هذا الأمر من أولى ما اتجه اليه (مجمع اللغة العربية في القاهرة) حيث خصص لدراسة اللهجات احدى لجانه مراعيا في إنشائها الصلة العميقة بين ما أسند اليها من أعمال وبين الغاية التي أنشىء المجمع من أجلها، وهي الحفاظ على اللغة العربية، والعمل بمختلف الوسائل لتبقى حية مسايرة للعصر في متطلباته مع الحفاظ على أصولها وقواعدها.

ومن المدرك بداهة أنه كلما قربت اللهجة من الفصحى كانت أولى وأجدر بالدراسة والاحياء، وأن لهجات سكان الجزيرة هي أقربها لعدم تغلغل النفوذ الأجنبي بين سكانها تغلغلا يؤثر في لغتهم، وكل ما بعد قطر من أقطارها عن ذلك النفوذ كان أصفى لهجة وأقرب الى الفصحى.

ولهذا كان سكان جنوب الجزيرة، اليمن وما اتصل به من بلاد حضرموت وسر وات الحجاز من الطائف الى سراة بني سعد، فسراة بني الحارث، فسروات بلاد زهران وغامد وخَثْعم وبَلقَرْن والـحَجْر وعَنْز الى بلاد قحطان المعروفة قديما بـ (مذحج) فما اتصل بهذه السراة من الأودية كنجران وحَبَوْنَن إلى رمال صيهد (الربع الخالي) حيث تنتشر في هذه الجهة قبائل الصيعر ومهرة ومن دونهم بني مُرة من يامٍ وغيرهم، هذه البلاد لبعد سكانها عن الاختلاط بالأعاجم، وانحرافها عن طرق التجارة أو العبادة وبعدها عن محاولة تغلغل نفوذ السيطرة بالقوة، هذه المناطق هي أصفى لغة وأبعد عن تأثير العجمة في كلام أهلها، وكل ما بعدت البلاد عن الاتصال الأعجمي كانت أكثر صفاء وأفصح لهجة، وبقربها منه تتأثر لغتها، كما حدث لجوانب من الجزيرة كانت موالية للفرس أو الروم أو الأحباش منذ عصنور قديمة.

وقد أوضح علماء اللغة ذلك فنقل السيوطي في كتاب «المزهر» ج١ ص٢١١ عن الفارابي قوله والذين عنهم نُقِلَت اللغةُ وبهم اقتدي وعنهم أخِذ اللسانُ العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء الذين عنهم أكثر ما أخذوا معظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ثم ذكر القبائل التي لم تؤخذ عنها اللغة وعلل ذلك بمخالطتهم للأعاجم، وقد أورد عمارة بن علي اليمني المتوفى سنة ٥٦٩هـ، في كتابه «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» ص١٢٤ في الكلام على الزرائب إحدى مدن

العامية الفصحى

تطور اللغة.. جعلها أصفى لهجة

بقلم: الاستاذ المؤرخ حمد الجاسر



الكاتب في سطور



- مؤرخ وجغرافي محقق
- اهتم بتاريخ وجغرافية الجزيرة العربية، وكان كثير السفر والترحال للتأكد من المعلومة وتوثيقها. ويعد مرجعا في مادته، دقة وعمقا.
- له في هذا جمهرة من المؤلفات على رأسها (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) في ثلاثة أجزاء.
- عمل عميداً لكليتى الشريعة واللغة العربية فى الرياض ١٣٩٩.
- اصدر صحيفة اليمامة ١٣٧٢هـ.
- رأس تحرير صحيفة الرياض ١٣٨٥هـ.
- أصدر مجلة العرب ١٣٨٦هـ. وهو صاحبها ورئيس تحريرها، وهى تصدر بانتظام.
- عضو عامل فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة.
- عضو مراسل في المجمع العلمى العربى بدمشق.
- عضو مراسل فى المجمع العلمي العراقي.

«المخلاف السليماني منطقة جازان» المجهولة الآن ما نصه: وجبل عكاد فوق مدينة الزرائب وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية الى اليوم ولم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا قط بأحد من أهل الحاضرة في مناكحة أو مساكنة، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه، ولا يخرجون منه، ولقد أذكر أني دخلت زبيد في سنة ثلاثين وخمس مئة أطلب الفقه وأنا يومئذ دون العشرين، فكان الفقهاء فى جميع المدارس يتعجبون من كوني لا ألحن بشىء من الكلام، فأقسم الفقيه نصرُ الله بن سالم الحضرمي بالله القدير لقد قرأ هذا الصبي في النحو قراءة كثيرة. فلما طالت المدة والخلطة بيني وبينه صرت إذا لقيتُه يقول: مرحبا بمن حنثت في يميني لأجلة!!، ولما زارني والدي وستة من اخواني إلى زبيد أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم، فلا والله ما لحن أحدهم لحنة واحدة اثبتوها عليه. انتهى.

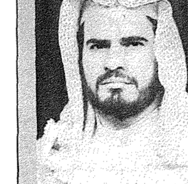
وتكرر نقل هذا في مؤلفات أخرى كـ «معجم البلدان» لياقوت و«تاج العروس» للزبيدي، ولعل الزرائب تلك كانت بعيدة عن طريق الحج، الذى كان يخترق تهامة، ويمر به القادمون من خارج الجزيرة، إذ الأمكنة الواقعة فى طرق القوافل معرضة لكي تتأثر لغة أهلها، ولهذا فبلاد تهامة ليست لغة سكانها صافية.

ولقد ألف الصديق الكريم الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي كتاب «معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان» ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر التي يمكن الرجوع إليها في معرفة لهجة تلك المنطقة، ومدى صلتها باللغة الفصحى، ولقد عبر في هذه الدراسة عن سعة اطلاع، وأبدى جهدا مشكورا بحيث تمنى الغير على اللغة الكريمة أن يتصدى الباحثون من أبناء هذه البلاد في كل منطقة لدراسة لهجات أهلها، ومن ثم تتكون بين أيدي الباحثين دراسة متكاملة عن هذا الجانب المهم من جوانب ثقافتنا، والله سبحانه وتعالى هو الموفق.

اساطين اللغة

أبو عمرو بن العلاء، زبان بن عمار

(٦٨٩ ـ ٧٧٠). لغوى ولد بمكة ومات بالكوفة، أقام بالبصرة، وزار البادية ودمشق. كان اماما فى اللغة والقرآن ورواية الشعر والنحو، ثقة يروى عن أعراب أدركوا الجاهلية، تتلمذ له الأصمعى وغيره، وتنسب اليه احدى القراءات السبع. روى عدة دواوين، بقى منها «شرح ديوان الخرنق»، ويقال انه أحرق كتبه وتنسك قبل موته.



الكاتب في سطور

- عمل وكيلا وعميدا لشئون المكتبات في جامعة ام القرى.
- عضو المجلس العلمي في الجامعة.
- حقق مجموعة من كتب اللغة.
- شارك في مجموعة من الابحاث والدراسات العلمية في اللغة.
- له مشاركات علمية وافرة في المجلات

أصل لهجـ ظواهر

• اللهجات الباقية في عصرنا الحاضر

بقلم: أ.د. سليمان بن ابراهيم العايد

استاذ اللغويات، ورئيس قسم الدراسات العليا العربية - جامعة أم القرى

يشيع في بعض لهجات الجزيرة في العصر الحاضر ظواهر صوتية، تختلف من بلد إلى بلد، ومن منطقة إلى منطقة، ومن قبيل إلى قبيل.

ومن هذه الظواهر ما يكون له أصل في لغات العرب القديمة، التي سجلها الرواة، وحفظها علماء اللغة، وبنيت عليها قواعد العربية وأحكامها.

ومنه إبدال حرف مكان حرف، كإبدال الجيم ياء، أو إبدال الياء جيماً أما إبدال الجيم ياء في العربية المعاصرة فشائع ذائع في مناطق من الخليج العربي، وشرق الجزيرة، وهو ظاهرة مميزة في بعض اللهجات، كلهجة الكويت، ولهجة بعض قرى أو بلدان قرب الرياض، يجعلون الجيم ياء، فيقولون في واجد: وايد، وفي رجّال: ريال، وفي دجاجة: داية، وفي الجامع: اليامع، حتى يصل الأمر بالغريب عنهم أن لا يتمارى في أنهم نطقوا ياء خالصة صريحة.

كما أن هناك كلمة تشيع في بلاد العرب، هي بالجيم، ويغلب نطقها بالياء، ثم يختلفون فيها بعد ذلك، ففي مناطق من نجدٍ نجد الناس (كبار السن) يقولون للمسجد: مسيد، بفتح الميم وإسكان السين وكسر الياء، اقتصروا على إبداء الجيم ياء، كما تجد هذه الكلمة، في المناطق القريبة من مكة تصير إلى مسيد بكسر الميم والسين وإسكان الياء، فهم نقلوا حركة الياء (الكسرة) إلى السين، ثم أتبعوا الميم السين فحركوها حركتها (الكسر)، فتوالت كسرتان، ثم ياء.

فالأولون كأنهم لم يعتدوا بالياء العارضة (الطارئة) فلم تأخذ أحكام الياء التى تقع هذا الموقع، لأنه يتعين في هذا الموضع أن يحصل في الكلمة إعلال بالنقل، وهو نقل حركة الحرف المعتل إلى الصحيح الساكن قبله، فتصير مسيد.

وأما الأخرون فإنهم اعتدوها كالأصلية، فقدروا لها الأحكام التى تجري عليها، ومما يجرى عليها الاعلال بالنقل، نقلت حركة الياء إلى السين، وهى الكسرة، ثم اتبعت الميم السين، فصارت مسيد، فعوملت الياء كأنها أصلية غير عارضة، لم ينظر إلى وضعها السابق.

وهذا التصرف قريب مما ذكره ابن جني في شجرة، وأن بعض العرب يقول شيرة بكسر الشين وفتح الياء. قال أبو زيد: كنا عند المفضل، وعنده أعراب، فقلت: قل لهم: يقولون: «شيرة»،

ـــةمعاصـــرة
ـــوتيـــــــة
ذات أصول عربية معروفة.

فقالوها، فقلت له: قل لهم: يصغرونها، فصغروها «شُيَيْرة»[1].

وقد ذهب ابن جني إلى أن الياء ليست بدلا من الجيم، وينبغى أن تكون أصلا، لأمرين:

١ ـ لبقائها فى التصغير، ومن المعروف أن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها.

٢ ـ تغير حركة الشين، والبدل لا تغير فيه الحركات، إنما يوقع حرف موقع حرف، ويبقى سائر الكلمة دون تغيير[2].

وقد ذهب غير ابن جني إلى غير هذا، جاء فى اللسان «وقالوا: شيرة، فأبدلوا، فإما أن يكون على لغة من قال: شجرة، وإما أن تكون الكسرة لمجاورتها الياء، قال: «تحسبه بين الأكام شـيرة»[3].

وهذا القول أولى، لأن العرب تقول: شجرة، وشجرة، بفتح الشين وكسرها، فتكون شيرة لغة فى مكسورة الشين.

وقرىء فى قوله تعالى ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ الشجرة، بكسر الشين وقرىء أيضاً (الشيرة) بكسر الشين والياء المفتوحة بعدها[4].

وقد ورد إبدال الياء جيماً إذا كانت طرفاً، فقالوا: «ديجوج ودياج» وأصله «دياجيج» فأبدلت الجيم الآخرة ياء، وحذفت الياء قبلها تخفيفا[5].

الديجوج: الليلة المظلمة، جمعها دياجيج، ودياج، وأصله دياجيج، فخففوه بحذف الجيم الأخيرة، قال ابن سيده: التعليل لابن جني[6]. والذى فى سر الصناعة يختلف عما نسبه إليه ابن سيده، إذ فيه «ديجوج ودياج»، وأصله دياجيج، فأبدلت الجيم الآخرة ياء، وحذفت الياء قبلها تخفيفاً[7].

وظاهر نصه هنا أن الحذف وقع بعد قلب الجيم ياء، خففت الكلمة (صيغة منتهى الجموع) بحذف المد الذى قبل آخره، وهو جائز قياساً عند الكوفيين، ويمنعه البصريون إلا فى الضرورة[8]، ثم عومل معاملة جوار، ولم يعتد بأصل الياء.

ويقال أيضاً: «ليلة ديجور: مظلمة[9]». وهذا يحتمل أن تكون الراء قلبت ياء من باب اللثغ أو التعاقب، وإن كان الذهاب إلى هذافيه بعد.

وقد عني أهل اللغة بإبدال الجيم ياء، أو الياء جيماً، وتعاوروا أمثلة كرروها، وقد ذكروا من أمثلة إبدال الجيم ياء ما رواه اللحياني، فقال: «يقال: لا أفعل ذلك يدا الدهر، وجدا الدهر، أى: آخر الدهر[10]» ويدا: اسم مفرد على وزن رحا وعصا، غير محذوف اللام فى (يد) حين نقول: يد الانسان.

ومن ذلك ما رواه أبو زيد عن الكلابيين أنهم يقولون: هي الصهاريج، والواحد صهريج، وبنو تميم يقولون: صهاري، والواحد صهري[11]» وهذه الكلمة يمكن أن تأخذ أحكام المعرب[12].

ومنه ما تقدم فى «شيرة» قال أبو حاتم: قلت لأم الهيثم: هل تبدل العرب الجيم ياء فى شىء من الكلام؟ فقالت: نعم، ثم أنشدتني:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى
فأبعدكن الله من شيرات

أى: من شجرات[13]».

وأما العكس، وهو قلب الياء جيماً، فهو كثير، وهو الذى يسمى أحيانا (عجعجة قضاعة)، وينسبونها إلى تميم، وتأتي في مواضع:

١ ـ ياء الاضافة، قال ابن فارس: وكذلك الياء التى تجعل جيماً فى النسب، يقولون: «غلامج» أى: «غلامى[14]»، وهذه «دارج» أى «داري[15]».

وأنشد الفراء:

لا هم إن كنت قبلت حجتج
فلا يزال شاحج يأتيك بج
أقمر نهات ينزي وفرتج

يريد: حجتى، ويأتيك بي، وينزي وفرتي[16]».

وقد عزا الفراء هذه اللغة إلى بنى دُبَيْر من بنى

أسـد خاصـة[17]، وقال أبو عمرو: وهم (يعنى بنى فقيم) يقلبون الياء الخفيفة أيضا إلى الجيم[18]».

٢ ـ الياء المشددة فى آخر الكلمة سواء كانت للنسب أو لغيره، يقولون فى بصري وكوفى: بصرج وكوفج، ومنه قول الراجز:

خالى عويف وأبو علج
المطعمان اللحم بالعشج
وبالغـداة فلـق البرنـج
يكسـر بالمـر وبالصيصج

يريد: وأبـو علي، وبـالـعـشـى، وفلق الـبرني، وبالصيصى، وهو قرون البقر، وزعم الفراء أنها لغة طيء، وأنشد:

نعـمـا ولـدت رضـوى
لزبـان بـن كنـدج
وحـوصـاء ورألان الـلـ
ـذى دلا على الـحـج

أراد: ابن كنـدي، واللذي، يريد: اللذين دلا على الحج، أي: على الحي، أي بشرفهما نبها على حيهما[19].

وقال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بنى حنظلة: ممن أنت؟ قال: فقمج، فقلت: من أيهم؟ قال: مرج بريد: فقيمى ومري[20]».

والياء المشـددة إذا كانت لغير النسب فى صيغة منتهى الجموع طرفاً، وأبدلت جيمـاً جاز حذف الياء الأولى، وتبقى الجيم غير مشددة.

قال ابن السكيت: «انشد (لعله يعني الأصمعي) لهميان بن قحافة السعدي:

يطير عنها الوبر الصهابجا

يريد: الصهابي، من الصهبة[21].

٣ ـ الـياء المشـددة فى وسط الـكلمـة، قال ابن السكيت: «وبعض العـرب إذا شدد الياء جعلهـا جيمـاً، وأنشد عن ابن الأعرابى:

كأن فى أذنـابهـن الـشـول
من عبس الـصـيـف قرون الاجـل

يريد: الإيَّل[22].

وقـد شرط بعض النحاة لابدال الجيم ياء عند بعض بنى تميم (وهم بنـو فقيم) أن يكون ذلك فى الوقف، واعترض عليهم بقول القائل:

خالى عويـف وأبـو علج
المـطعـمان الـلحـم بالـعـشـج
وبـالـغـداة فلق الـبرنـج
يقـلـع بالـود وبـالـصـيـصـج

فقالوا: هذا من باب إجراء الوصل مجرى الوقف عند النحاة[23]. وإنما فعلوا ذلك «لخفاء الياء، وقرب الجيم منها فى المخرج، مع كونه أظهر من الياء[24]».

وقد عد ابن فارس إبدال الياء جيمـاً من اللغات المذمومة[25]، ولم يتعرض لابدال الجيم ياء.

وتعـاقب الحـرفـين، أو إبدالهما يرجع إلى تشابه الحرفين في المخرج والصفة، وقرب الحرفين من بعض يتجلى فى الصفات والمخرج، فمخرجهما «من وسط اللسان وما يليه من الحنك الأعلى[26]». والمقصود بالياء هنا غير المدية، وهي المتحركة مطلقاً، أو الساكنة بعد فتح كخير وشيء[27]».

كما يتفقان فى أكثر الصفات، إذ هما مجهوران، منفتحان، مستفلان، وإن كانت الياء مستفلة جدا، ويفترقان فى أن الجيم شديدة، والياء رخوة، كما تنفر الجيم بأنها مقلقلة.

ومعنى هذا أن النفس يمتنع جريانه مع الصوت، فيكـون فيهـما الجهر، وهو الاظهار، وينتج عن قوة التصـويت بالحـرف لقـوة الاعتـماد عليه فى موضـع خروجه[28]، واللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عنـد النـطق بهما، ولا ينحصر الـريح بين اللسـان والحنك، بل ينفتح ما بينهما، ويخرج الريح عند النطق بهما[29]. وبعبـارة أوضـح ينفتح فيهما ما بين اللسان والحنـك الأعـلى عنـد النطق بهما (الجيم والياء) فلا ينحصر الصوت بينهما (بين اللسان والحنك)، وهذه الصفة تقابل الاطباق[30]، وكلاهما ينخفض اللسان أو ينحط عن الحنك الأعلى عند النطق به، فينخفض معه الصوت إلى قاع الفم، وهو يقابل الاطباق.

ويختلفان فى أن الجيم يلزم موضعه (من المخرج)، لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى يحبس الصوت عن الجريان معه، فتكون فيه شدة، وهي القوة. وأن الياء

قد ضعف لزومها لموضعها (من المخرج) لضعف الاعتماد عليه فى المخرج عند النطق به، حتى جرى معه الصوت، فكان فيه رخاوة: لين[31].

وانفردت الجيم بالقلقة، وهي ظهور صوت يشبه النبرة عند الوقوف عليه، وزيادة إتمام النطق به، والقلقة صفة لا تمنع الابدال، كما هو الحال بين التاء والطاء والباء والميم، والدال والتاء، كما أن اختلاف الحرفين رخاوة وشدة لا يمنع الابدال، مثل الذال والثاء تبدلان من التاء، والعكس.

وقد لمس أهل اللغة الأولون الصلة الوثيقة، والتقارب بين الحرفين، وهو ما عبر عنه سيبويه فى تعليل إبدال الجيم مكان الحرف الذى لا يثبت فى كلام العجم، إذا وصلوا، مثل كوسه، وموزه، وهي حروف تبدل وتحذف فى كلام الفرس همزة مرة، وياء مرة أخرى، وهذا آخر لا يشبه أواخر كلامهم، فصار بمنزلة حرف ليس من حروفهم» فقال:

«أبدلوا الجيم، لأن الجيم قريبة من الياء، وهي من حروف البدل، والهاء قد تشبه الياء، ولأن الياء أيضا قد تقع آخرا، فلما كان كذلك أبدلوها منها، كما أبدلوها من الكاف، وجعلوا الجيم أولى، لأنها قد أبدلت من الحرف الأعجمي الذى بين الكاف والجيم، فكانوا عليها أمضى[32]».

وعلل إبدال الجيم مكان الياء فى لغة بعض العرب بأن الياء خفية، والجيم بينة، فقال: «وأما ناس من بنى سعد[33] فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء فى الوقف، لأنها خفية، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، وذلك قولهم: هذا تميمج، يريدون: تميمى، وهذا علج، يريدون: علي، وسمعت بعضهم يقول: عربانج، يريد: عرباني، وحدثنى من سمعهم يقولون:

خالي عويف وأبو عليج
المطعمان اللحم بالعشج
وبالغداة فلق البرنج

يريد بالعشي والبرني، فزعم أنهم أنشدوه هكذا[34]».

وواضح أن سيبويه علل إبدالهم الياء جيماً بالرغبة فى الوقف على حرف أبين وأظهر، وهذه الصفة متحققة فى الجيم التى تقرب من الياء فى مخرجها وصفاتها، «قال ابن المستوفى: إنما اختص إبدال الجيم من الياء المشددة فى الوقف، لأن الياء تزداد خفاء فى الوقف لسكونها، فأبدلوا منها حرفاً أظهر منها، وهو الجيم، لقربها فى المخرج، واجتماعهما فى الجهر، ومتى خرج هذا الابدال عن هذين الشرطين، وهما الياء المشددة، والوقف، عدوه شاذاً[35]».

وقد جاوز الأمر هذا، فجاءت فى اللغة كلمات بالجيم والياء، ومعناهما واحد، ومنه: «يقال: جصص فلان على القوم ويصص: إذا حمل عليهم[36]».

وقالوا: بعير أزيم وأزجم، فى اللسان «بعير أزيم: لا يرغو، بعير أزيم وأسجم، وهو الذي لا يرغو، قال شمر: الذى سمعت بعير أزجم، بالزاي والجيم، قال: وليس بين الأزيم والأزجم إلا تحويل الياء جيماً، وهي لغة فى تميم معروفة، قال: وأنشدنا أبو جعفر الهذيمي، وكان عالماً»:

من كل أزيم شائك أنيابه
ومقصف بالهدر كيف يصول

ويروى: من كل أزجم، قال أبو الهيثم: والعرب تجعل الجيم مكان الياء لأن مخرجيهما من شجر الفم، وشجر الفم الهواء، وخرق الفم الذي بين الحنكين[37]».

و«الجلايق واليلامق (بالجيم والياء) من الأقبية»[38].

وهذا يمكن أن تحمل على أنها من ابدال الجيم ياء أو إبدال الياء جيماً وفقاً لكثرة الاستعمال، أو الاشتقاق.

والجيم تتصرف العرب فيها، فينطقونها أحيانا بصورة بين القاف والكاف والجيم، وهي لغة سائرة فى اليمن، مثل «جمل» إذا اضطروا قالوا: «كمل»[39]، وهذه لغة مازالت حية فى بعض نواحي اليمن، وخاصة السواحل، والقاهرة. كما ينطقونها ياء، على نحو مما تقدم مفصلا.

ونسبة إبدال الياء جيماً إلى بعض بنى تميم من الأمور التى تحسن مراجعتها، على ضوء ما تقدم وثبت

من النصوص، وهي تثبتها لغة لقبائل أخرى، قال أبو زيد: «قال المفضل: أنشدني أبو الغول هذه الأبيات لبعض أهل اليمن:

يارب إن كنت قبلت حجَّتِج

فلا يزال شاحج يأتيك بج

أقمر نهات ينزى وفرتج[40]

فهى لغة يمانية.

كما سميت فى موضع آخر «عجعجة قضاعة»، وقضاعة قبيلة يمانية، على الأشهر من أقوال النسابين[41]، ونسبها الفراء إلى طي[42]. كما نسب الفراء إبدال الياء المخففة جيماً إلى بنى دُبَيْر من بنى أسد خاصة[43]. وأطلق ابن السكيت القول، فقال: بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيماً، عن ابن الأعرابى:

كأن فى أذنابهن الشول

من عبس الصيف قرون الاجَّل[44]

وعلى هذا يكون إبدال الياء جيماً فى الكلام لغة لبعض العرب من شماليين وجنوبيين، ولا يطرد وينضبط إلا عند بعض بنى تميم فى حال الوقف أو ما فى حكمه بشرط التشديد عند بعضهم، وإن كنت لا أراه.

ولابن عصفور فى إبدال الياء الخفيفة جيماً مذهب خاص، إذ جعله ضرورة شعرية، فقال: «ومنها إبدالهم الجيم من الياء الخفيفة، نحو قول هميان بن قحافة:

يطير عنها الوبر الصهابجا

يريد: الصهابي، فحذف إحدى اليائين تخفيفاً، وأبدل من الأخرى جيماً، لتتفق القوافى، وسهل ذلك كون الجيم والياء متقاربين في المخرج، ومثل ذلك قول الآخر، أنشده الفراء:

يارب إن كنت قبلت حجتج . . الأبيات

يريد: حجتى، ويأتيك بى، وينزى وفرتي، فأبدل من الياء جيماً، وقول الآخر:

حتى إذا ما أمسجت وأمسجا

يريد: أمست وأمسى، لأنه ردهما إلى أصلهما وهو أمسيت وأمسيا، ثم أبدل الياء جيماً، لتقاربهما لما اضطر إلى ذلك»[45].

«وجعله ابن المستوفى من الشاذ، قال: ومن الابدال الشاذ قوله، وهو مما أنشده أبو زيد:

يارب إن كنت قبلت حجتج

وهذا أسهل من الأول، لأنه أورده الشاعر فى الوقت، إلا أن الياء غير مشددة»[46].

وابن المستوفى لا يجعل من الشاذ ما كانت ياؤه مشددة، قال فى شرح أبيات المفصل: «ومتى خرج هذا الابدال عن هذين الشرطين، وهما الياء المشددة والوقف، عدوه شاذاً، ولذلك قال الزمخشري: وقد أجري الوصل مجرى الوقف»[47].

وقد اقتصر بعضهم على اشتراط الوقف، ولم يشترط التشديد استدلالا بقوله:

يقلع بالود وبالصيصج

إذ الأبيات الثلاثة الأولى ياؤها مشددة، والبيت الرابع الياء فيه غير مشددة، وأبدلت الياء جيماً فيها جميعاً.

وقد ذهب أبو على الفارسى وابن جني إلى أن الياء فى الرابع مشددة كأنه ساوى بين المنسوب والمنسوب إليه، مثل أحمر وأحمرىّ، وهو كثير فى كلامهم، كأنه الحق ياء النسبة بعد حذف ياء المنقوص: صيصى، حذفت الياء، ثم زيدت ياء النسبة فصارت صيصي، ثم أبدلت جيماً، فكأنه شدد فى الوقف[48].

وقد ذهب ابن بري إلى وجه آخر، فقال: «أقرب من هذا وأشبه بالمعنى أن يكون أراد (الصيصاء) وهو رديء التمر، الذى لا يعتقد نوى الحقته بقنديل، فقال: صيصي، ثم أبدل من الياء جيماً فى الوقف، ثم جرى الوصل مجراه»[49].

وقول العجاج بن رؤبة:

حتى إذا ما أمسجت وأمسجا

أبدل الياء جيماً فى الوقف وغير الوقف. «تحركت الياء وما قبلها مفتوح، فانقلبت، فلما أبدلت من الياء الجيم بقّاها متحركة، لأنها حرف صحيح لا يعتل»[50].

وقال هميان بن قحافة السعدي:

يطير عنها الوبر الصهابجا[51]

وهو «أحد بني عوافة بن سعد بن زيد مناة بن

تميم، ويقال: أحد بنى عامر بن عبيد بن الحارث، وهو مقاعس، راجز محسن إسلامي، كان في الدولة الأموية(٥٢)».

ورؤبـة وهميان كلاهما من تميم، من سعـدي (سعديّ) وقد وقفا على الياء غير مشددة، فأبدلاها جيماً، مما يضعف اشتراط التشديد.

■ ونستطيع أن نضيف إلى ما تقدم نتائج أخرى، منها:

- أن اللهجات الباقية فى عصرنا الحاضر التي تتحول فيها الجيم الى ياء أو الكلمات التى تتحول فيها الياء الى جيم ذات أصول عربية معروفة.

- أن الجانب الصوتي للموضوع يسيغ الابدال، ولا يمنع حدوثه بين الحرفين، وجود اختلاف في بعض الصفات.

- أن هذا الابـدال قد يقع فى لغات العرب بعامة، وليس خاصاً بقبيلة معينة.

- لهذا الابدال أثر فى وضع المادة فى المعجم، وتكريرها أحياناً.

- أن الرغبة في إبانة الحرف الآخر من أظهر أسباب الابدال جيماً.

- أن الرغبة فى الخفة وتسهيل النطق من أظهر أسباب الابدال ياء.

- أن لغة إبدال الياء جيماً، وإن سمعت عن بعض العرب، لغة مذمومة، بنص أهل اللغة، وقد توقع فيها يستكره في العربية مثل الجمع بين الصاد والجيم.

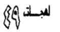
- أن لغة إبدال الجيم ياء لم تحظ من كتب العربية بما حظيت به اللغة المقابلة، غير أنها في العصر الحاضر تشيع فى مناطق معروفة، وقد توقع الغريب عنها فى لبس وإيهام وخلط.

- أن هناك ألفاظا قلبت جيمها ياء سرت إلى لغات قبائل أخرى عرف عنها عدم الابدال.

هذا ما أمكن لى قوله فى هذه المقالة وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الهوامش

(١) سر الصناعة ٢/٧٦٤ - ٧٦٥.
(٢) انظر سر الصناعة ٢/٧٦٥.
(٣) مادة (شجر).
(٤) البحر المحيط ١/١٥٨
(٥) انظر سر الصناعة ٢/٧٦٤.
(٦) انظر المحكم ٧/١٤٠.
(٨) انظر تصريف الاسماء ٢٣٢.
(٩) اللسان (دجر).
(١٠، ١١) الابدال لأبى الطيب ١/٢٦١.
(١٢) فى الفارسية «صهريج، وجمعه صهاريج» انظر فرهنك عميد ص ١٣٧٤ ولعل العرب حين نقلوها طبقوا قوانين العربية بألا يجمع فيها بين الصاد والجيم فى كلمة واحدة، وبنو تميم بحكم قربهم من بلاد الفرس، وصلتهم بهم، وتداول هذه الكلمة معهم، وغلبة العادة والاستعمال اليومي عليهم أبقوها على أصلها الفارسي، وإن خرج عن نظام الكلمة العربى.
(١٣) الابدال لأبى الطيب ١/٢٦١.
(١٤) الجمهرة ١/٥ والصاحبي ٣٧.
(١٥) الابدال لأبى الطيب ١/٢٦٠.
(١٦) الابـدال لابن السكيت ٩٦ والابدال لأبى الطيب ١/٢٦٠ - ٢٦١ والامالي للقالي ٢/٧٨.
(١٧) الابدال لأبى الطيب ١/٢٦٠.
(١٨) الابدال لأبى الطيب ١/٢٦٠.
(١٩) الابدال لأبى الطيب ١/٢٥٧ - ٢٥٩.
(٢٠) الابدال لابن السكيت ٩٥ وانظر الابدال لأبي الطيب ١/٢٥٩ - ٢٦٠ والأمالي للقالي ٢/٧٧.
(٢١) الابدال لابن السكيت ٩٥.
(٢٢) الابدال لابن السكيت ٩٥-٩٦.
(٢٣، ٢٤) انظر شرح الشافية ٢/٢٨٧.
(٢٥) الصاحبي ٣٧.
(٢٦) انـظر التمهيد فى علم التجـويد ١١٤ وهـداية القـارىء ٦٠ وتشاركها الشين فى هذا المخرج.
(٢٧) هداية القارىء ٦٠.
(٢٨) انظر التمهيد في علم التجويد ٩٧-٩٨ وهداية القارىء ٧٩-٨٠.
(٢٩) انظر التمهيد فى علم التجويد ١٠٠.
(٣٠) انظر هداية القارىء ٨٢.
(٣١) انظر التمهيد فى علم التجويد ٩٨-٩٩ وهداية القارىء ٨٠.
(٣٢) سـيبويـه ٤/٣٠٥.
(٣٣) هم بنو فقيم بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، انظر جمهرة أنساب العرب ٤٦٦.
(٣٤) سـيبويه ٤/١٨٢.
(٣٥) شرح شواهد شرح الشافية ٤٨٦.
(٣٦) البـارع ٥٧٩.
(٣٧) اللسان (زجـم، زيم).



(٣٨) القامـــوس (جلمق).
(٣٩) الجمهرة ١/٥ والصاحبي ٣٦.
(٤٠) نوادر أبى زيد ٤٥٥ - ٤٥٦
(٤١) انظر جمهرة أنساب العرب ٤٤٠.
(٤٢) الابدال لأبى الطيب ١/٢٥٨.
(٤٣) الابدال لأبى الطيب ١/٢٦٠.
(٤٤) الابدال لابن السكيت ٩٥ - ٩٦.
(٤٥) ضرائر الشعر ٢٣١ - ٢٣٢.
(٤٦) شرح شواهد شرح الشافية ٢١٧.
(٤٧) شرح شواهد شرح الشافية ٢١٣.
(٤٨) شرح شواهد شرح الشافية ٢١٤ - ٢١٥
(٤٩) شرح شواهد الايضاح لابن بري ٢٧٠.
(٥٠) شرح شواهد الايضاح لابن بري ٦٢٧.
(٥١) الأمالي للقالي ٢/٧٧.
(٥٢) المؤتلف والمختلف ٢٠٤.

ابو حيان الغرناطى، محمد بن يوسف

(١٢٥٦ - ١٣٤٤). نحوى، ولد بغرناطة، ومات بالقاهرة، درس القرآن والحديث والنحو واللغة، ببلش ومالقة والمرية بالاندلس، وتنقل بالمغرب ومصر والشام والحجاز، تولى التدريس بمدارس مصر والشام ومساجدها منذ (١٢٩٨)، كان ظاهرى المذهب، وتحول بمصر شافعيا، ظهرت آثار مذهبه فى تفسيره ونحوه، ولما جمع فى كتبه أكثر القواعد النحوية وأقوال النحاة، عد من اعظم نحاة عصرة، ألف كتبا مطولة ومختصرة، اشتهر منها: «البحر المحيط» ومختصراته فى التفسير، و«ارتشاف الضرب من لسان العرب»، و«شرح تسهيل الفوائد» لابن مالك فى النحـو، و«الادراك فى لسـان الأتـراك» و«منطق الخرس فى لسان الفرس» و«جلاء الغبش عن لسان الحبش»، و«طبقات نحاة الأندلس»، وتاريخه الكبير للأندلس.

الأصمعى، عبد الملك الباهلى

(٧٤٠ - ٨٣١)، لغـوي، ولد ومات بالبصرة. درس الحديث على شعبة بن الحجاج والحمادين ومسعر بن كداح، واللغة على أبى عمرو وعيسى بن عمر والخليل، والشعر عن خلف الأحمر، طوف بالبوادى فصار اماما فى الأخبار والنوادر واللغة والشعر، عرف بكثرة الحفظ، ورواية الشعر، والرجز خاصة، والصدق، والتدين، وعدم تفسير شىء من القرآن ولا شىء من اللغة، له نظير أو اشتقاق فى القرآن أو الحديث، ولا شعر فيه هجاء، وعدم الافتاء الا فيما أجمع عليه العلماء، والتوقف فيما يتفردون به، وتجويز أفصح اللغات فقط، فنالت مروياته من التوثيق أكثر مما نالت مرويات غيره، استقدمه هارون الرشيد وعهد اليه بتأديب ولده، تتلمذ له أبو عبيد والسجستانى والرياشى وغيرهم، روى كثيرا من دواوين الشعر، وألف كثيرا من الرسائل اللغوية الصغيرة، وينسب اليه كتاب تاريخى، أهم ما وصل الينا من كتبه التى اعتمد عليها كل من جاء بعده من اللغويين: «خلق الانسان»، و«فحولة الشعراء»، و«الأصمعيات» وهى اثنتان وتسعون قصيدة ومقطوعة من الرجز، اختارها الأصمعى، لواحد وسبعين شاعرا، أربعة واربعون منهم جاهليون، وأربعة عشر مخضرمون وستة اسلاميون وسبعة يجهل الدارسون تاريخهم، وتعالج القصائد موضوعات متنوعة، ولم يعمد فيها المؤلف الى تبويب، ولم تنل من الشهرة ما نالته المجموعات الشعرية الأخرى، لأن قيمتها اللغوية تفوق قيمتها الفنية ولأن بعضها مختارات من قصائد طويلة، وان تمتعت بالتوثيق الذى عرف به الأصمعى.

عزيزي القارىء

أعداد المنهل السنوية المتخصصة والممتازة كتاب في عدد

●● الاعداد المتخصصة والممتازة، عطاء علمي وفكري ومعرفي متميز، تمتاز دراسات هذه الاعداد بالمرجعية والدقة العلمية.

●● كل عدد منها يتناول موضوعاً واحدا له أهميته الفكرية والمعرفية، ويكتب في جزئيات هذا الموضوع جمهرة من الأقلام المتخصصة.

●● منذ عام ١٤٠٤هـ اختطت هذه الأعداد (المتخصصة والممتازة) منهجا واسلوبا وشكلا خاصا.

●● خلال الأعوام (١٤٠٤ ـ ١٤١٣هـ) أصدرت المنهل من الاعداد (المتخصصة والممتازة) ثمانية عشر عددا تفاصيلها كالتالي:

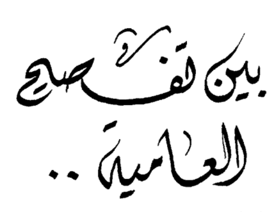
الاعداد المتخصصة

- الفن ـ شعبان/رمضان ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
- الأمن والأمان ـ شعبان/رمضان ١٤٠٥هـ ـ مايو يونيو ١٩٨٥م.
- الثقافة العربية ـ شعبان/ رمضان ١٤٠٦هـ ـ مايو ١٩٨٦م.
- الاثر والاثار ـ رمضان/ شوال ١٤٠٧هـ ـ مايو/يونيه ١٩٨٧م.
- العادات والتقاليد ـ رمضان/شوال ١٤٠٨هـ ـ ابرايل/مايو ١٩٨٨م.
- الاستشراق والمستشرقون ـ رمضان/ شوال ١٤٠٩هـ ـ ابرايل/مايو ١٩٨٩م.
- الابداع والمبدعون ـ شوال/ القعدة ١٤١٠هـ ـ مايو/ يونيه ١٩٩٠م.
- الهجمة الفكرية والتصدى الحضارى ـ شوال/ القعدة ١٤١٢هـ ـ ابريل/ مايو ١٩٩٢م.
- اللغة العربية ـ شوال/ القعدة ١٤١٣هـ ـ ابريل/ مايو ١٩٩٣م.

الاعداد الممتازة

- الهجرة . . العلم والعلماء ـ ربيع الاول ١٤٠٥هـ ـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٤م.
- الهجرة ـ اللغة ـ التراث ـ الحضارة ـ الربيعان ١٤٠٦هـ ـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٥م.
- الدعوة والدعاة ـ الربيعان ١٤٠٧هـ ـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٦م.
- المبادىء البناءة والدعاوى الهدامة ـ الربيعان ١٤٠٨هـ ـ اكتوبر/ نوفمبر ١٩٨٧م.
- مناهل الاشعاع الاسلامى ـ ربيع الثانى وجماد الأولى ١٤٠٩هـ ـ ديسمبر٨٨ ويناير ١٩٨٩م.
- مكة المكرمة ـ المقام والارتحال ـ الربيعان ١٤١٠هـ ـ اكتوبر/ نوفمبر ١٩٨٩م.
- الحديث النبوى والقدسى ـ ربيع الثانى وجماد الأولى ١٤١١هـ ـ اكتوبر نوفمبر ١٩٩٠م.
- القرآن الكريم . . الهدى والاعجاز ـ الربيعان ١٤١٢هـ ـ سبتمبر/ اكتوبر ١٩٩١م.
- المدينة المنورة . . دار الهجرة ومأرز الايمان ـ الربيعان ١٤١٣هـ ـ سبتمبر/ اكتوبر ١٩٩٢م.

اتصالك بنا يسهل لك اقتناءك لهذه الاعداد



بقلم: د. بكرى عبد الكريم

المعهد الوطنى العالى للحضارة الاسلامية - وهران

تربط اللغة في العصر الحديث بين شعوب تعد بعشرات الملايين وتعيش على مساحة شاسعة الاطراف تمتد من المحيط الى الخليج فهي من هذه الناحية عامل توحيد وتلاحم، وهي من أجل ذلك مؤهلة لان تظل قوام الثقافة المشتركة، والتاريخ الجامع لكل هذه الشعوب عبر الحقب والازمان، ولكنها قبل ذلك، لغة القرآن الكريم، كتاب الله الخالد الذى تتجلى فيه مظاهر اعجازها والحاضن لعقيدتها الاسلامية. وما كان للعربية أن تتمتع بهذه المزايا العظيمة لو لم تكن لغة القرآن، فهي مظهر رائع من مظاهر اعتناق النص القرآنى للحرف العربي، والمنطوق اللساني بالمضمون الاسلامي.

وقد نرى أن أبناء هذه اللغة يشعرون بأنهم يملكون كنزا عز على كثير من الشعوب والطوائف التي تحاول أن تبتدع لها جوامع أو روابط بأية صورة من الصور، فكل التجمعات والكيانات التي تحاول أن تقيمها قائمة على أساس منفعة عسكرية أو اقتصادية بالاساس، ولا شيء غير ذلك، وهي عوامل يمكن أن تزول بزوال الحاجة اليها، اذ لا وجود للغة المشتركة أو الشعور الديني أو القومي في هذه الكيانات.

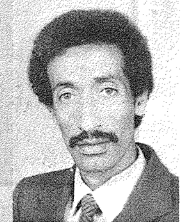
غير أن الاخطار ما فتئت تقف في مسار العربية وتهدد انطلاقها نحو التطور والرقي ابتداء من محاولة تفكيك أوصالها وتجزئتها أشلاء متفرقة في أصقاع العالم العربي، الى وصفها بالقصور وعدم مسايرة التقدم التكنولوجي والعلمي.

● العامية عاجزة عن استيعاب الاداب الرفيعة.

● «العامية مقضي عليها بالزوال.. والفارق بينها و بين الفصحى يضيق يوما بعد يوم» توفيق الحكيم

■ ومن هنا جاءت دعاوى تشجيع العاميات واحلالها محل الفصحى وقبل أن نتقدم في بحث هذا الموضوع، نوضح بادىء ذى بدء حقيقة مؤداها أن مفهوم اللهجة غير مفهوم العامية وأن الأولى صفات صوتية وتركيبية تعترى لغة وطن من الأوطان دون أن تنال من معناها الأصلى العام. بينما نجد أن العامية قد تغيرت فيها بعض مخارج الحروف واختفى بعض من معالمها وملامحها الأصيلة نتيجة لعبث ألسنة العامة بها، ولاختلاطها بلغات دخيلة، غير أنها تبقى مع ذلك محتفظة في بنيتها العميقة بمعدنها العربي الأصيل.

وان منهم لفريقا (من دعاة العامية) من يهول لك أمر اختلاف لغة العامة عن الفصحى حتى ليظن أننا في حاجة الى مترجمين ومعاجم نقدمها لعامة الشعب حتى يفهم لغة أجداده. . !! والواقع يقول غير ذلك،



الكاتب في سطور:

● د. بكرى عبد الكريم.
● دكتوراه دولة في علوم اللغة.
● أستاذ محاضر في جامعة وهران والمعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الاسلامية.
● له كتب وأبحاث ومقالات منشورة في الجزائر والعالم العربي.
● مدير سابق لمعهد اللغة العربية وآدابها.
● مدير المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الاسلامية حاليا.

وحماية الفصحى

فان وجود لغة عامية بجانب اللغة الفصحى ليس بدعا فى اللغة العربية، وانما هي ظاهرة موجودة فى أغلب اللغات الحية الراقية بل ان من المحققين فى تاريخ العربية من يذهب الى أن البيئة في العصر الجاهلى قد عرفت مستويين من الاستعمال اللغوى وهم يفرقون بين اللغة التى كان يصطنعها الواحد من الاعراب في كلامه العادى كلما خلا الى أفراد قبيلته وعشيرته وبين اللغة النموذجية الرفيعة التى كانت لسان الخطباء والشعراء، فهذه لغة تخاطب الناس في حياتهم العامة يتكلمونها بعفوية مطلقة ويؤدون بها التافه من شؤونهم وتلك لغة أدب وشعر لا يؤتاها الا من أدرك نواحي القوة والجمال فيها.

بل إن كثيراً من الكلمات العامية المستعملة الآن، ورثناها عن لهجات عربية قديمة، من ذلك أنا نستعمل في الجزائر كلمة «آش» و «واش» وهى تفيد الاستفهام بمعنى ماذا، لأنها منحوتة من أى شيء تحولت عن أصلها لكثرة الاستعمال، قال ابن يعيش: «والمراد أى شيء وحذفوها تخفيفاً». ولقد حاول الاستعمار الفرنسى في الجزائر والمغرب العربى أن يحدث قطيعة بين اللهجات العامية وبين الفصحى فكان يفرض على المدارس والثانويات نصوصا في مؤلفات سماها «اللغة المستعملة» L'ARABE PARLEE وضمنها طائفة من الكلمات العامية المبتذلة وفرض نصوصاً أخرى فى مؤلفات خصصها للغة الفصيحة وسماها اللغة القديمة L'ARABE CLASSIQUE.

ولقد عرفت مواطن في العالم العربى مثل هذه المحاولات الرامية الى «صنع أو اصطناع لغة من أشتات الكلمات العامية» مثل محاولات سلامة موسى فى مصر وأنيس فريحة في لبنان ولكنها محاولات لم يكتب لها النجاح، أو الدوام لسبب بسيط ووجيه في آن واحد، وهو **أن العامية عاجزة عن استيعاب الاداب الرفيعة والافكار الراقية المعمقة فهى** تكتفي باحتواء بعض النصوص ذات المضامين السطحية التى ألف الناس سماعها من رواتهم وجداتهم مما يسمى بالأدب الشعبى، فهي عبارة عن «ثوب البيت» عند رفع التكليف كما كان يقول: د. زكي مبارك رحمه الله.

■ **نخلص من هذا الى القول، بأن هناك لغة واحدة ـ بالمعنى العلمي والاكاديمي للكلمة هي اللغة العربية، وهي لغة مثل سائر اللغات الاخرى، تعلو وتهبط وفق المستويات الثقافية للمتكلمين بها، وتتأثر المواضيع والمجالات المعبر عنها بها، وأن هناك لغة عامية مرتبطة بالفصحى وليست مستقلة عنها، وانما هي أداة تعبير تتناسب مع عقليات البسطاء من الناس وتصلح لتبليغ التافه من شؤون حياة الناس.**

وما يجب أن نؤيده ونتفق فيه مع دعاة الاعتناء بالعامية هو وجوب تقريب الشقة بين العامية والفصحى بكل الوسائل التثقيفية والبيداغوجية بحيث تتمكن الأولى من أن تقترب من اللغة المكتوبة فتصبح مرآة عاكسة للمستوى التعليمي والثقافي الذى وصلت اليه الشعوب العربية بمختلف شرائحها الاجتماعية ومما يؤيد ما نذهب اليه هو أن عامية الجزائر غداة الاستعمال ليست عامية اليوم إذ ماتت فيها كثير من الكلمات الأجنبية وحلت محلها كلمات عربية فصيحة نتيجة لانتشار التعليم وتوسع شبكة الاعلام السمعي البصرى باللغة العربية.

يقول توفيق الحكيم وهو يتحدث عن اللغة المناسبة لكتابة مسرحياته ما خلاصته: **أن الواقع الذى يلاحظ اليوم أن العامية مقضي عيها بالزوال والفارق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد يوم،** ويكفي أن نستمع الى فلاحنا أو عاملنا في مجلس الأمة ومجلس الادارة ليتضح لنا أن لغة الكلام العادى قد ارتفعت الى المستوى الفصيح، فهو مثلا يقول: «دا موضوع يهم جميع الفلاحين «أو» الأرباح دى تم توزيعها بالنسبة لأغلب العمال».

فاذا تجاوزنا عن الابدال الذى وقع للذال في اسم الاشارة، فان العبارة كلها تصبح صحيحة وهذا النوع من الرخص والاختزالات موجود في اللغات الحية عند التخاطب.

ففي الانجليزية مثلا Iam تنطق I,m وفي الفرنسية IL n e faut pas faire cela تنطق Faut pas faire ca .

وعندما يقول رب أسرة على المائدة «هاتوا لنا التفاح اللي شريته» فهذه العبارة سليمة الا من اختزال الاسم الموصول «الذى» «الى» «اللي».

هذا بيان من أحد رواد كتاب المسرح في العالم العربي العارف بواقع اللغة المتداولة فيه، يلمس ويرى كيف بدأت العامية تسعى بخطى حثيثة للالتقاء بالفصحى.

وأعتقد جازما أن افشاء أجواء مشبعة بالكلمات الفصيحة في مختلف البيئات من شأنه أن يفصح كثيرا من الكلمات في العـامية وذلك بنشر التعليم في كل الاوساط، ومن مختلف الاعمار، وتوفير وسائل التعليم السمعية البصرية، واستعمال العربية فى وسائل الاعلام، لان السبب الرئيسي في انحراف الالسنة وبعدها عن اللغة الاصلية هو اصابة الامة العربية بالامية اصابات بالغة . اذ لم يستطع العالم العربى إلى الآن القضاء على هذه الآفة الخطيرة، فقد نشرت منظمة اليونيسكو احصائيات في الأيام الأخيرة تفيد أن عدد الأميين في العالم العربي قد بلغ واحدا وستين مليونا ويوم أن ترتفع نسبة التعليم الى درجة عليا، ستكون لغة الضاد هى السائدة في كل مكان، وستكون العامية ظلا رافدا لها يمكنه أن يمد بعض الأعمال القصصية أو المسرحية بتعابير مولدة جديدة.

المراجع التى استأنس بها هذا البحث هى:

- شرح المفصل لابن يعيش ١/٧٦ وما بعدها ـ عالم الكتب بيروت (بدون تاريخ).
- هامش مسرحية الورطة (عام ١٩٧٧) ـ لتوفيق الحكيم.
- اللغة العربية بين حماتها وخصومها ـ أنور الجندي ـ مكتبة الانجلو مصرية (بدون تاريخ).
- ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربى (١٩٨٤) ـ ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) ـ لكاتب هذا البحث.
- اللهجات العربية لابراهيم أنيس ـ مكتبة الانجلو مصرية ـ القاهرة.

اللغات اليمانية القديمة

كانت اللغات السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية والاوسانية أو الهرمية، هى لغة المسند أو لغة النقوش اليمانية القديمة، وهى لغات ذات وشائج قوية تكون وحدة متشابهة في كتابتها وقواعدها النحوية واشتقاقها وخصائصها، الا أنه يوجد فيها بعض الفروق اللغوية، كما هو الحال بين اللهجات المتعددة اليوم في اليمن، ففي السبئية مثلا تستعمـل الهاء في ضمير الغائب كالفصحى مثل (هو) و (هم) وفي وزن افعل من الفعل المزيد مثل (هافعل) و(هقني) بمعنى قدم واعطى، بينما نجد اللغة المعينية وغيرها من اللغات الاخرى تستعمل السين عوضا عن الهاء مثل (سو) و(سم) أي (هو) و(هم) و(سقنى) اي هقني.

وقد غلب على هذه اللغات في العصر الاسلامي اسم اللغة الحميرية ربما لقرب عصرها من العصر الاسلامي، وربما كانت التسمية قد ظهرت في العصر الحميرى نفسه حينما انتقلت السيادة الى ملوك الدولة الحميرية الذين انتزعوا الزعامة ممن قبلهم، بيد أن للدكتور خليل يحيى نامي في اللغة الحميرية رأيا آخر فهو يعتقد أنها قد نشأت

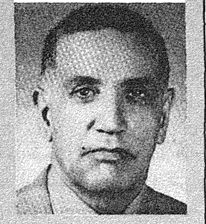
في الحقيقة ـ على حد تعبيره ـ من احتكاك اللغة العربية وغيرها من اللغات الاخرى التي دخلت بلاد اليمن بلغات النقوش اليمنية القديمة، ويضيف قائلا: ونحن لا نعرف في الحقيقة التاريخ الذي نشأت فيه تلك اللغة وهل حدث ذلك قبل الاسلام او بعده.

ومهما كان الأمر فان اللغات اليمانية القديمة اصل من اصول اللغة العربية ورافد من روافدها، غير أن علماء اللغة العربية لم يعنوا بتدوين جميع المفردات اليمانية في قواميس اللغة ومعاجمها، كأنها ليست من العربية في شيء استنادا الى مقولة مذكورة في بعض الكتب العربية وهي: ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا.

وعلى صحة هذا القول فلا يصح أن يكون هذا الرأى حكما عاما، ولا قاعدة مطردة ففي القرآن الكريم الفاظ يمانية ليست من لغة قريش اوردها جلال الدين السيوطى في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) ناقلاً ذلك عن بعض الصحابة رضى الله عنهم جميعا.

فقال: «أخرج أبو عبيدة عن طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله: (وانتم سامدون) قال: الغناء وهي يمانية واخرج ابن ابى حاتم عن عكرمة قال: هى بالحميرية، واخرج ابو عبيدة عن الحسن قال: كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجل من اهل اليمن فأخبرنا ان الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير، واخرج عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ قال: ستوره بلغة اهل اليمن، واخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿لاوزر﴾ قال: لاحيل، وهي بلغة أهل اليمن، واخرج عن عكرمة في قوله تعالى: (وزوجناهم بحور) قال: هى لغة يمانية وذلك ان اهل اليمن يقولون: زوجنا فلانا بفلانة، قال الراغب فى مفرداته، «ولم يجيء في القرآن زوجناهم حورا كما يقال: زوجته امرأة تنبيها أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا بالمناكحة واخرج عن الحسن في قوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) قال: اللهو بلسان اليمن المرأة، واخرج ابن عباس في قوله تعالى (أتدعون بعلا) قال: ربا بلغة اهل اليمن، واخرج عن قتادة قال: بعلا بلغة أزد شنوءة، واخرج فيه عن الكلبى قال: (المرجان): صغار اللؤلؤ بلغة اهل اليمن واخرج فى كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان عن مجاهد قال (الصواع) الطرجهالة بلغة حمير، ولابن عباس (فنقبوا) هربوا بلغة اليمن، واخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمرو بن شرحبيل فى قوله تعالى (سيل العرم) «المسناة» بلغة أهل اليمن، واخرج جويبر في تفسيره عن ابن عباس فى قوله تعالى (في الكتاب مسطورا) قال: مكتوبا، وهي لغة حميرية يسمون الكتاب أسطورا، و(تفشلا) • تجبنا بلغة حمير. وكذلك (عثر) اطلع، (سفاهة) جنون، (زيلنا) ميزنا، (مرجوا) حقيرا، (السقاية) الاناء، (مسنون) منتن، (امام) كتاب، (ينغضون) يحركون (حسبانا) بردا، (من الكبر عتيا) نحولا، (مآرب) حاجات، (خرجا) جعلا، (غراما) بلاء، (الصرح) البيت، (انكر الاصوات) اقبحها، (يتركم) ينقصكم، (مدينين) محاسبين، (رابية) شديدة، (وبيلا) شديدا، (لاشية فيها) لا وضح، وهى فى لغة أزد شنوءة وكذلك (العضل) الحبس (امة، سنين، (الرس) البير، (كاظمين) مكروبين، (غسلين) الحار الذى تناهى حره، (لواحة) حراقة، و(الرفث) الجماع بلغة مذحج، وكذلك (مقيتا) مقتدرا، (بظاهر من القول) بكذب، (الوصيد)) الفناء، (حقبا) دهرا، (الخرطوم) الانف، (وحفدة) اختان بلغة سعد العشيرة. وكذلك (كل) عيال، و(فجاجا) طرقا بلغة كندة وكذلك (بست) فتقت، (تبتئس) تحزن، و(ربيون) رجال بلغة حضرموت)، وكذلك (دمرنا) أهلكنا، (لغوب) أعيا، (منسأته) عصاه، و(طفقا) عمد بلغة غسان، و(بئيس) شديد، (سيء بهم) كرههم، (وتميلوا ميلا عظيما) تخطئون خطأ بينا بلغة سبأ، (تبرنا) أهلكنا، و(لا احتنكن) لا أستأصلن بلغة الاشعريين، وكذلك (تارة) مرة، و(اشمأزت) مالت ونفرت و(لينة) النخل بلغة الاوس، و(ينغضون) يذهبون بلغة الخزرج).

(القاضي اسماعيل بن علي الاكوع)
من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني
(١٩-٢٠) ربيع الاول/ رمضان ١٤٠٣هـ



الكاتب في سطور

- عالم موسوعي في اللغة.
- عضو فاعل في عدد من المجامع اللغوية.
- عضو في المجمع العلمي الهندي.
- عضو في الجمعية اللغوية الباريسية.
- له جمهرة مؤلفات ودراسات في تاريخ العربية ونحوها.
- له مجموعة مؤلفات في اللغات السامية.
- افاد من علمه الكثير من الجامعات العربية وغيرها.

التجاوز على الفص

بقلم: أ.د. ابراهيم السامرائي

- ما كان للشيخ ابراهيم اليازجي ان !
- هل من كمال العلم ان نخطئ شاعرا !
- ما أظن كتاب سيبويه إلا ان يكون قد !
- ما جاءكم من كلام العرب إلا أقله. ولو

لعل من المفيد ان نتذكر ان الفصيحة غير الفصحى، وهذا يعني ان الثانية هي الفضلى، وهي درجة أعلى من الفصيحة، واذا كنا نجابه المشكلة اللغوية وكيف نصل الى حلها، وأننا لا نقوى على اللغة، وعسير علينا أن نعرب بعربية سليمة، فمن الخير ان نكتفي بالفصيحة ونجهد في فهمها كلاماً وكتابة.

وقد يكون مفيداً أيضاً أن نعرض لشيء من تاريخ هذه المشكلة اللغوية فنقول:

جاء في الأثر: ان اللحن قد عرف في حقبة فجر الاسلام، او قل في عصر الرسول - عليه السلام - فقد ذكروا أن احداً جاء الى النبي ﴿ﷺ﴾ فقال: «توفى أبانا وترك بنون»، واذا كان لنا أن نقبل هذا الخبر فذلك يدل على ان اللحن قديم، وان العدول عن قوانين العربية قد جد، وقد جاء في أخبار النحويين ان اللحن حين فشا فشواً ذريعاً تدارك أهل العلم هذه الغائلة الوافدة بسبب جمهور الأعاجم الذين أسلموا فدخلوا في حيز المجتمع الاسلامي، وتعربوا فكان منهم جمهرة الموالي، وقد قيدوا هذه الحقبة بأواسط القرن الأول الهجرى، فوضعت الأصول الأولى لعلم النحو(*).

لقد كان النحو وكان النحاة الذين انطلقوا في استخلاص الأصول من لغة التنزيل وأشعار العرب مستهدين بالقياس تارة وبالسماع تارة أخرى، فكان علم قائم على الكثير الشائع، وكانت مسائل أخرى أخذوا مأخذ اللغات الخاصة، فان لم يكن من هذا وذاك حسبوه من الشذوذ والندور.

ومن هنا نشأ الكلام على الخطأ (اللحن)، وان الوقوف عليه دفع المعنيين بالعربية وتاريخها الى التصنيف فيه. وربما كان طبيعياً أن يكون الوقوف على اللحن قد أغرى اولئك المصنفين فاندفعوا في جمعه والاشارة اليه، وربما كان ذلك ايضاً دافعاً لهم الى التوسع في هذا، ومن شأن أصحاب الجديد أن يتحروا عن جديدهم، وقد يدفعهم ذلك الى توهمه بل تخيله، وربما زادوا فوضعوه، ولم لا ألم يضعوا الأخبار في الأدب، وينتحلوا القصائد الطوال، وينشئوا الشعراء، وكلهم مجهول هيان بن بيان، وليس من عجب ان يولد المصنفون نماذج من القول يحملونها على اللحن، اذا كنا قد عرفنا أنهم زعموا ان الجن قالت شعراً وشعر الجن مقطعات بل قصائد.



على الحارث بن حلزة.

قليا مثل عنترة.. «د. السامرائي»

بق مطولات عفا عليها الزمان.

م وافرا لجاءكم علم كثير..
«ابن العلاء»

■ أقول: درج اللغويون والنحاة على ضبط الأنماط اللغوية التى تدخل فى باب «اللحن»: لقد عرض النحاة هذا الباب وأدرجوه فى مادة النحو مما خرج على الأصل، ثم انصرف اللغويون يضبطون ما خرج على نظام العربية فى استعمال الكلم، وهو «اللحن» فى الأساليب، وتكثروا فى هذا ونسبوه تارة الى «العوام» وأخرى الى «الخواص» فكانت كتب كثيرة، وانقسم اهل العلم في هذا فريقين: فريق تشدد وسارع الى القول بالخطأ، وفريق آخر نظر وتوسع وتأول ادراكاً منه ان فى العربية سماحة وسعة وليس ان نعزوا هذا الى الخطأ.

والذى أراه ان الخطأ قد وجد ولا سبيل الى انكاره ولكن ينبغى أن يكون فى عصرنا هذا مادة درس جديد.

قلت: لقد توسع فيه طائفة من الأقدمين وتكثروا منه، ووقف آخرون منه موقفاً آخر يتشبثون بوسائل بشيء من اللطف الى قبوله، فأما الذين ضبطوه وتوسعوا فيه فقد تجاوزوا الحدود فزعموا ان اللحن عرف فى الجاهلية، وان الشعراء المتقدمين قد عرض لهم شيء منه كما سنتبين، ومن الجهال ان يذهب معاصرون فى عصرنا هذا المذهب، ولا أدري كيف جاز لابراهيم اليازجى أن يخطىء شاعراً جاهلياً كالحارث بن حلزة فى جعله كلمة «ضوضاء» مؤنثة فى قوله:

أجمعوا أمرهم عشاء فلما
أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

ولا أدري كيف رجح التذكير على التأنيث، والقائل جاهلي، والكلمة اسم جامد ليس من الكلم الخاص بالعاقل ولا من الكلم الخاص بالحيوان. وقد تكون الكلمة أقرب الى الكلم المؤنث بسبب الألف والهمزة، وهي هنا نظير الاسماء المؤنثة على هذه الشاكلة مثل الهيجاء، والطرفاء والشجراء، وهذه ليست من الاسماء او الصفات التي تأتي على «أفعل فعلاء».

وبعد كل هذا من يكون الشيخ ابراهيم اليازجي وهو يتحكم فى قول جاهلي!!

أقول: وكان على أصحاب المعجمات ان يثبتوا في معجماتهم «ضوضاء» مؤنثة بدلالة البيت المذكور وان يثبتوا التذكير أيضاً معززاً بشواهد مقبولة.

وحمل اليازجي قول الشاعر الجاهلي عنترة:

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر
للحرب دائرة على ابني ضمضم

على الخطأ فى تعديته الفعل «خشي» بالباء، وهو يتعدى الى المفعول من غير حرف.

أقول: وهل من العلم أن نقول: ان عنترة أخطأ.

أقول: والجواب عن هذا الاعتراض ان الفعل اختص فى معناه وانصرف الى الولوع بما هو غير مقبول من العادات والسلوك، وقد كان معناه عاماً. وأما تحوله الى البناء للمعلوم بسبب من معناه الذي تضمنه فى العربية المعاصرة فكأن «استهتر» فى تصور المعربين فى عصرنا أنه بمعنى «سلك» سلوكاً شائناً، وكما كان «سلك» مبنياً، للمعلوم فكذلك يجب ان يكون «استهتر».

■ ومنع احد المعاصرين أن يقال: تسرب الماء الى الشارع أو نحو هذا، والصواب ان يقال: تسرب الماء فى الشارع.

وحجة صاحبنا ان «التسرب» هو من «السرب» وهو الطريق فى داخل الأرض، ومن هنا احتاج الى معنى الظرفية، والظرفية لا تتوفر إلا بالحرف «في» ولو

ان صاحبنا أدرك ان الفعل تضمن معنى «جرى» لاتضح له ان الاستعمال الحديث صحيح مقبول.

ولا أدرى لم ضاق هؤلاء المعاصرون ولم يأخذوا بالتضمين الذى عرفته العربية طوال عصورها، وإلا كيف نفهم قوله تعالى: **﴿ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم﴾**، لابد ان يكون المعنى المراد: ولا تضيفوا أموالهم الى اموالكم. . اما التوسع فى استعمال حروف الجر فشواهده أكثر من أن تحصر وسنأتي على شيء من ذلك.

■ يقول المعاصرون: ان هذا لشيء «محتمل» الوقوع، و«محتمل» وزان اسم المفعول، والصيغة القديمة على وزان اسم الفاعل، وكان يقال: هذا الشيء محتمل للصدق أو الكذب، أى أنه «يحتمل» بمعنى «يحمل» الصدق او الكذب، وعلى هذا يكون «الصدق» أو «الكذب» هو «المحتمَل» بصيغة اسم المفعول اما الشيء فهو «محتمِل» بصيغة اسم الفاعل.

ولما صار الشيء الذى «يحتمل» الصدق او الكذب يجري فى الشك وعدم التأكد استفاد هذا الفعل معنى التردد والشك فصرفوه الى البناء للمجهول فقالوا: يحتمل ان يحصل كذا وكذا.

وليس فى هذا من ضير، وينبغي ان يدرج فى باب التطور اللغوي في الدلالات، وهو شيء حاصل فى جميع اللغات.

أكتفي بهذا القدر من الشواهد فى هذا الموجز، ولو أردت أن أتوسع فى هذا بعض التوسع لكان لى منه كتاب برأسه.

ولا أريد أن اذهب مع المتساهلين فأجري الخطأ على أنه تطور لغوي، أو أنه شاع وشيوعه جعله بمنزلة الصحيح، لاأقول هذا، ولأني أجد أن خطأ كان ويكون وسيكون، ولكني انظر الى التطور نظرة تاريخية لغوية، ألا نرى ان الالفاظ الاسلامية هى ضرب من التطور وذلك لان هذه الالفاظ احتملت من المعانى الجديدة فى القرآن والحديث ما لم يكن لها فى الجاهلية، وهذا يعنى ان التطور اللغوي قد فعل فعله، ولو أنا جرينا على طريقة المتشددين الذين قيدوا فصاحة الكلمة وفصاحة الأساليب بحقبة زمنية معروفة لم يتجاوزوا فيها صدر دولة بنى أمية لكنا فى حرج من أمر هذا الجديد فى الكلم الاسلامي الذي أخذ طريقه فى الاستعمال ثم استمر طوال العصر الأموي وطوال العصور العباسية حين جدت معان جديدة بعضها مصطلح وبعضها غير مصطلح.

هذه مسألة واحدة، وهناك مسألة ثانية هي ان كتب التصحيح حفلت بمواد متشابهة ينقلها اللاحقون عن السابقين، ومن العجيب ان اولئك المتقدمين قد أثبتوا مسائل حملوها على اللحن فى حين أنها وردت فى شعر الجاهليين والاسلاميين.

وسنأتي على شىء من ذلك، وهذا يعني ان استقراءهم ناقص وقد فاتهم شيء كثير. ومن البديهي ان تكون نتائجهم ناقصة، وذلك لاستحالة ان يكون هذا المتقدم على سعة علمه وحفظه قد استوفى ما قالته العرب لسعته وكثرته، وان الذى ضاع منه أكثر مما بقى، والى هذا ذهب ابو عمرو بن العلاء فى قولته المشهورة: **«ما جاءكم من كلام العرب إلا أقله، ولو جاء وافرا لجاءكم علم كثير»**.

أقول: اذا كان المتقدمون من علماء اللغة قد قصروا فى استقرائهم وان الذي حفظوه واستظهروه قليل جداً وقد فاتهم علم كثير، فكيف يتسنى لأهل هذا العصر أن يدعوا ان هذا خطأ وصوابه كذا والذى ورد فى مصادر العربية اللغوية والأدبية والتاريخية يكشف عن فساد منهج هؤلاء المعاصرين، وسنعرض لطائفة من أقوال المعاصرين.

ومسألة أخرى، وهى ان القائلين بالخطأ قد نظروا نظرة ضيقة للاستعمالات الجديدة فى عصرنا، ولو أنهم اتسعوا قليلا لرأوا ان الجديد يصار إليه باختلاف النظر، وللاستشهاد على ذلك نعرض لمسائل يسيرة على سبيل التمثيل:

■ قال احد المعاصرين ان الفعل «استهتر» فى العربية المعاصرة ويراد فيه تصرف على نحو مجانب للمألوف من التقاليد والعادات، وربما أساء السلوك فى ارتكابه مالا يجوز. . وقال هذا المصحح: ان الفعل القديم مبنى للمجهول «استهتر» وليس مبنياً للمعلوم ومعناه أولع وأحب، ولا يقتصر على السلوك الشائن، فقد

قالـوا إنـه ورد فى الحـديث وهـو: إن لله ملائكـة «مستهترين» به.

نماذج مما قصر به المصنفون القدماء:

قلت: إن القـدمـاء على سعة علمهم تعجلوا الأمر وحملوا وجوها من القول على الخطأ، ولو أنهم تأملوا ونظروا وادركوا دقائق الاستعمال لانصرفوا عن نهجهم ذاك، وقد تعجلوا في القول باللحن وما دروا أن ليس فى طوقهم استظهار ما كان فى كلام العرب، ومن هذا ما أنا اجتزىء به فى هذا الموجز:

●● ذهب الحريري (درة الغواص ص ٧٩-٨٢) الى خطأ تكرار «بين» فى قولهم مثلا: حدث خلاف بين زيد وعمـرو، واخذ هذا المعاصرون وآخرهم محمد العدناني (ص٤٦)، ولكننا نجد شيئاً من هذا الذى عد خطأ فى الكـلام الفصيح، جاء فى الحـديث الشريف: ان المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانـع به، وبين أجل قد بقي لا يدرك ما الله قاض فيه» ذكره عباس ابو السعود فى ازاهير الفصحى ص١٢٣-١٢٤.

■ ومن هذا الاستعمال ايضا قول عنترة:

طال الـثـواء على رسـوم المـنـزل
بين الـكيـك وبـين ذات الحـومـل

وقال ذو الرمة:

بين الـنهـار وبـين الليـل من عقـد
على جوانـبـه الأوسـاط والهـدب

وقال عدي بن زيد:

«بين النهار وبين الليل قد فصلا»

وقال أعشى همدان:

بين الأشـج وبـين قيس باذخ
بخ بخ لوالـده ولـلمـولـود

وجاء فى لسان العرب (رفق):

. . . رأوا أن يفرقوا بين المرفق من الأمر وبين المرفق من الانسان. . والاستعمال كثير فاين علم الحريري وتشدده فى التخطئة، وهو من أهل العلم المتقدمين، فكيف نقول فى أهل التصحيح من معاصرينا؟

●● ويخطىء الحريري (ص١٢٨) من يدخل «أل» التعريف على العدد في قولهم: الثلاث سنوات مثلا وتبعـه فى هذه التخطئة جمهرة من المعاصرين، وهو رأي البصريين، وأجـازه الكـوفيون، وهـو مذكور في كتب الخـلاف القـديمـة فقـالـوا: اشتريت الثلاثة الأثواب، بادخال الاداة على العدد والمعدود وجاء فى الحديث الشريف: «. . . وأتى بالألف دينار».

وأجاز هذا مجمع اللغة العربية فى القاهرة مستأنساً بالحـديث الذى ورد فى صحيح البخاري وعلى هذا كان قول المعاصرين: «مشروع الالف كتاب» جائزاً ولا حجة لأصحاب التخطئة.

●● وذهب الحريرى (٧٠-٧٢) الى تخطئة «حوائج» جمع «حـاجـة»، والصـواب «حاج» وحاجات وتبعه معاصرون فى هذه التخطئة.

ولكن «حوائج» وردت فى الحديث كما فى لسان العرب (حوج) وتاج العروس ايضاً وفيهما ورد: «ان لله عباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع اليهم الناس فى حوائجهم، اولئك هم الآمنون يوم القيامة»، ومثله الحديث الآخر: «اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه» وقـولـه عليه الصلاة والسلام ايضا: «استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان».

وقول الأعشى:

الـنـاس حول فنـائـه
اهـل الحـوائـج والمـسـائـل

وقول الفرزدق:

ولي ببـلاد الـسـنـد عنـد أمـيرهـا
حوائـج جمات وعـنـدي ثوابهـا

●● ومن هذا البـاب ذهـاب الحـريري الى تخطئة اضافة (ذو) الى ضمير فلا يقال: «ذووه» في القائل مثلا: جاء فلان وذووه. . .

وحجته فى التخطئة ان «ذو» بمعنى صاحب لا تكون إلا مضافة الى اسم جنس كقولك: ذو مال، فأما اضافتها الى الأعلام والى اسماء الصفات المشتقة من الافعال فلم يسمع في كلام العرب، ولهذا لحنوا من قال: صلى الله على نبيه محمد وذويه (الحريرى ص٨٦) غير اننـا نجـد كعب بن زهير، وهو شاعر

مخضرم، يقول:

صبحنا الخزرجية مرهفات
أباد ذوي أرومتها ذررها

وقال الأحوص:

ولكن رجونا منك مثل الذي به
صرفنا قديماً من ذويك الأوائل

وقال آخر: (ذكره عباس حسن فى النحو الوافى ص١١٠):

إنما مصطنع المعرو
ف في الناس ذووه

وقد حذا المعاصرون الحريري في هذه التخطئة.

●● وذهب الحريري الى تخطئة من يقول: سرني رؤياك، والصواب سرتني رؤيتك (درة الغوص ص١٣٢) وتبعه جمهرة أهل التصحيح من المعاصرين فميزوا بين «الرؤية» التى تعني المشاهدة والابصار عياناً، وبين «الرؤيا» التى تعني ما يرى فى الحلم.

ولكن الشهاب الآلوسى ذكر فى تفسيره: ان الرؤيا والرؤية بمعنى فيكونان يقظة ومناماً، ذكر ذلك العدناني ص٩٩.

وقال المتنبى:

مضى الليل والفضل الذى لك لا يمضى
ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض

وقال الراعي النميري:

ومستنبه تهوي مساقط رأسه
على الرحل فى طخياء طلس نجومها
رفعت بها شتوية عصفت لها
صباً تزدهيها مرة وتغيمها
فكبر للرؤيا وهش فؤاده
وبشر نفساً كان قبل يلومها

■ وقد يكون كافياً فى هذا الموجز ما أوردته من شواهد وذلك لأتحول الى مشاركة المعاصرين فى دأبهم في تصحيح الخطأ في النحو الصرف والأساليب، وكتب المعاصرين كلها مطبوع معروف والمعاصرون بين عالم جليل مدرك، وبين آخر، استهواه هذا الدأب فراح يقتبس من أقوال أهل العلم المتقدمين والمعاصرين.

ومادة كتب المعاصرين تشتمل على غير قليل مما نبه عليه القدماء، وقد اضافوا إليه ما جد في العربية المعاصرة من أبنية غير سليمة ومن أساليب معوجة وصلت الى العربية عن طريق الترجمة من اللغات الغربية المعاصرة، وأكثر هذا الجديد يدخل فى لغة الصحف والمجلات ولغة الفنون الجديدة ولا أدخل المصطلح الجديد فى هذا الباب.

والذي يوجه الى المعاصرين أنهم تعجلوا القول بالخطأ قبل ان يكونوا قد استوفوا أشياء كثيرة وربما تعجل بعضهم فأغفل النظر الى المعجمات كلها، ولم يدر فى خواطرهم باب «المستدرك على المعاجم».

وها أنا ذا أورد حكاية وقعت لأحد هؤلاء المعنيين بالتصحيح من المشهورين بالعلم والحفظ والدراية في كتب اللغة والأدب والتاريخ، وتتلخص هذه الحكاية ان هذا الاستاذ الجليل شارك فى مراجعة كتاب مدرسي وضعه اثنان من مدرسي العربية، وقد جاء فى مقدمة المؤلفين: «فليتدبر» الطالب هذه الموضوعات ويحسن الافادة منها».

فلم يكن من الاستاذ المراجع، وهو الضليع من العربية، إلا وقد أشار الى خطأ استعمال فعل «التدبر» وحجته ان «التدبر» هو النظر فى الأدبار. وقد فاته قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فلما اعترض عليه المؤلفان محتجين بالآية بهت ولم يحر جواباً.

أقول: اذا كان هذا قد عرض لأستاذ جليل واسع العلم حافظاً، فكيف يجرؤ أحدنا فيطلق القول على عواهنه فيزعم: أن هذا لحن، وأن ذاك مما لم يرد فى كلام العرب، واذا كنا لا نحفظ أشهر كتاب في العربية، فهل لأحد منا أن يدعي عدم ورود شيء من الكلام في العربية القديمة؟ ولو احتج أحد من هؤلاء علينا فزعم أن «ساهم» بمعنى «شارك» لم ترد فى المعجم القديم لكان الجواب: ان المعجمات القديمة على سعتها لم تحو العربية، وقد فات اصحاب المعجمات لغة كثيرة، ان الفيروز ابادي لم يذكر «ساهم» بمعنى المشاركة فى مادة «سهم» ولكنه يوردها في مواضع عدة من القاموس المحيط فى الكلام على كلمات أخرى.

وقد استعمل اهل العلم الفعل «ساهم» بمعنى

المشاركة فقد جاء في رسالة للشريف الرضى بعث بها الى صديقه أبى اسحاق الصابئ يعزيه بفقد ولده: **وأنا «المساهم لك فى تحمل النائبة»** (رسائل الشريف الرضى والصابى).

وقد نبه المعاصرون من أهل التصحيح ان «ساهم» من الخطأ لخلو المعجمات منها، واستحدثوا فعلا آخر من مادة «سهم» هو «اسهم» ولا وجود له فى المعجم القديم.

ولو أردت أن اعرض لتصحيحات المعاصرين لوقفنا منها على أشياء غريبة لا أدري كيف جاز لهم ان يتعسفوا فيها.

قالوا: لا تقل تأسست المدرسة سنة ١٩٣٠، بل قل: أسست المدرسة... وحجتهم في ذلك ان «المدرسة» لا يمكن ان تقوم بنفسها بهذا العمل، وهذه حجة تافهة، ألم نقل: استقبلت المدينة زعيمها، ثم أين هؤلاء فى قوله تعالى: ﴿واسأل القرية...﴾ اكتفي بهذا القدر وأنهي هذا الموجز بتنبيه واحتراز وهو:

ينبغى ألا يشعر كلامي هذا ان «الخطأ» غير واقع، وان اللحن شيء تخيله أصحابه، وذلك لأني أقر، مع احترازي ونظري الى اللحن، أن اللحن كثير وانه فاش فشواً ذريعاً ولا سيما في العربية المعاصرة.

وأود أن أقول: ان الاساليب السليمة والأبنية السليمة خير من المعدول عن جهته الذي ندعوه خطأ، وانك تقول: «جئنا معاً» لأنه الصواب، وينبغى ألا تقول: «جئنا سوية» لأنه خطأ، و«السوي» و«السوية» صفة بمعنى «المستوي». ثم ان الصواب أجمل وارشق وأوفى.

وخير لنا ان نقول: «لابد أن يكون كذا» وهو أوجز وأخف من قول المعاصرين: «لابد وان يكون كذا» وزيادة الواو ثقيلة فضلا عن أنها خطأ.

وخير لنا أن نقول: لم يكن الأمر صعباً فقط بل وإنه خطأ، والصواب بل إنه وأكثر ما يقال: سبق وأن حدث.. والصواب: سبق أن حدث، وحذف الواو يوفر الجمال للعبارة فى ايجازها، وخفتها وهكذا يكون الصواب.

الهوامـــش

(*) ذهب الدارسون الى ان «اللحن» كان السبب فى وضع علم النحو. ولا أريد أن أبطل هذه المقولة ولكنى أقول: لعل من الصواب ان نقول: ان التفكير في وضع ضوابط لغوية كان لصيقاً بفشو اللحن. وهذا يعني ان النحو العربي فى العربية شأنه شأن النحو فى اللغات الأخرى، وذلك ان الأمم لابد لها فى مسيرتها الحضارية ان تهتدي الى النحو كما اهتدت الى سائر العلوم الأخرى، وإني إذ أذهب الى ذلك أراني أقول: لو كان النحو العربي قد صير إليه ليد فع غائلة اللحن كما زعموا، لكان النحو علاجاً لمشكلة، ومن شأن ما يكون «علاجاً» ان يكون وافياً فى حل المشكلة ودرئها، وعلى هذا كان من المنطق جرياً على هذه المقولة ان يكون لنا نحو يسير موجز فى حين اننا نملك نحواً وافياً مستفيضاً ونحن في اواسط القرن الثانى للهجرة، وما أظن ان «كتاب سيبويه» وهو البحر الواسع ـ إلا ان يكون قد سبقه مطولات عفا عليها الزمان، وربما كان «الاكمال» والجامع «لعيسى ابن عمر» وهو ممن سبق الخليل شيئا من تلك «المطولات».

الصحافة المعاصرة.. ساعدت كثيرًا على شيوع الأخطاء اللغوية

أخطاء شائعة في كتابات

لم يسلم كثير من الأدباء من الوقوع فى بعض الاخطاء اللغوية وقد قام الأديب الكبير القاسم بن على الحريري صاحب المقامات المعروفة المتوفى سنة (٥١٧هـ)، (١١٢٢م) بتأليف كتاب باسم «درة الغواص فى أوهام الخواص» ضمنه كثيراً من الأخطاء التى يقع فيها بعض الكتاب ونبه الى الصواب فيها.

ولكن الغريب أن أصحاب الخطأ يستمرون فى خطئهم ويثابرون عليه ويتابعهم آخرون فيه ولا يلقى من ينبه الى الخطأ مجيباً ولا سميعاً إنه قد يلقى الاعراض والنفور والاستخفاف والاتهام بالتقعر والتكلف.

وقد اصدرت كتاباً بعنوان: «اخطاء مشهورة» نبهت فيه الى كثير من الاخطاء التى يقع فيها بعض الكتاب والمتحدثين، واقتصرت فى الكتاب على ما يخالف ما ورد فى القرآن الكريم تلافيا للخلاف وقطعاً لحجة من يزعم ان الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور.

ولن اذكر ما جاء فى الكتاب من أخطاء والشواهد على تصويباتها من القرآن الكريم فذلك موجود فى الكتاب لمن شاء ان يطلع عليه.

ولكنى أود أن أشير إلى أخطاء أخرى لم يرد اكثرها فى كتابى وهى تتردد كثيراً على ألسنة المتحدثين وأقلام الكتاب.

وأول ما أبدأ به الخطأ الشائع بتعريف كلمة «غير» مع إضافة معرف أو منكر اليها كقول القائل مثلا: **«هذا الامر من الامور الغير مقبولة او الغير المقبولة»** وبشاعة هذا الخطأ تظهر فى أن من يرتكبه يعمى أو يتعامى عن النص القرآنى الذى يردده كل مسلم سبع عشرة مرة كل يوم على الأقل عندما يقرأ سورة الفاتحة فى الصلاة ويتلو قوله تعالى: **﴿غير المغضوب عليهم﴾**.

ومن الأخطاء الشائعة ما يتفاصح به بعض الخطباء عندما يستعمل الحصر فى غير مكانه فيقلب المديح الى ذم فيقول مثلا: **«إن هذا التصرف إن دل على شىء فإنما يدل على التواضع والكرم»** فهو يريد ان يصف ممدوحه بالتواضع والكرم ولكنه يحرمه من جميع الصفات الحميدة الأخرى لأنه يحصر صفاته فى التواضع والكرم فحسب، والأولى ان يقال: إن هذا التصرف يدل على التواضع والكرم ويترك المجال مفتوحاً للصفات الأخرى بدون حصر، وتظهر بشاعة هذا الحصر عندما يتحدث المتحدث عن نفسه من نعم الله سبحانه وتعالى فيقول مثلا:

«إن نزول المطر إنما يدل على قدرة الله» فهو بهذا الحصر نفى عن الله صفات جمة مثل الكرم والرحمة وغيرها من صفات الله العزيز الحكيم القدير.

ومن الاخطاء الشائعة ما يتشدق به بعض الخطباء عندما يقول: **«ومن ثُمَّ»** ويضم الثاء وهو يقصد ومن **«ثَمَّ»** ويجهل ان ثم هنا بمعنى هناك وهى ظرف مكان ولذلك فهى يمكن ان تجر بحرف جر: من: ، اما ثُم بضم الثاء فهى حرف عطف لا يجر.

ومن الأخطاء الشائعة عطف الصفة على الموصوف فيقول المتحدث او «الكاتب» مثلا **«شهد الوزير حفل افتتاح تخرج الطلاب والذى اقامته الوزارة فى الاسبوع الماضى»**، فكأن الوزير قد حضر حفلين، أحدهما تخريج الطلاب، والآخر حفل أقامته الوزارة فى الاسبوع الماضى، وسبب هذا اللبس والارتباك فى المعنى هو حرف العطف **«الواو»** الذى جاء قبل كلمة: الذى فعطف الصفة على الموصوف والعطف يقتضي التغاير.



● اللغة العربية واصلاح اللسان المعوج من اكبر اهتماماته.
● من مؤلفاته اخطاء شائعة.
● له جمهرة من المؤلفات فى اللغة العربية والدراسات القرآنية والاجتماعية.
● له مشاركات فاعلة فى الصحف والمجلات.

المعاصرين

ومن الأخطاء الشائعة جداً جمع كلمة مدير على «مدراء» وقد نبهنا مراراً إلى أن كلمة «مدراء» ليست جمعاً لكلمة «مدير» بضم الميم وانما هى جمع لكلمة «مدير» بفتح الميم، والفرق شاسع بين المدير بضم الميم الذي يدير ادارة او مكتباً أو مصنعاً وبين المدير بفتح الميم وهو الاناء المصنوع من المدر.

ومنشأ الخطأ هنا أن المتكلم لا يعرف تصريف كلمة «مدير» بضم الميم، وانها اسم فاعل من أدار وان الميم فيها ليست من أصل الفعل بعكس «مدير» بفتح الميم التى هى على وزن «فعيل» والميم فيها من اصل الفعل وهو «مدر».

ومن الأخطاء الشائعة الجمع بين العطف والاضراب مما يؤدى الى التناقض فيقول المتحدث «**إن هذا الأمر مقبول بل ومستحسن**» وهو ما أسميته فى كتابى: «**بلوى بل و**» فكلمة بل تدل على الاضراب عن شىء وصرف النظر عنه، والواو حرف عطف يدل على إشراك ما بعده مع ما قبله فى الحكم، فاذا أضربنا عن قبول الشىء فكيف نصفه بأنه مستحسن، إن هذا تناقض والصواب ان نقول: «**إن هذا الشىء مقبول ومستحسن**» بالعطف دون الاضراب او «**إن هذا الشىء مقبول، بل مستحسن**» بالاضراب عن مجرد القبول، وتأكيد الاستحسان.

ومن الأخطاء الشائعة وضع الضمير الظاهر: هو او هى او هم او هما او هن بعد الاستفهام بما أو مِنْ ويأتى بعده المستفسر عنه فيقول المتحدث او الكاتب «من هو قائل هذا البيت؟» والضمير هنا لا مكان له ولا لزوم له بل يخل بالقاعدة التى تقول بأن الضمير لا يعود على متأخر وانما الصواب ان يقال: «من قائل هذا البيت؟» ولا يقال «من هو» إلا إذا كان المتفسر عنه قد ذكر قبلا كأن يقول قائل: «قائل البيت شاعرففى هذه الحالة يعود الضمير هو على سابق هو الشاعر.

ومن الاخطاء الشائعة قول كلمة «مختلف» بفتح اللام كأن يقول قائل: «فى هذا البستان ثمار من «مختلَف» انواع الفواكه» والصواب ان يقال: «مختلِف» بكسر اللام وقد وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم عشر مرات كلها بكسر اللام ولست ادرى ما الذى يسوغ لمن يفتح اللام ان يفعل ذلك؟، ومن أشار عليه بالخطأ؟، ولست ادرى لـمَ يصر المخطئون على خطئهم ولا يتنبهون للصواب، ويحرصون عليه.

ومازال كثير من المتحدثين والكتاب يقولون: «لازال» وهم يقصدون «مازال» وكأنهم يظنون ان المنفى بلا أفصح وأدل على المعرفة والثقافة وهم بذلك يحولون معنى الكلمة من الاخبار عن الحال الى الدعاء بدوام الحال.

فاذا سئل احدهم عن حال مريض قال: لازال مريضاً ويقصد انه ما زال مريضاً ولا يعرف الفرق بين العبارتين. . ولا يدرى ان عبارة: لا زال مريضا تدل على الدعاء على المريض بان يظل مريضاً ولا يشفى من مرضه.

ومن المؤسف إن هذا الخطأ ومثله كثير لا يقتصر على الجهلة والاميين وانما يقع فيه باصرار كثير من «المستأدبين» او المتصدين للكتابه والمتصدرين للخطابة وبعضهم من الذين يتمتعون بمكانه اجتماعية كبيرة ولكنهم يعرضون مكانتهم للاهتزاز بالوقوع فى هذه الاخطاء التى تفضح جهلهم وتكشف ضحالة معرفتهم.

حتى لا تضيع اللغة العربية

بقلم: أ.د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى .. كلية الشريعة

تعد اللغة فى أى أمة من الأمم ركنا ركينا من حضارتها، وأساسا يرتكز عليه قوام نهضتها، واذا كانت اللغة بهذه المنزلة فان أى لغة من اللغات الموجودة حاليا، أو التى عفا عليها الزمن قد مرت بمراحل كثيرة كانت فيها بسيطة ثم كبرت ونمت وشبت ثم هرمت وانتهت، أو تبدلت مفرداتها وتغير اسلوب التحدث بها الا اللغة العربية، فانها صمدت للأحداث، وعتت عن التغييرات. وقاومت أفواج المعادين والمتربصين.

ومن هنا نجد أن اللغات العالمية الحية لا يمكن أن تجارى اللغة العربية فى ذلك. **فالانسان العربى الذى عاش قبل الاسلام لو جاء يتحدث من المذياع أو من المرناء (التلفزيون) فان الناس فى شرق البلاد العربية وغربها سيفهمون ما يقول ويعرفون ما يريد دون عناء أو تعب والمسافة بين المتكلم والسامع - فى هذه الحالة - تزيد على ١٥٠٠ عاما، ولو جاء رجل من أصحاب اللغات الاخرى كان قد مات قبل مائتى أو ثلاثمائة عام وتكلم فان الكثير من المفردات لا يفهمها جيل اليوم مع أن الفترة بينهما جد قصيرة..** كل ذلك لأن اللغة العربية بقيت محفوظة متوارثة حفظها الله تعالى فى كتابه، وحفظها الرسول ﴿ﷺ﴾ فى سنته، وحفظها السلف الصالح والفقهاء والمحدثون والمفسرون فى كتبهم وعلومهم وحفظها الأدباء والبلاغيون والنحويون والصرفيون فى أشعارهم فبقيت هذه اللغة كما كانت دون تغيير ودون تبديل.

وجاءت المخترعات وكثرت المستجدات واذا بهذه اللغة تزود كل مخترع بما يوضح معالمه، وكل مستجد بما يبين ماهيته، حتى أصبح إقحام الكلام غير العربى مع الكلام العربى في المحادثة أو المكاتبة منفرا ومستهجنا، لأن اللغة العربية لها سلاستها ولها اسلوبها ولها قوالبها، فاذا دخلت مفردات من غيرها، ومن غير اسلوبها فستجد أن سلامة اللغة ضاعت وروعة الأسلوب تغيرت، وأصبح الكلام هجينا غير أصيل.

لقد فهم أعداء اللغة - وهم بالتأكيد أعداء الدين الاسلامى - فهموا أن قوام المسلمين فى لغتهم، وأن مصدر اتحادهم هو لغتهم، وأن هذه اللغة المفهومة لديهم جميعا يجب أن تغير لكى لا تبقى بينهم هذه الصلة القوية، لأنهم كانوا يظنون أن قضايا الدين قد انتهت من نفوس العرب فى الوقت الحاضر، **ولذا فانهم راحوا يشيعون بين الناس أن اللهجة التى يتكلم بها كل قوم أو شعب هى لغة حية وتستحق التسجيل، وأن تكتب بها الصحف والمجلات والكتب والمنشورات، وأن تكون لغة الاذاعة والمرناء، وأن يخاطب بها الجمهور فى المحافل والمنتديات**، وفعلا، ظهرت بعض الصحف فى بعض البلاد العربية وفيها بعض الأعمدة القليلة باللغة العامية، فكانت أضحوكة المجتمع، حتى كنا لا نستطيع أن نفهم ما يريد الكاتب الا بصعوبة بالغة، وذلك لأن الكلمة العامية كانت سهلة على الآذان بسيطة النطق على اللسان، ولكن العين لم ترها بهذا الأسلوب من الكتابة - وان كان أصلها فى الغالب عربيا فصيحا - خاصة اذا كانت تحوى حروفا غير عربية، ومن هنا أصبح هذا العمود أو هذا الأسلوب من الكتابة مهجورا تماما حتى انتهى بفضل الله.

أسوق هذه المقدمة البسيطة لأنبه إخوانى إلى أننا عندما نغير أى كلمة أثناء الكلام من العربية الى لغة أخرى إنما نضع ايدينا مع أيدى المخربين، وانما نضيف معولا الى معاول الهادمين، سواء جاء ذلك عن غفلة أو عن عمد، ولا أظن أن حسن النية يتوفر فى مثل هذه الأمور.

وأنا أعرف بعض الاخوة الأجلاء الفضلاء يقحمون الكثير من مفردات اللغات الأخرى فى اللغة العربية، ولقد كان أحد هؤلاء يتكلم باللغة العربية ويدخل ما شاء من اللغة الانكليزية، وفجأة قال لصاحبه الذى كان معه هناك: يافلان ما معنى هذه الكلمة باللغة العربية؟!.

فقلت له: الله أكبر إلى هذا الحد أصبحت تعرف معاني المفردات بالانكليزية ولا تعرفها بالعربية فخجل الرجل وسكت.

هذه صور مؤلمة، لكنها موجودة وهى حفر فى طريق الكلام تريد من يصلحها.

هذه أساليب واضحة مكشوفة بينة يستطيع أن يتلمسها من يريد، ولكن هناك اساليب أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء. ما هى؟.

إنها زيادة حرف لا موجب له، وتغيير معنى كلمة من معناها الأصيل وتحميلها معنى لا صلة لها به، أو حذف حرف نحن بحاجة اليه وكل ذلك موجود فى كلام كبار المتحدثين بل الكاتبين أيضا.

من ذلكم **(الواو)** المقحمة فى بعض الكلام بلا لزوم لها، سماها أحد الكتاب **بالواو الضالة**، وأسميها أنا **بالواو الزائدة**.

وقد كتب عن هذه الواو فى احدى المجلات العربية الدكتور صاحب أبو جناح، وأنا انقل لكم بعضا من كلامه تتميما للفائدة، وارشادا للأخوة الغيورين على هذه اللغة حتى لا يدخلوا فيها ما ليس منها، فانهم كأنهم يرقعون ثوبا أبيض جميلا برقعة سوداء داكنة، وحتى نعلم أن هناك أناسا غيورين على لغتهم أن تمس، يقول الدكتور أبو جناح.

وسبب تسمية هذه الواو بالضالة، لأنها لم تكن للعطف ولا للحال ولا للقسم ولا نائبة عن رُب ولا ما هو شبيه بذلك من استعمالاتها الفصيحة» ومثلت لذلك بجملة من التعبيرات غير السديدة التى تشيع فى كتابات معاصرينا ومن بينها قولهم **(كما وأن)** وكان فى نيتى الاكتفاء بتلك الطائفة التى عرضتها، غير أن الافراط فى الاستخدام السيىء لهذا الحرف من حروف المعانى لدى المعاصرين واقحامه فى الكلام اقحاما فاحشا يذهب برونق العبارة وسلاستها جعلنى أتوقف ثانية عند طائفة أخرى من النماذج، أشير الى الوجه الفصيح فيها، لعل الكاتبين يتحاشون التورط فى استخدامها، فتسلم لغتهم من غوائل التحريف والتشويه.

من ذلك استخدامهم لها بعد بل مثل قولهم ـ على سبيل المثال ـ **(بل ويجب)** أو **(بل وينبغى)** جاء فى أحد النصوص: **إن الهدف من هذه المناقشة هو توضيح الطريقة التى يمكن بل ويجب أن ينتقل فيها**..».

ان «بل» فى هذه العبارة ـ كما هي في غيرها ـ حرف نسق ـ اى حرف عطف ـ للاضراب والاستدراك، فهى تنسق ما بعدها على ما قبلها، وهى تفيد إثبات الثانى والاضراب عن الأول اسما كان أو فعلا، وقد عطفت **«يجب»** على **«يمكن»**، فأثبتنا الفعل الثانى **«يجب»** وأضربنا عن الأول **«يمكن»** لأن الثاني هو الذي يتم به المعنى ويستوفى أكثر مما يكون ذلك مع الفعل الأول، فالحرف **«بل»** يكفى اذن فى هذا المقام، ولا يصح استخدام غيره من حروف النسق بديلا عنه، لأن المعنى لا يتم إلا به، **واقحام الواو هنا مع بل زيادة لا مقتضى لها، وهى لا تصلح** فى هذا المقام حتى لو جاءت بمفردها، لأنها لا تفيد معنى الاضراب أو الاستدارك أصلا، ولا تؤدى ما توديه بل فى مثل هذا الموضع، فهى هنا زيادة وحشو يفسد اللغة ويذهب بجمال الاسلوب، ولا يمكن أن يستخدمها من له عناية بفصاحة الكلام وشروط صحته.

فقول القائل: **بل ويجب أو بل وينبغى، لا صحة له، والصواب فيه بل يجب أو بل ينبغى.**

ومن أمثلة سوء استعمال **الواو** أيضا، اقحامهم لها بعد **«كمـا»** المكونة من كاف التشبيه وما الزائدة أو الموصولة على رأى الأخفش.. فهم يقولون مثلا: لقد أنجز القسم الأكبر من المشروع **كما وسيتم** انجاز ما تبقى منه.. أو يقولون: ترك فلان مصنفات كثيرة مطبوعة **كمـا وأن** له مؤلفات ما تزال مخطوطة.

والواضح ان الواو هنا لا محل لها فى العبارتين وينبغى استبعادها منهما لنقول: **كما سيتم ما تبقى منه** أو نقول: **كما ان له مؤلفات** وتكون العبارتان بذلك خاليتين من هذه الزيادة المقحمة فيهما.

ويقولون أيضا: **تقوم** لجنة المتابعة **وبالتنسيق** مع المجلس المحلى بانجاز. والواضح أننا لا نحتاج إلى **الواو** هنا، فنحن لا نحتاج إليها عاطفة، لأن الموضع ليس موضع عطف ولا نحتاج اليها حالية، لأن الحال هنا جار ومجرور لا جملة اسمية، وهي ليست للاستئناف أو للابتداء، لأن الكلام لم يتم بعد، لأن الجار والمجرور «بانجاز» متعلق بالفعل «تقوم» فالفصيح ان تقول: **تقوم** لجنة المتابعة **بالتنسيق** مع المجلس المحلى.

ومن ذلك أيضا اقحامهم لها بين الصفة والموصوف، أو بين الصفات المتعددة العائدة الى موصوف واحد وليس المقام مقام بيان تعدد هذه الصفات والاشارة الى تنوعها، فلو كان الأمر كذلك لكان هناك مبرر لاستعمالها مثل قولنا: **فلان كاتب وشاعر وموسيقي**، على اننا لسنا مضطرين اليها أيضا لأن تعداد هذه الصفات ممكن بدون استخدام هذه الواو كما قال تعالى ﴿وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد﴾ (البروج/١٤) فالواو ليست ملزمة هنا مع تعدد الصفات فكيف بها اذا كانت الصفة واحدة مثل قولنا: تنعقد ندوة الدراسات الاقتصادية **والمتوقع** لها أن تستمر ثلاثة أيام «وقولنا: اشارة الى الأمر الادارى المرقم بكذا **والمؤرخ** فى كذا **والقاضى** بتشكيل لجنة لدراسة.».

فالواو هنا زيادة ثقيلة والفصيح أن نقول: تنعقد ندوة الدراسات الاقتصادية المتوقع لها.. «ونقول: **اشارة الى الامر الادارى المرقم بكذا المؤرخ فى كذا القاضى بتشكيل لجنة..**» فنحذف هذه الزيادة وتستقيم العبارة على نحو ما تقتضيه شروط الفصاحة.

دفاع عن العربية الصحيحة



الدكتور احمد مختار عمر أحد علمائنا اللغويين المعاصرين المشهود لهم بالجدية والاهتمام العميق باللغة العربية، وما وصلت إليه الآن في تعامل أهلها معها.. دفاعاً عن اللغة العربية ألف كتاباً اسماه «العربية الصحيحة»، وجاء فى كتابه:

ثم يضيف قوله واذا كان اللغويون القدماء قد اعتبروا اللغة العربية هى لغة الملائكة ولغة أهل الجنة، فقد كان هذا مظهرا من مظاهر تقديسهم لها، وايمانهم بكمالها، اما الآن فقد أصبحت مقولتهم حقيقة واقعة، إذ لم تعد اللغة العربية - فى صيغتها الصحيحة - لغة اهل الارض بل ارتفعت الى عنان السماء راضية بان تكون لغة الملائكة ولغة من يرضى الله عنهم يوم القيامة فيدخلهم الجنة. ورد اللغة العربية الى سكان الأرض مرة ثانية هو المشكلة الاساسية التى تواجهنا الآن، والتحدى الكبير لأساتذة اللغة العربية والقوامين عليها، وهو تحد يجب ان تتضافر

الجهود الفردية والجماعية لمواجهته والانتصار عليه، نحن لا نطلب المستحيل، ولا نعاكس طبائع الاشياء حين ننادي بهذا فلسنا نريد برد اللغة العربية الى سكان الأرض ان تصبح لغة الحياة ولغة الحوار اليومي فهذا إغراق في الخيال، ومحاولة للوصول الى وضع ما نظن ان اللغة العربية او أية لغة فى العالم قد حققته فى يوم من الأيام.

ولكن كل ما نريده لها أن تصبح لغة المثقفين فى مواقفهم الجادة فى أحاديثهم وحواراتهم ومحاضراتهم فى اجتماعاتهم ولقاءاتهم فى مجالسهم وندواتهم على السنتهم واقلامهم والمؤلف يرى ان ذلك لن يتحقق الا اذا تغير اسلوبنا فى تعليم اللغة العربية وتعلمها، واتخذنا خطوات جريئة فى سبيل تيسير اللغة العربية وربطها بالحياة وقبلنا الكثير من التعبيرات والالفاظ والأساليب المستحدثة ما دام لها وجه فى العربية تخرج عليه واخيرا.. وليس آخرا - اذا استطعنا ان نثير الحافز الشخصى فى نفوس التلاميذ وامكننا ان نبعث فيهم روح الغيرة على اللغة حتى يعتبروها جزءا من كيانهم ومقوما لعروبتهم واساسا لدينهم.

ويشير المؤلف فى ثنايا كتابه الى جملة من النتائج والتوصيات لاحدى الندوات اللغوية التى اشرف عليها وشارك فيها لبحث مشكلات اللغة العربية على مستوى الجامعة فى دول الخليج والجزيرة العربية فقد اوصت هذه الندوة بالتركيز على تنمية المهارات اللغوية العربية، وهى فهم اللغة منطوقة ومكتوبة، والتعبير الشفوى والكتابى عنها، واتخاذ الوسائل ذات الأثر النفسى الفعال لتشويق المعلم الى درس اللغة العربية واستخدام التسجيلات الصوتية والمعامل اللغوية للتدريب على التعبير السليم، وتوجيه الطلاب الى التحدث باللغة العربية اثناء المناقشة والحوار، ومحاسبة الطالب فى كل فرع من فروع اللغة العربية محاسبة دقيقة على سلامة لغته حتى لا يتخرج فى قسم اللغة العربية الا من يتمكن من هذه اللغة تمكناً تاماً.

ومن التوصيات التى اتخذتها هذه الندوة ايضا: وضع الحوافز المادية والأدبية للممتازين فى ميدان تعلم اللغة العربية والارتقاء بمستوى مدرس اللغة العربية فى المراحل قبل الجامعية ووضع خطة لتدريبه والمطالبة بالتزام اللغة العربية السليمة فى قاعات الدرس، ومناشدة مدرسى جميع المواد الالتزام بذلك ووجوب تدريس النحو من خلال نصوص وابواب تختار من كتب التراث ومن الأدب الرفيع والعناية بنشر الثقافة الاسلامية والاهتمام باللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم والفكر الاسلامى وتشجيع الطلاب على تدارس القرآن الكريم وتلاوته وحفظه فضلا عن ضرورة انشاء مركز للبحوث اللغوية الاساسية والتطبيقية يكون من بين اهدافه اخضاع مشكلات اللغة العربية للبحث والتحليل فى ضوء احدث النظريات، وتصميم مقررات متدرجة لتنمية المهارات اللغوية وتصميم مقررات لتعليم اللغة العربية لفرض خاص (كالاجتماعية والتجارة والاقتصاد والسياسة - الخ) وإعداد المواد والبرامج الملائمة وتجريبها فى مجالات تدريس اللغة العربية للاجانب ووضع مقاييس واختبارات لغوية مقننة تتصف بالتدرج والتنوع لقياس التحصيل اللغوى والمهارات اللغوية واعداد نصوص للتسجيل في معمل اللغات للاستفادة بها فى تدريب الطلاب على السماع والتذوق وتحسين النطق والاداء وإعداد دراسات تقابلية بين الفصحى واللهجات لتحديد مواضع الانحراف عند متعلم اللغة العربية واعطاء عناية خاصة لانواع المعاجم التى تحتاجها اللغة العربية مثل المعجم السياقى والمعجم الطلابى ومعجم اللغة العربية الفصيحة المعاصرة كذلك من بين هذه التوصيات العناية بالانشطة اللغوية خارج المقررات الدراسية وتوجيه الرسائل التى يقدمها طلاب الدراسات العليا الى الدراسات النحوية الوظيفية والتطبيقية وحث المسئولين فى دور النشر والمطابع على الالتزام بالضبط والشكل ما امكن وبخاصة فيما يوجه للناشئة والطلاب فضلا عن تنقية الكتب المدرسية مما يشوبها من اخطاء وانحرافات لغوية، وضرورة اصدار مجلة عربية تهتم بمشكلات تدريس اللغة العربية، وتتابع احدث ما توصل اليه العلماء من مناهج في تدريس اللغة القومية واللغات الاجنبية..

«فاروق شوشة»

من جريدة اليوم ١٨/ جمادى الاولى ١٤١٣هـ

ليس في العربية

• تنافس اللغويين في إظهار براعة الحفظ أدى إلى توهم الترادف في اللغة.
• أبو هلال العسكري يرى في الترادف تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه.

بقلم: د. نعمة رحيم - المغرب -

توصف العربية بكثرة المفردات واتساع طرائق التعبير، ولا توصف اللغة هذا الوصف الا اذا كانت لغة راقية، اصابت حظا كبيرا من التطور والنضج فاللغات بوجه عام يتسع ثراؤها وتتنوع اساليبها فى التعبير والاداء، اذا اتيحت لها ظروف تبعثها على النمو، وتوفر لها فرص الثراء.

وظاهرة ثراء اللغة مقرونة بظاهرة نضج المجتمع الذى يتحكم بها، فكلما رقى المجتمع فى سلم الحضارة، وتنوعت مطالب حياته اتسعت لغته وثري معجمها لتلبى تلك المطالب وتعبر عنها ادق تعبير.

فكل لفظ تقابله فكرة معينة وهذا يعنى ان عدد الفاظ لغة ما يساوي ما تشتمل عليه عقول ابنائها من افكار ومعان فاذا كانت الجماعة اللغوية ثرية الفكر، اقتضى ان يكون معجمها ثريا ولزم ان تكون مفردات لغتها بقدر ما تختزن عقول ابنائها من معان وافكار، وبقدر ما يحيطهم من وسائل الحياة ومتطلبات العيش.

واذا وصفنا العربية بالثراء اللفظى وباتساع طرائق التعبير، فإننا نقرر حقيقة واقعة يشهد بها القريب والبعيد اما اذا وصفناها بالتضخم اللفظى كما فعل ذلك بعض المستشرقين ومشايعيهم من العرب، فاننا نظلم هذه اللغة ونجحد اهم خصيصة من خصائصها وهى الدقة فى التعبير والاعراب عن الجليل والدقيق من المعانى بالفاظ محددة لا يهتدى اليها الا من عجم عود هذه اللغة واطال معاشرة معاجمها ولزم تراثها الغزير لزوم الوامق له المعجب به.

وقد جاء اتهام العربية بالتضخم اللفظي نتيجة لما زعمه بعضهم من وجود ظاهرة الترادف فيها، وبسبب ما ضم المعجم العربى من الفاظ مهجورة ادت الى تكثير مواده حتى بلغت فى تاج العروس اخر معجم مطول مائة وعشرين الف مادة.

وسنناقش ظاهرة الترادف لنثبت ان الكثير مما يظن انه مترادف لا تنطبق عليه هذه الصفة وهو لذلك ليس حجة على تضخم اللغة بقدر ما هو دليل على دقتها وعلى ان ما فيها من مفردات مساو لما جال فى عقول ابنائها من معان دقيقة وخواطر خفية.

كما سنناقش ظاهرة اشتمال المعجم على الالفاظ المماتة، لندلل على ان هذه الظاهرة لا تشكل عبئا على اللغة وانما هى رصيد احتياطى لها كما يقول اصحاب الاقتصاد.

ويبدو ان القول بالترادف قد اقترن بنشوء ظاهرة لغوية، هى انحسار السليقة وضمور ملكة البيان عند اكثر المتكلمين بالعربية فى العصور المتأخرة.

فالعرب فى العصور المبكرة من تاريخ العربية كانوا يضعون اللفظ فى موضعه ويستعملون الكلمة للدلالة على المعنى الذى اطلقت به ولكنهم بعد ان ضعفت سلائقهم ووهنت ملكة الفصاحة فيهم بسبب خلاطهم بالاعاجم، فقدوا الدقة فى القول وعدموا التفريق بين الالفاظ.

تضـــخم لفـــــظي

وقـد اشـار الجاحظ الى هذه الظاهرة ووصف الادباء فى عصره بعدم الدقة فى استعمال المفردات فرأى ان معاصريه لا يفرقون بين الجوع والسغب والغيث والمطر مع ان القرآن الكريم لم يستعمل الجوع الا فى حالة الفقر المدقع الذى يعجز معه الجائع عن وجود ما يشبعه ولم يذكر المطر الا فى حال العقاب.

قال الجاحظ والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة وكذلك ذكر المطر لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا فى موضع الانتقام والعامة واكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث فالسغب فى نظر الجاحظ اولى بالاستعمال من الجوع والغيث احق بالتداول من المطر.

ولم يكن شغف السليقة اللغوية سببا فى خفاء الفروق بين معانى المفردات بل كان وراء هذا الامر تنافس اللغويين في اظهار البراعة فى الحفظ ـ فللأسد خمسمائة اسم وللداهية اربعمئة وللحية مئتان وللعسل ثمانون وللكلب سبعون وهكذا وكان اللغويون فى ذلك يريدون التهويل على معاصيهم والاستيلاء على اعجابهم.

ولكن هؤلاء المتزيدين من اللغويين قد وجدوا من العلماء من يردعهم ويوضح للناس ان ليس للشىء الواحد الا اسم واحد وأما سائر ما يطلق عليه من مسميات فليس سوى صفات له تشهد للعرب بالدقة في التعبير.

فهذا ابن خالويه فى مجلس سيف الدولة بحلب امام جماعة من اهل اللغة يقول احفظ للسيف خمسين اسما فيبتسم احد اللغويين ويقول ما احفظ له الا اسما واحدا وهو السيف فيقول ابن خالويه فاين المهند والصارم وكذا وكذا فيرد اللغوي هذه صفات وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة.

ولعل هذه القصة ملفقة فالذى نعرفه أن ابن خالويه قد اثر عنه ما يدل على انكاره الترادف فقد روى انه وصف سيف الدولةبالتبحر فى اللغة واستدل على ذلك بان سيف الدولة لم يقل لابن خالويه حين مثل بين يديه اجلس وانما قال اقعد والجلوس يكون من اتكاء او اضطجاع اما القعود فلا يكون الا من قيام.

وفى هذه الرواية ما يفصح عن ان ابن خالويه كان ممن يذكر الترادف ويذهب الى وجود فروق بين معانى الكلمات التى على تدل انها مترادفة.

ومن اللغويين الذين ينكرون الترادف ويرون انه تكثير للغة بها لا فائدة فيه ابو هلال العسكرى الذى قال «لا يجوز ان يكون اللفظان دالين على معنى واحد، لان فى ذلك تكثيرا للغة بها لا فائدة فيه».

وحين خفيت الفروق الدقيقة بين معانى المفردات المتقاربة المعانى على كثير من الادباء المعاصرين وصاروا لا يفرقون بين الحمد والشكر والعلم والمعرفة والبخل والشح والنعت والصفة والقعود والجلوس والتراب والثرى والثمن والقيمة والخطأ والغلط.

اقول: حين صار الادباء المعاصرون ينظرون الى المفردات المتقاربة المعانى على انها مترادفة تجدد الحديث عن ظاهرة الترادف فانكرها بعض النقاد مثل محمد مندور وشوقى ضيف، كما أنكرها بعض اللغويين مثل على الجارم ومحمد المبارك وكان هذا الاخير قد دعا الى بعث اللفظ الدقيق فى لغتنا واحياء الفروق بين الالفاظ لتكون لدينا لغة تصلح ان تكون اداة لنهضتنا العلمية والادبية ووسيلة لتكوين التفكير الدقيق السليم.

نخلص من ذلك الى ان اكثر المفردات التى توصف بالترادف لا يصدق عليها هذا الوصف، وان الترادف فى اللغة قليل جدا ويعنى بطلان احد الدليلين اللذين يعتمد عليهما بعضهم فى وصف العربية بالتضخم اللفظى.

والحق ان المعجم العربى قد اشتمل على الفاظ مهجورة وكلمات تجافى الناس عنها منذ زمن بعيد، ولعل سائلا

يسأل ما سبب احتفاظ مدونى المعجمات بالالفاظ المهجورة؟ والجواب عن ذلك أنهم كانوا يهدفون بصنيعهم هذا الى امكان احصاء كل الالفاظ اذا دفعت اليها حاجة او دعا الى بعثها داع.

وقد تحقق إرهاص علمائنا هذا اذ احيت مجامعنا اللغوية كثيرا من الالفاظ المهجورة واطلقتها على بعض المعانى العصرية او المستحدثات الحضارية وما لفظ السيارة او لفظ القطار ببعيد من الأذهان.

وهذا يعنى ان احتفاظ المعجم العربى باللفظ المهجور يعد ميزة له وليس عيبا فيه فالمهجور بمثابة الرصد لاهل اللغة يلجأون اليه اذا حزبهم معنى او افتقروا الى لفظ ولذا يمكن القول ان المعجم العربى بدع من معجمات اللغات الاخر اذ ان هذه المعجمات لا تسجل الا المستعمل وهي بذلك تفرط بثروة قد يلجىء اليها الزمن.

ولا تقتصر ميزة احتفاظ المعجم العربى باللفظ المهجور على امكان احيائه والافادة منه بل تتعدى ذلك الى ان اللفظ المهجور وثيقة تاريخية مهمة يفيد منها اللغوى والمؤرخ.

لغة جميع المسلمين

ذهب بعض فقهاء المسلمين إلى وجوب تعلم اللغة العربية على المسلم حتى يستطيع أن يقرأ وأن يحفظ ما يصحح به صلاته.. واذا كان بعض فقهائنا قد اشترط فى صحة خطبة الجمعة - التى تشترط فى صحة صلاتها - أن تكون باللغة العربية.. فإن هذا يستلزم خطيبا قادرا على تفهم النصوص الدينية من المراجع الاسلامية حتى يستخلص منها الأحكام والمواعظ والآداب الاسلامية التى يعدها للمصلين كما تستلزم أيضا مصلين قادرين على الاستماع حتى يفهموا ما يقال لهم باللغة العربية.

والحكمة من اشتراط أداء خطبة الجمعة باللغة العربية.. تنادي بدلالة الاشارة واللزوم - التى يعرفها الاسلوب العربى - بتعليم اللغة العربية بالنسبة لجميع المسلمين.

ولقد بلغ من عناية الفقهاء بهذه اللغة الربانية.. ان اشترطوا أيضا فى عقد الزواج أن يتم ايجابه وقبوله باللغة العربية لمن يعرفها.. كما قرر بعض الفقهاء - ومنهم ابن تيمية - كراهة التخاطب بين المسلمين بغير اللغة العربية.

إن لغة القرآن الكريم ينبغى أن تنتشر وأن تزدهر.. لتحقق وحدة اللسان المسلم بلغة القرآن الكريم وحكمته وهدايته لأبناء وطننا الاسلامى الكبير الممتد فى جميع انحاء العالم.. فالملاحظ أن المسلمين يتجمعون فى موسم الحج ولا يستطيعون التفاهم بلغة قرآنهم التى هى لغة الاسلام ولا يجدون إلى ذلك سبيلا.

وهنا تبرز ضرورة انشاء جهاز عالمي لنشر اللغة العربية فى ديار المسلمين.. والاعتماد على الوسائل العلمية والفنية الحديثة التى تساعد على نشرها مع تشكيل لجنة دائمة لمتابعة التوصيات التى تصدر عن المؤتمرات الاسلامية الدولية فى هذا الشأن وضرورة التنسيق بين المنظمات الاسلامية وقيام الجامعات الاسلامية بالدول العربية بتقديم المزيد من المنح الدراسية التى تخصص لتعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين فى الدول غير العربية.

(الدكتور الطيب زين العابدين)
من مجلة الرابطة


الآن:
المجموعة
الكاملة
في ٤٦ مجلدا فاخرا
مجلة
المنهل
مجلة طليعة الصفوة المثقفة
المركز الرئيسي: جدة ـ المملكة العربية السعودية ـ رمز بريدي: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٩٢٥
تلفون: ٦٤٣٢١٢٤ ـ فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ . فرع الرياض: السليمانية ـ تلفون: ٤٥٤٢٤٣٢

وشائج القربى في

عربيتنا . . لغة فذة فريدة من نوعها، سواء أكان ذلك من حيث ولادتها وتكونها ونشأتها أم من حيث مقوماتها ومكوناتها وعناصرها، ومن حيث مبادئها وأسسها وقواعدها، ومن حيث نواميسها وسننها وقوانينها، ومن حيث خصائصها وسماتها ومميزاتها، ومن حيث ـ بالتالى ـ فلسفتها وعلمها وفقهها، وبذلك، فإنها لا تشبه لغة من اللغات، كما إنها لا تشبهها لغة من اللغات، فهى نسيج وحدها بينها جميعاً[1].

ويتأتى كون اللغة العربية لغة فذة فريدة فى نوعها، من حيث إن المادة فيها تدور حول معنى واحد، بمعنى: أن كل مادة فى العربية تدور حول معنى واحد مهما تصرفت! وتلك ميزة، عزت أن تكون فى لغة من اللغات إلا فى اللغة العربية؟!.

فالالفاظ فى اللغة العربية لها أصل ترجع إليه يمثل المادة الأصلية التى تدل على المعنى المصدرى، ثم يشتق من هذا الأصل ألفاظ أخرى كثيرة للدلالة على معان متعددة بزيادة بعض الحروف، أو نقصها، أو تغيير الحركات، ومع ذلك فكل طائفة من الألفاظ تدور حول معنى عام يجمعها، وكأنها مجموعات أسرية تتلاقى كل منها فى إطار واحد، وتتجانس وتتشاكل إلى حد يمكن منه معرفة الشقيق والغريب والدخيل، ويمكن منه كذلك معرفة نشوء اللغة وكيف تطورت معالم ألفاظها ومعانيها وارتباطها بعضها ببعض . . والاشتقاق يكشف هذه الحقيقة، فلو تتبعنا مادة معجمية ودرسناها وأمعنا النظر فى المعانى التى تدل عليها ألفاظها، لوجدناها ترتبط بمعنى عام يشمل هذه المعانى ويعد مركزا لها تتفرع عنه وتدور حوله . . ![2].

ولتوضيح هذا نسوق بعض الأمثلة:

■ أولا: مادة (ج ب ر): فهى أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه، إنما هو للقوة والشدة، وجهات تراكيب المادة الست مستعملة كلها لم يهمل شيء منها وهى: (ج ب ر)، (ج ر ب)، (ب ج ر)، (ب ر ج)، (ر ج ب)، (ر ب ج).

الأصل الاول: (ج ب ر): , تقول: جبرت العظم والفقير إذا قويتهما وشددت منهما، ومنه: الجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره.

الأصل الثاني: (ج ر ب): تقول: رجل مجرب: إذا جرسته الأمور ونجذته، فقويت منته، واشتدت شكيمته، ومنه: الجراب: لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء وروعى اشتد وقوى.

الأصل الثالث: (ب ج ر): والأبجر والبُجْرة: القويّ السرّ ة.

الأصل الرابع: (ب ر ج): ومنه: البرج، لقوته فى نفسه وقوة من عليه به، والبَرَج: لنقاء بياض العين وصفاء سوادها، هو قوة أمرها وأنه ليس بلون مستضعف.

الأصل الخامس: (ر ج ب): ومنه: رجبت الرجل: إذا عظمته وقويت أمره ومنه: رجب: لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، ومنه: الرجبة، فإنه إذا كرمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة، وهو شيء تسند اليه لتقوى به، ومنه: الراجبة: أحد فصوص الأصابع، وهى مقوية لها.

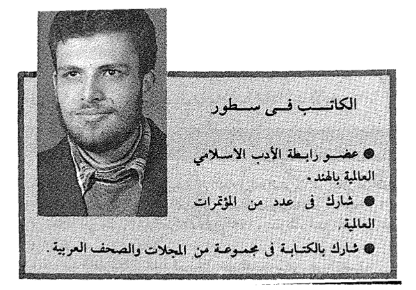
الأصل السادس: (ر ب ج): ومنه: الرباجي: وهو الرجل الذى يفخر بأكثر من فعله، قال الشاعر: وتلقاه رباجيا فخورا[*]، تأويله: أنه يعظم نفسه، ويقوى أمره[3] . .

■ ثانيا: مادة: (س ل م): فإنها تدور حول معنى السلامة فى تصرفها، نحو: سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم اللديغ، أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة[4].

العربيَّة

بقلم: الاستاذ محمد السيد علي بلاسي

مدرس أصول اللغة المساعد ـ جامعة الأزهر.



■ ثالثا: مادة (ح د ق): نجد أنها تدور حول الاحاطة والاستدارة، ومنها: حدقة العين، والحديقة، وأحدق بهم الخطر.. ونحو ذلك.

من هنا، ندرك أن اللغة العربية تمتاز بدوران موادها، وتقلباتها حول معنى واحد، وهذا الدوران حول معنى واحد قد توصل إليه ـ قديما ـ علماء الاشتقاق، وعلى رأسهم العلامة ابن جنى وابن فارس، ويعد هذا من ميزات لغة العرب التى لا تتمتع بها اللغات الأخرى[٥]..

فمثلا كلمتا «أخ» و«أخت» ترجعان إلى مادة «أخو» فى العربية، على حين نجدهما مختلفين لا رابط بينهما فى اللغات الأجنبية، فهما فى الفرنسية مثلا: Frere و Soeur، وفى الانجليزية: Brother و Sister، ونحو ذلك كثير. وتلك ميزة للغتنا الشاعرة، فإنه إذا اتفقت الحروف فيها أو تقاربت، اتفق أو تقارب المعنى، والعكس بالعكس..![٦].

هذا بخلاف اللغات الاخرى، فإننا نجد فيها كلمات لا يوجد ما يدل على أنها من أصل واحد مع تقاربها فى الحروف، مثل كلمتا: Canine و Chien فى الفرنسية، إذ المعنى مختلف بينهما تماما، فالأولى بمعنى (عادات) والثانية بمعنى (كلب)!؟.

كذلك نجد كلمات ذات أصل معنوى واحد، غير أنها لا تشترك فى المادة، مثل كلمتا Capitaine (رئيس فريق كرة) و Chef (رئيس حكومة)، لهما أصل معنوى واحد هو الرئاسة، ولا يشتركان فى مادة واحدة ـ فحروف كل منهما تختلف عن حروف الأخرى ـ مع أنهما يرجعان إلى كلمة: Caput اللاتينية ومعناها (الرأس)[٧].

كذلك لفظ (الصديق) فى العربية من الصدق و(العدو) من العدوان، فى حين أن كلمة: Ami = صديق فى الفرنسية وهى مشتقة من لفظ يفيد معنى المحبة و Ennemi = عدو لفظ مركب يفيد نفى المحبة أى بمعنى البغض، فالمفهوم العربى للصداقة مبنى على الصدق وللعداوة على العدوان، على حين أنه عند الفرنسيين مبنى على أساس الحب والبغض![٨].

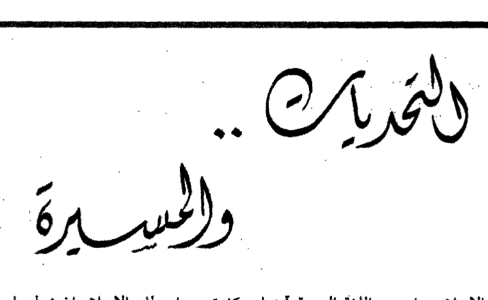
من هنا، فإن اللغة العربية ـ لما يقول الأستاذ العقاد ـ تعتبر فى مقدمة اللغات جميعاً، تعبيراً ودلالة، وتصويراً للمجتمع الذى لهج ـ ويلهج ـ بها، ففى ألفاظها التى قطعت الأزمان التاريخية المتطاولة ما يدل على أصلهم وتاريخهم وعقليتهم، فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة، فالكتابة والشكل: بمعنى القيد، والرسم: أثر خطو الابل على الرمل فى رسيمها أو سيرها على العموم، والبلاغة: من الوصول إلى غاية المسير، والفصاحة: من اللبن الفصيح الذى زال رغوه، والدلالة للقافلة كالدلالة فى الكلام[٩].

وتلك صورة من صور التمام اللغوى الذى اتسمت به لغتنا الخالدة، ولم يكن هذا التمام الكلى الشمولى الجامع للغة العربية ناجماً عن تطور تكاملى تدريجى متنام، استغرق أزماناً تاريخية مديدة، كما لم يكن ناتجاً عن عمل تشكيلى مصنوع، نشأ على أيدى علماء اللغة، وإنما كان شيئا ذاتيا مطبوعاً، فطرت عليه هذه اللغة منذ أن وجدت،

ولازمها طوال حياتها، وسيكون ملازماً إياها أبد الآبدين[10].

الهوامش

(١) اسماعيل العرق: اللغة العربية.. ام اللغات ولغة البشرية، ص١١ ـ بتصرف يسير، الطبعة الأولى ـ دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٦هـ.
(٢) د. عبد الغفار هلال: اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص٦، ١٧٥، ١٧٦ ـ بتصرف ـ ط٣ ـ مطبعة الحضارة العربية سنة ١٤٠٦هـ.
(٣) العلامة ابن جنى: الخصائص ٢/١٣٥، ١٣٦ ـ بتصرف ـ تحقيق محمد على النجار، ط٢ ـ دار الهدى ببيروت.
(٤) المصدر السابق: ٢/١٣٤.
(٥) د. عبد الغفار هلال: اللغة العربية.. خصائصها وسماتها، ص٧ بتصرف.
(٦) انظر: المرجع السابق: ص١٧٨ وهامشها.
(٧) نفس المرجع: ص٧، ١٧٨ وهامشها، وراجع: خصائص العربية ومنهجها الأصيل: د. محمد المبارك، ص٢٩، تجد مزيداً من التفصيل.
(٨) د. محمد المبارك: فقه اللغة، ص ١٣٨، ط جامعة دمشق سنة ١٣٧٩هـ.
(٩) عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، ص٤٢، ط مخيمر سنة ١٩٦٠م.
(١٠) اسماعيل العرق: اللغة العربية.. أم اللغات ولغة البشرية، ص١٥، ط. أولى ـ دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٦هـ.



لقد واجه الاسلام وواجهت اللغة العربية تحديات كثيرة.. واستطاع الاسلام ان يحطمها ويفرض عدله وسماحته واستطاع ان يقضى على كل محاولات الهدم والزيف.

إن القرآن الكريم هو مصدر القوة الاسلامية.. والفقه الاسلامي هو أرقى ما وصلت اليه البشرية من قواعد وقوانين تنظم العلاقات المختلفة.. وقد جعل الاسلام اللغة العربية وسيلة التفاهم والتخاطب ولغة الفكر والعبادة والثقافة عند المسلمين.

وكما نجحنا فى صد تيارات التغريب عن بلادنا.. فنحن قادرون على صون لغتنا العربية لغة القرآن الكريم.. ووسيلتنا فى نشر اللغة العربية.. يكون بالاهتمام بتعليمها لأبنائنا فى كل الديار الاسلامية.. فى البيت والمسجد والمدرسة.. بتحفيظ القرآن الكريم.

إن الاسلام واللغة العربية ـ مع كل هذه التحديات ـ استطاعا أن يذيبا كل هذه التحديات.. والقرآن جعل من اللغة العربية لغة خالدة من أنقى اللغات.. بل إن أمجاد الأمة الاسلامية لا يمكن أن تستعاد بغير العربية لغة القرآن.. وأن وحدتها فى جميع مظاهرها لا يمكن أن تستمر إلا على أساس من الفهم للقرآن والالتزام بقيمه التى ينادى بها.. إلى جانب مقومات القلب والعقل واللسان.

(الشيخ الطيب سلامة)
مدير عام الشئون الدينية ـ تونس ـ
من مجلة الرابطة



فى العالم اليوم مليار مسلم من كل أمة ومن كل لغة ومن كل لون . . ومنهم من احتفظ باسلامه واحتفظ بلغته الأصلية . . وترجموا معانى القرآن الكريم . . ففهموا دينهم الاسلامي فى غير لغته . . ويزعم بعض من يسعى لنشر اللغات الاصلية لهذه الشعوب الاسلامية أن الدين - أي دين - يحمل عناصر انتشاره في تعاليمه لا فى لغته . . ولكننا نرد عليهم بقولنا ان النصوص الشرعية فى العقيدة الاسلامية توجب على المسلم تعلم اللغة العربية وتفرض انشاء وطن اسلامى موحد يجمع شتات الامة كلها فى بوتقة القرآن الكريم ولغته ومنهاجه .

ويشير بعض المستشرقين وبعض المشتغلين بتاريخ لغات الشعوب إلى فقدان التعادل بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية . . ونحن نرد عليهم بقولنا أن نظم أي شعب اسلامي تكون اكثر اسلامية كلما اقتربت لغته من لغة القرآن الكريم . . فاللغة العربية - وكونها لغة القرآن الكريم - ليست سببا لانتشار الاسلام . . بل إن انتشار الاسلام هو السبب الاول لانتشار اللغة العربية، ودليلنا على ذلك أن أهم الدول الاسلامية انما تعربت بفضل القرآن الكريم .

إن المسلمين فى الباكستان يعملون على نشر اللغة العربية وقررت الدوله ان تكون اللغة العربية لغة اساسية تدرس فى المدارس حتى يتمكن الطلبة من قراءة القرآن الكريم .

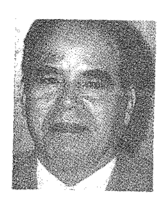
كما أؤكد أن اللغة العربية ظلت محتفظة بمكان الصدارة حتى في مواجهة اللغات الأخرى كالأردية والتركية والفارسية . . لأن ارتباط الاسلام باللغة العربية . . امر يتميز به الدين الاسلامي وحده .

وعلى هذا . . فإن اللسان العربى . . هو شعار الاسلام وأهله . . ومن هنا تبرز فكرة التعريب بصورة واضحة وجلية وتعريب اللسان المسلم أمر بالغ الأهمية . . والسبيل اليه هو اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتعلمها الأطفال فى الدور والرياض القرآنية والمدارس الاسلامية . . فيظهر شعار الاسلام وأهله . . فالعربية من الدين ومعرفتها فرض واجب لأن فهم الكتاب والسنة فرض . . ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

(الدكتور حسين حامد حسان)
الجامعة الاسلامية فى اسلام أباد/ الباكستان
من مجلة الرابطـة

مستقبل اللغة العربية في القرن

بقلم: أ.د. الطاهر احمد مكي
كلية دار العلوم ـ القاهرة



لنتصور ما ستكون عليه اللغة العربية غدا، علينا أن نستقرىء تاريخها على امتداد أكثر من ألف ونصف ألف من الاعوام، كيف نشأت أصلا، وتطورت واقعا، عبر هذا الزمن الطويل، وما عوامل الثبات التى أبقت عليها دون غيرها من لغات الارض، ومظاهر التغير التى عرضت لها فجددتها، وجعلتها موائمة للكثير من البيئات، ومختلف العصور، وغذتها بقاء ونماء وتطورا، لان هذه العوامل نفسها هى التى سوف تحكم مسيرتها أيضا فى قابل أيامها، فى القرن التالى، أو بعد ألف عام ثالثة من الزمان.

كان ظهور الاسلام بعيد الاثر فى حياة اللغة العربية على نحو لم تعرفه من قبل، ومع نزول القرآن الكريم بها تأكدت الرابطة الالهية بينها وبين الدين الجديد، وأصبحت لغة دين وحضارة، ومضت مع الاسلام أيان اتجه، وصارت لغة الدولة ووعاء الثقافة فى كل العالم الاسلامى، واستقرت إلى الابد فى معظم الاقاليم التى بلغها الاسلام، وانسحبت باخرة من بعضها الاخر لاسباب تتصل بالسياسة أولا، وبقوانين الصراع بين اللغات، وقد ربطت بين كل أجزاء الدولة برباط وثيق، وحين استردت بعض اللغات الاسلامية الارض التى فقدتها ـ كالفارسية مثلا ـ ظلت العربية إلى جوارها لغة الدين والمباحث الاسلامية.

• القبطية فى مصر لم تصمد أمام زحف اللغة العربية مما أدى الى زوالها.

• الفارسية كانت لغة دولة قوية انذاك مما جعلها تصمد امام زحف العربية.

• حتى الشعوبيون الذين هم أشد كرها للعرب لم يستطيعوا الانفصال عن العربية بل اتخذوها وعاء لنتاجهم الأدبي.

• فى القرن العاشر الهجرى أصبحت العربية لغة الأدب المحببة على امتداد العالم الاسلامي رغم اختلاف لغاتهم الخاصة.

الواحد والعشرين

لقد جعل الاسلام من الفصحى نموذجا يحتذى، وتكفلت جهود العلماء من شتى الشعوب الاسلامية فى مجالات النحو والصرف والأصوات ومعانى المفردات بالابقاء على صورتها الأولى، أو على صورة جد قريبة منها إذا شئنا الدقة.

هذا النفوذ الذى بلغته العربية فى مناطق كانت تستوطنها لغات ما كان يمكن أن يحدث دون أن تتعرض هى نفسها لتأثير وتغيير، ومهما تباينت هذه العلاقات الجديدة فلم تكن هناك حدود فاصلة بين الفاتحين المسلمين والشعوب التى خضعت للاسلام، فخلفت لغات هؤلاء اثارا واضحة فى اللغة العربية، فتركت الفارسية ملامح بينة فى عربية أهل البصرة، وتلاقت فى الكوفة الارامية والفارسية والعربية، حيث يتلاقى التجار والصناع وغيرهم، ويكونون مع أسرى الحروب إذ ذاك، وكان عددهم كبيرا، أغلبية مؤثرة، وصارت الفارسية لغة التفاهم بينهم زمنا.

وبينها كان تأثير الفارسية فى عربية العراق كبيرا، وكثرت الألفاظ الفارسية فى العربية الفصيحة، وأخذت إيقاعا عربيا، كان أثر القبطية فى عربية مصر ضئيلا، أو معدوما، ويرده بعض الباحثين إلى أن مصر لم ترزق فى ذلك الوقت عالما فى قامة الجاحظ يلتفت إلى لغة الطبقة الوسطى والدنيا بين السكان فى المدن، ويلقى ضوءا على العلاقات اللغوية فى الفسطاط القديمة فيسجلها، ويكتب لها الاستمرارية، وهى فيما أحسب لم تكن تختلف كثيرا عما كانت عليه الحال فى البصرة والكوفة، ولو أن ذلك لا يحول دون القول بأن عملية التعريب فى مصر تمت بصورة أسرع وأعمق مما كان عليه الحال فى العراق، وهو أمر يمكن أن يعزى إلى عدة أسباب منها: أن مصر القبطية كانت فى وهدة الانحدار حضاريا وسياسيا وثقافيا، فلم تكن تملك من وسائل المناعة ما يهبها قوة المقاومة والتماسك، ولا من تراث مصر العريق فى عصورها الفرعونية ما يعينها على المواجهة والثبات، إلى جانب أن الناس أقبلوا على الاسلام أفواجا هائلة، لعوامل مختلفة، فرجحت كفة العربية فى القرن الثالث الهجرى، وتراجعت القبطية إلى سهول الريف، وأخذت شكل جزر لغوية منعزلة فى الصعيد، ثم تلاشت تماما فى القرن السادس الهجرى، الثانى عشر الميلادى.

■ **لقد تميزت اللغة العربية بأنها لغة دين عظيم، بها نزل القران الكريم، وهو يختلف عن غيره من الكتب الس ماوية، ولا يشعر المسلم بأنه يقرأه إلا إذا كان فى لغته العربية، أما الترجمة فهى مجرد شرح وتفسير للافهام فحسب، ولا يتذوق المرء معها حلاوته نصا، ولا يدرك مدى إعجازه بلاغة، ومن هنا تحرص جمهرة المسلمين على أن ترفق النص العربى بترجماته المختلفة، على الهامش أو فى صفحة مقابلة أو بين السطور، ويرى أغلب الفقهاء أن الصلاة يجب أن تؤدى بالعربية، فما من مسلم إذن إلا ويعرف من العربية شيئا، قل أو كثر.**

وهكذا أصبحت العربية فى شعور أى مسلم، أيا كانت لغته الأصلية، جزءا لا ينفصل من حقيقة الاسلام نفسه، ولم يفكر الفرس الذين بلغوا منزلة عالية فى الخلافة العباسية، فى أرقى عهودها وأوج نفوذهم، أن يرتفعوا بإحدى اللهجات الإيرانية لتكون لغة الدولة، ولا فى فارس نفسها، وكان يجب أن يمضى قرن كامل من الزمان بعد، قبل أن تبعث الفارسية لغات أدب وحياة.

ولم يستطع حتى الشعوبيون الذين ادعوا تفوق غير الشعوب العربية على العرب أن ينتقصوا من مكانة العربية، ولم يفكر ابن المقفع ولا بشار بن برد - مثلا - ويأتيان فى طليعة الأدباء العرب، وأصولهما فارسية، وينزعان إلى الشعوبية بقوة، فى استخدام لغتهما الأصلية، وهى الفارسية، في إبداعهما، وإنما اعتمدا العربية، واتخذاها وسيلة تعبير، فكان الأول ناثرا متميزا، والثانى شاعرا فذا.

وقد أدى انتقال العربية من البداوة إلى الحضارة،

وتغلغل غير العرب فى مناطق الادب، إلى تلاشى طابعها القديم، وحل مكانه أسلوب منمق مهذب، وسرعان ما فرضت هذه اللغة السهلة المنسكبة الواضحة سلطانها على الجميع، فاحتذاها الكتاب، وأصبحت لغة الادب عند المثقفين فى العالم الاسلامي، دون تمييز بين جنس وآخر، ولا بين لغة أصلية أو لهجة وطنية، حيث الشعوب والاقوام فى الدولة الاسلامية العظمى أخلاط من البشر يموج بعضها فى بعض، ولم تقف قواعدها المحكمة من نحو وصرف وإعراب واشتقاق وبناء فى وجه تيارات التجديد، وجاءت فى جانب منها على الاقل صدى للغات الوطنية التى انمحت، وتخلفت بقية منها فى أعماق أهلها، أو بقيت جزرا منعزلة فى طائفة أو طبقة أو مهنة أو مكانا قصيا، ولما تتوقف عن التطور، ولا تزال قابلة للتجديد، دون أن يبتعد بها هذا عن أصولها أو تفقد هويتها، والفضل فى ذلك أولا وأخيرا يعود إلى القرآن الكريم.

فى القرن الرابع الهجرى، العاشر الميلادى، أصبحت العربية لغة الأدب الوحيدة على امتداد العالم الاسلامى مهما كانت أصول أهله، وأسهمت كل الأقاليم مهما تناءت فى بناء صرح الأدب العربى، ولم تستطع الفواصل والحدود السياسية أن تصبح عقبة أمام انتقال الأدباء والعلماء والشعراء، فأبو على القالى - مثلا - نشأ فى أرمينيا، وتأدب فى بغداد، وعلم وألف في إسبانيا، وعاش الخوارزمى فى العراق، وخدم سيف الدولة فى حلب، وطوف بديع الزمان الهمذانى فى خراسان وسجستان وأفغانستان، وكانت حياة المتنبى قاسما مشتركا بين العراق والشام ومصر وفارس.

هذه الحياة المغامرة المتجولة كانت شيئا مألوفا ومطردا، وأحدثت نشاطا عظيما فى تبادل الأفكار والآراء وانتشار المذاهب، واحتفظت للغة الأدب بطابعها الفصيح، ويشير المقدسى، وهو رحالة من القرن الثالث عشر الميلادى، واهتم كثيرا بالظواهر اللغوية، إلى أن أسمى درجات العربية كانت تتكلم فى فارس، لأن الناس هناك يبذلون جهدا عظيما فى دراستها، «فهم يتكلفونها تكلفا، ويتعلمونها تلقفا».

■ **وقد نجم عن انتشار اللغة العربية ثراء إمكاناتها فى التعبير عن شتى الاغراض والمعانى والافكار، وارتقاؤها فى الاخيلة والاساليب والتعبير، واستطاعت أن تجلو المعانى الدقيقة التى تطلبها ارتقاء العلوم والفنون، وأن تستخدم الحجج العقلية والبراهين الفلسفية، وتجردت ألفاظ كثيرة من معانيها القديمة وأصبحت تدل على معان جديدة، خاصة بالعبادات أو السياسة أو الحرب أو مصطلحات العلوم والفنون واقتبس العرب إلى جانبها للاغراض نفسها ألفاظا من لغات أخرى كالفارسية بخاصة، ثم السريانية، واليونانية، بعد أن عربوها وصقلوها بمناهج اللسان العربى.**

أنزلت الأمم الإسلامية كلها اللغة العربية منزلة سامية، لأنها لغة القرآن والسنة المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامى، والذين لا يتكلمونها يحفظون القرآن أو أجزاء منه لأداء عبادتهم، وكثيرا ما يعرفونها إلى جانب لغتهم الأصلية.

لقد انتشرت اللغة العربية فى أفريقيا فى جنوب الصحراء فى زمن مبكر جدا، وحتى قبل أن يبلغها الاسلام، حملها التجار معهم، وأذاعوها فى نطاق محدود قد لا يتجاوز الأسواق الرئيسية فى المدن الكبرى، ولكنه هام ومؤثر، فلما جاء بعدها الاسلام ثبت أقدامها، فظهرت المدارس القرآنية، واهتم بها المجتمع الأفريقى، يرسل إليها الأطفال بنين وبنات، ولم تكن تختلف عن بقية المدارس الشبيهة فى أى بلد إسلامى، فطرق التدريس تقليدية، وتتمتع بحرية واسعة، وفى استطاعة أى إنسان أن يفتح مدرسة أو كتابا أو خلوة ومدلولها جميعا واحد، وإن اختلفت الأسماء حسب البلد الذى تقام فيه هذه المؤسسة التربوية البدائية، يقيمها أهل الخير ابتغاء مرضاة الله، وقد تجد تشجيعا من الدولة وفى الوقت نفسه كان كبار رجال الدولة علماء وأساتذة، ويجعلون من بيوتهم مدارس يتوافد عليها الراغبون فى العلم.

وقد بلغت العربية فى جنوب الصحراء مبلغا عظيما، وأصبحت اللغة الرسمية فى نيجيريا على امتداد القرن التاسع عشر الميلادى، وعرفت عددا

من الشعراء المجيدين، والكتاب الناثرين والمؤلفين، وكـان هذا الشعـر موضـع دراسة جادة فى عدد من الجامعات المصرية.

وتسـود اللغـة العـربية بين غالبية المسلمـين فى الحبشـة، وحـافظوا عليها بقوة باعتبارها لغة القرآن الكـريم، واستـطاعـوا فيها قبل القرن العشرين أن يقيموا بينهم وبين الدول الاسلامية المجاورة، اليمن والسـودان والحجـاز ومصر بخـاصـة، روابط ثقافية واقتصـادية وثيقة، وضـم الأزهر رواقا شهيرا يسمى رواق الجـبرتية كان مخصصـا للطلاب القـادمين من شرق أفـريقيا بعامة، وللطلاب الأحباش بخاصة، وكثيرون من الأحباش الذين درسوا فى الأزهر عادوا إلى بلادهم وتولوا المناصب الدينية من قضاء وإفتاء، وكانوا من مواطنيهم موضع إجلال وإكبار.

فإذا اتجهنا إلى الشرق الأسيوى فإن معلوماتنا عن انتشـــار اللغـة العـربية فى العصـور الأولى محدودة للغاية، فقد تبعت الاسلام، وكانت وراءه على بعد خطوات من وصوله دائما، واهتم المؤرخون - كما هى العادة - بالأحداث العسكرية إن وجدت، أو مظاهر الاسلام فى البلاد التى بلغها، وقلما يعنون بالمراحل التى بلغتهـا اللغـة العـربية فى انتشـارها وصراعها وانتصـــاراتهـا، وتجىء أفكـارنـا حول هذه القضية معتمـدة أسـاسا على إشارات قليلة متناثرة فى كتب التراجم والطبقات والتاريخ.

كان الدين الاسلامى أساس التعليم، وكان هذا بدوره يرتكز على اللغة العربية، ويذكر الرحالة ابن جبير المتـوفى عام ٦١٤هـ/ ١٣١٧م، أنـه شاهـد الأطفال فى الهند يحفظون القرآن الكريم ويتعلمون الخط من خلال الـشعـر والأمثـال العـربية، ولا يستخدمون الآيات القرآنية فى تدريب الصبية عليه، احتراما لكلام الله تعالى.

وهكذا حفظت اللغة العربية الفصحى رغم أنها لم تكن لغة البلاد ولا لغة الحكومة، وكانت الكتب المتصلة بالتفسير والحـديث والفقـه والعقائد باللغة العـربية، ولم تكن ترجمت إلى الفـارسية حتى ذلك الوقت، وقدمت لنا شبه الجزيرة الهندية كوكبة عظيمة من كبـار العلماء فى مجالات اللغـة العـربية والعلوم الاسلامية المختلفة.

ونلتقى بالعربية فى سومطرة وجاوة، وقد كتب بها الكثير من شواهد القبور المزخرفة بالنقوش الاسلامية الجميلة على شكل نباتات وأزهار مكونة من تداخل الكـلام، وتستخـدم التـاريخ الهجرى، ودون على بعضها أبيات من الشعر العربى، فقد حمل شاهد قبر يعقوب ابن عم الملك الكامل، وكان داعية أسلم على يده خلق كثير، وتوفى عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، البيت التالى من الشعر:

ولـو كانـت الـدنيـا تدوم لأهـلهـا
لكـان رسـول الله حيـا وبـاقيـا

■ ووجـد منقـوشـا على قبر الملك الصالح، المتوفى ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، أبيات أبى العتاهية:

إنـما الـدنـيـا فنـاء
ليس للدنـيـا ثبـوت
إنـما الـدنـيـا كبـيـت
نسـجـتـه الـعـنـكـبـوت
ولـقـد يكـفـيـك منهـا
أيهـا الـطالـب قوت
ليس إلا من قليـل
كل من فيـهـا يمـوت

■ **غير أن الاستعمار الاوربى عمل بقوة على منع انتشار اللغة العربية والتهوين من شأنها فى كل المناطق التى خضعت له فى أفريقيا واسيا، أو التى مارس عليها نفوذا كبيـرا، حاول اجتثــاثهـا، وتبغيض المواطنين فيها، واتهامها بأنها ليست لغة علم، وأن مفرداتها لن تتسع لمتطلبات الحضارة الحديثة، وأنه خير لهذه الدول أن تتخـذ لهـا لغة أوربية، وفى الوقت نفسه عمل على تجميد تدريس اللغة العربية، ولم يتح للقائمين عليه أن يتقـدمـوا أو يصيبـوا شيئـا من طرق التـدريس الحـديثة، وفى الوقت نفسه أهمل المدارس القرآنية، ودفع بها بقوة إ لى الانكماش والتلاشى.**

لكنهـا على أية حال مظاهـر ارتبطت بالاستعمار ووجوده، وبذهابه، واضمحلال نفوذه، سوف تتغير الحال إن عاجلا أو آجلا.

أنت ترى إذن أن اللغة العربية لم يصبها على امتداد تاريخها وهن ولا ضمور، ولو أن الأدب وهو شيء غير اللغة مرت به مراحل متفاوتة، من السمو والهبوط، والتقدم والتخلف، دون أن يمس هذا اللغة نفسها في أصولها، وهو أمر بدهي ما دامت قد ارتبطت بالقرآن الكريم، وما دام القرآن نفسه موضع رعاية إلهية، ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.

فإذا تجاوزنا ماضي اللغة وحاضرها إلى المستقبل أمكن أن نتصوره في ضوء أسسها، والقواعد التي حكمته، والقوانين التي ساستها، دون أن نخشى الوقوع في هاوية المبالغة والافتراض.

أول ما يبدو لنا وضوحا أن القرآن يزداد رسوخا، والاقبال عليه حفظا وتجويداً يشتد، وذلك يعني بداهة ألا خوف على العربية لغة في مستقبلها القريب أو البعيد، لا في القرن القادم ولا بعد ألف ثالثة من الزمان.

وثمة عوامل كثيرة تجعل هذا العامل أكثر فعالية في المستقبل أكثر مما كان عليه في الماضي، أهمها الصحوة الاسلامية الهائلة التي تمتد من أندونسيا في أقصى الشرق إلى سواحل الاطلنطي غربا، ومن البوسنة شمالا حتى أقاصي أفريقيا جنوبا، وهي ذات طابع فريد وحاد يبلغ حد الثورة، ولم تشهدها البلاد الاسلامية على امتداد تاريخها، بمثل هذا الشمول والاتساع والتزامن، وتجيء وليدة معاناة قاسية من الخضوع لاستعمار أوربي بغيض، أهان كرامة هذه الشعوب وامتهن مقدساتها، وهي الآن تحاول أن ترفع رأسها وأن تثبت إنسانيتها وأهليتها للحياة.

وهي في حركة اندفاعها لا تمضي بداهة بمستوى واحد من التخطيط والعقلانية، فقد يتعثر بعضها، وقد يتطرف البعض الآخر، نتيجة عوامل محلية أو ظروف تاريخية ضاغطة، وربما تتفاوت حظوظها من النجاح تبعا للمجابهة التي تصطدم بها، أو الصعاب التي تعوقها، من قوى مضادة للاسلام أو تراه خطرا على مصالحها، ولكنها في نهاية المطاف سوف تبلغ شاطيء الأمان، وتحقق الجانب الاكبر من غاياتها إن لم تكن كلها.

هذه الأمم الاسلامية غير العربية هي في الجانب الاكبر منها بلا لغة قومية واحدة تجمع بين أفرادها، وتتوزع حياتها لهجات محلية عديدة، وأكرهها الاستعمار الانجليزي أو الفرنسي على أن تتخذ من لغته لغتها الرسمية، ولغة التفاهم بين قبائلها المختلفة، سوف تجد مع الصحوة الاسلامية، وحتى مع الصحوة القومية، في هذه اللغات أثرا مقيتا من بقايا الاستعمار البغيض، يذكرها دوما بممارساته الأليمة، ومهاناته الفظيعة، ومعاملته غير الانسانية لهم، وحين تبرأ هذه البلاد من عملائه الذين خلفهم وراءه سوف ترى أن تجاوز هذه اللغة الأجنبية أمر ضروري، وأن من الخير اتخاذ لغة تربطها بها وشائج أقوى، وليس أقوى من الدين رابطة.

ولا يظنن أحد أن تركيا بمنأى عن هذه الصحوة، وإن كانت في الريف أوضح منها في المدن، وعودتها إلى الحرف العربي، إن لم يكن إلى اللغة العربية غير بعيدة، ومثلها ألبانيا والبوسنة، ولكليهما أدب وطني مكتوب في اللغة العربية حيا، وبالحرف العربي أحيانا، وأما الجمهوريات الاسلامية التي استقلت حديثا عما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي فيكفي أن تستقرىء تاريخها جيدا وتعيه لكي تحن إلى العربية، فقد كان إسهامها في الحضارة الاسلامية والعالمية مرموقا، وتم في اللغة العربية وحدها، ويكفي أن نذكر أن من بين علمائها الأجلاء الامامين: البخاري ومسلم والفيلسوف الفارابي.

ذلك ليس مجرد أمل، فقد حاولت باكستان غداة استقلالها، وهي من كبريات الدول الاسلامية عددا وقوة، أن تجعل العربية لغتها الرسمية، وحالت دون تحقيق الأمنية عوامل مادية بحتة فحسب: صعوبة إيجاد المعلم الكفء، والكتاب المناسب، والميزانية الوافية، ولكنها أصبحت اللغة الثانية على أي حال.

وبعد الصحوة الاسلامية يجيء التقدم المذهل في عالم الاتصالات، فأي مسلم في أية بقعة نائية من الأرض يستطيع أن يستمع إلى القرآن الكريم في أكمل قراءة، وأفصح عربية، من آلة صغيرة يحملها

فى جيبه، أو يحتفظ بها فى بيته، فيجد معها راحة الضمير واطمئنان النفس، وهو ما يلمسه المؤمنون الطيبون المجهدون فى صراع الحياة.

وهذه الوسائل التقنية الحديثة تعين على تعليم العربية وإجادتها فى زمن أقصر وبجهد أقل، وهى فى الوقت نفسه توسع من دائرة استخدامها لغة قومية، وتميت اللهجات المحلية، واللغات المحدودة الانتشار، وأحسب أن القرن الواحد والعشرين لن يعرف من اللغات فى أفريقيا غير ثلاث: العربية والهوسا والسواحلية، وهاتان الأخيرتان متأثرتان بالعربية إلى حد كبير ويمكن أن يذوبا فيها فى مستقبل غير قريب، ولن تعرف آسيا غير العربية والفارسية والأوردية والصينية واليابانية، وما غير ذلك فى طريقه إلى التلاشى، وربما حلت العربية أو الفارسية محل اللغة الأوردية.

وقد أدت الصحوة الاسلامية إلى اهتمام الغرب باللغة العربية من جديد، بعد أن كان اهتمامه بها قد فتر مع انحسار الاستعمار العسكرى والمباشر، ذلك أن حاجته إلى مواجهة هذه الثورة وإفشالها وتفريغها من محتواها دفعت به ثانية إلى معاودة دراسة الاسلام للوقوف على مكامن القوة والحيوية فيه، وطريقه إلى ذلك التمكن من اللغة العربية.

غير أن متابعة الجهد الذى يبذل فى تعلم وتعليم اللغة العربية ونشرها ليس بالامر السهل، إذ يحتاج الامر إلى هيئة منظمة، غير حكومية، تؤمن برسالتها قبل أن تراها وظيفة ومصدر رزق، لان الهيئات القائمة فعلا أفلست تماما. أفلست الجامعة العربية فى رسالتها الثقافية فلم تستطع حتى أن تعين عضوا من أعضائها على أن يعيد للحرف العربى مكانته فيها بعد أن نفاه الاستعمار منها، فضلا عن التمكين للغة العربية ذاتها.

لكننا نسرف فى التفاؤل إذا تصورنا أنفسنا وحدنا فى هذا العالم، فهناك الغرب بخبثه، والولايات المتحدة بجبروتها، يرون الصحوة الاسلامية خطرا على مصالحهم، واللغة العربية تهدد ثقافتهم فى مساحات شاسعة، وهم يستخدمون الآن كل قواهم: تخطيطا ومعلومات واقتصادا وعلما، للعمل على وقفها، بتدميرها من الداخل، وتفريغها من محتواها، فإذا فشلوا فسوف يواجهونها لا محالة علانية وبالسلاح.

وهم الآن يحاربون اللغة العربية دون هوادة فى البلاد الاسلامية غير العربية أولا، لأنهم فيها يرون يمكن تشويه إسلامهم بسهولة فى هذه الحالة، لأن معلوماتهم عن دينهم يستقونها من مصادر غير عربية يسهل تزييفها، والمثل الواضح لهذا نيجيريا، وكانت العربية لغتها الرسمية على امتداد القرن التاسع عشر كله، حتى فجأها الاستعمار البريطانى الخبيث وهم من جانب آخر يعملون على إشاعة الفرقة والوهن والدس والوقيعة بين البلاد الاسلامية المختلفة وشغلها بغير الجاد من أمورها.

■ وماذا عن الأدب العربى فى القرن الواحد والعشرين؟:

إذا كنا نعايش صحوة إسلامية عمادها القرآن، وإذا كان الأدب هو الاستخدام الأمثل لهذه اللغة، فأتصور أن القرن الواحد والعشرين سوف يشهد حركة إحياء أدبية، كتلك التى شهدتها مصر فى نهاية القرن الماضى ومطلع هذا القرن، تعود بنا من جديد إلى خير ما فى التراث، تنشره وتدرسه وتتمثله، ثم يؤتى ثماره يانعة فى آخر القرن نفسه.

وسوف تختلف القضايا والهموم وطريقة التصوير والتشكيل، ولكن بناء القصيدة العربية سوف يشهد حركة معاكسة، تتجاوز الهلهلة والادعاء وتعود بالشعر إلى فحولته، فتملأ سماء الأدب العربى من جديد أسماء كبار الشعراء على امتداد التاريخ العربى، وقد انضم إلى قافلتهم البارودى وشوقى وحافظ وخليل مطران، وعلى محمود طه، وعلى الجارم، ومحمود حسن اسماعيل، ومحمد الجواهرى، وعبد الله البردونى، وعمر أبو ريشة، ونزار قبانى قبل أن يترهل، وآخرون فى مستواهم، أما الذين تخففوا من قيود الفن، فسوف يتولاهم النسيان، ولن يظفروا من التاريخ، وهو عادل لا يجامل، ولا بكلمة واحدة.

ولن يبقى من المسرح إلا ما كتب أمير الشعراء وعزيز أباظة، لأنهما عرفا كيف يسموان على الأحداث

العارضة، ويبلغان القمة شعرا، وما كتب غيرهما فتسلية مرهونة باللحظة، أو سياسة مرتبطة بالواقع، وكلاهما سوف يتغير، وسوف يكون للقرن الواحد والعشرين مسرحه الخاص به، يعالج همومه، ويفيد من تقنياته، ولن يلتفت إلى الوراء إلا مستلهما القمم فى العربية، أو من تجارب الآخرين.

فى النثر سوف يتخطى الألف الثانية إلى الثالثة ما كان محكم البناء، قوى السبك، فخيم الأسلوب، جزل العبارة، فيقرأ أهله إلى جانب التراث القديم ما كتب أحمد حسن الزيات، ومصطفى صادق الرافعى، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ونجيب محفوظ، ويوسف جوهر، ولا أظن أن يوسف أدريس سوف يكون إلى جوارهم، لأن لغته مهلهلة، وجملته ركيكة، مهما كانت مكانته روائيا وقصاصا.

وبدهى أن قلة أخرى لا تتجاوز أصابع اليد، من بين الزحام الصاخب، قد يبقى لها بعض الصدى لكن الكثرة الغالبة سوف تخفت ضوءا وصدى فى اللحظة التى تتخلى عنها أجهزة الاعلام التى تدعمها. سوف تتعدد حواضر الثقافة المنيرة فى الوطن العربى، تحتفظ القاهرة بمكانتها التاريخية، وتعاود بغداد أداء دورها العظيم، وتنشأ إلى جوارهما مراكز أخرى فى اليمن والجزائر، فهما مهيأتان مناخا ومكانا لهذا الدور، ولن تعود بيروت كما كانت، ورغم تقدم التقنيات ورخصها، تظل للكتاب المطبوع أهميته، وللحرف دوره، ولن تحل الأذن محل العين، إلا لمن حرم متعة البصر!.



دور اللغة العربية

امام اللغة العربية عراقيل وحواجز يجب ازالتها لكى يتسنى لها ان تصبح لغة حديثة ومنافسة على قدم المساواة مع كبريات اللغات التكنولوجية.

فاللغة العربية لغة كجميع اللغات لها ميزتها ولها عيوبها ايضا، فيجب ان نجتهد لتصحيح هذه العيوب بالنسبة الى التقدم الاقتصادى والاجتماعى، أى بالنسبة للعلم والتكنولوجيا لا بالنسبة الى التعبير والادب والشعر، فاللغة العربية قادرة على الشعر والخطابة، لكن فى ما يتعلق بالعلوم العصرية هناك مشاكل على مستوى الوطنى العربى لم يتم تحرك لحلها، وكل من يتكلم أو يعمل فى هذا الميدان يحصر مجهوداته على جرد هذه المشاكل.

التواصل اللغوي

ولقد بذلنا بعض المجهودات من خلال معهد الابحاث لايجاد حل لتلك المشاكل منها استعمال «الطريقة المعيارية» وهي تعنى العربية المعيارية المشكولة، وهى عبارة عن نسق او مجموعة محارف عربية تمكن من تأليف النصوص بالشكل التام او الجزئى او بدون شكل، هذه الطريقة رشدت عمل التأليف وخفضت جدا من تكلفة المطبوع وهيأت امكانية شكل النصوص شكلا تاما، كما انها ادخلت اللغة العربية فى ميادين لم تكن مفتوحة امامها قبل الآن، وبذلك بتكييفها لكتابة العربية مع التكنولوجيا العصرية لارسال المعلومات، وتمكن مستعملى اللغة العربية من استخدام الوسائل العصرية للتواصل اللغوي فى لغتهم الوطنية وذلك فى ميادين المواصلات البعدية والتوثيق وتسيير المؤسسات ولكن هذا المشروع لا يطبق بكيفية عامة الآن، لأن وسائل الاعلام لم تقم

عام ٢٠٠٠

بقلم: احمد الاخضر غزال
مدير معهد الابحاث للتعريب فى الرباط

بواجبها للتعريف بهذه الطريقة المعيارية وتبيان اهميتها.

وفى البلدان الافريقية المسلمة غير العربية تكتب لغاتها بحروف لاتينية للدلالة على الاصوات الخاصة، وهناك فكرة خاطئة هى ان الحرف العربى لا يصلح لكتابة اللغات الافريقية لأنه غير منمط كمثيله اللاتينى ونتيجة لذلك نجد ان الشباب المسلمين الافارقة الذين نشأوا على تعلم الحروف اللاتينية لم يستطيعوا ان يتعلموا الدين الاسلامى واللغة العربية فلهذا وعت الايسيسكو هذه المشكلة فعرضوا علينا امكانية ايجاد حل لها، فانجزنا مشروعا مشتركا مع المنظمة الاسلامية وجمعنا لغات ١٥ دولة من شرق وغرب افريقيا وقمنا بتنميط الحرف العربى لكتابتها وانتجنا آلة مرقنة خاصة لهذه العربية والافريقية وهى تتضمن الشكل التام وسلامة النطق.

توحيد المصطلحات

فى اللغة العربية مشكلة كبيرة تتعلق بالمصطلحات، فهي تتكاثر ونحن نتباطأ فى توحيدها، وفى انتظار ايجاد حل لهذه المشكلة نجد ان اللغة الاجنبية تسيطر على تعليمنا وحتى على شؤوننا الاجتماعية، ومن خلال معهدنا صممنا معجما عربيا، فرنسيا يعد اكبر معجم علمي وتقني صدر حتى الآن موحد بواسطة الحاسوب، قمنا بواسطة هذا الاخير بتخزين جميع المعاجم المتوفرة لدينا فى العالم العربى، علمية وتقنية وعددها ٧١ معجما واخرجناها فى معجم واحد.

الفصحى هى لغة العلم والثقافة والأدب، فاللغة العربية الفصحى ليست كاللغات الاوروبية، فهي لغة مكتملة ولها بنية خاصة لا تقبل اللحن، اما اللغات الاوروبية فهى عامية تقبل اللحن والتغيير لأنه ليس لها قواعد ثابتة تمنعها من الاختلاف، فاللغة الانجليزية التى تتحدث اليوم ليست هى لغة القرن الخامس عشر، والتى كانت فى ذلك القرن تختلف عن التى كانت فى القرن العاشر. وهكذا.

ينقصنا البحث

فى الوقت الذى نسعى فيه الى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، لم نحسن نحن تعليم اللغة في بلدانا العربية.

لأن البحث هو اهم شيء فى ميدان تحسين تدريس مناهج اللغة. وبما اننا لا نقبل على البحث فتعليم اللغة عندنا غير متلائم ولا متكيف مع الحاجيات الراهنة للاكتساب السريع والعلمى للمعارف اللغوية. فالبحث يتطلب دراسة مناهج اللغة العربية من جميع نواحيها القديمة والحديثة ومقارنتها بجميع طرق تدريس اللغات فى العالم. اجرينا اخيرا مقارنة بمناهج تعليم اللغة العربية فى الدول العربية منذ سنة ١٩٦٠م، وبمقارنته بنفس الفترة مع النظام الفرنسى اتضح لنا ان مناهجنا لم تتقدم ومازال تعليمنا متأخرا، ويجب أن ندرك بأن الموضوع خطير وانه لا يجدر بنا ان نقلل من اهميته ونستصغره. ان وسائل التعليم الاساسية هى اللغة والبرامج والكتاب المدرس والمعلم، وهذه الوسائل متداخلة تداخلا وثيقا، الا ان البحث فيها يجد مادته الملموسة السهلة فى الكتاب المدرسى لأنه مرآة اللغة.

هناك مشروع «القراءة المبصرية» نحاول منذ فترة القيام به ولكن تنقصنا الامكانيات المادية، فالقراءة المبصرية للمحارف العربية بواسطة الآلات المبصرية تعمل على تخزين اللغة بكاملها تلقائيا عوض ان تتم بواسطة اليد، علاوة على الترجمة الآلية.

وفى الدول المتقدمة التى تستعمل هذه الطريقة لا يسجلون فى الحاسوب النصوص المطبوعة او المرقونة بواسطة المطراف، بل يقوم الحاسوب بقراءتها وترجمتها فوريا.

لغة الضاد بين التشكيك

- **اللغة العربية تجعل الملاءمة السمعية مع اللغات الاخرى ميسورة.**
- **اللغة التى حملت مصطلحات ونتاج الحضارة قديما يمكنها الآن ان تحمل كل جديد.**

أدت اللغة العربية دورا أساسيا فى حياة الفكر الانساني حين كان نشر المعارف والعلوم يكاد يقتصر عليها طيلة المرحلة التاريخية التى ساد فيها العرب العالم لمدة لا تنقص عن ستة قرون. كان العرب أساتذة الكون في الفكر والحضارة وقد استطاعت هذه اللغة أن تقوم بدورها خير قيام لما تميزت به من ميزات قد لا تتوفر لغيرها كما شهد بذلك اعداؤها من كبار المستشرقين، فهذا (ماسينيون) يقول: «**إن اللغة العربية لها استعداد للرؤية الجوانية، يتذوقه من نشأوا على التحدث بها، وفيها بفضل تركيبها الداخلي قدرة خاصة على التجريد والنزوع الى الكلية والشمول، ومن هنا كان للعرب الفضل فى استكشاف رموز الجبر، وصيغ الكيمياء، والمسلسلات الحسابية، ثم إن اللغة العربية لغة الشفافية والايحاء، تعبر بجمل قصيرة مركزة عما لا تستطيع اللغات الغربية أن تعبر عنه الا في الجمل الطويلة الفضفاضة**».

نورد هذا القول للمتشككين من العرب أنفسهم في غنى اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن العلم ومصطلحاته ومسايرة الحضارة الحديثة، لأنها في نظرهم لغة أدب وشعر، مع ان غنى اللغة العربية واضح لكل من لديه العلم بروافد اللغة من نعت واشتقاق وتعريب وقياس، وما إلى ذلك، **وقد بلغ رصيد هذه اللغة التي يتهمونها بالفقر والعجز (ستة ملايين وستمائة وتسعة وتسعين ألف وأربعمائة لفظ ٦٦٩٩٤٠٠) ولا يستعمل من هذا الرصيد إلا خمسة ملايين وتسعة وتسعون ألف وأربعمائة لفظ فقط**، ليس اليوم ولكن منذ أكثر من إثني عشر قرنا، أى في عهد الخليل بن أحمد سنة ١١٤هـ - ٤٩١م، عهد الفصاحة، فكم لفظا يستعمل اليوم يا علماء اللغة؟!! وإذا كان إحصاء الخليل قابلا للشك لعدم توفر الآلات الالكترونية الحاسبة، فهذا «إرنست رينان» الفرنسى يقول في كتابه «تاريخ اللغات السامية»: إن اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال وإنها سلسة أى سلاسة غنية أى غنى كاملة لم يدخل عليها منذ ذلك العهد الى يومنا أى تعديل، وإذا اعترض أحد بأن رينان لم يدرك الآلة وبأنه لا يتقن العربية فلنحوله على المنطق والتاريخ فقد صعدت هذه اللغة أمام الاستعمار الغربي الذى تفانى لكى يمحوها من الوجود، وذلك راجع لعدة أسباب أهمها:

١ - محاولة القضاء على الدين الاسلامي، لان العربية مفتاح التفقه في الدين ولعلهم تنبهوا إلى ما كتبه «أبو منصور الثعالبي» في مقدمة كتابه «فقه اللغة العربية».. (من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا ﴿ﷺ﴾ ومن أحب الرسول العربى أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية)، والدليل على أن أولى الحملات ضد العربية قامت على ايدى المنصرين قبل ان يتحملها المستشرقون من أمثال: سنوك، ومارجليوث، ويلمور، وحتى ماسينيون فقام المفكرون والمصلحون العرب بالدفاع عن العربية حين نجد ردا لجمال الدين الافغانى على دعاوي أرنست رينان وآخر لمحمد عبده على هانوتو، وثالثا لقاسم أمين على داركور، وغيرها كثير، كما نجد تفنيداً لمزاعم المنصرين لمصطفى الخالدي في كتابه «التبشير والاستعمار» يقول الدكتور عثمان أمين في كتابه: (فلسفة اللغة

والتحديث

الكاتب في سطور
- استاذ في الادب العربي
- له العديد من الدراسات والبحوث في ميادين الأدب واللغة.
- حصل على مجموعة من شهادات الدكتوراه في الادب الاسباني واللسانيات.

بقلم: أ.د. ناول عبد الهادي - المغرب -

العربية).

«إن اللغة العربية لغة القرآن، والقرآن - كما هو معلوم - لا سبيل الى ترجمته الى أى لغة أجنبية والقيام بترجمة القرآن يكاد يكون جزءا من مخطط لهدم الدين الاسلامي من أساسه».

٢ - تقويض وحدة العرب لأن من أهم دعائم الوحدة وحدة اللغة ورحم الله الرصافي حين قال: وتجمعنا جوامع كبريات وأكبرهن سيدة اللغات.

وعلى العموم فإن القضاء على اللغة العربية قضاء على مقومات الشخصية العربية، ويوضح ذلك العقاد في كتابه «أشتات مجتمعات في اللغة والأدب» فيقول: (**إن الحملة على اللغة في الاقطار الاخرى هي حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد الاحتمال، ولكن الحملة على لغتنا حملة على كل شيء يعنينا، وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية، وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة،** لأن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربي او المسلم قواما يميزه عن سائر الاقوام، ولا يعصمه ان يذوب في غمار الأمم فلا يبقى له باقية من بيان ولا معرفة ولا إيمان) هذا وقد اتخذ المستعمر عدة وسائل لمؤامرته على العربية أهمها:

■ **فرض لغاته على العرب ونشرها** بشتى وسائل الترهيب والترغيب، فقد جعلوها ضرورية في المدارس وفي الادارة والمصالح والشركات ولابد لمن يطلب وظيفة مهما قل شأنها أن يكون على دراية بلغتهم وفي ذلك ما فيه من تضييق وخنق للغة العربية.

■ **بث العملاء في البلدان العربية للدعوة بالقلم واللسان الى العناية باللغات العامية، واللهجات الاقليمية،** وما النداءات التى قامت في مصر في النصف الأول من هذا القرن للكتابة باللهجة العامية ولا سيما في القصة إلا صورة من تلك المؤامرة، وكذلك الظهير البربري في المغرب كان من أكبر الظواهر لهذه المؤامرة.

■ **التشكيك في مدى قدرة العربية على استيعاب الحضارة الحديثة،** إما لأنها غير محدودة الألفاظ وغير قابلة للتطور وإما لأنها عامرة بألفاظ الصحراء لما تعداه الزمن، وإما لأنها عسيرة في كتابتها او استيعاب قواعدها النحوية، الصرفية، الى غير ذلك مما وجد له صدى قويا عند كثير من أدباء العرب، وكتابهم، **فمنهم من نادى بكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية كما نادى البعض بتسكين أواخر الكلمات وإلغاء النحو،** وفي كل هذه الدعوات خدمة للاستعمار وهدم للغة العربية ولعل الغربيين أنفسهم لم يكونوا يتصورون أن من العرب من يستطيع ان يتجاوب معهم بتلك السرعة والسهولة لأنهم يعترفون ضمنيا بعظمة اللغة العربية وأنه ليس من السهل تناسي عظمتها، حتى ان المستشرق الفرنسي (هنري لرسل) نشر مقالا في جريدة (لومند) في ١٩٦٤/٩/٣م جاء فيه:

«إن التلميذ أو الطالب يجد في اللغة العربية معاني لغوية تختلف اختلافا كبيرا عن معاني الفرنسية أو اللاتينية أو أية لغة أوروبية، وعن طريقها يتعرف المتعلم على عقلية العرب. ويستوقف النظر سير الكتابة من اليمين الى الشمال، ولكن هذا السير يبدو مطابقا لحركة فزيولوجية أكثر اتفاقا مع الطبيعة.

وتقدم العربية نسقا من قواعد الاعراب بسيطا، وفيه قدر كبير من المرونة كما تقدم أساليب من تركيب الكلام تجمع بين السذاجة والدقة، ومنطقا من الأفعال يتسم بالبساطة وتخير الألفاظ أول الأمر، ولكنه مع ذلك قد بلغ

من النظام في منطقه ما بلغه النسق الفرنسي، وهذه الخصائص وغيرها تزود المتعلم - من غير وعي منه - بتصور للتعبير الانساني جديد حقا، وفيه خصوبة وثراء، وإن صعوبة الكتابة العربية نفسها تضطر المتعلم أكثر مما تضطره اللاتينية والروسية الى أن يكون على حظ من الانتباه اعظم، والنطق بالعربية، وإن بدا غريبا لأول وهله يحصله جميع التلاميذ بسرعة فيوسع حصيلتهم اللغوية الصوتية».

إن العربية تجعل الملاءمة السمعية مع اللغات الأخرى ميسورة جدا ربما كانت هذه الشهادة التى شهد بها شاهد من غير أهلها خير رد على أهلها المتشككين، وبقى ان نتعرض لسؤال طالما تلجلج في النفوس وعرضه مكتب التعريب بالرباط على كثير من الاساتذة والمتخصصين وهو: **هل يمكن للعربية أن تكون لغة إدارة عصرية وعلوم حديثة تدرس على مستوى الجامعة وتستعمل في البحوث العلمية؟** والذي يتتبع الردود التى أجاب بها الأساتذة والمفكرون يلاحظ أنها على العموم إيجابية وفى صالح العربية غير أن هناك ملاحظات وتحفظات أرى من المفيد ان نشير إليها منها:

أولا: ان اللغة كائن حي، وأنها لكي تعيش يجب ان تستعمل وأن استعمالها فى الجامعة وفي المصنع وفي الادارة كفيل بأن يجعلها تتطور بسرعة وتستجيب لحاجة المجتمع.

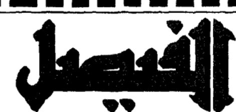
ثانيا: أن اللغة لا يمكن ان تنمو منعزلة عن المجتمع وعلى المجتمع الذى يسعى الى تنمية لغته أن يتطور ويواكب التقدم العلمي.

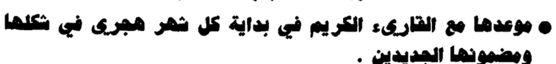
ثالثا: خدمة اللغة وتوفير وسائل البحث وتشجيع المجامع اللغوية، فلا ينبغى ان نقنع منها ببعض البحوث والدراسات التى تلقى دون ان يسمع بها غير الأعضاء او بإخراج بعض المعاجم كالمعجم الوسيط ومعجم ألفاظ القرآن الكريم والمعجم الكبير كما لا ينبغى ان نقنع من مكتب التعريب بمجلة لا نرى لها أثرا في المكاتب ولا يطلع عليها سوى نفر محدود بل ينبغى ان يزداد النشاط ويتسع حتى يعم المدارس، والجامعات ووسائل الاعلام لاقناع الناس بجدوى بحوثهم ودراساتهم وتعريبهم ويجب أن يجند لذلك مجموعة من الأدباء والأساتذة والعاملين في وسائل الاعلام المختلفة، وإنه لمن الذلة والمهانة ان نسمع اللحن في الاذاعات ونقرأه فى الصحف بل وفى الكتب أحيانا ثم لا نحرك ساكنا بل وصل الأمر الى أن نجد طلابا في نهاية التعليم الثانوي بل وحتى في الجامعات يعجزون عن رسم بعض الكلمات او نطقها دون لحن.

ولا يسعنا الا ان نعجب كيف يلحنون وينجحون كما عجب أعرابى عندما زار إحدى المدن فعاد الى قومه يقول: عجبت لأهل المدينة كيف يلحنون ويربحون؟ ونتعجب أيضا من أولئك الذين يعيبون على الأميين عدم النطق الصحيح في حين يسمعون المذيع أو المعلم يلحن في العربية فلا يستغربون.

لا شك أن هذه الظواهر ستختفى حين يقدر العرب لغتهم حق قدرها، ويقفون صفا واحدا متحدين للدفاع عنها ضد خطر الغزو اللغوى والفكري كما قاوموا الغزو العسكرى، وإن الأمل كبير ما دامت قلاع العربية فى وطننا العربى الكبير لا تزال شامخة تواصل رسالتها في خدمة العربية والمحافظة عليها.







● موعدها مع القارىء الكريم في بداية كل شهر هجري في شكلها ومضمونها الجديدين .

● أكثر من (١٠٠) أديب ومفكر وعالم وفنان يتحدثون عن تجاربهم في مساراتهم الأدبية .. والفكرية .. والعلمية .. والفنية .

● علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر في رحلاته حول العالم .

● أبواب .. ونوافذ جديدة مع جديد الثقافة .. وأصالة التراث العربي والإسلامي والإنساني .. وندوات شهرية يشارك فيها أعلام الفكر والدين والأدب .

● مواجهات أدبية وفكرية بين منهجين .. أو موقفين في باب جديد بعنوان «أديبان .. وموقفان» .. ودراسات عن شوامخ الابداع الانساني .

● رحلات بالصورة والكلمة تجمع بين التاريخ .. والحقيقة .. والخيال .. في مدن وأنهار وبحار ومحيطات الكرة الأرضية .

● قضايا انسانية .. ودراسات اسلامية .. ولغوية .. وفنية .. واقتصادية .. واجتماعية .. ونفسية .. وعلمية .. وتربوية .

● ابداعات شعرية .. وقصصية .. ومسرحية بأقلام نخبة من المبدعين .

● الجديد من تراث الكاتب العربي الكبير الراحل علي أحمد باكثير الذي لم ينشر سوف تطالعك به مجلتك «الفيصل» .

● احجز نسختك من الآن للعدد القادم والأعداد التي تليه .

الفيصل : لك اليوم .. ولأبنائك غدا .. ولأحفادك في المستقبل .

اللغة العربية.. وحملات التغريب

● التحرر من سلطان اللغة طلبا للمعاصرة أحد مظاهر النشاط التغريبي.
● المستعمر الأوروبي انتقى من أبناء الوطن العربي من يحمل رسالته ويدافع عنها.
● تيار الحداثة في كثير من صوره تحطيم لما ينبغي المحافظة عليه.

مصاب اللغة العربية

فإذا نظرنا ـ فى الميدان الفنى ـ إلى ما أصاب اللغة العربية من تلك الحرب. . تبين لنا ـ من شراستها ـ مدى إصرار هؤلاء الصليبيين على إحراز النصر الحاسم، مهما تحملوا فى سبيلها من أهوال ومشقات. !

لقد كان من أبرز مظاهر النشاط التغريبى ـ أو التخريبى ـ الانطلاق إلى التحرر من سلطان اللغة، طلبا للمعاصرة، التى لا تتفق مع لغة تكلم بها امرؤ القيس ومن تلاه فى هذه العصور الغابرة. . وإلى التحرر ـ بالتبع ـ عن المناهج الأدبية التى التزمها أدباء العرب طوال هذه القرون المتطاولة، لما فيها من بعد عن مناهج الأدب الغربى المستحدثة.

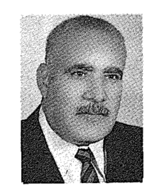
ولم يجد هؤلاء ما يخجلون منه، إذ دعوا إلى التخلص من تلك القيم الاسلامية التى تلزم الانسان العربى بحدود معينة فى تعامله مع المرأة، وفى سلوكيات المرأة نفسها، وفى الالتزام بقوانين تقوم على الشريعة الاسلامية، ففى التخلص من هذا وذاك تقارب من روح العصر التى لم تعد تقبل مثل هذه القيود والحدود، والتى كشفت عن أن الأوربيين حققوا النهضة بعيدا عن التقيد بها، وأن العرب تخلفوا عن الركب حين تمسكوا بها.

من ثم. . انتقل دعاة المعاصرة ـ بمفهومها الأوربى الاستعمارى الصليبى ـ من مرحلة التخفى والتستر، إلى مرحلة الجهر والاعلان، فكشفوا عن كوامنهم، وأسفروا عن مقاصدهم ونواياهم.

وفى هذه المرحلة جوبهت الأمة العربية بمن يهاجم لغتها، وينتقص من قدرتها على التلاؤم مع الحياة العصرية، **(فهى ـ فى زعمهم ـ ليست لغة علم، وهى لغة لا تمكن من ملاحقة الحركة الأدبية فى تغيراتها السريعة، كما إنها لا تمكن الناطقين بها من استيعاب الفنون الأدبية الحديثة)**. !

دور المستشرقين

ومن هذا المنطلق . . أخذت دعوات بعض المستشرقين تتردد أصداؤها فى أرجاء الوطن العربى. ! وكان فى مقدمة من نهضوا بهذه الدعوة. . المستشرق الألمانى (ولهالم سبينا)، الذى نزل مصر، وقبع بين جدران دار الكتب المصرية، وخالط الناس فى الأحياء الشعبية، ليدرس اللغة العامية. . ثم سارع إلى تأليف كتاب أسماه (قواعد اللغة العامية فى مصر) سنة ١٨٨٠م، كشف فى مقدمته عن غرضه من وراء



بقلم: أ.د. ابراهيم محمد اسماعيل عوضين
رئيس قسم الأدب والنقد
بكلية اللغة العربية بالمنصورة

نعرف أن التغريب إن هو ـ فى الحقيقة ـ إلا وجه من أوجه الحرب الشرسة التى شنها المستعمرون الاوربيون الصليبيون على الامة الاسلامية فى العصر الحديث، بقصد تغيير الموازنة الدينية، والقيم الخلقية التى أقرها الاسلام منذ أكثر من أحد عشر قرنا تواصلت فيها تلك الحرب، والسعى إلى الاقتراب بتلك الموازين والقيم من الموازين والقيم الغربية، التى تتمثل فى التعاليم الاخلاقية للكنيسة النصرانية، على نحو ما صرح به (هاملتون جب) فى كتابه (وجهة الاسلام) الذى ضمنه مخطط التغريب، وكشف فيه أن المقصود بالتغريب.. هو بذل الجهود المكثفة لحمل العالم الاسلامى على الانصهار فى الحضارة الغربية، وهدم الحضارة الاسلامية التى تقوم عليها وحدة المسلمين.

ولذلك.. كانت تلك الحروب شاملة، أصابت كل ألوان الحياة فى المجتمع الاسلامى، بحيث يستطيع كل دارس أن يجد أثر تلك الحرب بارزا فى الوجهة التى يخصها بالدراسة من حياة الامة الاسلامية، ثقافية كانت، أم سياسية، أم اقتصادية، أم عقدية، أم خلقية، أم فنية.. إلى اخر كل تلك المواطن!.

ذلك، وهو جمع المصريين على لغة عامية موحدة، تغنيهم عن اللغة الفصحى، بما فيها من صعوبة بالغة فى تعلمها، وبما فى طريقة كتابتها من تعقيد[1].

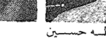
وفى سنة ١٨٩٠ ألف المستشرق الألمانى (كارل فولرس) كتابا آخر، عنوانه (اللهجة العامية الحديثة فى مصر)، كرر فيه ما ذكره سلفه (سبينا)، **ودعا فيه إلى الانصراف عن اللغة العربية، لجمودها، ولعدم تمكنها من معاونة الناطقين بها على التكيف مع الحياة العصرية**، ثم قام المهندس الانجليزى (ويلكوكس) بمواصلة هذه الدعوة، فألقى محاضرة، أرجع فيها تخلف المصريين إلى تمسكهم باللغة الفصحى، ودعا إلى تعلم العامية، وجعلها لغة التأليف، ونشر هذه المحاضرة فى مجلة كان يقوم على إصدارها سنة **١٨٩٣**، أسماها (مجلة الأزهر) مبالغة فى التمويه، والابهام بأن ما يدعو إليه صادر عن مجلة تنسب إلى الأزهر الشريف. !

وفى سنة ١٩٠١م أسلف (سلدن ولمور) القاضى الانجليزى كتابا أسماه «العربية المحلية فى مصر» **ضم فيه إلى التبشير باللغة العامية، دعوته إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية فى الكتابة، محذرا من انقراض لغة الحديث، ولغة الأدب، وحلول لغة أجنبية محلها، إذا واصلنا الابقاء على اللغة الفصحى، فكان بذلك خطوة على طريق التحول فى هذا المسار.**

دور المستغربين

ولم يكن هؤلاء المستشرقون وحدهم فى الساحة، فقد كان يعززهم من أبناء العرب المخدوعين فيهم والمتتلمذين عليهم.. طائفة مكن لهم المستعمرون بكل وسائل التمكين ـ الظاهرة والخفية ـ وتوسل هؤلاء فى دعوتهم بوسائل المستشرقين تارة، واعتمدوا على وسائل أخرى تارة أخرى، ليخفوا هويتهم، وليضمنوا النجاح لما يدعون إليه.

بل إن منهم من حرص على أن ينقل الدعوة من المجال الفكرى الذى يحتمل الحوار والمناقشة إلى مجال التطبيق، ليجعل من هذه الدعوة واقعا، لا مناص من التسليم به، كما بدأ ذلك محمد عثمان جلال (١٢٤٥-١٣١٦هـ/ ١٨٢٩-١٨٩٨) الذى ترجم بعض الروايات من الفرنسية إلى العامية المصرية، وكما صنع أخيرا الدكتور لويس عوض سنة ١٩٦٥ فى كتابه «**مذكرات طالب بعثة**»، الذى حرص على أن يكتبه باللغة العامية، مستغلا موقعه من مؤسسات الدولة الثقافية، وتمكنه ـ عن طريق ذلك الموقع ـ من



د. طـه حسـين


سـلامة موسـى





د. مصطفى هداره.



. د. لويس عوض

ادونيس

استهـواء كثير من شباب المتعلمين والمتأدبين، خصوصا فى ظل ما فرض على مصر فى تلك المرحلة من انصراف عن اللغـة الفصحى، جريا وراء ما أسموه الأدب الشعبى.

الكفر ملة واحدة

ولم يكتف هؤلاء وأولئك ـ فى محاولتهم طمس معالم العربية ـ بالمناقشة والتطبيق فى مصر، فقد استغلوا تمكن المستعمرين ـ على اختلافهم من السيطرة على مجالات الحياة فى بعض اماكن فى الوطن العربى، ليعزلوا اللغة العربية عن ميادين التدريس والتعليم، ويفرضوا اللغات الأوربية مكانها.

ففى مصر.. أخضع التعليم لنظام (دنلوب) الانجليزى، الذى يقوم على جعل تدريس العلوم كلها باللغة الانجليزية، بحجة أن اللغة العربية لغة متخلفة ضيقة، لا تتسع لاستيعاب العلوم العصرية. ولتأكيد ذلك وتعميمه.. صدر قرار بأن يكون استخدام العربية فى امتحان الشهادة الثانوية اختياريا.

وعلى الطريق نفسه سار المستعمر الفرنسى فى بلاد الشام (سوريا ولبنان) وبلاد المغرب العربى.. بل إن المستعمر الفرنسى كان أشد عنفا فى فرض اللغة الفرنسية، وأبلغ مكرا ودهاء، فلم يقتصر على جعل التعليم باللغة الفرنسية، بل عمل على (فرنسة) الحياة كلها، حتى تمكن من فرض الثقافة الفرنسية ـ بكل عناصرها ومقوماتها ـ على مجالات الحياة المختلفة هنا وهناك، على ما يقرره الواقع الذى خلفه المستعمر الفرنسى فى هذه الأقاليم العربية، وعلى ما تبرزه تلك التعليمات الصادرة فى أوائل أيام احتلال الجزائر التى تقول: «**إن ايالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك لغة قومية، والعمل الجبار الذى يترتب علينا إنجازه، هو السعى وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالى ـ بالتدريج ـ إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن؟**»[٢].

وقد وضح مدى تأثير ذلك فى الحياة الجزائرية خصوصا عملية التعريب ـ بعد انتزاع الجزائر من أيدى الفرنسيين.. على الرغم من حرص الجزائريين على العودة إلى اللغة العربية، ولكن الفرنسيين كانوا ـ كشأن الأوربيين جميعا ـ يخططون لإقامة العقبات دون ذلك، ليضمنوا بقاءهم الثقافى فيها، إذا ما اضطروا إلى الخروج منها، فقد حرصوا على أن يصنعوا هناك طبقة جزائرية تدين لهم بالولاء الكامل، بعد أن أوحوا إليهم أنهم النخبة المثقفة، وأنهم الطبقة الراقية العصرية، وأنهم رواد التنوير، لأنهم الذين نبذوا كل ما يربطهم بماضيهم المتخلف، وارتبطوا بالثقافة الفرنسية ولذلك أطلق هؤلاء على أنفسهم اسم (جماعة النخبة).

ولا ريب فى أن مقصد المستعمرين الفرنسيين الصليبيين من صنع هذه الطبقة، ومنحها كل تلك الامتيازات المادية والمعنوية، **هو أن يضمنوا وجود جماعة ملء السمع والبصر من أبناء الجزائر تدافع عن الوجود الفرنسى، إن لم يكن الوجود العسكرى أو السياسى، فلا أقل من أن يكون الوجود الثقافى.!**

وقد حقق لهم هؤلاء النخبة ما قصدوا إليه، فهم الذين يقفون إلى اليوم فى وجه العودة العربية،

ويستغلون ما يمكنهم به الفرنسيون من وسائل لإظهار العودة إلى العربية فى صورة العودة الى التخلف، وعدم التلاؤم مع العصر.

وكذلك صنع الايطاليون مع أهل ليبيا، حين تمكنوا منهم، فقد جعلوا اللغة الايطالية هى اللغة الرسمية، ولم يعترفوا بغيرها فى المعاملات الرسمية، والمكاتبات الحكومية، حتى اضطر الليبيون إلى تعلم الايطالية، وتقديمها فى كثير من الأحوال على العربية، ليستطيعوا التكيف مع الحياة الجديدة، فى ظل السيادة الايطالية.

ولم تقف إيطاليا عند ذلك الحد.. بل بالغت فى شططها، فلجأت إلى التنكيل بكل من يخالف التعليمات، ويستعمل غير اللغة الايطالية، حتى لقد أودعوا السجن كثيرا من الليبيين ضبطوا يقرأون كتبا أدبية، أو دروسا دينية، كما سجن آخرون وجدوا يقرأون كتبا للأديب الاسلامى مصطفى لطفى المنفلوطى[٣].

أما فى بلاد الشام فقد ظهر عمق تأثير (الفرنسة)، أو مناهضة العربية فى حياتهم فى صورة أخرى، وذلك أنهم اصطفوا طائفة هناك امتزجت عربيتهم بالفرنسية وغيرها من اللغات، واستغلوا تسلطهم على الحياة، فجعلوا من هؤلاء قواما على اللغة العربية، لينشروا عربيتهم (المفرنسة) أو (المغربة) فى بلاد الشام، ويصدروها إلى العرب فى الأقاليم المجاورة مستغلين ما أتاحه لهم هؤلاء من وسائل الاذاعة والنشر.. وقد وأجهت مصر - على الخصوص - سيلا من هؤلاء فى نهايات القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، مهاجرين إليها، ليؤسسوا فيها الصحف والمجلات التى استغلوا الكثير منها للتبشير بهذه الاتجاهات، كما وضح فيما قدمته صحيفة (المقتطف) و(المقطم) و(الاهرام)، و(الهلال)[٤]، كما استغلوها لينشروا فيها التمثيليات والمسرحيات التى تقدم هذه الاتجاهات زادا سهلا سائغا للخاصة والعامة على السواء.

دور الحداثيين

ولم يقف هؤلاء العرب (المتغربون) عند حد ذلك المخرج المادى، بل توسعوا فيه، فقدموا لنا لغة ملفقة من أمشاج تثير السخرية والتقزز، فجعلوها عربية الشكل المتمثل فى الحروف، غربية الايقاع والايحاء - أو غربيتهما معا - وذلك بحرص بعضهم على أن يفرغوا كلمات العربية من مضامينها الموضوعة، ويجعلوا منها قوالب لمضامين أخرى، زاعمين أنهم بذلك يصححون المسار، وينقذون العربية من الغرق فى الماضى، وينقذون العرب من الترسب مع ذلك الماضى، فيهيؤنهم ليصبحوا عصريين، متلائمين مع العصر، وحتى يتمكنوا من التعبير عن مكنون أنفسهم، وإبراز أحاسيسهم الصادقة، لأن العربية بمضامينها الموروثة لم تعد تستطيع تلبية ذلك، وحتى ينطلق الشاعر حرا، ليخلص شعره من المنطق، والتعليم، والسرد.. بعد أن يتحرر من حبس اللغة، ويتخلص من إسارها.!

فهذا على احمد سعيد، المعروف بـ (أدونيس) أحد دعاة (الحداثة) فى الأمة العربية، يعلن الحرب على اللغة العربية - فى ضمن ما يحارب من ثوابت الأمة الاسلامية - فيقول عن اللغة العربية:

«واللغة العربية - بنوع خاص - شعرية فى الدرجة الأولى، أى شخصية إلى حد كبير: تفلت من المصطلحات والتحديدات المنطقية، وتنبجس وتنفجر فى حركة الأعماق، وفي الابداع الشعرى يصل غنى هذه اللغة إلى أوجه، وتصبح غابة شاسعة كثيفة من الايقاع والايحاء والتوهج، لاحد أبعادها، فتفرغ الكلمات من معانيها الموضوعة، الموجودة مسبقا فى المعاجم، أو على الألسنة، وتتنوع دلالاتها، وتختزن ممكنات من المعانى تكثر أو تقل بحسب سياقها وترابطها بغيرها وارتباطها بالحدس الشعري[٥].

وواضح ما أحاط به الكاتب عباراته من ألفاظ خادعة ساحرة - فهى ذم بما يشبه المدح، أو التهوين بما يشبه التمجيد - وذلك بما تحدثه فى نفس متلقيها من خدر، تجعله سريع الاستجابة كذلك الذى يضمه إلى ركب المعاصرة، وينفى عنه وصمة التخلف والجمود والرجعية، ويكفى النظر إلى ما ضمته هذه العبارة من ألفاظ معسولة أو مسمومة مغرية، مثل: (تفلت من

المصطلحات والتحديات، تنبجس وتتفجر فى حركة الأعماق غابة شاسعة، الايقاع، الايحاء، التوهج).

فعلى قدر ما تدغدغ الألفاظ الأولى حس طائفة من النشء، وتستحوذ على عواطفهم، تأتى الألفاظ الأخرى، فتهيج فيهم النفور من فقدان الشخصية والاستسلام لسلطان السابقين، والدوران فى محاورهم.

فالكاتب لا يقدم فكرا يعتمد على برهان منطقى، بقدر ما يقدم شعرا يقوم على التأثير الانفعالى، ولا يقف الكاتب عند حدود هذه العبارة بألفاظها الخداعة، بل يستمر فى انتقاله من خدعته، ليتمكن تماما من التأثير فى المتلقى، ويحقق النجاح الذى ينشده فى هذه اللغة العربية، والكاتب يلجأ فى خدعته التالية إلى إيهام المتلقى بأن إفراغ الكلمات من معانيها الموضوعة هو السبيل إلى تحقيق الحداثة، والتلاؤم مع العصر، ليصبح النتاج جديدا خالصا من كل ما يشده إلى القديم، وذلك قوله(٦):

«. . . ذلك أن التجديد تغير شامل، أفقيا وعموديا، فى البناء، والعبارة، والتركيب، وفى النظر والرؤيا جميعا وينبثق من التجاوز ـ يعنى تجاوز الماضى ـ ملمح أساسى آخر، هو الطرافة، أى انعدام السوابق المماثلة، فإذا كان المقياس القديم هو النهج منهج الأوائل، فإن المقياس الجديد هو النهج منهج الفرادة.

«هكذا يحاول الشاعر العربى الجديد أن يخلص الشعر من المنطق والتعليم والسرد، وبهذا يخلصه من سلطان الخارج وأحداثه وأوضاعه المفروضة، ويجعله انبثاقا من الداخل، ذلك أنه أصبح اليوم يؤمن أن القصيدة تعبير عن معاناة حياتية شخصية».

فالشعر ـ كما يريده هؤلاء أو كما يتوهمونه ـ لا يكون جديدا إلا إذا سار على منهج (الوجوديين)، أو (السرياليين)، أو (الرمزيين)، أو (العبثيين)، لا يحمل مضمونا، ولا يهتم بغير ذاته، ولا يخضع لمقاييس عقلية، فهو خواء فارغ لا يهتم بأن يمد متلقيه بأى شىء، لأن صاحبه خلصه من المنطق، ومن التعليم، فأصبح كلاما خاليا من القيمة، لا يضيف للانسان إلا الجهل. !

ولا يكتفى الكاتب بذلك، بل يواصل مسيرته فى التنفير من اللغة العربية الموروثة، والاغراء بلغته الجديدة، التى لا تأخذ من العربية غير شكلها، حرصا منه على إشاعة المعاصرة والحداثة، ليحكم ربط الانسان العربى بسيده ورائده الأوربى، فيبادر بتبشير متلقيه بأنه إذا تمكن من هدم لغته ـ هكذا ـ ضمن لنفسه التحرر والانطلاق من سجن اللغة، والتخلص من واقعه الذى يشده إليه، والذوبان فى شخصية الانسان السيد، ليصبح عالميا، فيقول(٧):

«من هنا لا تعود اللغة وسيلة لانحباس الشاعر وراءها، أو فيها، والهروب من الواقع ـ تصبح وسيلة لمحو الحدود كلها بين الانسان والآخر والانسان والعالم».

ليقدم بهذا الكلام حلقة من سلسلة الخداع التى يعتمد عليها فى دعوته تلك، إذ لا يتصور إنسان أوتى مسحة من عقل أن اللغة العربية ـ بذاتها ـ وسيلة لانحباس الشاعر وراءها أو فيها، بعد أن انطلق بها أدباء العربية هذه القرون المتعددة ـ على امتدادها ـ متلائمين مع ظروف الحياة فى كل عصر، وفى كل بيئة، فاللغة التى اتسعت لهذا النشاط الأدبى والفكرى والعلمى تلك القرون الممتدة، والتى اتسعت لأن ينزل القرآن الكريم بها، لا يمكن أن يتصور ضيقها ضيقا ينحبس فيه أو وراءه الشاعر أو غير الشاعر. اللهم إلا أن يكون هذا الشاعر محدود الامكانات البيانية، ضحل الثروة اللغوية، غريبا عن اللغة العربية وآفاقها، فاقد الهوية أو تائهها، فمثل هذا هو الذى يرى فى اللغة سجنا لا يطيق حراكا داخله، لأنه يجهل التعامل بها أو معها، أو لأنه لم يعد الاعداد الكافى لاستيعابها و لأنه يريد أن يتوسل بها فيما لا يتفق وقيمها. ويحاول أن يسوغ هذا الجهل والقصور، فيزداد استسلاما لما تمليه عليه أوهام الغيبوبة والخدر، ويقر أن انطلاق الشاعر من سجنه (لغته)، إنما يعنى تحطيم قيود تلك اللغة، فلا تبقى محاطة بذلك السياج المعروف بقواعد النحو والصرف والبلاغة، ولا تبقى أسيرة تلك المعاجم والقواميس،

متعللا بأن ذلك السياج مفروض عليها من خارجها، وأنه لذلك أفقدها المد الذاتى، فأصبحت محدودة فى هذا العالم الفسيح. !

وعلى ذلك.. يرى أن تحرير اللغة من هذا السجن هو الذى يرد إليها كيانها المفقود، فيقول[٨]:

«إن تحرير اللغة من مقاييس نظامها البرانى، والاستسلام لمدها الجوانى.. يتضمنان الاستسلام بلا حدود إلى العالم، وإذ تصبح اللغة بلا حدود، والعالم بلا حدود، تزول الهاوية بين المعنى والمعنىّ، بين الكلمة والشىء، وهذا يؤدى الى القضاء على علم المعانى، كما رآه أسلافنا، وإنشاء علم آخر للمعانى يتجاوز المقاييس والمصطلحات الماضية.»

ثم يعود إلى الايغال فى الخداع بواسطة الكلمات المعسولة، والألفاظ البراقة، ذات الايحاء الفضفاض، ليجعل من ذلك كله وسيلة تأثير فى متلقيه، فيعلن عن إصراره على ضرورة الغاء المنطق والعقل، لأن المنطق والعقل ـ فى تقديره ـ يفقدان اللغة القدرة على الانطلاق وراء اللانهائيات التى لا يكون الشعر شعرا إلا بالتعلق بها، ولا يكون الشاعر شاعرا إلا بالسبح فى فضائها، ولا تكون اللغة لغة إلا بتمكين الشاعر من العبور إليها، ولا تستطيع اللغة أن تعبر بالشاعر إلى عالم اللانهائيات إلا إذا ألفت العقل والمنطق، واعتمدت على الالهام والكشف، وذلك قوله تعليقا على تجاوز المقاييس والمصطلحات الماضية بعد إلغاء علم المعانى[٩]:

«... ولهذا يتراجع المنطق والعقل أمام الالهام والكشف.. لا تعود القصيدة شجرة معنى، وإنما تصبح غابة معان، لا تعود محدودة، وإنما تصبح لا نهائية، إن مجال الشعر هو اللانهاية.

«البديل الشعرى للانهاية، هو التخييل، فالتخييل هو الملمح الأساسى الرابع فى الحركة الشعرية العربية الجديدة، وأعنى بالتخييل.. القوة الرؤياوية التى تستشف ما وراء الواقع».

ونبحث فى اللغات كلها قديمها وحديثها، لعلنا نعثر فى لغة منها على ذلك الذى يطلبه (أدونيس) فى لغته العربية الجديدة.. فلا نجد، ولا ندرى بأى لغة يريد أن يلحق اللغة العربية تلك، فليست هناك لغة تقوم بدون قواعد، ولم نسمع عن لغة تتركب من ألفاظ لا تحدها المعانى، ولا تهتم بالعلوم، ولا تقدم القيم التى تلزم بها الناطقين بها..! ثم.. أين هو وحزبه اليوم من هؤلاء السادة الأوربيين، بعد أن كسر القيود، وتخطى الحواجز وانطلق متحللا من اللغة، وانفلت من عقالها.؟!

إنه وهم تجسم له ولأمثاله فى أثناء غيابهم عن الحقيقة، لم يجن من ورائه إلا ذوبان الشخصية فى (لا شىء)، فإذا بهم يتلفتون بحثا عن شخصيتهم الجديدة، فلا يجدون شيئا، لأن السادة لا يقبلون أن يحرروا عبيدا ليجلسوا لى جوارهم فوق كراسى الأسياد، ولا يسمحون للغة أخرى ـ غير لغتهم ـ أن تنتشر وتذيع مهما خلعوا عليها من مسوح وأزياء بقصد تغييرها وتقريبها من لغة السادة. !

■ هكذا.. بدأ المستعمرون الأوربيون، وهكذا.. واصلوا الطريق. ! فما يزعمه (أدونيس) ليس إلا وهما أفرزه الخدر الذى أصابهم ونما فى ظل الغيبوبة التى طوتهم وعزلتهم عن الرؤية البصيرة الواعية.

وإذا كان (أدونيس) قد حرص على أن يغلف كلامه بتلك التهويمات المخدرة.. فإن هناك من كان أكثر جرأة منه فى التعبير عن مراده.

فهذا (كمال أبو ديب) لا يلجأ إلى حيل (أدونيس) وتهويماته، ولكنه يكشف عن رأيه ووجهته من أول الأمر مكتفيا فى الاغراء به بنسبة هذا الحكم إلى (الحداثة)، تقديرا منه أن كلمة (الحداثة) تغرى بتقبل ما ينسب إليها، فيقول[١٠]: «الحداثة لا ترى موت اللغة فقط، بل تراها لغة مكدسة محشوة بالسلطة من قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف التراكمى السلطوى».

فالحداثة التى يبشر بها هو وصحبه.. لا تكتفى ـ فى نفورها من اللغة العربية ـ بأن تقدر موتها، وتقرر أن التمسك بها تمسك بكائن فقد الحياة.. حداثة هؤلاء لا تكتفى بهذا فحسب، ولكنها تقدر أن تلك اللغة جمعت ـ الى الموت الذى يصرف الأدباء عنها ـ اعتيادها على أسباب النفور منها، والفرار من

استخداماتها المتمثلة فى حشوها بالسلطة المتولدة عن قوى الفكر المتخلف.

ويذكر الدكتور مصطفى هدارة تفسيراً لموقف (الحداثة) من اللغة، قدمه أحد المبشرين بها، فى قوله: «**الحداثة تدمير للقواعدية فيها، ومحاولة لاعادتها إلى بناها (اللاقاعدية اللامتشكلة)، ويتم ذلك فى الحداثة عن طريق تدمير بنية الجملة الدالة بما هى نسق واضح من القواعد المنفذة، وتحويل الجملة الى سلسلة من الامكانات والتداخلات**».

وهكذا.. انتقل هؤلاء - فى السعى إلى هدم اللغة العربية - من الانتساب إلى المعاصرة، بعد أن تعددت مراحل العصر، ليضيقوا الاتساع الزمنى، فانتسبوا إلى الحداثة، إيغالا فى التأثير والخداع، إذ أدركوا أن المعاصرة أخذت تفقد بريقها لتعدد مظاهر المعاصرة، فانتقلوا منها إلى (الحداثة)، كما رأينا.

وهكذا.. بدأت الدعوة إلى المعاصرة - فى المجال اللغوى - بالحط من شأن اللغة العربية، واتهامها بعدم القدرة على التلاؤم مع مستجدات العصر، والدعوة إلى إدخال التغيير على كتابتها، واستبدال الحروف اللاتينية بحروفها، أو استبدال اللغات الأوربية بها.

وانتهت بالدعوة الصريحة إلى إفراغها من مضمونها الموروث، وتركها - بدون مضمون محدد - قالبا يملؤه كل واحد بما يشاء، أو بما يعن له فى أثناء تعبيره.!

■ وهكذا.. بدأ بالدعوة إلى إجراء التعديل فى اللغة العربية - أو إبدالها - طائفة من المستشرقين أعوان المستعمرين الأوربيين الصليبيين، حريصين على أن يهيئوا من أبناء الأمة من يتسلم منهم زمام هذه الدعوة، ليتحقق لهم ما قصدوا إليه بعد نحو قرن من الزمان، فيتوارى هؤلاء المستشرقون، إبعادا للشبهات، واكتفاء بما يؤديه هؤلاء الشواذ من دور فى هذا المجال.. ما كان يجرؤ عليه غيرهم، ولا كان يستطيعه - بهذه الجرأة - أحد غير منتسب إلى العرب.

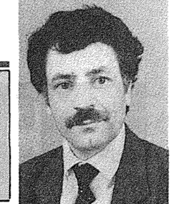
الهوامش

(١) راجع كتاب (أبا طيل وأسمار) للأستاذ محمود محمد شاكر ص١٨٢.
(٢) انظر (التعليم القومى والشخصية الوطنية) تأليف تركى رابح ص١٠٦ طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٩٧٥.
(٣) انظر (تطورالتعليم فى ليبيا فى العصر الحديث) لرأفت غنيمى الشيخ ص٢٣٤ طبع دار التنمية للنشر والتوزيع، طرابلس.
(٤) تاريخ الطباعة فى الشرق العربى لخليل صابات ص٤٧ طبع دار المعارف بمصر، والصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ - ١٩٥٤ - لعواطف عبد الرحمن ص٣٠ وما بعدها طبع دار الثقافة الجديدة بالقاهرة.
(٥) مقدمة الشعر العربى لأدونيس ص١٢٧ وما بعدها، طبع دار العودة، بيروت.
(٦) المصدر السابق ص١٣٦.
(٧) المصدر السابق ص١٣٧.
(٨، ٩) المصدر السابق ص١٣٨.
(١٠) راجع كتابه (جدلية الخفاء والتجلى).

اساطين اللغة

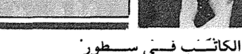
ابن برى، عبد الله بن برى المقدسى

(١١٠٦ - ١١٨٧)، لغوى - ولد ومات بمصر، واخذ عن علمائها والوافدين عليها، وصار إماما فى اللغة والنحو والرواية، تصدر للاقراء بجامع عمرو، وعمل مراجعا بديوان الانشاء، الف «اغاليط الفقهاء» و«واللباب فى الرد على ابن الخشاب» (فى رده على الحريرى) و«شرح شواهد الايضاح» و«المسائل العشر» و«الرد على الجواليقى فى المغرب» و«حواشى على درة الغواصى للحريرى»، شهر بحواشيه على صحاح الجوهرى «التنبيه والايضاح» التى بدأها ابن القطاع، وواصلها هو واتمها البسطى، وتسير على ترتيب الصحاح وتنقد احكامه النحوية والصرفية، وتنسب شواهده، وتكملها وتشرحها وتصوبها، ويتجلى فيها اثر النحو، اتخذها صاحب لسان العرب مصدرا من مصادره الخمسة.





الاسـ
والتـاريـ



- دكتوراه دولة من جامعة وهران.
- مدير معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران
- له مجموعة من الدراسات والبحوث فى اللغة العربية وآدابها.
- شارك فى مجموعة مشاريع دراسية.

• العلاقة بين الامة وتراثها علاقة عضوية ضاربة فى الاعماق.

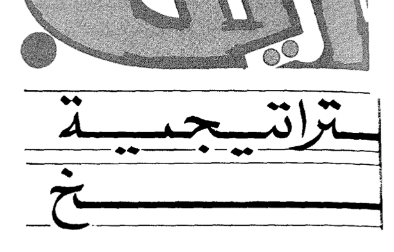
• اللغة قيمة توصيل وأداء. تحوز كلية الاستقطاب كلما كانت فصحى.

• الامة التى تتعلق باذيال ثقافة اجنبية عنها تجد نفسها مجبرة على التكيف مع تلك الثقافة وخصائصها روحيا وفكريا.

• لقد كان الاهتمام بالدارجة تكتيكا لفصل الذات عن مقوماتها تحقيقا لمرام انفصالية مبيتة.

مواجهة الانسان العربى لذاته تحققت انطلاقا من وقائع الصدام التي جمعته مع الآخر، والتي بدأت نتائجها المحسوسة ترسخ في واقع الأمة النفسي والحضاري منذ بدايات الانكسار العسكري الاسلامي امام هجومات أوروبا الصليبية في شتى أنحاء المواجهة (الاندلس شمال افريقيا - القدس - مصر . .).

لقد انطبع فى ذهنية المسلم المهزوم في عقر داره صورة جبروت، قد تحكم في تقنية الحرب، ومهر أساليبها، وسخر الطاقة (البارود) والبحار ونزل بعدته يهزم الانسان المسلم، وينتزع منه السيادة. . لقد اتسعت صورة الآخر ببعد الضراوة، وغدت صفتا الكفر والغلب من الأحوال التى تضفيها الذهنية الجماعية للمسلمين، على (الرومي) بتسليم قدري. . وتمكنت ثقافة الانهزام الحضاري من أن تكيف وضع الانسحاق بتعليلات غبية لا تتردد في أن تشتق لها من الدين نفسه المسوغات. . وهكذا ظلت صورة (الحطة الحضارية) تحكم وجدان الانسان العربى المسلم ازاء الغرب، لا تزيدها فتوحات التكنولوجيا المعاصرة الا تفاقما. حتى تلك القطاعات البشرية المحصنة بثقافة اعتدادية مقومها الدين، والتاريخ الحضاري فان عدم اقرارها الظاهري بالاستسلام (إذ فى) اعتقاد هؤلاء أن المنطلق كان من عندنا، فالغرب ما زال في اعتقاد هؤلاء عالة على حضارتنا بحكم سبقنا في التأسيس لحضارة العصر. لا يتكرس الا بما يشبه النفور



الارادي، (اللامعقول) من منجزات حضارة الكفر. . الأمر الذي يجعل الحاجز النفسي بين المعطيات الثقافية والحضارية لا يزداد الا صلابة (سمكا).

لقد تحولت نظرة تحقير الذات ازاء الآخر الى وضع مزمن يحكم الفرد ازاء مقومات القومية، ولعل المقوم اللغوي يأتي في مقدمة هذه المستويات التي بخست وبارادة استعمارية هادفة.

العامية . . واستراتيجية التفكيك الاستعماري:

لقد لمس المستعمر، من خلال مناهج الاجتماع، والانثروبولوجيا والنفس، واللسانيات أن الولوج الى العقلية الاهلية يتأتى من خلال استيعابه لمكونات اللهجة المحلية، فوجد فى تبني الالسن المحلية فائدتين تنسجمان مع أهدافه الاستعمارية فهو من خلالها سيحكم قبضته على الانسان المستعمر بأنواع الضغوط النفسية والاجتماعية، والثقافية المدجنة، وهو كذلك سيقوى بواسطة ابراز التمايز اللساني بين أقطار امة وضعية التشرذم الشعوبية التى خطط لها بالتقسيم، وبرسم الحدود السياسية داخل الخريطة العربية الاسلامية، وقد أدمج الاستعمار الفرنسي في الجزائر مثلا اللهجة العامية كلسان مدرسي لابناء الاهالي، ايعازا منه بأن العربية ليست لغتهم، فلغتهم الام هي الدارجة.

ان التكوين الاستعماري يضع المتعلم في هذا الموقع التوجيهي المغرض ولم يكن بالوسع تجاوز ذلك الاطار المشروط بالاعتبارات الاجتماعية التى كانت تترتب عن تقبل مثل هذا التعليم الذي يقصي العربية ويعتمد الفرنسية أصلا للامتياز الاجتماعي، **لقد كان الاهتمام بالدارجة تكتيكا لفصل الذات عن مقوماتها تحقيقا لمرا م انفصالية مبيتة..** ويوم أن رحل المستعمر استفحلت الظاهرة ووجدت أسباب الرسوخ فى برامج خلفها من بعده واعتمدتها الحكومات المستقلة، وأخرى ممنهجة ومدروسة لا يفتأ يغذي بها الوضع الثقافى بما تبثه وسائله ووسائطه، وجماعاته. . وتقوم اليوم حركة كبيرة، تروج لها المؤسسات العلمية والثقافية الغربية، تتركز حول مناهج الديداكتيك أو تعليم اللغات، وجوهر هذه البرامج يقوم على قناعة بأن الفصحى لا يمكن أن يتعلمها الانسان خاصة الأجنبي الا اذا تعلم معها لهجة محلية داعمة.

وقد ألفت في هذا الشأن مصادر تعليمية مرجعيتها التبليغية مزدوجة: خطاب فصيح يترجمه خطاب اخر عامي، وهنا تتعقد الاشكالية حين نعلم أن العاميات في الوطن العربي تتعدد حتى في الوطن الواحد، فأية اللهجات العربية يجدر اختيارها؟!، في هذا الغموض لا يسع المرء الا أن يقر بأن الغرض التفتيتي كامن وراء هذه البرامج سواء أأدرك أصحابها هذه الحقيقة أم لم يدركوها.

وهناك النشاطات الدائبة التي تشهدها جامعات ومؤسسات الثقافة والنشر الغربية العاملة على التمكين للهجات المحلية، وتغذية النزوع الانفصالي لدعاتها، شأنهم في هذا مع البربرية ببلاد المغرب العربى.

اللغة معطى ارتقائي حضاري:

اللغة وعاء حضاري تتحقق به التنمية وتنعكس فيه، فالفكر هو مجلى رقي الانسانية، والثقافة هى

فاعلية التنوير الفكرية التي تستهدف بالنظم التعليمية عقل الانسان وقدراته، خلقا للنوع البشري المتمكن من زمنيته، والمؤثر بالفعل البناء فى عصره.

واللغة العربية خلقت تقاليدها البنائية على مدى عصور الازدهار، وراكمت للانسانية أرضيات نظرية وتطبيقية في مختلف العلوم والمعارف، وقد استحالت فى ظروف ما الى مصدر امداد ومجال تصدير معرفي عالمي تمكنت بفضله جامعات الغرب من الانطلاق، والمرحلة الراهنة ترشح اللغة العربية بلا قلق كبير الى أن تقف، وبلا عقدة، موقف المستمد، والمستورد من مصادر العلم والتكنولوجيا العالمية أسسا معرفية وتطبيقية تهيىء للعقلية العربية الانطلاق من جديد فى بناء نهضتها على أسس خصوصياتها وانجازاتها التراثية الباهرة.

لقد رسخ اليوم للعربية حضور ثقافي، وبيداغوجي، وأدبي معتبر، واستطاعت الآلية اللغوية أن تغطى مجالات القضاء والسياسة، والادارة الى حد وهي تقتحم ميادين الاقتصاد، والملاحة وتقنية التسيير، وبقى لها أن تخلق أبجديتها فى مضمار البحوث بتأصيل لغة البحث، وتطوير قوالب التوسيم (التسمية - التعيين - التحديد، سواء بالمركب أو بالرمز أو بالسمة).. ان حال العربية فى هذا هو حال سائر اللغات العالمية اليوم ازاء هيمنة الانجليزية فالسبق المعجمى - الاصطلاحى يتحقق لهذه اللغة للتفوق التكنولوجى الدائب في عملية تقويم، وغمر مجالات التعامل والتداول الاقتصادية والعلمية، والتقنية بالمنجزات، **فالحضور الاقتصادى بشمولية فروعه.. من أبرز أسباب فشو اللغة وحيويتها، واستواء ميكانيزمات أدائيتها**، واذا كانت الفنون الجماهيرية عندنا مازالت في جملتها عامية الخطاب فالاستثناء لا يحقق ثقلا تأثيريا) فلأن الاستراتيجية الثقافية تكاد تنعدم فى تخطيطنا، وان الثقافة الشعبية تشكل حقا مصدرا ثريا للابداع لكنها لغة مرتبطة بالفلكلور.. أن **الارتقاء اللغوي يحقق للعمل الفني سببا تعبيريا وجماليا تتكرس به قوميته. فاللغة هي قيمة توصيل وأداء تحوز كلية الاستقطاب كلما كانت فصحى،** من هنا كان حتما أن ترتبط أهداف التعريب فى المنطلق بمبدأ القضاء على الأمية وهى الانتهاء بادارة البحوث العلمية والتكنولوجية بعقلية عربية منفتحة على معارف العالم المتطور، وعلى لغاته.. ان البحوث الطبية تكاد تكون كلها اليوم انجليزية المرجع بالقياس للمتخصصين، فحتى الفرنسيين، وهم الأشد غيرة على لغتهم يستندون على المصادر الانجليزية - الامريكية، ولكن هذا لا يعدل بهم عن تمثل المعارف ونقلها الى لغتهم، وهم لا يفتأون يتحصنون لغويا واصطلاحيا مما يجتاح لغتهم من مستويات أدائية دخيلة.

العربية وواقع المصدرية والاكتمال:

لقد شقت الحضارة مسارها العالمى المشرف الحافل بالانجازات، وفى يدها لغة قد اكتملت مقوماتها الأدائية، والتوصيلية والتعبيرية على وجه لم يعجزها معه أن تواجه أي مجال معرفي أو تمديني عرض لها طيلة عصور الازدهار. لقد كانت العربية كخطاب مستو محصته تقاليد عريقة من التظاهرات الخطابية، والأدبية الحافلة كانت فاعلية بناء فكري، وعلمي حية، اكتنفت الأصقاع المترامية واستوعبت ما كان بها من أصناف الثقافات والفلسفات، والفنون، وفي الوقت ذاته فتحت آفاقا فكرية وجمالية، وروحية في وجه الانسان، وارتقت به فوق عقلية الوهم والخرافة ليباشر فعل التطور متجاوزا عبثية الوجود التى كانت، ولا تزال فلسفات العدم تحبطه بها.

لقد كانت العملية الحضارية، تستند على أداة لغوية جاهزة متوفرة على اليات استيعاب وأداء مكتملة، وعلى احتياط معجمي لا ينفد، بفضل قابليات التشقيق، والتوليد والارتجال المتأصلة فيها، فالوعاء اللغوي كان جاهزا، وحاضرا في عملية التمدين الحضاري العربى، من هنا توحدت الشعوب، وتنمطت الرؤية والاهواء كذوق، وتوق، وأخلاقيات، وتركزت مشاعر الانتساب القومي والملي، وعم مناخ فكري وثقافي زالت معه حواجز العرق والمكان، وغدا الفقيه البربري

المسلم، يؤم، ويقضي بين قبائل وعشائر الجنس الاصفر ممن دانوا بالاسلام في أقصى الا رض.

وهـو ما لم يتهيأ للاتينية، اذ انخـرطت شعوب الغرب وقد اهترأت لغتهم وخلفتها لهجات درج بها اصحـابهـا في مضـمار البناء الحضاري فكان الجهد فكـريا لغـويا، فى الآن، اذ كان على كل لهجة أن تؤصـل لنفسها نحوها، وبلاغتها وجدلية منطوقها، واملاءها، ومنطقها التعبيري والأدائي، ولسانياتها، وصوتياتها، ومعجميتها، كل هذا وغيره كان يتزامن مع الانجازات الاجتماعية والثقافية والتطبيقية، الأمر الـذى كرس القـوميات، واللغـات، والفلسفـات، وهكـذا عكست اللغـات العـالمية نزعات شعوبها، فلابد أن تجد اليابانية وما أشد تقنيتها تعقيدا تبرز فى حقـول الـدقـة والالكـترون، ونجـد الالمانية تتسع للتجـريب الـفـكـري الـفـلسفي، والانجليزى للتكنـولـوجيا والفرنسية للسياسـة والاجتماع.. فالتحصيل الفكري، والريادي لشعب من الشعوب يترسم أول ما يترسم في المجال اللغوى، وتتهيأ بذلك لغة ما لأن تكون مصدرا، أو مرجعية فكرية عالمية لا يثور الحديث أو الجدل فى حقل تفوقها الا وكانت تلك اللغـة خاسرة لا كمصطلحات، ومفاهيم ونظريات واعلام فقط، ولكن كحضارة.

التعريب.. وظاهرة اللهجات العامية:

لا ينكر أن عهود الجمود الفكري والحضاري، التى مرت بها الأمة العربية فى مختلف اصقاعها، قد انعكس تأثيره السلبى على حياة النـاس في مختلف جوانبها الاجتماعية والثقافية والسياسية ولم تسلم من ذلـك، بطبيعة الحال، الناحية اللغوية بل ربما كان الجانب اللغوي من أبرز الظواهر التي عكست ذلك الجمـود الحضاري. حيث مالت الملكة الى الصنعة اللفـظية وتكـرار المعني، واجترار نماذج البلاغة على حسـاب الابـداع والطبع، والسليقة التي لا يتعسر عليهـا في حالتها السوية أن تستوعب لغويا وتعبيريا مظاهر الحياة والواقع الاجتماعي في صيرورته وتجدده،

لقـد آل حال العـربية، بسبب مرورها بهذه العهود الـراكـدة ومـا تلا ذلـك من وقـوع الأمـة تحت نير الاستعـمار، أن غدت لغة للتلقين لا يتعدى دورها مجالات محدودة في الحـياة، تاركـة وظيفـة التبليغ والمعاملات والتفاعل الاجتماعي لما يشيع في البيئات العـربية من لهجـات محلية، أو من لغـات دخيلة، يعمل الاستعمار على اشاعتها عزلا للعربية وقتلا لها. كما هو الشـأن في أقـطار المغـرب العـربي، والجزائر بصورة خاصة.

ولقـد جعلت مضاعفات هذا الوضع اللغوي، المتشكل من لغة أجنبية تسود نشاط البلاد الخارجية، ولغـة وطنية يراد لها أن تحتـل مكـانتهـا الطبيعية في المجتمـع تدريسا وادارة وثقافة، ومن لهجات فاشية بين الناس تغطي حيزا ـ كيفما كانت أهميته الحيوية ـ من شؤون حياتهـم، ومـعـاشـهـم، جعلت دعـاة التعـريب يتجـاهلون ظاهـرة اللهجـات ولا يولونها اهتـمامهم، خاصـة وان هنـاك نزعـات فى المشرق والمغـرب سعت ومـازالت تسعى لفـرض واقع تلك اللهجات اعتراضا سافرا على حركة التعريب يتحرك أصحابها بوحي من الاستعمار.

والـواقـع أن ظاهـرة العـامية بمختلف لهجاتها المحلية كما يرى بعضهـم «ليست ظاهرة تنفرد بها اللغة العربية فقد عرفتها كل اللغات تقريبا»، **فهي (ليست أكثر من لهجات اللغة الفصحى، وليس في وجودها ما يحمل بصفة موضوعية على الدعوة الى اعتمادها لغات قومية متعددة للعرب، انما تهدف الدعوة أساسا الى تقويض العربية، باعتبارها أهم عنصر من عناصر الوحدة الثقافية العربية ومما لا شك فيه أن تطور هذه اللهجات لو قام به المثقفون بالعربية لساهم أكثر من أي وسيلة أخـرى فى تهيئـة من سيتـرشح لتعلم الفصحى من الصغار أو من الكبار، أما الفائدة الكبرى التي نجنيها من هذا التطور، لو حدث أو يحدث يوما، فهو أنه يمكننا من مراقبة هذه اللهجات والسيطرة عليها وتوجيهها حتى تأخذ شيئا فشيئا طابع اللغة الثقافية، أو تنضم الى لغتها الاصلية، ليصبح مجتمعنا يوما يتكلم كما يكتب ويكتب كما يتكلم، فالمسألة اذن في هذه المشكلة مسألة**

تعليم فقط، فهى حال يبرزها عندنا تفشي الأمية في الأوساط الشعبية»، وعندما يعم التعليم تسقط هذه المشكلة من نفسها، ويتضح أن الأمر لا يرجع لطبيعة اللغة ولا للفوارق الطبيعية التى تتسم بها لغة التخاطب العادية ولغة الكتابة، والتأليف، فالحل هو تنشئة أبنائها على العربية الفصحى وتعويدهم التخاطب بها فى المدرسة، وخارجها، على أن الفوارق نفسها بين العامية والفصحى تزول يوما فيوما حتى بالنسبة للكبار بفضل الاذاعات المسموعة والمرئية خصوصا في البرامج التى تستعمل اللغة الفصحى».

ولقد استطاعت ـ فعلا ـ المساعى العرقية الاستعمارية أن تجد لها في أوساط معينة من الشباب المتغرب بوجه خاص، صدى واستجابة ظلت تجسدها مواقفه الرافضة للتعريب، المتعشقة للغة الأجنبية، ودعوته باسم الوطنية الضيقة، إلى أصالة وطنية هي في واقع الأمر انفصال عن الكيان القومي، وتقوقع على الذات وتنصل من المقومات الحضارية والتاريخية للأمة، فلقد جعلت هذه المساعى المنحرفة المغترين بها يعتقدون أن التحول الثقافى الذي فرضه الاستعمار يشبه التحول الثقافي الذى فرضه (المحتلون) المسلمون، وأصبح الكثير من هؤلاء المغالطين بدعايات الاستعمار، يوهمون الناس أن الأقليات التي لا تتكلم العربية تكون النواة الثقافية في نظرهم للرجوع الى ما قبل الثقافة العربية الاسلامية، وكلنا يعلم أن مثل هذه الدعايات لا يعرف عنها الشعب أدنى شيىء، ولكن حملتها من المثقفين المتعشقين للقيم الأجنبية تغذيهم العرقية الاستعمارية بكل ما أوتيت من تمويهات لإحباط سياسة التعريب والمحافظة على هيمنة الثقافة فى المجالات الاستراتيجية والعلمية (التكنولوجيا، البحوث)، وليتمكنوا من ضرب الاتجاه الوحدوي الذي يتضمنه التعريب في جملة أهدافه القومية.

ومهما يكن من أمر، فان حركة التعريب ـ كما يبدو لنا ـ لا تجد في واقع هذه اللهجات الشعبية اعاقة أو مضايقة تحد من تقدمها بحكم طابعها الجماهيري المتجاوب بأصالة مع مطمح التعريب، فضلا عن خصائص بنية هذه اللهجات الصوتية والتركيبية ذات الأصول المتجانسة في عمومها مع العربية، بيد أن الخطر يأتي من جهتها حين يغدو طرحها عرقيا انعزاليا، كما هو الشأن عند بعض الجهات المناوئة للتعريب في الجزائر، ممن يرفعون شعار الاقليمية تنفيذا لمخطط استعمارى قديم ظل وسيظل ساعيا لفصل الجزائر عن كيانها القومي العربي حفاظا على مكاسبه التى تصونها له فى البلاد، حال التبعية الثقافية التي يكرسها وجود اللغة الفرنسية بين أوساط المجتمع.

التعريب استراتيجية مستقبلية:

كان الحديث عن التعريب غالبا ما يقترن بالحديث عن موضوعات معينة، من قبيل التراث والأصالة، والتجديد، والتفتح الى غير ذلك من القضايا التي كان الجدل الثقافي يثيرها عند تطرقه للتعريب، ومثلما تناولت الأقلام قضية التعريب بالبسط والتحليل من نظرة اجتهادية، وجدناها تتبع مع تلك القضايا المتفرعة عنها جدلا، ذات النهج :

«كلما أثرنا قضية التعريب نرجع بفكرنا الى تراثنا الثقافى المجيد، ونتملى بما خلفه الأجداد من آثار أدبية وعلمية، وهذا موقف طبيعي ومعقول الا أنه موقف يحجب عنا الحقيقة في قضية التعريب كما هى مطروحة أمامنا اليوم، فنحن لا نريد التعريب من أجل التراث أو من أجل الماضي، ولكننا نريد التعريب لأننا نريد أن ننشيء ثقافة عربية جديدة، ونخلف تراثا آخر لأجيال المستقبل فالعربية ليست لغة أجدادنا وحدهم بل هي لغتنا نحن أيضا، واذن فالواجب يقتضي منا أن ننظر الى التعريب من زاوية الحاضر والمستقبل قبل كل شيء»[1] **ذلك لان حركة التعريب ليست حركة تراثية بحال من الاحوال، وليست حركة متصلة بالماضي فحسب وانما هي حركة وصل بين الماضى الذي كنا نعيشه وبين المستقبل الذي نتطلع اليه.**

ان ايماننا بالشوط الحضارى الذي حققته

الشعوب الأخرى لا يعني عندنا الغاء الأشواط التى كنا أصحابها، فأشواطنا الحضارية السابقة يجب أن تمثل عندنا القوة النفسية الدافعة التى تمنحها الثقة المطلقة بأننا قادرون على المتابعة، ان الذي يرتبط بأذهاننا في حركة التعريب انها حركة مستقبلية وانها حين تنظر الى الماضي فانها تنظر اليه ليكون طريقا الى المستقبل وان استخدام اللغة العربية في ذلك هو ضرورة يمليها وجودنا نفسه ويمليها حرصنا على استمرار هذا الوجود في المستقبل، ويمليها ان العربية انما تؤلف في جملة عملها فى ذلك، هذا الوصل الكامل بين الماضي والمستقبل[٢].

ان الأساس التراثي للتعريب لا يمكن أن يتجاهله المرء، لأن الدعوة الى تأسيس ثقافة قومية، والأخذ بلغة الأمة، هي في الواقع دعوة الى استثمار رصيد الأمة واعتماد ميراثها الثقافي وتراثها الحضاري والفكري والانطلاق منه نحو المعاصرة فهو الذخر الثمين الذي حفز الأمة على أن تزهد في كثير مما بين يديها من الثقافة والفكر الأجنبيين، بعد أن تأكد لها بالتجربة أنه لا ينسجم معها روحا وقالبا ذلك الانسجام الصميم، الذي تهيئه الثقافة الوطنية النابعة من الأصل، ذات القابلية على الامتداد والتطور والنماء.

فالامة التى تأخذ بثقافة أجنبية تجد نفسها، حتما، مجبرة على أن تتكيف روحيا مع خصائص تلك الثقافة ومع طبيعتها، وهو أمر يتعذر عليها أن تحققه اللهم الا اذا قبلت حالة الاستلاب الزائفة.. على عكس ما يحدث لها مع تراثها الذي يغدو أرضية صلبة لأي بناء ثقافي أصيل تقدم عليه فى نهوضها. . ذلك لأن العلاقة بين الأمة وبين تراثها علاقة عضوية يلحمها التاريخ العريق، وتعبر عنها العاطفة القومية الراسخة في الاعماق.

النهوض بالمجتمع . . نهوض باللغة:

من شروط اكتمال الوعي بواقعنا وامكاناتنا، أن ندرك أن القيمة الحيوية لأي مقوم من مقوماتنا، انما يكتسبها من الدور الذي نبيطه به في حياتنا الاجتماعية، ومن درجة تفاعلنا مع هذا الدور في مختلف أبعاده الشخصية، والجماعية، وفي شتى المستويات. . ولا يستثني في هذا مقوم اللغة التى غدت عرضة لتهجمات خصوم التعريب.

ان مستوى تطور لغة ما انما هو انعكاس لتطور مجتمع تلك اللغة فمن الملابسة أن نقذف بلغتنا، فنسميها لغة القرون الوسطى ولغة الشعر، والعاطفة، وأخيرا لغة الرجعية، والرجعيين.

■ **ان لغة مجتمع ما، تعكس حياة هذا المجتمع بكل اخلاص، فاذا قلنا أن لغتنا لغة الشعر والعاطفة، فمعنى هذا أن مجتمعنا مجتمع الشعر والعاطفة، وبما أن اللغة ليست الا جزء من انتاج المجتمعات ونشاطاتها فعلينا أن نلوم أنفسنا على كل عجز يلاحظ فى لغتنا.** ولا يمكن أن نتصور عزمها على محاربة الأمية، ودون أن نتصور عزمها على النهوض بلغتنا بكل اسراع الا أن تكون أمة تعيش أشد الاستلابات وطأة، وهو الاستلاب الثقافى الذي ينبىء بالانقراض[٣].

ان تخلفنا اللغوي فى الوقت الراهن راجع الى تخلفنا العام فمتى ما سرنا فى طريق التقدم والتنمية بخطوات واسعة، ستتطور لغتنا هى أيضا، لتستجيب لحاجاتنا الجديدة سيما اذا شمل التعريب سائر المرافق فى حياتنا الاجتماعية، فاذا أخذنا ندرس لطلبتنا سائر العلوم بالعربية فى الجامعات والمعاهد نستطيع آنذاك أن نقفز بلغتنا قفزة كبيرة وحاسمة[٤]، فحياة اللغة هى استخدامها، والتعامل بها[٥] ومن الخطر الجسيم «ان نوجد نهجا ثقافيا تكون فيه التقنية مقطوعة عن اللغة القومية، فلابد من اقتحام اللغة الوطنية مجالات العلوم، حتى نحس بعمق بانتمائنا الى العصر»[٦]، ولابد من «ترقية اللغة الوطنية الى مستوى العالمية ومستوى التبليغ العالمى، مهما كلفنا ذلك من جهود، وبفضل هذه الجهود يمكن وضع اللغة الأجنبية فى مكانتها الطبيعية كلغة اضافية للتبادل العالمى وبهذا المفهوم يمكننا أن نتكلم عن الأصالة والتفتح بدقة أكثر، فتكون الأصالة ابداعا وخلقا فى مستوى العالمية، وبوساطة لغة وطنية راقية،

ويصبح التفتح تبادلا بين الاكفاء، وتزول الالتباسات والاستلابات المتعلقة بالتحول الثقافي والعالمية الثقافية المزعومة»[٧].

■ **ان مقولة التخلف اللغوى عندنا، ستظل هو ما يعيشه المثقف العربي ما عاش المجتمع العربي هذا الانفصال المرعب بين الثقافة ومقتضيات الحياة المتحركة، ان أزمة اللغة ليست في عجز معجمها عن تغطية ما تفرزه حضارة العصر يوميا، ان هذه الازمة ستظل قائمة طالما لم تقتحم الامة غمار النهوض الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بلغتها القومية، وان أفضل من يشيع المصطلح العلمى أو الفني، هو العامل والمزارع، هو رسم لبضاعة، ونشرية الاشهار، والدورية العلمية، والاستمارة الادارية ووصل الكراء، وتذكرة السفر.**

ان المفردة الجديدة، ينحتها العامل المتعلم في مصنعه عندما تبتكر يداه انتاجا صناعيا ما. وان تطوير الحرف العربي[٨] اذا كانت هناك حاجة لذلك هو من اختصاص جهات متعددة يفتق عبقريتها النشاط العملي، في الورشة وفي حقول العمل، ومرافق الحياة المختلفة ويمكنها من أن تكتشف آفاقا قد لا نتصورها، تغتني بها اللغة فى أبعادها الدلالية، والاصطلاحية والفنية وغيرها. «وان التفاعل الذي يفيد واقعنا الثقافى واللغوي ليس هو نقل المصطلحات من اللغات الأجنبية، ولكن نقل روحها، أي اكتساب القدرة على اطلاق مواهبنا المعطلة المشلولة مثلما فعل الغرب مع لغتنا في نهضته المعاصرة»[٩].

الهوامش

(١) محمد زنير، التعريب بين الأمس والغد، الأصالة، عدد ١٧/١٨، ص٩٨.
(٢) شكري فيصل: حركة التعريب وصل بين الماضي والمستقبل، الأصالة، عدد ١٧/١٨ ص١٢٠.
(٣) عبد المجيد مزيان: التعريب من الوجهتين الاجتماعية والسياسية، الأصالة، عدد ١٧/١٨ ص٢٤.
(٤) محمد زنير «التعريب بين الأمس واليوم، الأصالة عدد ١٧-١٨ ص٩٨.
(٥) عبد العزيز العاشورى، التعريب والهوية الثقافية مجلة المستقبل العربى عدد ٢٧ بتاريخ ٥/٨١ ص١٧.
(٦) عثمان شبوب من اللغة يبدأ التجديد، الأصالة عدد ١٧-١٨ ص٧.
(٧) عبد المجيد مزيان، التعريب من الوجهتين السياسية والاجتماعية الأصالة عدد ١٧-١٨ ص٢٧.
(٨) انظر: التعريب ووسائل تحقيقه، دراسة لمحمد الفاسي الأصالة عدد ١٧-١٨ ص١١٠.
(٩) عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص١٥٥. نقلا عن مصطفى الاشرف (بتصرف).

اساطين اللغة

ابن القطاع، على بن جعفر

(١٠٤١ - ١١٢١)، لغوى، ولد بصقلية، ومات بالقاهرة، اذ هرب من وطنه لما فتحه النورمنديون، أدب أولاد الأفضل الجمالى الوزير، اشتهر بالنحو والعروض، واتهم بالتساهل فى الرواية، ألف فى التاريخ: «تاريخ صقلية» و«الدرة الخطيرة فى شعراء الجزيرة» (صقلية)، و«لمح الملح»، فى شعراء الأندلس، وفى العروض: «العروض البارع» و«الشافى فى علم القوافى»، ورسائل أخرى، وفى الأدب: «فرائد الشذور وقلائد النحور» وفى اللغة: «حواش على الصحاح»، و«أبنية الأسماء» و«الأفعال» وهو أشهر كتبه، هذب فيه أفعال ابن القوطية، وغير تقسيماته وترتيبه، فجعله على الألفباء، حسب الحرف الأول وحده، وزاد الأفعال الرباعية والخماسية، وأبقى التقسيم الى الصحيح، فالمضاعف فالمهموز، فالمعتل، داخل الحروف، فجاء من أكمل وأشمل المعاجم الخاصة بالأفعال، اذ يورد الفعل ومصادره وتفسيره مختصرا.

تعريب

العلوم الإنسانية

لو أردنا أن نصف الحضارة العربية الاسلامية بوصف له صبغة العموم والشمول، لقلنا إنها حضارة انسانية وبين كلمة «انسانية» والدراسات الانسانية» من العلاقة اللغوية ما لا يخفى على أحد، والذى أقصده بالحضارة الانسانية، التركيز قبل أي شيء على الانسان، وعلى علاقة الانسان بالانسان ويكفى أن ينظر المرء فى القرآن الكريم، لكي يجد إلى أى مدى كان التركيز على الانسان كبيرا فى هذا الكتاب الكريم، والامر نفسه ينطبق على أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام اذ أن قسما من أحاديثه قد ركز فيها على علاقة الانسان بالانسان، فحضارتنا العربية الاسلامية اذن هى حضارة انسانية بهذا المعنى، ولم يكن من قبيل المصادفة أبدا، أن هذه الحضارة أخرجت للناس من النماذج البشرية ما ليس له مثيل فى تاريخ الانسانية.

وقد يتساءل الأخوة عن السبب فى حديثنا عن تعريب الدراسات الانسانية لانهم يفترضون أن الدراسات الانسانية في الجامعات العربية تدرس كلها باللغة العربية، وفى هذا الافتراض من التبسيط والتعميم ما يخرجه عن الحقيقة والواقع، فالدراسات الانسانية في الجامعات العربية ليست معربة بالمعنى الشمولي الدقيق.

وعندما نتحدث عن تعريب الدراسات الانسانية فاننا، نعني أن هذه الدراسات تدرس بلغة عربية سليمة صحيحة، وهذا غير قائم بالفعل في هذه الدراسات في عدد من الجامعات العربية يدرس بلغة أجنبية، وبعضها الآخر يدرس بلغة هى أقرب الى العامية منها الى العربية الفصيحة واذا لم يجد تدريس المواد الانسانية بالعربية السليمة الفصيحة فلا يمكن الادعاء بان هذه المواد قد عربت بالفعل وأحيانا قد يختلط الحابل بالنابل، فيكون التدريس بلغة عامية ممزوجة بكلمات أجنبية، وفي هذا من تشويه اللغة والفكر مالا يخفى على أي متبصر.

وهنا أود أن أقول شيئا بالنسبة الى علاقة المعرفة في الدراسات الانسانية باللغة التى تنقل بها هذه الدراسات، اذ قد يقول قائل، ما دمنا نكتسب معرفة فلماذا نعنى باللغة التى تكتسب بها هذه المعرفة؟ اليس المهم هو المعرفة في حد ذاتها؟ وأقول ردا على ذلك إن القيم والمبادىء التى بنيت عليها دراساتنا الانسانية، انما انبثقت أول ما انبثقت عن كتاب تنزل باللغة العربية فارتبطت هذه القيم والمعارف ارتباطا عضويا باللغة التى كتب بها هذا الكتاب والكتاب الذى أعنيه هو بطبيعة الحال، القرآن الكريم.

والقرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد فى العالم فيما أعرف الذى ما يزال يقرأ باللغة نفسها التى كتب بها أول مرة، مع بقاء هذه اللغة لغة حية متداولة وبالتالى فثمة ارتباط عضوي ما بين المبادىء والقيم والمعارف التى أغنى بها القرآن الكريم، والتى تشكل القاعدة الأساسية للدراسات الانسانية، وبين اللغة العربية نفسها، ومعروف عند علماء اللغة أن تصورات الكائن البشرى عن الكون والحياة انما تنطلق من خلال اللغة التى يفكر بها الانسان، وبالتالى فان الفصل ما بين اللغة العربية، لغة القرآن الكريم التى احتوت المبادىء والأسس التى ترتبط بها دراساتنا الانسانية، أمر غير ممكن وهذه اللغة مرتبطة بالمجتمع العربى ارتباط المبادىء والقيم العربية نفسها، وأيما محاولة لفصل هذه القيم عن اللغة التى أبانت عنها انما هى محاولة عقيمة، والكلام، كما يقول علماء اللغة والمعاصرون، ما هو الا تفكير مسموع فى حين ان التفكير تعبير صامت.

أ.د. محمود ابراهيم
عضو مجمع اللغة العربية الاردني

من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - رجب ١٤٠٦هـ

العربية بين التعريب ..

- العربية في العصر الجاهلي كانت بدوية تعبر عن متاع
- البيئة الجاهلية لم تعرف ما عرفته البيئات الأخرى من
- تخلف العربية ناتج عن تخلف أهلها . ولو أنهم اخذوا

بقلم: أ.د. عبد الصبور شاهين
- مصر -

لا مناص من الاعتراف بأن اللغة العربية تمر بمرحلة حرجة في تاريخها، يمكن أن توصف فيها بالجمود، والتخلف، وهي تزداد كل مرحلة تخلفا مع استمرار تقدم الحضارة المعاصرة في مجال العلوم والتقنية.

هذا الوضع الذي تعيشه العربية يشبه الى حد ما وضعها قبل نزول القرآن، في العصر الجاهلي، حيث كانت لغة بدوية تعبر عن متاع قليل يغطي حاجات الانسان العربي في تلك البيئة، التي لم تعرف حضارة على المستويين المادي والاخلاقي.

وقد يقال: إن العربية في العصر الجاهلي كانت متقدمة تقدما كبيرا، حتى تأهلت البيئة الناطقة بها لاستقبال القرآن، وتحدى القرآن فصحاءها حتى أعجزهم.

وأياما كان الأمر فإن عجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن أو بعض سوره - يستوي في حالي التفوق اللغوي، أو التخلف، فما كان لأحد مهما بلغ تمكنه من اللغة أن يطاول كلام الله فهو في السفح على كل حال، وفي أي حال، بالنسبة إلى لغة القرآن الكريم.

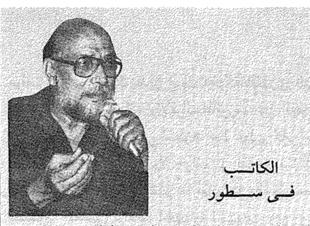
ومع ذلك فنحن لا ننكر أن القدر الذي أتيح للعربية من النضج كان في حدود معينة من معطيات البيئة الفقيرة جدا، والتي لا تزيد أشياؤها على الصحراء ومقوماتها، والخيال الساذج وإبداعاته، فكل ما كان للعربي من تفنن كان من وحي بيئته، وهي بيئة لا تقاس بما كان للحياة في بلاد الروم أو الفرس أو غيرهما من مراكز الحضارة في العصر القديم كمصر والعراق والشام - من ثراء وتنوع حضاري.

لسوف يصدم هذا الكلام كثيرين ممن تعودوا أن يتمدحوا ببيان الجاهلية، وما بلغه الشعراء من تفوق وفصاحة، وكأني بهؤلاء ينظرون الى هذا الكلام الآبق، وما يحمله من تنكر للمسلمات في كل العصور.

إن بعض الأفكار يشيع أحيانا ليخلق جوا من التسليم بما هو زائف غير حقيقي، ومن هذه الأفكار المقولة التي ترى أن اعجاز القرآن تحدى بلغاء العرب الذين بلغوا شأوا لا يطاول في فنون القول، إعجاز القرآن حقيقة لا تنكر، ولكنها نابعة من تأثير القرآن في اللغة بتوسيع معاني ألفاظها، وهو مالا يستطيع أحد أن ينافس فيه قدرة الله التي خلقت اللغات والألسنة، وجعلت من العربية بيانا لما أراد الله أن يخاطب به البشر، الى يوم الدين، فقام التحدي بالقرآن أصلا على جرأة النص القرآني في استخدام الالفاظ العربية في معان ودلالات لم يعرفها العرب، ولا كانت لفصحائهم جرأة عليها، أو قدرة، حتى قال قائلهم: «لقد سمعت كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن» كذلك ينبغي أن ننظر الى العربية في عصرنا، فهي متخلفة بكل مقياس، ولكنه تخلف لا ينبع من ذاتها، بل هو نابع من تخلف أهلها، وكأني بهم يقيمون في مدن إلى البداوة ما هي، تماما كما كان أسلافهم

والترجمـــــة

قليل.
ثراء وتنوع حضاري.
بأسباب الرقي لارتقت.



الكاتـــب
فـــى ســطور

- رئيس قسم اللغة العربية كلية دار العلوم.
- له العديد من المؤلفات فى مجال اللغة وفقهها والدراسات الاسلامية.
- من أهم مؤلفاته فى العربية كتابه (العربية لغة العلوم والتقنية).

يقيمون فى البوادى والقفار.

والعربية على هذا تزداد كل يوم تخلفا ـ كما قلنا ـ لأن أهلها كذلك يتخلفون، ولو أحرز العرب أى نوع من التقدم فربما تنسمت العربية رائحة التقدم ـ لولا عقبات أخرى تحبس عنها هذه النسمات.

وأول هذه العقبات: أن العربية ليست لغة حديث، يتكلم بها أصحابها على سليقتهم، بل هى لغة مصطنعة فى أغلب الأحوال، استبدل بها العرب عاميات مختلفة، يمارسون من خلالها حياتهم، وهذه العاميات مستوى من اللغة غير مكتوب، يقابله أن الفصحى مستوى لغوى غير منطوق، إلا فى المناسبات الخاصة، وهو ينطق غالبا مخلوطا بكثير من الاخطاء تتفاوت قلة وكثرة، وهو دليل آخر على أن الذين يستخدمونها لا يملكون سليقة لغوية سليمة، فالمتكلم باللغة على السليقة لا يخطىء فيها، وإنما يخطىء من يتكلف.

وثانى هذه العقبات: أن هذه اللغة العربية قد هانت على أهلها، حتى طردوها من الاستعمال فى مجال التعليم العلمى الجامعى، وآثروا عليها اللغة الانجليزية.

وقد أدى هذا إلى أن أكثر أعضاء هيئات التدريس يعانون عجزا حقيقيا فى علاقتهم بالعربية، فهم لا يفكرون بها، ولا يستطيعون أن ينطقوها بسليقة سليمة، نتيجة لهجرهم الفصحى، واحتقارهم لها.

وثالث هذه العقبات: أن العربية العلمية لا وجود لها فى الحقيقة، بل الموجود هو مجموعات من المصطلحات الميتة بطبيعتها، لأنها لا تستعمل كلغة حية، فليس للغة سلطة على أصحابها، ولأنها تجووزت قطعا بظهور مصطلحات أخرى جديدة، فى أجيال متتابعة، يلغى اللاحق منها السابق ويتجاوزه.

ولقد يعرض لنا هنا سؤال عن حقيقة التخلف الذى تعانى منه العربية التى أثبتت فى عصور مختلفة، منذ الجاهلية، الى عصرنا، قدرة على التعبير، البيانى الراقى، حتى نافست اللغات الحضارية فى القديم والحديث.

والواقع أن الرقى الذى حققته العربية إنما كان فى المجال الأدبى، بحيث يتفنن الأدباء والشعراء فى التعبير عن ذواتهم ورؤاهم الخاصة، وحيث يختارون من القوالب الأدبية ما تبرع فيه قرائحهم كالشعر، والنثر، والمقالة والقصة، والمسرحية، وكل ذلك مجال تتنافس فيه اللغات، حتى المتخلفة.

فأما المجال العلمى فإن له لغة خاصة به، تقوم على تمثيل الواقع الحضارى، والتعبير عنه، وهو واقع مادى يزداد كل يوم تراحبا وسعة، وتنوعا واختلافا.

وليس للخيال دخل فى هذه اللغة العلمية، كما أنها لا تعبر عن ذات العالم أو الباحث، بل هى صورة طبق الأصل من موضوعاتها، بل لنقل: إنها الصورة اللغوية للوجود المادى، بكل تحليلاته، ومعادلاته.

ومن هنا تنفصل اللغة العلمية عن اللغة الأدبية انفصالا كبيرا، على حين يهتم العلماء باللغة الأدبية، ويعتبرونها أساسا لتقعيد القواعد، وتقنين التراكيب، والصور البلاغية ـ اذاهم يهملون اللغة العلمية إهمالا كاملا، وهو

موقف غريب حدث قديما إبـان الحركة الكبرى التى استهدفت وضع علم النحو، والصرف، فاستقى النحاة قواعدهم من الاشعار، والأقوال المأثورة، عن الفصحاء، بل حتى عن الأطفال والمجانين، ولم يفكروا لحظة فى معالجة اللغة العلمية التى سطرها عالم عظيم كابن سينا فى كتابه (القانون)، فتحولت هذه الكتابات العلمية الى لغة ميتة، لا روح فيها، ولا حياة، بل لقد وجدنا أن الكتب العلمية التى أبدعها عباقرة الحضارة العربية لم يفد منهـا المجتمـع العربى بقدر ما أفاد أهل الغرب حين ترجموها إلى لغاتهم، ودرسوها فى جامعاتهم، ومن خلال مضمونها العلمى تولدت الحضارة الحديثة، وهى فى الحقيقة نتاج هذه الكتب التى أهملها أهلوها، ولم يروا فيها أى مشروع للمستقبل.

والآن، وقد اتسعت الهوة، وتباعدت المسافات بين الأصل والفرع، كما تتباعد بين النواة، والنخلة الباسقة التى خرجت منهـا ـ فمن المحال أن نرجع النخلة إلى فواتها، أو أن نفتش عن مصدر القطرة فى بحرها، وقد انفتحت الحضارة الحديثة على آفاق هائلة أخذت تتحدى قدرة العربية على استيعابها، وهو تحد يجعل من العربية أداة متواضعة، قانعة بقدرها الذى يضعها إلى جوار حائط الحضارة، ولا يزيد.

وجوهر التحدى يتساءل: **كيف للعربية أن تعود إلى الحياة، وأن تعبر عن العصر الحديث، بكل معطياته الحضارية؟**.

وللغويين فى الرد على هذا التساؤل بابان تلج منهما اللغة فى نظرهم الى الآفاق الجديدة:

الباب الاول: التعريب، الباب الثانى: الترجمة.

وقبل أن نتناول هذين البابين يجب أن نقرر أن السبيل الوحيد الى الهدف المنشود هو التقدم العلمى والتقنى، ولا بديل عن ذلك للقضاء على أمية اللغة العربية، نقطة البدء هى العمل والانتاج والتنمية والمنافسة والتقدم.

فأما التعريب أو الترجمة فإنهما وسيلتان للتعبير عن الحاجات العملية التى تتولد عن الواقع المتفوق، المكافىء للحركة الحضارية التى تتحدى هذه اللغة صباح مساء.

والواقع أن التعريب اجراء لغوى يراد به إدخال كلمات أجنبية فى الاستعمال العربى، سواء أكان ذلك مع الاحتفاظ بالمنطق الأجنبى كاملا، أم كان مع بعض التغير فى البنية بما يتفق مع القواعد الصوتية والصرفية فى العربية، وهو ـ على أية حال ـ لم يؤد إلى نتائج ذات فاعلية وتأثير.

أما الترجمة فهى الطريق الى اقتحام المجهول، واستيعاب علوم العصر وتقنياته، فالحضارة فى حقيقتها مجموعة من العلوم المودعة فى بطون الكتب، إلى جانب تطبيقها من الانجازات المادية، فإذا ما استطاع أبناء العربية نقل معارف الحضارة عن طريق الترجمة فإن كفاءة استيعاب الحقائق العلمية تستتبع بالضرورة الدخول إلى مجال التنفيذ والتطبيق ومع تكاثر المعارف، يتزايد احتمال الابداع والتطوير، وهذا هو المطلوب بالضبط، فالحضارة مشروع يتحقق بالتدريج، ويتم خطوة خطوة، لكنه يقتضى مزيدا من الاصرار والاستمرار، إلى أن يبلغ المجتمع مرحلة التعاون، ثم يكون التفاوت والتقدم.

غير أن الكمية التى يتعين انجازها ـ من الكتب والموضوعات العلمية ـ عن طريق الترجمة لا تقل عن عشرات الملايين، بل مئات الملايين من الصفحات، إذ يجب أن نسلك فى هذه الطريق مسلك الدول الكبرى، أو على الأصح ـ مسلك اللغات الكبرى التى لا تترك شاردة ولا واردة إلا نقلتها إلى بطون مكتباتها، عن طريق اجهزة الترجمة التى تضم مئات الألوف من المترجمين، ومختلف اللغات العالمية.

ونستطيع بحسبة بسيطة أن ندرك انجاز جهاز يضم عشرة آلاف مترجم، فقط، أى: إنهم يترجمون مائة ألف صفحة، بواقع عشر صفحات فى اليوم.

فإذا حسبنا حصيلة هذا الجهد فى العام كان على الأقل:

١٠٠٠٠٠ × ٣٠٠ يوم = ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ مليونا من الصفحات.

وهو انجاز هائل تحقق لغات الحضارة أضعافه كل عام، لكى تحافظ على تفوقها على سائر اللغات.

إن معدل إنتاج العربية فى مجال النشر لا يزيد الآن على ١٪ من مجموع المنشور فى العالم.

■ وسوف يتحقق بهذا المشروع نتيجتان حتميتان:

الأولى: ظهور حوالى ثلاثة ملايين كتاب علمى فى العربية.

والثانية: أن النجاح يغرى بالنجاح، وسوف تصبح العربية لغة العلوم والتقنية، تستخدمها الجامعات فى التدريس، نظرا إلى توفر الكتاب العلمى بالعربية، وإقبال المتعلمين على استعماله.

لقد أثبتت البحوث التربوية أن تلقى الدروس بالعربية يوفر المزيد من الفهم، واليسر فى التلقى، لأن العربية هى اللغة السائدة فى التعليم العام، واستخدامها فى الجامعات هو استمرار لما ألفه التلاميذ فى تلقى الحقائق العلمية، والفهم الدقيق يعنى التقدم السليم نحو كل الأهداف الحضارية.

فأما استخدام اللغة الأجنبية فإنه يعانى دائما من ضعف هذه اللغة على ألسنة الأساتذة، وازدياد هذا الضعف لدى الطلاب الذين لا يستطيعون متابعة الفهم عن أساتذتهم، وبذلك يكون الوضع القائم الآن كارثة علمية بكل المقاييس، ولا مبرر لاستمرارها.

إذن ذلك هو الأسلوب الوحيد ـ فى رأينا ـ للخروج من أزمتنا الحضارية، وهو أسلوب يعتمد على الخروج عن النمط التقليدى فى تناول المشكلة، على نحو ما جرى عليه العمل حتى الآن، داخل المجامع اللغوية.

نعم نحن بحاجة إلى الخروج على التقاليد، واقتحام المشكلة التى استمرت حتى الآن عشرات الأعوام، بطريقة العمل الشاق، والحشد الشامل، والجهد المركز الذى لا يرضى بموقف دون الانتصار على هذه المشكلة، والخلاص من هذا العار اللصيق بنا حاضرا ومستقبلا.

إن حركة تتم بهذه الضخامة هى ثورة حقيقية فى المجال الثقافى، سوف تدفع على طريقها جهودا كثيرة فى التعليم والتربية، والاعلام، بل وفى مجالى السياسة والاقتصاد.

سوف يتغير كل شىء فى الحياة العربية، من المحيط إلى الخليج، ولن يستطيع أحد أن يخرج على تلك الثورة الحضارية التى تستهدف بعث الأمة، وتحقيق النهضة على طريقى العلم والتقنية، تماما كما استطاع القرآن أن يستخرج هذه الأمة من أحشاء الجاهلية، وأن يستصفى العربية الجديدة من لسان الأمة الأمية.

نشر اللغة العربية

الوسيلة العملية لنشر اللغة العربية تكون بانشاء المدارس العربية وسط كل تجمع اسلامى فى المهاجر على ان تساهم فى انشائها الدول العربية.. وتشجيع زيارة الأقليات المسلمة للوطن العربى الاسلامى وعقد الندوات والمؤتمرات المتخصصة فى هذا المجال.. إلى جانب وضع خطة لاخراج عدة كتب سنويا تضم أساسيات الاسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وأن تكون هذه الكتب مرجعا للدارسين فى شئون اللغة العربية والدين الاسلامى من غير العرب.

وعلينا أن نعمل من الآن لاصدار قاموس لتعليم اللغة العربية من خلال الألفاظ والكلمات القرآنية.. وبذلك نحقق هدفين فى وقت واحد هما قراءة القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية.

هذا كله إلى جانب العناية بوضع كتب لتعليم اللغة العربية لغير العرب.. وأصول تدريسها لأبناء المسلمين وأن يستعان بالمتخصصين فى هذا المجال، وادعو الله أن تعود البلاد العربية والاسلامية الى مكانتها من القيادة الاسلامية والانسانية.

الدكتور عبد الله عبد الشكور
من مجلة الرابطة



المصطلح العلمي..

- ينبغي النظر الى الكلمات الأعجمية على أنها ليست من بن
- على اللغويين والعلماء والأدباء أن يحددوا متى نعرب ومتى

كان موضوع التعريب من أهم الموضوعات التى عنيت بها المجامع اللغوية منذ نشأتها، ففى الدورة الاولى لمجمع القاهرة صدر القرار الاتى: (يجيز المجمع أن يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب فى تعريبهم).

وفى إطار هذا القرار المتحفظ قدم الشيخ احمد الاسكندرى فى المؤتمر الطبى العاشر المنعقد فى بغداد ١٩٣٨ (اقتراحات بأسماء عربية لمصطلحات كيميائية) وقد افترض وضع صيغة اسم الفاعل من الثلاثى المزيد بحرف للعناصر غير الفلزية، ومن أمثلة ذلك أنه سمى (الاكسوجين) المصدىء بأخص صفاته، وهى الاصداء، الذى هو اتحاد (الاكسوجين) مع غيره، وسمى (الهيدروجين) المميه، لان معناه مولد الماء... الخ وثمة افتراضات أخرى لبقية العناصر والمركبات.

وقد صور الشيخ الجليل ـ بكل أسف ـ المشكلة تصويرا خاطئا، فليست مصطلحات الكيمياء ـ مثلا ـ فى عناصرها ومركباتها تحتاج إلى مواضعة أو اصطلاح فحسب بل تحتاج كذلك إلى منهج مطرد يراعى ما بينها من علاقات، وإلى أسلوب رمزى مختصر عنها. وقد كان إخفاق محاولته إيذانا بأن قضية المصطلح العلمى ينبغى أن تعالج بطريقة مختلفة عن الطريقة التى اقترحها.

الكاتب فى سطور

- استاذ علم اللغة ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.
- خبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- شارك فى أعمال مجموعة من المؤتمرات العلمية.
- له مجموعة من المؤلفات فى مجال اللغة.

وقد نهض بهذه المحاولة نفر من أعضاء المجمع المتضلعين فى العلوم بمختلف فروعها، المتمكنين من العربية الفصحى، والعارفين بأدبها والمقدرين لدورها العلمى والحضارى عبر تاريخها الطويل.

اتجه الرأى فى صوغ المصطلحات إلى اتجاهين، لا أقول متعارضين بل متكاملين ـ وذلك لأن الاتجاه الأول يؤثر التعريب، ولكن لا يمنع الترجمة فى أحوال، ولأن الاتجاه الثانى يؤثر الترجمة، ولكنه لا يمنع التعريب فى أحوال.

الاتجاه الاول: التعريب أولا:

كان الدكتور محمد كامل حسين (صاحب الجائزتين) رأس هذا الاتجاه ومؤصل ضوابطه، وكان له كذلك دور رائد فى وضع مشكلة المصطلح ـ بعامة ـ فى إطارها العلمى الصحيح. كان معنيا بالحديث عن خصائص اللغة الانسانية بعامة واللغة العلمية بخاصة، وعن تجارب الأمم الغربية فى بناء منظومتها، وبالحديث عن مشكلة المصطلحات العلمية فى اللغة العربية، ونقد الاتجاهات التقليدية فى حلها، ثم تحديد القواعد العامة لوضعها.

مشكلة المصطلح العلمى:

كان على العلماء أن يختاروا أسماء لكل جديد يكتشفونه، ولكل تصور يقدرونه، ولم يروا أن يخترعوا الألفاظ اختراعا، بل رأوا أن يختاروا من بين صفات الأشياء صفة يحسبونها غالبة، وأن يشتقوا الأسماء من هذه الصفات المختارة على أن يكون مفهوما أن ذلك ليس إلا أصل التسمية، ثم يضيع المعنى الأول لهذا

بين الترجمة والتعريب

بية العربية.
نترجم.

المصطلح وسط الصفات العديدة التى يكتشفها البحث والدرس، من ذلك كلمة (أكسوجين) أصل معناها مكون الصدأ، ثم لم يصبح أحد يفكر فى هذا المعنى بعد أن علم كل شىء عن صفات الأكسوجين: ليس المصطلح إذاً إلا وسيلة لايجاد الكلمة، وليس للمعنى الأصلى قيمة بعد أن يصبح الاسم مقبولا.

صفات المصطلح العلمى:

١ ـ أن يكون لفظا لا عبارة حتى يسهل تداوله.

٢ ـ أن يكون محدد المعنى تحديدا تاما، ولهذا حسن تجنب الاشتقاق من ألفاظ الحياة العامة.

٣ ـ أن تكون المصطلحات بطبيعتها قابلة للتنسيق العلمى.

٤ ـ أن تكون قابلة للنمو والزيادة.

وبهذه الشروط المحكمة أقام الغرب بناء علميا محكما من عدد لا حصر له من الألفاظ الجديدة التى توافق طبيعة العلوم، ونجحوا فى جعلها رموزا دقيقة واضحة فيها فائدة الرمز وسهولة التداول وبساطة العلاقات، وتفادوا كل عيوب لغة التفاهم وملابسات المعانى المرتبطة بالألفاظ العامة. وبالاضافة إلى ما سبق من تحقيق صفات المصطلح راعوا أمرين على جانب كبير من الأهمية.

أ ـ استعارة الألفاظ من اللغات الميتة:

لجأ العلماء إلى اللغات الميتة فاشتقوا منها، وحددوا لألفاظها معانى لم يقل بها أحد من أهلها، واستباحوا فى هذه السبيل كل خطأ وتجاوز وتأويل، ولم يكن ذلك مستطاعا فى لغة حية، أخذوا ـ مثلا ـ كلمة (لبيدو) مع وجود مرادفات فى اللغات الحية، وكان السر فى اختيارها أن بعدها عن المألوف يتيح لنا أن تجعل لها شخصية علمية قائمة بذاتها.

ب ـ العناية بالتصنيف أو التبويب:

إن الأجناس والأنواع ـ فى علوم النبات والحيوان والكيمياء وغيرها ـ تجعل الأسماء العلمية خاضعة لنظام لا مفر منه، فلكل نبات اسم علمى فيه الجنس والنوع، وهو يختلف تماما عن الاسم المألوف الذى يعرفه الناس عامة، ولا داعى للخلط بينهما، فالانسان سيظل فى كل اللغات هو (الانسان)، ولكن ذلك يجب ألا يؤثر على تسميته العلمية البحتة Homo Sapiens.

إن مشكلة المصطلحات فى العربية أكبر مما كان يعتقد الشيخ الاسكندرى ونظرائه من علماء اللغة، وإن فهمنا لأبعادها لم يكن كافيا للأسباب الآتية:

١ ـ أن ما نصنعه من المصطلحات فى بعض العلوم أقل مما يستحدث فيها.

٢ ـ أن ما كان منها معروفا عند القدماء لا يفيدنا كثيرا لقلته، ولأن أكثر المصطلحات القديمة مفردة لا تتبع نظاما خاصا، ولأن اختلاف المناهج ومذاهب التفكير العلمية يجعل التطابق بين مدلولات المصطلحات القديمة والحديثة محالا.

٣ ـ إن مشكلة المصطلحات ليست مجرد بحث عن ألفاظ، لأن طبيعة المصطلحات تجعلها صورة حية لتطور العلوم، وهى تدل على ما فى تاريخ العلم من صواب أو خطأ، وهى جزء لا يتجزأ من أساليب التفكير العلمية، وهنا نجىء إلى لب المشكلة، هل يمكن وضع نظام عربى للمصطلحات؟.

لا يخفى الدكتور محمد كامل حسين انحيازه إلى العلم وضوابطه المحكمة ومصطلحاته المستقرة، لأن مستقبل الأمة العربية يرتبط بتقدمها العلمى، ومن ثم فإنه يقرر: ليس أمامنا ـ بكل أسف ـ فرصة لإيجاد نظام مصطلحى، لقد قام بناء المصطلحات على الأصول التى أخذت عن اليونانية واللاتينية، وأصبح

من المستبعد أن نغيرها مهما يكن السبب فى وجودها، المهم أنها موجودة فعلا، وأنها جزء من نظام عام، وأنها تطبعت بطابع التفكير العلمى، فأصبحت جزءا من العلوم، وإيجاد أسس جديدة محال وعبث».

ماذا بقى لنا إذاً؟

يقول: بقيت طريقة التعريب، ولا يريد الدكتور محمد كامل حسين أن يطلقها إطلاقا عاما بدون قيد، ولكنه - مع ذلك - لا يريد أن يجعلها مما لا يباح إلا عند الضرورة القصوى، وهذه مقترحاته:

١ - كل مصطلح علمى خلق خلقا جديدا خاصا، ويكون من أصل كلاسيكى، ويكون دالا على عين من الأعيان يجب تعريبه كالأكسجين والأيدروجين.

٢ - كل مصطلح علمى خلق خلقا جديدا خاصا، ويكون من أصل كلاسيكى، ويكون دالا على تصور علمى خاص يجب تعريبه، مثال ذلك (الأنزيم) و(الأيون) هذه لا تترجم، لأن ترجمتها تذهب بقيمتها العلمية.

٣ - كل مصطلح يتبين أنه جزء من تصنيف عام يجب تعريبه، ومن هذه أسماء الأجناس والأنواع فى الحيوان والنبات وسلسلة المواد المتشابهة كيميائيا.

٤ - أما الألفاظ العلمية المشتقة من اللغة العامة مثل (المناعة) Immunity و(الكبت) Refoulement فتترجم من غير شك، والفرق بين الاثنين أن (الأكسوجين) يفهم وتعرف خواصه كلها من غير أن نفهم أصول الكلمة، أما المناعة فيستحيل فهمها دون معرفة معناها العام.

الاتجاه الثانى: الترجمة أولا:

فى هذا الاتجاه جرت محاولات عديدة نقف عند واحدة من أهمها وهى محاولة الدكتور مصطفى الشهابى فى مجال علوم النبات والحيوان.

يلخص الشهابى خطته فى ترجمة هذه المصطلحات أو تعريبها على النحو الآتى:

أولا: الالفاظ الدالة على الشعب والطوائف والرتب:

وهذه الالفاظ قسمان: قسم له فى لغاتهم وفى لغتنا أسماء مشهورة، كالطوائف الخمس فى شعبة الفقاريات وهى السمك والضفدعيات والزحافات والطير والثدييات، وقسم وضعوا له فى اللغة العلمية أسماء تدل على أهم صفات فيه كقولهم فى طويئفات السمك أو فى رتبها مثلا ما ترجمته غضروفيات الزعانف، ولينات الزعانف وشائكات الزعانف... الخ ولا مجال هنا للتعريب، وترجمة الألفاظ بمعانيها هو المجال الأوسع.

ثانيا: الالفاظ الدالة على الفصائل والقبائل:

الحيوانات والنباتات التى لها أسماء عربية قديمة أو حديثة تكون أسماء فصائلها عربية، أما التى لها أسماء معربة فتكون أسماء فصائلها معربة، فيقال: الفصيلة الكلبية والضبعية.. الخ أما فى الفصائل المنسوبة الى أسماء معربة مثل: الفصيلة السيكاسية والصقلابية والفوقسية.. وأشباهها فتعرب.

ثالثا: الألفاظ الدالة على الأجناس:

وهى من حيث أصولها قسمان: قسم سمى بأسماء أعلام.. ولا خلاف فى تعريب تلك الأسماء مثل الزهرة المعروفة بـ (دهلية (Dahlia) نسبة إلى عالم سويدى اسمه (دهل)، أما إذا كان لأحدها اسم عربى صحيح أو مولد أو عامى سائغ مشهور فهو يسمى به مثل النبات المسمى بـ (غنداليا (Gundelia) فهو على اسم أحد العلماء، وكان من الواجب الاكتفاء بتعريبه، ولكن لهذا النبات اسما عربيا شهيرا هو (العلوب) لا يجوز إهماله، أما القسم الثانى من الأسماء العلمية للأجناس النباتية فيشتمل على أسماء اشتقت أو اقتبست من اليونانية أو من اللاتينية، ودلت على صفات بارزة لأجناس تلك النباتات، فما عرف له اسم عند القدماء جرينا على استعماله مثل: القمح والشعير والخردل.. الخ أما الأجناس التى لم يعرفها القدماء، وليس لها أسما عربية، فالقول فيها: إذا كان اسمها قابلا للترجمة فى كلمة عربية واحدة مثل جنس الزهر المسمى (فلوكس Flox) فترجمته بالعربية

(القبس) وإذا لم يمكن عرب، والتعريب أصلح من الترجمة إجمالا.

رابعا: الالفاظ الدالة على السلالات والأصناف.

وألفاظها مختلفة قد تكون نعوت أو أرقاما أو حروفا أو غير ذلك، فالنعوت والأرقام كثيرا ما تترجم، أما البقية فتستعمل فى مختلف اللغات بلغاتها.

فصل المقام

أ ـ حد التعريب أهو ضرورة أم قيد؟

تبين مما قلناه أن الباحثين لا يختلفون فى أن التعريب لا مندوحة عنه فى المصطلحات العلمية، ولكنهم يختلفون فى حدوده ومداه، فقرار المجمع لا يستحب الترخص فيه ويستصوب قصره على الضرورة، وبعض هؤلاء يجعل حد الضرورة استعصاء ترجمة المصطلح ترجمة ملائمة بطريق الاشتقاق، والدكتور محمد كامل حسين مع أنه يعتده وسيلة ناجحة فى إيجاد المصطلح العلمي ـ لا يستحب إطلاقه إطلاقا عاما بدون قيد، لكن القيد عنده لا يصل إلى حد الضرورة، وحد القيد وجوب تعريب المصطلحات العلمية الخاصة ذات الأصل الكلاسيكى الدالة على عين من الأعيان أو الدالة على تصور علمى خاص، أو التى تعد جزءا من تصنيف علمى عام، أما الألفاظ العلمية المشتقة من اللغة العامة فيجب ترجمتها.

والخلاف بين هذين الاتجاهين هو ـ بعامة ـ من قبيل الخلاف على أيهما أولى بأن نبدأ به، حيث ينبغى أن نبدأ عند الدكتور الشهابى بالترجمة على حين ينبغى أن نبدأ بالتعريب عند الدكتور محمد كامل حسين.

وفى تلك المرحلة من الحوار المتواصل بين هذين الاتجاهين دعا الدكتور الشهابى الى الفصل بينهما، ولخص القواعد التى ينبغى اتباعها فيما يأتى على التتابع:

١ ـ تحرى لفظ عربى يؤدى معنى اللفظ الأعجمى.

٢ ـ إذا كان للفظ الأعجمى معنى علمى جديد لا مقابل له فى العربية، ترجم بمعناه كلما كان قابلا للترجمة أو اشتق له لفظ عربى مقارب.

٣ ـ إذا تعذر على الناقل الكفء وضع لفظ عربى بالوسائل المذكورة عمد إلى التعريب مراعيا قواعده على قدر المستطاع.

وقد استحسن المجمع تلك القواعد وارتضى أن يلتزم بها فى أعماله، بل أكدها فى عيده الخمسينى، ودعا الباحثين والعلماء إلى النهج عليها.

ب ـ مخاطر التعريب بين المضيقين والمتوسعين:

لم تفلح كل المحاولات التى بذلت فى تعديل قرار المجمع بجواز التعريب عند الضرورة، وبقى القرار ثابتا حتى اليوم، وعلة ذلك ـ فيما اعتقد ـ فى تلك الكلمة الغامضة (الضرورة) لقد اختلف المجمعيون فى معناها اختلافا واضحا، ومع ذلك حرصوا على استبقائها، وكأنهم أرادوا ألا يكون لها معنى محدد، أو يكون لها معنى يختلف باختلاف العصور والأحوال.

وهكذا مضت السنون منذ صدور هذا القرار والكلمة باقية يفهمها كل فريق من المتوسعين فى التعريب أو المضيقين على هواه، لأن كلا الفريقين معتقد بوجود قيد على التعريب، بيد أن القرار ـ مع محافظته ـ لم يطمئن المضيقين تماما، فهم يخشون من طغيان لغة العلم و(هى المرادة بالألفاظ الأعجمية فى القرار) بما تتضمنه من عشرات الآلاف من المصطلحات المعربة على لغة الأدب فيستغلق على الناس بعد حين فهم القرآن والحديث وتراث الآباء والأجداد منذ عهود طويلة من كتب الشريعة والآداب والحكمة والفلسفة. . الخ أما أنصار التعريب والمتوسعين فيه فيقولون إن الألفاظ الأعجمية ـ كثرت أو قلت ـ ليست من مقومات اللغة، واللغات يتميز بعضها عن بعض بتراكيب جملها وبحروف معانيها أى بما اختصت به من قواعد فى الصرف والنحو وأساليب الاشتقاق والقياس. . وغير ذلك.

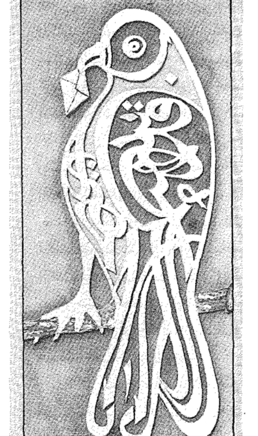
ومع أن استعارة المفردات أى تعريبها ليس من مقومات اللغة بل هو مسألة من خارجها فإن له خطرا

ينبغى التنبه إليه، ذلك أن إقحام الكلمات المعربة فى الكلام العربى من شأنه أن يؤدى إلى بلبلة واضطراب فى رسمها وأحكام هجائها وصحة لفظها وصياغة كلماتها لا سيما حين تتضمن الكلمة أصواتا ليس لها نظائر فى العربية، أو تطول طولا يتجاوز الطول المسموح به فى العربية.

لهذه الأسباب أقول: ينبغى النظر إلى الكلمات الأعجمية على أنها ليست من بنية العربية، ولن تكون بحال جزءا منها إلا إذا خضعت لقواعدها، بيد أن هذا لا ينبغى أن يكون عقبة فى سبيل التقدم العلمى الذى ينبغى أن نندفع فى تحصيله وفى تطويره، وهذا الموقف المتوازن بين مقتضيات العلم ومقتضيات اللغة يلقى عبئا ثقيلا على كاهل العلماء والأدباء واللغويين فى الحفاظ على اللغة ووفائها بمطالب العلوم، ففى نهاية الأمر سوف يطلب إليهم أن يحددوا متى نعرب ومتى نترجم، وأى السبيلين أوفى بالمراد؟.

المراجـــع

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الاعداد: ١، ٥، ١٢، ١١.
(٢) البحوث والمحاضرات دورة ٢٧، ٢٦، ٥٣.
(٣) المصطلحات العلمية ـ د. مصطفى الشهابى.



الترجمة

الترجمة ـ لا شك ـ تمثل صيغة من صيغ التواصل الفكري والثقافي ولقد كان لها دورها في عصر ازدهار الدولة الاسلامية.

ومن ابجديات الترجمة ان يكون «المترجم مالكا للغتين: المترجم عنها والمترجم اليها والثانية اهم بكثير في نظري وفي هذه الحالة فان النص الابداعي لا يفقد اى شيء من ابداعيته لان المترجم الذى يملك اللغة التى يترجم اليها، ويعرف خصائصها، يستطيع ان يعبر بها عن اى مفهوم او فكرة ارادها الكاتب في ابداعه الاصلى».

يتشوه الايداع الاصلى اذا كان المترجم غير مالك لخصائص اللغة المترجم اليها لأنه اذا كان قاموسه اللغوى

فقيرا، أو كانت تراكيب الكلام عنده غير مستوفية، فانه سيكون محصورا فى دائرة مغلقة يصعب عليه الخروج منها، لكنه اذا كان مالكاً لخصائص اللغة ولفنون التعبير باللغة المترجم اليها فانه سيؤدى حتما بكل امانة الابداع الاصلي.

اما في مجال ترجمة الشعر فإنا نجد أن «الصور الشعرية ممزوجة بأفانين الابلاغية العربية التى يتعذر نقلها الى لغة اخرى، لكن هذا ليس وقفا على العربية وحدها بل ينطبق على جميع اللغات، لان المضمون اللغوي لامة من الامم يتضمن كل تاريخها وكل ثقافتها ومن ضمن ذلك ما يسمى بابلاغية الاقتباس. حينما نقول مثلا لا خوف على فلان ولا هو يحزن. قد استعرنا تعبيرا قرآنيا له ابلاغية خاصة يتعذر نقلها الى لغة اخرى لأن هذه اللغة لا تملك هذا المقتبس الخاص بالامة العربية. وهذا موجود في كل اللغات الكاتب الفرنسي الذي يستعير من سجله الادبى الفرنسي، من خرافات لافونتين مثلا او من اشعار فكتور هيغو او غير ذلك يكون قد قصد الى ابلاغ امر خاص بتراث الامة الفرنسية، ولو حاول المترجم ان يترجم ذلك حتى وان وجد له مقابلا فى تراث الامة العربية فلن يكون بالمستوى الابلاغى الذى كان فى الاصل.

من هنا فان الترجمة عمل مضن، وهو عمل ابداعي فى الوقت نفسه لا يظن احد ان المترجم ليس مبدعا. طبعا هو لا يأتى بجديد بالنسبة الى النص الاصلى، لكن ابداعه يتجلى فى تأدية المعنى الاصلى باقرب التراكيب فى اللغة المترجم اليها، وهنا ابداعه».

ونسمع فى أيامنا هذه أصواتا تقول بقصور اللغة العربية عن مسايرة ركب الحضارة، ولكنا نقول فى هذا:

«العربية ليست هى القاصرة، وانما المتكلمون بالعربية المستخدمون للعربية هم القاصرون لانهم ليسوا فاعلين فى الحضارة العالمية اليوم. يوم كان العرب هم الذين صنعوا الحضارة العالمية، كان الغربيون يقتبسون منهم، وكثير من المفردات فى اللغات الاجنبية من اصول عربية وتعترف بذلك جميع المعاجم التى تحترم نفسها.

وحينما اقبل اليوم على الحضارة العالمية وانا بين امرين: إما ان أقتبس بحذافير اللفظة، وهذا مسموح، واما ان انحت الفاظاً عربية تكون فى مقابل الالفاظ الاجنبية الجديدة، لكن هذا الامر الثانى لا يمكن ان يأتى الا بعد مخاضات عسيرة تخوضها الامة على مر الأجيال.

من هنا يجد الانسان نفسه عاجزا عن اداء بعض المفاهيم، لكن من يملك اللغة يستطيع ان يذلل هذه العقبات إما بأن يدخل اللفظ الاجنبى فيجعله بحروف عربية ملائمة قدر الامكان او ان يحتال عليه بما يسمى بالاجنبية «بارافرايز» اى ان تعرف المفهوم باكثر من كلمة، بجملة، او بتفسير خاص وهذا مستحب ايضا.

«ليست العربية هى القاصرة، نحن هم القاصرون».

وما دمنا فى مجال الترجمة فاني اعتقد ان الترجمة تحكمها شروط اليوم منها شروط تجارية، وهى المهيمنة على ما اعتقد. والشروط الاخرى، وهى الشروط الثقافية والحضارية، يجب ان تكون موجهة وهذا فى نظرى المسؤولية تقع فيه على وزارات الثقافة والارشاد، على المجامع اللغوية وهلم جرا.

يجب ان يتم نوع من الاحصاء فى كل مدة زمنية للحاجات الحضارية والثقافية التى يجب ان يسدها العالم العربى وتوظف توظيفا جيدا. تبقى قضية ان نترجم رواية ان نترجم عملا مسرحيا، الى اخره، هذا يأتى فيما بعد لكن الاعمال الحضارية او الفكرية يجب ان توجه لحاجة العالم العربى اليوم الى الاتصال بالثقافة العالمية.

ومن ناحية اخرى يجب ان يهتم العالم العربى بتخريج مترجمين، ان يكون هناك مدارس السن كمدرسة الالسن التى انشأها محمد على واشرف عليها رجل طيب الذكر هو رفاعة الطهطاوى وقد خدمت الثقافة العربية خدمات جلى.

أ. د. عفيف دمشقيه
استاذ اللغة والأدب ـ كلية الاداب ـ الجامعة اللبنانية
«عن الزميلة مجلة الحوادث ـ العدد ٤٨ ـ ٣٠/ ٨/ ١٩٩١م»

تعريب الطب بين العاطفة

- **الدعوة الى تعريب الطب .. لا معنى لها!!**
- **على المجتمع أن يتطور حتى يستطيع أن يطور لغته.**
- **مفهوم التعريب يختلف عن مفهوم الترجمة.**

تذكرت ذلك كله وانا اتابع النقاش الدائر حول موضوع تعريب الطب، وهو نقاش لا يسلط الاضواء على هذه القضية فحسب، بل أيضا على منهجية عامة تسود العالم العربى عند النظر الى مثل هذه الامور الخطيرة التى تهم مستقبل الامة فقد درجت الصحف والمجلات الادبية على فتح موضوعات كبيرة للنقاش ومعالجتها بطريقة عشوائية او عاطفية ثم تركها بدون نتيجة حاسمة او رؤية سليمة ريثما تعود إليها فى مرحلة قادمة، وذلك كى تتكرر الحياة عندنا بنفس نمطيتها الرتيبة وايقاعها الحزين، ولما كان موضوع تعريب الطب من الموضوعات التى تفتح المجال لمناقشة كثير من الامور التى تتعلق بهذه النمطية من العقل، فقد رأيت ان اعالج هذه القضية فى هذا المقال داعياً الذين يهتمون بمثل هذه الامور ان يفتحوا نقاشاً مماثلا، لأن النقاش هو الوسيلة الوحيدة التى يمكن بها ان نطور تفكيرنا وطرق بحثنا حتى نضع الامور فى نصابها بعيدا عن المزايدات والمغالطات التاريخية.

ويجدر بى فى بداية هذا المقال ان اشير الى ندوة نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالاشتراك مع جامعة الخرطوم منذ عشر سنوات، وكان موضوعها تعريب المناهج الدراسية فى الوطن العربى، وكانت الاسباب التى عقدت بها تلك الندوة فى الخرطوم معروفة، ويأتى فى مقدمتها ان مدارس التعليم العام فى السودان كانت تدرس المواد المختلفة باللغة الانجليزية حتى جاء الدكتور محى الدين صابر واعلنها حرباً شعواء على اللغة الانجليزية فقضى عليها تماما فى السودان واحل مكانها اللغة العربية وكان المنطق فى الثورة على اللغة الانجليزية فى السودان هو القول بأن الطلاب يكونون اقدر على التحصيل بلغتهم القومية منه باللغة الاجنبية، كما ان متطلبات السيادة القومية تدعو الى ان تكون اللغة القومية هى الاساس الذى تدرس به العلوم، ولا شك ان هنالك كثيرا من الاسباب العاطفية والموضوعية تدعو الى مثل تلك القرارات، ولكن اتخاذ تلك القرارات الحاسمة يجب ان يكون اساسه الرؤية الشاملة والصحيحة، بحيث لا يصبح الاتجاه نحو التصحيح وسيلة للهدم فى النواحى الأخرى لا سيما واننا نعيش فى عالم مترابط فيه كثير من الحقائق التى يجب ان نعترف بها بعيدا عن العاطفة والانفعال.

ولا أريد فى الواقع ان استرسل فى النقطة التى انتهيت اليها، قبل ان اضع بعض الحقائق فى اطارها السليم، وخاصة فيما يتعلق بتلك الندوة التى نظمتها هيئة دولية كان المفروض ان تكون على إدراك تام بحقيقة توجهاتها.

لقد وضح تماما بعد ان تابعت البحوث التى القيت فى تلك الندوة والنقاش الذى دار حولها، ان الندوة لم تستطع ان تحدد على وجه الدقة ما المقصود بمفهوم التعريب، وقد بدا واضحا ان التعريب عند الكثيرين هو نظير لمفهوم الترجمة، وقد ذهب انصار هذا الاتجاه الى ضرورة تشجيع عملية الترجمة ودعم المراكز المتخصصة لها، كما عنى مفهوم التعريب عند طائفة أخرى محاربة اللغات الاجنبية واعتبارها وسائل للغزو الثقافى والسيطرة الاستعمارية، وعنى عند طائفة ثالثة وسيلة يتمكن بها الطلاب الكسالى من تحصيل العلوم التى لا يستطيعون تحصيلها بلغات أخرى. ولقد اتفق الجميع فى نزعتهم العاطفية نحو اللغة العربية بأنها لغة قادرة على حمل العلوم والتكنولوجيا وانها اكثر لغات العالم قدرة على ذلك، وقد اثبتت ذلك بالتجربة القاطعة خلال العصر العباسى،



ـة والمتطلبات العلمية

بقلم: د. يوسف نور عـوض

ونحوتلك من الامور التى تدل على الابتذال الفكرى والجهل بعلوم اللغة الحديثة اكثر مما تدل على أي شيء اخر، وحقيقة الامر هي ان قضية التعريب ليست حرباً شعواء بين اللغة العربية وغيرها من لغات العالم، او بين الثقافة العربية وغيرها من ثقافات العالم، وإنما قضية التعريب تعني ببساطة وبعيدا عن اهدافها الاجتماعية والسياسية، القدرة على استخدام اللغة العربية واذا ادركنا مفهوم التعريب من هذا المنظور علمنا ان التعريب لا يقتصر على الترجمة، أو على محاربة اللغات الاجنبية، أو الدفاع عن اللغة العربية ومكانتها العالمية وانما يأتي فى مقدمته قدرتنا على استخدام اللغة العربية ذاتها، ولقد ذكرت فى اكثر من مقال سابق ان الانسان العربى هو الوحيد في العالم الـذي لا يستـطيع ان يستخدم لغته استخداما صحيحا بدليل ان الذين يستخدمون اللغة العربية الفصحى استخداما صحيحا فى العالم العربى هم اقلية الأقلية، وليس ذلك لأننا نستخدم اللغات الاجنبية اكثر من اللغة العـربية، وانـما بسبب الـواقع الاجتماعى للغة العربية ذاتها وعدم قدرتنا على بلورة طريقة او منهجية متكاملة لتدريسها وتعلمها وسوف أعود الى هذا الموضوع بعد قليل وذلك بعد ان اعرض الى موضوع تعريب الطب من خلال هذا الاطار العام الذي تعرضت اليه قبل قليل.

ويبدو واضحا أن النزعة الى تعريب الطب فى الوقت الحاضر لا تنطلق من رغبة صادقة فى جعل اللغة العربية واحـدة من اللغات التى يمكن أن يدرس بها الطب، وانما ناتجة عن الرغبة فى التسهيل، اذ المعلوم أن معظم الطلاب الذين يدخلون الى كليات الطب فى الجامعات العربية فى الوقت الحاضر لا يتقنون اللغات الاجنبية وفي مقدمتها اللغة الانجليزية، وذلك بسبب ضعف تدريس اللغات فى المرحلة الثانوية، ولذلك فهم يجدون صعوبة فى مواصلة دراستهم العالية فى الطب باللغات الاجنبية، وبدلا من ان يفكر المسئولون فى تطوير تعليم اللغات الاجنبية فى المدارس العربية، فهم يتجهون الى الحل الاسهل وهو مخاطبة عواطف الناس بأن اللغة العربية قادرة على تعليم العلوم الحديثة، وهى كلمة حق أريد بها باطل، ويستشهد هؤلاء بالتجربة التى تمت فى جامعة دمشق حيث يدرس الطب باللغة العربية مع ذكر المصطلحات باللغات الاجنبية، ويذهب هؤلاء الى ان الطلبة اصبحوا يفهمـون الـطب بهذه الـطريقـة خيرا من رصفائهم فى الجامعات الاخرى، ولا أدري ما هي الأسس العلمية والموضوعية التى استند اليها هؤلاء فى الوصول الى مثل هذه النتيجة؟

ومهما يكن من أمر فلا أريد لأحد ان يسيء مقصدى من هذا المقال، وإنما اريده ان يكون موقفا حاسما من العبث الذى اصبحنا نمارسه فى حياتنا الفكرية وبالتالى فإنى أود أن الخص موقفي من هذه القضية فيما يلى:

أولا: مفهوم التعريب يختلف عن مفهوم الترجمة وعلى الرغم من أن الترجمة شيء مهم، فهي لا يمكن ان تغني عن تعلم اللغـات، لانـه من الافضل للناس ان يتعلموا اللغات التى ينفتحون بها على الثقافات الاجنبية من ان يترجموا، وذلك لأن المعرفة تتضاعف كل عامين، ولا يمكن اللحاق بها عن طريق الترجمة، واما التعريب فهو قدرة العرب على استخدام لغتهم ويتطلب ذلك تطوير أساليب تعليم هذه اللغة سواء أكان ذلك لخدمة أغراض الطب أم غيره من العلوم.

ثانيا: الاتجاه العاطفي فى عرض قضية التعريب لا معنى له، لأن اللغة العربية كسائر اللغات قادرة على التعبير عن أي موقف علمي أو غير علمي ولكن اللغة وحدها لا تغني عن تطور المجتمع. وانما ينبغى على المجتمع ان يتطور حتى يستطيع ان يطور لغته.

ثالثا: الدعوة الى تعريب الطب لا معنى لها وذلك لأن العرب لا يملكون زمام المبادرة في مجال الطب فى الوقت الحاضر، وإنما هم يعتمدون على التطور الاجنبي فى هذا المجال. وخير من ترجمة الكتب وتعريبها أن يتعلم العرب اللغات الاجنبية التى تمكنهم من الاتصال بالمعرفة الاجنبية والتطور الاجنبى فى هذه المجالات الدقيقة وبدلا من ان نطالب دارسى الطب ان ينكفئوا على اللغة العربية فنحن نطالبهم بأن يتعلموا مزيدا من اللغات حتى يتم لهم التواصل الدولي، ويجب ان يصبح تعليم اللغات الاجنبية مثل الروسية واليابانية والفرنسية جزءا لا يتجزأ من برامج كليات الطب العربية، واذكر ان العلامة السوداني الدكتور التيجانى الماحي كان يقول اذا طلب إلى ان اطور كليات الطب فى السودان، فسوف اطالب بإدخال اللغات الاجنبية ومادة التاريخ الدولى.

رابعا: يجب ان يكون المعيار فى الحد الأدنى المطلوب فى مستوى كليات الطب العربية هو الحد الأدنى فى المستويات العالمية، اذ من المخجل أن الطلبة الذين يتخرجون بالامتياز فى كليات الطب العربية يفشلون فى نجاح امتحان (المصيدة) الذى يؤهل لممارسة الطب فى دولة مثل بريطانيا.

ولا شك ان مسألة التعريب المثارة بالنسبة لكليات الطب فى الجامعات العربية تؤثر على سائر الاقسام فى تلك الجامعات، إذ من المخجل ان يكون لدينا رجال يحملون درجات الدكتوراة بدرجة ممتاز ويجهلون اللغات الاجنبية، ان كل ما نحتاجه في هذا الامر وغيره هو مزيد من المسئولية والاهتمام وعدم مخاطبة الناس بالعواطف الفارغة، لأن هذا هو السبيل الوحيد للنهضة، إذ لا تنهض الامم بالألقاب الجوفاء والرضا الزائف عن النفس.

أساطين اللغة

ابن الانبارى، ابو البركات عبد الرحمن بن محمد

(١١١٩-١١٨١) نحوى، ولد بالأنبار، ومات ببغداد، درس على الجواليقى وابن الشجرى بالمدرسة النظامية، ثم درس بها، وانقطع للعلم والعبادة فى بيته آخر عمره، ألف فى النحو واللغة والتاريخ، واشهر كتبه «الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين»، و«نزهة الالباء فى طبقات الأدباء» يريد النحويين، و«الاعراب فى جدول الاعراب»، وله «أسرار العربية» و«الميزان فى النحو»، و«عمدة الأدباء فى معرفة ما يكتب بالألف والياء» و«الجوهرة فى نسب النبى واصحابه العشرة»، واللمع فى صنعة الشعر» و«الفائق فى اسماء المائق»، و«تاريخ الانبار»، وغيرها.

ابن الانبارى، القاسم بن محمد

(. . . - ٩١٧) لغوى من أهل الأنبار، سكن بغداد وكان صدوقا أمينا، ألف «خلق الانسان» و«خلق الفرس» و«الامثال» و«المقصور والممدود» و«المؤنث والمذكر» و«غريب الحديث» و«شرح السبع الطوال» و«شرح المفضليات» وهو الكتاب الوحيد المطبوع.

ابن الانبارى، محمد بن القاسم

(٨٨٤ - ٩٤٠) لغوى، ولد بالانبار، ومات ببغداد، أخذ عن ثعلب، واشتهر بالصدق وكثرة ما يحفظ من الشعر، ألقى محاضراته فى المسجد الذى كان أبوه يلقى فيه، فكانت حلقتاهما متجاورتين، ادب أولاد الخليفة الراضى، الف «الأضداد» والزاهر فى معانى كلمات الناس» و«غريب الحديث» و«المذكر والمؤنث» و«المشكل» و«عجائب علوم القرآن» و«الرد على من خالف مصحف عثمان بن عفان» و«الجاهليات»، و«شرح معلقة زهير» و«شرح معلقة عنترة»، وغيرها.

التعريب والمعاصرة التكنولوجية



بقلم: أ.د. محي الدين صابر
المدير العام (سابقاً) للمنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون

• خلق شخصية إبداعية عربية لديها القدرة الذاتية على انتاج العلم وصناعة التكنولوجيا.. هدف أساسي من أهداف التعريب.

• اللغة بالنسبة للمعرفة هي الأرض التي تستنبت فيها التعريب في المستوى المباشر.. يعني سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي.

ينطوي هذا الموضوع على طائفة صالحة، من المفاهيم، في مجالات مختلفة، ويستدعي تناولها، قولا طويلا، حول التعريب مفهوما وأنواعا، ومجالات ومناهج، ووسائل، كذلك فلابد من الحديث فى سياق المعاصرة التكنولوجية عن التنمية في أشكالها المختلفة، مفهوما وممارسة، أهدافا وأساليب، وعلاقات، ومعقبات، وان كان عرض هذا كله، من تمام منهجية التناول، فان طبيعة الموقف، وحجم الوقت لا يأذنان به، ولا يتسعان له.

■ والقضية التى نتحلق حولها اليوم، هي في الحقيقة، قضية رئيسية، من قضايا العصر، ومدخل جوهرى لاقتحام مجال التقدم الاجتماعي، عن طريق المعاصرة التكنولوجية بامتلاك القدرة الذاتية على صياغة امكانات المجتمع العربي، في صورة من اشباع حاجاته المادية والروحية والاجتماعية، في سياق المعاصرة المبدعة، مشاركة وانتاجا وارتفاقا من موقع الاصالة المتجذرة في القيم العربية الاسلامية، فى مكوناتها ومقوماتها، وفي ابعادها في جانبى السعى الانساني من المزاوجة العضوية، بين العلم والعمل، ومن دعوة اليهما قائمة، في تفتح ورشد الى النظر الى الطبيعة وتسخيرها، انتفاعا منها، وتوظيفا لها في توسيع مجالات الحياة، واكتشاف قوانينها الطبيعية، والقضية منظور اليها، بمثل هذا التصور، تعرض مشكلة ومشكلات ليس أكثرها شأنا، هو كيف السبيل الى هذا؟ وليس اقلها شأنا، هو أنه اذا تحقق هذا فعلا، فكيف يمكن أن يتم تكيف صحى، بين الاهداف العليا للمعاصرة، وللاصالة المتجذرة وان تصوغ بين ذلك نموذجا عدلا ومبتكرا لإشكاليات التباين القمي للحضارات؟.

على ان هذا الطرح ضرورة لاستكناه آفاق الموضوع، الذى يصب في عاقبة الامر فى التحدى الاجتماعي، لعملية التنمية، والمعاصرة التكنولوجية بمعنى واضح، ولقد أصبحت هذه القضية على اهميتها، تعرض بسهولة مفزعة، الى الالسنة والاقلام، في معادلة يسيرة هي تحقيق الاصالة والمعاصرة.

والواقع أن هناك مشكلات حقيقية بعضها سياسي واقتصادي وبعضها فني واجتماعي وكلها بصفة عامة حضارية.

ان مثل هذا المدخل، مما يعين على عرض طرفي الموضوع التعريب والمعاصرة، ابرازا للصلة الواشجة بينهما ثم تصورا لحلول ممكنة اجتماعيا.

التعريب:

لعل اللغة ان تكون اهم الاختراعات الاجتماعية التى تميز بها الانسان فيما تميز به، عن سائر الاحياء التي تقاسمه الوجود على الارض فقد كانت وسيلته الى كل ما انجزه من تراث وما أبدعه، ويبدعه من حضارة وبها تمايزت المجتمعات البشرية، وبها تعارفت وتعاملت وتبادلت الخبرات، وان الامم والشعوب التاريخية والمعاصرة ترجع فى تكوينها أساسا الى رابطة اللغة. ووظيفة اللغات تتعاظم يوما بعد يوم، مع التقدم البشرى. وفي الحضارة المعاصرة حضارة الثورة العلمية والتكنولوجية، حضارة الاتصال والمواصلات يفوق دور اللغة كل دور جوهري كان لها، على خطر ذلك الدور فى التاريخ فالكلمة اليوم أكثر سيولة وأبعد مسارا وأوحى حركة عن طريق الاتصالات الاليكترونية عبر الفضاء، فهي تلف أطراف الارض في أقل وحدات الزمن حسابا.

على أن اللغة بعد ذلك، ليست رموزا ومواصفات فنية وحسب، ولكنها الى جانب ذلك، وفي الاساس منهج فكر، وطريقة نظر وأسلوب تصور هي رؤية متكاملة تمدها خبرة حضارية متفردة، ويرفدها تكوين نفسي مميز، فالذى يتكلم لغة ما، يفكر بها، فهي تحمل في كيانها تجارب أهلها وخبرتهم وحكمتهم وبصيرتهم وفلسفتهم في الحياة، فهي وسيلة تفكير، كما هي وسيلة تعبير.

واللغة العربية هيئت لتكوين لغة عالمية، فخرجت على الناس فى صورتها الحضارية، وهي تحمل في ذاتها حجة انتشارها، ووثيقة خلودها، وتنطوي انطواء ذاتيا على الذيوع، ذلك أنها مستودع كلام الله القرآن الكريم، كتاب الاسلام الذى لا يعبد الله مسلم الا به وهكذا تنفرد اللغة العربية، بين اللغات القومية، بأنها لغة كل مسلم وها هى ذى تعود اليوم، بعد أن قاومت كل عمليات الحصار، لغة عالمية في المحافل الدولية، مواصلة عطاءها الفكري واشعاعها الثقافي. قادرة على استيعاب المكتشفات العلمية والتكنولوجية، كما فعلت فى التاريخ الحضاري، حين حملت تراث الحضارات القديمة، وتمثلتها، وأضافت اليها وقدمتها للعالم، وحين كانت هي لغة العلم والثقافة وحين كانت الجماعات العربية فى أوروبا فى طليطلة وفى سالرنو هي ملتقى الفكر المتجدد، والمبتكر فى المجالات الفلسفية والعلمية، وحين كانت تلك العلوم تدرس فى الجامعات الاوروبية باللغة العربية، التى كان العلماء الاوربيون يرون أنه لا يمكن دراسة تلك العلوم الا بها.. وسوف ترد فى سياق هذا العرض امكانيات اللغة العربية، على مواصلة دورها الحضاري وقدرتها على استيعاب كل معرفة انسانية، وكل تجربة عملية، والتعبير عنها، بفضل آلياتها الذاتية المرنة.

■ وحين نقترب هكذا من قضية التعريب يكون السؤال المشروع حينئذ ما التعريب فى الواقع العربى المعاصر؟

وللتعريب عموماً، جوانب فنية واجتماعية وقومية وسياسية فقد يتداخل مفهوم التعريب، مع مفهوم الترجمة فتعرض قضايا فنية حول طبيعة اللغة وطاقاتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية، وحول اعداد المترجمين وتدريبهم الى غير ذلك، وفي هذا الاطار تكون قضية التعريب قضية علاقات فكرية وثقافية مع اللغات الاخرى قضية عربية أجنبية.

وقد يعني التعريب دعم الوجود العربي، والوحدة القومية، يعني قضية عربية عربية، بمعنى التصدى لقضايا شمولية استعمال اللغة العربية فى الوطن العربى نفسه على المستوى الجغرافي والقطاعى وبخاصة فى التعليم والبحوث والادارة، فقد يعني التعريب قطاعا من قطاعات المعرفة كتعريب العلوم الطبيعية والرياضية، والحيوية.. الخ، بنقلها من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية، وقد يعني تعريب

مؤسسات تربوية كتعريب مناهج التعليم العام، في بعض البلاد العربية او تعريب مناهج التعليم الجامعي والعالي ومراكز البحوث العربية في كل البلاد العربية تقريبا، وقد يعني التعريب توحيد المصطلح العربى والاتفاق على مصطلح واحد لكل مفهوم، في مختلف جوانب المعرفة العلمية والتكنولوجية، وسائر أنواع المناشط الثقافية والفنية والسياسية والاجتماعية، بحيث تكون هناك مصطلحات موحدة معتمدة وممارسة على امتداد الوطن العربى.

وقد يعني التعريب، تعريب لغة الادارة الرسمية بما فى ذلك أنواع النشاط المالي والتجاري والاقتصادي وقد يعنى التعريب تعريب لغة التعليم والمجتمع معا، أو على الاقل جعل اللغة العربية لغة تفاهم ممكن شعبيا، الى جانب اللغات المحلية، وذلك فى بعض الدول العربية انتماء وتاريخا ومصيرا وهي اعضاء فى جامعة الدول العربية ولكن للغة العربية فيها وضعا خاصا، هو من صنع التسلط الاجنبى الذى استلب ذاتياتها الثقافية، وفرض عليها لغته. لغة رسمية وثقافية.

والتعريب من ناحية اخرى قد يعني كل ما يستوعبه المجتمع العربي ويضعونه فى نسيج حياته، مما يتلقاه بأي صورة من صور التلقي الفكري والمادي والاجتماعي، من اهداف وقيم ووسائل، والانطلاق منه كواقع جديد للتفاعل الجدلي، انتاجا وعلاقات اخذا وعطاء وتأثيرا وتأثرا وبصفة عامة من رؤية متكاملة للحياة وقدرة ذاتية على ممارستها.

فالتعريب فى هذا السياق يساوى التفتح العربى على الحضارة العالمية اكتسابا للقدرة الذاتية وذلك عن طريق التعاون البصير لمصادر القدرة العالمية واستيعابها وعضويتها في الحياة العربية حتى لا يكون التعاون تقليدا عقيما وجمعا بين الماء والزيت وضما بين المتناقضات من الافكار والاشياء وتعميقا للتبعية وتوثيقا لها.

■ فالتعريب في المستوى المباشر الذى يعني سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربى، بما يوحد المشاعر العربية ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها، عامل جوهري في الخروج من دائرة التخلف السياسي المتمثل فى التجزئة الى حرية الوحدة العربية فى الصورة التى تؤصل دور الامة العربية التاريخى والمصيرى.

اما التعريب في معناه الاكثر شمولا، فيعطى لهذه الوحدة مضمونها الحضارى المعاصر، ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من انواع التبعيات الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية.

وهكذا يتحقق بالتعريب هدفان أساسيان فى سياق المعاصرة الايجابية معاصرة المشاركة المنتجة، لا معاصرة الاستهلاك والتقليد.

أما الهدف الاول فهو خلق شخصية ابداعية عربية تتملك القدرة الذاتية على انتاج العلم وصناعة التكنولوجيا، وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها، ولكن ايضا المناخ العلمى الذى يستدعى عددا من الظروف المواتية لتملك القدرة الذاتية، وهي ظروف متعددة الجوانب فمنها ما هو سياسى، وما هو تشريعى وما هو تنظيمى، وما هو اجتماعي، وما هو مالي، وما هو فى الاساس علمى.

أما الهدف الثانى فهو القدرة على المشاركة وعلى التفاعل من منطلق متميز ذلك أن التبادل لا يكون بين الاشياء المتماثلة فالتماثل اضافة كمية وليست نوعية فالتكنولوجيا وان كانت بطبيعتها العلمية المعيارية نمطية ولكنها أيضا تخضع للتخصص والابداع فهناك التكنولوجيا الاوروبية واليابانية والروسية والصينية... الخ.

وهكذا يمكن للامة العربية أن تسهم فى الحضارة العالمية المعاصرة متجاورة عقبات التخلف، بضم قدراتها البشرية والعلمية والمادية واستنبات علمها عربيا وتوحيد استراتيجيتها تنمويا وأن تضع تكنولوجيا عربية وهنا ننتقل الى القاء نظرة قصيرة الى المعاصرة التكنولوجية.

المعاصرة التكنولوجية:

واعطاء صورة قريبة ومتكاملة عن المعاصرة يقتضى التعرض لظاهرتين هما وجها عملة احداهما

الحضارة الوعاء الفكري والاجتماعى لتلك المعاصرة والاخـرى هي التنمية وهي وسيلة تلك الحضـارة وتجسيدها التاريخى .

فالحضارة هى الفارق النوعي بين الانسان وسائر الاحياء والقول فى طبيعتها ومقوماتها طويل، ولكنها فى آخر تحليل رؤية مجتمع ما الى الحياة وقدرته أيضا على التعامل معها فالحضارة بهذا المعنى تنطوي على القيم والسلوك، وانـماط العـلاقـات والضـوابط والمعـايير الاجتماعية والمهارات الفنية او كما يقول دور كهايم هى «مجموعة مترابطة من انماط العمل والتفكير والشعـور، تؤلف الادوار التى تحدد أنـواع السلوك المتوقعة من الاشخاص» وهو الامر الذى يجمله ادوارد تايلور في تعريفه الشامل بأن الحضارة هى ذلك الكل المعقد الذى يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والاخلاق والقـانـون والتقـاليد وكـل القـدرات التى يكتسبها الانسان بوصفه عضوا فى مجتمع» والمقام هنا لا يتسع لسرد القضـايا الاكـاديمية حول المفـاهيم فى هذه القضية والفروق بين الحضارة والمدنية واكتفى بما يقوله ماك ايفر، أن الحضارة هى ما نحن، والمدنية هى ما نستعمل.

■ ولقد تميزت الحضارات عضويا، باعتبارها رؤية، أي فلسفة، وقدرة أي ممارسة بأنها نسبية وهكذا فقد كانت لكل مجموعة متجانسة من البشر مهما جلت أو دنت حضارتها التى تمثلت فى قيمها العليا وخصائصها الاجتماعية وعقيدتهـا ولغتهـا ومهـارتهـا وفنـونها وتنظيماتها. . . الخ .

التعريب والمعاصرة التكنولوجية:

التعـريب بشقيه اللساني والاجتماعى هو سبيل التفـاعل العربى مع الخبرات الانسانية الاخرى فى مختلف مجالات الحياة. . وهو المدخل اليها. . فاللغة أي لغة تبقى الوسيلة التاريخية للتواصل الاجتماعي والاداة الاساسية للتفكير والتعبير.

ومن هنا فان الامة العربية، مدعوة وهي تواجه فى مسـيرتها الحضارية مسؤولياتها القومية والعالمية، الى امتـلاك ادوات التقدم، تلك التى تتمركز في صنع القـدرة الذاتية التى تتجاوز بها الاثار السلبية التى خلفها الاستعمار وتقتحم بها آفاق المشاركة الايجابية والابداع الحضاري فى حركة العصر.

والسبيل الى ذلك مرة أخرى هو الانسان الذى يتلقى علوم العصر بلغته يتعلم ويعلم ويبحث بها، حتى يكـون ذلـك اغنـاء للثقـافـة العـربية بين المتخصصين وبين المتعلمين وبين جماهير الشعب بما يوسع من قاعدة المشاركة وصنع الوعي بالتقدم ودعم الشعـور بالحاجة اليه والاسهام فى تطويره وهذا هو الطريق الذي اتخذته الدول المصنعة كلها في مواجهة الـطبيعـة وفى تغيير العـلاقات بين خصائصها وبين قدرات الانسـان. . فاللغـة هي بالنسبة الى المعرفة الارض التى تستنبت فيها ولا تثمر شجرة المعرفة الا في تربة اللغة أي لغة.

ومن هنا كانت جنسية الفكر هى اللغة دون النظر الى الجنسية العرقية أو السياسية للمنتج فكل ما يكتب وكتب في اللغة العربية هو ابداع عربى وتراث عربى والامثلة على ذلك كثيرة فى آثار كبار فقهائنا ومحدثينا ومفكرينا وفلاسفتنا وشعرائنا وكتابنا ويستحضر كل منكم عشرات الامثلة فالجاحظ مثلا وهو أعلى الادباء قامة فيما اورث من بيان وحكمة لم يكن عربيا بالعرق ولكنه نشأ فى تربة الثقافة العربية ولدينا من الكتاب من كتبوا بلغتين فما كتبوه بالعربية عد من تراثها وما كتبوه باللغات الاخرى عد من تراث تلك اللغة.

وان ما يكتبه الافارقة والاسيويون والعرب وغيرهم فى اللغات الاجنبية انما هو اغناء لفكر تلك اللغات ومحسوب عليها وهكذا فان عشرات الالاف أو مئاتها من الابحاث والدراسات التى أعدها ويعدها أبناؤها من المثقفـين والعلماء العـرب من أطـروحـات في جامعات العالم لا يعد منها، وآسفاه، شيء من الفكر العربى الا ما عرب منها وهو قليل قليل.

ومن هنا فان الدعوة الى تعريب المجتمع فى سياق المعاصرة تفترض فى الاساس تعريب المعرفة المعاصرة والتكنولوجيا وسبيل ذلك هو تعريب لغة العلوم ولغة البحوث العلمية ومجال ذلك هو المؤسسات التعليمية

فى كل مراحلها من التعليم الأساسي، والتعليم العام والفني، الى الدراسات العليا في الجامعات والمعاهد العليا ولا يعنى هذا انغلاقا عن العالم ولا انكفاء على الذات فيما يتصل بتعليم اللغات الاجنبية في صلب المناهج الدراسية ولا بانشاء مدارس لغات ولا بالتخصص فيها وينبغي الا يخلط بين معرفة لغة أجنبية وبين التعليم القومى بلغة أجنبية فهذا أمر لا نظير له الا فى الدول التى استلبت لغاتها الوطنية وحلت محلها لغة المستعمرين وخاصة فى مجال التعليم كما هو الحال فى كثير من الدول الافريقية وبعض الدول الاسيوية، ومع هذا، فان المنظمات العالمية المتخصصة كاليونسكو ما تزال تدعو الى ضرورة التعليم باللغة القومية وهناك جهود تبذلها بعض تلك الدول فى هذا المجال، نذكر تنزانيا التى تعتمد اللغة السواحيلية تعليما وادارة.

صحيح أن هناك بعض العوائق السياسية المصطنعة مثل أن يكون فى تلك الدول عدة لغات محلية متنافسة فتصبح اللغة الاجنبية هى الحل والواقع ان تقسيم تلك الدول بهذه الطريقة هو أمر دبرته الادارات الاستعمارية قبل الاستقلال لاثارة مثل هذه القضايا فترتبط تلك الدول بها الى آخر الدهر، وقد تكون هناك أسباب تاريخية لان بعض هذه اللغات لم تعرف التدوين ولا الكتابة، وان اكثرها كانت تكتب بالحروف العربية التى حوربت بشراسة وحجبت الاجيال الجديدة عن تاريخها الثقافى، وبدأت كتابة تلك اللغات الاسلامية بالحروف اللاتينية وطويت صفحات القرون من الثقافة الافريقية العربية الاسلامية الى جانب أن هناك صلة بين النشاط التبشيري والتعليم فى تلك الدول.

على ان هذا كله لا ينطبق على الامة العربية ولا على لغتها الراسخة ولم يستطع الاستعمار رغم ضراوته وتعدد وسائله ان يقهر اللغة العربية في أي موقع عربى وأن انتصار اللغة العربية فى الجزائر ومقاومتها لكل أنواع الغزو اللغوي الضاري فى خلال مائة وثلاثين عاما يبرز قدرة اللغة وطاقتها وها هي ذى الجزائر فى فترة وجيزة تستعيد لغتها وتعرب تعليمها فى كل المراحل فسبقت بذلك أقطارا عربية أخرى لم تمر ببعض ما مرت به.

■ هنالك سعي للاستعمار قديم لعرقلة الحضارة العربية فهو لم يستطع مواجهة اللغة العربية خاصة في المشرق العربى فعمد الى عزلها من الحياة المدنية وضيق على أهلها فى فرص الحياة حتى أصبح استعمالها وقفا على بعض الوظائف الدينية الصغيرة وعلى تدريس اللغة العربية وكان مدرس اللغة العربية بين بقية مدرسي المواد الاخرى فى وضع لا يتفق مع مدرسي الثقافة القومية تلك المادة التى هي موضع اعتزاز وتشريف فى الدول الاخرى ومع هذا فقد استطاع الوعي العربي ان يهدم هذا الحائط النفسي وأن يعرب التعليم العام وجزءا من التعليم العالي ونشطت الدراسات العليا باللغة العربية فى كثير من الجامعات العربية في مختلف مجالات المعرفة.

وانه بعد ذلك لامر طبيعي اجتماعيا، أن تكون لدى المجتمعات النامية عقدة التخلف وأن ينظر الى «الخواجا» المستعمر القديم والمستتر الجديد فى صورة اخرى نظرة اجلال وتقدير فهو المتفوق المتحضر وانعكس هذا على ما يمثله من قيم وما يقوم عليه من مؤسسات فما نزال نفرق بين المستورد والمحلي في السلع ونفرق بين من أكمل دراساته العليا وحصل على درجة علمية من الجامعات الاجنبية مع أن الاكاديميين يعرفون الفرق بين الجهد المبذول هنا وهناك. هذا الاتجاه السلبى من الامور العامة التى ينبغي ان يكون فى اعتبار الحكم على هذه القضية والى جانب هذا هناك أسباب أخرى أدت الى عدم تعميم التعريب في كل المراحل وفي كل القطاعات فما هي تلك الاسباب؟.

■ بدأ التعليم المدني الحديث، قبل دخول الاستعمار في بعض الدراسات، وبدأت باللغة العربية على ضعف امكانات الترجمة حينئذ وعلى سبيل المثال فان دراسة الطب بدأت في كلية القصر العيني في القاهرة في العشرينيات من القرن الماضى عام ١٨٢٦ وظلت تخرج الأطباء ستين عاما، حتى اذا غزا البريطانيون مصر عام ١٨٨٢ غيروا لغة التعليم فيها الى اللغة

الانجليزية عام ١٨٨٧ وكذلك الحال في مدرسة المهندسخانة التى أخرجت عظماء المهندسين الذين أشرفوا على تصنيع مصر، في عهد محمد على الكبير، بل ان الكلية الامريكية بدأت في بيروت دراستها باللغة العربية ولعل سوريا من الاقطار العربية القليلة، فى القرن العشرين التي بدأ التعليم العالي فيها معربا وذلك منذ عام ١٩١٩ حتى اليوم وفي كل فروع العلوم والتخصصات بقدرة ونجاعة والى جانب ما أسلفنا من الاطار السلبى العام هناك أسباب ذات طبائع مختلفات تعمل في الاتجاه المعاكس وتحول دون التعريب الكامل لمراحل التعليم ولقطاعاته أو تعرقل الاسراع به، ومنها:

أولا: ضعف تعليم اللغة العربية وتملك مهاراتها في برامج التعليم العام وذلك لكثرة المواد التعليمية، التى يتعرض لها الطلبة لاتساع ميادين المعرفة من ناحية ولاعتبار اللغة العربية مادة من بين المواد الاخرى وفي هذا السياق فانه ينبغى ان يشار كذلك الى ضعف تكوين مدرس اللغة العربية نفسه، وعدم تمكنه من أصولها وينبغي أن يضاف الى هذا تدريس المواد كلها بما فى ذلك مواد اللغة العربية نفسها باللهجات العامية، وعدم الالتزام بالتحدث باللغة الفصحى كذلك فان اختفاء شكل أواخر الكلمات أو ضبط الكلمات الصعبة من شأنه أن يعين على تفشي اللحن على لسان المدرس والتلميذ معا.

ثانيا: الانفصام القائم بين المواد العلمية والادبية وفي مقدمتها اللغة فالطلبة الذين يتهيأون فى الاقسام العلمية فى التعليم العام يدركون أنهم لن يحتاجوا الى اللغة العربية في مواصلة تعليمهم الذى سوف يكون باللغة الاجنبية فى التعليم الجامعى والعالى فى معظم الحالات.

ثالثا: تكوين القيادات العلمية واعدادهم باللغات الاجنبية مما يسهل عليهم ان يعلموا كما تعلموا ومن المفارقات أن طالب العلوم يدرسها فى الجامعة باللغة الاجنبية وكان قد درسها فى المرحلة الثانوية بالعربية ويعود مدرسا فى نفس المرحلة ويدرس بالعربية بدون صعوبة بينما يرفض ذلك فى الكليات.

ومما له صلة باعداد القيادات في اللغات الاجنبية موضوع هجرة العقول فالامة تفقد بذلك مرتين مرة فى لغتها وتقدمها العلمى ومرة في أبنائها الذين اعدتهم ثروة علمية لها.

رابعا: الرغبة فى التميز واحتكار المعرفة بين فئة من المتخصصين يتحاورون فيما بينهم بينما المجتمع محروم من نتاج نشاطهم العلمى الذي يمارس بلغة اجنبية فيصبح رصيدا لها لا رصيدا للشعب الذي انفق على اعدادهم ولا الامة التى هى الى خبرتهم فقيرة.

خامسا: التجزئة القومية الامر الذى يؤدي الى تعدد المناهج والتشريعات والامكانات والقدرات والاختناقات فى مجال التعليم والبحوث وفى مجال الانتاج الثقافى والفنى بعامة.

سادسا: فوضى الاستعمال اللغوي وبخاصة فى مجال توحيد المصطلح العربى وصعوبة ضبط الاستعمال اليومي، وهذه الظاهرة التى تتصدى لها المجامع اللغوية والعلمية والمنظمات القومية والجامعات ومراكز البحوث العربية هى نتيجة للتجزئة وتعدد النظم والتشريعات.

سابعا: يضاف الى هذا كله النشاط الخارجي المكثف للدول الاجنبية، ذات المصالح السياسية والاقتصادية والتى تتوسل اليها باللغة والثقافة لتعويق عملية التعريب بانشاء مؤسساتها التعليمية فى البلاد العربية وقد يلقى مثل هذا اللون من النشاط ترحيبا فى بعض الاوساط ومن الملاحظ أنهم يركزون على تعليم الفتيات العربيات حتى يدفعن اولادهن الى حب اللغة التى تعلمنها وهي سياسة عندهم قديمة وثابتة الى جانب السخاء فى المنح الدراسية وتقديم المعونات الفنية فى صورة اجهزة ومعدات او في صورة

أساتذة وخبراء.

هذه لمحة عابرة عن المعوقات التى تحول دون تعريب التعليم ولكن هناك طائفة أخرى من المقولات وضعها الاجانب فى أفواه بعض المتعلمين يستحسن عرضها استكمالا للصورة فماذا يقول معارضو التعريب؟ يقولون أن اللغة العربية ليست لغة علوم وانما هى لغة شعر وآداب وهذه مغالطة لا تستحق حتى مجرد الاهتمام بها ذلك أن أي لغة مهما ضاق وعاؤها تقوم لتؤدى الحاجات الاجتماعية، ولقد كان من الممكن أن يصدق مثل هذا الكلام لو أن لغة أو لغتين أو ثلاثا، تتوفر فيها خصائص معينة اصبحت هي وحدها لغة العلم والتكنولوجيا، أما وأن لغة كل القادرين مع اختلاف منابت لغاتهم، أصبحت لغة علم وتكنولوجيا، مثل اليابانيين والصينيين والروس والسويديين هذا اذا استثنينا الانجليزية والفرنسية والالمانية فان هذه الدعوى تسقط فليست اللغة هى مناط القدرة والعجز بل الارادة والرؤية ومع هذا فان لغة من هذه اللغات لم تقم تاريخيا بالدور الذى قامت به العربية من حمل رسالة العلوم والفلسفة والتقنيات فى عصور نهضة الامة العربية نفسها والاليات التى تملكها اللغة العربية لا تتيسر لكثير من اللغات الحية لتوليد الصيغ الجديدة للمعانى والاشياء وقد قام علماؤنا بصياغة المصطلحات الجديدة لما كانوا يتعرضون له فى حس لغوي مدرب، وما تزال الكتب العربية المخطوطة منها والمطبوعة تمتلىء بالمصطلحات العربية كما أن كثيرا من المفاهيم العلمية العالمية تحتفظ باسمها العربي.. قد نكون أهملنا تراثنا العلمي وهجرنا مصطلحاتنا القديمة فقطعنا ذلك السند من المعرفة فمثلا علم الاجتماع له مصطلح عربى صاغه ابن خلدون باسم علم العمران والجغرافيا مثلا هو علم تقويم البلدان.. الخ.. ومع هذا فليس هناك كارثة، في تبني مصطلح ما.

وهناك آخرون يذهبون انه لا توجد مصطلحات عربية وهنا ينبغى ان نفرق بين المصطلح، وبين مفهومه العلمي فالمصطلح قد يصاغ في أي صورة وفي أي كلمة ويمكن نقلها كما هي، كما فعل الاقدمون فأبقوا على مئات المصطلحات كما هى مثل الموسيقى والاستاطيقا.. الخ.

اما المفهوم فانه يجب ان يقدم باللغة القومية كما تفعل شعوب مثل البانيا وهولندا وبلغاريا.. الخ. وما يزال كثيرون من أبناء البلاد العربية يذهبون الى تلك البلاد وغيرها ويدرسون الطب والهندسة بتلك اللغات بعد أن يتعلموها وهم يحرمون من تعليمها فى بلادهم وهي أكبر وأعرق بلغتهم.

ويقولون انه ليست لنا مراجع باللغة العربية ومن المسؤول عن هذا ومن الذى سوف يكتب المراجع ومتى؟ أليسوا رجالا ونحن رجال؟ ومع هذا فليس هناك ما يمنع الطالب الذى درس اللغات الاجنبية في التعليم العام من أن يطلع عليها، ولا بأس أن يكون منهج علاجي لتقوية اللغات فى الجامعات ولكن ليس هناك معنى لتدريس المواد العلمية باللغة الاجنبية لهذا السبب الذى ليس مسؤولا عنه، لا الامة ولا الطالب وانما أهل الاختصاص هم المسؤولون عن هذا التقصير.

■ ان هناك على الرغم، من كل ما يقال، تقدما في مجالي التعريب اللساني والاجتماعي وقطعت أشواط كبيرة في معظم البلاد العربية فى مجال التعليم العام فهو كامل في المشرق العربى ويسير بحزم في المغرب العربى أما التعليم العالى والبحوث فان هناك وعيا بالحاجة الى تعريبه وتجلى ذلك فى كل قرارات مؤتمر وزراء التعليم العالي والبحث العلمي والتى عقدت في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومن اهم القرارات التى اتخذت في هذا الشأن.

(أ) احداث المركز العربى للتعريب والترجمة والتأليف والنشر وذلك الى جانب خدمة الثقافة العربية بترجمة روائع الادب والفكر العربى ويقدم الى قراء اللغات الاجنبية روائع الفكر العربى قديمها وحديثها بترجمتها اليها وسوف يستعين بالجهود الكبيرة التى بذلت في هذا الشأن.

وفى هذا المجال يمكن الاشارة الى أن عدد المعاجم التي أعدها مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بلغ

٢٤ معجما موحدا وافقت عليه المؤتمرات: الثانى والثالث والرابع، وان هناك عشرين معجما آخر سوف يعرض على مؤتمر التعريب الخامس.

ذلك وقد بلغ عدد الاعمال المعجمية الجادة فى حقل الطب وحده في مدى مائة عام من عام ١٨٨٣ ثلاثة وخمسين معجما، بعضها معجم طبي وبعضها متخصص في احد فروع الطب.

وبلغ عدد الكتب الطبية المترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية فى خلال عشر سنوات ١٩٧٠ - ١٩٨٠ ستا وستين كتابا.. الخ.

(ب) انشاء جامعة العرب للدراسات العليا، والبحوث العلمية، وقد تكونت فى نطاق المركز العربى لبحوث التعليم العالى التابع للمنظمة العربية بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية الهيئة المكلفة بتقويم الدراسات المقدمة، في شأن تنفيذ صورة الجامعة، التى تهدف الى اعداد هيئات التدريس في الجامعات والباحثين فى مراكز البحوث باللغة العربية فى مختلف المواد، والتركيز على تعليمهم اللغات الاجنبية كلغات والعمل على تجويدها، بما يحقق التفاعل العالمى وهنا ينبغى ان يذكر أن التدريس بلغة اجنبية لمادة من المواد المتخصصة لا يعني بالضرورة اجادة تلك اللغة اجادة المتخصص فيها ولكنها ترتبط بالقدرة على التعبير عن مفاهيم التخصص التى يمكن أداؤها بصورة أدق بأي لغة وطنية فليس كل ملم بلغة ما قادرا لمجرد معرفتها على تدريس العلوم فلابد له اساسا ان يعرف ويستوعب مفاهيم تلك العلوم.

■ واني اعتقد بصفة عامة ان هذا الموضوع من الموضوعات التى ينبغى أن تدور حولها دراسات متعمقة لحيويتها في مستقبل أمتنا التى لا يمكن ان تتجاوز مشكلاتها القومية ولا مشكلاتها الحضارية الا عن طريق استنبات العلم العربى وتعريب لغة العلوم جنبا الى جنب في تعريب المجتمع بالسيطرة على الهجمة الثقافية، وتوجيهها توجيها بصيرا في تفاعل متكافىء بالاخذ عن الآخرين عن قناعة واختيار وبالعطاء عن قدرة واقتدار.

■ وخلاصة هذا كله، هي أن المعاصرة التكنولوجية قائمة في جانبيها الاساسي على اكتشاف قوانين الطبيعة، وخصائصها الذاتية التى هى جزء من سنن الكون وذلك عن طريق المناهج العلمية النظرية والمخبرية وبناء التكنولوجيا على اساسها اشباعا لحاجات الانسان العضوية والاجتماعية في كل المجالات وان لهذه التكنولوجيا بالضرورة قيمها وتصوراتها النابعة من وظيفتها المحددة.. وانها يمكن تملك جسدها بالشراء والانتفاع بها بشروطها المادية والفنية والاجتماعية وانها يمكن انتاجها وتملك ناصيتها باستيعابها علميا وذلك لا يتم الا عن طريق معرفة قوانينها العلمية وسبيل تلك المعرفة هى فى المقام الاول اللغة التى هي وسيلة التعبير والتفكير الانسانية لكل المجتمعات البشرية، وهذه هى المرحلة النهائية في التعامل مع المعاصرة ذلك أنه يمكن التعرف عليها تعرفا خارجيا بممارستها واقتنائها.

ومن هنا فلابد من تعريب المعاصرة تعريبا حقيقيا عن طريق صنع القدرة الذاتية عليها باستنباتها في أرض اللغة العربية، ورأس ذلك كله هو تعميم التعليم، في كل أنواعه باللغة العربية التى تكون في الوقت لغة البحوث والصناعة والتنظيم الاداري والمالي والتشريعي كما هو الحال في كل الدول المتقدمة، التى تفضل ذلك بلغاتها مهما كان حظها من الانتشار فلا يتملك شعب ما العلم النافع والوظيفى والقومي بلغة اخرى فالعلم يظل مرتبطا باللغة التي ينتج بها وقد قيل أن العلم لا وطن له وهو صحيح ولكن بالمقابل فان للعلماء أوطانا ومجتمعات.. وعن هذا اللون من التعريب اللسانى والاجتماعي وهما يتكاملان يصبح المجتمع العربى مجتمعا معاصرا منتجا للتكنولوجيا.

وجنبا الى جنب مع هذا ينبغى أن يتجه التفكير الى ترشيد التكنولوجيا وتكييفها مع بنائها الحضارى بكل ما تحمل من قيم ايجابية بحيث تكون لصياغة التكنولوجيا العربية وجهاها المتكاملان ماديا واجتماعيا.. وان كل ما يقال من دعوات انهزامية متصلة في الاساس حول عجز اللغة العربية، وحول

جهود الحضارة العربية فهي تزداد لامنية القوى المحتكرة للتكنولوجيا والمسيطرة عليها، ابقاء على المجتمعات في دائرة التبعية وباحة التخلف.

وبالارادة السياسية وبالقرار السياسي يمكن تجاوز الظروف السلبية التى خلقت واصطنعت لتخلف المجتمع العربى الذي يملك عن سعة كل مقومات المعاصرة والتقدم، والقادر على الاسهام والابداع مرة اخرى في الحضارة البشرية.

ابو على القالى ، اسماعيل بن القاسم

(٩٠١ ـ ٩٦٧). لغوى ولد بمنازجرد بديار بكر، ومات بقرطبة. دخل بغداد (٩١٥)، وانتقل الى الموصل، ثم عاد الى بغداد (٩١٧)، وخرج منها (٩٣٩) قاصدا المغرب، فدخل قرطبة (٩٤٢)، درس اللغة والأدب والقرآن والحديث على ابن دريد، والزجاج، والأخفش الأصغر، وابن مجاهد وأبى يعلى، وغيرهم، عرف بسعة حفظه للغة والشعر، واتباعه البصريين فى النحو، شرح المعلقات السبع، وألف: «الابل» و«الخيل» و«حلى الانسان» و«فعلت وأفعلت» و«مقاتل الفرسان»، و«الأمثال» مرتبة على الألفباء، و«المقصور والممدود» مرتبا على مخارج الحروف، طبع له «الأمالى» و«النوادر»، ويجمعان مختارات قيمة من الأخبار والأدب، والشعر، والمحاورات، واللغة، وأعظم كتبه «البارع» فى اللغة.

الاخفش الأكبر أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد

(. . . ـ ٧٩٣): ولد بهجر، وسكن البصرة، ودرس على أبى عمرو بن العلاء، ولقى الأعراب، أخذ عنه سيبويه، والأصمعى، وأبو زيد، وأبو عبيدة، كان أول من فسر الشعر تحت كل بيت، وكان الناس قبله اذا فرغوا من القصيدة فسروها، له ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب.

الاخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة

(٨٣٠ أو ٨٣٥). ولد ببلخ، وسكن البصرة، ودرس على سيبويه، فعرف دقائق كتابه، فعظمه البصريون والكوفيون، مال الى الاعتزال والجدل، خالف سيبويه فى مواضع من النحو، وزاد على الخليل بحر الخبب فى العروض، ألف عدة كتب، منها: «شرح كتاب سيبويه» و«المقاييس» و«المسائل» فى النحو، و«تفسير معانى القرآن» و«معانى الشعر» فى اللغة والعروض والقوافى.

الاخفش الأصغر على بن سليمان

(٩٢٠)، مات ببغداد، وأقام بمصر (٩٠٠ـ٩١٨)، ثم رجع مارا بحلب، درس على المبرد وثعلب، ولم يكن بالمكثر من رواية الشعر، أو المتبحر فى النحو، روى «الكامل» للمبرد و«نوادر أبى زيد»، ذكر المرزبانى انه لا يعلم له مصنفات، ونسب له غيره كتاب الأنواء، والمهذب، والمغتالين، كان يحب الفكاهة، يثير ابن الرومى، فيهجوه، فيروى قصائده.

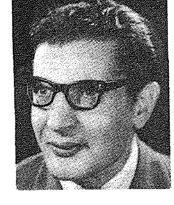
اللغة العربية .. ب

- **غلبة العامية في المجتمع، ضعف المعلم، رتابة المنهج، قلة الحصص المتاحة، كل هذه أدت إلى ضعف اللغة عند الطلاب.**
- **صقل الملكة عند التلميذ بالنصوص الأدبية المختارة مقدم على تعليمه قواعد النحو والبلاغة.**
- **زعماء مدرسة البعث الأدبي لم يهتموا بالقواعد اهتمامهم بالابداع.**
- **فحول الشعراء من المعاصرين انكبوا على حفظ ودراسة أجود الشعر والنصوص.**

بقلم: أ.د. محمد رجب البيومى

عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر

وفي هذه المؤتمرات التى أشرت إليها، قلبت المشكلة على شتى وجوهها، وعرضت أسباب كثيرة لهذا الاخفاق الكريه، ومن بينها **قله العدد الكافى فى تحصيل اللغة إ ذ أن الحصص المقررة لا تصل بالطالب إ لى حسن التحصيل، ومنها ضعف المدرس نفسه ،لانه خرج الى الميدان دون سلاح يحميه، ومنها غلبة العامية فى المجتمع العربى، غلبة جعلتها** تسيطر على الحديث **المتصل بين العلماء أنفسهم،** فأكثرهم يتناقش فى المسائل العلمية باللغة العامية، ومن يلتزم الحديث باللغة الفصحى يكون مجال التندر الطريف ولا نكاد نعرف من الأدباء من كان يلزم الدقة فى حديثه المتبادل غير الدكتور طه حسين، والاستاذ على الجارم، وهما يمثلان الجيل الماضى لا الحاضر، بل إن أساتذة اللغة العربية أنفسهم يدرسون فروعها المختلفة من نحو وبلاغة ونصوص باللغة العامية، ولمدرسى المواد الأخرى العذر كل العذر حين يهملون العربية فى مواد التاريخ والجغرافيا والاجتماع وغيرها، ما دام أساتذة الفصحى لا يملكون أن يعبروا عن مقرراتهم بلغتهم التى كانت همهم الأول فى



سنوات التخصص، وأصبحت كل شيء فى محيطهم العلمى، فالوضع إذن حرج، ولابد من علاج.

(باحث غيور)

كان الاستاذ الكبير الشيخ **عرفة** عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، وأستاذ أساتذة تخصص المادة بكلية اللغة العربية أحد الذين أفردوا كتاباً خاصاً بالطريقة الصحيحة لتعليم اللغة العربية فى المدارس والكليات، وصادف كتابه الهادف تقدير الكبار من ذوى الرأى، فأفردت له مجلة المجمع العلمى بدمشق مكاناً فسيحا للتحليل والعرض، وقام الأستاذ الكبير عبد القادر المغربى نائب رئيس المجمع حينئذ بتلخيص

بين القواعد والنصوص



البـارودي - شـوقي





حافـظ - علي الجـارم







احمد حسن الزيات - خليـل مطـران

عقدت مؤتمرات علمية كثيرة لمناقشة أسباب الضعف الطارىء فى مستوى المتخرجين من كليات الجامعة بالنسبة للغة العربية لأن الكثرة من هؤلاء لا يحسنون النطق الصحيح فضلا عن التعبير الجيد، ودروس اللغة تحتل مكانـًا طيبا بين المقررات المدرسية، وتتضاعف أهمية هذه المشكلة بمرور الزمن، لان كل جيل تخرجه الجامعات فى أكثر الدول العربية يكون أضعف مما سبقه، إذ كان أبناء الجيل الماضى يخطئون، فهم يجمعون بين الخطأ والصواب، أما أبناء هذا الجيل فلا تكاد تجد إصابة ما فيما يكتبون وينطقون إلا من تهيأت له ظروف خاصة بحكم البيئة والملابسات الذاتية، وقليل ما هم، وكان المنتظر مع تقدم وسائل الثقافة من نشر وتعليم وإذاعة وصحافة، أن يكون التدرج من الاسفل إ لى الاعلى لا كما نرى الان، حتى أصبحنا نتأكد أن المنحدر قريب!

فصوله العشرة، ليلم به من القراء من لا يستـطيع أن يحصـل عليه بالشام، وطبيعى أن يبحث الكتاب فى مسائل شتى تدور حول الضعف الـواضح فى تعليم اللغة، وتنتهي إلى علاج حاسم، تؤيده الـدلائل والحجج، ويهمنى فى هذا المجال أن ألخص الفكـرة النهائية التى هدت إليهـا مقـدمـات البحث الـطويل ورآها المؤلف الكبير جوهر الاصلاح لا سيما وقـد مر على صدور هذا الكتاب القيم أكثر من نصف قرن، كما مضـى الجـيل الـذى قرأه واستوعبه، وخلف من بعده جيل لا يريد أن يقـرأ، وإذا شاء القـراءة قصد مجلات التسلية وكتب الاغراء الهـابط، ونشهد أن الغذاء الدسم فى المجـلات الـرصينـة، والكتب الهادفة وافر وكثير، ولكن الاعراض عنه مشاهد ملحوظ.

■ **إن أكـبر افة قاتلة تحدث عنها الاستـاذ محـمد عرفة هى الاهتمام بالقـواعد، لا بالنصوص الادبية.**

لأن الـتـلميذ الصغـير فى القسم الابتـدائى فالاعـدادى فالثانوى، يفـاجأ بما لا يقدر على تصوره من تعـريفات الفاعل والمفعول والحال والتمييز، والأمثلة المختلفة لأحوال النصب والـرفـع والجـر، وثبـوت حروف العلة وحذفها، وفى كل عام تتراكم هذه القـواعـد، وتتضخم بالـزيادات والتفريعات، ويضاف إليـهـا ما يدير الـذهـن من بلايا التصغير والتكسير والقلب والاعلال والابدال، فإذا جاء درس المطالعة أو درس النصوص تحول إلى تطبيق لقواعد النحو والبلاغة دون اهتمام بجـودة التعبير، وقوة المعنى، ودقة التصوير، ومن هنا كان درس اللغة العـربية ثقيلا كريها للطالب، فهو يحفظه لكى ينساه.

ولكن هل معنى هذا أن نترك النحـو والصرف والبلاغة مادامت فروعها ذات قواعد؟. إن الأستاذ عرفـة **يشـير بأن نبدأ فى القسم الابتـدائى فالاعـدادى، بتقـديم نصـوص أدبيـة للطالب، نصوص من القصة أو من القصيدة بحيث يتنـاسب كل نص مع الـدرجة العلمية للتلميذ، وبحيث تكون الأغـراض والمعانى مما ترحب به نفس التلميذ وتشتهيه فهى تلمس مجال تفكيره، وموضع الاحساس من نفسه، وتروى ظمأ يتطلع إلى إروائـه، فإذا كثـرت النصـوص الأدبية الراقية فى المرحلتين الأوليين كونت لدى التلميذ ملكة أدبية قبل**

أن يعرف القواعد العلمية فى فروع اللغة العربية، وأصبحت هذه الملكة دافعة للتلميذ كى يقرأ النصوص الأخرى ويستشعر لذة الاطلاع، وهو بهذا كله يألف التعبير الصحيح، **ويلمس بحاسته الأدبية موضع الشذوذ فى النطق وان لم يدرك المدلول النحوى أو الصرفى الدال عليه**، ويجب أن تختار للتلاميذ قصص مشوقة طويلة يقرءونها فى تسلسل فيستشعرون لذة الفن القصصى كما يجب أن ننأى فى هاتين المرحلتين عن نصوص الأدب الجاهلى الغامضة، وما يشبهها من نصوص التراث فى مختلف عصوره، فإذا انتقل الطالب الى المرحلة الثانوية، بدأ يأخذ القواعد تدريجيا فى ظلال نصوص مكتملة. لا فى جداول شبيهة بجداول الجبر والحساب، على أن تكون قراءة النص ذات أهمية بحيث تشغل النصف الأول من الحصة، حتى يتشبع الطالب بما يتضمن من معنى وصورة، وتأتى القاعدة أخيراً، بعد أن حدد المعنى المؤتلق فى ذهن الطالب ما يقرره الاصطلاح العلمى من فاعلية أو خبرية، وسيهتدى الطالب إلى معرفة الاصطلاح بأدنى جهد، لأن طريق النص معبد ذلول، أما أن نبدأ بالقواعد الجافة دون تهيئة الملكة الأدبية فهذا ما يعصف بكل جهد، وهذا ما يجعل الاخفاق مرتقب الوقوع.

يقول الاستاذ محمد عرفة:

«إنى لأعجب كيف تخفق مدارسنا، وتخفق الأجيال قبلها فى تعليم هذه اللغة مع العناية والجهد، أينجح الحائك فى تعليم الحياكة، والبناء فى تعليم البناء، والنجار فى تعليم النجارة، ويخيب رجل العلم والتربية فى تعليم اللغة العربية؟ سر نجاح أولئك فى المرانة والتكرار، حتى يكسبوا الصنعة وسر خيبة هؤلاء فى الاعتماد على القواعد، وترك الحفظ والمرانة والتكرار.

لو علم الحائك تلميذه بطريق القواعد فحسب، وظل طول عمره يقول له: شد الخيط طويلا، واسلك معه الخيوط عرضا ليتكون منها سدى ولحمة، ولم يأخذه بأعمال الحياكة الكثيرة وتكرارها والمرانة عليها، لخاب فى التعليم ولم يكسبه الحياكة. ولو أخذ عالم العربية بطريق المرانة والتكرار والحفظ، فحفظ تلاميذه أساليب العربية البليغة، ومثلها الرائعة مما يعتاد فى الخطاب وأخذهم بالنسج على منوالها فى الحديث والخطابة والكتابة لنجح فى تعليمه: هذا العامى (الحائك) يعلم أن قواعد الصنعة لا تعطى الصنعة، ولا يعطيها إلا تمرين المتعلم وأخذه بنماذج كثيرة وتكرير ذلك حتى يتقنها، وذلك العالم أغفل هذه الحقيقة، وظن أن قواعد اللغة تكسب اللغة، وقواعد البلاغة تكسب البلاغة، فظل يبدأ فيها ويعيد ويكرر ويكثر من التكرار. هذا لباب ما ارتآه الأستاذ الكبير، وهو جدير بالالتفات والتحبيذ.

قواعد البلاغة

لم يكن الأستاذ عرفه وحده هو الذى شكك فى صلاحية القواعد دون تهيئة الملكة، فقد آزره سواه من ذوى البصر الحاذق، بل سبقه غيره من أعلام البيان العربى المعاصر ومنهم الأديبان الجهيران الاستاذان عبد العزيز البشرى وأحمد حسن الزيات، ومكانهما فى الابداع الفنى، أظهر من أن ندل عليه، فماذا قال الأستاذان؟

أما الأستاذ عبد العزيز البشرى فقد كتب بحثاً بارعا تحت عنوان (فى علوم البلاغة) أنكر فيه أن تكون معرفة القواعد البلاغية وسيلة للبراعة فى الأدب، والرقى فى الأسلوب، وعلى طريقة البشرية بدأ يتساءل[1]: ما دامت للبلاغة علوم مقررة، ومعارف واضحة، وقواعد مفصلة مقسومة، فقد أصبح من السهل اليسير على من يجيد علمها، ويحذق فهمها أن يجىء بالبليغ من القول، إذا نظم أو نثر، بل لتهيأ له أن يجىء بأبلغ الكلام، بل بما ينتهى منه إلى حدود الاعجاز، وما له لا يصنع؟ وقواعد البلاغة تشير بأوضح الاشارة إليه، وتدل بأفصح العبارة عليه؟.

ولكن الواقع، الواقع القاسى، يأبى مع الأسف، إلا أن يزعجنى عن الاستراحة إلى هذا الفكر القويم، والمنطق السليم، **فهؤلاء متقدمو الطلاب الذين درسوا علوم البلاغة فى أفحل كتبها المقسومة، وأعلاها مكان، ء لاحظ لاكثرهم فى فصاحة ولا بيان، وهؤلاء أشياخهم**

الذين استهلكوا الدهر الاطول فى درس هذه الكتب، وتحقيق قضاياها ومسائلها، حتى فروا أبوابها فريا، وبروا فصولها بريا، هؤلاء كثير منهم لا غناء لهم فى فصاحة بيان، ولا قوة لسان!».

ومضى الكاتب يستدل بزميل له قضى عمره الأطول فى دراسة قواعد البلاغة فى كتبها المتداولة ثم عنّ له أن ينظم قصيدة فى غرض يشغله، فجاء بالركيك المضحك، واستشهد البشرى ببعض ما قال مما ينحدر بقائله إلى الحضيض، ليعلن فى النهاية أن القواعد وحدها تسىء ولا تحسن، وتضعف ولا تسمن.

(مثال آخر)

أما الاستاذ الزيات فقد شن النكير على كتب القواعد، بلاغة ونحوا، وله فى كتاب (فى أصول الأدب) بحوث تتخذ هذه العناوين، آفة اللغة هذا النحو، أول درس ألقيته، تجاربى فى تدريس اللغة العربية، وقد قال فى البحث الأخير:

«**من الحق أنك لا تجد أجف من القواعد العربية، فوجوهها عديدة ومناحيها بعيدة، ومسائلها معقدة، ومسالكها ملتوية، لا تساعد على وحدة النطق، ولا تعين على صحة الاسلوب، ولا تزال عليها مسحة من الخشونة والقدم**. وقد توفر على هذه القواعد الواهنة جماعة من المعلمين ضعفت سلائقهم فى الأدب، فجعلوها بضاعتهم، وحذقوها على أنها علم قائم بنفسه، وغاية مقصودة لذاتها وحشوا بها أذهان الطلبة على قدم أمثلتها، وعدم التمرين على استعمالها، وجردوها تجريد العظام المبتورة، ووضعوها فى أشكال الجداول الرياضية، وأكرهوا النفوس الشابة على استظهارها، دون علم بحقيقتها، أو اقتناع بضرورتها، فلم يكن بد من جهلهم بها، واستثقالهم لها.

(الدليل الملزم)

لقد كثرت فى الآونة الأخيرة الدراسات الشعرية الخاصة بأعلام الشعر المعاصر مثل البارودى وشوقى ومطران وحافظ! وهؤلاء هم رواد الشعر، وزعماء ما يسمى فى التاريخ الأدبى بمدرسة البعث، بالنسبة إلى غير مطران، فإنه من طلائع مدرسة التجديد، هؤلاء الذين جاءوا بأعذب آيات البلاغة، وأبدع ما يتحدر عن خاطر متوثب، وطبع فياض! هل تعمقوا قواعد اللغة حتى صاروا من أساتذتها، أم أنهم اكتفوا بالضرورى الأولى الذى لا يعدو كتب المرحلة الأولى، ثم تفرغوا إلى دراسة النصوص الشعرية فى دواوين الكبار من أئمة الشعر العربى فى أزهى عصوره! هذا مع الموهبة التى لا تنكر، والطبع الذى لا يجحد، لقد اعترف شوقى أنه انتهز منفاه بالأندلس فأكب على دراسة دواوين الفحول، وروى من روائعهم ما قفز بشعره إلى الأمد الفسيح، وكانت لحافظ مجالس للرواية الشعرية، حيث هو راوية يجمع فى ذهنه خلاصة ما قاله أمراء الشعر العباسى من أمثال أبى تمام والبحترى والمتنبى والشريف، فكان يتباهى بمحفوظه، كما يتباهى بمنظومه أما البارودى فقد جمع مختاراته الشعرية فى أربعة أجزاء كبار، وهى مختارات فاقت كل ما سبق به جامعو القصائد من لدن المفضل والأصمعى وأبى تمام والبحترى وأبى زيد القرشى وغيرهم، وما نبالغ، فمختارات البارودى بأيدينا تنطق بأصدق لسان، ومطران مع سبقه التجديدى قد ألم إلماماً دقيقاً بذخائر الشعر العربى فى شتى عصوره، ورصانته القوية، وطول نفسه الممتد لم ينشأ من فراغ، أفبعد نبوغ هؤلاء عن طريق النص الأدبى الشامل، نجد من يشك لحظة فى أن القواعد وحدها، تؤخر ولا تقدم، وتضر ولا تفيد، فلابد من النص الدال، والشاهد المتصل، وإذا كان القدماء يكتفون بالنص الشعرى، فنحن اليوم نجد إلى جواره القصص الرائع بإيحائه وتصويره وتشويقه وجاذبيته فلنختر من هذه القصص للطلاب ثمار ذوى الملكات البيانية الرائعة، كما نرى فى على هامش السيرة لطه حسين، وزنوبيا لمحمد فريد أبو حديد، وهاتف من الأندلس لعلى الجارم، هذا إلى مترجمات المنفلوطى والزيات ومحمد عوض محمد وعبد الرحمن صدقى، وكلهم فى مجاله المختلف أديب مبين.

الهوامش

(١) المختار للبشرى جـ٢ ص٢٤.

(٢) فى أصول الأدب ص١٩٩ الطبعة الثالثة.

اللغة العربية بين المعلم والطالب

- معلم المرحلة الابـ
الاول للتلميذ لغـ
- المرحلة الابتدائيـ
بأفضل المعلمين ك
واخلاقية وتربوية.
- كثير من معلمي
الاساسية يفتقرون
نطقا وكتابة وأسلـ
- معلم اللغة العر
فحسب، بل هو معلم
مجالات المعرفة المخـ
- التأهيل التربو
طغى يكون على حـ
التخصصي.
- كليات التربية
بالمستجدات في الد
معجمية.
- اللغة مهارة لا تنمـ

بقلم: د. محمود اسماعيل الصينى
أستاذ اللسانيات التطبيقية ـ جامعة الملك سعود



من الحقائق التربوية المعروفة أن العملية التعليمية مثلث زواياه الثلاث هى المعلم والطالب والكتاب (أي المادة التعليمية) هناك من يضيف الطريقة إلى هذا المثلث، ولكننا نرى أنها جزء من المعلم: فلا طريقة بدون معلم ينفذها ولا معلم بدون طريقة يسير عليها. كما أن هناك من يرى ضرورة إضافة المنهج، غير أن المنهج غالبا ما يجد تحقيقه في الكتاب، وينطبق هذا بصورة خاصة في التعليم العام، حيث تؤلف الكتب الدراسية مفصلة على مناهج محددة تقررها الوزارات أو الهيئات المسؤولة عن التعليم، والحديث عن هذا المثلث ـ خاصة فيما يتعلق باللغة العربية ودرسها ـ حديث ذو شجون، طالما كان محورا لمؤتمرات وندوات، فقد عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العديد من المؤتمرات بالتعاون مع جهات مختلفة، وفى بلدان عربية عدة، كان منها (على سبيل المثال لا الحصر) اثنان فى الرياض (فى عام ١٩٧٧م وعام ١٩٨٥م) وواحدة فى عمان (١٩٧٤م) كما كان موضوع مؤتمر اتحاد المعلمين العرب التاسع فى الخرطوم (فى ١٩٧٦م)، وقد عقد اخر مؤتمر فى رحاب جامعة العين، حضره نخبة من المتخصصين من عدة بلدان عربية (فى ربيع ١٩٩٢م) وهذا غيض من فيض من اللقاء ات العربية والمحلية الخاصة بدول معينة، لكن يبدو أن جل هذه اللقاء ات، إن لم يكن كلها، كانت تجتمع وتناقش وتنفض بعد وضع التوصيات الجميلة، فتحفظ تلكم التوصيات لكي تعاد فى ثوب جديد في مؤتمر اخر أو ندوة أخرى!!!.

...ية يعتبر المؤسس ...يا وعلميا ونفسيا.

...ينبغي أن تحظى ...ية علمية ولغوية

...عربية في المراحل ...ي إجادة اللغة العربية ...يا.

...ية ليس معلم مادة ...مهارة التواصل في ...غة.

...يا في كليات التربية ...ساب التأهيل المعرفي

...٢ تعني كثيرا ...اسات اللسانية الحديثة من صوتية أو نحوية، أو دلالية، أو

...يا بالممارسة الفعلية.

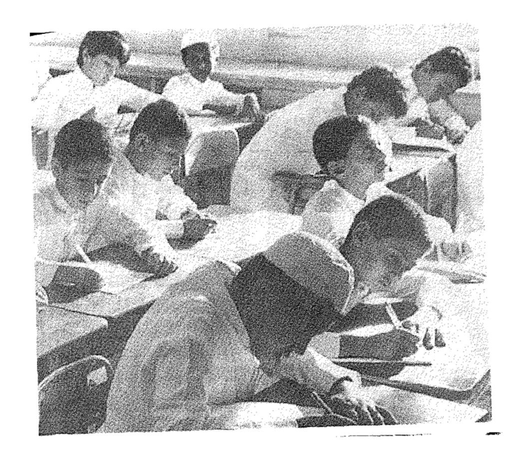




لكن حديثنا اليوم ليس عن تلكم اللقاءات ولا عن القضية من زواياها الثلاث، بل سنقصر الحديث عن أهم زاويتين في هذا المثلث التعليمي: المعلم والطالب.

المعلم:

مما لا شك فيه أن المعلم هو حجر الزاوية في أية عملية تعليمية، فهو المحرك الأول لها، وعلى عاتقه تقع مسؤولية تنفيذ المنهج وتدريس المادة التعليمية، وعلى المعلم يقع عبء تقريب المادة المدروسة للطلاب وتحبيبهم إليها أو إبعادها عنهم وتنفيرهم منها، هذا وإن صدق هذا القول على سائر المواد



الـدراسية، فهـو مع مادة اللغة الـعـربية أصـدق، وذلـك لأن المقررات الدراسية الأخرى علوم ومعلومات، قد تكون هي غايات في نفسهـا، أما اللغة العربية فهي ليست مجرد مادة في المنهاج الدراسي للطلاب، وليست في حد ذاتهـا غاية، إلا الـلهـم على مستـوى التخصص العالي جدا (الدراسات العليا) وتختلف مادة اللغة العربية في العالم العربى عن سائر المقررات الدراسية من زوايا عدة، أهمها ما يلي:

١ ـ هى لغة القرآن الكريم والدين الاسلامي والمسلمين.

٢ ـ هى واحـدة من أهم الوشائج التى تربط العرب بعضهم ببعض من الخـليج إلى المحيط، وإليهـا تنتسب الأمة العربية.

٣ ـ اللغـة مهـارة تتطلب الممارسة والتـدريب، وليست علما أو مقررا يتم تعليمه للصغار بالشرح والتلقين.

٤ ـ اللغة العربية هي أداة فهم سائر المقررات الدراسية، وبها يتم تعليم فروع المعرفة المختلفة، بما في ذلك المعـارف الخـاصة باللغة نفسها، فنحن حينما نشرح أو نقدم أي مقرر للطلاب في العلوم أو الرياضيات أو الجغرافيا أو النحو أو الصرف مثلا نستعمـل اللغـة العـربية وسيلة لذلك، من ثم فإن ضعف الطلاب في الـلغـة سيؤدي بلا ريب الى صعوبة متابعتهم لدروسهم في سائر المقررات الدراسية الأخرى.

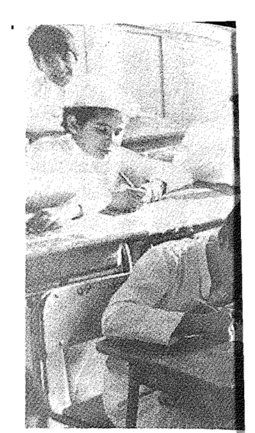
٥ ـ اللغة العربية هى أداة التواصل والتعـامـل في سائـر مجالات الحياة الرسمية والعلمية، والضعف فيها يؤثر لا محالة فى جزء كبير من فعالية المواطن العربى في هذه المجالات، لنضرب مثـلا بسيطا على ذلـك، يصدر تعميم من رئيس إدارة ما إلى مرؤوسيه، بأية وسيلة يكون ذلك؟ أليس باللغـة العـربية؟ فإذا كان مستوى رئيس الجهاز ضعيفـا في اللغة، فلا شك أن تعليماته ستكون ناقصـة أو غير مفهـومـة فى أجـزاء منهـا، ثم الموظفون الذين يتلقون تلكم التعليمات لابـد أن يكـون مستـواهم اللغـوي جيدا حتى يتسنى لهم استيعابها وتنفيذ ما فيها.

■ من هنا تتضح لنا مدى خطورة المسؤولية التى يضـطلع بها معلم اللغة العربية.

لنسأل الآن: **هل معلم اللغة العـربيـة فى العـالم العـربي مهيـأ ومدرب (مكون ـ كما يقول إخواتنا في المغرب العربي) بالصورة المناسبة لأداء هذه المهمة القومية؟.**

■ إن استقراءنا لما ورد فى الندوات والمؤتمرات وفي الأحاديث الشخصية مع بعض الـعـلماء من أسـاتـذة ومسؤولين يؤكد لنا أن هناك خللا واضحاً. ولكن الشكوى ترد أحيانا من أن الذين يلتحقون ببرامج تهيئة معلم اللغـة العـربية ليسوا من المستوى المـطلوب، وهى شكوى معـاهد وكليات التربية، ثم هناك الشكـوى بأن خريجي المؤسسـات الـتربوية من معلمي اللغة العربية دون المستوى المنشود. وهـذا ما نسمعه من المسؤولين عن التعليم، وكـلا الـطرفين مصيب فيما يذهب إليه ومخطيء كذلك.

فصحيـح أن كثيـريـن ممن يلتحقـون بأقسام اللغة العربية في كليـات الاداب والتـربيـة ومعاهد المعلمين يعـانـون من ضعف في مستـواهم المعـرفي والادائي في اللغـة العربية، ولا تكفي السنوات القليلة التي يدرسونها لمعالجة ذلك



الضعف. كما أن هناك صعوبة في التدقيق فيمن يسمح لهم بالالتحاق بهذه البرامج، بسبب قلة الاقبال على هذا التخصص أحيانا، ولكن رد المسؤولين عن التعليم العام مفحم أيضا حينما يقولون: إن معلمي اللغة العربية الذين انتجوا هؤلاء الطلاب الذين تشكون من ضعف مستواهم، هم من خريجي مؤسساتكم التربوية، فهذه نتائج بضاعتكم ردت إليكم. فالمعلم في التعليم العام مسؤول إلى حد كبير عن رفع مستوى تلاميذه فى اللغة العربية قبل أن يلتحقوا بالمؤسسات التربوية، وهو مسؤول عن تلافي الأخطاء التي يقع فيها هؤلاء الطلاب أو تصويبها قبل أن يتخرجوا، بذلك تتفرغ الكليات والمعاهد على مجرد التحسين اللغوي والمعرفي والتأسيس التربوي، بدلا من أن تصرف جهودها فى التأسيس اللغوى للطلاب وفي تصحيح أخطائهم مما لا يترك فرصة كبيرة للتركيز على الجوانب المعرفية والتربوية المطلوبة للتأهيل الجيد لمعلمي المستقبل. ومعلم العربية في التعليم العام مسؤول إلى حد ما عن نظرة طلابه إلى اللغة العربية والتخصص فيها، من ثم إقبالهم عليها أو عزوفهم عنها في المرحلة الجامعية والتأهيلية.

ونقول إلى حد ما لأن المجتمع في صورتيه (المدرسي الصغير والخارجي الكبير) له دوره أيضا في تثبيت الانطباعات الجيدة أو السيئة عن اللغة العربية، بقصد أو دون قصد.

فمعلم العربية وغيره من معلمي المقررات المدرسية الاخرى، حينما يهمل استعمال الفصحى في الدرس (بالرغم من أن الكتب المدرسية مكتوبة بالفصحى) فإنه يؤكد للطفل أن اللغة العربية إنما هي مادة من المواد، وليست أداة للتواصل. والقيادات الادارية والسياسية حينما تتعامل مع العربية والصواب اللغوي بالاهمال أو التجاهل، فهي إنما ترسل رسالة إلى الطفل والناشىء والمواطن العادي بأن ذلك جائز في حق هذه اللغة، وأنه لا ضير من التساهل مع أنفسهم إزاء لغتهم. ووسائل الاعلام حينما تكثف من بث المواد الاعلامية بالعاميات، هي أيضا تؤكد للطفل والمواطن العربيين أن العربية الفصيحة مكانها الكتب وليست الحياة بمعناها الواسع، وهذا إضافة إلى أنهم جميعا يقللون من فرص استعمال العربية الفصيحة أداء وتلقيا.

فالطالب الذي يسمع مدرسيه يستعملون الفصحي (الميسرة) مثله كمثل الذى يستمع إلى القطع الموسيقية الراقية تتعود أذنه على ذلك، فيأنف بنفسه عما سواها، بينما الطالب الذى يسمع العامية طوال الوقت (حتى في دروس العربية نفسها) يستقر في نفسه أن لا ضير من إهمال اللغة الفصيحة، ويصبح كمن تعود على سماع الموسيقى النشاز، فلا يجد فيها ما يزعجه أو يسيء إلى حسه.

وباستمرار الجدل والتلاوم بين وزارات التربية ومؤسسات تأهيل المعلمين نجدنا ندور فى حلقة مفرغة، تشبه قصة البيضة والدجاجة أيهما أسبق؟ من ثم لن نخوض فيها في مقالتنا هذه.

الصفات المنشودة في معلم اللغة العربية:

فى ضوء الخصائص المميزة لوضع اللغة العربية المذكورة أعلاه، ربما نستطيع أن نضع تصورا لما ينبغي أن يتصف به معلم اللغة العربية من صفات ذاتية وتأهيلية.

أما أهم الصفات الذاتية فهي قناعته بأهمية اللغة العربية ودورها الخطير التعليمى والاجتماعي وبأهمية استخدام الفصحى فى الصف وتشجيع طلابه على التحدث بها، أما المؤهلات فتتمثل في الجوانب الثقافية العامة والمعرفية

التخصصية والتربوية، إلى جانب الكفاية في اللغة العربية.

أولا: الكفايـة اللغويـة:

إن من القضايا المسلمة منطقيا وتربويا أن «فاقد الشيء لا يعطيه» لذلك نرى أن أول شرط يجب أن يتوفر فى معلم اللغة العربية هو الكفاية العالية فى اللغة، من حيث تمكنه من استعمالها شفويا وكتابيا، بأقل قدر ممكن من الاخطاء وهذا يعنى سيطرته الجيدة على اللغة الفصيحة من حيث أصواتها وإملائها وتراكيبها ومعجمها، بحيث يكون نطقه سليما وكتابته صحيحة.

إذا نظرنا إلى معلمي اللغة العربية في شتى المراحل الدراسية، نجد أن معظمهم يفتقر للاسف إلى هذا الشرط المهم، فحتى لو سلمت لغتهم المكتوبة من الاخطاء الفادحة، فإن قلة منهم من يجيد التحدث بالفصحى بصورة سلسلة وسليمة، دون أن يقحم كلامه بتعبيرات عامية أو خاطئة صوتيا أو تركيبيا أو معجميا، والضعف اللغوى واضح بصورة أجلى فى معلمي المرحلة الابتدائية ممن لم يتلقوا تعليما عاليا فهؤلاء لا تكاد تخلو حتى كتاباتهم من الاخطاء الاملائية، بله النحوية، أما عن عجزهم في الاداء الشفوى فحدث ولا حرج.

وهنا لابد لنا من إبداء ملاحظة تربوية هامة، ألا وهي صفات معلمي المرحلة الابتدائية، حيث الشائع أن هؤلاء لا تشترط فيهم الكفاية العالية، وهو خطأ فى التصور خطير، ذلك أن معلم المرحلة الابتدائية هو المؤسس الاول للطالب لغويا وعلميا، بل ونفسيا من حيث ميوله واتجاهاته، من ثم كان لابد أن تحظى هذه المرحلة بأفضل المعلمين قدرة وتأهيلا.

لابد لنا أن نوضح أيضا أن برامج اللغة العربية في معظم الجامعات العربية تعاني من قصور في هذا الجانب، فلا نجد الاهتمام اللازم بقضية الكفاية اللغوية في هذه البرامج ولا أعلم عن جامعة عربية واحدة تخضع طلاب قسم اللغة العربية لاختبار في الأداء الشفوى مثلا، وتعتبر النجاح في ذلك شرطا للتخرج.

هذا إضافة إلى أن عددا لا يستهان به من أساتذة النحو العربي والادب العربي وطرق تدريس اللغة العربية لا يجدون غضاضة في إلقاء محاضراتهم بالعامية أو بلغة يختلط فيها العامي مع الفصيح، وبذلك يمثلون قدوة سيئة لمعلمي المستقبل.

ثانيا: التأهيل المعرفي العام:

حيث إن اللغة وعاء الفكر وأداة التفكير، وبها يتم توصيل المعلومات في شتى حقول المعرفة، كما أسلفنا كان لابد لمعلم اللغة العربية أن يكون على اطلاع واسع وثقافة عالية، فهو كما ذكرنا من قبل ليس مدرس مادة فحسب، بل معلم مهارة التواصل في مجالات المعرفة المختلفة.

لكن هل مؤسسات التأهيل التربوي تزود معلم المستقبل بهذه الخلفية الثقافية العريضة؟.

إنني أشك فى ذلك وهي في ذلك معذورة إلى حد ما، حيث إن السنوات القليلة التي يقضيها الطالب في الكلية لا تكفي لرفع مستواه اللغوي والمعرفي التخصصي المتدني أضف إلى ذلك أن معلمي العربية كثيرا ما يشكون من كثرة الدروس التي يؤدونها والواجبات التي عليهم تصحيحها، مما لا يترك لهم وقتا للاطلاع والتثقف.

التأهيل المعرفي المتخصص:

المتوقع أن يكون هذا هو المجال الذي يتم القيام به في صورة جيدة، ونظن أن نجاحا من نوع ما ربما يتحقق خاصة في كليات الآداب. ولكن هل الطالب يتلقى فعلا ما يفيده عمليا من المقررات التي يدرس؟ هنا نجد أن كثيرا من المقررات في النحو والصرف مثلا قد تؤكد على الغريب وموضوعات الخلاف بين النحاة، على حساب الجوانب المعرفية المفيدة عمليا.

من جهة أخرى، نجد أن الطلاب في كليات التربية محرومون حتي من جزء من هذا، وذلك لازدحام مناهجهم بالمواد التربوية. وهي حقيقة معروفة، فطالب اللغة العربية في كليات التربية عامة يدرس ساعات ومقررات أقل من نظيره في كليات الآداب، بينما العكس كان يجب أن يتم. وهذا



يفسر الدعوة الحكيمة إلى إلغاء الدراسة التربوية على المستوى الجامعي وجعل التأهيل التربوي تالياً للتأهيل المعرفي التخصصي. بذلك لا يتم التأهيل التربوي على حساب التخصص أو العكس.

ونشير هنا إلى قضية خطيرة يعاني منها كثير من برامج اللغة العربية، الا وهي تجاهلها التام أو شبه التام للمستجدات في الدراسات اللسانية الحديثة من صوتية أو نحوية أو دلالية أو معجمية. وكأن القائمين على هذه البرامج يعيشون في غير العصر الذى نعيش فيه، وكأن اللغة العربية ليست لغة كسائر لغات البشر من حيث أصواتها وتراكيبها ودلالتها. (من هنا تأتي شكاوى التقنيين في المجال الحاسوبي والمعلوماتي لما يلمسونه من فقر شديد في الدراسات اللغوية العربية التى يحتاجون إليها لتطوير البرمجيات التي تخدم اللغة العربية والأمة العربية في عصر التفجر المعلوماتي).

التأهيل التربوي:

بالتأهيل التربوي نقصد أنواع المقررات الدراسية التي تعين معلم المستقبل في أداء عمله التدريسي بالصورة المرجوة. ويشمل ذلك «قضايا لغوية نفسية ولغوية اجتماعية - نفسية وتربوية نظرية وعملية».

(١) من نظرة إلى مناهج كليات التربية، نلاحظ غالبا غياب المقررات اللغوية النفسية التي تعالج أمورا مثل اكتساب اللغة ونظرياته والعوامل النفسية المساعدة أو المعيقة (كالدافعية والميول والاستعداد والرغبة والحالة النفسية للدارس) كما نلاحظ غياب المقررات اللغوية الاجتماعية التي تعالج قضايا مثل العوامل الاجتماعية المعينة أو المعيقة لتعلم اللغة، كالازدواج اللغوي أو اللهجي ونظرة المجتمع إلى اللغة المدروسة ووظيفة اللغة الاجتماعية).

(٢) لا شك أن جميع كليات التربية ومؤسسات التأهيل التربوي الأخرى تقدم الكثير من المقررات النفسية والتربوية، غير أن معظم تلك المقررات، باستثناء مقرري طرق التدريس الخاصة والتربية العملية، تتسم بالعمومية، وهذان الأخيران يعانيان في كثير من الأحيان من الجمود النسبي وعدم متابعة المستجدات في ميدان تعليم اللغات من مذاهب وطرائق وأساليب. فكل جيل من المدربين يكاد يسير على نفس النهج الذي تعلمه من سلفه، دون تجديد يذكر، هذا ونقصد بعمومية هذه المقررات أنها تعالج القضايا بصورة فضفاضة تفوت على كثير من الطلاب الاستفادة منها فى مجال تخصصهم، فمادة مثل التقويم التربوي لا شك تكون أجدى لو درس الطالب بدلا منها مقررا في أساليب الاختبارات اللغوية، ويا حبذا لو كانت مادة مثل «تكنولوجيا التعليم» تقدم فى صورة الوسائل المعينة في تعليم اللغة،

وهكذا.

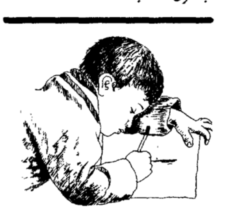
ومن القضايا التي جدت في تعليم اللغات مثلا التأكيد على الجانب التواصلي للغة وعلى الأساليب المستخدمة في تعليم اللغة أداة للتواصل (مثل الاستعلام والاعلام والتحاور والتفاوض وغيرها من وظائف اللغة). من ثم جدت تقنيات جديدة مثل استخدام الألعاب اللغوية وتمثيل الأدوار والمنافسات اللغوية، إضافة إلى استخدام وسائل التقنية الحديثة من معينات بصرية كالعارض العلوي ومن مسجلات صوت وصوت وصورة (فديو) وتلفاز وحاسبات آلية وغيرها من أدوات التعليم العصرية. ولنا أن نسأل كم من هذه الأمور تقدم لمعلمي الغة العربية، ليستفيدوا منها في أداء رسالتهم بصورة تتمشى مع روح العصر وتستفيد من إمكاناته؟ هذا مع العلم بأن الكثيرين من الأطفال العرب على اتصال قليل أو كبير بأدوات التقنية هذه في البيت والمدرسة.

الطالب:

فى العالم العربي، يبدو أنه لازال البعض ينظر إلى الطلاب بوصفهم أوعية للتلقي أو التسجيل لما يلقى عليهم من دروس. فواجبهم الاول هو حفظ هذه الدروس (كما تفعل أجهزة التسجيل الالكترونية) ثم إعادة المعلومات المسجلة مكتوبة فى أوراق الامتحانات الدورية أو السنوية، والويل لمن يخون أمانة الحفظ هذه، بتحوير أو تفسير أو حذف أو إضافة وتعاني اللغة العربية الكثير من هذه النظرة الخاطئة للطلاب وللعملية التعليمية، حيث تتحول دروس اللغة العربية إلى مجرد استظهار لسيل من المصطلحات وتطبيقات الية لقواعد اللغة. بل ويتعدى ذلك حتى إلى التذوق الأدبي، حيث يستظهر الطلاب المعلومات عن القطعة الأدبية وعصرها ومؤلفها وما يقوله مؤلفو الكتاب الدراسي عنها، دون إدراك لحقيقة المادة وأهدافها النبيلة من شحذ لخيال الطالب وتشجيع على التعبير الحر عن مكنونات نفسه وانطباعاته الشخصية.

ثانيا: تعاني دروس اللغة العربية من جفاء كثير من التلاميذ، لأسباب عديدة، حتى إن البعض ينظر إليها وكأنها عدو يتربص به أو عقدة كأداء في درب نجاحه المدرسي، وهي في ذلك تشبه مادة اللغة الأجنبية والرياضيات، ولا شك أن للمعلمين وطرائق التدريس دوراً في هذه النظرة السلبية إلى اللغة العربية، فنحن نطالب التلميذ أن يتعلم لهجة جديدة (الفصحى) ونريد منه أن يتدرب على استعمالها في الفهم والتحدث والكتابة، مع ذلك لانهيء له الفرص المناسبة لذلك. بل العكس صحيح، حيث المعلمون في المدرسة ووسائل الاعلام يمطرونه بوابل من العاميات التي تشجعه أو تجبره على الابتعاد عن الفصحى. فهو لا يجد حتى الفرصة الكافية للاستماع إليها، ناهيك عن استعمالها. ومن المعلوم أن اللغة مهارة لا تنمو إلا بالممارسة الفعلية، أو بالتعرض لها بدرجة كافية، كما يخبرنا المتخصصون في علم اللغة النفسي من سلوكيين ومعرفيين. وإن نظرة إلى أطفالنا بعد مشاهدة الأفلام الشيقة بالفصحى (معظمها من الصور المتحركة المترجمة) وللبرامج التعليمية الجيدة القليلة (مثل افتح يا سمسم) لتثبت لنا مدى استعدادهم لتقبل الفصحي ولاستعمالها تلقياً وإنتاجاً.

■ **ملخص القول هنا هو أن الطفل العربي بريء إلى حد كبير مما يعانيه من ضعف فى اللغة العربية، فلو وفرنا له المناخ التعليمي والاجتماعي المناسبين لما كانت هذه حالته مع الفصحي، ولا أقول مع العربية، فكل طفل عربي يعيش في بيئة عربية يجيد العربية في إحدى صورها (اللهجة العامية) إجادة تامة. وكل ما يعوزنا هو تمكينه من العربية الفصيحة في شكليها المنطوق والمكتوب وتحبيبها إلى قلبه بالعمل لا بالقول فحسب.**



تعريب التعليم العلمي

نحن اليوم بحاجة الى اخذ كل ما ينقصنا وايداعه البحوث والكتب والمحاضرات، وهناك قانون اسمه حكم الزمن، وهو قانون يقضي بأن ما يعرب اليوم قد يكون فيه الصالح وغير الصالح، ولكن عملية التصفية يقوم بها الزمن، لقد عرب العرب في عصر الترجمة بعض الكتب مرتين أو ثلاثا لأنهم شعروا ان التعريب الأول لم يكن هو الأصلح، وحكم الزمن يقضي بأن نقبل ما ثبت صلاحه، ونحن اليوم نقبل جغرافيا وميتافيزيقا والسيلوجسمس، واللازورد، ومئات بل الوف بل عشرات الالوف من مثل هذه المصطلحات، وليكن دليلنا بعض المبادىء التالية:

١ ـ أن دخول عشرات الالوف من المصطلحات ـ حتى في صورتها الأصلية ـ لا ينقل اللغة العربية عن طبيعتها ولا يحولها الى لغة اخرى.

٢ ـ أن وضع الرموز (في غير العلوم القائمة على الرموز) ليس من طبيعة اللغة العربية، ولا تستطيع اللغة ان تثور على طبيعتها فالايجاز بالحروف (مثل يونسكو) ان لم يكن مستورداً لا يجرى على الالسنة الا اذا كان متسقاً واشتقاقات اللغة مثل «باسم» (البنك الآلي السعودي للمصطلحات) و«مآب» (مؤسسة آل البيت).

٣ ـ ان كل متتبع للنحت في العربية يدرك ان مجاله محدود، وتوسيعه متعذر، وأنه قاصر في الأغلب على النسبة الى الأسماء المركبة تركيب اضافة مثل عبد شمس (فيقال فيها عبشمي) أو على الجمل مثل البسملة أو الحوقلة قال (بسم الله الرحمن الرحيم. .) (لا حول ولا قوة الا بالله) ولهذا لا يمكن أن ننحت كلمة من موصوف وصفة ـ مثلا ـ لأن ذلك يعني أن نعطي للصفة قيمة مثل قيمة الموصوف.

٤ ـ أن التعريب يجب أن يكون شاملا، فلا يجوز أن نعرب مصطلحات الهندسة دون أن نعرب مصطلحات الموسيقى. . وهكذا.

٥ ـ ان المجلات العلمية خطوة ضرورية أهم من الكتاب أحياناً لأن قراءة البحث أيسر، وأقرب متناولا وأقل كلفة زمنية وإيجاد المجلات ذات المستوى العلمي يشجع الأساتذة على الكتابة باللغة العربية.

٦ ـ إن الاقدام على تعميم التعريب تعليمياً يجب ان يكون انبعاثاً من ذات كل معلم بل على الأستاذ أن يدرب طلابه، على تقديم بحوثهم باللغة العربية وإن كانت مصادرهم غير عربية.

٧ ـ لا يمكن الاطمئنان الى أن التعريب لن يقتل تعلم لغة اجنبية إلا اذا بدأنا برفع مستوى اللغة الأجنبية في المدارس الابتدائية والثانوية.

٨ ـ ان للشعب عبقريته الخاصة في نقل المصطلحات، وبخاصة في المجالات الحرفية، ويجب أن لا نرفض المصطلح لكونه قد جرى في التداول بين العامة، فالعامي في كثير من الأحيان خير من الغريب المتأبد الذي نحاول إحياءه من داخل معاجم اللغة.

٩ ـ أن ما أخذ منا يجب أن يظل كما أخذ حين يعود الينا (لا أن نعربه من جديد، فـ Kiosk هي جوسق، واراها عادت الينا في صورة «كشك» وجوالق هي الكيس الذي يجعل للتحب وغيره وليست «شوال» وهكذا.

لقد توالت الأعوام بعد الأعوام ونحن نتحدث عن غنى العربية واتساع صدرها ونحوك الأحاديث الخطابية، عن قيمة التعريب، ونتباكى على عدم حلوله بيننا والتعريب عملية تنفيذ، في صوغ المصطلح وفي اخضاعه للاستعمال معاً، فلنقلل ـ في هذه المرحلة ـ من تحكيم الذوق فيما يعجبنا ومالا يعجبنا من مصطلح، اذ لم يعد لدينا مجال كبير للانتقاء والفرز، فالى عمل مثمر نتدارك به ما فاتنا، والله الموفق.

أ. د. إحسان عباس
عضو مجمع اللغة العربية الاردني
من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني

الإعـــــــلام .. و

- علم الاتصال بالجماهير يعتمد المنهج التجريبي في دراسة ورصد لغة التخاطب كظاهرة اجتماعية.
- الدراسات اللغوية العربية تأثرت كثيرا بالطابع الاغريقي الفلسفي.
- علم القراءات أثرى الدراسات الصوتية لاهتمامه بالتناغم الصوتي بين أحرف الكلمة، والكلمات المتجاورة.
- البحوث اللغوية في أوروبا ظلت محصورة في دائرة ضيقة حتى أواخر القرن الثامن عشر.
- الدراسات المقارنة في علم اللغة أظهرت كثيرا من النتائج ذات الأهمية القصوى في هذا الجانب.

واللغة هى مرآة تعكس الفكر أو وسيلة للتعبير عن الافكار وتوصيلها او تبادلها، اذ يعرف «هنرى سويت» اللغة فى كتاب «مدخل تاريخ اللغة» بانها: **(التعبير عن الفكر عن طريق الاصوات اللغوية)**، كما يعرفها العالم الامريكى «سابير» فى كتابه «اللغة» بأنها **(وسيلة لتوصيل الافكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى يستخدمها الفرد باختياره)**. ويعرفها «جسبرسن» بقوله:

«تكمن روح اللغة فى نوع من النشاط الانسانى، نشاط من جانب فرد يجد فى افهام نفسه لشخص اخر، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بفرض **فهم** ما كان يجرى فى ذهن الشخص الأول».

ولكن علم الاتصال بالجماهير بوصفه عملية اجتماعية عامة هو العلم الذى يدرس هذه الظواهر دراسة منظمة تعتمد على المنهج التجريبى وتقوم على تكوين الفروض العامة والملاحظة واجراء التجارب والقياس، وقد هيأت ظروف الحربين العالميتين فرصة سانحة لدراسة أساليب الاتصال وفنون التأثير التى ما كان يمكن ان تتاح على نطاق واسع لولا هذه الظروف **ففيها** استطاع العلماء اجراء تجارب علمية على الجنود والمدنيين لمعرفة مدى تأثرهم بالاتصال وقد خرجوا من دراسة الحالات واجراء التجارب بمجموعة النظريات التى تربط بين عدد من الوقائع حتى بلغ هذا العلم مستوى رفيعا[٦].

ومع ان علم الاتصال بالجماهير من أحدث الدراسات التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية فان عملية التأثير والاقناع كانت موضع دراسة عميقة وجادة منذ اقدم العصور، حتى لنجد الكتب المقدسة تتحدث عن الكلمة، وفى القرآن الكريم **﴿وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، انك انت العليم الحكيم﴾** (سورة البقرة الآية ٣١/٣٢). وقد تطور افلاطون وارسطو بهذه النزعة الروحية فى تفسير نشأة اللغة فعنيا عناية فائقة بدراستها وهى من الموضوعات الهامة فى علم الاتصال، **فيذهب افلاطون الى أن اللغة إلهام ومقدرة فطرية يكتسبها الانسان منذ الخلق**، وقد نهج باديء ذى بدء نهجا خاصا عبر به فرأى أن لا سبيل الى فهم الحقيقة اللغوية الا بالنظر فى الالفاظ الاولى فى لغات عدة ولذا فقد رأى أن النظر فى اللغات

اللغـــــــة



بقلم: أ.د. محمد عبد المنعم خفاجي

اللغة وثيقة الاتصال بالاعلام، والاعلام وثيق الصلة باللغة وذلك ما يقوم به الاتصال الجماهيرى.

ويؤكد (لوبون) اهمية الايحاء فى التأثير الاجتماعى، بينما يذهب (تارد) الى ان المحاكاة هى أساس التفاعل الذى يتم فى المجتمع، والوسيلة الرئيسية للمحاكاة هى اللغة، فهى الاداة الاولى لنقل العادات والتقاليد والخبرات على اختلافها عبر الاجيال والجماعات والافراد والعصور[1].

الكاتب فى سطور

- اهتم بالدراسات الأدبية واللغوية.
- عمل عميدا لكلية اللغة العربية جامعة الازهر.
- له انتاج غزير وافر من المؤلفات.
- درس فى مجموعة من جامعات الدول العربية.
- تخرج عليه جمع هائل من طلاب الدراسات العليا.
- رئيس رابطة الأدب الحديث فى القاهرة.

الاخرى للشعوب المختلفة امر ضرورى للوصول الى الهدف المنشود، ويدرك افلاطون صعوبة المحاولة ويقرر أن السبيل اليها هو معرفة اللغات الاخرى. على أن افلاطون يرى ان الالفاظ تساعد على التوضيح وان الفكر لا يتولد من اللغة ولكن اللغة هى التى تتولد من الفكر فلكى نسمى الاشياء باسمائها لابد لنا من أن نعرفها أولا.

أما ارسطو فقد مثل النزعة الأخرى حين يتناول موضوع الاتصال بطريقة مباشرة فى كتابه «الخطابة» **فاتجه بالدراسة اللغوية اتجاها مختلفا عن اتجاه افلاطون فأكد ان اللغة لا يمكن أن تكون الهاما وموهبة انسانية وأن اللغة نظام لفظى محدد نشأ نتيجة اتفاق بين افراد المجموعة البشرية فى مكان ما.**

وقد كان ارسطو اقرب من افلاطون فى الأخذ بالنظر العلمى، فقسم الألفاظ إلى اسماء وأفعال وحروف وتحدث عن موضوعات لغوية منها التذكير والتأنيث والبسيط والمركب، ولآراء أرسطو فى اللغة مكانتها التاريخية فى علم الاتصال بالجماهير حين يؤكد ان «الخطابة» **هى القدرة على النظر فى كل ما يوصل الى الاقناع فى اية مسألة من المسائل**، ذلك ان الخطابة أو البلاغة باعتبارها قوة مؤثرة فى الجماهير هى محور دراسة علم الاتصال الجماهيرى الحديثة، فأرسطو يقسم الموقف الاتصالى الى ثلاثة عناصر: هى الخطيب أو المرسل والجمهور أو المستقبل والخطبة او الرسالة مع ضرورة فهم الخطيب لرسالته وجمهوره على السواء.

وقد نقل العرب هذا العلم الى اللغة العربية بعد ان قرأوه مترجما على يد الارامين والسريان، ومن العجيب انهم لم يتأثروا بالتفكير الهندوكي اللغوى بالرغم من اتصالهم بهم[3]. **ومن هنا انطبعت الدراسات اللغوية العربية بطابع من افكار الاغريق ودراساتهم التى يغلب عليها طابع الفلسفة[4]، وقد**

كان المسلمون يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية (السياسة)[٥]، كما ورد فى (مروج الذهب) للمسعودى يقول: «وقد بلغ من احكام معاوية للسياسة واتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه واعوانه.. الخ. ويقصد بذلك تأثير معاوية فى الجماهير عن طريق الرواية والدعاية.، وقد بلغ به الأمر الى حد ترتيب القصاص والرواة فى الأمكنة العامة والمساجد الكبرى من أجل التحكم فى نفوس الجماهير، ومن يتتبع تاريخ الطبرى وابن الاثير يستطيع ان يقف على تفاصيل الدعاية الاسلامية فى العصرين الاموى والعباسى كما يتضح له دور الفرق الاسلامية المختلفة من أهل السنة والمعتزلة والشيعة فى الدعاية السياسية والدينية معا[٦].

وعنى الجاحظ بموضوع التأثير فى الجماهير فى كتابه «البيان والتبيين» يقول: **(ومتى شاكل - ابقاك الله - ذلك اللفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا وخرج من سماحة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قمينا يحسن الموقع وانتفاع المستمع واجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمى عرضه من اعتراض العيابين ولا تزال القلوب به مغمورة مأهولة ومتى كان اللفظ أيضا كريما فى نفسه متحيزا فى جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الاسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواه وشاع فى الافاق ذكره وعظم فى الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم ورياضة للمتعلم فاذا اراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يحصى وينصح ولا يغشى وكان مشغوفا بأهل الجماعة شغفا لا بأهل الاختلاف والفرقة رجعت له الحظوظ من اقطارها وسبقت إليه القلوب بازمتها وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته وجبلت على تصويب ارادته، ومن اعاده الله من معرفته مضيئا وافرغ عليه من حبته ذنوب؛ حنت اليه المعانى وسلس له نظام اللفظ وكان قد أغنى المستمع من كد الكلف واراح قارىء الكتاب من علاج التفهم**[٧].

ومن بعده عنى الباحثون العرب كذلك بدراسة لغتهم بعد نزول القران واتساع الفتوحات وخاصة بعد قيام الدولة العباسية فجندوا انفسهم للعناية بأمور اللغة حرصا على كتاب الله فاتجهت الدراسات اللغوية فى اتجاهات عدة واهتدى الباحثون لمسائل دقيقة فيها. قال الفراء: وجدنا للغة العرب فضلا على لغات جميع الامم اختصاصا من الله تعالى كرامة اكرمهم بها ومن خصائصها انه يوجد فيها من الايجاز مالا يوجد فى غيرها من اللغات[٨].

ويبرز الاتجاه الاول فى عناية الباحثين العرب بما يسميه علماء الغرب «بعلم التنظيم التعليمى»[٩] أو «علم النحو» الذى بدأ يظهر على يد الباحث اللغوى أبى الاسود الدؤلى وظلت العناية موجهة فى هذا الاتجاه الى نهاية القرن الاول الهجرى، ثم أخذ نطاق البحث يتسع، فدرست موضوعات كثيرة متصلة باجزاء الكلام وتباين صلة اجزاء الجملة بعضها ببعض، وطريقة ربطها بعضها ببعض واقسام الكلمة ووظيفتها فى الدلالة، كما أخذ العلماء العرب فى هذا الاتجاه يدرسون المسائل المتعلقة بضبط القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات العربية وتصريفها وتغيير أبنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك من البحوث التى يطلق عليها الغرب «المورفولوجيا التعليمية» أى «علم البنية التعليمى»[١٠]، وبذلك وجد السبيل لدراسة الفرع الجديد الذى عرفناه، بعلم الصرف.

والدراسات العربية اتجهت كذلك الى موضوع يتصل بعلم الاتصال عن قرب على النحو الذى وجدناه لدى أرسطو وهذا الاتجاه هو المعروف «بعلوم البلاغة» التى تضم المعانى، والبيان والبديع، وعلم المعانى بحث فى بيان ما ينبغى أن يكون عليه الاسلوب العربى ليطابق مقتضى الحال وليعبر عن المراد أبلغ تعبير، اما البيان فهو علم يشرح المناهج التى يسلكها الاسلوب العربى فى استخدام التشبيهات والمجازات والكنايات، والبديع يدرس المحسنات المعنوية واللفظية التى يحتملها الاسلوب العربى الذى تتجه اليه علوم الاتصال بالجماهير وهى «علم الاسلوب التعليمى».

وقد عنى المتقدمون بالكتابة فى بعض هذه المباحث «كمجاز القرآن» **لابى عبيدة** و«اعجاز القرآن» **للجاحظ**، ثم برزت الكتابة فى هذه العلوم فى مؤلفات تضمها جميعا «كالصناعتين» **لابى هلال العسكرى** و«اسرار البلاغة» و«دلائل الاعجاز» **لعبد القاهر الجرجانى**.

ونجد العلماء العرب يبحثون فى الكلمة العربية من حيث نطقها وأدائها، لبيان الوجوه التى قرىء بها القرآن الكريم ـ وقد اشتملت مؤلفات الباحثين فى القراءات على بحوث دقيقة قيمة فى اصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وأنواعها ومخارجها والفن وضروبه وتأثر أصوات الكلمة المتجاورة بعضها ببعض. وما الى ذلك من المسائل الخاصة باللغة العربية[11]، واتجهت جهود الباحثين العرب الى البحث فى أشعار العرب فجمعتها ونقبت عن معانى الغريب فى مفرداتها هادفة من وراء ذلك الى فهم كتاب الله، ويدلنا على ذلك ما روى[12]، عن ابن عباس رضى الله عنه بهذا الصدد: الشعر ديوان العرب فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى انزله الله رجعنا الى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه. وقال ايضا: «اذا تعاجم شىء من القرآن فانظروا فى الشعر، فان الشعر عربى».

كما عنوا بمتن اللغة، والذى تفرعت منه ثلاثة اقسام، عنى الاول منها بوضع معجمات تهدف الى شرح المفردات واول من عمل على تدوين معجم شامل من هذا القبيل هو **الخليل بن أحمد** صاحب كتاب «العين».

وكذلك عنوا بوضع معجمات ترمى الى بيان المفردات الموضوعة المختلفة المعانى وترتيب المعانى بطريقة خاصة وذكر الالفاظ التى تقال للتعبير عن كل معنى منها ككتاب «الألفاظ» **لابن السكيت**، و«الالفاظ الكتابية» **للهمدانى**، و«فقه اللغة» **للثعالبى**.

وزادت عنايتهم بتأليف رسائل خاصة فى الالفاظ أو المعانى ككتاب ابى حنيفة فى الانواء والنبات وكتاب يعقوب بن السكيت فى النبات والاصوات وكتاب الاضداد فى اللغة للانبارى.. الخ.

واتجه البحث اللغوى عند العرب ـ فى الاتجاه الأخير ـ الى «فقه اللغة العربية» وبعض مسائل من علم اللغة العام[13]، فمن ذلك دراسة **الاصمعى** للاشتقاق فى اللغة العربية، ومعظم البحوث التى ضمنها ابن فارس كتابه «الصاحبى» فى فقه اللغة وسوق العرب فى كلامها كبحثه فى خصائص اللسان العربى والقياس والاشتقاق.. الخ، والبحوث التى ضمنها ابن جنى كتابه «الخصائص» كبحثه فى اصل اللغة وهل هى الهام أم اصطلاح، ومن ذلك يبين ان الدراسات اللغوية عند علماء العرب باتجاهاتها المختلفة، افادت فى دراسة أهم عناصر العملية الاتصالية ونعنى اللغة حيث نتعرف على تطور اللفظ والاساليب والعوامل التى اثرت فى تطور الاساليب اجتماعيا ونفسيا وجغرافيا، وقد وجدنا ان الفارابى[14] المعروف فى التاريخ بالمعلم الثانى بعد ارسطو وعبد الرحمن بن خلدون قد اسهما فى دراسة دور الاتصال فى المجتمع، كما قام الجاحظ بدراسة شيقة للخطابة والتأثير فى الناس، ويتحدث الفارابى فى «اراء أهل المدينة الفاضلة»، عن عوامل تمسك الجماعة ودور القيادة فى ذلك، وهو يقسم الجماعات الى قسمين: جماعات صغيرة تتماسك بطول التلاقى والاشتراك فى الطعام والشراب والاشتراك فى دفع شر يداهمهم وخاصة اذا كان نوع الشر واحدا وتلاقوا، فان بعضهم يكون سلوة بعض والاشتراك فى لذة ما، اما القسم الاخر فهو الجماعات الكبيرة التى تتماسك بالاشتراك فى اللغة واللسان وبتشابه الشيم والخلق.

ولقد ظلت البحوث اللغوية فى اوروبا حتى اواخر القرن الثامن عشر الميلادى محصورة فى دائرة ضيقة ولا تعدو كثيرا مسائل علوم البنية والتنظيم والاسلوب فى اشكالها التعليمية[15]، ولما بدأت النهضة الاوربية فى أواخر ذلك القرن واطلع العلماء على العلوم العربية مترجمة الى لغاتهم بدأ الاهتمام بالدراسات اللغوية حين بدأ علم اللغة المقارن على يد السير وليام جونز المتوفى عام **١٧٩٥** احد قضاة الانجليز فى الهند والذى لاحظ الشبه القوى بينن اللغة السنسكريتية واللغة

الاغريقية واللاتينية، وأن هذه اللغات جميعا صدرت عن اصل واحد، وكان من أشهر من افتتح هذه السبل فون شليجل الذى قرر أن الوسيلة الوحيدة لاثبات العلاقة بين أفراد مجموعة لغوية هى مقارنة قواعدها وتراتيبها لا مجرد جمع المفردات المشتركة بينها.

وقد توالت الدراسات اللغوية فتمكن العالمان بوب وجريم من التوصل الى قوانين فى تلك اللغات مثل القوانين فى اللغات الهندية والتى جعلت اساسا للدراسة اللغوية، وكان ذلك ايذانا بالتوصل الى دراسة القواعد دراسة مقارنة مهدت بدورها الى بحوث علم القواعد التاريخى التى قام بها جريم ودبيز وبراشيه وماكس مولر وغيرهم، وقد اسدى هذا المنهج المقارن فى دراسة اللغة خدمة جليلة فى بيان طبيعتها وخرج بعلم اللغة الى مرحلة البحث الدقيق وكشف لأول مرة عن وجود ما أطلقوا عليه اسم «القوانين الصوتية» وظهور علم الاصوات التشريحى على يد مولر، وقد تهيأ لهؤلاء العلماء ان ينتهوا الى طريقة فى الأصوات تميز الحروف اللاتينية.

كما أثمر هذا المنهج المقارن النهوض بمختلف الفروع اللغوية لقيام طائفة متخصصة بكل ناحية دراسية وظهور علم اللغة العام وقد كتب فيه ماكس مولر محاضرات فى علم اللغة وقد نشر سنة ١٨٦١، كما جاء كتاب الامريكى Whitney فى كتابين فى نفس الموضوع هما «اللغة ودراستها» و«حياة اللغة وتطورها»، وقد جنح هذا الاخير باتباع مذهب دارون فى التطور فكانت اللغة عنده من الكائنات الطبيعية التى يعرض لها التطور، فبدأ بدراسة لغة الحيوانات على انها تؤلف مرحلة مبكرة من مراحل تطور اللغة الانسانية، ذلك ان اولى محاولات التحليل اللغوى فى العصر الحديث ارتبطت بتيارات الفكر العلمى التى سادت القرن التاسع عشر، ومن ثم فقد ظهرت تلك المحاولات فى اطار علم اللغة المقارن.

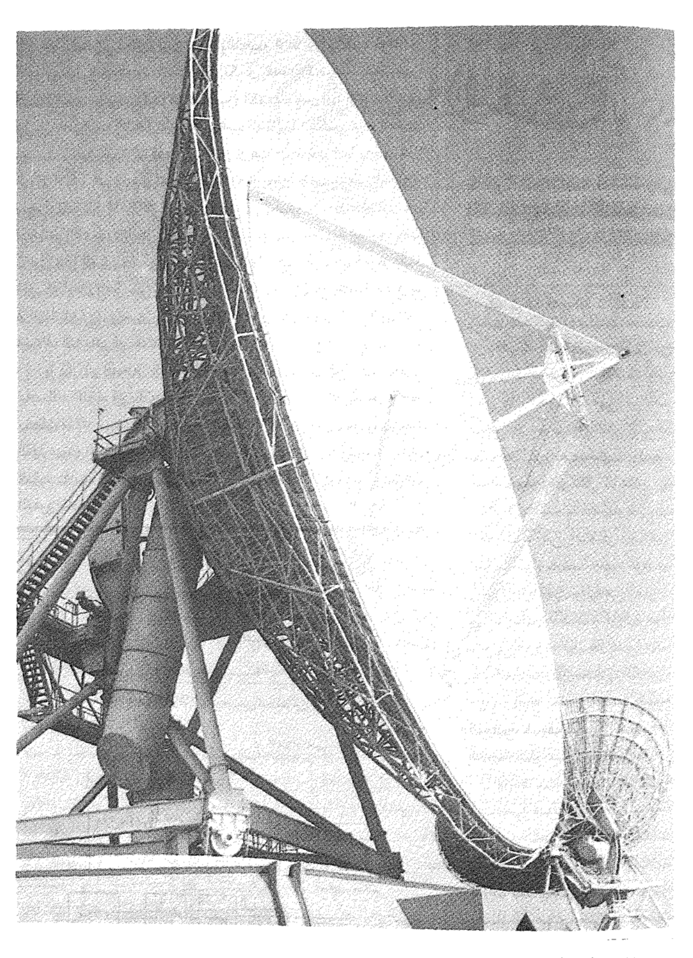
وعالج توماس هوبز الذى عاش فى انجلترا فى القرن التاسع عشر مسائل التفاعل الاجتماعى عن طريق الاتصال واستخدام اللغة وذلك فى كتابه «التنين» ويقول هوبز ان التجمع ليس صفة مقصورة على البشر فهناك تجمعات النمل وخلايا النحل التى تتصف بالتماسك ودقة العمل.

ثم يقول ان أهم ما يميز التجمعات البشرية عن التجمعات الدنيا، هو وجود لغة ذات الفاظ تمكن الفرد من أن ينقل الى الاخرين أفكاره وآراءه بما يرى أنه الصالح العام لهذا التجمع فاذا كان الاتصال بين الحشرات قائما على مقتضيات المواقف الجزئية المباشرة فان الاتصال الانسانى على العكس من ذلك قائم على استخدام الرموز والالفاظ للتعبير عن الافكار والاراء، فليس غريبا أن الانسان وهو الحيوان الناطق، وهو ايضا الحيوان الذى يحارب بالفكر والعقيدة والدعاية والسلاح، ولذلك يتطلب الأمر وجود قوة تتمثل فى الدولة أو الحكومة التى تنظم الاطماع وتنسق الأفكار، حتى لا تعم الفوضى ويذهب الناس فى سبل شتى.

وفى سنة ١٨٦٠، بدأ اثنان من الباحثين هما لازاروس، وستينتال نشر بحوث متصلة بعلم النفس للشعوب وفيها دراسات عن أسباب الشعور المتماثل لدى الأفراد وهى الروح العامة التى تظهر فى اللغة والأساطير والدين والتراث الشعبى والفن والأدب وقواعد الاخلاق السائدة والعرف والقانون.

الهوامش

(١) راجع فى ذلك «المدخل الى علم الاعلام اللغوى للدكتور عبد العزيز شرف.
(٢) د. ابراهيم امام: الاعلام والاتصال بالجماهير ص٣٥.
(٣) ابراهيم السامرائى: التطور اللغوى التاريخى ص١١.
(٤) د. عبد الرحمن ايوب: اللغة والتطور ص١٦.
(٥) د. ابراهيم امام: الاعلام والاتصال بالجماهير ص٢٩.
(٦) د. ابراهيم امام: الاعلام والاتصال بالجماهير ص٢٩.
(٧) البيان والتبيين ٣/٢٠.
(٨) د. وافى، علم اللغة، ص ٥٩.
(٩، ١٠) د. وافى: نفس المرجع ص٥٩، وما بعدها.
(١١) القلقشندى: صبح الاعشى ج١ - ص١٤٩.، د. وافى «علم اللغة» ص٥٣، المرجع السابق ص ٥٣، ٥٦.
(١٢) تفسير القرطبى ج١٠ ص١٢٩.
(١٣) د. وافى: علم اللغة ص٥٩.
(١٤) الفارابى - ابو نصر «اراء أهل المدينة الفاضلة، القاهرة ١٩٤٨
(١٥) د. وافى: علم اللغة ص٤٠.



● مدينة الملك فهد للاتصالات الفضائية
تعد أحد عوامل التواصل الثقافي والفكري . .
ولها فاعليتها في نثل البث الاذاعي لكثير من المسلمين في انحاء العالم.

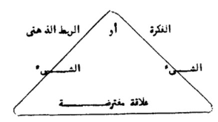
اللغـــة ..

• رقعة الخلاف بين القاموسية القديمة
• مضمون الكلمة

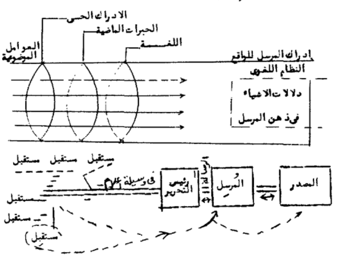
بقلم: د. عبد العزيز شرف ـ القاهرة ـ

ان موضـوع العلاقة بين اللغة والتعبير الاعلامى يتطلب نوعا من الاتفاق حول المصطلحات الاساسية، ذلك أن رقعة الخلاف قد اتسعت بين الدلالة المعاصرة وبين الدلالة القاموسية القديمة، ومن ابرز الشواهد على ذلـك مصـطلح (اللغة) على حد تعبير استاذنا الدكتور عبد الحميد يونس، فنحن جميعا نتفق اليوم على أن هذا المصطلح انما يعنى، فى المقام الاول، أهم وسيلة* من وسائل الاتصال بين الناس، وهى (اللسان)، ومع ذلك فان اللغة كانت عند الاقدمين ترادف ما نستعمله الان من مصطلح (اللهجة) فاللسان العربى هو اللغة العربية بالمفهوم المتبع، وقد تبلبل هذا اللسان فاستوعب لهجات مختلفة عرفت كل واحدة منها بأنها لغة، كأن يقال (لغة مضر) او (لغة تميم) اما الان فاننا نقول اللغة الانجليزية أو اللغة العربية، ونعنى بذلك الكيان اللغوى لكل أمة من هذه الامم على اختلاف اللهجات فى التلفظ والدلالة جميعا.

وإ ذا كان المعنى الخاص قد غلب على المعنى العام فيما يتصل بمصطلح اللغة، فان التعبير الاعلامى، وهو أضيق فى الدلالة من اللغة، يتطلب منا ان نستشف علاقة اللغة بوسيلة الاعلام، وهنا نذكر قول (هوبز) الفيلسـوف الانجليزى: (مثل الكلمات بالنسبة للعقلاء كمثل محل دفع النقود، فانهم لا يفعلون أكثر من تقديرها وعدها ـ ولكنها بالنسبة للبلهاء النقود نفسها).



وربما يسعفنا النموذج التالى فى أن نقع على بعض الملاحظ حول علاقة اللغة والادراك وعلاقتهما معا بعملية الاعلام ككل :



ذلـك أن الـلغـة نسـق من الاشارات موجود فى أى مجتمع ومن أجل هذا المجتمع، فهى من أهم وسائل الاتصال، ولذلك يجب أن نعـرف كيف نعـالجـهـا وكـيف نستخـدمها فى وسائل الاعلام من خلال فهمنا لبنائها المعقد، فليست الكلمات ـ وهى أصغـر وحـدات اللغة ـ أشياء غامضة خفية تحيط بها الأسرار والألغاز، وإنما هى أحداث فى الـزمـان والمكـان، أو كما يقول «ليونيل روبى» فان لها بعـدا ماديا كما أنها ترمـز الى معـان، فكأشياء مادية: اللغة تقال وتكتب، **والكلمة المجهورة تسبق الكلمة المدونة لان الناس تكلموا قبل أن يكتبوا.**

«والكلمـة المجهـورة كشىء مادى هى صوت أو جرس أو جلبة تحدث بوساطة اهتزازات عضلات زورك، وحـركـة هذه العضـلات تحدث ذبـذبـات فى الهـواء داخـل فمـك، وهـذه الحـركـات تحدث اهتزازات فى الهواء المحيط بك مارة خلال المنطقة التى تتحدث فيها ـ وهـذه الـذبذبات فى الهواء المحيط

في نظرية الإعلام

الدلالة اللغوية المعاصرة والدلالة اتسعت بشكل كبير. تحديدا وقيمتها يؤطرهما السياق.

ترتطم بطبلتي أذن الشخص الذي تتحدث اليه فتحدث حركات في جهازه العصبي ومخه، وعندئذ يسمع كلماتك».

وهنا يحدثنا «روبي» ساخرا من ذلك الكذوب المحتال البارون فون مونشهاوزن الشهير، عن اسطورته التي تزعم أن رجلا رفع عقيرته محييا صديقا له على الجانب الآخر من نهر الفولجا في أحد أيام الشتاء القارسة البرودة، ويقول البارون ان البرد كان شديدا جدا لدرجة أن الكلمات تجمدت قبل أن تعبر النهر وتصل الى الشاطيء الآخر. وأن هذه الكلمات لم تسمع حتى جاء الربيع فساحت مع ذوبان الثلج، وانطلقت الى غايتها!.

والبعد المعنوي للكلمة أهم من بعدها المادي، فعندما نقول ان الكلمات لها معان، فان ذلك يعني أن الناس اتفقوا على أن كلمة معينة مثل «الغلالة» تدل على الثوب الرقيق الذي يلبس تحت ثوب ضيق، وهنا تتضح علاقة اللغة بالتعبير الاعلامي، حين يكون الهدف منها هو نقل المعلومات.

واذا كان مفهوم الاعلام قد ظل زمنا طويلا غير محدد، فان نظرية ظهرت في الاعوام الأخيرة تسمح لنا بأن نقوم موضوعياً كمية المعلومات التي تتضمنها أي رسالة سواء أكانت الرسالة تقريرا عن موضوع ما أم قصيدة للعقاد أم حديثا تليفونيا أم مقطوعة موسيقية لعبد الوهاب أم تنبؤا بحالة الطقس أم اكتشافا يحقق ثورة في ميدان العلوم، وتسمى هذه النظرية باسم نظرية الاعلام التي انبثقت من مشكلات عملية خالصة، فوضع العالم الأمريكي كلودشانون عام **١٩٤٨ أساس نظرية الاحتمالات في الاعلام**، وبعده بدء الكثير في تطبيقها في مجالات واسعة من العلوم.

وكان أساس نظرية المعلومات الرياضية هو مفهوم عدم التحدد أو الانطروب Entropy، ويذهب «أ. كندراتوف» الى أن «شانون» هو صاحب الفضل في ادخال مبدأ القياس الكمي للمعلومات التي يحتويها اختيارنا لأحداث بعينها من بين سلسلة كبيرة من أحداث تقع وفق احتمالات مختلفة. **ووسائل الاتصال تفيد في نقل المعنى، فهي ليست مجرد مركبات من أحرف أو رموز لشفرة اصطلاحية، ان أول أهداف الاتصال اللغوي هو نقل المعنى، والسياق هو الذي يعين قيمة الكلمة، اذ ان الكلمة، كما يقول (فندريس) توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة (حضورية).**

وإزاء انتشار وسائل الاعلام واستخدام الكلمة مجهورة ومدونة، يبرز هذا السؤال: هل اللغة وسيلة واضحة يمكن الاعتماد عليها في اتصال الناس بعضهم بعضا؟ كيف نتأكد من أن ملايين الناس قد وعوا قصد المرسل ومعناه وما رغب في توصيله اليهم.؟

يمكننا أن نستعمل قول العالم النمساوي «بوهلر» ان الكلام دليل على الحالة العقلية للمتكلم ورمز للرسالة وتنبيه للسامع، ويظهرنا «ستيفن أولمان» على وظائف اساسية للكلام الانساني وهي أن الكلام: معبر وموصل ومؤثر، ويتوقف الأمر على ما اذا كان الموضوع ينظر اليه من زاوية المرسل أو الرسالة أو المستقبل.

والكلمات - في وسائل الاعلام - لها صورتان من الوجود: وجود بالقوة ووجود بالفعل، فكل كلمة - كما يقول (أولمان) أيضا - تسمع أو

تنطق تترك فى أثرها مجموعة من الانطباعات فى ذهن كل من المتكلم والسامع، يشترك فيها الاول بطريق ايجابى، وخاصة فى وسائل الاعلام، بوصفه بادئا بالاتصال، والثانى بطريق سلبى، بوصفه مستقبلا (بكسر الباء).

ويشكل المعنى المشكلة الجوهرية فى علم الاعلام اللغوى، ويمكننا أن نفيد هنا من تحليل الأستاذين «أوجدن» و«ريتشاردز» فى كتابهما: «معنى المعنى» والذى يتمثل فى مثلثهما المشهور، حيث يذهبان الى وجود عوامل ثلاثة تتضمنها أية علاقة رمزية:

أولها: الرمز نفسه. وثانيها: المحتوى العقلى الذى يحضر فى ذهن السامع حين يسمع الكلمة، وهذا المحتوى العقلى قد يكون صورة بصرية، أو صورة مهزوزة، أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهنى، طبقا للحالة المعينة، وهذا ما سماه هذان العالمان: «بالفكرة» أو الربط الذهنى Reference وهناك أخيرا الشىء نفسه الذى ارتبط ذهنيا بشىء اخر، وهذا الشىء قد سمياه المرتبط ذهنيا Referent . وقد وضحت العلاقة بين هذه المصطلحات الثلاثة بصورة مثلث، هكذا:

وربما يسعفنا النموذج التالى فى أن نقع على بعض الملاحظ حول علاقة اللغة والادراك وعلاقتهما معا بعملية الاعلام ككل:

وعملية الاتصال اللغوى فى الاعلام كما يدل عليها المصطلح، تنطوى على القراءة والكتابة والكلام، من خلال تحقيق جمع المعلومات ونقلها، ولا يمكن للاعلامى أن يقوم بالمعجزات عند استخدامه لوسيلة الاعلام، الا أن عليه أن يفهم أسلوب الاتصال اللغوى فهما صحيحا وينبغى أن يكون فى مقدوره مساعدة جمهور المستقبلين على فهمه ايضا، فمن الواضح أن عملية الاعلام تتم عن طريق اللغة، وقد ذكر (جون لوك) أن الكلمات تثير الشك والغموض، ومعنى أغلبها غير مؤكد، بحيث اننا لو شغلنا أنفسنا بالكلمات وبقينا نحوم حول أسماء الأشياء فلن يكون غريبا أن تضل الكلمات السبيل، فالمستقبل قارئا وسامعا يعرف القليل عن أهمية معانى الكلمات وعن أهمية الارتباك الناشىء عن تفسير كلمات الآخرين، **فيكون اذن على الاعلامى ان يساعد المستقبل على ادراك أسلوب الاتصال.**

يقول «شرام» اننا عندما نتصل بغيرنا فاننا نحاول أن نقيم مشاركة مع من نتصل به، أو بعبارة أخرى، أننا نحصل على المرسل والمتسلم لرسالة معينة.

فالمرسل على حد تعبير «شرام» يحاول توصيل معلوماته أو مشاعره التى يحولها الى كلمات مسموعة أو مكتوبة، وبعد ان ترسل الرسالة يتوقع المرسل انها قد رسمت فى ذهن المتسلم الصورة نفسها التى كانت فى ذهنه.

لقد أصبحت وسائل الاعلام بالنسبة للانسان المعاصر شيئا مفروغا منه، ولكنه مع ذلك لا يتدبر فى أثر هذه الوسائل على تفكيره وسلوكه، أو على سير مجتمعه، غير أن هناك ما يدل على أن الكثيرين فى مجتمعنا المعاصر قد أصبحوا يدركون ـ على الأقل ـ أثر وسائل الاعلام، ففى السبعينيات ظهر مدى النضج فى النقد، بحيث يبدو أن طوائف كثيرة من الشعب قد بدأت تفكر فى الاعلام مليا، وليس معنى ذلك أن كل نقد موجه الى الاعلام مقنع ـ وفى الحقيقة أن تحديد المصطلح يحتاج بداءة الى التعرف على طبيعة الاعلام الأساسية.

وفى البداية يحتاج المصطلحان: «اتصال واتصالات» الى ايضاح، فالاتصال ببساطة هو عملية الاتصال، والاتصالات هى الوسائل التكنولوجية المستخدمة لتنفيذ هذه العملية، والاتصال ـ اذن ـ هو حقيقة أساسية للوجود الانسانى والعملية الاجتماعية. بل ان الاتصال هو حامل العملية الاجتماعية، وهو الذى يجعل التفاعل بين الجنس البشرى ممكنا، ويمكن الناس من أن يصبحوا كائنات اجتماعية، وفى عملية الاتصال نهدف الى احداث تجاوب مع الشخص المتصل به، وبعبارة اخرى نحاول ان نشاركه فى استيعاب المعلومات أو فى نقل فكرة او اتجاه.

ووفقا لما ورد بقاموس ويبستر

عن تعريف الاتصال، نجد أنه يمثل «عملية يتم فيها تبادل المفاهيم بين الأفراد، **وذلك باستخدام نظام الرموز المعروفة**». فالاتصال يتضمن تفاعلات متبادلة أولها يتمثل فى ارسال واستقبال الرسائل وثانيها فى تحرير وفهم تلك الرسائل، والثالث فى المشاركة والتناغم مع أفكارها، وهذه التفاعلات يمكن تشبيهها بالمراحل المتداخلة التى تتضمنها الهندسة وعلما النفس والاجتماع، فمن الناحية الهندسية نجد الوسائل يقصد بها ارسال واستقبال الاشارات، وهكذا، على نحو ما يفصله ارفنج لوج وغيره من العلماء.

واذا حللنا عملية الاعلام فى الاتصال بالجماهير وجدنا انها تشتمل على خمسة عناصر رئيسية هى: المرسل الذى يصوغ فكرته فى رموز معينة، ويبعث بها الى المستقبل الذى يفك هذه الرموز ويفسر معناها، ثم يستجيب لها معبرا عن رده أو انطباعه برسالة جديدة يصوغها فى رموز، ويبعث بها الى المرسل الأول الذى يستقبلها ويحل رموزها ويستجيب لها، وهكذا تدور دورة الاتصال وتشكل أهم خصائص المجتمع المتفاعل.

والواقع ان عملية الاعلام تجرى فى سلسلة ذات حلقات متماسكة ويؤدى ضعف أى حلقة فيها الى ضعف السلسلة كلها، فالمرسل والمستقبل والرسالة ووسيلة الاعلام حلقات متصلة متكاملة فى عملية الاعلام.

فالمصدر أو المرسل أو المحرر، ينبغى - كما يقول ابن وهب - **ان يكونوا (أصح ديانة وأكمل امانة، وأظهر صيانة، لانهم مأمونون على الدماء والاموال)**. وهو يقول هذا الكلام فى صدد حديثه عن «صاحب الخبر» فى الحضارة الاسلامية، حيث يمثله بأنه «عين الوزير أو (المجتمع) التى ينظر بها فى رعيته، ورائده فى مصالح من تحت يده، فليس ينبغى أن يتقدمه أحد فى الصدق والثقة والأمانة غير القضاة ومن جرى مجراهم **(ومتى نصب الوزير لرفع الاخبار من يخالف هذه الصفة، فقد غش نفسه، وأضاع الحزم فى سياسته، وخان الامانة فى رعيته.. وعلى الوزير أن يوسع على صاحب الخبر فى رزقه ويشترى بذلك دينه وأمانته**، ويعلمه إنه إنما فعل ذلك به من بين نظرائه، لئلا تشره نفسه الى أموال الرعية، ولا يحتاج الى استئكالها والتكسب منها».

وقد عنى الباحثون المحدثون بدراسة هذا العنصر فى عملية الاعلام، ويرجع الفضل الى عالم النفس النمساوى الأصل الأمريكى الجنسية «كرت لوين» فى تطوير ما أصبح يعرف بنظرية، **الحاجب الاعلامى** Gatekeeper حيث تصل المادة الاعلامية الى الجمهور فى رحلتها الطويلة عبر نقاط أو «بوابات» يتم فيها اتخاذ قرارات بشأن ما يدخل وما يخرج، وكلما طالت مراحل رحلة الأخبار حتى تظهر فى احدى وسائل الاعلام، ازدادت المواقع التى يصبح فيها من سلطة فرد او عدة افراد تقرير ما اذا كانت الرسالة ستنقل بنفس الشكل أو بعد ادخال بعض التعديلات عليها، لذلك نؤثر تعريب هذا المصطلح «بالحاجب الاعلامى» وليس «بحارس البوابة» كما يحب بعض الفضلاء، لأن الدلالة العربية لكلمة «الحاجب» تقربنا من المفهوم الحديث، فالحاجب كما يقول ابن وهب:

(هو المؤتمن على الاعراض، وأداء الامانة فى الاعراض أوجب منها فى الأموال، لأن الأموال وقاية للاعراض، فكذلك ينبغى لوسائل الاعلام أن تجعل (حجابها) ممن صحت عقولهم وغريزتهم، وحسن خلقهم، ولانت كلمتهم وهؤلاء الحجاب هم الاعلاميون العاملون فى الوسائل المختلفة، ذلك أن

الكاتب فى سطور

- **مدرس مساعد بكلية الاعلام فى جامعتى القاهرة والازهر.**
- **زميل معهد الصحافة الدولى.**
- **عضو مؤتمر اتحاد الكتاب الدولى.**
- **أمين عام رابطة الادب الحديث بالقاهرة..**
- **آمين عام نادى القصيد.**
- **عضو عامل فى مجموعة من الجمعيات الادبية والعلمية.**
- **له اكثر من عشرين مؤلفا.**

الـرسـالـة تمر بمـراحل كثيرة وهى تنتقـل من المصـدر الى المستقبل، ومن أجـل ذلـك عنيت الـدراسـة الحـديثـة بتنـاول تأثـير الـظروف المحيطة برجـال الاعـلام، وتـأثير النواحى المهنية عليهم، والجوانب الفنية والمادية لعملهم.

والمـرسـل فى نمـوذج الاعلام الاسلامى، يجب أن يختار بعناية ـ كما يقـول ابن وهب ـ **حتى يكون أفضـل فى عقله وضبـطه، وأدبه، وعارضته ودينه ومروءته،** فقد كان يقال «ثلاثة يدل على أهلها: الهدية على المهـدى، والـرسـول على المـرسـل، والكتاب على الكاتب. وكـان يقال: «رسول الرجل مكان رأيه وكتـابـه مكان عقله، وكذلك جعل الله عز وجل ـ رسله أفضل خلقـه، وأخـبر انه اصطفاهم على العـالمين، فقال فى (سورة الانعام الآية ١٢٤): ﴿الـله أعـلم حيث يجعل رسالته﴾.

وعـلى المرسـل أو الرسول فى عملية الاعلام أن «يؤدى ما حمل ـ كما قال عز وجـل ـ ﴿فإنما عليه ما حمل﴾ (سورة النور٥٤) ـ وكما قال: ﴿فهل على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النحل٣٥). وانما وجب عليه البلاغ، لأن الرسالة أمانة، فعليه تأديتها، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إن الله يأمـركم أن تؤدوا الأمـانـات إلى أهلها﴾ (سورة النساء٥٨). وليس للرسول أن يزيد فى الرسالة ولا أن ينتقص منها، لأن ذلك خيانة للأمانة، إلا أن يكـون المصـدر فوض اليه أن يتكلم عنه بما يرى، فقد قال الشاعر:

وان كنت فى حاجة مرسلا
فأرسـل حكيـما ولا توصه

ويذهـب ابـن وهـب الى ان المرسل ـ المصدر «عليه أن يتخير من الرسل من لا يكون فيه من العيوب التى يذكرها وهى: الحدة والحسد والغفلة، والعجلة» فان صاحبهـا يضـع الأشياء فى غير مواضعهـا، ويسبق بها اوقات فرصتها وقد قيل: «**رب عجلة تهب ريثا**».

وفى كتابنا الكريم آيات ينبغى أن يتمثلهـا المـرسـل فى الاعـلام الحـديث لما ترسمه من مثل عليا، قال تعالى: ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (سورة النحل آية ١٢٥). **فالاعـلام يقـوم فى الاصـل على الاقنـاع، والنـظرية الاسلامية فى الاعـلام تنهى عن الاكـراه،** قال تعالى: ﴿**وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما انزل الله من كتـاب، وأمـرت لأعـدل بينكم، الله ربنـا وربكم، لنـا أعمالنـا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا واليه المصير**﴾ (سورة الشورى آية ١٤-١٥). ﴿وقل للذين أوتـوا الكتـاب والاميين أأسلمتم؟ فان أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فانما عليك البلاغ، والله بصـير بالعبـاد﴾ (سورة آل عمران آية٢٠). ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير، ويأمرون بالمعـروف، وينهـون عن المنكـر، وأولئـك هم المفلحـون﴾ (سورة آل عمران آية ١٠٣-١٠٤). ﴿فـإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا، ان عليك الا البلاغ﴾ (سورة الشورى ٤٨). ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ (سورة سبأ ٢٨).

كما نص القرآن الكريم فى آيات كثـيرة على الأخلاق التى يجب أن يتميز بها رجل الاعلام بوجه عام، والتى يتميز بها الـرسـول الكـريم ﴿ﷺ﴾ بوجـه خاص، ومن هذه الأخـلاق: الصـبر وحسن المعاملة والجـدل بالـتـى هى أحـسـن والاعراض عن الجاهلين والمنافقين والبعـد عن الغلظة، قال تعـالى: ﴿فبـما رحمـة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران١٥٩).

فان تمتـع المرسـل فى عملية الاعـلام بهذه الأخـلاق الحميدة، وكـان الى جانب ذلـك متمتعـا بمهـارات اتصـالية اعـلامية بلغ لوسـائـل الاعـلام مرادهـا فى الاتصـال، حيث تنتقـل الـرسالة الاعـلامية من المصدر الى الجماهير خلال المرسل ووسيلة الاتصال التى يهيمـن عليهـا المسئـول كرئيس التحرير مثلا، لكى يتلقاها بعض النـاس مبـاشرة، أو يتلقاها بعض القـادة وحاملوا المعلومات، لنقلها الى أصـدقـائهم أو أتبـاعهم على النحو التالى:

فلابد للمرسل ان يضع رسالته فى شكل معين او صيغة معينة من الـرمـوز اللغوية ومن الطبيعى ان تحتاج هذه الكلمات الى أجهزة نقل

أو وسائل اعلام كالصحف والاذاعات والتليفزيون والسينما لكى تنتشر بسرعة، ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على مدى التناغم بين المرسل والمستقبل، فاذا كان المرسل ضعيفا فى استخدام الرموز اللغوية والتعبير بها، أو ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه، فإن ذلك يؤثر على الاتصال، واذا لم تحرر الرسالة بالطريقة الفعالة، فانها تقف فى سبيل نجاح الاتصال، **وعنصر الرسالة فى عملية الاعلام هو العنصر المحورى فى دراستنا للتحرير الاعلامى بوجه عام، وفى دراستنا لعلاقة الاعلام باللغة بوجه خاص**، وهو عنصر غير منفصل كما يبين مما تقدم عن بقية العناصر الاخرى، ولكنه وثيق الصلة بالمرسل والمستقبل ومعرفة الهدف وفعالية وسيلة الاعلام، وقدرة القارىء أو المستمع أو المشاهد على تلقى الرموز اللغوية، ومن أجل ذلك نجد أن نماذج عملية الاعلام تستهدف المعاونة فى تحليل «الرسالة» للوصول الى «فهم عملية الاتصال، معنية بالافادة من الحواس الخمس، فى فهم وادراك مضمون الرسالة».

واذا كنا ندرك ارتباط الاعلام بالحياة، فاننا نجد أن التأكيد فيه مواز من ناحية علاقة مهارات الاتصال بالحياة. وقد وجد من الدراسات الحديثة أنه يمكن معاونة المحرر الاعلامى على محاولة التأكيد على نواحى الاتصال الأكثر حاجة، **فالمحرر الكفء لا يغفل دور اللغة فى نظرية الاعلام، كما لا يهمل اثارة الاهتمام لأنه يدرك أن القابلية** على جمع المعلومات والمواقف ونقلها أمر حيوى لجمهور الوسائل الاعلامية على اختلافها، وهذا الجمهور يحتاج الى القراءة الدقيقة المتمثلة، ويحتاج الى المشاركة فى الكلام المذاع، وليس فى مقدور رجل الاعلام أن يخترع المعجزات عند استخدام اسلوب الاتصال، الا أن عليه أن يفهم هذا الأسلوب فهما صحيحا، وينبغى أن يكون كالمدرس من حيث مساعدته للجمهور على فهمه أيضا، كما ينبغى أن يؤكد على التعاون فى الاتصال كما هى الحال فى المناقشة كذلك، فمن الواضح أننا نتصل ببعضنا البعض عن طريق الكلمات.

واذا كانت «الوسيلة هى الرسالة»، كما يقول «ماكلوهان» فاننا نقول بتحديد أكثر ان «اللغة هى الوسيلة» وهذا يعنى أن النتائج الفردية والاجتماعية لأية وسيلة من وسائل الاعلام تتوقف على تغير المقياس اللغوى الذى تحدثه كل تكنولوجيا جديدة، ومن أجل ذلك يذهب، ماكلوهان» الى ان «مضمون» اى وسيلة هو دائما وسيلة أخرى، فمضمون الكتابة هو الكلام، وعلى نفس النحو فان الكلمة المكتوبة هى مضمون المطبوع، والمطبوع هو مضمون التلغراف، والواقع أنه من مميزات وسائل الاعلام أن مضمونها يخفى طبيعتها، ولذلك فان منهج دراسة الوسائل لا ينظر فقط الى «المضمون» بل الى الوسيلة فى ذاتها، والى القالب الثقافى الذى تعمل فى داخله.

ومن أجل ذلك اشتد الاحساس بالحاجة الى لغة فنية جديدة أو بلاغة جديدة بعد ظهور السينما الصامتة، كما يقول الدكتور يونس: «اذ كان من المفروض أن يتحول المسموع الى منظور، وأن يستغنى المتذوق عن الكلام، بما يشاهده من الاشارات والحركات من الصور ومن الرموز. . ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد أحس القوامون على الصورة المتحركة الصامتة، بأن جماهير المشاهدين لا يقنعون بالمنظور على هذا النحو، وكان من الضرورى أن تتوسل البلاغة الجديدة المنظورة بالكتابة، فسجل الحوار لكى يستكمل المتذوق متعته من هذه البلاغة الجديدة».

ويقول الدكتور يونس: «ان الاحساس بوطأة الصورة الصامتة واقترانها بالكلام المدون قد خف، عندما تم التزاوج بين الصورة والصوت، وظهرت السينما الناطقة، وتحول تسجيل الصورة من الأشكال والرموز والحركات والامارات، الدالة بذاتها على المشاعر والمواقف، الى اتجاه شبه واقعى، لأن الفن الجديد يتوسل بالصوت والصورة معا، ولم يعد المتذوق فى حاجة إلى القراءة ببصره، ولم يعد كذلك مطالبا بينه

وبين نفسه بتفسير لتفاصيل الحركة، واستحدثت الاذاعة اللاسلكية آثارا حاسمة أيضا فى عالم الفنون، وغيرت من مناهج البلاغة والتقويم، وأصبحت كالسينما تعتمد على أساليب خاصة فى الكتابة اليها، مع فارق واضح بينها وبين الصورة المتحركة الناطقة، من ناحية الجماهير التى تفيد من البلاغة الجديدة، ذلك لأن السينما تشبه المسرح، من حيث ان الجمهور يحتشد فى صعيد واحد، لتلقى الفن والتفاعل معه، أى أن العقلية الجماعية تتغلب الى حد ما على العقلية الفردية، ويقتضى ذلك توقيتا محكما للعروض، كما يقتضى اطارا معينا وسياقا زمنيا، لا ينبغى تجاوزه الا بالحد المعقول. أما الاذاعة فالمستمعون اليها فرادى، ولو اجتمعوا، ففى أماكن اختاروها ولم تفرض عليهم، ومعنى هذه الحقيقة، كما يذهب الى ذلك الدكتور يونس، ان «الفرد تغلب عليه عقليته، ولا يذوب تماما فى العقلية الجماعية لجمهور المشاهدين، ولذلك يتسم الحديث الاذاعى بأنه موجه الى أفراد. انه يختلف عن الخطبة، ويختلف عن الحوار فى المسرحية أو الفيلم، مع الاعتراف بمقتضيات التحول من بلاغة لها قواعدها وأصولها الى أخرى لها شخصيات أخرى.

والتليفزيون يعتمد على ما يسمى بالشاشة الصغيرة، وهو «يجمع المسموع الى المنظور، ويستغل الصورة والصوت، وأنه يفضل الاذاعة من هذه الناحية، ويشبه السينما من ناحية المنهج، ولكنه يختلف عنها فى أن ما يعرض يقدم الى الناس حيث هم فينتقل اليهم، ولا يكلفهم مشقة الانتقال اليه، وهو يوجه الى الأفراد فى اطارهم الاجتماعى والقومى، ولكنهم بحكم ارتكازه على المنظور فى المقام الأول يقتضى من المتلقين له موقفا سلبيا، فهو ليس كالراديو ينقل الثقافة حتى للعاملين فى المصانع والمزارع والدكاكين.. انه يتطلب استغراقا كاملا أو شبه كامل، لتتم الافادة من عروضه، والتليفزيون على خطره ومكانته ـ كما يذهب الى ذلك الدكتور يونس ايضا ـ قد حول الناس من الحركة الى السكون، الا أن الاذاعة والتليفزيون ينتميان الى عائلة وسائل الاعلام السمعية والبصرية، بمعنى أنه فى استطاعة الاثنين أن يرسلا أصواتا وصورا تحمل رسائل متنوعة الأشكال هادفة الى الكثير من الأغراض.

وقد كان لاختراع الراديو الترانزيستور وانتشاره الواسع وبسعر زهيد نسبيا أثره الهام فى جعل استقبال برامج الاذاعة من السهولة بمكان حتى فى المناطق الفقيرة التى لا يوجد بها تيار كهربائى، وكما جاء فى أحد تقارير اليونسكو كان للسعر الزهيد الذى تباع به اجهزة الراديو الترانزستور أثره الفعال فى انتشار الراديو، أما فيما يختص بالتليفزيون فاننا نجد أنه قد بدأ يأخذ مكانه فى بيوت العالم وأخذت أجهزة الارسال التليفزيونى تنتشر فى كل ركن من هذا العالم، ونجد أن البلاد الصناعية بها أكثر من شبكة تليفزيونية واحدة، كما نجد أن سكان المناطق الآهلة بالسكان فى هذه البلاد المتقدمة يستطيعون أن يديروا مفاتيح أجهزتهم ليحصلوا على برامج خمس قنوات أو حتى

عشر.

وأخـذت النـواحى الفنية فى الارسـال التليفزيونى تتطور، وفى اطـار الموجات الكهربائية الأرضية وبـاستخـدام الارســال العـالى الـذبـذبات أخذ التليفزيون يزداد انتشـارا وتجوب الأجواء الآن أقمار صناعية اذاعية منها «الطائر المبكر» «مـولنيا» و«انتلسات» وهذه الأقمار تقـوم بارسـال الـبرامـج الاذاعية والتليفزيونية داخل القارات وعبرها الى قارات أخري.

واذا كان اخـتراع الاذاعـة قد جذب اهـتـمام المفكـرين مثـل برنـاردشـو، فان التطور المذهل فى وسائل الاعلام يقتضينا أن نؤصل البلاغة الجديدة، من خلال دراسة طبيعـة الجـمـاهـير الـتى تتلقى الاعلام، والوحدات والأنماط التى تتألف منها، وأن ندرك ان الكتابة ليست الا وسيلة لتحويل المسموع الى مرئى، ثم اعادته بالاصطلاح أو الرمز الى مرئى ايضا. ومن أجل ذلـك نقـول ان «اللغة هى وسيلة الاعـلام» أو المنهج الذى تنقل به الـرسالة من المرسل الى المستقبل، فالـلغـة الـلسـانية والاشـارات والصور، والسينما كلها وسائل لنقل الرسالة.

كذلك فان الحواس الانسانية ـ التى تعتـبر وسـائـل الاتصـال والاعـلام امتدادا لها تفرض ـ كما يقول «ماكلوهان» تبعية محددة على طاقتنا الذاتية، وهى التى تتحكم فى ادراكنا وفى تجارب كل منا.

البرامج الاذاعيّة .. والفصحى

بقلم: د. سمير جاد

- البادية تمثل المرجعية
- الاذاعة اداة تواصل معرف
- نظلم الاميين كثيرا إن
- الاذاعة العربية ينبغي التعامل مع الفصحى.

نتحدث فى هذا المقال عن البرامج الثقافية واللغة المشتركة، لان اللغة فى البرنامج العام وصوت العرب وغيرهما من الاذاعات وعاء الثقافة وحاملة التراث والحضارة من ناحية، واللسان الذى تنطق به المواد والنصوص الثقافية الاذاعية من ناحية اخرى، فضلا عن انها القضية المحورية دائما بين دعاة القومية والمنتصرين للمحلية[1] وعن انها القاسم المشترك الاعظم فى جميع الاذاعات.

وتأسيسا على هذا الفهم، فان دراسة العلاقة بين اللغة والتعبير الاذاعى فى البرامج الثقافية يتطلب نوعا من الاتفاق حول المصطلحات الاساسية التى يستخدمها الكثيرون دون ان يستشعروا الحاجة الى تحديدها وضبطها ونحن نؤثر مع الدكتور عبد الحميد يونس[2] منذ البداية ان نأخذ بالدلالات الشائعة دون ان نشغل انفسنا بمعاجم طال العهد على تصنيفها، دون ان نتحول عن مهمتنا فى رصد علاقة اللغة بالبرامج الثقافية الى مهمة اخرى تتركز حول اصول الالفاظ واختلاف الدلالات[3].

ومن أبرز الشواهد على اتساع رقعة الخلاف بين الدلالة المعاصرة وبين الدلالة القاموسية القديمة مصطلح «اللغة» فنحن جميعا نتفق اليوم على ان هذا المصطلح انما يعنى فى المقام الاول اهم وسيلة من وسائل الاتصال بين الناس وهى «اللسان» أو مع ذلك فان اللغة كانت عند الاقدمين ترادف ما نستعمله الان من مصطلح «اللهجة»، فاللسان العربى هو اللغة العربية بالمفهوم المتسع، وقد تبلبل هذا اللسان فاستوعب لهجات مختلفة عرفت كل واحدة منها بأنها لغة، كأن يقال: «لغة مضر» و«لغة تميم». . اما الآن فاننا نقول: «اللغة الانجليزية»، «اللغة الفرنسية، و«اللغة العربية» ونعنى بذلك الكيان اللغوى لكل امة من هذه الأمم على اختلاف اللهجات فى التلفظ والدلالة جميعا، واذا كان المعنى الخاص قد غلب على المعنى العام فيما يتصل بمصطلح اللغة، عندما تحول من اللهجة الى اللسان بمفهومه المتسع فان التعبير النفسي يتطلب منا ان نستعمل الدلالة المعاصرة حين نحاول ان نستشف علاقة الفن بالوسيلة التى يستخدمها فى تحقيق الذات وتصوير الموقف والتعبير عن قيمة انسانية عليا تتطلبها جماعة من الجماعات[4]، ولذلك نتوقف فى هذا الفصل عند قضية اللغة والاذاعة.

الاذاعة واللغة:

والاذاعة تعمل جاهدة على توثيق الوجدان الانسانى فهى تظهر هذا الوجدان فقط فى مجال قومى معين محدد بلغة قومية معينة ولكنها أعانت على التمكين لهذا الوجدان وتقويته ايضا وبعد ان كانت الجماعات تعيش منبثة فى الريف والقرى وفى مدن ذات اسوار مادية ومعنوية، حطمت الاذاعة هذه الاسوار فوجدنا ان اذاعة البرنامج العام فى مصر تتجاوز حدود الوطن المصرى الى جميع الناطقين بالعربية، كذلك الحال بالنسبة الى اذاعة صوت العرب.

المشتركة

- مصر -

اولى لتقويم اللسان عند العرب.
ا فكري واجتماعي عبر الكلمة.
لنا بصعوبة فهمهم للفصحى.
ن تتبنى صيغة موحدة لنشر

فالاذاعة عامل جوهرى هام يعمل على تقارب المجتمعات، ولكن هذا التقارب يحدث فى نطاق معين تحدده اللغة القومية العامة لمجتمع كبير ولقومية كبيرة، وطبيعى - كما يقول الدكتور يونس[٥] ان اللغة العامة غير اللهجات المحلية او الطبقية الخاصة[٦].

فاذا نظرنا الى الرباط بين الاذاعة وبين الثقافة وبين الاذاعة وبين المجتمع وهى عامل حيوى خطير - وجدنا انها اولا وقبل كل شىء قد اعانت من الناحية اللغوية على اظهار المفهوم الاجتماعى الصحيح للغة، وهذا بلا شك من المهام الكبيرة التى قامت بها الاذاعة[٧].

أما المهمة الثانية التى تتشعب عن هذه المهمة فهى ان الاذاعة باعتبارها وسيلة ديمقراطية احتفلت باللهجات الطبقية والمحلية ايضا لكى تكون الافادة منها اعم، لانها منتشرة فى كل مكان، وكان صنيع الاذاعة كصنيع العرب عندما أحسوا انفسهم بُعَيْد العصر الجاهلي وبعيد اختلاطهم بغيرهم من الاقوام، فلقد عرفوا اللغة بمفهومها الصحيح كما نعرفها نحن الان.. كان العرب يحسون اللغة احساسا فطريا، ويقومون ألسنتهم بالتوجه الى البادية، ويسجلون اللهجات وما بينها من تغير، ولم ينظروا اليها على أساس الخطأ والصواب فحسب.. ونحن اذا درسنا اللهجات - كما يقول الدكتور يونس[٨] - دراسة صحيحة «سنجد ان كثيرا مما نبظر اليه على انه خطأ انما هو صحيح، فلو سمعنا مثلا أهل القاهرة أو الريف فى مصر يقولون (تِسلم) او (تِكّتِب) - بكسر التاء الاولى فإننا نتصور أن هذا خطأ، والصحيح (تسلم) و(تكتب) بفتح التاء.. وعندما نعود إلى دراسة اللهجات، سنجد ان لهجة ما، وهى اللهجة القيسية مثلا كانت تنطق هذا النطق، فليس الامر اذن امر صواب او خطأ، انما هو أمر توزيع اجتماعى لغوى جعل اللهجات تتوزع على هذه الصورة[٩].

ولقد افادت الاذاعة فى اظهار هذه اللهجات وابرازها لان اتصالها بالناس وتوسلها باللغة جعلها **تنظر الى اللغة بهذا المفهوم الاجتماعى**. ولكنها، وهى تعمل على التقارب بين الوجدانات الانسانية المختلفة فى نطاق قومى عام، تقرب فى الوقت نفسه بين هذه اللهجات، **ولقد اصبحت الآن الاختلافات بين اللهجات المصرية بل العربية يسيرة جدا كالادغام والامالة، وتغيير بعض مخارج الحروف**، فالاذاعة تعمل على التقريب بين اللهجات بمعدل متزايد السرعة، حتى اصبح المستمع فى القاهرة يستطيع ان يستمع من دمشق الى تمثيلية اذاعية مثلا باللهجة السورية ويفهمها ويتذوقها، واصبح السعودي او السوري يستمع الى تمثيلية باللهجة القاهرية او الصعيدية ويفهمها ويتذوقها، بل اصبحت هذه المحاولات تغلب بعض اللهجات على بعض[١٠].

ويذهب مؤرخو الفنون الجميلة الى تتبع الطابع الذاتى فى الاشكال والمضامين وذلك للكشف عن مدى الاصالة فى الابداع، وهم يصنفون الفنون على اساس تاريخى جغرافى، ويتخذون الشخصيات التى حفرت اسماءها فى ذاكرة الجماهير المتذوقة للفن، معالم ترصد التحول من عصر فنى الى عصر فنى آخر، او يحصرون للنشاط الانسانى فى محيط جغرافى معين، وقد يفسرون التغير فى الشكل والمضمون بمصطلحات هذا العلم او ذاك من العلوم الانسانية، والمهم انهم لا يلتفتون الى الفنون، التى تصدر عن الجماعة وتصب فى الجماعة، الا بمقدار ما يؤيد نظرتهم الى التاريخ الفنى، أو يؤكد منهجهم فى تفسير النشاط الانسانى، الذى تحتل الفنون مكان

الصدارة فيه[١١].

فى موضوع عن شعراء التروبادور Les troubadours والراديو، يحاول سنجريا Cingria [١٢] التعرف على ما ورثه الراديو عن شعراء التروبادور فى العصور الوسطى، فالتروبادور، كانوا يتغنون بقصص الحب، ويروون الانباء، شأنهم فى ذلك شأن الراديو تماما، وكذلك كانوا يقدمون الاغنيات والتمثيليات القصيرة، اما فى ايامنا، فان هؤلاء الشعراء قد حل محلهم القادة والملوك فى دول العالم ورئيس الهيئة الدينية وجماعة العلماء والشعراء والفنانون التشكيليون والشخصيات البارزة.

وتحدث «سنجريا» عن نوع آخر من شعراء التروبادور الذين وجدوا فى الاقاليم الروسية، كانوا يقومون بنفس الدور، ولقد كان الاعتماد على اللسان فى التعبير القولى فى الشرق كما كان فى مناطق اخرى من العالم، فكان العلماء أو الوعاظ يتجولون بين مدينة واخرى يستخدمون الصوت والتعبير القولى فى الغناء والرواية، وكان الصوت البشرى هو العروة الوثقى فى الفنون التقليدية التى عرفها الانسان، وفى عصرنا - عصر التصنيع والتفرد او التميز، فان صوت الشاعر وصوت المندوب او المراسل وصوت الراوى وهذه الاصوات تلاحق الانسان فى كل مكان، لانها اصبحت تنتقل من خلال الموجات بواسطة الراديو.

وليس صحيحا ان نعتقد ان (الكتابة) استطاعت او سوف يكون فى مقدورها مستقبلا ان تحل محل التعبير الصوتى فى الاعلام، وذلك لسببين:

اولهما: ان الكلمة المكتوبة كلمة منتقاة لا تتوجه الا الى الذين يجيدون فك رموزها - اى الذين يجيدون القراءة، فى حين ان الأمى لا يستطيع التعامل مع الكلمة المكتوبة. أما الكلمة المنطوقة، فهى كلمة عالمية، تسمع وتفهم من كل الناس المثقف وغير المثقف.

وثانيهما: انه من خلال الصوت مهما أصابه من تشويش او تشويه، ينشأ اتصال انسانى، ليس فى مقدور الكلمة المكتوبة خلقه.

■ ان الكلمة المكتوبة ثابتة فى الوقت والمسافة وتتمتع بتأثير محدود فى المضمون، بينما نجد ان الكلمة المنطوقة تنتقل من لسان الى آخر، ومن لسان الى اذن، مما يتيح لها نوعا من المرونة، الى انها تفسح للخيال مجالا واسعا.

ومن الاحصاءات الحديثة التى انتهت اليها «اليونسكو» فى سبتمبر ١٩٦٧، يتبين ان ٤٠٪ من سكان البلاد الفقيرة اميون، رغم الجهد الخارق لمحو الامية لدى الجماهير. ولذلك فمن الطبيعى ان يلجأ هذا الكم الغفير من الاميين الى الكلمة المنطوقة او المذاعة بالراديو[١٣].

ويذكر «روبرت ديلافينيت Delavignette فى دراسته من المنطوق الى المطبوع «ان» التكنيك القديم للاذاعة قد استمر فى الوجود موازيا للتكنيك الحديث فى البلاد التى تسعى الى النمو، وتتعلق الوسائل التكنية القديمة باذاعة الاصوات وتستخدم آلات موسيقية حيث لكل منها وظيفة خاصة بها».

اما «Pepper» الباحث فى الموسيقى البدائية فيذهب الى ان البندا Les Bandas يستخدمون طنبورين، ويمكن لكل منهما ان يسمعنا صوتين مختلفين، فيكون مجموع اصواتها اربعة أصوات منها ثلاثة تستخدم للكلام Parler والرابعة للاعلام او التنبيه.

■ ان اذاعة الاخبار وتداولها بين القبائل المتجاورة، كما يقول ديلافينيت[١٤] أصبحت حوارا Dialogue وليست مونولوجا، وهذا الحوار يثرى موضوع الخبر المذاع، بحيث لا نصبح امام «خبر» ولكننا نعيش فى الخبر ذاته.. هذه المعايشة تصل بنا - اذا لم تكن الكلمة قوية الى نوع من المسرحة الاعلامية.. فهل من الضرورى ان نذكر هنا ان هذه المسرحة الاعلامية اصبحت اسلوبا يستخدم فى الفن الاذاعى اليوم؟

فى كتابه «الراديو فى افريقيا السوداء»[١٥] يقول على لسان الافريقيين: «اننا نصدق الراديو لأن كل ما يقدمه لنا من معلومات تقال لنا ولا تكتب برغبتنا، وهذا يتفق مع مدنيتنا الافريقية التى ليست من المدنيات التى تقوم على الكتابة، ولكنها تقوم على الكلمة المنطوقة.. نحب هذا النوع من الاذاعة لانه

يتوجه الى كل فرد منا، وانه ليس من المهم ان نتعلم القراءة والكتابة لنفهم الرسائل التى تصلنا.

«... نحب الراديو لانه بالنسبة لنا يحل محل الرسالة المذاعة فى صخب فهو ينقل اى شىء والى اى مكان. ومن جهة اخرى يستخدم وسيلة الكلمة المنطوقة».

«ولقد حاولنا التعرف على الصوت الذى يتكلم، ونقول من ياترى المتحدث؟ هل نعرفه معرفة جيدة ونراه يوميا، ونقنع انفسنا ان صوته جميل، وانه الآن قوة، لا تجعل منه صوتا عاديا، وان ما يقوله ليس فيه شىء من الخطأ، وان من الفائدة بالنسبة الينا ان نسمعه، وان كنا لا نرى صاحب الصوت.. وفى ذلك شىء غامض».

واذا كان الراديو قد احتفظ بالنسبة للافريقى بالشىء الخفى الغامض فان مرجع ذلك الى التقنية الحديثة والفن الاذاعى الحديث، حيث لا نرى المذيع ولكننا نسمعه. والواقع ان الحلقات الشعبية من التراث الفنى اكبر واغزر، وربما كانت أهم من بعض الآثار الفنية، التى اشتهر مبدعوها، لسبب او لآخر، يكمن فى مقومات الابداع، او ينبعث من علاقة المبدعين بقمة الهرم الاجتماعى، التى تمثل السلطة او الجاه، او لنزعة سلوكية عند اصحاب القرائح المعبرة، جعلتهم يخرجون على النموذج التقليدى للانسان فى بيئته وعصره، ومهما يكن من شىء، فان ما نسميه الان بالفنون الشعبية لا يزال فى مكانه البارز من نشاط الجماعة، يقوم بوظائف حيوية وجمالية فى وقت واحد، وهذه الفنون الشعبية هى التى تفسر اصول الفنون الرفيعة وهى التى تعطى، فى الوقت نفسه، الابعاد التى تلتمس فيها الدلالات فى الآداب الرسمية او الرفيعة[١٦].

ولابد ان نتذكر ان رواد النهضة الادبية عندنا قد حاولوا اول الأمر ان يضعوا مناهج جديدة فى تاريخ الأدب ونقده، وكان من اهم ما ارتكزت عليه مناهجهم[١٧]:

أولا: ان الادب الشعبى جزء لا يتجزأ من التراث القومى.

ثانيا: ان الشعر مثلا انما تلتمس اصوله فى الغناء والرقص.

ومع ذلك فان هؤلاء الرواد قد حاولوا تأصيل مناهجهم الجديدة ولكنهم ظلوا يعتصمون بقوالب ثابتة فى تقويم الحضارة بصفة عامة والفن بصفة خاصة مما جعلهم يتسلقون على التراث الشعبى ويجعلون الثقافة مرادفة للتعليم ويحتفلون بفن الكلمة وقلما يلتفتون الى الفنون الاخرى زمنية كانت او تشكيلية، اما الان فقد اثمرت الدراسات الانسانية الجادة تصورا مختلفا لعلاقة اللغة بمفهومها المتسع بالفن سواء أكان محققا لوجود ذاتى أم اجتماعى وسواء أكان رسميا أم شعبيا وهذا التصوير يرتكز بطبيعة الحال على المفهوم الجديد للثقافة الذى يستوعب معارف الانسان وخبراته ومهاراته على مدى حياته وهى محصلة لا تتحقق بتعلم القراءة والكتابة فحسب وانما تتحقق بالمحاكاة والتجربة والخطأ والتلقين المباشر وغير المباشر.

ولعل أهم نتيجة يستخلصها الباحث من هذا النظر الجديد الى علاقة اللغة بالفن هى تصحيح خطأ شائع **فقد تعلمنا منذ نصف قرن ان الادب العربى لم يعرف التمثيل وان الشعر بخاصة غنائى كله وقد اخذ رواد النهضة هذا الرأى عن بعض الاتجاهات الفلسفية التى ترتكز فى احكامها على الواقع الحضارى وانها تأثرت ببعض الاتجاهات العصرية التى كان من اهمها أن العقلية العربية تتسم بالتجريد وانها لا تعرف التشخيص والتجسيم والتمثيل، ومن ثم افتقر فكرها الى التفسير الاسطورى** كما افتقر ادبها الى القصص والتمثيل ولم تعد فى حاجة الى دحض ذلك الرأى فقد تولت الدراسات العلمية الجادة تصحيحه على اساس موضوعى لا عاطفى وحسبنا ان نميط اللثام عن حقيقة واحدة هى ان الجماعات الانسانية كلها قد مرت بالمرحلة الاسطورية وان الشعوب العربية قد عرفت الاطوار الاولى للتغيير الدرامى وهذه الحقيقة تتضح بجلاء اذا نحن نظرنا الى اللغة الفنية، فى اصلها العريق وفى وسائلها الصوتية والحركية والتشكيلية[١٨].

■ ان الجماعات الانسانية تستجيب لمختلف الظواهر الطبيعية والتحول من حالة اجتماعية الى اخرى وهذا فصل الربيع قد تختلف صورة الاحتفال به بين شعب وآخر ولكن الرموز والدلالات والوظائف واحدة والناس في كل مكان على الأرض يحتفلون بالخصب بتواصل الحياة بالغرس والحصاد بالمطر بالفيضان الموسمي، بالزواج بالميلاد. . . الخ.

والبعد الدرامي الذي يكسب اللغة الفنية حركة وتنوعا وتأثرا لا يلتمس في تلك الاحتفالات الطقسية او الموسمية وحدها وانما ايضا في تلك العادات والتقاليد التي لها اصولها السحرية والتي تستهدف حماية الانسان والحيوان والنبات من الآفات. . والاوصاب - حسب زعمهم - ولا يزال الفلاح في اريافنا بل لا يزال الفلاح في ربوع اسيا وافريقيا واوربا والامريكتين يمارس طقوسا غير معقولة ورثها من عصور قديمة موغلة في القدم وهذه الحفلات الصاخبة الكثيرة المتنوعة في اعياد الطبيعة والطقوس السحرية وشبه السحرية التي يقوم بها الفلاحون الى الان لها قوامها الدرامي الواضح الذي يستوعب الكلمة والايماءة والايقاع والمادة المشكلة جميعا.

●● واللغة الفنية من ابرز وسائل التطوير في حياة الانسان لما تتسم به من القدرة على التغيير ومع الاحتفاظ بالاصالة في وقت واحد واذا اختلفت اللغات الفنية باختلاف وسائل التعبير فانها تتفق في المصدر والسياق التاريخي والوظيفة حيوية كانت او جمالية بيد ان استقلال كل وسيلة عن الشعيرةالقديمة المتكاملة قد جعل اللغة الفنية بمدلولها الشامل كما تتشعب اللغة اللسانية الى لهجات لهجة تتوسل بالكتلة او اللون والخط ولهجة تتوسل بالكلمة وثالثة تتوسل بالصوت واللحن ورابعة تتوسل بالحركة او الاشارة، ومن هذا كله تخضع لهجات اللغة الفنية لقانون واحد في اطرها العامة ومسارها الثقافي وتشترك في مقومات رئيسية جعلت مصطلحات هذه اللهجة يمكن ان تستخدم في الحكم على لهجة اخرى وتقويمها فنحن نستعمل مصطلح الايقاع في فنون التشكيل كما نستعمله في فنون الحركة والتمثيل، وتستخدم الفاظا تدل على البناء او التراكيب فيها جميعها وقد نتوصل باحد مصطلحات الحركة لوزن الشعر وتقعيد موسيقاه[١٩].

وقبل ان نتخلص من هذا العرض لما بين «اللهجات الفنية» نرى لزاما علينا ان نجيب على سؤال لا يزال مطروحا امام الدارسين والنقاد وهذا السؤال هو اذا كانت الفنون تصدر عن لغة واحدة او اصل لغوي واحد تنتظمه حركات الجسم الانساني قيل من الممكن الآن ترجمة اثر فني يصطنع وسيلة خاصة به الى اثر فني اخر ولكي نكون اكثر وضوحا فاننا نتساءل هل من الممكن ان نترجم قصيدة من الشعر تقوم على الكلام المنظوم الى تمثال صيغ من مادة صلبة ملموسة؟ وما نريد ان ندخل في الاختلافات الكثيرة التي اثمرتها المدارس الفنية المختلفة بل يكفينا ان نذكر حقيقتين تبدوان متعارضتين الاولى ان اللغة الفنية لا تقوم بذاتها وانما تقوم بجهد خاص يشكلها باسلوب خاص ومن العسير تبعا لذلك ان ننقل خصوصية الجهد والاسلوب الى مجال آخر وهذا الرأى يصدر عن النظر الذاتي للفنان ويجعله الاصل الاول والاخير في تشكيل اللغة الفنية ومن الآخذين بهذا النظر من يلتمس خصوصية التجربة او الموقف الانساني عند هؤلاء فرده لا يمكن ان يتكرر والتجربة او الموقف مهما امتص من عناصر الحياة المعاصرة او الماضية لا يتكرران بتفاصيلهما.

أما الفريق الثاني فيذهب الى ان الفن وسيلة حيوية وهامة من وسائل الاتصال بين الناس، **فاللغة ليست نشاطا فرديا مقصورا على مبدعيه او منشئيه او صاغته ولكنه يستهدف في المقام الاول انتزاع البقاء من عوامل الاضمحلال والذبول ويستهدف في المقام الثاني نقل خبرة انسانية وشعور انساني الى اخرين،** واصحاب الرأى الاول يذهبون الى ان ترجمة اثر فني الى شكل اخر بوسيلة اخرى او لهجة اخرى لا يمكن ان يتحقق والمرء نفسه لا يستطيع ان يترجم اثرا من اثاره الى لغة فنية اخرى فالشاعر مثلا يستحيل عليه ان يلخص قصيدته في كتلة مشكلة او صورة تقوم على الخط واللون واصحاب المذهب الثاني يرون ان هذا

النقل ممكن ولكن بشروط فلابد ان يكون الناقل من اصحاب المواهب الفنية اولا وان يستكمل دراسة الاثر الذى يريد ان ينقله ثانيا ولقد ظهرت فى حياتنا المعاصرة وسائل تدوين او تسجيل جديدة، تعيد الى اللغة الفنية وحدتها من ناحية وقدرتها على النقلة من

لهجة فنية الى لهجة اخرى، **فقد ظهر الراديو الذى أعاد الى اللسان مكانته وأكد ان الكتابة التى كدنا نستغنى بها عن التلفظ المجهور ليست الا وسيلة تعسفية لنقل المسموع الى منظور واعادة تمثله مسموعا بتلك المصطلحات تسجيل المنظور من التلخيص والتركيز الى حكاية السياق الواقعى.** وازدهر

هذا التسجيل بالقدرة الخطية وظهرت الصورة المتحركة التى خلصت على التكبير والتصغير والاسراع والابطاء والتلوين واقترن اللسان بالصورة وظهر التليفزيون وكاد المسطح الناطق يتحول الى منظر مجسم متحرك ومتكلم فى وقت واحد وبهذه الوساطة الجديدة فى التسجيل مع ازدهار الطباعة الآلية اصبح السؤال مطروحا هل من الممكن ان يترجم التمثال الى قصيدة او تترجم الرواية الى مسرحية او تمثيلية سينمائية او تليفزيونية[٢٠].

ومـا لنا نذهب بعيدا والحياة تختبر وسائلها ووسائطها بلا انقطاع وقد برز فى عالم الفنون والآداب اسلوب الترجمة من وسيلة فنية الى اخرى ومن الشواهد الناطقة على قيمة هذه التجارب تحويل بعض الروايات الى مسامع اذاعية بعد ان كثر تحويلها الى مسرحيات وليس من شك فى ان النقاد التفتوا الى الفروق بين الاصل وبين الترجمة التفتوا اليها فى الأثر الذى يستحدثه الشكل الجديد بالقياس الى القديم، يصلها النظارة من شكل قائم على التصور او التمثل الخيالى وذلك لان القصة المدونة تقوم بالقراءة ومهما كانت قدرة الألفاظ على التصوير والمحاكاة فانها من غير شك تعجز عن الوفاء بالتفاصيل والتقنيات الخاصة بطاقة المسرح، والصورة المتحركة الناطقة هى الفيصل الحقيقى فى اقتراب الترجمة الفنية من الاصل وما يوحيه من وقائع ومسامع ومشاهد[٢١].

المادة الخام فى البرامج الثقافية: الكلمة:

تقع الكلمة المنطوقة فى قلب التجربة الاذاعية، ولقد حدث ان اصبح «الأدب» يعنى شيئا منفصلا تماما عن الصوت. . شيئا يعيش على صفحات الورق. . ومن السهل ان ننسى ان عددا كبيرا من الأعمال الأدبية الخلاقة العظيمة فى العالم تمثلها الناس بروح مناقضة لذلك تماما، اى باعتبارها شيئا منطوقا[٢٢].

لقد كان موليير ينصح الناس بقوة الا يقرأوا مسرحياته وان يشاهدوها وهي تمثل. . نصيحة بسيطة، ومع ذلك فهى صعبة التطبيق، وقد يبدو من التهور حتى بالنسبة لها ومتحمس ـ ان يصدر الانسان حكما موسيقيا بناء على مجرد قراءته للنوته الموسيقية لاحدى المعزوفات، كذلك فان من الصعب تحديد المغزى الحقيقى لمعظم الكلمات، تماما مثلما نجد من الصعب تحديد معنى اية علامة او نبرة موسيقية منعزلة، ولكن من سوء الحظ **ان كل كلمة واية كلمة يمكن للانسان ان يقرأها وان يكسوها بنوع ما من المعانى ما دامت الكلمات هى العملة المتداولة، وما دام من الممكن وضع تعريف لكل منها**[٢٣].

ويقصد بالمادة الكلامية كل ما تقدمه الاذاعة من الكلمة المنطوقة دون استخدام اى من الفنون الاذاعية الاخرى سواء أكانت خلفية موسيقية أم مؤثرات صوتية أم فواصل ترفيهية أم غيرها، وتتحدد اساليب الكلمة المنطوقة وتتخذ اشكالا متباينة منها الحديث الذى يلقيه متحدث واحد، والحوار بين اكثر من متحدث، والندوة التى تجمع عددا من المتخصصين فى مجال معين، ومنها ايضا الاسئلة والاجوبة[٢٤].

وتواجه الكلمة المنطوقة منافسات تتزايد مع تطور الفنون الاذاعية شأنها شأن الكلمة المطبوعة التى تنافسها اساليب اخرى تتصدرها الصورة، على ان الكلمة المنطوقة ظلت رغم ذلك **سيدة الموقف، ولعل ذلك يرجع الى انها فى اكثر الحالات اداة اتصال طبيعى، وان المستمع يستقبل فيها مضمونها صافيا دون ان**

تصرفه عنه محسنات منافسة، وقد واجهت ادارة الاحصاء بهيئة الاذاعة المصرية «كمثال» صعوبة فى عزل المادة الكلامية عن غيرها وتصنيفها فى مصنف واحد، اذ كثيرا ما تتداخل فى برامج تتضمن فنونا اذاعية اخرى وفى حدود المستطاع حددت المادة الكلامية بالآتى[٢٥]:

١ - البرامج الاعلامية وتشمل النشرات الاخبارية والتعليقات السياسية والرسائل السياسية.

٢ - البرامج السياسية والتعليمية عامة.

٣ - الاحاديث والندوات والقصة اوالرياضة والعلوم من البرامج الثقافية.

٤ - الاحاديث الدينية والفتاوى.

٥ - ٥٠٪ من برامج الخدمات.

٦ - ٥٠٪ من البرامج الخاصة.

٧ - وقد حددت نسبة الـ ٥٠٪ من برامج الخدمات والبرامج الخاصة استنادا الى دراسة تجريبية انتهت الى أن حوالى نصف هذه البرامج تقريبا تكونه مادة كلامية وفق التعريف الاجرائى الذى اشار اليه البحث[٢٦] وفى هذه الحدود حصرت ساعات ارسال المادة الكلامية التى قدمت خلال عام ١٩٧١/٧٠ من الاذاعات المحلية فبلغت ٩٧٣٤ق ٤٣ت بنسبة ٢١٫٧٦٪ من اجمالى ارسال تلك الاذاعات اى بما يقل عن الربع.

ومن هذا البحث يتضح ان نسبة المادة الكلامية فى البرنامج العام ٢٨٫٣٨٪ وصوت العرب ٢٦٫٢٩٪ والبرنامج العام وصوت العرب من حيث نسبة المادة الكلامية يقترب منهما البرنامج الثانى الثقافى ١٣٫٢٩٪ مما يشير الى اهمية المادة الكلامية فى البرامج الثقافية التى تغطى المجالات العلمية والادبية والفنية حتى يفيد الانسان العربى والمصرى من الثقافة بكل ما فيها من تجارب وتيارات جديدة، وربطه بالثقافات المحلية والعالمية واحياء التراث القديم

على ان لغة الاذاعة لا تتمثل فى الكلمة المنطوقة فحسب، وانما فى الموسيقى والمؤثرات الصوتية، ذلك ان التركيبة الصوتية فى الراديو تؤثر على الوجدان بطريقة مماثلة لتأثير الموسيقى.. ويذهب «ماكوينى»[٢٧] الى أن أى شكل من اشكال الفن التى تعيش فى الزمن لابد ان يعتنى بالشكل الموسيقى.

ان المحاضر شخصا مملا ان لم يهتم بتنويع ما يحمل حديثه من عوامل الحيوية، وسرعان ما يتحول الكلام البحت الى شىء ممل لا معنى له، لان كلمات بلا (ريتم) وبلا تنويع فى الايقاع وبلا شكل مجدد للعبارات وبلا اداء منسق على اساس من الحاسة الموسيقية للشخص الذى ينطقها سرعان ما يصبح لها وقع الرصاص الثقيل على عقل المستمع[٢٨].

وفى ختام حديثه عن التجربة الاذاعية يقول دونالدماكوينى: كثيرا ما قيل: ان لم ينقل البرنامج الاذاعى موضوعه كاملا ويوضح عند سماعه مرة واحدة فهو برنامج فاشل، قد يكون فى هذا الرأى بعض الصحة الا انه لو ساد لدل ذلك منطقيا على احد امرين: اما ان الاذاعة المسموعة مجرد وسيلة بدائية لنقل ما هو ابيض أو ما هو اسود دون ان تكون لها القدرة على نقل مستويات من المعانى اكثر عمقا، او ان المستمع يتمتع بادراك يفوق الطاقة البشرية..

وقد نشأ اعتقاد سائد بوجوب التمسك بوجهة النظر هذه فضلا عن ان هناك اتجاها يقاوم الاعتقاد بوجود اية قيمة فى اى شىء لا نستطيع لمسه باليد، فحتى الكتاب - الذى يسمح لنا بأن نعود الى صفحاته السابقة لنلقى نظرة على فقرة صعبة فيه - قد يوصف على الفور بأنه «غامض» اذ لم تكن رسالته واضحة وضوح الشمس. ان اى عمل فنى لا رسالة له ليس جديرا بتسميته عملا فنيا، وهناك دلائل على ان بعض المستمعين يعتبرون تكرار اذاعة أى برنامج اهانة لذكائهم، ولا نجرؤ على تصور المصير الذى يمكن ان يلقاه بعض المستمعين على يد معارفهم لانهم يشعرون بميل الى سماع «بستان الكرز» مرتين!!.

ومن المؤكد انه لا عودة الى الوراء فى الاذاعة المسموعة فالعمل المذاع ابن اللحظة ويتلاشى بمجرد سماعه، فاذا كانت للنص الاذاعى قيمة خاصة مع وجود مخرج جيد يرشد «عين» العقل الى أعماق لا يتوقعها، فان العمل المذاع يتطلب تركيزا وانتباها

يجابيا، ولا يساوى هنا بين الجودة والتعقيد، ولكن ماكوينى يؤكد على أن التعرف على اية تجربة ذات قيمة فنية تستحق الوجود يمكن ان يكسبها غنى كبر، كما يعتقد انه كلما ازداد مضمون العمل الفنى عمقا كلما ازدادت حاجتنا الى دراسته دراسة ادق وذلك مثلما تعود مرة اخرى الى لوحة مرسومة او الى معزوفة موسيقية لتكشف فيها آفاقا جديدة او ظلالا جديدة من المعانى.

ومما يرثى له ان الاذاعة تبلغ حدا كبيرا من «السهولة» ادى الى نمو مقاييس زائفة للقيم الفنية وافترض المستمعون انه ما دام العمل المذاع لا يتسم بالسهولة فمن المحتم فى هذه الحالة ان يكون غامضا ومدعى علم ومتخبطا دون هدف، وغالبا ما يحدث هذا، الا ان افضل الاعمال الابداعية فى أية وسيلة تتطلب انتباها واعيا لا مجرد تلق سطحى خال من التفكير[٢٩].

ونخلص من ذلك الى ان اى عمل فنى ابداعى فى الراديو او التليفزيون يستثير ولا يصف، فهو لا يستطيع ان يقدم مجرد المظهر المادى ولا التجربة الاجتماعية للمسرح، ان ما يقدمه هذا العمل أقرب بكثير الى ما يحدث فى اكثر انواع القراءة للنفس ابداعا: تجربة شخصية معاشة بأعماق النفس ومرئية ببصيرة داخلية، الى أى مدى ينجح العمل الفنى الاذاعى فى تحقيق ذلك؟ هذا امر لا حدود لمداه.. يقول (ادوارد مماكفيل ويست): «الحقيقة ان الراديو اكثر قابلية من المسرح والشاشة لتحمل درجات اكبر من الاعداد الدرامى نظرا للمرونة القصوى التى تتمتع بها وسيلة الاذاعة وقدراتها الواسعة النطاق على الايحاء المبدع. حتى الحديث[٣٠] «المباشر» يتضمن عنصرا دراميا ينشأ عن تركيز المستمع على شخصية المتحدث غير المرئى، كما ينشأ عن شكل الحديث نفسه الذى يجب ان يعد بطريقة تثير الانتباه وتحتفظ به من بداية الحديث الى نهايته[٣١].

لغة البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب:

اذا كانت الاذاعة تقدم نشراتها الاخبارية فى لغة عربية فصحى مفهومة من جانب المستمع، فلماذا لا تقدم جميع برامجها بالفصحى، لقد كانت الاذاعة المصرية منذ نشأتها فى ١٩٣٤ وحتى عام ١٩٤٠م تقدم برامجها بالفصحى، وفى الاربعينيات تسللت العامية حتى سيطرت اخيرا على معظم البرامج فى هذه الايام، فى الوقت الذى كانت فيه نسبة الامية مرتفعة فى الثلاثينيات وما بعدها[٣٢].

ولم تكن البرامج فقط هى التى تقدم بالفصحى بل ان الاغانى أيضا كانت بالفصحى، ويذكر الاستاذ على عيسى[٣٣] تجربة منذ سنوات قدم فيها البرنامج العام روايته «كليوباترا» التى كانت مقررة على طلبة الثانوية العامة، ويقول: تعجب اذا علمت ان اطفالى كانوا فى ذلك الوقت ما بين العاشرة والحادية عشرة وكانوا يفهمون كل احداث التمثيلية، كما قدم البرنامج العام تجربة اخرى فى العام الماضى وهى برنامج «انك لعلى خلق عظيم» وكان البرنامج بالفصحى، اما البرامج الثقافية فانها تقدم بالفصحى.

وليس المقصود بالفصحى هنا ـ فصحى التراث السلفية ـ ولكن المقصود بها اللغة المشتركة ـ لغة الاتصال بالجماهير، التى تبنتها الصحافة اول الامر ـ بعيدة عن تقعر فصحى التراث وغرابتها من ناحية وعن الوقوع فى اسر العاميات واللهجات المحلية من ناحية اخرى.. ثم آزرتها وسائل الاتصال السمعى والمرئى بالجماهير، الاكثر حداثة وهى الاذاعة والسينما والتليفزيون وهذه اللغة المشتركة تكشف عن ملاءمة لغتنا العربية لاحتياجات العصر الحديث ومتطلباته، وتحقق نفاذها الأوسع والاكثر انتشارا الى جماهير المستمعين عبر اقطار الوطن العربى، مجتازة حدود المتعلمين والاميين معا[٣٤]، واصبحت بذلك اللسان الذى يحقق المعادلة الصعبة بين القومية والمحلية فى اللغة عبر اذاعتى البرنامج العام وصوت العرب.

وعلى صعيد التطبيق، فقد أصبحت هذه اللغة تتسم بالتخلص من العبارات والكليشهات المحفوظة والمتوارثة، والوان الزينة اللفظية والتأنقات البلاغية التقليدية، متجهة الى تحقيق بلاغة عصرية من نوع

جديد تتمثل فى المباشرة والتجديد والمرونة والعمق والقدرة على الحركة ومراعاة مستويات المستمعين واحتياجاتهم، وأصبحت هذه اللغة تمثل الوسط المشروع، الذى لابد ان يراعيه كل اذاعى يتوجه بالمادة الاذاعية (خبرا كان أو تعليقا او برنامجا ثقافيا او تمثيلية او منوعا) الى جمهور المستمعين، لا يصعد عنه ولا يهبط دونه، ولم يعد السؤال المطروح: الفصحى ام العامية، لكنه اصبح: لغة اتصال ناجحة ام لا، لغة تحتفظ بالمقومات الرئيسية للفصحى.

واذا كانت هذه اللغة المشتركة ضرورة فى البرنامج العام فهى الزام فى صوت العرب، لان هذه اللغة المشتركة تجمع بين أبناء الأمة العربية التى يتوجه اليها صوت العرب، وبالتالى فهى وسيلة الاتصال المفهومة لدى الجماهير العربية مهما كانت درجة ثقافتها او تعليمها.

■ **واخيرا**: والناس تنتظر من الاذاعة والتليفزيون النموذج الحسن، ونحن نحرص على ان يكون المذيع حسن الصوت واضح الكلمات - اى ان يكون مانيكانا لغويا وصوتيا فنقتدى به صغارا وكبارا، ولكن اذا وجدنا المذيع او المتحدث او الضيف أمام الميكروفون او على الشاشة يستخف باللغة العربية فليس على الناس الا ان يفعلوا نفس الشىء.. متوهمين أن هذه هى الصورة المثلى للكلام والحديث.. ومن هنا كانت غلطة المذيع فادحة، وخلطة المذيعين والمتحدثين معه وباء يجب ان نتقيه.

اما من أين نبدأ تعليم اللغة العربية واحترامها وحرصنا عليها، فلنبدأ من أى مكان.. من الاذاعة من المدرسة.. من الصحف والمجلات.. من الندوات.. المهم أن نبدأ بصورة مركزة ومستمرة اما النتائج فمؤكدة وسوف تجىء على مهل. لان تقويم اللسان المعوج يحتاج الى وقت وصبر وتشجيع.. ولذلك كانت سعادتى عظيمة بأن للعرب صوتا عربيا فصيحا ينطلق من القاهرة[35].

ان استعمال الفصحى المشتركة فى البرامج الثقافية بخاصة، امر اساسى لتحديد معالم لغة الاذاعة العربية بعامة، سيما وان اللهجة العامية فى أى قطر عربى ليست الا عربية محرفة، دخلها الفاظ وتراكيب اجنبية بحسب التأثيرات التى تعرض لها كل قطر عربى على حدة، وان التحريف فى العامية ليس مطردا وليس واحدا، فهو يختلف من قطر الى قطر، ويختلف فى القطر الواحد من بلد الى بلد، ويختلف فى البلد الواحد من حى الى حى، بل انه يختلف فى الاسرة الواحدة حسب الاجيال التى ينتمى اليها افراد الاسرة، طبقا لعامل التغير الذى يعترى اللهجات العامية بصورة ظاهرة سريعة[36].

وتتفاوت مظاهر الاختلاف فى هذه البيئات، فهى مثلا تقل فى الاسرة الواحدة، وتبلغ اشدها بين قطر وقطر الى درجة يتعذر معها ان يتفاهم ابناء قطر مع ابناء الاقطار الاخرى سواء عن طريق التخاطب ام عن طريق الكتابة، وهذا يتضح فى بعض الامثلة التى تستخدم فيها اللهجات العامية من بلاد عربية مختلفة، فالمثال الاول للعامية الجزائرية يقول[37]:

فاذا ترجمت هذه القطعة العامية الى العربية الفصحى، وجدناها تعنى حكاية تدور بين تاجر لا يحسن النطق وبين الزبائن الذين يساومونه، فلذلك ذهب الرجلان الى السوق ليشتريا فرسا، فصادفا هذا التاجر يبيع فرسه فسألاه عن ثمن الفرس، فقال لهما خم خم خم.. فقال احدهما لصاحبه: هيا نمشى، لاننا سنكون قد اشترينا فرسا اخر قبل ان يصل الى حرف السين، فهل يمكن لعربى فى خارج الجزائر ان يفهم هذا الكلام.. العامى.. بغير الاستعانة بمترجم، وكأن الحكاية مكتوبة بلغة اجنبية غير العربية[38].

وهذه الصعوبة نفسها تنشأ عندما نقرأ فى احدى القصص السودانية المعاصرة جزءا من حوار بالعامية السودانية، يقول:

«جال: شيخ السوج وين؟ جال ليهو الوليد أحمد ياهو، ومنصور رجال ليهو: أى يا أسطى.. جال: السوج اصلوا خلاص براهو مرج من يدى من ايام. الرازح كله الله.. انى ما دير اغشاك، يلاك يا عثمان نشيف منعم، ما تجيف كدى فى خشم الباب وتكورك[39]».

هذا الكلام ايضا لا يستطيع عربى خارج السودان ان يفهمه الا بعد الترجمة الى العربية الفصحى وهى :

قال: اين شيخ السوق، قال له الوليد احمد: هذا هو، قال منصور له: نعم وحلم قال: ان السوق قد افلتت من يدى منذ ايام، الرازق هو الله، انا لا اريد زيارتك، هيا بنا ياعثمان نرى منعم، لا تقف هكذا فى فتحة الباب وتكثر من الكلام[٤٠].

وهكذا لو اوردنا امثلة مختلفة من شتى الاقطار العربية مستقاة من لهجاتهم العامية، فاننا سوف نصادف صعوبة بالغة فى فهمها، مما يعرقل الى حد بعيد التفاهم الذى ينبغى ان يكون موجودا بين ابناء الأمة العربية الواحدة، وهذا التفاهم هو الاساسى فى لغة الاذاعة العربية بعامة.

وهل لنا ان نتساءل هل العاميات عامل انقطاع بين العرب فى الوقت الحاضر؟ بحيث لا يفهم لهجة قطر اخر كما تبين مما سبق، كما انها عامل انقطاع ايضا بيننا وبين تراثنا العربى، وهو تراث كان له دور كبير فى بناء الثقافة الانسانية، وفى تاريخ العلوم الحديثة باعتراف الغربيين انفسهم، فقد استطاع العرب الأوائل بعد عصر الفتوحات ان يتمثلوا حضارات الامم القديمة وان يضيفوا اليها من ابداعهم وعبقريتهم فى كل المجالات، مما جعل ثقافتهم وعلومهم ركيزة للتقدم الانسانى فى العصور الوسطى[٤١].

كانت مؤلفاتهم العلمية فى الطب والرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والزراعة.. من المراجع الاساسية عند الغربيين وكانت تدرس فى جامعاتهم حتى وقت قريب فكتابات ابن سينا فى الطب كما يقول لوبون لم يكف اساتذة جامعة مونبيلييه بفرنسا عن شرحها الا منذ خمسين عاما فقط[٤٢].

وكانت مؤلفاتهم الأدبية أيضا من شعر ونثر، لها أثر واضح فى الاداب الغربية فى القرون الوسطى اعترف به مؤرخوا تلك الآداب، وفى ذلك يقول جب: «لعل خير ما أسدته الآداب الاسلامية لآداب اوربا انها اثرت بثقافتها وفكرها العربى فى شعر ونثر العصور الوسطى[٤٣].

وتأسيسا على ذلك، فان القول بأن الفصحى هى اللغة الاتصالية فى الاذاعة بوجه عام وفى البرامج الثقافية بخاصة، سواء فى البرنامج العام اوصوت العرب، قول يقوم على أساس ان الفصحى قد اثبتت قدرتها على تناول شتى العلوم فى الماضى وهى فى سبيل الاتساع لها فى الحاضر كما انها اثبتت قدرتها على التعبير عن اسمى العواطف والمشاعر الانسانية، ولا يستطيع احد ان ينكر ما فى ادبها من حكم وزهديات وغزل عذرى عفيف[٤٤].

اما العامية فانها لا تقوى على ان تكون لغة للعلم والادب، لانها لا تقوم على قواعد واصول مكتوبة، وليس لها نحو خاص، فالأمر فيها متروك لأذواق الناس واهوائهم، وان ما بذله بعض المستشرقين من دعاة العامية فى سبيل ايجاد قواعد للعامية قد اكد استحالة وضع هذه القواعد، لا بالنسبة للهجات الاقطار العربية المختلفة.

الهوامش

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مؤتمر الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية المعاصرة، القاهرة: ذ ـ ١١/٥/ص٢٠٧.
(٢، ٣) د. عبد الحميد يونس: اللغة الفنية، مجلة عالم الفكر، الكويت ١٤م٢.
(٤) د. عبد الحميد يونس: اللغة الفنية مجلة عالم الفكر ـ الكويت ١٤ م٢.
(٥، ٦، ٧) المرجع السابق ص١٥.
(٨، ٩، ١٠) المرجع السابق ص١٦.
(١١) الدكتور عبد الحميد يونس: اللغة الفنية ـ مرجع سبق، ص١٨.
(١٢) C.A. Cingria, (Ses troubadourset La radio) La chambre d'ecros,P I9-23. Pares I947.
(١٣) Cherif kharjndar, (Tradition arale et radio dans Gran-deurs et faiklesses de la radio OP.cit. P. 93.
(١٤) Revu de Paris decembre I955, P.64.
(١٥) Afrique - Monde, Ed. Saint-poul, I963 - I92P.
(١٦) الدكتور عبد الحميد يونس: اللغة الفنية ـ مرجع سابق ص٣٨ وما بعدها.
(١٧) د. عبد العزيز شرف: اللغة الاعلامية ـ القاهرة المركز الثقافى الجامعى، هيئة الكتاب.
(١٨) المرجع السابق ص٣٩.
(١٩) د. عبد الحميد يوسن: ص٤٠، ٤١.
(٢٠) المرجع ـ السابق ص٤٢، ٤٣.
(٢١) المرجع السابق ص٤٣.

الهوامـــش

(٢٢، ٢٣) دوبالدماكويني : فن الراديو ـ الفن الاذاعي عدد ٣٨ ق ١١ يناير ١٩٦٧ .

(٢٤، ٢٥) اذاعة ج.م.ع في عامها التاسع عشر بعد الثورة ص٧٤ .

(٢٦) المرجع السابق ص٧٤ .

(٢٧) نفس المرجع ص٣٠ .

(٢٨) المرجع السابق ص٣٠، ٣١ .

(٢٩، ٣٠، ٣١) المرجع السابق ص٣١، د. عبد العزيز شرف، فن التحرير الاعلامي، القاهرة هيئة الكتاب .

(٣٢، ٣٣) مجلة الاذاعة والتليفزيون : في ٢٢/٥/١٩٧٦ .

(٣٤) المنظمة العربية للتربيه والثقافة : مؤتمر الوحدة والتنوع ـ مرجع سبق ذكره ص٢٩ .

(٣٥) نفس المرجع .

(٣٦) المنظمة العربية للتربية والثقافة : مؤتمر الوحدة والتنوع ـ مرجع سبق ذكره .

(٣٧) مجلة المشرق ١٩٢٥ ـ السنة ٣٤٢٣ ص١٢٧(٣٨) نفس المرجع السابق ص١١٢،

(٣٩) اسحاق ابراهيم اسحاق : قصة اعمال الليل والبلدة، الخرطوم ١٩٧٠

(٤٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة : مؤتمر الوحدة والتنوع ـ نفس المرجع السابق ص١١٣ .

(٤١) المنظمة العربية للتربية والثقافة . مؤتمر الوحدة والتنوع ـ مرجع سبق ذكره ص١١٣ .

(٤٢) جوستاف لوبون : حضارة العرب ـ المكتبة العصرية ـ القاهرة ص٥١٨ .

(٤٣) هاملتون جب : تراث الاسلام ص١٨٩ ـ ١٩٠ .

(٤٤) المنظمة العربية للتربية والثقافة · نفس المرجع ص١١٤ .

اساطين اللغـة

ابن عاصم

(١٣٥٥٩ ـ ١٤٢٦)، لغوى فقيه، ولد ومات بغرناطة، اشتغل فى صباه بتجليد الكتب، وارتقى فى العلم حتى صار قاضى قضاة غرناطة، نظم أرجوزة من ١٦٩٨ بيتا، فى الفقه المالكى، تعرف بالعاصمية أو «تحفة الحكام فى نكت العقود والأحكـام» وأراجيز أخرى فى الأصول والنحو والقراءات، وألف «حدائق الأزاهر فى مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر» فى ست حدائق، يشتمل كل منها على فصل أو اثنين أو ثلاثة.

مصطلحات الاتصال الجماهيري في اللغة

تعريب أم تغريب ؟!..

يقوم الاتصال الجماهيرى بدور رئيسى في حياة الانسان الحديث، فعن طريق وسائله التى أصبحت بمتناول اليد، يتزود المرء بالمعلومات والأخبار، ويستمع الى الموسيقى والأغاني، ويشاهد الأفلام والمسلسلات، ويقرأ الكتب والمجلات والصحف، ولذا، فانه من الصعب تخيل الحياة الحديثة دون وسائل الاعلام، هذه الوسائل التى تصلنا بالعالم وأحداثه، وتساعد في تنمية معارفنا، وتقدم لنا المادة الترفيهية فيمر الوقت خفيفا سريعا.

ولقد كان اختراع المطبعة فى القرن الخامس عشر (فى ألمانيا) ايذاناً ببدء عصر جديد، هو عصر الاتصال الجماهيري، وتميز العصر الجديد بانتشار المعرفة بفعل المطبعة على نطاق واسع لم يسبق له مثيل، غير ان اختراع الاجهزة الالكترونية، كالتلفزيون والهاتف، في منتصف القرن الماضي، قد أعطى دفعة قوية لصناعة الاتصال الجماهيري، بما اتاحته الاختراعات الجديدة من امكانية لنقل الرموز (مثل اللغة) بسرعة عبر الأثير مباشرة، ونجم عن تلك الاختراعات تطوير الاذاعة والتلفاز، وهاتان الوسيلتان الاعلاميتان انتشرتا انتشارا واسعا بين الناس قاطبة.

علم الاتصال الجماهيري:

لقد أدى تطور وسائل الاتصال الجماهيري وشيوع استعمالها بين الناس، الى نشوء ظاهرة الاتصال الجماهيري، ولقد أصبحت هذه الظاهرة فى القرن الحالي محط انظار الدارسين والباحثين المختصين، تعبيرا عن اهتمامهم بوسائل الاعلام، وبما تخلفه من آثار اجتماعية ونفسية مختلفة على المتلقين، ولهذا الغرض، انشئت كليات ودوائر الاعلام والصحافة فى الدول الغربية، وخاصة أميركا، لدراسة تلك الظاهرة وتدريسها، ويدرس علم الاتصال الجماهيري حالياً باعتباره احد ميادين العلوم السلوكية الانسانية والاجتماعية، ويعرف البحث فى الاتصال الجماهيري بانه الدراسة العلمية لسلوك الاتصال الجماهيري عند الانسان، هذه الدراسة التى تتم، فى الاغلب، في أحوال تستدعي جمع المعلومات الكمية (quantitative) من مصادرها الأولية، بما يعالج أوضاع المرسل الاعلامي ووسائل الاعلام، ومضمونها من الرسائل والجمهور المتلقي.

مشكلة تعريب المصطلحات:

تواجه الدارس العربى، الباحث والطالب والقارىء على حد سواء، لدى الاطلاع على ابحاث الاتصال الجماهيري وكتبه التى تصدر باللغة العربية وتدرس فى الجامعات والمعاهد، مشكلة بارزة، تتجلى فى عدم وجود مصطلح موحد متفق عليه، ويؤدى هذا الى استعمال مصطلحات متباينة للمصطلح الاجنبى الواحد بين الكتاب العرب أنفسهم، والى تباين استعمال المصطلح الواحد عند الكاتب نفسه فى بعض الاحيان.

ويبدو ان هذه المشكلة جزء من مشكلة أكبر وأعم لا تنحصر فى علم الاتصال الجماهيري، بل تتعداه الى العلوم الانسانية والاجتماعية كافة فى الوطن العربى، فالمصطلحات التى تستعمل فى تدريس هذه المواد «تختلف من بلد الى آخر، بل من جامعة الى أخرى».

ان تفاقم المشكلة على هذا النحو، يؤدى - فى أبسط الأحوال - الى ايجاد التشويش والتشتت الفكري عند القارىء بل ان تعدد المصطلحات المستعملة فى الكتاب الواحد وتباينها بالنسبة إلى المصطلح الاجنبى الواحد، قد يدفع القارىء الى الاستهانة بما يقرأ أو يتعلم. ولذا فلابد من معالجة المشكلة بايجاد المصطلحات العلمية المناسبة، وتعريبها.. وتشذيبها، وتوحيدها، وجعلها حية نامية، تواكب تقدم العلم وخطواته الواسعة، وهذا يحتم على الباحثين العرب ضرورة التصدى لهذه المشكلة من خلال اتاحة الفرصة لهم للادلاء بدلوهم فى هذا المجال، ودعوتهم الى المساهمة بما قد يتجمع لهم من آراء حول المصطلحات المناسبة، ضمن قواعد عامة تتبناها مجامع اللغة العربية.

د. عصام سليمان الموسى
جامعة اليرموك

من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني
العدد ٣١ ذو القعدة ١٤٠٦هـ - ربيع الثانى ١٤٠٧هـ

لغة الفن

« درا...

● عدم امتلاك ناصية اللغة قد يوقـ...
● استخدام الفصحى في الحوار ...
● لابد أن نولي اللغة ما تستحق...

بقلم: أ.د. طـــه وادى
جامعة القاهرة



الكاتـــب فـــى ســـطور

● أستـــاذ الأدب الحـــديث ـ كلية الآداب جامعة القاهرة.
● له مؤلفات عدة فى الادب والنقد (الشعرى والروائى).
● له كتابات في الفن القصصي.

إذا أردنا أن نتكلم عن القصة.. أو عن غيرها من الانواع الادبية، فسوف نجد أنفسنا مضطرين ـ شئنا أم أبينا ـ إلى الحديث عن اللغة، لان كل الانواع الادبية تندرج نحو ما يسمى بـ (فن القول) فاللغة هى أداة الادب.. وهى وسيلة التعبير عند الاديب، غير أن الحديث عن اللغة فى الفن القصصى أمر أكثر صعوبة من الحديث عن اللغة فى الشعر أو المسرح، لان اللغة فى الشعر والمسرح ذات طبيعة واحدة، فالشاعر ـ فى القصيدة ـ يعبر عن ذاته دون أن يلجأ إلى قناع.. لانه لا يعبر عن غيره، فصوت الشعر هو صوت الشاعر نفسه. وكذلك الحال بالنسبة للمسرح، لان النص المسرحى يقوم على الحوار وحده، ومعنى هذا ـ باختصار شديد ـ أن اللغة فى الشعر والمسرح ذات طبيعة تعبيرية واحدة أو متقاربة على الاقل، لكن أمر اللغة فى فنون القص (الرواية والقصة القصيرة) أمر مختلف وأكثر تعقيدا، للاسباب التالية:

أولا : لأن فنون القص تحاول أن (توهم) قارئها ـ فنيا ـ أنها تقدم له شريحة حية من الحياة الواقعية لشخصيات بأعينهم، يعيشون فى واقع اجتماعى محدد، وفى مكان وزمان محددين أيضا. فالروائى ـ حتى وهو يقدم رواية تاريخية ـ يكون حريصاً على أن يصور هذا الواقع البعيد فى إطار معطياته وظروفه الخاصة، حتى لا يتهم بأنه يزيف الواقع، ويلوى عنق الحقيقة. وبناء على هذا فإن الكاتب القصصى إذا كان مطالبا بأن يكون أمينا فى تصويره للواقع / الاطار التاريخى أو الاجتماعى ـ الذى يشكل خلفية اجتماعية لأبطال الرواية أو القصة. . فإنه ـ أيضا ـ مطالب بأن يكون أكثر أمانة (ودقة) حين يجعل أبطاله يتكلمون، لأن لغتهم يجب أن تعبر عن الواقع الخاص، الذى يعيشون ـ فنيا ـ فى إطاره.

إن الشخصية أو المتكلم فى الرواية ليس فرداً باهت الملامح، وإنما هو ـ كما يقول عنه مؤلف «الخطاب الروائى» باختين ـ «منتج أيديولوجيا، وكلماته هى دائما عينة أيديولوجية (Ideologeme). واللغة الخاصة برواية ما، تقدم دائما وجهة نظر خاصة عن العالم تنزع إلى دلالة اجتماعية»[1].

ثانيا : إن اللغة فى القصة والرواية ذات مستويين مختلفين. . هما السرد والحوار، فماذا نعنى بهذين المصطلحين؟.

أ ـ السرد (Narration) :

مصطلح أدبى، يقصد به ذلك النوع من الأسلوب أو طريقة التعبير، التى ينوب فيها الرواي ـ عن الروائى. . وعن الشخصيات ـ فى سرد أو وصف أو تصوير أركان الحدث. . ومكونات الشخصية. . وعناصر المكان. . وطبيعة الزمان القصصى. وكما يمكن للروائى أن يسرد من الخارج ـ من خلال السرد

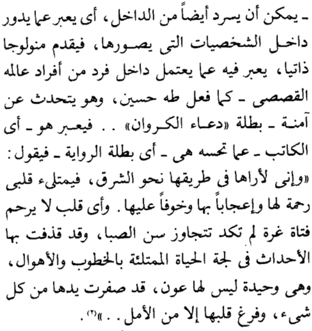
القصصي ..

ـة نقـــــــــــــــــــــــــدية»

لروائى فى خطر؟!
زة تحسب . أدبيا . للكاتب.
من رعاية واهتمام فاللغة هى لحن.



ـ يمكن أن يسرد أيضاً من الداخل، أى يعبر عما يدور داخل الشخصيات التى يصورها، فيقدم منولوجا ذاتيا، يعبر فيه عما يعتمل داخل فرد من أفراد عالمه القصصى ـ كما فعل طه حسين، وهو يتحدث عن آمنة ـ بطلة «دعاء الكروان» . . فيعبر هو ـ أى الكاتب ـ عما تحسه هى ـ أى بطلة الرواية ـ فيقول: «وإنى لأراها فى طريقها نحو الشرق، فيمتلىء قلبى رحمة لها وإعجاباً بها وخوفاً عليها. وأى قلب لا يرحم فتاة غرة لم تكد تتجاوز سن الصبا، وقد قذفت بها الأحداث فى لجة الحياة الممتلئة بالخطوب والأهوال، وهى وحيدة ليس لها عون، قد صفرت يدها من كل شىء، وفرغ قلبها إلا من الأمل . . »[٢].



وهذا العنصر من عناصر الأسلوب القصصى، ينبغى على الكاتب أن يكون جد يقظ الحساسية، وهو يقدمه بـ «اللغة»، لأن الزمام اللغوى قد يفلت منه، فيعبر عن نفسه، وليس عن شخصياته، ان الكاتب يتخيل مجموعة من الشخصيات، ارتضى أن تكون معادلا موضوعيا . . أو موازاة رمزية لما يريد أن يعبر عنه، لذلك ينبغى أن يكون التعبير(سرديا) عن تلك الشخصيات . . وليس عن نفسه.

ب ـ الحـوار (Dialogue) :

هذا هو المستوى الثانى من لغة القص . . وهو اللغة التى يعبر بها الكاتب عما يدور بين شخصياته من حديث أو قول، أى يعبر عما تعانيه أو تفكر فيه كل شخصية من شخصيات التجربـة القصصية. والشخصيات فى إطار القصة ـ كما هى فى واقع الحياة ـ يتفاوت مستواها الفكرى ومزاجها النفسى وواقعها الاجتماعى، وهذا كله ينبغى أن ينعكس فى الحوار . . الذى تتكلم به كل شخصية لأن النطق يجب أن يقوم على منطق، وقديما قال أحد الفلاسفة: «حدثنى حتى أراك . . !!».

وبناء على هذا يجب أن ينوب الروائى ـ بأمانة وصدق ـ حين يركب لغة الحوار، التى تعبر عن شخصيات عالمه القصصى. وهذا الجزء من الحوار يدور بين أم وأبنائها فى رواية «بداية ونهاية» لنجيب محفوظ، حيث يعبر الكاتب ـ بدقة ـ عما يفكر فيه كل منهم، بما يكشف عن طبيعة كل واحد منهم بشكل متفرد، قالت الأم: «نفيسة تحسن الخياطة، وهى تخيط كثيرا لجاراتنا محبة ومجاملة، ولست أرى بأساً فى أن تتقاضى على عملها مكافأة.

وهتف حسن بحماس: عين الصواب . .

ولكن حسنين صاح بغضب، وقد احمر وجهه غضباً: خياطة؟!

فأجابه حسن معترضاً: ما عيب إلا العيب، فلتكن.

فقال حسنين بحدة: لن تكون أختى خياطة، كلا، ولن أكون أخاً لخياطة.

وقطبت الأم فى غضب وصاحت به: أنت ثور، تأكل وتنام، ولا تدرى عن الدنيا شيئا، وهيهات أن يفهم عقلك الغبى حقيقة حالنا!

وفتح فاه ليعترض، ولكنها صاحت به: اخرس. فنفخ دون أن ينبس بكلمة، ورأت الأم أنها فرغت من معارضته، فالتفتت إلى حسين، فالتقت عيناهما برهة قصيرة، ثم خفض الفتى عينيه، وتمتم على

مضض: إذا لم يكن من هذا بد فالأمر لله . . ! فقالت الأم بتأثر: ما عيب إلا العيب كما يقول حسن، لست أحب لأحد منكم المهانة، ولكن للضرورة أحكام، ولا حيلة لى . . »[٣].

فهذا الجزء من الحوار ـ على سبيل المثال ـ نكتشف من خلال لغة الحوار فيه نوعية شخصية الأم الواعية، التى تريد أن تحافظ على الأسرة بعد وفاة الزوج العائل لهم. . وشخصية حسن المتواكل الذى يسلم بسهولة، لأنه يريد أن يريح نفسه على حساب الآخرين. . ثم شخصية حسنين الانتهازى ـ الذى يريد المال، ولكن يسؤه ـ مظهريا ـ أن يقال إن أخته تعمل خياطة. . وشخصية حسن المؤمن الذى صدق على كلام الأم بنفس راضية (إذا لم يكن من هذا بد فالأمر لله).

هكذا ينبغى أن يكون الحوار معبرا ـ بدقة ـ عن السمات المتفردة لكل شخصية، وهذا يعنى ـ بالضرورة ـ العناية بلغة الفن القصصى: سردا وحوارا، لأن بعض الكتاب يتوهمون أن (الشعرية) ليست شرطا للغة الفن القصصى، وهناك اليوم «دعوة عامة إلى ضرورة العناية بأسلوب القصة، نجدها عند الناقد «رالف فريدمان» فى كتابه عن «الرواية الشعرية» الذى درس فيه سمات هذا النوع من الرواية عند بعض الكتاب مثل: «هيرمان هيس، وأندريه جيد، وفرجينيا وولف».

وقد عقد فصلا عما آسماه بالتقاليد الشعرية (The Lyrical Traditions)، التى ينبغى أن تهتم بها رواية تنتمى إلى هذا النوع من الكتابة القصصية/ الشعرية، وبالطبع فإننا ندرك أن القصة شىء والشعر شىء آخر، لكن ما نلح عليه ـ بإصرار ـ هو أن **القصة نوع أدبى بالدرجة الاولى، وينبغى ألا يخلو أسلوبها اللغوى من ومضة بلاغية فى السرد والحوار كما أن عدم امتلاك ناصية اللغة، قد يوقع الروائى فى خطر ـ أو خطأ على الاقل ـ إ ذا لم تستطع لغته أن تعبر ـ بدقة ـ عن الموقف المصور**، لذلك يقول الناقد الأمريكى «ألبرت كوك» فى حديثه عن لغة القصة: «إن الكلمات فى تعبير قصصى لا تشير إلى كلمات أخرى فقط، ولكن إلى مشار إليه فى الواقع. والمشاهد التى تقدمها اللغة فى رواية لا تأخذ مكانتها القصصية إلا بقدر ما ينبغى أن تكون صدى لحقيقة فى الواقع»[٤].

بعض الظواهر اللغوية فى الرواية والقصة:

بعد هذه المقدمة النظرية عن لغة الفن القصصى، نتوقف وقفة تطبيقية عند بعض الكتاب، لنبين موقفهم من قضية اللغة، ونستطيع أن نجمل موقف الكتاب جميعا من قضية اللغة فى اتجاهين كبيرين:

(١) اتجاه يستخدم العامية فى الحوار والفصحى فى السرد.

(٢) اتجاه يستخدم الفصحى فى الحوار والسرد.

الاتجاه الاول: يستخدم ممثلوه الفصحى فى السرد، والعامية فى الحوار ـ من أجل الإيهام بالواقعية، حيث ينطقون الشخصيات فى الرواية باللغة التى يتكلمون بها فى الحياة اليومية، وقد بدأ هذا الاتجاه مبكرا فى تاريخ الرواية الحديثة، حيث ظهر فى الرواية العربية الأولى ـ التى اكتملت لها عوامل النضج الفنى. . وهى رواية «زينب ـ مناظر وأخلاق ريفية» لمحمد حسين هيكل (١٩١٤). وقد آثر هيكل أن يجعل شخصياته يتكلمون بلغة أهل الريف، الذى يعيشون ـ فنيا ـ فى إطاره الروائى، وهذا الجزء من الرواية، يؤكد ذلك:

«وجلس الرجل (أبو زينب) من بينهم محتفياً بهم مظهراً مقدار سروره بتشريفهم ومؤانستهم، وأنهم نوروااداره، وظلوا يتهادون التحيات حتى دارت عليهم القهوة وصاروا جميعا وكأن بينهم رابطة ود وإخلاص، هنالك قال خليل:

ـ والله طالبين القرب منك يابو محمد.

ـ يا تلتميت مرحبة يا بو حسن. . واحنا قد المقام.

ـ اللـــه يحفظك.

ـ ويعنى إحنا حدانا حد يستحق الجواز؟

ـ والله بدنا زينب لحسن.
ـ احنا والله ما نعز عليك حاجة يا خليل. . لكن أنت عارف البنت صغيرة من ناحية، وهى اللى بتقضينا الحاجة من ناحية، كمان ياخويه سنتين والا تلاتة لما تكبر هى، وتكون أختها بقيت لايجة للشغل.
هنالك انبرى من بين القوم رجل ذو وجاهة، عريض الصدر، عظيم الهيئة، هو شيخ البلد، وقال: حاكم انت يابو محمد. .! صغيرة إيه ياخويه. . عمرنا بنجوزالبنات وهم أصغر منها. . والله أنى جوزت ديك السنة بنت أبو سمية ده، أبو عامر لعلى أبو إبراهيم، وهى أصغر خالص من زينب. . ياراجل بلا كلام[٥]».

واللغة فى هذه الرواية (زينب) ذات مستويين من مستويات التعبير:

أ ـ **فهناك مستوى فصيح فى السرد**: يبلغ حد التفعر ـ أحيانا ـ لأن الكاتب سواء أكان هيكل أو غيره، يحاول من خلال أسلوب السرد أن يظهر قدراً من فنية التعبير وجمال الأسلوب، فهذا المستوى السردى هو الذى يساعد الكاتب ـ إن أراد ـ على أن يبرز مهاراته اللغوية وإمكاناته البلاغية. . كما نجد فى هذا الجزء فى رواية هيكل: «ما أحلى ليالى الصيف! وما أسرعها مرا! تسرى بنا فتنسينا الحياة والوجود، وتبعث لنفوسنا بطيبها أكبر الهناء، ولو أن الأمانى تجاب لكانت كبراها استدامة هاته الليالى الزاهرة، حيث كل شىء جميل ذاهب فى أحلامه، وحيث البدر يحبو فى السماء تائها هو الآخر فى خيالات حبه، والطبيعة الصامتة توحى بأصواتها نجوى الغرام إلى القلب، والفلاح الساهر يرسل من سلاميته فى جوف الكون نغمة رقيقة كلها الوجد والجوى.

ولكن الأيام لا تقف عند أمنية، ولا يستحثها قلق الساهر الشيق يشكو آلامه، بل هى هى الدائمة السير المتشابهة الخالدة، تجرى بنا على غير ما نريد، فتطوى وقت السعيد حتى لا يحس به، وتتمطى أمام البائس فتزيد بؤسه مضاضة وإيلاماً.

سافر إبراهيم لمنفاه، وكل ذنبه أنه فقير، وجاء الخريف لزينب بالهموم، وودت بعد ذلك الفراق، لو أنها أعطت إبراهيم نفسها، حتى يكون لها من ذكرى ذلك عزاء عن لوعها، ولكنها اليوم تعانى من الحسرات من غير عزاء.

أما حامد فقد انتهى بدفن كتاب عزيزة الذى شغله أياماً، وابتدأ النسيان يجىء على كل أثر لها فى نفسه، ولكنه بمقدار ذلك النسيان كان يحس بفراغ فى قلبه يزداد كل يوم، ويشعره بالحاجة المطلقة إلى سد هذا الفراغ[٦]».

فهذا الجزء من السرد القصصى فى رواية «زينب» يؤكد أن هيكل لم يقصد الكتابة بالفصحى فحسب، وإنما حاول أيضا أن يستخدم لغة أدبية، قريبة من لغة النثر الفنى، الذى عرفه تاريخ الأدب العربى فى الخطب والرسائل والمقامات والمقالات والخواطر، لذلك نجده يوظف أنماطا مختلفة من التراكيب البلاغية ـ ومنها على سبيل المثال. . ما يلى:
ـ ما أحلى ليالى الصيف. . أسلوب تعجب.
ـ تسرى بنا ليالى الصيف فتنسينا الحياة. . استعارة.
ـ البدر يحبو فى السماء تائها فى خيالات حبه. . استعارة.
ـ الأيام لا تقف عند أمنية. . استعارة.
ـ الأيام تجرى بنا على غير ما نريد. . استعارة.
ـ الأيام تتمطى أمام البائس فتزيد بؤسه. . استعارة.
ـ سافر إبراهيم لمنفاه. . استعارة.
ـ جاء الخريف بالهموم . . استعارة.
ـ أما حامد فقد انتهى بدفن كتاب عزيزة. . استعارة.
ـ يحس بفراغ فى قلبه يزداد كل يوم . . استعارة.

كذلك نجده ينوع بين الجمل على مستوى التركيب النحوى بين الجمل الفعلية والاسمية. . كما ينوع بين الجمل من حيث الدلالة البلاغية بين الخبر والانشاء.

ومعنى هذا أن الكاتب (هيكل) كان مدركاً ـ بوعى ـ أنه يكتب أدباً، ومن هنا جاءت لغته حبلى بهذه الأنماط البلاغية المختلفة.

وهذا الأسلوب النثرى المتأنق غير اللهجة العامية

الدارجة، التى وظفها هيكل للتعبير عن شخصياته الريفية من الفلاحين والعمال ومتوسطى الثقافة.

ونحن أميل إلى الاعتقاد بأن هيكل استخدم العامية ـ واعيا ـ انطلاقا من (منظور) فنى، يرى أن الكاتب يجب أن يجعل شخصياته تتكلم فى الرواية، بنفس الطريقة ـ أو المستوى اللغوى الذى تتكلم به فى واقع الحياة، ولا يزال هناك كتاب كثيرون فى المشرق والمغرب العربى، يعتقدون بصدق هذا المنظور، ولذلك يكتبون الحوار بالعامية.

والأسماء الروائية الممثلة لهذا المنظور كثيرة، مثل: عبد الرحمن الشرقاوى ويوسف إدريس وعبد الرحمن منيف وإحسان عبد القدوس وخيرى شلبى ويوسف القعيد وسكينة فؤاد وحنان الشيخ وغيرهم.

الاتجاه الثانى: هناك مجموعة أخرى من الكتاب يرون فى هذه القضية رأيا آخر، وهو ضرورة استخدام الفصحى فى السرد والحوار ـ على حد سواء، لأنهم يرون ـ وهم على حق فى تقديرى ـ أن العالم القصصى كله من صنع الكاتب، والكاتب يصنع أدباً، وليس هناك أدب بلا صنعة، لكن المهارة ـ فى الأدب ـ هى أن تخفى الصنعة، بحيث تبرز الصياغة كما لو كانت عملا تلقائيا، يصدر عن طبع وتلقائية. وهذا موجود منذ نشأة الرواية الحديثة عند مصطفى لطفى المنفلوطى وطه حسين ومحمد فريد أبو حديد وعلى الجارم وعلى احمد باكثير ومحمد سعيد العريان وعبد الحميد جودة السحار ـ ولا سيما فى رواياتهم التاريخية والمترجمة، كذلك نجدها عند نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله.. وعند بعض الكتاب المعاصرين أمثال طه وادى ومؤنس الرزاز ورضوى عاشور وإبراهيم الناصر الحميدان وغيرهم.

واستخدام الفصحى فى الحوار ميزة تحسب ـ أدبيا ـ للكاتب، لأنه يستطيع أن يطوع الفصحى للغة الحوار، وهنا يجمع الحوار الفصيح بين السلامة اللغوية والجمال الأسلوبى فى التعبير عن الموقف القصصى، كما نجد فى هذا الجزء من رواية «غيوم الخريف» لابراهيم ناصر الحميدان (١٩٨٨):

«همست له أمه، وقد جاء لزيارتهم بعد غربة خمسة أعوام.

ـ ألا تفكر بالاستقرار ياولدى؟

ـ أدرك مغزى سؤالها.. وقد طالما لاكه فى ذهنه.. سيفتح بيتا ذات يوم، وينعم بالحياة الزوجية مثل سواه.

إنها من تكون المرأة المنتظرة؟ إنه بحكم الوضع الاجتماعى لم يتسن له رؤية فتاة ناضجة.. كما لم يكن يلتفت إلى بنات الجيران أو قريباته عندما كان صغيراً لذا كان ذهنه يخلو تماماً من تصور ملامح أية فتاة مناسبة.

كانا يفترشان حصيرة الخوص.. وقد وضعت المرأة مسبحتها على حجرها استعداداً للصلاة فى حين اتشحت بالسواد.

قال متسائلا: وهل فى ذهنك من ترشحينها كزوجة لى؟

رنت إليه طويلا، وتنهدت قبل أن تجيب: لم تسألنى من قبل.

تضاحك قائلا: طالما طرحت الفكرة فلابد أن تكونى قد رأيت من تناسبنى.

تبسمت بارتياح وتمتمت: البنات كثيرات.. وما عليك إلا أن تشير بالموافقة(٧)».

ولا شك أن استخدام الفصحى فى الحوار القصصى، يعد ميزة ـ كما ذكرت ـ إلا أنه قد يدفع الكاتب ـ أحياناً ـ إلى قدر من الجيشان الانشائى والاندفاع اللفظى، الذى يصيب الحوار بالمبالغة أو التكلف أو البرود.. كم نجد فى هذا الجزء من رواية «لقيطة» لمحمد عبد الحليم عبد الله (١٩٤٥)، حيث تقول بائعة لبن فقيرة لبطلة الرواية ـ ليلى: «صباح الخير ياسيدتى.. إن صاحبة المنزل أمرتنى أن أصعد إليك فى كل صباح لتشترى منى، فكونى مطمئنة إلى سلامة ما أقدم لك ونظافته، فأنا لست من اللائى يخلطن أو يغششن».

ولم يكن المبيع شغل ليلى، وإنما كان شغلها البائع.. لقد تفرست كل جارحة من جوارحها، وتأملت كل شىء فيها، وهمت أن تقبلها لولا أن

يقال: إنها مجنونة.

لقد رضع هذا الفم ثدياً طاهرا رضعته، وتأملت هذه العيون فى غرارة الطفولة وجها تأملته، واستلقى هذا البدن الجميل فى حجر طالما رقدت فيه، لكنها لم تزد أن قدمت لها الثمن قائلة لها: مع السلامة، ومن يدرى؟ لعلها كانت تقول بعدها: «يا أختاه» بصوت خافت كأنه مناجاة الضمير[8]».

ونحس أن الكاتب مشغول بالصنعة اللفظية عن الفروق الجوهرية بين أسلوبى السرد.. والحوار. وقد أدت هذه الصنعة البيانية إلى زيف اللغة القصصية.. التى احتشدت بهذه العبارات المتكلفة:

صباح سعيد ياسيدتى - لست من اللائى يخلطن أو يغششن (ما أثقل نون النسوة فى الخطاب!!) - لم يكن المبيع شغل ليلى وإنما البائع - تفرست كل جارحة - همت أن تقبلها - رضع هذا الفم ثديا طاهراً - يا أختاه - صوت خافت كأنه مناجاة الضمير.

فهذا الأسلوب المصنوع المتكلف فى السرد والحوار يضعف لغة الرواية أو القصة، لأن الفن القصصى لا يلائمه البتة هذا التقعر اللغوى المصنوع، الذى يزهق حساسية الابداع الفنى فى عالم القص.

إن لغة القصة اليوم، ينبغى أن تكون سريعة الايقاع، موجزة، تصل إلى الهدف مباشرة، كما نجد فى هذا الجزء الذى يصف فيه كاتب معاصر لحظة فى حياة إنسان فقير بائس.. هو على عليوة فى قصة «ألف باء».. «أيقظه من شطحاته عامل فقير مثله. أخبره بفكرة، لم تخطر له من قبل، إذا كان لابد أن تحصل على فلوس اليوم فتعال معى إلى مستشفى الأمل. ماذا تفعل؟ هات وخذ. لا أفهم. هات دما وخذ فلوسا. مشى بجوار زميله يجر أعضاءه المجهدة، حتى وصلا إلى مستشفى ضخمة أشبه بلوكاندة عظيمة، ترقد على شط النيل مباشرة، اعترضهما بعض رجال الأمن - الذين يلبسون ملابس زرقاء وسوداء. صعلوك.. لا تدخل من باب الملوك. كل معلوماته عن المستشفيات مستمدة من الوحدة الصحية فى القرية.. والمستشفى العام فى المدينة. يستحيل أن تكون تلك البناية العظيمة مستشفى مثل الأماكن التى زارها، وأخذ منها: شراب الحديد أو شربة الدود، أو حبوب السلفا.. له أو لزوجته أو أحد أبنائه، ظن فى البداية أن الحكومة أرادت أن تصلح الخدمات الطبية للناس - أبناء الشعب الغلابة، لكن الزميل صاح فيه: فق.. واصح يا بلدينا، هذه المستشفى لا علاقة لها بالحكومة أو الشعب، مشروع استثمارى يا غشيم. لم يحاول أن يفهم أو يتكلم، فهو لا يعرف شيئا عن الحكومة أو الشعب. كل ما يهمه أن يحصل على فلوس، حتى يطعم الأفواه الجائعة، التى تنتظر عودته، كما تنتظر الأرض الشراقى مياه الساقية[9]».

ولا شك بعد كل ما ذكرناه.. أن الوعى بقضية اللغة - هو فى الحقيقة - وعى بأهم خصائص التجربة الفنية فى كافة الأنواع الأدبية، وليس فى إطار الفن القصصى وحده، وما أجدرنا جميعا: أدباء ونقادا وقراء وكتابا، أن نولى اللغة بعض ما تستحق من رعاية واهتمام، لأن اللغة فى المقام الأول والأخير هى.. نحنُ.

الهوامـــــش

(١) ميخائيل باختين: الخطاب الروائى، ترجمة محمد برادة، ط دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٨٧ ص١٠٢.
(٢) طه حسين: دعاء الكروان، ط دار المعارف - القاهرة ص٧٦.
(٣) نجيب محفوظ: بداية ونهاية، ط مكتبة مصر - القاهرة ص٢٥.
(٤) طه وادى: دراسات فى نقد الرواية، ط الهيئة المصرية، القاهرة ١٩٨٩، ص٤١.
(٥) محمد حسين هيكل: زينب - مناظر وأخلاق ريفية، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣، ص٤١.
(٦) المصدر السابق ص١١٨.
(٧) ابراهيم الناصر الحميدان: غيوم الخريف، ط نادى القصة، الرياض ١٩٨٨، ص٩٥.
(٨) محمد عبد الحليم عبد الله: لقيطة، ط مكتبة مصر، القاهرة ص١٢٩.
(٩) طه وادى: العشق.. والعطش، ط مكتبة مصر، القاهرة ١٩٩٣، ص١٤٤.

ظواهر

بقلم: د. محمد أحمد حمدون
كلية التربية للبنات ـ جدة



الكاتب في سطور

● له محاضرات فى الأدب والهوية الجمالية الاسلامية فى مؤتمرات رابطة العلماء الاجتماعيين المسلمين بالولايات المتحدة وكندا ٧٣-١٩٧٦.
● عمل أستاذا مساعدا ومستشارا لدراسات الشرق الاوسط بجامعة جاكسونفيل بفلوريدا بالولايات المتحدة.
● عمل أستاذا مساعدا بجامعة سان دياجوستيت من عام ١٩٧٧ ـ ١٩٨٢م ورئيسا للبرنامج العربى بسيستران للترجة بالكمبيوتر.
● له جمهرة عن الدراسات والبحوث فى الادب العربي والمقارن.

ربط الجمل والمفردات على غير ما كان مألوفا. . عودة الضمائر على «لامذكور» وبصورة غير قاطعة. . الجملة الظل والإضاءة. . التكرار. . الغموض. . تعدد دلالات اللفظة الواحدة. . إحياء واستعمال الغريب. . مظاهر «التبسط» والعامية. . العدول عن الشائع إلى غير الشائع فى القياس. . الزخرف اللفظى. . يا «أنت»، يا «هنا»، يا «اليأتى». . «تغريد» الكلمات والجمل وتراكمها وتلاشيها. . توالى الاستفهامات وأدوات الربط وعلامات الترقيم. . تتابع الصيغة الواحدة. . «ك»، «كك»، «كما»، «كمثل». . حشد الدلالات المتصلة بجذر لغوى واحد. . الكتابة «بالتصوير البطىء» . . و«السريع». . و«الممل». . و(. .) لغة القرآن.

كلها ظواهر تسترعى الانتباه فى الشعر الحديث وقد استرعت فعلا نظر عدد من الدارسين الذين تناولوها على مستويات متعددة بين التعمق والسطحية، . فى شعر شاعر أو مدرسة أو جماعة، للقارىء «المثقف» أو «المتخصص». . بل إن الاتجاه «الأسلوبى» فى البحث الأدبى جعلها «ضربة لازب» على كل من يتناول الشعر الحديث أن يتعامل «بوعى» مع ظواهره اللغوية هذه وغيرها. . والحق أن كثيرا من هذه الظواهر غير جديد على الشعر العربى. . ولكن الجديد حقا هو «تنوع» «وكثافة» تلك الظواهر حيث أصبحت لغة الشعر عندنا متأثرة بمزيج من المؤثرات العربية القديمة والغربية الحديثة. . فيها الصياغة الغامضة، والبراعة فى الحلى اللفظية، والرياضة والتسلية الفكرية، فيها تعبير عن غايات نفسية إنسانية، فيها انطلاق وانطواء، تسطيح وتعميق. . ومن ثم أصبحت الصورة الشعرية قائمة على أبعاد كلاسيكية (عربية أو غربية) ورومانتيكية وسريالية وتجريدية «وفرويدية»[١] وكل ما من شأنه تحطيم «الصور التقليدية»، حتى أضحت تلك اللغة «أفيون الصفوة» ـ نفس المصطلح الذى أطلق يوما على «لغة الرمزيين»[٢] ـ وأضحى استعمال الشاعر لها دليلا «قاطعا» على «عصريته» عند اكثر شعرائنا المعاصرين، على الأقل، وبعض نقادهم.

● الصورة الشعرية قائمة الان على كل ما من شأنه تحطيم

● مجموعة الصراعات الاجتماعية والسياسية جعلت اللغة

● الغموض ظاهرة فنية ومذهبية اكثر منها ظاهرة لغوية

● ونخطىء إذا لم نضع تلك المسألة فى إطارها الصحيح وهو: «العلاقة بين اللغة والشعر»، وهى القضية الدائمة المتجددة وإن تفاوتت درجات «المواجهة» معها من عصر لآخر. إذ لكل كلمة ـ فى

لغوية في الشعر المعاصر

ذاتها وفى موقعها من التركيب الشعرى - «مجال لحشد كبير من المعانى والصور»، وعقد «ضروب شتى من الصلات النفسية والاجتماعية»، حتى استطاع الانسان - بله الشاعر - «أن يطوع (بها) قليلا من الأصوات المتناهية لما لا يتناهى من المعانى والمشاعر»[3]. فما دامت الكلمة - مفردة ومركبة - أداة الابداع الشعرى، فإنها بذلك تخضع - من جانب الشاعر - لعملية «إعادة بناء» Reconstruction مستمرة. وفاعليتها فى حرية التعامل معها، بل إن واضعى اللغة الأوائل - كما يذهب بعض الباحثين[4] - «كانوا على بينة من أن اللغة لا تقيد». غير أن النحويين والصرفيين يرون أن لا مناص من «التقييد» وإلا صارت اللغة فوضى والتعبيرات هراء، ومن هنا كانت المعارك تتجدد فى تاريخنا الأدبى بين الشعراء والنحاة[5]، وكانت نتائجها توحى دائما بأن الشعراء يسعون إلى «حيوية اللغة» و«ديمومتها» على حين يسعى النحويون دائما إلى «تجميدها وإمساكها على وضع لا يتغير»[6].

●● وثمة عامل آخر يذكى صراع الشاعر مع اللغة فى إطارها المتفق عليه لأنه لا يريد أن يأخذها «إطاراً معداً للاستعمال» - خرج أو لم يخرج عليها - وإنما يجب أن تتجلى فيها أصالته، باستفادته من تراثها وإضافته إلى هذا التراث فى نفس الوقت[7]. فهو منها دائما فى

الصور التقليدية..

حيانا زلزالة للعقول والافكار.

موقف، وبقدر تفرده فى موقفه وتميزه فى «فنه اللغوى» يكون تفرده وتميزه الشعرى الخاص، هو لا يبحث - كالآخرين - فى اللغة عن جمل وتراكيب يعبر بها عن معانٍ «تقريرية مألوفة».. وإنما يحاول دائما أن يفجر فيها، وبها، خواص تعبيره الأدبى حتى تصبح العبارات والانساق والجمل - عنده - قوة تتعدى الدلالات المباشرة[8].

لذلك كان خروجه المستمر على المعايير والتراكيب اللغوية الشائعة فى لغة قومه وتجاوزها «بحيث يلوح منها الطريق التاريخى الذى يختطه والتغير الطارىء عليه من روح العصر والثقافة فى الصورة الجديدة» لفنه، مما يكون أساسا للبحث عن «روحه وذاته» فى شعره، كما يرى ليوسبتزر Leospitzer، أحد علماء الالمان المشهورين فى هذا المجال[9].

■ إن الشاعر قد ينظر فى اللغة فيراها كما يقول غنيمى هلال «كلمات مطفأة لا جدوى فى محاولات إشعاعها»[10]، «شاحبة» ضيقة لا تسعفه فى التعبير عن ذلك الذى لم يولد بعد، فيقول مع الشاعر والناقد (ت. س. إليوت: T.S.Eliot :

«لم يتعلم المرء إلا انتقاء خير الكلام للشىء الذى لم تعد ثمة ضرورة لقوله - أو بالطريقة التى لم يعد ميالا لقوله بها»[11].

أو مع شاعرنا صلاح عبد الصبور (ولعله متأثر بإليوت أيضا):

«مازلت تكرر نفس الكلمات.
نفس الخطوات ونفس التشبيهات
لم لم تكتب شيئا أجمل من هذا الشىء الفاتر؟!»[12].

فاللغة تفتر.. تشيخ.. تعجز عن الوفاء بحاجته.. وإن وفت بحاجة كل الناس، ومن هنا فالشعراء مدفوعون، «بالضرورة - كما يقول أحد الباحثين - إلى خلق «لغة فى اللغة، لينفسح أمامهم البوح باختلاجات الذات وارتعاشات اللاشعور»[13].

●● فإذا ما أضفنا إلى قضية «ثبات اللغة» عند

اللغويين، وإرادة تغييرها» عند الشاعر ـ وهى قضية عالمية، قديمة، حديثة ـ ما واجهه شعراؤنا فى العصر الحديث من تجربة خاصة بهم ـ ذاتيا وتراثيا ـ أدركنا إلى أى مدى كانت تلك الظواهر التى تعنينا استجابة طبيعية مفروضة عليهم وعلى الشعر العربى فى تلك المرحلة من تاريخه، فمن ناحية ورث الشاعر الحديث موروثا شعريا ذا نزعة غنائية، ومعروف أن نظرة الشاعر الغنائى إلى جمهوره ثانوية، «وإخلاصه» يكون لتصوير أطواء نفسه» فاللغة الشعرية عنده ذاتية»[١٤] وهو يبحث دائما عما يتلاءم وتلك الذاتية، ولذلك سرعان ما استجاب للمذاهب الأدبية والمؤثرات الأجنبية التى تستثير فيه ذلك الجانب الذاتى. . رأيناه رومانتيكيا ورمزيا وسرياليا وعبثيا. . يغيب فى حلم يقظته مع الرومانتيكيين، ويستيقظ مع من تلاهم: «ولكنه يستيقظ مروعاً من حلم . . قد أفاق من غيبة السحر التى انتشى بها أسلافه (الرومانتيكيون). . أراد أن يستوحى إمكانات اللغة وسحرهاالتصوير شعوره مخلصا لذات نفسه فى تحديد مالا يحدد ووصف الرؤى العابرة الهاربة فى مظاهر الحياة اليومية. . »[١٥]. . فهل يستطيع!!

ـ تخلص من الخطابية. .

ـ لم يعد يتواءم والألفاظ التجريدية. .

ـ حرص على أن يرد المشاهد والمحسات حالات نفسية.

ـ رفض الجزالة المعهودة والأسلوب القديم. .

ـ بحث فى الكلمات عن قدرتها الكاملة كوسيط لحمل المعنى وشاهد ومسبار نفسى[١٦].

■ **ومن ناحية أخرى** كانت القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية التى يعيشها ويعيشها أبناء وطنه أكثر من أن تعد. . أكبر من أن تواجه. . أصعب من أن تفهم. . أو بالأحرى كان بعضها أكثر «طوطمية» من أن يحس. . وبعضها أقل «طوطمية» من أن يمس. . ووجد ـ فى نفس تلك المذاهب الوافدة وسائل معينة على التعبير. . قادرة على حمل التناقض، والغموض، والابهام، والصراع والدوران، وأزمة: (انطق، اصمت، اصرخ، كن، لا تكن)، وهى أزمة حقيقية جعلت اللغة عنده أحيانا ـ كما عند الداديين ـ «زنزانة للعقول والأفكار»[١٧] فأراد أن ينطلق وأن يتحرر ـ ولو على سبيل الوهم ـ محررا معه اللغة، متمتما فى أعماقه بعبارات جبران:

«لكم لغتكم ولى لغتى

لكم منها ما شئتم، ولى ما يوافق أفكارى. .

لكم منها محجة مقصورة، ولى واسطة متقلبة. .

لكم منها قواعد جامدة وقوانين محدودة، ولى رنات ونبرات وما يثبت رنة الفكر. .

لكم ما قال سيبويه وأبو الأسود، ولى ما تقوله الأم لطفلها والمحب لحبيبته.

لكم الفصيح دون الركيك والبليغ دون المبتذل، ولى ما يتمتمه المتوحش وكله فصيح، وما يقوله المتوجع وكله بليغ.

لكم الترصيع والتذييل والتنميق، بهلوانيات وتلفيق، ولى كلام يرفع السامع الى ما فوق الكلام.

تلقطون ما يتناثر خرقا، وأنا أمزق الخرق العتيقة.

تحفظون العضو المعتل، وأنا أحرق بالنار كل ميت.

لكم منها عجوز مقعدة، ولى حبيبة غارقة فى بحر أحلام الشباب[١٨]. .

ولا يزال بين جبران ومن جاءوا بعده بون شاسع على طريق ثورة الشاعر على اللغة.

●● وهكذا كانت النتيجة ثورة على اللغة وبدائل مذهبية مطروحة، فلملم الشاعر الحديث نفسه وكتب القصيدة الجديدة، قصيدة ذات بناء جدلى وفنى جديد تهتم بالانسان لا بالفرد ـ وبالقضية ـ لا بالموضوع ـ الخيال فيها يبدو أكثر تعقيدا والتصوير أثرى رمزية، والكلمة أبعد دلالة وإن تعذر فهم دلالتها أحيانا[١٩].

« . . بعد الدلالة . . وتعذر الفهم» . . هما محور الظواهر التى أشرنا إليها فى مطلع هذه الدراسة. . وهما بلا شك السمة الغالبة على الشعر المعاصر، إذ تحولت «إرادة التغيير» اللغوى عند الشاعر وصراعه مع «الثبات» إلى محاولة للوصول إلى أبنية وأساليب جديدة، ليست فقط من باب «الضرورة الشعرية»

حتى يلتمس سيبيويه لها وجهاً كما فى قوله: «ليس شىء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً»، وليست من باب «اللحن» فيسعى المبرد ـ كالمراجع اللغوى فى صحيفة ـ إلى تغيير النص فيها بما يصحح النحو ويحفظ الوزن[٢٠]، وإنما هى مذهب وطريقة ونزعة تستميل الشاعر والناقد والقارىء جميعا.. شاءوا أم أبوا.

●● وإذا كنا سنمثل ـ فيما يلى ـ لبعض الظواهر التى أشرنا اليها والتى تومىء إلى هذا المذهب وتلك الطريقة والنزعة، فإن مما تجدر الاشارة إليه هنا هو أننا لم نختر أية أمثلة من الشعر العمودى المعاصر، ليس لأنه يخلو من تلك الظواهر ـ فبعض من مثلنا بشعرهم ـ على الأقل ـ يكتبون شعرا عموديا فيه نفس الظواهر ـ ولكن لوضوح تلك الظواهر وشيوعها فى غيره، من ناحية أخرى فإن اعتبارها «ظواهر لغوية» فى هذه الدراسة لا يمنع من كونها ظواهر فنية وبنائية فى نفس الوقت، مما قد يؤثر على اختيارنا للأمثلة وتعليقنا عليها فإلى بعض هذه الظواهر:

■ التكـــرار:

على أن ليس عدلا من كليب
إذا برزت مخبأة الخدور
على أن ليس عدلا من كليب
إذا ... ...

وتكرر الشطر الأول مرات.. أفضى بالفكرة المسيطرة على القصيدة القديمة.. فلننظر كيف كان التكرار عند المعاصرين، تقول نازك الملائكة، وهى من رواد الشعر المعاصر: إن التكرار «يضع فى أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التى يسلطها الشعر على أعماق الشاعر.. (أو).. إنه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة[٢١]».. فإذا كان مفتاح الفكرة المسيطرة على الشاعر واضحا فى تلك القصيدة الموروثة وهو «التأكيد على عدم شرعية غياب كليب» فإن البحث عن هندسة عاطفية فيها قد لا يصل بنا إلى ما نصل إليه لو نظرنا إلى مثال من الشعر المعاصر، حيث يقول بدر شاكر السياب ـ مثلا ـ:

صوت تفجر فى قرارة نفسي الثكلى: «عراق»
كالمد يصعد، كالسحابة، كالدموع الى العيون
الريح يصرخ بى: عراق
والموج يُعول بى: عراق، عراق، ليس سوى عراق
البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون
والبحر دونك يا عراق.

● فالصوت الهادر والمكرر فى القصيدة[٢٢] هو اسم الوطن «عراق» الذى يمثل الفكرة المتسلطة على الشاعر الـ «غريب على الخليج» حين فر من الظلم والقهر فى وطنه وعمل مدرسا فى الكويت.. وتكرار الكلمة المفتاح هنا ليس من قبيل التوكيد، حتى حين تتكرر فى البيت الرابع متتالية هكذا:

«.. عراق، عراق، ليس سوى عراق، بل وليست مجرد مفتاح للفكرة، إنها تمثل استحضاراً لحالة نفسية لا تقف فيها وحدها ـ مهما تكررت ـ معزولة عن بيئة النص التى تموج بألوان من التكرار الآخذ بعضه بتلابيب بعض فكاف التشبيه تتكرر وتصحب معها فى كل مرة دفقة عن شعور الغريب المضيع: «كالمد.. كالسحابة.. كالدموع..».. وبين «الريح» و«الموج» يختلف الصوت «يصرخ/ يعول»، ولكن الصدى واحد:

الريح يصرخ بى / الموج يعول بى.. والشاعر محبوس فى قدر عراقه، بينهما البحر وهو أوسع ما يكون.. فالعراق أبعد ما يكون إذن.

إن كل كلمة تحتشد مع صنوها «المقابل» أو «المتتالي» ـ فى منظومة من «التكرارات» أساسها تلك الهندسة العاطفية التى «هندست» الصوت المتفجر فى نفس الشاعر بين دوافعه الداخلية: الغربة والثكل والدموع، وأصدائه الخارجية: الريح والموج والبحر، لتكون الصورة فى النهاية متفردة فى تعبيرها عن شاعر أسر ـ أو أسره ـ التكرار[٢٣].

ولصلاح عبد الصبور نماذج عديدة من التكرار بعضها يقوم على تكرار كلمات سياقية contextual تقوم بدور المفتاح الموصل الى الفكرة المسيطرة على الشاعر ككلمة «حبيبي» فى هذا المقطع من قصيدة

«أغنية حب»:

وجه حبيبي خيمة من نور
شعر حبيبي حقل حنطة
خدا حبيبي فلقتا رمان
جيد حبيبي مقلع من الرخام
نهدا حبيبي طائران توأمان أزغبان
حضن حبيبي واحة من الكروم والعطور
الكنز والجنة والسلام والأمان
قرب حبيبي.

وهي كلمة توحي - بإسنادها الى ياء المتكلم «حبيبي» - بحيوية ساخنة ونبرة غنائية عذبة[٢٤].. ويستخدمها الشاعر في صور تشبيهية متوالية تمس جوانب تفصيلية حسية من «وجه، وشعر، وخد، وجيد، ونهد» الحبيب مما يحدث في قارئه أو متلقيه توقعا بـ «لا نهائية التعداد» وذاك أثر فني وبلاغي من آثار التكرار دائما - لكن الشاعر يكسر هذه الوتيرة ويخرجنا عن هذا التوقع هنا فيحدث التكرار في السطر الأخير بصورة مختلفة إذ يجعل الكلمة «حبيبي» ومضافها في موقع المسند بدلا من المسند إليه فصارت الجملة الشعرية الأخيرة «الكنز والجنة والسلام.. قرب حبيبي» بعد أن توقعناها «قرب حبيبي الكنز والجنة والسلام».. لقد أحدث هذا التغيير «الواعي» لنمط التكرار في المقطع «اختتامه» على نسق «افتتاحه».. شيء يشبه - وليس تماما - رد الصدر على العجز، وهو ظاهرة لغوية أخرى في الشعر المعاصر، قد لا يتسع المقام لتناولها هنا.

ويمثل التكرار عند صلاح عبد الصبور قيماً أسلوبية عديدة[٢٥]، ربما ساعدنا المثال التالي على كشف بعضها: يقول في قصيدة «شنق زهران» من ديوان الناس في بلادي:

وأتى السياف مسرور وأعداء الحياة
صنعوا الموت لأحباب الحياة
وتدلى رأس زهران الوديع
قريتي من يومها لم تأتدم إلا الدموع
قريتي من يومها تأوى إلى الركن الصديع
قريتي من يومها تخشى الحياة
كان زهران صديقا للحياة
مات زهران وعيناه حياة
فلماذا قريتي تخشى الحياة!؟

■ وقد ذهب محمد العبد[٢٦] إلى أن تكرار كلمة «حياة» كان بمثابة «النغمة الاساسية (?) Key - note التي تصور المشهد بكامله» - أو ما أطلقنا عليه من قبل تبعا لنازك الملائكة، مفتاح «الحالة الشعورية المسيطرة - حيث تكررت ست مرات، وإن لم «تؤد دورها هنا أساسا من مجرد التكرار العددي، وإنما هي تقوم بدور المقابل للحالة الشعورية المسيطرة»، بينما تكررت أيضا كلمة «قريتي» على أساس ارتباطها بتلك الكلمة المفتاحية، مما ساعده على اكتشاف المفارقة بين «أعداء الموت وأحباب الحياة»، وهي لا شك مفارقة جوهرية في مغزى النص، غير أننا نستطيع أن نضيف أن تكرار كلمة قريتي - وإن وقع ثلاث مرات فقط - إلا أنه جاء - من ناحية - مصاحبا للجار والمجرور ومضافة «من يومها»، ومن ناحية أخرى فإنه يتصدر السطر الشعري في المرات الثلاث، وقد أضفت هاتان الناحيتان على تكراره في المقطع بروزاً صوتيا[٢٧] لم تتمتع به الكلمة المفتاحية نفسها.

قريتي من يومها لم تأتدم الا الدموع
قريتي من يومها تأوى الى الركن الصديع
قريتي من يومها تخشى الحياة

● وهو ما يسمح لنا بالتركيز على جانب آخر، وهو الربط بين الحدث «شنق زهران» وحالة القرية في إطار زمني مرتبط بهذا الحدث.

فالتكرار عند صلاح عبد الصبور كان في المثال الأول أداة لخلق حالة من التوقع ثم كسرها في لحظة مباغتة لإحداث قدر من التوتر عند قارئه حتى ينفعل معه ويشاركه في صنع القصيدة.. على حين كان التكرار في المثال الثاني أداة لخلق حالة من الاستسلام - من جانب القارىء - من خلال نموذج صوتي، أو موسيقى متكرر Musical Pattern يؤدي الى استمرارية الحركة الداخلية الانفعالية Momentum عند المتلقي ويعود في النهاية إلى توافق مع الشاعر في

الاحساس بالقرية وموقفها من المفتاح الأساسى للنص «الحياة»[٢٨].

«قريتى من يومها تخشى الحياة».

«فاعلاتن، فاعلاتن، (فاعلاتن) فاعلات»

وهذا نفسه ما نجده فى مثال آخر عند احمد عبد المعطى حجازى، حين يقول[٢٩]:

كان الطريق إليك يا أماه أن آتيك مطلول الجراح
كان الطريق إليك أن آتيك حاملا السلاح
كان الطريق اليك أن أغزو لك المدن الكبيرة
وأضمها لك، «للجزيرة».

فعلى الرغم من أن «كاف» الخطاب المكررة هى المفتاح الذى يفضى إلى الحالة الشعورية المسيطرة على الشاعر (٧ مرات فى الأبيات الأربعة) إلا أن تكرار المصاحبات (كان + الطريق، ٣مرات، آتي، مرتين، إلى، ٤ مرات، ولام الجر، مرتين) أدى إلى إحساس أعمق «بوتيرية» النغم المؤدى إلى تفاعل القارىء «واستسلامه» مع الشاعر، لما أحدثته المخاطبة «الكاف» من تأثير على الحركة والفعل عند كليهما، أى أن دور الموسيقى المتكررة يساعد على استمرارية الحركة لدى المتلقى.

ولو رحنا نعدد الامثلة والشواهد التى تجعل من التكرار ظاهرة جديرة بالبحث والاستقصاء فى شعرنا المعاصر، لما اتسعت لها تلك المقالة، لذلك نكتفى بمثال آخر من شعر سميح القاسم يؤدى فيه التكرار دورا بنائيا «أرابيسكيا»، «زخرفيا»، يقول:

أنا الشنفرى
تخيرت موتى بحد الحسام
لأبعث حيا بحد الحسام
على كل خارطة شنفرى
وفى كل أغنية شنفرى
ومن كل مجزرة شنفرى
يموت بحد الحسام ويحيا بحد السحام[٣٠].

■ فالتكرار هنا لا يقف دوره عند حد البوح بالحالة المسيطرة على عاطفة الشاعر وتأكيدها بل يتعدى ذلك إلى هندستها فى إطار أرابيسكى يحقق دائرية المقطع فالمقطع يبدأ بـ «أنا الشنفرى» وهى البداية التى تتكرر فى مقاطع أخرى من القصيدة، وذلك لاستحضار تلك الشخصية التاريخية التى قال عنها الشاعر نفسه فى مجال تعليقه على القصيدة: إنها «أغنى الشعراء الصعاليك، وأجمل أعزبة العرب». . بوصفها رمزا دالا على حدث تاريخى مماثل لنفس الحدث الذى يعيشه الشاعر ومن خلالها يكتشف ـ لكل فلسطيني الضرورة فى ممارسة العنف ضد مذليه ومستعبديه إذا هو شاء استرداد ذاته السليب»[٣١].

لقد افتتح المقطع بـ «اختيار الموت» المؤدى إلى «بعث الحياة» وهما معاً نهاية المقطع ونهاية المطاف فى قضية الشاعر وقومه، والعامل المشترك بين الموت والحياة فى البداية والنهاية هو «حد الحسام». . وما بين دائرية البداية والنهاية هذه ثلاثة أسطر هى التى عكست توالى التكرار للكلمة المفتاحية «شنفرى». . وهى هنا تقع ـ على عكس المكررات فى المثالين السابقين لحجازى وعبد الصبور ـ فى نهاية السطر. . غير أنها تشابه تلك المكررات فى اعتمادها على تكرار موسيقى السطر: «فعولن فعولن فعولن فعو». . ومثل هذا التكرار الموسيقى يضاعف ـ كما ألمحنا من قبل ـ من أثر تكرار اللفظة المفتاحية، ودورها العاطفى والوجدانى بما يحدثه من استمرارية الحركة الانفعالية.

الغمـــوض:

ويجب أن نعترف قبل الخوض فى هذه الظاهرة أنها ظاهرة فنية ومذهبية أكثر منها ظاهرة لغوية، فما تؤديه اللغة ـ ألفاظاً وتراكيب ـ فى الشعر المعاصر من غموض لا يصل بحال إلى ما تؤديه استعارة الرموز والأساطير وضبابية الرؤية الشعرية نفسها عند الشاعر وسيطرة المذاهب القائمة على الرفض والعبث والسخرية من الواقع. . ولكن لا بأس من معالجتها جميعا «كظاهرة لغوية» طالما تصب تلك الروافد كلها فى لغة غامضة «لا توحى» إلا بشىء غامض مبهم ـ إن هى أوحت. . وأرجو أن يفهم ذلك على أنه «وصف» لا «حكم»[٣٢].

إن المتأمل لكثير من مظاهر الصخب اللغوى ـ

قاعـدياً أو دلاليا ـ ومـا يصحب هذا الصخب من «تعقيد» أو «معاظلة» يجد أن نظائرها في الشعر القديم قليلة ومعـدومـة على الرغم مما يحتج به كثيرا من أن الغمـوض والتعقيد ظهـرا عند شعراء كبار كالمتنبى وأبى تمام وعالجه نقاد كثر كعبد القاهر الجرجانى فى أسرار البـلاغة، والمرزوقى فى شرح ديوان الحماسة، وحازم القرطاجنى فى منهاج البلغاء وسراج الأدباء(٣٣)، ولسنا بصدد هذا النوع من الغموض الذى قد يكون فى بيت أو بيتين بسبب «إحالة»، أو فساد معنى او استعـمال غريب، أو عدم وضوح عائد ضمير، وهو غموض له نظائر كثيرة فى الشعر الحديث والمعاصر، ولكننا هنا بسبب غموض أصبح مذهباً أو كالمذهب يقـول أدونيس، وهو يصف القصيدة الجديدة: إنها «عالم تموج كثيف بشفافيته، تعيش فيها وتعجز عن القبض عليهـا.. تقـودك فى سديم من المشـاعـر والأحاسيس.. تغمرك، وحين تهم أن تحتضنها تفلت من بين ذراعيك كالموج»(٣٤)، وينقل محمد فتوح أحمد عن مالارميه وبورا وغيرهما أن «الشعر يمكن أن يبدع أثـرا جماليا يصـل به التجـريد إلى درجة يكون فيها الفهـم معـطلا تقريباً وهذا يقود الى مشاعر يستثيرها «السراب الكـامن فى الكلمات نفسهـا».. بل إن الشاعر يجب أن:

١) يعطل كل قيمة دلالية تحد من حرية الايحاء.

٢) أن يجرد السياق اللغـوى من علاقـاتـه التركيبية بحيث يبدو أقرب إلى الطابع الفردى منه إلى القوانين العامة(٣٥).

■ إن هذا اللون من الغموض ـ فيما يبدو ـ يرجع إلى «ثورة» و«رفض» ـ على المستوى الأيديولوجى ـ لم يجد لهما الشاعر منفذاً إلا من خلال لغة غير مفهومة(٣٦).. ففـى البـداية قادت محاولات الـرفض والعبثية ـ ومنشؤها غربى ـ إلى هز القيم الثابتة التى لم يستطع الانسان فى ظلها أن يحقق إنسانيته: ١ + ١ = ١.. نعم أصرت حركة الرفض والعبث على أن (٢) هى العبث.. «أجمـع حملا وذئبـا» والنتيجـة (واحـد) فقط.. غير أن ما نجده اليوم هو ـ فى تقديرى ـ عودة بهذه المعـادلة إلى ١+١= صفر.. نعم.. حتى ال

(١) لم يعد معطى حقيقيا لهذا الجمع.. كل شىء فارغ.. كل شىء إلى كل شىء أصفـار. وهكـذا فاللغـة «فقـر وجـدب» ولابـد من تفريغها من كل قيمة.. هذا أدونيس يقول: (٣٧)

اخرج إلى الارض أيها الطفل
خــرج
هبط من الحرف
أح د = د ح أ الارض
دائما يصنع طريقا لا تقود إلى مكان
أ ن أ
منفية بقوة الحضور
كالهـواء
وهـى هـى
كل شىء يتغير ويتبقى
أ ن أ

■ إن هذا الكـلام يحطم اولا: القـاعـدة الموسيقية للقصيدة، كما يرفض ثانيا طرق الاسنـاد والتعبير المـألوفة فى اللغة.. إذا ما تصورنا أن الشاعر متأثر بمؤثـرات توارتيه (من سفـر التكـوين) ـ وعنـوان القصيدة التى منها هذا المقطع «تكوين» ـ نكون قد وضعنا أصابعنا على موجهات هذا «التفريغ» للأشياء ـ واللغة ـ من قيمها.. فالاشارة هنا إلى أمر الله لآدم ـ بعد أن غوى ـ بالهبوط إلى الأرض..

هبط.. ثم (أح د) = أحـد (؟)
و (د ح أ) = دحـا (؟)
و (ـــ) = تعطـى (؟)

∴ **الأحد (الله) دحا الأرض = ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾.**

أما أ ن أ فتساوى = (أنا)، وهى عند الشاعر «منفية بقـوة الحضـور»، ومثبتة بقوة التغير» ووضع الكلمة مفرقة الحروف احد التقنيات التى لجأ اليها الشاعر لتأكيد الكلمة مثل (**أ و ر ف ى و س**) و (**أ د و ن ى س**) فى غير هذه القصيدة.

وإذا كان كل غموض قابلا للتوضيح، وليس من غموض يستعصى على الناقد إذا استخدم مفاتيحه المنـاسبة، تماما كما فعل القدماء مع أبيات أبى تمام

والمتنبي وغيرهما . . إلا أن المشكلة الحقيقية فى غموض الشعر الحديث نجمت من الاغراق فى الرمز والأسطورة وتفريغ الكلمات من معانيها المألوفة بشتى الطرق.

عرض خالد سليمان سبعة أنماط للغموض، نقلا عن وليم امبسون William Empson: Seven Types of Ambiguity الذى نشر عام ١٩٣٠م.

■ ولعل من المفيد أن نعيدها هنا لقارئنا بايجاز، فهى:

١ - غموض ناشىء عن استخدام المجاز بأنواعه المختلفة بما فيها الاستعارة. .

٢ - غموض ناشىء عن تعدد دلالات العبارة.

٣ - غموض ناشىء عن تعدد دلالات اللفظة.

٤ - غموض ناشىء عن توحد (مزج) معانٍ كثيرة للتعبير عن حالة نفسية.

٥ - غموض ناشىء عن حالة ذهنية غير متكاملة فى نفس المؤلف.

٦ - غموض ناشىء عن تعارض (باد) فى الفاظ النص.

٧ - غموض ناشىء عن ازدواجية فى مشاعر أو أفكار الشاعر[٣٨].

وواضح أنها أنماط تنعكس على شعر أدونيس والسياب وعدد من شعراء الجيل الاحدث. . ولكن ما لم توضحه هذه الانماط ملخصة - وهو ما نريد أن تؤكد عليه هنا - هو تلك النزعة الايديولوجية الرافضة التى تختفى وراء مظاهر الغموض فى شعرنا المعاصر، وتنبع فى حقيقتها من «الغموض» فى رموز وأساطير وموروثات عالمية غير مألوفة لقارئنا، ولهذا سأترك للقارىء الحصيف أن يسعى بنفسه لمعرفة الشعراء والنماذج.

وما دمنا بصدد ارتباط الظواهر اللغوية أحيانا ببعض الأيدلولوجيات - مما يفرض الحذر فى تناولها واستبطان غاياتها فهناك ظاهرة فريدة جديرة بالوقوف عندها على الرغم من ضيق مساحتها، وهى:

القرآن ولغة الشعر المعاصر:

فى عام ١٩٧٦م - وفى رسالتى للدكتوراه - كتبت عن «تمرد» أو «خرق» فى لغة الشعر المعاصر، حين وجدنا ديوان شعر عربى يصدر بعنوان قرآن الموت والياسمين، لسميح القاسم، ولقد احتوى الديوان أيضا على قصائد منها قصيدة بعنوان «ما تيسر من سورة الموت». . فلأول مرة فى تاريخ المكتبة العربية سيجد الباحث كتاباً مصنفاً تحت «ق ر آن» غير القرآن الكريم، وفى نفس الوقت احتفظ الشعور الاسلامى - على مر العصور - بلفظة «سورة» للمقطع المحدد من القرآن الكريم، قد يقصد كسورة الأحد أو يطول كسورة البقرة ولكنه فى جميع الأطوال مميز عن غيره من كتابات البشر التى قد يطلق عليها «قصيدة» أو «مقامة» او «خاطرة» أو «فصل» أو ما الى ذلك. حتى كلمتى «ما تيسر» يغلب استعمالها - فى هذا الاطار - فى قراءة بعض من آيات أو سور القرآن. . أى أن تلك المساحة اللغوية بقيت فى منطقة «الحرمان» اللغوية - إن صح لنا هذا التعبير - حتى هجم عليها الشعر المعاصر[٣٩].

على أن الأمر لم يقف عن ولوج ساحة اللغة القرآنية على استحياء أو الاقتباس منها كما فعل القدماء وبعض المعاصرين[٤٠]، وهو الأمر الذى كان يلقى استحسان النقاد والشعراء. إنه تعدى ذلك إلى استعمالات وطرق مثيرة للدهشة، قد لا نجد فيها ما يمس معتقدا أو يجرح شعورا - على الأقل فى مظهرها المباشر، ولكن طبيعة الشعرالايحائية تجعلها مخيفة، مثيرة للاضطراب والقلق مما يفعل الشاعر بلغة القرآن حين يحورها على النحو التالى:

والتين والزيتون
وطور سينين، وهذا البلد المحزون
لقد رأيت يومها سفائن الافرنج[٤١].

فالسطران الأولان هما الآيات الثلاث الأول فى سورة التين مع تغيير الكلمة الأخيرة فقط «الأمين» التى جاءت عنده «المحزون» ولا شك أن وضعها فى

صيغة المفعول لا «الصفة المشبهة» ـ الحزين ـ ذو دلالة على وعى الشاعر وإرادته فى اختيار اللفظة والصيغة، إذ أن أثر وقع الفعل على المفعول متحقق فى الصيغة التى اختارها بديلا عن الصيغة التى كانت مرشحة قياساً على الكلمة القرآنية التى استبدلت بها كلمة الشاعر، ويقول أيضا:

ليغفر الرصاص ما تقدم من ذنبك وما تأخر

ليغفر الرصاص يا كيسنجر[42].

ويحار القارىء: أهو اقتباس؟ أم تغيير لمعالم الآية؟ أم استخدام أقصى تقنية للكلمات لتفجير الطاقات الشعورية فيها وفى انسان العصر؟!

إن الأمثلة ـ على هذا المنزع كثيرة عند الشاعر وغيره إلى درجة نعتبرها فيها ظاهرة لغوية شعرية معاصرة تستحق وقفة خاصة ودراسة واعية.

الحشد والتراكم والتلاشى:

لعل كلا من «الحشد» و«التراكم» و«التلاشى» ظاهرة لغوية مستقلة فى الشعر المعاصر، ولكننا نجمعها هنا لسببين، أولهما، أنها ليست مصطلحات «مستقرة» محددة الأطر يمكن أن تكون قاسما مشتركا بين الذين يتناولون دراسة هذا الشعر، ومن ثم يكون الخوض فيها من باب «الاستكشاف» لبعض الظواهر التى تعتبر مسمياتها فى مرحلة التكوين، وثانيهما، أنها قد تجتمع حقا فى القصيدة او الديوان بقصد التركيز والاضاءة على الكلمات أو الأفكار أو المشاعر.

ففى حالة الحشد تكثر الدوال المترابطة ـ بنائياً أو معجمياً أو نفسيا ـ فى القصيدة أو المقطع، فلنقرأ هذا النموذج لسعيد عقل:

يايختها الأبيض[43].

أقلع بنـــا

أرخ الشراع

وابلغ بنا الكوكب

ما هم؟ طر، ما هم

هذا الزبد؟

طـأ الجلد

واهزأ بهول اليم

ســم الرياح الويل

هـج البحار

خــل الدوار

يصيب جسم الليل.

■ فهذا المقطع مشحون بأفعال الأمر التى جاءت ما بين مهموز ومعتل فى الغالب، أهى المصادفة التى حشدت تلك الأفعال؟ أم هى الأوامر «المعلولة» تحشد قصدا لتبرز المفارقة العجيبة بين الأمر المسيطر من جهة المحكوم عليه بالدوار فى جسم الليل من جهة أخرى؟! مهما يكن من أمر فإن توالى تلك الأفعال على هذا النحو يبدو ظاهرة لغوية مثيرة فى المقطع، تماماً مثل «يا» النداء فى المقطع التالى من قصيدة للسياب:

فلتنطفىء يا أنت[44]، يا قطرات، يادم، يا . . نقود ياريح . . يا إبراً تخيط لي الشراع ـ متى أعود الى العراق متى أعود[45].

ان تكرار «يا» النداء هنا لا يقف عندما سبق أن أشرنا إليه فى ظاهرة التكرار من «الشفرة» الكاشفة عن الحالة الشعورية المسيطرة، وهندسة العاطفة، وإنما يتعدى ذلك إلى ما نطلق عليه هنا «الحشد» فكل هذه المناديات ـ وهى أكثر من المذكور فى المقطع مما تضمنته نقاط الحذف (. . × مرتين) قبل «نقود» وبعد «ريح» ـ مهما اشتعلت جذوتها إما أن تتلاشى وإما أن يعود الشاعر. وهى تقوم بمثابة «إشهار» و«إشهاد» على غربة «الغريب على الخليج» ورغبته فى العودة الى وطنه الذى قهره الظاهرون فخرج منه مكرها.

وقد يقوم توالى «صيغة المضارع» دون عاطف فى البيتين التاليين لأدونيس ـ بوظيفة هذا الحشد الذى يهيىء للحظة حاسمة فى درامية القصيدة، حيث تقوم الصور فيها على قدر كبير من التركيز والاختزال:

ننحنى، نتوتر، نتفاعل، نتقاطع، نتحاذى

«أنا لباس لك وأنت لباس لى»[46]

■ وقد يذكرنا البيت الأول بالبيت المشهور:

نظرة، فابتسامـة، فسلام، فموعد، فلقاء . .

ولكن فاء الترتيب والتعقيب فى هذا الأخير تقف حائلا

بينه وبين فكرة «الحشد» التى نشير اليها هنا، حيث أصبح كل فعل مضمن فى النظرة والابتسامة . . الخ قائما بذاته مستقلا فى دلالته اللغوية وجزئه المنوط به من الصورة الكلية، على حين بقيت الأفعال: «ننحنى نتوتر، نتفاعل . . الخ» مشتركة ـ فى مجموعها ـ فى الدلالة العامة للبيت، مع أداء كل منها دوره الخاص فى الدلالة الجزئية.

أما ما يبدو لنا «تراكما» فهو كالحشد ولكنه قد يكون ظاهرا فى ديوان أو فى شعر الشاعر بأكمله . . ولعل حجم هذه الدراسة لا يسمح لنا بتتبع ولو ظاهرة واحدة من هذا النوع، فلنكتف بالاشارة الى بعض هذه التراكمات، فالذى يقرأ شعر الشاعر احمد عبد المعطى حجازى يجد «القرية» حاضرة دائما فيه، وما على قارىء شعره إلا أن يختزن ذلك الحضور فتتراكم عنده صور: «الأرض الحزينة» «المآذن»، «ليل القرى»، «الريف البعيد»، قبر أبى بقريتنا»، «الصبار»، «أرض البكارة»، «قرى» يعبث بها الطغاة» و«أنا ابن ريف»[٤٧] وهو تراكم يفضى الى قضيته الأساسية حين فقد الريف ببراءته واستعاض عنه بمدينة تلا قلب.

وربما كانت صورة «الطفل وأمه» صورة متراكمة عند الشاعر أمل دنقل الذى وظفها فى ديوانه مرات عديدة:

« صرخ الطفل فى صدر أمى»
« والطفل فى صدرها ما نبس»
« من يقتل أطفالى المساكين؟»
« الحبل السرى»
« وأرت له صورة يبن أطفاله ذات عيد . . وبكت»
« يد القابلة»
« تطهو على نيرانها الطفل الرضيع»
« لا تسألى النيل أن يعطى وأن يلدا»
« لأولد فى الصبح ثانية»[٤٨]

تلك الصور تنم عن الصراع العميق داخل الشاعر من جراء الظلم الذى يحيق بالضعفاء «الاطفال» الذين لا يملكون ـ كالشعب ـ أن ينبسوا . . وهو يبحث لهم عن قاتل يخلصهم من مصيرهم الفزع:

« لئلا يكبروا فى الشقق المفروشة الحمراء
خدامين
مأبونين
قوادين
من يقتل أطفالى المساكين.
لئلا يصبحوا فى الغد شحاذين»[٤٩].

أما الذى تعنيه بالتلاشى (ظاهرة لغوية) فى الشعر المعاصر فهو ـ كالتراكم، كالحشد ـ يقوم على شحن النص بمتشابهات (فى الجذر أو فى الصياغة، أو فى الفكرة، لكنه بعد ذلك يتخلص من تلك المتراكمات تدريجيا ليعود مرة اخرى إلى البسيط الذى منه بدأ، أو ربما ليتلاشى كلية، ولعل أبرز مثال على ذلك ما نجده فى هذا المقطع من شعر صلاح عبد الصبور:

أرتد إلى هذى الفكرة كل مساء
مثل صدى يرتد إلى صوت
تبغى أن تعرفها ياجاسوس الوقت؟
لا، إنى أكتمها عنك
بل إنى فى الحق
لا أعرف كيف أعبر عنها لك
لا شىء يعينك . . لا شىء ويعينك
لا شىء يعينك . . لا شىء يعين
لا شىء يعينك . . لا شىء
لا شىء يعينك
لا شىء
لا . .

ويعلق محمد العبد على هذا النص قائلا: «وأحسب أن هذا النمط من التكرار ليس (تشكيلا بصريا) مجردا، وإنما هو وسيلة تعبيرية وموسيقية مهمة، إنه يشبه ـ إلى حد كبير ـ القفلة الموسيقية التى تسبق، أو يمهد لها، باختزال مده الاستغراق الزمنى للجملة الموسيقية كاملة[٥٠]» أو، لنقل، إن الفكرة وقد تراكمت حتى بلغت أوجها فى:

لا أعرف كيف أعبر عنها لك
لا شىء يعينك . . لا شىء يعينك

بدأت تتوارى شيئا فشيئا . . إنها تنسحب من

أمام القارىء كصورة بالتصوير البطىء . . وربما كان المثال التالى أيضا لنفس الشاعر مؤكدا لتلك الفكرة .

« أحس أنى خائف
وأن شيئا فى ضلوعى يرتجف
وأننى أصابنى العمى ، فلا أبين
وأننى أوشك أن أبكى
وأننى
سـقطت
فـى
كميـن»

■ إن التلاشى هنا يبدأ حين نبدأ فى قراءة الكلمات الأربـع الأخيرة . . كلا على سطر . . كلا وقد أشبع فيها سكون الوقف . . كأن الفكرة تنسحب فى هدوء مستغـرقـة من الـزمن أكـبر قسط ممكن ، حتى إذا تلاشت كانت قد تركت أثرها المرجو.

■ وبعد فإن كل لغة تحيط أبناءها - كما يقول بعض الباحثين(٥١) - «بدائرة سحرية لا سبيل الى الخروج عنها إلى دائرة أخرى» . . ومن ثم يمكن أن ننظر إلى هذه الظواهر اللغوية جميعا على أنها محاولات لابداع «لغة فى اللغـة» . . لغـة تبحث عن التـوهج والحيوية فى الكلمة والتركيب . . وفى هذا الاطار ربما وفقت تلك المحاولات بإقناعنا بشىء واحد مهم . . هو أن مرحلة جديدة فى تاريخ أدبنا بدأت بالفعل بهذه الظواهر، لأنها هى التى تجعل شعرنا المعاصر مختلفا حتى عن شعرنا الحديث مما يمهد لاقتراح نود أن نختتم به تلك الـدراسـة العجـلى ، وهـو أن تقتصر تسمية الأدب الحـديث على تلك المـرحلة المعـاصرة - أعنى على النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى - أما ما سبقهـا من محاولات التجـديد فى القـرنين الماضيين فيمكن أن نطلق عليه عصر النهضـة أو البعث . . ولولا أننا لا نريد أن نرجم بالغيب لقلنا إن هذا هو المتوقع من مؤرخى أدبنا فى المراحل القادمة بإذن الله .

الهوامـــش

(٣٨،١) حالد سليمان «ظاهرة الغموص فى الشعر الحر»، فصول، مج ٧ ع١و٢ اكتوبر ٨٦/مارس ١٩٨٧م، ص٨٤، ص٦٨.

(١٦،١٥،١٤،١٠،٢) محمـد غنيمى هلال: قضـايا معـاصرة فى الأدب والنقـد، القـاهـرة، دار نهضـة مصر، د.ت. ص١٦٣؛ ص١٥٧؛ ص١٦٦؛ ص١٦٢؛ ص١٦٣؛ ص ١٦١-١٦٤.

(٦،٤) السيد ابـراهيم محمد: الضرورة الشعرية، دراسة أسلوبية، بيروت، دار الأندلس، (ط٣) ١٩٨٣م، ص٨٢؛ ص٧٩.

(٥) من أقدم الخصومات وأشهرها ما قام بين الفرزدق وعبد الله بن أبى اسحاق الحضرمي، فقد اعترض الأخير على رفع «مجلف» فى قول الشاعر:

وعض زمـان يا ابـن مروان لم يدع
من المـال إلا مسحتـا أو مجلف

فسأل الفـرزدق علام رفعت مجلف؟ فكـان رد الفـرزدق: «عـلى ما يسؤوك» وتطاولت الخصومة . . ومثلها فى العصر الحديث ما حدث بين الشاعر محمود صفوة الساعاتى والشيخ زين العابدين المكى النحوى: حين استعمـل السـاعاتى كلمة «الضراب» بمعنى الضرب فاعترض عليه الشيخ زين العابدين قائلا بانها لم ترد إلا بمعنى «النكاح» ولكن السـاعاتى انتصر لاستعماله ببيان نماذج من الشعر الفصيح المعتد به تستعمل اللفظة بمعنى الضرب، ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل راح السـاعـاتى يقـول قصـائد فى التهكم من النحاة . . وأمثلة تلك الخصومات كثيرة معروفة .

(٣٥،١٣،٧) محمـد فتوح احمد: الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر، القاهرة، دار المعارف، (ط٢) ١٩٧٨، ص١٢٠، ص١٢٠؛ ص١٢١.

(١٩،٨) طه وادى: جماليات القصيدة المعاصرة، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٢ ص١٨؛ ص٧.

(٩) لطفى عبد البديع: التركيب اللغوى، القاهرة ١٩٧٠م، ص١٠٩.

(١١) محمد فتوح احمد: مرجع سابق، ص١٢١، عن روزنتال: شعراء المدرسة الحديثة ص١٤٣.

(١٢) صلاح عبد الصبور: بعد أن يموت الملك، بيروت، المؤسسة العربية ١٩٧٣، ص١٨.

(١٧) تهدف الدادية الى تدمير اللغة فى اشكالها العتيقة الجامدة ونظام الروتين أو «الكلاشيهات الغوية» وهى حركة نشأت فى فرنسا على يد ت. تزارا ووجدت لها صدى عند كثير من شعراء الغرب، انظر المنهل، عدد رمضان ١٤١٣هـ، ص٧٩.

(١٨) من: محمـد حسـين: الاتجـاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، بيروت، دار الشروق ١٩٧١، جـ٢ ص ص ٢٥٧-٢٥٨. وجبران فى هذا يمثل اتجاها جديدا تبعه فيه شعراء منهم - مثلا - محمد حسن عواد من شعـراء المملكـة العربية السعودية وهو اتجاه يخالف من سبقه من المحدثين لا سيما الاحيائيين - وعلى رأسهم رفاعة الطهطاوى، الذين تميزوا بالرفض الواعى للمؤثرات الأجنبية على اللغة، فالطهطاوى وان تسامح فى التعريب الا أنه قال: «لسان العرب هو أعظم اللغات وأبهج» أنظر ديوان رفاعة الطهطاوى، جمع ودراسة طه وادى، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩ ص٤٨.

(٢٠) للسيد ابراهيم محمد دراسة قيمة فى موقف كل من سيبويه والمبرد

فى «الضرورة الشعرية»، وعبارة سيبويه المذكورة هنا من الكتاب ط بولاق ١٣١٦هـ وما بعدها ج١ ص١٣ .

(٢١) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، بغداد، مكتبة النهضة (ط٢) ١٩٦٥، ص٢٤٣ .

(٢٢) الديوان، ج١ (الأعمال الكاملة) بيروت، دار العودة ١٩٧١، ص٣١٧، وانظر قصيدته: «الى العراق الثائر» ص٩٠ من مختارات من الشعر العربى الحديث An Anthology of Modern Arabic Poetry اختيار وجمع: Mounah khouri & Hamid Algar Berkeley (Univ. of cal. Press) 1974 PP. 90-91

(٢٣) نماذج التكرار فى شعر السيابة عديدة، على سبيل المثال: فى قصيدته «تموز جيكور» تتكرر «لو» حاملة فى كل مرة تتكرر فيها دفقة من الممتنعات التى يتوق لها الشاعر:

لو يومض فى عرقى
نور فيضىء الدنيا!
لو أنهض! لو أحيا!
لو أسقى ! آه لو أسقى
لو أن عروقى أعتاب!

وكلها من نوع التكرار الشائع فى القصيدة، ولا ترقى فى هندستها العاطفية الى مستوى المقال الذى عبر فيه عن غربته وبعده جسديا وروحيا عن عراقه .

(٢٤) هذا الرأى للدكتور محمد النويهى فى قضية الشعر الجديد (ص١٠٥) وقد أشار اليه محمد العبد فى «سمات أسلوبية فى شعر صلاح عبد الصبور» فصول، مج ٧ ع١و٢ اكتوبر ٨٦ مارس ٨٧، ص١٠٠ .

(٢٥، ٢٦، ٥٠) محمد العبد: سمات أسلوبية. . مرجع سابق، ص ص١٠١-١٠٣، ص١٠١، ص١٠٣ .

(٢٧) لم يحدث البروز الصوتى من أقرانه بمكرر آخر «فى قريتى» فحسب، وإنما من موقعهما معاً فى السطر بحيث أخذا نفس النمط الموسيقى «التفصيلى» وهو ما لم تتمتع به كلمة «حياة/الحياة» .

(٢٨) النمط الموسيقى «المتوافق» كالبحور التقليدية، والأوزان التفعيلية الحديثة التى تسير على نمط موسيقى مكرر تؤدى إلى احساس بـ «لا نهائية» الحركة الانفعالية الناشئة لدى المتلقى أثناء تعامله مع القصيدة، وهذا مما اثبتناه فى دراسة سابقة، انظر رسالة الدكتوراه للمؤلف وعنوانها:

Islamic Idin tity and the West in Contemporary Arabic Literature Temple Univ. 1977 Chap 4 Idintity in Structure, and PP600-602.

(٢٩) من قصيدة «البحر والبركان»، والمقطع هنا من جماليات القصيدة المعاصرة، مرجع سابق، ص٣٤ .

(٣٠) سميح القاسم: ديوان جهات الروح، حيفا، منشورات عربسك، ص٣٦، ص٣٠ .

(٣٢) على أن «الغموض» فى الشعر ليس صفة سالبة دائما - كما قد يتوهم البعض، فالغامض فى اللغة وإن كان «خلاف الواضح» فإنه ما كان فيه بعد نظر ودقة، والمعنى الغامض هو «اللطيف» ومقابله فى الانجليزية Ambiguity يعد من أوجه البلاغة .

(٣٣) انظر فى بعض هذه المظاهر والتعليق عليها، خالد سليمان: «ظاهرة الغموض. . .» مرجع سابق، ص ص ٦٥-٦٧ .

(٣٤، ٣٧، ٤٦) على احمد سعيد (أدونيس) زمن الشعر، بيروت، دار العودة، ١٩٨٣، ص١٥٥، ح٢ الاعمال الكاملة ص٤٩٧؛ كتاب الهجرة والتحولات. . ص١٦١ .

(٣٦) للطفى عبد البديع (اللغة فى الشعر) رأى يعزز هذا الفهم، عند تحليله لاحدى قصائد الفرزدق (انظر: السيد ابراهيم محمد، مرجع سابق، ص٩٨).

(٣٩) M.A. HAmdoun Islamic Id, Op. Cit,P ، 420-422

ولفظة قرآن - بالطبع - تعنى «القراءة»، ولكن الشعور الجمعى الاسلامى هو الذى حفظها للقرآن دون سواه. . وكانت فى القرون الهجرية الاولى استعمالات فى غير القرآن الكريم، مثل قرآن النحو، الكتاب سيبويه، ولكنها ماتت .

(٤٠) يتكرر هذا الاقتباس عند الشعراء المعاصرين بصورة يظهر فيها إثراء الاقتباس للنص تراثياً، وصورة فيذكر عز الدين اسماعيل: «الشعر العربى المعاصر. . الظاهرة، دار الكاتب العربى، ١٩٦٧م، ص ص ٣٠-٣٤) أن من الشعراء المعاصرين من استلهم من التراث المواقف التى لها صفة الديمومة»، وذكر أمثلة للسياب:

وتحت النخل حيث تظل تمطر كل ما سعفة
تراقصت المقائع وهى تفجر - إنه الرطب
تساقط فى يد العذراء .
بجذع النخلة الفرعاء . .

ولأدونيس:

من يعطينى ورقة أحملها أكداسا من البخور والصندل
أنقطها كالعروس وأجلوها
أقرأ عليها سورة مريم
أهز فوقها جذوعى من الشوق والحلم .

وغيرها من الأمثلة الدالة على أثر القرآن ولغته فى الشعر المعاصر .

(٤١، ٤٢، ٤٨، ٤٩) أمل دنقل: الديوان، الأعمال الكاملة، القاهرة، مكتبة مدبولى، د. ت ص٢١٧، ص٢٤١، صفحات متفرقة، ص٢٧٢ .

(٤٣) تحمل القصيدة عنوان «اليخت الأبيض»، وهى طويلة ص ص ٨٩ - ٩٦ (ديوانه رندلى، ط بيروت، المكتب التجارى، ١٩٦٠) وقد اجتزأنا منها هذا المقطع موضع الشاهد .

(٤٤) ربما عددنا شيوع دخول «يا» النداء على الضمائر المنفصلة «يا أنت» يا «أنتيا». . الخ ظاهرة عند بعض الشعراء المعاصرين ومنهم السنياب

(٤٥) سبقت الاشارة الى «العراق» فى شعر الشاعر هامش ٢٢ أعلاه .

(٤٧) انظر لتراكم مفردات القرية والريف المصرى ديوان مدينته بلا قلب، القاهرة دار الكاتب العربى ١٩٦٨ .

(٥١) مصطفى ناصف: نظرية المعنى فى النقد العربى، القاهرة ١٩٦٥م ص٦٧ .

اللسانيات..

إعداد: د. محمد علي الزركان

كلية الاداب والعلوم الانسانية - جامعة حلب

• تؤدي بنوك المصطلحات دورا مهما في الترجمة التخصصية وصناعة المعجمات المتخصصة.

• تعدد النظم اللغوية لا يحول دون الافادة الرشيدة من الحاسوب في صناعة المعجم.

يشهد العالم انفجاراً فى المعلومات الأمر الذى يجعل من الصعب معه تصور حجمها أو استيعابها دون استعمال الحاسوب، ومما يزيد الأمر تعقيداً أن هذه المعلومات تنتشر بلغات مختلفة غير العربية، ويصل عدد الصفحات التى تنشر سنوياً البلايين، وهذة المعلومات لا يمكن استيعابها وترجمتها ونشرها وتوزيعها، ثم الاستفادة منها واستعمالها إلا عن طريق اجهزة ووسائل عصرية متقدمة، تقنية، سريعة، اقتصادية، عملية، مدعمة بمنظومة ادارية متكاملة وقاعدة استعمال عريضة مثقفة علميا وتقنيا، قادرة على استيعاب هذه المعلومات وتحويلها الى انتاج وتقدم ملحوظين.

والمسح العام أثبت توفر الامكانيات التقنية والفنية لذلك، ووجود عدد من البحوث والتطبيقات المتقدمة فى أوربا وكندا واليابان، ولكن الأبحاث العربية في هذا المجال مازالت بسيطة.

ولا يمكن للمرء أن يتخيل الفوائد النظرية والتطبيقية التى يمكن الحصول عليها من علم اللسانيات الآلى فعندما يدرس اللسانيون المواد اللغوية دون استخدام الحاسوب، فإنه لابد من استخدام منهج لساني معين، ولكن مهما كان هذا المنهج اللسانى المستخدم والمطبق على المواد اللغوية، فإنه لابد من تخزينه في الذاكرة الانسانية ذات الصفات المحدودة، وان هناك صعوبات كثيرة ناجمة عن التخزين في الذاكرة البشرية. . وهكذا فان اعمالا كثيرة مملة ومضنية للذاكرة الانسانية يمكن ان تقوم بها ذاكرة الحاسوب، كتصنيف المفردات واكتشافها، وملاءمة الأبنية والصيغ النحوية فى لغتنا العربية مع الأبنية والصيغ النحوية فى اللغات الأخرى.

وهكذا فان استعمال الحاسوب في مثل هذه الأعمال سيزيد من سرعة العمل العلمى ثم يحقق المنهجية والموضوعية فى الاعمال اللغوية، وسيدفع الباحث اللساني لأن يكون دقيقا وموضوعيا وسريعا فى بحوثه اللغوية، فليس هناك داع بعد الآن لباحث لغوى عند دراسته لغة ما ان يقول: اننى اشعر، أو أحدس، أو أتوقع، فليس هناك شعور أو حدس أو توقع عندما تعرض المواد على الحاسوب، ذلك لأن النتائج التى يعطيها ستكون علمية موضوعية ليس فيها أى شك أو ريبة وليست خاضعة للحدس أو للشعور أو للتخمين.

وان خير دليل على الاسهامات التى يقدمها علم اللسانيات الآلى، الدراسة التى قام بها مركز الدراسات والبحوث العلمية فى دمشق، تلك الدراسة التى تدور حول احصائية الجذور اللغوية العربية، فقد درس المركز تلك الجذور المنتشرة فى المعاجم العربية القديمة دراسة حديثة معتمدا بذلك على الحاسوب، الذى يساعد كثيرا على ضبط العملية الاحصائية والسرعة العلمية فيها. وقد دفع هذا الشىء المركز الى أن يحصى النسب المئوية للجذور اللغوية الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية في اللغة العربية. كما دفعه الى ان يحصى النسب المئوية التى يمكن فيها للأصوات العربية أن تتآلف أو تتخالف والقوانين اللغوية لذلك.

وسنقدم فى هذا البحث عرضا لنظام حاسوبى

وبرمجة اللغة العربيّة في الحاسوب

يتضمن قاعدة معرفة اللغة العربية، وسنشير الى الهيكل او التصميم العام له، كما سنتوقف بشيء من التفصيل عند بعض مستوياته: المستوى المعجمى - المستوى الصرفي - المستوى النحوى - المستوى الصوتي - المستوى الدلالى.

أولا: المستوى المعجمي:

إن استخدام الحاسوب في صناعة المعاجم وتصنيفها يعد ظاهرة مثالية للمعالجة اللغوية، وذلك لأنه يعود الى عدد محدود من الجذور أو المواد، يتفرع عن كل منها ما يزيد على مئات الكلمات بطريق الاشتقاق اذا كان الجذر مخصباً.

ويتجاوز المعجم الحاسوبى الجديد :MRD Machine Readable Dictionary كل ما يوجه الى المعاجم التقليدية قديمها وحديثها من مآخذ في المادة والشرح والمنهج، . ويشتمل على توصيف معلوماتي لمواده يتضمن كل منها المعطيات اللازمة لتحديد المادة وخصائصها النحوية والصرفية والصوتية والدلالية ومعدلات استخدامها وغير ذلك بما يوفر حاجة الباحثين والنظم اللغوية الآلية مثل: المعالجات الصرفية والنحوية والدلالية والفهم الآلي والترجمة بمساعدة الحاسوب، واسترجاع المعلومات وفهرستها، والمصححات الاملائية والنحوية، . وتعليم اللغات وتركيب الكلام وفهمه. وطبيعي في معجم كهذا ان تتوخى فيه سهولة التحديث زيادة وحذفاً وتعديلا، وأن يجري تصميم قاعدة بياناته على نحو يسمح باستخلاص معاجم فرعية: متخصصة، أو دلالية، أو خاصة بظواهر لغوية - كالمشترك والمترادف والتضاد والتعابير الاصطلاحية - أو تاريخية أو غيرها، وأن يفيد من سمة الاطراد في مادة المعجم العربى، ويستغرق ما يخرج عن القياس فى المشتقات وغيرها، وما سيكون سبباً فى وقوع مشكلات فنية في المعالجة الآلية مثل: الجمع بين التعدي واللزوم، وتعدد الأبواب التصريفية للفعل الثلاثى مع اتفاق المعنى أو اختلافه، وجموع التكسير، وكثرة المجاز بأنواعه.

ومن المأمول لمثل هذا المعجم الحاسوبى MRD أن يخرج فى صورتين: مطبوعاً على الورق، قابلا لأن تتفرع عنه معاجم متخصصة وفق التطبيقات المرادة، ومخزنا في قرص ضوئى رقمي ذى قيمة زهيدة، وقدرة هائلة على تخزين جميع مواد المعجم ومعطياته ومعارفه، فيكون بذلك في متناول جميع الناس خصوصا مع توثق الروابط المتنامية بتطاول الأيام بين الحاسوب واللغة، وخاصة عندما تصبح اللغات الطبيعية التى يستخدمها الناس أداة استعمال الحاسوب، وهو ما يتوقعه الخبراء من حواسيب الجيل الخامس التى ستشهدها السنوات المقبلة.

والمعروف أن الأساس الذى يقوم عليه اى عمل معجمى هو الجذور العربية أو موادها التى يندرج تحتها ما لا يبلغه الحصر من مفردات اللغة، ولذلك عمد المركز الى ما يلى:

أ - استخراج جذور اللغة العربية المثبتة في خمسة معاجم أصول هي:

١) جمهرة اللغة لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ.
٢) تهذيب اللغة للأزهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ.
٣) المحكم، والمحيط الأعظم لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ.
٤) لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ.
٥) القاموس المحيط للفيروزبادي المتوفى سنة ٨١٦هـ.

■ وقد جرى المركز فى احصاء الجذور على الالتزام بالنقاط التالية:

أ) **قراءة المواد اللغوية بتمامها**، وذلك لأن الاكتفاء باستلال المواد المعجمية دون قراءة شرحها يترتب عليه سقوط مواد لغوية، بسبب اشتمال المعاجم على ظواهر معجمية مختلفة.

ب) **تمييـز ما أجمعت المعاجم الخمسة على** ايراده مما انفرد به معجم أو أكثر برموز خاصة.

ج) **قراءة الأصل فى حروف الجذور**، وذلك برد كل حرف غير أصلى الى أصله، إذ الألف لا تكون أصلية في الجذور، بل منقلبة عن واو أو ياء.

د) فصل الواوي عن اليائي فى الجذور المعتلة، وهو أمر عسير جداً نتج عنه تخليط كثير من المعاجم العربية فيه.

هـ) تمييز الأعجمي والمولد والمعرب والنادر والغريب والشاذ، وذلك بتدوين ملاحظات المتقدمين على ما كانت هذه سبيله من المواد اللغوية.

و) تمييز الجذور الخصبة الاشتقاق من أخواتها المجدبة، التى لا يجاوز ما استعمل منها كلمة واحدة، وهو قليل فى الثلاثى، كثير فاش في الرباعى والخماسى.

ز) **تصحيح** ما أمكن الوقوف عليه مما وقف في المعاجم السالفة من ظواهر لغوية عديدة، كالمواد المصحفة عن أصولها، والتى وردت فى غير موضعها لاعتبار لغوى ما.

٢) استنتاج معطيات كمية احصائية عن الجذور العربية منها:

أ) دوران الاحـاديات المطلق فى الجذور، أو في كل منها، أو في مواقع كل منها مع النسبة المئوية.

ب) دوران الثنائيات المطلق فى الجذور أو في كل نوع منها، مع النسبة المئوية.

ج) استخـراج القـوانـين الصوتية الناظمة لائتلاف الثنائيات وتنافرها.

د) تحديد ما أهمـل استعماله من الجذور لمانع صوتي فزيولـوجى، وذلـك لتقارب مخارج حروفه مما يجعل ائتـلافه ممتنعا، وتحديد ما أهملته العرب من الجذور لغير مانع صوتي، وهو عدم حاجتهم اليه.

٣) توصيف معجمي للمفردات العربية:

تعـد الجذور العربية قاعدة المعطيات الأساسية التى تكون مادة المعجم الحاسوبى، إذ يقوم الحاسوب اعتمادا على قواعد الاشتقاق بتوليد جميع القياسيات من مشتقـات ومـزيدات ومصـادر، وتمكنـه قواعـد التعريف والاسناد من تحديد صيغة الفعل بمختلف صورها: الماضى والمضارع (مرفوعا ومنصوباً ومجزومـاً ومؤكداً)، والأمر (مؤكدا وغير مؤكد) مسندا الى جميع الضمائر. ومن تحديد نوع الفعل من حيث: الصحة والاعتـلال والهمز والتضعيف وما يتفرع عنها، ومن تحديد صيغ التثنية والجمع السالم بنوعيه، وتحقيق مثل هذا يخفف من ضخـامـة المعجم الحاسوبى وحجم ذاكرته ويزيد فى سرعته، ويجعل مادة المعجم مقتصرة على مالا تنـظمـه قواعد مطردة لا تتخلف كالمصادر الثـلاثية، والأبواب التصريفية للماضى مع المضارع مرتبـة تبعـا لقـوة دورانها، وجمـع التكسـير، وشواذ المشتقات والنسبة وغير ذلك.

■ ان التـوصيف المعجمي للكلمـة العـربية التي ستكون المدخل للمعجم سواء أكانت فعلا أم اسمـاً أم صفة أم ظرفاً أم حرفاً يتم تحديده من خلال عدة حقول أهمها:

١ ـ الحقل الصـرفي:

ـ الفعـل: المجرد والمزيد ووزن كل منها، الأبواب التصريفية للثلاثى.

ـ الاسم: نوعـه من حيث الافـراد والتثنيه والجمـع والتـذكـير والتـأنيث والتصغـير والنسبة، أصالته في الاسمية أو تحوله من الفعل الى الاسم (احمد ـ يزيد ـ رنا).

أما حرف المعنى سواء أكان على حرف أم اكثر فهو جامد يلازم صورة واحدة، مما لا يستدعى أن يكون له توصيف صرفي.

٢ ـ الحـقل النحـوي:
ـ الفعـل: لزومـه وتعديه بنفسه لمفعول أو اكثر، أو بغيره، والحروف التى يتعدى بها والبناء والاعراب.
ـ الاسم: الاعـراب والبنـاء، وعلامات كل منهما، الممنوع من الصرف.
ـ الحرف: البناء والاعراب.

٣ ـ الحـقل الدلالـي:
ـ الفعل: المعاني التي يرد عليها مرتبة تبعا لدورانها، والحقول الدلالية التى تتوزع معانيه.
ـ الاسم: الحقـل الـدلالي الخـاص به، مذكر، أو مؤنث، مفرد أو مثنى أو جمع، عاقل أو غير عاقل، حي أو جماد، معدود أو غير معدود، مجرد أو محسوس.
ـ الحرف: المعانى التى يرد عليها حرف المعنى.

٤ ـ الحـقل الاحصائى:
ـ الفعل: ويتضمن معدلات استخدام الافعال التى يكثر دورانها في الاستعمال موزعة على الحقول الدلالية الرئيسية.
ـ الاسم: معدلات استخدام الاسماء تبعاً للحقول الدلالية التى تتوزعها.
ـ الحـرف: معـدلات استخـدام حروف المعاني مع الافعال والأسماء التى تلازمها مرتبطة بالمعانى وموزعة على الحقول الدلالية.
ـ احصائيات نحوية وصرفية لأكثر المفردات والصيغ استعمالا في الكتابة الحديثة.

٥ ـ الحقـل الصـوتي:
ويشتمل هذا الحقل على توصيف مجمل لأنماط النطق الثانوية المسماة بالظواهر التطريزية كالنبر والمدة والنغمـة والشـدة، وعـلى أشياء أخـرى كالمقـاطـع العربية، وضوابط التشكيل الكلى والجزئى، وغيرها.
ومما ينبغي التنبيه عليه ان الأهمية لا تكمن فقط في المحتوى أو المادة التى يتضمنها الحاسوب، ولا في القـواعد التى تختزنها خبرته، ولكنها تكمن أيضا فى طريقـة تحصيل المعلومـات، ومـرونتهـا، وقـابليتها للسماح باستثماره في التطبيقات المختلفة التى مضت الاشارة اليها، بالاضافة لإمكانية عمله بالزمن الحقيقى.

ثانيا: المستوى الصرفي:

تتميز العربية بجملة من الخصائص تجعلها من أكثـر اللغـات قابلية للمعـالجـة الآلية بالحاسوب، فالاطـراد في الضـوابط والقـواعـد تجده واضحا في الصرف والنحـو والمعجم والأصوات خلافا لما عليه الحال في كثير من اللغات الأخرى، أما الشاذ والنادر والغـريـب وغير ذلك فقلته تسمح بمعالجته بجدوى عالية جدا، ولعـل أول ما يواجـه المعـالجـة الآلية التـداخـل الكبـير بين المستويات اللغوية وخصوصا النحو والصرف، لذا وجب استعمال أنظمة متعددة الخـبرة لمعالجة تلك المستويات، وأن يرتبط كل منها بالآخر إعطاء واحداً.

■ يقوم النظام الصرفي بنوعين اساسين من المعالجة الصرفية:
ـ اشتقاق الكلمة العربية (الانتقال من الجذور الى المشتقات).
ـ تحليل الكلمـة العـربية (الانتقـال من المشتقـات والمزيدات الى الجذر أو الأصل).
القسم الاول: اشتقاق الكلمة العربية (توليد المفردات):
يتم فى هذا القسم ايجاد مشتقات الجذور الثلاثية والـربـاعية، وكذلك ايجاد مزيداتها ومشتقاتها، وقد صدرنـا عن الأفعال (الثلاثية والرباعية) المجردة في ايجاد المشتقات.
تحديد نوع الفعل وأبوابه التصريفية:
يبـين الحـاسـوب الفعـل من حيث الصحـة والاعتـلال والهمز والتضعيف اضافة الى تحديد بابه التصريفي أو مجمـوعـة أبوابه التصريفية مثل: (أز) فعـل صحيح مهموز الفاء مضعف، ويتصرف من بابي: ضرب ـ يضرب ونصر ـ ينصر.

مزيـدات الفعل:

يعطي الحاسوب جميع مزيدات الفعل الثلاثي بحرف (أفعـل - فعل - فاعل) وبحرفين (الفعل - افتعـل - افعـل - تفاعل - تفعل)، وبثلاثة حروف (استفعـل - افعوعل - افعول - افعال) وعددها ١٢ مزيدا، وكـذلـك مزيدات الفعـل الرباعي بحرف (تفعلل) وبحرفين (افعنلل - افعلل) وعددها ٣ مزيدات.

تصريف الافعال:

يقـوم الحـاسوب في هذا المجال باسناد الأفعال المعلومـة والمجهولة (المجردة والمزيدة) الى الضمائر في صيغ المـاضي والمضـارع (مرفوعا ومنصوباً ومجزومـاً ومؤكدا) والأمر مؤكداً وغير ذلك.

الاشـــتقاق:

يولـد الحـاسـوب جميع الأسـماء المشتقـة قياسيا وسـماعيا من الفعل المجرد أو المزيد، وهي تشمل: اسم الفاعل وصيغ مبالغته، واسم المفعول، واسمي الـزمـان والمكـان، واسم الآلـة، واسم التفضيل، والصفة المشبهة والمصادر بأنواعها (المصدر، المصدر الميمي، المصدر الصناعي، مصدر المرة، مصدر الهيئة).

وقد جرى تزويده بجميع مصادر الأفعال الثلاثية موزعة على الأبواب التصريفية، وبجميع الصيغ غير القياسية لمبـالغـة اسم الفـاعل واسم الآلة والصفة المشبهـة كما وردت في المعاجم، وذلك لأنها سماعية خلافـا لمصـادر الأفعال فوق الثلاثية ولبقية الأسماء المشتقة التي لها صيغ قياسية مطردة تنتظمها قواعد محددة.

تصريف الأسـماء:

يقـوم الحـاسوب في هذه المرحلة بتأنيث الأسماء وتثنيتها وجمعها ونسبتها وتصغيرها، ويتم ذلك اعتماداً على قواعد وجداول تنتظمها.

تصريف الحروف:

تنقسم حروف المعـاني الى قسمـين: الأول: حروف تسند الى الضمائر، والثاني: حروف لا تسند الى الضمائر، ويقتصر عمل الحاسوب في هذه المرحلة على اسناد حروف القسم الأول الى الضمائر.

التصريف المشترك:

سمـي بالتصريف المشـترك لاشـتراك كل من الافعـال والأسماء في قواعده، وتشتمل هذه المرحلة على قواعـد الادغـام بنـوعيه: الصغـير والكبـير، والاعـلال بأنـواعـه الثـلاثـة: بالحـذف والقلب والتسكين، والابدال، والهمزة حذفاً وقلباً.

القسم الثاني: تحليل الكلمة العربية:

يتم في هذا القسم الانتقـال من الكلمة المزيدة المشكولة وغير المشكولة الى جذرها الأصلي، مع تحديد حروف الـزيادة فيهـا، وحـالتها الاعرابية، وميزانها الصرفي. فإذا كانت الكلمة مشكولة قام الحاسوب بتحليلها، وإن كانت غير مشكولة كليا أو جزئيا وضع الحـاسـوب الحـركـات الـلازمة على حروفها تمهيدا لتحليلهـا، ان معـالجـة الكلمة خالية من التشكيل ومـسـتقلة عن سياق الجملة تجعـل لها امكـانيات عديدة، فكلمة (ورد) مثلا يمكن ان تكون:

ورد = وَرَدَ، وَرَّدَ، وُرِد. . افعال/ وَرْد، وِرْد. . اسـماء. . / و+رَدَّ، و+رُدَّ. . حروف عطف + افعال/ و+رد، و+رد. . حرف عطف + اسماء.

تحـليل الافعـال:

يتم في هذه المرحلة تحديد كل من سابقة الفعل ولاحقتـه، وصيغته، وبنائه للمعلوم أو للمجهول، وتجرده أو زيادته، ووزنه، وأصله المشتق منه، وحالته الاعرابية، والضمير المسند اليه مثل: استمع ومجال أو مجالات استخدامه، ودرجة تقنيته ونوعية النصوص التي ورد فيها، وهذه المعطيات تختلف في تفاصيلها من بنـك مصـطلحـات الى آخـر، ولكنها ضرورية لتقـديم المصـطلح مع ما ييسر للمتلقي النـظر فيه والافادة منه.

عرفت بنـوك المصـطلحات في السنوات القليلة الماضية نموا متزايدا، فقامت في عدة بلدان أوروبية وأمريكية مؤسسات ضخمة تتعامل بحجم هائل من

المصطلحات والمعلومات المصطلحية في اللغات الأوروبية الكبرى على وجه الخصوص، وهناك مشروعات أخرى يجري التخطيط لها في دول أفريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية الى جانب جهود تبذل لايجاد اشكال مناسبة للتعاون بين هذه البنوك.

قامت اكثر هذه البنوك لأهداف نوعية متعددة، ارتبط تأسيسها بتلبية حاجة المترجين المتخصصين الى المصطلحات الكثيرة المتجددة، ثمة فرق بين بنوك المصطلحات ذات الاهداف المباشرة فى معاونة المترجين وبنوك المصطلحات ذات الاهداف العلمية، وكلاهما له أهميته، ومن الممكن الافادة من الخبرة المكتسبة منهما عند التخطيط لإنشاء بنك عربى للمصطلحات.

تؤدى بنوك المصطلحات دورا مهما فى الترجمة التخصصية وصناعة المعجمات المتخصصة، فالمصطلحات تزيد مع التقدم العلمى زيادة مطردة فى المجالات التقنية والاقتصادية والعلمية، إنها تقدم للمترجم المصطلحات المقننة التى ينشدها، ولهذا فهى تعتمد على مصادر موثوق بها، شأنها شأن الأعمال المعجمية المعيارية لا تضم الا الكلمات الصحيحة من حيث البنية وتشرحها شرحا يوثق به، فيعد كل منها حجة في اللغة، وتعتمد بنوك المصطلحات على مصادر يوثق بها، ومنها الكتب العلمية لكبار المتخصصين، والمصطلحات المعتمدة فى المجامع اللغوية والاكاديميات العلمية والمصطلحات التى أقرتها التنظيمات المهنية، والمصطلحات المقننة في المنظمات الدولية، ويؤدى القصور فى هذه المصادر الى اعتماد هذه البنوك على ما يعده المتخصصون بالتعاون مع اللغويين المصطلحيين من مصطلحات جديدة.

ويمضى الوقت وزيادة الرغبة في الدقة والفاعلية نجمت عنها الحاجة الى بنوك معطيات مصطلحية لأغراض البحث العلمى، وهذه البنوك ترتب المصطلحات على اساس تصنيفها فى مجموعات، تنظم في إطار تصنيف مقنن، المصطلح الواحد لا يوجد مفردا، ولكنه جزء من نظام المفاهيم فى المجال التخصصى، ويضم كل مدخل كل عناصر المعلومات المهمة عن المصطلح، ومنها علاقته بالمفاهيم الأخرى، وانطلاقا من هذا فإن المفاهيم والمصطلحات لا تخزن بوصفها عناصر مفردة على نحو يفصل كل مصطلح عن الآخر فصلا كاملا، ولكنها تخزن مترابطة كما هى الحال فى عمليات التفكير العادية.

ويتطلب انشاء بنوك المصطلحات ايجاد نظام واضح ومفصل صالح للتطبيق.

لقد نجمت عن تكرار الجهود المبذولة داخل الدول العربية فى اعداد المصطلحات مشكلات كثيرة على مستوى الدول العربية، منها ذلك الهدر العظيم فى طاقات المعنيين بوضع المصطلحات مع انهم صفوة نادرة، وأدى هذا الى تعدد المقابلات العربية لعدد غير قليل من المصطلحات، وفي الوقت الذى لم يتجاوز مجموع العمل المنجز الا نسبة متواضعة مما ينبغى انجازه، ولو تكرر الموقف بانشاء بنوك مصطلحات عربية متعددة تعمل بأسلوب عدم التكامل لما حدث تقدم، واذا كانت بنوك المصطلحات ترى ضرورة التعاون على مستوى العالم منعا للازدواج والتعدد في الجهود والنفقات فإن المنطقة اللغوية العربية ينبغى ان تتعاون أقطارها فى إطار وعي جديد بضرورة تجنب هذا الهدر فى الامكانات.

وبعد فإن انشاء بنك عربى للمصطلحات ضرورة معاصرة، ليس من أجل توحيد المصطلحات المتعددة حاليا وصناعة المعجمات المتخصصة فحسب، بل من أجل حماية اللغة العربية والأمة العربية من أدران تعدد اللغات العلمية فى الأقطار العربية، إن المفهوم العلمى الواحد، الذى ينبغى أن يعبر عنه مصطلح واحد، يترجم فى عدة مواقع ترجمات مختلفة، فإذا استقر مصطلح ما فى دولة عربية واستقر مصطلح آخر في دولة عربية أخرى، وأخذ كل فريق فى الدفاع عن صحة مصطلحه فاننا جميعا امام بداية تعدد اللغات العلمية العربية. وقد نبه لغويون وعلميون الى خطورة هذا الأمر وقام مكتب تنسيق التعريب من أجل توحيد المصطلحات المتعددة

القائمة، ولكن معالجة المصطلح الواحد قبل أن يصبح مشكلة موضوع جدير بأن يكون موضع الاهتمام، وذلك عن طريق بنك للمصطلحات العربية، يقدم المصطلح الموحد لكل الجامعات والوزارات والمؤسسات العامة ووسائل الاتصال الجماهيرى والمترجمين والباحثين والمؤلفين وغيرهم ويقوم فى الوقت نفسه بتجديد المعجمات المتخصصة.

ثالثا: القضايا والمشكلات:

أ ـ وثمة مشكلات فى التعامل باللغة من خلال الحاسوب تتصل بنظم الكتابة، وإذا كانت الدول التى تكتب بالحرف اللاتينى قد وضعت برامجها مراعية طبيعة الحرف اللاتينى، فإن استخدام الحرف اللاتينى في الحاسوب لم يخل من مشكلات تتصل بنظام الكتابة ودلالته اللغوية، ونذكر هنا مثالا من اللغة الألمانية التى تدون بالحرف اللاتينى، ولها من حيث استخدام الحرف الكبير والحرف الصغير قواعد لغوية محددة، الحرف الكبير فى أول الجملة، وكل الأسماء فى داخل النص تكتب ايضا بالحرف الكبير، ولكن الحاسوب لا يميز الحرف الكبير عن الحرف الصغير، وكان ثمة اقتراح باضافة علامة اضافية قبل الحرف الكبير، وكانت النتيجة ان كل الكلمات التى في بداية الجمل ظهرت مع كل الأسماء فى تصنيف واحد غير دال من الناحية اللغوية.

وثمة مشكلات تظهر فى كل نظام من نظم الكتابة، فاللغة اليونانية تكتب بخط خاص بها، وهناك لغات كثيرة فى أوروبا الشرقية تكتب بالحروف الكيريلية الروسية، ومنها اللغة الروسية، واستخدام رموز الكتابة الصينية فى الحاسوب يتطلب جهوداً علمية كبيرة لوضع الحلول المناسبة، وكانت أهم المشكلات المتصلة بالكتابة:

ـ تعدد الاشكال البصرية التى يتخذها الحرف الواحد تبعا لموقعه في الكلمة.

ـ العلامات التميزية بين الاشكال المتقاربة كتابيا، مثل الشدة.

ـ أهمية ايجاد طريقة تمكن من تشكيل الحروف عند الحاجة الى ذلك.

ـ اتجاه الكتابة من اليمين الى اليسار، والحاسوب المصمم للحرف اللاتينى يعمل فى اتجاه آخر.

ـ وجود رموز مزدوجة مثل (لا).

ب) تعدد النظم اللغوية لا يحول دون الافادة الرشيدة من الحاسوب في صناعة المعجم، ان اللغة اليابانية تختلف فى بنيتها عن اللغات الهندية الأوروبية وعن اللغات الأفروآسيوية أيضا، ولها نظمها فى التدوين المختلفة عن المألوف فى الحروف اللاتينية من حيث الأساس اللغوى وعدد الرموز، وعلى الرغم من هذه الفروق فقد تمت محاولة لانشاء قواعد بيانات معجمية بالحاسوب.

وتهدف هذه الجهود الى صناعة معجم احادى اللغة للغة اليابانية، والى عمل معجم مزدوج اللغة للانجليزية واليابانية والى جعل المعاجم المحسبة، أي المخزونة في الحاسوب ذات فائدة أيضا فى تعليم اللغة وفي الترجمة البشرية بمعاونة الآلة، التى تقدم للمترجم ما يريده من مصطلحات وتراكيب لترجمة النص المراد ترجمته، وقد تضمنت قاعدة البيانات مع كل مدخل ما يأتى: نوع الكلمة، الصيغ التصريفية، أشكال النطق، التراكيب، المقابلات باللغة الأجنبية العبارات الاصطلاحية وترجماتها، المضاد الدلالي والمرادف.

جـ) الاعداد الصرفي والنحوى وثيق الصلة باستخدام الحاسوب فى صناعة المعجم، ولذا يعد اعداد برامج دقيقة تراعى الخصائص الصرفية للكلمة العربية أساسا مهما، وهناك قاعدة بسيطة في هذا المجال نصها «لولا التحليل النحوي الممهد لاستخدام الحاسوب في الأعمال اللغوية لما خرجت معاجم بالمعنى المعروف، بل خرجت قوائم بصيغ تصريفية للكلمات، موسعة بكل السوابق واللواحق التى تعرفها اللغة، وهذه القوائم تكون محدودة الجدوى، وهذا ما يتضح بصفة خاصة من حقيقة تعدد صيغ الاسم الواحد، فى الافراد والجمع مثلا وتعدد صيغ الفعل الواحد، فى الماضى والمضارع

والأمر مع تنوعات كثيرة اذا ضمت الى الصيغة الأساسية سوابق مثل السين أو لواحق مثل الضمائر المتصلة أو طرأت عليها تغييرات فى البنية (مثل وعد/يعد) وهذا كله يجعل عمل البرامج الصرفية من أهم ادوات تعامل الحاسوب مع اللغة.

■ ان تقدم البحث الصرفي والنحوى وعمل برامج دقيقة يجعلان من الممكن الوصول الى مستوى «معاجم المداخل اللغوية» وقد كان من أوجه القصور في أعمال مبكرة بالحاسوب، أن كلمات مثل: سيكتب، نكتب، كاتب، مكتب، كتب، كتاب كانت تفرق فى أماكن مختلفة، الأمر الذي لم يألفه الباحث العربى، وربما يصف هذا العمل بالقصور فى تلبية متطلبات البحث، وتعد «معاجم المواد اللغوية»، من الطموحات التى ينشدها الباحثون، لا في العربية وحدها، بل فى اللغات الأوروبية أيضا، حتى يجد الباحث مع كل كلمة نتائج تحليل صيغها الواردة في المدونة.

المصطلح المستخدم في اللغات الأوروبية لتسمية هذا النوع من المعاجم يصفها باستخدام مصطلح Lemma، ويعنى مجموعة صيغ المفردات، التى ترجع اليها تتابعات مكتوبة متنوعة، والقضية هنا عمل البرامج التى تمكن الحاسوب من تعرف أن كتب كاتب مكتوب من المادة (كتب)، وجعل (وعد/يعد) في مكان مناسب، وجعل (موسيقا وموسيقى) فى مكان مناسب، وفي بعض المشروعات البحثية التى تم تنفيذها كانت بعض هذه المراحل تتم يدويا عن طريق المساعدين اللغويين، ثم يتم ادخالها في ذاكرة الحاسوب.

وبعد..

لقد أصبح الحاسوب من أهم أدوات العمل، ويرغب القارىء فى الحصول على ثمرة عمل الحاسوب في شكل مطبوع، ومن هنا أهمية التوافق بين الحاسوب والآلات الطباعية في منظومة واحدة، ومن شأن هذا الأمر أن المادة المتاحة يمكن ان تطلب بشكل مباشر لتطبع مباشرة بكمية وفيرة من النسخ فى شكل كتاب، وبذلك لا يتم جمعها مرة ثانية من أوراق وهذا ممكن اذا كان ثمة توافق بين الحاسوب والطابعة الملحقة به، او اذا كانت مخرجات الحاسوب على نحو تستطيع آلات الطباعة التعامل معه، وقد طبق هذا الأمر في موسوعة الأسماء العربية التى نفذتها جامعة القاهرة وجامعة السلطان قابوس في عمان، فقد تم الجمع والتصحيح في القاهرة، ثم أخذت المادة لتطبع فى عمان دون حاجة الى اعادة الجمع مرة ثانية.

(*) هذه الدراسة من ملف ندوة (استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) التى عقدتها مكتبة الملك عبد العزيز فى الرياض.

اساطين اللغة

ابن هشام، عبد الله بن يوسف

(١٣٠٨ ـ ١٣٦٠)، نحوى، ولد ومات بالقاهرة، اشتغل بالتدريس فى القبة المنصورية والمدرسة الحنبلية، وصار امام نحاة عصره، فقورن بسيبويه، اقتدى بابن جنى وامتاز بالابتكار فى منهجه، والتيسير فى طريقة عرضه، والانفراد ببعض آرائه، أشهر كتبه: «مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب» وهو معجم للأدوات واستعمالاتها، وعلاج للجملة وشبهها، والأحكام كثيرة الدوران، والأخطاء الشائعة، و«شذور الذهب فى معرفة كلام العرب» شرح كتبا هامة مثل: «أوضح المسالك فى شرح الفية ابن مالك» و«شرح الشواهد الكبرى»، تناول مسائل مفردة فى رسائل صغيرة، مثل: «فوح الشذا فى مسألة كذا» و«مسألة اعتراض الشرط على الشرط»، وشرح قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير.

اللغة العربية

بقلم: أ.د. البدراوي زهران

تواجـه لغتنـا العـربية العديد من المشكلات التى تتصل بالتعريب والترجمة ونقل المصطلحات وغير ذلك مما يدفع بالبعض الى القول بأنها غير قادرة على احتواء ما يتفجر من مصطلحات نتيجة للتقدم العلمى والتقنى.

هناك المنصف الذى يدرك تماماً قدرة لغة ديننا وتراثنا وحضارتنا على التغلب على أية عقبات أو صعوبات أو حتى مشـكلات.

وهنـاك من يقول بقبول الوافد كما هو ملمحـًا إلى عجز لغتنا عن احتوائه.

وقضيـة الـوافـد والتعريب والترجمة . . وإشكالية الاحتـواء تلك ليست بحـديثـة . . وكم من محاولات للتعـريب والـترجمـة كان فيهـا حلول لكثـيرٍ من الاشكـاليـات . . ولكن الأمـر اليـوم يختلف كثـيراً . .

. . فالعصر عصر علم وتقنية لا يعرف البطء أو التباطؤ . . ولغتنا تقف صامدة متحدية.

وهذا واحد من المنصفين يقف بنا على قدرة عربيتنا وصمودها وتحديها فهى لغة العلوم والتقنية كما أنها لغة دين وتراث وحضارة.

• فى حقل المعرفة التجريبية القائمة على الملاحظة و الاختبار أظهر العرب القدامى براعة فائقة.

• عبقرية اللغة العربية وما تميزت به من خصائص وسمات، مكنتها من ان تكون لغة للعلوم والتقنية.

• عن طريق القياس الابداعي يمكن استخراج مخزون ضخم من الصيغ لمقابلة الدخيل الوافد للغة العربية من معطيات العلوم والتقنية.

تقف اللغة العربية فى عصرنا هذا فى مهب تيارات عاصفة من كل جانب، ترمى بالعقم وبالعجز عن فك مغاليق مصطلحات العلوم الحديثة ووضع اسماء للمختـرعات العلمية، ويدرس أبناؤها علوم الطب والهنـدسـة بغـير لسـانها، وفى ساحـات الجـامعات ومعـاهـد العلم العـربية تجرى على ألسنة أساتذتها وأبنـائها المصطلحات الأعجمية ـ وصار حالها يشبه الحال التى أصابتها زمن صاحب لسان العرب حيث تجمعت ضدهـا جحـافـل الغـزو الصليبى والتترى وتنـافس النـاس فى تصانيف الترجمانات فى اللغات الأعجمية وتفـاصحوا فى غير العربية، وهب العلماء آنـذاك هبتهم التى أعـادت لها نصرتهـا، وقدّم ابن منظور مؤلفه لسان العرب مقدما له بقوله:

«لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها وذلك لما رأيته قد غلب فى هذا الأوان من اختـلاف الألسنـة والألـوان، حتى لقـد أصبح اللحن يعـد لحنا مردودا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية وتفاصحوا فى غير العربية»(1).

وهـذا هو حالنا: التنافس فى تصانيف اللغات

لغة العلوم والتقنية

الأعجمية فى ساحات الجامعات العربية ومراكز البحث العلمى ودور العلم ومعاهد الثقافة. صار نطقنا بالعربية من المعايب ولابد أن يطعم بالأعجمية والمصطلحات الأجنبية أمارة الرقى وعنوان التحضر والعلم.

وصار اللحن فى العربية على مختلف المستويات من الأمور المترددة فى مجتمعات الناطقين بالعربية - وصارت العاميات ميزة العصر فى أجهزة الاعلام ودور العرض وكثير من المجلات والصحف وصار كثير من فنون الآداب باللهجات العامية بل الشعر الذى هو ديوان العرب صار عاميا يحمل أسماء المرسل والحر والعامى.. الخ ونسينا تاريخ العربية العلمى الزاهى الذى ازدهرت فيه الأبحاث العلمية فى مختلف فروع العلم ودور العلماء العباقرة الذين أرسوا دعائم العلمية من نحو ابن سينا وابن الهيثم، والبيرونى، وجابر بن حيان، وابن النفيس وابن البيطار، والرازى، والقزوينى، والدينورى، والخوارزمى، والبغدادى، والبيتانى وغيرهم ممن أخذ عنهم علماء الغرب واعترفوا بفضلهم وبدور العربية فى حفظ التراث العلمى الانسانى وتزويده بالبحوث والدراسات التى دفعت الرقى الانسانى قدما. وان ما نراه اليوم فى أيدى الغرب هو من ثمار ما قدمته العربية وعلماؤها فى لغة علمية وتقنية اخذها عنهم الغربيون المحدثون، يقول برنال Barnal [٢]:

«إن الفضل أعظم الفضل للعلماء العرب فى الحفاظ على هذا التراث وتدوينه ونقله والتأليف فيه، وإن العلماء العرب قد برعوا فى ذلك وأنهم تفوقوا على الاغريق بأن جعلوا العلم سهلا مستساغا فأقبل الناس على النهل منه، وكانت ميزة انفرد بها العلم العربى».

وذلك بسبب كتابته باللسان العربى الذى هو لسان العلم والتقنية كما أن فرانتز روزنتال Franz (Rosenthal) يروى فى كتابه: «مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى» قول فون كريمر، وهو يصف النشاط العلمى عند علماء المسلمين الذين يتخذون من العربية لغة علم وتقنية قوله:

«إن أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليا فى حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم، فإنهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد، وكذلك فإن أسلوبهم فى البحث أكبر ما يكون تأثيرا عندما يكون الأمر فى نطاق الرواية والوصف، وبصفتهم مفكرين ومبدعين[٣] قد أتوا بأعمال رائعة فى حقلى الرياضيات والفلك وللسبب ذاته نجح العرب فى باقى العلوم.

ويقول العالم ليبرى (Libri) [٤] «لولا العرب لتأخر عصر التجدد فى أوربا لمدة قرن[٥] فلقد لمع العرب فى كل الميادين العلمية، وفى الوقت الذى كان فيه الشعراء والأدباء والفقهاء يقومون بأدوارهم فى نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية، كان العلماء فى كل الميادين يقومون بقسطهم فى البحث والنقل والتجويد ولم يدعوا باباً الا طرقوه، إن لم يكونوا قد فتحوا فى العلم أبوابا جديدة.

ويقول كاربنسكى[٦]: «إن الخدمات التى أداها العرب للعلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين، وإن البحوث الحديثة قد دلت على عظم دنيا العلم للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم حينما كانت اوربا غارقة فى ظلمات القرون الوسطى، وإن العرب لم يقتصروا على نقل علوم الاغريق بل زادوا عليها وقاموا باضافات هامة فيها».

وكان ذلك كله يدوّن باللغة العربية من خلال مصطلحات علمية فى لغة علمية دقيقة وتقنية

محكمة . .

ويقول «وليم أوسلر»[٧] :

«لئن أشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية إلا أنهم ما لبثوا أن اصبحوا جميعا شعلة وهاجة استضاء بنورها أهل الأرض» - كما يقول مؤرخ العلم «جورج سارتون» (George Sarton) [٨] :

«إن بعض الغربيين الذين قصدوا أن يستخفوا بما أسداه الشرق إلى العمران يصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا اليها شيئا ما - هذا الرأى خطأ لأنه لو لم تنقل إلينا كنوز اليونان لتوقف سير المدينة بضعة قرون - إن العرب لم ينسخوا من المصادر اليونانية والسنسكريتية نسخا، ولكنهم جمعوا بين المصدرين ثم لقحوا الآراء اليونانية بالآراء القديمة، وإذا لم يكن هذا الرأى الذى فعله العرب ابتكاراً فليس فى العلم ابتكار على الاطلاق فالابتكار العلمى فى الحقيقة إنما هو حياكة خيوط المعرفة فى نسيج واحد».

ونقول على الرغم من هذا فإن اللغة العربية هى التى حوت العلوم بتقنياتها ومصطلحاتها ومبتكراتها وكانت هى لغة العلوم والتقنية فى العصور الوسطى قبل أن تظهر على الساحة اللغات الأوربية من انجليزية وفرنسية وايطالية وألمانية وغيرها.

أما الرد على هذه الدعوى فيتكفل به برناردلويس الذى يقول:

«إن أوربا تحمل دينا مزدوجا للعرب - فقد حافظ العرب على التراث الفكرى العلمى الذى خلفه اليونان وتوسعوا فيه ونقلوه الى اوربا - ومن العرب نقلت اوربا طريقة جديدة فى البحث وهى طريقة تصنع العقل أولا وتنادى بوجوب البحث المستقل والتجربة».

ومعناه ان العربية كانت وعاء للعلوم والفكر العلمى وأنها حافظة له وأن مناهج البحث العلمى وطرائقه كانت بها.

والأكثر من ذلك أن ديلاس أوليرى يقول[٩] :

«لو أزيل العرب من التاريخ لتأخرت النهضة الأوروبية فى أوربا بضعة قرون - فقد علمت الأمة العربية الغرب بعد أن أيقظته خمسة قرون أو ستة وحتى اواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا تزال تناقش فى جامعة مونبلييه بفرنسا».

مؤلفات ابن سينا التى جاءت باللسان العربى كانت حتى عهد قريب تناقش فى جامعات فرنسا وغيرها فى اللغة العربية فهى لغة التقنية والعلوم ومع ذلك يجهل الباحثون من أبنائها ذلك ويهرعون إلى اللغات التى أخذت عنها المصطلحات العلمية والتقنية ومناهج البحث.

يقول سيجرد هانك:

«لشد ما يغبن حق العرب حتى يكتفى بالقول بأنهم نقلوا التراث القديم الى العالم الغربى بعد ما حفظوه من الدمار - فذلك يعنى التقليل من قيمتهم والسكوت على الأمور الجوهرية فى عملهم الحضارى وجعلهم مجرد وسطاء لا غير، والحقيقة ان سائر مناحى الحياة الاقتصادية والعلمية والاجتماعية فى الغرب مدموغة بآثارهم». ومأخوذة عما دون باللغة العربية فى علمية وتقنية، وآنذاك كانت المصادر المدونة بالعربية هى المرجع وكان النطق بالعربية منزلة لا ينالها الا العلماء والأمراء من ملوك أوربا.

يقول جوستاف لوبون :[١٠]

«كلما تعمق المرء فى دراسة المدنية العربية تجلت له أمور جديدة، واتسعت أمامه الآفاق وثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلا بواسطة العرب وإن جامعات الغرب عاشت خمسمائة سنة تكتب للعرب خاصة، وأن الغرب هم الذين مدنوا أوربا فى المادة والعقل والخلق.

وإذا كان هو دور اللغة العربية بما وسعته من علوم وحوته من مصطلحات أمدت المباحث العلمية بتقنية عبر هذه القرون - فإن العالم الغربى «درايبر» يقدم شهادة لها قيمتها فى هذه المجال حيث يقول:

«لقد كان تفوق العلماء العرب فى العلوم ناشئا عن الاسلوب الذى توخوه فى بحوثهم وهو أسلوب اقتبسوه من اليونان - لقد تحققوا أن الأسلوب العقلى وحده لا يكفى ولابد من أسلوب علمى تجريبى - وهذا هو الذى دفعهم لهذا الترقى العظيم فى الهندسة وحساب

المثلثات والجبر والفلك والطب وغيرها من العلوم.

فعلمية العلوم كلها التى وعتها اللغة العربية فى دقة وموضوعية مازالت مصدر عطاء لجامعات اوروبا والغرب عامة.

وعلى سبيل التمثيل فإن البيرونى - العالم المسلم صاحب المؤلفات العربية مازال اسمه يتردد فى جامعات أوربا والغرب باسم: Master Aliboron.

وقد أقام المتحف الجيولوجي بجامعة موسكو تمثالا للبيرونى والبيرونى صاحب المؤلفات العربية التى قدمت علمه فى تقنية وعلمية يقف تمثاله بين تماثيل علماء الجيولوجيا هناك مشيرا الى مؤلفاته التى جاءت باللغة العربية وأفادوا منها.

وان جامعة لينتجراد فى روسيا - وجامعة برنستون فى الولايات المتحدة الامريكية يقوم العلماء فيهما بدراسة أبحاث البيرونى وغيره التى جاءت فى اللغة العربية فى تقنية ولغة علمية - كما يقوم علماء الغرب كذلك بدراسة الأبحاث العلمية التى ألفها مشاهير علماء العرب[11].

وإن جامعة برلين بألمانيا قامت بدراسة أبحاث البيرونى التى كتبها باللغة العربية بل إنها حققت كثيرا من مؤلفاته تحقيقا علميا دقيقا وقدمتها مطبوعة فى لغتها العربية وذلك شهادة للغة العربية بدقة المصطلحات العلمية. وإن أكاديمية العلوم السوفيتية اصدرت مجلدا عن البيرونى وأبحاثه ومؤلفاته التى هى باللغة العربية، وقد أصدرت الهند مجلدا بعنوان «المجلد التذكارى للبيرونى - باللغات: الانجليزية - والفرنسية، والايطالية والاردية وحوى هذا المجلد كثيرا من أبحاث البيرونى فى الفلك والرياضيات وحساب المثلثات والكيمياء والجغرافيا - وهكذا مازالت العربية فى مؤلفاتها مصدر عطاء، وإن عبقرية العربية وسيكلوجية الناطقين بها هى التى مكنتها من أن تكون لغة العلوم والتقنية وهى التى منحتها الحيوية عبر العصور وجعلتها تستوعب الفكر العلمى بمناهجه ومباحثه ومصطلحاته.

وقد اهتدى علماء العربية القدماء الى الأسس التى تضع أيدى علماء العربية المحدثين على المفاتيح التى تفك مغاليق مصطلحات العلوم الحديثة وتضع مصطلحات لأسماء المخترعات وتمكن العربية من أن تظل لغة التقنية والعلوم كما كانت[12] حيث ارسوا أسس علم تخليق الصيغ عن طريق التمرينات والمخترعات الذهنية التى يمكن أن تكون أساسا لتخليق صيغ ووضع المصطلحات الخاصة بالمخترعات والمبتكرات العلمية المتجددة فى كل عصر[13].

كما أن العربية نفسها اتبعت طريقين فى إنسال الصيغ التى يتطلبها الاستعمال اللغوى لوضع المصطلحات أو أسماء المخترعات، فقد اتبعت طريق التحول الداخلى، وطريق الإلصاق.

وإن تبادل الحركات واللواصق نوعان متساويان من دول النسبة اللذان بهما تخلق الصيغ المطلوبة، والعربية تتمتع فى هذا الصدد بقدرة تتفوق بها فى مجال التصريف بأنواعه وتخليق الصيغ ولا أدل على ذلك من تلك المخترعات الذهنية التى جاءت فى التمرينات التصريفية التى تفردت بها العربية، كما أن لها فى المجال الاشتقاقى بطرائقه وقوانينه ذاتيتها المميزة لها.

ففى عملية التحول الداخلى تتغير المصوتات التى تستخرج بها جميع الصور الممكنة التى يتطلبها الاستعمال اللغوى[14] - وإن اللغة العربية تتقدم على أخواتها الساميات بالقدرة على استغلال الجذور الثلاثية فى توليد صيغ جديدة - بل إن ذلك من عبقريتها التى تكاد تتفرد بها[15].

ويعد التحول الداخلى أو التبادل الصوتى من العناصر الصرفية الضرورية التى تمكن اللغة فى حيوية من إنسال الصيغ وتخليق المصطلحات العلمية والفنية المطلوبة وهى ذات أهمية بالغة فى الدرس اللغوى الحديث.

ومما يقوله العالم اللغوى الفرنسى فندريس فى هذا الصدد: «إن التبادل الصوتى عنصر صرفى ضرورى فى أقدم اللغات الهندية الأوربية كالاغريقية والسنسكريتية، ويمكننا ان نقول بأن القيمة الصرفية لكل كلمة فى الهندية الأوربية كانت محددة تحديدا تاما

أو ما يقرب من التام بجرس حركة الاصل، وكذلك الحال فى السامية كما تعطينا عنها العربية هذه الفكرة حتى يومنا هذا»[١٦].

ويضرب على ذلـك أمثلة متعـددة مؤداهـا أن العـربية لديهـا صيغ ليست قليلة استخـدمتها ازاء متطلباتها من الدخيل عن طريق القياس الابداعى[١٧]

ومن الأمثلة التى اوجـدتهـا فى عصر الحـروب الصليبية أنها مثـلا سمت آلة التعذيب (معصرة) - وجمعتها على (معاصير) - وسمت امر الذى يصدر من الجهة المختصة لعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة (ترسيم) وجمعته على تراسيم - وأوجدت مثل - ستاق ورسـاتيق - وبـركـوس لنوع من النوع فى الايطالية وجمعته على براكيس . . . الخ[١٨].

ولها فى مجال المصطلحات العلمية والفنية فى هذا ما يمـلأ معجـات سواء أكان ذلك فى مجال العلوم الانسانية أم الطبيعية أم التجريبية.

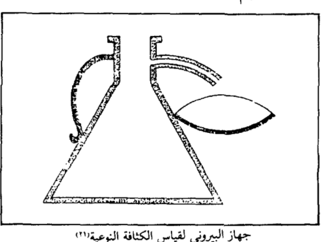
أما الطريقة الثانية التى اتبعتها العربية فى إنسال الصيغ المـطلوبـة للمصـطلحـات العلمية وأسـاء المختـرعـات وغـيرهـا فى عصرها الذهبى وغيره عبر عصـور ازدهـارها فهى طريقة الاستفادة من عملية الالصاق: وهى تلك الطريقة التى اعتمدت فيها على مجمـوعـة من اللواحق والسـوابق والدواخل تلصقها بالجذر أو المادة الأساسية فتمنحها مزيدا من الخصوبة والقدرة على انسال الصيغ والمصطلحات العلمية المطلوبة.

وإذا كان فندريس يربط بين الطريقتين بقوله: «ويشير المصطلح إعراب داخلى» بوضوح إلى أن تبادل الحـركـة يؤدى نفس الـدور الـذى يؤديه العنصر الاعرابى الذى يمكن أن يضاف للكلمة - فإننا نجد العربية فى ذلك تتقدم اللغات الأخرى والامثلة حية فى كل عصورها على نحو ما هو موجود مما تمتلىء به مخطوطاتها فى مختلف العلوم وللعربية فى هذا المجال مع الدخيل والمقيس الابداعى دور متعدد الابعاد[١٩].

ومن الأمثلة كلمة: سربة وهى الفرقة من الخيالة وتجمع على سرب وبطسه وهى نوع من السفن الحربية زمن الحروب الصليبية وجمعت على بطس وبطسات - وبـارجـة وهى نوع من السفن الحربية وجمعت على بوارج وهى من Pargue فى الفـرنسية وبـارك Parc الانجليزية و Partcha فى الاسبـانية وتصرفت معها العربية وفق قوانينها فأخرجتها على تلك الصورة التى اشتقت منها وتصرفت فيها[٢٠].

كما تتمتـع اللغـة العـربية بعبقـرية فى استعمال الكلمات ذوات اللواحق وإن كتاب (**الجماهر فى معرفة الجـواهـر**) الذى خصص البيرونى فيه المقالة الثانية لدراســة الفلزات ليعـطى القـارىء أمثلة لعبقـرية العربية فى هذا المجال وهو بصدد دراسة الفلزات فهو مثلا يقول عن الزئبق (إنه مستخرج من أحجار هى خاماته تحمى فى الكور، كما أن له ابحاثا عن الفلزات مثل الفضة والحديد والنحاس والرصاص وخواصها الـطبيعية والكيمائية من خلال مصـطلحـات وصيغ انسلتها العربية فى حينها استفادها منها علماء الغرب.

يقول كاجورى (Cagory) فى كتابه (تاريخ علم الـطبيعـة): عمـل البـيرونى تجارب لحساب الوزن النوعى - واستعمل فى ذلك جهازه المخروطى الذى يمكن عده أقـدم مقياس للكثـافـة «كما هو موضح بالشكل المرفق» وأثنى جورج سارتون J. Sarton على دقـة نتـائـج البـيرونى وتـرجمت اعـمال البـيرونى بمصطلحاتها من اللسان العربى الى غيره من الألسنة ووضعت لتلك المصطلحات العربية مقابل أعجمى فلماذا يأخـذ المقـابـل الاعجمي ولا نعود الى أصل المصطلح العربى الذى نقل عنه الاوروبيون مصطلحاتهم.



جهاز البيرونى لقياس الكثافة النوعية[٢١]

ولقد سجل علماء الغرب المصادر العربية التى أفاد منها الغربيون وموضوعيتهم فى ذلك ومن الواجب ان نضع هذه وتلك أمامنا ونقوم بدور خلاق يعيد للعربية مكانتها فمثلا يقول مؤلف كتاب (Scholar Ship)

The Technique And Approach of Moslim

ويقول البيرونى فى كتابه «الجماهر فى معرفة الجواهر»

ويأتى بنص من كلام البيرونى فيه من المصطلحات ما يمكن أن نفيده فى هذا المجال ونحن نعيد المصطلحات العربية من خلال رحلتها عبر المؤلفات العلمية عند الغربيين.

ومما هو ثابت فى تأريخ الرياضيات أن علماء العربية هم الذين أدخلوا النظام العشرى فى الاعداد الحسابية اذ كان اليونانيون يستعملون فى العدد الحروف الابجدية للعدد من ١ الى ٩٩٩ ثم يستعملون الشرطه والشولة والنقطة للعد فيما بعد ذلك حتى الآلاف. وكان الرومان يستعملون الاحرف السبعة الآتية: I. V. X. L. C. D. M. للدلالة على الارقام ١، ٥، ١٠، ٥٠، ١٠٠، ٥٠٠، ١٠٠٠ على التوالى ثم يضعون فوقها شرطة أفقية تدل على أن العدد مضروب فى ١٠٠٠ ثم بعد ذلك اخترع الهنود نظام العد العشرى حيث تتوقف فيه قيمة العدد على موضعه فالعدد ٥ على يمين الواحد غيره على شماله وهكذا كما كان عندهم. كذلك أشكال عديدة للأرقام أختصرها العلماء العرب وهذبوها وكونوا منها مجموعتين من الأرقام تعرف إحداهما باسم الأرقام الهندية، أما الاخرى فتعرف بالأرقام الغبارية وفى ذلك يقول البيرونى: «ان الأرقام الهندية والغبارية هى أحسن ما عند الهنود.

ويرى بعض العلماء ومنهم البيرونى أن السلسلة الغبارية مرتبة على أساس عدد الزوايا فرقم (١) يحتوى على زاوية واحدة ورقم (٢) يحتوى على زاويتين وهكذا صورة الارقام على أساس الزوايا كما يلى[٢٢]:

1 2 3 4 5 6 7 8 9

ثم طرأ على تلك الأرقام بعد ذلك بعض التغيرات والتحويرات فأصبحت كالآتى:

1 2 3 4 5 6 7 8 9

وسبب تسميتها بالغبارية هو أن أهل الهند كانوا يأخذون غباراً لطيفاً يبسطونه على لوح من خشب أو غيره، ويرسمون عليه الأرقام التى يحتاجون إليها فى عملياتهم الحسابية ومعاملاتهم الاقتصادية والتجارية.

ويقول البيرونى: والأرقام الهندية هى التى تستعملها بلادنا وأكثر الأقطار الاسلامية والعربية، أما الأرقام الغبارية فقد انتشر استعمالها فى بلاد المغرب والأندلس، وعن طريق تلك البلاد دخلت هذه الأرقام أوربا وعرفت عندهم باسم الأرقام العربية (Arabic Number

وقد دخلت تلك الأرقام العربية أوربا على يد «ليوناردودى بيزا» Leonardode pisa فى القرن الثالث عشر.

كما أنه بفضل مؤلفات العالم الرياضى الفلكى الفذ «الخوارزمى» انتقل الحساب الهندى إلى أوربا وكذلك النظام العشرى فى الرياضيات، حتى عرفت العمليات الحسابية باسم (Alguarismo) نسبة إلى «الخوارزمى» ولكنها للأسف ترجمت حديثا إلى «اللوغاريتمات» أو «جداول اللوغاريتمات» بدلا من «الخوارزميات» أو «الجداول الخوارزمية» كما تسمى بذلك فى بعض البلدان العربية.

كذلك من الأدلة الساطعة التى تبين فضل العلماء العرب على تقدم الرياضيات ما عرفته أوربا عن «الصفر» من كتب الخوارزمى، وهذه الكلمة ترجمة للكلمة الهندية سونيا Sunya أى «خال أو خاو»، وقد ترجمت كلمة «صفر» العربية إلى اللاتينية هكذا :Cifra Cifrum بمعنى الصفر، كما ترجمت إلى اللغات الأجنبية الأخرى هكذا Cifra فى الأسبانية Chiffre فى الفرنسية Cifra فى الايطالية Zyphyr, Cipher فى الانجليزية ثم تحورت اختصاراً إلى Zero ومن الفوائد العظيمة لاستعمال الصفر فى الأماكن الخالية بمختلف درجاتها.

أولا: سهولة حل المعادلات الرياضية بمختلف درجاتها.

ثانيا: فضلت دول أوربا استعمال الأرقام العربية عن غيرها من الأرقام الأخرى.

ثالثا: تقدمت الرياضيات وتطورت فى جميع فروعها. . مما ساعد على تقدم الحضارة وطفرتها العظيمة هذه، حيث إن جميع العلوم الهندسية والكيميائية والفزيائية والكونية. . إلخ تعتمد أساساً على الرياضيات.

رابعا: تبسيط العمليات الحسابية عامة وخلوها من إجراءات أو طرق صعبة ومعقدة.

■ **أما الأرقام العربية ـ التى هى عند الغربيين فإن أهم مزاياها**:[٢٣]

١ ـ أنها تقتصر على عشرة أشكال. . ومن هذه الأشكال يمكن تركيب أى عدد مهما كان كبيراً. حينما نجد أن الأرقام الرومانية تحتاج إلى أشكال عديدة وتشتمل على أشكال جديدة للدلالة على بعض الأعداد، أما الأرقام اليونانية والعربية القديمة فإن عددها كان بقدر عدد حروف الهجاء.

٢ ـ الأرقام العربية أو الهندية تقوم على النظام العشرى، وعلى أساس القيم الوضعية بحيث يكون للرقم قيمتان، قيمة فى نفسه، وقيمة بالنسبة إلى المنزلة التى يقع فيها.

٣ ـ استعمال الصفر فى المنازل الخالية من الأرقام.

وىما يدعونا إلى الفخر والاعتزاز أن الدول الأوربية لم تتمكن من استعمال هذه الأرقام إلا بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها[٢٤].

فالعربية هى لغة التقنية فى العلوم الانسانية بصفة عامة وفى العلوم الرياضية وفى العلوم التجريبية والنهضة الغربية بفضل تقنية اللغة العربية فلماذا لا يقف علماؤنا مثل الوقفة التى كانت من علماء العربية فى العصور الوسطى ايام ابن منظور وغيره من علماء العربية.

وإذا كان الاستاذ نفيس أحمد (Nafis Ahmed) الاستاذ بجامعة كلكتا بالهند يصف البيرونى بأنه أحد عظماء العالم فى التاريخ وهو يحتل مكانة فريدة بين علماء المسلمين إذ هو عالم مؤرخ طبيعى جيولوجى فلكى رياضى كما أنه قد درس التقاويم والطب ويتمتع البيرونى بحاسة جغرافية حاذقة وان ما توصل اليه فى هذا الجانب يستحق اكبر تقدير وان سعة أفقه ووفرة معارفه تثير الدهشة بحق[٢٥] فمعنى ذلك أن مؤلفات البيرونى على سبيل التمثيل التى اخذ عنها علماء أوروبا والغرب بصفة عامة مصدر لتعريب المصطلحات والتقنية على صور المصطلحات التى وضعها الغربيون.

وكذلك ابن سينا والهيثم، حيث يقول الدكتور عبد الحليم منتصر عنه: إنه ثالث ثلاثة ازدهت بهم الحضارة العربية فى عصرهم وازدهى بهم العلم فى الحقيقة من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن الخامس الهجرى[٢٦].

فالطريق الجاد أمام علمائنا ميسور وازدهار العربية منوط بجهد علمائها ولن تعاد لها مكانتها التى كانت إلا من خلال منهج منضح منه أبعاد سياسة دقيقة ذات خطط محددة تحيى تلك العلوم بمصطلحاتها التى ابتكرها علماء العربية فى عصور ازدهارها بفضل عمل علمائها ولن يقل اللاحقون عن السابقين.

بل إنهم سيحققون استنتاجات جديدة لم يهتد اليها غيرهم وذلك بفضل معرفتهم معطيات لغتهم التى هم أخبر بدروبها ومن قبل كانت هناك استنتاجات جديدة كثيرة لنظريات قديمة بسبب دقة اللغة العربية وما تتمتع به من تقنية فى هذا.

٣ ـ استنتاجات جديدة من نظرية قديمة[٢٧]:

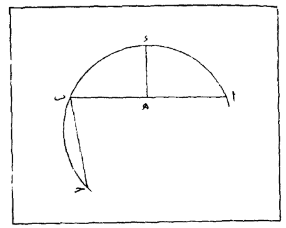
استنبط البيرونى قوانين جديدة من نظرية قديمة لأرشميدس عن الخط المنكسر ا ب جـ المرسوم داخل قوس من دائرة، وذلك **مخطوطه العظيم** «استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها» فإذا نصف قوس الدائرة وهو ا جـ فإن:

ا هـ = هـ ب + ب جـ باعتبار أن د هـ عمود على ا ب (النظرية الأصلية)

ا د٢ + د ب٢ + ا ب . ب جـ (شكل ٤)

د ب٢ + د جـ٢ + ا ب. ب جـ

ا د جـ   ا ب جـ = د هـ. هـ ب



الاستنتاجات الجديدة للبيروني [٢٨]

ثم استنتج العلاقات التالية:
مساحة ا ب حـ = الجذر
التربيعى إلى ح (ح ـ أ ب)
(ح ـ ب جـ) (ح ـ جـ ا)، وكذلك مساحة الشكل الرباعى الدائرى (على أساس رياضيات الهند) وهو يساوى الشكل ا ب جـ ط.

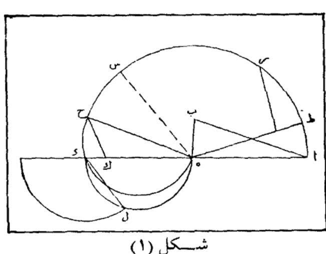
■ وإن ما نراه من نظريات علمية بالتقنية الدقيقة التى تصاغ بالرموز العربية ومصطلحاتها العلمية سواء فى العلوم التجريبية او الرياضيات مما صنعه علماء العربية القدماء لهو علامة على الطريق الذى ينبغى أن نسير عليه.

ومن أمثلة ذلك الطريقة السابقة التى قدمها البيرونى الخاصة بحساب طول الظل حين تكون الشمس على خط الشرق والغرب بدلا من الشمال والجنوب.

الطريقة السابعة: (للبيرونى نفسه)[٢٩]

وهى تحتاج لرصدة واحدة فى أى وقت نشاء، ومنها ينتج الاتجاه المطلوب بعد سلسلة من الرسومات الهندسية.. فإذا كان هـ ا هو طول الظل واتجاهه فى لحظة ما (شكل١) نرسم هـ ب عمودياً عليه، ومساوياً لطول العصا، ثم نأخذ الزاويتين ا هـ ط، ط هـ ز متساويتين لعرض المكان، (٩٠ ـ ب) على التوالى حيث

« ب » اتجاه الشمس عند الشروق فى ذلك اليوم وهو معروف.. ثم ننزل ز ح عمودياً على هـ ط، ونرسم هـ ج موازياً للمستقيم ا ب ونرسم نصف دائرة ج د



شكل (١)

هـ قطرها ج هـ. وبعد ذلك نعتبر هـ د قطراً ونرسم نصف دائرته د ل هـ، ونرسم ج ك موازياً للمستقيم ز ح. ثم نأخذ ك م على استقامة هـ د مساوياً للمستقيم هـ ح. وأخيراً نأخذ الوتر د ل فى نصف الدائرة د ل هـ مساوياً للمستقيم د م، ونرسم هـ س موازياً له فيكون هذا اتجاه الشمال والجنوب المطلوب.

■ وإن علماء الغرب يقومون بتحقيق ونشر الكثير من الكتب النافعة لنا فى هذا المجال وإن نشر النسخة التى كتبها أبو الريحان البيرونى بنفسه والتى انتهى من كتابتها فى محرم عام ٤٢٣هـ والتى كانت تقع فى ٧٠٠ ورقة سبعمائة ورقة والتى هى خاصة بتاريخ الهند قد نشرها المستشرق الالمانى دكتور ادوارد سخا و(ليبزج عام ١٨٧٨م) بعد اطلاعه على النسخ الخطية الموجودة آنذاك.

وقد نشر بجوارها ترجمة انجليزية له فى لندن سنة ١٨٧٩م وقد طبع هذا الكتاب ايضا فى حيدر أباد الركن بالهند وتعددت طباعته بعد ذلك وذلك مما يقدم المصطلحات العربية الدقيقة فى هذا وانظر منذ متى يغترف علماء الغرب من معين علومنا ثم بعد ذلك يرمى أبناء العربية لغتهم بالعقم.

إن هذا الكتاب الذى نشير اليه يتحدث عن النسبة والتناسب وحساب المقاولات والتموين والمسائل الحربية وحلولها والحسابات الجارية ونعطى صورة من محتوى هذا العلم العلمى فى صيغته العربية لنتبين من خلالها كيف ان العربية لغة تقنية وعلم وكيف أفادت كل تلك اللغات التى نقلت من العربية مصطلحاتها وكيف يمكن ان نضع من خلال

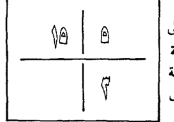
التقابل العلمي المصطلح العربي ونظائره العالمية.

يستهل البيروني المخطوط بـ: بسم الله الرحمن الرحيم.. ثم يقول:[30]:

«النسبة فيما بين المقادير المتجانسة هي صورة من صور الاضافات تحصل لها من جهة الكمية فيعرف بها أحدهما من الآخر إن كان غير معلوم، وما من مقدار إلا له إلى جميع المقادير التي تشاركه في الجنس نسبة ما سواء وقف عليها أو لم يوصل إليها من جهة صورته كالتي بين القطر والدور من أجل الاستقامة والاستدارة إلا من جهة صممه كالتي بين القطر والضلع لأجل التباين، فالنسبة إذن حاصلة أبداً بين كل مقدارين متجانسين حصولا بالاطلاق ثم لا تنحصر بذاتها حتى تصير محدودة أو معلومة إلا إذا ازدوجت بأخرى فوقفت عندها على النسبتين وأقل ما يكون التناسب في ثلاثة مقادير».

ثم يستطرد قائلا: «والهند يسمونها ترى راشيك أي ذات الثلاثة المواضع وراش هو البرج وراشيك هو الموضع من الصورة فإن منجميهم يسمون البيوت الاثنى عشر راشيك وإنما رسموا هذه الثلاثة لأن المعلومات في المعطى منه ثلاثة.

وهم قوم يسلكون في حساباتهم الطريق العددي لتدربهم به ويعولون في تصحيحه على الامتحان واستقراء الأمثلة دون الاشتغال في التعليل بالبرهان الهندسي ويخطون لهذا خطين متقاطعين لتحصل لهم أربعة أمكنة على هذا المثال ويقولون إذا كانت الخمسة بخمسة عشر فالثلاثة بكم تكون؟.. ثم ينقلون الخمسة عشر إلى المكان الفارغ ويضربونها فيما فوقها وهو الثلاثة فتجتمع خمسة وأربعون ويقسمونها على الخمسة فتخرج تسعة وهو الذي يجب أن يوضع في المكان الفارغ حتى تكون الثلاثة بتسعة، وهذا هو الذي نذكره لأن النظائر في الضرب يحصل في هذا التربيع على قطريه.



ولو قسموا الخمسة عشر على الخمسة التي فوقها لخرج ثلاثة وهي مساوية لمقسوم التسعة على ثلاثة فإذا ضربوها في الثلاثة اجتمعت التسعة المطلوبة وذلك أن النظائر في القسمة تحصل على أضلاعه.

■ تلك قطعة يسيرة من نموذج في هذا المجال، يكتشف القارىء من خلالها كيف أن اللغة العربية لغة العلوم والتقنية وكيف أنها أمدت لغات البشر بالمنهج البحثي الدقيق والافكار العلمية بما حوته من مصطلحات ومنهج ونظريات وفكر فهي اللغة التي استوعبت كتاب الله لغة وغاية وما ضاقت عن آي به وعظات ـ وهي التي حفظت للسامية الأم خصائصها بفضل عزلتها في الصحراء التي منحتها النقاء والحيوية. وقد حان أوان الجد لتعود لها مكانتها.

الهوامش

(١) لسان العرب، لابن منظور ج١ ص٤، وانظر كتابنا في علم اللغة التاريخي من ص ١٣، واقرأ عوامل انتصار اللغة العربية على اللغات المتصارعة معها زمن الحروب الصليبية نشر دار المعارف، واقرأ كتابنا أيضا الصراع اللغوي في عصر الحروب الصليبية ـ نشر دار المعارف أيضا.

(٢) انظر مقالة: إحياء التراث العلمي العربي، د. عبد الحليم منتصر، رسالة العلم، سبتمبر ١٩٦٥. وانظر: ابو الريحان البيروني ـ حياته، مؤلفاته، أبحاثه العلمية، د. علي احمد الشحات تقديم د. عبد الحليم منتصر، نشر دار المعارف ١٩٦٨.

(٣) في شهادة هذا العالم الأوربي ما يرد دعوى الذين يقفون في وجه تعريب الطب ـ حيث تسمع من ابناء العربية والمتخصصين فيها وبعض اعضاء مجامعها اللغوية قولهم: ليست المشكلة تعريب لغة الطب وانما تعريب الفكر والابداع.

(٤) قال غيره من العلماء مدة قرون ـ انظر ما جاء في هذا البحث من أقوال علماء آخرين من نحو قول جورج سارتون.

(٥) انظر كتاب أضواء على الفكر العربي الاسلامي ـ أنور الجندي ـ.

(٦) انظر مكانة العلماء العرب في تاريخ العلم ـ د. عبد الحليم منتصر ـ الرسالة العدد ١١١٤ واقرأ مقدمته لكتاب البيروني.

(٧) كتاب أضواء على الفكر العربي الاسلامي ـ أنور الجندي ـ (السابق).

(٨) Jeorge Sattor: Introduction to the history of Science.

(٩) Arabic Throught and its Place in hestory.

(١٠) انظر حضارة العرب: تأليف جو ستاف لوبون، واقرأ: أبو الريحان البيروني، د. علي احمد الشحات (السابق)

(١١) انظر في ذلك: راشيكات الهند ـ للبيروني تحقيق الاستاذ احمد سعيد الدمرداش في مجلة رسالة العلم عدد سبتمبر ١٩٦٢ واقرأ: البيروني ص٣٣٢ وما بعدها.

(١٢) اقرأ التمهيد الذي كتبه «لكتاب التصريف الملوكي لابن جني تحقيقنا ص٥ واقرأ فيه أيضا ص ١٨٧ هذا فصل من البناء والغرض منه عند التصريفيين

الرياضة والتدرب . من ص ١٨٧/٢٢٣ واقرأ من ص٢٣٢/٢٣٦

(١٣) اقرأ التمرينات الخمسة عشر الموجودة ج٣ فى المضف لابن جنى شرح تصريف المازنى - وانظر هذه التمرينات فى كتاب التصريف الملوكى تحقيقنا من ص ١٨٨/٢٢١ حيث نجد ما يشبه الجهاز الآلى التى توضع فيه الكلمة المراد صياغتها على خصائص النطق العربى فتأتيك على النحو العربى الصحيح كما كان ينطقه العربى الفصيح لو قدر له ان يأتى به .

(١٤) انظر فى التطور اللغوى . د عبد الصبور شاهين ص ٣٢/٣٣ واقرأ اللغة، لفندريس ص١٠٩ .

(١٥) اقرأ. د. عبد الصبور شاهين (السابق) ص٣٤ .

(١٦) اللغه لفندريس اقرأ من ص١٠٥ الى ص١١٠ .

(١٧) انظر فندريس (السابق) واقرأ كتابنا فى علم اللغة التاريخى دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى من ص ٢٦١ الى ص ٢٧٨

(١٨) اقرأ نماذج للقياس الابداعى فى هذا المجال زمن الحروب الصليبية فى كتابنا فى علم اللغة التاريخى (السابق) من ص ٢٦٥/ ٢٧٤

(١٩) اقرأ نماذج وأمثلة ابتدعتها العربية وفق قوانينها فى العصور الوسطى زمن الحروب الصليبية واحتكاكها بلغات المعسكرين الفرنجى والاسلامى فى كتابنا فى علم اللغة التاريخى من ص ٢٧٥/٢٧٨

(٢٠) اقرأ فى علم اللغة التاريخى السابق من ص ١٤٢ الى ص ٢٠٠ وتبين كيف كانت حيوية العربية ازاء الدخيل وكيف صاغته وفق اللسان العربى وقواعد الاشتقاق العربية وخصائص صيغها ومقاطعها الصوتية وكيف طبقت عليها قوانينها النحوية .

(٢١) عن كتاب : أبو الريحان البيرونى (السابق) ص ٢٠١ .

(٢٢) انظر ص ١٩٣ من كتاب (أبو الريحان (السابق) .

(٢٣ ، ٢٤) السابق ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢٥ ، ٢٦) اقرأ كتاب أبو الريحان البيرونى (السابق) ص٢٢٩ واقرأ مقالة البيرونى ومكانته فى تاريخ العلم للدكتور جمال بدر وعلم الفلك وتاريخه عند العرب فى القرون الوسطى : (كارلونلينو (روما ١٩١١) .

(٢٧، ٢٨) أبو الريحان البيرونى (السابق)

(٢٩) أبو الريحان البيرونى (السابق ص١١١ .

(٣٠) ملخص من التحقيقات العلمية للأستاذ أحمد سعيد الدمرداش لمؤلفات البيرونى، بتصرف وانظر ص ٨٩ وما بعدها من كتاب: ابو الريحان البيرونى (السابق) .

ابن مضاء احمد بن عبد الرحمن اللخمى

(١١١٨ - ١١٩٦) نحوى، ولد بقرطبة، ومات باشبيلية، تعلم اللغة، والحديث، والأصول، والكلام، والطب، والرياضة، واعتنق المذهب الظاهرى، ولى القضاء بفاس وبجاية، ثم صار قاضيا للقضاة، له شعر ورسائل، أكثر من رواية الحديث، وطبق ظاهريته على النحو، فخالف المشارقة فى آرائهم ودعا الى الغاء نظرية العامل، والتقدير فى العبارات، والأقيسة والعلل، والتمارين غير العملية، فى كتابه «الرد على النحاة» ألف أيضا «المشرق فى اصلاح المنطق» فى النحو، و«تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان» ورد عليه ابن خروف فى كتابه «تنزيه أئمة النحو عما نسب اليهم من الخطأ والسهو» .

ابن معط يحيى بن عبد المعطى

(١١٦٨ - ١٢٣١)، نحوى، ولد بالمغرب، ومات بالقاهرة، درس النحو والفقه على الجزولى بالجزائر، والحديث على ابن عساكر بدمشق، حيث أقام بها طويلا يعلم النحو، ثم دعاه الملك الكامل الى مصر، وعينه مدرسا للأدب بالجامع العتيق، شرح «الجمل» للزجاج، وألف فى النحو «العقود والقوانين» و«الفصول الخمسون» وفى اللغة «المثلث» و«البديع فى صناعة الشعر»، كان شاعرا يسهل النظم عليه، فنظم شرح أبيات سيبويه، و«الصحاح» للجوهرى، و«الجمهرة» لابن دريد، وكتابا فى العروض، وقصيدة فى القراءات السبع، وأول الفية فى النحو «الدرة الألفية فى علم العربية» وعليها تقوم شهرته، واحتذاها ابن مالك فى ألفيته .

اللغـــة العربيـــة

بين يدي الحوارة

(اللغة العربية) هل تحمل بين طياتها قدرا مهولا من المشاكل، أم نحن ـ أهل العربية ـ سبب هذه المشاكل..؟

هل هى لغة دين وعقيدة، وحضارة وثقافة، ينبغي الحفاظ عليها، ام هي مجرد رموز يتخاطب بها الناس وفى مقدورهم إ بدالها بغيرها، أو على أقل تقدير حشوها بما قد يغير جلّ معالمها..؟

إ ذا قلنا بكل هذا أو بشىء من هذا، ترى ما مستقبل هذه اللغة..؟!!

ما يدور فى داخلنا من علامات استفهام حول العربية، وما حسبناه ـ قدر طاقتنـا ـ يدور فى اذهـان الاخرين ايضا، حملناه إ لى المختصين في العربية واهل العلم بها، وأيضا حملناه الى من نظن ان العربية شاغله. وبين يديک عزيزنا القارىء نضع آراءهم ومقترحاتهم.. وبحسبنا الا نقف بالامر الى هنا فحسب، بل أنت ـ عزيزنا القارىء ـ يسعدنا سماع رأيک.. وهو رأي عندنا عزيز.. وإ لى الحوار.

(المنـهل)

اعـداد التحرير

المشاركين فى الحوار

ـ الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائى: عضو عامل فى عدد من المجامع اللغوية.

ـ الاستاذ الدكتور عبد العزيز احمد علام: استاذ علم اللغة والصوتيات بكلية التربية للبنات/ بجدة. له جهرة من المؤلفات فى موضوع اللغة.

ـ الاستاذ أنور الجندي: أحد أعلام الدراسات الاسلامية.

ـ الدكتور غازى القصيبى: من الشعراء المميزين فى العالم العربى.

ـ الدكتور نور الدين صمود: من علماء اللغة والأدب ومن الشعراء المميزين فى العالم العربى.

ـ الأستاذ عبد الله عمر خياط: من المهتمين بالدراسات اللغوية والاسلامية.

ـ الدكتورة نجاة حسن عبد الله نولي: أستاذة مساعدة بقسم اللغة العربية ـ كلية التربية للبنات ـ جدة.

ـ الاستاذ الدكتور محمد الاول ابو بكر: استاذ ورئيس قسم اللغة العربية جامعة بايرو/ كانو/ نيجيريا.

ـ الدكتور محمد بن سعد الدبل: أستاذ مشارك فى كلية اللغة العربية ـ له عدد من الدواوين فى الشعر.

ـ الاستاذ محمد عبد الوهاب جنيدي: القاهرة ـ من المهتمين بموضوع اللغة العربية.

ـ الاستاذ عمر طاهر احمد زيلع: نادي جازان الأدبى ـ من المهتمين بموضوع اللغة العربية.

ـ الاستاذ محمد المنصور الشقحاء: له جهرة من المؤلفات فى القصة القصيرة والشعر.

■ الدعوة الى العامية تؤدى الى تقسيم العرب الى مجموعات لغوية متعددة مما يؤدي بالتالي إلى تدمير التراث اللغوي والقضاء عليه؟.

(المنهل)

●● في المحور الأول من هذا الاستطلاع نجد رأيين متناقضين لدى المشاركين فى هذا الحوار.

رأى يذهب إلى خطورة تبنى الدارجة (العامية) لغة للتعامل، ويدعم أصحاب هذا الرأى ما ذهبوا إليه بمجموعة من الأدلة المساندة والموضحة.

ورأى آخر لا يرى خطورة على الفصحى فى التعامل مع الدارجة، ويفصل أيضا هذا الفريق ما ذهب اليه بالاسانيد الموضحة لمذهبه.

يقول بالرأي الأول الاساتذة: الدكتور ابراهيم السامرائى، الدكتور غازى القصيبى، عبد الله عمر خياط، انور الجندي، الدكتور محمد بن سعد الدبل، الدكتورة نجاة حسن عبد الوهاب، الدكتور محمد الأول ابو بكر.

ويقول بالرأي الثانى الاستاذ: محمد طاهر زيلع. ولا نعدم في آراء المشاركين الآخرين فى هذا الحوار ما يسند أو يعزز رأي الاستاذ زيلع، ولكن

بطريقة فيها الكثير من الحذر. ولا حرج أن نثبت هنا جانباً من تفاصيل حوار الرايين ليستبين الأمر بصورة اكثر وضوحا.

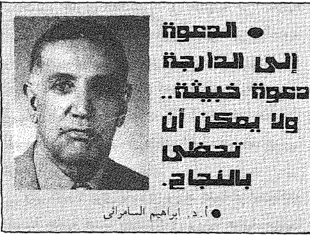
الأستاذ عبد الله عمر خياط: فى قوله بضرورة التمسك بالفصحى يعتصم بظل مجموعة من النصوص يؤكد بها هذه الضرورة، ويسوقها بين يدي القول حيثيات إثبات لما يراه.. من هذه النصوص ما روى عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ عندما لحن الأعرابى فى مجلسه أنه قال: (أرشدوا أخاكم فقد ضل).
ومنها قوله: (رحم الله امرأ أصلح من لسانه) وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لحنكم أشد على من فساد رميكم).
وفوق كل هذا فان الفصحى هى لغة القرآن الكريم، وهذا ما يؤكد ضرورة التمسك بها، ويخلص من هذا الى ان اللغة العربية ليست فقط لغة اداء، ولكنها لغة دين وعقيدة تتحد من خلالها الامة فتتوحد صفوفها.
والعامية فى رأيه خليط غير متجانس، لا تنشر فكراً، ولا تساعد على تعميم معرفة، إضافة الى تعددها وتنوعها حسب القبائل والبلدان.

الدكتور ابراهيم السامرائي: يحمل على الدارجة، ويصفها بانها «ناقصة ليس لها ان تكون وسيلة لنشر المعرفة الحديثة بما فيها من تكنولوجيا وغيرها»، بل عنده «الخوض فيها عبث من العبث».
ونراه يعجب من حماسة «جماعة يدعون إلى العامية يؤلفون فيها، بل ينشرون ـ حسب قوله ـ معجمات، وكتب فى الامثال، ودواوين فى شعر أسموه ـ الشعر النبطي».
وفى استثناء لا يبعده عن غايته يقول «لو أن حماسة هؤلاء انصبت على درس الألسن الدارجة من اجل



● الأستاذ عبد الله عمر خياط

فهم العربية الفصيحة، وما ذهب منها واستبقى في الألسن الدارجة، من اجل فهم العربية الفصيحة، وما ذهب منها واستبقى في الألسن الدارجة لحق لهم ذلك، وكان من وراء هذه الحماسة ثمرة طيبة».
وفي استدراك يقول (ولكن الأمر غير هذا)!!
ومصدر قلقه في ان تجرف القوم حماستهم «لهذه الألوان العامية» لتصبح بديلا «عن الفصيحة».



● أ.د. ابراهيم السامرائي

الأستاذ أنور الجندي: فى مشاركته القيمة فى هذا الحوار نجده قد قصر حديثه فى ضرورة الحفاظ على

اللغة العربية سليمة معافاة، لا سيما وهي من الثوابت لارتباطها بالقرآن، وحمل كثيراً على بعض الكتاب من العرب الذين استهوتهم مقولات الغربيين الداعية دائماً لتحطيم العربية. . ويحدد أهداف اعداء اللغة بقوله: «تمزيق وحدة الامة، وتدمير ذاتيتها، واثارة الشبهات حول ميراثها من القرآن والسنة الشريفة، بهدف فتح الباب واسعاً امام سموم الفكر المادي والعلماني والوثني».

وفيما يتعلق بمقولات التجديد والتطوير والاستجابة للعصر قياساً باللغات الأوروبية يقول: «اللغة العربية تختلف عن هذه اللغات جميعاً وان ما يسمى بـ (علم اللغة) الغربي الذى استخرجه علماء اللغات هناك من تاريخ لغاتهم واوضاعها الخاصة فانه لا يصلح للغة العربية.»

«انهم يهدفون ان يكون مصير اللغة العربية، لغة القرآن، كالمصير الذى لقيته اللغة اللاتينية واللغة اليونانية حين تفككتا إلى لهجات «اصبحت فيما بعد لغات قائمة بذاتها لا علاقة لها بأصلها الأول.

ومن هذا المنطلق فان الاستاذ الجندى يذهب إلى القول بعدم صلاحية مقاييس علوم اللغة عند الغربيين لنا. . ذلك لانها نبتت من فلسفتهم الخاصة باللغة ورؤيتهم لها. . واذا كانت اللغة عند الغربيين مجرد اداة اتصال وتعبير عما يدور فى خلد الانسان، فإنها عندنا لغة عقيدة فى المقام الأول.

الدكتور غازي القصيبي: فى حديثه عن العامية وأثرها السالب فى وحدة الأمة يؤكد على اضرار العامية بوحدة اللسان العربي، وهذا يرجع الى تعدد العاميات ليس فى الأقطار العربية مجتمعة فحسب، بل نجد لكل قطر عاميته، ولا غرابة أيضاً ان نجد اللهجات قد تعددت في داخل القطر الواحد حسب تنوعه القبلي.

وان كان لا يرى بأساً فى وجود كلمة او استخدام كلمة عامية هنا وهناك فى رواية عربية حسب مقتضيات السياق لها.

وفى نفس هذا التوجه نطالع رأي الدكتور نور

● **الدعوة الي ايجاد نحو جديد ضرورة لازمة.**

د. السامرائى

الدين صمود: وفي حديثه عن هذا الموضوع استعرض آراء الطرفين من المؤيدين للعامية باعتبارها «لغة الحياة والمجتمع» وللمناهضين لهذا المبدأ القائلين بان «العامية قاصرة ومحدودة» ثم يركز على قوله «ان العربية الفصحى هى لغة القرآن وينبغى الحفاظ عليها نقية».

الدكتور محمد الأول ابو بكر: أستاذ اللغة العربية فى جامعة باير/نيجريا، يركز بوضوح على ضرورة التعامل بالفصحى حتى فى الحياة العامة، ذلك لان العربية «هى وعاء الفكر والوجدان والثقافة بوجه عام، وهي الوسيط الذى ينصهر فى بوتقته ماضى الأمة وحاضرها ومستقبلها».



● **لا اعتقد ان العامية وحدها ستكون عاملا من عوامل الانقسام والانشطار والتشرذم.. ومعظم اللهجات متقاربة.**

● الاستاذ عمر طاهر زيلع

ويقول أيضاً «اللغة العربية لم تعد موضع اعتزاز العرب وحدهم بل كذلك غير العرب من المسلمين فى آسيا وافريقيا واوروبا وامريكا» ومن شدة تمسك المسلمين الافارقة باللغة العربية ومجاهدتهم فى تعلمها «ان بلغ تقديس المسلمين الافارقة للغة العربية مبلغاً تأنف نفوسهم أن يروا الحرف العربى مطروحاً على الارض دون أن يلتقطوه» ولم يكتفوا بهذا التقديس فحسب «بل اقبلوا عليها تعلماً وفهماً وقراءة

«حديثا»، ويقرر الدكتور ابو بكر في هذا المجال «المستوى العامي للغة العربية لم يعد موضع اهتمام المسلمين غير العرب» ويضيف قوله: «.. وتأسيساً على ما تقدم فان الدعوة إلى العامية تفتيت للوشيجة اللغوية، وتفتيت للوشائج الأخرى..».

الدكتور محمد بن سعد الدبل: يؤكد التوجه الداعي الى رفض العامية «الدعوة الى العامية لجعلها اللسان المبصر عن العلم والفكر والادب، عداء مكشوف، الغرض منه النيل من الاسلام واهله..» و«العامية خروج عن حد الفصاحة والبيان العربي، ووصف العامية بالمعاصرة لا يخولها ان تكون لغة رسمية صالحة للتعبير عن العلم والفكر والادب، ولو صبغت الفاظها بسحنة تقربها الى الفصحى..»

الدكتور عبد العزيز احمد علام: تناول في مشاركته هذه ما يشاع بصعوبة استخدام الفحصى، ويرى في ذلك ان «علاج هذه الصعوبة - المدعاة - لا يكون بهدم الفصحى وهجرها وتنحيتها من مجال الاستعمال اللغوي، وانما يكون بازالة الغيوم التى تحجب الرؤية عن الفصحى، ويتحقق بازالة الغشاوة والشوائب التي تعكر علينا صفاء الفصحى، وتسبب صعوبة التعامل بها..» ويؤكد ان «صعوبة استعمال الفصحى ليس مدعاة الى اقصائها وتركها، واللجوء الى نظام لغوي آخر واهٍ. هو برمته خطر على الفصحى».. «والدعوة الى العامية تعني القضاء على التراث اللغوي، صوتياً، وصرفياً ونحويا ودلاليا، وأدبياً، وتدمير كل ذلك تدميراً كاملا..»

الاستاذ محمد عبد الوهاب جنيد: يقرر «ان العامية لا تصلح ان تكون لغة أدب راق، ويسوق الدليل على هذا بقوله: «ولو كانت كذلك لاستعملها أولئك الذين يدعون اليها في تدوين كتبهم، ولكنهم عند الكتابة الجادة نجدهم يكتبون باللغة الفصحى التى يعيبونها، ذلك لان العامية تتعلق بعنصرين اثنين هما: محدودية الزمان والمكان..».

ويدعو الادباء والكتاب الى «الارتفاع بذوق الناس، وليس الهبوط به، وذلك ملاكه التعود».

فى مطلع الحديث فى هذا المحور صنفنا المشاركين



● الدكتور نور الدين صمود

فيه حسب آرائهم الى نوعين: معارض لاستخدام العامية، وقد سقنا بين يدي القارىء بعض أقوالهم فى هذا، وآخر لا يمانع من استخدام العامية ولا يرى فيها خطراً محدقاً بالأمة ما داموا محافظين على لغتهم الفصحى.

الاستاذ محمد المنصور الشقحاء: فى أول سطر فى مشاركته هذه يقول: «فى نظرى ان العامية لن تؤدي إلى تقسيم العرب الى مجموعات لغوية».

القراءة العجلى لهذا النص تقول ان «المنصور» يناصر العامية، ولكن بقية النص تعطينا خلاف هذا..

اذن لنقرأ هذه الجمل فى الأسطر التالية: «العامية لهجة جبانة» «العامية دافع عنها مهووسون».. العامية «هذه الظاهرة الجبانة» كل هذه النصوص تؤكد ان الاستاذ الشقحاء لا يناصر العامية بل يرميها بحجر، إذ يؤكد ان «العامية لهجة جبانة لا تستطيع تجاوز محيطها الضيق والمحدود» وان تبنتها وسائل الاعلام فى العالم العربى، وان دافع عنها مهووسون أمثال: «...» - «...» الخ.

ويؤكد على قوله هذا بهجوم على وسائل الاعلام ومنها الصحافة بخاصة يقول «.. حيث تحتفل

صحافتنا اليومية والاسبوعية بحوارات وقصائد نطرب لها عند سماعها، ويصيبنا الارهاق فى قراءتها».

وهنا يؤكد ان هذه الظاهرة ـ التى اسماها الجبانة ـ لن تؤثر في البنية العربية ـ ويدعو الى «التوقف . . عن نشر الشعر العامي» هذه المقتطفات التى سجلناها للأستاذ المنصور الشقحاء تمثل وجهة النظر الغالبة عنده ـ حسب قراءتنا لمشاركته هذه ـ إلا أننا نجد عنده ما يشبه الاستثناء لما سبق قوله، حيث «يستثنى» الحوار على المسرح والشريط السينمائى فى ان تكون المخاطبة فيهما بـ(العامية) ويعلل هذا بقوله «لأن هذه الاعمال موجهة الى المجموع اى الطبقة التى غالبيتها عامية، ولابد ان يكون هناك تواصل بين المثقفين والعامة، حتى لا نفقد التواصل، وبالتالي تتعصب كل فئة لموقفها، وتكون العربية هي الضحية!!!

■ وهنا نقف عند رأيين مع الأستاذين عمر طاهر احمد زيلع، ومحمد المنصور الشقحاء.

● الفرق بين العربية ولهجاتها القديمة كان محدودا ومحصورا في مجموعة ظواهر صوتية.

● أ. د. عبد العزيز احمد علام

الاستاذ عمر طاهر احمد زيلع: يحدد مجموعة من منطلقات الدعوة الى العامية منها: محاولة اضعاف لغة القرآن، وهذا تبناه المستشرقون ـ حسب رأيه ـ وآخر قومي وإقليمى، . وثالث فني أدبى.

وفى هذا المجال الاخير تتبع الاستاذ زيلع مجموعة من الاقوال والآراء للمشتغلين بالفن والادب والثقافة ذاكراً بعض آرائهم المؤكدة على استخدام العامية فى بعض جوانب الفنون، كفن المسرح وغيره.

ويمكن ان نقف عند قوله: «ثم برزت اصوات تدعو للاهتمام بالتراث الشعبى، وطبع دواوين لشعر الغناء الشعبى والامثال وحكم العامة» ويقول «. . وهذه دعوات لا تمت بصلة إلى اى هدف فكرى او قومي، ولكنهـا مجرد محاولات لإحياء تراث يهتم به السواد الاعظم فى البلاد».

وبعد هذا القول يقرر: «. . . ولا أعتقد العامية ستكون عاملاً من عوامل الانقسام والانشطار والتشرذم». . ويقرر ايضاً: «. . ومعظم اللهجات متقاربة» ويضيف «. . والآن بفضل التعليم وانتشار الثقافة، أخذت اللهجات المختلفة عند العرب تجنح الى ما هو قريب من الفصحى، اذ صارت معقولة ومفرداتها منتقاة، بحكم الثقافات المركزة والتلاقح الفكري والاجتماعي».

وفى محاولة جادة من الاستاذ زيلع لتأكيد رأيه هذا يذهب الى اثبات مقولة فيها الكثير من الجرأة اذ يقول: «. . الامة الاسلامية مجموعة شعوب مختلفة، والتركيز على اللغة العربية وحدها فيه رائحة قومية بصورة أو بأخرى. . ومن هنا يقع الداعون الى مركزية اللغة العربية فيما يقع فيه الداعون الى الأممية».

ولعل موضع الغرابة فى قوله: «التركيز على اللغة العربية وحدها فيه رائحة قومية». . وهذا رأي لا شك نجعل منه محوراً مفتوحاً للرأي الآخر. . ولا شك أيضا انه من المناقشة ينبثق النور.

محور العامية هذا، طغى على بقية المحاور الأخرى فى هذا الاثراء الفكري، وذلك لانه من الموضوعات ذات الأهمية القصوى الآن. . واظن انه يمكننا الانتقال الى المحور الثاني.

■ تفصيح العامي انطلاقاً من محور ما يتفق من العامي مع الفصيح لفظا وضبطا ودلالة حل لظاهرة ثنائية اللغة..؟

(المنهل)

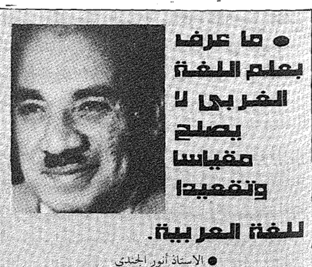
■ «نتحدث بلسان . . ونكتب بلسان» أو ما عرف بـ

(ثنـائية اللغــة)، ظاهــرة فرضت نفسهـا على مر الأجيال، والحـديث والتحـاور فيها يظهر ويختفي، حسب المتطلبـات الـوقتية التى تفـرض نفسهـا فى الساحة، ولعلنا بحاجة الآن لإعادة طرحها.

الدكتور عبد العزيز احمد علام: يقول بضرورة هذا التفصيح، أى تفصيح العامي، ويعتبر هذا العمل «عودة الى النظام اللغوي الصحيح» ذلك لان اللهجة العـامية هى «أخطاء وقعت على ألسنة الناطقين ثم تركت وأهمـل أمـر علاجهـا وتصويبها، ثم شاعت وانتشرت، واصبحت جزءاً من نظام لغـوي استقل عن نظام الفصحى، وصار له وجود لغوي مستقل..»

ويعد عملية التفصيح هذه «... عمل علمي لابـد منــه فى دراسـة اللهجـات» لارجـاعهـا الى اصـولهـا.. ويؤكـد هذا بقوله ايضاً.. «ان عملية تفصيح العـامى واجب لغـوي على المسؤولـين عن العربية الفصحى من جامعات ومؤسسات ان ينهضوا به بأسلوب علمي منظم..».

وتؤكد هذا الرأي الدكتورة نجاة حسن عبد الله بقـولهـا: «ان تفصيح العـامي امر مطلوب، وذلك بتـــوضيح اصــول وجـذور بعض الكلمات العـامية للارتقاء بالعامي الى شيء من الفصيح».



● الاستاذ أنور الجندى

الـدكتور غازى القصيبي: يرى أن «قبول الألفاظ الـعـامية ذات الاصــل الفصيح ككلمات فصحى يساعد على زوال ثنائية اللغة» ويرى ان هذا التوجه صحيح ويجب تشجيعه، ولا يرى فيه «ما يهدد الفصحى».

«تفصيح اللسان العامي عمل لا تحتاجه العربية الفصحى» رأي صريح يواجهنـا به الـدكتـور محمد سعد الدبل.

٣ ـ (الفصيـح ـ القيـاسي أو المعاصر ـ العامى) ثلاثة مستويات للتعامل اللغوي في الحياة اليومية الى أى حد يمكن استخدام هذه المستويات؟.

(المنهـل)

■ **الدكتور محمد بن سعد الدبل**: لا يرى مانعاً من استخدام الوحدات الثلاث فى التعبير، ويفصل بقوله «بشرط ان تستخدم كل وحدة من الوحدات فى اتجاه معين».

ويفصل أكثر فيقول «الفصيح فى الرسميات ـ اى المعاملات الرسمية ـ ولغة الفكر والعلم والأدب».

ويسكت تماماً عن استخدام المستويات الأخرى (المعـاصر العامى ـ والقياسي)، وان كانت جملته فى اول سطر من إجابته على هذا السؤال يقول فيها (نعم لا مانع) تدلنا على موافقته على استخدام (القياسي ـ والعـامي المعـاصر) إلا ان سكوته عن التفصيل كما فصــل فى الأول تجعلنـــا نضــع حديثـه عنـد مجرد الاستحسان، ويؤكد ما ذهبنا اليه هذا قوله فى الاسطر التالية (العامية خروج عن حد الفصاحة) وينعى على كثير ممن اسماهم بـ (المتأدبين).

استخـدام كلمات مثـل (تتمحور ـ تتمركز... الـخ) وهى كلمات فى رأيه عامية صبغت ألفـاظهـا بسحنة تقربها الى الفصحى».

الـدكتـور محمـد الأول أبو بكر: لا يرى مانعاً من استخـدام (المعاصر) وشىء من العامي، ويقول فى هذا (لا بأس ان يحتضن الفصيح والمعـاصر ما يراه صالحاً من مفردات العامي) ويعلل لمذهبه هذا بقوله (.. لما فيه من الدقة والحيوية.. وخاصة ان كثيراً من

مفردات العامي ترجع الى الفصيح).

ويذهب الى القول بمضاعفة (تشجيع استخدام الفصيح والمعاصر فى فصول الدراسة بمراحلها المختلفة، وفى المنابر الثقافية» وفى جملة تحذيرية يقول: (دون خلط الفصيح او المعاصر بالعامي) وهذه نقطة لها أهميتها، وان كان هو نفسه قد أجاز التعامل مع العامي الا انه قد حدد اطاره فيما يثبت صلاحه مع الفصحى.

<u>الدكتور غازى القصيبي</u>: يذهب الى القول بان «القاعدة» الرئيسية هى اعتماد الفصحى وقبول الكلمات المعاصرة التى انتشرت كالتليفزيون مثلا.. ونحت كلمات عربية من الاصل الأجنبى يظل مقبولا فى حدود الاستثناء الذي لا يغير القاعدة العامة.».

<u>الدكتور عبد العزيز أحمد علام</u>: «.. الواقع اللغوي اليوم فى الوطن العربى يتكون من هذه المستويات اللغوية الثلاثة» وبناء على هذا الواقع فانا نجد الدكتور علام يقول «لا مانع من استخدام مستويات اللغة الثلاثة الفصيح - القياسي أو المعاصر - العامي»، ويضع شرطا لهذا الاستخدام بقوله «على ان يكون كل استخدام في مكانه الطبيعي، ولعله اشتراط يقصد به سد الذريعة، وبهذا ايضاً يضيق الشقة على العامية، وليس هذه فحسب» بل يضيقها على ما سمي بالعربية المعاصرة أو القياسية التى هي فى رأيه «خارجة عن مقاييس الفصحى» ويذيل هذا بقوله ايضاً «وهى لغة المثقفين اليوم»!!! وهذا القول الأخير منه، هل هو مجرد تقرير واقع، أم إشارة ضمنية الى ان المثقفين اليوم اصبحوا حاطبي ليل، ؟!!!

■ **مجامع اللغة العربية، ترى ما هو الدور الملموس لها؟!**

«المنهل»

- مجامع اللغة العربية على مستوى العالم العربي أصبحت تحيط بها مجموعة من علامات الاستفهام.. ودور هذه المجامع يظل الشغل الشاغل للمهتمين بالعربية، وبخاصة في واقعنا المعاصر الذي تواجهنا فيه مجموعة من الحقائق وفي مقدمتها، ان هذا عصر التقنية هذا عصر لاهث لا يتوقف، وكل يوم يأتينا



● الدكتور غازى القصيبى

بالجديد، وكل يوم ترانا نتداول مسميات جديدة لمكتشفات جديدة ومخترعات جديدة، وترسخ هذه المسميات بعد التعود عليها فى اذهان الاجيال بلغتها التى جاءت بها مستوردة، وننظر الى مجامعنا لتعطينا صبغة عربية أو على اقل تقدير (معربة) لهذه المسميات فلا نجد شيئا.. وهكذا بعد حين تتقلص كلمات العربية وتنحسر امام هذا السيل العرم من المصطلحات والمسميات الوافدة مع كل جديد مستورد من وراء البحار.

كل هذا مضافاً إليه المشكلات التى يعانيها طلابنا أنفسهم من صعوبة اللغة العربية ذاتها ممثلة في علومها الصرفية والنحوية.. كل هذا جعل مجامع اللغة العربية توضع فى قفص الاتهام، كما يقولون.. والرأي حول المجامع العربية نجده بين ذاكر للفضل مثبت للحق، وبين عاتب على المجامع.

<u>الدكتور ابراهيم السامرائي</u>: يتحدث حديث دارس مجرب عن درس اللغة العربية وما يعانيه الشداة والدارسون فى دراستها واستيعابها، ويرجع هذه المعاناة إلى تمسكنا بطريقة واسلوب ومنهج الدرس «الذي مازال قديماً» حسب تعبيره.. وتأسيساً على رأية هذا يقول:

«ان الدرس القديم لمادة النحو ينبغى ان يكون تاريخياً، أى أننا ندرس الكتب القديمة بخيرها

وشرها، ولا نجادل فيها لانها بعض تراثنا».

ومع هذا التمسك الحريص بالقديم والحفاظ عليه، يرى أن يكون إلى جانبه الجديد المنظم منهجاً دراسياً وأسلوباً فى الأداء - «.. ولكننا فى عصرنا مضطرون الى ان يكون لنا نحو جديد يبحث في اجزاء الجملة وتركيب الاجزاء، وما يكون من هذا متصلا بالإعراب، ونقلع عن التأويل والتقدير والنظر الى ماليس هو «علم لغوي» وبذلك يكون لنا نحو جديد يفهمه الدارسون بيسر، فيعربون في ترسلهم وكتاباتهم ولا يرتكبون خطأ..».

واستناداً إلى رأيه هذا يقول عن المجامع «ان مهمة مجامع اللغة عظيمة، وقد كان لها شيء مهم من ذلك، ولكن بين اعضاء مجامع اللغة من لم يدرك اصول المشكلة، فظل أسير العلم القديم».

الدكتور - محمد بن سعد الدبل: يذهب الى ان دور المجامع ينبغى الا يحصر فى مرحلة الدراسة والجمع والحفظ، «فحري بجهود العلماء أن تواكب كل جديد معاصر» واللغة العربية - فى رأيه - غنية ثرة فكما أعطت قديماً بسخاء فهي تعطى الآن بكل ذلك السخاء وزيادة.

الدكتور غازى القصيبى: يحدد أن «المشكلة ليست فى المجامع اللغوية فهى تؤدى دورها بنشاط وهمة، المشكلة أن ما تنتجه المجامع لا يتحول بسهولة إلى اللغة اليومية للكتابة والحديث، ولابد من البحث عن وسيلة تضمن خروج الكلمات من أرشيفات هذه المجامع الى المطابع ومحطات الاذاعة.

● العامية قاصرة ومحدودة ولا تفي بتطلعات الفكر.
د. صمود

الدكتور عبد العزيز أحمد علام: «إن عطاء هذه المجامع يعد قليلا بدرجة كبيرة».. ويرى قله هذا العطاء قياساً بالازدياد المضطرد لمشاكل اللغة، وحجم

● عدم الالمام بالضرورة من النحو يجعل الكلام مر المذاق.

● أ.د. محمد الاول ابو بكر

هذه المشاكل.. وخروجاً من هذا المأزق يرى انه على علماء المجامع اللغوية أن: «يظهروا قوة العربية ومرونتها، ويثبتوا للعالم ان العربية لغة العلوم، وانها قادرة على ذلك كما كانت».

و«عليهم ان يعربوا الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والفلك»، «وعليهم ان يقوموا بحركة لغوية شاملة من اجل تنقية العربية من الدخيل، وذلك بواسطة تعريب الدخيل».

واذا ما اخذنا بوجهة العاتبين جداً على مجامع اللغة العربية يمكننا الوقوف عند رأي الاستاذ محمد المنصور الشقحاء، اذ يقول: «فى نظري ان مجامع اللغة العربية فى معزل تام».

■ كل الذين شاركوا فى هذا الحوار ذيلوا اجاباتهم بمجموعة من المقترحات لتعديل المسار تنحصر جميعها فى:
- الحرص على اختيار معلم العربية للتلاميذ.
- التقيد بالتحدث بالفصيحة مع الطلاب حتى يعتادوا ذلك.
- تجديد درس النحو الصرف وقواعد العربية والأخذ بمنهجية ميسرة تشد الطالب والدارس للغة العربية.
- تعريب العلوم.
- على مجامع اللغة العربية مواكبة تدفق المصطلحات العلمية الوافدة.
- على وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءةالتزام الفصيحة والتعامل معها بيسر، حتى تطرق اسماع الناس بيسر فيتحبيون اليها ويتجاوبون معها، فتصبح اعتيادهم.
●● وفى نهاية هذا الاستطلاع نشكر لكل المشاركين فيه جهدهم هذا وتواصلهم الدائم مع منهلهم وقرائهم.


سمارك
samarec


عيد
مبارك
بمناسبة عيد الفطر المبارك تتقدم
دارة المنهل للصحافة والنشر
بأخلص التهاني الى
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وصاحب السمو الملكي
الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء
ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
والى حكومتنا الرشيدة وإلى الشعب السعودي الكريم
سائلين المولى أن يعيده على الجميع باليمن والبركات

استراتيجية المياه بين العرب وإسرائيل

ملف خاص:

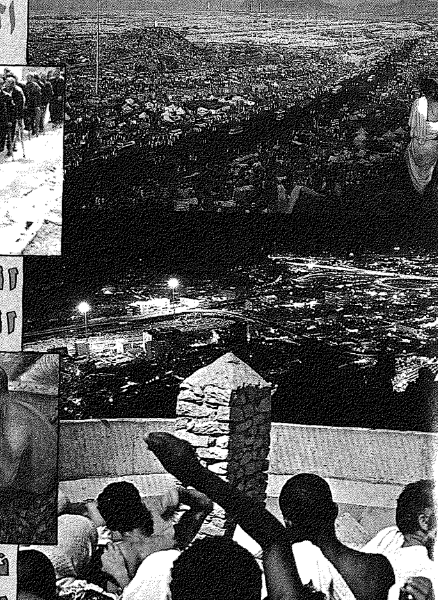
المنهل

ALMANHAL

مجلة العرب الأدبية

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

التعذيب الجماعي كسلاح في الحرب البوسنية





البحر فى الأدب العربي



نحو تفسير جديد لأدب الرحلات



في أيام الحج

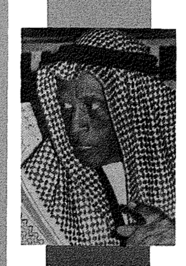
في أيام الحج المباركة نستقبل وفودا كالمطر المنهمر، وكالانهار المتدفقة، وكالشلالات الزاخرة، تتمثل في اخوان لنا كرام، وفدوا، أو يفدون من كل فج عميق الى بلادهم المقدسة، مهوى أفئدتهم، ومعقل أرواحهم، ومطمح أنظارهم، لا لمجرد الفسحة والنزهة وتغيير الهواء، وانما بقصد اكتساب مثوبة الله وعفوه وغفرانه ورضوانه بانجاز احدى فرائضه الكبرى.. التي شرعها لهم في كتابه المنير.. وبقصد الاتصال باخوانهم هنا ليشهد الجانبان منافع لهم.

لا جرم ان هؤلاء الاخوان الوافدين الينا من كل جنس ولون وقطر، انما جمعتهم في هذا الصعيد - البعيد عن أغلبهم والقريب لاقلهم - عقيدة عميقة واحدة، وهدف واحد.. فواجب علينا اذن، أن نستقبلهم بترحاب، استقبال الاخ لاخيه الشقيق الحبيب، بعد طول غياب، وأن نحتفي بهم، وأن نهيىء لهم كل الفرص الممكنة للسعادة فيؤدوا واجباتهم الدينية وواجباتهم الانسانية خير أداء.. راضين مطمئنين منشرحين مستبشرين.

فأما الواجبات الدينية فهي قضاء المناسك في دقة وراحة ويسر، وأما الواجبات الانسانية فهي التعارف والتحاب وعقد أواصر الصلات الاجتماعية والاقتصادية باخوانهم الذين شرفهم الله بالاقامة في هذه البلاد المقدسة بجوار بيته المطهر وبجوار قبر رسوله الأكرم عليه الصلاة والسلام.

عبدالقدوس الأنصاري

صفر ١٣٧٣هـ



المنهل
ALMANHAL
للآداب والعلوم والثقافة أولى أمهات الصحافة السعودية أسسها المغفور له عبد القدوس القاسم الانصاري عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م
المركز الرئيسي: جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي: ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٣٩٠ ت: ٥٤٢٤٣٣٠

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء .. عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها ايات قرانية كريمة واسماء الله الحسنى فضلا عن احاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشـــارة

- تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد اولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب ويشترط فى الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته.
- يرجى فى المقال أن يكون بخط واضح.. ويفضل ان يكون مطبوعا على الالة الكاتبة، والا يكون المقال او القصيدة قد تم نشرها قبل ذلك.
- للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التى تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإ عادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



لقطـة الشـهر

المخـدرات ، داء العصـر، والمـوت المكشـر عن أنيـابـه .. المخدرات ليس موتـا فحسـب ، بل تدمـيـر لطاقـات بشـريـة نحـن فـي أمس الحاجـة لها .. طاقـات تبنـي لامتهـا صـروح مجدهـا وعزتهــا.

سعر النسخـة | السعودية ٨ ريال - قطر ٨ ريال - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - مصـر ١ جنيه - الكويت ٦٠٠ فلس - سلطنة عمـان ٦٠٠ بيسه الامـارات ٨ دراهـم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الاردن ٥٠٠ فلس.



تصــدر فى المملكــة العربيــة السعوديــة ـ جــدة عــن دارة المنهــل للصحافــة والنشــر المحــدودة.

العدد ٥٠٥ المجلد ٥٤ ذو الحجة ١٤١٣هـ ـ مايو ـ يونيه ١٩٩٣م Issue No.505 Vol. No. 54 AL-HEJ. 1413H. MAY.JUN. 1993C.




● خطبة الجمعة فى أحد مساجد الصين




● منصة العروسة فى ليلة زفافها.



● أحد مساجد البهنسا

فــى هــذا العــدد

٠٠٤ متحف ام القرى للتراث (استطلاع مصور) ـ عبد الهادي بلاسي
٠١١ توبة (شعر) ـ أحمد عبد السلام البقالى.
٠١٢ من اسرار الحج ـ د. يس الخطيب.
٠١٦ التيمية والوهابية صحوة اسلامية ـ عبد الكريم غـلاب.
٠٢٠ دراسات فى الحديث النبوى ـ د. عبد الباسط احمد على حمودة.
٠٢٢ الحنين لبيت الله (شعر) ـ كمال عبد الكريم الوحيدي.
٠٢٤ التجربة الشعرية ومشاعر القلق ـ د. محمد الصادق عفيفي.
٠٢٦ من ادب المطارحات الشعرية ـ زكى قنصل ومحمد جواد الغبان.
٠٢٩ بين المجلة والكتاب ـ احمــد جبــر.
٠٣٢ شـذرات الذهب (٣) ـ د. أبو حســام.
٠٣٦ أرواق الأوراق ـ حمــاد السالمي.
٠٣٨ مــن التــراث ـ
٠٤٠ من فضائل مكة المكرمة ـ عاتق بن غيث البلادي.
٠٥٧ مجلة السائح العدد (٦٨).
٠٧٤ نحو تفسير جديد لأدب الرحلات ـ د. عبد العزيز شرف.
٠٨٠ البحر في الأدب العربى ـ د. رمضان بسطاويسى محمد.
٠٨٤ أضواء على الشعر الأموى فى بيئتى ـ د. بهيج مجيد القنطار.
٠٩٢ قراءة فى مسرحيات جورج برناردشو ـ د. عبيد خيرى.
٠٩٧ الحجاز ونجد (قصيدتان) ـ ترجمة احمد عثمان.
٠٩٨ الى إليـزا ـ ترجمة عبد السلام مصباح.
٠٩٩ المؤتمــر ـ ترجمة ابراهيم عبد الله العلو.
١٠٤ بايلونيرودا شاعر الجزيرة السوداء ـ ترجمة د. بهاء لطفى قابيل.
٠٠٠ البوسنة والهرسك فى ضمير كل مسلم (ملف خاص).
١١٠ الاغتصاب الجماعي كسلاح فى الحرب ـ لطيف الحبيب.
١١٧ الاسماء الاسلامية فى البوسنة والهرسك ـ أبو الفتح شرف الدين.
١٢٢ رحلة فى الذاكرة (١٣) ـ د. محمد رجب البيومى.
١٢٦ ابليس فى دم ادم (شعر) ـ د. وليد قصــاب.
١٢٧ مجلة فلسطيننا العدد (٥٨).
١٤١ مجلة هــن العدد (٧٢).
١٥٢ نقطة توهــج.
١٥٣ الحياة الدينية للمسلمين فى الصين ـ وانغ قوى فا.
١٥٨ المرثــــاه.
١٦٢ الوقاية من الامراض فى الحج ـ د. محمد مصطفى السمري.
١٦٦ قاموس الرأى ـ تميـم الحكيم.
١٦٨ مسـك الختـام ـ د. عبد الله حمد.
١٧٠ فهرس الموضوعات التى نشرت فى المنهل عام ١٤١٣هـ.

وكـلاء التوزيـع

تهامة للتوزيع/ جدة: ٦٦٩٥٠٠٠ ـ وكالة الاهرام للتوزيع/ القاهرة: ٥٧٤٧٠٤٤ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشريفية للتوزيع الدار البيضاء: ٤٠٠٢٢٣ ـ شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ ابو ظبى: ٤٥٦٥٠٠ ـ دار الثقافة للطباعة/ الدوحة: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية/ عمان: ٦٣٠١٩١ ـ دار اقرأ للنشر/ الخرطوم: ٤١٨٠٩ ـ الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت: ٢٤٢١٤٦٨.



قبـل الاســلام، كان موسم الحج مؤتمرهم الاكبر. . تجتمع فيه الوفود، وتلتقى القبائل، وتنصب للشعراء والحكماء خيامهم.

ينشد الشعر، وتجري كلماته على الألسن استحفاظاً واعجابا. .

إذن الحج عندهم كان يؤدي إلى غاية يسعون إليها.

في العهـد النبـوى:

كان الحـج موسمـاً لنشر الدعوة الاسلامية فى أوساط وفود القبائل. . لقد كان الحج بالنسبة لهم وسيلة إعلامية لنقل دعوة الحق الى الاصقاع النائية. . ويتدارسون فيه امور دينهم ودنياهم. . .

نعلم ان الحاج مهمته الأولى أداء هذه الشعيرة المقدسة. . فهو إذن صفاء وطهر ونقاء.

والحج فى الوقت ذاته لقاء سنوى متجدد، يؤمه من علماء ومفكري العالم الاسلامي وصالحيهم خيرتهم وصفوتهم.

وهؤلاء هم اعمدة الدين فقها وايضاحا وتجلية. . ولعله من الخير كل الخير، لديننا ودنيانا أن تجعل هذه العصابة الفاضلة لقاء بينها يتكرر كل عام فى هذا المكان الطاهر، وفى هذه الايام مستجابة الدعاء.

هذا اللقاء يناقش ما يجد فى حياة المسلمين، ويطرح بجدية واقع المسلمين، وما ينبغي ان يكون عليه أمرهم.

وهذا أمر لا يتعارض مع المؤتمرات والندوات الرسمية التى تعقـدهـا الروابط والهيئات والمنظمات الاسلامية فى انحاء العالم الاسلامى، بل يزيدها خيراً. . وفضلا.

وكل عام وأنتم بخير. .

رئيس التحرير



غلاف العدد

الحج روحانية وابتهال، ورجاء الى الله سبحانه وتعالى نصر دينه وعباده.. وهناك فى قلب أوروبا مسلمو البوسنة يرفعون اكف الضراعة لله رب العالمين.

نسأل الله ان يعز دينه وينصر عباده.

مجــلاتنا الداخليــــة

مجلة السائح العدد «٦٨»

● محطـات ســياحية ٥٨
● البهنسا أرض الفتوحات
محمد حمدي السنباطى ٦٠
● بروناي.. لؤلؤة النهر ودار السلام ٦٦

مجلة فلسطيننا العدد «٥٨»

● لنكـن صرحـاء ١٢٨
● طفل من عبق التاريخ.
محمد فؤاد محمد ١٢٩
● اسرائيل والمياه العربية
زاهدة عويس ١٣٠
● فارس الامل (قراءة فى ديوان)
أيمن ميـدان ١٢٥

مجلة هن العدد «٧٢»

● بيننا كلمـة (الحياة شركة)
هنـد هرسـانى ٤٢
● الحج فى القصيدة العربية
هيـــام فتحـــي. ١٤٤
● إلى السيدة الجميلة
محمد عبد الواحد حجازى. ١٤٨
● أوراق زوجية
أبو عواد/ أم عمرو. ١٥٠

الاشــتراكات

● قيـمـة الاشـتـراك الـسـنـوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال.
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

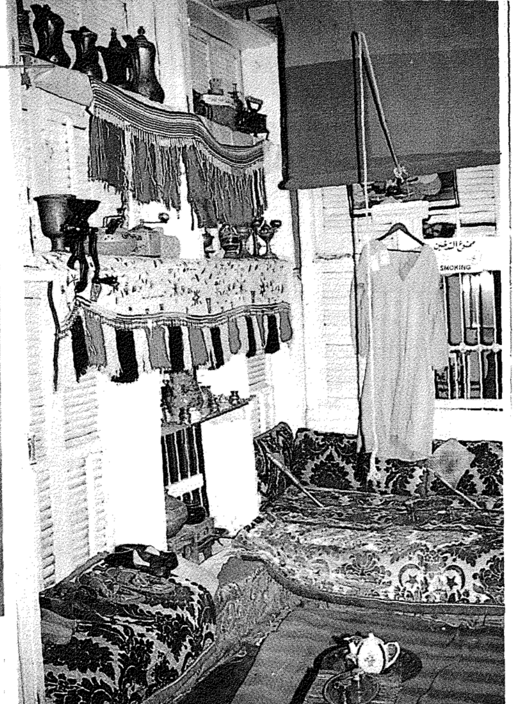
استطلاع مصور

متحف

● منظر عام للديوانية وتظهر حنفية السلطان عثمان نو

● حسن خوجه يحول
● متحف أم الغرى

● متحف أم القرى



● المقعد واحد من الصور التراثية القديمة فى مكة المكر

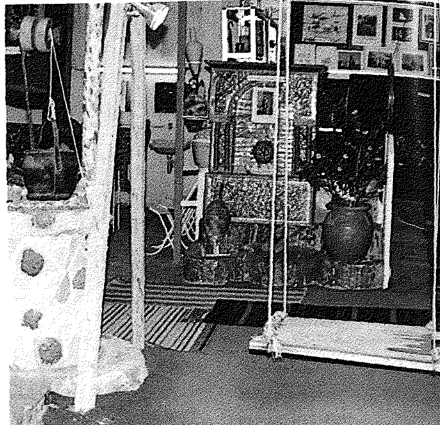
مما لا شك فيه أن للمتاحف دورا كبيرا فى الحفاظ على التراث، فهى تحول الماضى السحيق إلى حاضر ملموس ومشاهد بعد أن عفا عليه الزمان وأصبح فى طيّ النسيان.

كما أنّ للمتاحف أهميتها الكبرى بالنسبة للتاريخ، فهى مرجع للدارسين والمهتمين بالتراث والتاريخ، فهم يرجعون اليها فى بحوثاتهم لينهلوا من معينها، ويكتشفون ما فيها من أصالة الماضى وحضارات الأمم السابقة. بل ويبنون عليها نتائجهم العلمية والتاريخية.

وهناك تلازم وتوافق بين علماء الآثار وعلماء التاريخ ، فالتاريخ فى معناه الواسع عرض منظم مكتوب للأحداث وخاصة تلك التى تؤثر فى أمة أو نظام أو علم أو فن وهو لا يسجل الأحداث الماضية باعتبارها خطوات فى التقدم البشرى فحسب بل يسعى إلى ايضاح اسباب هذه الأحداث ودلالاتها ويعرضها على نحو يدل على تشابكها معاً فى قصة واحدة .

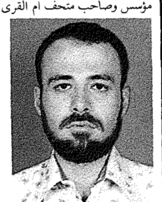
فالمتاحف تعد سجلا مصوراً للاجداد وتاريخهم ليطلع عليه الأحفاد ويكملوا مشوار حضارتهم .

أم القرى للتراث



١٣٠٤هـ، وفى اليسار يظهر كيفية استخراج الماء من البئر. . وترجع الصوره الى عام ٠٠ ١١ م.

● الاستاذ حسن محمد خوجة مؤسس وصاحب متحف ام القرى.



اعداد: عبد الهادي بلاسي - جدة -

القرى، لقد حوّل الخيال إلى حقيقة، فهو يقدم للأبناء ماضى مكة العريق المندى بقطرات زمزم المباركة، لتشاهده الأجيال المتعاقبة.

موقع المتحف:

على بعد عدة كيلومترات من

منزله إلى متحف أثرى.

المكرمة يحتوى على أكثر من ستة آلاف قطعة أثرية.

رة مجسمة للحياة قديما فى مكة المكرمة.

وبما أن لأم القرى - مكة المكرمة - مهبط الوحى وقبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم - ماضيها المشرق وحضارتها الزاهرة على مرّ القرون والأعوام فإن فيها من الآثار الاسلامية والعربية القديمة ما يجعل المهتمين بهذا العلم يبحثون وينقبون لاخراج تلك اللآلىء الأثرية من هذا البلد الآمن، والاحتفاظ بتلك الآثار، والقيام على العناية بها، وتقديمها فى متاحفهم ليشاهدها كل زائر ومقيم فى مكة المكرمة.

وسعد «المنهل» بأن قام بزيارة متحف أم القرى بمكة المكرمة لصاحبه عاشق التراث الأستاذ حسن محمد خوجة. . وقد حوّل منزله الى متحف أثرى يحمل ذكرى خالدة عبر التاريخ، تاريخ الآباء والأجداد والأمجاد. . تاريخ أم

الحرم المكى وبالتحديد فى (النوارية) خلف الدفاع المدنى يقع متحف أم القرى التراثى فى منزل كبير يضم ستة آلاف قطعة أثرية مكيّة قديمة.

جولة داخل أروقة المتحف:

يعدّ متحف أم القرى عملا نموذجيا لحفظ التراث، فهو يتكون من صالة خارجية وعدد من

الحجرات مملوءة كلها بالقطع الأثرية النادرة ومرتبة ترتيبا تصاعديا حسب التقادم الزمنى، ومصنفة تبعا لنوعيتها واشتراكها تحت مسمى واحد.

وبصحبة الأستاذ/ حسن خوجة صاحب ومدير المتحف كانت جولتنا داخل أروقة المتحف لشرح وتوضيح تاريخ ومفهوم كل أثر موجود فى متحفه العريق، فهذه مجموعة من الأبواب الخشبية القديمة المزخرفة بالزخارف الاسلامية اليدويه والتى كانت تستخدم فى بيوتات مكة المكرمة فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الهجرى، نلاحظ فيها عراقة الماضى وأصالته ممزوجة بفخامة الحاضر وحضارته، ثم نعرج إلى (الديوان) والذى ينقلنا من حاضرنا الى الماضى البعيد حيث الحياة المكية القديمة، إذ يحتوى الديوان على مجموعة من الصور والوثائق التاريخيه والتى تمثل لنا الحياة فى مكة قديما ومنها:

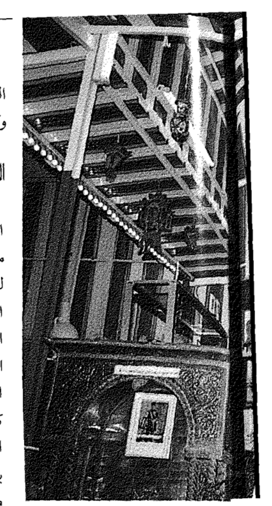


● الديوانية وفيها الوثائق التاريخية.

الصور الفوتوغرافيه:

- صورة لموقع بيت السيدة خديجة - رضى الله عنها - قبل التوسعات للحرم المكى فى زقاق الحجر.
- صورة لبيوتات مكة القديمه فى شعب عامر، بأصالتها القديمه حيث الرواشين والمشربيات والزخارف العربية الاسلاميه، مطلة على الحرم المكى.
- صورة للحرم المكى عام ١٢٩٧هـ.
- صورة للمحمل المصرى وهو يغادر مصر حاملا كسوة الكعبة المشرفه عام ١٣٤٣هـ، وأخرى للمحمل المصرى وقد وصل مكة المكرمه وفى استقباله أهل مكة مع واليهم فرحين بقدوم كسوة بيت الله الحرام.
- وهذه صورة أخرى للحرم المكى وقد نصبت حوله خيام الحجاج فى حج عام ١٣٤٥هـ وتلك صورة للمروة والحلاقين يحلقون على درج المروة للمعتمرين والحجاج عام ١٣٦٦هـ.
- صورة للكعبة المشرفة فى ١٨ رجب ١٣٧٧هـ، وأخرى فى يوم سيل الأربعاء ١٣٨٨/١١/٤هـ وقد وصلت مياه السيل الى منتصف الكعبة.
- وهذه صورة للحريق الذى شب من (أتريك) معلق بدكان فى الشامية ليلة الاثنين ١٤ محرم ١٣٧٨هـ والذى تسبب فى حرق ٤٤ منزلا و٤٧ دكانا.
- صورة لباب الكعبة فى ١٣٨٨/١١/٤هـ، وأخرى لمكان مولد النبى ﴿ﷺ﴾ وهو الآن مقام عليه مكتبة مكة المكرمه.

وغير ذلك من الصور الكثيره التى تمثل لنا الحياة الملكية قديما وبالأخص فى الحرم المكى حيث بئر زمزم وعليه الدلاء والشبكة المعدنية فى عهد الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - والحجر الأسود ومقام ابراهيم كل ذلك قبل التوسعات الجديدة فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله -.



الاثـار الصخريــه:

وقد تم الحصول عليها من جبال مكة المكرمه وهى نوعان: أحدهما منحوت بفعل الطبيعه ولا دخل للانسان فيه على أشكال مختلفة من الحيوانات، والآخر نحته الانسان ونقش عليه آيات من القرآن الكريم لتوضع على المقابر وكانت تسمى قديما بالشواهد.

المـــوازين:

نشاهد مجموعة مختلفة من الموازين التى كانت تستخدم فى مكة المكرمه فمنها الميزان القبانى لوزن الأحمال الثقيله ومنها الميزان الوسط لوزن المأكولات والمشتريات الخفيفة ومنها الميزان الحساس لوزن الذهب والفضه وترجع كلها الى القرن الثالث عشر الهجرى حيث كانت الاوزان بالأوقيه ونصف الأوقيه وربع الأوقيه والمكاييل بالكيله ونصف الكيله وربع الكيله وربع الربعة.

المفارش المكيــة:

تحتوى الديوانيه أيضا على مجموعة من المفارش والأرائك والمساند التى كان يستخدمها أهل مكة قديمة ومنها الكرويته والسجانى القطيفه الحمراء أم طير والمساند أم طير علاوة على مجموعة من السجاجيد المطرزة والمزخرفة بالزخارف البدوية القديمه وكانت تصنع من أصواف الأغنام وشعور الابل.

تطور الاضـاءة:

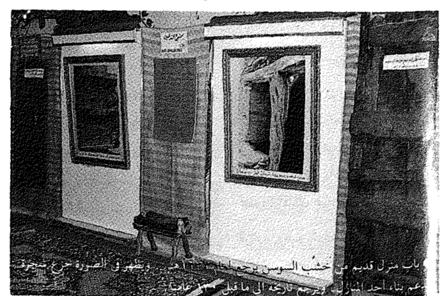
كما تمثل لنا الديوانية تطور الاضاءة فيما بين القرنين الثانى والثالث عشر والرابع عشر الهجرى بدء من الفانوس وانتهاء بدخول الكهرباء، فالاضاءة أول ما بدأت فى مكة كانت فى الحرم المكى بالفانوس ثم تطورت الى القنديل وهو إناء على شاكلة زهرية يوضع فيه الزيت وفى اعلاه قطعة من القماش للاضاءة طوال الليل ثم كانت الشمعدانات ثم المسارج المعلقه ثم القمرية وكانت تعمل بالجاز الى أن كان **(أتريك البلديه)** القديم ثم المجدد فإلى دخول الكهرباء.

الالات الصناعيــة:

تحتوى الديوانية على مجموعة من الآلات الصناعية المستخدمة قديما فى مكة أدوات النجار من منشار كبير والدقماق والفاره، وأدوات القطان لغزل القطن وفرزه وأدوات الزراع من محراث لحرث الأرض وسواق لرى الزرع وكلها ترجع الى عام ١٣٥٠هـ.

زاد المســافر:

توضح لنا الديوانية الأدوات التى كان يستخدمها أهل مكة قديما فى سفرهم كالشداد والخرج والحصقل والمزوده لوضع المأكولات



باب منزل قديم من خشب السوس يرجع لعام [illegible] هـ. ويظهر فى الصورة جزع شجرة دعم بناء أحد المنازل ويرجع تاريخه الى ما قبل [illegible] عاما.

والمشروبات والأدوات المستخدمه فى السفر والترحال.

كما يوجد فى الديوان مجموعة من القلال للشرب المصنوعه من الطين والفخار وهى مختلفة الأنواع فمنها المصرية واليمنية والتركيه واليونانية، فالديوان تشخيص للحياة القديمة فى مكة المكرمة وأما عن بيوتات مكة من حيث البناء والأشكال وما كانت تحتويه من متاع وأثاث، نجد ذلك كله فى المقعد.

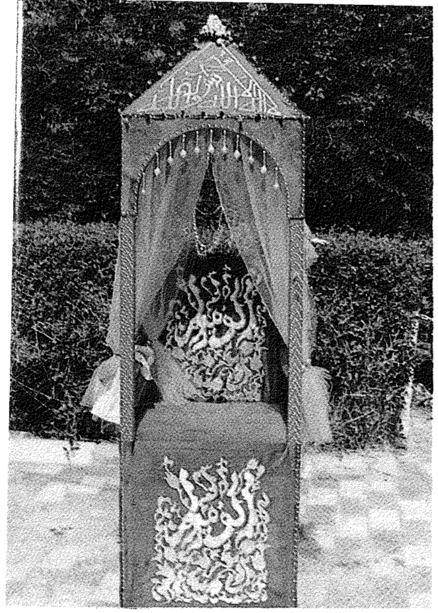
المقعد:

«وهو عبارة عن مجسم قديم للبيت المكى يتكون من طابق واحد يوجد بأعلاه رواشين ومشربيات لدخول الهواء داخل المسكن، وكان يبنى بالطوب اللبن، ويحتوى بداخله على جميع مستلزمات الحياة من أريكة للجلوس عليها وسرير به ناموسية مصنوع من جريد النخل والمركب لطهى الطعام وبه قدور نحاسيه وحجرية وكانون وملاعق خشبية كما يحتوى على ابريق نحاسى ولمبة تعمل بالجاز وملابس قديمه ومجموعه من الكتب الدراسيه وغير ذلك مما كان موجوداً فى المنزل المكى القديم، ويرجع ذلك كله إلى القرن الثالث عشر الهجرى».

■ ومن خلال تجوالنا داخل اروقة المتحف نصل حيث البيع والشراء الى:

السوق الصغير:

يصور لنا السوق الصغير صورا



● منصة العروسة فى ليلة زفافها.

من البيع والشراء قديما ويحتوى على مأكولات شعبية قديمه ومجموعة من الأدوات والأوانى التى كان يستخدمها بائعو الحلوى والآيس كريم (الدندرمة) قديما وتطور صناعتها وأوان من الفخار لبائعى اللبن ترجع الى عام ١٣٤٥هـ.

المخطوطات والصحف القديمه:

كما يحتوى المتحف على مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة من العهد العثمانى، كتبت عليها آيات قرآنية ووثائق تاريخية ومنها مخطوط كتب عليه القرآن الكريم كاملا عام ٨٤٠هـ وآخر مكتوب عليه رسالة النبى ﴿ﷺ﴾ الى المقوقس ملك مصر.

بالاضافة إلى أعداد قديمة من الصحف والجرائد والمجلات والكتب التى كانت تصدر قديما فى مكة المكرمة.

صور الامراء والملوك:

يحتوى المتحف على مجموعة كبيرة من صور الملوك والأمراء ومنها صورة الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ وهو شباب، صورة لجلالة الملك فيصل رحمه الله عام ١٣١٤هـ.

متحف أم القرى
بمكة المكرمة
ت ٥٢٠٠٥١٦ فاكس ٥٢٠٢٧٩٨

دعـوة

صاحب السعادة رئيس تحرير مجلة المنهل حفظه الله
يسرنا تشريف سعادتكم لنا بزيارة متحف أم القرى بمكة المكرمة للإطلاع على معالم مكة المكرمة في الزمن الماضي وتاريخها العريق الحافل بتراث الآباء والأجداد الأمجاد. وهذا المتحف هو نواة لإبراز موجودات أم القرى وآثارها العظيمة نأمل كرم سعادتكم بقبول الدعوة بالزيارة حسب الوقت المناسب لكم) وبتشريفكم يكون خير دعم لنا وتشجيعاً لأبناء أم القرى

مع أطيب تحيات: أعضاء مجلس إدارة متحف أم القرى
المؤسس
حسن محمد خوجه

مكة المكرمة
النوارية خلف الدفاع المدني

● الجمال وسيلة التنقل والترحال.

قاعة الآلات الطرب القديمـه:

وتضم الآلات الموسيقية التى كانت تستخدم قديما مثل الطار والربابه والمزمار والطنبور والقانون وشنطة الغناء وأنواع مختلفة من الطبول والاسطوانات الغنائيه وجهاز سماع الصوت وترجع الى عام ١٣٤٦هـ.

الملابس القديمه رجالى ونسائى:

وتشمل مجموعة من الملابس البدوية القديمه للرجال والنساء ومنها الجلباب والقميص، ولبس الأمراء والساسه وحجاب المرأة ونقابها والبرقع والملايا للمرأة العربية عام ١٣٤٧هـ.

■ ومن خلال تجوالنا داخل أروقة المتحف حيث العراقة والأصالة المشوبة بعبق الماضى المندى بقطرات ماء زمزم شاهدنا الكثير والكثير من الآثار التى جاوزت ستة الاف قطعة أثرية كل قطعة منها لها مدلولها وذكراها الخاص بها.

وهذا يدل على مدى المعاناة التى لاقاها صاحب ومؤسس هذا المتحف فى الحصول على هذا الكم من الآثار بمجهوده الفردى.

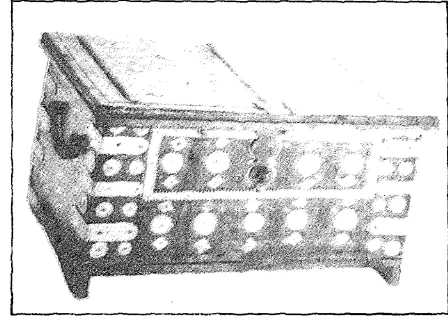
■ وفى نهاية جولتنا بالمتحف كان لنا لقاء مع الاستاذ حسن محمد خوجه صاحب ومؤسس متحف أم القرى بمكة المكرمه، لنتعرف على البدايه الحقيقية لانشاء متحف أم القرى فأجاب قائلا:

- لقد كانت فكرة انشاء هذا المتحف عبارة عن هواية منذ الصغر لجمع الآثار ومع مرور الزمن نمت تلك الهواية حتى صارت حقيقة واقعه ملموسه مع انشاء وافتتاح متحفى هذا فى شهر صفر عام ١٤١٢هـ.

●● بعد تحقيق امنيتكم بافتتاح المتحف نودّ معرفةالاغراض العلمية والتراثية التى يؤديها هذا المتحف؟.

- للمتحف أغراض علمية يقدمها لكل زائر وأهمها هو اطلاع المشاهد على جميع تاريخ مكة العريق والحافل بالذكريات العظيمه التى تحول الماضى إلى حاضر ملموس ومشاهد لكل زائر.

●● مدى إ فادة الدارسين والهيئات العلميه فى هذا المجال من محتويات المتحف؟.



● «كوبر» ويطلق عليه فى القديم (سحارة) لحفظ المقتنيات القيمة والملابس الخاصة.

- يقوم الدارسون والهيئات العلمية بعمل بحوثاتهم ودراساتهم عن الآثار الموجوده بالمتحف للتعرف على طبيعة الحياة فى مكة المكرمة قديما.

●● المتحف يحتوى على ستة الاف أثر قديم فما تاريخ أقدم أثر موجود بالمتحف؟.

- بالمتحف آثار قديمة كثيره ولكن أقدم أثر موجود بالمتحف يرجع الى عام ٨٤٠هـ.

●● سبق أن علمنا أن هذا المتحف قائم بالجهد الذاتى فهل هناك من مساعدات مادية أو عينية لابراز هذا العمل العظيم؟ مع افادتنا عن كيفية الحصول على المقتنيات الاثريه الموجوده بالمتحف؟.

- لقد قمت بهذا العمل بمجهودى الشخصى دون مساعدات مادية أو عينيه اللهم الا بعض الآثار المهداه من الأصدقاء وبعض ابناء مكة المكرمه وكل أثر منها يحمل اسم صاحبه وأما عن كيفية الحصول على المقتنيات فلقد جمعتها من أماكن مختلفه من داخل المملكة ومن خارجها على فترات متباعدة ومختلفة.

●● يتردد على المتحف كثير من الزوار فما نوعية الافراد المترددين عليه ومدى استفادة هؤلاء من المتحف؟.

- نوعية الأفراد المترددين على المتحف مختلفة فهى من جميع المستويات والأعمار من داخل المملكة ومن خارجها، وأما عن استفادتهم من المتحف فيتمثل فى مشاهدتهم لتاريخ أم القرى قديما مجسما ملموسا ومحسوسا أمامهم.

●● هل يقوم المتحف بإ قامة ندوات علمية لشرح تاريخ مكة المكرمة من خلال الاثار المعروضه بداخله؟.

- نظرا لضيق المكان الذى يوجد به المتحف الآن فإنه لم يتم اقامة أى ندوات حتى الآن ولكن أكتفى بالشرح والتوضيح لزوار هذا المتحف عن كل أثر موجود به وبمشيئة الله تعالى مع توسعة المتحف سيقوم المتحف بعمل ندوات ولقاءات حول القطع الأثريه الموجوده بالمتحف.

●● صاحب كل عمل عظيم تواجهه صعوبات فى اتمام واظهار عمله فما هى الصعوبات التى واجهتكم فى إ قامة هذا الصرح الأثرى العظيم؟.

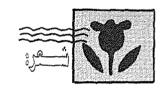
- ضيق المكان المقام عليه المتحف يعد من أهم الصعوبات التى واجهتها فى إقامة هذا المتحف حيث حولت منزلى الذى أقيم فيه الى متحف أثرى لا يسع جميع المقتنيات علاوة على أن هذا العمل مجهود شخصى فردى وآمل من المسئولين ان يمدونى بما يساعد على ازدهار هذا المتحف وتوسعته.

●● نعلم أن المهمة الاساسية للمتاحف هى ابراز الاثار وتقديمها للمشاهد فهل هناك نشاطات أخرى يقوم بها المتحف؟.

- يقوم المتحف بعمل وتصنيع بعض اللوحات الفنية التى تعبر عن أصالة تراثنا الغالى وتباع لمن يرغب من الزائرين.

■ هذه لمحة سريعة عابرة عن مقتنيات هذا المتحف الذى يعد أحد معالم أم القرى.. والشكر الخالص نحمله للأستاذ حسن محمد خوجة صاحب ومؤسس هذا المتحف متمنين له التوفيق فى سعيه وأداء مهمته هذه.

وبعد.. فلابد للتراث الأثرى أن يخرج الى حيز الوجود ويشاهده الأحفاد.. ويبقى للمتاحف أثرها البالغ فى الأجيال تلو الأجيال.. وكلما بَعُد الزمان تذكرنا المتاحف بما فيها من آثار بتلك الأيام الخوالى.







شعر:
احمد عبد السلام البقالي - المغرب -

دعـا الخلق واستسقـوك غيثا ورحمة
وما منهم الا تضرع باكيـا!

فلم تستجب لما دعوك، وحينما
دعوتك يا ربى أجبت دعـائيا

فأرسلت غيثـا من سمائـك نافعـا
وحققت يا ربى لقومى الامـانيـا

فتهت اختيـالا، والغـرور أصـابنى
لأنـك عنى كنت، يارب، راضيـا

فكف نزول الغيث، وانحبس الحيـا
علينـا! وما كان الـذى انصب كافيا

فراجعت نفسى واكتشفت خطيئتى
وعدت بأوزاري لعفوك راجيـا

فقـد غاب عني ان اسبـح خاشعـا
بحمـدك، ياربي، وأسجد باكيـا

فها أنـا، يا مولاي، جئتك تائبـا
لأرجـوك من داء الغرور شفـائيـا

وأدعـوك أن تحيي بغيثـك ميتنـا
وتـروي من الاحيـاء ما كان صاديا



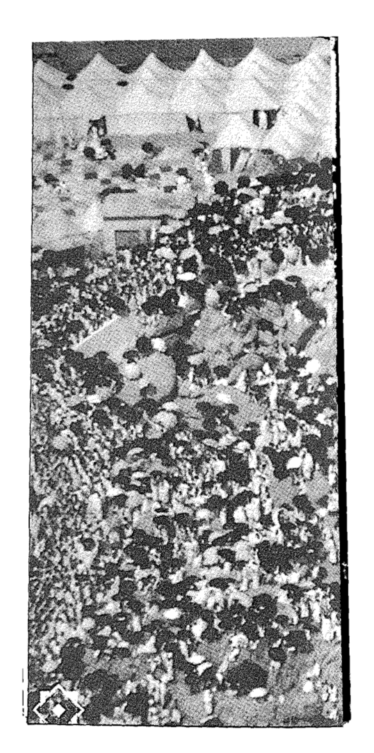
.. وأذن في الناس بالحج:

من أسـرار الحـج..

● الحج في حقيقته العليا تطهر كامل من كل إثم، بل م
عمل الخير وهو قيمة روحية، تظل دائما حلم المسلم وأ

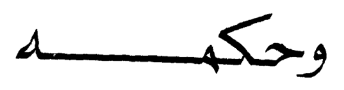
بقلم: د. يس الخطيب

■ للحـج أسرار وحكـم عديدة تفـوق الحصر، والانسـان كلما فكر في حكمة وجد غيرها خيرا منها وأعـظم. فالحكم التي نجـدها في الحج منها ما هو أخـروي يذكرك بالآخرة ويدعوك للتأمل فيها وترك متاع الدنيا وراءك ظهريا، ومنها ما هو عسكري يبين لك مسـيرة الاسـلام مع الجنـدي من أول التحاقه بالجيش الى حين انتهائه منه. ومنها ما هو اجتماعى يدعــوك للعيش في بيئـات مختلفـة وأذواق متبـاينـة



وحكمـــــه

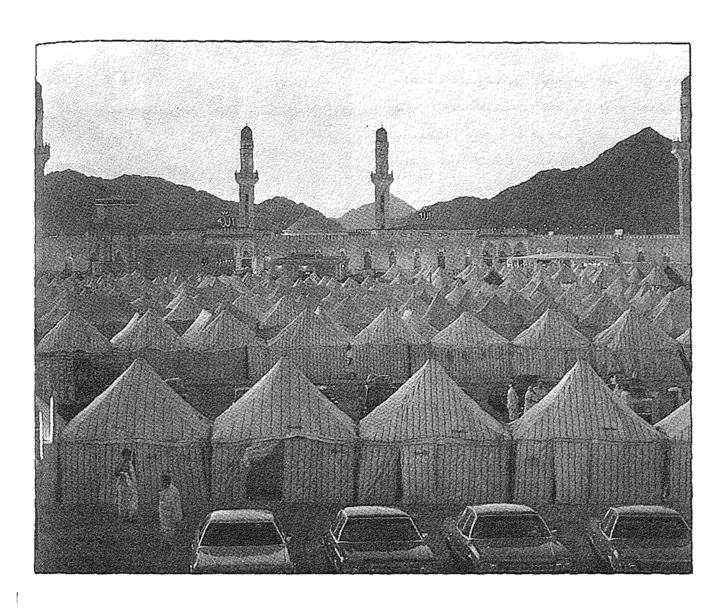
..ل خاطرة تقف بالمسلم دون
..ياته..



... أشكال ... الطعام
والشراب كثيرة، ومساكن متعددة الألوان مختلفة الأشكال ومن مواد لا تعد ولا تحصى. ومن أسراره وحكمه ما هو اقتصادي يريك انتاج الشعوب المختلفة ومصنوعاتهم الملونة ومزارعهم التى تنتج الكثير. فتعقد الصفقات التجارية، وتبرم العمليات المختلفة، ومنها ما هو صحي طبي يبحث فيه المختص عن الجديد في علوم الطب عند الآخرين، ويسأل عن الدواء الناجع لهذا المرض أو ذاك عند المجربين، ومنها ما هو علم ومعرفة حيث تعقد الندوات العلمية في مؤسسات علمية كثيرة كالجامعات وكرابطة العالم الاسلامي، وكذلك تلقى المحاضرات في المساجد وأماكن العبادة ودور العلم والمشاعر وكل ذلك سبيل الى العلم والمعرفة يستفيده الحاج وهو قادم الى هذه الديار الطيبة المباركة، وقد تكون الفوائد هنا متعددة، فقد يتعلم المرء أسلوبا من أساليب الدعوة الى الله على طريقة صحيحة نافعة، وقد يخطر على باله عند أهله سؤال يجد جوابه عند العلماء من اهل هذا البلد، ومن القادمين اليه. . وقد يكون طالب علم يحتاج الى موضوع ليكتب فيه فيجد بغيته عند هذا أو ذاك، وقد يكون لديه كتاب يريد نشره فلا يستطيع فيقدمه الى دار نشر هنا أو هناك. وهكذا. وصدق الله العظيم: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾. واذا أردنا أن نتكلم عن الحكمة الأولى من الحج وهي أسراره وحكمه التى تذكِّر بالآخرة نقول: ان الانسان اذا علم بقرب أجله ـ اذا كان مدركا لمصيره ـ فانه يحاول أن يلقى الله تعالى وليس عليه ذنب لذا فانه يتوب الى الله تعالى توبة صادقة نصوحا، ويرد المظالم الى أهلها، ويتسامح ممن أساء اليهم أو هجرهم، كذلك من أراد الحج عليه قبل الحج أن يقوم بكل هذه الاشياء ليلقى الله تعالى طاهرا من الذنوب نقيا من الارجاس.

ثم يحاول أن لا يأكل الا الحلال الطيب لأنه يعلم ان مانبت من حرام فالنار أولى به، وكذلك الحاج عليه ان يهيء لحجه مالا حلالا لأنه لوحج بمال حرام فقال (لبيك اللهم لبيك) قال الله تعالى له (لا لبيك ولا سعديك).

ثم ان من عرف دُنوَّ منيته فانه يجمع أهله ويوصيهم بتقوى الله ومرضاته والابتعاد عما حرم الله وكذلك من اراد الحج عليه ان يوصيهم بتقوى الله



وطاعته. وعدم مخالفته ومن علم قرب أجله فانه ـ اذا كان عنده شيء يوصى به ـ لابد أن يكتب وصيته وكذلك من أراد الحج فعليه ـ اذا كان عنده شيء يحتاج الى وصية كالامانات للناس او الديون له أو عليه ـ أو كانت عنده مظلمة لأخيه لم يستطع التحلل منها أو كانت عليه كزكاة لم يستطع اخراجها سابقا أو كفارات أو نذور. الخ. فعليه أن يكتب وصية يوضح فيها كل هذه الاشياء حتى يلقى الله وليس في عنقه حق للناس.

ومن جاءه الموت فانه يُعْمَل له الأوراق التى تنبيء عن وفاته وانقطاع صلته بالدنيا، وانه غادر ورحل الى الآخرة، كذلك من أراد السفر لابد أن يعد الاوراق اللازمة التي تسمح له بالسفر ومغادرة البلاد الى بلاد أخرى، وكما لا يسمح للميت بالدفن الا بهذه الأوراق كذلك لا يسمح لهذا الذي يريد الحج أن يسافر الا بعد ابراز هذه الأوراق.

واذا مات الانسان فان أهله يقومون بتجهيزه بما يحتاج اليه من غسل وطيب وكفن ثم يصلى عليه ويدفن، كذلك الحاج اذا ذهب الى الديار المقدسة فانه يغتسل ويتطيب ويصلي ركعتي الاحرام ثم يلبس ثياب الاحرام رداء وازارا بلا جيوب ولا ازرار. تماما كالكفن في كثير من الصفات ـ ليتذكر ذلك الموقف الرهيب الذي ينقله من الدنيا الى الآخرة، واذا كان الانسان الذي يريد الحج يستطيع أن يذكر الله تعالى بالتلبية بعد الاحرام ـ لأنه حي ـ فان الميت لا يستطيع ذلك، لأنه ميت، لكن الجماعة المشيعين يذكرون الله في نفوسهم ليتذكروا ويتفكروا حال الموت وما فيه من أهوال: واذا كان الميت يشيع الى قبره من قبل أهله واقربائه وجيرانه بالعبرات والحسرات والدعوات فكذلك الحال لمن أراد الحج فانهم يشيعونه كما يشيع الميت تماما.

يسير الحاج من الميقات الى مكة المكرمة ليس معه

الا ما أخذه معه من المال فليس معه زوجه ولا أولاده، تماما كما يكون حال الميت، كما وصف الله تعالى **﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾** (الانعام/ ٩٤)، ويقول تعالى: **﴿وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا﴾** (الكهف/ ٤٧).

ثم يصل الحاج الى مكة المكرمة، فيطوف بالبيت ثم يسعى بين الصفا والمروة مقدما الولاء لله الواحد القهار، عالم الاسرار، ومعترفا بألوهيته المتفردة. تماما كما يسأل الميت فى قبره عن التوحيد والنبوة، من ربك من نبيك ما دينك؟ ثم ينام الميت في قبره الى قيام الساعة لكي يحشر مع الناس ليوم الحشر. وكذلك يقيم الحاج فى مسكنه بمكة المكرمة الى يوم عرفة لكي يقف مع الناس. ويأتي اليوم الموعود - يوم القيامة - ويقوم الاموات من قبورهم **﴿يخرجون من الاجداث سراعا. كأنهم الى نصب يوفضون﴾** (القمر/ ٧)، وكذلك الحجاج يخرج كل واحد منهم من مسكنه الذى سكنه. من فندقه، من شقته، من خيمته، يخرجون من كل مكان الى عرفة.

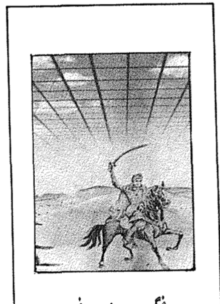
هناك يوم القيامة يقف الجميع امام الله تعالى في استعراض تام يقفون كلهم موقفا واحدا في مكان واحد وفي زمان واحد **﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾** (الحاقة/ ١٨). وفى عرفة (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت) وتتذكر كل نفس ما قدمت، وفى المحشر يوم القيامة تعرض لكل واحد صحيفته فيها كل ما عمل من خير وما عمل من شر، يقول الله تعالى **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾** (آل عمران/ ٣٠)، ويقول تعالى: **﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا﴾** (الكهف/ ٤٨). ولكن الحجاج لا تعرض عليهم صحائف اعمالهم على شكل صحائف كما تعرض على الناس يوم القيامة، وانما هم يتذكرون أعمالهم واحدا واحدا، عملا عملا، ويتحسرون على ما قدموا، لذلك فهم يطلبون من الله العفو والصفح، ويقدمون الندم والتوبة ويرفعون أيدي الضراعة والابتهال: فتوجل القلوب، وتذرف الدموع حسرة على ما فرط الانسان من عمره، وعلى ما أضاع من وقته.

وهنا فى عرفة وهناك يوم القيامة يصيح المقصر **﴿رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت﴾** (المؤمنون/ ٩٩-١٠٠).

وهنا يظهر الفرق جليا بين يوم القيامة ويوم عرفة، اذ يجاب الذين عملوا السيئات يوم القيامة بقوله تعالى: **﴿كلا انها كلمة هو قائلها﴾** (المؤمنون/ ١٠٠) فهذا اذن لم يعط فرصة اخرى للعودة الى العمل، أما أهل عرفة فان الله تعالى يعطيهم فرصة لكي يصححوا خطأهم ويقوموا ما اعوج منهم.

ونترك أهل يوم القيامة مع أعمالهم ونتائجها فريق فى الجنة وفريق فى السعير، ونكمل المسيرة مع الحجاج الذين اعطاهم الله تعالى فرصة ليعملوا صالحا، فماذا هم عاملون؟ اول عمل يعملونه هو انهم يعظمون شعائر الله، فيذهبون الى المشعر الحرام فى مزدلفة **﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام، واذكروه كما هداكم، وإن كنتم من قبله لمن الضالين، ثم افيضوا من حيث أفاض الناس، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾** (البقرة/ ١٩٨-١٩٩). وانظر الى قوله تعالى: **﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾** ففيها ايحاء جميل.

ثم بعد الذكر عند المشعر الحرام والاستغفار يعاهد الحجاج ربهم ان لا يتبعوا خطوات الشيطان فعندما يذهبون إلى منى فأول عمل يعملونه هو أنهم يرجمون الشيطان الذى اغواهم ويتبرأون من ولايته وعبادته، الى ولاية الله تعالى وعبادته **﴿ألم أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم. ولقد اضل منكم جبلاً كثيرا افلم تكونوا تعقلون﴾** (يس/ ٦٠-٦٢). وهكذا يسير الحجاج من طاعة الى طاعة حتى تنتهى اعمال الحج. ويعودون الى اهليهم دعاة مخلصين قد تخلصوا من ذنوبهم وسيئاتهم.

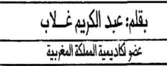


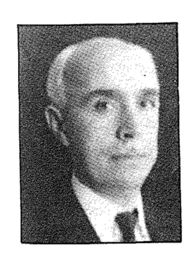
التيمية ..

صحوة إسـ

● حين كانت سيوف التتار تحصد رؤوس المسلمين كان ع
بخلافات هامشية فلسفية وفقهية.

● كتب ابن تيمية واراؤه .. صحوة وجهت المسلم
افرزها الوضع السياسي والفكري انذاك.


بقلم: عبد الكريم غلاب
عضو أكاديمية المملكة المغربية





■ لا نستطيع أن نتابع الفكر الاسلامي فى تطوره دون أن تستوقفنا معالم فى الطريق تؤكد أن هذا الفكر انحدر تحت ثقل اوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية وفكرية وعقدية ثم نهض ليعلن صحوته الموقظة ممثلا فى جماعات أو أشخاص. ولم تكن هذه الجماعات أو الاشخاص نتاج الصدفة، أو نتاج تخلف أو رجعية أو تطرف او نزعة عصابية، ولكنها يقظة فكرية إ سلامية لها ظروفها وأسبابها، ولها منطقها وحيثياتها ولها أهدافها وغاياتها.

ونقف أمام ظاهرتين بارزتين فى التاريخ الفكرى الاسلامى..
الظاهرة الاولى هى التى تجلت فى مدرسة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية.

والرجلان من علماء القرنين السابع والثامن الهجريين وقد حفل عصرهما باضطرابات سياسية خطيرة كانت نتيجة طبيعية للظروف التى عرفنا بدايتها فى العهد الذى نما فيه التصوف، وقد يكون ابن تيمية اعظم رد فعل لعصر التصوف السلبى هذا، بالاضافة الى أنه اعظم رد فعل للظروف السياسية التى سبقت ميلاده وعاصرته فكان ثورة عليها، وكانت اراؤه وكتبه صحوة وجهت المسلمين الى الثورة على الظروف التى افرزها الوضع السياسى.

والوهابية

...سلامية

...مسلمين حينئذ مشغولين

للثورة على الظروف التي

فى القرن السادس الهجرى قامت الدولة الايوبية بصراعها التاريخى ضد الصليبيين حتى حرر صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين بعد الاجتياح الخطير لأوروبا النصرانية لبلاد الشام (وفلسطين على الاخص) وامتداد نفوذهم إلى مصر، وانهى المماليك دولة الايوبيين بعد ان انتابهم الضعف ودب بين أمرائهم الخلاف والشقاق، ولم تكد غزوات الصليبيين الآتية من الغرب تضعف حتى فاجأت العالم الاسلامى غزوات مدمرة أخرى أتت هذه المرة من الشرق، فقد انطلق جنكيز خان يدمر الدول ويهز استقرارها من الصين حتى البحر الاسود وقام حفيده هولاكو بحملات خطيرة على البلاد العربية والاسلامية يقود جحافل من التتار يدمرون ويهدمون المدن فى ايران وعبر الخليج الى البلاد العربية فاستولى على العراق وسقطت بغداد عاصمة الخلافة تحت سلطته، فقتل الخليفة ودمر المدينة وأحرقها، ثم اجتاح التتار بلاد الشام فاستولوا على حلب ودمشق وسائر بلاد الشام حتى غزة وفتكوا بأهلها جميعا، ولم يعرف التاريخ وحشية مثل ما عرفها على أيام التتار، وقد بلغ الصلف بهولاكو أن بعث الى سلطان مصر والشام (المماليك) يطلب منهم الاستسلام والمجيء إليه صاغرين ويقول: فأي أرض تأويكم، وأي طريق ينجيكم وأي بلاد تحميكم؟ فما لكم من سيوفنا خلاص.

كان علماء المسلمين فى ذلك الوقت مشغولين بحوار حاد وخصومات عنيفة حول صفات الله واسمائه الحسنى. وحينما استشار السلطان محمد بن قلوون العلماء والأمراء وأصحاب الفتيا من القضاة والفقهاء فى شأن الزحف التتاري نطق الخوف على لسان بعضهم يشير: بالمسالمة والمعاهدة لأنهم أى التتار أصبحوا مسلمين وأفتى المتحررون الشجعان من العلماء بأنهم بغاة يجب قتالهم، وخرج السلطان وسط أمرائه المتخاذلين الممزقين بالخلافات والاطماع الى قتال التتار فانكسر الجيش وانهزم الامراء وفروا. وسيطر الذعر على السكان ففروا من دمشق ولم يبق فى دمشق الا نفر قليل فيهم بعض العلماء على رأسهم ابن تيمية.

من هنا انطلق الرجل بدعوة الجهاد، ورغم تفوق الجيش التتاري المحاصر لدمشق وعزمه على طحن المدينة كما طحن بغداد وخراسان وكل مدن المسلمين شرق بلاد الشام، رغم ذلك ذهب ابن تيمية الى سلطان التتار المهاجم وفاوضه بالموعظة الجريئة واستطاع ان ينقذ دمشق من الدمار المحقق وأن ينسحب قازان وجيشه بعد ان افرج عن الاسرى وأمن أهل الشام جميعا، ثم هم التتار بمصر ولكنهم تراجعوا بعد ذلك.

لم يترك ابن تيمية النضال لتطهير البلاد من الفساد والضعف والخيانة، بل كون جماعة من المسلحين (ميليشيا) لتأديب الخونة وأنصار الصليبيين والتتار وأبطال البدع والمنكرات وشاربى الخمر والفساق والمشعوذين وزوار قبور الاولياء ودعاة التصوف والمتلاعبين بالسحر والمداعبين للافاعى (تذكروا جامع الفنا) والمرتشين.

لم يكن ابن تيمية عُصابيا ولا متطرفا ولا مهيجا، وإنما كان عالما ومدرسا يلتف حول مجالسه العلمية فى المسجد الطلاب ويناظر العلماء والفقهاء وينصح الولاة ويبصرهم بواجباتهم فى حماية الدين والوطن، ويخرج الى الشارع بأصحابه ليغير المنكر.. ولم يكن المنكر خمرا وفسوقا فحسب، ولكنه كان انهزاما نفسيا امام التهديدات الخطيرة من التتار بعد الصليبيين وكان خذلانا وخيانة للامة الاسلامية من المتآمرين والخونة الذين لم تتخلص البلاد من شرورهم الا بعد ان استطاع الظاهر بيبرس أن يهزمهم في معركة «عين جالوت» بفلسطين قريبا من الناصرة.

ولم يكن ابن تيمية جامدا ولا رجعيا فى فكره الدينى، وإنما كان يرى «أن العقل لا يخالف الشرع» وكان سلفيا يحمل على الاشعرية كلما خرجوا عن مذهب السلف، ويقارع المالكية ولا يتعصب للحنبلية (وهو مذهبه) بل كان يرى أن الامام احمد بن حنبل قد يخطىء فى آرائه الفقهية. وكان مجتهدا فى فهم الكتاب والسنة.

جاهد بالسيف وبالدرس ولم ينس القلم فكتب مجموعة هائلة من الكتب والرسائل والفتاوى، كثير منها كتب صراع ومحاجة ورد على المنحرفين أو من يحسبهم منحرفين، ولم يترك موضوعا اسلاميا مما كان يتحدث عنه العلماء والفقهاء إلا كتب فيه محاولا أن يرد الفكر الاسلامي الى منابعه الاولى ومن كتبه السياسية كتاب يحمل عنوان: «السياسة الشرعية في إصلاح الراعى والرعية».

كان مناظرا قويا وجريئا فى حججه، لا يتوانى عن إصلاح الراعى وهو يحاول إصلاح الرعية، وبذلك جر عليه كثيرا من الحساد والقالين من الحكام والعلماء وقد تآمروا عليه فى مصر فنصبوا له - رسميا - مجلسا للامتحان متهمين إياه فى عقيدته، وانبرى الفقهاء من خصومه ليحاكموه وقد نجا من حكمهم بإعدامه فاكتفوا بالسجن قضى فيه عاما.

لم يقبل أن يتنازل عن أفكاره لقاء الافراج عنه، فلم يكن سجنهواحداً ولكنه كان سجناً واحداً وثانياً وثالثاً.. وجرد فى إحدى محنه من كتبه وكل وسائل الكتابة فما هان وما ضعف وما تراجع.

تمثلت الصحوة الاسلامية فى ابن تيمية لانه عاش فى عصر محنة سياسية وفكرية ودينية، ولانه رأى أن المسلمين يشغلون بالتافه من القول والعمل دون ان ينفذوا الى جوهر الاسلام وحقيقته، وقد أملت عليه كل هذه الظروف صحوته التى تمثلت فى تلاميذه وانصاره من بعده، وما تزال شعله يستضىء بها الصاحون من دعاة الاسلام والمبشرين بأفكاره السليمة.

مات قبل ٦٦٠ سنة وما يزال فكره ينبض بالحياة.

■ نقفز قفزة بعيدة فى التاريخ ونبقى فى نفس المنطقة العربية الاسلامية، وبالضبط فى قلب الجزيرة العربية، وفى نفس المدرسة فقد ترك ابن تيمية أثره القوى فى التاريخ الفكرى، وحينما نشأ محمد بن عبد الوهاب فى بداية القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) فى منطقة نجد بالمملكة العربية السعودية، وجد نفسه امام فكر ابن تيمية فى كتبه ورسائله وفتاويه، وأمام كتب ابن القيم تلميذ ابن تيمية فقرأ منها ما قرأ وهو ينتقل بين مراكز العلم بين مكة والمدينة والزبير والبصرة وبلاد الشام، وكان كابن تيمية داعية جريئا منكرا لما وجد وما رأى..

ماذا وجد؟

ماذا رأى؟

وجد الجزيرة مقسمة الى مجموعة من الامارات الصغيرة على شكل مشيخات قبلية مقسمة الى إمارات صغيرة على رأس كل منطقة منها أمير، حرب دائمة بين الامارات لا سلطة تجمعهم ولا رأي ولا عقيدة ولا دين، بؤس فى المنطقة تكرسه الصحراء التى لا مورد فيها فى ذلك التاريخ، الأمن منعدم بين الذين تتحكم فيهم العصابات وقاطعو الطريق، لا قانون ولا شريعة تحكمهم إلا سلطات الامراء والولاة، ثم حياة الاتكال على غير الله هى السائدة فى المجتمع، كل البلاد الاسلامية العربية التى زارها من الشام والعراق حتى قلب الجزيرة مرتع لتخلف فكرى خطير: الخرافات والعقائد الفاسدة التى تتنافى مع أصول الدين، الاتجاه الى الاضرحة والقبور لحل

مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية فى كل ركن قبر مزعوم لصحابى أو تابعى أو ولى من أولياء الله، إليها يحج الناس ويطلبون حاجاتهم.

رأى ابن عبد الوهاب كل ذلك رؤيا العين وسمع عن وضعية مصر واليمن والعراق وبلاد فارس ما زاده إيمانا بأن المنكر يجب أن يغير.

كرر الشيخ ابن عبد الوهاب مسيرة ابن تيمية فى الدعوة إلى الاسلام بعقل متفتح ثائر على قدر ما تكون الثورة فى قلب الجزيرة المعزولة فى القرن الثامن عشر، حوله تكونت عصبة قوية بإيمانها ونضالها، واخذ يدعو الى توحيد العبودية ومنع التوسل بغير الله، وشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة، والبناء على القبور، وإثبات اسماء الله وصفاته من غير تمثيل ولا تكييف.

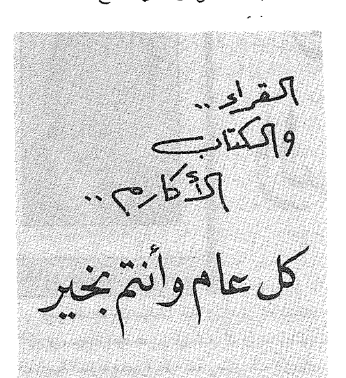
يشتد الحوار ويقوى مع الفئات الجامدة من العلماء، ويستمر فى الدعوة يدرس ويكتب.

وتتدخل السياسة كما تدخلت فى كل صحوة اسلامية، الدعاة لا يتوقفون عند السلطة، والسلطة لا تحتمل دعوة جديدة منكرة للتقاليد والخرافات والتخلف الفكري والسياسى، أخذ يدعو الامراء وشيوخ القبيلة الى ان يتخلوا عن جاهليتهم، أمر احدهم واليه بقتله فلم يقتله ولكنه طرده وأمر حارسه بقتله فى الطريق، نجا واستمر فى دعوته للامراء والشيوخ والقضاة حتى أقنع محمد بن سعود الذى أسهم فى الدعوة وتحالف الامير مع الداعية: السلطة والفكر، توالت الحروب فى الجزيرة حتى انتصر ابن سعود بالسلطة والفكر معا.

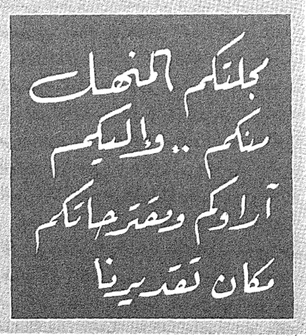
الذى يهمنا من هذا الاستعراض هو أن الصحوة الاسلامية التى عرفها عصر ابن تيمية عرفها ايضا عصر ابن عبد الوهاب، وأنها فى عصريهما لم تكن بدعا فى تاريخ الفكر الاسلامى وإنما كانت صحوة تنبع من نفس المنابع فى الصحوات قبلها: الفساد السياسى والعقيدى والتخلف الفكرى والجاهلية الجهلاء.

الفكر الاسلامى يتجدد بهذه الصحوات رغم الحرب التى تشن عليه بالقلم تارة وبالمدفع تارات.

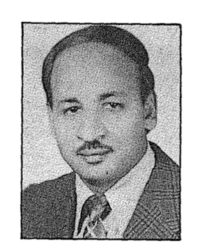
ولن تكون صحوة عصرنا هذا الا فيضا من نبع الصحوات السابقة حينما تتشابه الاسباب وتتفق المقدمات لابد أن نصل الى نفس النتائج.



عيد سعيد .. نسأل الله العلي القدير أن يعيده على المسلمين أجمعين بالخير والبركات.. ولكم جميعا ـ أيها الاعزاء ـ نسوق خالص الشكر والتقدير على كريم تواصلكم العلمي والثقافي والفكري مع مجلتكم المنهل.. املين دوام مشاركاتكم بالكلمة والرأي والفكرة.



من علامات الساعة



بقلم: أ. د. عبد الباسط حمودة - مصر -

ومن قصص النبوة ما جاء فى أمارات الساعة الكبرى، وهذا القصص - كما سبق أن أشرنا - يشهد أن السنة النبوية معجزة باقية بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ لما فيها من الإخبار بالغيب، وتحديد الاحداث التى ستقع قبل الساعة، وتحض المسلمين على التمسك بالله ربا، وبمحمد ﴿ﷺ﴾ خاتما للأنبياء والمرسلين.

وفى هذا القصص من المواعظ والعبر والترغيب والترهيب مالا يدانيه قصص آخر، وهو قصص يعلم البشرية السلوك الحق، واتخاذ المنهج الجاد الذى ينير للناس الطريق ويكشف لهم دروب الأعمال التى تضمن لهم النجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة.

وفى هدى رسول الله ﴿ﷺ﴾ قصص موجز وقصص مطول، فالقصص الموجز يأتى للتنبيه والتحذير أو للتبشير، مثل الذى روى عن أبى أمامة عن رسول الله ﴿ﷺ﴾[1]: (أول الآيات طلوع الشمس من مغربها)، وعن ابن عباس: (طلوع الفجر أمان لأمتى من طلوع الشمس من مغربها).

وعن حذيفة بن أسيد: (يجيء الريح التى يقبض الله فيها نفس كل مؤمن، ثم طلوع الشمس من مغربها، وهى الآية التى ذكرها الله تعالى فى كتابه).

ولكن كيف كانت رحلة الشمس منذ خلق الله هذا الكون، وجعل فيه الليل والنهار آيتين وأقام الشمس دليلا، يروى أبو ذر - رضى الله عنه - أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: (تدرى أين تذهب؟ فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قول الله تعالى: ﴿**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ وعنه أيضا: (تغيب الشمس تحت العرش فيؤذن لها فترجع فإذا كانت تلك الليلة التى تطلع صبيحتها من المغرب لم يؤذن لها، فإذا أصبحت قيل لها: اطلعى من مكانك، ثم قرأ: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك﴾.

وطلوع الشمس من مغربها علامة كبرى على دنو الساعة وانتهاء الدنيا، ومن هنا يتيقن الناس أن ما جاء به الرسل حق، وعند ذلك يلجأ المقصرون إلى الله فيتوب العاصى، ويؤمن الكافر، ولذلك نجد فى القصص النبوى ما يوضح الطريق ويكشف مصير المؤمنين الطائعين، ونهاية العاصين والكافرين.

روى أبو هريرة - رضى الله عنه - فى قصة عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن

آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن وقد انصرف الرجل بين لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسعى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته إلى فيه فلا يطعمها) ويقص علينا رسول الله ﴿ﷺ﴾ موقف إبليس بعد طلوع الشمس من مغربها فيقول: «إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدا ينادى ويجهر: إلهى! مرنى أن أسجد لمن شئت، فيجتمع إليه زبانيته فيقولون: يا سيدهم ما هذا التضرع؟ فيقول: إنى سألت ربى - عز وجل - أن ينظرنى إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم، ثم تخرج دابة الأرض من صدع فى الصفا، فأول خطوة تضعها بأنطاكية، فتأتى إبليس فتلطمه».

وهذه القصة ترسم صورة تبعث على العبرة والخوف حيث تتاح الفرصة للمخلوق فلا يغتنمها ويظل يسوف ويلهيه الأمل حتى يأتى وعد الله، وصور إبليس وهو يخر ساجدا، ويطلب من الله أن يأمره أن يسجد لمن يشاء، ومجىء زبانيته يقولون: (يا سيدهم ما هذا التضرع؟) ويتعلق إبليس بأن الأمل لا يزال قائما حيث قال لله، أنظرنى إلى الوقت المعلوم، تلك هى الحقيقة التى ستقع كما أخبر عنها الصادق المصدوق، وهى تقع للانسان حيث تأتيه الرسل، وحيث يسمع الوعظ والنصائح فيظل معرضا حتى يأتيه الموت فيندم على ما فرط فى جنب الله.

فالمصر على المعصية لا تقبل توبته فى اللحظة الأخيرة، فعن صفوان بن عسال المرادى قال[1]: سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: «**إن بالمغرب باباً مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه**» وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض».

وروى الترمذى عن سفيان: (قبل الشام خلقه الله تعالى - يوم خلق السموات والأرض مفتوحا يعين التوبة ولا يغلق حتى تطلع الشمس منه).

وهذا لا يتعارض مع ما روى عن رسول الله ﴿ﷺ﴾: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) حيث قال العلماء وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها، لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة فى حال من حضرة الموت فى انقطاع الدواعى إلى أنواع المعاصى عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب فى مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت.

وهذه قصة طويلة فى طلوع الشمس من مغربها مروية عن أبى هريرة[3] عن النبى ﴿ﷺ﴾ فيما معناه: (إن الشمس تحبس على الناس حتى تكثر المعاصى فى الأرض ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد، ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد مقدار ليلة تحت العرش، كلما سجدت واستأذنت ربها - عز وجل - من أين تطلع لم يحر إليها جواب، حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يحر إليه جواب، حتى يجلسا مقدار ثلاث ليال وليلتين للقمر، فلا يعرف ما طول تلك الليلة إلا المتهجدون فى الأرض وهم يومئذ عصابة قليلة فى كل بلدة من بلاد المسلمين، فإذا تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى - إليهما جبريل - عليه السلام - فيقول: إن الرب - سبحانه وتعالى - يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فيطلعان من مغاربهما أسودين لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ وقوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ فيرتفعان كذلك مثل البعيرين والفرسين، فإذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهى نصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما وردهما إلى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما، ولكن يغربهما من باب التوبة، ثم يرد المصراعين ثم يلتئم بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما صدع، فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها ما لم يكن قبل ذلك محسنا، فإنه يجرى عليه ما كان عليه قبل ذلك اليوم،

فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً﴾.

وقد قيل[4]: إن الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها أن ابراهيم ـ عليه السلام ـ قال لنمرود: (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر).

وإن الملحدين والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن، فيطلعها الله تعالى، يوما من المغرب ليرى المنكرون لذلك قدرته من أن الشمس فى قدرته، إن شاء أطلعها من المشرق وإن شاء أطلعها من المغرب وعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والايمان على من آمن وتاب من المنكرين لذلك المكذبين لخبر النبى ﴿ﷺ﴾ فأما المصدق فإنه تقبل توبته وينفعه إيمانه قبل ذلك.

وروى عن ابن عباس أنه قال: لا يقبل من كافر عمل ولا توبة إذا أسلم حين يراها، إلا من كان صغيرا يومئذ، فإنه لو أسلم بعد ذلك قبل منه، ومن كان مؤمنا مذنبا فتاب من الذنب قبل منه.

والذى يجعلنا نميل إلى الاتجاه السابق ما قيل: إن الشمس والقمر يكسبان بعد فقدان ضوئهما، يكسبان ذلك الضوء والنور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا من قبل ذلك، يطلعان ويغربان، لما رواه عبد الله بن عمرو عن النبى ﴿ﷺ﴾: «ويبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة».

الهوامش

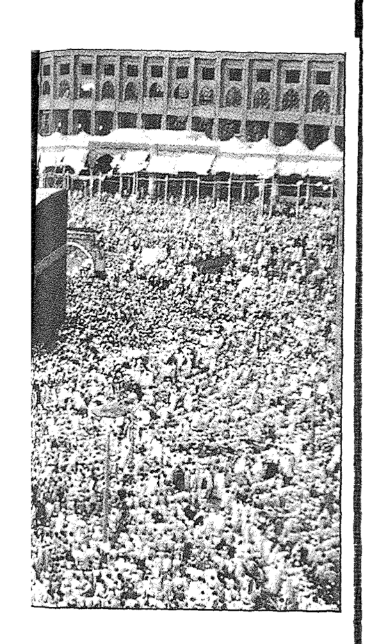
(١) كنز العمال فى سنن الأقوال والافعال جـ١٤ ص٣٤٨.

(٢) التذكرة: ص٧٩٢.

(٣) المصدر السابق ص٧٩٣.

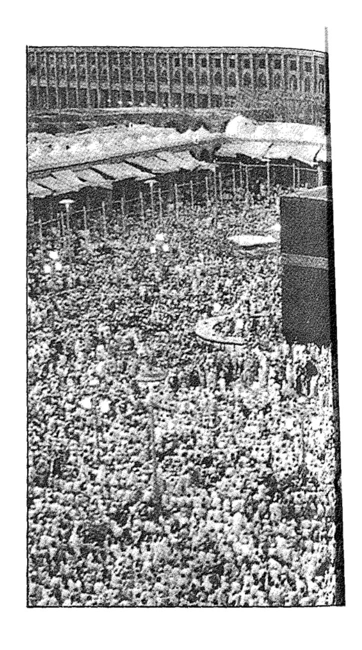
(٤) التذكرة: ص٧٩٤.





الحنين لبيت الله

والناس نومى بجنح الليل ناداه
هلا أذنت بحج البيت رباه
إنى سمعت حداة العيس فى سحر
يطرون بيتا أعز الله ذكراه





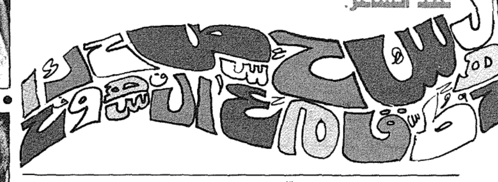
شعر
كمال عبد الكريم الوحيدي
- قطر - الدوحة

بيتا عتيقا له في القلب منزلة
والعين تهوى إله الكون رئياه
بيتا بناه أبو الأبرار قاطبة
نعم الخليل الذى ما خاب مسعاه

قد صانه الله والأحباش تقصده
فارتد أبرهة والخزى يغشاه
طير الأبابيل بالسجيل تقذفهم
كالعصف تجعلهم داسته أشياه
للبيت رب يصون الدهر حرمته
من ابتغاه يسوء يخزه الله
والطائرات تجوب الجو هادرة
والفلك ماخرة لم تنج لولاه
يارب هيىء لنا من أمرنا رشدا
واكتب لنا ما يكون العفو عقباه
فى ذى الحياة إلهى ليس ينفعنا
من الفعال سوى ما أنت ترضاه
فاكتب لنا حج بيت أنت سيده
أكرم بضيف على أبواب مولاه
من ماء زمزم يطفى القلب غلته
وفى البقيع تفيض الدمع عيناه
أما منى فالأمانى فى مرابعها
والخيف مسجدها يزهو مصلاه
والروح فى عرفات الخير ناعمة
والقلب يدعو ورب العرش يرعاه
يبدى إلى الملأ الأعلى بمفخرة
إنى غفرت لهذا الجمع أخطاه
عودوا عبادى فقد فزتم بمغفرتي
هذا العطاء وما أزكى عطاياه
من جاء للبيت يرجو اليوم مغفرة
نال الأماني ودار الخلد مثواه
فاهنأ أخي بعطاء الله مبتهلا
فهو الذى من وراء الغيب نهواه
عرج على مرقد المختار مقرئه
منى التحية للهادى ومأواه
فهو الشفيع لنا فى يوم زلزلة
وهو الملاذ لمن زادت خطاياه
سلم على سادة من حوله رقدوا
الله أكرمهم حتى بقرباه

التجربة الشعرية ومشاعر القلق

• لذة الألم تمثل أرفع درجات الأمل المفقود عند الشاعر.



بقلم: د. محمد الصادق عفيفى

أ. بجامعة الملك فهد ـ الظهران ـ



● د. غازى القصيبى. ● فدوى طوقان.

● عمر أبو ريشة. ● صلاح عبد الصبور

إذا قرأنا بعض الآثار الأدبية المعاصرة فى مضمون (القلق) للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان فى قصيدتها «نفسى موزعة[١]»، أو للشاعر السورى عمر أبى ريشة فى قصيدته «طال انتظارك[٢]»، أو للشاعر السعودى غازى القصيبى فى قصيدته (إلهى سألتك[٣])، أو للشاعر المصرى صلاح عبد الصبور فى قصيدته «أسير فى طريق[٤]»، أو للشاعر الجزائرى عبد الله شريط فى قصيدته «يا عروس الحزن[٥]».

■ إذا قرأنا هذه الآثار الأدبية وعايشناها فترة نستكنه روحها، ونتعرف من خلالها على الشاعر والتجربة التى تحولت بمقدرته الفائقة إلى الانفعالات الجمالية، نجد أن الانفعال واحد، وقد تتواكب من حوله الصور، وتتعدد بتعدد المشاعر، وتتطور بتطور السياق تطوراً منطقياً، ومع الاقرار بوحدة التجربة ووحدة الانفعال، الذى أدى إلى الترابط العضوى فى الأعمال الأدبية الخمسة، إلا أن المشاعر تلونت لأن التماثل فى المشاعر لا يكاد يوجد.

وقد تكون ثمة ملامح ومشابه، ولكنها لا تتماثل حذوك الفكرة بالفكرة، فلكل شاعر شخصيته وذاتيته المنفردة تماماً عن نظرائها، وتصوره للكون والحياة يتولد من هذا الشعور، وشعراؤنا الخمسة عبروا عن (مشاعر القلق) التى شف عنها الانفعال الحائر المبلبل.

فنحن مع فدوى طوقان نلمس نفساً حائرة موزعة، عصرها القلق فهى تخبط فى عالم غامض يكسوه الظلام، ولكنها متشوقة إلى المجهول تريد أن تهتك الحجب والاستار وتقتحم الجدران لتعرف ما وراء هذه الحجب، وتتساءل: أهى الطبيعة التى تجذبها إلى هذا الكشف، أهى النفس التى تهيب بها فحولتها تجريدية ذهنية تحس من خلالها بهذا (الشعور التائه) فى جنبات نفسها، وهى مشبعة بهذه الحيرة.

ونحن مع عمر أبى ريشة: نجده قد ضرب عليه الجمود بجرانه فجعله يتسمر فى مكانه وألجمته عواطفه، فهو يجتر أحزانه لعلها أن تكشف له عن واقع حيرته، ثم يعرج على ذكرياته علها تشفى ذات نفسه، حيث طال انتظاره وقد ملأته الأمانى، ولكنه انكفأ خاوى الوفاض، صفر اليدين، فخر صريعا، ولم يعالج الوقوف والثبات، ولكن حسبه أنه كان فى يوم ما سعيدا، وحسبه أنه سار إلى محبوبته تشده الأشواق والعواطف، ولكن ما لبثت الأيام أن نكبته

ـــلق الحائـــرة

• اتسمت قصائد الشعراء الخمسة بصدق العاطفة وصيرورة الانفعال الواحد.

وقصت جناحه وتركته فى لجة الزمان هائماً حائراً.

ونحن مع القصيبى نجد أن القصيدة، وبمعنى أدق الكلمات تعـبر عن نفس قد اكتوت بالغربـة الروحية والفكريه، فأراد صاحبها أن ينفس عن روحه المكروبة، أراد أن ينفلت من مشاعر القلق والضيق التى كانت تؤج بين جنبات نفسه، فلم يكن أمامه غير هذه الفلسفـة (السقراطية) أو (المعرية) لم يكن أمامه من سبيل الى محاربة هذا القلق، وجوى الغربة غير أن يبحث عن الخلاص من هذه الحياة المريرة، وقطع حبالها:

إلهـى سألـتـك خذنـى إلـيـك
فإن حيـاتـى ضاقـت علي
إلهـى عرفـتـك فوق الـظنـون
عرفـتـك رب فخـذنـى الـيـك

ونحن مع صلاح عبد الصبور فى عالم تقسو فيه نظم الحياة، فتحطم الأمل، وتعبث بالمنافع، وتسخر من المقدسات، ولم تدع عزاء للانسان، فهو يمزج بين الطبيعـة وبـين نفسـه، بين الليلة الخـامـدة الآفلة النجوم، ذات الرياح المعولة، وبين النفس الغارقة فى القلق حتى كأنها على حافة المشنقة ويرى الناقد عبد اللطيف السحرتى: «أن الشاعر غالى مغالاة بعيدة فى الابانة عن القلق، واستخدم كلمة (مدممة») وصفاً للمشنقـة، ويبـدو أنـه خانـه الوصف، فالمدمم هو (المطلى)، ولا أظنه يقصد إلى ذلك، ولكنه يريد أن يقول: إن المشنقة محمرة كالدم، والصفة الصحيحة مدمدمة، لا مدممة[٦].

ونحن مع شريط نراه يصـور القلق من خلال حياته القاتمة، وقد انقلبت القيم والموازين فى ناظريه، فالحياة قد خذلته ولكنه سيظل متعلقاً بها ويبكيها، والنسيم غدا شوكاً يجرح ألحانه، والابتسام قد ارتد صديداً وقيحـا، والطاحون الكبير طاحون الأقدار يهصر نفسه، ثم يدخل فى نوع من الضبابية نتيجة للجـدب النفسى ويسـاعـده على ذلـك الأسلوب الانشائى الذى انتهجه وهو بسبيل مخاطبة عروس الأحزان:

من تكونين؟
من أتى بك؟
ما خطبـك؟
لم يحتويك دومـاً ضبابك؟

وعروس الأحزان هذه هى تلك القتامة المتربعة على عرش فؤاده، أو هى الحـرية المفقـودة ويود لو استطاع اكتناه هذه الأعراس المحجبة، ولكن أنى له:

أما آن أن ترفعى حجابك؟
هـلا أراك؟

انه لو استطاع أن يروى هذه الحيرة، لاشتفى من قلقـه، وسكنت خواطـره، ولكنـه يقـابـل بالـوجوم والصمت الرهيب.

وهكذا وجدنا أنفسنا فى عوالم الشعراء الخمسة، وقـد اختلفت قصائدهم فى عمقها وشمولها وطريقة تنـاولها، ولكنها اتسمت فى جملتها بصدق العاطفة، وصيرورة الانفعال الواحد، والانسياب مع المشاهد، واختـلاط مشـاعـرهم بجـوانب الحياة والطبيعـة والذكريات من غير تكلف.

والدارس أيا كان لابد له أن يبحث عن الينابيع التى نهل منها الشاعر والانفعالات التى لونت نتاجه، ومن ثم نلمس فى مجموعـة مثـل مجمـوعـة الشاعر الجـزائـرى عبد الله شريط (الرماد) أنه يتعامل مع الأحزان، ولا شك أن مثل هذه النظرة التى تقوم على ربط الصـورة الشعـرية بالانفعـال القاتم تجعله من شعراء الرومانسية، الذين يلوبون حول ذواتهم، ولا يلتفتون كثيراً إلى دنيا الناس والموجودات التى تحيط بهم، بل يهربون منها.

ولكن طريقة شريط وتناوله الفكرى يختلف عن أقرانه، ولا تستغرب ذلك من شاعر مثل شريط، لأنه فى الحق ينتمى إلى عالم آخر أوضحه فى مقدمته لديوانه

غير العالم الذى ينتمى اليه الأربعة السابقون وإن كان بسنه، وبالفترة التى ألف فيها أشعاره (١٩٤٤-١٩٥٠) وبطابعه الفنى يمكن أن ينتمى لنفس المدرسة، وهى المدرسة الرومانسية، وهذا إذا استثنينا صلاح عبد الصبور.

ومعنى ذلك أن الشعراء الأربعة الذين اخترنا نماذج من شعرهم كانوا أكثر نزوعاً إلى التطور، وأطول باعاً فى صناعة الشعر من شريط، أما شريط فكان أكثر تعاطفاً مع الجانب (الديالكتى) الجدلى، ولذلك فهو يستخدمه فى عرض أفكاره، وتعميق صوره وتقليبها، كما هو واضح فى المقطعين اللذين اخترناهما.

فشريط إذن يتسم شعره بطابع خاص، هو متابعة المنهج الجدلى فى التفكير، من أجل دعم خطراته الشعرية، وتثبيتها فوق دعامة من الرؤيا الحقيقية المستمدة جذورها من مأساة الحياة ومأساة نفسه.

ولذة الألم بما فيها من عناصر الحزن، ولذع الأسى تمثل أرفع درجات الأمل المفقود عند الشاعر، إنها تتمثل فى صورة هذا الخضم الوسيع من الحيرة، وكما يقول جان كوكتو، إنها لقسوة حين يحب المرء، ولا يملك من هذا الحب سوى الصورة، وشريط يحب وطنه، ولكنه لا يملك من هذا الحب - فى آونة مولد هذه الاشعار - سوى الاحساس بالألم، الذى ولدته صورة هذا الوطن المغتصب، ولذلك فهو يجادل ويتساءل عله أن يظفر بالجواب.

الهوامش

(١) ديوان. وحدى مع الأيام لفدوى طوقان: ٣٢ (ط - الاداب بيروت ١٩٦٢)

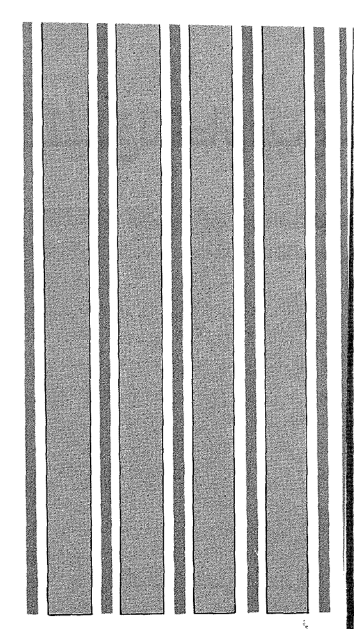
(٢) المختار من شعر أبى ريشة: ١٨٢. (ط - وزارة الثقافة - سورية ١٩٦٦)

(٣) ديوان: قطرات من ظمأ لغازى القصيبى: ٢٥ (ط - دار الكتب بيروت ١٩٦٥).

(٤) ديوان: أقول لكم لصلاح عبد الصبور: ١٠٨ (ط - دار العودة بيروت ١٩٦٦).

(٥) ديوان: الرماد لعبد الله شريط: ٧٢. (ط - هيئة النشر، الجزائر ١٩٦٨).

(٦) النقد الأدبى لعبد اللطيف السحرتى: ٨٣ (ط - معهد الدراسات العربية بمصر ١٩٧٢.



من أدب

المطارحات الشعرية

■ **هذه المطارحة الشعرية بدأها الشاعر المهجرى الكبير الاستاذ زكي قنصل محييا (ندوة الغبان) الادبية بالقصيدة التالية التى عنونها بقوله: (ندوة الغبان) حيث يجتمع رهط من الادباء عشية كل احد فى ندوة يعقدها الشاعر العراقي محمد جواد الغبان فى داره ببغداد وبعث بها الى الاستاذ الغبان من مهجره فى الارجنتين.**

قصيدة الشاعر المهجري
الاستاذ: زكي قنصل

هبني جناحك، أو ففك جناحي
أركب إليك مناكب الأرياح
(غبان) يا ابن الأكرمين لكم أنا
في لهفة لنديك الفياح
الناشر الأدب المهذب راية
لا خير في أدب أخس إباحي
الحامل الأعباء عن رواده
والباعث الآمال في الأرواح
لا خمر فيه ولا كؤوس، وربما
سكروا، ولم يتعرضوا لجناح
ولربما طلع الصباح، وكلهم
صاح يغالب بالتجلد صاح
ناد تحج له القلوب وتلتقي
فيه العقول على هدى وصلاح
يتصاول الفرسان في حلباته
بالرأي، لا بأسنة وصفاح
إن لم يكونوا من أب وعشيرة
فهم رفاق ثقافة وكفاح
لهج الرواة به.. فهل من موضع
فيه لهذا الشاعر الملتاح؟
التارك الأوطان في طلب العلى
والمالىء الدنيا على النزاح
أقسمت لست على القريض بواغل
أنا من كرام حماته الأقحاح
(غسان) أنجبني فطابت خمرتي
وحلا صداحي في الهوى ونواحي
يمتاز شعري بالسلاسة فهو لا
يحتاج للتشريح والشراح
اني اختصرت الروض في قارورة
وحبست نور الشمس في مصباح
كم زرت (حجلة) في المنام وزارني
ولكم غسلت بمائه أتراحي
(بردى) و(دجلة) توأم في خاطري
لا بل جناح قائم بجناح
من شاد إلا بالمحبة بيته
ينهار بين عشية وصباح
إن فرقتنا النازلات فربما
طلع الضياء من الظلام الماحي
ولسوف يجتمع العراق وجلق
في حملة التحرير والاصلاح

●●●

يا أخوتي كيف السبيل إليكم
هل تشعرون بشوقي اللفاح
تجري رياح سفينتي في غير ما
تهوى.. فداووا بالرجاء جراحي
سأزوركم في الريح نفحة عنبر
أو نغمة شقراء من صداح

الارجنتين - بوانيس ايرس - زكي قنصل



قصيدة الشاعر محمد جواد الغبان

■ وهذه القصيدة الجوابية التى رد بها الشاعر محمد جواد الغبان على التحية (الزكية) المهجرية:

أأخي زكي النفس.. يا من لم يزل
رمزاً لكل مروءة وسماح
من (ندوة الغبان) هاك تحية
قد وشحت من ودنا بوشاح
هي ندوة ضمت كراماً أخوة
بمنار علم أو حسار كفاح
يتصاولون بكل فكر ثاقب
للفجر.. لا بأسنة وصفاح

●●●

غنيتنا من مهجر نائي المدى
فلأنت أشجى بلبل صداح
بخريدة فتانة قد طاولت
غر النجوم بوجهها الوضاح
تبقى مع الأيام لا تمحى .. وهل
يمحو جبين الشمس يوماً ماحي
فيها بيانك مشرق متألق
فكأنه وجه النهار الضاحي
في كل حرف منه تلهب جمرة
وهاجة، من شوقك اللفاح
منه يضوع شذا وفائك عاطراً
فتعطرت بأريجه الفواح
فاذا تباعدت الجسوم، يشدنا
- رغم البعاد - تقارب الارواح

●●●

أهديتنيها شعلة وهاجة
كانت لدى حلك الدجى مصباحي
مزقت فيها كل أستار الدجى
وغسلت في لألائها أتراحي
وسقيتنيها كأس ودٍ سائغ
عذب تفيض بشهده أقداحي
وسكبت منها فوق قلبي بلسماً
تشفى وتبرأ فيه كل جراحي
أسكرتنا برحيق شعر طافح
بالفن والابداع .. لا بالراح

كم من مشوق بات عند سماعه
يهتز كالنشوان وهو الصاحي
قصرت ليل الساهرين به.. فما
في الليل غير عشية وصباح
فإذا تباهى الشعر فيك فأنت من
فرسانه وحماته الأقحاح

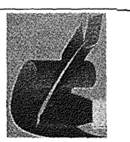
●●●

أنا ذلك الصب المتيم.. لم أزل
للحب ألقى عدتي وسلاحي
وصدحت في لحن الهوى، فأنا الذي
في مسمع الدنيا يرن صداحي
كم رحت أبحث عن مناي فلم أجد
دوماً سوى الأوهام والأشباح
فتحطمت سفني بهوج زوابعي
وجرت بغير مناي كل رياحي
مازال قلبي خافقاً.. فكأنه
ورق تبعثر في مهب رياح
يمسي ويصبح والجوى يلهو به
ما شاء في الإمساء والاصباح
يلحونه ليكف عن أهوائه
أتراه يصغي للعذول اللاحي
لا تطلبوا أن تصلحوا من حاله
شيئاً فما لجواه أي صلاح

●●●

فاسلم - زكي - بظل عيش ناعم
فيه يرف عليك كل نجاح
كاد الفؤاد يطير من أشواقه
لك يا أخا ودي - بغير جناح

محمد جواد الغبان
بغداد - ص ب: ٢٢٠٣٨



بين المجلة والكتاب!؟

ثقافة:



بقلم: أحمد جبر - الأردن -

عندما وقف المتنبى بحكمته البالغة واصفاً (أعز مكان وخير جليس) بأنهما: «سرج سابح» و«كتاب»، جمع فأوعى، ووصل إلى ملخص الحياة العبقرية بسرعه تفوق التصور وتتأبى على كثير ممن أوتوا الفطنة وسرعة الادراك، بل ومن بلغوا فى الفصاحة والعبقرية شأوا بعيدا، فكيف بمن رزقوا البلاهة والسذاجة وضعف المنطق..!

وهو إذ يقول:

أعز مكان فى الدنا سرج سابح
وخير جليس فى الزمان كتاب

لا يزال يطل من وراء العصور عملاقاً، وفارساً من فرسان البيان السابقين الأولين، ولا يكاد يفوت أحداً، أو يستغلق على فهمه أن السابح المقصود فى هذا البيت هو: الجواد (الحصان العربى الأصيل)، وأن الكتاب هو ذاته (الكتاب) الذي هو وعاء المعرفة، وكنز العلم، وذخر الأدب.

بيد أن ما يلفت النظر أن السابح ما لبث أن تحول إلى (سابحة)، والكتاب إلى (مجلة).

فسابحة الأرض الفارهة، إذ تنطلق كالريح، تقصر دون باعها المسافات، وتقرب إزاء سبحها[1] المدن والقرى والدساكر، بسرعة تفوق سرعة (سابح المتنبى - الحصان)، وتصمد للجرى ساعات أطول، وتقطع مسافات اكثر.. إنها السيارة ذات العجلات، أو ما يسمونها بـ (العجلة Vechel).

ومنها ما هو صغير كالمهر (التاكسى Taxi)، ومنها ما هو كبير (كالحافلة Bus)، ومنها ما هو اكبر كالشاحنة أوالثلاجة المتنقلة، ومنها ما هو عملاق كالسيارة الضخمة التى تنقل المصانع فى المناطق الصناعية كما هو الحال فى الجبيل وينبع (السعوديتين)، ولها (٦٠٠ عجل تدار بالكمبيوتر).

أما ما يسير منها على قضبان (سكك حديد) ويسمى قطاراً، يقطر خلفه عدداً كبيراً من القاطرات[2] ربما تجاوز الثلاثين قاطرة دفعة واحدة، ويستعمل لنقل الأفراد والبضائع على اختلافها.

وشبهت السباحة على الأرض بسباحة البحر.. والسابحة هنا ليست السمكة والدرفيل وعجل البحر وحدها، ولكنها كتل من الخشب والمعادن، تبدأ بزورق النجاة والنزهة، وتنتهى بالمعديات الضخمة، والسفن، والبواخر التى تجوب المحيطات وأعالى البحار فى السلم والحرب، ومنها الغواصات التى تسبح تحت الماء، فلا يكاد يبصرها أحد من غير رجال البحر المدربين.

هذا على نطاق البر والبحر (الكرة الأرضية)، أما فى السماء ذات الأجرام الضخمة والأفلاك والمجرات والكواكب التى «تجرى لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم»، فقد شاركت طيورها سابحات دونها

سابحـات الأرض والبحـر سرعـة ومضـاء، أولاها الطائرة التى وصفها أمير الشعراء (شوقى) بقوله:

وذنـابـى كل ريـح مسـهـا

مسـه صاعـقـة من كهـربـاء

فهى تحلق فى أجواز الفضاء تحليقا عالياً، وتشق عنـان السـماء شقـا. . ناهيك عن الصاروخ الذى يلتهم الفضـاء الـرحب التهـاماً، ويختصر الـزمن اختصاراً هائلا، لا تستطيعه كل أحصنة الأرض التى لا تسير على الوقود الذرى. . وكذلك القمر الصناعى الـذى يطوف فى السـماء ليلا ونهاراً مقتحمـاً أجـواز افضاء بسرعة مذهلة تكاد تقصر عن إدراكها العيون، فهو يدور حول الأرض كلها فى حوالى (٩٠) دقيقة، (ساعة ونصف فقط).

فأى سابـح قصـد المتنبى. .؟ لأن كثـيراً من السابحات لها متون (جمع متن) وليس سروجاً (جمع سرج). . !!

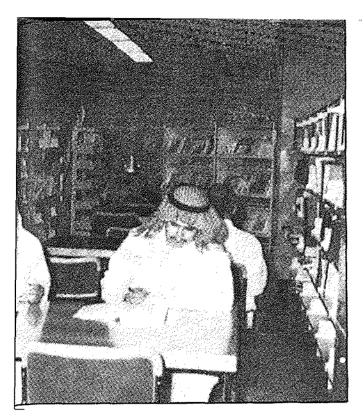
وأيهـا الأعـز، سرج الحصـان أم متن القمـر الصناعى الذى حمل الانسان من الأرض إلى القمر، وأراه مخلوقـات الله البعيدة من كواكب ونجـوم عن كثب. . !! وهو ما لم يكن يحلم به الناس - حتى مجرد الحلم - فى عصر أبى الطيب. وهو ما لم تستطع فعله كل خيل الأرض، وفعله جبريل الأمـين حين عرج بالهادى البشير محمد ﴿ﷺ﴾ الى السماء.

ولمن العزة. . للخيل، أم للقمر الصناعي. .؟!

بل العزة لله، ولرسوله، وللمؤمنين.

■ إن البحث عن (السابح) لا يعنينا فى مقالنا الأدبى هذا، لأنه تطور أو وجد له منافس أكثر منه سرعة، وأشد عزمـاً ومضاءاً. . ولندع ذلك لعلماء الاختراع، ولـلمتنبى صاحب الفـطنـة والألمعية التى سبقت عصره، والحكمة التى أنبتت فى هضاب الفكر آلاف السنابل والأشجار الباسقة، بيد أن ما أود أن أشير إليه على سبيل المقـارنـة المستحبـة، وتـوليد الفكـر المتكامل، هو (الكتاب) الذى هو خير جليس للناس أجمعين.

وحتى بالنسبة للكتاب أجد أن المتنبى الذى عرف الكتـاب فى زمنه - ولم يعرفه فى زمننا - كان مصيباً، ولكن إلى حد تجاوزه عصرنـا، حتى غدا معنـاه في مهب الريح.



والمتنبى عرف الكتاب (المقروء)، وهو الأصـل، ولكنه لم يعرف الكتاب (المسموع) شريط الكاسيت (Casset) أو (المشاهد) كشريط السينما أو الفيديو (Video Tape).

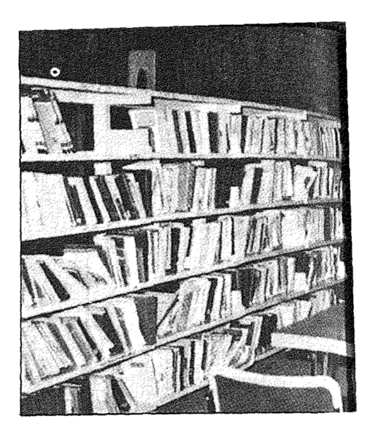
ولم يقتصر الأمر على ذلك، إذ جاءت من نفس مادته (الورق) المجلة منافساً فذاً، فى الشكل أو الهيأة من حيث:

- **الصـــور.**
- **التلويـن.**
- **الخطـوط.**
- **الرسـومات.**

وفى المضمون أيضاً، لتكون المنافسة على أشدها، ولتكون وافية تمامـاً، فجاءت فى:

- **تعدد الموضوعات.**
- **تنوع المقالات.**
- **أكثر من فكر واحد لأنها بأكثر من قلم.**

إذن فالمجلة الأجمـل شكلا، والأروع إخراجاً، أشمل فى المضامين، وأغنى فى الموضوعات، وأسرع فى الانتشار، وربما كانت الأكثر فى التوزيع، للرغبة فى تنـويع المعـرفة المشابهة للرغبة فى تنويع الطعام، التى هى طبيعة النفس البشرية، مما جعل الكتاب فى المقـام الثـاني، وسعى بالاهتمام بالمجلة حتى وازت



لكتاب فى انتشاره، إن لم تكن قد تفوقت عليه.

■ هذا بالاضافة إلى أن من المجلات ما هي ذات اختصاص بمواضيع معينة، كالدراسات اللغوية، أو التاريخية، أو الفقهية، أو الدينية، أو التراثية، أو الفنية، أو الأثرية.. الخ.. ومنها ما هي متنوعة المواضيع، بحيث تشملها كلها (أحياناً) فى عدد واحد. ومنها ما يخرج عن إطار الدراسات إلى الترفيه والتسلية أو الرياضة والألعاب والدعاية، أو ما يسمى بالمواضيع الخفيفة.

وهى ـ أي المجلات ـ ذات انتظام فى الصدور، ووفرة فى العدد، وسرعة فى الانتشار، و كثرة فى القراء، مما استدعا أن يقوم على إصدارها هيئات ولجان وفرق استطلاع وتصوير، بعكس الكتاب ذى الجهد الفردى فى الغالب.

ومنها ما يصدر فى أجزاء وسلاسل عديدة تؤلف مجلدات ضخمة، كالكتاب تماماً.

هذا فى نطاق المجلة الدورية ذات الصدور الشهري، أو الفصلى، أو الاسبوعى، ناهيك عن الصحيفة اليومية (السيارة)، وبعضها يصدر فى طبعتين أو ثلاثاً خلال أربع وعشرين ساعة، وبعضها يصدر فى عدة دول، ويصور بواسطة الأقمار الصناعية، فى ليلة واحدة كـ (الشرق الأوسط) السعودية، ذات الدور البارز فى الصحافة العربية، ويعمل فيها الكمبيوتر/ الحاسوب أو العقل الالكترونى، ثم تصل إلى أقطار العالم الأخرى بسرعة البرق ـ كناية عن السرعة الكبيرة ـ فى نفس اليوم.

■ بعد المجلة والصحيفة (الجريدة) ترى لو كان المتنبى حياً، هل مازال يردد بأن:

أعز مكان فى الدنا سرج سابح..؟

فأى سرج هذا..؟! وأي سابح.؟!

وان.. خير جليس فى الزمان كتاب.

وأى كتاب هذا، خلا (كتاب الله) المنزل إلى خلقه كافة، الحافظ لشريعته الغراء، واللغة العربية الشريفة إلى يوم الدين..؟!

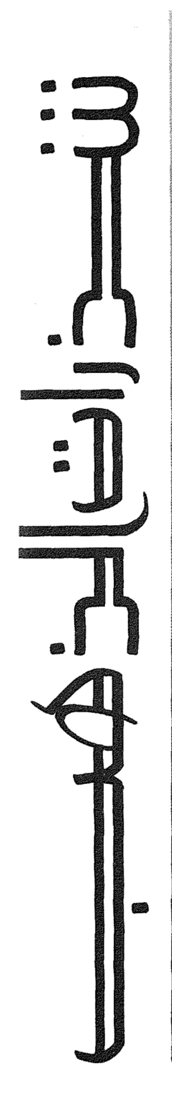
هذا الكتاب (القرآن الكريم) الذى حفظ فى الصدور، وفى الأفئدة، وفى الأوراق وفى الأشرطة المسجلة (صوتاً وصورة) مما يؤكد أن ﴿الله متم نوره، ولو كره الكافرون﴾. باستثناء هذا الكتاب المبين: (القرآن)، وما تلاه من السنة المطهرة ـ ولعل هذا هو قصد المتنبى بالكتاب ـ الذى هو خير جليس للمرء على مدار الزمن ومر العصور والأيام، ولو قصد كتاباً آخر، ربما (فى اعتقادي) فازت المجلة، وتقدمت على الكتاب، وكانت خير جليس، وليس الكتاب.

■ ربما كانت هذه المماحكات، تستثير مكامن النفوس، وتبث فضائلها ونوازع الفكر لديها، فتصل ما انقطع من فن النظر إلى مستحدثات الأمور وقديمها، بفعل الحضارة والتطور السريع، وتعقد مفارقات تنهض بالعقل البشرى لاستقصاء الواقع الجديد، القائم على أساس منهجى لابد من وجوده لنصل إلى ما أدركناه. ولولا ذلك، لانبتت سبل الحضارة، وضاعت أصول الحياة المتعارف عليها منذ بدء الخليقة وحتى الآن، وعذراً للمتنبي بعد ألف عام.

الهوامش

(١) اشتق الفعل من الآية الكريمة ﴿إن لك فى النهار سبحا طويلا﴾.

(٢) اسم الفاعل، واسم المفعول مقطورة، وغلب استعمال اسم الفاعل لقطرها غيرها وهي مقطورة فى الغالب.





● غلاف كتاب الشذرات

بقلم: د. أبـى حســام

الاديب والمفكـر صاحب المنهج الملتزم، ينسحب التزامه هذا على انتقائه للكلمة التى ينشرها، ذلك لانه يود للقارىء والمتلقى الاطلاع على الافضل والاجود.

والاستاذ الدكتور (أبو حسام) ـ ونحن نحترم رغبته الكريمة فى عدم ذكر اسمه ـ من هؤلاء النفر الذين خدموا الكلمة فى منهجيتها الصادقة الفاعلة.

(شذرات الذهب)عنوان نشر تحته الشاعر الكبير الاستاذ احمد بن ابراهيم الغزاوى ما ينيف على ألفي شذرة، فى الادب والتاريخ، والحكمة، والطرفة، والشعـر واللهجـات، والعـادات، والتقاليد، وغيرها.. وقد استمر نشرها متتالية فى مجلة المنهل على مدى يقارب نصف قرن من الزمان.. وقد جمعتها دارة المنهل للصحافة والنشر وطبعتها فى مجلد يقرب من الف صفحة.

واستاذنا الدكتور (ابو حسام) اطلع على هذه الشذرات وأعجب بها، ورأى ـ مشكورا ـ إفادة للقارىء ـ ان يواصل هو الكتابة تحت هذا العنوان ذاته (شذرات الذهب) مؤثرا بهذا العمل الجليل مجلته المنهل.

والمنهل يقدر لابى حسام هذا الجهد الطيب وهذا الاخلاص والوفاء المتجرد لمنهله، وللقارىء، وللكلمة الطيبة.

٢٠ - بين الشرق والغرب العلاج النفسي - شرقا

كان أبو منصور البلخي أشهر أطباء عصره، وكان من ديدنه أن يكون صديقا للمريض، يجالسه ويكثر الحديث معه في المرض وغير المرض، قبل أن يبدأ العلاج الجسمي، إذ يرى في الحديث المتصل أسبابا تمهد لمعرفة حالة المريض، ولعلها تكشف عن بواعث العلة، فتصبح طريقا للشفاء.

وقد مرض أحد وزراء خوارزم بالوهم، إذ تحركت عليه أمعاؤه ذات يوم، وشعر ببعض الألم الموجع، فاعتقد أن ثعباناً بداخل جسمه، وهو الذي يبعث على التحرك فالألم، وهو اعتقاد ساذج غافل، لأن الثعبان لا يعيش بداخل الجسم، إنما تعيش الديدان وليست بذات خطر كبير، ولكن الوهم قد كبر في ذهنه وسبب له مضاعفات كثيرة من الألم النفسي المرير، وجعل يفضى للأطباء بما يحس، ناشداً الحل، فكانوا يضحكون في نفوسهم من تخيل ثعبان يعيش داخل الجسم، ثم يقولون للمريض: اطرد هذا الوهم من نفسك، فلا يزيدونه إلا هياجا وغضبا ويرسل في إحضار أطباء آخرين.

وجاءت نوبة أبي منصور البلخي، وقد عرف مأساة الوزير، قبل أن يتصل به، فدخل إليه وكأنه خالي الذهن من حديث وهمه، وجعل يفحصه في جد ملزم، ثم صاح صيحة المبهور، ما هذا؟ عجيب! عجيب! إنك يا سيدي تحمل ثعبانا في بطنك، ولابد من العمل على خروجه فانطلق المريض يثني على الطبيب، ويمدح تشخيصه، ويقول: هذا ما أحس به تماما؟ فما العمل؟.

قال أبو منصور البلخي، لا تأكل الليلة شيئا، وسأحضر في الصباح بعض المسهلات، لتشربها وبداخلها ما يقتل الثعبان، فيخرج لفوره، ثم خرج ليبحث عن ثعبان صغير في الجبل، حتى عثر عليه وقتله، وحمله في جيبه، وحين حان الموعد، أعد الدواء المقترح، فتناوله المريض، ثم هيأ له إناء للاستراحة، وضع به الثعبان في جانب غير منظور، وفعل المسهل فعله، فنهض المريض للتبرز في الاناء، وسرعان ما فحص الطبيب ما رأى، وصاح: الحمد لله، قُتِل الثعبان قتل الثعبان! وها هو ذا! فائتلق وجه الوزير بالبشر، وأخذ يعانق أبا منصور ويقبله قائلا: الآن قد برئت وشفيت!.

يقول من يحكون هذه النادرة: لم يكن الثعبان جاثماً في بطن الوزير ولكنه كان كامنا في عقله ولن يطرده غير احتيال طبيب ماهر يعتمد على العلاج النفسي كأبي منصور.

٢١ - العلاج النفسي - غربا

نشرت بعض الصحف الأمريكية أن الطبيب الشهير الدكتور بروس بورتر، دخل يوما غرفة إحدى مريضاته، فوجدها تقرأ في إحدى الصحف يوميات يكتبها مريض أديب، أصيب بمرض مماثل لمرضها فيصف تطورات هذا المرض ويشرح آلامه ومتاعبه، فأسرع الدكتور بروس إلى إدارة الصحيفة طالباً أن يقوم هو باتمام هذه المذكرات باعتباره طبيباً، فهو أصدق نظراً من المريض، على أن يأخذ الكاتب أجره من الصحيفة كالمعتاد تعويضاً له، وبدأ الطبيب يكتب هذه المذكرات ويشرح المرض مبينا عدم خطورته، وأنه سهل العلاج، ومازال يكتب على مدى شهر حتى ذكر في آخر حديثه أن المريض قد شفى تماماً واسترجع صحته كأيام الشباب.

وكان الطبيب إبان انهماكه في كتابة هذه المذكرات، يلاحظ التطورات النفسية والصحية معاً، التي تطرأ على مريضته، فأدرك أنها بدأت تتحسن شيئا فشيئا تبعاً لما يبدو في المذكرات من تفاؤل، حتى إذا انتهت، كانت المريضة تأخذ طريقها للشفاء.

وتذكر الصحيفة الأمريكية، أن الدكتور بروس قدم تقريراً وافيا بهذه التجربة إلى معهد الأبحاث الطبية، شرح فيه العلاقة بين المذكرات، ونفسية المريضة، رصد ما كان يطرأ من التحسن الملموس في صحتها، عقب كل مذكرة توحي بالتفاؤل، وانتهى إلى توضيح الأثر النفسي وأهميته في إتمام الشفاء.

٢٢ ـ المتردد ـ شرقا

ذكر الأستاذ أحمد حسن الزيات محاورة بين رجل متردد وبين زوجته كانت هكذا:

قال الزوج المتردد وهو يهم بالخروج إلى عمله: يا زينب: أتشيرين على أن آخذ المظلة معى احتمالا لسقوط المطر اليوم؟

زينب: افعل ما تشاء، فأمرك بيدك.

الزوج: أتظنين أن السماء ستمطر اليوم؟

زينب: لا أدرى، فقد تمطر، وقد لا تمطر

الزوج: سأخذها للاحتياط، فهل ترين ذلك؟

زينب: قلت لك أمرك بيدك، فافعل ما تشاء

الزوج: ولكننى سأتضايق كثيرا، إذا لم تمطر السماء، وتصبح المظلة عبئا علي!

زينب: دعها إذن ولا تأخذها.

الزوج: ولكن المطر إذا نزل بلل طربوشى، وغسل حلتى!

زينب: خذهـا إذن!

الزوج (ثائرا) ما هذه الحماقه، ليس للمشير إلا رأى واحد، وأنت مرة تقولين خذها، ومرة أخرى تقولين: لا تأخذها، إنى أرجح أن آخذها.

زينب: حلت المشكلة فهيا!

الزوج: ولكن الهواء دافىء، والسماء مشرقة، وأخشى إن دام الجو كذلك، أن أذهل عنها فأفقدها، سأتركها ولن آخذها، ثم سار يريد الخروج، فلمحها معلقة على المشجب فأخـذهـا دون تفكير، وهبط السلم متباطئاً مترددا حتى بلغ البواب، فدفعها إليه، وقال له: اصعد بها للمنزل.

أما الزوجة، فتوقعت أن يعود، ليسأل ثانية عن الجو، وهل ينبىء بما يسبب المطر، فيحمل المظلة من جديد!.

٢٣ ـ المتردد ـ غربا

يروى الكاتب الفرنسى (أرنست ليجو فيه) هذه الحادثة:

تلقى أحد المترددين رسالة من صديقين عزيزين يدعوانه إلى رحلة معهما خارج الوطن للتنزه والاستطلاع وقد طلبا الرد السريع الحاسم، فوقف الرجل حائراً لا يدرى أيرفض أم يقبل؟

وحان موعد الرد، فأخذ القلم ليكتب رسالته، ولكنه عجز عن تحديد موقفه، وأخذ يتساءل مرة: كيف أمتنع عن رحلة جميلة الى بلاد جميلة مع صديقين عزيزين، ثم يتساءل مرة أخرى، أليس بالرحلة متاعب جسمية وقد تسبب أضراراً غير متوقعة، ولماذا يترك زوجته وأولاده مدى قد يطول؟ وقد أضطر إلى المبيت ليلة فى القطار دون مضجع مريح، أو أركب السفينة فأتعرض لدوار البحر، وبعد هذا التساؤل الأخير، كتب الخطاب معتذرا، وسلمه للخادم كى ينطلق إلى مكتب البريد.

وما كاد الخادم يسير بضع خطوات، حتى تغير موقف المتردد، فقال فى نفسه: لقد تعجلت الرفض، إننى سأرى أماكن جديدة، وسأسعد باستطلاع المجهول، وسأنسى مرهقات العمل اليومى الراتب، كيف أرفض هذه الفرصة السانحة؟ ثم انطلق إلى مكتب البريد، ليأخذ الرسالة من الخادم وركب السيارة ليسبقه إلى هناك، وقد كان الخادم قد اتخذ السيارة أيضاً فسبقه وأدى واجبه، فوقع المتردد فى حيرة، وشعر كأنه فقد كنزاً ثمينا، وجعل يفكر فيما نزل به من خسارة، فرأى أن يكتب تلغرافاً سريعاً بالموافقة وسيصل التلغراف قبل الرسالة فيمحو أثرها، واستراح الى هذا الخاطر، وكتب التلغراف وعاد إلى المنزل، ثم طرأ عليه ما عكس الأمر فى عينه، فجعل يتساءل، أليست الرحلة ذات نفقات ومتطلبات قد أكون فى حاجة إلى ثمنها اليوم أو الغد، لماذا أعجل بإرسال التلغراف هكذا؟ أما كان الأولى أن تصل رسالة البريد بالرفض، وتغلغل هذا الرفض فى نفسه، فجعل حائرا لا يستقر على موضع، ثم رأى نفسه يرتدى ملبسه ليصل الى مكتب التلغراف، فيكتب برقية جديدة تعلن الاعتذار، وتؤكد أن رسالة البريد هى صاحبة الرأى النهائى! ولكن هل استراح بعد هذا؟ يقول الأديب الفرنسى (أرنست ليجوفيه)

إن المتردد لا يستريح!

٢٤ ـ الحمق ـ شرقا

جاء في كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) للابشيهي ما يلي:
تصاحب أحمقان في طريق، فقال أحدهما للآخر، تعال نتمن على الله فعسى أن يحقق لنا ما نتمناه، وبذلك نقطع الطريق في الحديث فلا نسأم، فقال أحدهما: إني اتمنى أن يرزقني الله قطائع غنم أتنفع بلبنها ولحمها وصوفها، فرد صاحبه يقول: وأنا أتمنى على الله أن أملك قطيعاً من الذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيئا، فقال له: ما هذا الذي تقول؟ أوهذا حق الصحبة وحرمة العشيرة، وتصايحا يتسابان ويلعن أحدهما الآخر، واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالأطواق، ثم تراضيا على أن يحكم بينهما أول من يريانه من الناس، فطلع عليهما شيخ يركب حمارا، عليه زقان من عسل، فحدثاه بحديثهما، فأنزل الزقين، وهما مليئان، وفتحهما حتى سال العسل منها على الأرض، ثم قال: أسال الله دمي على الغبراء كما سال هذا العسل من الاناء إن لم تكونا أحمقين!! قال الراوي: فكان أحمق الثلاثة.

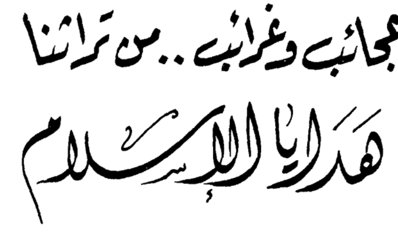
٢٥ ـ الحمق ـ غربا

ولهذه الطرفة نظير في الأدب الانجليزي إذ جاءت في كتاب (خمسون قصة مشهورة) هذه الطرفة المتعلقة بأهل (غوتام) وهي قرية تشتهر بالحمق، وتدور حولها النوادر المستطرفة، ومنها هذه النادرة:
تلاقى غوتاميان على جسر فوق نهر، فسأل أحدهما الأخر، أين تذهب؟ فأجابه:
إني سأذهب لأشترى غنما، فقال له:
ـ ومن أين ترجع بغنمك بعد أن تشتريه؟ فقال: أرجع من هنا
فنظر إليه رفيقه متعجباً وهو يقول: وكيف تعبر بغنمك هذا النهر، وهو ملىء بالماء؟
قال صاحبه: أمشى على الجسر كما أفعل الآن
فحدق الآخر في وجهه منفعلا وصاح: كنت أقدر ذلك، ولهذا سألتك، ولكني لن أسمح لك أن تعبر بغنمك الجسر، فهو لي وأنا صاحبه!
فغضب السامع، وصاح سأعبر النهر سائراً على الجسر، رغم أنفك
فتعجل صاحبه يرد: رغم أنفى، والله لو فعلت، وعبرت بغنمك لأدخلت إصبعي في عينك، وضغطت بكفي على رقبتك فأخنقك لساعتك!
ومر بهما ـ وهما يتنازعان ـ رجل مقبل من طاحونة قريبة، ومعه دابة تحمل كيسا من الدقيق فقال ما شأنكما؟ ولماذا تتخاصمان، فقالا: أنت الحكم بيننا، وعليك أن تصدر حكمك، ونحن مطيعان! ثم رويا سبب النزاع
فنزل الغوتامي الثالث من فوق دابته، وطلب منهما أن يعيناه على إنزال كيس الدقيق من فوق الدابة، حيث صار قريباً من حافة النهر، ثم فتح الخيط، وجعل يرمي بالدقيق الى الماء حتى فرغ الكيس، ثم نظر إليهما قائلا:
هل فرغ الكيس مما يحمل؟ فقالا: نعم، فصاح وهكذا أنتما، فليس في رأسيكما دماغ! أنتما فارغان مثل هذا الكيس!
يقول الاستاذ رئيف الخوري ـ مؤلف كتاب دراسات أدبية، تعليقا على الطرفة الشرقية مقترنة بالطرفة الغربية: «كيف حدث أن تشابهت هاتان الحكايتان في أدبين مختلفين؟ أكان ذلك اتفاقا؟ ام اقتباساً لأدب من أدب؟ إن البت في هذه القضية عمل من أعمال التاريخ الأدبي، أو مادة من مواده، وهي دراسة التفاعلات، وإجراء المقارنات بين آداب الشعوب».

٢٦ ـ بيت لأبي العلاء

هذي طباع الناس معروضة
فوافقوا العالم أو فارقوا.

أروقة منصوبة على أعمدة الكلمة، قوامها: الطرفة والمزحة، المعلومة والمعرفة، المثل والحكمة.. أشتات مجتمعة تهش لها النفس وتستوعبها.




ـماد السالمي

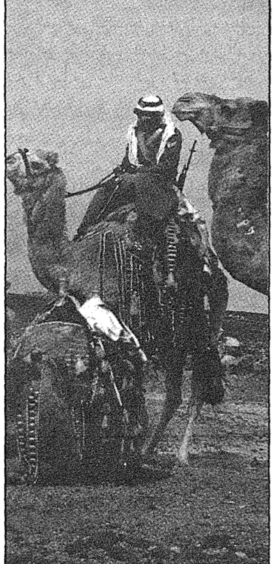
●● وفى الاسلام كان للهدية شأن كبير فى تقريب وجهات النظر، وفى تأليف القلوب، ودرء المباغضة والمنافرة.

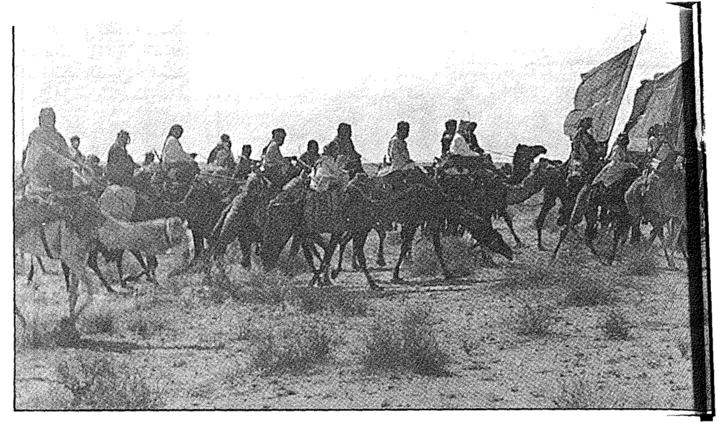
●● والرسول ﴿ﷺ﴾ أهدى الهدايا وقبلها وأخذها من المهدين إليه.. ويقال أنه صلى الله عليه وسلم حين أصاب مشركي قريش السنة، وزاد عليهم القحط، وذلك فى سنة ـ خمس من الهجرة ـ أرسل إلى أبى سفيان بن حرب، وإلى سهيل ابن عمرو، وأبى صفوان بن أمية، يحمل نوى من ذهب، بينهم اثلاث، فقبل أبو سفيان، وأبى سهيل وصفوان أن يقبلا.

●● واهدى أبو سفيان إلى النبى ﴿ﷺ﴾ سلاحا فقبله.

●● وفى الاسلام فى حياة الرسول ﴿ﷺ﴾ وبعده، هدايا كثيرة تبودلت وكانت تهدف الى التعبير عن التقدير والود والمحبة والسلام، والتهادى بين الخلفاء والملوك والحكام.

●● وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ قد راسل (المقوقس) عامل قيصر الروم على مصر والاسكندرية، بحاطب بن أبى بلتعة الضبي، فى سنة سبع من الهجرة، يدعوه الى الاسلام، فعاد حاطب بن ابى بلتعة فى ذي القعدة من السنة المذكورة بجواب رسالته صلى الله عليه وسلم من قبل المقوقس، ومعها هدية عبارة عن أربع جوار، منهن





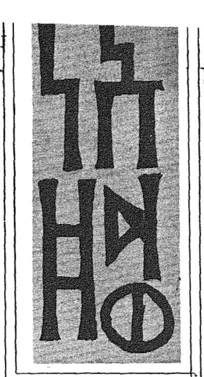
جاريتــان أختــان هما (مارية) و(سيرين).. وكانت مارية وأختها من ضيعة من عمل أنصنا تعرف بحفن من صعيد مصر، وكان لهما شأن فى القبط عظيم وجمال بارع لم يكن بمصر أحسن منهما، وعبارة عن خصي مجيوب يقال له مابور، ويقال إ نه أخو مارية وسيرين، يخدمهما، وماتت بالمدينــة وبغلة شهبــاء سمــاها رسول الله ﴿ﷺ﴾ (دلــدل) بسـرجها ولجامها، وماتت فى خلافة معاوية، وحمــار سمــاه ﴿ﷺ﴾ (يعفــور) أشهب.. وفرس سماه ﴿ﷺ﴾ (لــزازا) وألف مثقال ذهبا.. وعشرين ثوبا من قباطى مصر، مع طرف من طرفهم وعسل من عسل بنها.. وربعة اسكندرانية.، كان بعد ذلك يجعل فيهما جهازه من مكحلة ومشط وما سوى ذلك.

●● ووهب لحــاطب بن أبى بلتعة مئة دينار وخمسة أثواب وخلابة.. وساءله، وأحسن مثواه وضيافته، فقبل صلى الله عليــه وسلم جميــع ذلــك.. واتخذ (مارية) لنفســه، وكــان بهــا معجبـًا وحولها الى ماله بالعالية فأولدها ابراهيم ولده.

●●.. ويذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يرد هدية أحد من الناس، ويكافيء عليها.. ووهب (سيرين) اخت ماريــة لحســان بن ثابت، فأولدها ولده عبد الرحمن.. ووهب الثــالثة لمحمد بن مسلمة الانصاري، وقيل بل لداحية بن خليفة الكلبى، ووهب الاخرى لجهم بن قيس العدوى، فهى أم زكريا بن الجهم الذى كان خليفة عمرو بن العاص على مصر. وتصدق بالمال، وأعجبه العسل، فدعــا لعسل بنها بالبركة، وبقيت تلك الثياب حتى كفن فى بعضها صلى الله عليه وسلم، وكانت البغلة والحمــار أحب الــدواب إ ليــه.. وكــانت (مارية) واختها (سيــرين) متساويتين فى الجمال والحسن.. فلما نظر اليهمــا صلى الله عليــه وسلم اعجبتاه وكره أن يجمع بينهمــا.. وكانت احداهما تشبه الاخرى.. فقال: اللهم اختــر لنبيك.. فاختار له (مارية)، وذلك أنه قال لهما: قولا: نشهد ان لا إ له إ لا الله وأن محمدا رسول الله.. فبدرت (مارية) فتشهدت وامنت قبل اختها بساعة.. ثم تشهدت، فاختارها عليها.

●●.. ويقال ان ملك الصين، أهدى إ لى معاوية بن أبى سفيان كتابـًا من سرائر علومهم.. فيقال إنه صار بعد ذلك إ لى خالد بن يزيد بن معاوية، وكان يعمل منه الاعمــال العــظيمة من الصنعة.. وطلب من معاوية أن يبعث له بما جاء به النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وبمن يبينه له.

●● ولما قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، حين حج فى سنة سبع وتسعين، أهدى إ ليه خارجة بن يزيد بن ثابت ألف عذق موز، وألف قرعة عسل ابيض، وألف شاة، ومئــة أوزه، وألف دجــاجــة، ومئة جزور، فقال سليمان: اجحفت نفسك يا خارجة، فقال خارجة: انما هذا قرى..!



من التراث

التحرير

(من التراث) صفحات نتذاكر فيها قول الماضين فإ ن فى أقوالهم: الحكمة المرسلة، النكتة الفكهة، القول المعجب، النصيحة البالغة.. وفى جملة أقوالهم امتاع ومؤانسة.. لغة وأدب.. فصاحة لسان وسرعة بديهة.

●● وبالصورة نسترجع تاريخ أمة سلفت .. وتراث حضارات سادت ثم بادت.

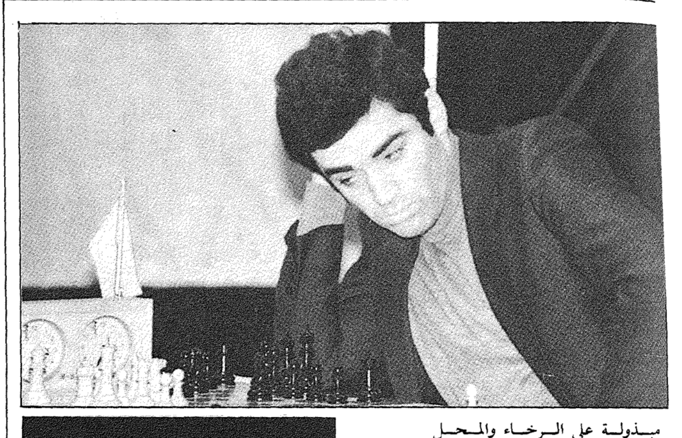
مقتطفات من أرجوزة احمد بن حسين الكيواني

في الشطرنج

أحمد بن حسين بن مصطفى بن حسين بن محمد بن كيوان المعروف بالكيوانى - أحد اكبر شعراء العصر العثماني - ولد فى دمشق، فى عام ١١١١هـ/ ١٦٩٩م تقريباً. جاءت هذه الأرجوزة في ١٨٩ بيتاً. نجتزىء هنا بعض ابيات هذه الأرجوزة نقلاً من مجلة معهد المخطوطات العربية - الكويت، المجلد ٣١/ج١/١٤٠٧هـ

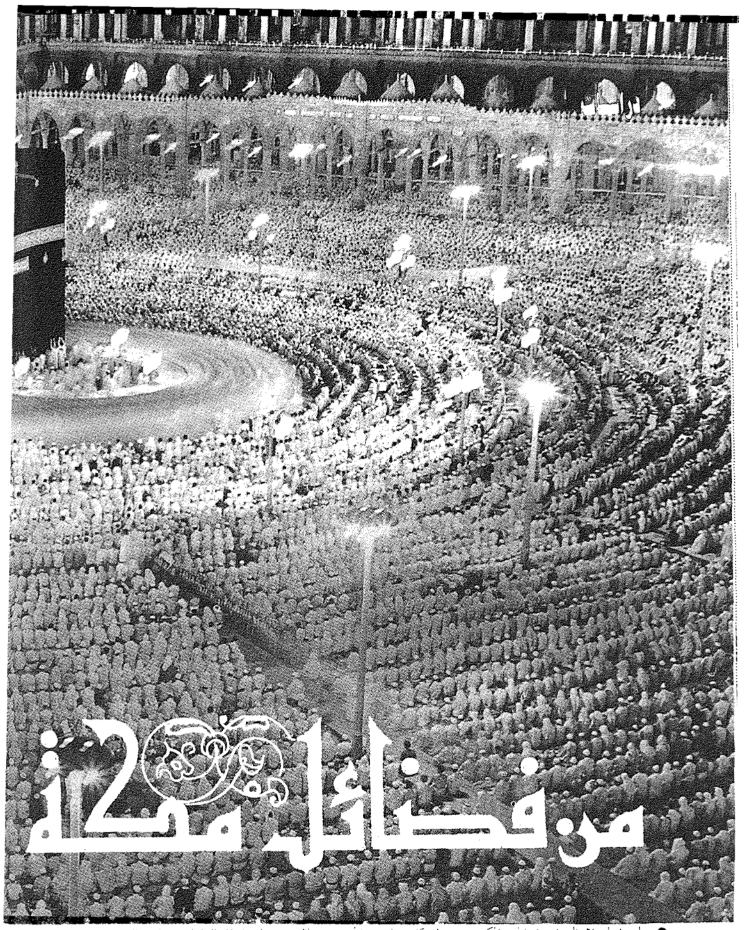
لله در واضع الشطرنج
فالظرف أحيانا إليه يلجي
وانه من جملة الآداب
عند ذوي الأخطار والألباب
والحق أن الشرع عنه ناهى
لكونه من جملة الملاهى
لكن فيه فسحة قد تقبل
عن الإمام الشافعى تنقل
من غير إخلال بحفظ الواجب
ولا قمار وهو سمٌّ الكاسب
وكونه رياضة للفكر
يقبله العقل بغير نكر

قد يحسن اللعب به أحيانا
بقدر ما يروّح الأذهانا
إذ قد يكل السمع من إصغائه
إذا جليس لج في إهذائه
وقد غدت فى عصرنا المعاشره
محاورات كلها مهاتره
أو ترهات فى الفخار زاهقه
والحال على خلاف ذاك ناطقه
وربما أكسب من يزاوله
نباهة إن فاق لا تزايله
وترك من يلهو به للغيبة
في وقتنا هذا بغير ريبة
وانه لعبرة لمن نظر
فقاس دنياه به ثم اعتبر
حوادث يبقى الذي فيها حكم
ومنتهى كل الحوادث العدم
مائدة تغذى القلوب بالحكم
تجل عن وخامة وعن تخم
تلذ للمملق والغني
والحاذق المتقن والغبي



● «شاطورانجا» كما أسماه أهل الهند ـ حيث نشأ الشطرنج ـ وتعنى قوات الحرب الأربع «الفيلة والخيول والعربات وجنود المشاة» وانتقل الشطرنج إلى بلاد المسلمين فأحبوه وطوروه وازدهر على ايديهم وانتشر بينهم ـ ثم انتقل ضمن كثير من الحضارات التى أفاد منها الغرب على يد المسلمين عبر الأندلس . والتاريخ الاسلامى ملىء باسماء دهاقنة الشطرنج

مبذولة على الرخاء والمحل
فيقتدي كل بقدر العقل
جيشان من حام به وسام
من كل حامي حوزة وسام
مفوض التدبير بالتزام
إلى رئيسين من العظام
وليس يدنو ملك من صاحبه
ولا يرى الهدنة من مذاهبه
يجتمعان الدهر فى ذراع
في مثله لكن مع القراع
وكم به منتهز للفرصة
وراجع عن قرنه بغصة
ينجم فيه بطل بعد بطل
ويستوي شان إذا شان بطل
كل يرى مصرعه ويقدم
كأنه يقتل حين يحجم
له فؤاد لم يحل فيه وجل
والجبن لا يغني إذا حل الأجل
كأنه يعلم أن الحذرا
ليس ينجى المرء مما قدرا
وهكذا الحر يرى المنيه
أولى به من خطة دنيه
صمت وصبر وكفاح لم يزل
وخدع من دونها وقع الأسل
وربما عنت قضايا منتجه
لحادثات وخطوب مزعجه
ومشكل ما جال فى وهم البشر
ولا رآه قبله من ذي نظر
فأعجز الوزير عن تدبيره
وازعج السلطان عن سريره
وهكذا حوادث الأيام
تلعب بالحر بلا احتشام



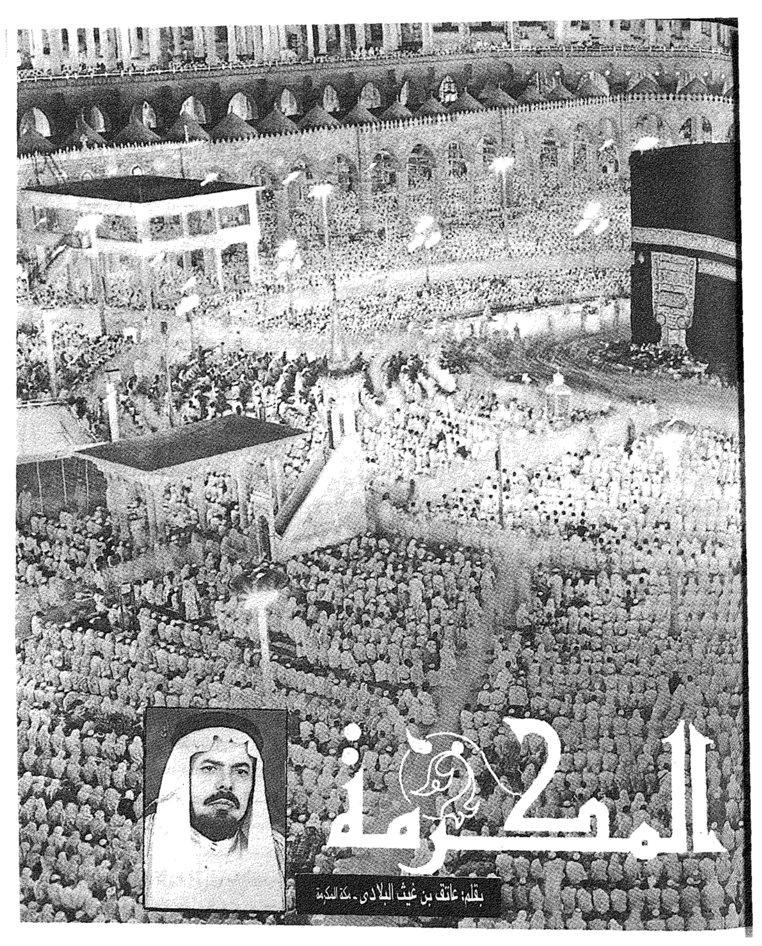
من فضائل مكة

● منظر عام لصلاة التراويح في الحرم المكي، ويرى ان كل مساحات الحرم قد امتلأت بالمصلين ابتغاء الفضل ومضاعفة الاجر.

■ تمهيد:

بين يدى كتاب «**فضائل مكة وحرمة البيت الحرام**» كان لابد أن تكون لمحة عن نشوء هذا المكان المقدس، بل أقدس بقعة على الأرض، على الاطلاق، وأقدمها، لذا لخصت لك نبذة تعريفية سريعة: تقسم مكة تأريخياً الى: الكعبة المشرفة، والمدينة نفسها، أي مكة.

الكعبة المشرفة: مما نقرأه فى النصوص الآتيه بعد



هذا التمهيد: ان الملائكة بنت البيت قبل نزول آدم من السماء، ثم بناه آدم، ثم بنو آدم من بعده.

غير أن البناء الذي لا يشك فيه إطلاقاً المشهود له بنص الذكر الحكيم، هو بناء إبراهيم.

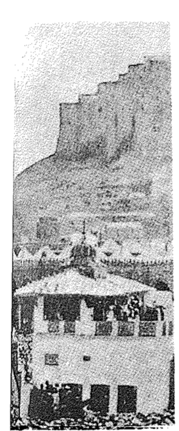
قال تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ (البقرة/ ١٢٧).

وكـــان مكـــان البيت معلومـــاً لإبـــراهيم، عليه

السلام، ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾ (ابراهيم/٣٧).

ثم امر الله جل جلاله ابراهيم ببناء البيت بعد أن انـدثـر بنيانه القديم ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ (الحج/٢٦) ثم بنـاه بنو اسماعيل، ثم تتباعت عليه الأمم فولته جرهم، ثم خزاعة ثم بنو قصي من قريش خاصـة ثم بنتـه قريش قبـل النبوة والرسول ﴿ﷺ﴾ معهم، ثم احترق في الحرب التي كانت بين جيش عبد الملك بن مروان وأهل مكة، فأعاد بناءه عبد الله بن الزبير، ثم هدمه الأمويون لإدخال ابن الزبير الحجر في الكعبة، ثم بنوه. هذا الكلام عن الكعبـة نفسهـا، أمـا المسجـد الحـرام فمازال الولاة والحكـام من لدن عمـر إلى يومنـا هذا يوسعـونـه، ويضيفـون إليه ما يجاوره من دور وسـاحـات حتى أصبح ـ لله الحمد ـ عالماً يصعب على المترددين عليه الالتقـاء، لاتسـاعـه وكثـرة أبـوابـه، وتوسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ تعد أكبر وأضخم توسعة للحرم المكي عبر التاريخ.

مكة المكرمة كمدينة: ظل بنو اسماعيل ومن جاء بعدهم يلون هذا البيت من مضاربهم فيما حوله، ينزلون بيوت الشعر، لا يجرؤ أحد أن يبني بناء ثابتا مخافـة أن يضـاهي بيت الله، حتى وليه قصي بن كلاب، وليه من خزاعة في قصة تاريخية طويلة(١)، فلما ولي البيت وجـد قريشاً متفرقين في القبائل المحيطة بمكـة، فاستثـار حميتهم واسـترق عواطفهم حتى جمعهم حول البيت فسمي «مجمّعاً»، ولما أنهم كانوا لا يزالون ينزلون بيوت الظعن، خاف انفضاضهم من حوله ورجوع كل فرقة إلى ما ألفته من أرض الحجاز، فخط لهم خططاً حول البيت سماها رباعا فاعطى كل فخذ ربعا، ولكنهم تحرجوا من البناء حول الكعبة، فبدأ قصي ببناء دار سماها دار الندوة للتجمع والتشاور بينه وبين قريش، فلما رأيت قريش أن قصياً بنى ولم يحدث له ما كانوا يتوقعون من غضب الله، عرفوا أنه ليس على باطـل، فشرعـوا بالبنـاء، وكـانت بيوتهم



● صورة فوتغرافية للحرم المكي يرجع تاريخها الى عام ١٢٩٧هـ.

كالسوار الدائر بالكعبة، وكأنهم يقصدون من ذلك الذب عنها وحمايتها.

فاذا عرفت زمن قصي الذى عاش فيه عرفت أن مكة المدينة بنيت قبل البعثة النبوية بما لا يزيد عن (٢٥٠) سنة.

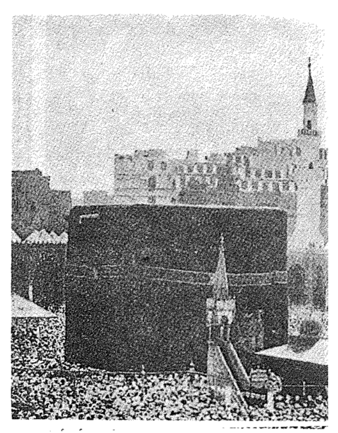
ومكـة هي بيت الله، وأهلها أهل الله، ولابد لكل بيت من حدود، وكيف ببيت من خلق السموات والأرض بمشيئته؟!

فإن الله حدد حدوداً لهذا المسجد هي كالسياج من حولـه، لا يجوز فيها القتال، ولا يحل صيدها ولا يقطع شجرها، ولا تلقط ساقطتها، وقد وضحنا تلك الحدود في كتابنا «معجم معالم الحجاز» فالعودة إليها تغني عن التطويل في هذا المقال المختصر.

أول بيت وضع للعبادة على وجه الأرض:

قال تعـالى ذكـره وتبـارك اسمه: ﴿إن أول بيت وضـع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ (آل عمران/ ٩٦-٩٧).

ورُوى أيضا عن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط رضى الله عنهم فقال: [1] محمد بن على بن الحسين قال كنت مع أبي على بن الحسين بمكة فبينما هو يطوف بالبيت وأنا وراءه إذ جاءه رجل شرجع من الرجال يقول طويل، فوضع يده على ظهر أبى فالتفت أبي إليه فقال الرجل: السلام عليك يا ابن بنت رسول الله اني أريد أن أسألك فسكت أبي وانا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فقمت أنا والرجل خلفه فصلى ركعتي أسبوعه ثم استوى قاعداً فالتفت الى فقمت فجلست الى جنبه فقال يا محمد فأين هذا السائل؟ فأومأت الى الرجل فجاء فجلس بين يدي أبى فقال له ابى عما تسأل؟ قال أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان وأنى كان وحيث كان وكيف كان؟ فقال له أبى نعم من أين أنت؟ قال من أهل الشام قال أين مسكنك؟ قال: فى بيت المقدس قال: فهل قرأت الكتابين؟ - يعني التوراة والانجيل - قال الرجل نعم قال أبى يا أخا أهل الشام احفظ ولا تروين عني إلا حقا أما بدوء هذا الطواف بهذا البيت فان الله تبارك وتعالى قال للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة، فقالت الملائكة أي رب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون، ويتباغضون ويتباغون؟ أي رب اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها، ولا نسفك الدماء، ولا نتباغض، ولا نتحاسد، ولا نتباغى، ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، ونطيعك، ولا نعصيك فقال الله تعالى اني أعلم مالا تعلمون. قال فظنت الملائكة ان ما قالوا رد على ربهم عز وجل وأنه قد غضب من قولهم فلاذوا بالعرش، ورفعوا رؤوسهم وأشاروا بالاصابع يتضرعون، ويبكون اشفاقا لغضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله اليهم فنزلت الرحمة عليهم فوضع الله تعالى تحت العرش بيتا على أربع أساطين من زبرجد وغشاهن بياقوتة حمراء وسمي ذلك البيت الضراح ثم قال الله تعالى للملائكة طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش قال فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش وصار أهون عليهم من

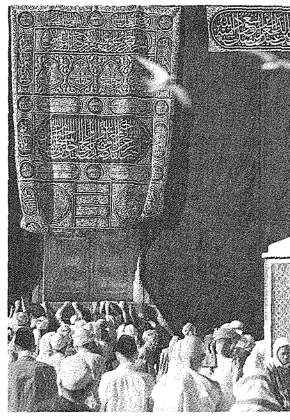


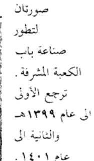
فشهد الله جل وعلا فى الآية الأولى بأن أول بيت وضعه الله لعبادته هو هذا البيت وجعل فيه البركة والهداية، ذلك أن قلوب المؤمنين تخشع عندما تراه، وتزداد ايماناً وتصديقاً، وبكة: هي مكة، وللازرقى - مؤرخ مكة - كلام على هذا، فقال: بكة: المكان الذى فيه البيت الحرام وسمى وادي ابراهيم وادي بكة، وقال: إن وادي فخ «الزاهر اليوم» هو وادي مكة[2].

فيه آيات: قال السلف الصالح عليهم رضوان الله: آيات: مقام ابراهيم وما فيه من أثر قوم سيدنا نبي الله ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وازكى التسليم. وسيأتى الحديث عن مقام ابراهيم منفرداً (ومن دخله كان آمناً) كل من يدخل مكة آمن بأمن من الله، وله باب سيأتى، وكذلك حج البيت له باب.

متى بنيت الكعبة؟

روى الأزرقى بسنده، فقال: كانت الكعبة غثاء على الماء قبل ان يخلق الله عز وجل السموات والارض بأربعين سنة، ومنها دحيت الارض[3].





صورتان لتطور صناعة باب الكعبة المشرفة. ترجع الأولى الى عام ١٣٩٩هـ والثانية الى عام ١٤٠١.

العرش وهو البيت المعمور الذى ذكره الله عز وجل يدخله في كل يوم وليلة سبعون الف ملك لا يعودون فيه أبدا ثم ان الله سبحانه وتعالى بعث ملائكة فقال لهم ابنوا لي بيتاً في الارض بمثاله وقدره فأمر الاله سبحانه من فى الارض من خلقه ان يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، فقال الرجل صدقت يا بن بنت رسول الله ﴿ﷺ﴾ هكذا كان.

بناء آدم البيت

وروى الأزرقى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما، فقال[٥]: عن ابن عباس قال: لما أهبط الله آدم الى الأرض من الجنة كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض وهو مثل الفلك من رعدته قال: فطأطأ الله عز وجل منه الى ستين ذراعا، فقال: يارب مالي لا أسمع أصوات الملائكة ولا أحسهم؟ قال:

قال خطيئتك يا آدم ولكن اذهب فابن لي بيتا فطف به واذكرنى حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى قال: فأقبل آدم عليه السلام يتخطا فطويت له الارض وقبضت له المفاوز فصارت كل مفازة يمر بها خطوة وقبض له ما كان من مخاض ماء أو بحر فجعل له خطوة ولم تقع قدمه في شىء من الأرض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام وان جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أس ثابت على ارض السفلى فقذفت فيه الملائكة من الصخر مالا يطيق حمل صخرة منها ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة أجبل من لبنان وطور زيتا، وطور سينا والجودى، وحراء حتى استوى على وجه الارض[٦] قال ابن عباس: فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام حتى بعث الله الطوفان قال: وكان غضباً ورجساً قال: فحيث ما انتهى الطوفان ذهب ريح آدم عليه السلام قال: ولم يقرب الطوفان ارض السند والهند قال: فدرس موضع البيت في الطوفان حتى بعث الله تعالى ابراهيم واسماعيل فرفعا قواعده وأعلامه وبنته قريش بعد ذلك وهو بحذاء البيت المعمور لو سقط، ما سقط الا عليه.

بناء ابراهيم عليه السلام

وروى الأزرقى أيضا عن ابن جريج بسنده،

فقـال[7]: عن ابن جريـج قال: قال على بن ابى طالب: اقبل ابراهيم عليه السلام والملك والسكينة والصرد[8] دليلا حتى تبوأ البيت الحرام كما تبـوأت العنكبوت بيتها فحفر فأبرز عن ربض في أسها امثال خلف الابل لا يحرك الصخرة الا ثلاثون رجلا قال: ثم قال لابراهيم: قم فابن لي بيتاً قال يارب واين؟ قال: سنريك قال: فبعث الله تعالى سحابة فيها رأس تكلم ابراهيم فقال يا ابراهيم ان ربك يأمرك ان تخط قدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويأخذ قدرها فقال له الرأس أقد فعلت؟ قال: نعم! فارتفعت السحابة فأبرز عن أس ثابت من الارض فبناه ابراهيم عليه السلام، قال: وحدثنى جدي عن سعيد ابن سالم عن عثمان بن ساج قال: اخبرني محمد بن أبان عن ابن اسحاق السبيعى عن حارثة بن مضرب عن على بن ابى طالب - كرم الله وجهه - في حديث حدث به عن زمزم قال: ثم نزلت السكينة كأنها غمامة أو ضبابة في وسطها كهيئة الرأس يتكلم يقول يا ابراهيم خذ قدرى من الارض، لا تزد ولا تنقص، فخط فذلك بكة وما حواليه مكة.

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ (الحج/ ٢٦).

عن أبى ذر قال: سألت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقلت: يارسول الله اى المساجد على وجه الارض وضع اولا؟ قال: المسجد الحرام قال: قلت ثم أى؟ قال: المسجد الاقصى قال: قلت: كم كان بينهما؟ قال: اربعون سنة ثم حيث عرضت لك الصلاة فصل فهو مسجد[9].

عن عائشة زوج النبى ﴿ﷺ﴾، عن النبى ﴿ﷺ﴾، قال: إن مكة بلد عظّمه الله وعظّم حرمته، وحفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئاً من الأرض يومئذ كلها بألف عام، ووصلها بالمدينة، ووصل المدينة ببيت المقدس، ثم خلق الأرض بعد الف عام خلقاً واحدا[10].

«قال على ابن أبى طالب: كانت الارض ماء، فبعث الله ريحاً فمسحت الارض مسحاً، فظهرت على الارض زبدة، فقسمها أربع قطع، خلق من قطعة مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة»[11].

القبلة:

عندما فرضت الصلاة على رسول الله ﴿ﷺ﴾، كان يصلى ويصلى معه المؤمنون إلى بيت المقدس، وهاجر الى المدينة، وكان الأمر كذلك إلا أن النبى ﴿ﷺ﴾، كان يتشوق الى الصلاة إلى بيت الله الحرام، يؤخذ ذلك من الآية التالية، فأنزل الله على رسوله الكريم:

﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم. قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغفل عما يعملون. ولئن أتيت الذين أوتوا الكتب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظلمين﴾ (البقرة/ ١٤٢-١٤٥).

ذلك أنه عندما حولت القبلة إلى الكعبة المشرفة لم يفت اليهود والمنافقين هذا الحدث الدعائى، فأرجفوا فى المدينة، قائلين: (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها)؟.

وهو لمز واضح للتشكيك. ولكن الله أخرسهم، وانزل مؤكداً ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون. ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون﴾ (البقرة/ ١٤٩-١٥٠).

وروى البخـاري عن أنس بن مالـك قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكـل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله فى ذمته[١١].

عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالـوهـا وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها[١٣].

عن أبى أيوب الأنصارى أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال إذا أتيتم الغـائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقـو أو غربـوا قال أبـو أيوب فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة فننحرف ونستغفر الله تعالى. وعن الزهرى عن عطاء قال سمعت أبا أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال: إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ دخـل الكعبـة، ثم خرج منها، فخبط بيده الكعبة ثلاثاً، وقال: هذه القبلة، هذه القبلة، هذه القبلة. وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا قال الشيء قاله ثلاثاً[١٤].

عن عطاء، قال: سمعت ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يقول: أخبرنى أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﴿ﷺ﴾ دخل البيت، ثم خرج، فركع ركعتين، وقال: هذه القبلة.

أهلها مطعمون من جوع آمنون من خوف:

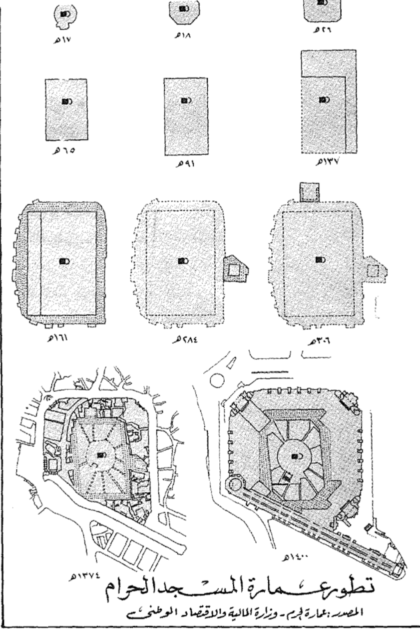
قال تعـالى: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش/١-٤).

قال القـرمطى ـ يرحمه الله[١٥] ـ قيل إن هذه السورة مرتبطة بالتى قبلها فى المعنى (أى سورة الفيل) يقول: أهـلكـت أصـحـاب الـفـيل لإيلاف قريش، أي لتأتلف، أو لتتفق، أو تأمن فتؤلف رحلتيها. (رحلة الشتاء والصيف) رحلتان ابتدعتها قريش: احداهما إلى الشام فى الصيف، والأخرى الى اليمن، وقيل: بل يصيفون فى الطائف ويشتون بمكة، وباقى معنى السورة: أمر بعبادة رب هذا البيت، ثم امتنان عليهم وعـد بأنه يطعمهم من الجوع ويؤمنهم من الخوف، وكـأنه ـ جل وعلا ـ يقول: انصرفوا لعبادتى، فقد كفيتكم ما تخافون، الفقر والعدو.

ويؤكـد هذا قول ابـراهيم عليه السـلام، قال البـارى على لسانه: ﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عنـد بيتـك المحـرم ربنـا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (ابراهيم/٣٧).

فأكـد أن اسكـان هذه الذرية بجوار البيت إنما الغـرض منه العبادة، (ليقيموا الصلاة) ثم ادركت إبراهيم عاطفة الأبوة فخاف أن يوحشهم الانفراد، ويذهب طلب الـرزق بكثير من جهدهم، بل ربما حفزهم إلى ترك هذا البيت، فذهبوا يلتمسونه فى غيره من البلاد، فقال: (وارزقهم من الثمرات) ثم تمنى أن يكـون ذلـك حافـزاً لهم على الشكـر (لعلهم يشكـرون) فاستجـاب الله لدعـوة خليله، فجعـل النـاس يفـدون إلى هذا البيت (رجـالا وعـلى كل ضامر)[١٦]. وبسط لهم الرزق حتى أنك لتجد فى مكة فاكهـة الشتـاء فى الصيف، وتجد فاكهة الصيف فى الشتاء، وقد رأيت كما رأى غيرى بلداناً تنتج الفاكهة وتصـدرهـا إلى هذا البلد، فاذا التمست الفـاكهـة والخضار فى ذلك البلد المصدر لم تجد إلا رديئها، بينما تجد نضارتها وينعها فى مكة، ولو عددت ما فى مكة من أصناف الفاكهة والخضر والحبوب والألبسه، لوجدت فيهـا مالا يتوفر فى بلد عدده وتنوعه. ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (الذاريات/٥٨).

واستجاب ربنا لدعاء ابراهيم ـ عليه السلام ـ ولم يقصر ذلك على المؤمنين، بل وعد أن يمتع من كفر منهم، ثم يجعل حسابه يوم القيامة عذاب النار وبئس المصير، ذلك أنه لم يشكر أنعم الله عليه فكفر فى حرم الله، إلحـاداً واغتراراً بحلم الله تبارك وتعالى، قال



● رسم يبين تطور عمارة المسجد الحرام منذ عام ١٧هـ.

جل من قائل:

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا وأرزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ (البقرة/١٢٦).

وما يجلب إلى مكة هو رزق هؤلاء المقيمين حول البيت، لا يجوز احتكاره وقت الرخص ليباع وقت الغلاء، ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (القصص/٥٧)، فتأمل كلمة (كل شيء).

وروى عن ابن عباس: الاحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم، وقيل: الكذب أيضاً[١٧] والذين يأتون إلى مكة حجاجاً أو عماراً أو لأي غرض، وجب عليهم أن يحملوا ازوادهم أو ما يشترون به لئلا يضايقوا أهل الحرم.

«عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى «وتزودوا فان خير الزاد التقوى»[١٨].

وكان عمر رضى الله عنه: ينادى بعد الفراغ من الحج: يا أهل الشام شامكم، ويا أهل اليمن يمنكم. وظل هذا النداء بعد كل حج حتى أبطله الشريف (الحسن بن أبى نمى - ت ١٠١٠هـ)[١٩].

وعن عطاء، قال: إن ابن عمر - رضي الله عنهما - جاء يطلب رجلا فى أهله فقالوا: خرج إلى السوق يشترى، فقال: لأهله أو للبيع؟ فقال أهله: وللبيع، قال: فإذا جاء فأخبروه أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «احتكار الطعام بمكة إلحاد»[٢٠].

عن يعلى ابن مرة، أنه سمع عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول: يا أهل مكة لا تحتكروا

الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلحاد[٢١].

قال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان امنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ (آل عمران/ ٩٦-٩٧).

قال القرطبى ـ رحمه الله ـ[٢٢] ما ملخصه: أثر قدمي ابراهيم عليه السلام فى المقام (آيات بينات) وفسر مجاهد مقام ابراهيم بالحرم كله، ويؤخذ من مجمل ما أورده أن الحجر الأسود والصفا والمروة وكل المشاعر (آيات بينات) (ومن دخله كان آمنا) قال قتادة: ذلك أيضاً من آيات الحرم، لأن الناس كانوا يتخطفون من حواليه، ولا يصل إليه جبار.

وقال تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (البقرة/ ١٢٥).

■ قال القرطبى[٢٣]، فى تفسيره: (مثابة): مرجعاً، أى يتوبون إليه، أي يرجعون إليه، ويثابون عليه، أى يكسبون الثواب بها يفعلون فيه. (وأمنا) أي من دخله أمن من الخوف (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قال القرطبى: ـ بعد روايات ـ واختلق فى تعيين المقام على أقوال، أصحها ـ أنه الحجر ـ الذى تعرفه الناس اليوم الذى يصلون عنده ركعتي طواف القدوم، قال مؤلفه ـ غفر الله له ـ هذا ما عليه الناس اليوم.

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قدم النبى ﴿ﷺ﴾، فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة[٢٤].

وروى الازرقى، قال: لما فرغ ابراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام، جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: طف به سبعاً، فطاف به سبعاً هو واسماعيل يستلمان الأركان كلها فى كل طواف، فلما أكملا سبعا، صليا خلف المقام ركعتين[٢٥].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «اذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض فى الرحمة فاذا دخله غمرته ثم لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً إلا كتب الله عز وجل له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة أو قال خطيئة ورفعت له خمسمائة درجة فاذا فرغ من طوافه فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٢٦].

الحجر الأسود:

الحجر الاسود: هو ركن الكعبة الشرقى، يسن استلامه عند الطواف، وله فضائل عظيمة كما سترى مما يتبع، وهو من آيات الله فى الأرض، يغفر الله الذنوب باستلامه، ولا يوجد حجر فى الدنيا يجوز للانسان تقبيله والتكبير عليه غير هذه الكعبة المشرفة، بيت الله الذى لا يؤمه مؤمن الا غفر له.

● أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام.

جاء فى صحيح البخارى: «عن عائشة رضى الله عنها قالت سألت النبى ﴿ﷺ﴾ عن الجدر أمن البيت هو قال نعم قلت فما لهم لم يدخلوه فى البيت قال إن قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعاً قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر فى البيت وأن ألصق بابه بالأرض»[٢٧].

قال مؤلفه ـ غفر الله له ـ ولعل هذه مشيئة إلٓهية لم تدرك فى حينها، فإن معظم الناس اليوم لا يتسنى لهم دخول الكعبة المشرفة، وبما إن «الحجر» من الكعبة فإن الكثيرين يؤمونه ويصلون فيه بلا كثير عناء.

وعن عبد الله بن ضمرة السلولى يقول: ما بين الركن الى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبياً جاءوا حجاجاً فقبروا هنالك[٢٨].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: الركن

المقام من الجنة[29].

عن وهب بن منبه ان عبد الله بن عباس اخبره ان النبي ﴿ﷺ﴾ قال لعائشة وهي تطوف معه بالكعبة حين استلم الركن: لولا ما طبع على هذا الحجر، يا عائشة من ارجاس الجاهلية وانجاسها إذا لاستشفي به من كل عاهة وإذاً لألفي اليوم كهيئته يوم أنزله الله عز وجل وليعيدنه الى ما خلقه اول مرة وانه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة ولكن الله سبحانه وتعالى غيره بمعصية العاصين، وستر زينته عن الظلمة والاثمة لانه لا ينبغى لهم ان ينظروا الى شيء كان بدءه من الجنة[30].

وعن ابن عباس قال: الركن يمين الله في الارض يصافح بها عباده كما يصافح احدكم اخاه، حدثنا ابو الوليد حدثنا محمد بن أبى عمر حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد الأعمى عن أبيه عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فلما دخلنا الطواف قام عند الحجر وقال: والله انى لا علم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقبلك ما قبلتك ثم قبله ومضى في الطواف فقال له علي عليه السلام: بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع قال: وبم ذلك؟ قال: بكتاب الله تعالى قال: واين ذلك من كتاب الله تعالى؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ الآية (الاعراف/١٧٢). قال: فلما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره فأخرج ذريته من صلبه فقررهم انه الرب وهم العبيد ثم كتب ميثاقهم في رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له: افتح فاك قال: فألقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع وقال: تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، قال: فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم ياأبا الحسن[31].

وعن ابن عباس قال: ليبعثن الله عز وجل هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بالحق[32].

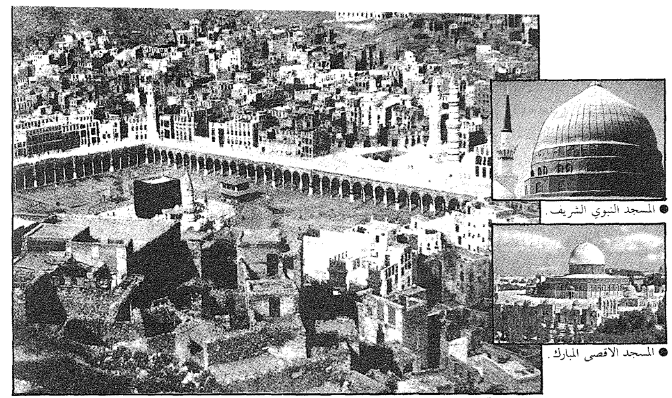
وعنه أيضا: أن هذا الركن الاسود يمين الله عز وجل فى الارض يصافح بها عباده مصافحة الرجل اخاه[33]، وعنه أيضا ـ رضى الله عنهما: انزل الركن والمقام مع آدم عليه السلام ليلة نزل بين الركن والمقام فلما أصبح رأى الركن والمقام فعرفهما فضمهما إليه وأنس بهما[31].

عن عكرمة قال: أن الحجر الأسود يمين الله فى الارض فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﴿ﷺ﴾ فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله ﴿ﷺ﴾. وعن عطاء بن السايب أن عبيد بن عمير قال لابن عمر: إنى أراك تزاحم على هذين الركنين فقال: انى سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: ان استلامهما يحط الخطايا حطاً.

وعن ابن جريج أن رجلا يقال له: حميد بن نافع قال لابن عمر: رأيتك تصنع أشياء لا يصنعها غيرك، فقال ابن عمر: إنك لا تزال طاعناً فى شيء ما هو؟ قال: رأيتك تصفر لحيتك وتلبس النعال السبتية ولا تهل فى الحج والعمرة حتى تنبعث بك ناقتك ولا تستلم إلا هذين الركنين الشرقيين. قال: اما ما ذكرت من تصفير لحيتى فاني رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يصفر لحيته، واما ما ذكرت من النعال السبتية فاني رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ لم يلبس غيرها حتى مات، واما ما ذكرت من استلام الركنين الشرقيين فان رسول الله ﴿ﷺ﴾ لم يستلم غيرهما حتى مات، واما اهلالي حين تنبعث ناقتى فان رسول الله ﴿ﷺ﴾ لم يكن يهل حتى تنبعث به راحلته.

فضل زمزم:

يتفق المؤرخون على أن زمزم سقيا اسماعيل وأمه عليهما السلام، ولكنهم يختلفون اختلافاً بسيطاً على سبب انبثاق الماء، فطائفة قالت: جاء ابراهيم عليه السلام، ومعه هاجر وابنها رضيع، فتركهما عند البيت ومعهما شيء من ماء قليل، فلما نفد ماؤهما تركت هاجر ابنها وطفقت تركض حتى أشرفت من على الصفا، ثم أسرعت حتى أشرفت من على المروة، لعلها ترى أحداً تستغيث به، وفعلت ذلك سبع مرات، ومن فعلها سُن السعي بين الصفا والمروة.


المسجد النبوي الشريف.

المسجد الاقصى المبارك.

صورة لمكة المكرمة ترجع لعام ١٨٨٥م.

وتقول هذه القصة أن اسماعيل جعل يصرخ ويفحص برجليه فى الأرض، فأنبع الله جدول ماء من تحتهما، ولما لم تر هاجر أحداً وخافت على ابنها السباع، عادت إليه، فاذا ذلك الماء ينساب من تحت قدميه، فذهب تحجره، وهى تقول له (زم زم)[٣٥].

أما القصة الثانية، فتقول: كانت سارة زوج ابراهيم عاقراً وكانت هاجر مولاة لها فوهبتها ابراهيم على شرط الا يسوءها، فحملت وانجبت اسماعيل، فحملت سارة وانجبت اسحاق، فشبا فاستبقا فسبق اسماعيل اسحاق، فاحتضنه أبوه علامة الرضا، فقالت سارة: تعلم أني شرطت عليك أن لا تسوءني بها، فقد ساءنى ما عملت فاخرجها عني.

وكان ابراهيم نبياً مرسلا يعرف موقع البيت الحرام، فاحتمل ابنه اسماعيل وأمه حتى اسكنهما بجوار البيت، ثم تولى عنهما، فادركته رأفة الأب، فقال:

﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (ابراهيم/٣٧).

فلما نفد ما معهما من ماء، قالت هاجر: يا بنى تنح عنى حتى لا أراك وانت تموت، ولا ترانى. فافترقا، فنزل جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الأرض فانبثق الماء، فاسرعت هاجر تحجره، ولذا يقول الشاعر:

وطفقت تبني له الصفائحا
لو تركته كان ماء سائحا

ثم اندثرت زمزم مع تقادم الزمن، حتى يسر الله بعثها على يد عبد المطلب، جد رسول الله ﴿ﷺ﴾ فحفرها، وفى هذا تقول صفية بنت عبد المطلب:

«**نحن حفرنا للحجيج زمزم ـ سقيا نبى الله فى المحرم ـ وركضة جبريل ولما يفطم**»[٣٦].

وعن وهب بن منبه أنه قال فى زمزم: والذي نفسى بيده أنها لفي كتاب الله مضنونة وانها لفى كتاب الله تعالى برة وانها لفي كتاب الله سبحانه شراب الابرار وانها لفي كتاب الله طعام طعم وشفاء سقم.

وعن ابن خيثم قال: قدم علينا وهب بن منبه فاشتكي، فجئناه نعوده فاذا عنده من ماء زمزم قال: فقلنا: لو استعذبت فان هذا ماء فيه غلظ، قال: ما أريد أن أشرب حتى أخرج منها غيره والذى نفس وهب بيده إنها لفي كتاب الله زمزم، لا تنزف ولا تذم وإنها لفي كتاب الله برة شراب الابرار، وإنها لفى كتاب الله مضنونة، وإنها لفى كتاب الله طعام طعم وشفاء سقم، والذى نفس وهب بيده لا يعمد اليها أحد فيشرب منها حتى يتضلع الا نزعت منه داء

وأحدثت له شفاء[٣٧].

وعن جابر عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: (ماء زمزم لما شرب له).

وعن أبى الطفيل قال: سمعت ابن عباس يقول: كانت تسمى فى الجاهلية شباعة - يعنى زمزم - ويزعم انها نعم العون على العيال[٣٨].

وعن ابن عباس قال: صلوا فى مصلى الاخيار، واشربوا من شراب الابرار، قيل لابن عباس: ما مصلى الاخيار؟ قال تحت الميزاب، قيل وما شراب الابرار؟ قال: ماء زمزم - وقال عبدان أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يونس عن الزهرى قال أنس بن مالك كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال فرج سقفى وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغها فى صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال جبريل.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأتِ رسول الله ﴿ﷺ﴾ بشراب من عندها فقال اسقنى قال يارسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقنى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها، فقال اعملوا فإنكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه يعنى عاتقه وأشار إلى عاتقه[٣٩].

إليه تشد الرحال:

من الاحاديث المتوازة المشهورة، قوله صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الاقصى»، وشد الرحال هنا لطلب الأجر وتأدية العبادة، أما للمنافع الدنيوية فالسفر مباح إلى كل مكان وفي أى زمان.

وجاء فى صحيح البخاري: «عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى[٤٠].

وعن أبى سعيد، وعبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى المسجد الاقصى، وإلى مسجدى هذا»[٤١].

وعن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»[٤٢].

وعن قزعة، قال: أردت الخروج إلى الطور، فأتيت ابن عمر - رضي الله عنهما - فقلت له، فقال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد، إلى مسجد رسول الله ﴿ﷺ﴾ والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ودع عنك الطور ولا تأته[٤٣].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾: تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الاقصى[٤٤].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، إلى المسجد الحرام، وإلى المسجد الأقصى، وإلى مسجدي، ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا معها زوجها، أو ذو رحم[٤٥].

وعن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى.

فضل الصلاة فى المسجد الحرام:

جاء فى صحيح البخارى: عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام[٤٦].

وجاء فى صحيح مسلم عن سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة يبلغ به النبى ﴿ﷺ﴾ قال: صلاة فى مسجدى هذا افضل

من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام[47].

عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى غيره من المساجد الا المسجد الحرام[48].

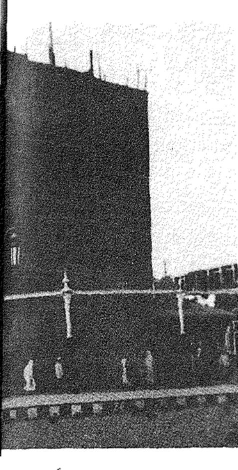
عن الزهرى عن ابى سلمة بن عبد الرحمن وابى عبد الله الاغر مولى الجهنيين وكان من اصحاب ابى هريرة انهما سمعا ابا هريرة يقول: صلاة فى مسجد رسول الله ﴿ﷺ﴾ افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فان رسول الله ﴿ﷺ﴾ آخر الانبياء وان مسجده آخر المساجد، قال ابو سلمة وابو عبد الله لم نشك ان ابا هريرة كان يقول عن حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ فمنعنا ذلك، ان نستثبت ابا هريرة عن ذلك الحديث حتى اذا توفى ابو هريرة تذاكرنا ذلك وتلاومنا أن لا نكون كلمنا ابا هريرة فى ذلك حتى يسنده الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ان كان سمعه منه فبينا نحن على ذلك جالسنا عبد الله بن ابراهيم بن قارظ فذكرنا ذلك الحديث والذى فرطنا فيه من نص ابى هريرة عنه فقال لنا عبد الله بن ابراهيم أشهد أنى سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ فانى آخر الانبياء وان مسجدى آخر المساجد.

عن عطاء، عن جابر، أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال «صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه».

قال مؤلفه: هذا النص هو الذى يعتقد أهل العلم اليوم صحته، ولا تعارض بينه وبين ما سبقه من أحاديث.

خواص مكة:

لهذا البلد الحرام خواص ليست لغيره من البلدان، فإلى جانب أنه بيت الله الذى لا بيت له غيره فى الأرض، وأن أهله أهل الله، ولا ناس غيرهم يطلق عليهم هذا الاسم، فإنه لا يحج إلى غيره، وغير



● حريق الكعبة المشرفة فى عام ١٣٧٨هـ.

هذا مما خصه الله به دون غيره، فإن له خواصاً موقوفة عليه وحده منها:

جواز الصلاة فى كل وقت فى المسجد الحرام:

عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ يا بنى عبد مناف، أو يا بني عبد المطلب إن وليتم من هذا الأمر شيئا فلا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت، وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار[49].

حدثنا عبد الجبار بن العلاء، ومحمد بن يحى قالا: ثناسفيان عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله - يزيد أحدهما على صاحبه - قال: كان ابن عمر - رضى الله عنهما - لا يرى بأساً أن يطوف الرجل بعد العصر سبعاً، أو بعد الصبح سبعاً، ويصلي ركعتين[50].

وعن مجاهد، انه كان يقول: بلغنا أن أبا ذر - رضى الله عنه - قال: رأيت النبى ﴿ﷺ﴾ أخذ بحلقي باب الكعبة وهو يقول: ألا لا صلاة بعد العصر، ألا لا صلاة بعد العصر، ألا لا صلاة بعد العصر إلا بمكة[51].

وعن عمرو بن دينار، قال: رأيت أنا وعطاء بن

قالوا: ولما بوأ الله جل وعلا، لإبراهيم مكان البيت وأمره ببنائه، قال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (البقرة/١٢٧).

فلما اتم بناءه قال له جل جلاله: «أذن فى الناس وادعهم الى حج هذا البيت، قال إبراهيم: ربى، وما عسى أن يبلغ دعائى؟ قال الرب جل وعلا: (أذن وعلى البلاغ) فوقف ابراهيم على المقام فارتفع به حتى علا جبال مكة، فقال: يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتاً وأمركم أن تحجوا إليه فحجوا، فقيل ان كل من حج ويحج إلى يوم القيامة هو مستجيب لتلك الدعوة يتوارثونها فى الأصلاب.

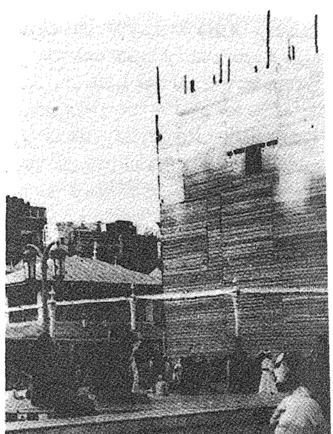
قال تعالى: ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ (الحج/٢٩).

فلما بدأت وفود الله تترى، قال جل وعلا: ﴿واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ (الحج/٢٦).

فشرع الرب جل جلاله أن على أهل هذا البيت - بعد توحيد الله - تطهير البيت للعبادة، ووصف عباده بأنهم بين: طائف وقائم وراكع وساجد.

عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على (بن أبى طالب) رضى الله عنهم، قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «من أراد الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت، فما أتاه عبد يسأل الله دنيا إلا أعطاه الله منها، ولا يسأله آخرة إلا ادخر له منها، ألا أيها الناس عليكم بالحج والعمرة فتابعوا بينهما، فانهما يغسلان الذنوب كما يغسل الماء الدرن على الثوب، وينفيان الفقر كما تنفي النار خبث الحديد»[٥٣].

وبنفس السند قال: سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾، يقول (تحت ظل العرش، يوم لا ظل الا ظله، رجل خرج من بيته حاجاً أو معتمراً إلى بيت الله الحرام)[٥٤]، وقال عمر رضى الله عنه شدوا



أبى رباح، عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - طاف بعد الصبح وصلى[٥٢].

وعن ابن جريج، قال: سمعت عبد الله بن أبي مليكة يذكر أنه رأى ابن عباس - رضى الله عنهما - يوم التروية طاف بعد العصر سبعاً، ثم صلى ركعتين، ثم انطلق، وعن أبي شعبة - إن شاء الله - قال: إن الحسن والحسين - رضى الله عنهما - طافا بعد العصر وصليا.

فضل الحج:

الحج ركن من أركان الاسلام، وهو الركن الخامس، إلا أنه مشروط بالاستطاعة، قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ (آل عمران/٩٧).

قال الفقهاء: الاستطاعة: الزاد والراحلة والمقدرة الشخصية (الصحة والحرية، والأمن على النفس والمال والولد، ومن كان مملوكاً أن يأذن سيده، واذن الزوج لمن يرى ذلك).

كفر: أي جحد وأنكر.

الرحال في الحج فانه أحد الجهادين(٥٥).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: سئل النبى ﴿ﷺ﴾ أى الأعمال أفضل قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال جهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور(٥٦).

لا جدال فى الحج:

قال تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾ (البقرة/١٩٧).

وعن أبى هريرة: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة(٥٧)، وعنه أيضا: قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه»(٥٨).

وعنه رضى الله عنه، عن رسول الله ﴿ﷺ﴾، أنه قال: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم»(٥٩).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قام رجل إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾، فقال: يارسول الله! ما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة» قال: فما الحاج؟ قال: «الشعث التفل». وقام آخر، فقال: يارسول الله! وما الحج؟ قال: «العج والثج»(٦٠).

وعن أم الحكم سكينة بنت أبى وقاص - رضي الله عنها - أنها قالت: إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ ذكر الجهاد، فقالت: يارسول الله فما جهادنا؟ فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: جهادكن الحج.

وعن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت: قلت: يارسول الله، هل على النساء جهاد؟ قال ﴿ﷺ﴾: نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة(٦١).

عن عابس بن ربيعة، قال: سمعت عمر - رضى الله عنه - يقول: إذا وضعتم السروج فشدوا الرحال إلى الحج والعمرة، فإنه أحد الجهادين، عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: الحج جهاد كل ضعيف(٦٢)، وعن أبي أمامة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، أو مرض حابس، ثم مات ولم يحج، فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا(٦٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات.

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: من خرج فى هذا الوجه لحج أو لعمرة، فمات فيه لم يعرض، ولم يحاسب، وقيل: أدخل الجنة(٦٤) وعن عمر - رضى الله عنه - قال: ثم ابلغوا الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب(٦٥) وعن عبد الله عبد عمر - رضى الله عنهما - قال: الحج المبرور اطعام الطعام، وحسن الصحابة.

وعن سهل بن سعد - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ما لبى ملب إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا(٦٦).

● «مكة» المدينة بنيت قبل البعثة النبوية بما لا يزيد عن ٢٥٠ سنة.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: إن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: الحجاج والعمار وفد الله - عز وجل - إن سألوا اعطوا، وان دعوا أجيبوا، وإن أنفقوا أخلف لهم، والذي نفس أبي القاسم ﴿ﷺ﴾ بيده ما أهل مهل ولا كبر مكبر على شرف من الأشراف إلا أهل ما بين يديه، وهلل بتهليله وتكبيره حتى ينقطع منقطع التراب(٦٧)

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾: الحاج والمعتمر والغازي وفد الله، ضمانهم على الله - عز وجل - حتى يدخلهم الجنة ان توفاهم، أو يرجعهم وقد غفر لهم. عن ابن عمر - رضي الله

عنها - قال: الحاج والمعتمر وفد الله - تعالى - يعطيهم مسألتهم ويستجيب دعاءهم، ويقبل شفاعتهم، ويضاعف لهم ألف ألف ضعف.

وعن ابن عمر - رضي الله عنها - قال: قال النبي ﴿ﷺ﴾: إذا لقيت الحاج فصافحه، وسلم عليه، ومره فليستغفر لك، فإنه مغفور له[٦٨]، وعن معاوية بن اسحاق، قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: الحاج يغفر له، ولمن استغفر له الحاج الى انسلاخ المحرم[٦٩].

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ثلاثة فى ضمان الله - عز وجل - رجل خرج من بيته إلى مسجد من مساجد الله - عز وجل - ورجل خرج غازياً في سبيل الله - تعالى - ورجل خرج حاجاً[٧٠].

وعن طلحة بن عبيد الله، رضى الله عنه، أنه سمع رسول الله ﴿ﷺ﴾، يقول: «الحج جهاد، والعمرة تطوع»[٧١]، وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾: الحج سبيل الله - عز وجل - تضاعف نفقته سبعمائة ضعف[٧٢]، وعن مجاهد، قال: حج الأبرار على الرحال[٧٣]، وعن سعيد بن جبير، قال: لا يزال الناس بخير ما حجوا واعتمروا[٧٤].

وعن عكرمة، قال: قال ابن عباس - رضى الله عنهما - ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ (المائدة/ ٩٧)، قال: قيام دينهم، والذى نفسى بيده لو تركوه عاماً واحداً ما نوظروا[٧٥]، وعن علي - رضي الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا﴾ (آل عمران/٩٧)، قالوا: يارسول الله، أفي كل عام؟ فسكت. قالوا: أفي كل عام؟ فسكت. (قالها ثلاثا) ثم قال: لا، ولو قلت: نعم لوجبت، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (المائدة/١٠١).

فضل عرفة (حج عرفة):

عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال: سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: «الحج عرفات، من أدرك عرفة قبل الفجر فقد أدرك الحج»[٧٦] فى هذا الحديث مسائل، منها:

١ - قوله: الحج عرفة، حكم قطعي بأن لا حج لمن لم يقف بعرفة، ساعة من نهار أو ليل، ليس معناه أن عرفة هي كل الحج.

٢ - قوله: من أدرك عرفة قبل الفجر... الخ. أي قبل فجر يوم النحر.

مباهاة الله جل جلاله بالواقفين بعرفة

عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنهم قال: لما كان عشية عرفة، ورسول الله ﴿ﷺ﴾ واقف أقبل على الناس بوجهه فقال: «مرحباً بوفد الله ثلاث مرات الذين إذا سألوا الله أعطاهم ويخلف عليهم نفقاتهم في الدنيا ويجعل لهم في الآخرة مكان كل درهم ألفاً، ألا أبشركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإنه إذا كان فى هذه العشية هبط الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا، ثم أمر الله ملائكته فيهبطون إلى الأرض، فلو طرحت إبرة لم تسقط إلا على رأس ملك ثم يقول سبحانه وتعالى: يا ملائكتى انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً قد جاءوني من أطراف الأرض هل تسمعون ما قالوا؟ قالوا: يسألونك أي رب المغفرة قال: أشهدكم أني قد غفرت لهم ثلاث مرات فأفيضوا من موقفكم مغفوراً لكم ما قد سلف»[٧٧].

وبنفس السند قال:

قال: لما كان يوم النفر أصيب رجل من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ فغسله وكفنه وصلى عليه، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقال: «هذا المطهر يلقى الله عز وجل بلا ذنب له يتبعه»[٧٨].

وجاء فى إحياء علوم الدين: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ما رؤى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدحر، ولا أحقر، ولا أغيظ منه يوم عرفة، وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام، إذ يقال: إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة، وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾[٧٩].

الهوامـــــش

(*) هذه مقتطفات مستلة من كتاب (فضائل مكة وحرمة البيت الحرام).

(١) راجع فى ذلك: اخبار مكة للازرقى، والفاكهي، وأيام العرب فى الجاهلية وغيرها.

(٢) انظر عن كل ما يرد فى هذا الكتاب من معالم: كتابي (مكة التاريخية والأثرية) فهناك التفصيل.

(٣) اخبار مكة للازرقى: ١/ ٣١.

(٤) نفس المصدر: ٣٢ و٣٣و٣٤.

(٥) الازرقى - اخبار مكة: ١/ ٣٦، ٣٧.

(٦) صورزيتا: من فلسطين، وطورسينا: بين خليج العقبة وخليج السويس، فى الأرض المعروفة بسيناء والجودى: جبل بشمال العراق، وعليه هبطت سفينة نوح، وهو لايزال معروفاً، أما لبنان وحراء، فأشهر من أن يعرفا.

(٧) اخبار مكة للازرقى ١/ ٦٠.

(٨) السكينة: ظلة كهيئة الغمامة أي السحابة، والصر: خلق داخل الغمامة يتكلم.

(٩، ١٠) الأزرقى: ٦٢، ورواه ابن ماجة.

(١١) فضائل القدس: ٧٢ و٧٣.

(١٢) البخارى: ١/ ١٧٤.

(١٣) نفس المصدر: ١/ ١٧٥.

(١٤) الفاكهى: ١/ ١٨٠، هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط، عليهم رضوان الله.

(١٥) الجامع لأحكام القرآن: تفسير سورة قريش.

(١٦) الضامر من الابل أو الخيل: التى اعدت للسفر فغمرت بالاغطاء حتى يخف لحمها ويخمص بطنها فتكون خفيفة سريعة.

(١٧) احياء علوم الدين: ١/ ٢١٨.

(١٨) صحيح البخارى: ٢/ ٢٥.

(١٩) خليل ابراهيم فى كتاب على الفاري: ١٩.

(٢٠، ٢١) الفاكهى: ٣/ ٥٠، ٥١.

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ١٣٧.

(٢٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١١٠.

(٢٤) البخارى: ١/ ١٧٦.

(٢٥) اخبار مكة للازرقى: ١/ ٦٦.

(٢٦) نفس المرجع: ٢/ ٤، ٥.

(٢٧) البخارى: ٢/ ٢٨٧، وهذا الحديث كان مكانه «حجر اسماعيل» وترى قريباً منه هناك.

(٢٨) الأزرقى: ١/ ٦٨.

(٢٩) نفس المرجع: ١/ ٣٢٢، وقد تقم مثيل له فى «المقام».

(٣٠) نفس المرجع ١/ ٣٢٣.

(٣١) الأزرقى: ١/ ٣٢٣.

(٣٢، ٣٣، ٣٤) نفس المصدر: ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣١.

(٣٥) هذه الأخبار مروية فى تأريخ مكة، معظمها، وفي السيرة والبلدانيات، وغيرها.

(٣٦) لعلها تقصد بمن لم يفطم: نبى الله. أى اسماعيل.

(٣٧) اخبار مكة للازرقى: ٢/ ٤٩، ٥٠.

(٣٨) الازرقى: ٢/ ٥٢، ٥٣.

(٣٩) البخارى: ٢/ ٣٠٣. قوله: لنزلت. فى بعض الروايات (لنزعت) اى جذبت الماء من البئر فزعاً.

(٤٠) البخارى: ٢/ ١٣٦ مع اختلاف اللفظ.

(٤١) سنن ابن ماجة: ٤٥٢.

(٤٢) الفاكهي: ٢/ ٩٤، ورواه الازرقى: ٢/ ٦٥.

(٤٣) نفس المصدر: ٢/ ٩٧.

(٤٤) نفس المصدر: ٢/ ٩٩.

(٤٥) الازرقى: ٢/ ٦٣.

(٤٦) البخارى: ٢/ ١٣٦.

(٤٧) مسلم: ٤/ ١٢٤.

(٤٨) سنن ابن ماجة: ١/ ٤٥٠.

(٤٩) الفاكهى: ١/ ٢٥٤ وابن ماجه: ٣٩٨.

(٥٠) نفس المصدر: ١/ ٢٥٨.

(٥١) نفس المصدر: ١/ ٢٥٥.

(٥٢) نفس المصدر: ١/ ٢٥٧.

(٥٣) مسند الامام زيد: ١٩٧، ١٩٨ وفى سنن ابن ماجه (بأقصر من هذا).

(٥٤) صحيح البخارى: ٣/ ٢٦٣.

(٥٥) نفس المصدر ٣/ ٢٦٤.

(٥٦، ٥٧، ٥٨) سنن ابن ماجة: ٢/ ٩٦٤.

(٥٩) سنن ابن ماجة: ٢/ ٩٦٧، الشعث، الشعث: من تشعث رأسه من قلة المشط والدهان، فهو أشعث، التفل: الذى تكدهت رائحته من قلة الطيب والدهان، العج: ضجيج الملبين المستغفرين، الثج: سفك دماء الضحايا.

(٦٠) الفاكهى: ١/ ٣٧٦.

(٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩) نفس المصدر: ١/ ٣٧٦، ١/ ٣٧٧، ١/ ٣٨١، ١/ ٣٨٦، ١/ ٤٠٨و٤٠٩، ١/ ٤١٤، ٤١٦، ١/ ٤١٦و٤١٧، ١/ ٤٢٧، ٤٢٦.

(٧٠) سنن ابن ماجة: ٩٩٥.

(٧١) الفاكهي: ١/ ٤١٨.

(٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥) نفس المصدر ١/ ٤٠١، ١/ ٤٠٠، ١/ ٣٩٩، ١/ ٣٦٩.

(٧٦) مسند الحميدى: ٢/ ٣٩٩، قوله.

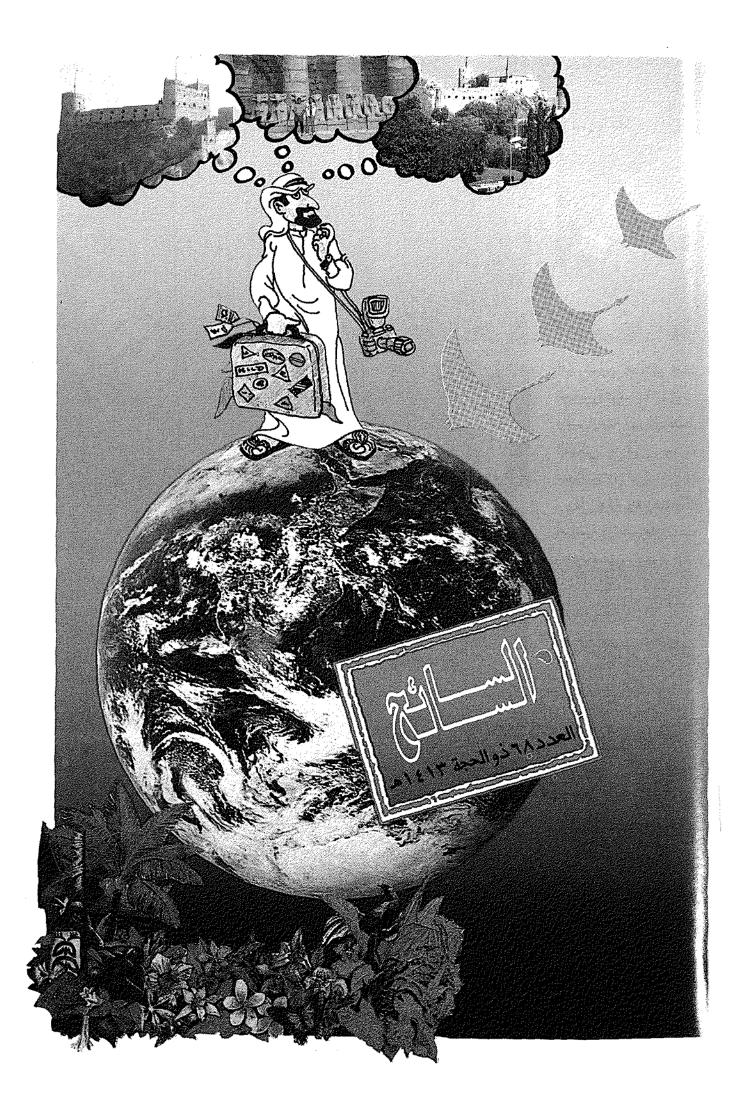
(٧٧) مسند الامام زيد: ١٩٨.

(٧٨) نفس المصدر: ١٩٩.

(٧٩) إحياء علوم الدين: ١/ ٢١٥.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ

آل عمران (٩٦)


السائح
العدد ٦٨ ذو الحجة ١٤١٣هـ

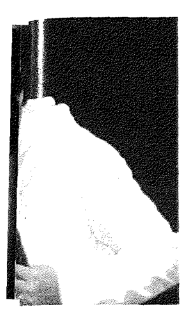
محطات سياحية

سمرقند

«سمرقند» احدى البلدان الاسلامية الهامة، جاءها الفتح الاسلامى بقيادة القائد العربى المسلم: قتيبة بن مسلم الباهلي فى عام ٩٣هـ/٧١٢هـ..

وتولى حكمها آنئذ سليمان بن أبى السرى.. اعتنق اهلها الاسلام ودافعوا عنه.

تميزت سمرقند بعمارتها الاسلامية الراقية: المساجد، الاضرحة والقباب، المآذن، القلاع، السور وبوابة

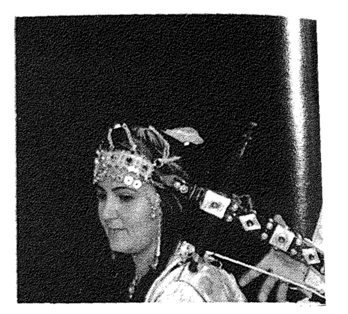


السور الذى يحيط بسمرقند، المدارس والسرايات ثم المرصد الفلكي فى مدينة سمرقند.

كل هذه وغيرها معالم أساسية فى سمرقند تقف شاهدة على روعة وجمال الفن الاسلامى في العمارة، والزخرفة.

الفن الشعبى

الفنون الشعبية، لم تكن فى يوم من الأيام مجرد عملية تسلية وقتية أو تلهٍ، بل إضافة إلى عملية المتعة النفسية المصاحبة للموسيقى التقليدية، والتنغيم، والحركة السريعة الماثلة على المسرح، اضافة الى كل هذا فهى تحمل جملة



من المضامين والمعاني.. إذ نجد فى الاغنية الشعبية معنى من معاني النجده والكرم، والشجاعة والاقدام، والمروءة والمحافظة على الحياة الاجتماعية نقية.. ونجد فيها شيئاً من مأثور القول والحكمة.. وهذا جانب من الفن الشعبي المتوارث في المملكة المغربية.

الفقمة المدلل

«الفقمة» أو حلوف البحر.. حيوان ذكي مخادع، له قدرة عالية على المناورة والمطاردة، فى التقاط فريسته يستخدم قدراً هائلا من الذكاء والمخادعة.

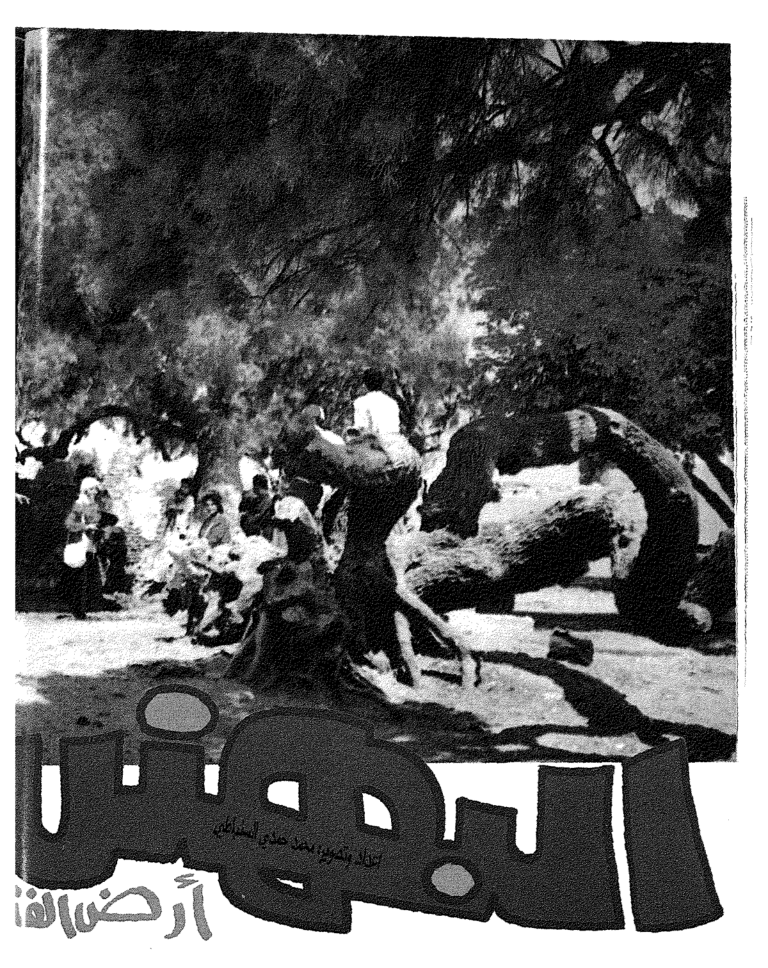
فراء الفقمة من أغلى أنواع الفراء، لتميزه بنعومة الملمس، وجمال المنظر، اضافة الى لمعانه وبريقه، مما جعل هذا الحيوان يعيش فى حزن دائم لتربص الصيادين به الدوائر.. يبلغ طول ذكر الفقمه ثلاثة أمتار تقريبا، ويبلغ طول انثاه مترين ونصف المتر تقريباً.

لوحات الجدران

مدينة لوس انجلوس فى امريكا كثيرا ما تقدم الغرائب والعجائب، ويبدو ان الناس هناك لا يقف دون تحقيق رغباتهم مانع حتى وان كانت هذه الرغبة تمثل فى ما مضى عبثاً أو شيئاً من العبث، الا ان العبث الذى تصحبه هواية فنية قد يدفع بصاحبه الى تسلم جائزة رفيعة.

شابان من لوس انجلوس قررا الشخبطة بالالوان الزاهية على جدران منزليهما، على مدى ثلاثة أيام كاملة.

وكانت النتيجة: هذه اللوحات الفنية على الجدارين، وتجمع الجمهور، وكان التحكيم لصالح «هاكس» وفاز بلقب «سيد جرافيتى لوس انجلوس» وان كان زميله الآخر (سليك) لا يقل عنه براعة.



البهنسا
أرض الف

وتصوير: محمد حمدي السلاطي

- رمالها مشبعة بالبيورانيوم الذي يعالج الروماتيزم والا
- البهنسا تحكي بدايات دخول الاسلام الى مصر.
- كثير من عيون الأدب اليوناني والروماني وجد بالبه

● هذا المكان يعتقد ان السيدة مريم وابنها السيد المسيح كانا يجلسان فيه.

كنت فى زيارة إلى منطقة مصر الوسطى - كما يطلق عليها إداريا - وبالتحديد إلى محافظة المنيا المعروفة بـ «عروس الصعيد المصرى» تاريخ ممتد وحكايات طويلة وآثار من كل العصور فى كل المدن والقرى هنا، ولكن فى كل هذه الزيارات زيارة خاصة لمكان وصدق الاصرار على أن أزوره من مسئولى السياحة والاثار هنا، الذين أكدوا لى أن للمكان روحانية خاصة، وهذا ما تأكد لى بعد ذلك فلا يمكن أن تزور المنيا دون أن تكون «البهنسا» على رأس زياراتك.

فالبهنسا تحكى بدايات دخول الاسلام الى مصر، وما قبل ذلك فالفراعنة حفروا لهم هنا حكايات كثيرة ومن بعدهم الرومان والاغريق، حتى أتت المسيحية لتمر العائلة المقدسة فى البهنسا وتمكث فيها لعدة أيام، حتى جاء الاسلام بنوره الوضاء لينير العقول والقلوب ولتسطر البهنسا فى كتاب تاريخها حكايات كثيرة عبر الزمان، قالت لى مرافقتى السيدة سلوى السروجى مدير السياحة فى المنيا: ربما جاء هذه البقعة من الأرض من خلعوا نعالهم عند حدودها وقد قالوا: «ما كان لنا أن نتنقل فى أرض تحوى رفات الشهداء من أصحاب رسول الله (ﷺ)».

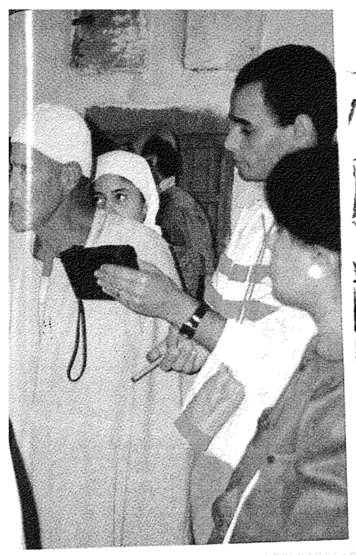
البداية ومسجد الحسن بن صالح

نزلت من السيارة ومن معى تركت كل شيء معى وراحت عينى تتجول بين الألاف من المقابر، منظر غريب ولا أقول بديع! ولكن له ما يميزه، ولا أعرف بالتحديد كم أخذت منى جولة العيون هذه.. وما أعرفه أنه لابد أن تبدأ الزيارة فى الحال وفى مسجد الحسن بن صالح بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن ابى طالب الذى يتميز بأن له قبلتين: **الاولى** بنيت عند بناء المسجد **والثانية** بناها الشيعة فى العصر الفاطمى لتكون قبلة خاصة بهم، وتحركت إلى حيث مسجد قاضى قضاة البهنسا «سيدى على الجمام» وكان اماما للمالكية وقد بنى له ضريح بجوار المسجد، ومن بعده زرنا ضريح «سيدى فتح الباب» ولقب بذلك لأنه أول من فتح ثغرة من سور المدينة القديم ليتدفق منه جيش الفتوحات الاسلامية ليقضى على الرومان، ولم ننس بعد ذلك أن نزور قبر الامام القرافى والذى كان إماما للمالكية أيضا وله مؤلفات كثيرة وتوفى فى العام ٦٨٤ هجرية.

البهنسا الاسم والتاريخ

إلى عجوز البهنسا الذى يحفظ تاريخها عن ظهر قلب توجهنا، وقلنا له ماذا عن البهنسا؟، فقال، وكأنه عاش كل زمان البهنسا، لقد تكلم عنها الادريسى وقال: البهنساوية ديار عامرة بالناس جامعة لأمم شتى وهى تقع على الضفة الغربية لبحر يوسف، وقد كانت هنا





● بئر قديمة فى البهنسا
● هذا الرجل المتقدم فى العمر يختزن فى ذاكرته الكثير من تاريخ البهنسا.

السيدة العذراء والمسيح عيسى عليهما السلام ثم تركاها، وأن البهنسا هى الربوة التى ذكرت فى القرآن الكريم **﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾** (المؤمنون/ ٥٠)، والبهنسا تحريف لاسم «بهاء النساء» بنت حاكم المدينة عند الفتح الاسلامى، واذا عدنا إلى العصر الفرعونى فقد كانت احدى ثلاث ولايات (البهنسا وطحا والاشمونين) وقد كانت عاصمة المقاطعة السابعة عشر التى يرمز لها «بابن آوى» وقد سُئل الحسن بن صالح ذات مرة لماذا أخترت هذه الأرض دون غيرها فقال: كيف لا آوي إلى بلد آوى اليه روح الله وكلمته وينزل على جبانتها كل يوم ألف رحمة.

ميدان الدماء الذكية والفتوحات الاسلامية

تتواصل المسيرة وبرفقة عجوز البهنسا الى حيث ساحة الدماء الذكية وهى عبارة عن ساحة كبيرة فى الصحراء ولكنها منخفضة عن المدينة ويكمل هو: لقد شهد المكان أعنف المعارك فى عهد الفتوحات وسالت فيه دماء الصحابة الأخيار، وسألته عن الفتوحات الاسلامية؟ وكان رده بالوثائق التى وجدت هنا ومنها هذه الرسائل، الرسالة الأولى يقول نصها: من عبد الله عمرو بن العاص عامل أمير المؤمنين على مصر ونواحيها إلى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.. أما بعد، فإنى أحمد الله إليك وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد ﴿ﷺ﴾، والحمد لله قد فتحت لنا مصر والوجه البحرى والاسكندرية ودمياط وقد اجتمع أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ من السادات والامراء والأخيار المهاجرين والأنصار يطلبون الاذن من أمير المؤمنين هل يسيرون إلى الصعيد أم الى الغرب، وقد باعوا أنفسهم لله رب العالمين. ويكمل العجوز هذه السيرة التاريخية الحلوة ويقول: وفى صباح الأربعاء العاشر من ربيع الأول فى عام ٢١ هجرية جاء رد أمير المؤمنين وفيه: من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله على



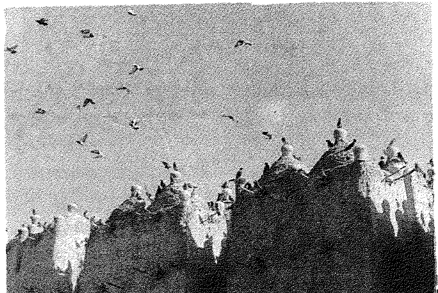
مصر ونواحيها عمرو بن العاص ـ سلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ أما بعد. . . فإذا قرأت كتابى هذا فاستعن بالله وأربط الخيل وأرسل الأمراء إلى كل بلد ليقيموا شرائع الدين وان احصن مدينتين احداهما يقال لها أهناس والثانية يقال لها البهنسا وهى أمنع وأحصن، وبلغنى أن بها بطريقاً رومانيا يقال له البطليموس فلا تقربوا الصعيد حتى تقتحموا هاتين المدينتين وعليك بتقوى الله فى السر والعلانية أنت ومن معك وخذ حق الضعيف من القوى وأقم أنت فى مصر وأرسل الاخبار والسلام.

ويكمل عجوز البهنسا الحكاية ويقول: تم تجهيز الجيوش بقيادة خالد بن الوليد ومعه الزبير بن العوام والفضل بن العباس والمقداد بن الاسود الكندى وغانم بن عياض الاشعرى ودارت معارك شديدة سالت فيها دماء كثيرة وظهرت بطولات كبيرة حمل الرايات الاسلامية منهم المقداد والقعقاع بن عمرو وشرحبيل بن حسنة وزياد بن أبى سفيان وانهزم الروم فى هذه الجولة وكان الاستعداد للجولة التالية وطلب البطريق أن يتحدث إلى قادة الجيوش الاسلامية فخرج إليه خالد بن الوليد فقال له البطريق: اذكر لى الذى تريده. فإن كنت تريد شيئا من الدنيا فلن نبخل عليكم وندفعه صدقة منا إليكم، لأنه ليس عندنا فى الأمم أضعف منكم حالا فرد عليه خالد قائلا: «ان الله قد ملكنا بأيدينا ما أغنانا عن صدقتكم، وإلا أن تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فإن أبيتم فتؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون فإن أبيتم فالسيف حكم بيننا وبينكم». فرد البطريق: ليس لك عندنا إلا هذا السيف، فاندلعت الحرب وراح خالد يضرب فيهم شمالا ويمينا حتى تم النصر واكتملت الحرب بعد أن قتل خالد البطليموس الذى يقيم فى هذه المنطقة وبعدها فر الروم هاربين، وهنا استقر الأمر للمسلمين وولى أمرها مسلم بن عقيل.

رمال اليورانيوم وقبر السبع بنات

وتتواصل الرحلة مع عجوز البهنسا ومسئولى السياحة والآثار ومازالت الذاكرة تروى الحكايات فقال عجوزنا: من خصوصيات هذا المكان أن الرمال التى نقف عليها الآن مشبعة بمادة اليورانيوم ولهذا يزورنا كثير من مرضى الروماتيزم وألام الظهر والمفاصل ليدفنوا فى جلسات متقاربة فى رمال البهنسا ومنّ الله عليهم بالشفاء، وأخذنا حيث حفر الدفن والاقبال عليهاواضح خاصة يوم الجمعة من

● المنازل القديمة فى البهنسا وتعلوها ابراج الحمام.



كل أسبوع.

ونمضي وحكاية جديدة حيث وصلنا إلى بناء بالطوب اللبن ومازال متواجدا حتى الآن ولم تمتد إليه يد الترميم وهو قبر «السبع بنات» وحكايته أنه فى بداية الفتوحات الاسلامية خرج الجيش وكان متمركزا فى هذا المكان وتركوا البنات والسيدات والمرضى والأطفال مسلمين ومسيحيين، فتسلل بعض جند الرومان وهاجموا المدينة فخرجت النساء بما توفر لديهن من سلاح خفيف لقتال الاعداء وقتل منهن عدد كبير، ويقال أن سبعين شهيدة قتلت فى هذه المعركة وتختلف الروايات حول عدد الشهيدات، ولكن أهل البهنسا أطلقوا على القبر الذى يضم رفاق الشهيدات «قبر السبع بنات»، وبجوار القبر مباشرة بئر قديم ورغم ملوحة مياهه فكل زوار المكان يشربون منه! ويكمل عجوز البهنسا حكاياته متحدثا عن قبر السبع بنات: أنه مازال ينسج حول هذا القبر الكثير من الحكايات، ومنها أن له مغناطيسية معينة تشد زواره عندما يقتربون منه فيحسون بها، وبجواره أيضا مراغة يلقى الناس فيها بأنفسهم فى يوم الجمعة ويدحرجون أجسادهم طلبا للشفاء على رمال المكان.



يتدخل رجال الاثار ليتحدثوا عن أوراق ولفافات البردى التى اكتشفت حتى الآن وقال احدهم: ان للبهنسا فضلا كبيراً على التاريخ والمؤرخين فقد وجد بها من عيون الأدب اليونانى والرومانى الكثير ووجد هنا أجزاء كاملة من أقدم مخطوط لإنجيل القديس يوحنا ومؤلفات عن السحر ومراسم القوانين فى العصرين اليونانى والرومانى، ولفافات عديدة من البردى تعطى صورة حقيقية لطبيعة الحياة والنظم المالية والادارية والاجتماعية التى كانت سائدة فى العصور التى مرت على البهنسا، ولفافات أخرى تحكى القوانين التى كانت تحكم عمليات الشراء والبيع والايجار والهبات والوصايا، وبرديات سجلت مدى الظلم الذى

● مسجد الحسن بن صالح

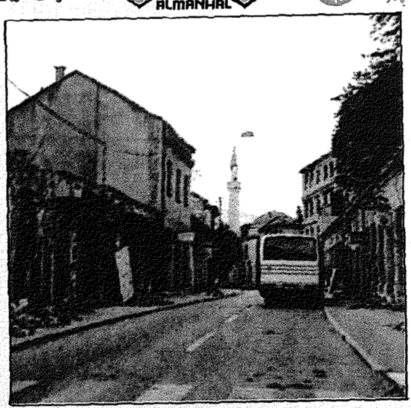
و ـع على أهـل مصر من قبـل ال روسان، وعن هذا الظلم روت إ ـدى البرديات: ان كثيرا ما كان يعقـد الـوالى مجلسـه القضائى فى البهنسـا وتبـع ذلـك ظهور الظلم والجـور على الأهـالى فى جمع الضرائب. وقال استاذ علم البردى فى جامعـة أكسفورد البريطانية بأن البهنسا هى أخصب بقعة فى مصر تحوى هذه الاوراق، وكان قد سبق ذلـك محاولات لكـل من جرنفـل وهنت استخـرجا على أثرها أكواما هائلة من البرديات.

ومـازالت الاكتشـافـات تتوالى وكان آخرها مجموعة من العملات التى ترجـع للعصر الفاطمى أيام الحاكم بأمر الله ولها أهمية تاريخية اسلامية.

بعد كل هذه الزيارات عدت مرة أخـرى انـظر إلى المكان ولفترة طويلة قبل أن أغادره، وهنا لابد أن أسجـل اعـترافى بأن للمكـان مغنـاطيسية خاصـة وَلِمَ لا؟ ومازالت عبارة أحد المرافقين لى فى ذاكـرتى حيث قال لى: كما أشرق سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ على الدنيا فى شهـر ربيع الأول. . أشرق نور الاسلام على البهنسا فى العاشر من نفس الشهـر الكـريم، وقبـل ان نغـادر المكان قال عجوز البهنسا ـ وحـامـل الكثـير من حكـاياتهـا وأسرارهـا رغـم سنـوات عمـره الطويله ـ وبـذاكـرة قوية واعية: يكفيك هنا أن سبعين ممن حضروا غزوة بدر مع رسـول الله ﴿ﷺ﴾ قاتلوا هنا على أرض البهنسا، وأن رمـال صحراء البهنسا روت بدماء شهداء الفتوحات من أجل كلمة الحق.

فالبهنسـا احـدى مدن محافظة المنيا ـ عروس صعيد مصر ـ أرض الشهـداء والفتـوحـات والمزارات والحكايات والاساطير وآلاف المقابر وتاريخ عبر كل العصور، وخرجت منها بذكريات لن أنساها أبدا.





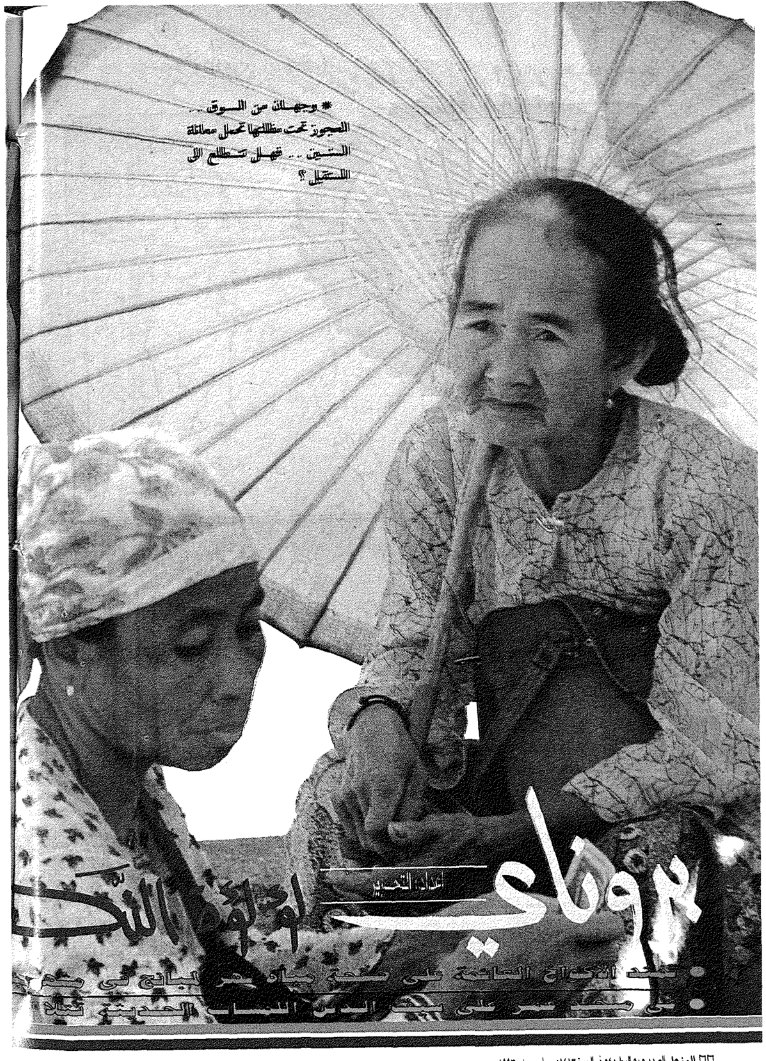
ابتداء من عدد المحرم ١٤١٤هـ ستوالي مجلتكم المنهل نشر (ذكريات من يوغسلافيا) للكاتب الشيخ محمد بن ناصر العبودي في حلقات متتالية.

وهذه الذكريات أهداء كريم من الشيخ العبودي خص بها منهله.. وهذا ايثار منه يضاف الى سابقه الذى تم نشره سلفـًا عن مجموعة من الدول..

ولفضيلة الشيخ تقدم خالص الشكر.. املين استمتاع القارىء بذكرياته ورحلاته هذه.

مجلتكم المنهل منكم وإ ليكم..

اراؤكم ومقترحاتكم مكان تقديرنا.


* وجهان من السوق .. العجوز تحت مظلتها تحمل معاناة السنين .. فهل تتطلع الى المستقبل ؟
بروناي
اعداد: التحرير

بروناي . . أقدم المهالك المالوية لاسلامية، تمتد جذورها إلى أواخر لقـرن الـرابـع عشر بمعـالمها لمميزة. . «قصر الاستـانـة» «نـور لايهان». . ذو الـقبـة الـذهبية الشامخة، والاسقف ذات الافاريز التقليدية. . وطـابع بروناي الفنى الـذى تنفـرد به تومبـانـج آير . . القـرية العـائمـة ذات الأكـواخ والمسجد والمدرسة، التى تقوم على الأعمدة الخشبية المستقرة على قاع نهر لمبانج، مسجد عمر على سيف الدين. . المركز الاسلامى. . مبنى المجلس التشريعى مركـز تدريب الفنـون والصنـاعـات اليدوية. . الاسـواق الـشـعـبـية. . عن بروناي. . دار السلام. . نقوم بهذا الاستطلاع المصور. .

بروناي.. إطلالة تاريخية:

بـرونـاي اسـم اشتق من نهر برونـاي. . الذى ينبع من سرواك مارا بالـعـاصـمـة بنـدر سرى بيجـوان. . ويـسـمـى حاليـاً نهر «لمبـانـج» سلطنـة تبلغ مسـاحتها ٥٧٦٥ كيلومـترا. . أبـنـاؤهـا يتحدثون باللغة الملايويه. . تضم أربع مقاطعات هى مقاطعة برونى ـ موارا ـ ومقاطعة سيريا ـ بليت. . والمقـاطعـة الثـالثـة. . تيوتنـج أما المقاطعة الرابعة فهى تمبيورنج.

وسلطنة بروناي تضرب بجذور عميقـة فى التـاريخ. . وذات يوم كانـت تغـطى كل أراضى جزيرة بورنيو. . وعـلى الرغم من ذلك لم يكن أحد يدرى عنها شيئا. . فقد كانت فى عزلـة عن الوطن العربى طوال سيطرة بريطانيا عليها، التى امتدت إلى ما يقرب من ٩٤ عاماً.

ولكن بعـد ان نالت سلطنـة برونـاي استقلالها ـ وكان ذلك فى اليوم الواحد والثلاثين من ديسمبر ١٩٨٣م ـ بدأت تدخـل دائـرة الضوء. . وقد ورد فى بيان استقلالها الـذى وقعـه السلطان أنها «مملكـة ملاوية مسلمـة ديمقراطية مستقلة ذات سيادة ـ وذلـك طبقا لتعاليم الاسلام ووفقا لأهل السنة والجماعة».

● خارطة تمثل موقع بروناي.

الموقـع:

تمتـد سلطنـة برونـاوي بطول الشريط السـاحـلى الشمالى لجزيرة بورنيو. وهى ثالث جزر العـالم مساحة، وقلب مجموعة جزر جنوب شرق آسيا. . تأخذ بروناي شكل قوسـين بينهما أراضى سرواك. . إحـدى ولايات اتحـاد ماليزيا. . بالاضـافـة إلى جزيرة لابـوان. . وتـطوقهـا أراضى دول انـدونيسيا ومـاليزيا والـفلبـين وتـايلانـد وعاصمتها بندرسرى بيجوان.

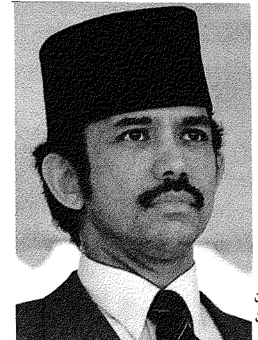
المنـاخ.. والبيئـة:

بصفـة عامـة. . مناخ بروناي منـاخ استـوائى مطير. . ونسبة الرطوبة ترتفع إلى حوالى ٧٠٪. . أما الامطار فهى دائمة وغزيرة بين شهرى أكتوبر ومارس. . وبقية أيام

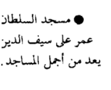
عمر.. ودار السّلام

..د يبهر الأبصار.

..هم مع فنون العمارة الاسلامية العريقة.



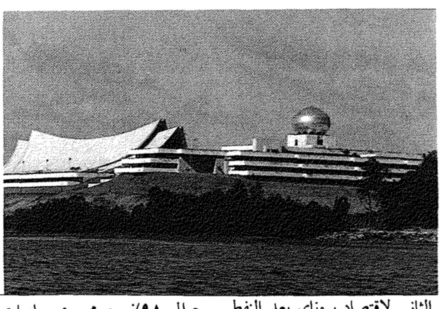
● السلطان حسن، سلطان سلطنة بروناي.





● مسجد السلطان عمر علي سيف الدين يعد من أجمل المساجد.

● قصر الاستانة نور الايمان ـ وتعلوه القبة الذهبية.



السنة تهطل أمطار متقطعة.. درجات الحرارة تتراوح فى الصيف بين ٢٠ و٣٠ درجة مئوية.. وفى الشتاء بين ٢٠ و٢٥ درجة مئوية.. وهكذا فإن الجو يعد معتدلا.. بشكل عام.

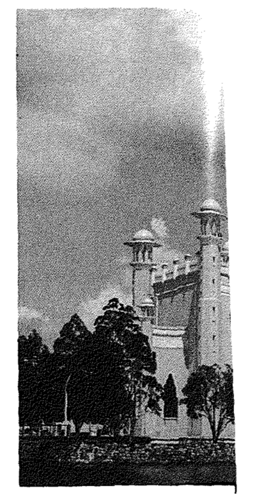
أما البيئة الطبيعية التى يعيش عليها الناس فهى أرض سهلية فى معظمها.. تربتها تربة غنية بأكسيد المعادن.. والسهول تنحدر ببطء شمالا نحو مياه بحر الصين ويتخللها العديد من الأنهار الجارية بصفة دائمة.

وفى المناطق الساحلية فإن الرواسب الطينية مع الرمال المخلوطة بالحصى تكسو التربة.. على حين تغطى الغابات الاستوائية التى تختلط بها الأشجار الموسمية دائمة الخضرة حوالى ٧٥٪ من المساحة الكلية.

والغابات المعتدلة الدفيئة تنتصب على قمم الجبال مما يوفر محصولا كبيراً من الاخشاب الصلبة والحمراء.. ويمثل هذا، المورد الثانى لاقتصاد بروناى بعد النفط والغاز الطبيعى.. أهم وأبرز موارد بروناي.. ففى سيريا وبيليت المركز الرئيسى لاستخراج وتصنيع البترول والغاز الطبيعى مصدر اقتصاد البلاد.. والذى يشكل حوالى ٩٨٪ من مجموع صادرات بروناي.

■ **ونعود الى البيئة..**

تلك الطبيعة أتاحت الفرصة لأن يمتهن السكان العديد من الحرف المتنوعة من صيد الاسماك فى



الانهار إلى تقطيع الاخشاب وتصنيعها فى الغابات . . الى الزراعة وخاصة الأرز فى المناطق الخصبة كذا رعى الماعز والابقار فى مناطق الحشائش والاشجار الصغيرة . . إضافة إلى الصناعات اليدوية الخشبية والمنسوجات والصناعات الجلدية .

ومما يجدر ذكره أن النشاط إلى الصناعات الخشبية والزراعة وصيد السمك قد زاد واتجه نحو التطوير برغم ندرة الأيدى العاملة المتخصصة ويأتى هذا ضمن الاتجاه إلى المزيد من اقتصاديات بروناى نظراً لأن المصادر المعدنية محدودة . . بخلاف النفط .



● أحد الاسواق الشعبية للخضار فى بروناي على [illegible]



الناس فى بروناي:

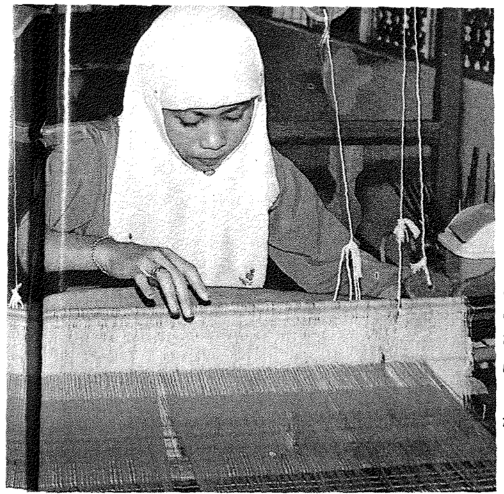
الناس فى بروناي تكسو وجوههم الطبيعة السمحة والهدوء . . فلا إجهاد ولا قلق . . ويكفى أن نذكر أن الدولة تهتم أول ما تهتم برفاهية المواطن البرناوي . . فالتعليم . . والعلاج . . والخدمات بالمجان . . (والبروناويون) جميعهم يعملون فى وظائف الدولة ويتقاضون مرتبات خيالية . . إضافة إلى أن لهم الحق فى اقتناء المساكن والسيارات وما يريدون من معدات بأجور رمزية .

وعلى الرغم من كل هذه التيسيرات . . الا أن ما يلفت الانتباه أن الكثير من ابناء الأرض (البروناويين) يتمسكون بالاقامة فى القرية العائمة ـ التى تقع فوق نهر بروناي . . فما السر فى ذلك؟!!

قد يكون هذا عائدا إلى نوع من الولاء لهؤلاء الأجداد الذين عمروها طوال قرون . . ؟!! ، ولكن جولة سريعة بين أنحاء القرية العائمة . . قد توقفنا على السر . .

القرية العائمة:

على طول الرؤية تنتشر مئات الأكواخ العائمة ـ ذات الأعمدة الخشبية المستقرة بارتفاع حوالى عشرة أمتار على قاع نهر «لمبانج» ، الاكواخ تأخذ شكلا منتظماً على صفحة الماء . . مع اختلاف فى أحجامها واتساعاتها . . منها الذى يتسم بالبساطة ومنها ما يتفرد



● التراث الشعبي من المصنوعات تحافظ عليه هذه الأيدي الماهرة.

بالفخامة والأناقة.. تكسو الزخارف والألوان ويدل دلالة واضحة على الثراء الشديد. والأكواخ كلها من خشب صلب. تطل من جنباتها أجهزة التكييف.

■ أما وسائل الانتقال بين تلك البيوت العائمة أو بينها وبين العاصمة.. فهى الزوارق التجارية.. التى تقطع صفحة الماء فى سرعة فتبدو خطوط الموج الفضية المتلاحقة منظراً يبهر الانظار.. أما فيما وراء القرية فالعين تمسح مساحات ممتدة من الخضرة والجمال.. وإلى معلم بديع آخر.

الاستانة (نور الايمان):

على قمة أحد التلال الذى يبعد عن العاصمة بحوالى خمسة كيلو مترات.. وبعد آخر كوخ من الأكواخ العائمة.. فى هذه البقعة بالتحديد.. على جانب النهر.. ترى العين تحفة فنية رائعة.. قصر السلطان.. الأستانة نور الايمان.. القصر.. ذلك التحفة الرائعة.. التى تمتد حوالى ٢٠٠ هكتار على شاطىء النهر.. ويحيط به ١٢٠ هكتارا من الحدائق الزاهية الألوان.





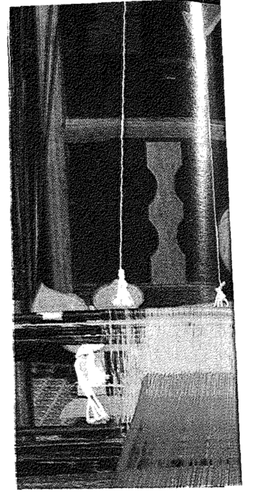
تمتد أروقة القصر تحت الأرض حوالى أربعة كيلومترات وتنتهى إلى موقف يتسع لأكثر من ٨٠٠ سيارة.. ويضم المبنى اربعة مجمعات.

أما المبنى الرئيسى فتعلوه قبتان من الذهب الخالص وقد قال عنه الغرب إنه شبيه بقصور ألف ليلة وليلة.

والاسرة المالكة لا تشغل من القصر إلا ربع مساحته اما الباقى منه فيتألف من مركز إدارى ومنشآت عامة لخدمة البروناويين.

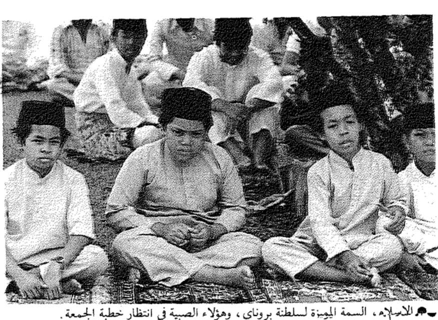
مسجد عمر على سيف الدين:

مسجد عمر على سيف الدين.. يعد من أجمل المساجد فى العالم الاسلامى.. فى بنائه تتلاحم اللمسات الحديثة مع فنون العمارة الاسلامية بطابعها المغولى.. فالجدران مكسوة بالمرمر والاحجار



الكريمة المجلوبة من إيطاليا . . والأعمدة الداخلية من جرانيت هونج كونج . . ولوحات النقوش البرونزية تضم زخارف رائعة تشيع جواً قدسياً على المكان .

ومنبر المسجد . . يعتبر من أروع المنابر في المساجد الاسلامية . . فهو يتكون من جوسق يقف فوقه ستة أعمدة خشبية . . وفوقه قبتان بصليتان مجلدتان من الخارج بصفائح الذهب . . واكثر ما يشد الانتباه في هذا المسجد تلك المئذنة التى قامت مستقلة عن مبنى المسجد وتتكون من ثلاثة طوابق يتصل الأول بمبنى المسجد عن طريق ممر مسقوف . . أما الجديد فيها . . فهو ذلك المصعد الكهربائى الذى يستقله المؤذن بدلا عن صعود الدرج .



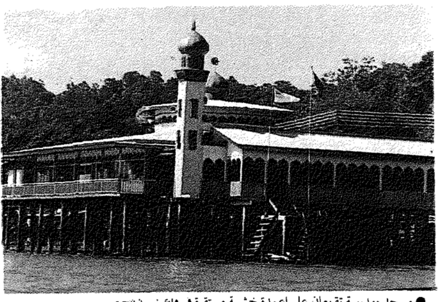
الاسلام ، السمة المميزة لسلطنة بروناي ، وهؤلاء الصبية في انتظار خطبة الجمعة .

والمسجد استغرق بناؤه أربع سنوات من عام ١٩٥٤م إلى عام ١٩٥٨م وقد افتتحه السلطان عمر على سيف الدين . . الحاكم الذى وصلت بروناى بقيادته إلى عصرها الذهبى الحديث . . الذى استخلف عام ١٩٦٨ ابنه السلطان مودا حسن بلقيه واخذ عليه العهد بتوجيه كل ثروة البلاد وخيراتها الى خدمة الاسلام ونشره .

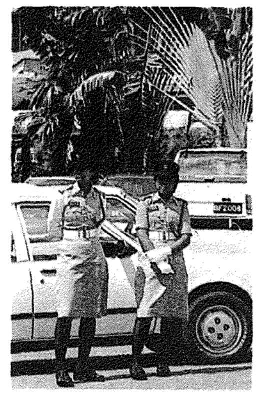
ولعل الحديث عن المسجد يقودنا إلى معلم آخر، ونقصد،

أنموذج السفينة الملكية التقليدية .

والسفينة مبنية بالحجر وسط النهر . . ويصل بينها وبين المسجد ممر . . عبارة عن طريق متسع ومحاط بسور من الحديد الزخرفى . . وجوانب السفينة تزينها نقوش وزخارف تقليدية تدل على جمال الفن الاسلامى . . وكذلك الجوانب الداخلية مرصعة بقطع الرخام المرمرى والاحجار الكريمة والفسيفساء بألوانها الجميلة الزاهية . . أما سطح السفينة

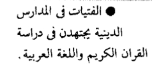


● مسجد ومدرسة تقومان على اعمدة خشبية مستقرة فى قاع نهر «بناتج» .





● الفتيات فى المدارس الدينية يجتهدن فى دراسة القران الكريم واللغة العربية.



فيتوسطه إيوان منمنم يجلس فيه قارىء القرآن الكريم فى المناسبات الاسلامية.. وتعتبر تلك السفينة رائعة من روائع الفن المعمارى..

وبعد انتقال العاصمة الى بندر سرى بيجوان، يطالعنا هناك المتحف الوطنى آية المعمار والفن.

المتحف الوطنى:

فى «كوتا باتو» وعلى مسافة خمسة كيلومترات من أطراف العاصمة وبعد أن اختفى القصر القديم يقوم مبنى المتحف الوطنى.. المبنى مقام على جانب التل الذى تغطيه أشجار الغابة.. ويضم ستة أقسام بخلاف البهو الرئيسى الواسع.. والمبنى يعد من أكثر المبانى جمالا وروعة فى بروناي الحديثة.

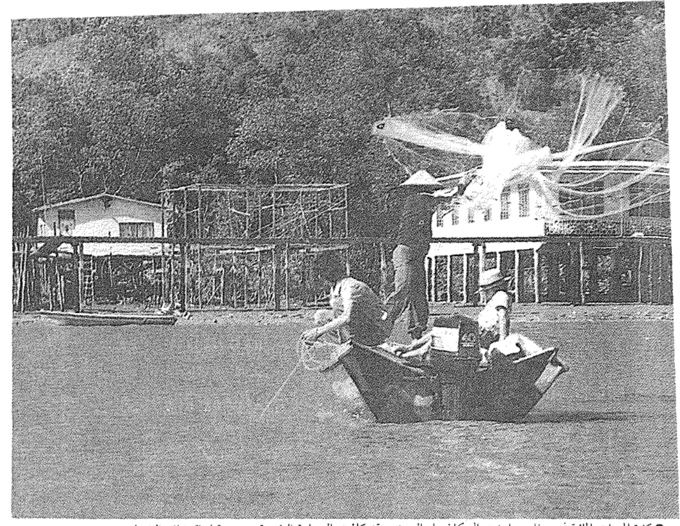
وبالقرب من مبنى المتحف الوطنى هناك مركز تدريب الفنون والصناعات اليدوية.. يضم ست طبقات فى كل منها قسم من أقسام التدريب.. الذى يتوجه إلى الحفاظ على التراث الفنى لبروناي شاملا المشغولات الخشبية والمنسوجات والصناعات الفضية والمعدنية وأغطية الرأس والتطريز كما أن هناك فرعاً آخر يضم معرضاً للابحاث الفنية ورسومات الفنانين العالميين.

وفى وسط العاصمة يرقد متحف آثار تشرشل الذى أقامه السلطان على عمر سيف الدين ويضم كل آثار وذكريات وممتلكات تشرشل الخاصة التى لا مثيل لها حتى فى بريطانيا.

لواء الاسلام يظلل بروناي:

وتنطلق جهود بروناى الجادة لنشر لواء الاسلام العظيم فيها كاملة.. فإلى جانب المسلمين الذين يزيد عددهم عن ١٥٠ ألف مسلم على مذهب أهل السنة والجماعة أصلا والمذهب الشافعى فرعاً.. هناك غير المسلمين وأقلية من غير الدينيين الذين يعيشون فى أعماق الغابات.. ومع هؤلاء تجرى المهمة الرئيسية للدعاة إلى جانب نشاطهم فى نشر الدعوة والتعاليم الاسلامية.. إذ أنهم يبذلون جهودهم المضاعفة لدعوة سكان القرى المترامية فى الغابات من قبائل الموروث والداياك والدوسون والكادزان وغيرهم لاعتناق الاسلام.

وهناك المبنى الرئيسى للشئون الدينية والمجلس الاسلامى

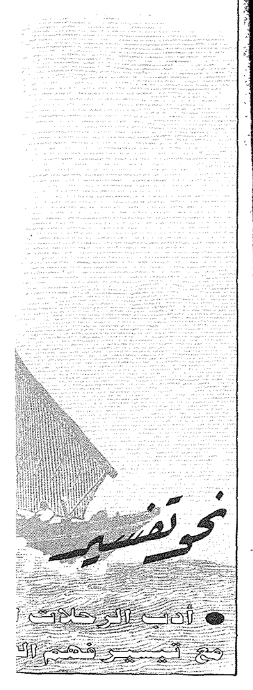


● كثرة الممرات المائية فى بروناي ساعدت السكان على الصيد، وقد كانت الصناعة الرئيسية عندهم قبل اكتشاف البترول.

الاعلى.

أما الادارة الدينية فتضم عدة أقسام أكبرها قسم المحاكم الشرعية وقسم الافتاء وقسم التعاليم الاسلامية وقسم الزكاة وقسم الوعظ والارشاد.. ولا شك أن لكل قسم أثره البالغ والهام فى تدبير شؤون المسلمين.

فقسم التعليم الدينى مثلا يقوم بتعليم الدين لجميع طلاب المدارس فى المدن أو فى القرى.. وهناك مدرستان دينيتان عربيتان.. حيث تدرس المواد الدينية باللغة العربية.. كما أن هناك كلية المعلمين الدينية التى تقوم بإعداد المدرسين المتخصصين فى التعليم الدينى.



أدب الرحلات:

يشهد العالم نهضة كبيرة فى دراسات الاتصال الجماهيرى، وقد ظهرت مدارس فلسفية ونظريات علمية فى هذا المجال. ولكننى أتوقف هنا عند نظرية (ميونخ) التى عرضها مؤسسها اسفيروس B.M. Aswerus لارتباطها بالموضوع الذى أتصدى له هنا فى هذا المقال.

وخلاصة هذه النظرية أنها لا تركز على دراسة وسائل الاتصال، بقدر ما تركز على دراسة الظاهرة الاجتماعية نفسها، والتفاعل الذى يجرى بين الناس، وهنا تصبح هذه الدراسة موضوعا انسانيا بالمعنى العلمى للكلمة، فلقد كان الاتصال ولا يزال حقيقة اجتماعية واقعة قبل اختراع الطباعة والكتابة ذاتها وسواء أكان التعبير الظاهرى كلاما أم رسوما، فان المهم هو الحقيقة الكامنة وراء هذه الظاهرة ألا وهى عملية الاتصال الجماهيرى التى تربط أجزاء الجماعة، وتجعلها وحدة متكاملة.

وبفضل الاتصال Communication يكون المجتمع فى حالة تفاعل مستمر بمعنى التجدد والانبعاث والحركة، وسواء أكان المجتمع بدائيا أم غرضيا يرمى الى تحقيق اهداف خارجية، ام فكريا تدور فيه المعانى والاراء والافكار ذات المغزى، فان ظاهرة (الاتصال) هى القوة المحركة للمجتمع، ولكنها حركة تفاعلية مؤثرة ومتأثرة تأخذ وتعطى، ترسل وتستقبل، وفى مرحلة الاتصال الفكرى، يصبح الهدف داخليا فى نفوس الناس وفى ضمائرهم، والوصول الى الحقيقة يقتضى ان يتفاعل الجميع عن طريق الاتصال الفكرى، وهكذا يمكن القول ان المرحلة الاولى تمثل المرحلة الجماعية، والثانية تمثل المرحلة الوجدانية، والثالثة تمثل المرحلة الفكرية او العقلية او الادراكية.. ويؤكد علماء الاعلام أن المسألة ليست أخبارا تعطى وجماهيرا تتلقى هذه الاخبار لأن هذا مفهوم الاعلام، ولكن المسألة أخطر من ذلك فهى عملية تفاعل مستمر بين أجزاء الامة والمجتمع، ورجل الاعلام المسئول عن حرية وسلامة الحوار والاتصال فى المجتمع.

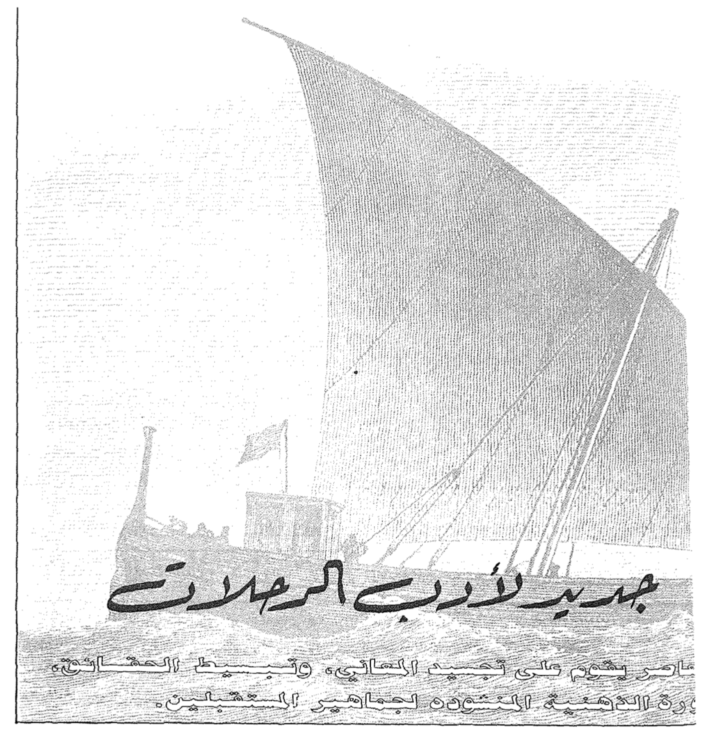
● أدب الرحلات يغلف الانسان بنوع من الواقع البديل و كاتب في نمذجة المعاني والاراء السياسية والذهنية.





بقلم: د. عبد العزيز شرف
- مصر -

وليست الحرية هنا بمفهوم حق النشر او حق الكلام، فهذا هو مفهوم حرية الاعلام بالمعنى الكلاسيكى، ولكن المقصود هنا هو حرية تدفق المعلومات واستمرار الحوار دون عوائق، وحق الجميع فى التعبير، سواء أكان ذلك على المستويات الوجدانية أم الفعلية أم العقلية، ويصبح رجل الاعلام بمثابة الحكم، ولكنه لا يكون محتكرا للفكر او مسيطرا على

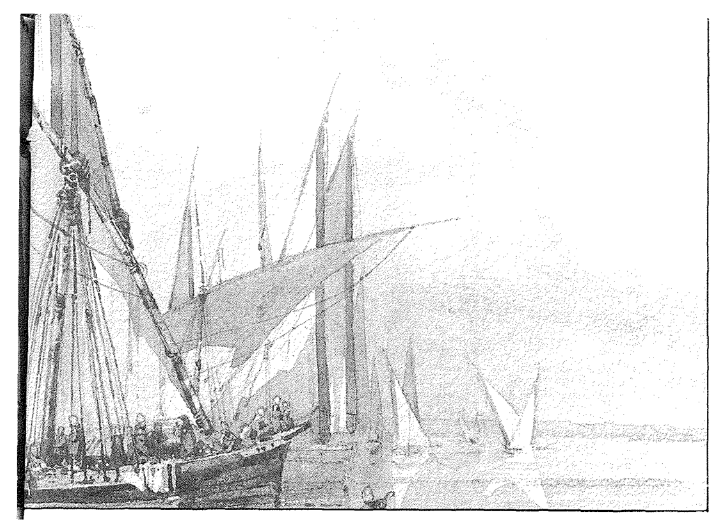


حلات المعاصر يفيد من الحس الصحفي والفراسة الاعلامية

الحوار، فاذا كان الاعلامى يعرف ما هو الممنوع فيتجنبه، فان الاتصال يقتضيه ان يعرف ـ بضميره ـ ما هو الذى تطلبه الجماهير فيعاونها على ان تناله.

و«الاتصال» على هذا النحو يصبح تجسيدا أمينا لروح الأمة العربية، تأسيسا على الفهم القائل بأن الاتصال هو «التعبير الموضوعى عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها».

وعلى هذا الفهم يتأكد لنا صدق هذا التفسير الاتصالى لأدب الرحلات، ذلك انه ينطلق من المقولة التى استهللنا بها هذا الحديث، والخاصة بـ «الاتصال الفكرى» النابع من ضمير كاتب الرحلات عربى ومسلم، يستهدف الوصول الى «ابعاد» الحقيقة، حتى يتم التفاعل العربى عن طريق الاتصال الفكرى.



● الاتصال يمثل التعبير الموضوعي عن عقلية الجم

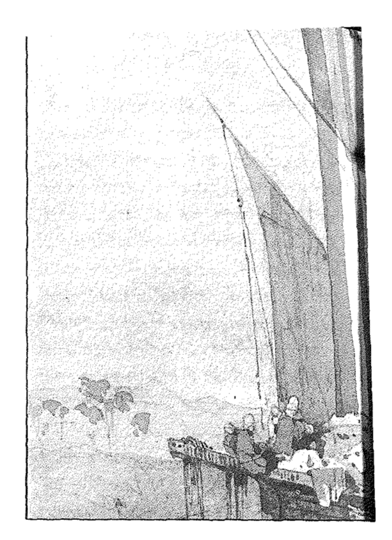
ورموز الاتصال تعمل على ايجاد التوافق النفسي مع

ذلك ان الاتصال الفكرى هو الذى يواجه العقبات القائمة فى طريق التدفق العالمى للآراء والافكار، والتى تتمثل على الصعيد الدولى فى: الاختلافات الثقافية، والعوائق السيكولوجية التى تحول دون التفاهم، وعدم وجود المنشآت الضرورية لإنتاج الرسائل وتوزيعها واستقبالها، ولتدفق المعلومات من مصادر متعددة، وتضيف اليونسكو الى هذه العقبات، الاعتبارات السياسية والاقتصادية المتعلقة بكافة المحاولات المبذولة لتحقيق «حرية وتوازن تدفق المعلومات» سواء أكان ذلك فى نطاق الأمة الواحدة أم بين الأمم المتعددة.

ومن الواضح ان اللغة عامل رئيسى فى الاتصالات الدولية، فهى تحدد مدى تأثير الرسائل وفهمها، وبالقياس الى الاتصال الفكرى فى الوطن العربى نجد ان اللغة المشتركة تذلل الكثير من العقبات التى تواجه دول العالم الثالث، فيما يتعلق بنشر اللغة القومية داخل البلاد، والأخرى باللغات الواجب استعمالها فى الاتصالات الدولية الأوسع نطاقا.

وعلى الرغم من تميز الوطن العربى بلغته الفصحى المشتركة، فان الاتصال الفكرى يتوقف على انتقال الرموز ذات المعنى وتبادلها بين الأفراد.

كما أن أوجه النشاط الجماعية، ومعانيها الثقافية، تتوقف الى حد كبير على الخبرات المشتركة فى المعانى، فالاتصال فى جوهره، هو نقل المعانى عن طريق الرموز المتعارف عليها، التى يستخدمها الانسان من اجل التوافق النفسى مع العالم الخارجى، فعن طريق الاتصال يدخل الأفراد فى علاقات اجتماعية حيوية مع بعضهم البعض، او بيئاتهم الخاصة وعن طريق استخدام الرموز - ايضا - يستطيع البشر ان يسيطروا على بيئتهم المادية والثقافية، وهذه هى أهم وظائف الاتصال بكافة أنماطه وصوره.



ـــاهير وروحها وميولها

العالم الخارجى.

وقد كان «والترليهان» من الرواد الأوائل فى دراسة الاتصال الجماهيرى فى كتابه «الرأى العام» الذى صدر سنة ١٩٢٢، والذى ذهب فيه الى ان الانسان مخلوق محدود الادراك، فهو لا يستطيع ان يفهم العالم او يتصوره بمجرد ملاحظته، وانما يتأتى فهم الانسان للعالم الذى يعيش فيه على مراحل من النضج والتطور والحصول على المعلومات فالعالم الموضوعى الذى نتعامل معه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا يقع خارج نطاق احساسنا، وخارج حدود بصرنا وعقلنا.

«يذهب ليهان» الى أن المسائل العامة كالسياسة والحكم والتربية والانتخابات والاصلاحات وغيرها، تتأثر بما يصدره الناس من احكام نابعة من «الصور الذهنية» التى يكونونها عن أنفسهم وعن الآخرين، وهذه هى آراؤهم. أما الرأى العام فيتكون من حصيلة هذه الصور المنتشرة فى رؤوس الجماهير، وهو القوة التى تسعى أجهزة الاتصال وجماعات الرأى وغيرها الى التأثير فيها.

فالمؤثرات التى تحيط بالانسان ليست هى السبب المباشر فى الاستجابة للبيئة، ولكن معنى هذه المؤثرات، او صورتها فى ذهن الانسان، هى التى تحدث الاستجابة، ولما كانت البيئة الموضوعية أعظم وأعمق من ان تفهم فهما مباشرا، فلابد للانسان ان يبسطها ويختصرها فى شكل صور أو رموز يستجيب لها فى بساطة ويسر.

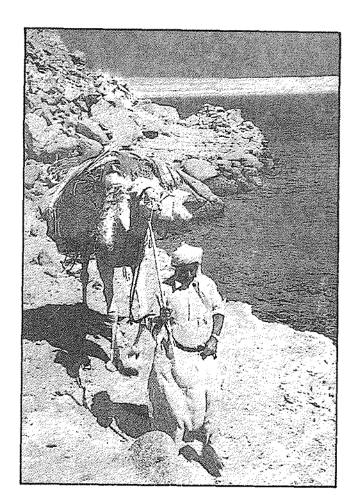
وهكذا يتكون للفرد عالم خاص به، كما يتكون للجماعة عالم خاص بها. . ولا شك ان «الاتصال» هو الذى يؤدى أهم الأدوار فى تكوين هذه البيئة الثقافية التى تتكون من مجموع المفاهيم والصور والاخيلة.

وتأسيسا على هذا الفهم نذهب فى تفسير ادب الرحلات، مذهب التفسير الاعلامى، ذلك أن الأدب يحقق مفهوم «الاتصال الفكرى» بواسطة الرموز فى مواجهة الواقع، والأديب هنا يطور أفكارا عن أشياء خارجية وداخلية ويغلف نفسه بغلاف من الاشكال اللغوية والصور الفنية والرموز الاسطورية، أو على حد تعبير «ابيكيتتوس»: «ان ما يقلق الانسان ويخيفه ليست هى الأشياء، وانما آراؤه وتخيلاته عن هذه الأشياء».

وفى ضوء هذا المفهوم يمكن النظر الى أدب الرحلات بعامة ـ على أنه يبدع نوعا من البيئة الصورية عند الانسان عن العالم الموضوعى، ولذلك ينظر الى هذا الأدب ـ أدب الرحلات ـ أحيانا على انه يغلف الانسان بنوع من الواقع البديل، وعلى هذا يكون الاتصال هو اروع الامور جميعا ـ او كما قال «جون ديوى» فان المجتمع لا يستمر فى وجوده بالاتصال فقط، ولكنه نشأ بالاتصال ايضا.

الصور الاعلامية فى أدب الرحلات

يعتمد التفسير الاعلامى لأدب الرحلات على «**مفهوم الصورة الذهنية**» التى تحدثنا عنها فيما تقدم، اذ ان المقصود بها انها مفهوم عقلى شائع بين أفراد جماعة معينة يشير الى اتجاه هذه الجماعة الاساسى نحو



شخص معين، او مجتمع معين، او فلسفة معينة.

والصورة الذهنية بهذا المفهوم يمكن التعرف عليها، كما يمكن تنفيذ برامج لتدعيمها او تطهيرها على نحو معين، ثم تأتى عملية التقويم للتعرف على اثر هذه البرامج.

واذا كان التفسير الاعلامى يذهب الى أن كل تجربة جديدة تجد مكانها فى التصور الذى تكونه عن العالم من خلال أدب الرحلات، فان هذا الادب الانسانى يحتل مكانه فى هذا المفهوم، بحيث يسهم فى دعم «نتائج» الرحلة، ويؤيد التصور الاساسى للعلاقات الدولية؟ ذلك ان أى تجربة جديدة فى أدب الرحلات، يتم استقبالها - فى ضوء التفسير الاعلامى بطريقة من أربع:

- **أما ان نضيف الى التصور القائم معلومات جديدة.**
- **واما أن ندعم التصور القائم.**
- **او تحدث مراجعات طفيفة على هذا التصور.**
- **او ينتج عنها اعادة بناء كامل للتصور.**

وتأسيسا على هذا الفهم يذهب أحد العلماء الى ان الكيفية التى يتصرف بها الانسان تعتمد على «**الصورة الذهنية**»، وان أى تغيير يصيبها يستتبع بالضرورة تغيرا فى السلوك.

وعلى ذلك يعتبر من الأمور الهامة التى يجب ان يهتم بها المعنيون بالتأثير فى الرأى العام أو قياس اتجاهات الجماهير، فهم طبيعة الصورة الذهنية وكيفية تشكيلها والتغيير الذى يطرأ عليها.

ونستطيع ان نقول - اذن - ان مفهوم «الصورة الذهنية» فى ادب الرحلات - انما يعنى: الانطباع الصحيح، الذى تكون عند الكاتب، وهو الأمر الذى يجعلنا نستعير من «جفيكنينز» تعبيره عن «الصورة الذهنية» لانطباقه على أدب الرحلات وما يقدمه من صور ذهنية: ان هذه الصور اما ان تكون:

- **الصورة المرآه**: وهى الصورة التى يرى فيها المجتمع نفسه من خلالها.
- **الصورة الحالية**: وهى التى يرى بها الآخرون هذا المجتمع او هذا البلد.
- **الصورة المرغوبة**: وهى التى تود دولة ما ان تكونها لنفسها فى اذهان الجماهير.
- **الصورة المثلى**: وهى أمثل صورة يمكن ان تتحقق اذا اخذنا فى الاعتبار منافسة المنشآت والدول وجهودها فى التأثير على الجماهير، ولذلك يمكن ان تسمى بالصورة المتوقعة.
- **الصورة المتعددة**: وتحدث عندما يتعرض الأفراد لممثلين مختلفين للدولة يعطى كل منهما انطباعا مختلفا عنها.

ويؤكد «كارل دويتش» ان وجود عوامل ومؤثرات، يساعد فى احداث تغيير فى الصورة القائمة، ويلفت النظر الى انها ليست قاصرة على كم المعلومات المتدفقة على الفرد، فهناك من الأحداث ما يستطيع التأثير على الصور القائمة وتغييرها.

ويكشف لنا ادب الرحلات فى ميراثنا العربى، فى القديم والحديث عن عبقرية متميزة، يصح ان تسمى «عبقرية الترحال» ونعتقد مع استاذنا العقاد ان هذه الملكة الشخصية التى تكمن وراء الروائع فى ادب الرحلات مستمدة من ملكة قومية أصيلة فى الأمة

التى يخرج منها اولئك الرحالون، لأن معظم الرحالين الكبار خرجوا من امم تعود أبناؤها الرحلة كالعرب والفينيقيين والاغـريق والبنـادقـة والـبرتغـاليين، والانجليز فى العصور المتأخرة، واكثر الرحالين الكبار الذين اشتهروا فى التاريخ نسب اليهم الفضل فى الكشوف الجغرافية، هم من أبناء هذه الأمم، أو أبناء أمم تشبهها فى البداوة والاشتغال بالملاحة. . ملكة شخصية مستمدة من ملكة قومية، هذه هى عبقرية الرحلة التى عبر عنها العقاد، الذى يعتقد الى جانب ذلـك ان هذه العبقـرية تظهـر فى صور الـرحلة الخارجية، ومنها الرحلة فى داخل النفس او فى عالم الخيال، وبين كبار الرحالين من هذا الطراز اناس لم يفـارقـوا مكـانا واحدا خلال عشرات السنين كأبى العلاء المعرى. فانه سمى نفسه «رهين المحبسين» لملازمته داره وحبسه فى جسده، ولكنه شاء أن يرحل فى كتاب من كتبه وهو «رسالة الغفران»، فلم يقنع بأقل من الرحلة الى السماء.

«وكجول فيرن» الكاتب الفرنسى الحديث فان ما رآه من جوانب الأرض بالقياس الى المشـاهـدات المأثورة عن كبار الرحالين شىء لا يذكره ولكنه ساح بخيالـه فى جو الأرض وفى أعماق البحار وفى اجواء السـماء، بل ساح فى عالم الغيب ووصف للنـاس مخترعات لم تخترع بعد، ثم اخترعت فى اوانها فاذا هى كما وصف حتى قال «لوثر» القائد الفرنسى الكبير ان الناس اليوم يعيشون فى احلام جول فيرن».

فأدب الرحلات اذن يرحل بكاتبه فى الداخل او فى الخـارج، مع الانتقال او بغير انتقال، وقد يجمع بينهما، ولذلك نعتبر كاتب الرحلات فى ادبنا العربى المعاصر امتدادا للسندباد القديم، كما صنع الدكتور حسين فوزى فى السندباد العصرى، وكما صنع أنيس منصور سندباد الفكر كما احب أن أسميه دائما.

وكـاتب الـرحـلات المعـاصر يفيد من الحس الصحفى والفـراسـة الاعـلامية فى نمـذجة المعانى والآراء السياسية والذهنية، من خلال احساسه الفنى والاعـلامى، لأنـه يريد أن يقـدم صورة مدروسـة للواقع، كما فعل الجاحظ بالنسبة لعصره.

ان أدب الرحلات ـ هنا ـ يشرح ويفسر ويعلق ويبين الأسباب النفسية والعوامل الاجتماعية والخلقية والمادية لمشاهداته وانطباعاته وتصوراته، ومن هنا فان المؤلف فى هذا الفن الأدبى ينقب عن المعلومات التى يمكن ان تسهم فى صنع الصورة الذهنية المنشودة، ثم يخضـع هذه المعلومـات والـوقـائع للوصف الصحفى، ليدعم كتـابته ومن المعروف ان الوقائع أقوى من الأوصاف والنعوت.

ولذلك يلاحظ القراء فى كتب الرحلات، كيف يحرص المؤلف على ان يشفع كل تقرير بملاحظاته، ليشعـرك ايهـا القـارىء بان الكاتب هو العين التى تبصر والاذن التى تسمع بها، والحواس التى تحس بها. . وهو يعرف جيدا ان عليه ـ ككاتب ـ أن ينقل الى القارىء جميع الأحاسيس فى شعوره وادراكه لها.

والحاسة الصحفية والفراسة الاعلامية، من أهم مقومات الكاتب الذى يتصدى لأدب الرحلات ذلك أن هذا الادب يتغيا التنـوير والتثقيف، وتكـوين الصـور الـذهنية الصحيحة، ولذلك نجد ان أدب الـرحـلات المعـاصر يحتوى على تحرير اعلامى وفن تصويرى، وتجسيد للمعانى، وتبسيط للحقائق مع تيسير فهم الصورة الذهنية المنشودة من جانب جماهير المستقبلين.

ولذلك تحفل كتب الرحلات بالمعلومات الدقيقة عن المناطق والشعوب التى زاروها، ويرى الدكتور احمـد ابـو زيد، فى ذلك سببا اساسيا لرواجها عند القراء، نظرا لابتعادها عن اسلوب العرض العلمى الجاف، . مع التزامها بالدقة والامانة بقدر الامكان، الى جانب ما فيهـا من عنصر الخلق والابداع الذى تخلو منـه الـكـتـب الـعلمية، بل ان بعض كتب الرحلات وجد من الاقبال والرواج ما لم تلقه بعض روائـع الاعـمال الأدبية، وخـير مثال لذلك الأديب الشاعرجـوتهالذى يقال ان رحلته الشهيرة الى ايطاليا جذبت من القـراء أضعـاف ما جذبـه اى كاتب او مسرحية او رواية اخرى من اعماله، بما فى ذلك «الام فرتر» و«فاوست» ولا يزال ادب الرحلات يؤلف فرعا من أهم فروع الكتابة فى الآداب الغربية.

بقلم: د. رمضان بسطاويسى محمد - مصر



● العرب عرفوا البحر وأهواله، كما عرفوا الصحراء

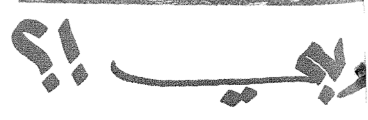


المسعودي



فتحي غانم





تمثل علاقة العرب بالبحر، منذ ما قبل الميلاد وجها بارزاً من وجوه الحضارة العربية الاسلامية، فعبر البحر تجارتهم وتجارة العالم، ثم بشروا بدينهم ولغتهم وثقافتهم، وانجازاتهم البحرية واضافاتهم الحضارية إلى تراث الانسانية وحضارتها.

وعبر البحر أيضا تلقى العرب علوم الأمم الأخرى وثقافاته، واستوعبوها، وصححوها، وأضافوا إليها من ثمار الحضارة العربية ما أثرى الحضارة الانسانية، وامتد نشاط العرب البحرى إلى شواطىء الصين وكوريا شرقا، وإلى سواحل أوروبا الجنوبية والجزر البريطانية وأيسلندا غربا.

وهناك بعض الأخطاء الشائعة بأن العرب القدماء هم أبناء الصحراء، وأن الصحراء هى عالمهم الوحيد الذى لم يتعدوه إلى عالم البحر، وأنهم ركبوا الابل والخيل ولم يركبوا السفن، غير أن هذا كله، لا يتفق مع الحقائق الخارجية والجغرافية والأدبية الثابتة فى هذا الموضوع، فقد عرف عرب الخليج البحر، وركبوا السفن، وعبروا البحر الأحمر إلى الساحل الشرقى الأفريقى، وأقاموا عليه المراكز التجارية الثابتة، وعبرت سفنهم المحيط الهندى، ونقلوا تجارة الهند وصنعوا سفنهم من أخشابها.

ولقد نشأ العرب وعاشوا فى شبه جزيرة تحيط بها مياه البحار من ثلاثة جوانب، جنوباً، وشرقاً، وغرباً. فكان طبيعيا أن يعرفوا البحر وجماله وتقلباته وسفنه، فكانت قوافل التجارة تأتى من الجنوب إلى الشمال، وكان عرب الشمال وخاصة أهل مكة يقودون حركة التجارة البرية القادمة من اليمن جنوبا إلى الشام شمالا، وفى منتصف الساحل العربى المطل على البحر الاحمر، أقام عرب من صيادى الحيتان، النواه الأولى لمدينة جدة الساحلية، بل واستقر قضاعة الابن الثانى لمعد بن عدنان، أحد أجداد سيدنا محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾، فى جدة وسميت باسم أحد أبنائهم وهو «جدة بن جرم بن ريان» وكان هذا قبل الاسلام بنحو خمسة قرون، فى حين نقل العرب من سكان اليمن وحضرموت والخليج عامة تجارة الهند وأفريقيا عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر والخليج

العربى إلى الشام والعراق ومصر.

أدب البحر فى الشعر الجاهلى

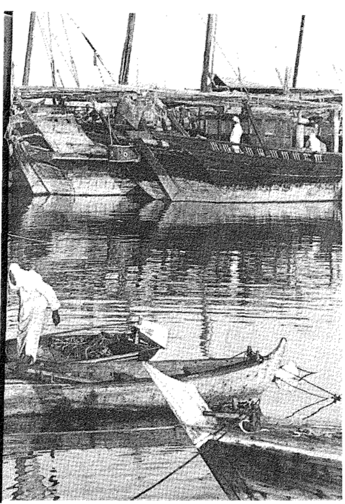
رسم الشعر الجاهلى الملامح الأولى لأدب البحر عند العرب، وقدم صورا فنية مستمدة من عالم البحر، والدالة على ركوب العرب للبحر، ومعرفتهم بعالمه الجميل المتقلب.

فمثلا نجد طرفة بن العبد، يلقب بشاعر البحر، لأن شعره غنى بلوحات البحر وصوره أكثر من أى شاعر سواه، وذلك لأنه ولد بالبحرين سنة ٥٦٤م تقريبا، فتفتحت عيناه على عالم البحر والسفن، وكان مسكنه ومساكن قومه تطل على مياه الخليج، وتتدفق فى معلقته صور البحر والسفن فى أبيات الحب، وفى تصوير موكب رحيل الحبيبة وتشبيهه بصور واقعية منقولة من عالم البحر:

كأن حدوج المالكية غدوة
خلايا سَفينٍ بالنواصف من دَدِ
عدولية أو من سفين ابن يامِنٍ
يجور بها الملاح طورا ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها
كما قسم الترب المفايل باليد

■ وهو يتحدث هنا عن الحبيبة خولة الكلبية، وسميت فى هذه الأبيات بالمالكية نسبة إلى قومها بنى مالك، فالمالكية تنصرف إلى الحبيبة وإلى القبيلة معا فى هذه الابيات، أما الحدوج فهى جمع حدج وهو مركب النساء، والخلايا، جمع خلية وهى السفن الكبيرة، والسفين جمع سفينة أيضا، والنواصف، جمع ناصفة وهى الاماكن الفسيحة فى الأودية تستعمل كطرق صحراوية، أما دَدِ فهى مكان ترسو فيه السفن، فهو يشبه مسيرة الهوادج فى موكب الحبيبة كمسيرة السفن النسائية الكبيرة عندما تتجه إلى مرساها، فالصور كلها بصرية وواقعية منقولة بأمانة من الواقع.

وتتناثر صور البحر والأمواج والزبد والأنهار والسفن، فى بعض أبيات المعلقات الأخرى، مثل



هذا البيت المشهور من معلقة امرىء القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى

أدب البحر فى «ألف ليلة وليلة»

مهدت قصص التجار العرب البحرية لظهور قصص السندباد أعظم أعمال أدب البحر اكتمالا وتأثيرا فى التراث الشعبى العربى وفى الأدب العالمى كله، فظهرت رحلات السندباد ككتاب مستقل ثم ضمنتها ألف ليلة وليلة مع مجموعة من القصص البحرية العربية الأصل، وشكلت أكثر أعمال أدب البحر العربى عبقرية، فنيا وعلمياً، كما أفادت هذه القصص البحرية بدورها فى تطور أدب البحر عند العرب فيما بعد على أيدى ابن ماجد وملاحى الخليج فى أدب الرحلات البحرية، ومعروف أن ألف ليلة وليلة من أهم أعمال الأدب الشعبى العربى، بالرغم من أصلها الهندى وترجمتها الفارسية، الا أنها بصياغتها العربية واضافاتها الكثيرة واسمائها العربية للمدن والملوك ووقائعها العربية، تعد عملا من أعمال

المتحدة وقطر وسلطنة عمان.

أدب الخليج العربى هو أدب بحر أيضا

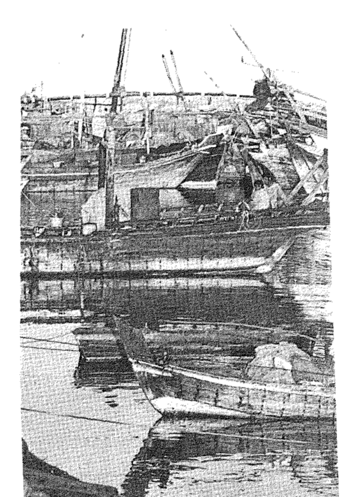
هل ينتمى أدب الخليج العربى لأدب البحر، ذلك الأدب الذى يستهدف التعبير عن عالم البحر، والذى يكون البحر هو موضوعه الرئيسى المؤثر فى الأحداث والشخصيات، وفى الرؤية الكلية للعمل الأدبى، لأن البحر ملمح بصرى هام، نجده فى كتابات فتحى غانم وصالح مرسى وحنا مينا، وابراهيم مبارك وناصر جبران فى الامارات، حيث يعتبر البحر تجسيداً أسطوريا لشاعرية القص، وتصبح حالات البحر مثل الثورة والهدوء، والمد والجزر هى تعبير عن حالات النفس الانسانية من الفرح والحزن والغضب.

بل إن علاقة الماء بالتراب يستخدم أيضا كرمز للمزج الحسى بين العناصر المختلفة التى ترمز إلى التزاوج بين الكائنات، وممارسة طقوس الحياة اليومية.

ويرمز الماء أيضا فى علاقته بالتراب إلى «الوحل» وهو علامة السقوط فى براثن الاثم والخطيئة، والمياه الرائقة ومستوياتها من الشفافة والبللورية فى الشعر العربى المعاصر عن الطهارة والشفافية، والمياه العميقة ترمز إلى الانثى التى تحتضن وليدها، وإلى الأمومة التى تنتج خصوبة الحياة.

وهناك أعمال أدبية كثيرة فى الخليج العربى تجعل من البحر وكائناته هى موضوعها الأثير، فتبدو هذه الاعمال فى البحر، وعالم البحارة، ويتحول البحر لديهم إلى كون خاص له مفرداته، التى تعكس مفردات التاريخ الانسانى وصراعه من أجل الوجود.

ويضم أدب البحر الاسطورة والملحمة والشعر والحكاية الشعبية وأدب الرحلات البحرية والقصة والرواية، ويجمع فى نماذجه وانماطه الفنية بين الشخصيات الاسطورية والشخصيات الواقعية، بين الرؤية الرومانسية للطبيعة كمجال للهروب والاستسلام وبين الشخصيات البطولية التى هى جماع لكل عناصر القوة والمغامرة.



العبقرية العربية فى الأدب الشعبى العربى.

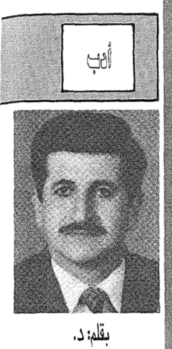
ففى حكاية الرحلة الأولى للسندباد البحرى، نجد الجمع بين المغزى الفكرى، وبين أدب البحر، وبين دعوة السندباد البحرى إلى الكفاح والكد والمغامرة فى الحياة، وبين التمرس بأسفار البحر وتجاربه وأنوائه ومغامراته.

ويذكر السندباد بعض أبيات الشعر لتأكيد هذا المعنى:

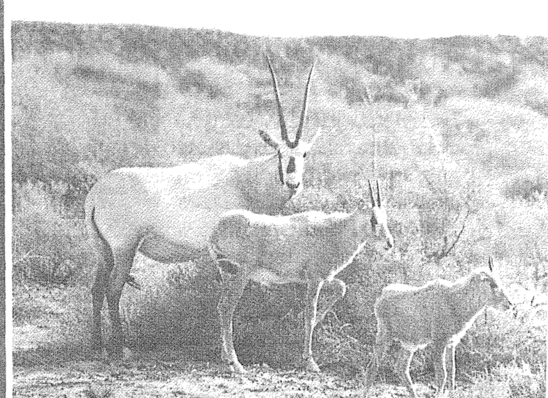
بقدر الكد تكتسب المعالى
ومن طلب العلا سهر الليالى
يغوص البحر من طلب اللآلى
ويحظى بالسيادة والنوال

■ وحكايات السندباد هى حصيلة لأدب الرحلات البحرية عند العرب، ومن أشهر روادها المسعودى، وابن بطوطة، وهذا الأدب يمتد ليؤثر فى الأدب العربى المعاصر، فنجده لدى الدكتور حسين فوزى فى كتابه (سندباد عصرى)، ونجده لدى الروائى فتحى غانم عن (البحر) وصالح مرسى وحنا مينا فى سوريا، ونجده فى أدب الخليج العربى فى كتابات الادباء فى السعودية والبحرين والامارات العربية

أدب



بقلم: د.
بهيج مجيد القنطار
الجامعة اللبنانية - بيروت -



أضواء علـــى الشعـر الأمــ

أولا: بيئة الحجاز:

يتألف (غربى جزيرة العرب) من جزئين كبيرين هما: الحجـاز شمالا واليمن جنـوبـاً، والحجاز يمتد شمالا من «العقبة» ثم يمتد جنوباً الى اليمن.

وطبيعة هذا الاقليم جبلية غالباً - فهو سلسلة من الجبال تسمى جبال السراة، وهذه تعترض بين نجد المرتفعـة شرقـاً وتهـامة المنخفضة الممتدة على طول شاطىء البحر الاحمر.

وليس بالحجاز أنهار، وإنما يتخلل جباله كثير من الأودية يتجمـع المـاء فيهـا، إذا نزل المطر ثم يسير منحدراً صوب البحر، فمياهه لهذا قليلة. ومناخه - فى الغالب - حار، وأرضه تكسوها الصخور والرمال، وقلما ينبت النبات فيه إلا فى بعض الوديان.

ومن أشهـر مدنـه: مكة، والمدينة، والطائف، والتجارة التى هى إحدى وسائل اتصال العرب بمن جاورهم فى العصر الجاهلي كان لها طريقان رئيسيان بين المحيط الهنـدى والشـام: أحـدهـا يبـدأ من حضرمـوت متجهـا شمالا الى البحـرين على الخليج العربى ومن ثم الى صور، والثانى يبدأ من حضرموت كذلك ويسير محاذياً للبحر الأحمر ماراً بمكة.

والتجـارة التى جعلت لمكـة فى الجاهلية مكانة مرمـوقة، لم تكن قاصرة على تبادل السلع وعروض التجارة فحسب، وانما كانت كذلك طريقا من طرق اتصال العرب الحجازيين بثقافة عالم البحر الابيض الذين كانوا يتاجرون معه.

من ذلك نرى أن الحجاز فى العصر الجاهلى قد أثرى كثيراً عن طريق التجارة فانتعش اقتصادياً، كما اتصل بحضارات اليونان والرومان والفرس، وقد ادى كل ذلك الى رقيه اجتماعياً وعقلياً.

ولمـا جاء الاسـلام، وعم الجـزيرة شارك عرب الحجاز كغيرهم من عرب الجزيرة فى المغازى والفتوح الاسـلامية فى الشام ومصر والعراق وفارس واتصلوا

• اتصال البيئة العربية بمجموعة من البيئات المتحضرة من الفرس والروم وغيرهم كان له أثره الواضح في تغير نظم حياتهم الاجتماعية والفنية.

• في العصر الأموي اشتهر الحجاز بفن الغناء والطرب، واشتهرت نجد بشعر الغزل العذري.

• شعر الفخر والحماسة والهجاء في العصر الأموي قل كثيرا عما كان عليه في العصر الجاهلي.

...سوي في بيئتي الحجاز ونجد

اتصالا مباشراً بحضارة هذه الأمم، واندمجوا فيها، ثم عاد منهم من عاد الى الحجاز يحملون أفكاراً جديدة ومغانم منوعة.

كل ذلك الثراء الذى تدفق على أهل الحجاز، ولا سيما أهل مكة والمدينة، قد تبعه، ولا ريب تطور فى حياتهم وحياة ابنائهم، فلم يعودوا يقنعون بما كانوا عليه من قبل، وإنما نراهم يتنافسون فى تشييد القصور، يقيمها لهم بناءون من الفرس، وبذلك استحالت مكة والمدينة الى مدينتين كبيرتين تضارعان مدائن الفرس والروم، وتأخذان كثيرا من مظاهر الحضارات الاجنبية.

ولم يقف التطور فى حياة أهل الحجاز أيام بنى أمية عند هذا الحد من التطاول فى البنيان، وإنما نراهم ينزعون الى ألوان من الترف فى طعامهم وشرابهم ولباسهم، فهم يطعمون ويشربون فى صحاف وأوان.. من الذهب والفضة، ويتخذ الرجال ثيابهم من الخز والديباج، وتلبس النساء الشفوف وتبالغن فى التحلى باللآلىء والجواهر الكريمة.

لقد صارت مكة والمدينة بعد الاسلام من أهم مراكز الحياة العلمية فى ذلك العصر، وظهرت فيهما مدرستان للقرآن والحديث والفقه والتشريع الاسلامي والأدب والتاريخ، وكان الطلاب من أقاصى البلدان يقصدون المدينتين فيأخذون من العلم عمن فيهما من الصحابة من امثال: معاذ بن جبل، وعبد الله بن عباس، وعلي بن ابي طالب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر.

وانهال الثراء الضخم على الحجاز من مغانم الفتوح وهذا ما دفع بأصحابه الى الرفاهية والترف والى أنماط جديدة من الحياة أخذوا بها وبالغوا فيها، وذلك بدوره كان له أثره في نقل الحجاز نقلة كبيرة من حال البداوة الى حال الحضارة، حال من الفرح والمرح، وكما انتجت الحياة العلمية علماً غزيراً، انتجت

الحياة الثانية اى حياة الفرح والمرح «فنا» بديعاً من غناء وادب ومنادرة[1].

ولم يقف الغناء العربى كما يقول صاحب الاغاني الى الحد الذى بلغه فى عهد عمر بن الخطاب من حداء يقع بتطريب وترجيع مع الصوت وانما تأثر بالغناء الفارسي واخذ كثيرا من نغماته وتوقيعه.

كذلك نقل العرب عن الفرس صورة مجالس الغناء والاجتماع لسماعه، وهذه لم تكن مجالس للغناء فحسب، وانما كانت ايضا مجالس للأدب يهذب فيها الشعر وينقح ويصفى ويرقق بما يتمشى والذوق الموسيقى.

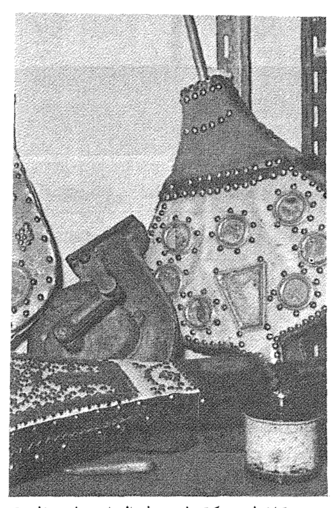
وكان للخلفاء مجالس خاصة للغناء أخذت عن الفرس، ثم قلدهم الولاة وعظماء الدولة فى ذلك، فكانت لهم مجالس للغناء واللهو، وهي، وإن لم تبلغ مستوى مجالس الخلفاء، إلا أنها كانت تفوقها في حرية القائلين والمغنين والسامعين، وفي إطلاقهم القول على شجيته دون قيود او حدود، مما كان له تأثير اكثر فى الادب والفن.

ولم تقتصر هذه المجالس على الغناء والطرب والسماع، وانما كانت كذلك منتديات للمحاضرات والمساجلات الأدبية، وللقصص الجميل الشائق وللفكاهات والملح والنوادر الممتعة، وللتسابق بين الشعراء والأدباء من اجل الشهرة ونيل الحظوة.

وهكذا شاع الغناء فى الحجاز وتطور، وصارت له فيه مدرسة حتى كان اكثر المغنين في قصور امراء بنى أمية وخلفائهم ممن تخرجوا فى مدرسة الحجاز.

ويروى ابو الفرج الاصفهاني أن مكة والمدينة وضواحيها قد امتلأت بالمغنين وأنهم كانوا يخرجون إلى الحج فى قوافل واشتهر في عصر واحد أربعة من كبار المغنين: ابن سريع، والغريض، ومعبد، وحنين، وكان الثلاثة الاولون بالحجاز والأخير وحده بالعراق.

واجتمع للحجاز فى زمن واحد عشرات من مشهوري المغنين والمغنيات منهم: جميلة، برد الفؤاد، حبابة - سلامة - بلبلة - لذة العيش، سعيدة - الزرقاء - نافع بن طمبورة - هبة الله - الدلال - معبد - مالك، ابن عائشة، وغيرهم.



وكان لمغني مكة مذهب في الغناء، ولمغني المدينة مذهب، وكان التفاخر والتنافس بين الفريقين شديداً، وشغف الناس بالغناء، فأقبلوا عليه يسمعونه، ويغشون مجالسه، ويروي لنا ابو الفرج الاصفهاني، أنه نمى الى عبد الملك بن مروان، أن رجلا أسود بمكة يقال له سعيد بن مسجح افسد فتيان قريش أنفقوا عليه أموالهم فكتب الى عامله ان أقبض عليه وسيره[2].

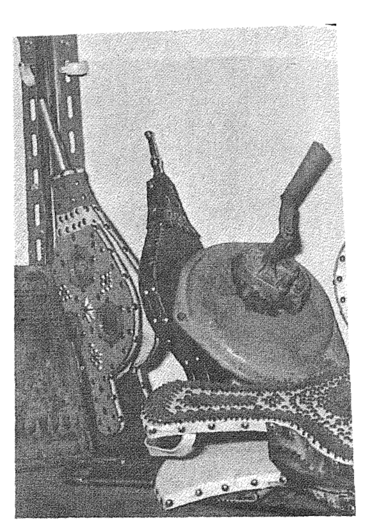
ويروى عن الامام مالك بن أنس أنه قال: نشأت وأنا غلام حدث أتبع المغنين وآخذ عنهم فقالت لي أمي: «يابني، إن المغني اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه، فدع الغناء، واطلب الفقه، فإنه لا يضر معه قبح الوجه، فتركت المغنين، واتبعت الفقهاء، فبلغ الله بى عز وجل ما ترى».

وليس عجيباً أن يكثر الفقه والحديث فى الحجاز، وإنما العجيب ان يفوق الحجاز العراق والشام فى الغناء، وقد كان أقرب الى الذهن أن يكون العراق وارث المدنيات المتتابعة أو الشام وقد غلبت عليه حضارة الروم أسبق من الحجاز فى إجادة الغناء، وما يحيط به من لهو، والحجاز أقرب الى البداوة، وهو فقير

عباد الحجاز[٣].

وقد يكون السبب أن الحجاز قد استقر به سادة العرب وهم العنصر الفاتح، فحظوا بخير الجوارى وأرفعهن نسبا، واكثرهن تأدباً، ومن هؤلاء من نشأن فى بيوت الملوك والامراء، وتأدبن بآداب الحضارة فنقلن ذلك الى الحجاز وصبغنه بالصبغة العربية.

وربما كان السبب أن الأمويين عندما آلت اليهم الخلافة، وحصروها فى أنفسهم ضيقوا على من عاداهم من بطون قريش وشغلوهم عن التفكير فى الخلافة والسياسة بما غمروهم به من المال والعطايا، فانصرف شباب الحجاز بذلك وبما لهم أصلا من ثراء عريض عن الخلافة والسياسة الى حياة اللهو والقصف، فكان الظرف، وكان الغناء، وقد تكون كل هذه الاسباب مجتمعة هي التى أدت الى تفوق الحجاز على غيره في إجادة الغناء، وما يحيط به من لهو.



مجدب بالقياس الى الشام والعراق، فما السر فى ذلك؟؟.

ربما كان السبب هو ما أثر عن أهل الحجاز من الظرف ورقة الشعور، ومن سعة الصدر، وكثرة التسامح فى الغناء، جاء فى الأغاني أن عبد الله بن عمر العمري قال: خرجت حاجا فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت فيه فأدنيت ناقتي منها ثم قلت لها: يا أمة الله ألست حاجة؟ أما تخافين الله؟ فحسرت عن وجه يبهر الشمس حسنا، ثم قالت: تأمى يا عمي فإني ممن غنى العرجى بقوله:

من اللاء لم يحججن يبغين حسبه
ولكن ليقتلن البرىء المغفل

قال: فقلت لها: فانى اسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار، وبلغ ذلك سعيد بن المسيب مفتي المدينة فقال: أما والله لو كان من بعض متزمتى أهل العراق لقال لها: اغربى! قبحك الله؟ ولكنه ظرف

تلك كانت حال الحجاز في عصر الأمويين: إنتقال الخلافة منه الى الشام، والمعارضة الى العراق، وسياسة أموية تحدد إقامة أبناء الهاشميين فيه، فلا يبارحون إلا باذن، وتسليط الترف عليهم، وشغلهم بالمال والعطايا عن الملك حتى لا ينازعهم فيه، وتخلية بينهم وبين الفراغ، وثراء باذخ من مغانم الفتوح ورثوه عن آبائهم المجاهدين، وسكنى للقصور، وأناقة فى اللباس والحلى، وترف فى الأطعمة والأشربة وأدواتها، وأخلاط شتى من الرقيق متباينة الالوان، واللهجات والعادات والطباع والثقافات، تبث فيه دماً جديداً، وتخلع عليه ظلا جميلا، وغناء يزدهر ويشيع، هذا مع ما في الحجاز، من ملاحة ظرف، ولطافة حس، وفصاحة لسان.

كل ذلك كان له أثره فى تغيير وجه الحجاز والانتقال به من دور البداوة الى دور الحضارة، وظهور ألوان جديدة من الفنون.

• الموالي من الفرس كان لهم أثرهم البالغ فى نشأة وتطوير فن الغناء فى العصر الاموي.



واذا نظرنا على ضوء كل ذلك الى الحجاز كبيئة من بيئات الشعر فى عصر الأمويين، فان صورة هذه البيئة تبدو لنا الآن واضحة كل الوضوح. فهى بيئة، أخذت بأسباب حضارة جديدة، هي مزيج من الحضارة العربية والحضارات الأخرى التى اتصلت بها وتفاعلت معها، **بيئة تختفي من حياتها قيم جاهلية قديمة لتحل محلها قيم جديدة تصقل النفوس،** وترهف الحس، وتزكي العواطف، وتكسب الخيال شفافية وصفاء.

ودراسة الشعر الحجازى الذي هو وليد هذه البيئة المترفة المتحضرة فى ذلك العصر تظهرنا على مدى انفصاله عن الشعر الجاهلي، فالحجاز الذى عزله الأمويون عن السياسة، ومدوا له فى أسباب الرفاهية والنعيم، **قد فترت في نفوس ابنائه دواعي شعر الفخر والحماسة، فقل هذا اللون في شعرهم.**

كذلك قل الهجاء فى شعرهم، فقد اختفى في بيئتهم كثير من الأسباب التى تورثه كالعصبيات والمشاحنات والعداوة والبغضاء.

وقد نلتقى في شعرهم بالمدح، ولكنه ليس لوناً غالباً عليه، فاكثرهم كانوا يعيشون فى بحبوحة من العيش، ومن ثم لم يكونوا بحاجة الى التكسب بشعرهم.

أما الشعر الذى غلب عليهم، واستبد بطاقاتهم الشعرية والفنية، فهو شعر الغزل، وقد كانوا فى نزوعهم اليه، واكثارهم منه، وتفننهم فيه، متجاوبين مع أنفسهم واهوائهم وبيئتهم . وهى بيئة كل ما يشغل تفكير أغلب اهلها ممن ملكوا الثراء والفراغ والرقيق، وشاع بينهم الغناء، أن يعبروا عن تجاربهم النفسية، ومغامراتهم العاطفية والوجدانية بألوان من شعر الحب، تغلب عليها سمات الحضارة، والتجديد.

فكان طبيعياً لذلك، ان يكثر شعراء الحب والغزل في الحجاز، وأول من تجرأ من شعراء القريشيين فى مكة على التشبيب بالنساء عمر بن ابى ربيعة، وابو دهبل، والعرجى، والحارث بن خالد، وابن قيس الرقيات، وفي المدينة الأحوص، وقيس بن ذريح ثم تجرأ الشعراء من غير قريش على الاقتداء بهم حتى شاع التشبيب فى العصر الأموى.

على أن هؤلاء الشعراء وامثالهم من شعراء الحجاز لم يقفوا بشعر الغزل والتشبيب عندما كان عليه فى الجاهلية، لقد كان الشاعر الجاهلي لا يتغزل ولا يتشبب فى غير حبيبته، أو خطيبته، وكثيراً ما كان يسميها بغير اسمها صيانة لها من الابتذال وخوفا من أن يفتضح أمره معها، فيمنعه أهله من التزوج بها.

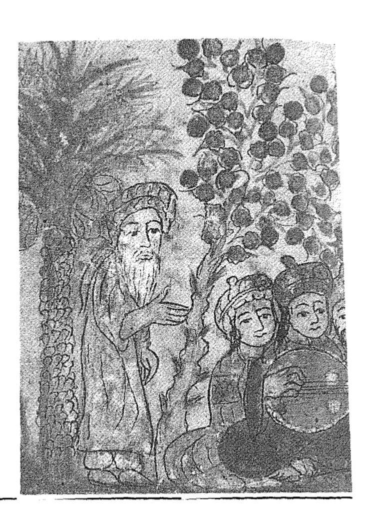
أما الشعراء الغزليون فى الحجاز فكانوا يقولون الشعر فيمن يحبون غير متورعين في اكثر الاحيان عن التصريح بأسمائهن، ومن النساء من كان يسرها أن يتشبب بها شاعر مشهور وإن لم تكن ترجو التزوج به لأن فى مطلق التشبيب بها إشادة بها وشهرة لها.

وكان الأمراء والكبراء يغضبون لنسائهم إذا تشبب بهن أحد لغلبة طبائع البدو عليهم، ومن الخلفاء من

للغناء يتدخلون فيها للتنقيح والتحوير حتى ينسجم مع ألحانهم، فكان الغناء من هذه الناحية قد أحال شعر الحب الى عملية فنية يشترك فيها الشعراء والمغنون والمغنيات.

وعلى ذلك لم يعد شعر الحجازيين عملا يستقل به الشاعر، وإنما أصبح فناً يعتمد الى حد ما على فن الغناء الذي نهض اكثر ما نهض على أيدى موالى الفرس، وهؤلاء الموالي لم يؤثروا فى الشعر عن طريق الغناء فحسب، وإنما أثروا فيه كذلك عن طريق معالجته ونظمه.

فكثير ممن دخلوا فى الاسلام من الفرس اضطروا الى تعلم العربية، ولم تجيء الدولة الأموية حتى كان قد ظهر منهم ثم من أبنائهم من اتخذ الشعر صناعة فعالجه ونظمه، كزياد الأعجم وابي العباس الأعمى واسماعيل بن يسار النسائى وأخويه محمد وابراهيم،



كان يكبر عليه أن يظهر غضبه على الشاعر إذا شبب ببعض أهله، فينتقم منه بالاهمال كما كان يفعل معاوية[4]، وعبد الملك ابن مروان[5]، ومنهم من كان لا يستطيع أن يكظم غيظه كالوليد بن عبد الملك فكان يتوعد الشعراء وقد تشبب وضاح اليمن بامرأته فقتله[6].

وكان زعيم الغزليين فى ذلك العصر عمر بن أبى ربيعه، فقد فاق نظراءه بسهولة الشعر وشدة الأسر وحسن الوصف وإرسال شعره قصصاً غزلية حتى كأنه إنما يدون فيه تاريخ قلبه، ولذلك فتن به الناس وقلده الشعراء فى طريقته.

وقد اكثر هؤلاء الشعراء من التغنى بالحب ووصف أغراضه وأحواله، ومن التعبير عن تجاربهم ومغامراتهم فيه، ولانتشار الغناء فى ذلك العصر بالحجاز كان ابن سريج وابن محرز ومعبد والفريض ومالك وابن عائشة وغيرهم يغنون فى الحب من شعر تلك الطبقة كلها.

وكان إذا عرض على اولئك المغنين والمغنيات شعر

كما ظهر بين المغنين والمغنيات منهم من يقول الشعر ويجيد نظمه كأبى سعيد مولى قائد[7] فقد كان مغنياً شاعراً وكسلامة القس فقد كانت تحسن الغناء والشعر معاً[8].

■ وهكذا نرى المجتمع الحجازى فى العصر الأموي قد أتيح له كثير من أسباب الحضارة فتحضر، فهو مجتمع قد عمه الثراء، وشاع فى جوه الطرب والغناء، ووفد عليه الرقيق من الفرس والروم بألوان منوعة من الجمال ممثلة بجواريه.

فى هذه البيئة نشأ شباب الحجاز وكل ما حوله يغري بالاستمتاع والحب والشعر، فاستمتع وأحب وشعر، فجاء شعره غنائيا يعبر عن نوازع القلوب وتجاربها العاطفية، حتى ليخيل لمن يقرأ هذا الشعر أنه قد نظم ليغنى، وكأنهم بذلك قد استحدثوا **مدرسة الشعر الغنائى**، هذا الشعر افتتنوا به وافتنوا فيه حتى كاد يبتدىء بهم وينتهي اليهم.

بيئة نجد:

تتألف نجد من الصحراء الوسطى لجزيرة

العرب، وهى أرض مرتفعة تمتد من الحجاز غرباً الى صحراء البحرين والخليج العربى ووادي الفرات شرقاً.

وطبيعة هذه الصحراء الشاسعة ليست متشابهة وإنما هي متنوعة، ولعل أول ما نتبينه منها هو بادية السماوة أو صحراء النفود، السير فيها شاق عسير بسبب ما يتخللها من كثبان ووهاد، وهي قليلة الآبار والعيون، وأحيانا ينزل المطر فيها شتاء فينمو به فى بعض بقاعها نباتات صحراوية وأزهار صغيرة مختلفة الألوان.

وفى جنوب صحراء النفود نلتقى بجبل شمر المعروف عند العرب بجبل طي: أجا وسلمى. وهما يمتدان الى الجنوب على شكل هلال محدودب، ومناخ هذا الجبل معتدل، صحي وأمطاره غزيرة - وأعشابه ومراعيه كثيرة، وفيه تنتشر بعض القرى والبلدان.

وكلما اتجهنا شرقا فى صحراء النفود ضاقت هذه الصحراء حتى تلتقى بصحراء الدهناء التى تنحدر شرقا الى الخليج العربي، وأرض هذه الدهناء صلبة مستوية ذات حصباء ورمال، وتتخللها بعض الوديان والعيون، واذا نزل بها المطر أنبتت الأرض الكلأ والعشب، فخرج اليها البدو بإبلهم وماشيتهم ونسائهم للانتجاع والمرعى وأقاموا فيها طوال فصل المرعى، فاذا اقبل الصيف وجف العشب عادوا الى منازلهم.

وفى الجنوب الغربى من الدهناء يقع الربع الخالى، وهو بيداء كبيرة ليس فيها من الأودية ذات المياه الا عدد قليل كوادي سرحال فى الشمال، ووادي الرمة ووادي الدواسر فى الجنوب، وهي أهم هذه الأودية جميعا[9]، وما بقى من نجد فى شمال الربع الخالي وشرقي الحجاز يتكون من مرتفعات ووديان كثيرة.

وكان هذه الصحراء بدو رحل يتنقلون بأهلهم ومواشيهم من مكان الى مكان ويتتبعون مواطن الكلأ النابت بعد هطول الامطار.

من ذلك نرى أن الحياة فى نجد كانت بعيدة عن الاستقرار وقائمة على الحروب التى لا تكاد تنقطع بين قبائلها، فغلبت البداوة على حياة القبائل النجدية، وتخلفوا حضاريا فى الجاهلية، ولكن ذلك لا ينفى تسرب بعض العناصر الحضارية اليهم.

أجل تسربت اليهم بعض العناصر الحضارية عن طريق القبائل القحطانية التى كانت تعيش فى أطراف الجزيرة المتاخمة للروم فى الشام والفرس فى العراق، كما تسربت اليهم عن طريق القوافل التجارية التى كانت تمر بهم، وعن طريق اسواق الأمم المجاورة التى كانوا يترددون عليها احيانا لتبادل السلع.

واذا نظرنا الى ما كان عليه الشعر داخل الجزيرة فى نجد إبان العصر الأموي، فإننا نرى فيه بعض الشعراء الذين نهجوا فى شعرهم منهج من سبقوهم فى الجاهلية من حيث الطريقة والصورة والموضوع.

ولكننا نرى عندهم، بجانب ذلك، شعرا يصور سخطهم وشكواهم من بعض عمال الصدقات الذين كانوا يأخذونهم بشىء من القسوة وعدم الرحمة فى جمعها دون مراعاة لظروفهم، ولعل خير ما يمثل ذلك اللون من الشعر قصيدة الراعى الشاعر التي وجهها الى الخليفة عبد الملك بن مروان معبراً فيها عن شكوى قومه من بني نمير التى يقول فيها:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة
تشكو اليك مضلة وعويلا
أخليفة الرحمن أنا معشر
حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله في أموالنا
حق الزكاة منزلا تنزيلا
إن السعاة عصوك يوم أمرتهم
وأتوا دواهى لو علمت وغولا
أخليفة الرحمن أن عشيرتي
أمسى سوامهم عزين فلولا
قوم على الاسلام لما يمنعوا
ما عونهم[10] ويضيعوا التهليلا
قطعوا اليمامة يطردون كأنهم
قوم أصابوا ظالمين قتيلا
وأتاهم يحيى فشد عليهم
عقدا[11] يراه المسلمون ثقيلا

كثيباً تركن غنيهم ذا عيلة[12]

بعد الغنى وفقيرهم مهزولا

إن الذين أمرتهم أن يعدلوا

لم يفعلوا مما أمرت فتيلا[13]

فادفع مظالم عيلت أبناءنا

عنا ، وانقذ تلونا[14] المأكولا

■ على أن لوناً جديداً من ألوان الغزل قد نشأ فى نجد، ثم شاع فيها وفي الحجاز، ذلك اللون هو الغزل العذري العفيف الذي اشتهرت به قبيلة عذرة، وكان أول من عبد من شعرائها طريق هذا اللون من الغزل جميل بن معمر الشاعر العاشق الذي كان معاصراً لعبد الملك بن مروان.

وقد اكثر جميل من شعر الهوى العذري وصدر فيه عن شعور صادق وعاطفة جياشة بحب بثينة حبيبته، وقلده كثير من الشعراء فى اتجاهه الشعرى حتى اعتبر بحق زعيم الغزل، ومن شعره:

وإنى لأرضى من بثينة بالذي

لو أبصره الواشي لقرن بلابله

بلا . . وبأن لا استطيع، وبالمنى

وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى، وبالحول تنقضى

أواخره لا نلتقي وأوائله

■ وقوله :

ومازلتم يا بثن حتى لو أنني

من الشوق أستبكى الحمام بكى ليا

وما زادني النأي المفرق بعدكم

سلوا ولا طول التلاقي تلاقيا؟

ولا زادني الواشون الا رحابة

ولا كثرة الناهين إلا تماديا

لقد خفت أن القى المنية بغتة

وفى النفس حاجات اليك كما هي.

■ وبالرغم من ان العفة والعذرية كانت مسيطرة على شعر الشاعر جميل بثينة إلا اننا نقف فى البيت الاخير على صورة تمثل الغزل الحضري الذى يقول فيه :

لقد خفت أن القى المنية بغتة

وفى النفس حاجات اليك كما هى

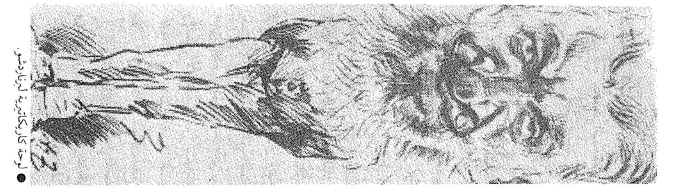
وقد ظهر فى بعض القبائل النجدية الأخرى شعراء عذريون مثل قيس بن ذريح، ومجنون ليلى الذى اختلف فى شخصيته.

ومهما يكن من أمر، فقد ظهر الغزل العذري في البيئة النجدية إبان العصر الأموي، وتأثر به شعراء الحجاز وقريش وغيرهم، وهو غزل ينم عن أرواح شفافة هذبها الاسلام وبث فيها شيئا من صفاته وروحانيته وطهارته، وليس ذلك فحسب بل انه يخطو بشعر الغزل خطوة جديدة نرى فيها الشعراء لأول مرة فى الشعر العربى يتغنون بمغانى الحبيب اكثر مما يتغنون بجماله الحسي، وذلك مما يتفق وطبيعة الغزل العذري العفيف، وذلك الغزل الذى يرجع الفضل فيه الى شعراء نجد بوجه عام والى شعراء قبيلة عذرة بوجه خاص.

وبكلمة، فالحجاز كان موطن الشعر الغنائى المصحوب بالتوقيع والعزف والموسيقى، وفى نجد نرى الغزل العذري العفيف، وشعر الشكوى فى تعسف الولاة وعمال الخراج والصدقات، هذا بالاضافة الى ما كان فيه من شعر يعتبر امتداداً للشعر الجاهلى فى موضوعه ومضمونه، وكل مظهر من مظاهره.

الهوامش

(١) ابو الفرج الاصفهاني - كتاب الاغانى ج٨ - ص١٤٧.
(٢، ٣) الاصفهانى - الاغاني ج١٧ ص١٠٥، ص١٢١.
(٤) ابو الفرج الاصفهانى - الاغانى ج١٣ ص١٤٨.
(٥) ابو الفرج الاصفهانى - الاغانى ج٦ ص٢.
(٦) ابو الفرج الاصفهانى - الاغانى ج٦ ص٣٦.
(٧) ابو الفرج الاصفهانى - الاغانى ج٤ ص٣٦٣.
(٨) ابو الفرج الاصفهانى - الاغانى ج٨ ص٣٣٣.
(٩) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية ج١ ص١١.
(١٠) الماعون: الزكاة.
(١١) العقد: ما فرضه عليهم فى الصدقات.
(١٢) العيلة: الفقر.
(١٣) الفتيلة: أي لم يفعلوا شيئا.
(١٤) الشلو: العضو.



● لوحة كاريكاتيرية لبرناردشو.

بقلم: د. عبيد خيري

قسم اللغات الاجنبية - جامعة الملك عبد العزيز

كلية التربية - المدينة المنورة

قراءة في مسرحيات جورج برنارد شو

● ما عرف بـ «مسرح الأفكار» أحد أنواع الدراما الجادة التي رسخها شو.

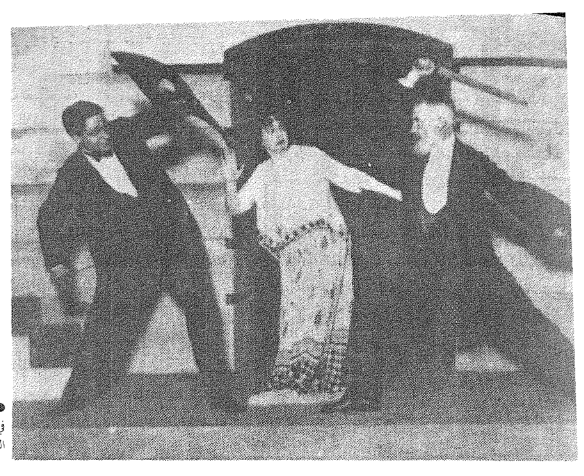
● **المسرح عند شو تحول الى منبر للمناظرات الفكرية، بعيدا عن التهريج والاضحاك.**

● شو جزء من تفكيرنا الغربي.. وهو جزء من المناخ الذهني لأزمتنا الراهنة.

● **«شو اعظم سامر فكه من سمارنا، وأعظم معلم لنا».** « مستر أتلي »

مساحة للضوء

علينا أن ننقل من الثقافة الغربية بقدر وميزان، وعلينا ان نفيدمنها لاثراء ملكاتنا، ما دامت متفقة مع حضارتنا ومثلنا ومقومات حياتنا.. وعبر هذه المساحة نأمل ان نقدم ما يدعم هذا التوجه.



● شو (إلى اليمين) في دور مسرحي اثناء التدريبات الفنية .

ولـد جورج برنـاردشو فى عام ١٨٥٦م فى دبلن بايرلندا، ثم نزح إلى لندن فى العشرين من عمره، وعمل صحفياً ثم ناقداً موسيقياً وفنيا ثم ناقداً أدبياً واجتماعياً، ثم دلف إلى كتابة القصة، ولكن محاولاته فى هذا المجال لم تلق نجاحاً يذكر، فانصرف بكلياته نحـو كتـابة المسرحيات، فألف مجموعة هائلة نالت حظاً وافراً من النجاح.

تتلمـذ على صمـويل بتلر وتأثر بكارل ماركس وفـردريك فلهلم نيتشه، اشتهر بالتهكم والتشاؤم، واتسمت كتاباته بطلاقة البديهة وسلامة الفطرة وسعة الثقافة ومرارة النقد وبعد الإشارة.

كان متمـردا على القيم الأخـلاقية السـائدة فى عصره، محباً للتجديد والقضاء على التقاليد البالية، مؤمناً بقوة الفكرة، متخذا من مسرحياته أداة فعالة لمعالجة المشاكل الاجتماعية التى ألمت بمجتمعه آنذاك.

كتب برنـاردشو عام ١٨٩١م يقول: «إننا نريد بصريح العبـارة مسرحـاً عقديا، ونرى أنه لا يوجد مكان فى المسرح الحديث لكاتب مسرحى ليس لديه الاستعـداد لتـأدية رسالته فى الحياة، كما نعتقد بأن كاتب المسرحية كان يلج باب المناظرات السياسية فى قضايا تقاعس السياسيون عن الخوض فيها»[١]، كما صرح جورج براندز عام ١٨٧١م بقوله: «إن ما يبقى الأدب حياً معالجته للقضايا العامة بطرحها على بساط البحث»[٢].

إن مسرح الأفكار هذا ترسخ كنوع أساسى من أنواع الدراما الجادة فى انجلترا نتيجة لاعتناق برنارد شو لهذا النمط، حيث رأى أن هذا النوع من الدراما لا سيما كما مارسه هنريك إبسن - الكاتب النرويجى - كوسيلة للترويج لمعتقداته الاشتراكية.

ولقـد كتب برناردشو فى عام ١٩١٣م ما نصه: «إن المناظرة هى محك الكاتب المسرحى، وأن الكاتب المسرحى الجاد لا يحقق فى المناظرة الاختبار الرئيسى لقواه العقليه فحسب بل يحدد أيضا المحور الحقيقى لاهتمامات مسرحياته»[٣]. وفى حقيقة الأمر فإن برنارد شو كان يعتقد أن المسرح نفسه لا يؤدى وظيفته على أتم وجه إلا إذا كان: «منبراً للمناظرات الفكرية»[٤].

ويجدر بالذكر أن برناردشو طالب دومـاً بتوظيف الأدب لمعـالجة القضايا الانسانية، فهو يؤمن بمبدأ الفن للحياة ولم يكن من دعاة مبدأ الفن للفن، وقد أدرك أنه: «إذا ما رغب فى إقناع المجتمع بالأمراض التى يرغب فى مداواتهـا فإن عليه أن يصبغ الجرعة

العلاجية بحيث تصبح مستساغة، ولقد اكتشف بأن المسرح هو المنبر الأفضل لطرح أفكاره بعد وضعها فى قالب فكاهى يجعل المشاهدين يلتهمونها التهاماً»[٥].

وتعد مسرحيته **«السلاح والانسان»** مسرحية مناهضة للرومانسية، فهو يهجو فيها الجندية وينتقص من هالة الحرب، هذا وتتضمن هذه المسرحية العديد من المواقف الساخرة حيث يعالج الكاتب: «مواقف رومانسية بطريقة واقعية معيداً النظر فى بعض القيم والمثل الاجتماعية المسلم بها، ويهدف من وراء ذلك الى إظهار غلبة الحيوية والادراك على أنماط السلوك المصطنعة، ومع ذلك فإنه لا يعترض على مبدأى الحب والشجاعة ولكنه يعترض على المفاهيم الزائفة للحب والشجاعة التى تغرى الناس بلعب أدوار فى الحياة لا تتواءم مع طبيعتهم، وتعتبر المسرحية عرضا مؤثرا وشائقا لفلسفة كاتبها، ولا تنبع سخريتها من هجوم للسلوك المتصنع بل من إماطة اللثام عن الأوهام الزائفة»[٦].



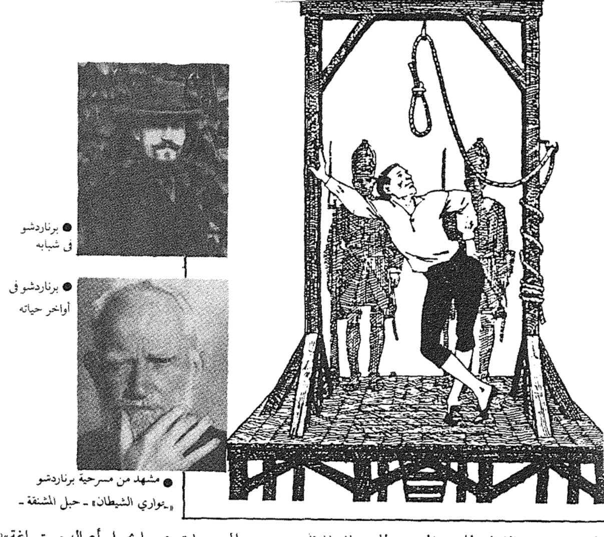
● مشهد من مسرحية «السلاح والانسان».

ومسرحيته **«حوارى الشيطان»** تعكس موقفه الساخر من التقليديين وسندة الاخلاقية البرجوازية ولعه بأنصار الفضيلة الحقيقية وأولئك الذين يتشبثون بمعتقداتهم ويخرجون عن الأعراف المعمول بها، ويتسم أسلوبه الميلودرامى بالنقد اللاذع والسخرية شديدة الايلام، ويصيب الأستاذ عزيز ضياء كبد الحقيقة حين يكتب عن سخرية برنارد شو قائلا: «فإن السخرية الضاحكة، التى قد تجرح والجريح يضحك كانت طابع الكثير من تعليقاته، وحتى توجيهاته فى السياسة والتربية والاجتماع.. لم تكن تخلو من هذه المواضع التى تقع على الندوب، فتجرح وتضحك الجرحى فى نفس الوقت الذى يصل فيه الجراح إلى مكمن الألم»[٧].

أما مسرحيته **«بيجميليون»** فتدور أحداثها حول تثقيف فتاة لا تحسن نطق الانجليزية، ويقرر البروفسور هيجنز أن يعلمها أصول النطق إلى الحد الذى يمكنها من دخول البيوتات العريقة دونها وجل مبرهنا أنه يمكن تحويل فتاة متسولة إلى دوقة خلال بضعة شهور، وبذلك يثبت الكاتب أن فكرة المجتمع الطبقى لا تستند على أساس من الصحة.

وتعالج مسرحيته «كانددا» المرأة المعاصرة وتتضمن تأملات شائقة حول الحب والزواج والفن، أما مسرحيته **«رجل القدر»** فتمثل فصلا خيالياً من فصول التاريخ، وتتضمن انتقاداً لاذعاً لشخص نابليون ويقول كاتب المسرحية فى توطئته لهذا العمل المسرحى بأنه أحد الروائع الأدبية التى تعكس براعة شخصيتيها الرئيسيتين، وقد اختار برناردشو أشخاصاً عاديين ليؤدوا دور الأبطال فى مسرحياته: «وإذا ما صدف أن وقع اختياره على بطل تاريخى مثل نابليون أو قيصر فإنه لا يقدمه كشخصية استثنائية بل يقدمه على أنه رجل عادى كغيره من الناس، والذى يميز البطل من غيره من شخصيات المسرحية هو أنه يقر بالحقيقة برباطة جأش وعلى نحو طبيعى كما أنه يعى القيمة النقدية لأعماله ولأعمال غيره، ويتفادى الازدواجية فى حياته بحيث يعيش حياة واقعية»[٨].

أما أشهر مسرحياته هى المأساة التى تسمى **«القديسة جون»** وهى المسرحية الوحيدة من النوع التراجيدى التى كتبها، تصور هذه المسرحية هجومه



● برناردشو فى شبابه

● برناردشو فى أواخر حياته

● مشهد من مسرحية برناردشو «حواري الشيطان» - حبل المشنقة -

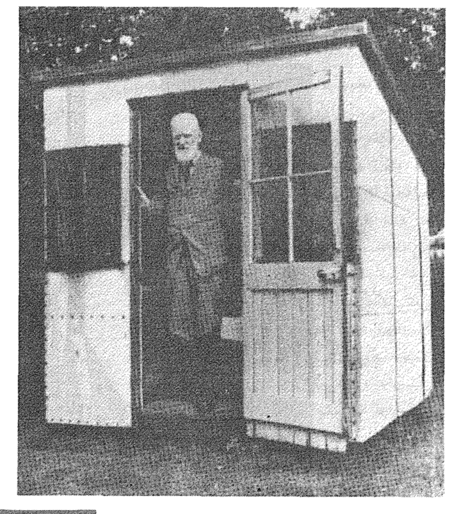
العنيف ونقده اللاذع للزهو المتصنع للتمسك المنظم بأهداب تعاليم الكنيسة، جاعلا من سيرة جان دارك تجسيداً لموقفه ذاك، وهو فى حقيقة الأمر يهدف من وراء ذلك إلى الترويج لعقيدة فردية مبسطة يتحكم فيها العقل والاحساس الفطرى السليم.

وتتضح فكاهة المواقف فى مسرحياته فى العديد من الصور، ولكى يبهج المشاهد فإنه يلجأ الى قلب المواقف رأساً على عقب فتنعكس بذلك حقائق الأمور البدهية: «كأن يلقى الأطفال محاضرات على ذويهم أو أن يلقى المتهم محاضرة على القاضى أو أن يطارد الذكور من قبل الاناث إلا أن الفكاهة الناتجة عن هذه الأحداث تترك انطباعاً جلياً رغم أنها توضح أيضاً وهم الحياة»(٩).

ولا يتردد برناردشو فى استخدام الفكاهة والسخرية، ويبدو أنه يرغب فى: «أن يوصل مسرحياته إلى درجة المسرحيات الهزلية الساخرة بغض النظر عن القنوات المستخدمة فى ذلك، ولكن إذا ما أدركنا الأهداف الأخلاقية والاصلاحية لأعماله المسرحية، عندئذ يمكننا أن نتصور أن هذا الضرب من المسرحيات هو ما يجعل أعماله مستساغة»(١٠).

وللوهلة الأولى تبدو بنية مسرحياته غريبة لأولئك المعتادين على المسرح المعاصر، فمن الملاحظ: «أن أعماله تفتقر إلى الأحداث افتقاراً كاملا وأن الموضوع الحقيقى هو فكرة، وأن الحدث هو عبارة عن ذريعة تمكن الشخصيات من التعبير عما يختلج فى نفوسها، إلا أن مسرحياته تتضمن عملا فكرياً مكثفاً يعمل على تطوير فكرة معينة أو سلسلة من الأفكار، وهو ما يمثل موضوع المسرحية، ويتسم هذا العمل الفكرى بالتماسك الشديد، وهذا ما يجعل أعماله ممتعة ومثيرة للتفكير»(١١).

وتمثل شخصيات مسرحياته من الذكور نوعاً من الطبقة العاملة أو المهنية، وقد وصف بضع شخصيات فكاهية بعد أن صبغها بسمات مركزة لطبقة أو مهنة معينة، أما شخصيات مسرحياته من الاناث: «فيعتبرون أفراداً لا يمثلن مهنة أو طبقة معينة كما هو الحال بالنسبة للذكور»(١٢)، وهذا بدوره يضفى على شخصيات الإناث ضرباً من الواقعية والحيوية أكثر مما تتسم به شخصيات مسرحياته من




● الكوخ الذي احتضن اعمال شو

الذكور.

توفى برناردشو فى عام ١٩٥٠م، وتوالت بعد وفاته التعليقات من رجال الفكر والسياسة والمجتمع، نذكر منها ما قاله مستر أتلى رئيس حزب العمال البريطانى فى ذلك الوقت: «لقد كان شو أعظم سامر فكه من سمارنا، وأعظم معلم لنا، وما من إنسان عمل أكثر منه على شحذ الفكر»(١٣)، ثم أردف الزعيم الهندى الشهير جواهر لال نهرو قوله: «برنارد شو جزء من تفكيرنا الفردى.. وهو جزء من المناخ الذهنى لأزمتنا الراهنة»(١٤).

والجدير بالذكر أن برنارد شو قد حصل على جائزة نوبل للآداب فى عام ١٩٢٥م، وترك بعد وفاته ثروة طائلة أوصى بجزء منها لتحسين التهجئة والاملاء فى اللغة الانجليزية.

وبعد، فهذه لمحات من أدب برنارد شو، الهدف منها التعريف بالكاتب ومساهمته فى معالجة القضايا الأدبية والفكرية والسياسية والاجتماعية، وأهمية مساهمته فى المسرح الانجليزى المعاصر، ونأمل أن نكون قد وفقنا فى إلقاء الضوء على سيرة الكاتب ومؤلفاته والسمات البارزة لفنه المسرحى.

الهوامش

(1) George Bernard shaw, (The Quintessence of Ibsenism), Major Critical Essays (Harmondsworth, 1986) P.175.

(2) Georg Brandes, Inaugural Lecture, 1871, in Ericbentley (ed.). The Theory of the Modern Stage (Harmondsworth, 1976). P. 388.

(3) Shaw, (The Quintessence of Ibsenism), P. 160.

(4) George Bernard Shaw, The Problem Play - A Symposium inRobert W. Corrigan (ed.), (The Modern Theatre (New York, 1964), P. 974.

(5) Samuel Keeling, Pygmalion (Canada: Coles Publishing Co, Ltd., 1976), P. 11.

(6) Bruce King, Arms and the Man (London: Longman, 1980), P. 56.

(٧) عزيز ضياء: جسور إلى القمة (جدة، المملكة العربية السعودية، تهامة، الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) ص٥٧ - ٥٨.

(8) Keeling, PP. 17-18.

(9) Ibid.P. 15.

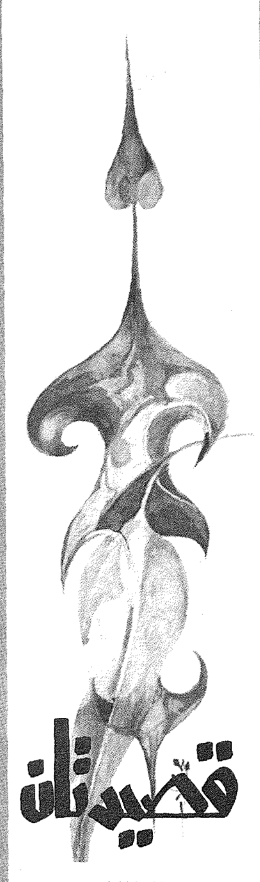
(10) Ibid., PP. 15-16.

(11) Ibid., PP. 16 - 17.

(12) Ibid., P. 18.

(١٣) عزيز ضياء: ص٦٠.

(١٤) المرجع السابق: ص٦٠.



جايان ماهـابـاترا . . شاعر هندى معاصر، من مواليد مدينـة «كالكوتا» عام ١٩٢٨م، ينظم شعره بالانجليزية، درس فى مدينتي «كـوتـاك» و«بـاتنا»، يعمل أستاذا لمادة «الطبيعة» فى جامعة «كوتاك»، حاز فى العـام ١٩٧٥م على الجـائزة الشعرية: «جاكوب جلاتستان» بشيكاغو.

*** الغائبـــة ***

فى الغرفة المعتمة
إمـــرأة
لا ترى نفسها فى المرآة

* *

تنتظر كعادتها
وقت الظهيرة
فى يديها تمسك
قنـــديلا
ذا شعلة صفراء متراقصة
تكشف موطىء إختفائها.

*** الصـــيف الهندي ***

فى الجهة الاخرى ترتفع همهمات الريح الكئيب.
وغناء الآباء يتوارى.
الهند تسمع صوتها

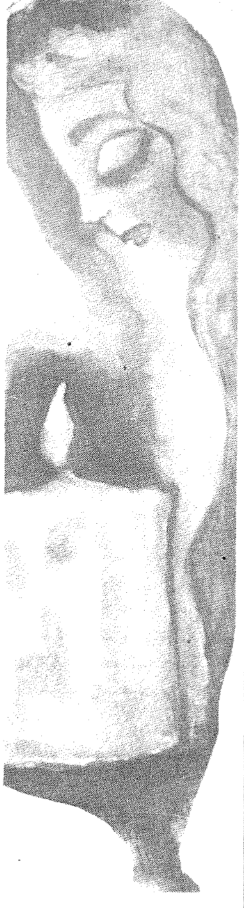
* *

التماسيح تختفى فى المياه العميقة.
الأصباح أكداس من الأسمدة
تلفظ دخانها تحت الشمس.

* *

الزوجة العزيزة
ترقد على الفراش.
طـوال الظهيـرة،
تستغرق فى أحلام اليقظة، لا تهتم بشىء.
وإن سمعت هدير إحتراق الخشب فى المحرقة الجنائزية.





إلى ألينا

من آجل آن تقرئيها بعينيك الرماديتين
من أجل أن تنشديها بصوتك الواضح
من أجل أن تملأ صدرك بعاطفة
كتبت أشعاري
من أجل أن تجد في صدرك ملجأ
وتعطيها شبابا، حياة ودفئا
الاشياء الثلاثة التي لم أستطع أن أعطيكها
كتبت أشعاري.
من أجل أن أجعلك تستمتعين بفرحي
من أجل أن تتألمي بعذابي.
من أجل أن تحسي بنبضات حياتي
كتبت أشعارى
كي أستطيع أن أضع عند قدميك
حياتــي وحبي
مع روح وأحلام ممزقة، ضحكات ودموع
كتبت أشــعاري.

للشاعر الاسبانى: غوستافو أدولفو بكير

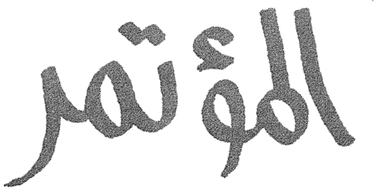
ترجمها عن الاسبانية: عبد السلام مصــباح

'The creation of a mood of false confidence, he felt, was something that could best be left to the newspapers.'

The Conference

BY ERNO PAASILINNA

Withering sarcasm in a fast-paced political satire.



بقلم الكاتب الفنلندي :ارنو باسيلينا

ترجمة: ابراهيم عبد الله العلو

الكاتب في سطور

● الكاتب الفنلندي أرنو باسيلينا من مواليد بيشنجا على الخليج القطبي عام ١٩٣٥.

● بدأ الكتابة في شمال فنلندا وترأس تحرير مجلة بوجوينين وعمل محرراً لدى عدة مؤسسات نشر. ثم تفرغ بعد عام ١٩٧١ للكتابة، كتب الكثير من القصص القصيرة والمقالات في عدد كبير من مجلات وصحف فنلندا وحازت قصصه على العديد من الجوائز.



● إبراهيم عبد الله العلو

قصة من الخيال العلمي

تحدث الدكتور سميث قائلا إنه لا يعتقد أن هناك أي تهديد مباشر لغزو من الفضاء يمكن أن يحدث لبعض الوقت، فالاستطلاع المستمر حتى الآن لم يعط أى دليل على حدوث مثل تلك التحضيرات، لقد كانوا يسبقوننا من الناحية العلمية ولكن لم يكن هناك أي مبرر للذعر، ولم يستطع أيضاً أن يوافق على الافتراض الشائع والساذج الذي يقول أن أي مواجهة مع مخلوقات من الفضاء يجب أن تؤدي بالضرورة إلى الحرب.

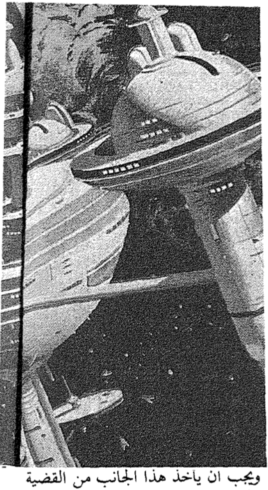
إذا كان هناك إحساس بالخطر بين بنى البشر فإن التهديد الأساسي يأتي من بعضنا البعض وألح على المؤتمر كى يعمل من أجل ايجاد وضع تعمل كل دولة فيه من أجل السلام بدلا من الحرب وقال بأنه لا يعتزم أن يبدو متهكماً ولكنه لاحظ أنه عندما يتم التحضير للحرب فإن الحرب عادة هي التى تحدث.

وأشار الدكتور سميث إلى أن الفضائيين تصرفوا مع أكبر قدر من الحذر وتجنبوا أي نوع من السلوك العدائي نحو المخلوقات البشرية خلال مرحلة مهامهم الاستكشافية.

لقد قيل الكثير عن حادث برشلونة حيث قتل سائق سيارة، ولكن الدكتور سميث يرى أن تلك الحادثة كانت حالة دفاع عن النفس وأن أي طيار في مثل حالة الطوارىء تلك يمكن أن يقوم بفعل الشيء ذاته.

أما مصير المتنزهين الثلاثة الذين قبض عليهم قرب دبلن فكان قضية أخرى ولكنه كان على يقين بأن هذه الحادثة كانت مدفوعة بالفضول العلمي، لم يكن هناك أي دليل على أن الأفراد المعنيين قد تعرضوا للتعذيب أو أى نوع من الاهانة الشخصية، وحسب إفادات الشهود العيان فقد اصطحبوا إلى المركبة الفضائية التى أقلعت ثانية.

ان الانطباع الذي حمله الدكتور سميث من هذه التقارير هو أن الغرباء لم يكونوا مختطفين ولكنهم أخذوا المتنزهين بإرادتهم، وقيل أن أحدهم ضحك ولوح بيده مودعاً، إذا كان من الطبيعى أن يهتم الفضائيون بدراسة الفيزيولوجيا البشرية والسلوك



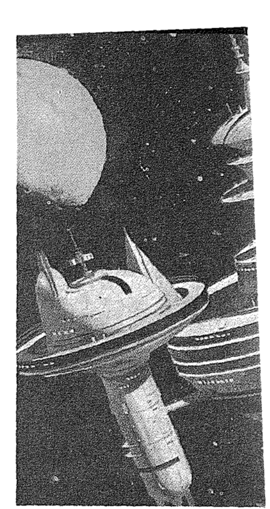
الانساني، ويجب ان يأخذ هذا الجانب من القضية اهتماماً خاصاً من قبل الأعضاء المتميزين في المؤتمر الحالي.

أما مندوب الولايات المتحدة فقال أنه لا يستطيع أن يوافق على الآراء التى عبر عنها المتحدث السابق، إن خلق جو الثقة الكاذبة أمر يجب أن يترك للصحافة أما الحكومات فيجب أن تعير اهتمامها لحالة الأمن المتدهورة التى دفعت إليها دفعاً.

إن احتمال الغزو العسكرى وارد جداً بسبب تعدد المرات التى شوهدت فيها محطات الأبحاث والتجهيزات العسكرية، وأضاف قائلا: أظن أن صديقنا العزيز الدكتور سميث قد علم بهذه المشاهدات كما أن المعلومات التى تجمعت فى البلدان الغربية وحدها تظهر أن الفضائيين كانوا عارفين بكل مشروع من مشاريعنا، صغيراً كان أم كبيراً.

إن الغواصة النووية «تورنادو» التي اختفت خلال مناورات المحيط الهادي فى العام الماضى رفعت فعليا من تحت انوفنا وأحب أن أخبر الدكتور سميث أن العديد من الخبراء العسكريين الذين يحضرون هذا المؤتمر سوف يرحبون بعودة تلك الغواصة.

وربما يستطيع الدكتور سميث أن يقوم ببعض



الترتيبات الضرورية وليس من السار أن نقول بأن اختفاء أهم وأثمن غواصة نووية لدينا ليس حقيقة واقعة، إن العديد من أدميرالات البحرية الأمريكية وعدد كبير من ضباط البحرية الآخرين هم شهود عيان رأوا تلك الغواصة التى كانت تأخذ مكانها فى المناورات ترفع فعلياً من الماء وتنقل إلى مركبة فضائية هائلة الحجم اختفت فيها بعد.

ليس فى نيتي أن ازدري التفاؤل البريء للدكتور سميث ولكني لا أوافق على أن هذا العمل الاستفزازي ضد الولايات المتحدة يمكن اعتباره مدفوعاً بالاهتمام العلمي إنني أتمنى أن أشعر بالسرور حول هذه القضية مثلما يفعل.

أجاب الدكتور سميث على ذلك قائلا إنه لم يكن لديه أي رغبة في إنكار حدوث الحوادث الآنف ذكرها، ولكنه تمنى على أعضاء المؤتمر أن ينظروا إلى احتمال اهتمام الفضائيين بمنتجاتنا التكنولوجية وأنهم يعتبرون الأمر مجرد فضول ممتع لأنهم لم يدمروا أي من منتجاتنا ولكنهم أخذوا عينة حية فقط.

قال جنرال من الاتحاد السوفياتي إنه ربما فشل فى تقدير نية المفارقة، وراء ملاحظات الدكتور سميث وتساءل ما اذا كان الدكتور سميث يمثل حكومة معينة.

أجاب الدكتور سميث قائلا بأنه لم يكن يمثل أي حكومة، تساءل الجنرال عندئذ عمن يظن أنه يمثل، ربما كان يمثل الفضائيين أنفسهم، وأوضح الدكتور سميث أنه كان يحضر المؤتمر بناء على دعوة منظمة كخبير مستقل واضاف أن الفضائيين لا يحتاجون إلى من يدافع عنهم فى المؤتمر الحالي لأن التفوق العلمي كان من نصيبهم.

تحول الجنرال السوفياتى إلى المنظمين وقال أنه يجب أخذ رأي الدكتور سميث الاستشارى كما قيل وأن تستأنف المناقشة على أسس القضايا العسكرية وقال: إن الأمر سيكون أكثر فائدة لو بحث الدكتور سميث أموراً أكثر اقتراباً من حقائق الوضع.

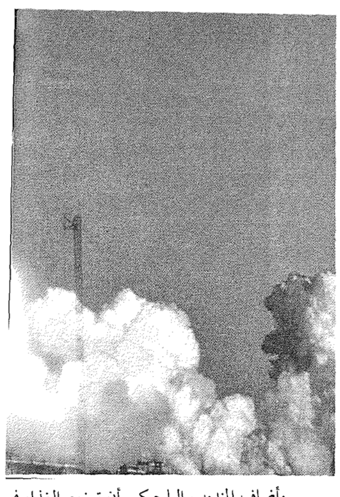
بعد أن غادر الدكتور سميث القاعة عبر الجنرال عن أسفه للخسائر التى تعرضت لها الولايات المتحدة وقال إن الاتحاد السوفياتى كان على علم بها، وقال إنه يوافق على أن اهتمام الفضائيين كان متركزاً الآن على النشاطات العسكرية، ربما يتوجب علينا أن نبدأ من افتراض بأن اختراعاتنا المثيرة معروفة بالنسبة لهم وأنه لا توجد فرص كبيرة من حجب أي منها عنهم فى المستقبل وقال إن من المثير للشفقة أنه لا يوجد لدينا ما نهتدي به فى تقدير قوتهم العسكرية، لقد التقطت العديد من المواد المعدنية ولكن دراستها توقفت بسبب الجهل بمكوناتها، إذ يصعب تحليلها فى ضوء الغياب شبه التام لأي مرجع وأضاف الجنرال أن ذلك كان جانباً واحداً من السؤال ومتى بدأ الناس بالتشكيك بجدوى متابعة التحضيرات الدفاعية فإن الحرب سوف توازي الخسارة ويستطيع القول أن الاتحاد السوفياتي قد أوضح موقفه وأيد النظرة المشابهة التى أبدتها الحكومة الأمريكية وكان يأمل فى أن تحذو الحكومات الأخرى حذو ذلك لأن مصير الجنس البشري بأكمله كان فى خطر.

اقترح متحدث آخر فى القاعة قائلا إننا يجب أن ننظر إلى الهدف الأزلي الذى سيسعى إليه الفضائيون عن طريق احتلال الأرض، وقال إن هذا السؤال يجب أن لا ينظر إليه ببساطة من جهة الأهداف الاستراتيجية التقليدية واضاف أنه ربما كان هناك

جانباً غذائياً. إذا ثبت أن الأرض تستطيع أن تقدم شيئاً ما بخصوص الغذاء فإن ذلك يعنى احتمال حدوث غزو عسكري.

عبر أحد علماء الأحياء عن شكوكه واضاف أن حالة الغذاء الراهنة على الأرض لن تغري الفضائيين نظراً للميزات المحدودة التى سيحصلون عليها من مثل ذلك الاحتلال كما أن المكاسب الضئيلة لن تبرر التضحيات التى تتطلبها تلك العملية، إذا كان هدف الفضائيين هو تحسين مصدر غذائهم فإنه لا يرى أملا كبيراً فى بقاء السكان الأصليين للأرض أحياء من الممكن بالطبع تكييف النواتج العضوية للأرض مع الاحتياجات الغذائية للكائنات الفضائية ومن المحتمل أن يكون اهتمامهم الأساسي مركزاً على الجنس البشري بحد ذاته وحذر مستمعيه أن لا يفهموا ملاحظاته على أنها تشجيع لاستخدام الانسان كمصدر غذاء للفضائيين.

قال المندوب البلجيكي إن وجهة النظر التى طرحت كانت مثيرة وربما تثبت صحتها إذ ربما كان من المفيد أن ننظر إلى أى مدى يمكن أن يستخدم الفضائيون الانسان كمصدر للغذاء مثلا من خلال التحسين المكثف والتصنيع ومن ثم يمكننا أن ندرك ما هي الميزات التى سيأملون فى الحصول عليها وقال أنه ليس من الحكمة أن نتوقع مثل ذلك التطور ولكن إذا أصبح أمراً واقعاً فمن الأفضل أن تتم بعض التحضيرات مسبقا ربما كان هناك احساس بالاشمئزاز من تلك الفكرة ولكن يجب أن لا يمنعنا ذلك من مناقشة المسألة على مستوى نظري، وأعتقد أنه يمكن الوصول إلى أرقام الانتاج العالية عن طريق وضع الجزء الأكبر من الجنس البشري في حدائق تسمين، واستخدام مصادر الأرض من الغذاء لأجل تلك الغاية، وبهذه الطريقة يمكن ضمان زيادة معينة فى عدد البشر وأضاف أنه من خلال التوزيع الحازم والمتساوي تحت الظروف العلمية الدقيقة فسوف يمكن انتاج ما بين ١٦ و١٨ مليار إنسان وهو رقم غير بعيد عن الهدف الذي يمكن أن يرضي حاجة الفضائيين.

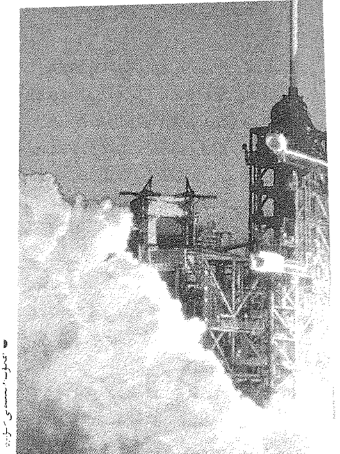


وأضاف المندوب البلجيكي أن توزيع الغذاء فى ضوء النظام الحالي كان يتم بدون أي مساواة وهي حقيقة دعت إلى الانتقاد فى العديد من المناطق.

تساءل المندوب النرويجى ما إذا كان المنحى الذي أخذته المناقشة الآن يعنى بأن المؤتمر كان سيتوقف عن مناقشة الحلول العسكرية الممكنة وسيركز على الحل الذي تم اقتراحه وقال أنه لا يمتلك أي تفويض من حكومته كي يأخذ دوراً فى مناقشة من ذلك النوع وأن ذلك الاقتراح يعني استسلاماً بلا شروط من جانب الجنس البشري.

أجاب المندوب الامريكي بأنه يجب أن لا نظن بأن المسألتين منفصلتان عن بعضهما البعض إذ أن كلا منهما يعتبر جزءا من الصورة العسكرية الكلية ويستطيع المرء أيضاً من خلال تحليل الأهداف الممكنة للفضائيين أن يحدد المشاكل التي يجب مواجهتها في حالة فشل التدابير العسكرية وليس من الضروري التفكير بتعابير الاستسلام ولكي تصبح القضية أكثر وضوحاً يجب الوصول إلى اتفاق ما.

كان المتحدث التالي خبير سويسرى قال أنه لم يكن مؤهلا لإعطاء رأي حول الجانب العسكري من السؤال بصفته عالماً ولكنه شعر بأن المتحدثين حتى



الآن كانوا ينزعون إلى التصديق بأن اللحم البشري يمتلك قيمة غذائية أعلى من لحم الحيوان، كان هذا بالطبع أمراً يعود إلى الذوق وأن هذا السؤال يمكن تنحيته جانباً فى الوقت الراهن، ولكن الأمر الذى لا شك فيه هو أن الكائنات البشرية كانت أكثر ملاءمة من الحيوانات لأجل التناسل بكميات كبيرة ومن وجهة نظره يمكن أن يقوم بعض أفراد الجنس البشرى الأذكياء بالاشراف على بقية بنى البشر بهدف انتاج اللحم وبهذه الطريقة يتم تخفيض الحاجة إلى قوات احتلال كبيرة العدد وتحويل اهتمام أكبر إلى إكثار الحيوانات.

لم يكن هناك من سبب للافتراض بأن إكثار الحيوانات يمكن أن يتم جنباً إلى جنب مع إكثار البشر وأضاف في النهاية أن هناك اعتبارات علمية بحتة يجب أخذها بعين الاعتبار.

أشار المندوب الفرنسي إلى إمكانية الوصول إلى درجة معينة من حيث تحسين النسل وزيادة معدل وزن الهيكل وتحسين نوعية اللحم بحيث تلائم الاحتياجات.

إن مثل تلك الحسابات يمكن أن تبدو مروعة نوعاً ما ولكنها تبقى مجرد حقائق بيولوجية بسيطة وأضاف أن الأفراد المدربين كمراقبين سوف يتولون مسؤولية تحسين النوعية والتصنيف كما أن معرفتهم المتخصصة للظروف على الأرض سوف تمكنهم من العمل كخبراء استشاريين.

إذ هناك فرص ممتازة للعمل على امتداد هذه الخطوط وقال أنه لا يعتزم ابداء رأي من ناحية الجانب الأخلاقي للقضية لأن ذلك من اختصاص الخبراء.

توقف مندوب آخر ليشير أنه لم يتم الوصول إلى نتيجة لأن توزيع وتخزين الهياكل البشرية بكميات هائلة يمكن أن يخلق مشاكل عدة وقال أنه رغم اعتقاده بأن الانتاج على مستوى صناعي سوف يكون ممكناً تحت ظروف الأرض فإن امكانية التسويق الكوني لم تكن سوى اقتراح.

إن تحويل الأرض إلى مخزن غذائى للفضائيين سوف يعتمد على حل عدد من المشاكل المفصلة التى لن يكون من السهل العثور على حلول بسيطة لها.

قال بروفسور من ألمانيا الغربية إنه لم يعتزم فى البداية أن يتحدث في المناقشة ولكنه اضطر للتحدث الآن لان تقديم عرض من جانب ممثلي الأرض لتنظيم وتنسيق مورد من اللحم سوف يكون نوعاً من الاشارة الطوعية التى سيتوقعها الفضائيون وبدا له أن ايجاد هيكل استشاري لهذه الغاية فكرة ممتازة وان الفضائيين سيكونون متشوقين للابقاء على كلفة انتاج اللحم إلى أدنى حد ممكن وبنفس الوقت سيتجنبون تجنيد عدد كبير من الأفراد للخدمة فى هذا الكوكب.

وأضاف البروفسور أنه لو حدث غزو فإنه سوف يكون من المهم بالنسبة للفضائيين معرفة ما إذا كان هناك أفراد على الأرض قادرين على إدارة العمليات وتطوير الانتاج ولم يرغب أن يبدو فائق الوطنية ولكن ربما تستطيع دولته أن تقدم قدراً معيناً من الخبرة المفيدة فى هذا المجال، واقترح الاسراع فى تشكيل لجنة رفيعة المستوى كى تقوم بالترتيبات الأولية الضرورية وتجهيز الأرض للاتصال مع الفضائيين. وسوف يترك السؤال مفتوحاً أمام الترتيبات التفصيلية ولكنه ألح على اتخاذ الخطوات الأولية مباشرة.





● بابلو نيرودا ● د. بهاء لطفى قابيل

تقديم وترجمة: د. بهاء لطفى قابيل
- مصر -

يقال إن أبرز ما يميز أدب أمريكا الجنوبية هو الشعور بقضايا الوطن والتعلق بالأرض، ويتفرد من الأنواع الأدبية (قصة، رواية، شعر، نقد. .) الشعر خاصة ويأتى على رأسه «بابلو نيرودا» شاعر شيلى الأكبر. ولد «ريكاردو نتفالى ريس بازو ألتو» وهذا اسمه الحقيقى، فى ١٩٠٤، وغير اسمه بموجب أمر قضائى إلى «بابلو نيرودا» عام ١٩٤٦، بعد أن اتخذه اسم شهرة منذ ١٩٢٠. وقد استمد هذا الاسم إعجابا من الشاعر الأوردي الكبير «جان نيرودا» الذى عاش فى تشيكوسلوفاكيا فى القرن التاسع عشر.

● وظهر له أول ديوان بعنوان «شفقيات» عام ١٩٢٣، وفى العام التالى أصدر «عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة» ودخل السلك الدبلوماسى لبلاده عام ١٩٢٧ وعين قنصلا فى رانجون، فكولومبيا، فسنغافورة ثم عاد إلى الأرجنتين فى النهاية حيث التقى بشاعر إسبانيا الكبير لوركا، وكان قد نشر عام ١٩٣٤ ديوانا تحت عنوان «إقامة فى الأرض» جعله مشهورا فى كل البلاد الناطقة بالاسبانية، وانتقل إلى برشلونة حيث ازدادت علاقته قربا مع لوركا الذى قدمه فى حفلة شعرية فى نهاية عام ١٩٣٤ قائلا: «تهيأوا للاستماع إلى شاعر أصيل، من أولئك الذين تأتلف معانيهم مع عالم غير عالمنا، وقلة هم الذين يدركون ذلك، شاعر أقرب إلى الموت والألم والدم منه إلى الفلسفة والذكاء والحبر. شاعر ملىء بإيحاءات غامضة لا يعرف لحسن الحظ هو نفسه كيف يحل أسرارها، رجل حقيقى يعرف جيداً ماذا يريد».

وبعد عامين (١٩٣٦) قتل لوركا وأقيل نيرودا من منصبه، أثناء الحرب الأهلية الاسبانية، فسافر إلى باريس وأنشأ مجلة «شعراء العالم يدافعون عن شعب اسبانيا» ورثى صديقه لوركا بمراث رائعة. وأصدر عام ١٩٣٧ ديوان «اسبانيا فى القلب»، وعاد إلى شيلى وأصدر مجلة «الفجر» وبدأ صراعه مع النازية، وفى عام ١٩٤٢ أصدر قصيدته الرائعة «نشيد حب إلى ستالينجراد» وكتب بعدها أشهر دواوينه «النشيد العام» وحصل فى العام ١٩٤٥ على الجائزة القومية

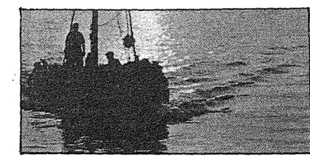
للآداب وتغيرت الاحوال وصدر قرار باعتقاله فهرب إلى جبال الأرجنتين ومنها إلى باريس، وظهر مع بيكاسو وأراجون وبول إيلوار فى أول مؤتمر للسلام العالمى عام ١٩٤٩ . وتعددت دواوينه «أشعار القبطان، أناشيد بدائية، الأعناب والريح، أناشيد بدائية جديدة، كتاب ثالث للأناشيد، إبحارات وعودات، أسفار، مائة قصيدة حب، أحجار شيلى، مذكرات الجزيرة السوداء وقد تحدث فيه عن طفولته وحبه وأسفاره» وكتب عام ١٩٦٦ مسرحية «سطوع وموت خواكين موريتيا» ودواوين أخرى «أغنية البحارة، الدار فى الرمل، أيادى النهار، نهاية العالم، أحجار السماء، السيف الملتهب»، ورشح لرئاسة شيلى عام ١٩٧٠ وحصل على نوبل للآداب عام ١٩٧١، وتوفى بالسرطان فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٣ .

ويعتبر نيرودا من أغزر الشعراء انتاجا وهو يمثل إلى جانب «جابرييلا ميسترال، سيزار فالجو» الشعر الحديث فى أمريكا الجنوبية، وليس شعره سياسيا بالمعنى الضيق للكلمة، انه إنسان يعترف بأحزانه وأوجاعه ووحدته أيضا، وهو إذ يبلغ قمته ويرى، يتجاوز الفرح والحزن والأسى نحو الانسان. وترك نيرودا للشعراء وصية لا تنسى : «ايها الشعراء لا تتحدثوا عن الوردة دعوها تتفتح فى قصائدكم» . .
وهنا نورد مقتطفات من قصائده فى ديوانه «مائة قصيدة حب» :

الصباح

منزل فى الصباح ، حقيقة مرتبكة
من الريش والأغطية، أصل النهار الهائم
كزورق مسكين بين آفاق النظام والنوم .
آه أيتها الأشياء الراغبة فى أن تحمل
معها بقايا التحام ساكن وميراث عقيم
الأوراق تخبىء أحرف علتى
تمرين أيتها المنسقة، وآه يا نحلتى
المناطق التى تلمسينها ستنجو من العتمة
بتمدرتك البيضاء تغزين الضوء
وحينئذ تنبنى الأشياء مجددا فى النهار
ومن جديد تمضى مع ريح الحياة
ويقيم النسق الأخير رغيفه ويمامته

الظهيرة

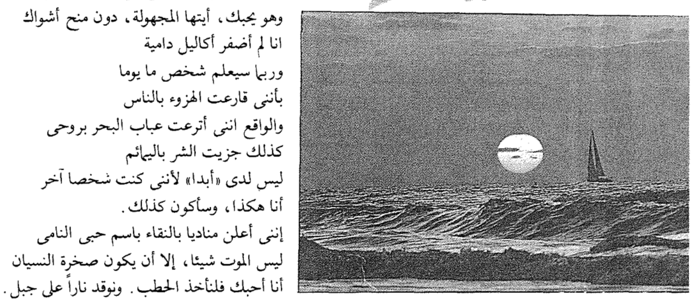


إعلمى بأنى لا أحبك وأنى أحبك
لأن كائن الحياة مزدوج كمرآة
لان الكلام هو جناح الصمت
ولأن فى النار شطرا من البرد
أنا أحبك لأبدأ فى حبك
لأتمكن من أن أبدأ اللانهاية مجددا
ولكى لا أكف أبدا عن حبك
لهذا لا أحبك بعد
أحبك ولا أحبك فكأنما بين يدى السعادة

● بقية قصيدة الظهيرة

ومصيرا تاعسا مصيرا ملؤه القلق
لحبى وحبك وجودان
ولهذا أحبك حين أحبك وحين لا أحبك

المساء



ليس لدى «انتهى إلى الأبد» ولا «دائما»
على الرمل تظل تائهة خطى الانتصار
أنا لست سوى شخص فقير يحب أن يحب أمثاله
وهو يحبك، أيتها المجهولة، دون منح أشواك
انا لم أضفر أكاليل دامية
وربما سيعلم شخص ما يوما
بأننى قارعت الهزوء بالناس
والواقع اننى أترعت عباب البحر بروحى
كذلك جزيت الشر بالبهائم
ليس لدى «أبدا» لأننى كنت شخصا آخر
أنا هكذا، وسأكون كذلك.
إننى أعلن مناديا بالنقاء باسم حبى النامى
ليس الموت شيئا، إلا أن يكون صخرة النسيان
أنا أحبك فلنأخذ الحطب. ونوقد ناراً على جبل.

اللّيل

حبيبتى وحدى قلبك وقلبى أوان الليل
وليبددا المعتم سحابة إغفائنا
مثل دف مزدوج يقاتل فى الغابة
ضد الحصن الكثيف لكتلة الأوراق المبللة
عبور ليلى، رقاد أسود الجمار
يعترض المسيرة الدائمة لعناقيد الأرض
مثلما يجر قطار مهووس فى دقته الآلية
يجر وراءه قطار المحال
حبيبتى، صلينى بهذه الحركة النقية
بهذا الصمود المعاند الذى ينبض فى صدرك
كطائر تم، طواه الماء ورفرف بجناحيه
وليجب على تساؤل السماء والنجوم
الرقاد بمفتاحه الوحيد
وبابه المفرد، الذى أوصده الظلام.

مساحة للضوء



ألمس الحقد كصدر يومى
ومن ثوب إلى ثوب أصل أبدا
نائماً من البعيد
أنا غير موجود، لا أنفع أحداً ولا أعرف
لا أملك سلاحاً بحريا أو خشبيا
أنا لا أحيا فى هذه الدار
فمى ملىء بالليل والماء
والقمر الأزلى يحدد مالا أملك
وما أملك هو فى قلب الموج
شعاع من ماء، ونهار لى وحدى
قاع من حـــديد
لا شىء ضد البحر، لا ترس ولا لباس
لا حل غير مفهوم.
لا جفن حائر،
أحيا مرة واحدة وأحيانا أدوم
ومرة واحدة ألمس وجه مايقابلنى ويقتلنى
لا زمن لى، فلا تنادنى: هذا همى
لا تسلنى عن إسمى وحالى
دعنى فى قمرى
فوق أرضى الجريحة.

المراجـــع

(1) Pablo Neruda - Isla Negra - Abi-lingual edition - Translated by: A.Reid-London - 1980.

(2) Pablo Neruda - 100 Love Songs - Cambridg ePress-London - 1985.

(٣) ميشيل خورى - جوائز نوبل - دار طلاس - سورية ١٩٩٠ ص٢٢٤.

أنقذونا .. ساعدونا .. !

قبل فوات الآوان

نناشدكم بإسم الأخوة في الإسلام مساعدة إخوانكم في

البوسنة والهرسك

لتخفيف معاناة المرضى والجرحى والمشردين

قال تعالى :
« وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً »
صدق الله العظيم

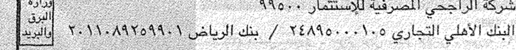
قال النبي صلى الله علية وسلم
« من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة » ..

تقبل التبرعات بمكتب الهيئة العليا بالرياض

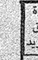
هاتف : ٤٠٣٣٤٦١ / ٤٠٣٥٣٣٦ فاكس : ٤٠٣٥٦٣٢

ص ب : ٥٥٠٩٨ الرياض ١١٥٣٤ أو لدى اللجان الفرعية في جميع أنحاء المملكة ، كما تقبل في الحسابات التالية :

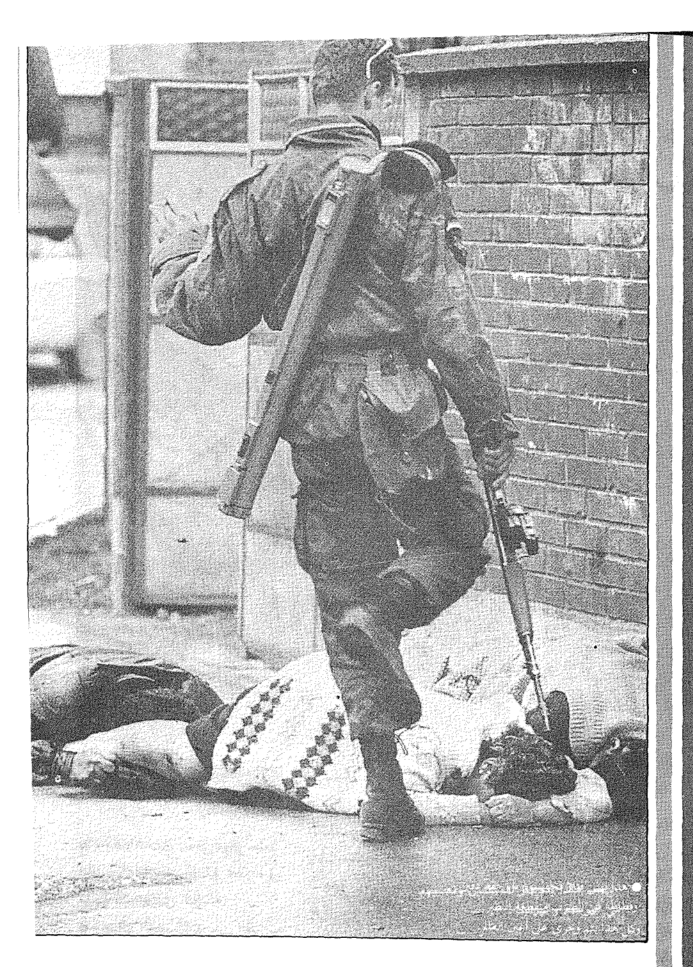
شركة الراجحي المصرفية للإستثمار ٩٩٥٠٠


البنك الأهلي التجاري ٢٤٨٩٥٠٠١٠٥ / بنك الرياض ٢٠١١٠٨٩٢٥٩٩٠١

غـرب
مقر مكتب الهيئة
حديقة
عمائر الإسكان
شـارع الضباب







ملف خاص

البوسنة والهرسك

في ضمير كل مسلم

الاغتصاب



● حطام امـرأة.. !!!



■ ١٧٥٠٠ قتيل سجل مركز حصر الحرب والجرائم لفترة محدوده فى مدينة Zenica فى البوسنة.

■ رجال العصابات من الصرب اغتصبوا (٦٠٫٠٠٠) امرأة مسلمة.

■ (١٠٠٠) صربي مدانون كمجرمي حرب وهناك شهود على الأقل خمسة لكل صربي مجرم حرب.

■ من ٥٠ الى ٦٠ بالمئة من قادة المسلمين قد صفوا فى البوسنة والهرسك وتوجد (٣٥٠٫٠٠٠) شاهدة ومعلومة حول ذلك فى المركز.

■ حدد موقع (١٠٠) مقبرة جماعية من قبل المتطوعين.

إعترافات قاتل

فى ذلك الصباح المشرق من شهر يونيو أقدم «بوريسلاف هيراك» مع اثنين من رفاقه على إعدام عائلة مسلمة مكونة من عشرة أشخاص باطلاق الرصاص عليهم لم يبق فى ذاكرته سوى تلك الفتاة التى حاولت الاحتماء خلف ظهر جدتها، فى تلك اللحظة أطلق ثلاثة من القوميين الصرب ومن بعد عشر خطوات النار.. يتحدث «هيراك» البالغ من العمر (٢١)

الجماعي كسلاح في الحرب..!

بقلم لطيف الحبيب - برلين -



● الفزع والخوف والمصير المجهول في عيون هاتين السيدتين.

عاماً:

«قلنا لهم ليس هناك داع للخوف، سوف لن نؤذيكم، ما عليكم سوى الاصطفاف الى الجدار، ولكننا كنا قد حسمنا مصيرهم بالموت وبسرعة البرق ضغطت على سلاحي الأتوماتيكي. تعن لى دوماً صورة تلك الفتاة الصغيرة بالثوب الأحمر، التى حاولت الاحتماء بظهر جدتها.

خلال وجوده فى غرف السجن العسكري «فكتور بابان» قص علينا حكايته مضطرباً، نهض «هيراك» من مقعده، يجرجر الخطى فى سترته الحربية الخضراء وحذاء الجيش الأسود، استعرض كيف كان يطلق رصاص (الكلاشنكوف) من وسطه.

هو ورفاقه أفرغوا مخزن اطلاقات (٣٠) اطلاقة على العائلة التى وجدوها قبل دقائق وكان مصيرها هذا، في أحد سراديب البيوت فى قرية (آتاوفش) على بعد (٨٠كم) شمال غرب هذا السجن.

التفصيلات التى يرويها هذا الصبي الصربي فى مقابلة استمرت سبع ساعات تعطي تسلسلا واضحاً لواقع الحرب غير الانسانية التى طبعت الحرب في البوسنة.

قبل بضعة أسابيع عرف (هيراك)، وتم اعتقالهم، لما ارتكبوه من أعمال إجرامية، حينما كانوا فى طريقهم الى مدينة «اليدشا» قبل مدينة (Vogosca) في مناطق الاحتلال الصربية فى ضواحى محافظة «سراييفو» عند أحد الحواجز فى وسط الشارع قبض عليهم من قبل الوحدات البوسنية المقاتلة التى تدافع عن سراييفو.

قبل ان يهرب «هيراك» من «سراييفو» فى شهر مايو ويلتحق بالقوات الصربية التطوعية، وهى قوات مساعدة للجيوش الصربية المتحدة، التى تحاصر «سراييفو». . اشتغل كعامل مساعد في احد معامل النسيج واليوم فهو تحت طائلة قانون العقوبات اليوغسلافى القديم المادة (٤١) التى تحكم عليه بالاعدام رمياً بالرصاص بسبب

الاجرام، القتل الجماعي - اغتصابات ونهب، التهمة الموجهه اليه تتضمن (٣٩) جريمة قتل بين يونيو وأكتوبر وثمانية جرائم اغتصاب، وهتك أعراض، وقتل لنساء مسلمات كن محتجزات في فندق مهجور كسجينات خارج مدينة Vogosca التى تبعد (١١كم) من (سراييفو) بالأضافة الى هذا تم اغتيال أربعة أطفال تحت سن (١٣) وامرأتين عجوزتين وأربعة رجال.

● بوريسلاف هيراك، من جيش الصرب، قتل المئات من مسلمي البوسنة.

«هيراك» يتحدث عن مذبحة أخرى جماعية للمسلمين قام بها جنود صربيون في ضواحي مدينة «سراييفو» والتى عاشها في شهر يوليو.

«كيف قام (٣٠) رجلا من (Donja Bioca) باطلاق الرصاص على قرية مسلمة بأكملها تبعد (خمسة كم) في الشمال الغربى من مدينة Vogosca بعد اعدام هذه القرية بأكملها، حرقت الجثث في فرن معمل الصلب (illijas) وبعض هؤلاء الرجال كانوا أحياء قبل أن يقذفوا في الفرن.

في شهر يونيو يتذكر «هيراك» كيف يجبرون الخنزير على الانبطاح ويسحبون رأسه الى الخلف من الأذنين ثم يحتزون حنجرته بعد أيام قليلة من ذلك استعمل هيراك هذا (التكنيك) «تكنيك ذبح الخنازير» ضد الجنود المسلمين الذين اعتقلوا في منطقة (Bonja - Bioca) وكيف تم احتزاز حناجرهم.



● لم يرحموا ضراعته وألقوا به من فوق المباني.

تقرير «هيراك»، عمليا، كان أول تفصيل إخبارى لقاتل حول الأسلوب والطريقه التى تنفذها قوات الوحدات الصربية القومية لإنجاز عملية «التنظيف العنصري» يدفع لكل مقاتل صربي أجر قدره (٦) دولارات في الشهر.

حين دخلوا قرية (Ahatovci) كان الرجل الأصلع يكرر كلمة Ciscenje وهى كلمة صربية كراوتية تعني «التنظيف» هكذا اسمى القادة الصرب عمليات ذبح العوائل المسلمة في هذه القرية Cis-cenje Prostova تنظيف المنطقة حيث أمروا الجنود أن لا يتركوا حياً خلفهم. قالوا لنا «يجب أن تكون قرية (Ahatovci) منطقة صربية نظيفة، انها منطقة استراتيجية بين Lidza ومنطقة Raglovac، يجب قتل كل مسلم هناك، يجب ان لا ينقذ أحد، يجب حرق كل البيوت



حتى لا يكون هناك مكان للعودة فى حالة نجاة أحدهم. هكذا يخبرنا «هيراك» ويستمر فى سرد التفصيلات عن المشاهد الاجرامية دون أن يبدو عليه أي تأثير ويقول: «لا أستطيع النوم لما قمت به من أفعال، وأحلم بها كل ليلة، ثم أنهض من النوم مرعوبا، أنضح عرقاً. أعود للنوم ثانية، ثم أنهض، ثم أدخن، عثمان دائما موجود فى ذاكرتى، لقد حلمت عشر مرات بما قاله عثمان، لا تقتلني، عندى أطفال صغار، وزوجة.

كثير من الناس يعتقدون أن «هيراك» قال الحقيقه وكذلك الاب يعتقد ذلك وهو واحد من اكثر من (٥٠٫٠٠٠) صربي بقوا فى سراييفو، حالما راى اعترافات ابنه فى تلفزيون «سراييفو» قال «رأيت أنه خائف جداً» ولكنه قال الحقيقة وانى خجل جدا للنظر فى وجوه الناس لانه بأعماله وسخ اسم عائلتنا.. السيد الأب هيراك.. يتحدث عن نقاط ابنه الضعيفه فى المدرسة وعلاقاته وتصرفاته المفاجئة وغير المحسوبة، أثناء خدمته العسكرية فى البحرية اليوغسلافية وتهديداته لوالده أثناء سكره، كذلك سرد قصة حياة عائلته «أمه كانت كراواتية، وأخته «ليبنيكا» متزوجه من مسلم، يقاتل الآن فى جيش البوسنة، لديهم بنت عمرها سبع سنوات أنديانا تعيش مع أمها فى «سكوبيا» عاصمة مقدونيا إحدى جمهوريات يوغسلافيا سابقا.

«انى أحبها اكثر شيء فى حياتى» هكذا تحدث «هيراك» عن بنت أخته أنديانا فى منطقه «فوليد» كانت علاقته مع الجيران المسلمين جيده وحسنه كانوا يدعون عائلة «هيراك» الى عيد (Bairam)، الى بيوتهم كل سنة، وكذلك كانت عائلة «هيراك» تدعوهم الى احتفالات الصرب الأرثوذكسي الى أعياد الميلاد «لقد ساعدني المسلمون كثيراً، كناس كانوا طيبين جدا».

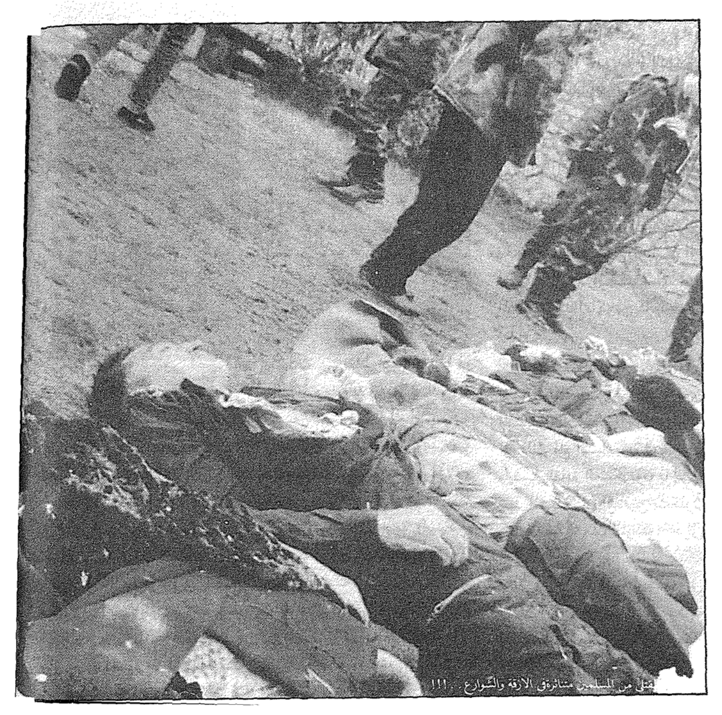
ولكنه بعد انضمامه فى شهر مايو الى القوات الصربية أصبح يرى المسلمين من منظار آخر، وإضافة الى ذلك قام السياسيون الصربيون وأيضاً القادة العسكريون بالحرب ضد المسلمين الذين يشكلون (٤٤٪) من شعب البوسنة، حوالى أربعة ملايين، خططوا لإقامة جمهورية إسلامية مستقلة فى يوغسلافية، تقاد من قبل حكومة مسلمة فى «أبريل» حالما بدأ حصار «سراييفو».

قال «هيراك» نتيجة هذه الأخبار، قام المسلمون باجبار الاطفال الصرب على لبس الملابس الاسلامية، لذلك قيل لنا يجب علينا أن ننظف شعبنا من المسلمين، لذلك وجب علينا القيام بما قمنا به.

وأثناء حديثه التفصيلى تحدث عن كازينو «سونيا» فندق ومجمع مطاعم خارج منطقة (Vogosca) فى الشارع الرئيسى بعد العاصمة الكراواتية «زغرب» كمجمع للنساء



جنود الصرب، إصرار على قتل المسلمين لا ينقطع



قتلى من المسلمين متناثرة فى الأزقة والشوارع ..!!!

المسلمات، كان الجنـدى الصربي «مـيرو ميكـوفش» مخطط نظام الاغتصاب والقتل - يكرر دائمـاً:

«إن اغتصاب النساء المسلمات يرفـع من معنويات الجنود، افعلوا مع النساء المسلمات ما يروق لكم، ولكم أن تصحبوهن معكم حيث ليس لدينا ما نطعمهن به، خذوهن ولكن بدون عودة».

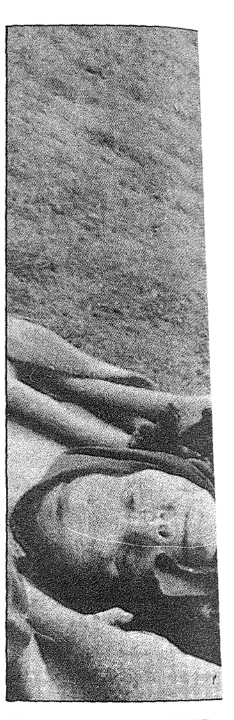
كان يذهب كل ثلاثة أيام الى هذا المجمـع، وبـرغم القتل بعد الاغتصاب إلا أنه يجد دائمـاً نسوة كثيرات، فليس هنـاك صعوبه فى الحصول على امرأة سوى أن تأخذ مفتاحـاً وتذهب إلى غرفة ما.

تـنـوط ويـأس

حول الحالة المرعبة لمحافظة Vlasenica, Bego Hvalic فى الأسـابيع السابقة مات من الجوع (٧٠) أغلبهم من الأطفال، هرب أمام الصرب اكثر من (٤٠٫٠٠٠) مسـلم في قرية Gerska المكـان الـوحيد الـذى لم يحتله الصرب، يأكل الناس القش وبقايا الحيوانات.

الحـالـة الصحية مسؤول عنها طبيب واحـد، إجـراء العمليات الجـراحية لقطع الاعضاء المريضة يجرى بواسـطة أمـواس الحـلاقـة والمنشـار الحـديدى صرح بذلـك محافظ المدينة.

● خارطة توضح موقع البوسنة والهرسك فى الاتحاد اليوغسلافى السابق





يوجد بالقرب من المحطة الرئيسية لمدينة زغرب، مكتب التجنيد (HOS) حيث وصل الى هناك «ميكا» الجندى السابق فى سلاح المدرعات فى جيش المانيا الديمقراطية سابقاً من منطقة (درسدن) حيث سجل اسمه فى قائمة تحتوى على (١٥٠٠٠) جندى مرتزق كل جندى يحصل على منام ومسكن وطعام وتسليح مجاناً بالاضافة الى مبلغ (١٥٠) مارك شهرياً.

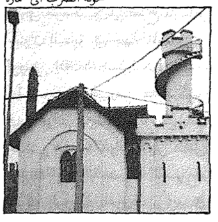
يرقد «ميكا» الآن فى مستشفى عسكري بعد أن أصيبت مدرعته ونجا بأعجوبة، أصيب فى الذراع والصدر والساق، وفقد إحدى عينيه، كذلك (آندرياس بشنير) أعتقد أنه يخوض مغامرة فى دولة البلقان، في شمال البوسنة دخل فى حقل الغام وتمزق جسده إرباً.

(ميشال ديفيد) و(يرغن شمرت) يبلغان من العمر (٢٧) عاماً قتلا فى المنطقة أثناء هجوم جيش كرواتية على «كارنيا».

قائمة وصول الجنود المرتزقة الى كرواتيا طويله جداً، فرنسيون هولنديون، بلجيكيون، سويديون، دنماركيون، أمريكيون، بولونيون أيضاً.

واستناداً الى المعطيات الأخيرة هناك فصيل عالمي من (٢٠٠) مرتزق تربطهم أفكارهم وانتماءاتهم الفاشية الجديدة. وهؤلاء أغلبهم شباب مدربون إما من وحدات مظلية أو قوات خاصة (SAS) يحصل الواحد من هؤلاء المرتزقة فى الشهر على أجر قدره (٣٥) جنيها أجر ارتزاقه كجندى.

● هذا المسجد فى البوسنة حوله الصرب الى خماره





● صربيا الكبرى هو الحلم الذي تدعمه الدبابات.

استقر (تومك) فى احدى الوحدات المقاتلة فى محيط منطقة سراييفو، وهنا قتل أبناء لحمته «باول مارسيك» و«روبرت هماره» من منطقة «كادينا» وقتل «سبازك ماليزفسك» و«يادك كونارسكى» من جنوب بولونيا بعد ذلك ضجر «تومك» من الحرب وعاد الى بولونيا بأوراق ثبوتية مزيفة.

ومن رومانيا جند بضعة مئات جنود مرتزقة الى اتحاد «تشتينكز» الصربى أغلبهم من جهاز المخابرات الروماني السابق (Se-curitate) وقد بعثوا من قبل الحركة القوميه الرومانية Vatra - Roman-easca.

فى موسكو كما صرح بذلك الجنرال السابق فى جهاز المخابرات الروسى (KGB) «ستيرليكوف» لقد بدأ فى روسيا فى زمن جد مبكر إعداد قوائم المتطوعين الروس، تم إعداد هذه القوائم من قبل (Pamjat)، القمصان السود او الحركه الروسية القومية.. «يورى بيلايف» شرطي سابق فى مكافحة الاجرام واليوم عضو مجلس مدينة «بطرس بورغ» تفقد فى السنة السابقة كتائب الروس من المتطوعين فى البوسنة وحسب معطياته يستلم كل مرتزق روسي (٣٧) دولارًا أجرة شهرية لأعماله الدموية.

فى لقاء مع راديو (Rossiga) أوضح انهم يقاتلون من أجل العقيدة الأرثوذكسيه والسلافيه، نحن لا نعتقل أحداً!!.

خلال ذلك صرح جنرال سوفيتى سابق «فكتور» الى صحيفة المانية اخبارية أن اكثر من (٤٠٠٠) روسي من ضمنهم القوقاز، وممثلون لعدة قوميات أخرى من الاتحاد السوفيتي السابق يقاتلون بجانب «تشتينكز» الصربية فى البوسنة.

المراقبون الدوليون وكذلك القبعات الزرق للأمم المتحدة يقدرون عدد المرتزقه بـ (١٥٠٠٠) جندى فى منطقة البلقان، هم ناس لا يفقدون شيئا على الاطلاق سوى حياتهم، فاشيون، متطرفون، معارضون لحقوق الانسان، قتلة.

المصـــادر

(١) مجلة «فوخن بوست» الأسبوعية الالمانية عدد رقم ٥٢ مقال بقلم «جون. ف. بيرنز».

(٢) صحيفة نويس دويشلاند عددها المرقم ١٩٩٣/٢/٢١ مقال بقلم شروشه شمولكه شهادة الاغتصاب وهتك العرض كان مرعباً ووحشيا، حتى إن إحدى المنكوبات اصيبت بلوثة عقلية، الأخريات يعانين من الامراض النفسية والجسمانية، النساء المسلمات اللاتي يدافعن عن شرفهن يضربن الى حد الاغماء يجرحون أجسادهن أو يطبعون الصليب على جلودهن، وآخر المعلومات التى وصلت ان «تشينكز» بعد ان يرضون رغباتهم الحيوانية يقومون بذبح الفتيات.

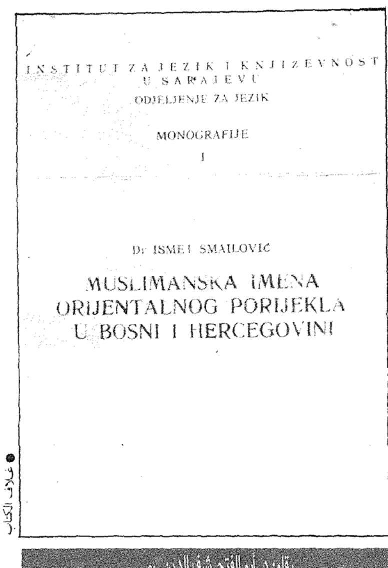
● من تقرير رئاسة الجمعية الاسلامية فى البوسنة والهرسك.

ملف خاص:

دائرة معارف للأسماء الإسلاميّة

المنتشرة فى جمهورية البوسنة والهرسك




INSTITUT ZA JEZIK I KNJIZEVNOST
U SARAJEVU
ODJELJENJE ZA JEZIK

MONOGRAFIJE
I

Dr ISMET SMAILOVIĆ

MUSLIMANSKA IMENA
ORIJENTALNOG PORIJEKLA
U BOSNI I HERCEGOVINI

● غلاف الكتاب

بقلم: د. أبو الفتح شرف الدين - مصر -

تحتل البوسنة والهرسك المسلمة مركزاً هاماً وسط البلاد اليوجوسلافية - سابقا - وهى تقع فى منطقة من أوسع الأراضى الاسلامية وأغناها من حيث المساحة وتعداد المسلمين بها البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة يمثلون أكبر تجمع اسلامى فى أوربا وفى الغرب، وتعتبر البوسنة قلعة الاسلام وحصنه الأمين وسط خضم من دول تعتنق الكاثوليكية (أو) الأورثوذكسية.

ومع أن تلك الجمهورية فى موقع جغرافى متميز، حيث توجد كرواتيا فى شمالها، والجبل الأسود فى جنوبها، وصربيا فى شرقها، وساحل دالماتيا فى غربها فيما عدا مساحة ضيقة تطل منها البوسنة على البحر الادرياتيك ودول الشرق الأوسط، إلا أن الحقبة الشيوعية التى جسمت على صدور المسلمين قد جعلت أهل البوسنة محصورين في إطار لغتهم القومية - اليوجوسلافية - وفرض عليهم من جانب السلطات المركزية فى (بلغراد) نوع من التعتيم الاعلامى وظلوا فى عزلة عن باقى العالم الاسلامى.

■ لكن مظاهر الانفراج التى حدثت فى يوجوسلافيا خلال السنوات الأخيرة من حكم الرئيس (تيتو) بسبب علاقاته مع الدول العربية وحركة عدم الانحياز التى كان أحد نجومها المؤسسين قد سمحت لأهل البوسنة المسلمة بقدر من الحرية فى إدارة شئونهم الدينية وأتاحت لهم فرصة التعبير عن هويتهم الاسلامية بقدر محدود فى إطار مساجدهم ومؤسساتهم الدينية من أوقاف وتكايا ودور للعبادة والضيافة ومدارس... الخ. وانشئت معاهد للاستشراق وأخرى للدراسات العربية

عهد الحرية والأمان حيث عاشوا فى أمن ورخاء وكانوا سنداً للامبراطورية العثمانية فى توسعاتها عندما توغلوا فى كرواتيا وفى الدانوب ـ وذلك بعد انتصارهم فى معركة «بيهاتش» الشهيرة ١٥٢٦ ميلادية واستوطنوا بتلك المناطق التى استجد فتحها. واسندت لهم الدولة العثمانية الوظائف الهامة واعتمدت عليهم فى الادارة بشكل أساسى، ومن الواضح أن عدداً لا بأس به من مسلمى البوسنة قد هاجر إلى المناطق المفتوحة لنشر الاسلام والحضارة الاسلامية.

■ تردت أحوال المسلمين ١٨٧٨ ميلادية عندما سيطرت دولة النمسا والمجر على بلاد البوسنة المسلمة، وهربت بعض العائلات إلى سنجق نوفى بازار وإلى الأناضول وبعض البلاد الأخرى التى ظلت تحت الحكم العثمانى هرباً من السيطرة المسيحية ـ ونظمت حركات بين صفوف المسلمين المقاومة فى البوسنة والهرسك ضد المحتلين النمساويين الذين جلبوا معهم أهل الحرف والصناعات من تشيكيين وبولنديين واكرانيين ومجر وألمان، وأقاموا البارات والحانات، وكثرت مظاهر الحضارة الأوربية الغربية، ولكن الحضارة الاسلامية ظلت عنصراً أساسياً سائداً لدى أهل البوسنة الذين كان معظمهم يدين بالاسلام، ومع أن الوافدين يحملون لغتهم وعاداتهم وأدواتهم وأسلحتهم التى أثرت الحياة فى البوسنة إلا أنها لم تستطع أن تزحزح



التركى الذى كانت فيه «البوسنة» ولاية إسلامية من ولايات الدولة العلية منذ سنة ١٤٦٣م عندما قام السلطان محمد الفاتح بدخول أرض هذه الجمهورية ومنح أهلها والاسلامية، وظهرت محاولات رائدة ودعوية لنشر آداب المسلمين هناك ومساهمتهم فى العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية التى تجلت آياتها فى العصر العثمانى

س جذور الاسلام وتراثه بعد خمسة قرون من الحكم الاسلامى فى ظل الامبراطورية العثمانية.

وكان الحكم النمساوى قاسياً على المسلمين منعوتاً بالتشريد والاضطهاد ومحاولة تنصير المسلمين من جانب الكاثوليك مما دعاهم إلى الثورة سنة ١٩٠٩ بزعامة على فهمى جانيتش ونجحوا فى الحصول على الموافقة فى أن يحكموا أنفسهم حكماً ذاتياً فى مجال الشئون الدينية وفى الاوقاف الاسلامية وأقيم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمقره مدينة (سراييفو) عاصمة البوسنة وإلى جانبه مجلس للعلماء وادارة لرعاية شئون الوقف الاسلامى والمساجد.. الخ.

■ وفى عام ١٩١٢ ميلادية توحدت دول البلقان: «اليونان - صربية - بلغارية» فى عصبة واحدة ضد الأتراك العثمانيين، وساعد على تكوين هذه الوحدة العسكرية المعادية سوء إدارة «جماعة تركيا الفتاة» لشئون الدولة العثمانية، فأعلنت الحرب ضد تركيا فى ١٨/١٠/١٩١٢ وتمكنت الجيوش المتحالفة من إنزال الهزائم بالجيش التركى ونتج عن ذلك تحرر شعوب البلقان من الحكم التركى بعد خمسة قرون ونصف من التواجد الفكرى والاسلامى بتلك البلاد.

وفى سنة ١٩١٤م قامت الحرب العالمية الأولى واستمرت حتى ١٩١٨م وأسفرت عن سقوط الدول الوسطى صاحبة النفوذ وملكية هايسبورج فاتحدت الأراضى اليوجوسلافية فى دولة واحدة فى أول ديسمبر ١٩١٨م كان يطلق عليها «دولة الصرب، والكروات، واللوفينيين» وكانت تتكون من الصرب والجبل الأسود، والبوسنة، وكرواتيا، وأجزاء من أسترا وساحل دالماتيا، ولم يكن هذا الاسم يشمل كل الشعوب اليوجوسلافية التى تعيش فى داخل الدولة، لذلك غيرت إسمها إلى اسم «دولة يوجوسلافيا» لتشمل كل الشعوب التى تعيش فى داخلها وذلك فى عام ١٩٣١ بحيث أصبح الاسم يعنى (الشعوب التى تقع جنوب سلافيا) وهى البوسنة - مقدونية - سلوفينيا - كرواتيا - الجبل الأسود - وصربيا واقليم كوسوفو، ونص الدستور على أن جميع مسلمى يوجوسلافيا يكونون طائفة دينية مستقلة لها رئيس أعلى ويطلق عليه لقب (رئيس العلماء)، وخف الاضطهاد عن المسلمين، وتضاءلت هجرتهم، وتوقف استعمار الكاثوليك لأرضهم.. وأخذوا يسترجعون دورهم القيادى شيئاً فشيئاً وتأسس الحزب الاسلامى بزعامة الدكتور محمد سباهو الذى ترأس عدة حكومات يوجوسلافية بين الحزبين.

■ خلال الحرب العالمية الثانية احتلت القوات الفاشية يوجوسلافيا واشتعلت المقاومة ومنع الملك بطرس الثانى من العودة للبلاد، وشاركت وحدات من المسلمين ضمن الكتائب اليوجوسلافية فى حرب التحرير إلى جانب إخوانهم من باقى الشعوب اليوجوسلافية ومع ذلك فقد كانت ظروف الحرب صعبة على جميع اليوغوسلافيين إذ اتسمت بمذابح بشعة للمسلمين من طرف الأورثوذكس من جهة، والكاثوليك من جهة أخرى، فقتل من المسلمين ما يزيد على ٢٥٥ ألفا، كثير منهم من الأطفال والنساء وكبار السن من الرجال.

انتهت الحرب الأخيرة فى ١٥/٥/١٩٤٥ وأعلن عن قيام يوجوسلافيا الحديثة التى سيطر عليها الشيوعيون الذين نصبوا المحاكم العسكرية للعلماء البارزين

● من آثار الدمار فى ترافنيك

من المسلمين وأعضاء الجمعيات الاسلامية، ومنع التعليم الديني في البيوت والمساجد، واستمر اضطهاد المسلمين قرابة (١٢) عاماً أدت إلى ظهور جيل من المسلمين يجهلون دينهم، ولم يبق من العلماء القدامى الا عدد قليل وهدمت بعض المساجد وضم البعض الآخر للآثار، وصودرت جميع الأوقاف الاسلامية.

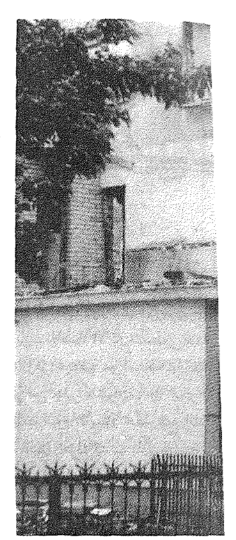
وبعد أن استتبت الأمور للحزب الشيوعي وتمكن من الحكم أرجع للمسلمين بعض حقوقهم المسلوبة حيث رجعت المساجد إليهم وسمح لهم بفتح بعض المدارس كمدرسة (سراييفو) الدينية الثانوية التي أعيدت سنة ١٩٧٢.

وبدأ المسلمون فترة من البناء والتنظيم في ظل العلاقات العربية/اليوجوسلافية الأخيرة حيث تم بناء العديد من المساجد الجديدة خاصة في القرى وأقيم بعض المراكز الاسلامية والمؤسسات الخيرية. وقام بعضهم بترجمة ونشر وتأليف الكتب الاسلامية التي أدت إلى زيادة الوعي الديني والالتزام بأحكام الاسلام من صلاة وصيام وزكاة.. وصار الشعب المبلم يبحث ويقلب عن هويته الاسلامية والحضارية.



■ ومن بين المشروعات الحالية التي أنجزها معهد اللغة والآداب في مدينة «سراييفو» عاصمة البوسنة والذي تأسس سنة ١٩٧٣ ميلادية مؤلف ضخم يعد بحق موسوعة علمية، عبارة عن دائرة معارف الأسماء المسلمة المنتشرة في جمهورية البوسنة والهرسك خلال مائة عام في المدة من ١٨٧٦ الى ١٩٧٦ وذلك لمعالجة ظاهرة تعدد وتنوع الأسماء الاسلامية التي تعود إلى أصول مأخوذة ومستعارة من لغات شرقية مثل العربية بوجه خاص والتركية والفارسية والعبرية بوجه عام وبهذا المجهود العلمي الهام سد فراغ كانت المكتبة اليوجوسلافية في حاجة ماسة إليه في أمور الأحوال الشخصية والصحافة والاعلام والاوقاف.. الخ.

وفي الجزء الأول من الموسوعة تم شرح واستعراض الطريقة الأبجدية التي تم على أساسها ترتيب وتصنيف تلك الأسماء التي وصل عددها ٣٠٧٣ إسماً مسلماً شائعاً في البوسنة والهرسك، استمر جمعها ست سنوات بمعرفة الدكتور (عصمت إسماعيلو فيتش) بمساعدة معهد الاستشراق وبعض المتخصصين في اللغة العربية من المسلمين الباحثين منهم الأستاذ أنور مولا من مدينة (توزلا) والدكتور توفيق موفتيتش المستشرق المعروف. وقد تم جمع هذه الأسماء من سجلات بلديات البوسنة والهرسك، ومن دفاتر المدارس والتليفونات، ومن الجرائد اليومية ومستندات الأوقاف، ومن التقارير التي كتبت في العصور



● الخراب والدمار فى كل انحاء البوسنة

الوسطى، ومن مؤلفات أدباء البوسنة مثل: (حسن كيكيتش - ضياء دزداروفيتش - ميشا سليموفيتش) وآخرين، ومن الكلمات الشفهية للأقارب والمعارف والأصدقاء ومن اللقاءات مع المسلمين فى شتى ربوع جمهورية البوسنة والهرسك.

وقد فند الباحث المذكور طريقة جمع تلك الأسماء وتتبع مراحل تطورها منذ استعارتها من لغاتها الأصلية إلى أن أصبحت جزءاً من الأسماء اليوجوسلافية وبين طريقة نطقها فى حالات الاعراب المختلفة طبقاً لقواعد اللغة الأخيرة - أما الجزء الثانى من الموسوعة فهو عبارة عن قاموس أبجدى يضم تلك الأسماء كاملة ومختصرة من أولها إلى آخرها.

■ من الجدير بالذكر أن أول من آثار هذا الموضوع هو الرحالة التركى «إيفليا شلبى» فى عهد الدولة العثمانية حيث زار البلاد البسنوية ١٦٦٠ ميلادية وقال: «الشعب فى هذه البلاد ينطق أسماءه بطريقة مختصرة فبدلا من محمد يقول ميهو، وبدلا من أحمد يقول أهمو، وبدلا من شعبان يقول شابو، وبدلا من ابراهيم يقول إبرو، وبدلا من ذو الفقار يقول زوكو، أما الأسماء المؤنثه فلا يوجد عنده سوى مائة، سنيحة، راضية، ميرزيا، مريم، هوما، هافا، حسنه، أم هانة، نديرة.. وعلى الرغم من أن هذا الرحالة التركى لم يتعرض لأسماء المسلمين فى البوسنة إلا بقدر مقتضب إلا أنه قلما استرعى انتباه الباحثين لأهمية حصر تلك الأسماء التى تختلط مع غيرها من أسماء غير المسلمين.

■ وعلى الصفحة الأولى من العدد رقم (٢٨) بتاريخ ٣١ يوليو ١٨٦٩ كتب: كلمنت بوجيتش فى صحيفة «زغرب فينتس» تحت عنوان: «صور من البوسنة» يقول: المسلمون يفسدون طلاوة أسمائهم وذلك لأنهم ينطقونها بلكنة لغتهم الشعبية وعندهم الكثير.. الكثير من الأسماء العربية مثل: مويو (مصطفى)، سوليو (سليمان)، سمايو (اسماعيل)، إبرو (ابراهيم)، يوسو (يوسف)... الخ. أما الأسماء المؤنثة فمنها: فاتا (فاطمة)، فازلا (فضيلة) إلى جانب ناظلة، خيرية، مريم، وديلبر. الخ. وترجع أهمية هذا الموضوع الى أنه يرجع إلى أكثر من قرن مضى، وقد جمع الكاتب (٥٠) إسماً دخلت إلى البوسنة عن طريق الأتراك العثمانيين.

● أحد أطفال الجريمة الصربية البشعة على المسلمات البوسنيات



رحلة فى الذاكرة (١٣)

الدكتور منصور

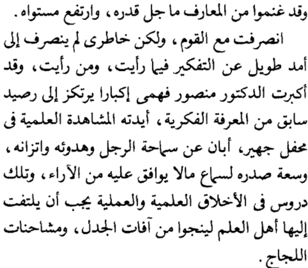
د. محمد رجب البيومى - عميد كلية اللغة العربية - الأزهر - المنصورة

فى النصف الأول من القرن العشرين كان اسم الدكتور منصور فهمى يملأ الأندية الثقافية، ويشغل ذوى الفكر، إذ كانت جولاته الفكرية فى الصحف والمجلات متجاوبة الأصداء، وقد خاض نقاشا متصل الحلقات مع نفر من ذوى الريادة الأدبية، فكان رأيه موضع التقدير والاحتفال، وحين كنت طالبا بكلية اللغة العربية قرأت إعلانا بجريدة الأهرام عن مناقشة رسالة فلسفية بكلية أصول الدين يرأس لجنتها الأستاذ الدكتور منصور فهمى رئيس جامعة الاسكندرية السابق، فحرصت أن أحضر هذه المناقشة لأرى ذلك العملاق الذى قرأت له، وقرأت عنه، وأعرف كيف يدير النقاش العلمى فى محيط أزهرى، يشاهده لأول مرة رئيسا يوجه المناقشة، ويقرر الحكم، وحين أزف الموعد هرعت إلى صالة المناقشة بكلية أصول الدين فشهدت من الجموع المتزاحمة مالا عهد لى به فى المناقشات الجامعية، كما وجدت فى الكلية قسسا من كبار رجال الدين المسيحى، ومجموعة من الآنسات والسيدات يحضرن لاستيعاب مناقشة فلسفية فى إحدى كليات الأزهر، وبعد لحظات صعدت لجنة المناقشة الى المنصة، يتقدمها الدكتور منصور فهمى ومعه الأساتذة الدكاترة محمد البهى، ومحمد غلاب ومحمود حب الله، ومحمود الخضيرى، وهم من صفوة أساتذة الفلسفة فى مصر، وقد تخرجوا من الجامعات الأوربية، ونالوا أرقى شهاداتها عن استحقاق، وكان المألوف أن يفتتح رئيس اللجنة المناقشة بكلمة يسيرة، يقدم فيها الطالب، ويشير إلى موضوع الرسالة، ولكن الدكتور منصور فهمى أفاض إفاضة شافية فى تقديمه، فذكر أن دائرة الفلسفة قد اتسعت فى مصر إذ امتدت من الجامعة إلى الأزهر، وهذا مالا غرابة فيه، فكتب الفلسفة لها مكانتها عند الأزهريين، وشيخ الأزهر اليوم (يريد الاستاذ الاكبر مصطفى عبد الرازق وكان شيخ الأزهر حينئذ) هو أستاذ الفلسفة بكلية الآداب لأكثر من عشر سنوات، وله بحوثه العميقة المتزنة، وطالب اليوم الأستاذ محمد فتح الله بدران يتقدم برسالة دقيقة حول كتاب الملل والنحل للشهرستانى، ومعنى ذلك أن الأزهر فى عهده الحاضر قد لبى روح الزمن، واتصل بالنهضة العلمية المعاصرة محافظا على طابعه المنهجى، ومقدرا فى رحاب الفلسفة وجهات النظر المختلفة، ومصوبا ما يراه موضع التصويب، وستتبادل الجامعات فى مصر والخارج رسائله العلمية لتكون موضع الدراسة والتنويه.

وفى هذا التلاقح الفكرى ما يدفع بركب الانسانية إلى التقدم، وقد حرص الاسلام على حرمة الفكر، ودعا إلى سبيل الله بالحكمة، وامتدت كلمة الدكتور حول هذه المعانى فى هدوء تشع منه روح الفيلسوف.

ثم تقدم الباحث فعرض موضوع الرسالة وما انتهى اليه من نتائج، وخاض لجج النقاش مع أساتذة كبار درسوا الرسالة، وعرضوا ما سنح لهم من الاعتراضات، فأجاب الطالب قدر استطاعته، وكان موفقا واعيا، ورئيس الجلسة مُصغ متيقظ، يسعف الطالب تارة، ويهمس فى آذان المناقشين تارة أخرى، ثم ختم المناقشة بكلمة مشجعة بعد أن أعلن فوز الرسالة بأرقى الدرجات العلمية وانصرف الحاضرون

ـور فهـــمى





● د. منصـور فهـمي

● د. زكـي مبارك

وقد غنموا من المعارف ما جل قدره، وارتفع مستواه.

انصرفت مع القوم، ولكن خاطرى لم ينصرف إلى أمد طويل عن التفكير فيما رأيت، ومن رأيت، وقد أكبرت الدكتور منصور فهمى إكبارا يرتكز إلى رصيد سابق من المعرفة الفكرية، أيدته المشاهدة العلمية فى محفل جهير، أبان عن سماحة الرجل وهدوئه واتزانه، وسعة صدره لسماع مالا يوافق عليه من الآراء، وتلك دروس فى الأخلاق العلمية والعملية يجب أن يلتفت إليها أهل العلم لينجوا من آفات الجدل، ومشاحنات اللجاج.

ثم حانت ذكرى اسلامية كبيرة، وأقامت جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة حفلا جليلا لهذه المناسبة، إذ قرأت فى الصحف أسماء من سيتحدثون، ومن بينهم الأستاذ الدكتور منصور فهمى، فنهضت لشهود الاحتفال فى موعده، واستمعت إلى ما قيل من شعر ونثر، وكانت كلمة الدكتور منصور فهمى موضع انتباه الحاضرين، لأنه قارن بين صاحب الذكرى العاطرة والمشاهير من المصلحين فى الغرب ليعلن قدر النبوة المصطفاة، فأضاف الجديد حقا، على حين اكتفى بعض المتحدثين بترداد ما هو مشتهر معروف، وكان من حظى أن أجد صديقى الاستاذ الدكتور أحمد الشرباصى يدعونى إلى مجلس بالجمعية يحضره صفوة القوم، فسعدت بأن جلست جوار الدكتور منصور فهمى، وابتدأ مشكورا بتحيتى، والسؤال عنى، وكأنه أحس احتشامي وهيبتى فشجعنى على الحديث متفضلا، وأخذ القوم يتفرقون تباعا، والرجل يلاطفنى بحديثه عن فيض وترحاب، وقد قلت له إنى سعدت بحضور المناقشة التى رأسها بكلية أصول الدين فابتسم الرجل ثم فاجأنى بما لم أتوقع حيث قال: إنه ما تهيب مناقشة رساله كما تهيب مناقشة هذه الرسالة، لأنه كان يخشى أن يحدث لجاج أو غضب من بعض الذين يضيقون بالبحث الفلسفى، وله سابقة مثيرة فى هذا المجال، إذ كان رئيسا للجنة مناقشة الدكتوراة التى تقدم بها الدكتور زكى مبارك، عن أخلاق الغزالى بقسم الفلسفة فى كلية الآداب، وقد حضر المناقشة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان وبعض علماء الأزهر، وقد تعرض الطالب لأخطاء وقع فيها الامام الغزالى، وهذا مالا غبار عليه، لأن لكل عالم مهما ارتفعت مكانته أخطاءه بجانب إصاباته الكثيرة، كما أن طالب الدكتوراه لا يزال باحثا ناشئا ومن الطبيعى أن يخطىء وأن يصيب، ويظهر أن نزوة الشباب فى كيان الدكتور مبارك حملته على الاندفاع فى الهجوم، فثار الشيخ اللبان، وواجه الطالب بأسئلة محرجة، وليس من حقه القانونى أن يتدخل فى النقاش إذ ليس من أعضاء اللجنة، ولكنى راعيت مقام الشيخ الجليل فسمحت له أن يسأل، وطلبت من الدارس أن يجيب، فرد بما زاد النار اشتعالا، وحاول شيوخ آخرون أن يتدخلوا بالسؤال وطلب الاجابة، فقلت إن السؤال قانونا من حق أعضاء اللجنة، وكان الدكتور طه حسين من الحاضرين، وليس من أعضاء اللجنة، فتقدم بعدة أسئلة للطالب، ولم أجد ما يمنع من قبول أسئلته لأنه أستاذ بالكلية، والطالب من تلاميذه وكان الدكتور يتعمد إحراج زكى مبارك، فقابل أسئلته بتسرع غير حميد واشتط فى نقد الغزالى، وكأنه من وجهة نظره فى مستواه العلمى، وطبيعى أن يثور الحاضرون لمسلك الطالب، فرأيت أن أحسم الموضوع، وقلت فى صراحة، إن الطالب يواجه

الامتحـان، وأن من شأنـه أن يخطىء ويصيب، واللجنة ترصد كل ما يجيب به، وترى أنها لا تسأل عن النتائج التى قررها الباحث، فهو المسئول عنها، ولكنها فى الوقت نفسه تعلن أنها حين تقدر الطالب لا تقف عند النتائج فقط، بل تنظر فى منهجه العلمى، وطرق الاستدلال، ووسائل الاستنتاج، لتطمئن على معدنه وأصالته، أما الخطأ والصواب فمتوقعان، وقد ارتاح الاستاذان محمد أحمد جاد المولى، وعبد الوهاب النجار وهما من أعضاء لجنة المناقشة لما أبديت، ولكن الشيخ النجـار كان أرحم بالـطالب وأرفق، فصاح بالحاضرين، إننا جميعا نبجل الامام الغزالى ونقدره، والطالب كذلك يضعه موضع التقدير، ولولا ذلك ما خصـه برسالة علمية أخذت عدة سنوات من عمره الدراسى، وانتهزت كلام الاستاذ النجار رحمه الله، فقلت، إن الشيخ أصاب موقع الحق، وأضيف إليه أن عيب الدارس أنه نظر الى الغزالى بمقياس عصرنا الحـاضر، وهـذا خطأ، لأننـا نحـاكم كل مؤلف بمقـاييس عصره الذى انتهى إليها فى زمنه الغابر، دون أن ننكـر سابق فضله، ورصـين عقله! فإذا كشفت العصور المتتابعة عن أخطاء لم يهتد إليها من قبل، فحسبه أنه كان مبرزا فى عهده، وقلت إن تقدم البحوث الطبية فى العصر الحاضر لا يجعلنا ننكر ما قام به أطبـاء العصور الماضية من جهود مهما كانت متـواضعـة بجـوار الفتوح العلمية الحديثة، وكذلك الأمـر مع الامام الغزالى، وانتهت المناقشة دون أن يهدأ الحوار فقد انتقل إلى الصحف وكتب فيه الشيخ الـدجـوى والشيخ أحمـد مكى، ولم أسلم مما قالا، لذلـك توجست خيفـة قبل النقاش فى كلية أصول الدين، ولكن الحمد لله فقد كانت الريح رخاء بل كانت نسيما عاطراً.

انتهت الجلسة الطيبة، وخرجت من دار الشبان وأنا أتوق لمثلها، حيث أفدت كثيرا من هذه النظرات الصـائبة وذاك التدفق فى التعبير على وجه سمح لا انقـطاع لرافـده، كأن غديرا يترقـرق من حديث الدكتور، وكأن الله عز وجل قد شاء الا يحرمنى هذا الثمر الناضج من الحديث الجذاب، إذ ذهبت ذات ضحى إلى دار الهـلال بالمنـيرة لأقدم مقالا أدبيا إلى الأستاذ الكبير طاهر الطناحى مدير تحرير مجلة الهلال فى أحـد عهودها الزاهرة، فوجدت الدكتور منصور فهمى بمكتبه، فسلمت عليه فى أدب، وتهيبت أن أبدأه الحديث، ولكنه قال فى لطف: إنه يذكر لقائى معه، ولكنه لا يدرى أين كان، فقلت له هما لقاءان لا لقـاء، وحـدثتـه عن سعادتى التامة برؤيته التى اعتـبرهـا مغنـما فكريا جزيلا، فانبسطت أساريره، وتـألق الابتسام فى شفتيه، فوجدت الفرصة سانحة لأن أقول له: عندى سؤال يا سيدى يتعلق بك، ولن أجد جوابا عليه من غيرك، فقال: أهو سؤال طارىء أم سؤال تدخره من قبل، فقلت يعلم الله إنى ادخره من سنـوات، فقـال، ولم لم تكتب إلى به، فسكت متـطلعا، فقال هلم: قلت إنى أقرأ على مدى ربع قرن بحـوثـا ومقـالات أدبية لك فى مجلات الهـلال والمجمع والمصور والمعرفة وغيرها من كبريات المجلات العـربية الرصينة، وكنت أنتظر أن تقوم بجمعها فى كتب مستقلة كما يفعـل العقـاد وطـه حسـين وأحمد أمين، كما أعرف أنك تدرس للطلاب مادة الفلسفة منـذ أكثر من عشرين عاما، ولم تشأ أن تخرج كتابا للناس يجمع خلاصة هذه الدروس كما يفعل تلاميذك الـذين تخرجـوا على يديك ثم صاروا زمـلاء بقسم الفلسفـة فى كلية «الآداب»؟ فنظر الدكتور الى وفى وجهه حيرة عرفتها من ملامحه، ثم قال إنهما سؤالان لا سؤال، سؤال يتعلق بمقـالات المجـلات وسؤال يتعلق بدروس الفلسفـة بالجـامعـة، أمـا ما يختص بمقـالات الصحف فأصـارحـك أنى بعد أن أنشر المقال أجد فيه كثيرا من نواحى النقص فأشيح عنه، وقد قمت بنشر بعض الخوالج النفسية التى ظهرت فى جريدة الاهـرام ما بين العشرينيات والثلاثينيات فى مجموعة تحت عنوان (خواطر نفس) فصادفت ارتياح الناقدين، وتلقيت عنها عشرات الرسائل المشجعة، ولكن لا أدرى لماذا حين أعـاود قراءتها أجد بها من الاقتضـاب تارة، ومن الخلل تارة أخرى ما يجعلنى أعتقد أنى تسرعت فى نشرها، وقدهممت فى أحيان كثيرة أن أجمع مقالات الهلال وحدها وهى تكفى لملء

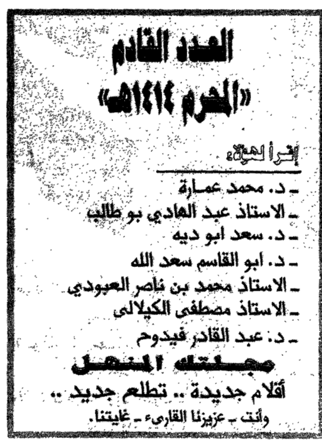
خمسمائة صفحة، فكنت أجمع الاعداد وأعيد قراءة ما كتبت فأحس بفتـور يضعف من عزيمتى، أمـا مقالات مجلة المجمع فهى مستريحة فى أماكنها الأمينة، لأنها للخاصة والخاصة وحدهم، وهم يحرصون على كل عدد يظهر من هذه المجلة الرصينة.

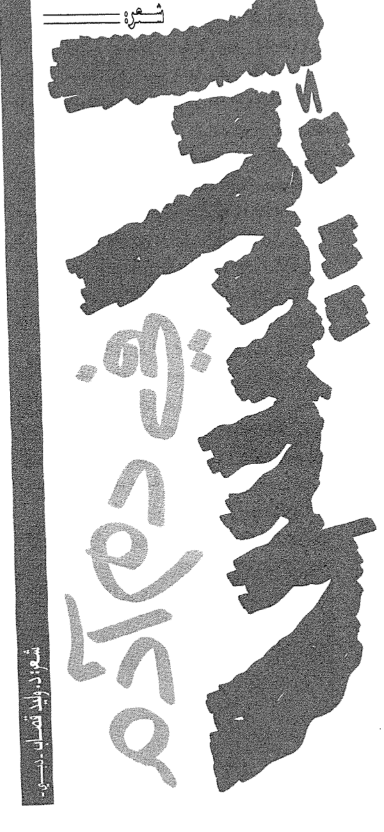
هذا عن السؤال الأول، أما السؤال الثانى عن دروس الفلسفة لكلية الآداب، فالأصل فى التعليم الجامعى أن يكون للمادة عدة مراجع قديمة وحديثة ينبه إليها الأستاذ طلابه فيسعون إلى دراستها، ثم يكتبـون الخـلاصـة الـدقيقـة بعد الائتناس بما قاله الأستـاذ فى محاضراتـه بالكلية! هذا هو الأصـل المنطقى، ولكن بعض الأساتذة يوفر على الطلاب عناء البحث، ويقوم هو بطبع ما يقوله، وتوزيعه على الطلاب، وفى أحيان كثيرة تقوم دار من دور النشر الكبيرة، فتطبع الكتاب وتوزعه على الطلاب وعلى غيرهم من جمهرة القراء! وبالنسبة لدروس الفلسفة بالذات فإنى أتساءل: هل يقدم مثلى أو أحد من زملائى جديدا يباهى به، ويقدمه مطبوعا للقارىء، إن الذى نقوله فى هذا المجال هو مقررات مشتهرة يعرفها دارسو الفلسفة فى كليات الغرب، وإذا كانت هناك زيادة ما، فهى تعقيب أو توضيح أو تفصيل أو اختصار، فقل لى بربك، ماذا ينسب لأستاذ الفلسفة من الفكر حين يكون عالة على سواه فى كلية مبتدئة، وأقـول مبتـدئـة دون خجل، لأن الدراسة الجامعية عنـدنـا فى دور الطفولة بالنسبة لدراسة الفلسفة فى كليات أوربا، مع استثناء دراسة الفلسفة الاسلامية فقد استطاع الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق رحمه الله أيام كان أستاذ المادة بالكلية أن ينقلها من حيز الى حيز، فأضاف إليها ما ابتكره علماء الاسلام فى علمى الأصول والكلام!.

ثم سكت الدكتور قليلا، ليقول بعد ذلك: أنا الآن أدرس لخمسة طلاب فحسب فى السنة الثانية بالـدراسـات العليا، ومهمتى أن أحـدد الموضوع، وألخص ما قيل فيه ثم أذكر مراجعه فى الفرنسية، وأدعـو كل طالب أن يبحث هذه المراجع، ويكتب عنها ما نناقشه فى الدرس الأسبوعى على مدى العام، والمشكلة أمامنا مشكلة الاصطلاحات إذ توجد فى الكتب الأوربية اصطلاحات لا نعرف تطابقها فى الكتب العربية، وفى مجمع اللغة بمصر لجان تبحث هذه المصطلحات فى الفلسفة وفى غيرها من العلوم، وستؤتى ثمارها بعد حين.

جاء دورى فى الكلام، فقلت إن أبوابا كثيرة من التفكـير قد فتحت أمـامى حين شرفت باستـماع حديثك، على أنى أقول إن ما قرأته فى مجلة الهلال بقلمك الرصين يضارع ما يكتبه كبار الأدباء فى العالم العربى، فإذا كنت تلاحظ بعض النقص، فلاشك أن أمثال العقاد وأحمد أمين وطه حسين يلحظون فى مقالاتهم ما تلحظ من استدراك، ولكنهم يجمعون ما نشروه حرصـا على ما فيه من نفع جزيل، فإذا قام الدكتور منصور فهمى بجمع مقالاته كما عزم ذات يوم فإنـه سيفيد القـارىء العربى، ثم قلت: وإذا كنت يا سيدى قد أفدت من حديثك العفوى الآن ما يتعـذر أن أجده لدى كاتب آخر، أتكون مقالاتك ذات التفكير المتئد خالية من الصائب السديد؟!

تشـعـب الحـديث طرائـق مختلفـة، ثم حان الافتراق، ولكن الى لقاءات أخرى ذات أرج بهيج.





حيثُ انطلقتُ أرى إبليس منطلقا
يسد دربي ، ويمضي يزحمُ الأفقا
يقول: لا مهرب مني، ولا وزر
لن تملك الدهر من كفي منعتقا
ولا انفكاك وإن حاولت مجتهدا
دربي ودربك في هذا المدى اعتنقا

جريت فيك خلال الجسم منسرباً
وفي عروقك كنت الماء مندفقا
وبيننا الحرب لا يُقضى لها أجل
ما دمت برا بحبل الخير معتنقا
فإن رأيتك يوماً بالهوى شغفاً
جعلت أفتح ما تلقاه منغلقا
أقبح الخير في عينيك، أطمسه
أزين الشر ، أكسوه لك الألقا
أشب فيك حريقاً لا انطفاء له
أثور فيك، فتبدو جامحاً نزقا
وأمتطيك فتبدو ريشة قذفت
فى العاصفات، تعاني الشك والقلقا
وأعتريك فلا عقل ولا رشد
ولا تذكر إيماناً ولا خلقا
عهداً أخذت بأن أبقى لك الرصدا
وفي طريق ضلال سرت مرتفقا
والحرب ما بيننا بدأت بمهبطنا
من الجنان، ومن يثبت فقد سبقا
خصمان نحن إذا ما كنت في رشد
ما طار طير إلى العلياء أو سمقا
ولي عليك دبيب ليس يدركه
إلا الحصيف الذى فى سعيه صدقا
فإن أردت غلاباً فاستعد له
من أول الدهر سيفي كان ممتشقا

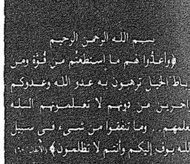
* * *

ارتاع آدم مما راح يسمعه
تقفف الرأس من خوف له فرقا
ودب فى جسمه رعب ومسكنة
وقد تصبب من أهواله عرقا
وأرعشت كفه لله ضارعة
لكى يسد الخطا فى السعي والطرقا
إبليسنا قدر والحرب ضارية
لكن لطفك ربى يحجب الغرقا

(*) «إن الشيطان ليجري من أحدكم مجرى الدم فى العروق» (حديث شريف)



العدد (٥٨) الحجة ١٤١٣هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم.. وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ (الأنفال ٦٠)

محتويات العدد

- لنكن صرحاء
- طفل من عبق التاريخ
- اسرائيل والمياه العربية
- قراءة في ديوان فارس الأمل



الخلافات
الفلسطينية - الفلسطينية

أن يصل الدكتور عبد الشافى رئيس الوفد الفلسطينى المفاوض الى القول (إ نى بجد اسف على ظهور هذه الخلافات بيننا التى تصل إ لى حد تعطيل المصلحة العامة).

وأن تصل الخلافات الى حد تهديد فيصل الحسينى بالقتل ان هو شارك فى هذه المفاوضات الاخيرة.

وأن تصل الخلافات الى حد التصفية الجسدية بين الفلسطينيين أنفسهم.

بل أن تصل الخلافات الى حد تناثر حطام القضية الفلسطينية بكاملها بين الفصائل الفلسطينية المتناحرة.. وأيهم قلبه على فلسطين وأهل فلسطين..؟؟!! لا أحد يدري !!!

نحن نتعامل مع عدو في غاية الحنكة السياسية، والدهاء، والمراوغة.. وهذه صفات ـ بطبيعة الحال ـ تجعل انتزاع تنازل منه كانتزاع (لقمة عيش) من بين أصابع اللئام.. بل تلك صفات تجعله يراوغ ألف مرة ومرة، حتى لا يعطي أحدا شيئا.

إ ذن .. لنرجع بذاكرتنا قليلا..

في مرحلة من مراحل المحادثات فى أمريكا، عندما حاولت الوفود العربية المشاركة ادخال المحادثات في قضايا الاساس، راوغ الوفد اليهودي بانه لا يحمل تفويضا ولابد من الرجوع لدولته للتفاوض.

وجـاء ثانية الى امريكا لتدخل المفاوضات فيما عرف انذاك بمحادثات الاروقة.. (اروقة وزارة الخارجية الاميركية).

وفى مرحلة ثانية واثناء المفاوضات فجرت اسرائيل المحادثات بسبب (اغلاق الضفة والقطاع) ما يقرب من شهر كامل.

وفى مرحلة ثالثـة: فجـرت اسرائيل المحادثات بقضية بناء المستوطنات، وتسلمها لائتمان قرض المليارات العشر.. ثم قالت بعد ان تسلمت القرض: المستوطنات نوعان: أمنية.. وسكنية.. والامنية لا سبيل لايقاف بنائها..

انه التحايل .. والدهاء..

وفى مرحلة رابعـة: فجـرت (قضيــة المبعــدين) واحتدم الخلاف بين الفلسطينيين أنفسهم تجاه المفاوضات بكاملها.

إذن.. يجب علينا أن نعي ونعلم من نفاوض؟؟!!

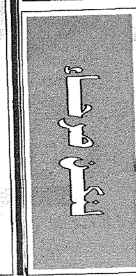
وهذا الوعي، وهذا العلم يتطلب منا:

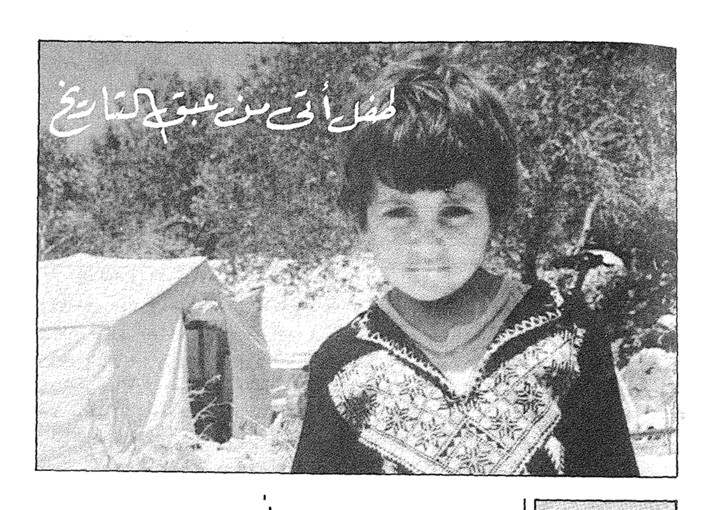
ـ أن يكون صفنا اكثر تماسكا وتوحدا.

ـ ان نكون أعمق ادراكا بما نود من غير مزايدات سياسية.. او تطلعات يمليها هوى النفس.

ـ أن نكون أحرص على حق أهلنا الذين ذاقوا الامرين.. وحينئذ نعلم ان الدفاع عن الحق امانة.

فلسطينيا





شعر: محمد فؤاد محمد - مصر

مـن دمعة الأطفال . .
مـن جرحـــى،
ومن قلب المحـن
من كل شبر في بلادى
لم يذق طعم المطر
أتيتكـــم
وقد يكون اسمى «صلاحاً»
أو يكون اسمى «عمر»
قضيتى: أنى أتيت للوطن
لما رأيت التين والزيتون محروق الجبينِ
يخفض الرأس ويبكى فى خجل
يصيح فى شوق: «عمر»
لما رأيت «القدس» مصفود القدم
لما رأيت القاعدين ساوموا
باعوا دمائى فى السمر
لما سمعت نسوة
صاحت على درب المحن
لما رأيت طفلة
تبكى: لقد ضاع الوطن
تبكى: لقد ضاع الوطن
وبعده لا لن أسر
فجئتها لكى تسر
فصاح فى المرجفون: «الجوحر».
وتلك أعوام «عجاف» لا تسر
خرجت جهراً رغم ذا أمر عسر
لأن عين المرجفين طوقت بكل حر
فحاصرونى فى الصحارى.
أغلقوا دونى الممر
لكن أتيت للوطن
من بعد ما حاك العدا له الكفن
وقلت: عذراً يا وطن
إنا سنأتى فارتقبهم واصطبر
تأتى جميعاً فانتظر
نقرأ سورة «القمر»
وسورة «الأنفال» و«التوبة».
و«القتال» و«الفجر»
نقرأ سورة «العصر»
نقرأ سورة «النصر»

• «إن المؤسسين الحقيقيي

إننا نخوض ضد العرب معر
هذه المعركة كأننا لم نفعل شي

• اسرائيل تحتاج إلى خ

• احتلال الضفة الغرب



ربما لم تكن المياه مشكلة ذات شأن قبل سنوات، وحتى إذا كان البعض ينظر اليها باهتمام، فقد كان ذلك يبدو كاهتمام اقتصادي أو زراعي لكن تزايد وتائر الجفاف في العقد الأخير فرض مشكلة المياه كاحد الأخطار الأساسية التى تهدد مستقبل الكثير من البلدان، فأصبح تعبير «أزمة المياه» شائعاً، بل أزمة تحول من دائرة الاقتصاد والزراعة ليصبح مشكلة سياسية أو مشكلة ستكشف عن كل أبعادها السياسية في المستقبل.

إن المياه فى الشرق الأوسط عامة وفى اسرائيل خاصة، سواء أكانت عنصراً فى الانتاج أم عاملا محددا لمستوى المعيشة، شحيحة منذ القدم فى تلك البقاع الواقعة بين منطقة النيل ومنطقة الفرات، ويشكل نهر الأردن مصدراً للمياه متواضعاً نسبياً فهو لا يستطيع تأمين حاجات السكان القاطنين حوله: فى اسرائيل وقطاع غزة والضفة الغربية ودولة الأردن.

فالمياه هى الحاجة الملحة مستقبلياً بالنسبة إلى اسرائيل، ووجود اسرائيل يتوقف على وجود الموارد المائية لتحقيق الخدمات لشعبها، فهى تتعامل مع موضوع المياه بغطرسة ومن منطلق قانون القوة والاستيلاء.

إسرائيل والمياه ال

كيف ينظر الإسرائيليون إلى استراتيجي

بقلم: زاهدة عويس - سوريا -

دولة اليهودية الحديثة هم مهندسو المياه عام ١٨٨١م»

(تيودور هرتزل)

مياه، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير اسرائيل.. فاذا لم نربح

(دافيد بن غوريون)

مليار متر مكعب من المجمعات المائية.

ر لاسرائيل مخزوناً مائياً يقدر بـ «٦٥٠ مليون متر٣».

وهكذا منذ الاحتلال، العام ١٩٤٨ وحتى تاريخ العدوان، العام ١٩٦٧ كانت حقبة جديدة من تخطيط العدو لحل مشكلته المائية على حساب العرب، وفي هذا الصدد قال تيودور هرتزل: «إن المؤسسين الحقيقين للدولة اليهودية القديمة الحديثة هم مهندسو المياه عام ١٨٨٦».

الاطماع الإسرائيلية في المياه العربية

ارتبطت أطماع اسرائيل فى المياه العربية بتحقيق أحلام الحركة الاسرائيلية في تحويل فلسطين إلى «وطن قومي يهودي» وقامت التصورات الاسرائيلية منذ البداية على استغلال المياه العربية فى فلسطين المحتلة والأقطار العربية المجاورة، لصالح مشروعات التوطين، ودعم البناء الاقتصادي والسياسى للدولة، فى عام ١٩٤٨ دأب المسؤولون الاسرائيليون على الحديث عن نقص المياه فى فلسطين وعن حاجة اسرائيل إلى الماء، لاستخدامه فى الصناعة والزراعة والاستعمالات المنزلية الأخرى، لتسويغ مطالبهم وأطماعهم، في الاستفادة من المياه المتوفرة فى الأقطار العربية.

وقد ارتبط الطلب الاسرائيلي على المياه العربية بعنصرين أساسيين فى الاستراتيجية، هما: الاستيطان والتوسع، وقد نفذت اسرائيل منذ قيامها، عدة مشروعات مائية اعتمدت بشكل أساسى على نهب قسم كبير من المياه، فى كل من سورية ولبنان والأردن، علاوة على مياه فلسطين، وفى عام ١٩٦٧ قامت اسرائيل باستغلال نهم للمياه العربية فى الأراضى المحتلة، كالضفة الغربية وغزة والجولان وجنوب لبنان، ومازالت تطمح فى السيطرة على مزيد من المياه العربية فى نهر الأردن واليرموك وفى النيل والفرات، كما فى نهر الليطاني والوزاني والحاصباني وبانياس وغيرها من المياه العربية.

فالسياسة التى تنتهجها اسرائيل تقوم على استغلال مصادر المياه العربية لصالح المستوطنين اليهود، وعلى حساب مصلحة السكان العرب، وقد أدى التوسع فى تطبيق نظام السيطرة الاسرائيلية على المياه فى المناطق المحتلة إلى خفض استهلاك السكان العرب للمياه بصورة كبيرة.

أزمة المياه في إسرائيل

بدأت معالم أزمة المياه فى اسرائيل تتضح فى أواخر



السبعينيات، فزيادة سكان المدن وارتفاع مستوى المعيشة يفرض بالضرورة زيادة المياه، واذا لم يتم الحصول على هذه الكمية من المياه، لابد من سحبها من الانتاج لاستخدامها للشرب، وهذا يعني سحب ثلث كمية المياه المستخدمة فى الزراعة «لحساب الاستهلاك المنزلي مما سيؤدي إلى إحداث تراجع اقتصادي ـ اجتماعي وسيؤثر على توزيع السكان»[٢].

ولمعالجة هذه الأزمة، كما يرى الاسرائيليون، يُتطلب تزويد الضفة الغربية وقطاع غزة بمصادر مياه من الخارج، أي أن تستولي اسرائيل على المياه الموجودة فى هذه المناطق التى تقدر بـ (٨٠٠ ـ ٩٠٠) مليون متر مكعب[٣].

كما «أن أزمة المياه هي أكثر حدة وخطراً بالنسبة للقطاع الاقتصادي من ازمة الطاقة التى كثر الحديث عنها.. لذا فإن اسرائيل تحتاج الى مجمعات مائية مقدارها خمسة مليارات من الأمتار المكعبة وذلك لتأمين ١ر٦ مليار متر مكعب سنويا»[٤]، على حد قول «حاييم لانداو. وقد بين (كوتلر) انعكاس أزمة المياه فى أوضاع المستوطنات وخاصة الجديدة منها، اذ أن أسعار المياه قد تضخمت بمعدل ٣٥٪ من العام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠م، وقد كشف كوتلر عن سرقة اسرائيل للمياه العربية فى الضفة الغربية فقال: «العرب يستهلكون فى الزراعة ١١٠ مليون متر مكعب فى الوضع الحالى، ولو جرت عملية استصلاح كل الأراضي القابلة للزراعة، لارتفع معدل استهلاك العرب للمياه لأغراض الزراعة إلى ٦٠٠ مليون متر مكعب، لهذا السبب تقوم اسرائيل بمنع زيادة استهلاك المياه لأغراض الزراعة فى الضفة الغربية وقطاع غزة»[٥].

■ إن مشكلة تزايد الضخ فى المياه الجوفية استفحلت بشكل آثار القلق فى نفوس كثير من الباحثين فى اسرائيل ودق بعضهم ناقوس الخطر يحذرون من مغبة عدم الانتباه للأزمة ووضع الحلول الناجعة لمعالجتها[٦].

ولمواجهة هذه الأزمة قررت الحكومة الاسرائيلية اتخاذ الاجراءات التالية[٧]:

ـ تقرر ايقاف ري ٢٥٠ ألف دونم.

ـ تخفيض كميات المياه المخصصة للزراعة والاستهلاك المنزلي بـ ٥٠٪ لتوفير ١٧٠ (متر مكعب).

ـ تقليص كمية المياه التى يجري ضخها إلى ٤٠٠ مليون (متر مكعب).

■ وهكذا فإن حكومات الكيان الاسرائيلي المتعاقبة قامت بتنظيم المسألة المائية ونقلها من اطروحات الخبراء ومشاريعهم إلى التطبيق العملي، فأصدرت قوانين ناظمة لاستثمار المياه هدفها جعل اليهود وحدهم يستفيدون من أكبر كمية من المياه الموجودة فى فلسطين، فقلصت عدد القرى العربية إلى ٣٥٪ بين ١٩٤٨ الى ١٩٦٣ وانخفض استهلاك العرب من مياه الري الى درجة قريبة من الحرمان الكلي ووصل إلى ١ر٩٨٪ من المجموع الكلى لمياه فلسطين، وفى العام ١٩٥٥ ألقى دافيد بن غوريون خطاباً جاء فيه: «أننا نخوض مع العرب معركة المياه وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير اسرائيل، فإذا لم نربح هذه المعركة كأننا لم نفعل شيئاً»[٨].

والحقيقة أن مسألة المياه تنغص العيش على حكام اسرائيل مما جعل هؤلاء ينكبون على وضع الدراسات لإيجاد الحلول لهذه المشكلة مما أدى بالتالي إلى:

١ ـ استعمال اساليب ري حديثة فى اسرائيل بهدف التوفير قدر المستطاع في استهلاك المياه.

٢ ـ حفر آبار على حدود قريبة من المناطق العربية بهدف توفير المياه الجوفية في المناطق الاسرائيلية.

وعلى الرغم من كل ذلك فإن مشكلة المياه لم تحل لسببين:

أ ـ محدودية موارد فلسطين المائية وزيادة الهجرة اليهودية إليها.

ب ـ عقم محاولة إيجاد صيغة تعاون مائى مع الدول العربية.

●● كل ذلك كان من أهم دوافع عدوان عام ١٩٦٧ على الدول العربية، وكانت له بالطبع نتائج مهمة على الصعيدين الاسرائيلي والعربى فيما يتعلق بالمياه.

■ **فبالنسبة إلى اسرائيل**: إن احتلال الضفة الغربية وفر لاسرائيل مخزوناً مائياً جديداً يقدر بـ ٦٥٠ مليون متر مكعب سرقت اسرائيل منه ٤٨٥ مليون متر مكعب سنوياً، أما احتلال الجولان فقد أدى إلى السيطرة على حوض الأردن الأعلى الذى يحوى مخزوناً مائياً قدره ٩٠٠ مليون متر مكعب واضافة إلى هذا وذاك أدى هذا العدوان الى جعل ٩٥٪ من أجزاء نهر الأردن من المنبع إلى المصب بيد اسرائيل.

■ **أما بالنسبة إلى العرب**: فقد فقدت سورية ١٤٪ من المخزون المائى (عدا مياه الفرات)، أما فى الضفة الغربية فقد انتقلت مسؤولية الخدمات المائية إلى الحاكم العسكري الاسرائيلي، وفي العام ١٩٨٢ صارت مؤسسة (ميكروت) مسؤولة عن الشؤون المائية، وقامت بنشاطات بهدف سرقة المياه العربية، **فحفرت السلطات الاسرائيلية بئر ماء بعمق يصل إلى** ٩٠٠ متر وبقطر ٣م ويعطي ١٨ مليون متر مكعب سنوياً مما أدى إلى انخفاض غزارة المياه فى الآبار المجاورة خصوصاً فى منطقة بيت لحم.

كل ذلك أدى إلى انخفاض نسبة العرب العاملين فى الزراعة من ٤٣٪ العام ١٩٧٠ إلى ٢٧٪ العام ١٩٨٥م، وفى غزة من ٣١٪ العام ١٩٧٥ إلى ١٥٪ العام ١٩٨٥م، مما نتج عنه انخفاض نسبة الدخل القومي للزراعة من ٤٣٫٣ فى المئة العام ١٩٧٠ إلى ١٤٪ العام ١٩٨٥، إضافة إلى انخفاض مساهمة الانتاج الحيواني فى الدخل القومي(٩).

المشاريع الإسرائيلية لسرقة المياه

للتغلب على أزمة المياه الخانقة التى يعيشها الكيان الاسرائيلي تخطط اسرائيل لسرقة المياه والاستيلاء على مياه الوزاني والليطاني والحاصباني والعديد من الينابيع الأخرى، وقد قامت قوات الاحتلال الاسرائيلي بالاستيلاء على المخططات والبيانات الخاصة بسد بحيرة الفرعون، ويستفاد من ممارسات سلطات الاحتلال الاسرائيلي أنها تنوي تطبيق سياسة احتكار المياه فى جنوب لبنان على غرار ما تفعله فى الضفة الغربية، اذ تقوم قوات الاحتلال بمنع سكان الجنوب من حفر آبار جديدة وبردم الآبار القديمة(١٠).

نبع الوزاني: يبلغ طول نهر الوزاني ١٧ كم وينبع من قرية الوزانى اللبنانية على الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية ويلتقى الوزاني مع الحاصباني ويسيران سوياً إلى داخل الأراضى الفلسطينية المحتلة حيث يشكلان أحد روافد نهر الأردن، وليس من الصعب سرقة مياه نهر الوزاني بسبب طبيعة الأرض الجغرافية وتداخل الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية في قرية الوزاني.

قامت قوات الاحتلال الاسرائيلي بتسييج أراض من الأملاك العامة والخاصة وركزت أعمدة حديدية **إلى جانب الطريق التى كانت شقتها بمحاذاة الضفة** الجنوبية لنهر الوزاني بحدود ١٢ كم، وتبدأ من الحد الغربى لنبع الوزاني وتنتهي شرقاً فى بلدة الفجر السورية المحتلة(١١).

وقامت بتعبيد هذه الطريق ووضعت الاسلاك الشائكة حولها ومنعت الأهالي من الوصول إليها ومنعت صيادي الأسماك من الوصول إلى النهر، كما حظرت على ابناء القرية الاقتراب منه بالاضافة إلى ذلك انشأت القوات الاسرائيلية جسراً فوق النهر وانتهت من إقامة التجهيزات لجر مياهه(١٢).

وقد أعلن السيد كمال خوري رئيس مصلحة الليطاني ان اسرائيل بدأت بأخذ كمية من مياه الوزاني تفوق ١٠ مليون متر مكعب، وبأن سرقة هذه المياه ستعود بالضرر على جيل كامل إذ تكفى هذه الكمية لري ٦٠٠٠ هكتار(١٣).

نهر الليطاني: يبلغ طول نهو الليطاني ١٦٠كم، ينبع من البقاع ويخترق الجنوب اللبناني ويصب شمال صور، ويسمى مجراه الأسفل بالقاسمية، حيث يقام مشروع مياه ري القاسمية، وتخطط اسرائيل لسرقة مياه من مجراه فى أراضي قرية ديرميمس لانخفاض أراضيها

عن مجرى النهر، ولأن هذه النقطة هى أقرب نقطة من الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية.

ويقدر الخبراء ان اسرائيل تخطط حالياً لسرقة ما مقداره ١٥٠ مليون متر مكعب من مياه الليطاني، وأن هذا سيسبب الجفاف والعطش فى الجنوب اللبناني ويقطع المياه الصالحة للشرب عن ٢٥٠ قرية لبنانية تشرب من مياه النهر، كما سيلحق ذلك ضربة ساحقة بالزراعة اللبنانية[١٤].

نهر الحاصباني: ينبع نهر الحاصباني من بلدة حاصبيا في جنوب لبنان ويبلغ طوله ٤٣كم منها ٢١كم فى الأراضي اللبنانية و٢٢ كم فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.

ان اسرائيل ستستخدم مياه الحاصباني لسد حاجاتها المتزايدة للمياه ولتوليد الطاقة الكهربائية[١٥]. هذا وقد انتهت قوات الاحتلال الاسرائيلية من عملية تركيب مضخات ضخمة على نهر الحاصباني[١٦].

ومن جهة أخرى فإن اسرائيل قررت استغلال الجزء غير المستخدم من خط التابلاين، الذى يمتد عبر مرتفعات الجولان السورية المحتلة الذى يبلغ طوله نحو ٥٠كم لنقل مياه نهر الحاصباني اللبناني، لأن هذا الخط معطل منذ عدوان حزيران ١٩٦٧[١٧].

هذا وذكر تقرير مصلحة المياه فى اسرائيل أنه تمت المباشرة فى تحويل مياه نهر الحاصباني إلى بحيرة طبريا خلال انابيب التابلاين[١٨].

■ وهكذا فإن اسرائيل تخوض مع العرب معركة مياه، وعلى نتيجتها يتوقف رصيد اسرائيل.. على حد قول ديفيد بن غوريون.

ويؤكد الدكتور «بويل كوبرنغ» ان نقص المياه فى اسرائيل والتوسع الاستيطاني، سيؤديان إلى اشتداد النزاع بين العرب واليهود وتكون من نتائجه تشريد السكان العرب الفلسطينيين[١٩].

ويرى الاسرائيليون أن المياه بصورة مباشرة أو غير مباشرة عامل من عوامل نشوب واشتباكات على طول الحدود، ونظرا الى أن مشكلة المياه قد ضغطت على كل دولة فى المنطقة، وفى ظل غياب تعاون اقليمي، فقد بحثت كل دولة عن الحل الأمثل بالنسبة إليها، بما يتلاءم مع المحددات المالية والمادية التى تواجهها، ويطمح الاسرائيليون إلى تعاون في المستقبل على صعيد المياه، ويعتبرون أنه إذا ما تحقق فإنه يشير إلى رسوخ السلام.

وبناء على ذلك فإن تقدم المنطقة وتطويرها ككل، وتقدم وتطوير كل دولة منها على حدة، أمور غير ممكن تحقيقها إلا بالتعاون الاقليمي بطريقة اسرائيل طبعاً، وهو ما يبدو شرطاً اسرائيلياً للسلام، رغم أنه لم يوضع بعد بشكل مباشر على طاولة المفاوضات الثنائية.

الهوامش

(١) الأرض ـ مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ـ دمشق ١٩٩٢م. ص٦٦.
(٢) حرب المياه فى الشرق الأوسط ـ حمد سعيد الموعد ـ دار كنعان للدراسات والنشر ـ دمشق، ص٩٦.
(٣) يمكن مراجعة التوصيات الصادرة عن ندوة المركز العربى للدراسات المائية فى المناطق الجافة، خصوصاً ورقة العمل التى أعدها الباحثان نبيل روفائل وشوقى إبراهيم سعد/ تشرين السوريه ٢١/١١/١٩٨٩م.
(٤) حرب المياه فى الشرق الأوسط ـ حمد سعيد الموعد ـ دار كنعان ـ دمشق، ص٩٨.
(٥) هارتس ١٩٧٨/٤/٢٧ مقال بقلم إيلي المعاد، تحت عنوان «الجدال حول المياه».
(٦) دافار ١٩٧٨/١١/٢٦ مقال بقلم ارنون ماجن بعنوان «حل مشكلة المياه».
(٧) حاييم لانداو «ضائقة المياه تزداد حدة» علهمشار ١٩٧٩/٨/٢٤.
(٨) الغزو اليهودي للمياه ـ الأرقم الزعبي ـ دار النفائس ـ بيروت ١٩٩٢.
(٩) المرجع نفسه.
(١٠) السفير ١٩٨٤/٦/٩، من تقرير برنامج الأمم المتحدة للحفاظ على البيئة.
(١١) القدس ١٩٨٤/٨/٢٣.
(١٢) السفير ١٩٨٤/٨/١١.
(١٣) القدس ١٩٨٤/٨/٢٣.
(١٤) رصد اذاعة صوت الجيل ١٩٨٤/٨/١٩.
(١٥) الرصد الاذاعي، صوت الجيل ١٩٨٤/٨/١٤.
(١٦) السفير ١٩٨٤/٦/١٩.
(١٧) السفير ١٩٨٤/٨/٣١.
(١٨) البعث ١٩٨٤/٨/١٦.
(١٩) [illegible] ١٩٨٣/٦/١٨.

فارس الأمل

الشاعر محمد سمير جعارة

قراءة فى ديوان

أيمن ميدان - مصر

فى الثامن من ديسمبر عام ١٩٨٧ خرج المارد من قمقمه ليضرم النار - نار الانتفاضة المقدسة ضد العدو الصهيونى الجاثم على ثرى فلسطيننا، ومع انطلاق المارد يعصف كل ما يعترض مسيرته، ومع توهج نار الانتفاضة رفرف طائر الأمل الذى كان حبيسا فى صدورنا، وراح يأتلق فى أفقنا المظلم ضوء خافت يؤذن بمولد فجر وانمحاق ظلمة.

مجموعات من الأطفال العزل فى سنى عمرهم الأولى فى بقاع أرض فلسطين المغتصبة لا سلاح لهم الا ايمانهم بصدق قضيتهم وعدالتها، يواجهون بصدور عارية وحجارة ملقاة هنا.. ومبعثرة هناك جيشا مسلحا بأحدث الأسلحة تقنية وفتكا ودمارا، ضاربين بفعلهم هذا أنموذجا أمثل يحتذى، منتزعين اعجاب ودهشة العالم.

ومنذ اندلعت انتفاضة أطفال الحجارة وحتى يومنا والشعر المواكب لها والراصد لأحداثها وجبة يومية تحتضنها صحفنا العربية، ويتابعها القارىء فى كل أصقاع وطننا العربى الكبير بلهفة.. مؤكدا مدى استيعاب وجدان الشعب العربى - من المحيط الى الخليج - لأهمية الانتفاضة وضرورة دعمها كى تستمر عملاقة كما بدأت.

ووسط هذا المناخ يأتى ديوان الشاعر السورى محمد سمير جعارة «فارس الأمل» ليواكب الانتفاضة مواكبة ابداعية حارة، وليثبت الشعر - الى جانب الأجناس الأدبية الأخرى - أن الأدباء العرب كانوا - دائما - فى طليعة الثائرين فى وجه المحتل.

وفى هذا الديوان تتبلور - وبوضوح - رؤية الشاعر محمد سمير جعارة لجوانب القضية عبر محاور ثلاثة مضفورة فى خيط واحد معلق مشدود:

أولها: المعاناة التى لاقاها فلسطينيو الأرض المحتلة، وكانت المفجر الأول لفتيل الانتفاضة.

ثانيها: صمود هذا الشعب واصراره.

ثالثها: حتمية بزوغ الفجر وانمحاق الظلمة..

والسابح فى لج هذا الديوان سوف يلمس أن المحورين الأخيرين هما الأكثر دورانا على لسان الشاعر والحاحا على وجدانه، ولكنها هيمنة كمية

وليست كيفية، اذ لم يستطع المحوران الأخيران أن يمحقا المحور الأول، بل ظل كائنا فاعلا نكاد نرمقه فى كل مقطع، يطالعنا كخلفية لها دورها المؤثر الفعال وان بدت شاحبة الملامح . . باهتة الألوان.

هذا ولم يدخر محمد سمير جعارة وسعا كى تأتى قصائده معبرة ـ وبدقة ـ عن آلام هذا الشعب . . معاناته . . طموحاته وانكساراته، فراح يحشد كل ما من شأنه من أدوات فنية وأساليب ـ أن يحقق تلك الغاية . . ورغم أن القارىء لديوانه «فارس الأمل» يفاجأ بهذه النبرة الزاعقة الأكثر جهرا مما يتطلبه الفن الشعرى المرهف الا أن القراءة المتأنية تشى بأنه جهر تفرضه طبيعة القضايا المتناولة والاشكاليات المعالجة . . وتشى أيضا بأنه شاعر مسيطر على أدواته، ولغته، قادر على ترويض العبارة بما يفى بمضمون النص.

على ان أهم ما يتسم به هذا الديوان أنه برغم حداثة لغته وبنائه غير معقد أو مترهل، وذلك ـ فيما أرى ـ انعكاس لاختمار تجربته وعدم ابتسارها قبل نضوج ثمرها.

وشاعرنا يعبر عن مأساة هذا الشعب دون مبالغة فى العاطفة أو ترهل فى العبارة، لأنه يصدر عن واقع ماثل، ولا تغريه من الرومانسية الا شفافيتها، فها هو ذا يصف ـ وبلغة مكثفة موحية ـ ما آل اليه مواطنو فلسطين:

فتشنا عن قطرة ماء
عز الماء علينا
فتشنا عن حلم
عز الحلم علينا
أصبحنا بين صباح ومساء
ندعى: أبناء الوطن المحتل

■ وأما أساليب القهر المتنوعة التى راح يمارسها الجنود الاسرائيليون ضد الفلسطينيين من قتل وتشريد ومصادرة وهدم للمنازل وفرض الاقامة الجبرية وحظر التجوال، وهم آرام مفطورون على الركض فى البيداء، تصبح الانتفاضة حتمية تاريخية لا مفر من تحققها، فلننظر كيف صاغ محمد سمير جعارة هذا المعنى قائلا:

لم يبق لنا الا
أن يقف على قدميه
وأن يخفق بجناحيه
العصفور المبتل . . أن يشتد
وأن يحمل حجرا
يشتق الحرية منه
ويرجع للأرض أغانيها

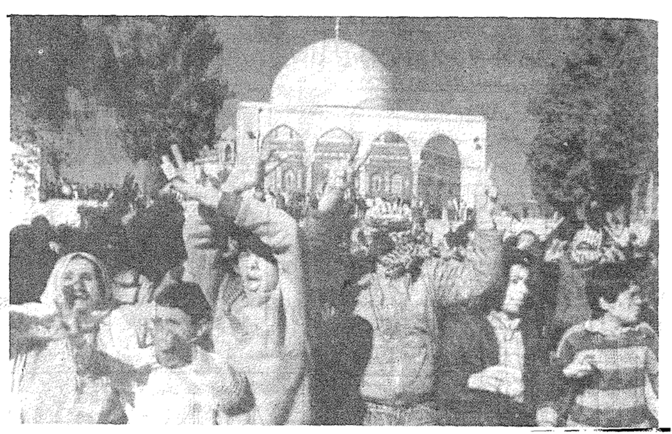
■ ولم يقف الأمر عند الانتفاض والثورة، بل تعداه الى تهديد المستوطنين الجدد الذين استجلبوهم من أصقاع العالم بكل السبل المشروعة وغير المشروعة، كى يزرعوهم شوكة فى ظهر الانتفاضة . . فيقول على لسان طفل من أطفال الانتفاضة:

لن يهدأ الطوفان . . لن يهدأ
فالجـــأ . .
وليس لغاصب ملجـــأ
الجـــأ فيومك أنت تعرفه
من سيىء يمضى . . الى أسوأ

■ وفى قصيدة «وتحدينا الزمن» ص ٩٠ يقول:

أيها البائع أرضك . .
أيها الخائن شعبك . .
أيها الأفاق من أين أتيت؟
هذه أرض العرب
وستبقى حرة لا تغتصب
والذى تزرعه اليوم . . غدا تحصده
فانتظـــر . .
سوف يلاقيك الغضب

■ ولما كان ما أقدمت على ارتكابه اسرائيل ـ ولا زالت ـ جريمة اغتيال وطن، واغتصاب كرامة، وتذويب هوية، وسرقة شمس من أفق، وحلم من وجدان . . فلم يجد لمجابهتها لطم خد أو نبش وجه، أو ـ حتى ـ ذرف شلال دمع، ولن يخفف من حدة أثرها فى النفس تعلل بقدر أو تسل بحكمة . . ومن هذا المنطلق الواعى بطبيعة الجريمة وأبعادها وتداعياتها



راح الشاعر محمد جعارة من خلال الحوار المتكيء على الاستفهام يقرر:

لم لا نحزن ؟
لا وقت لدينا للحزن
لم لا نبكـــى؟
أعيننا جفـــت . .
لم يرفع عنا الدمع الذل
طويلا . . . أرسلنا الدمع
ركضنـا خلف ســراب
بددنا الأعمار بثرثرة . . . وعتاب . . .
. . .
. . .
اليوم . . مضى زمن الأقوال
واليوم . . أتى زمن الأفعال

■ على أن ثمة مواقف تتباين فيها أحاسيس الشاعر بين الغضب المكبـوت الـذى يتشـح أحيانـا بوشاح السخرية، وبين الحزن الغامض والأسى الدفين فى مكمنـه خلف الضلـوع، فلننـظر اليه وهو يقول فى قصيدة له بعنوان: «وتحدينا الزمن»:

زمن . . ترهقنى فيه الجراح
دميت فيه عصافيرى، وأعطى
شجرى الضارب فى النور
لأعداء الصباح . .
شجر يقلع من تربته
وبلاد تستباح !!
زمن يأخذ من بين يدى . .
وردتـــى . . .
من شفتى . . . أغنياتى
من سمائى قمرى . .
يأخذ سقفى وجدارى
زمن يأخذنى فيه يهود الأرض
فى عـــز النهار !!

■ ولم يقف الغضب الكامن لدى الشاعر محمد سمير جعارة عند هذا الحد، بل مزق كل الأسوار المضروبة حوله، وراح يقسو على نفسه، مستهزئاً بها، ساخرا منها، فها هو يقول:

زمن . . أى زمن ؟
هكذا واعربـــاه
ملء ســمع الأرض
يغتـال وطـــن



● غلاف ديوان فارس الامل

زمن . . أى زمن !!
سأسميه غيابا . . أو شجن
سأسمى صمتى الممتد . . خوفا
وانتظاراتى . . كفن

■ ويختتم هذه المقاطع الشديدة الوقع بسؤال يكاد يقتلع القلب حزنا وكمدا على ما آلت إليه فلسطين والقدس (عروس المدائن) اذ تطأ أديمها الطاهر أقدام برابرة هذا العصر الدنسة، والوطن العربى والعالم تمثالان أبكمان. . . يأتى دالا على قوة الانفعال بمأساة فلسطين وحدة غضبه، فيقول:

ما الذى يبقى لدى؟!

ولولا النثرية التى هبطت بالمستوى الفنى، ودلت على شحوب التصوير فى المقطع الأخير لجاء هذا المقطع متساوقا ـ أداء وصياغة وعمق أثر ـ مع المقاطع السابقة. . فلننظر كيف جاء حديثه مباشرا، مسطحا:

نحن أبناء الوطن
هذه أرض فلسطين . . .
ثراها فى دمانا . .
نحن أقسمنا . .
لنا أرض فلسطين . .

وليست لسوانا
وهوى أرض فلسطين هوانا
ورؤى أرض فلسطين رؤانا
و . . . تحدينا الزمن

■ أما المحور الثالث من محاور هذا الديوان فيتجسد فى استنبات ارهاصات فجر، ونقش أمارات مستقبل مشرق يبدو أكثر طواعية يحدوه أمل كبير يمنحنا روحا متجددة قادرة على أن تمحق هذا المد السرطانى الذي راح يستشرى فى نفوس البعض بسرعة، وتجدد أحلامنا، وتقربنا ـ ولو خطوة ـ صوب آمالنا مع كل حجر يقذف به طفل فى سن الزهور فى غزة والقدس والناصرة والكرمل. . . ومع كل قطرة دم تنزف من جسد طاهر هنا، أو مزقته رصاصات برابرة العصر ـ الصهاينة ـ هناك، فلننظر كيف استطاع «جعارة» توظيف أدواته الفنية كشاعر ليصوغ هذا المعنى شعرا، فها هو ذا فى المقطع الرابع من قصيدة «نشيد الانتفاضة» ص ٤٥ يقول:

المدينة مثقلة بالجراح
المدينة . . . مثقلة
غير أن الكفاح
كل يوم يضيف شعاعا . .
يضيف شهيدا . . . الى أفقها . .
فيضىء الصباح

■ وفى قصيدة أخرى بعنوان «نشيد الأرض» ص ٣٢، يبدو ـ جليا ـ مدى ثقته فى النصر المؤزر وقد بدا قاب قوسين أو أدنى، وهى ثقة تعكس ايمان الفتى الفلسطينى بقضيته واعتقاده الراسخ بعدالتها. . فهم ليسوا مرتزقة حرب، أو محترفى حرب عصابات، بل مدافعون عن أرض تتمدد فى شرايينهم، وتمرح فى وجداناتهم فها هو يقول:

وأومن أن البلابل . .
ستبقى تغنى . .
. . وأن السنابل . . ستبقى تطول
وأومن . .
طوفاننا عارم الأخذ . . شامل

وأطفالنا ثائرون
ونسوتنا الثاكـــلات
سيهزمن عسـف الطغاة
وأومن أن الظلام . . سيرحل
والفجـر . . آت

■ اتكـأ الشاعر على عدد من الأساليب والأدوات لفنية فى بنـاء قصيدتـه، من بين هذه الأسـاليب: لتكرار والتضمين وتراسل الحواس. . هذا الى جانب المفارقة التصويرية والتشخيص والتجسيد والتجريد، وتوظيف الموروث.

ففى قصيدة «تشرين . . . لم ينته المشوار» ص١٩ كرر الشاعـر التركيب الآتى: «يحدثنى الحب: آن الأوان. . فى بداية كل مقـطع من المقـاطع الخمسة التى تكون نسيج القصيدة. . لتأكيد معنى واحد مع تنويع الصور، ايمانا من الشاعر بدور الشعر الملتزم بقضايا أمة ينتمى اليها فى تفجير الطاقات الكامنة فى نفوس البشر، سعيا الى التحرر، وثورة فى سبيل اقامة العـدل، فلننـظر كيف استفـاد الأستـاذ جعارة من توظيف هذا التركيب:

يحدثنى الحب: آن الأوان. .
لكى يتفتح فينا البنفسج والأقحوان
لكى يهزم الليل صوت الصباح
وتشرق شمس العرب . .
علـى صدر هذا الزمان . .
هـوى أو غـضـب

*** * ***

يحدثنى الحب : آن الأوان
لنحمل أقدارنا . . . ونسير . .
الى نصرنا . . أو . . الى موتنا
فى سبيل التراب

*** * ***

يحدثنى الحب: ان الصعاب
تهون أمام الهوى الجارف
وأن الضباب . . . تبدده صيحة حرة
تصاعد من جرحنا النازف
وتزهر فى حلمنا الوارف

■ وقد استخدم الشاعر التضمين فى الأغانى الشعبية الفلسطينية التى يرددها الأطفال فى أزقة غزة وحوارى دير ياسين وصابرا وشاتيلا، ففى قصيدة «يافلسطين» استعار أحد مقاطع أغنية شعبية فلسطينية فقال:

سنظل نقاتل من أجل طفولتنا
من أجـل الخبز اليومى . .
من أجل أغانينا . .
«يافلسطين . . جينا لك
جينا . . وجينا . . جينالك . .

■ هذا وقـد اتكأ على المفارقة التصويرية كأهم أداة فنية قادرة على اظهار طرفى الصورة المتناقضين ـ أيما تنـاقض ـ وانتـزاع العبرة والمغزى. . فها هو ذا من خلال ملمـح تصويرى بسيط جدا، نستشف مدى الهـوة الشاسعة بين قوتين غير متكافئتين، أطفال فى سن الزهور يواجهون بصدور عارية وأحجار مبعثرة هنـا، متنـاثـرة هناك يحدوهم ايمان بصدق قضيتهم وعـدالتها عدوا مسلحا بأحدث وأعتى وأفتك ما فى الجعبـة الصهيونية العالمية من أدوات فتك ودمار. . فلننـظر كيف عبر عن هذا الموقف من خلال ملمح تصـويرى بسيط فى أدواتـه عميق الـوقـع والأثـر والايحاء. . فقال:

ما الذى يحدث الآن ؟!
ما المســألة ؟!
ســأقول لكـــم :
انهـــا ســنبلة . .
خرجت تتصدى لفاشية القنبلة

■ وفى النهـاية: كانت تلك رحلة عبر آفـاق ديوان «فارس الأمل» للشاعر السورى «محمد سمير جعارة» الذى اتخذ من الانتفاضة دوافع وأحداثا وحلما ـ حلبة له ونقـطة انطلاق، ومما لا شك فيه أن قصائد هذا الديوان سوف تتبوأ مكانا راقيا بين أشعار الانتفاضة مشيرة الى أن الأدباء العرب كانوا ـ دائما ـ فى طليعة الثـائـرين فى وجـه برابـرة هذا العصر مؤكـدة على استيعاب الشعب العربى ـ من المحيط الى الخليج ـ لأهمية الانتفاضة وضرورة دعمها واستمرارها.



الاديب الرائد حسين سرحان
١٣٣٢ - ١٤١٣هـ

في مكة المكرمة كان مولده . . في هذا البلد الآمن نشأ وتربى، في هذا البلد الطاهر ارتوى من كل معاني الخير والود، بل فيها نهل علماً ومعرفة، وفيها ان الحياة طويل مراسها، صعب تسنمها، عسير قيادها . . ولكنه رغم كل هذا أخذ بقيادها، وعاش بين الناس طيب القلب، حسن السيرة، جميل الطبع، نقي السريرة.

وفي مكة المكرمة كان رحيله . . جاء إلى هذه الدنيا في صمت وهدوء . . وخرج منها في صمت وهدوء . . وهكذا كان طبعه.

وفي ذاكرة الزمن، وفي ذاكرة الأجيال حفر اسمه وذكره، وأيضاً في هدوء وصمت . . من غير جلبة أو ضجيج . . يقول القصيد، فيذهب قوله بين محبي القصيد رائعاً نديا، نعم . . يخرج من القصيد من غير ضجيج أو جلبة، لكنه سرعان ما يهز متلقيه، بل سرعان ما يستفز فيه جملة أحاسيس يبقى دائم التلمس لها في اركان حياته.

ويكتب الجملة الناقدة، وأيضاً في هدوء من غير ضجيج أو جلبة، ولكن سرعان ما نجد قوة وقعه بين رواد الكلمة والمتعاطين لفنونها.

هذه دنيا الفقيد الراحل حسين بن علي بن صويلح بن سرحان انها دنيا الهدوء الذي تموج في أعماقه الحيوية والحركة النشطة ـ يقول في داخله الكثير الكثير الكامن وراء جدران الصمت، وان شئت فلتقرأه مختزلا في بيت من قصيده.

الفقيد الراحل، الأديب الرائد حسين سرحان، علم من اعلام الريادة الفكرية والثقافية والادبية في هذه الربوع الطاهرة . . وظاهرة انسانية تستحق الدراسة . . رحم الله الفقيد، وأحسن إليه، وأسكنه فسيح جناته . . وألهم آله، ومحبيه الصبر الجميل.

وإنا لله وإنا إليه راجعون . .

مجلة شهرية

ذات أداء متخصص

تعنى بشئون وثقافة المرأة

العدد «٧٢»

الطفولة الدهشة والتطلع

● الحياة الزوجية الحكيمة تمثل القيمة العليا لتربية أجيال الغد.

● الشعر العربى حفل بفريضة الحج باعتباره نمطا روحيا يثري الحياة.



فى هذا العدد

● بيننا كلمة ١٤٢

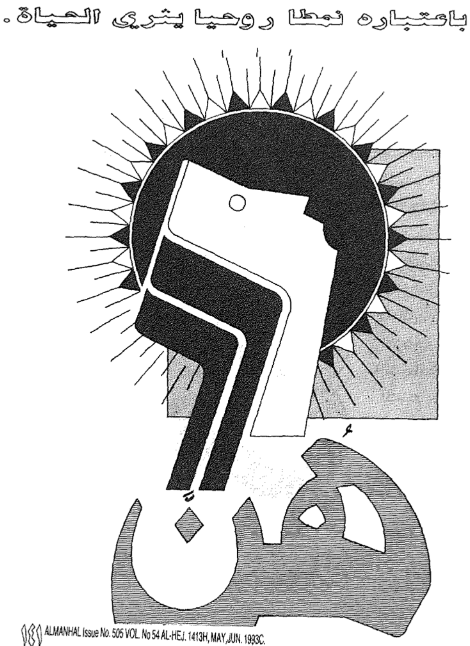
● الحج فى القصيدة العربية ١٤٤

● إلى السيدة الجميلة. ١٤٨

● أوراق زوجية. ١٥٠

.. عزيزتي القارئة

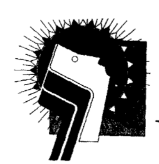
مرحباً بمشاركاتك فى (هن) وعلى طريق الكلمة الهادفة والفكرة النيرة نلتقى.



الحياة

الحياة الزوجية كيان يخلقه اثنان، ويسعى اليه كل من يود ان يستثمر عمره وكيانه لكي يتواصل عطاؤه بشكل مكثف وملموس يتطور مع الزمن في إطار الشرعية وتحت ضمانات عديدة للطرفين تضمن لكل منهما حقوقه وواجباته والتزاماته بما هو معروف لدى الجميع.

كيان تتوق اليه الفطرة السليمة فى نفس كل فتاة وينجذب إليه الحس السليم فى اعماق كل فتى حتى اذا ما تعودت القافلة على المسير فى طريقها المعتاد.. وتكررت في اجواء الأسرة كل السلوكيات المعتادة فى الشرق والغرب، «وإن اختلفت الشكليات» هدأت المشاعر وتبلورت الى مودة ورحمة لتعطي اهتماماً اكثر اعتدالا وتركيزا لأجيال اخرى احتلت الإهتمام القديم.. واتسعت الدائرة لتشمل اعداداً اكثر ومسؤليات اكثر أهمية ومتطلبات مادية اخرى لا تنحصر فى اثنين فقط بل تشمل من هم اكثر احتياجاً للعناية والرعاية.. وبمرور الوقت.. قد تنسى الزوجة ان هناك من يحتاجها رغم مشاكلها ورغم انشغالها يحتاج منها الى الكلمة الحانية والشعور المتجدد بالمحبة والاهتمام القديم، وقد ينسى الزوج ايضاً ان زوجته شريكة العمر.. لا تريده فقط «ممونا» للبيت ولا ترى فيه فقط المصدر المالي للدخل الأسري، انها تحتاج الى اكثر.. الى ما عهدته من مشاعر واهتمام ومن عطف قد ينسى كل منهما الآخر.. وقد تتفاقم المشكلة اذا اطرد وتعمق الاهمال بمرور الزمن.. بالتعود على عدم الاهتمام ببعضهما.. حتى يغطي الجليد ببرده الصامت تلك المشاعر وتلك الحيوية.. وقد تكتشف الزوجة ان



بقلم: هند احمد هرساني

شركة

مشاعر زوجها قد ذوت الى الأبد.. وأصبحت غاية أملها ان يوفر ماديات الحياة لأسرته ويترك مشاعره بعيداً عن طموحهم يكفى ان يؤدى دورة كرب للأسرة مسؤول عن «الإعاشة» ومسؤول فقط عن «التموين».

هنا تبرد المشاعر، وربما تموت أو تتخذ شكلا روتينيا لا حياة فيه ولا تجديد. لكن المشكلة كل المشكلة.. اذا وجد كل منهما «آخر» ليعطى له مشاعره القديمة المملوءة بالعنفوان والحيوية والتجدد.. المشكلة كلها عندما تتوهج المشاعر مشاعر الزوج بعد خمود طويل لشخص آخر.. غير زوجته حبيبة الأمس.

والأصعب من هذا أن تكتشف الزوجة هذه الانتكاسة فى حياتها الزوجية فى الوقت الذى لا معز لها فيه. إذن، لا منفذ ولا حل.. سوى الصمود والصبر كي لا يهدم البيت وكي لا تتشتت نفوس بريئة لا ذنب لها.. وتستمر الرحله ولكنها تقتل كل يوم احساس الثقة والأمان والكبرياء فى نفس الزوجة.. وهى تكتشف نزوة جديدة.. مقامرة فى غير وقتها وطعناً فى اخلاص الزوجية.. المحتضر..

قد ينفد صبرها الى مواجهة شائكة تنحسر فيها وتتمزق كل الروابط بينهما.. وتتلاشى الطمأنينة ويختفى الانسجام فى لحظة.. وتنتهي مرحلة غالية من العمر لتبدأ أو ليبدأ هو رحلة مجهولة محطمة خالية من الثقة، قد يكون هذا هو العلاج لكنه علاج فاشل ومكلف لايترك إلا مزيداً من الغصة والألم كلما تطرق إليه وحوله سؤال.

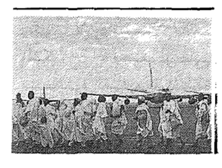
وضع شائك أن تصدم الزوجة بخيانة الزوج أو لنقل بصورة أخرى أن تكتشف أن مشاعره ليست ملكاً لها بعد الآن.. وانها مجرد امرأة ستؤدى له واجباته والتزاماتها نحو الأطفال والبيت.. دون مقابل.. فيبقي عليها.. لا حباً فيها ولكن كى توفر عليه التزامات اخرى ومتطلبات اكثر.. فى حال اذا خرجت من منزلها.

احساس مهين يمزق كبرياء كل امرأة يتجاهلها زوجها.. ويتنكر لها.. ويتحدى ضعفها.. ويتناسى ماضيه معها.. ليترك مسؤولية لابد أن تؤديها وواجبات لابد أن تتحملها هى وحدها.. للأسف لا مجال للاختيار.. فإن أى امرأة حريصة على هذه النفوس البريئة تقبل ان تظل بحنانها ووفائها وعطائها لهؤلاء الابناء.. لتصل بهم الى شاطىء الامان حيث يبدأون سيرهم للمستقبل وقد قويت سواعدهم وتهيأوا لمعترك الحياة وممارسة الواقع.. وتمضى الرحلة بشكل يبدو طبيعياً لكنه يخفى الكثير من الآلام.. تلك الآلام هى اولى مراحل التحدي.. فى الطريق الطويل.. حيث تنصهر المشاعر لتتبلور بشكل جديد اكثر قوة واشراقاً مشاعر حب وتضحية من أجل الابناء.. لا مشاعر فى هذا القلب الكبير لغيرهم.. يكفى ان يكون فى القلب الأبناء فقط حباً وحرصاً وحناناً، يكفى منهم ثمرة وفاء ستعلن عن وجودها عندما يحين الوقت وتشرق المشاعر قوية لا ينال منها مرور الأيام ولا تغيرها نزوة، طائشة تظل مشاعر الأمومة اكرم المشاعر ويظل وفاء وبر الأبناء خير الجزاء لكل أم ارهقتها رحلة الكفاح من اجلهم..

هذه الأم.. حولت هزيمتها الى انتصار.. وألمها الى أمل وطموح للمستقبل الذى سيورق جمالا وعرفاناً.. بعيداً عن الخيانة.. حيث تجف مشاعر الزوج وتذبل عاطفته وتنتهى.. ولكن دائماً هناك بالأمل بقية نطمع فيها.



- قصائد مهدي
- فؤاد شاكر دعا
قطاف بخياله.
- ياسر فتوى ا



فى الحج يجتمع المسلمون من شتى بقاع الارض، ركابا ورحالا، يجتمعون وهم أجناس وألوان ما جمعتهم مصالح خاصة، ولا مغانم زائلة، تركوا أموالهم وأولادهم ومصالحهم من أجل الحج، فهو الركن الخامس للاسلام كما ورد فى الحديث الشريف (بنى الاسلام على خمس.. شهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا)، لذا يجتمع المسلمون على غير نسب بينهم إلا النسب لهذا الدين الذى جمعهم على اختلاف ألوانهم وألسنتهم فى موقف مهيب، هذا الموقف الذى انعكس وهجه وجلاله على الشعراء وشعرهم، فكان ديوان الحج اية فى الجمال والابداع.. وما أجمل من شوقى وهو يصور مشهد الحج الذى جمع الناس على اختلافهم فيقول:

لك الـديـن يارب الحـجـيـج جمعتـهـم
لبـيـت طهـور السـاحـة والعـرصـات
أرى النـاس أصنـافـا ومـن كل بقـعـة
إلـيـك انـتـهـوا من غربـة وشـتـات

الالتزام الديني

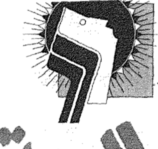
وإذا كان شوقى قد عبر عن الحج بكلمات حديثة ومعان لغوية تقليدية، فإن الشاعر السعودى مهدى سويدان تميزت قصيدته (لبيك من يكشف الضرر) بما نطلق عليه مصطلح الالتزام الدينى، والى جانب ذلك نلمس بوضوح أثر ثقافته الاسلامية فى كل الجوانب الفنية لتلك القصيدة، فجاء أسلوبه متأثرا إلى حد كبير بالآيات والأحاديث القرآنية التى قيلت فى الحج مثل قوله (يافوز من عاد لا فسقاً ولا جدلا) وقوله (من كل حدب أتى لله ممتثلا) متأثراً بالآية الكريمة (يأتون من كل فج عميق) لذلك جاءت قصيدة الشاعر سويدان خاشعة جامعة لكل أركان الحج يقول فيها:

طوبى لمن حج بيت الله واعتمرا
وطاف سبعا وفى إحرامه اتزرا

يا فوز من عاد لا فسقا ولا جدلا
يا سعد من فمه قد قبل الحجرا
وعانق الركن بالكفين ملتزما
مناجيا من يرى ما جل أو صغرا
وبالمقام مصلى يستجاب لمن
لله أخلص فى نجواه دون مرا

اقتباس النصوص

■ وفى نفس السياق تقريباً جاءت قصيدة الشاعر العربى السعودى فؤاد شاكر «الحج الى بيت الله الحرام» وفيها يحتفى بهذه الفريضة المباركة بكلمات مقتبسة من القرآن الكريم فى موضع، ومن السنة النبوية فى موضع آخر. وليس المقصود بالاقتباس من القرآن الكريم هو تقليده فى طريقة معالجته للقصيدة وموضوعاتها وهذه ميزة تحتسب للشاعر المتمكن سواء



اعداد: هيام فتحي دربك ـ مصر

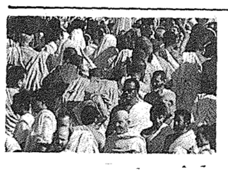
في القصيدة العربية

ن وصفية، وفاضل خلف تأثر بالقصص القرآنى.

حدة الاسلامية.. ومحمد عايش لم يستطع الى الحج سبيلا.

ر اللغة القديمة، ورفعت المرصفي لغته غنائية.





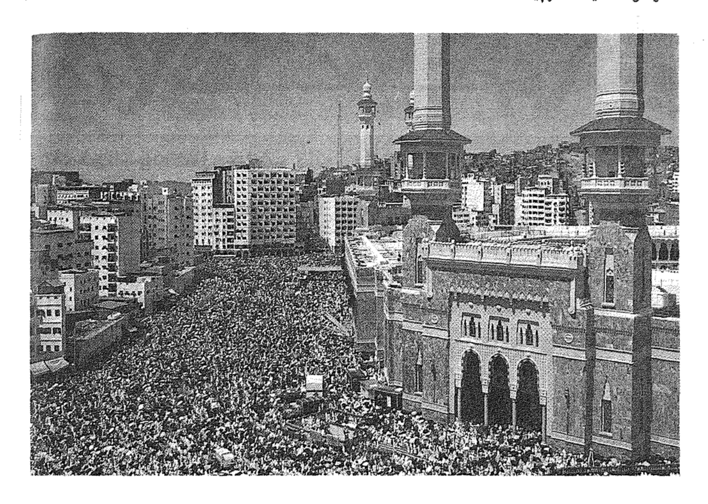
... ذلك بالتنشئة أم بالثقافة ـ من المفردات الاسلامية نصاً وتفسيراً، ونحن أمام قصيدة تميزت بالاقتباس وقد وفت بالغرض الدينى كاملا إلى حد الابداع، وذلك إلى جانب المفاهيم التى عرضها عن حكمة الحج حيث إنه وحدة كبرى للمسلمين (بها الوحدة الكبرى هنا تتجاوب) يقول الشاعر فؤاد شاكر:

أهلت بأفواج الحجيج المواكب
وخفت إلى البيت الحرام المناكب
تدانت بهم من كل صقع محافل
وفاضت بهم من كل حدب نجائب
مشاة، وركباناً على كل ضامر
فمن كل فج أدرك الحج طالب
تلاقت على صدق العقيدة أخوة
يؤلفها من صادق الرأى صائب

قصيدة عمودية جميلة

■ ومازال ديوان الشعر العربى المعاصر يحتفى بهذه الفريضة المباركة بقصائد شعر عمودى رائع طالما نفتقد اليه الآن، ولكن يبدو أن الحج كما هو وحدة للمسلمين لا فرق بين غنى وفقير ولا بين رئيس ومرؤوس فالجميع بزى واحد يتوجهون لرب واحد، لقبلة واحدة، كذلك جاءت القصائد التى تعبر عن جلال هذا الموقف.

ونحن هنا أمام قصيدة رائعة للشاعر (فاضل خلف) بعنوان (الحجيج الى عرفات) وإلى جانب ثقافة الشاعر الدينية البينة فقد تميزت قصيدته بالدعاء والأبيات القصصية المستعارة والمستوحاة من القصص القرآنى التى استعان بها الشاعر فى ثنايا قصيدته، علماً بأن توظيف القصة فى القصيدة العمودية يحتاج الى تمكن الشاعر من المفردات اللغوية المنسوجة فى سياق شعرى جديد على النحو التالى:



وتسامت أم القرى بنبيّ
عربى وهاشمى السمات
ومضت تنشر الضياء وكانت
مشعلا للأنام فى الظلمات
ثم أهدت ليثرب من سناها
فتجلت فى أنصع الصفحات
صفحات فى المشرقين ضياء
وهى فى المغربين نور الحياة

أشواق وخيال

■ ويعبر الشاعر محمد عايش عبيد عن حال المسلم الفقير الذى يهفو قلبه الى الحج ولكنه لا يملك المال الكافى، فجاءت القصيدة فى نصفها الأول معبرة عن شوق الشاعر إلى البيت العتيق والطواف مع الطائفين وتقبيل الحجر، وعندما يصل الى السبب الذى منعه من الذهاب «الفقر» يسترسل فى عدة أبيات لاعنا الفقر مبتعداً بعض الشىء عن موضوع القصيدة وهو شوقه الى الحج، ثم يعود فى النهاية ليدعو ربه أن ييسر له السبيل ليقف على عرفات ويؤدى الفريضة يقول:

قلبى الى البيت العتيق يحن شوقا كى يراه
تأتى شهور الحج يبغى أن يطير الى رباه
ليطوف بين الطائفين مهرولا تعدو خطاه
ويقبل الحجر الذى تقبيله عز وجاه

■ وفى مقطع آخر يعتب على الفقر الذى منعه من الذهاب للحج، يقول:

الفقر يمنعنى الوصول الى حمى بيت الإله
إنى كرهت الفقر إذ فيه المذلة للأباه

الدعاء والابتهال

■ وعلى عكس قصيدة عبيد حيث اللغة السهلة الحديثة تأتى قصيدة الشاعر ياسر فتوى (فى عرفات

الله) حيث الكلمات الفصحى القديمة والأبيات المحكمة، وقد تميزت القصيدة بالدعاء في أكثر من موضع مما أضفى عليها إحدى أهم سمات الشعر الاسلامي القديم الذي كان الدعاء عنصراً أساسياً فيه، فقد تفنن الشعراء الاسلاميون في أدعيتهم وابتهالاتهم الدينية، بحيث نقلت عنهم عبر الزمن فصارت أدعية مستقرة، مستقلة عن القصيدة نفسها، يقول الشاعر:

لك لبيك الله يا مرتجانا
وسعتنا بعفوك الرحمات
لك ندعو اللهم يخضل نبض
في دمانا وتزهر الدعوات
وبهذي القلوب يارب جئنا
حشدا والدموع مبتهلات
أثقلتنا ذنوبنا فطمعنا
برضى منك، والرضى أمنيات

بشرى للحجيج

■ ومن وصف الموقف المهيب، والحكمة منه، والدعاء إلى الله، والتعبير عن الشوق واللهفة إلى البيت، يصل ديوان قصائد الحج الى زف البشرى بعظيم الأجر والثواب، يقول الشاعر رفعت المرصفي مذكراً حجاج بيت الله والواقفين بعرفات ان لهم ثواباً وأجراً عظيما، يقول الشاعر في قصيدته **(أشواق .. الى البيت العتيق)**.

حجاج بيت الله طابت رحلة
أنتم عليها أنجم ولآلى
فإلى «العتيق» تهون كل نفائس
والى «العتيق» يشد خير رحال
بشراكمو.. يا من سعيتم لنحوه
أنعم بهذا السعي من أعمال
بشراكمو.. يا من قصدتم حجة
فحظيتمو بالوصل والآمال



غسل القلوب

«لبيك يا رباه جئتك خاشعاً» كهذا يعبر كل حاج عن حاله عندما يلبي دعوة ربه لقضاء فريضة الحج، ويخطو الحاج الى ربه خطوات ذليلة ويعلن ندمه على ما فاته، ويتضرع إلى الله طالبا منه التوبة والقبول.

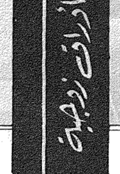
وقد عبر الشاعر محمد على جمعة الشايب في قصيدته «لبيك يارباه» عن هذه المعاني، يقول:

لبيك ياربـاه جئتـك خاشعـاً
تسعى إليك ذليلة خطواتي
الدمع سال من المآقي توبة
ومن المخافة والرجا خلجاتي
ما كان من عهد العماية قد مضى
بمحبتي لك قد علقت نظراتي
ان الحياة وإن تمد حبالها
هي كالسراب بموحش الفلوات

حال المسلمين

■ وأخيراً .. نحن في «الحج» أمام كل المعاني السامية، فحين يقف المسلم هذا الموقف، ويزور تلك الديار المباركة فيفيض دمعه أسىً لما يرى من حال المسلمين، ويتذكر عند قبر الرسول الكريم عزة الاسلام وقوة المسلمين ومن أبلغ من شوقي في تجسيد هذه المشاعر والمعاني عندما يقول:

إذا زرت - يامولاي - قبر محمد
وقبلت مسرى لأعظم العطرات
وفاضت مع الدمع العيون مهابة
لأحمد بين الستر والحجرات
فقل لرسول الله: يا خير مرسل
انسكب ما تذرى من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف في عميق سبات



أبو عــواد

٦٠١ ـــــــــ أبو عــواد

بعض الكتاب يرون أن أسهل الطرق للشهره هو تبني قضايا المرأة والدفاع عنها. . وقد لا تخلو كتاباتهم من عبارات الاطـراء والثناء التى يدور لها رأس حواء!! ولكن فريقا آخر آثر أن يدافع عن المرأة بغض النظر عن جنسه. . وما دام ملتزماً فانه لابد له أن يأتى على ايجابيات المرأة وسلبياتها. . فكانت النتيجة ذلك العداء الذى تناصبه إياه بنات حواء. . وكأن على كل أصحاب القلم أن يكون مدادهم مأجوراً ومقراً على كيل المديح لكل امرأة!!

٦٠١ ـــــــــ ام عمـرو

أعتقد أن بنات حواء قد استغنين من زمن غير قريب عن الحاجة الى الاطراء والمديح واستبدلنه بالقيمة الحقيقية لحياة الانسان وهى إرضاء الخالق وترك شىء نافع على الارض. ارجو ان يتحرر أبناء ادم أيضا من حاجتهم لذم أو مدح بنات حواء ويستبدلون ذلك بالتقييم الموضوعى لدورها الهام فى تربية جيل بعد جيل، وفى المشاركة فى صنع الحياة على الارض.. ربما يكون من الافضل ان نقول من الان فصاعدا (بنات ادم) وأبناء حواء.

٦٠٢ ـــــــــ أبو عــواد

لو ان نساء العهود والقرون السابقة وقفن على النعيم الـذى تعيشه حواء اليوم لبكين بغزير الدمع معـاناتهن وشظف حياة صارعنها فصرعتهن. . ولغبطن حواء اليوم على عيشها المترف وعلى فرط دلالها الزائد. . وحواءُنا تسأل هل من مزيد فى هذا الدلال وذلك النعيم؟!.

٦٠٢ ـــــــــ ام عمـرو

إذا كانت حواء قد استبـدلت يديها بماكينات الغسيل والتنظيف فقد أمسكت بنفس اليدين بالقلم والمشرط وتحملت مسئولياتها بكفاءة واقتدار.. داخل البيت وخارجه.

٦٠٣ ـــــــــ أبـو عــواد

إنهن يا أختـى العـزيزه جميلات فقط بتلك ـ الاصبـاغ!! وورائحـتـهن شذية ـ فقط ـ بتلك ـ البـارفـانـات وأطعمتهن شهية ـ فقط ـ بأولئك ـ الطباخين!! وبيوتهن نظيفة. . وأثاثهن مرتب. فقط ـ بجهود الشغالات!!. . إنهن يا عزيزتى فرطن بأشياء كثيرة من خصوصيات ـ حواء ـ فحق القول يا عزيزتى انهن ـ وبلا منازع ـ أنصاف ـ نساء!!

٦٠٣ ـــــــــ ام عمـرو

هناك من يريدونها فى حنان الام، وحكمة الجدة، ودلال الحفيدة ناهيك عن شدو البلابل وهروب الغزلان، ماذا تفعـل هذه المسكينـة غيـر توظيف جيش من الشغالة لتتفرغ لتلبية بعض هذه الرغبات (المشروعة).

٦٠٤ ـــــــــ أبـو عــواد

وماذا يضيرك لو خرج؟ أو سافر هنا أو هناك؟ ماذا يضـيرك لو عاد طفـلا رضيعاً فى حضن والدته يسـترجـع المـاضى البعيد ويهرب من زحمة الأيام أو يتوارى من هموم العصر التى أصبحت تحيط به من كل مكـان!!. . دعيه يا سيدتى يفلت من الجاذبيه بعض الـوقت إن قيودك يا سيدتى قد أدمت قدميه ومعصميه. . وأنفـاس غيرتـك المحمـومة كادت أن تكتم أنفاسه ويفارق الحياة!!.

٦٠٤ ـــــــــ ام عمـرو

سألوه: هل تزوجت؟ قال: لا، فقط تزوجت زوجتى!



ربما يكون من الضرورى على كل أم أن (تفطم) ابنها قبل أن تسمح له بالزواج.

٦٠٥ ــــــــــ أبــو عــواد

كلنــا ممثلون . . وكلنــا بارعـون فى التمثيل . . فمـوهبـة الـدراما ياسيدتى ليست قصراً على نجوم مهرجانات كان والهوليوود . . كلنا عندما يكون المجال مفتوحـاً لصفـ الكلام متحدثون لبقون . . ومنظرون بارعون . . وعندما ينتهي المشهد ويغلق الستار فاننا خلف الكـواليس نعمـل بما يعمله النجوم . . ننزع ملابس المسرح واكسسـوارات المسرح . . وننـزل إلى الشارع بوجوه جديدة وأزياء جديدة!!

٦٠٥ ــــــــــ ام عمرو

اذا كانت الارض جميعهـا مسـرحا كبيرا لرغباتنا وحاجاتنا الدرامية فبيت الزوجية، فى نظرى، هو البقعة من الارض التى لا يجوز عليها ارتداء الاقنعة.

٦٠٦ ــــــــــ أبــو عــواد

أنت امـرأه عصرية بكـل المقـاييس عطرك من «باريز»!! فستانك من «مدريد»!! و- عفواً - حذاؤك - الأنيق من وسط - رومـا - . . والحضارة يا سيدتى خاتم مرصع - تلبسينه كل يوم فى اصبح!! رقيقة إلى درجة أنك تقرفين من - العجين!! . . ومن - منظر حوض المجلى!! . . فكأن جدتك « . . . . » لم تكن تكنس تحت الـدواب . . تشرب من ماء الغدير غير آبهة بالـطحـالب . . والسرخسيات . . ؟ . . وكـأن جدك « . . . . » لم يكن يأكـل خبز الشعر . . ويبيع الحطب فى السوق - القديم .

٦٠٦ ــــــــــ ام عمرو

أنــا لست ممثلة منـاسبة للنساء اللاتى يتعطرن بعطور باريس ويرتدين ملابس مدريد وأحذية روما، ولكنني أيضـا لا أرى الكنس تحت الدواب وشرب الماء الملوث بالطحالب والسراخس تراثا أحب أن يذكرنى به أحد من حين لاخر.

٦٠٧ ــــــــــ أبــو عــواد

أريدها امرأة فى حنان أمي!!! وحكمة جدتى . . أريدهــا يقـظة كغـزال هارب . . وثقيلة كقلعـة حصينـة!! . . أريدهـا مشرقـة كشمس الصباح . . شجية كصـوت البـلابل . . صادقة ساكنة كالهجيع الأخير من الليل . . أريدهـا امـرأة تفجـر فى قلبى براكين الشوق فأحترمها وأعادي لأجلها كل العشيره فهل ترانى أحلم . . لا بل إننى بدأت أفكر بنصف عقل .

٦٠٧ ــــــــــ ام عمرو

هناك امرأة واحدة، أعرفها، تملك كل هذه الصفات، تسكن حاليــا على كوكب زحـل، الى ان يختــرع (المستيقـظون) سفينـة تحملهـا إلى كوكب الارض، يستطيع الحالمون أن يحلموا كما يشاؤون!.

٦٠٨ ــــــــــ أبــو عــواد

وتظل حواء مدار الحديث . . نسب إليها معاناتنا ونوجه إليها التهم . . ونرسل لها الوساطات . . وننشد معها السعادة . . أو يورث القرب منها شقاء! . . تظل هى رفـيق الـنـاجـحـين . . والـفـاشـلين . . والضاحكين . . والباكين . . فانظري أين تقفين!!

٦٠٨ ــــــــــ ام عمرو

أين تقف حواء؟ تقف عنــد خط الاستـواء، تلف ذراعيهـا حول الارض محاولة ان تطفىء يدها الباردة نيران يدها المشتعلة!.

رسالة من عُروة بن الورد إلى السيدة الجميلة

حبيبتى سلمى.. أجل حبيبتى أم مالك:

مضى على طلاقك منى ما يقرب من عام، مر كأنه دهر صعيب على النفس محمله.. صعيب على الخيال تذكر أحداثه التى كانت سببا فى ذلك الفراق الذى لن تكون له عودة أبدا.. تذكرت سبع سنوات قضيناها معا فى وئام نعم الوئام، وصفاء ما أعذبه.

وتذكرت فيها تذكرت كيف كنت تحذريننى من طوارق الدهر وغدراته. فكنت تلحين على دوما أن أستقر فى بيتى، وألا أسعى إلى الرزق بعيداً عن الحى الذى به أهلنا وعشيرتنا وقومنا.. كنت تلحين على، وطالما راجعتنى، وطالما حاولت أن أقنعك بأننا فقراء، وأن على الفقير أن يسعى إلى رزقه كدحا فيذهب فى فجاج الأرض إلى حيث ينتهى به فرسه عله يصيب مغنما يغنى أهله ويسعد ولده ويهنىء بالهم.. طالما قلت لك:

دعينى أطوف فى البلاد لعلنى
أفيد غنى فيه لذى الحق محمل
أليس عظيما أن تلم ملمة
وليس علينا فى الحقوق معول
فإن نحن لم نملك دفاعاً بحادث
تلم به الأيام فالموت أجمل

حبيبتى سلمى.. أجل حبيبتى أم حسان:

كنت تخشين على حياتى من أعدائى، وكانوا كثيرين، أما أنا فكنت أخشى على أصدقائى الفقراء الذين يعض الجوع بطونهم ويلهب البرد ظهورهم من العرى.. فهم فقراء إلا من فرس يرتحلون عليه من مكان لآخر.

كنت أخشى على أصدقائى هؤلاء أن يطحنهم الجوع ويذيقهم العري نقمة الأعين الشاخصة إليهم، فكنا نسطوا على الذين اتخمت كروشهم وكادت تنفجر مما بها من طعام وشراب.. نسطوا عليهم ليلاً فنأخذ من إبلهم ومالهم ما يكفينا عدة أيام نستمتع فيها برغد العيش.

فهل كنت تخشين علىّ من أولئك المترفين اللاهين، ولا تخشين على نفسى ألا تنصر بؤساء الليل والذين لا يجدون قوت يومهم. إننى أخشى على نفسى ألا تساعدهم وتنصرهم وتقودهم إلى انتزاع حقهم فى لقمة العيش من أفواه أولئك الأثرياء.

فعلام كان لومك إذن؟ لقد قلت لك ذات مرة موضحا سجيتى وخليقتى:

أرى أم حسان الغداة تلومنى
تخوفنى الأعداء والنفس أخوف
لعل الذى خوفتنا من أمامنا
يصادفه فى أهله المتخلف
إذا قلت قد جاء الغنى حال دونه
أبو صبية يشكو المفاقر أعجف
له خلة لا يدخل الحق دونها
كريم أصابته حوادث تجرف

حبيبتى سلمى.. أجل، حبيبتى أم مالك:

حياتى - يا حياتى - أن:

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد

وليس فى هذا عيب ولا عار يلتمس المرء الاستخفاء منه أو مداراته. إن على المرء أن يعيش حياته فى جسارة، من أجل الغنى؟ نعم.. من أجل المال؟ نعم.. من أجل لقمة العيش؟ نعم.. من أجل الفقراء الذين يستصرخونه؟ نعم.

شر الناس هو الفقير يا أم مالك، ألم أقل لك:

دعينى للغنى أسعى فإنى
رأيت الناس شرهم الفقير



■ شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الاجواد.

محمد عبد الواحد حجازى

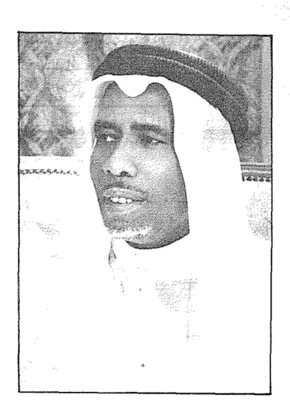
فهل كان يرضيك آنئذ أن أقعد فى بيتى بين العجائز من النساء، أو بين الصبية اللاهين العابثين؟.. حقيقة، لقد هممت مرة أن أبطش بك لالحافك الدائم فى ألا أخرج خوفا على من أعدائى الذين يتربصون بى ليفتكوا بى انتقاماً مما أصابهم من ضرباتى التى كنت أخطفهم بها ليلا.. هممت أن أبطش بك ولكننى تذكرت حبك وأولادك وحياتى التى هى أنت فلم أجد مناصا من أن أقول لك متوددا محاولا إقناعك:

لعل ارتيادى فى البلاد وبغيتى
وشدى حيازيم المطية بالرحل
سيدفعنى يوما إلى رب هجمة
يدافع عنها بالعقوق وبالبخل
أليس ورائى أن أدب على العصا
فيشمت ويسأمنى أهلى
رهينة قعر البيت كل عشية
يطيف بى الولدان أهدج كالرأل
أقيموا بنى لبنى صدور ركابكم
فكل منايا القوم خير من الهزل
فإنكم لن تبلغوا كل همتى
ولا أربى حتى تروا منبت الأثل

هيبتى سالمى..

سامحهم الله وجزاهم من صنف ما فعلوه بى.. فقد خدعونى وخدعوك، وأضاعونى وأضاعوك، فهدموا بيتى وفرقوا بينى وبين أولادى وفلذات كبدى، ومهجة زوجك.

ورغم أنك تزوجت رجلا من بنى عمك إلا أننى لازلت أحبك وأحمد لك عشرتك كما حمدت أنت عشرتى فقلت على ملأ من قومى وقومك، ما مسح عنى همومى وأثلج صدرى: إنك والله ما علمت لضحوك مقبلا، كسوب مدبرا، ترضى الأهل والجانب ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك، أغض طرفا، وأقل فحشا، وأجود يدا، وأحمى لحقيقته، فاستوصى ببنيك خيراً.



محمد سرور الصبان (١٨٩٨ - ١٩٧٢م)

■ «**محمد سرور الصبان** رائد فى حياته الأخلاقية، وفى سيرته موعظة وقدوة لأدباء العروبة» . . هكذا قال عنه الشاعر المصرى الكبير أحمد زكى أبو شادى.

الميـلاد: : جـدة عـام ١٨٩٨م.

الحياة العلمية والعملية: بعد انتقاله مع الأهل إلى مكة المكرمة . . تلقى تعليمه الابتدائى بمدرسة الخياط . . وفى عام **١٩٣٦**م التحق بالعمل الحكومى وظل يتدرج فيه.

ومع بداية الحكم السعودى انتخب عضواً بمجلس الشورى الأهلى . . ثم تولى رئاسة قلم التحرير فى وزارة المالية ثم عين وزيراً للمالية والاقتصاد.

أما توهجه الأدبى: فيتمثل فى ثلاثة أبعاد:

الاول: كان كاتباً ممتازاً وشاعراً وجدانياً وصحافياً لامعاً . . أشرف على الاذاعة السعودية والصحافة اليومية والشهرية كما رأس عددا من الجمعيات الثقافية والخيرية فى المملكة.

الثانى: حدبه الدائم على الأدباء الناشئين وتقديره المستمر لكبار الشعراء والناشرين.

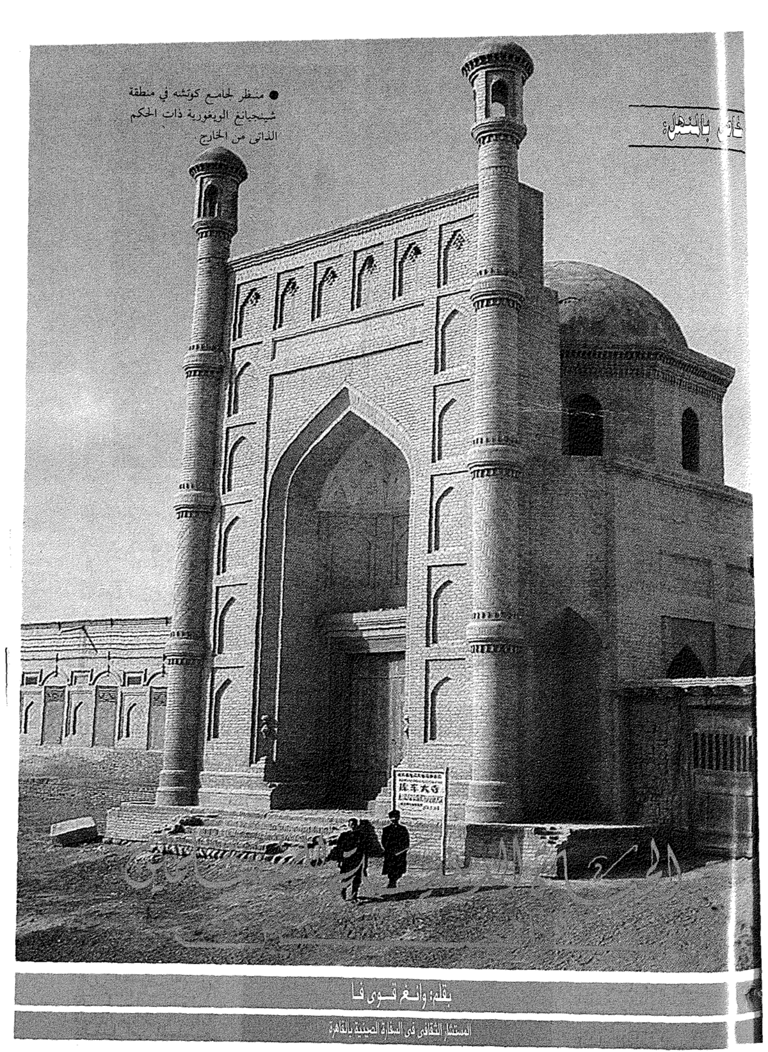
أما البعد الثالث فى توهجه: فيتمثل فى كتابه أدب الحجاز وما أثبته من آراء الشبان السعوديين فى اللغة العربية.

وثمة توهج آخر لا ينكر لمحمد سرور الصبان، نلمسه فى تأثيره الكبير فى مجال التطوير الاقتصادى لبلاده ومجالى العمران والاصلاح.

رحم الله محمد سرور الصبان . . كان رائداً من رواد النهضة فى بلادنا . .

نقطة توهج

خاص بالمنهل:



● منظر لجامع كوتشه في منطقة شينجيانغ الويغورية ذات الحكم الذاتى من الخارج.

بقلم: وانـغ قـوى فـا

المستشار الثقافى فى السفارة الصينية بالقاهرة





● الشيخ ماشيانغ شينينغ يلقى خطبة الجمعة فى جامع في شرقي مدينة شينينغ.

● في جامع دونغسى المصلون يستمعون لخطبة الجمعة من الشيخ صالح ان شي وي.

دخل الاسلام الصين فى اواسط القرن السابع الميلادى اى قبل ١٣٠٠ سنة وكانت بين الامة الصينية اليوم عشر اقليات قومية تعتنق الاسلام وهى: هوى، الويغور، القازاق، غزغيز، التاجيل، تاتار، الاوزبيل، دونغشيانغ، سالا، وباراّن.

يبلغ عدد المسلمين فى الصين اليوم حوالى ١٦ مليون نسمة وهم موزعون فى شينجيانغ وقانسو ونينغشيا وتشينغهاى فى شمال غربي الصين بصورة رئيسية بجانب عدد ليس بالقليل من المسلمين ينتشرون فى المدن والقرى من اقصى مناطق الصين الداخلية الى اقصاها.

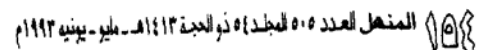
وبعد تأسيس الصين الجديدة عام ١٩٤٩، وضعت الحكومة الشعبية المركزية الصينية سياسة المساواة القومية وحرية المعتقدات الدينية هذا وقد شهد المسلمون فى الصين من مختلف القوميات تطورا كبيرا فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وهم يحظون بالاحترام والحماية فى الحياة الدينية.

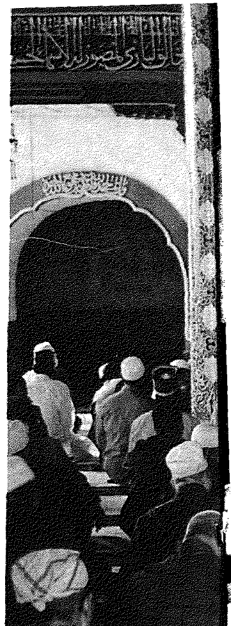


● بمناسبة العيد المبارك المسلمون في الصين يتبادلون اهداء الاطعمة

الجمعية الاسلامية الصينية

بعد قيام الصين الشعبية الجديدة، تم انشاء المنظمة للمسلمين







● مجموعة من المسلمين يؤدون صلاة الجمعة في مسجد شياوتاويوان، في شنغهاي.

فى الصين وهى الجمعية الاسلامية الصينية التى تشرف على شؤون المسلمين فى الصين.

هذا وقد انعقد المؤتمر الاسلامى الصينى الرابع فى بكين فى الفترة ما بين ٦ و١٥ ابريل عام ١٩٨٠ وحضر المؤتمر ٢٥٦ مندوبا من المسلمين قدموا من ٢٩ مقاطعة وبلدية ومنطقة ذات حكم ذاتى وينتمون الى عشر قوميات. ولخص المؤتمر اعمال الجمعية الاسلامية الصينية وناقش وحدد مهماتها القادمة وعدل دستورها وانتخب قيادتها.



● بعد صلاة عيد الفطر المبارك المسلمون فى الصين يتبادلون التهنئة بالعيد

وكانت فروع الجمعية الاسلامية الصينية قد أنشئت فى عديد من المقاطعات والمدن مثل: الجمعية الاسلامية فى بلدية بكين والجمعية الاسلامية فى مدينة شنغهاى والجمعية الاسلامية فى مدينة قوانغتشو وغيرها.

وتوجد هناك الاتصالات الودية بين الجمعية الاسلامية الصينية وبين المنظمات الاسلامية العالمية والجمعيات الاسلامية فى الدول المختلفة الاسلامية فتوفد دائما وفودها لزيارة الدول الاسلامية وتستقبل الوفود الاسلامية القادمة لزيارة الصين.

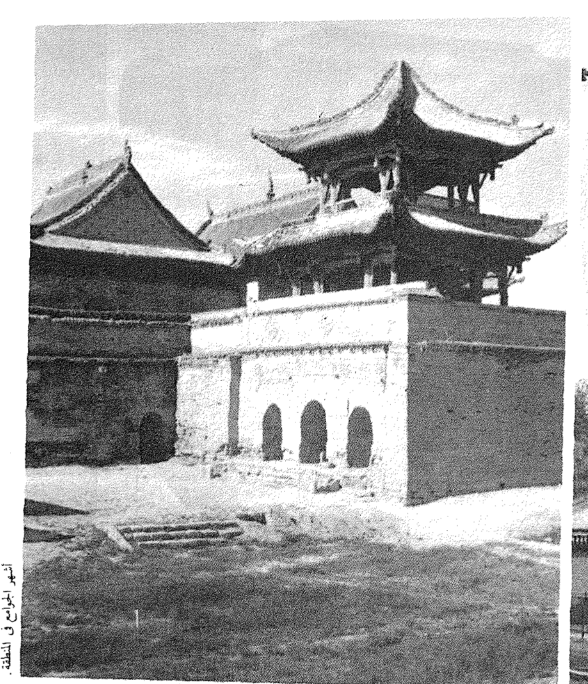
● جامع نيوجيه في بكين . . شيد في القرن العاشر الميلا
تقريبا . . والمس
يعكس طبيعة الف
المعماري في الصين

الحيـــاة الدينيـة

يتمتـــع المسلمـــون بالحرية الكاملة فى الحياة الـدينية وتحظى عاداتهم وتقـــاليدهم بالاحـــترام التام بل يتمتعون بالعناية الخاصة فى الحياة العادية



● جامع ينتشواد
في عاصمة منط
نينغشيا ذات الحك
الذاتي . . وقد امتا
الجامع بالمصل
فى صلاة الجمعة

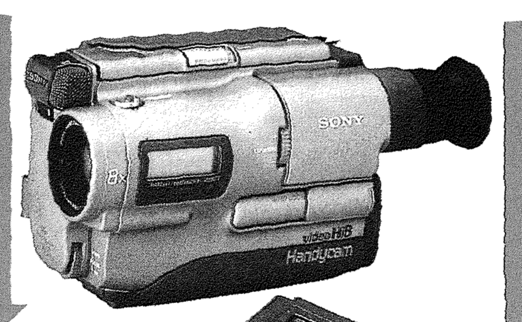


● جامع محافظة تونفشين، منطقة نينغشيا ذات الحكم الذاتي . ويعود تاريخ بنائه الى أسرة منيغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) أشهر الجوامع فى المنطقة.

مثلا، توجد هناك فى المناطق او الاحياء التى يعيش المسلمون فيها المحلات التجارية الخاصة والمدارس الخاصة وتقدم لهم الحاجات اليومية مثل لحوم الغنم والبقر وبالاسعار الخاصة.

المساجد

يوجد فى الصين عدد كبير من المساجد ومنها كثير قديم ومشهور جدا، ويندمج اسلوب بنائها بين الاسلوب المعمارى الصينى التقليدى وبين الاسلوب المعمارى العربى والاسلامى. فتبدو انيقة وجميلة وفاخرة جدا واشهر واقدم المساجد فى الصين هو: جامع نيوجيه فى بكين وجامع دونفى فى بكين وجامع نيتشوان فى منطقة نيتغشيا ذات الحكم الذاتى لقومية هوى وجامع عيدكاه فى مدينة كشغر فى شينجيانغ وجامع حواجيا فى مدينة شيان وجامع هوايشنغ فى مدينة قوانغتشو.



أصغر كاميرا فيديو

أصغر واكفأ كاميرات التصوير بالفيديو متوافر الآن بالاسواق - انتاج شركة سونى - روعى فى تصميمها ان تعمل بقاعدة للكاميرا تكون متصلة دائماً بجهاز التليفزيون، ويكفى لمشاهدة اى فيلم، ان تثبت الكاميرا بالقاعدة فتشاهد على الفور الفيلم الذى تريده.

كمبيوتر مصفح



الـيكـترونيك» الفرنسية المتخصصة فى الصناعات العسكرية.. كمبيوتر ... ان. دي. اي» (NDE) يعمل بكفاءة عالية فى كافة الظروف الطقسية الصعبة من حرارة وبرودة.. بل صمم ليعمل فى درجة حرارة تبلغ الخمسين، وقد روعى فى تصميمه ان يستخدمه العسكريون .. ومتوافر بطرازين. يزن الواحد منها ٧ كيلوغرام فقط.

فرن البيتزا المنزلى

من منا لا يحلم بإعداد طبق البيتزا اللذيذة فى منزله وعلى طريقته الخاصة فى تذوق الأصناف الشهية.

«بيتزا دوم» أو البيتزا فى المنزل هو اسم الفرد الجديد المصنوع من الفخار ويعمل كهربائياً، حجمه

الة حلاقة للسفر

لهواة السفر . . ولرجال الاعمال والصحفيين . . الذين يسافرون كثيرا الة حلاقة وفي داخلها صابون للحلاقة.

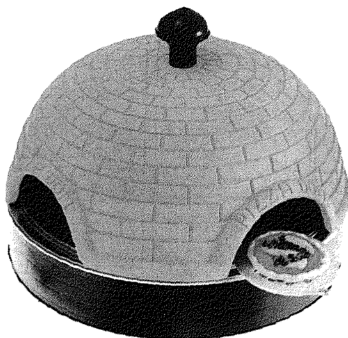


اختراع جديد له عدة استعمالات ظهر في الولايات المتحدة . . واهم استعمالاته : استشعار اى ارتفاع في درجة حرارة اجزاء الكمبيوتر قبل ان يؤثر ذلك الارتفاع على كفاءة عمل الكمبيوتر أو يعطله تماماً.

الاختراع الجديد يقوم بالانذار بارتفاع درجة الحرارة عن المعدل المسموح به واستعمالات أخرى مثل الانذار عن خطر تسرب الغازات في المنازل والمصانع . . وايضا في تحديد نسبة غاز ثاني اوكسيد الكربون.



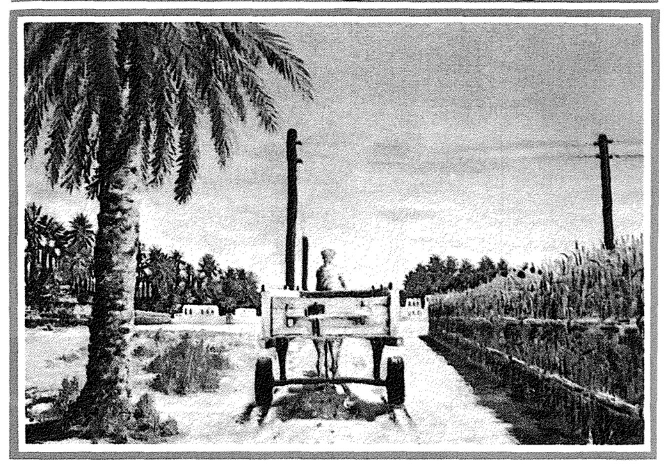
جهاز لتسجيل الرسائل الصوتية من صنع «باناسونيك» على شاشته الصغيرة يظهر عدد الذين سجلوا رسائلهم وفي اى وقت بالتحديد، اذا انتهت مدة الشريط فالجهاز يطلب من الذين يريدون تسجيل رسائلهم الصوتية ان يطلبوا الرقم بعد فترة من الزمن.





العملي يسمح لك بوضعه واستخدامه على طاولة الاكل . . ودقائق قليلة كافية لإنضاج الشطائر.

لون .. وحرف



ابراهيم الهبوب ـ تاروت السعودية ـ

الطريق والإنسان

في الطريق نمضي ..

ما نقطعه لا يعود وإن عدنا ..

فطريق جديد نبدأ

. . . .

إنها الحياة .. وهي الخطى

لا يبقى النخيل طويلاً

لن تبقى الكائنات طويلاً

فالكل يمضي ..

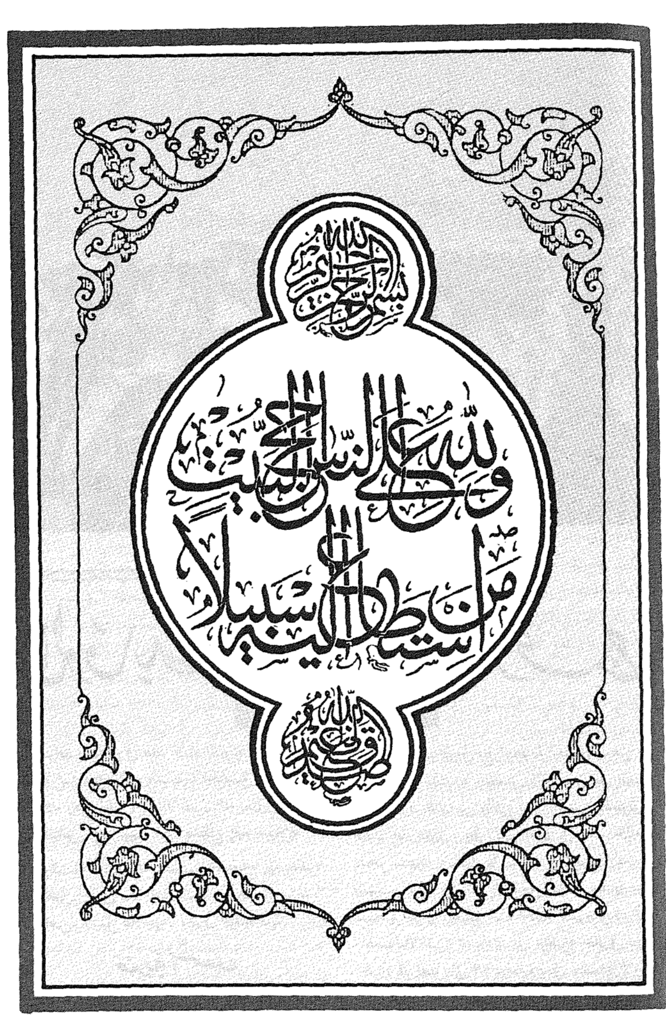
والحياة تمضي ..

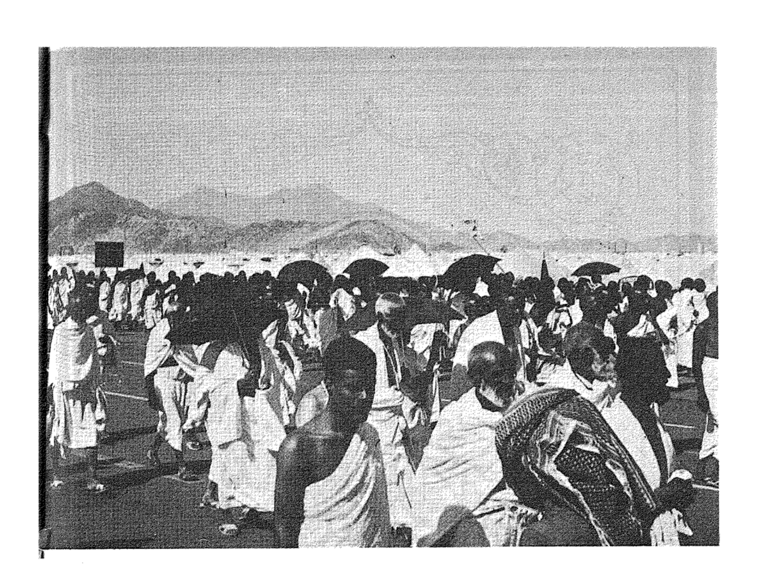
والعربات تختلف

من يصل خط النهاية ؟

قد سبقوه

ي . خ


بسم الله الرحمن الرحيم
ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا
صدق الله العظيم



طب

الوقاية من الأمراض في الحج

بقلم: د. محمد مصطفى السمرى - مصر -

يتوافد الحجاج فى هذه الأيام المباركة إلى بيت الله الحرام استعدادا لأداء الفريضة الخامسة من فرائض الاسلام وهى الحج، امتثالا لقول الله تعالى: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾**

وأثناء الحج قد يتعرض الحجاج إلى بعض الامراض.. وفى هذا المقال سوف نتعرض لأهم هذه الأمراض، وسبل علاجها، وطرق الوقاية منها.

ضربة الشمس

تحدث ضربة الشمس نتيجة التعرض لحرارة الشمس لوقت طويل مع الرطوبة العالية، بمعنى أن الاصابة بضربة الشمس لا تقتصر على الذين يتعرضون للشمس ولكن أيضا الذين يجلسون فى مكان حار مغلق، نظراً لأن العرق فى هذه الحالة لا يتبخر بسهولة وبذلك لا يساعد فى عملية التبريد، وتسبب حرارة الشمس المرتفعة اختلال وظيفة مركز تنظيم حرارة الجسم الداخلية الموجودة بالمخ (الهيبوثالامس) مما يؤدى إلى ارتفاع حاد فى درجة الحرارة قد تصل الى ٤٢ درجة مئوية، واتساع الاوعية الدموية فى الجلد لتسهيل فقد الحرارة، ونتيجة لذلك

تقل ورود الدم للمخ ويشعر المصاب بالتعب الصداع والغثيان والدوخة، ويكون جلد المصاب حاراً وجافاً ويكون النبض سريعاً وغير منتظم، كما يكون الوجه محتقناً مع اتساع حدقة العين، ونظرا لفقدان الملح مع العرق من الجسم فقد تحدث للمصاب تشنجات عضلية، وقد ينتهى الأمر بالاغماء.

ولخطورة ضربة الشمس على حياة الحجاج يجب علاجها سريعا، وذلك بنقل المصاب إلى مكان بارد (بانيو مثلا) وخلع ملابسه ومسح جسمه بماء بارد، مع توجيه تيار هواء بارد إلى جسمه عن طريق مروحة، وينصح بتدليك الاطراف لضمان استمرار الدورة الدموية، وعمل كمادات ثلجية حتى تنخفض درجة الحرارة إلى ٣٩ درجة مئوية (يمكن قياس درجة الحرارة من الشرج) ويستمر التبريد بعد ذلك، وإذا كان المصاب فى وعيه يعطى كميات كبيرة من الماء وعصير الفاكهة والملح. وإذا كان المصاب فاقد الوعى يستمر التبريد وعمل الكمادات على الوجه والاطراف ثم ينقل إلى أقرب مركز طبى مع مراعاة استعمال وسائل التبريد أثناء النقل.. وينصح عدم اعطاء الأدوية المخفضة للحرارة، لأنها لا تصلح فى هذه الحالة نظرا للشلل الذى أصاب مركز تنظيم الحرارة فى المخ نتيجة الارتفاع الكبير لدرجة الحرارة.

الوقاية:

ومع خطورة ضربة الشمس، إلا أن الوقاية منها فى منتهى السهولة، وهى:

١ ـ تجنب التعرض المباشر لأشعة الشمس، واستخدام شمسية بيضاء، والالتزام بالسير فى المناطق المظللة، وتجنب استعمال الاقمشة الصناعية أو القاتمة، بل يجب أن تكون الملابس قطنية وبيضاء تمتص العرق وتسمح بمرور الهواء.

٢ ـ عدم القيام بمجهود بدنى شديد خصوصا فى الفترة الأولى حتى نعطى الجسم فرصته للتعود على درجات الحرارة العالية.

٣ ـ استعمال المراوح الكهربائية وأجهزة التكييف.

٤ ـ تناول أكبر قدر ممكن من السوائل (٤ لتر فى اليوم)، وكمية من كبسولات الملح (١٥ جرام) التى تعوض الكمية المفقودة مع العرق.

٥ ـ عدم الاسراف فى تناول الأكلات الدسمة وبخاصة اللحوم، ويفضل أن يكون الطعام خفيفا ومرتكزا على الخضروات والفاكهة.

الأمراض الوبائية والإسهال

تنتشر بعض الامراض بين الحجاج بشكل وبائى مثل: «الكوليرا، والحمى الشوكية، والحمى الصفراء، والطاعون، والتهاب الكبد»، ويكون سبب العدوى بها الحجاج القادمين من أماكن موبوءة بهذه الامراض، ويساعد على انتشارها الازدحام الشديد، والرذاذ المتناثر، أو الالتصاق المباشر أو استعمال أدوات المرضى.

ولذا يجب تطعيم الحجاج القادمين من أماكن موبوءة، واجراء فحص طبى كامل لهؤلاء الحجاج وعزلهم، وبعلاجهم بهدف الحد من انتشار الاوبئة، كما يجب مراعاة النظافة الشخصية.

وقد يتعرض بعض الحجاج إلى نوبات من النزلات المعوية والاسهال نتيجة إلتهاب المعدة والامعاء ببعض الفيروسات أو البكتيريا أو الطفيليات، ويجدر بنا أن نذكر أن الكوليرا ـ وهى أحد أسباب الاسهال الهامة ـ تتميز بقلة المغص المصاحب للاسهال، وكثرة عدد مرات الاسهال، وانعدام رائحة البراز، ولا يوجد بالبراز صديد أو دم (يشبه البراز ماء الأرز).

وللوقاية من النزلات المعوية والاسهال يجب اتباع الآتى:

١ ـ النظافة الشخصية بكل جوانبها مثل غسيل الأيدى قبل وبعد الأكل وبعد قضاء الحاجة.

٢ ـ غسيل الفاكهة والخضروات جيداً قبل تناولها، وغلى اللبن جيداً.

٣ ـ شرب المياه النظيفة والتخلص من الفضلات والنفايات بطريقة صحية.

٤ ـ مكافحة الحشرات والقوارض.

٥ ـ يراعى التأكد من تاريخ انتاج وصلاحية المعلبات قبل تناولها.

الأمراض المزمنة

يجب على مريض القلب تجنب الارهاق البدنى الشديد، وتجنب الانفعال والغضب، والاقلال من المنبهات والامتناع عن التدخين، ويجب على المريض حمل ما يكفيه من الدواء مدة بقائه بالأراضى المقدسة لاحتمال صعوبة وجود نفس الدواء الذى تعود عليه المريض.

أما مريض الربو الشعبى، فيجب عليه تجنب الأتربة والأدخنة، والابتعاد عن استنشاق الروائح النفاذة والتوقف عن التدخين، ويجب الابتعاد عن الاختلاط بالحيوانات مثل القطط والكلاب والأرانب، وعدم الاكثار من الملح فى الطعام، وكذلك علاج أى التهابات شعبية حال حدوثها.

أما مريض السكر، فيجب عليه استشارة طبيبه الخاص قبل السفر لضبط جرعة الأنسولين أو الاقراص فقد ينقص من جرعة العلاج نظراً لاحتراق كمية من الغذاء بسبب المجهود المبذول أثناء الحج، ويجب على الحاج المريض بالسكر حمل بطاقة شخصية (كارت) تفيد أنه مصاب بمرض السكر، يكتب على أحد وجهى البطاقة توجيهات للمسعف بما ينبغى عمله، فيكتب ما يلى:

«أنا مصاب بالسكر. . عند اغمائى أرجو إعطائى قطعتين من السكر المذاب فى الماء أو قطعة حلوى، وإذا تعذر البلع فأرسلنى إلى أقرب مركز طبى»، ويدون فى الوجه الآخر من هذه البطاقة ما يلى: اسم المريض، وعمره، وفصيلة دمه، وعنوانه، وكمية الأنسولين ونوعه، والتاريخ.

نصائح عامة

١ ـ يجب على كل حاج أن يبادر بأخذ كل التطعيمات اللازمة التى تطلبها وزارة الصحة فى بلده قبل السفر مثل التطعيم ضد الكوليرا والتيفود والحمى الشوكية . . . الخ .

٢ ـ يجب استشارة الطبيب قبل السفر خاصة كبار السن والمرضى.

٣ ـ يجب على كل حاج مريض بمرض مزمن مثل السكر والربو وقرحة المعدة ومريض القلب والكلى، المبادره بلبس السوار البلاستيكى على معصمه مدوناً به هذه البيانات: الاسم، والعمر، وفصيلة الدم والعنوان، وتشخيص المرض، ونوع العلاج المستخدم وقت الأزمة.

٤ ـ الاكثار من تناول المشروبات والسوائل بكثرة خاصة عند ارتفاع درجة الحرارة.

٥ ـ عدم طهى الاطعمة داخل الخيام، فقد ينجم عن ذلك اشتعال الحرائق لا قدر الله.

٦ ـ يجب تغطية الأنف والفم عند الخروج من مكان دافىء إلى مكان بارد، وينصح بشرب كوب من الماء قبل الخروج.

٧ ـ استعمال نظارة شمسية قاتمة اللون إذا كانت العين ترهق من الضوء.

٨ ـ قد يتعرض بعض الحجاج إلى الدوار ـ وهو احساس بالدوخة والغثيان والقىء ـ عند ركوب الباخرة أو الطائرة أو السيارة ولتفادى ذلك ينصح بأخذ قرص درامامين قبل القيام بنصف ساعة، وينصح بتناول كمية قليلة من الطعام على فترات متكررة، ويفضل عدم تناول أى طعام فى الساعات الثلاث السابقة على قيام الطائرة.

٩ ـ قد يتعرض بعض الحجاج إلى آلام والتهاب بالأذن الوسطى بسبب انخفاض الضغط الجوى فى الطائرة أثناء الصعود أو زيادة الضغط أثناء النزول، وهؤلاء ننصحهم بأخذ قرص من (تراى أمينيك) ووضع نقط أنف مزيلة للاحتقان مثل (أوترفين) قبل السفر بساعة، وتعمل هذه الأدوية على اتساع قناة إستاكيوس الموصلة بين الأذن الوسطى والبلعوم وبذلك يتعادل الضغط داخل الأذن الوسطى مع ضغط الجو الخارجى فلا يحدث ضغط على طبلة الأذن، وبالتالى لا تحدث أى آلام أو التهابات بالأذن، كما يساعد على فتح قناة إستاكيوس كثرة البلع، ولذلك نرى المضيفات يعطين الركاب قطعاً

من الحلوى أو اللبان ليس فقط بغرض الترحيب ولكن أيضاً للمساعدة على البلع وفتح قناة إستاكيوس.

الحقيبة الطبية

تحرص حكومة المملكة العربية السعودية على تذليل كل الصعاب التى تواجه الحجاج، وتقدم خدمات طبية متميزة عن طريق المستشفيات الثابتة والمتنقلة المجهزة بأحدث تكنولوجيا طبية، كما يساهم الحرس الوطنى والهلال الأحمر، فضلا عن البعثات الطبية المرافقة للحجاج.. وبالرغم من ذلك يفضل أن يكون مع الحاج بعض الأدوية لعلاج بعض الأعراض الطارئة، وذلك لحين الوصول الى أقرب مركز طبى، وأهم الأدوية التى يجب أن تحتويها الحقيبة الطبية للحاج هى:

١ ـ الأدوية الخاصة بمرضى الأمراض المزمنة مثل: أدوية القلب والسكر والقرحة.. الخ.

٢ ـ ترمومتر طبى، ونظارة شمسية داكنة اللون.

٣ ـ قطن وشاش ومشمع لاصق، ومطهر مثل البيتادين.

٤ ـ مضاد حيوى لعلاج الالتهابات مثل: الأمبيسلين، كبسولة كل ٦ ساعات يومياً.

٥ ـ أدوية ضد الاسهال والطفيليات مثل: الفلاجيل مع إنتريم، قرص ٣ مرات يومياً.

٦ ـ دواء للكحة الجافة مثل:

التوسيفان، ملعقة كبيرة ٣ مرات يوميا ودواء الإيزيلين كمنفث لتسهيل خروج البلغم.

٧ ـ أدوية مسكنة للألم ولخفض درجة الحرارة مثل الأسبيرين أو النوفالجين.

٨ ـ أدوية مسكنة للمغص مثل: اسبازموبارلجين أو بوسكوبان.

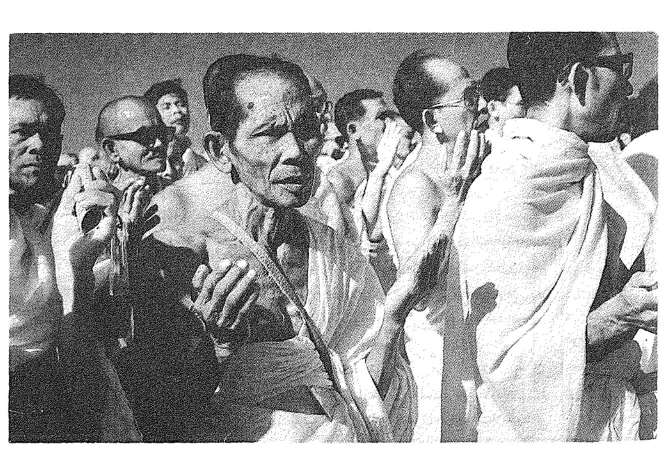
٩ ـ مليّن مثل زيت البرافين، ملعقة كبيرة قبل النوم، وقابض للأمعاء مثل دواء اللوموتيل قرصين فقط فى حالة الاسهال.

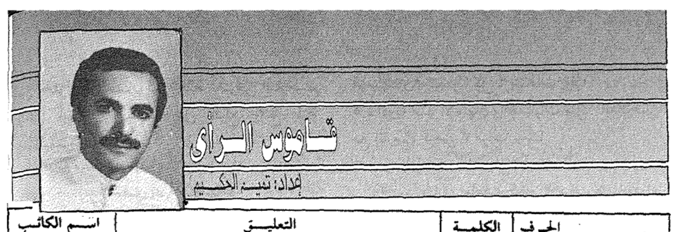
١٠ ـ مرهم حروق، ومرهم ضد حساسية الجلد مثل: (اللوكاكورتين فيوفورم).

١١ ـ قطرة مضاد حيوى مثل: مفنيكول، وقطرة حساسية مثل: بريزولين.

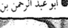
١٢ ـ أدوية ضد الدوار مثل: درامامين.

١٣ ـ أدوية للحموضة والتهاب المعدة مثل: جليوكال، قرصين استحلاب وقت اللزوم.

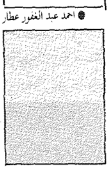




الحرف	الكلمة	التعليق	اسم الكاتب
الألف	أمنية الحاج	لذة النظر الى وجه ربه الكريم يوم القيامة	أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى
الباء	بلاغة الحج	هو أن يبلغ الحاج مناه من حجته، مكتسبا أخلاق المجاهد الصابر من رحلته، مشاركا في الموسم في تحقيق غايات أمته.	الشيخ عبد الرحمن حبنكة
التاء	التلبية	شعيرة من شعائر الحج، وهتافه العظيم، ونشيده الذى تدوى به الأرض.	أحمد عبد الغفور عطار
الثاء	ثواب الحج	ما يحتسبه المسلم لاخرته، ويدخره للحياة الأخرى، حيث موازين القسط، واكتساب المثوبات.	د. عبد الله باقازى
الجيم	الجدال في الحج	هو كثرة الخصام مع الآخرين في الأمور الدنيوية، أو في المسائل الدينية التى تحتمل أكثر من وجه في الأحكام الشرعية.	د. رويعي راجح الرحيلي
الحاء	الحج	تعارف وتقارب وتضامن.. أنه عيد يجمع المسلم في أقاصي الشرق بالمسلم في أقاصي الغرب، بالمسلم في أطراف الشمال، بالمسلم في أبعد الجنوب.. يجمعهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، ليتبادلوا الرأى في شؤونهم، ويتعرفوا أحوال أقطارهم، ويطلعوا على أحدث ما حدث بين أممهم فيتفقوا على ما يصلح أمورهم، ويتضامنوا على ما يؤيد دعوتهم.	أحمد السباعى
الخاء	خطبة الجمعة	عيد الأسبوع.. وملتقى المسلمين، مع الذكر والموعظة وعلاج القضايا المعاصرة.	الشيخ محمد الشعلان
الدال	الدم في الحج	هو جبر لخطأ وقع من حاج، أو تطوع لوجه الله تعالى، أو هدى بالغ الكعبة.	د. فتحي علم الدين
الذال	ذكريات الحج	تشوق الى الحج، وما فيه من نفحات روحية.. تجعلني أنتظر موسمه كل عام بفارغ الصبر.	عائدة الجراح
الراء	رحلة الحج	رحلة سماوية علوية بالروح والفكر والقلب والأحاسيس والمشاعر، الى آفاق رحبة من السمو والصفاء والشفافية والفناء في ذات الله ومرضاته، والمثول بين يديه في بيته المحرم وبلده الأمين حول الكعبة، وفوق عرفات، وبين الصفا والمروة، وفي رحبات منى والمشعر الحرام، وزمزم والمقام، والروضة النبوية، وبدر وأحد والخندق والحديبية.	د. عبد الغنى عوض الراجحى
الزاى	زمزم	طعام طعم، وشفاء سقم.	(حديث شريف)
السين	سعادة الحاج	هى أن يؤدى الحاج نسكه رضي الجنان، نقي الأردان، سالم البنيان، نظيف اللسان، فائزا بالغفران، راجعا بسلامة ومنافع	الشيخ عبد الرحمن حبنكة



● أبو عبد الرحمن بن عقيل


● احمد عبد الغفور عطار


● احمد السباعى


● د. رويعى راجح الرحيلي

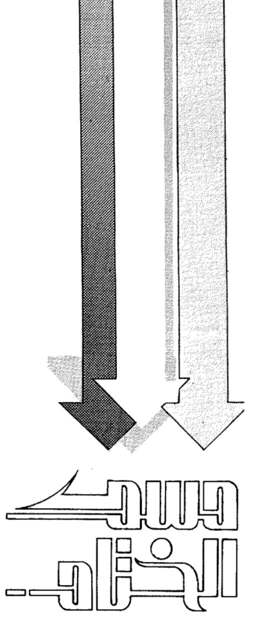
الحرف	الكلمة	التعليق	اسم الكاتب
		الى الأهل والاخوان .	
الصاد	الصلاة	حج يتوجه فيه المسلم الى الله خمس مرات كل يوم .	د. عبد الودود شلبى
الضاد	ضيوف الرحمن	قاصدوا بلد الله الحرام، لأداء الركن الخامس من الاسلام .	لطفي اسماعيل
الطاء	الطوافة	مهنة كريمة خالدة، نشأت منذ عمر طويل، تلبية لحاجة الوافدين الى من يقوم بتبصيرهم وارشادهم لمناسك الحج، وخدمتهم منذ وصولهم وحتى مغادرتهم المملكة، عائدين بسلامة الله وتوفيقه الى بلادهم .	عبد الوهاب احمد عبد الواسع
الظاء	الظلم في الحرم	معصية للرب العظيم، جزاؤها العذاب الأليم .	تميم الحكيم
العين	العيد	مأثرة دينية تدور دورة زمنية، تمثل الشكر لله على اتمام فريضة الصيام، والشكر له تعالى على اتمام فريضة الحج . . وهما ركنان أساسيان من أركان الاسلام .	حسين عرب
الغين	غنيمة الحج	واحدة من اجل الغنائم وأعظمها نفعا . غنيمة غفران وعفو من لدن العزيز الحكيم . . تعدل كنوز الدنيا وما فيها .	د. عبد الله باقازى
الفاء	فرحة الحاج	بلوغ مناه بطهارته ظاهرا وباطنا، وأدائه لفريضته آمنا وعودته برا تقيا محسنا .	صفا الميدانى
القاف	القدرة في الحج	هي الاستطاعة . . وتعني ـ كما يرى الفقهاء ـ امتلاك الزاد والراحلة . . الى جانب الاستطاعة الشخصية المتمثلة في توافر القوة لأداء هذه الشعيرة .	د. محمود حسن زيني
الكاف	الكعبة	أول بيت وضع للناس . . قبلة المسلمين في الصلاة، ومطافهم في الحج والعمرة .	د. عوض الجميعى
اللام	لباس الاحرام	تجسيد للمساواة . . وتذكير للأحياء بالأموات . .	د. جريدى المنصوري
الميم	المحتم على من عزم على أداء الحج	أن يهيىء روحه لذلك، وأن يجتهد في تنقيتها من أدران المادة، وتطهيرها من أوضار الاطماع الدنيوية .	حسين سرحان
النون	النية الصحيحة	لقاح الهمة العالية . فاذا اجتمعا بلغ العبد غاية المراد .	ابن قيم الجوزية
الهاء	هوية الحاج	مسلم من أرض الله، استجاب لأذان ابراهيم خليل الله، وسعى ابتغاء مرضاة الله . . ليشهد منافع لدنياه وأخراه . . ويرجع نقيا كما ولدته أمه بالغا مناه .	عائدة الجراح
الواو	وزارة الحج والاوقاف	وزارة ذات أهداف محددة . . في مقدمتها رعاية الحاج منذ وصوله حتى مغادرته المملكة .	عبد الله بوقس
الياء	يوم عرفة	يوم الرحمة والغفران واللجوء الى الله بقلب سليم .	د. غازى زين عوض الله

عبد الوهاب احمد عبد الواسع

حسين عرب

عبد الله بوقس

د. غازي زين عوض الله



نظرة على المصطلح اللغوى «جراماطيقا»

إن استحداث المصطلحات العربية المرادفة للمصطلحات الأجنبية من أجل تبادل المعرفة بشتى صنوفها غدا من الأمور الجوهرية والملحة التى لا غنى عنها اليوم، فهذا العصر يزخر بالكثير من الأفكار والمخترعات الجديدة التى تفرض نفسها على الأمم المختلفة يوما بعد يوم، وعليه فلابد لأية أمة، إن هي أرادت مواكبة الجديد فى العلوم والمعرفة، استحداث المصطلحات العلمية الدقيقه التى تعبر عن حقيقة المفاهيم الكامنة وراء تلك المصطلحات الأجنبية.

واستحداث مثل هذه المصطلحات يقع بالدرجة الأولى على كاهل المتخصصين الأكاديميين الذين يعملون بخطى ثابتة في شرقي الوطن العربى وغربيه من أجل إنجاز هذه المهمه، إلا أنه أحياناً ما يحصل بعض التفاوت والأختلاف الذي بدوره يؤدي إلى اضطراب وفوضى في إيصال المعرفة العلمية . . وهذا الوضع ناتج أصلا إما عن الاصرار على موقف اصطلاحي معين أو الغفلة عن فكرة جوهرية معينة متصلة بمصطلح ما.

والمثال على الحالة هو الاختلاف حول ترجمة المصطلح الانجليزى (Diglossia) فبينما يترجمه اللغويون المشارقه بالمصطلح اللغوي «الازدواجية اللغويه» يصر اللغويون المغاربة على ترجمته بالمصطلح اللغوي «الثنائية اللغوية». هذا الوضع ينعكس تماماً عند ترجمة المصطلح الانجليزى (Bilingualism) من قبل اللغويين السالفي الذكر.

أما المثال على الغفلة عن فكرة جوهرية معينة فهو ترجمة المصطلح الانجليزى (Grammar). فلهذا المصطلح مدلولات مختلفة في الكتابات اللغوية بشكل عام، فهذا المصطلح يستعمل أحيانا للدلالة على الكتاب الذي يكتب عن اللغة نفسها وللدلالة أيضا على النظام الذي يحكم اللغة المكتوبة دون اللغة المحكية والتى يتوهم أنها تفتقده(١).



بقلم: د. عبد الله حمد أستاذ فى علم اللغة العام

أما الاستعمال الشائع لهذا المصطلح فهو للاشارة إلى النحو المعني بدراسة تركيبة الجملة أو إلى موضوع الصرف المعني بدراسة تركيبة الكلمة، فعندما يسمع الواحد منا هذه اللفظة، أعني (Grammar)، يتبادر إلى الذهن فكرتا الصرف والنحو، وعليه تمت ترجمة هذا المصطلح بصورة ضيقه وقاصرة إلى نحو أو نحو وصرف معاً(١). إلا أن هذا في الواقع غير كاف. فإن خطوة كهذه لم تأت إلا على جانب من المفهوم المشمول بهذا المصطلح، أما الجانب الآخر فقد أغفل دون الأخذ بعين الاعتبار أهمية هذا المصطلح في علم اللغة، فمن منا يستطيع إنكار محورية هذا المصطلح في علم اللغة؟ وإذا نحن سلمنا بهذه البديهيه فكيف لنا أن نزعم إخراج قاموس لغوي متخصص يسقط جانبا هاما من هذا المصطلح؟؟.

في كتابه الموسوم بـ«مناهج البحث في اللغة» الصادر في عام **١٩٥٥**م ناقش اللغوي الدكتور تمام حسان مصطلح أل (Grammar) بطريقة علمية وأسماه «الجراماطيقا» وقال ما نصه «وهذه المناهج الأربعة (الأصوات، التشكيل، الصرف، النحو) هي ما يطلق عليه في مجموعة أسم الجراماطيقا التشكيل (Grammar)»(٣)، ليس هذا فقط بل إنه بين بعدا آخر لهذا المصطلح حين أردف أن هذا المصطلح يشمل دراسة المعنى الوظيفي كذلك، ففي حين أغفل هذا المصطلح من قبل بعض اللغويين، فطن إليه آخرون مثل الحمزاوي وأدرجه ضمن محاولته المحدوده والمتواضعة لوضع مصطلحات لغوية عربية حديثة(٤).

إن للمصطلح الانجليزي (Grammar) اليوم مدلولين: مدلول تقليدي ضيق وهو الذى يشير الى النحو الصرف. فهذان الحقلان تربطهما كما هو معروف علاقة قوية، ففي حين كان الصرف يشكل مكونا مستقلا بذاته في النظرية البنيوية اللغوية فإنه أدمج تماماً في المكون النحوى طبقاً للنظرية التوليدية التحويلية.

أما المدلول الآخر لهذا المصطلح فهو مدلول حديث واسع، فطبقا للنظرية التوليدية التحويلة التى أقترحها اللغوي المعروف نوم تشومسكي فإن المصطلح (Grammar) لأية لغة هو مجموع المكونات الثلاثة التي تشمل المكون الفونولوجي، النحوي، والمعنوي والتى بدورها تغطي تركيبة اللغة، فحين يستعمل تشومسكي هذا المصطلح فإنه يستعمله للدلالة أولا على الكفاية اللغوية المتمثلة بمجموع القواعد التي تتناول كافة مستويات اللغة التي يكتسبها الفرد أيام الطفوله، ثم يستعمله ثانياً للاشارة إلى النظريه نفسها التي يقيمها اللغوي لوصف لغة ما(٥)، فالاستعمال الأول الذى قدمه تشومسكي هو عمليا، كما يتضح، قريب مما قاله الدكتور حسان سابقاً، وهذا يجب أن لا يغفل أو يتجاهل عند إعداد المعاجم اللغويه العربية مستقبلا.

على أية حال فإننا لا نتوقع من أصحاب المعاجم أن يزودوا القارىء بشروحات طويلة حول مصطلح علمي ما مثل المصطلح الذي نحن بصدده ولكننا نتوقع منهم قطعا أن لا يغفلوا الجوهر والجديد حول أي مصطلح.

وخلاصة القول فإن المصطلح (Grammar) يستعمل بالاضافة إلى مدلوله التقليدي للدلالة أيضا على جميع القواعد الفونولوجيه، النحويه، والمعنويه للغة ما، هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى فإننا نرى أن المصطلح «جراماطيقا» ربما يكون الأفضل للدلاله على المعنى الواسع للمصطلح الانجليزي (Grammar) ولابد من متابعة استعماله وإبرازه في الكتابات اللغويه العربية حتى تتحقق الدقة والوضوح.

الهوامـــــش

(1) Plamer, Frank (1971) Grammar: Harmondsworth, Penguin Books.

(٢) الخولي، محمد (١٩٨٢) معجم علم اللغة النظري: بيروت، مكتبة لبنان.

باكلا، محمد وآخرون (١٩٨٣) معجم مصطلحات علم اللغه الحديث: بيروت، مكتبة بيروت.

(٣) حسان، تمام (١٩٥٥) مناهج البحث في اللغة: القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ص١٩٤.

(٤) الحمزاوي، محمد (١٩٧٧) المصطلحات اللغويه الحديثه في اللغة العربية: تونس حوليات الجامعة التونسية. العدد ١٤.

(5) Chomsky, Noam(1968) The Sound Patterm of Fnglish: New York.


كل عام وأنت بخير
الكشــاف الببليوجــــــرافي
لموضوعات المنهل للعام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
المنهل
ALMANHAL

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/ ٩٢/ ١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
■ الآثـــار					
الكشف الأثرى . . فى فلسطين	عز الدين غريبة	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٠٧-٩٦
■ الأدب والدراسات الادبية					
(أ) عـــام:					
ابن خلكان . . شاعرا	د. مصطفى رجب	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٢٢-١٩
ابن سلام الجمحى وكتابه «طبقات فحول الشعراء»	د. محمد جمعة عبد الصمد	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٥٤-٤٨
أثر القرآن الكريم فى شعر محمد العبد آل خليفه	رقيه صالح طه	صفر / أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٤٧-١٤٥
احمد بن مشرف . . مرة اخرى	د. محمد بن سعد بن حسين	جمادى الاولى والاخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٣٣-٣٠
أدب الرحلات فن متميز	عبد الله حمد الحقيل	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٥٥-٥١
الأدب الاسلامى بين الحقيقة والأمل	صالح بو عزيزى	صفر / اغسطس	٥٤	٤٩٨	٢٠-١٧
أضواء على الشعر الاموى	د. بهيج مجيد القنطار	ذو الحجة/ مايو - يونيه	٥٤	٥٠٥	٩١-٨٤
البترول وظواهر أدبية جديدة	د. محمد بن عبد اللطيف الملحم	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٢٥-١١٨
البحر فى الأدب العربى!؟	د. رمضان بسطاويسى محمد	دو الحجة/ مايو - يونيه	٥٤	٥٠٥	٨٣-٨٠
التجربة الشعرية ومشاعر القلق	د. محمد الصادق عفيفى	ذو الحجة/ مايو - يونيه	٥٤	٥٠٥	٢٦-٢٤
تطور الشعر العربى فى عصر صدر الاسلام (الحلقة الاولى)	د. بهيج مجيد القنطار	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٤٢-٣٥
تطور الشعر العربى (الحلقة الاخيرة)	د. بهيج مجيد القنطار	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٣٣-٣٢
الحج فى القصيدة العربية	هيام فتحى دربك	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٤٧-١٤٤
حنانيك يا رقابة المصنفات الغنائية	محمد المتولى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١١٩-١١٨
الخـــالدى	عبد الله بن احمد الشباط	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٤٧-٤٦
رمضـــان والشعـر	محمد مرسى محمد مرسى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٣٧-٣٦
ريادة المقامات بين ابن دريد وبديع الزمان الهمزانى	د. جابر قميحة	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٥٥-٥٢
ساعة مع شاعر جاهلى	د. مصطفى رجب	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٥٠-٤٧
الشعر وعروس نجمة الجنوب سناء محيدلي	ايمن محمد ميدان	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٠٧-١٠٦
صفحات مشرقة من حياة وشعر ابراهيم طوقان	جهينة على حسن	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٩٩-٩٦
صور من الصراع فى الأدب العباسى	شلتاغ عبود شراد	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٦٦-٥٦
الضيافة فى الموروث الشعبى الفلسطينى	عبد المعطى الدرباشى	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١١٠-١٠٦
علماء العربية . . والشعر التغلبى	أيمن محمد ميدان	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٣٠-٢٤
العيد فى الشعر العربى	جكو عباس ابراهيم	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١١٤-١١٠
غربة ابن رمضان الاحسائى فى ايران	عبد الله بن ناصر على العويد	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٢٤-٢٣
فلسفة الشعراء حول التدخين	عبد الله بن ناصر على العويد	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٤٦-٤٣
القراءة الأدبية بين المتعة والفائدة	د. محمد أحمد حمدون	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٨٤-٩١، ص٧٥
لماذا اختفت المعارك الأدبية؟	د. على شلش	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٢٣-٢٠
ما وراء السطور	نادر صلاح الدين	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٧٥-١٧٤
المدينة المنورة . . فى الشعر السودانى	عبيد خيرى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١٧٤-١٧٠
المدينة المنورة . . فى عيون شعرائها	محمد هاشم رشيد	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١٦٩-١٥٨
المدينة المنورة فى وجدان القصيد	ابن الريف البخلاخى المحند	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١٨٤-١٧٨
المسافة بين الموضوع والمعالجه	زهير الانصارى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٦٧-١٦٦
نحو تفسير جديد لأدب الرحلات	د. عبد العزيز شرف	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٧٩-٧٤
النشاط النقدى للشعراء	عبد الناصر عيسوى	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٣٠-١٢٦
نماذج من شعر التجاني يوسف بشير	د. عبيد خيرى	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	٣٩-٣٦

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/٩٢/١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
اليد التي تتحدي المخرز	عرض: لوط شناعه، تأليف: فاضل محمود يونس	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٠٣-١٠٥
■ الخواطر الأدبيـة					
اشـجان عائـدة	انتصار احمد الكفراوى	رجب/ يناير		٥٠١	١٣٨
انا . . ماذا أريد	غالية الزنبقي	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٧٥
أوراق زوجيـــة	ابـو عـــواد	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٥٠-١٥١
أوراق زوجيـــة	ام عمـــرو	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٥٠-١٥١
أوراق زوجيـــة	ابـو عـــواد	صـفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٤٨-١٤٩
أوراق زوجيـــة	ام عمـــرو	صـفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٤٨-١٤٩
أوراق زوجيـــة	ابـو عـــواد	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٧٨-١٧٩
أوراق زوجيـــة	ام عمـــرو	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٧٨-١٧٩
أوراق زوجيـــة	ابـو عـــواد	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٤٨-١٤٩
أوراق زوجيـــة	ام عمـــرو	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٤٨-١٤٩
أوراق زوجيـــة	ابـو عـــواد	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٤٦-١٤٧
أوراق زوجيـــة	ام عمـــرو	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٤٦-١٤٧
أوراق زوجيـــة	ابـو عـــواد	ذو الحجة/ مايو - يونيه	٥٤	٥٠٥	١٤٨-١٤٩
أوراق زوجيـــة	ام عمـــرو	ذو الحجة/ مايو - يونيه	٥٤	٥٠٥	١٤٨-١٤٩
أول الغيث	هند هرسـانى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٦٢
بين قوة الحب وحب القوة	المنهــل	صـفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٣٢
الحـب والحرمـان	خالد عبد الله الأنصارى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٣٣
الحياة . . شركـة	هند احمد هرسانى	ذو الحجة/ مايو - يونيه	٥٤	٥٠٥	١٤٢-١٤٣
السـؤال	د. ثريا العريض	صـفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٤٤
سوف يتوب الناس	غاليه الزنبقي	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٤٤
الشـمس	محمود درويش	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٢٢
صداقة الكتاب	وداد سكاكينى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٣٧
ظمأ في الطريق	عبد الله بن يحيى القحطانى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٨٢-٨٣
غريـب	د. محمد صالح جوجقار	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٨٤-٨٥
فضـاءات	عزت الطيرى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١١٥
محاولات العبور في المدى والزمن	د. ثريا العريض	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٣٦
المسلم المعاصر	ابن بوذة نور الدين	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٨٣-٨٤
نشيد الحياة	محمود درويشة	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٤٠-١٤١
نشيد الغروب	محمود درويشة	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٣٠-١٣١
هل يهبط القمر	مديحة ابو زيد	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٤٣
وخـزة واقـع	هنـاء عبد الغفـار	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٤٢-١٤٣
■ الرسـالة الأدبيـة					
رسالة من ابراهيم ناجى الى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٤٥-١٤٧
رسالة من العقاد الى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٥٠-١٥٢
رسالة من عبد الله بن العجلان الى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٧٦-١٧٧
رسالة من قيس الى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٥٠-١٥١
رسالة من المرقشى الى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٤٨-١٤٩
رسالة من عروة الى السيدة الجميلة	محمد عبد الواحد حجازى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٥٠-١٥١
■ الشـعر					
ابليس في دم آدم	د. وليد قصـاب	صفر/ أغسطس	٥٤	٥٠٥	١٢٦

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/ ٩٢/ ١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
أبهـــا	اسامة عبد الرحمن	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٥٦-١٥٧
أبـــي	بشير رفعت سعيد	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١١٤-١١٥
أرض القداســات	مقبل عبد العزيز العيسى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٣١
أرض القداســات	مقبل عبد العزيز العيسى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٥٥
اســهان قد كبرا	أحمد العقباني	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٤٢
أشواق إلى البيت العتيق	رفعت عبد الوهاب المرصفى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٧
أنا وأنــت	عصام سعد الدين	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٣٣
أيـن الألــى؟	اسامه عبد الرحمن	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٩
أيـن أنتـم؟	عباس مهدى الخزام	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٨٤-٨٥
بســمة	محمد محمد الصويغ	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٣٢
بــوح	خلف محمد كمال ابراهيم	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٨٤
بين التشاؤم والتفاؤل	قدور الورطاسى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٧٩
تأملات فى زمن الضياع والتردى	مصطفى رشيد عثمان	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٩٩
تثبيت وتثبيط	عمر بهاء الدين الاميرى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٤٧
توبـــــه	احمد عبد السلام البقالى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١١
الجســر	شريف فؤاد الشافعى	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٨١
الحنين لبيت الله	كمال عبد الكريم الوحيدى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٢٢-٢٣
حيـــن أراك	جليلة رضــا	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٥٢
رمضـــان	محمد حسن فقى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٨-١٢
رمضـــان	حسين عرب	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٢٠-٢١
رمضـــان	محمد بن على السنوسى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٦٧
رمضـــان واق	احمد عبد الهادى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٩٨-٩٩
سراييفو لست الأخيرة	محمد رائف المعرى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٤٧-١٤٨
سراييفو والجراح النازفة	يوسف عبد اللطيف أبو سعد	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٤٨-١٥١
سلام على القدس	محمد الحلو	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٩١-٩٢
السؤال ـ الكتابه	بلقاسم بن سعيد	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٨٢
الشــعر	هيفاء رزق	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٤٣
شـكوى شــاعر	احمد بشار بركات	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١١٦
الطائر والضفدعة	احمد عبد السلام البقالي	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٨١
طفل اتى من عبق التاريخ	محمد فؤاد محمد	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٢٩
طوفــان الحجــارة	عبد السلام هاشم حافظ	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٨٧
عيــد الفطــر	محمد رائف المعرى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٠٧
الغريب العائد	حسـن منصور	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٤٢-١٤٣
غياب . . وعتاب	مقبل عبد العزيز العيسى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٤٨-٤٩
فتشت فى المرآة عن وجهى	يحيى السماوى	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٧٤-٧٥
فقــدان	خالــد منيسى	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٣٨
في رحاب المدينة المنورة	صــالح جــودت	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢١٦
فــى الشــطرنج	احمد بن حسين الكيوانى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٣٨-٣٩
فى غيبوبــة الشهود	عمر بهاء الدين الاميرى	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٩
قنابل إسرائيل	احمد عبد السلام البقالى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٩٥
لا تشـكرينى	حسين سيد أحمد	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٨٥
لحــن الســماء	يس الفيل	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٩٦
محكمة التاريخ	عبد السلام هاشم حافظ	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٩٩
مدينة الجمــال	هشـام عـدرة	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٣٠-١٣١
المدينة الخضــراء	ماحد ابراهيم العامرى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٥٤-٥٥

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/ ٩٢/ ١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
المطارحات الشعرية	زكي قنصل	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٢٦-٢٧
المطارحات الشعرية	محمد جواد الغبان	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٢٦-٢٨
مناجاة طيور الحب	د. عاتكة الخزرجي	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٤٦-١٤٧
نشيد السنابل	امير كمال فرج	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٣٢
هل ترى ما اسم القصيدة	احمد محمد النقيب	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٢٨
و . . غاب وجهك	د. عباس عجلان	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١١٣
■ القصة القصيرة					
البرعم	سارى على امين	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٣٨-١٤٠
الحلوى	عماد عارف الشيمى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٢٩
صرخات جائعة	محمد عبيد محمد	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٨٢
القرار	سارى على أمين	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٢٠-١٢١
الناقه	اسماعيل بن محمد الامام	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٨٣-٨٤
■ الدراسات النقدية :					
قراءة فى ديوان فارس الامل	أيمن ميدان	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٣٥-١٣٩
مسرحية اهل الكهف لتوفيق الحكيم بين الايحاءات الدينية والخلفيات الفكرية والفنية	د. احمد هيبة	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٣٤-١٣٨
■ مذاهب أدبية وأدب مترجم :					
بابلو نيرودا	د. بهاء لطفى قابيل	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٠٤-١٠٧
الحركات الهدامة فى الادب والفن. الدادية	د. حمادة ابراهيم	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٧٨-٨٣، ٩٧
قراءة فى مسرحيات برناردشو	د. عبيد خيرى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٩٢-٩٦
■ الأدب المقارن :					
تفاعلات الأدب المغربى	عبد السلام فزازى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٣٦-٣٩
غرناطة فى أشعار لوركا	د. بهاء لطفى قابيل	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٣٩-٤٣
■ الشعر المترجم :					
الى إليزا	عبد السلام مصباح (مترجم)	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٩٨
جايان ماهاباترا	احمد عثمان (مترجم)	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٩٧
الشلال . . عن يوليوس كروس	احمد مصطفى حافظ	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٧٧
قصائد مختارة لـ ماكس جاكوب	احمد عثمان «مترجم»	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٧٣
القصيدة فى مهب الريح	احمد عثمان «مترجم»	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٤٤-٤٦
نحلات للشاعر الملغاري، دمث مشديف	ميخائيل عيد (مترجم)	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٤٤
■ القصة المترجمة					
المؤتمر بقلم: ارنوباسيلينا	ابراهيم عبد الله العلو	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٩٩-١٠٣
■ الاستشراق والمستشرقون					
المستشرق كارلو نالينو	سمير احمد الشريف	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٧٤-٧٦
المستشرق الفرنسى فانسان مونتاي لماذا وكيف أسلمت؟!	محمد لسوخى	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٣٤-٣٨
■ إسلاميات (أ) عام :					
الاسراء والمعراج . . عبر وعظات	محمد صلاح على خليفة	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٠-١٦
التيمية والوهابية	عبد الكريم غلاب	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٦-١٩
الخطبة . . وأهميتها فى الاسلام	صالح على العود	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٠-١٢
رسالة المسجد فى المنهاج التربوى الاسلامى	د. محمد بلبشير الحسنى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٣٨-٤٣
رمضان دروس تربوية	صالح على أبو عراد الشهري	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٦-١٩
رمضان قديما فى هذه البلاد.	عبد القدوس الانصارى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٠٨-١٠٩
سيد الشهور	عبد القدوس الانصارى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٤-١٥
الصيام وعلاج الامراض الاجتماعية	محمد صلاح على خليفة	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٦٨-٧٥
عظمة القرآن المتجددة	د. عبد المهدى عبد القادر	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٢٦-٣٣

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/٩٢/١٩٩٣م	مـج	ع	ص ص
العقبات التى واجهت الدعوة الاسلامية	د. محمد عبد الرحمن بكر عامودى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١٣-١٠
عمل اهل المدينة	د. المصطفى الوضيفى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٣١-٢٤
عوامل النصر فى موقعة بدر الكبرى	محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٤٧،١٠٣-١٠٠
ماذا يعنى شهر رمضان العظيم؟	الشيخ عبد العزيز بن باز	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٨-٤
المرأة والعلم فى ميزان الاسلام	حاتم محمد أبو العباس	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٤٢-١٣٩
من آيات الاحكام . . آية . . وإعجاز	د. حسن محمد باجودة	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٢٥-١٦
من اسرار الحج وحكمه	د. يس الخطيب	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٥-١٢
من مزايا شهر رمضان	عبد القدوس الانصارى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٣٥-٣٤
الهجرة . . عبر وعظات	محمد صلاح على خليفه	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٢٣-٢٠
وما أرسلناك إلا كافة للناس	احمد محمد جمال	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٩-٧
ونجح أهل المدينة فى الاختبار	د. محمد عبده يمانى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٢-١٤
(ب) تشريع مقارن :					
بين الشريعة . . والقانون الوضعى	د. ياسين بن ناصر الخطيب	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٤-١٠
(ج) تفسـير:					
تحرج الأصمعي وابن دريد من تفسير الفاظ القرآن	د. صبيح التميمي	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٨٠-٧٨
(د) الحديث الشريف والسنة :					
آداب الجلوس النبوى	صالح بن على ابو عواد الشهرى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٣٠-٢٤
خروج دابة الأرض	د. عبد الباسط احمد حمودة	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٩-١٨ ص٤٣
خروج يأجوج ومأجوج	د. عبد الباسط احمد حمودة	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٢٥-٢٢
الدجـال	د. عبد الباسط احمد حمودة	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٩٣-٨٦
الدجـال وابن صياد	د. عبد الباسط احمد حمودة	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٨-١٣
الفتن قبيل الساعة	د. عبد الباسط احمد حمودة	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٤٦-٤٠
مظاهر نهاية الدنيا	د. عبد الباسط احمد حمودة	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٤١-٣٠
من علامات السـاعة	د. عبد الباسط احمد حمودة	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٢٢-٢٠
(هـ) حوار فقهى واسلامى					
حوار مع الدكتور احمد عمر هاشم	نادر صلاح الدين	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٠٧-١٠٤
حوار فقهى مع مفتي مصر	مجدى ابراهيم	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٤٦-٤٤
(و) خواطر إسلامية :					
خواطر حول رمضان	عبد العريز الرفاعى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٧٧-٧٦
شـهر الشهور	زهير نبيه الانصارى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٥٩-١٥٨
(ز) علم الاديان المقارن					
موافقات إنجيل برنابا للقرآن الكريم	نصر عمر مقبول	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٢٩-١٢٦
(ح) المسـاجد:					
وظيفة المساجد فى الاسلام	د. محمد احمد سلامة	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٦-١٠
■ **الاعـلام والصحافة :**					
● إعـلام					
الاتصال التلفزيونى وأثره فى البنية	د. سامية احمد	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٤٥-١٤١
الاعلام . . والتغريب الثقافى	د. عبد القادر طاش	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٥٦-٤٨
● صحافـة					
حسناء تبدو دائما	رئيس التحرير	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٣
هـذا العـدد	المنهـل	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٣
هـذا العـدد	رئيس التحرير	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٣
■ **الاماكن والبلدان :**					
● رحلات وتاريخ ومعلومات					

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/٩٢/١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
ابن حوقل فى رحلته الى جزيرة صقلية	د. يوسف ابن احمد حوالة	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٤٠-٤٥
أسوار مدينة فاس الأثرية	عبد السلام الزروالى	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٦٤-٦٧
أسوان مدينة الآثار والتاريخ	ناصر محمد نصر	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٦٠-٦٤
الاقصر.. عاصمة آثار الدنيا	محمد حمدى السنباطى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٧٠-٧٧
بروناى لؤلؤة النهر ودار السلام	التحريـر	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٦٦-٧٣
البهنس ارض الفتوحات	محمد حمدى السنباطى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٦٠-٦٥
تبسه.. مدينة الآثار والتاريخ	إبراهيم نويري	الجمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٦٠-٦٦
جزر القمر.. مدائن العطور	المنهـل	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٦٤-٦٧
جنوب سيناء وادى القمر	محمد حمدي السنباطى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٦٦-٧١
الدانمارك.. حاضرة البحر	المنهـل	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٦٨-٧٥
ســـلا	احمد المكينسي	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٦٠-٦٣
محطـات سـياحية	المنهـل	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٥٨-٥٩
محطـات سـياحية	المنهـل	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٥٨
محطـات سـياحية	المنهـل	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٥٨-٥٩
محطـات سـياحية	المنهـل	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٥٨-٥٩
محطـات سـياحية	المنهـل	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٥٨-٥٩
محطـات سـياحية	المنهـل	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٥٨-٥٩
المدافن التدمرية فن وحضارة	رقية صالح طه	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٦٣-٦٦
مدينة يفـرن	احمد المكينسي	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٦٠-٦٢
مسقط.. مدينة القلاع	خالد عـزب	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٦٠-٦٩
■ التـاريخ:					
أهم الملابس العربية	د. غيثان على جريس	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٧٨-٩٥
الطوارق.. ملوك الصحراء	صالح محمد ناصر	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٦٨-٧٢
علماء الحجاز وعلاقتهم ببنى العباس	د. غيثان على جريس	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٢٥-٣٠
كنوز القـدس	المنهـل	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١١٠-١١٢
مدينة القدس.. احداث وتاريخ	السمانى كمال الدين	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٩٢-١٠٤
المدينة المنورة أمراؤها وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم احمد ياسين الخيارى	محمد أمين كردى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١٥٠-١٥٧
المدينة المنورة.. رحلات ورحالة	ابن الريف البخلاخى امحند	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢١٨-٢٢١
المدينة المنورة فى كتب الرحالين المغاربة	ابن الريف البخلانى امحند	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١٨٦-٢٠٨
المدينة المنورة ورقات من ذاكرة التاريخ	د. غيثان على جريس	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١١٢-١٢٠
المدينة المنورة مصادر شفهية ومفقودة	د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١٠٦-١١١
مصادر كتابة تاريخ وآثار بلاد الشام	قاسـم طوير	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١١٤-١٢٢
من فضائل مكة المكرمة	عاتق بن غيث البلادى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٤٠-٥٦
مواقف بنى العباس تجاه اهل الحجاز	د. غيثان على جريس	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٨٢-٨٨
■ تحقيقات مصـورة:					
برنامج الخليج العربى	التحريـر	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٤-٨، ١١٢-١١٣
ليالى رمضان رحلة فى ذاكرة الزمن	المنهـل	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٢٤-١٣٥
المنهل ورحلة فى جوف الأرض	نادر صلاح الدين	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٥٣-١٥٧
مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الاسلامية	المنهـل	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٤-٨
■ التـراث: (ثقافة تراثية)					
باب معرفة الحذر	التحرير	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٠٨-١٠٩
تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع	التحرير	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٤٠-١٤١
حلب وحمص وحماة	حمـاد السالمي	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٢٦-٢٧

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/٩٢/١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
السيل والحب	حماد السالمى	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٤٢-٤٣
عقرب وحية وزيزب	حماد السالمى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٢٢-٢٣
متنبئون	حماد السالمى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٣٤-٣٥
من التراث	المنهل	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٨٠-٨١
من خطب حكماء العرب	المنهل	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٧٦-٧٧
نحو أكاديمية عربية للتراث	د. يوسف خليفة غراب	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٥٣-١٥٥
هدايا الاسلام	حماد السالمى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٣٦-٣٧
هدايا العظماء	حماد السالمى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٩٦-٩٧
الهدية على قدر مهديها	حماد السالمى	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٦٨-١٦٩
وجه الصواب فى تعليم العلوم	التحرير	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٢٨-٢٩
■ التراجم والشخصيات :					
(أ) عام :					
احمد عبد الغفور عطار	المنهل	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٥٦
محمد سرور الصبان	المنهل	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٥٢
الشيخ احمد على أسد الله الكاظمى	المنهل	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٩٦
أعلام عابرون	ابن الريف البخلاخي المحند	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢١١-٢١٦
الانصارى ذكرى عزيز	حسين عرب	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٣٦
الانصارى فقيد العلم والأدب	أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٣٧
د. صالح بن سليمان الوشمى	المنهل	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٩٦
عبد القدوس الانصارى الرائد المربى	أ. د. عبد الرحمن الطيب الانصارى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٣٨-١٣٩
عبد القدوس الانصارى مؤرخا	د. محمد الصادق عفيفى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٢٤-١٣٢
عبد الله كنون (١٣٢٨-١٤٠٩هـ)	المنهل	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٢٣
كامل كيلانى (١٨٩٧-١٩٥٩م)	المنهل	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٥٦
محمد حسين زيدان (١٣٢٥-١٤١٢هـ)	المنهل	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٥٦
د. منصور فهمى	د. محمد رجب البيومى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٢٢-١٢٥
يحي حقى رائد القصة القصيرة	المنهل	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٥٦
(ب) السيره الذاتية :					
رحلة فى الذاكرة (٧)	د. محمد رجب البيومى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٧٥-٧٨
رحلة فى الذاكرة (٨)	د. محمد رجب البيومى	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	٤٤-٤٧
رحلة فى الذاكرة (٩)	د. محمد رجب البيومى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٣٤-٣٧
رحلة فى الذاكرة (١٠)	د. محمد رجب البيومى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٥٠-٥٣
رحلة فى الذاكرة (١١)	د. محمد رجب البيومى	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٧٦-٧٩
رحلة فى الذاكرة (١٢)	د. محمد رجب البيومى	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٤٨-٥١
(جـ) الملوك والأمراء					
مدينة .. وأمير	المنهل	الربيعان/ اكتوبر		٤٩٩	٦
(د) تراجم أعلام الغرب :					
أوكتافيوباث وجائزة نوبل للآداب	جنكو ابراهيم	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر		٥٠٠	٧٨-٨٣
■ تربية وتعليم					
مدارس الانصارى	د. أمين ساعاتى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٣٢-١٣٥
المدينة المنورة التعليم (من١-١٤١٢هـ)	ناجى محمد حسن الانصارى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١٢٨-١٤٨
■ التنمية والاقتصاد:					
التنمية فى المجتمع الاسلامي	د. خلاف خلف الشاذلي	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٣٠-٣٤
ميزانية العام الجديد	رئيس التحرير	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٣
نظام الزكاة وأثره فى الوقاية	د. محمد فاروق النبهان	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١١٦-١٢٣

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/٩٢/١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
■ ثقافة عامة متنوعة :					
استراحة قصيرة	المنهـل	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١١٤-١١٥
استراحة قصيرة	المنهـل	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٢٤-١٢٥
استراحة قصيرة	المنهـل	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٩٤-٩٥
استراحة قصيرة	المنهـل	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١١٦-١١٧
اهمية الرصد الفكرى	ابراهيم نويرى	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٧٤-١٧٥
بين المجلة والكتاب	احمد جبر	ذ و الحجة/ مايو - يونيه	٥٤	٥٠٥	٢٩-٣١
حول تسمية الشهور العربية	د. سعد أبو دية	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٥-١٦
الحياة الدينية للمسلمين بالصين	وانغ قوى فا	ذ و الحجة/ مايو- يونيه	٥٤	٥٠٥	١٥٣-١٥٧
سقيط الندى	عاتق بن غيث البلادى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٣٢-٣٣
سقيط الندى	عاتق بن غيث البلادى	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	٢٤-٢٥
سقيط الندى	عاتق بن غيث البلادى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٢٠-٢١
شذرات الذهب (١)	د. ابى حسام	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٣٠-١٣٣، ١٣٨
شذرات الذهب (٢)	د. ابى حسام	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	٩٢-٩٥
شذرات الذهب (٣)	د. ابى حسام	ذ و الحجة/ مايو - يونيه	٥٤	٥٠٥	٣٢-٣٥
لحظـة هـدوء	المنهـل	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٤٨-١٤٩
لحظـة هـدوء	المنهـل	رجب/ يناير	٥٤	٤٩٧	١٤٤-١٤٥
متابعات ثقافية	المنهـل	محرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٤-١٩
متابعات ثقافية	المنهـل	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٦٢-١٧١
متابعات ثقافية	المنهـل	جمادى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٩٠-١٩٣
متابعات ثقافية	المنهـل	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٦٦-١٧١
متابعات ثقافية	المنهـل	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٥٠-١٥٣
● آراء وتعليقات :					
ايها افضـل	هند احمد هرسانى	شعبان فبراير	٥٤	٥٠٢	١٤٠
قاموس الرأى	تميم الحكيـم	صفر/ اغسطس	٥٤	٤٩٨	١٧٢-١٧٣
قاموس الرأى	تميم الحكيـم	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٩٦-١٩٧
قاموس الرأى	تميم الحكيـم	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٧٢-١٧٣
قاموس الرأى	تميم الحكيـم	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٥٤-١٥٥
القدوة الحسنة لماذا نفتقر اليها؟	محمد سليم رشدان	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٧٤-١٧٥
المخدرات كارثة اقتصادية	احمد اسماعيل احمد	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١١٦-١١٨
من البغبغان يأتى الدرس	سعد البواردى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٩٨-١٩٩
■ الجغرافيـــا :					
تحديد جبل «ثور» بالمدينة المنورة	حماد بن محمد بن محمد الانصارى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٧٦-٧٨
تحديد جبل «ثور» بالمدينة المنورة	عبد العزيز بن عبد الفتاح القارى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٧٦-٧٨
تحديد جبل «ثور» بالمدينة المنورة	عمر محمد فلاته	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٧٦-٧٨
تحديد جبل «ثور» بالمدينة المنورة	مرزوق بن هياس الزهرانى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٧٦-٧٨
جوانب من الشخصية الجغرافية للمدينة	د. محمد أحمد الرويثى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٨٤-١٠٥
حدود حرم المدينة النبوية	د. أبى مجاهد عبد العزيز	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٧٠-٧٥
مفهوم جديد حول نظرية الموقع	زهير محمد جميل كتبى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١١٦-١٢٠
منزل الدجال حول المدينة المنورة	د. أبى مجاهد عبد العزيز	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٤٩	٧٩-٨٢
■ دراســات سيكولوجية :					
دور الاسرة فى وقاية الطفل	آمال عبد الرحمن	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٣٨-١٤١
الطفل وتعلم لغة الاشكال البصرية	د. يوسف خليفه غراب	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٥٣-١٥٦
مدخل للابداع الفنى عند الاطفال	د. يوسف خليفه غراب	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٥٣-١٥٦

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/٩٢/١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
■ السياسة :					
اسرائيل آفاق الاستراتيجية والوهم (١)	عماد فوزى شعيبى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٠٥-١١٣
اسرائيل آفاق الاستراتيجية والوهم (٢)	عماد فورى شعيبى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٠٨-١١٥
اسرائيل والمياه العربية	زاهدة عويس	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٣٠-١٣٤
الاغتصاب الجماعي كسلاح فى الحرب	لطيف الحبيب	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١١٠-١١٦
التطرف المرن	المنهـل	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٩٤
الخلافات الفلسطينية ـ الفلسطينية	المنهـل	دو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٢٨
دائرة معارف للاسماء الاسلامية فى البوسنه	د. ابو الفتح شرف الدين	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١١٧- ١٢١
شالوم ضد شالوم	عادل البطوسي	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٠٠-١٠٥
فرانزكافكا . . ومعركتنا ضد الصهيونية	عادل البطوسى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٠٠-١٠٤
فرانز كافكا . . ومعركتنا ضد الصهيونية	عادل البطوسى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٠٠-١٠٢
فلســطيننا	المنهـل	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٩٨
فلسطين بين فكي شامير. . ورابين	المنهـل	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	٩٨
لبيوت الله أهلها الساهرون	المنهـل	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٩٠
قضايا المسلمين فى عيوننا وبين جوانحنا	رئيس التحرير	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٣
ماذا سيكون مصير هونج كونج (مترجم)	د. لطفى فارس الريشان	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٨٠-١٨٥
مدلول الصراع الفكرى وهدم المسجد الأقصى	عطيه فتحى الويشي	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٠٥-١٠٩
منهليـــات	رئيس التحرير	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٣
الوثائق التاريخية التى سرقتها اسرائيل	مجاهد على شراب	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٨٨-٩٢
وماذا بعد ؟!	المنهـل	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٨٦
■ الطب والطب الاسلامى :					
إحياء التراث الطبى	د. نبيـل سليم	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٥٦-١٦١
الحجامه فى الطب الاسلامى	د. محى الدين لبنيه	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٢٦-١٣٠
حذار من البطنه فى رمضان	د. محى الدين لبنيه	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٤٥-١٤٩
الداء فى الدواء	م. محمد عبد القادر الفقى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٣٠-١٣٣
الذباب هذا العدو المهاب	د. نبيل سليم	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٧٠-٧٣
الرعاية الصحية فى الاسلام	د. محمد على البار	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١١٦-١٢٥
الصوم . . نبع الصحة	محمد احمد عبد الكريم	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٣٦-١٣٨
الصوم والسـمنه	د. محمد على البار	رمضان/ مارس	٥٤	٥٠٣	١٣٩-١٤٤
الوقاية من الامراض فى الحج	د. محمد مصطفى السمرى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٦٢-١٦٥
■ طباعـة ومطابـع :					
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف	المنهـل	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	
■ العادات والتقاليد :					
(أ) عـــام :					
ذكريات أيام مضت	الشريف هاشم محمد الدعيس	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٧٨-٢٨٠
عادات وتقاليد فى المدينة المنورة	عمر محمد محمد بكر	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٥٠-٢٦٣
عادات وتقاليد فى المدينة المنورة	عطيه محمد سالم	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٦٥-٢٧٠
عادات وتقاليد فى المدينة المنورة	عبد الله الزاحم	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٧١-٢٧٢
عادات وتقاليد فى المدينة المنورة	حســن صيرفى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٧٣-٢٧٦
عادات وتقاليد فى المدينة المنورة	حسين محمد الفريدى	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٧٦-٢٧٧
(ب) خواطر اجتماعية :					
النميمـــة	شيخة بنت عبد الله الهاشل	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٦٣-١٦٥
■ علم الاجتماع والنفس الغربى					
قراءة فى سوسيولوجية دور كايم	الطيـب بو عـــزة	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٦٢-١٦٧
كيف يرسم الاطفال	د. شاكر عبد الحميد (مترجم)	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٨٤-٩١

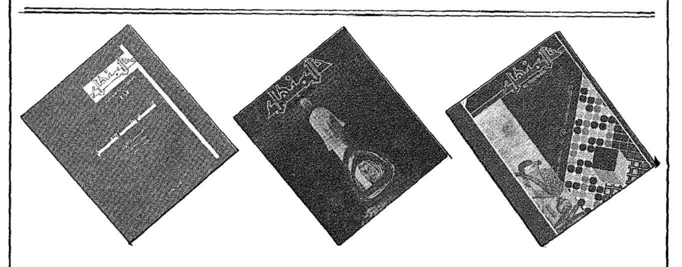
الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/ ٩٢/ ١٩٩٣م	مـج	ع	ص ص
■ العلوم والتكنولوجيا:					
العلوم عند العرب	علية عبد الله سلطان	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٦٦-١٧٤
الكمبيوتر . . نعمة أم نقمة؟	م. بيهس محمد عدنان فرعون	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٢١-١٢٦
الليزر يقتحم الطب من بابه الواسع	د. خالد عقيل	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٣٤-١٣٦
المرنـــاه	المنهـــل	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	١٥٨-١٥٩
المرنـــاه	المنهـــل	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٥٨-١٥٩
المرنـــاه	المنهـــل	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٥٨
المرنـــاه	المنهـــل	رجـب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٦٢
المرنـــاه	المنهـــل	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١٥٠-١٥١
المرنـــاه	المنهـــل	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	١٥٨-١٥٩
هندسـة الوراثـة	د. محمد نبهان سويلم	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٥٦-١٥٩
■ العمارة الاسلامية:					
المدينة المنورة . . العمارة النبوية	خالد محمد عزب	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٥٦-٦٠
المدينة المنورة وتوسعة المسجد النبوى	المنهـل	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٤٠-٤٧
المسجد النبوى والتوسعات القديمة	د. سعاد ماهر محمد	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٣٢-٣٨
ملامح من فن العمارة فى المدينة المنورة	م. حاتم عمر طه	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٦٢-٦٩
■ الفـن الاســلامى					
المسجد النبوى . . والعلاقات اللونية	د. يوسف خليفة عراب	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٤٨-٥٤
■ الكتب والاصـدارات:					
(أ) عـــام					
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	محمد مراح (عرض) تأليف: مازن مطبقانى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٨٦-١٨٩
العمل الاسلامى فى اوربا الشرقية	د. فهد بن عبد الله العمارى	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	١٤٤-١٤٦
فى القصة والرواية الفلسطينية	سمير احمد الشريف	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٩٢-٩٥
كتـــب واصـــدارات	المنهـــل	المحرم/ يوليو		٤٩٧	١٦٢-١٦٥
كتـــب واصـــدارات	المنهـــل	صفر/ أغسطس		٤٩٨	١٦١
كتـــب واصـــدارات	المنهـــل	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر		٥٠٠	١٩٤-١٩٥
كتـــب واصـــدارات	المنهـــل	رجب/ يناير		٥٠١	١٧٢-١٧٣
كتـــب واصـــدارات	المنهـــل	شعبان/ فبراير		٥٠٢	١٧٠-١٧١
كتـــب واصـــدارات	المنهـــل	رمضان/ مارس		٥٠٣	١٥٦-١٥٧
(ب) كتب مترجمة:					
الامن أو الدمار	سعيد حداد (عرض) تأليف: لويس بيرس	المحرم/ يوليو		٤٩٧	١١٠-١١٣
كتابة القصة القصيرة	د. محمد بن محمد شتا تأليف: ولسن ثورنلى	شعبان/ فبراير		٥٠٢	٤٧-٥٥
(جـ) المخطوطات الأدبية:					
المفقود من تراث جازان الأدبى	احمد بن محمد الهندى	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	٨٠-٨١
■ اللغـــة:					
(أ) الدراسات اللغوية وفروعها					
أخطاء شائعة فى كتابات المعاصرين	الفريق: يحيى بن عبد الله المعلمى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٦٢-٦٣
أصل لهجة معاصرة ظواهر صوتية	د. سليمان بن ابراهيم العايد	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٤٤-٥٠
أضواء على مكانة اللغة العربية	د. عبد الجواد محمد محمد طبق	صفر/ أغسطس	٥٤	٤٩٨	١٣٠-١٣٧
الاعـلام . . واللغة	د. محمد عبد المنعم خفاجى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٣٨-١٤٢
البرامج الاذاعية . . والفصحى المشتركة	د. سهير جاد	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٥٢-١٦٢

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/٩٢/١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
بين تفصيح العامية . . وحماية الفصحى	د. بكرى عبد الكريم	شوال والقعده / ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٥٢-٥٤
التجاوز على الفصحى	د. ابراهيم السامرائي	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٥٦-٦١
التعريب الاستراتيجي والتاريخ	د. عشراتي سليمان	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٩٦-١٠٢
تعريب الطب بين العاطفة	د. يوسف نور عوض	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١١٤-١١٦
التعريب والمعاصرة التكنولوجية	د. محى الدين صابر	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١١٧-١٢٥
حتى لا تضيع اللغة العربية	د. ياسين بن ناصر الخطيب	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٦٤-٦٦
دور اللغة العربية عام ٢٠٠٠	احمد الاخضر غزال	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٨٢-٨٣
الصلة بين اللهجات العاميه وبين اللغة	المؤرخ: حمد الجاسر	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٤٢-٤٣
ظواهر لغوية فى الشعر المعاصر	د. محمد احمد حمدون	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٧٠-١٨١
العربية بين التعريب والترجمة	د. عبد الصبور شاهين	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٠٤-١٠٧
القرآن الكريم حافظ للغة	د. حسن محمد باجوده	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٦-٢١
اللسانيات وبرمجة اللغة العربية	د. محمد على الزركان	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٨٢-١٨٩
لغة الضاد بين التشكيك والتحديث	د. ناول عبد الهادى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٨٤-٨٦
اللغة العربية . . بين القواعد والنصوص	د. محمد رجب البيومى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٢٦-١٢٩
اللغة العربية بين المعلم والطالب	د. محمود اسماعيل الصينى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٣٠-١٣٦
اللغة العربية لغة العلوم والتقنية	د. البدراوى زهران	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٩٠-١٩٩
اللغة العربية وحملات التغريب	د ابراهيم محمد اسماعيل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٨٨-٩٤
اللغة وظيفتها وحقيقتها	د. حامد صادق قنيبى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٢-٢٧
اللغة وقوميتنا العربية	د. حسين نصار	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٣٨-٤٠
لغة الفن القصصى	د. طـه وادى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٦٤-١٦٩
اللغة . . فى نظرية الاعلام	د. عبد العزيز شرف	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٤٤-١٥١
اللغات اليمانية القديمه	القاضى اسماعيل بن على الأكوع	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٥٤-٥٥
لغات لها تاريخ مع العربية	محمد السيد على بلاسى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٦٤-١٦٥
ليس فى العربية تضخم لفظى	د. نعمة رحيم	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٦٨-٧٠
مستقبل اللغة العربية فى القرن ٢١	أ.د. طاهر احمد مكى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٧٦-٨٢
مصادر لغتنا العربية وقواعدها	أ.د. احمد محمد قاسم	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٨-٣٣
مصطلحات الاتصال الجماهيرى فى اللغة	د. عصام سليمان الموسى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٦٢-١٦٣
النهوض باللغة العربية	أ.د. البدراوى زهران	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٣٤-٣٦
وشائج القربى فى العربية	محمد السيد على بلاسى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٧٢-٧٤
(ب) آراء وتعليقات لغوية :					
أهمية اللغة العربية	أ.د. عبد العزيز الخويطر	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٤-٥
التحديات والمسيرة	الشيخ الطيب سلامة	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٧٤
الترجمـة	أ.د. عفيف دمشقية	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١١٢-١١٣
تعريب التعليم العلمى	أ.د. احسـان عباس	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٣٧
تعريب العلوم الانسانية	د. محمود ابراهيم	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٠٣
تعريب اللسـان المسلم	د. حسين حامد حسان	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٧٥
دفاعا عن العربية الصحيحة	فاروق شوشة	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٦٦-٦٧
العربية فى انحاء العالم	المنهـل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٤١
قوة اللغة من قوة أهلها	رشـدى أدهم امام	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٧
لغة جميع المسلمين	د. الطيب زين العابدين	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٧٠
اللغة العربية حوار مفتوح	د. ابراهيم السامرائى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	أنور الجندى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	د. عبد العزيز احمد علام	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	عبد الله عمر خياط	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	عمر طاهر أحمد زيلع	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/٩٢/١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
اللغة العربية حوار مفتوح	د. غازى القصيبى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	د. محمد الأول أبو بكر	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	د. محمد سعد الدبل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	محمد عبد الوهاب جنيدى	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	محمد المنصور الشقحاء	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	د. نجاة حسن على	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
اللغة العربية حوار مفتوح	د. نور الدين صمود	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٢٠٠-٢٠٧
معاهد تعليم العربية لغير الناطقين بها	د. عبد العزيز ابراهيم الشهوان	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٣٧
نشر اللغة العربية	د. عبد الله عبد الشكور	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٠٧
(ج) أعـلام اللغـة:					
ابن الانبارى، أبو البركات عبد الرحمن	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١١٦
ابن الانبارى، القاسم بن محمد	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١١٦
ابن الانبارى، محمد بن القاسم	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١١٦
ابن برى، عبد الله بن برى المقدسى	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٩٤
ابن دريد، محمد بن الحسن	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٣٦
ابن السكيت يعقوب بن اسحق	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٣٣
ابن عاصـــم	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٦٢
ابن القطاع، على بن جعفر	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٠٢
ابن القوطيه، محمد بن عمر	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٤١
ابن هشام، عبد الله بن يوسف	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٨٩
ابو حيان الغرناطى، محمد بن يوسف	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٥٠
ابو على القالى، اسماعيل بن القاسم	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٢٥
ابو عمرو بن العلاء، زبان بن عمار	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٤٣
ابو عمرو الشيبانى، اسحق بن مراد	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٣٦
الأخفش الأصغر على بن سليمان	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٢٥
الأخفش الاوسط أبو الحسن سعيد	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٢٥
الأخفش الأكبر ابو الخطاب عبد الحميد	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	١٢٥
الأصمعى، عبد الملك الباهلى	المنهـــل	شوال والقعدة/ ابريل ومايو	٥٤	٥٠٤	٥٠
(د) اعلام النحو العربى:					
علماء النحو فى المدينة المنورة	د. احمد ابراهيم سيد احمد	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	١٢٢-١٢٦
■ لقـاء وحـوار.					
حوار مع الأديب عبد الله باجبير	المنهـــل	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٣٨-٣٩
لقاء فى الهواء الطلق مع د. على شلش	المنهـــل	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١١٠-١١١
حوار صريح مع الشاعر ممدوح عدوان	السيد المحرجى	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٤٦-٤٩
يحيى حقى.. حوار مع الماضى	حيرى السيد ابراهيم	شعبان/ فبراير	٥٤	٥٠٢	١١٤-١١٥
■ المتاحـف:					
الدور الحضارى للمتاحف والمعارض	د. يوسف خليفة غراب	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	١٥٣-١٥٥
قسم الآثار والمتاحف ـ جامعة الملك سعود	المنهـــل	جمادى الاولى والآخرة/ نوفمبر وديسمبر	٥٤	٥٠٠	٤-٩
متحف ام القرى للتراث بمكة المكرمة	عبد الهادى السيد بلاسى	ذو الحجة/ مايو ويونيه	٥٤	٥٠٥	٤-١٠
متحف التاريخ الطبيعى بالسودان	أبو لينـــة	رجب/ يناير	٥٤	٥٠١	٤-٩
متحف قصر شـــدا	عبد الله ظافر القحطانى	المحرم/ يوليو	٥٤	٤٩٧	٦٧-٦٩
■ المكتبات الاسلامية:					
المدينة المنورة المنتديات والمكتبات الخاصة	المنهـــل	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٢٢-٢٢٧

الموضوع	الكاتب	١٤١٣هـ/٩٢/١٩٩٣م	مج	ع	ص ص
مكتبة المسجد النبوى الشريف	سليمان بن صالح العبيد	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٢٨-٢٢٩
مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود	المنهـــل	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٣٠-٢٤٢
■ النوادى الأدبية :					
النادى الادبى فى المدينة المنورة	المنهـــل	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٢٤٣-٢٤٧
■ وطنيـــات :					
يومنـا الوطنى مجد وإباء	رئيس التحرير	الربيعان/ اكتوبر	٥٤	٤٩٩	٤-٥

(*) (مج) مجلد، (ع) رقم العدد، (ص ص) من صفحة الى صفحة



تسهيلا لاستخراج المعلومة التى تودها فقد عمدت مجلتك المنهل ـ منذ سنوات مصت ـ على نشر هذا الكشاف السنوي للموضوعات التى نشرت خلال العام. . وهذا الكشاف ـ لا شك ـ يساعد الدارسين والباحثين، والمهتمين بالفكر والمعرفة كثيراً في البحث عما يودون البحث عنه.

ونسعد كثيرا في إبداء رأيكم حول هذا الكشاف تطويراً وتنظيمـاً.

وكريم تواصلكم مع منهلكم نني لعلمكم ان المنهل يعد الآن لاخراج الجزء الثانى من كشاف موضوعات المنهل ويضم الخمسة والعشرين عاما الثانية التى تنتهي في ١٤٠٥هـ. . ولقد سبق أن نشر المنهل كشافه الأول فى تاريخ سابق ويضم موضوعات الخمسة والعشرين عامـاً الاولى التى تبدأ من ١٣٥٥هـ، تاريخ اصدار أول عدد من المنهل.

ولعلمكم الكريم أيضاً نوضح ان دارة المنهل قد طبعت واصدرت مجموعة المنهل من (١٣٥٥ ـ ١٤١٢هـ) فى مجلدات فاخرة معدة للبيع عن طريق العلاقات العامة بالمجلة.

■ للاستفسار: ت/ ٦٤٣٢١٢٤ جـدة.

نتيجة مُسَابقة أرامكو السّعوديّة

تتقدّم أرامكو السعوديّة ، ممثلة بإدارة العلاقات العامّة فيها، بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في مسابقتها السنويّة الرابعة عشرة لرسُوم الأطفال ، وبأحرّ التهاني للأطفال الذين فازوا في هذه المسابقة، هذا الشكر وهذه التهاني تشمل ، بدون شك ، أولياء أمُور هؤلاء الأطفال ومُدرّسيهم وجميع من حثّهم وشجّعهم على المشاركة .

تهنئة إلى جميع الأطفال الفائزين

وفيمَا يلي أسمَاء الأطفال الذين فازوا بجوَائز المسَابقة هَذا العام :

أحمد خضر خالد فرج
مدارس دار الفكر - جدة

أحمد محمد يحيى الغامدي
مدارس دار الفكر - جدة

أحمد لافي معزي
مدرسة أسامة بن زيد الابتدائية - عرعر

أحمد خيري عابدين
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أحمد محسن حسين
مدرسة الإمام الشافعي الابتدائية - الجوف

أحمد عبد العزيز الغزيري
مدرسة عرار الابتدائية - الجبيل الصناعية

أحمد محمد العثمان
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أحمد عبد الخالق الحديدي
مدرسة الفاروق المتوسطة - الجوف

أحمد محمد كمال محمد شعلاي
مدارس الأبناء بالدفاع الجوي - تبوك

أحمد عبد العزيز الدريهم
مدرسة عمر بن الخطاب - الرياض

أحمد عبد الله عبد رب النبي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أسامة عبد الوهاب الحواج
المدرسة النموذجية الأهلية - الدمام

أسيل عبد الرحمن الوابل
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أشواق صالح سويلم
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أشواق عبد الله
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أفراح عبد الله منصور الشعيبي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

الجوهرة بنت بندر بن فهد آل سعود
مدارس نجد الأهلية - الرياض

أنس عبد اللطيف بحيري
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

إياد ماهر بدر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أيمن جواد إسماعيل النخالة
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

باسل جاسم العايد
- الخبر

بدر عبد العزيز المقيرن
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

بدر صالح عبد الله آل مسلم
مدرسة مجاهد - سبت العلايا

بسنت صالح محمد أحمد
مدارس الفلك الأهلية - جدة

بندر عبد الله المحيميد
مدارس البر النموذجية - الخبر

بندر فريح عايد
مدرسة النعمان بن مقرن - عين عبر

بهاء محمد علوي آل علوي
مدرسة صفوان المتوسطة - رأس تنورة

تميم غازي حمادة
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

ثامر عبد القادر بكر أمين
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

جميل غازي السليماني
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

جهاد علي السبيهين
مدرسة عرار الابتدائية - الجبيل الصناعية

حسام عيسى محمد سواد
مدرسة الباحة - جيزان

حسن عبد الهادي حسن طاهر
مدارس دار الفكر - جدة

حسين علي سنبل
مدرسة الفناتير الابتدائية - الجبيل الصناعية

حمد صالح حمد الجلق
مدارس الظهران الأهلية - الدمام

خالد معتوق الذايدي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

خالد سمير أبو حميدان
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

خالد عيسى طليع الدوسري
المدارس النموذجية الأهلية - الدمام

دانية وسيم زعيم
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

دحام رجا حمود الرويلي
مدرسة علي بن أبي طالب المتوسطة - عرعر

دعد الخميس
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

دكستر داريو مركوريو
المدرسة العربية السعودية العالمية - رحيمة

دنيمه فاروق عبيد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

رشا العثيزان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

رويشد نافع لافي الرويلي
مدرسة ابن الأثير - عرعر

ريان عمر متولي
مدرسة البراعم - ينبع الصناعية

ريم عيضة عثمان العوفي
المدرسة ١١٧ المتوسطة - الطائف

سارة خالد بن سعيد
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سارة سمير منذر صالح شبيب
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

سالم محمد سالم الدوسري
المدرسة العزيزية الأهلية - الخبر

سالي رأفت أحمد محمد
- الطائف

سامي عويس أحمد
مدرسة الإمام مالك الابتدائية - ينبع الصناعية

سحر شفيق عثمان
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

سعد ضرمان الخالدي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

سعيد ناصر محمد العمري
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

سفر عبد الله السفر
مدرسة حسان بن ثابت الابتدائية - الجفر

سلطان بن محمد العبد الله الفيصل آل سعود
مدارس دار الفكر - جدة

سُلطان سعود راشد الحربي
مدرسة العقيق الابتدائية - الطائف

سُلطان عبيد العتيبي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

سليم إسماعيل البوعينين
مدرسة عرار الابتدائية - الجبيل الصناعية

شيماء محمد فلاح الملاح
مدارس دار الفكر - جد

صالح محمد عواض العر
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائ

طارق العنقر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهرا

عادل قاضي العقيل
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهرا

عارف محمد حسين السلط
المدارس النموذجية الأهلية - الدم

عامر غطي عطي
مدرسة البراء بن عازب - عرع

عباس محمد آل حة
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصنا

عبد الرحمن محمد الزوم
مدارس دار الفكر - ج

عبد الرحمن أحمد نظي
مدرسة الحارث بن كلدة الابتدائية - الطا

عبد الرحمن حمّة
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظه

عبد الرحمن أرشيد عبد الر
المدارس النموذجية الأهلية - الدم

عبد الله فرحان الفرح
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الص

عبد الله يحيى عثلوا
مدرسة الراحة - جيز

عبد الله محمد البرع
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظه

عبد الله طلاح العرف
مدرسة صلاح الدين - منكا

عبير عبد الله سعد الشة
مدارس الرياض الأهلية - الريا

علاء الدين محمد عصام علو
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصـ

علي محمد الشهر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظه

علي فنخور جليل عو
مدرسة قرطبة المتوسطة - القر

عماد فوزي سا
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظه

عمر عبد الله محمد أمين مد
مدارس دار الفكر - ج

عمران علي رضـ
مدارس دار الفكر - جـ

عهود فهد العثـ
مدارس الرياض الأهلية - الريا



(PRS-4-93)

السّنويّة ١٤ لرُسُوم الأطفَال

لقد تلقّت الإدارة أكثر من أربعة آلاف لوحة من مختلف أنحاء المملكة، ولكنها اضطرّت آسفة إلى استبعاد عدد قليل منها لعدم مُطابقتها شروط المسابقة، والإدارة إذ تلاحظ هذا لتهيب بالراغبين في المشاركة أن يلتزموا بشروطها بدقة حتى لا تستبعد رسُومهم منها.

إن أرامكو السعُوديّة إذ تُكرّر شكرها وتهانيها، لتوجه الدعوة إلى جميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيُعلن عنها مع بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله.

عواد سعد فالح البلوي
مدرسة الموبيلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

غادة محمد صالح عرضاوي
مدارس دار الفكر - جدة

غالية سعيد يوسف
مدارس عالم الصغار - جدة

فائزة خالد شوهان
المدرسة العربية السعودية العالمية - رحيمة

فارس زين العابدين بكر جمجوم
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فايز محمد أحمد الثبيتي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

فدوى البتال
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فدوى الحرقان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فراس محمد سليمان المشيقح
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فراس خليل جلغوم
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

فلوه داود السد راج
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فهد اسماعيل القحطاني
مدرسة جرار الابتدائية - الجبيل الصناعية

فهد خالد بوبشيت
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

فيصل محمد الشريف
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فيصل عبد الله الخنيفر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فيصل مقبول الزايدي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

كامل حمدان الحارثي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

كرستي ب. مارك
مدارس أرامكو السعودية - العضيلية

لؤي عادل بابكر
مركز معهد الصانع لتقويم السمع والنطق - الخبر

لينا الحمادي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ماجد طلعت بدر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

ماجد عيضة عثمان الزائدي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

محسن عبد الله الحوري
مدرسة علي بن أبي طالب - عرعر

محمد عبد المولى مصطفى
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

محمد إبراهيم سيد ابراهيم
المدرسة التذكارية الابتدائية - الدمام

محمد عثمان الرقيش
المدرسة الرحمانية الخاصة - سكاكا

ناجي محمد الشماس
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

نادر العرفج
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

ناصر عبد العزيز ناصر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

نايف عواد الشمري
مدرسة المرميات الابتدائية - الجبيل الصناعية

نايف عويض الرويلي
مدرسة علي بن أبي طالب المتوسطة - عرعر

نبيل محمد تريك
مدرسة نعيم بن مسعود الابتدائية - القديح

ندى صالح علي الخليوي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

نوره عبد المحسن العيسى
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

نوره سلطان السديري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

نوره عبد العزيز الحسيني
- الظهران

هاني عبده عبد الله قاسم
مدرسة ابن الأثير - عرعر

هبه أحمد حسن متولي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هشام الهاشمي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

هويدا صالح سيد
المدرسة الابتدائية الرابعة والعشرون - تبوك

هيله عبد الله عثمان الغنام
المدرسة المتوسطة والثانوية الأولى - القصيم

وليم باتيستا لويس
- الرياض

يحيى محمد كامل شعراوي
مدارس العزيزية الأهلية - الخبر

يسرا أحمد الحمودي
مدارس عالم الصغار - جدة

يوسف سافر المالكي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

مهند أحمد الطراب
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مي المعمر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ميثم كاظم جواد الليث
مدارس الظهران الأهلية - الدمام

محمد بن فهد الطويرقي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

محمد إبراهيم الغنام
مدارس الظهران الأهلية - الدمام

محمد عامر عبد العزيز المضيان
مدارس الظهران الأهلية - الدمام

محمد سمير عبد المحسن
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

محمد فؤاد حيدر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

محمد حسن قرعاوي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

محمد سعيد جبران القحطاني
مدرسة جرار الابتدائية - الجبيل الصناعية

محمد سليمان السلطان
مدرسة الإمام نافع لتحفيظ القرآن - ينبع الصناعية

محمد عمر آدم علي
مدرسة تحفيظ القرآن - الجبيل الصناعية

محمد عبد الله الشريق
مدرسة الإمام نافع لتحفيظ القرآن - ينبع الصناعية

محمد عبد الله الغامدي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مراد فواز أيوب
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مشاعل بنت نايف بن عبد العزيز آل سعود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مصطفى يس مهدي البدري
المدارس الخوارزمية الأهلية - الدمام

منال مسعود الشربيني الشريف
المدرسة السادسة عشرة المتوسطة - مكة المكرمة

منيرة عبد العزيز الزامل
المدرسة الفيصلية الإسلامية - الخبر

مها فؤاد محمد أبو منصور
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

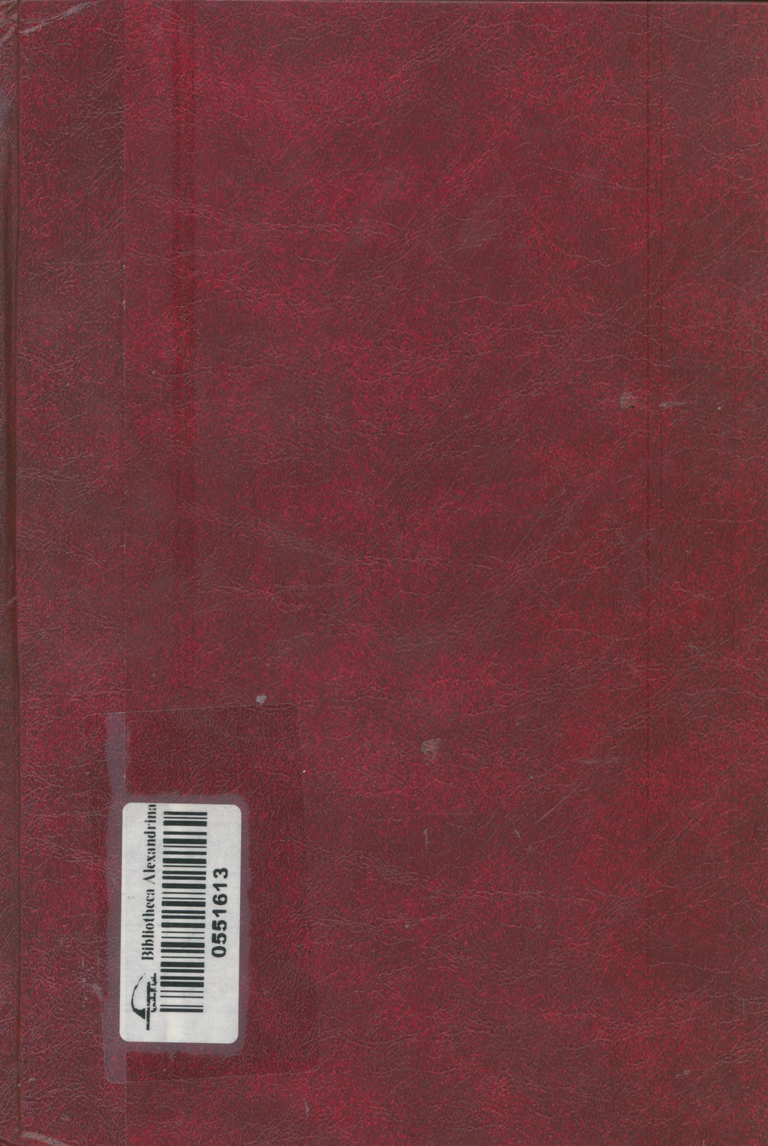
مها يوسف حسين موسى
المدرسة العزيزية الأهلية - الخبر

مهند زهير صالح
مدارس الرياض الأهلية - الرياض





شركة المدينة المنورة للطباعة والنش


Bibliotheca Alexandrina
0551613